

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

المحرم ١٤٢٥هـ - مارس ٢٠٠٤م - الجزء الأول - السنة السابعة والسبعون

افتتاحية العدد

الطَريقُ إلىٰ مَكّةِ

هوجم الإسلام بضراوة ماكرة من قَوْم يتسَمَّون ظاهرياً بطابع البحث التاريخى المقارن، وهو طابع مدخول لأنه لا يرتكز على الحقائق النزيهة التى دوّنها التاريخ قدر ما يرتكز على اصطياد أخبار ملفقة تكون وحدها مصدر التحليل والتعليل لتصل بالقارىء إلى ما يريده الدارس المغرض من الاقتناع بأفكار يضعها في رأسه قبل أن يبدأ خطوات البحث، لتكون النتائج التى ينبغى الوصول إليها متسقة مع هذه الأفكار تمام الاتساق، وهى سبيل مكشوفة لم تعد تجد صداها عند المنصفين.

وهكذا صنع السياسى الفرنسى الشهير (هانُوتُولا) حين كتب بحثه فى أوائل هذا القرن عن ما سمّاه «المسألة الإسلامية» إذ جعل مشكلة المشاكل فى رأيه، ثبات المسلمين فى مستعمرات فرنسا على دينهم، ورفضهم ما تقدّمه الحضارة الأوروبية من بديل، يكون وحده سبب التقدّم المدنى، والارتقاء إلى مستوى العالم المتحضّر، وحديثه فى هذا المنحى حديث الموقن الجازم بأن التمسّك بالإسلام وحده هو العائق الحقيقى دون ما ينشده هانوتو لهؤلاء المحتلّين المنكوبين بالاستعمار من ازدهار، وكان ممّا يوقد ألمه أن يرى المسلمين فى كل مكان يتجهون إلى مكة صلاة وحجاً وشعورا واستلهاما، بحيث أصبحت مكة فى رأيه أكبر العوائق دون ما يريد لهؤلاء، وقد قال بصدد ذلك:

«إن كل المسلمين من يقيم فى الأستانة.. أو مراكش، وفى أرجاء آسيا أو أصقاع أفريقيا بدواً كانوا أو حضرا، واقفين فى أماكنهم أو سارين مع القوافل، يركعون مع الراكعين إذا أزفت الصلاة، يتوضئون أو يتيممون بالتراب مولّين وجوههم جميعا شطر الكعبة، وسواء منهم الذين يلبسون الثياب الواسعة، أو يتزيون بالسترة الإسلامبولية، والذين يلبسون الطربوش أو العمائم على رءوسهم، والذين يضعون السيف فى نطاقهم، أو



يتلقون العلوم فى مدرسة برلين الجامعة أو يدرسون علوم السياسة فى باريس فإنهم ييممون شطر مكان واحد هو الأرض المقدسة، الأرض التى عاش فيها محمد، والتى تتضمن جسمه المبارك، فى قبر لا يجسر أحد على الوصول إليه إلا مغطى الوجه حياء وهيبة، هى الأرض التى جاء منها الآباء ويعود إليها الابناء بحركة مستمرة، هى الحج الأبدى إلى بيت الله الحرام، وجميع المسلمين عن بكرة أبيهم يرنون بطرفهم إلى هذا المكان المقدس، ويمدون إليه أعناقهم، ولا يجدون لذة إلا بأمل العودة إليه، ومن مات منهم، ولم يكن أدّى فريضة الحج، فقد مات على أسف وحسرة».

ويتابع السير هانوتو وزير الخارجية الفرنسي حديثه عن فريضة الحج فيقول:

«ومتى اقتربوا - المسلمون - من الكعبة من البيت الحرام، من بئر زمزم الذى ينبع منه الماء القدسّى، من الحجر الأسود الذى يُحاط بإطار من فضّة، من الركن الذى يقولون عنه إنه سرّة العالم، وحققوا بأنفسهم أمنيتهم العزيزة التى استحثتهم على مبارحة بلادهم فى أقصى مدن العالم للفوز بجوار الخالق فى بيته الحرام، اشتعلت جذوة الحمية فى أفئدتهم فتهافتوا على أداء الصلاة صفوفا، وتقدّمهم الإمام مستفتحا العبادة بقوله (بسم الله) فيعم السكون والسكوت وينشران أجنحتهما على آلاف الآلاف من المصلين فى تلك الصفوف، ويملأ الخشوع قلوبهم، فيقولون بصوت واحد (الله أكبر) ثم تعنوا جباههم بعد ذلك قائلين (الله أكبر)».

يذكر المسيو هانوتو ذلك ليؤكد أن الرابطة الإسلامية من أقوى الروابط، وأن مكة هى النظام المتين لحبات هذه الرابطة، فالمسلمون يجتمعون حولها ليستمدوا القوة، ويحار المسيو حين يبحث عن سبب معقول يتيح للعقل المسلم المعاصر أن يعصف بهذه الرابطة فلا يجد:

ولا أدرى لماذا وقف المسيو هانوتو أو تعمّد أن يقف عند الظواهر الخارجية دون أن يلج إلى أعماقها ذات التأثير، وهو الذى يدّعى الإحاطة بعلوم الاجتماع والنفس والعمران إحاطة من يعيش فى عاصمة

الثقافة الأوروبية ! أفكان يجهل أن مكة ليست مجرد بلد آسيوى، وأن الكعبة ليست مجرد بناء أثرى، إنما مكة فى نظر المسلمين هى رمز الدعوة الإنسانية إلى الحرية والإخاء والمساواة، ومقاومة الباطل بأسلحة الحق، وأن المبادىء التى جاء بها رسول الله ﷺ قد هتف بها أول هتاف فى مكة، وأن المسلمين الأوائل الذين التفوا حول الرسول فى مكة هم الذين صبروا على إيذاء الجاهلية حتى استطاعوا أن يحملوا مشعل الحضارة الإنسانية إلى الآفاق ! فالحج ليس من الطقوس التقليدية الشائعة فى الأديان المختلفة، ولكنه فى بعض معانيه دعوة إلى استعادة مجد الإسلام الغابر، حين يرى الحاج مهد الإسلام فى مشرق شمسه، وحين يعلم أن المسلمين اليوم مهما دهمهم الاستعمار بقوته الغاشمة أحسن حالا منهم بالأمس حين كانوا فى دار الأرقم يتقاذفهم السوء من أهل البغى ! وإذا استطاعوا فى غابرهم أن يخرجوا الناس من الظلمات إلى النور فإن زيارة هذه الربوع الطاهرة كل عام ناقوس يجلجل موقظا النيام أن هبوا، فتلك منازل القرآن، وهذه موضع أقدام الرسول وصحابته ! وهذا غار حراء يبعث ذكراه الخالدة فى النفوس ! إن المسلم يخلق خلقا جديدا حين يحج، ولا يرجع معتقدا غفران ذنبه فحسب، بل يرجع وقد اطمأن إلى إيمان راسخ لا تزعزعه العواصف، وهذا ما يعرفه المسيو هانوتو، ويحاول أن يهاجم هذه الشعيرة مدركا أثرها النفاذ فى القلوب، ولكنه يجد المسألة أكبر من أن تحلها بلاغة سياسية تقصد إلى التمويه ! وقد ردّ الإمام محمد عبده عليه أبلغ رد حين سأله عن مباهاته بحضارة الغرب.. ما مصدرها ؟ أهى المسيحية المحرفة التى يدعيها الأوروبيون ؟ وإذن فأين كانت هذه المسيحية حين أشرق نور الإسلام فى وقت كانت أوروبا فيه تخوض فى لجج الظلمات وترتدى جلود الوحوش، وتعيش بشريعة الغاب ! لقد انتقل أثر الإسلام إلى أوروبا فانقذها من الحضيض، وإذا حاول المسيو هانوتو أن ينكر حقائق التاريخ فليترك القلم لذويه..

هذه مكة التى تحدث عنها المسيو هانوتو حديث التعجّل، الذى نظر إلى السطح الخارجى دون أن يلج إلى الأعماق، فأتاح لى أن أقرن حديثه بحديث كاتب منصف، اعتنق الإسلام بعد دراسة بصيرة امتدت عشر سنوات، وكان مثقفا بعدة لغات شرقية من عربية وفارسية وعبرية غير ما أتقنه من لغة ألمانيا موطنه، ولغتى الإنجليز والفرنسيّين، فقرأ أصول الأديان فى شتى ينابيعها، وقرأ تواريخ الأديان فى أوثق مصادرها، ثم أخذ يقارن بين منهج ومنهج، وأصول وأصول، حتى أشرق نور الإسلام فى قلبه فبادر سعيدا باعتناقه، هذا الكاتب هو الأستاذ (ليوبالد فايس) الذى أصبح اسمه بعد إسلامه (محمد



أسد) والذى كتب قصة إسلامه فى مؤلف حافل، كان من أبرز فصوله ما كتبه تحت عنوان (الطريق إلى مكة) وهو عنوان الكتاب نفسه.

لقد شاء المؤلف أن يحج إلى مكة، ليشهد مشرق الرسالة بعينه بعد أن درس كل شبر فيه بعقله، فجعل يطوف بالبلد الأمين موضعا موضعا، ولكل موضع إلهامه فى نفسه، فإذا وقف أمام غار حراء صاح من أعماقه هنا نزلت أول آية من آيات الكتاب، ثم هدته ثقافته الواسعة إلى مقارنة تاريخية بين حالة محمد ﷺ، وحالة يعقوب ـ عليه السلام ـ حينما نزل عليهما الوحى، ثم مقارنة بين حالة محمد ﷺ وحالة موسى ـ عليه السلام ـ حين آنس من جانب الطور نارا، لقد قاوم يعقوب الملاك كما جاء فى سفر التكوين، وشكّ موسى فيما رأى، أما محمد ﷺ فقد استسلم إلى جبريل حتى زالت عنه قواه المادية، ولم يبق لديه سوى قابلية الإصغاء إلى الصوت الذى يتلو عليه الآية الأولى من كتاب الله، كان الصوت جلياً واضحاً فى سمعه، مشرقاً وهاجاً فى ذات نفسه، وحين رجع إلى زوجته الطاهرة تحدث بصدق وإتقان عما كان كما كان.

بهذه الأحاسيس ذات المشاعر النابضة جال محمد أسد فى مرابع مكة، ثم شاء أن يستريح إلى روضة رسول الله بالمدينة، فجعلها موضع نجواه وإشراقاته، وقد تعرّف


محمد أسد

بفضلاء العلماء من شيوخ الحرم المدنى، ومن آثرهم لدى نفسه الشيخ عبدالله بن بليهد الذى جعل يأنس لحديثه وحده تارة، ولأحاديثه مع الحجازيين والنجديين من ذوى الارتحال فى جنبات الأرض، ومن هذه الأحاديث ما ذكره الأستاذ محمد أسد عن رحالة بدوى قدم من العراق، ورأى نفرا من الفرنجة هناك يلبسون القبعات فقال للشيخ : أخبرنى يا سيدى، لم يلبس الأفرنج دائما قبعات تظلل عيونهم، فلا يستطيعون أن يروا نور السماء ! وهو سؤال يحمل من الشفافية ما جعل الشيخ يتأمل فى وجه صاحبه ثم يقول مبتسما : لعل ذلك هو ما يقصدون، فقد أشفقوا أن يتطلعوا إلى نور السموات، وهم لا يريدون أن ينتفعوا بهذا النور، لأنه سيحجبهم عن غمرات الكيد فى صراع الحياة.

وواصل البدوى حديثه فقال للشيخ : فلماذا إذن يكرمهم الله بالثروة الطائلة، ويمدهم بكثير مما حُرِم منه المؤمنون ؟

فيجيب الشيخ : إن هؤلاء يعبدون الذهب فإلههم فى جيوبهم، ولكن صديقى هذا- يريد الأستاذ محمد أسد، وقد وضع الشيخ يده على ركبته - يعرف عنهم أكثر مما أعرف فهو قادم من بينهم، وقد اهتدى بنور الله، فقل يا محمد لم غفل الفرنجة عن نور السماء.

فقال الأستاذ محمد أسد حديثا طويلا، رجع فيه إلى قصة الدجال الأعور الذى تنبأ به رسول الله فيرى بعينه الواحدة وهج الذهب وبريق الفضة، ويعمى أن يرى نور الإيمان، وضياء القناعة والرضا، وإذ ذاك يتهافت على اكتشاف خبايا المادة وحدها، دون أن يهتدى إلى اكتشاف مطاوى نفسه، ثم سأل محمد أسد الشيخ ابن بليهد: أليس هذا ما يمكن أن نستشفه من حديث الأعور الدجال ؟ أليس حديثه وصفا ينطبق على الحضارة

الآلية العصرية، إنها عوراء لا ترى إلا بعين واحدة، فقال الشيخ : أنت محق يا محمد، لم يسبق لى أن أتأمل خبر الدجال فى كتب السيرة على نحو ما ذكرت ! ثم سأله ابن بليهد : هل كان هذا الإلهام هو ما هداك إلى اعتناق الإسلام يا بنى ؟

فذكر محمد أسد قصة خلاصتها أن الإسلام قد أشرق فى قلبه قبل أن يعلن اعتناقه بسنوات، وقد كان فى إحدى رحلاته السياسية بأفغانستان يركب جواده من (هرات) إلى (كابل) فاضطر فى سيره إلى مقابلة حاكم (ده زنكى) فاستضافه مرحبا، ودار حديث عن الشرق والغرب فواجه محمد أسد الأمير الحاكم بهذا السؤال ؟

●● ما الذى حدث حتى أضعتم أيها المسلمون ثقتكم بأنفسكم، تلك الثقة التى استطعتم أن تنشروا بها عقيدتكم فى العالم كله فى أقل من مائة سنة، من جزيرة العرب إلى المحيط الأطلسى غربا وشرقا إلى أعماق الصين، وأنتم اليوم تسلمون أنفسكم لأفكار الغرب وتقاليده ؟ لماذا لا تستعيدون شجاعة آبائكم وأجدادكم حين أناروا الدنيا بالعلوم والفنون فى زمن كانت فيه أوروبا غارقة فى الجهالة موغلة فى البربرية ؟ كيف أصبح أتاتورك هذا المهرّج التافه، زعيم نهضة، وقد ابتعد عن نور الإسلام، وأصبحتم تُقهرون مع أنكم مسلمون ؟ وهنا قال الحاكم فى ابتسام : أنت مسلم يا أخى ولا تشعر، أنت مسلم، قل إنك مسلم، وسنستضيفك إلى الأبد، وتكون ذا منصب رفيع بالبلاد، فقال محمد : إنى إذا قلت ذلك فسأكون مسلما لارتياح ضميرى لا رغبة فى منصب أو جاه.

ثم عاد محمد أسد إلى ألمانيا، وكل يوم يزداد يقينا بفضائل الإسلام، حتى وجد نفسه تحت تأثير وجدانى لا يقاوم مضطرا إلى أن يزور مكة، وأن يعلن إسلامه بالبلد الأمين، وأن يجالس رجال العلم فى مكة والمدينة، وأن يكتب عن تاريخ حياته المتنقلة من اليهودية إلى الإسلام كتابه الرائع (الطريق إلى مكة).

وقد عز على قوم من الحاقدين أن يروا مفكرا عظيما يعتنق الإسلام عن اقتناع، فأرجفوا كاذبين بارتداده، وانزعج الرجل لما سمع فأصدر بيانا كتبه بعدة لغات يعلن فيه كذب هذا الادعاء ويؤكد أن الذى يذوق حلاوة الإيمان لن يرتد إلى مرارة الكفر وكل ما ذكرته عن الرجل الكبير قطرات من معين يتدفق به كتابه النبيل (الطريق إلى مكة) ! وفى صفحاته الرائعة عظة بالغة، ويقين وطيد.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن
قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ
شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ
فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

الآيات: (١ – ٦)

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

افتتحت سورة آل عمران ببعض حروف التهجى وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ الٓمٓ ﴾ ويبلغ عدد السور القرآنية التى افتتحت بالحروف المقطعة تسعا وعشرين سورة. وقد وقع خلاف بين العلماء فى المعنى المقصود من حروف التهجى التى افتتحت بها بعض السور القرآنية ويمكن إجمال اختلافهم فى رأيين رئيسيين:

الرأى الأول يرى أصحابه: أن المعنى المقصود منها غير معروف، فهى من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه.

وإلى هذا الرأى ذهب ابن عباس ـ فى إحدى الروايات عنه ـ كما ذهب إليه الشعبى، وسفيان الثورى وغيرهما من العلماء، فقد أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبى أنه سئل عن فواتح السور فقال: «إن لكل كتاب سرا، وإن سر هذا القرآن فواتح السور» وروى عن ابن عباس أنه قال: «عجزت العلماء عن إدراكها».

وعن على بن أبى طالب أنه قال: «إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى» وفى رواية أخرى للشعبى أنه قال: «سر الله فلا تطلبوه».

ومن الاعتراضات التى وجهت إلى هذا الرأى أنه إذا كان الخطاب بهذه الفواتح غير مفهوم للناس، لأنه من المتشابه فإن يترتب على ذلك أنه كالخطاب بالمهمل، أو مثله كمثل التكلم بلغة أعجمية مع أناس عرب لا يفهمونها.

وقد أجيب عن ذلك بأن هذه الألفاظ لم ينتف الإفهام عنها عند كل الناس. فالرسول ﷺ كان يفهم المراد بها، وكذلك بعض الصحابة المقربين، ولكن الذى ننفيه أن يكون الناس جميعا فاهمين لمعنى هذه الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور. وهناك مناقشات للعلماء حول هذا الرأى لا مجال لذكرها هنا.

أما الرأى الثانى فيرى أصحابه: أن المعنى المقصود منها معلوم. وأنها ليست من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه وأصحاب هذا الرأى قد اختلفوا فيما بينهم فى تعيين هذا المعنى المقصود على أقوال كثيرة من أهمها:

١ - أن هذه الحروف أسماء للسور، بدليل قول النبى ﷺ «من قرأ حم السجدة حفظ إلى أن يصبح» وبدليل اشتهار بعض السور بالتسمية بها، كسورة «ص» وسورة «يس» وسورة «ق».. الخ.

ولا يخلو هذا القول من ضعف لأنه لا يلزم من التسمية ببعضها أن تكون جميع الحروف المقطعة أسماء للسور التى بدئت بها، ولأن كثيرا من السور قد افتتحت بلفظ واحد من هذه الفواتح، فلو كانت أسماء للسور لم تتكرر لمعان مختلفة، لأن الغرض من التسمية رفع الاشتباه.

٢ - وقيل: إن هذه الحروف قد جاءت هكذا فاصلة للدلالة على انقضاء سورة وابتداء أخرى.

٣- وقيل: إنها حروف مقطعة بعضها من أسماء الله - تعالى - وبعضها من صفاته، فمثلا: ﴿ الٓمٓ ﴾ أصلها أنا الله أعلم.

٤- وقيل: إنها اسم الله الأعظم إلى غير ذلك من الأقوال التى لا تخلو من مقال، والتى أوصلها السيوطى فى كتابه «الإتقان» إلى أكثر من عشرين قولا.

٥- ولعل أقرب الأقوال إلى الصواب أن هذه الحروف المقطعة، قد وردت فى افتتاح بعض سور القرآن على سبيل الإيقاظ والتنبيه للذين تحداهم القرآن.

فكأن الله - تعالى - يقول لأولئك المعارضين فى أن القرآن من عند الله: هاكم القرآن ترونه مؤلفا من كلام هو من جنس ما تؤلفون منه كلامكم، ومنظوما من حروف هى من جنس الحروف الهجائية التى تنظمون منها حروفكم، فإن كنتم فى شك من كونه منزلا من عند الله فهاتوا مثله، وادعوا من شئتم من الخلق لكى يعاونكم فى ذلك.

ومما يشهد لصحة هذا الرأى: أن الآيات التى تلى هذه الحروف المقطعة تتحدث عن الكتاب المنزل، وعن كونه معجزة للرسول ﷺ فى أغلب المواضع.

وأنت ترى هذه الآيات كثيرا ما تتصدر صراحة باسم الإشارة الذى يعود إلى القرآن كما فى قوله - تعالى -: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾(١) أو ضمنا كما فى قوله - تعالى -:

﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾(٢).

وأيضا فإن هذه السور التى افتتحت بالحروف المقطعة إذا ما تأملتها من أولها إلى آخرها ترى من أهدافها الأساسية إثبات صحة الرسالة المحمدية عن طريق هذا الكتاب الذى جعله الله - تعالى - معجزة لنبيه ﷺ.

هذه خلاصة موجزة لآراء العلماء فى المراد بالحروف المقطعة التى افتتحت بها بعض السور القرآنية، ومن أراد مزيدا لذلك فليرجع إلى ما كتبه العلماء فى هذا الموضوع(٣).

ثم وصف - سبحانه - ذاته بما يليق به من جلال وكمال فقال:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ﴾.

ولفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ يقول بعض العلماء: إن أصله إله، دخلت عليه أداة التعريف «ال» وحذفت الهمزة فصارت الكلمة الله.

(١) البقرة (١، ٢).
(٢) الأعراف (١، ٢).
(٣) راجع الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج٢ ص٢١ مطبعة مكتبة المشهد الحسينى.

قال القرطبى: قوله ﴿ اللَّهُ ﴾ هذا الاسم أكبر أسمائه - تعالى - وأجمعها - حتى قال بعضهم: إنه اسم الله الأعظم، ولم يتسم به غيره، ولذلك لم يثن ولم يجمع، فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الألوهية، المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقى، لا إله إلا هو سبحانه -(٤).

ولفظ ﴿ إِلَٰهَ ﴾ قالوا: إنه من أله أى عبد، فالإله على هذا المعنى هو المعبود وقيل هو أله أى تحير.. وذلك لأن العبد إذا تفكر فى صفاته - تعالى - تحير فيها، ولذا قيل: تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى الله(٥).

و﴿ الْحَىُّ ﴾ أى: المتصف بالحياة التى لا بدء ولا فناء لها.

و﴿ الْقَيُّومُ ﴾ الدائم القيام بتدبير أمر الخلق وحفظهم، والمعطى لهم ما به قوام حياتهم، وهو مبالغة فى القيام وأصله قيووم - بوزن فيعول - من قام بالأمر إذا حفظه ودبره.

والمعنى: الله - تعالى - هو الإله الحق المتفرد بالألوهية التى لا يشاركه فيها سواه. وهو المعبود الحق وكل معبود سواه فهو باطل، وهو ذو الحياة الكاملة وهو الدائم القيام بتدبير شئون الخلق وحياطتهم ورعايتهم وإحيائهم وإماتتهم.

قال الآلوسى: ولفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ مبتدأ وما بعده خبر والجملة مستأنفة، أى: هو المستحق للعبودية لا غيره:

﴿ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ﴾ خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف أى: هو الحى القيوم.. وأيا ما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق العبودية به - سبحانه - وقد أخرج الطبرانى وابن مزدويه من حديث أبى أمامة مرفوعا أن اسم الله الأعظم فى ثلاث سور، فى سورة البقرة، وآل عمران، وطه.

وقال أبو أمامة: فالتمستها فوجدت فى البقرة:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ﴾(٦).

وفى آل عمران:

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ﴾ وفى طه:

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ ﴾(٧)،(٨).

وبعد أن بين - سبحانه - أنه هو وحده المستحق للعبودية، اتبع ذلك ببيان بعض مظاهر فضله ورحمته فقال:

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾

(٤) تفسير القرطبى ج١ ص١٠٢.
(٥) مفردات القرآن للراغب الأصفهانى ص٢١.
(٦) البقرة (٢٥٥).
(٧) طه (١١١).
(٨) تفسير الألوسى ج٢ ص٧٤.

والكتاب ـ كما يقول الراغب ـ فى الأصل مصدر، ثم سمى المكتوب فيه كتابا، والكتاب فى الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه والكتب ضم أديم إلى أديم بالخياطة، وفى التعارف ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط[9].

والمراد بالكتاب المنزل: القرآن الكريم. وفى التعبير عنه باسم الجنس إيذان بتفوقه على بقية أفراد الكتب المنزلة، فكأنه هو الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمى التوراة والإنجيل.

وعبر بنزل ـ بصيغة التضعيف ـ للإشارة إلى أن نزول القرآن على النبى ﷺ كان منجما ولم يكن دفعة واحدة ومن المعروف أن القرآن قد نزل على النبى ﷺ على حسب الوقائع والحوادث وغيرها فى مدة تزيد على عشرين سنة.

وقد ذكر العلماء حكما كثيرة لنزول القرآن منجما منها: تثبيت فؤاد النبى ﷺ وتقوية قلبه، ومنها: التدرج فى تربية قويمة سليمة، ومنها مسايرة الحوادث فى تجددها وتفرقها ومنها تيسير حفظه وتسهيل فهمه، ومنها: تثبيت قلوب المؤمنين وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين ومنها: الإجابة عن أسئلة السائلين، وبيان حكم الله ـ تعالى ـ فيما يحصل من قضايا، ولفت أنظار المخطئين إلى ما وقعوا فيه من أخطاء، وكشف حال الكافرين والمنافقين. ومنها: الإرشاد إلى مصدر القرآن وأنه من عند الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[10].

فأنت تقرأ ما نزل على الرسول ﷺ من قرآن فى مكة وما نزل عليه فى المدينة، فترى الجميع محكم السرد دقيق السبك، رصين الأسلوب، بليغ التراكيب، فصيح الألفاظ.. بينما ترى كلام الأدباء والبلغاء يختلف فى جودته من وقت إلى وقت «ومن موضوع إلى موضوع»[11].

وقد بين ـ سبحانه ـ أن هذا القرآن قد نزل مقترنا بأمرين متصلا بهما:

أما أولهما فهو قوله: ﴿ بِالْحَقِّ ﴾.

وأما ثانيهما فهو قوله:

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أى: أن الله ـ عز وجل ـ الذى لا إله إلا هو، والذى هو الحى القيوم، هو الذى نزل عليك يا محمد هذا القرآن تنزيلا ملتبسا بالحق، ومصاحبا له، ومقترنا به، ومشتملا عليه، فكل ما فيه من أوامر، ونواه، وقصص، وأحكام، وعقائد، وآداب، وشرائع وأخبار.. حق لا يحوم حوله باطل، وصدق لا يتطرق إليه كذب.

(9) مفردات القرآن ص٤٢٣ للراغب الأصفهانى بتصرف وتلخيص. (10) النساء (82).

(11) إن شئت المزيد من المعرفة عن الحكم والأسرار فى تنجيم القرآن فراجع - على سبيل المثال - كتاب «مناهل العرفان فى علوم القرآن» ج١ ص٤٦ إلى ص٥٦ لفضيلة أستاذنا المرحوم الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى.

وهو الذى جعل هذا الكتاب المنزل عليك موافقا ومؤيدا لما اشتملت عليه الكتب السابقة من الدعوة إلى وحدانية الله، وإلى مكارم الأخلاق، وإلى الوصايا والشرائع التى تسعد الناس فى كل زمان ومكان وهذا يدل على أن الشرائع الإلهية واحدة فى جوهرها وأصولها قال ـ تعالى ـ:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[12].

وقوله: ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ متعلق بمحذوف فيكون فى محل نصب على الحال من الكتاب وقوله:

﴿ مُصَدِّقًا ﴾ حال مؤكدة من الكتاب أى نزله فى حال تصديقه الكتب.

وفائدة تقييد التنزيل بهذه الحال حث أهل الكتاب على الإيمان بالمنزل، وتنبيههم على وجوبه، فإن الإيمان بالمصدق يوجب الإيمان بما يصدقه حتما.

قال الجمل: وقوله:

﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾، فيه نوع مجاز، لأن ما بين يديه هو ما أمامه فسمى ما مضى بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره واللام فى:

﴿ لِّمَا ﴾ لتقوية العامل نحو قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[13] وهذه العبارة أحسن من تعبير بعضهم بالزائدة»[14].

ثم أخبر ـ سبحانه ـ عن بعض الكتب الأخرى التى أنزلها فقال:

﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾

والتوراة: اسم عبرانى للكتاب الذى أنزله الله ـ تعالى ـ على موسى عليه السلام ـ ليكون شريعة له ولقومه.

قال القرطبى ما ملخصه: والتوراة معناها الضياء والنور مشتقة من ورى الزند ووَرِى لغتان إذا خرجت ناره.. وقيل مأخوذة من التورية، وهى التعريض بالشئ والكتمان لغيره، فكان أكثر التوراة معاريض وتلويحات من غير تصريح وإيضاح.

والجمهور على القول الأول لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[15].

يعنى التوراة[16].

(12) الشورى (13). (13) البروج (16). (14) حاشية الجمل ج١ ص٢٢٥.

(15) الأنبياء (48). (16) تفسير القرطبى ج٤ ص٥.

والإنجيل: كلمة يونانية معناها البشارة وهى اسم للكتاب الذى أنزله الله على عيسى.

قالوا: والإنجيل إفعيل من النجل وهو الأصل: يقال: رحم الله ناجليه أى والديه وقال قوم: الإنجيل مأخوذ من نجلت الشئ إذا استخرجته وأظهرته، ويقال للماء الذى يخرج من البئر: نجل وقيل: هو من النجل الذى هو سعة فى العين ومنه طعنة نجلاء أى واسعة وسمى الإنجيل بذلك لأنه سعة ونور وضياء أخرجه الله ـ تعالى ـ لبنى إسرائيل على يد عيسى - عليه السلام [١٧].

وهذا الكلام الذى نقلناه عن القرطبى والفخر الرازى هو قوله لبعض العلماء الذين يرون أن لفظى التوراة والإنجيل يدخلهما الاشتقاق والتصريف.

وهناك فريق آخر من العلماء يرى أن هذين اللفظين لا يدخلهما الاشتقاق والتصريف لأنهما اسمان أعجميان لهذين الكتابين الشريفين.

قال الفخر الرازى بعد أن أورد كلاما طويلا يدل على عدم ارتضائه للمذهب الذى يرى أصحابه أن هذين اللفظين يدخلهما الاشتقاق والتصريف: «فالتوراة والإنجيل اسمان أعجميان:

أحدهما بالعبرية، والآخر بالسريانية، فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بتطبيقهما على أوزان لغة العرب، فظهر أن الأولى بالعاقل أن لا يلتفت إلى هذه المباحث»[١٨].

وقوله: ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ متعلق بـ ﴿ وَأَنزَلَ ﴾ و﴿ هُدًى ﴾ حال من التوراة والإنجيل، ولم يثن لأنه مصدر ويجوز أن يكون مفعولا لأجله والعامل فيه أنزل.

أى: وأنزل التوراة والإنجيل من قبل تنزيل القرآن لأجل هداية الناس الذين أنزلا عليهم إلى الحق الذى من جملته الإيمان بالنبى ﷺ واتباعه حين يبعث، لأنهما قد اشتملتا على البشارة به والحض على طاعته.

قالوا: فالمراد بالناس من عمل بالتوراة والإنجيل وهم بنو إسرائيل ويحتمل أنه عام بحيث يشمل هذه الأمة وإن لم نكن متعبدين أى مكلفين ومأمورين بشرع من قبلنا، لأن فيهما ما يفيد التوحيد وصفات البارى والبشارة بالنبى ﷺ[١٩].

قال الآلوسى: «وعبر فى جانب التوراة والإنجيل بقوله ﴿ وَأَنزَلَ ﴾، للإشارة إلى أنهما لم يكن لهما سوى نزول واحد، بخلاف القرآن فإن له نزولين: نزولا من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من سماء الدنيا جملة واحدة، ونزولا من ذلك إليه ﷺ منجما فى ثلاث وعشرين سنة على المشهور، ولهذا يقال فيه نزل وأنزل..»[٢٠].

(١٧) التفسير الكبير للفخر الرازى ج٧ ص١٧١، طبعة عبد الرحمن محمد سنة ١٣٥٧ - ١٩٣٨.

(١٨) تفسير الفخر الرازى ج٧ ص١٧١.

(١٩) تفسير الألوسى ج٣ ص٧٦.

(٢٠) تفسير الألوسى ج٣ ص٧٦.

هذا وليست التوراة التى بين أيدى اليهود اليوم هى التوراة التى أنزلها الله على موسى، فقد بين القرآن فى أكثر من آية أن بعض أهل الكتاب قد امتدت أيديهم الأثيمة إلى التوراة فحرفوا منها ما حرفوا، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾[٢١].

وقوله: ـ تعالى ـ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾[٢٢].

ومن الأدلة على أن التوراة التى بين أيدى اليهود اليوم ليست هى التى أنزلها الله على موسى: انقطاع سندها، واشتمالها على كثير من القصص والعبارات والمتناقضات التى تتنزه الكتب السماوية عن ذكرها[٢٣]. وكذلك الحال بالنسبة للإنجيل، إذ ليست هذه الأناجيل التى يقرؤها المسيحيون اليوم هى الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى، وإنما هى مؤلفات ألفت بعد عيسى ـ عليه السلام ـ ونسبت إلى بعض الحواريين من أصحابه.

أمام الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى والذى وصفه الله بأنه هداية للناس فهو غير هذه الأناجيل[٢٤].

و﴿ الْفُرْقَانَ ﴾ كل ما فرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام وهو مصدر فرق يفرق بين الشيئين فرقا وفرقانا.

١ - والمراد به عند أكثر المفسرين: الكتب السماوية التى سبق ذكرها وهى التوراة والإنجيل والقرآن أى: أنزل بهذه الكتب ما يفرق به بين الحق والباطل، والهدى والضلال والخير والشر، وبذلك لا يكون لأحد عذر فى جحودها والكفر بها.

وأعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريق العطف بتكرير لفظ الإنزال، تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى.

٢ - وقال بعضهم المراد بالفرقان هنا القرآن. وإنما أعاده بهذا العنوان بعد ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه، ورفعا لمكانه، ومدحا له بكونه فارقاً بين الحق والباطل، للإشارة إلى الاتصال الكامل بين شرائع الله ـ تعالى ـ وأنه تتميم لما سبقه، وأنه كمال الشرائع كلها.

٣ - وقال بعضهم: المراد به جنس الكتب السماوية التى أنزلها الله ـ تعالى ـ على رسله لهداية الناس وسعادتهم وقد عبر عنها

(٢١) المائدة (١٥).

(٢٢) المائدة (١٣).

(٢٣) راجع ما كتبناه فى ذلك «بنو إسرائيل فى القرآن والسنة» ج١ من ص٨٦ - ٩٢.

(٢٤) راجع تاريخ الأناجيل فى كتاب «محاضرات فى النصرانية» لفضيلة أستاذنا المرحوم محمد أبو زهرة.

بالفرقان ليشمل هذا الوصف ما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم، إثر تخصيص مشاهيرها بالذكر.

وقد ذكر صاحب الكشاف هذه الأقوال وغيرها فقال: «فإن قلت: ما المراد بالفرقان؟ قلت: جنس الكتب السماوية لأن كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل من كتبه، أو من هذه الكتب أو أراد الكتاب الرابع وهو الزبور أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له من كونه فارقا بين الحق والباطل»(٢٥).

أما الفخر الرازى فإنه لم يرتض كل هذه الأقوال، بل أتى برأى جديد فقال ـ ما ملخصه:

٤ ـ «والمختار عندى أن المراد من هذا الفرقان: المعجزات التى قرنها الله ـ تعالى ـ بإنزال هذه الكتب، وذلك لأنهم لما أتوا بهذه الكتب، وادعوا أنها كتب نازلة عليهم من عند الله، افتقروا فى إثبات هذه الدعوى إلى دليل حتى يحصل الفرق بين دعواهم وبين دعوى الكذابين، فلما أظهر الله على وفق دعواهم تلك المعجزات، حصلت المفارقة بين دعوى الصادق وبين دعوى الكاذب فالمعجزة هى الفرقان فلما ذكر الله أنه أنزل الكتاب بالحق، وأنه أنزل التوراة والإنجيل من قبل ذلك، بين أنه ـ تعالى ـ أنزل معها ما هو الفرقان الحق، وهو المعجز القاهر الذى يدل على صحتها، ويفيد الفرق بينها وبين سائر الكتب المختلفة»(٢٦).

والذى نراه أقرب إلى القبول أن المراد بالفرقان هنا جنس الكتب السماوية لأنها جميعها فارقة بين الحق والباطل فيندرج تحتها القرآن وغيره من الكتب السماوية.

ثم بين ـ سبحانه ـ سوء عاقبة المنحرفين عن طريق الحق، الكافرين بآيات الله، فقال:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾

أى: إن الذين كفروا بآيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته، وصدق رسله فيما يبلغون عنه، لهم عذاب شديد منه ـ سبحانه ـ بسبب كفرهم وجحودهم ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ أى منيع الجانب، غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وفى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ﴾ إشارة إلى القدرة التامة على العقاب، وفى قوله:

﴿ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ إشارة إلى كونه فاعلا للعقاب، ينزله متى شاء، وكيف شاء، بمقتضى قدرته وحكمته وإرادته، والوصف الأول صفة للذات والثانى صفة للفعل.

ثم أخبر ـ سبحانه ـ عن شمول علمه لكل شئ فقال:

(٢٥) تفسير الكشاف ج١ ص٣٢٦، طبعة دار الكتاب العربى بيروت.

(٢٦) التفسير الكبير للفخر الرازى ج٧ ص١٧٢.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾

أى أنه ـ سبحانه ـ هو المطلع على كل صغير وكبير وجليل وحقير، فى هذا الكون، لأنه هو الخالق له، والمهيمن على شئونه وصدق ـ سبحانه ـ حيث يقول:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٢٧).

وذكر ـ سبحانه ـ السماء والأرض، للإشارة إلى أن علمه وسع كل شئ، وسع السموات والأرض، وليس الإنسان بالنسبة لهما إلا كائنا صغيرا فكيف لا يعلم ـ سبحانه ـ ما يسره هذا الإنسان وما يخفيه؟

وفى تكرير حرف النهى ﴿ لَا ﴾ تأكيد لنفى خفاء أى شئ عليه ـ سبحانه ـ والآية الكريمة وعيد شديد للكافرين بآياته، لأنه ـ سبحانه ـ وهو العليم بما يسرونه وما يعلنونه، سيجازيهم بمقتضى علمه بما يستحقونه.

ثم ساق ـ سبحانه ـ ما يشهد بشمول قدرته وعلمه فقال:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

وقوله: ﴿ يُصَوِّرُكُمْ ﴾ من التصوير وهو جعل الشئ على صورة لم يكن عليها وهو مأخوذ من مادة صار إلى كذا بمعنى تحول إليه أو من صاره إلى كذا بمعنى أماله وحوله.

والله ـ تعالى ـ القادر على كل شئ قد حكى لنا أطوار خلق الإنسان فى آيات متعددة منها قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾(٢٨).

والأرحام: جمع رحم، وهو مستودع النطفة فى بطن المرأة، ومكان تربية الجنين ونموه وتكوينه بالطريقة التى يشاؤها الله، حتى يبرزه إلى الوجود بشرا سويا.

والمعنى: الله الذى لا إله إلا هو والذى هو الحى القيوم، هو الذى يصوركم فى أرحام أمهاتكم كيف يشاء، بأن جعل بعضكم طويلا وبعضكم قصيرا، وهذا أبيض وذاك أسود، وهذا ذكر وتلك أنثى، فهو وحده القادر على تصوير خلقه بتلك الصور المختلفة المتفاوته، ومن كان شأنه كذلك فهو المستحق للعبادة والخضوع، لا إله إلا هو ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذى يقهر كل شئ بقوته وقدرته:

﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فى كل شئونه وتصرفاته.

وهذه الآية الكريمة فى مقام التعليل للتى

(٢٧) الملك (١٤).

(٢٨) المؤمنون (١٢- ١٤).

قبلها، لأن قبلها بينت أن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء، إذ هو العليم بما يسره الإنسان من كفر أو إيمان أو غيرهما وهذه الآية تفيد أنه ـ سبحانه ـ يعلم أحوال الإنسان لا بعد استوائه بشراً سوياً، بل يعلم أحواله وهو نطفة فى الأرحام، بل إنه ـ سبحانه ـ ليعلم أحواله قبل أن يكون شيئا مذكورا، فهو ـ كما يقول القرطبى ـ العالم بما كان وما يكون وما لا يكون.

ومن كان ذلك شأنه فمن الواجب على الذين أوجدهم ـ سبحانه ـ فى بطون أمهاتهم، ورباهم ورعاهم وخلقهم خلقا من بعد خلق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ إخبار منه ـ سبحانه ـ بأن هذا التكوين والتصوير فى الأرحام تبع لمشيئته وقدرته وليس خاضعا لقانون الأسباب والمسببات، إذ هو الفعال لما يريد فمن شاء هدايته هداه، ومن شاء إضلاله أضله.

و﴿ كَيْفَ ﴾ فى موضع نصب على أنه حال، وناصبه الفعل الذى بعده وهو: ﴿ يَشَآءُ ﴾ ومفعول المشيئة محذوف والتقدير: هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء تصويركم، من ذكر وأنثى، وجميل ودميم، وغير ذلك من مظاهر التفاوت والاختلاف فى الصور والأشكال والعقول والميول.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ تأكيد لما قبله، من انفراده بالألوهية، وحقيقة المعبودية، بعد أن أقام الأدلة الساطعة على ذلك من كونه حيا قيوما، منزلا للكتب الهادية للناس إلى الحق عالما بكل شئ، مصورا لخلقه وهم فى أرحام أمهاتهم كيف يشاء.

وكل ذى عقل سليم يتدبر هذه الآيات الكريمة، يقبل على الإيمان بالحق بقوة وإخلاص، ويسارع إلى العمل الصالح بقلب منيب ونية صادقة.

هذا، وقد ذكر كثير من المفسرين أن سورة آل عمران من مطلعها إلى بضع وثمانين آية منها قد نزل فى وفد نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله ﷺ فى السنة التاسعة من الهجرة، ليناقشوه فى شأن عيسى ـ عليه السلام ـ وقد رد عليهم ﷺ بما يبطل أقوالهم التى تخالف الحق، وأرشدهم إلى الطريق المستقيم وهو طريق الإسلام الذى ارتضاه الله لعباده دينا وسنذكر قصة هذا الوفد عند تفسيرنا لآية المباهلة وهى قوله ـ تعالى ـ فى هذه السورة:

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾

آل عمران (٦١)



الهجرة فاتحة النصر

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى البخارى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال: قال النبى ﷺ يوم فتح مكة: «لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»(١).

التعريف بالراوى: هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبى ﷺ الصحابى الجليل الذى كان يحبه النبى ﷺ حبا جما ويصطحبه معه وهو غلام صغير، وفى الصحيح أن النبى ﷺ ضمه إليه ودعا له بقوله: «اللهم فقهه فى الدين، وعلمه الحكمة والتأويل، اللهم علمه تأويل القرآن، اللهم بارك فيه وانشر منه، واجعله من عبادك الصالحين، اللهم زده علماً وفقهاً».

١- الحديث رقم ١٩٤، باب لا هجرة بعد الفتح.

وثبت عنه أنه قال: رأيت جبريل مرتين وهذا سبب عماه في آخر عمره، وفضائله شهيرة، ومناقبه كثيرة وروى له ألف وستمائة وستون حديثا، اتفقا منها على خمسة وتسعين. وانفرد البخاري بثمانية وعشرين، ومسلم بتسعة وأربعين وكان جميع الصحابة - رضوان الله عليهم - أجمعين يفدون إليه لحل مشكلاتهم، فيجدون عنده ضالتهم المنشودة، لأنه غزير العلم والمعرفة بالأحكام. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين بالشعب، وبنو هاشم محصورون فيه قبل خروجهم منه بيسير. ومات بالطائف سنة ثمان وخمسين وله من العمر واحد وسبعون عاما، وصلى عليه محمد بن الحنفية، وقال: «مات رباني هذه الأمة».

الشرح والبيان

مع مطلع المحرم من كل عام يستروح المسلمون نسمات عيد الهجرة السعيد، الهجرة التي أرخ بها المسلمون تاريخهم، وربطوا بها مجدهم وكيانهم ولقد كانت الهجرة - بلاشك - تحولا إيجابيا خطيرا في اندفاع الإسلام وانطلاقه من قيوده، كما كانت الهجرة الحد الفاصل بين عهدين متباينين، عهد الاختفاء والاستتار بالدعوة، حيث كان المسلم لا يستطيع أن يجهر باعتناقه الإسلام، ولا بإقامة شعائره، والعهد القوي الذي دوى فيه صوتها في جميع البقاع، ووصل دويه جميع الأسماع، واستطاع المسلم أن يعبد ربه حيث شاء، لأن الله الذي اختار للبشرية تلك الديانة الكريمة، وهذه الدعوة السمحة - أحاطها بالحفظ والتأييد، والعناية والرعاية، فمكّن بالهجرة لرسوله ﷺ ودبر له أسباب النجاح، ومقومات النصر والعزة وكيف لا؟ وبالهجرة انطلق الإسلام من طور الدعوة إلى بناء الدولة:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾(٢)

فمع أصحاب الرسول الكريم ﷺ وهم يقطعون الصحاري، ويجتازون القفار، مهاجرين في سبيل الله، مضحين بالمال والولد، والدار بعد أن أوقع عليهم المشركون ألوانا شتى من العذاب وصنوفا متعددة من النكال.

لقد روى البخاري عن خباب بن الأرت - رضي الله عنه - شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك

٢- الأنفال (١٧)

عن دينه، والله ليتمنّ الله الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

ومن ثم ضحى المسلمون الأوائل بكل غال وثمين، وبكل شيء أحبوه منذ صباهم في سبيل عقيدتهم، حتى أثنى عليهم القرآن الكريم ثناء عاطرا، ثناء وعته الدنيا، واعتز به التاريخ، وفتح أمامهم باب الخلود، قال تعالى:

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(٣).

حقا! إنهم هم الذين ألجأهم العنف والظلم إلى أن يتركوا أموالهم وأولادهم، ويخرجوا من ديارهم وأوطانهم، لا لذنب اقترفوه، ولا لجرم ارتكبوه، جريمتهم أنهم قالوا: ربنا الله، ولا نعبد إلا أياه خرجوا لا لدنيا يصيبونها، ولا لمال يحرصون على جمعه، كما نفعل في أيامنا، ولكن خرجوا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وهم مع قلة عددهم، وندرة عتادهم، ومطاردتهم حتى من أهلهم وعشيرتهم، ينصرون الله ورسوله، بسيوفهم، وألسنتهم، وقلوبهم، وصادق إيمانهم:

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(٤) صدقوا مع الله حيث آمنوا به وحده، ومع الرسول ﷺ حيث اتبعوه وأيدوه، ومع الحق حين اعتنقوه ونصروه، فكانوا صورة منه تمشي بين الناس.

وأراد الله أن تتحول الدعوة الإسلامية من مكة المكرمة التي طالما آذى أهلها رسول الله ﷺ ومن اعتنق دعوته من الآل والأصحاب إلى المدينة المنورة، فكان أن قدم إلى مكة في موسم الحج، أناس من أهل المدينة، فآمنوا به وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم إذا قدم عليهم، وعادوا إلى بلادهم، فانتشر ذكر الرسول ﷺ في المدينة، وآمن به كثير من أهلها، وأصبح له بها أنصار وأعوان، يفدونه بنفوسهم، وأعز شيء لديهم، وكان قد هاجر كثير من أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة، لمضايقة قريش وتعذيبها لهم، فخافت قريش من ظهور أمر الدعوة، فاجتمعوا في دار ندواهم للتشاور في أمر هذا الدين الجديد الذي قد يقضي على زعامة مكة، وكبرياء الأصنام، ففكروا في الطريقة التي يضربون بها محمدا ﷺ ودينه الضربة القاضية التي تنهي الأمر:

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾(٥).

٣- الحشر (٨)
٤- الحشر (٨)
٥- الكهف (٥)

اتفقوا أخيرا أن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا وسطا، ليضربوه ضربة رجل واحد، ليتفرق دمه بين القبائل، ولكن الله «تعالى» أخبره بما بيته له قومه، وأمره بالاستعداد للهجرة إلى المدينة عند ذلك يهبط عليه أمين الوحي جبريل «عليه السلام» ببرقية سماوية عاجلة، هذا نصها:

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(٦).

صدر الإذن الإلهى للنبى ﷺ بالهجرة، وألقى الوحى الكريم فى قلبه، وعلى لسانه، هذا الدعاء القرآنى الجميل:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾(٧).

ويخرج الرسول ﷺ من مكة وفى صحبته الصديق يمضى على سجيته السمحة وطابعة الجميل، وحبه الفياض بالخير للأهل والوطن، ولا يزيده العداء الطويل، والعذاب المرير، ولا تزيده المؤامرة الدنيئة، إلا صفاء ونقاء، لأنه معدن نفيس كالذهب، لا تزيده النيران إلا لمعانا وبريقا، تراه حيث يودع مكة التى طالما آذته، ونسيت معه القرابة وحقوقها، والجوار وحرمته لا تتغير طبيعته الأصيلة، ولا تتبدل فيه عناصر الخير النبيلة، استمع إلى كلماته التى يودعها بها تجدها تفيض نبلا وشرفا، وحبا وولاء، ووطنية، واعتزازا يقول:

«يامكة، أنت أحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إلىّ، ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت» إنك تحس فى هذا الوداع المؤثر - معنى الوطنية المثالية، ووفاء المواطن الحر لوطنه حتى فى أحرج المواقف وأخطرها، ألا فليسمع الذين يبيعون أوطانهم ودينهم وشعوبهم وضمائرهم بأبخس الأثمان، وربما كان الثمن شهوة عاجلة، أو شهرة زائلة، من أجل هذا الخلق العظيم، والصبر الجميل يسانده رب العالمين ويبشره بالنصر والغلبة، فيقول له مسليا ومشجعا:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾(٨).

إذا فليهدأ أصحاب المبادىء الحرة بالا، ولينعم دعاة الإصلاح حالا، فالطريق هو الطريق، ليس مفروشا بالورود والرياحين، ولكنه مملوء بالأشواك والعراقيل، ودائما أبدا تأتى المنحة فى أعقاب المحنة، ويأتى النصر بعد الصبر ويأتى الفرج بعد الكرب، ويأتى اليسر بعد العسر:

٦ - الأنفال (٣٠).

٧ - الإسراء (١٠٨).

٨ - محمد (١٣).

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾(٩).

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾(١٠)

ويمضى الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة التى طالما استبد الشوق بأهلها إلى لقائه، والتعرف عليه، والاستماع إليه، فهم يترقبون فى حنين وصوله وينتظرون - على لهف - قدومه وكان اللقاء حقا بالغ الحفاوة ويفيض حبا وولاء، وتكريما وإجلالا، فأنساه مالقى من حفاوة الاستقبال فى المدينة ما ذاق من مرارة الوداع لمكة.

هذا وقد امتدح الله المهاجرين بقوله:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١١).

وفى المدينة آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وكون منهم أسرة مثالية واحدة، وكان هو الأخ الأكبر لهذه الجماعة المؤمنة، من أجل هذا لم تضطرب الحياة فى المدينة، ولم تختل موازينها، إذ تحققت الكفاية وساد العدل، وأصبحت لهم قوة لا يستهان بها، ومنعة تعجز العدو على اقتحامها، وبذلك كانت الهجرة سبيل الفلاح والفوز، وفاتحة النصر، وبشير الخير والبركة للأمة الإسلامية.

لقد استطاع الرسول ﷺ بها أن يجمع شمل المسلمين، وأن يقوى وحدتهم ويجمع كلمتهم، ويبنى دولتهم حتى استقر أمر الإسلام وأمن أهله، والعاقبة للمتقين، وقد شاءت إرادة الله أن تكون الهجرة وبعد توالى الانتصارات الإسلامية، حتى كانت الفئة القليلة المستذلة المطرودة من مكة، والمغلوبة على أمرها قد أصبحت بحمد الله - كثرة غالبة وقوة ضاربة، قال تعالى:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١٢).

تزحف هذه القوة إلى مكة المكرمة بقيادة رسول الله ﷺ للقضاء على الوثنية، والإطاحة بدولة الأصنام إلى غير رجعة، وتطهير البيت الحرام من دنسها، وصدق رب العالمين:

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١٣).

٩ - الطلاق (٢ و٣).

١٠ - الطلاق (٤).

١١ - البقرة (٢١٨).

١٢ - الأنفال (٢٦).

١٣ - يوسف (٩٠).

وكان الحق - سبحانه - قد بشر رسوله ﷺ بهذا الفتح المبين، فتح مكة، قال تعالى:

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾(١٤).

وبفتح مكة، وأمن وأمان أهلها توقفت الهجرة بهذا المعني من مكة إلى المدينة. فلقد روى البخارى عن مجاشع بن مسعود - رضى الله عنه - قال: «جاء مجاشع بأخيه مجالد ابن مسعود إلى النبى ﷺ فقال: هذا مجالد يبايعك على الهجرة، فقال:

«لا هجرة بعد فتح مكة ولكن أبايعه على الإسلام»، وروى البخارى أيضا عن عطاء - رضى الله عنه - قال: ذهبت مع عبيد بن عمير إلى عائشة، رضى الله عنها وهى مجاورة بثبير، فقالت لنا: انقطعت الهجرة منذ فتح الله على نبيه ﷺ مكة، وقد عنون البخارى هذا الباب «باب لاهجرة بعد الفتح»، أى: فتح مكة والمراد ما هو أعم من ذلك إشارة إلى أن حكم غير مكة فى ذلك حكمها، فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة:

الأول: قادرعلى الهجرة منها، لا يمكنه إظهار دينه، ولا أداء واجباته، فالهجرة منه اجبة.

الثانى: قادر، لكنه يمكنه إظهار دينه، وأداء واجباته، فمستحبة لتكثير المسلمين بها ومعونتهم، وجهاد الكفار، والأمن من غدرهم والراحة من رؤية المنكر بينهم.

الثالث: عاجز، يعذر من أسر أو مرض أوغيره، فتجوز له الإقامة، فإن حمل على نفسه، وتكلف الخروج منها أجر.

ومن فضل الله على عباده أن فتح لهم بعد فتح مكة باب هجرة دائمة، لا يستأثر بها عصر، ولا يختص بها جيل، فالذى يهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن مهاجر فى سبيل الله، والذى يعتزل أهل الشر والفساد مهاجر فى سبيل الله، وإن لم يغادر بيته، والذى يهاجر ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر مهاجر فى سبيل الله، والذى يهاجر ليلحق بالصالحين، مهاجر فى سبيل الله، والذى يهاجر لطلب العلم والتماس الرزق مهاجر فى سبيل الله، والذى يهاجر من دار حرب لا يستطيع أن يقيم فيها شعائر الإسلام مهاجر فى سبيل الله، والذى يجاهد لإحقاق الحق، ورفع الظلم، ونصرة المظلوم مهاجر فى سيل الله ويؤيد ذلك ما روى أن النبى ﷺ، حيث سئل عن الهجرة قال «أن تهجر السوء، قيل له: فأى الهجرة أفضل؟ قال «الجهاد»

١٤ - النصر.

وقال ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» فما أحوج المسلمين اليوم أن يتذكروا ماضيهم المشرق، وأن يستعرضوا صفحات المجد من تاريخ أمتهم، وأن يستلهموا من الهجرة ودورسها أسباب النصر والغلبة، ومقومات العزة والحرية، لنصل حاضر الأمة بماضيها، ولا يكفى أن نتغنى بما حققه السلف الصالح والرعيل الأول «رضوان الله عليهم» بل علينا أن نجاهد جهادهم، ونكافح كفاحهم، ونضحى مثلهم، وأن يكون شعارنا:

لسنا وإن أحسابنا كرمت
يوما على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا
تبني ونفعل مثلما فعلوا

أو كما أنشد الآخر:

إن الفتى من يقول ها أنذا
ليس الفتى من يقول: كان أبى

ولن يكون ذلك إلا حين نتخذ من المهاجر الأعظم ﷺ مثلنا الصالح فى وداعه مكة، ولقائه بالمدينة، وما تخلل ذلك من بطولات وتضحيات وعبر وعظات ضاق المقام عن ذكرها، ولكنها واضحة وضوح الشمس فى كبد السماء، يعرفها كل مسلم، عند ذلك نكون قد وضعنا أنفسنا على طريق النصر، ولن يكون ذلك إلا فى ظل وحدة جامعة، للأمة الإسلامية الكبرى، لتتمكن الأمة من النهوض إلى المستوى اللائق بها والذى أراده لها ربها:

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٥).

***

١٥ - يوسف (٢١).

فى ذكرى الهجرة

أما آن لنا أن نهاجر

للدكتور / حمدى فتوح والى

«مضت سنة الله فى الكون على مر التاريخ أن تكون القوى المعنوية هى الحافظة للمكاسب والقوى المادية. فكلما كانت الأمة غنية فى خلقها وعقيدتها السليمة ومبادئها الاجتماعية الصحيحة، فإن سلطانها المادى يغدو أكثر تماسكا، وأرسخ بقاء، وأمنع جانبا. وكلما كانت فقيرة فى خلقها مضطربة فى عقيدتها، تائهة أو جانحة فى نظمها ومبادئها، فإن سلطانها المادى يغدو أقرب إلى الاضمحلال، ومكتسباتها المادية أسرع إلى الزوال»(١).

ومن هنا كان حرص الرسول ﷺ على حماية تلك القوى المعنوية وتعميقها فى قلوب أصحابه، مهما كلفهم ذلك من تكاليف، ومهما حمّلهم من تضحيات.

إن مفارقة الأهل والأوطان ـ كرها وظلما ـ ابتلاء قاس، واختبار رهيب. لكنه يغدو هينا يسيرا إذا كان ثمن التمتع بالأهل والوطن: ضياع العقائد، وسقوط القيم، والتضحية بالمبادئ السامية، والأخلاق العالية.

إننا بالعقيدة الصحيحة، والمبادىء السليمة، نبنى أعظم أمة، وننشىء أسعد الأوطان، لكن الوطن وحده لا ينشىء للعاطلين الفارغين عقيدة، ولا يمنحهم قيمة.. وعندما يترك أصحاب العقيدة أوطانهم إبقاء لعقيدتهم وفرارا بدينهم، فإنهم يكونون قد آثروا ما يبقى على ما يفنى، ولم يستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير.

وإذا كان من معانى الهجرة، الخروج من أرض إلى أرض، فإن من معانيها أيضا الترك والقطع. يقول صاحب اللسان: الهجر ضد الوصل. هجره يهجره هجرا وهجرانا: صرمه، وفى الحديث: لا هجرة بعد ثلاث؛ يريد به الهجر ضد الوصل»(٢).

(١) فقه السيرة - البوطى ص١٧٢.

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ٦ مادة «هجر».

وإذا كانت هجرة الرسول ﷺ قد واكبها انتقال من مكان إلى مكان، فإن ذلك راجع إلى طبيعة المرحلة واحتياج الدعوة إلى ذلك الانتقال. لكننا عندما نقرأ قول المصطفى ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية»(٣) ندرك أن الجانب الأعظم من الهجرة اليوم، ينصب على الهجرة القلبية، وانعقاد النية على إحداث انقلاب نفسى وفكرى ووجدانى، إنها تعنى الاستجابة الخاشعة الطائعة لقول الخالق الحكيم سبحانه:

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(٤)

وتتحول الهجرة إلى فريضة شرعية وضرورة بشرية، إذا علمنا أنها الجسر الذى تعبر به الأمة من حال ضعفها إلى قوتها، ومن ذلها إلى عزتها، ومن هوانها إلى السيادة على العالمين.

فالهجرة التى هى الترك والتغيير والقطع هى سبيلنا الوحيدة ووسيلتنا الأكيدة إلى تغيير واقع الأمة والانتقال بها من حال إلى حال. وهو ما نفهمه من قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(٥)

ومن يتأمل فى هجرة الرسول ﷺ يدرك بداهة أنها سبقت بمرحلة من التدريب النفسى، والإعداد الروحى، والتربية الإيمانية العميقة، امتدت إلى ثلاثة عشر عاما، عانى المسلمون خلالها ألوانا من الشدائد والمحن، وتجرعوا مرارة التعذيب والترهيب، وذاقوا آلام التجويع والحصار. فكانت تلك التربية الإيمانية، التى ربطت قلوب أصحاب رسول الله ﷺ بخالقها، هى الزاد الذى منحهم الثقة فى النصر، وأمدهم بالصبر على الأذى، وأعانهم على تحمل أعباء الطريق. وهل كان بإمكان رجل مثل صهيب بن سنان الرومى ـ صاحب رسول الله ﷺ ـ أن يتنازل عن ماله وأهله وداره، إلا وهو يدرك أن صفقته مع الله رابحة، وأنه خير بين العاجلة والآجلة، فاختار ما يبقى على ما يفنى، بعد أن تعلم فى مدرسة النبوة قول ربه سبحانه:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٦).

فقد روت كتب السيرة أنه: «لما أراد صهيب الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكا حقيرا، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذى بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالى، أتخلون سبيلى؟ قالوا: نعم. قال: فإنى قد جعلت

(٣) صحيح البخارى ج٤، ص ٩٢، كتاب الجهاد، باب لا هجرة بعد الفتح.

(٤) الذاريات ٥٠.

(٥) الرعد ١١.

(٦) النحل ٩٦.

لكم مالى، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ربح صهيب.. ربح صهيب»(٧).

وفى صهيب نزل قول الحق سبحانه:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾(٨).

ولم يكن صهيب وحده الذى عانى فى سبيل هجرته ما عانى، وإنما كل واحد من أصحاب رسول الله ﷺ قد عانى بصورة من الصور. وبشكل من الأشكال. فهذه أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ تحكى بعض ما نزل بها عند هجرتها فتقول:

«لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لى بعيره، ثم حملنى عليه، وحمل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى، ثم خرج بى يقود بى بعيره. فلما رأته رجال بنى المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه، وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا قالت: فتجاذبوا ابنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسنى بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة، ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكى حتى أمسى سنة أو قريباً منها، حتى مر بى رجل من بنى عمى، فرأى ما بى فرحمنى، فقال لبنى المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها. قالت: فقالوا لى: الحقى بزوجك إن شئت. ورد بنو عبد الأسد إلىّ ابنى، فارتحلت بعيرى ثم أخذت ابنى فوضعته فى حجرى، ثم خرجت إلى المدينة أريد زوجى، وما معى أحد من خلق الله.. حتى إذا كنت بالتنعيم، لقيت عثمان بن طلحة فلم يزل بى، حتى أقدمنى المدينة، فلما نظر إلى قباء قال: زوجك فى هذه القرية.. فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة. تقول أم سلمة: والله ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة»(٩).

وما كان لهذه النماذج المؤمنة أن تتحمل هذا العناء القاسى، وأن تصبر على هذا العذاب الشديد، إلا بالعقيدة الراسخة التى أشربتها قلوبهم، وأنست بها أرواحهم، واستقامت بها حياتهم. واطمأنت بها جوانحهم. ومن أجل هذا فقد جعل الله سبحانه وتعالى الهجرة سبباً إلى استحقاق الموالاة والنصرة. وجعلها معياراً يقاس به مدى صدق الأخوة، وعمق الحب فى الله ـ تعالى ـ فقال سبحانه:

(٧) سيرة ابن هشام جـ١ ص ٤٧٧.

(٨) البقرة: ٢٠٧.

(٩) ابن هشام جـ٢ ص١١٢، ١١٣، دار القلم، بيروت.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾(١٠)

وهكذا تحولت الهجرة إلى ضرورة يعرف بها صدق الولاء وعمق الانتماء فكلما قوى تعلق القلب بخالقه وانجذابه إلى حبه، وانحيازه إلى دينه، وانتصاره لدعوته، زاد إحساسه ببشاعة الباطل، ووضاعة خططه، وحقارة شأنها، وشأن المنشغلين بها والقائمين عليها.

إن الهجرة إلى الله، والبراءة من كل أشكال الهزيمة والخذلان. ومن كل صور الجبن والضعف، والتطهر من كل مظاهر المسارعة إلى إرضاء قوى البغى والعدوان، رهبة منهم أو رغبة إليهم. هى السبيل التى لابد منها، لكى تكون جواز مرورنا إلى ولاية الله لنا ونصره لمنهجنا، وضمان تمكيننا وعزتنا.

إنها الهجرة التى تمثل انقلاباً نفسياً، يشمل جوانب النفس الإنسانية جميعها، فيجعلها تحسن النظر، وتدرك الفرق بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين الطيب والخبيث. ويمنحها القدرة على أن تحب وتكره. وأن تعرف من تحب؟ وكيف تحب؟ ولماذا تحب؟ وتعرف أيضاً من تكره وكيف تكره، ولماذا تكره؟ وعندما تصل النفس الإنسانية إلى هذا القدر من التميز والوضوح فى حبها وبغضها، تكون قد استكملت جوانب الإيمان وهو ما يشير إليه قول رسولنا ﷺ: «من أحب فى الله. وكره فى الله. فقد استكمل عرى الإيمان»(١١).

إن الأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى وحدة ثقافية وفكرية تتوحد من خلالها ميولها واتجاهاتها، ويتحدد على أساسها ولاؤها وحبها وبغضها، كما نرى فى تناصر أصحاب الفكر العلمانى الغربى فى أوروبا وأمريكا وغيرها.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾(١٢).

«لقد كانت الولاية بين المسلمين فى إبان نشأة المجتمع المسلم إلى يوم بدر، ولاية التكافل والتوارث فى الديات. وولاية نصرة وأخوة، قامت مقام وحدة الدم والنسب والقرابة.. حتى إذا وجدت الدولة ومكن لها بيوم الفرقان فى بدر، بقيت الولاية والنصرة، ورد الله الميراث والتكافل فى الديات إلى قرابة الدم. وجعل الهجرة شرطاً لولاية النصرة والأخوة»(١٣).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾(١٤).

(١٠) الأنفال: ٧٢.

(١١) تاريخ البخارى ج٣، ص ٢١٦، سنن أبى داود، ج٥، ص ٦٠.

(١٢) الأنفال: ٧٣.

(١٢) فى ظلال القرآن جـ٣ ص ١٥٥٥ ط ٧.

(١٤) الأنفال: ٧٢.

ومن هنا تتبين طبيعة المجتمع المسلم وتتحدد منطلقاته وقواعده. التى يقوم عليها، وينطلق منها. إنها ليست علاقات الدم، ولا علاقات الأرض ولا علاقات الجنس، ولا علاقات التاريخ، ولا علاقات اللغة، ولا علاقات الاقتصاد. ليست هى القرابة، وليست هى الوطنية وليست هى القومية، وليست هى المصالح الاقتصادية.. إنما هى علاقة العقيدة، وعلاقة القيادة، وعلاقة التجمع الواحد. فالذين آمنوا وهاجروا، يعادلهم اليوم من ينتقلون نفسياً وروحياً وإيمانيا من حالة الغفلة والضياع والتبعية، إلى حالة الوعى بالواقع، والثقة بالنفس، والاستعلاء بالمنهج الإلهى فوق كل مناهج البشر. دون أن يحول بينهم وبين ذلك حائل، من أرض أو مال أو قوم أو مصلحة. إنهم عند ذلك يمثلون الطليعة المؤمنة المجاهدة المهاجرة، الذين يجمعهم هم إيمانى واحد. ومنهج إلهى واحد. وصف جهادى واحد. وعمق ثقافى واحد. ويربط بينهم شعور دينى واحد.

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾(١٥).

أما الذين عرفوا الإسلام فكراً، وانتموا إليه وراثة، واكتفوا منه بالانتساب الاسمى، دون الاقتناع به عقيدة وشريعة وأخلاقاً ونظاماً، ودون أن يكون لهم هم إيمانى يشعرهم بعمق الأخوة، وحميمية الجسد الواحد. فهؤلاء ليس لهم حق الموالاة والنصرة، لأنهم بانعزالهم عن واقع التجمع الإيمانى الواحد سيضيعون فى خضم الأمواج الفكرية، والنظريات السياسية، نظراً لخفة وزن وضعف كيانهم، وعدم التزامهم بتعليمات الصف الإسلامى الواحد. فى مواجهة التجمعات العالمية الأخرى، فى زمن لم يعد يعترف إلا بالتكتلات الكبرى والكيانات العظمى.

إننى أدعو المسلمين فى أرجاء الأرض جميعاً إلى أن ينتقلوا من إسلام الوراثة، والوطن الجغرافى، إلى إسلام العقيدة والولاء وصدق الانتماء وأن يهاجروا من موقع المتفرج على الأمم العاملة المنتجة، إلى موقع المشاركة فى صنع مستقبل الأرض. منطلقين إلى ذلك من عقيدتهم التي لم تعرف الأرض عقيدة أخرى تدانيها كمالاً وقوة. ومنطلقين من كنوز الله التى ركزها فى أرضهم، وخصهم بها من بين سائر الأمم. ومنطلقين كذلك من كثرة عددهم، واتساع أرضهم، وتنوع حاصلاتهم. وتوسط موقعهم. وشهادتهم بهذا الدين على العالمين، ويومها نكون قد هاجرنا إلى الله هجرة نستحق بها النصر والتمكين.

(١٥) الأنفال ٧٢.

الهجرة الكبرى بين الأخذ بالأسباب والتأييد الإلهى

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

فى هجرة النبى ﷺ، وهجرة أصحابه الكرام من مكة إلى المدينة عبر ناطقة تستفيد منها الأمة عبر الدهور، إذا أرادت أن تكون وثيقة الصلة بعناصر القوة التى تستعيد بها ما كان لها من سؤدد وعزة وكرامة بين الشعوب والأمم.

فالتحول العظيم الذى حدث للإسلام بعد الهجرة سبقه جهود وتضحيات وإجراءات قام بها النبى ﷺ. ولم يحدث طفرة لأمة عاجزة عن القيام بدورها تحت مظلة السماء. فالله لا يحقق للعجزة أو المتوكلين أو الكسالى أى نجاح. ولا يمد يد العون للنائمين، ولكن لابد من العمل المخلص المدروس، ثم الأخذ بالأسباب المعقولة الموصلة للأهداف المرسومة، التى اقترن بها العمل الواعى البصير، عملاً بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾(١).

لقد بدأ النبى ﷺ بالأخذ بالأسباب التى كلف الله بها البشر، ومرّن أصحابه الأولين عليها تمرينا قوليا مقرونا بالعمل، وظلت الدعوة تتعثر حينا، وتنشط أحيانا على مدى ثلاثة عشر عاما كاملة حتى أذن الله لفجر الدعوة بالانفلاج، نصروا الله على أنفسهم، وعلى أعدائه فنصرهم الله نصرا عزيزا:

﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾(٢).

ومن سننه الحكيمة أنه يبلو المؤمنين بأعدائهم ليمحصهم وإلا

(١) الرعد (١١). (٢) محمد (٧)

فهو قادر على نصرة الحق الذى أنزله بلا إبطاء ولا قتال، ولكن فى هذا تشبيط همم المؤمنين وركونهم إلى الاسترخاء والتواكل، وفى ذلك يقول عزوجل: ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض﴾(٣).

ولأن النصر لو جاء عفواً ما شعر المؤمنون بحلاوته ولما أجهدوا أنفسهم فى الحفاظ عليه، ولهان عليهم ضياعه، لأنهم لم يدفعوا فيه ثمنا، ولم يلاقوا فيه شدة.

بدأت الدعوة، وبدأ معه التمحيص والتدريب فثبت فى القلوب الإيمان، وفى العزائم الصدق، فى الإرادة القوة.

﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ۝ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾(٤).

الأخذ بالأسباب عند الصحابة

قلنا: إن الأخذ بالأسباب، هو طريق الحصول على ما عند الله. وهذا هو الذى بدأ النبى ﷺ - تدريب أصحابه الأولين عليه، فأمرهم بالصبر الجميل على ما ألحقه بهم المشركون من أذى. فكان الصبر هو أول درس تعلموه منه عليه السلام، وطبقوه عمليا فى مواجهة أعدائهم.

ولما اشتد عليهم الأذى، وخشوا الفتنة فى دينهم أرشدهم القائد الملهم بالهجرة إلى الحبشة، فى عمليات أشبه ما تكون باللجوء السياسى المعروف فى هذه الأيام فقال لهم:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد.. حتى يجعل اله لكم فرجا مما أنتم فيه»(٥) فخرج من أصحابه من خشى الفتنة على دينه.

فعملوا بتوجيهه، وتحملوا وعثاء السفر بلا زاد يحملونه معهم إلا ما خف، منهم من خرج بأهله، ومنهم من خرج بمفرده.

وكانت هذه أول هجرة فى الإسلام. ابتغاء وجه الله - عزوجل- ولكن المستشرقين حاولوا فى عصرنا أن يجردوا هذه التضحية من محتواها الإيمانى، فزعموا أن هذه الرحلة لم تكن فرارا بالدين، ونجاة من الفتنة فيه، بل كانت رحلة تجارة من شمال الجزيرة إلى جنوبها - وهم أى المستشرقون - غير صادقين حتى مع أنفسهم. وإنما هو الحقد الدفين.

فالذين هاجروا إلى الحبشة، خرجوا متخفين ليلا من كفار قريش، والقوافل

(٣) محمد (٤).
(٤) آل عمران (١٤٠ : ١٤١).
(٥) البداية والنهاية لابن كثير (٦٦/٣)

التجارية تصحبها حركة صاخبة، ثم إن الذين هاجروا طال مكثهم فى الحبشة، ولم يعودوا سراعا إلى مكه، ومنهم من قضى نحبه فيها، ومنهم من ظل بها إلى ما بعد الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة لأن الدعوة لم تصبح ذات قوة ومنعة الا بعد قيام دولة الإسلام الناشئة، بالمدينة بعد الهجرة.

الهجرة الثانية

ولما لمست قريش أن الدعوة آخذة فى القوة والانتشار وأن ملك الحبشة النجاشى حمى المهاجرين إليه من المسلمين الأوائل، قامت بمقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب، وفرضوا عليهم حصارا اقتصاديا واجتماعيا، كما تفعل أمريكا الآن مع يخالفون أوامرها. ونصت صحيفة المقاطعة على ألا تبيع قريش لهم شيئا ولا تشترى، ولا يناكحوهم ولا يبادلوهم الكلام، وأن يضيقوا عليهم فى مكان واحد وهذا تمحيص جديد من الله للذين آمنوا، فأوصاهم النبى بالصبر على ما أصابهم فى سبيل الله، وكانت قريش قد منعت عنهم الطعام والماء، حتى اصفرت وجوههم وخارت قواهم من الهزال.

ولكنهم لم يفرطوا فى دينهم شيئا، ومازادهم إلا إيمانا وتثبيتا، وظلوا على هذه الحال مدة ثلاث سنين، ماضعفت لهم عزيمة، ولا لانت لهم عريكة وما سقطت لهم كرامة، ولا حنت لهم جبهة، لأن إيمانهم بالله ورسوله هون عليهم كل الصعب.

أحكمت قريش الحصار على المؤمنين، وقامت بمراقبة كل المنافذ والطرق المؤدية إلى المكان المحصورين فيه لتمنع كل من رق قلبه عليهم من إيصال المعونات إليهم كما تفعل القوى الكبرى الآن، حين تفرض عقوبات على شعب ما، من شعوب الأمة العربية الإسلامية، جوا وبرا وبحرا.

وكان صياح الأطفال، وأنين النساء والشيوخ يتصاعد من معسكر العزل، بالليل والنهار، وقسا عليهم الحرمان، وفعلا كانت قريش تلقى القبض على من حاول الاقتراب من معسكر النبى ﷺ ومن معه من بنى هاشم (عشيرته) وبنى المطلب، حتى الذين انضموا إليه بدافع العصبية والقرابة، لا بدافع من الإيمان، لأن قريشا لم تفرق بين مؤمن وغير مؤمن من عشيرة الرسول ﷺ. وأقربائه.

وجاء الفرج من عند الله

وبعد ثلاث سنين من بدء الحصار، جاء الفرج من الله ناصر المؤمنين، وقاهر الظالمين. ولكن كيف جاء هذا الفرج.

الله الذى بيده مقاليد الأمور،

ومحرك القلوب ومزيل الكربات، رقق قلوب جماعة من شباب قريش. ولدتهم أمهات من بنى هاشم. صعب عليهم أن يأكلوا ويشربوا ويضحكوا ويمرحوا. وأخوالهم من بنى هاشم وغيرهم يتعرضون للمجاعات والعطش والنوم فى العراء، وأشعة الشمس الحارقة. واستعظموا ظلم قريش، واستبشروا بما حدث ثم عزموا فى أصرار على أن يزيلوا هذا الظلم المؤلم.

قام هؤلاء، وأجمعوا أمرهم على نقض صحيفة المقاطعة التى حررتها قريش، وعلقوها فى جوف الكعبة، وقد قاموا بنقضها وتمزيقها على مرأى من قريش ومسمع وانزاحت الغمة، وتنفس المحاصرون الصعداء بعد أن حقق الله لهم الصمود، وخرجوا من هذا التمحيص والأخذ بالأسباب الصحيحة، منصورين وألقوا على قريش درسا عظيما فى الصبر والثبات وحسن الثقة فى الله.

وشعرت قريش بالخيبة والخزى، وأصابها مما حدث إحباط عظيم.

وصدق الله القائل:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٦).

وبعد الهجرة الأولى إلى الحبشة أعقبتها هجرة أخرى أكثر عددا من الأولى، كان لها أثر عظيمة فى نمو الدعوة وثباتها وكانت هذه الهجرة مرحلة تحول أخرى فى تاريخ الدعوة، فاكتسبت الدعوة قوة وزادتها انتشارا وصار عليه السلام لا يكف عن الدعوة إلى الله غير عابئ بما يلقاه فى سبيلها من أذى وعناء، وحمل نفسه فى التنقل من مكان إلى مكان مالا تطيق، وشق عليه بقاء قومه على الكفر، وأخذ يواصل الليل بالنهار داعيا إلى الله بأذنه مبشرا ونذيرا، وكان الله يدعوه مرة تلو أخرى إلى الرفق بنفسه، فى مثل قوله تعالى:

﴿طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾(٧).

ومن مثل:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٨).

ولكن حرصه الشديد على هداية الناس جعله يمضى قدما فى الدعوة. وكان لهذا الصمود أثر طيب فى نفوس أصحابه الأولين فتحملوا المشقات. فما وهنوا وما

(٦) العنكبوت (٦٩).
(٧) طه (١-٢).
(٨) يونس (٩٩).

ضعفوا وما استكانوا فتذرعوا بالصبر الجميل واعتصموا بالإيمان الراسخ، وهم يرون صاحب الرسالة ﷺ يتحمل من العناء ما يذيب الصخور.

عرض نفسه على القبائل

ولما أصابه شبه يأس من إسلام قريش لم يضق ذرعا بما أرسله الله من أجله، فخرج ومعه غلام له إلى الطائف وثقيف، ولكنه لم يجد عندهم قبولاً للدعوة، وكان موقفها هو موقف قريش من الكفر والعناد والاستهزاء، فانصرف عنهم قافلا إلى مكه، وسلطوا عليه عبيدهم وغلمانهم يرشقونه بالحجارة وهو عائد من الطائف، وكان ﷺ يقطع المسافات بين مكه، والطائف والطائف ومكة - راجلا حافى القدمين.

وهى مسافة يقطعها المسافرون الآن فى سيارات فارهة مكيفة تستغرق رحلة الذهاب فى طريق معبد ممهد ما يقرب من الساعة والنصف بسرعة مائة كيلو متر وتزيد فى الساعة، وكذلك رحلة العودة.

فتصور عزيزى القارىء كيف تحمل محمد رسول الرحمة كل هذا العناء، ومع خشونة الأرض التى كان يسير عليها وتعرج الطريق الموصل إلى الطائف، وشدة قيظ الشمس وأشعتها الحارقة التى كان ﷺ يتعرض لها رحمة الله للعالمين.

العودة إلى مكة

عاد محمد رسول الله المناضل إلى مكة آملا فى نصر الله مهما لقى من العقبات، وبدأت بعودته بشريات النصر المؤزر، فلم يدخر جهدا إلا وقد قام به فى تبليغ الحق، واضعا نصب عينيه قوله تعالى:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(٩).

إن رجلا هذه توجيهات الله له، لهو أمة فى صورة رجل. لن يخشى فى سبيل الدعوة شيئا، ولن يفت فى عضده كفر من كفر، ولا عناد من عاند، فالله معه يرعاه، ويسدد خطاه.

ثم انظر إلى مناجاته ربه بعد أن رفضته ثقيف، ومن قبلها قريش.

«اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى، وقلة حيلتى وهوانى على الناس. يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين. وأنت ربى إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك

(٩) الحجر (٩٤-٩٩).

عليّ غضب فلا أبالي. ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك. لك العتبى حتى ترضى. ولا حول ولا قوة إلا بك»(١٠).

كانت هذه المناجاة الخالصة فيصلا بين الأخذ بأسباب النصر المادية فوق الأرض، وبين ثمارها الإلهية والتوجه إلى الله. بعد أن أفرغ صاحب الرسالة كل ما يملك من جهد، واستثمر كل ما لديه من طاقة طوال عشر سنين. إذن فليطرق أبواب السماء ليجعل الله للدعوة يسرا بعد عسر، وفرجا بعد كرب، وانطلاقا بعد انغلاق.

ومع هذا بدت له عقبة قبل دخوله مكه، إن أهلها كانوا يتربصون به الدوائر، ويترقبون عودته من الطائف، وهو لم يعد بجيش جرار، مدجج بالسلاح، بل بمفرده. فماذا عساه أن يفعل؟!

ولكن الله أزال هذه العقبة، حين رقق قلب المطعم بن عدى فأجاره (تعهد بحمايته من قريش) فدخل مكه آمنا في جوار رجل كان مشركا. وأحاط به أبناؤه السبعة وهو يطوف بالبيت، فلما علمت قريش بأن المطعم بن عدى أجار محمدا ﷺ:

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾(١١).

تركوه يطوف في أمان وثبات قدم لا يخشى إلا الله. وإذا أراد الله أمرا هيأ له أسبابه وبدأ صاحب الرسالة مرحلة جديدة من مراحل الدعوة آخذة في الصعود.

الإسراء والمعراج

كان من بواكير النصر الإلهي المؤزر بعد اليأس من أعوان الأرض، حادثا الإسراء والمعراج وهما حدثان عظيمان من صنع الله وحده. وكأنه يقول له:

يا محمد لقد أجهدت نفسك في سبيل الدعوة، وطرقت كل الطرق، وأخذت بجميع الأسباب التي بين يديك، وإن كانت الأرض قد ضاقت بما رحبت فإنا سنفتح لك آفاقا جديدة تنفرج فيها أزمتك ويعلو شانك وتطأ قدماك أرضا جديدة مباركة بل سنفتح أمامك أبواب السموات، ونؤيدك بما أيدنا به إخوانك الرسل من قبلك.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١٢).

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(١٣).

---

(١٠) مجمع الزوائد للهيثمي (٦/٣٥).

(١٢) الصافات (١٧١ : ١٧٣).

(١١) المدثر (٣١).

(١٣) غافر (٥١).

أجل: كان الإسراء والمعراج بصيصا من النور ثبت الله به فؤاد رسوله، واشرقت أمامه الأرض بعد إظلام، وانطلقت الدعوة بعد إحجام، وعلا صوت الحق في كل مكان.

ففي جزء قليل من الليل أسرى به محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات السبع، وفتح الله له من مغاليق كونه ما لم يفتحه لأحد، وأراه من آياته الكبرى وأسرار خلقه العظمى ما لم يره أحدا من العالمين.

وسجل القرآن الأمين هذه الشهادات، فقال في واقعة الأسراء:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١٤).

وقال في معجزة المعراج إلى السموات العلا:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾(١٥).

أماكن لم يطأها محمد من قبل، ولا وطأها أحد غيره ومشاهد ما شاهدها محمد من قبل، ولا شاهدها أحد من قبله، إنه فتح مبين أيد الله به رسوله، على إخلاصه في الدعوة، وتحمله في سبيلها مالا يطاق.

عرض نفسه على القبائل الوافدة

بعد الإسراء والمعراج أخذ مسار الدعوة ينتهج نهجا جديدا، إذ لم يعد للنبي ﷺ أمل يرجوه من أهل مكه، والقرى المتاخمة لها بعد عشر سنين من أعمال الدعوة. ولكن الأمل تفتح أمامه في أن يعرض الدعوة ونفسه على والقبائل الوافدة من خارج مكه، والقرى المجاورة، القبائل البعيدة التي لم يتلوث فكرها بفكر قريش وجيرانها القادمين إلى مكة من بعيد في مواسم الحج، وهذا لم ينزل به وحي، ولكنه من تدابير محمد ﷺ، والله أعلم حيث يجعل رسالته.. وكان من

---

(١٤) الإسراء (١).

(١٥) النجم (١ : ١٨).

ثمرة هذا التخطيط النبوى الجديد، عرض نفسه على قبيلتى الأوس والخزرج عرب يثرب (المدينة فيما بعد).

وأرشده ذكاؤه الوقاد، وبصيرته النيرة، أن يكون لقاؤه بهم سرا، وعلى مشارف مكة لا فى المسجد الحرام، ولا فى مكة إخفاء للأمر عن قريش، لأنها لو علمت لوضعت العراقيل أمامه، وحالت بينه وبين ما يريد.

وقد شاهد من قبل تحذير قريش للوافدين للحج فى أعوام سابقة، تحذيرهم تلك الوفود من أن يسحرهم محمد ﷺ بكلامه المعسول ويقولون لهم: لا تصدقوه.. والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين.. لذلك آثر النبى سرية لقائه بالأوس والخزرج.

العقبة الأولى

خرج النبى ﷺ للقاء نفر من الأوس والخزرج فى جنح الليل، وكان لقاؤه بهم فى مكان يقال له العقبة فعرض عليهم الإسلام ولم يتردد منهم أحد فى قبوله، وكانوا اثنى عشر شخصا، أسلموا وحسن إسلامهم وشرح لهم حقيقة الإسلام. وبعث معهم أول سفير دعوة فى الإسلام مصعب بن عمير ليقوم بينهم بمهمتين:

الأولى: يقرئهم ما نزل من القرآن حتى تلك الفترة.

الثانية: يعلمهم ما نزل من أركان الإسلام وقيمه ومبادئه.

ثم لم ينقض العام حتى موسم الحج الذى كان فى عام العقبة الأولى، حتى دخل الإسلام كل بيوتات الأوس والخزرج فى المدينة.

وكان من وقائع اللقاء فى القضية الأولى أن اتفق الجانبان على أن يلتقيا فى موسم الحج المقبل مع توقع زيادة العدد من أهل المدينة.

إن عاما واحدا بعد بيعة العقبة الأولى حقق للدعوة انتشارا، وفتحت أمامها سبلا، وأكسبتها أنصارا أكثر بكثير من ماضى عهدها، وكان ما نزل من القرآن هو الذى جعل أهل المدينة يتسابقون على اعتناق الإسلام، ويصبحون أنصارا له، كما سماهم القرآن من بعد:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾(١٦).

واستجاب الله لرسوله مناجاته المخلصة بعد يأسه من قوى الأرض.

العقبة الثانية

أهل العقبة الأولى، ورسول الله ﷺ، لم يتفرقا إلا على نية اللقاء فى العام القادم، وفى المكان نفسه.

(١٦) التوبة (١٠٠).

لكن هذا اللقاء (العقبة الثانية) كان أرسخ قدما، وأعمق معنى، وأكثر التحاما، وأوسع مدى وأعظم منجزات من لقاء العقبة الأولى. فمن حيث العدد بلغ المسلمون الجدد القادمون إلى الحج ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين، كلهم جاءوا شوقا للقاء النبى ﷺ ولأداء الحج بروح جديدة ورؤية جديدة.

والتقى بهم الرسول فى سرية تامة، وقدم معه عمه العباس ليطمئن على شأن ابن اخيه، ويسمع ويرى بنفسه ما يدور فى هذا اللقاء، وإن لم يكن قد أسلم بعد، ولكنه خرج بدافع العصبية والقرابة.

وكان مصعب بن عمير قد حضر إلى مكة مع وفد الأوس والخزرج ليتابع مجريات الأمور.

قبل وفد الأوس والخزرج الإسلام وهم حضور مع صاحب الرسالة، بعد ما مالوا إليه قبل مجيئهم مع الداعية الإسلامى مصعب بن عمير.

سمع الوفد لرسول الله وسمع رسول الله لهم، واشترط لنفسه إن هو قدم عليهم فى المدينة ما شاء من شروط واشترطوا هم لأنفسهم ما اشترطوا من شروط وألقيت الكلمات، وتبودل الرأى، حتى العباس عم النبى شارك فى وقائع اللقاء. وبعد أن التقت الرغبات تم الاتفاق على نقل مركز الدعوة من مكة إلى المدينة على أن يتم هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة قبل مقدم صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه.

أول تنظيم إسلامى

وفى هذا اللقاء التاريخى الخالد، تم أول تنظيم سياسى اجتماعى بين الأنصار (الأوس والخزرج) فقد قال لهم صاحب الرسالة ﷺ بعد الفراغ من الاتفاقيات التى أسفر عنها اللقاء:

«أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم»(١٧) وسرعان ما قدموا له اسماء اثنى عشر رجلا منهم، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وكان هذا التقديم بمثابة الترشيح لشغل هذه المناصب فاعتمدهم صاحب الرسالة، فقاموا ليبايعوه بالضرب والشد على يده الشريفة. ثم تفرقوا ولم يشعر بهم أحد من قريش.

(١٧) مسند الإمام أحمد (٣/٤٦٢) من حديث طويل.

وكان هذا التنظيم النبوى نواة للدولة التى انشئت بعد الهجرة بالمدينة.

الإذن لأصحابه بالهجرة

وبعد انقضاء الموسم أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، على الوجه الذى يرونه. فأخذو يتسللون من مكة حاملين معهم ماخف من امتعتهم، تاركين منازلهم وممتلكاتهم وراءهم، لأن ما هاجروا اليه أغلى وأعز من الأموال والممتلكات فقد أرخصها حب الله ورسوله وهنا لفتة لابد من القيام بها ذلك أن البقاء فى مكة، كان فيه مخاطرات كثيرة، من التعرض لأذى المشركين واضطاداتهم.

لكن الرسول القائد آثر أن يهاجر أصحابه قبله ليبقى هو آخر المهاجرين، دون أن يخشى ماذا يحدث له من خصوم الدعوة. وهذا على خلاف عادة الزعماء والرؤساء، الذين يحيطون أنفسهم بهالة من التحوط والأمن واتقاء الشرور لأنهم طلاب دنيا ونعيمها الزائل. أما محمد ﷺ فما أهون الدنيا عليه وما أعظم ما عند الله عنده، لذلك لم يرعه أن يهاجر قبله كل ذى قدرة. وأن يبقى هو وحده يصول ويجول فى طرقات مكه أمام أبى لهب عدوه اللدود، وأمام أبى جهل عدوه الألد.

ليلة الهجرة النبوية

كان رسول الله معروفا عند الناس جميعا بالصادق الأمين حتى قبل أن يكون رسولا، لذلك اتخذه أهل مكة موضع ثقة، فأخذوا يودعون عنده ما يخافون عليه من أموال ومعادن ثمينة كالذهب والفضة والألماس فلما أذن الله بالهجرة استدعى ابن عمه علىّ بن أبى طالب لينام على فراشه الشريف ووضع بين يديه ما عنده من ودائع أهل مكه، ليردها لأصحابها لأن الوديعة أمانة والأمانة أمر الله بتأديتها لمالكيها وكان من الممكن أن يحمل هذه الأمانات ليوزعها على المهاجرين الذين تركوا ممتلكاتهم وسبقوه إلى المدينة، ولكن رسول الله لم ير هذا الرأى لأن من استودعوه أماناتهم لا ذنب لهم فيما حدث من عتاة مكه وظالميها.

وهذا هو السبب فى تأخر هجرة علىّ رضى الله عنه وبرئت ذمة رسول الله من هذه المسئولية الثقيلة.

خروجه من مكة ليلا

وبعد أن هاجر من هاجر من أصحابه ولم يبق منهم بمكة أحد إلا غير القادرين، أمره الله بأن يهاجر هو ويلحق بأصحابه

فى عاصمة الإسلام الجديدة، وصحب معه صاحبه أبا بكر، وخرجا من مكة، ليلا بعد أن ركن الناس إلى الراحة فى بيوتهم، ونزلا بغار ثور قرب مكة حتى تهدأ قريش من سعيها للإمساك به، ومكثا بالغار ثلاثة أيام فى تمويه محكم حتى لا تهتدى قريش إلى مكانهما. هذا سبب أخذا به وطبقاه، وكانت عناية الله أكبر من الأخذ بالأسباب، فقد أعمى أبصار قريش عن مقره مع سعيها الدائب فى البحث عنه وبعد أن هدأت انطلق هو وأبو بكر إلى المدينة وتكبدا خشونة السفر فى طريق صحراوى موحش حتى وصلا المدينة فعسكر قريبا منها وبنى مسجد قباء ثم دخل المدينة التى استقبلته بكل من فيها رجالها ونساؤها شبابها وكهولها وشيوخها وأطفالها.

وأخذوا ينشدون نشيد البشرى والترحاب فى كلمات ألذ وأطيب من الشهد:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع

وتسابق الأنصار لاستضافته فنزل على أبى أيوب الأنصارى، الذى أبى إلا أن يسكنه فى الطابق الثانى من بيته حتى لا يعلو عليه أحد.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وجد عليه السلام فور قدومه إلى المدينة مشكلة عويصة فى انتظاره حلها، وهى وجود المهاجرين فيها بلا نشاط ولا عمل. وسرعان ما قضى على هذه المشكلة بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ومشاركة كل أخ لأخيه فى ما يملك، وظل كل أخوين يتوارثون، حتى استقر أمر المهاجرين فنزل قوله تعالى:

﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾(١٨).

فألغى التوارث بينهم وهذه الحلول كانت من حكمة محمد ﷺ وحسن تدبيره للأمور، مهما كانت معضلة.

(١٨) الأحزاب (٦).

وضع صحيفة الوفاق

ثم وضع رسول الله ﷺ فور قراره بالمدينة صحيفة الوفاق الجامعة التى وفق فيها أوضاع جميع الطوائف فى المدينة. (أهل المدينة - المهاجرون - اليهود) وقد مهدت الصحيفة التى نظمت فيها العلاقات بين الطوائف الثلاث سلمًا وحربًا - إلى قيام دولة على بصيرة من أمرها. حتى اليهود سماهم النبى عليه السلام فى الصحيفة بأنهم أمة مع المومنين وسمح لهم بمزاولة شعائرهم الدينية مع البقاء على عقيدتهم دون أن يضاروا بسببها.

وبذلك آتت الهجرة ثمارها وقامت دولة الإسلام.

والذى نستخلصه مما سبق ونضعه بين يدى الأمة فى حاضرها ومستقبلها ونرجو أن نسمعه بأذن صاغية ونفقهه بعقول واعية. وقلوب صافية وهو الآتى:

أولاً: أن الأخذ بالأسباب الصحيحة المتاحة شرط أساسى فى الحصول على المطلوب مع مواصلة العمل الجاد المحكم وقوة العزم وإخلاص النية وصدقها.

ثانيًا: ترك التواكل والاعتماد على القدر بأنه المتصرف فى تحقيق ما هو كائن مع الغاء الجهود المقدور عليها لاستكشاف ما هو مقدر وطرح مقولة.. المكتوب على الجبين تراه العيون، لأن هذا يولد الكسل والخمول عند الفرد والجماعة والأمة.

ثالثًا: وضع الخطط المدروسة، ثم تعديلها إذا أثبت التطبيق قصورها أو عجزها دون الوصول إلى الغايات المرادة منها.

رابعًا: بذل أقصى ما تقدر عليه الأمة مهما كانت الصعاب كما قال عزوجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(١٩).

خامسًا: إيثار ما عند الله على مغريات الحياة الدنيا.

سادسًا: وحدة الصف والاعتصام بحبل الله.

سابعًا: أن تنصر الأمة الله ولو على أنفسها فإن نصر الله مقصور على الذين ينصرونه.

كل هذه المبادىء كانت وراء نصر الله لرسوله والذين آمنوا معه. فلتقتد بهم الأمة فإن وسطها وآخرها لن يصلح إلا بما صلح به أولها. والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

(١٩) الأنفال (٦٠).

مواقف إسلامية

الهجرة من العبرة .. إلى الاعتبار

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

فى مقال لأديب العلماء أ.د. محمد رجب البيومى.. كشف النقاب عن يقظة الإلحاد الذى بدأ يطور أسلحته.. بعدما فشلت كل خططه فى الإفساد.. إفساد البلاد والعباد:

فقد كان الإلحاد يعتمد على البحث العلمى.. كوسيلة خداعة يوهم بها الضحايا أنه الباحث النزيه المنهجى.. الذى يصل فى النهاية إلى قرارات مضمونة النجاح.. حتى يثق المخدوعون بها.. وبه.

ولكنه فشل فى هذا المجال فشلاً ذريعاً حين فوجئ بقذائف الحق التى تدمغه.. فإذا هو زاهق.. عن طريق المخلصين من العلماء الذين هزموه بما يملكون من براهين..

ومن ثم.. لجأ إلى ساحة الأدب والفن.. ليجرى أحاديثه على لسان أبطال القصة مثلاً.. مكتوبة أو مشاهدة.. ليكون بنجوة من المواجهة مع الحق.. لأن «الفن» «كالظروف» فى علم النحو: يتجاوز فيها مالا يتجاوز فى غيرها.

من آثار هذه الخطة

وقد حقق الفارغون نجاحًا فى هذا المجال.. إلى حد أنهم كانوا يتخيرون اسم هارون الرشيد بالذات. ليكون

عنوانًا لقاعات اللهو والعبث.. تنفيسًا عن حقدهم القديم على زعيم مسلم.. دوخ بالإسلام أعداءه!!

لقد وجدوا أنفسهم أعجز من أن يواجهوا تاريخ الرجل.. بالبرهان.. فكانت المحاولة لكسر هيبته.. بتلويث سيرته.

ولقد ذكرني لجوؤهم إلى الفن.. الذى غالوا به.. وبأهله.. بما روى أن الإسكندر الأكبر.. لما جهز جيشه ليغزو العالم.. قرر أن يذهب إلى أستاذه «أرسطو» يسأله النصيحة.. فقال له أستاذه:

إذا نزلت إلى بلد.. فاسأل عن مؤلفى أغانيها.. فهؤلاء هم حكام البلد!!

وهكذا صار مؤلفو الأغانى حكام البلد.. وعلى كل من له قدم صدق فى الخدمة العامة أن يسلم وجهه إليهم.. أو يتوارى خجلاً!!

وقد كان من وراء ذلك: الترويج لمعانى الضعف.. والتبعية.. واستدبار قيم الرجولة.. ليستنسر البغاث فى أرضنا.. بعدما نام حراس الحقل.. ثم تركوه للذئاب العاوية!!

وقد يتبجحون فيزعمون أنهم عشاق الحرية.. وإليها يدعون.. وأنهم ما يفعلون إلا ما يهدى إليه العقل من انفتاح على الحياة.. وانطلاق فى سماواتها.. وهكذا تخدعهم عقولهم:

فقد يحترم الذكى نفسه.. فلا يعبد صنمًا. كما كان الأولون يعبدون.. ولكنه فى نفس الوقت يعبد ذاته.. التى صارت صنمًا.. فى داخله.. لا يفارقه!

هذا الصنم الذى يزين له أن ما يدعو إليه الدين يجعل من الحياة سجنًا كبيرًا..

ولكنا نقول لهم: وهكذا يحسب السطحيون «البيضة» سجنًا للفرخ.. مع أنها هى التى تحميه.. بل وتربيه.. وعليه أن يصبر ليخرج منها خلقًا آخر!.. ولكن.. فراخ البشر.. لا يفهمون.. حين لا يربطون الحياة بمثل أعلى.. ثم يسلمون أزمتهم للأمزجة المتقلبة.

وحين يستوعبهم صخب الدنيا.. فإنهم لا يسمعون.. وحين تبهرهم أضواؤها.. فهم لا يبصرون! مما يحملنا على أن نقول:

لو أننا استطعنا أن نفتح آذاننا ونغلقها بنفس السهولة التى نفتح بها أعيننا ونغمضها.. إذن لكان فى إمكاننا أن نعفى أنفسنا من الاستماع إلى مثل هذا الهراء.. وهذا البذاء.

وأى هراء أتفه من أن تسمع من يتغنى بهذه المعانى الرديئة.. بل الملحدة من مثل: أنا عبدك.. وكيف أطمع فى هواك؟!!

ومن مثل: قدر أحمق الخطى؟!!

ويسخر لهذا الإلحاد أقلام ذكية.. وأصوات ندية.. وملحن بصير بوسائل الكيد.

فى الوقت الذى يدعوك الحق إلى أن تحمل عصاك.. ثم ترحل إلى هناك.. لتستمع.. بل لتستمع بهذا النشيد الذى تطلقه قروية..

وهى تعزق الأرض بفأسها.. إنها تستعين بالغناء على مشقة عملها فتنشد:

وأبى ينام ويصحو.. مع الشمس على ميعاد.. ويحب الأرض. وأمى.. والأولاد.. يعشق عيون الحرية!!

نساء.. صناعة أجنبية!!

قالت المرأة المتحضرة فى الأشهر الأولى بعد زواجهما.. صارحته بأنها تكره أن تنجب؟! وهى تتقى الإنجاب بوسائل منع الحمل.

ولما كان زوجها يحبها حبًا جمًا.. فإنه لم يعترض عليها.. بل رحب بالفكرة!

واستغلت الزوجة موافقة الزوج لتتمادى فى شرح وجهة نظرها.. فقالت: أود أن أكون: سنة أو سنتين.. لك وحدك.. يا حبة القلب! وأن تكون بدورك لى وحدى.. أعنى: طفلى المدلل.. الوحيد.

وشجعها انبساط أسارير وجهه على المضى فى التمكين لفكرتها.. فقالت: ثم.. لا أخفى عليك أنى أشفق أن أرى نفسى فى المرآة.. وخصرى قد امتلأ!. والفساتين التى تعبت أمى فى إعدادها.. ستنام فى «الدولاب».. بعد أن أفقد رشاقتى؟! وهل تخرجت فى كلية الألسن لأبقى فى البيت؟! إننى مشتاقة أن أكون مرشدة سياحية.. فهل سأستطيع أن أركب «الأوتوبيس» مع السياح.. لأطوف بهم معالم القاهرة.. وكيف أصحبهم فى الطائرة؟! وكيف أنام فى الفنادق.. ومعى فى الفراش «جنين»؟! وهب أن المخاض جاءنى وأنا بعيدة عن البيت؟! فهل سأنقطع بسبب وجبات الرضاعة.. وواجبات الأمومة.. وتنظيف الطفل؟!!

مناقشة هذا الاتجاه

وسواء أكانت هذه القصة واقعية.. أم من نسج الخيال.. فإنها منتزعة من صميم الحياة المضمومة على شريحة.. هذا هو منهجها فى الحياة.

ونبادر فنقول:

إن الذين يكيدون للمرأة كيدًا.. عرفوا كيف تؤكل الكتف! إن المرأة هى مربية الرجال.. وصانعة الأجيال.. ومن أجل ذلك قرروا تعطيل مهمتها.. لا على المكشوف.. وإنما لجأ شياطين الإنس إلى مثل ما فعله شياطين الجن.. حين قرروا إغواءها عن طريق سياسة: الخطوة.. خطوة!

وكما وسوس الشيطان لأبيها آدم.. حتى دلاهما بغرور.. كذلك فعل شياطين الإنس اليوم حين دلوا المرأة أيضًا.. بغرور.. ومن حيث لا تحتسب.. ولا نحتسب!

وكما يقول البصراء: لبسوا لها أولاً ثوب البحث العلمى.. فلما هزموا فى هذا المجال.. جروها إلى مجال الأدب والفن ـ كما أشار أساتذتنا ـ لتنزلق مع التيار الوافد.. ثم لتجد نفسها فى النهاية وقد فقدت وجودها!!

يقول بعض الباحثين:

ألا ترى ما خص الله تعالى به العين من طاقات وقدرات.. وجمال.. ومكانة عالية فى جسم الإنسان؟

فهل تستطيع العين.. مع كل تلك الخصائص أن تقوم بواجبات القلب والكبد.. أو الكليتين؟!!

الا ترى فى قيام كل عضو فى جسم الإنسان بما فطر عليه.. تحقيقًا للوضع الأمثل فى حياة الإنسان نفسه.. وفى حياة من حوله من الناس وغيرهم؟! ثم يقول الباحث:

أيتها المرأة إحذرى كل الحذر الانخداع بتلك الشعارات المعسولة.. إحذرى أن تخدعى بأن ثمة كرامة.. أو سعادة.. أو حرية.. هى أكرم وأسعد لك.. من الكرامة والسعادة.. التى وهبها لك رب السموات والأرض..

إحذرى أن تخدعى بأن أولئك التافهين أعلم بحقيقتك.. وحقيقة ما يسعدك.. وأنهم أرحم بك من الخالق العليم الرحيم.

أيتها المرأة: ارفضى أن تكونى الحريق الذى يهلك الجميع.. وإنى لأعجب كل العجب.. كيف استطاع أعداؤنا أن يأخذوا سلاحنا من أيدينا.. ثم إنفاذه فى صدورنا؟! كيف استطاعوا أن يجعلوا نساءنا سلاحًا لهم يفتكون به أمتنا..

فهلا كنا نحن أولى بإصلاح نسائنا.. واستخدامهن سلاحًا: لهن.. ولنا؟!!(1).

من هدى القرآن

ولقد ذكرنى كلام الشيخ بقوله تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾(2).

وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾

إنها قضية الكلام الذى يقطر عسلاً.. من ثلة عليمة اللسان.. خطابية البرهان! أوقعت به فى شركها بعض نسائنا.. اللائى يرغبن فى حرمان الحياة من عمارها.. بما يفسدون فى الأرض وبما يهلكون من الحرث والنسل!

إن الله عز وجل يقول:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾

(1) مجلة الرابطة، يونيه ٢٠٠٠.

(2) البقرة (٢٠٤ : ٢٠٦).

(3) البلد (١ : ٣).

إنه تعالى يقسم بمكة المكرمة.. وهى رمز التوحيد.. ثم يقسم «بالموحدين»:

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾. إنه تعالى لم يقسم بالوالد وحده.. ولا بالولد وحده.. وإنما يقسم بعملية التناسل.. التى يبقى بها النوع.. وتستمر الحياة.. والتى تريد المرأة العصرية القضاء عليه، على هذا التناسل.. لتكون نهاية الحياة على أيديهن.

لكننا نعود إلى آيات سورة البقرة مرة أخرى والتى تؤكد أن المعتدين سادرون فى مخططهم.. سائرون على ذات الطريق.. معتزين بآرائهم.. رافضين لكل نصيحة.. متبرمين بكل يد تمتد إليهم بالنجاة.. وذلك قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾(4)

ومن أجل ذلك سوف يكون ردنا عمليًا.. ولكن لهذا الرد قصة:

من مفارقات القدر

كنت أستاذًا زائرًا بجامعة اليرموك بالأردن، ثم دعيت لإلقاء محاضرة فى عيد الهجرة.

لكننى شغلت بهذا الموقف الذى ملك علىّ أقطار نفسى. ولم أستطع الإفلات من قبضته!..

وحاولت أن أربطه بالحديث عن الهجرة.. فلم أستطع.. ولكن الله - تعالى - إذا أراد أمرًا يسر أسبابه.

ومن تيسير الأسباب هنا أننى كنت أقلب فى «الأضابير» فوقعت عينى - قبيل الحفل - على قصاصة فى حجم الأصبع جاء فيها:

(قال عبدالله: هاجر الناس فرسانًا وهاجرت فى بطن أمى).

وقلت: وجدتها إذن وأنا من الشاكرين!!

إنه عبدالله بن الزبير -رضى الله عنه- وأمه هى أسماء بنت أبى بكر -رضى الله عنها-.

وإذن.. فقد هاجرت وهى «حامل»!! وكان لها دورها المرموق.. وهذا مربط الفرس!!

وإذا كانت التجربة تؤكد أنه: كلما ابتعدنا عن مصدر الإشعاع.. كلما خفت الضوء.. وإذا كانت هذه المرأة العصرية المتنكرة لفطرتها.. تشكل موجة عالية من الظلام.. فلنحاول أن نقترب - فى شخص أسماء - من مصدر الضوء.. حتى نرى فى أسماء موجة تمسح الموجة التى قبلها!

فلنحاول فى ظلامنا هذا الحالك أن نضىء شمعة من سيرة أسماء -رضى الله عنها- لنكسر غرور اليوم بقمم الأمس. وذلك:

١ - بمعرفة أقدار الصالحات القانتات.

٢ - وتلقيحًا لعقول الناشئة وقلوبهم.

(4) البقرة (٢٠٦).

بهذه السيرة العطرة. على حد قول «الشريف الرضى»:

وإذا لم أر الديار بعينى
فلعلى أرى الديار بسمعى

سؤال

وفى البداية سألت نفسى:

أما كان فى الإمكان إعفاء أسماء ـ رضى الله عنها ـ من تحمل مسئوليات متعددة يوم الهجرة.. شفقة بها. وبجنينها فى بطنها. والذى تحمله وهنا على وهن؟!

لاسيما وكل بيت الصدّيق ـ رضى الله عنه ـ كان مجنداً لإنجاح الهجرة:

لقد كان «عامر بن فهيره» ـ مولى أبى بكر ـ مكلفًا برعى الغنم نهارًا. ثم يريحها إذا أمسى.. ليطعما من ألبانها، وكان ابنه «عبدالله» يتسمع الأخبار لهما.. ثم ينهى إليهما ما سمع. عندما يأتى المساء.

وأبو بكر نفسه: لقد أعد الراحلتين.. بل كانتا تحت رعايته.. ينفق عليهما حتى تسمنا.. على مدى أربعة أشهر.. بل احتمل معه ماله كله.

ولكن ذلك كله لم يمنع «أسماء» «الحامل».. المثقلة بحملها أن تقوم بدورها فى إعداد الطعام..

وقالت نفسى: لقد كان «حسناً» أن تبقى فى البيت.

ولكن متى رضى المؤمن بالحد الأدنى من الإحسان؟

إن المؤمن مفكر.. حر.. ذو عقل يفهم.. ويوازن.. ثم هو ذو إرادة تختار «الأحسن» دائما.

يقول عز وجل:

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ (5)

ولقد كانت أسماء.. هى بذاتها مؤمنة.. يدعوها إيمانها إلى أن تجاهد.

إنها المرأة التى تهز المهد بشمالها.. قادرة على أن تهز الدنيا بيمينها!!

وقد تعترضها الصعاب. ولكن.. لا يعتريها اضطراب! وكثيرات من النساء: عبرن الدنيا كالأطياف.. ثم راحوا فما بكت عليهم السماء والأرض.. لكن المؤمنة هي التى تفرض وجودها على الحياة.. لتبقى أبدا فى بؤرة الشعور.. على ما يقوله الشاعر:

إذا كنت قد غبت عن ناظرى
فطيفك يسبح فى خاطرى

وكما يقول المربون:

(إن التفاوت فى العقول والمشاعر ضرورى.. حتى يرى الضعيف: الكامل بين يديه.. فيتخذه أسوته فى محاولة للوصول إلى مثل ما وصل إليه).

وإذا كانت المرأة العصرية.. بأملها الكذوب.. تحاول طمس معالم الكمال فى

(5) الزمر (17 : 18).

شخصية المرأة.. على ما قال «المتنبى»:

وجُرم جرَّه سفهاء قوم
فحلَّ بغير جانيه العقاب

فإن فى تضحية أسماء ـ رضى الله عنها ـ ما يصحح الخطأ. ويبرز صورة المرأة فى إطارها الصحيح.. ثم إنها أسماء.. بنت أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ ويعنى ذلك أنها نشأت.. وترعرعت.. كما عودها أبوها:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

شخصية المرأة المؤمنة

لا نريد أن نقول كما قال العصريون: «المرأة الحديدية» أو «الفولاذية».

وإنما يكفى خصيصة الإيمان.. تاجًا يزين جباه المؤمنين والمؤمنات.

ويحين الوقت.. لنرى مجموعة المواقف الصعبة والتى تحملتها «المرأة الحامل».. فنجحت أيما نجاح.. وكان نجاحها حجة على غيرها من المترفات المدللات:

أولاً: لقد انتصرت على نفسها، فقد كان من حقها الاعتذار.. لكنها لم تفعل.. فقد يكون فى المفضول ما ليس فى الفاضل. وفى الضعيف ما ليس فى القوى، وهى.. وإن كانت.. واحدة.. فإن المؤمن وإن كان فرداً.. فإنه قوى.. ذلك بأنه يستمد قوته من الله القوى الأعلى.

وثانياً: انتصرت على جدها.. وذلك قولها: (لما خرج رسول الله ﷺ. وخرج معه أبو بكر. احتمل أبو بكر ماله كله معه: خمسة آلاف درهم. أو ستة آلاف درهم..

وانطلق بها معه.

قالت: فدخل علينا جدى أبو قحافة. وقد ذهب بصره فقال:

والله إنى لأراه قد فجعكم بماله.. مع نفسه.

قلت: كلا يا أبت!.. إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً.

قالت: فأخذت أحجاراً. فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها.

ثم وضعت عليها ثوباً. ثم أخذت بيده. فقلت:

يا أبت: ضع يدك على هذا المال. قالت:

فوضع يده عليه قال: لا بأس.

إذا كان قد ترك لكم هذا. فقد أحسن. وفى هذا بلاغ لكم.

ثم تعقب أسماء قائلة:

ولا والله.. ما ترك لنا شيئاً. ولكنى أردت أن أسكت الشيخ بذلك.(6)

الذكاء.. والزكاء

وتأمل ذكاءها.. بالذال..

ثم.. زكاءها.. بالزاى..

(6) سيرة ابن هشام ج1/488، مسند الإمام أحمد 20/282.

أما ذكاؤها فواضح من حسن تصرفها مع جدها.. وأما زكاء خلقها.. فيدل عليه قولها: خمسة آلاف درهم. أو ستة آلاف درهم.. إنها لم تجزم لأنها غير مستحضرة الرقم الصحيح.. فاحترمت نفسها.. ولم تخدعنا.

ثم لاحظ من صدقها: أنها تعقب على محاولتها مع جدها.. بأنها كانت فقط تطمئن الشيخ.. ولم يكن هناك مال. وإنما أرادت الشفقة به. ثم تقسم على ذلك مؤكدة أن الصادق – وإن فرضت الظروف يومًا أن يجافي الحق – فإنه يعلن ذلك. ليبقى في تقدير الآخرين كما عرفوه: صادقًا وأمينًا..

ولا عجب أن تفعل أسماء ذلك.. فهي ابنة الصدِّيق.. فمعدنها الصدق..

والشئ من معدنه لا يستغرب!

ويبقى اتصالها بالله – تعالى – سيد الموقف.. ومفتاحه، إن الاتصال بالله تعالى.. تكريم لك. وتنامى الإحساس بهذا التقدير يزيد من احترامك لنفسك.. فلا تزل.. ولا تضل.. وكيف.. والله – تعالى – يراك ومادام سبحانه يراك.. فأنت دائم ملحَّ في تنظيف نفسك من أوضارها.

وثالثًا: انتصرت على أبي جهل مرتين:

مرة.. حين حضر يسأل عن الأسرار.. فلما تأبت عليه.. ضربها حتى طار «قرطها».

وأخرى: عندما كانت تعد الطعام.. ولما رأت أن ريحه ربما نبه القادم إلى أن هناك أمرًا مهمًا.. فأسرعت تعالج «السراج» بحيث تغطى رائحة زيته على رائحة الطعام!

وليت شعرى: لو بدأ الإسلام بالمرأة المدللة.. المتنكرة للفطرة.. لما وصل الإسلام إلى هذا القرن الذى نعيشه.. ولكنه بدأ بمثل أسماء.. ليعبر القرون.

الانتصار العظيم

ثم كان الانتصار العظيم لما ولدت «عبدالله بن الزبير»:

لقد أشاع اليهود أنهم سحروا محمدًا وأصحابه فلن يولد لهم بعد!

فلما ولدت أسماء «عبدالله».. كان ذلك الميلاد هو «الإعلام الإسلامى» يهزم الإعلام المادى!! وبالضربة القاضية.

لقد كانت أسماء «حاملاً».. لكن الحمل لم يمنعها من أداء دورها.. إن مقاومة الواقع.. صعبة.

ومقاومة الحق ضارية.. والطريق إلى الحق وعر.. فلابد من التنادى به.

والتواصى به. والتعاون عليه.. لنتجاوز مصاعب الطريق..

وقد أعد ﷺ المؤمنين على هذا الأساس: رباهم.. متئدًا.. لا طفرة.. فكانوا الرجال الأقوياء.. وإذا كانت الأرض.. قد أذنت لربها.. قد استسلمت له.. وإذا كانت مع السماء.. جاءتا طائعين.. فأحرى بالإنسان أن يكون قويًا.. مطيعًا.. مخبتًا.

أما بعد:

فقد شابت أسماء – رضى الله عنها – وشابت معها بطولتها.. فكانت من الثابتات على الحق.. المستعليات على الغرائز. إيثارًا للحق.. واعتزازًا بالخالق.. عن الخلق، وهذا شاهد على ما نقول: قال عبدالله بن الزبير.. لأمه:

(يا أماه: قد خذلنى الناس. حتى ولدى وأهلى. ولم يبق معى إلا اليسير.. ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة. والقوم – خصومه – يعرضون علىّ ما أردت من الدنيا. فما رأيك؟

قالت أمه «أسماء بنت أبى بكر» رضى الله عنها:

يا عبدالله: أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق. وإليه تدعو.. فامض له، فقد قتل عليه أصحابك. ولا تمكن من رقبتك غلمان بنى أمية يلعبون بها. وإن أردت الدنيا.. فبئس العبد أنت! أهلكت نفسك.. وأهلكت من قتل معك. وإن قلت: كنتُ على حق. فلما ضعف أصحابى ضعفت.. فهذا ليس فعل الأحرار.. ولا أهل الدين. كم خلودك فى الدنيا؟!! القتل أفضل!

فقال لها عبدالله: أخاف إن قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى.

فقالت له: يا بنى، إن الشاه لا يضيرها سلخُها بعد ذبحها.. فامض على بصيرتك واستعن بالله.

وقاتل عبدالله فى معركة غير متكافئة.. ثم قتل.. مخلفًا من ورائه أمًا حكيمة.. فضلت أن تدوس على غريزة الأمومة فيها.. ليموت ولدها شريفًا.. خير من أن يبقى مجللاً بالعار..

وحقق القدر أمنيتها.. وكان مصيره ما أشار إليه أبو تمام حين رثاه:

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة
تقوم مقام النصر إن فاته النصر!

***

خطبة الجمعة

التخطيط والسرية فى الهجرة

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ/ على حامد عبدالرحيم

الحمد كل الحمد لله - تبارك وتعالى - أحمده سبحانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، هو ولى النعمة ومصدر الرحمة ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، نبى الرحمة وقائد الملحمة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2] وأصلى وأسلم على أنبياء الله ورسله، وعلى خاتمهم سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه، ومن دعا بدعوته بإحسان إلى يوم الدين، وأستفتح بالذى هو خير:

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[3].

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

أشرق فى كبد السماء الهلال الوليد لشهر المحرم الحرام، فكان ذلك إيذانا ببدء عام هجرى جديد، وتذكيرا بالحادث العظيم الجلل، حادث هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة، وهى الهجرة التى كانت بداية لتجديد الحياة وتطهير الأحياء،

(1) الأعراف (56). (2) الأنبياء (107). (3) الممتحنة (4).

وقصة الهجرة معروفة مألوفة، ومن السهل علينا أن نسرد وقائعها فى اقتضاب أو إسهاب، ولكن الأولى بنا أن نقف من الهجرة موقف المتدبرين، لنأخذ عنها من العظات والعبر ما يتصل بحاضرنا، ويفيدنا فى أمرنا، والذكرى تنفع المؤمنين، وهناك ناحيتان مهمتان جدا من نواحى الهجرة، يجب علينا أن نتأملهما جيدا، وأن ننتفع بهما كثيرا، وهما ناحية التخطيط المحكم وناحية السرية الدقيقة، والتخطيط فى تاريخ البشرية ليس أمرا مستحدثا يفخر به أبناء العصر الحاضر، بل هو توجيه إسلامى منذ نزل القرآن المجيد الذى يقول للرسول فيما يقول:

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[4].

أى خرجت من بيتك مبكرا توزع المجاهدين معك على مواقعهم ومواقفهم حسب تخطيط منظم، ومنذ قال الرسول: «خذ من شبابك لهرمك، ومن صحتك لمرضك ومن غناك لفقرك»[5] ومنذ قال الأثر الإسلامى الحكيم: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا» ولقد كان من تخطيط النبوة للهجرة أن أعدلها قبل حدوثها بزمن طويل، فعقد بيعات العقبة الثلاث، حيث بايع فى الأولى منها ستة رجال من أهل المدينة على الإسلام، وبايع فى الثانية اثنى عشر رجلا على الإسلام أيضا، وبايع فى الثالثة ما يزيد على سبعين رجلا وامرأتين، بايعهم على الإسلام وعلى الدفاع عن رسول الله ﷺ لو جاءهم مهاجرا، وبذلك أصبح للإسلام فى المدينة نقطة ارتكاز متينة تستطيع أن تحمى ظهر المسلمين وتكرم وفادتهم إذا هاجروا إلى المدينة.

ومن التخطيط المحكم فى حادث الهجرة أن الرسول اقتصر فيها على عدد محدود لا يتجاوز ثمانية أشخاص، هم: رسول الله، وأبوبكر، وعلى بن أبى طالب، وعائشة، وأسماء، وعبدالله أولاد أبى بكر، وعامر بن فهيرة راعى الغنم عنده، وعبدالله بن أريقط الذى لم يكن مسلما، ولكن الرسول استعان به فى عمل محدد من أعمال الهجرة، لأنه اطمأن إليه ووثق فيه، ولقد قام النبى بتوزيع الواجبات والتبعات والاختصاص على كل واحد من هؤلاء، فرأس الهجرة الكريم، وقائدها العظيم، عليه الصلاة والتسليم، مهمته هى أن يخطط وينظم ويوزع ويشرف، فيضع الرجل المناسب فى المكان المناسب، ويحسن

(4) آل عمران (121). (5) الحاكم 4/306.

استغلال الطاقات والمواهب، ويكل العمل إلى من يتقنه ويحسنه، وأبوبكر الصديق وهو أول رجل أسلم، وخير من آزر وعاون، وضحى بماله وراحته والذى أعطى مثلا فى التضحية والوفاء والفداء، مهمته هى الرفقة والصحبة، وعلىّ ابن عم الرسول، وربيبه، وزوج ابنته، وصاحب الروح الفدائية والشبيبة المتوثبة، هو الذى يناسب أن يتعرض لموقف الخطر وموطن التضحية، وهو النوم على فراش الرسول ليلة الهجرة، إذ لا يليق أن ينام على هذا الفراش إلا فرد من بيت النبوة، حتى لا يطلع غريب على أسرار هذا البيت، وعائشة وهى الفتاة التى مازالت فى نحو العاشرة من عمرها، يناسبها أن تبقى فى البيت وتشارك فى العمل بأن تعد الطعام وتطبخه وتربطه وتعده لحمله إلى رسول الله ﷺ وصاحبه فى الغار، ثم تأتى أسماء بنت أبى بكر التى كانت فى زهرة العمر وباكورة الشباب، فتحمل الزاد والماء وغيرهما من الحاجيات إلى المهاجر الأعظم ورفيقه، فى حذر ويقظة، ولا عجب فهى البطلة أم البطل الشهيد عبدالله بن الزبير الذى قالت له حينما خاف أن يمثل أعداؤه بجثته بعد موته: «يا بنى، إن الشاة لا يضرها سلخ جلدها بعد ذبحها». وهذا عبدالله بن أبى بكر، الشاب الذكى الواعى، اليقظ الحس والعقل، كانت مهمته فى حادث الهجرة أن يقضى نهاره فى مكة بين المشركين، يجمع كل خبر، ويعمل كل شيء، فإذا أوغل الليل ونام الناس، تسلل محاذرا إلى الغار، وأبلغ الأخبار إلى المهاجرين العظيمين، ويظل معهما حتى الفجر، ثم يعود إلى بيته، ويصبح مع الناس كأنه لم يخرج من مكة، وعامر بن فهيرة راعى الغنم يقبل بغنمه إلى الغار، ليشرب المهاجران العظيمان اللبن، وهو الغذاء والسقاء والدواء، ثم يعود بغنمه ليمحو من الرمال آثار الأقدام التى خلفتها أسماء، وخلفها عبدالله بن أبى بكر، وأخيرا هذا هو عبدالله بن أريقط الذى لم يكن مسلما، ومع ذلك استعان به الرسول ﷺ ليدله على الطريق، فقد كان بن أريقط خريتا ماهرا، أى كان حاذقا خبيرا بمسالك الصحراء وشعابها، لا تغيب عنه حبة رمل منها وقد اختبره الرسول قبل ذلك فى مواقف كثيرة فاطمأن إليه ووثق به، ولذلك قال فقهاء الإسلام إنه يجوز شرعا الاستعانة بغير المسلم مادامت هذه الاستعانة لا تمس العقيدة والدين.

هذا عن عنصر التخطيط فى الهجرة، وأما عن عنصر السرية فقد كان فيها بارزا واضحا، وكتمان الأسرار التى لا يحسن نشرها توجيه إسلامى أصيل، ولذلك نجد القرآن يشنع على المنافقين المجرمين فيصفهم بأنهم لا يصونون سرية الأخبار، فيقول عنهم:

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾(٦).

والرسول يقول: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»(٧) ولقد بدأ النبى الحكيم دعوته سرا، واختفى حينا مع طلائع المسلمين فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، وكان يخفى تفاصيل تحركاته فى الغزوات غالبا، ويأخذ بالتورية والكتمان، ولقد تجلت السرية بأدق معانيها فى حادث الهجرة، فالرسول لم يطلع إلا عددا قليلا كما رأينا على خبر هجرته ولم يطلعهم إلا قبيلها بقليل، وخرج منفردا إلى دار أبى بكر فى وقت غير منتظر، وخرج مع أبى بكر ليلا من خوخة (باب مثل النافذة) فى ظهر البيت، ثم اتجها جنوبا نحو اليمن للإيهام، وهما يقصدان التوجه شمالا نحو المدينة، ثم إن بيع العقبة الثلاث التى كانت تمهيدا مبكرا للهجرة، تمت ليلا، وفى حذر، وكانوا يتسللون إليها تسلل القطا، وكان الرسول يقول لهم: «ليتكلم متكلمكم، ولا يطل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عينا، وإن يعلموا بكم يفضحوكم»، والاختفاء فى الغار ثلاثة أيام كان أيضا جزءا من السرية والكتمان، وتجنب الطريق المألوفة إلى الطريق الساحلى على البحر وهو غير مطروق، جزء كذلك من السرية والكتمان، وبالتخطيط والكتمان، مع عناية الرحمن، تمت الهجرة فكان خيرا وبركة على المسلمين.

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

إن الأمة التى لا تخطيط لها، لا عزة لها ولا غناء فيها، وإن الأمة التى لا تحفظ أسرارها، ولا تكتم خططها الحساسة المتعلقة بمصيرها ومعركتها لا تستحق النصر أو الفوز، ولنا فى حادث الهجرة الخالد عظة وعبرة:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾(٨).

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(٩)

***

(٦) النساء (٨٣).

(٧) مجمع الزوائد ٨/١٩٥.

(٨) ق (٣٧).

(٩) المائدة (٨٨).

من وحى الهجرة

مُؤامَرةُ تخيبُ (١)

«مسرحية شعرية»

للأستاذ / محمد عبدالغنى حسن

الأشخاص : أبوجهل ، أبوسفيان ، الشيطان ، أمية بن خلف ، جماعة من قريش

المكان : متربص قرب دار النبى ﷺ .

الزمان :ليلة مظلمة من ليالى المحرم.

أبوجهل:

هذا الفتى ضل عن دُنيا أبوته   وراح ينشر فى آبائه دينا
إنى لأخشى عليكم من تخبطه   مَسًا ويحسبه هديا وتبيينا
قالوا أمين، فقلنا ما أمانته ؟   ما كان حتى على الأصنام مأمونا
لا كان من هاشم فينا حكومته   إن صار هذا الفتى مستحكما فينا

أبوسفيان:

أيا بنى هاشم لم تكف إمرتكم   ولا سدانتكم للبيت والغَلَبُ
حتى يجىء، نبىٌ بين أظهركم   دَعوَى ولكنها يا هاشمٌ كذبُ

(١) من مجلة الرسالة، العدد (٦٠١).

رجل من بنى أمية:

إن السدانة فيكم   عادت فصارت نُبُوه
بئس البنوة ممن   لم يرع حق الأبوَّه

أبوجهل:

لا كنتُ يوماً من بنى مخزوم   السائدين الناسَ بالحلوم
والبالغين المجد فى الصميم   إن لم يكن محمدٌ غريمى

الشيطان يهمس:

هذا مجالُ الدسِّ والتفريق   بين الصديق الحر والصديق
لا كنتُ من نارٍ ومن حريق   إن لم أسر فيهم على طريقى

ثم يجهر فيهم:

هذا الفتى يهذى بكل وساوس   ويذيعها ما بينكم قرآنا
ان كان ربُّكمو يَخُصُّ بفضله   لم لَمْ يخُصَّ بفضله عدنانا ؟

أبوسفيان:

دعُوا عدنان والماضين   فالميت لا يحيا
أما فى النَّفرِ الأحيا   ء من يستقبل الوحْيا ؟

أبوجهل مخاطبا أبا سفيان :

لعلك أولى به من فتىً   أقامَ على الفقر يرعى الغنم !

الشيطان مقهقها :

ومن عَجب أنه مُدَّعٍ   بإعداده كيف يَرعَى الأُمم

أبوسفيان

نحن لسنا فى حاجة لرعايه   ما لهذا الفَتَى يزيدُ غوايهْ

قد دعوناه للهداية لكن   ليس في مثله تصحُّ الهدايةْ
إذا سئمتم من فتىً   فأسلموه للرَّدى !!
كيف يبيتُ قائماً   في حُبكم وما اهتدى؟

الشيطان:

إنِّي أرى صحابةً   من حوله وعَددا
فإن تركتم أمره الـ   يوم فقد يعلو غَدا
ناشدتكم أصنامَكم   أن تُعملوا فيه المُدى!
وأن تربحوا العصرَ منـ   ـه والمدى والأبدا..

أبو جهل:

ما كنت يا شيطان إلا   رَجْعَ نفسي والصدى
لم تَعْدُ ما فيَّ من الرغبـ   ـة وُفِّقْتَ الهدى..!!
قصدت بالأمس الفتى   وكان يغشى المسجدا
أردت فضْخَ رأسه   بحجر.. فما بدا...

أمية:

لعله قد سحر الـ   ـعينين منك واليَدا!
عجيبة تُخطئُ كفَّـ   ـاكَ الفتى محمدا
وليس أقوى منك كفـ   ـاً أو أشدُّ عَضُدا

أبو جهل:

أنا في الضرب لا أخيب ولكن   خانني ساعدي غَداة قصدتُهْ
عجباً فاتني بفحل من النُّو   ق ولو كان لَهْدَماً ما فُتُّهْ
حَجَرٌ في يدي تيبَّس لما   كدتُ أهوي عليه حتى قذفتُه

إن يكن أمس قد تولى فهذي   لحظات الرَّدى وذلك وقتُهْ

أبو سفيان:

فلنتربصْ للفتى   وهْو على وسادهِ
حيث الظلامُ في رُبى الحـ   ـيِّ وفي وهادهِ
فلا يرانا أحد   يا قوم من آحاده
فنستريحَ من تحدُّ   يه ومَنْ جهاده

أمية:

الليل أرخى على الدنيا ذوائبه   وفيه للبطش أوطارٌ وآراب
لعل جبريلَ يحميه إذا هبطت   عليه منا بجنح الليل أسرابُ!
هنا رأيناهُ في المحراب مُستوياً   فهل يكفُّ أذانا عنه محرابُ؟

أبو سفيان ينظر من ثقب إلى مخدع النبي:

أراه في البُردة الخضراء مضطجعا   وسوف نَصْبُغها بالدمْ حمراء
إذا الصباح تجلَّى عن تآمُرنا   فسوف يحمل أخباراً وأنباءَ!

أبو جهل:

أقضْ هذا الفتى بالأمس مضطجعا   فليس نذْهَبُ فيه اليومَ آراء
ألم يسخِّف لنا دُنيا مورَّثة   وأمة وديانات وآباءً..
أني لأعجبُ مِنْ أحوال صاحبكم   أجاء يهدمُنا أم جاء بنَّاء؟!

قرشي لزميله:

انظر إلى رأسي تجدْ تُرابا!!

زميله:

أواهماً أراكَ أم مُرْتابا؟!

زميل آخر:

أرى أمــــام ناظرى ضــبــــابا   يعـــقـــد دون رؤيتى حـجــابا !

زميل رابع:

ليس ضــبـــابا مـــا أرى.. وإنما   كـــأنما أصيب لحظى بالعمى

فلا أرى المضـــىء إلا مُظلـــما..

أبو سفيان:

أواهمـــــون كـــلـكـم؟   لـعـل جـنّـا مـــسـكـم

مـــا الرأى يـا أبـا الحكم؟   فـأنـت خـيـر محـتـكـم

أبو جهل متطلعًا إلى مخدع النبى:

محـــمـــد لمّـــا يزل هاهنا   قـرير الوسـادة فى مـضـجـعـه

ينام ولم يدر أن قـــريشـــا   تهـيئ للبتّ فى مـصـرعـه..

واحد منهم يقول:

محــمـــد قــد فــرّ من بيننا   ومـــا كـــان لحظى بالـكـاذب

محــمـــد أفلت من كــفنا   فـــيـاحـســرة الأمل الذاهب !

آخر يقول:

ومـــا كــان فى مـضـجع الهارب   نـزيـل ســوى ابن أبى طـالـب...

***

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

«النحل: ١٢٥»

الإسلام

حوار لا صدام

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

لقد حكمت القوى الظالمة على الشرق بصفة عامة وعلى الإسلام بصفة خاصة أن يتحمل أوزار الأفكار العنصرية، والمبادىء الهدامة التى ظهرت فى العالم وتفرق بين أبناء الانسانية، وتجعل بعضهم يستعلى على بعض، وتلغى موازين العدالة فى الحياة، بل وتمحو حقوق الضعفاء أمام الأقوياء، وتهدر حقوق الفقراء لدى الأغنياء..

إننا لو تجردنا من عواطفنا وأهوائنا، وتجردنا من انتماءاتنا الإقليمية والجغرافية، وجنبنا عقيدتنا الدينية، ونظرنا بعين مجردة، وفكر مستقيم خال من أى تعصب أو تأثير، لوجدنا أن كل الأفكار التى ظهرت فى العالم فى العصر الحديث، وأحدثت انقساماً وصراعاً على المجتمع الإنسانى قد بدأت من الغرب وممن ينتمون لغير الحضارة الإسلامية أيضاً!!

فالعلمانية نشأت من الغرب، والماركسية نشأت من الغرب، والصهيونية نشأت من الغرب، والفاشية نشأت من الغرب، وأخيرا نظرية صدام الحضارات نشأت من الغرب وممن ينتمون لغير الحضارة الإسلامية!! حتى الحروب العالمية التى اكتوت شعوب العالم بنارها، وقبلها الحروب الصليبية بدأت من الغرب!!

وهذا شيء لافت للنظر، ويستـرعي الانتباه، ويحتاج على التأمل والدراسة لأنه إن دل على شيء فإنما يدل على أن أصحاب هذه الدعوات والنظريات والأفكار الرافضة للتعايش بين الحضارات ينتمون إلى فريق من فريقين:

(أ) إما جاهل بالحضارة الإسلامية، غير عالم بما قدمته ـ في أزهى عصورها ـ من خير للبشرية، وما تتسم به من سماحة ويسر وتعايش سلمي تفاعلي مع غيرها من الحضارات...

(ب) وإما حاقد متعصب، أغشى التعصب بصره وجعله أعمى لا يرى الحقيقة، أصم لايسمع صوت الحق...

وللأسف الشديد نجد أن القوى العالمية الظالمة في الغرب ـ بعد ذلك ـ تحمّل الشرق بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة تبعات ومسئوليات وآثام هذه النظريات والأفكار!! فهل هناك ظلم أكثر من هذا؟ وهل هناك مغالطة وقلب للحقائق أكثر من ذلك؟

إننا بعد أن أوضحنا ـ سابقاً ـ: موقف الإسلام من الحوار، ودعوة التعليم الإسلامى إلى الالتزام بأسلوب الحوار، والمنهج العلمى للحوار فى الإسلام... فإن هذا يدعونا إلى أن نسلّم بأن التعليم الإسلامى تعليم عام وشامل يجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وأنه تعليم منفتح يقبل الأخذ والعطاء، ويشجع التعاون مع غيره لتحقيق كل ماهو خير للبشرية.

ومتى سلمنا بهذا كان من السهل علينا أن نؤكد على أن التعليم الإسلامى يحبذ الحوار الدينى فى اتجاهاته السليمة المنطقية ذات الهدف المحدد، وهو إقامة جسور قوية بين أصحاب الأديان دون تصادم ما... كما يقصف بنظرية صدام الحضارات التى يروّج لها من يذهبون إلى وجوب سيطرة حضارة حديثة على حضارات قديمة أدت ولاتزال تؤدى دورها الإصلاحى الفعّال فى الحياة بقوة، بل وإنها كانت الركائز القوية والأسس المتينة التى قامت عليها حضارة هذا العصر، بل وما زالت حضارة هذا العصر مفتقرة إلى أن تأخذ من الحضارات القديمة العريقة ماينير لها الطريق، ويرشدها إلى الهدى، ويسدد خطاها إلى الصواب، ويقيها من الزلات ويحميها من الانحرافات... وأضرب المثل بافتقاد المعانى الإنسانية فى الحضارة الأوروبية الراهنة، هذا الافتقاد الذى جعل القوة فوق الحق، وسلب العدل من مفاهيم العلاقات الدولية، وأحل العنصرية البغيضة محل المساواة الكريمة بين أبناء الإنسانية...، وبسبب افتقاد هذه المعانى الإنسانية قامت حربان عالميتان دمرت مئات المدن، وأبادت ملايين الأرواح، وخلّفت وراءها ملايين الأرامل واليتامى والفقراء ممن أعوزهم المأكل والملبس والمسكن!! فلو أن الذين وجهوا اهتمامهم إلى اكتشاف أدوات التدمير والإبادة والاستئصال، التزموا الميزان الخلقى، ووجهوا الاكتشافات العلمية لسعادة الإنسان، ورفع مستواه الاقتصادى والثقافى والصحى والاجتماعى... لكانوا علماء يلبون

نداء الدين على اختلاف أسمائه، إذ لا نجد ديناً من الأديان السماوية سلمت نصوصه من الإنحرافات والتأويلات غير الصحيحة إلا ويدعو إلى خير البشرية، ويحرّم الفساد والظلم وسلب حقوق الآخرين، بل إن عناصر هذه الأديان الخُلقية لانجد بينها اختلافاً يُذكر، وإذا علم المُحاور الدينى ذلك كله وآمن به فإنه سيقابل زميله بالترحاب والتقدير والتعاون الجاد على إظهار الحق وإحقاقه.. كما لو أن أصحاب الأفكار والنظريات التصادمية تخلّوا عن فكرهم العنصرى الاستعلائى، ودعوا إلى تحقيق الأخوة الإنسانية القائمة على العدل والمساواة، وتقديم العون والمساعدة إلى الفقراء، والأخذ بيد الضعفاء، ومحو أمية الجهلاء، لساهموا مساهمة إيجابية فعّالة فى سعادة البشرية، ولجنّبوا العالم ويلات كوارث مدمرة تحدث بسبب أفكارهم العنصرية الاستعلائية الداعية إلى الانقسام والفُرقة، وبذر بذور الشقاق والكراهية والعداوة بين أبناء البشرية الذين هم إخوة فى الأصل ينتمون إلى أب واحد وإلى أم واحدة..

الإسلام يرفض الإرهاب.. ويمنع الاعتداء

هذا الموضوع فى غاية الأهمية، وله بحث مستقل يوضحه إيضاحاً وافياً، مدعماً بالأدلة القوية والأسانيد القاطعة من القرآن الكريم والسُنة الشريفة، والمقام هنا لايتسع لذكرها وشرحها، غير أن الحاجة هنا ملحة إلى التعرض لهذا الموضوع، وسأكتفى فى عجالة تفيد المطلوب بما يؤكد أن الإسلام يرفض الإرهاب ويمنع الاعتداء وبالتالى فأساس إنهاء الخلاف فى الإسلام يقوم على الحوار لا الإرهاب.

لقد احترم الإسلام النفس البشرية، وجعلها موضع إجلال وتقديس، واعتبرها هى الحياة ونظر إليها نظرة عامة شاملة، وحرّم الاعتداء عليها إلا بحق، واعتبر من قتلها فكأنما قتل الناس جميعاً، قال الله تعالى:

﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾(١).

وتنكير كلمة النفس فى الآية الكريمة تفيد العموم، أى: أى نفس لا فرق بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون، ولا بين رجل وامرأة..

ونهى الإسلام عن الاعتداء على النفس، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٢).

وشدد العقوبة على من يرتكب هذه الجريمة، فقال تعالى:

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٣٢.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥١.

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[٣].

ثم صان الإسلام المال الخاص بالفرد وعرضه، ونهى عن الاعتداء عليهما، يقول رسول الله ﷺ: «المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله»[٤] ويقول عليه الصلاة والسلام: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٥]، ونهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الاعتداء نهيا عاما يشمل المسلم وغير المسلم،، والآية القرآنية السابقة واضحة وصريحة في تحريم الاعتداء على النفس البشرية أياً كانت.. وبذلك ضمن الإسلام للفرد السلام والاطمئنان في حياته حتى يتفرغ للعمل والإنتاج في دنياه.

ولتأكيد معنى التعاون بين الأفراد، وانتشار روح المحبة والإخاء بينهم حذّر رسول الله ﷺ من الاعتداء على الجار أو إيذائه ولو بالقول، وبلغ التحذير ذروته حتى في نفي الإيمان عمن يؤذى جاره، فيقول الرسول ﷺ: «والله لايؤمن، والله لايؤمن، والله لايؤمن. قيل: من يارسول الله؟ قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه، قالوا: يارسول الله وما بوائقه؟ قال: شره»[٦]، وإذا كانت صلة الفرد بالفرد في المجتمع الإسلامي قد حددها ورسمها الإسلام في هذه العلاقات التى تضمن سلامة وأمن وأمان واطمئنان الفرد والأسرة، وطبيعي أن الفرد والأسرة ما هما إلا النواة التي يتكون منهما المجتمع، فمعنى ذلك أن الإسلام قد أسس مجتمعا سليما يسوده السلام والترابط والحب والاتصال والتعاون والتناسق التام بين الحقوق والواجبات.

ثم يوجه الإسلام نظر المسلمين إلى أن مجتمعهم الإسلامى ماهو إلا جزء من المجتمع الدولي ككل، فيجب على المسلمين ألا يعيشوا في عزلة عنه بل يجب عليهم الاتصال والتعاون مع بقية المجتمعات الدولية، فإن أبا الجميع واحد وأم الجميع واحدة، قال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٧].

إن الإسلام هو دين السلام، وتحية الإسلام هي السلام، يلقيها المسلم ويرددها كل يوم عدة مرات مع من يلقاه أو يقابله، قال رسول الله ﷺ: «لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا

---

(٣) سورة النساء الآية ٩٣.

(٤) مسند الإمام احمد ج٣ص٤٩١.

(٥) صحيح البخارى جـ١ ص٩، جـ٨ ص١٢٧.

(٦) صحيح البخارى جـ ٨ ص١٢.

(٧) سورة الحجرات الآية ١٣

فعلتموه تحاببتم.. أفشوا السلام بينكم»[٨]، ويقول: عليه الصلاة والسلام: «السلام اسم من أسماء الله - تعالى - وضعه في الأرض فافشوه بينكم. فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم»[٩].

ولتأكيد معنى السلام وارتباطه بالإسلام أن المسلم يردد السلام ويدعو به في فريضة الصلاة اليومية التي تتكرر في اليوم خمس مرات، بخلاف صلوات السنن والنوافل، يردده المصلي في التشهد، ويختم وينهى به كل صلاة مرتين، مرة عن يمينه ومرة عن يساره. والسلام في الإسلام هو الأصل، والقاعدة الأساسية فيه، أما الحرب في الإسلام فهي استثناء تفرضه ظروف الدفاع عن النفس، قال تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[١٠]

ومن شدة حرص الإسلام على السلام وكرهه للقتال أنه طلب من المسلمين الكف عن القتال عندما يسلم المعتدون ويعلنون انتهاء القتال من جانبهم، بل طلب بصيغة الأمر الالتزام بالسلم ومنع القتال عندما يميل الأعداء إلى السلم ويعلنوا ذلك، يقول الله تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١١].

ما طلب الإسلام من المسلمين عدم قتال أعدائهم إن اعتزل الأعداء، واتخذوا جانب السلم، قال تعالى:

﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾[١٢]

ومع أن الإسلام أمر بالقتال في حالات محددة - دفاعاً عن النفس وهذا حق مشروع في جميع القوانين والأعراف - إلا أن الإسلام دعا المسلمين إلى الالتزام بقتال من يحمل السلاح فقط، ونهى عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال، ونهى عن تخريب الزرع وقطع الأشجار المثمرة، بل ونهى حتى عن ذبح الحيوانات إلا للأكل فقط.

ووصية خليفة المسلمين سيدنا أبى بكر الصديق لجيش المسلمين بقيادة أسامة بن زيد خير دليل على إنسانية الإسلام حتى في القتال.

ولا أعلم ديناً بلغ في إنسانيته ورحمته وعدله وسماحته مع أعدائه الذين يحاربونه حتى في معارك القتال مثل الدين الإسلامي.

---

(٨) مجمع الزوائد ٨/٢، ٨/١٨٦.

(٩) مجمع الزوائد للهيثمى جـ٨ ص٢٩.

(١٠) سورة البقرة الآية ١٩٠.

(١١) سورة الانفال الآية ٦١.

(١٢) سورة النساء اية ٩٠.



حوار لا مواجهة

تأليف

الدكتور/ أحمد كمال أبو المجد

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين



د. أحمد كمال أبو المجد

بعد أن نبه الدكتور أبو المجد إلى الحاجة لمواجهة الشذوذ الغريب الذى أصاب مسار الصحوة الإسلامية بسبب تلك المقاومة الشديدة التى يبديها هؤلاء المتخوفون من الصحوة، وبسبب ذلك العنف والقسوة التى يمارسها أولئك الذين اشتطوا فى الدفاع عنها..

لم يكتف الدكتور بهذا التنبيه المجمل، ولكنه عاد ليفصل الأمر، حتى يبين منشأ ذلك الشذوذ، ويوضح مدى انتشاره، ويلفت الأنظار إلى أبعاد الخطر الذى ينطوى عليه!

فذكر أن الخطورة لاتكمن فقط فى هذ الشطط الذى استولى على طرفى الحوار فى تلك القضية، مما اندفع بهما لتحويل الحوار إلى مبارزات كلامية، تصطك فيها الأقلام، وتتهدج فيها الأصوات من شدة الانفعال وفرط الهياج والتوتر.. بل إن الخطر - إلى هذا وذاك - يكمن فى أن كثيراً من المتحاورين لايفصحون عما يريدون، ولا يعلنون عن حقيقة مواقفهم، ويتخفون وراء أقنعة كثيفة تخفى مقاصدهم، فيوقعون الآخرين فى حيرة شديدة، تقطع الأمل فى الوصول إلى نهاية الصراع، وتغرق الأمة فى هذا الأتون المتوهج، فتغيب عن الوجود المنطلق فى غير هوادة ولا تردد.

الأزهر

الخوف والتخوف.. كارثة الكوارث

من هنا.. يرصد الدكتور - فى ساحة الحوار - ثلاث فئات، لكل منها وجهته،

أولاهما: الفئة المبشرة بالصحوة الإسلامية والداعية إليها.

وثانيتهما: الفئة الخائفة على الإسلام من سوء فهم بعض المنتمين للجماعات الإسلامية، وفساد أسلوبهم.

وثالثتهما: الفئة ذات العداء المستحكم للإسلام وللأديان كلها، والتى تسعى لاجتثاث التدين من جذوره، والقضاء على التوجه الإسلامى وكل توجه دينى.

والدكتور يرى: أن هذه الفئة الثالثة لن يجدى الحوار معها. لأنها ذات موقف مسبق، وأن الحوار بين الفئتين الأولى والثانية يمكن أن يؤتى ثماره إذا ما اتسم بالهدوء، والتوازن العقلى، فكلاهما ينشد الحقيقة، ويسعى إليها.

ويرى: أن محور الحوار بين هاتين الفئتين هو تلك المخاوف المشروعة التى يبديها المثقفون من أخطاء بعض الدعاة، ومن تجاوزات كثير من الشباب فى مساعيهم لأسلمة المجتمع.

ويجمل أبرز هذه المخاوف فى الآتى:

١- الاتجاه إلى الانحصار فى الماضى، والذهول عن الحاضر والمستقبل.. ويرى: أن للخوف من هذا الاتجاه مايبرره، لأن كثيراً من هؤلاء الإسلاميين يرون فى ماضى الأمة عصر الصفاء والنقاء.

٢- الاتجاه إلى التمسك بحرفية النصوص على وجه العموم.. ويرى: أن هذا التخوف له - كذلك - مايبرره، لأن كثيراً مما يكتبه دعاة بعض الجماعات الإسلامية يرون أن الابتداع زيغ وضلال، وأن طاعة الخالق تقتضى الوقوف عند النصوص وحدها.

٣- الاتجاه إلى إقامة حكم سياسى دينى «أوتوقراطى»، وهذا التخوف.. لامحل له فى شقه الأول - وهو إقامة حكم دينى - لأن علماء المسلمين قد أجمعوا قديماً وحديثاً على أن الخلافة ليست نظاماً دينياً، يستمد فيه الحاكم سلطته من مصدر إلهى، أما فى شقه الثانى - وهو استعجال تطبيق الشريعة الإسلامية - فله مايبرره، لأن ذلك قد يغوى بعض ذوى النيات الحسنة بقبول استبداد الحاكم مادام يتجه إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.

٤- الاتجاه إلى العنف والاعتداء على المخالفين، وإهدار حقوق غير المسلمين، مما انتهى بكثيرين إلى تصور أن العنف ظاهرة إسلامية، وأن إهدار حقوق غير المسلمين خطر ملازم للمد الإسلامى، على الرغم من أن هذا الاتجاه ليس مسلكاً يعم كل الجماعات الإسلامية، ولكنه - على أى حال - مسلك يرفضه الإسلام تماماً.

وقد خص الدكتور هذه المخاوف، لأن الأمر فى شأنها يحتاج إلى مزيد من التدقيق والضبط، فأصحاب الممارسات الخاطئة التى تثير هذه المخاوف قد يكونون أعلى صوتاً،

واحد نبرة، وأكثر إثارة للمتاعب والقلق.

ويستطرد الدكتور موضحاً منشأ الخوف على الإسلام.. فيذكر أن هؤلاء الخائفين على الإسلام ضحايا الهزيمة الحضارية والسياسية والعسكرية التى تعرضت لها الأمة الإسلامية، وماترتب عليها من تهديد الاستقلال الحضارى للمسلمين فى وجوده كله.

ويذكر الدكتور: أن هذا الخوف تولد فى نفوسهم عن خلل فى التصور والسلوك أصابهم من أمور ثلاثة:

الأول: تصورهم أن الإسلام كيان ونظام مختلف عن كل ماعداه اختلافاً مطلقاً، مغفلين أن الإسلام هو دين الأنبياء كلهم، وأن المسلمين ناس من الناس وليسوا نشوزاً فى تاريخ الإنسانية.

الثانى: توهمهم أن عزلة المسلمين عن غيرهم.. أمر ضرورى، أو جائز، أو ممكن، فالعزلة غير ضرورية، لأنه لاعزلة بعد انتشار الإسلام ونمو حضارته.. بل هو جهاد وعمل.. والعزلة غير جائزة لأنها تحول دون أداء المسلمين دورهم التاريخى، وتحرمهم فرصتهم فى الوعى بحركة الحياة من حولهم.. والعزلة لم تعد ممكنة.. بعد هذا الانفتاح العام الذى جعل العالم كأنه يعيش فى قرية واحدة.

الثالث: ادعاء النقاء الحضارى، ورفض الأفكار المستوردة.. أمر يحتاج إلى إعادة النظر فى إطار قوله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»[1].

ثم يقرر الدكتور أن هذه الأقنعة التى وضعها كل فريق على بصره وبصيرته إذا نزعت فسوف يدرك الخائفون من الإسلام: أن الإسلام أبر بهم وأرحم من كل نظام.. وسوف يدرك الخائفون على الإسلام: أن الله غالب على أمرهم، وأنه تعالى أمرهم أن يكون جدالهم بالتى هى أحسن، وأمرهم أن يدفعوا بالتى هى أحسن، وأمرهم أن يكونوا رموزا حية لسماحة الإسلام ويسره، وعدله ورحمته..

فليت الفريقين يثوبون إلى رشدهم، ويطرحون بعيداً تلك الصواعق المحرقة التى يتقاذفونها بينهم، فتصيب الأمة كلها.

خصوصية نسبية.. لا تميز مطلق

ويذكر الدكتور أبوالمجد: أن من أبرز مايؤخذ على الصحوة الإسلامية.. الحرص المسرف على توكيد التميز الإسلامى على غيره من النظم السياسية والاقتصادية، والتشريعية، حتى لقد بلغ هذا الإسراف -من الشدة- إلى الدرجة التى دفعت بعض الجماعات الإسلامية إلى العنف فى التعامل

(١) سنن الترمذى ٤/١٥٥ برقم ٨٨٢٨، كتاب أبواب العلم، باب (١٩).

مع الآخرين، والتى يسرت للدارسين الغربيين وصم الإسلام -فى عمومه- بالعنف والإرهاب، وتابعهم فى هذا كثير من الدارسين العرب والمسلمين.!

وماكان أغنى ذوى التوجه الإسلامى عن الوقوع فى تلك السقطة.. لوأنهم تذكروا أن الإسلام يحرص دائماً على إقرار وحدة الخالق، ووحدة الإنسانية، ولو أنهم تذكروا أن الإسلام -وإن كان فى مصدره نظاما إلهيا- لم يفضل المسلمين لذواتهم، وإنما فضلهم لما يقدمونه من عمل صالح، فحياتهم خاضعة للسنن الكونية التى تحكم الناس جميعا، التى تقدر أنه لايدرك غايته إلا من اجتهد وأخذ بالأسباب.

ولوأنهم تذكروا أن عالمية الإسلام، وإنسانيته تلزم دعاته بالاتصال بالناس، وإقامة الجسور معهم فى غير تعال ولاترفع.

ولو أنهم -إلى هذا وذاك- تذكروا أن الإسلام حين جاء لم يقطع صلتهم بالدنيا التى حولهم، ولا بالدنيا التى كانت قبلهم، فالنبى صلى الله عليه وسلم هو القائل: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا»[2].. فليت العاملين فى خدمة الإسلام يتواضعون قليلاً، ويتحلون بالإنصاف، ويتوقفون عن الخوف على دين الله، ويتوجهون إلى دراسة المزيد من المواقف الفكرية والسلوكية لهذا التيار المتعاظم، حتى يعينوا أصحابه على مزيد من الرشد، ويعصموهم ويعصموا أنفسهم من عثرات قد تتهدد الجميع بالمخاطر الكبيرة.

ومن هذا التذكير الذى يرج به الدكتور أبوالمجد العاملين فى الميدان الإسلامى ليثوبوا إلى رشدهم.. يبرز أهم المعوقات التى قد تغتال المستقبل العربى إذا لم يسارعوا إلى تعديل ماران على فكر الكثيرين منا، حيث يراها ماثلة فى خمسة معوقات هى:

أولاً: ميل الكثيرين من مثقفينا ميلاً جامحاً إلى تبسيط التجارب الثقافية والحضارية لنا ولغيرنا، وذلك بوضعها فى قوالب ثابتة، لاتتأثر باختلاف الأشخاص، ولاتتباين بتباين الزمان، ولاتمر بالأطوار الحيوية فى نشأتها، وماصادفته فى مسيرتها من خلافات، وماتعرضت له فى انتقالها إلى بيئة أخرى من تغيير وتبديل، حتى لكأن التراث شئ واحد، علينا أن ننفض عنه الغبار لنأخذه كله أو نرفضه كله.

وبدلاً من ذلك.. عليهم أن يقوموا باستكناه التراث أياكان، وتحليله وتحديد ماينفع منه ومالاينفع، ثم توظيفه كما توظف معطيات الحاضر.. المحلى والعالمى لخدمة أهداف الحضارة.

(٢) صحيح مسلم، ٤/٢٠٢١، برقم ١٦٠، كتاب البر والصلة والآداب، باب (٤٩).

ثانيا: انقسام الكثيرين على أنفسهم - فى التعامل مع الحضارة العربية - فرض عليهم أحادية التفكير، فهذا ينحاز للماضى بجميع أبعاده وحده، وذاك ينحاز للحاضر وحده، دون أدنى التفات إلى ماخلفه أسلافنا.. حتى صارت المقابلة بين السلفية والتجديد مقابلة بين شقى الأمة، مما يفرض من الصراع والتمزق مايستغرق العقول، ويستنفد الجهود.

ثالثا: ميل كثير من الأنظمة إلى القمع والقهر، وتجريم الإبداع، بفتح الباب على مصراعيه لسيطرة الرتابة والفجاجة والسطحية على حياتنا، ويفرض علينا أن نظل قابعين فى ركب التبعية والتقليد، وسيطرة حفنات من المنتفعين المتاجرين بمصير الأمة، الخارجين من قاع المجتمع وأدنى مافيه، المروجين لفيض من الأعمال والأنشطة بالغة الهبوط والإسفاف.

رابعا: الانصراف عن إتقان لغة الأدوات الحضارية الجديدة.. يفرض علينا أن نقضى بقية عمرنا الحضارى مستقبلين لحضارة الآخرين، خاضعين لنفوذهم، ولن ينفعنا التغنى بتراثنا، من غير السعى الى تضييق الفجوة بيننا - نحن العرب - وبين العالم المتقدم.

خامسا: اشتغال أبناء الأمة بالصراع الجانبى شغلهم عن التعرف على الأهداف التى حددها لهم الإسلام، والتى تفرض على المسلم - فى شقها الأول - السعى للسيطرة على الطبيعة، وتعمير الكون بقوانين العلم، وتفرض عليه - فى شقها الثانى - العمل على ترشيد العلاقات الإنسانية بإشاعة العدل، والحرية والسلام والأخوة الحميمة بين الناس.

ويختتم الدكتور هذا التذكير بنداء صارخ.. يعلن فيه: أن هذه المعوقات الخمسة إن هى إلا أسلحة جريمة «الاغتيال» التى يتعرض لها مستقبل الأمة كله.. الفكرى والسياسى والحضارى.. على السواء، ويكفى النظر إلى ماواجهته الأمة منذ سنة ١٩٤٨ فى الحروب الأربعة، وماتكشفت عنه تلك الحروب من تعاون الاستعمار الغربى مع الصهيونية فى استغلال شعورنا بالعجز عن مواجهة الصهيونيين المدعومين بحلفائهم من الغرب، وماتكشفت عنه عمليات التصحيح بعد سنة ١٩٦٧ من آثار تؤكد لنا حتمية الانطلاق بغير إبطاء لاسترداد الثقة بالنفس فى ظل العمل الجاد على مواكبة العصر فى شتى شئون الحياة.

لامفر من تصور المستقبل ثم اقتحامه

ويرى الدكتور أن استئناف مسيرتنا الحضارية يلزم العرب - خصوصاً ساستهم وعلماءهم ومثقفيهم - أن يواكبوا المنهج العالمى الجديد فى العمل السياسى والاقتصادى، كى يرصدوا الظواهر فى نشأتها وحركتها، وفى اختراقها الحاجز الفاصل بين الحاضر والمستقبل.. وهذا يتطلب منهم جميعاً وقفة تحليلية، لايتصور التخطيط السليم للمستقبل بدونها، إذ بهذا التخطيط تزول حيرتهم حول الطريق الأمثل

لاستثمار أموالهم، وحسم النزاع العربى الإسرائيلى حسما عادلا، والانتقال من عهد القومية العربية الرومانسية، والتمسك بالوحدة السياسية، إلى غير ذلك من المغامرات غير المحسوبة، والتخلص من الحيرة الحضارية، وما أثمرته من تمزق داخل النفس الفردية، وتمزق داخل المجتمع العربى.

ومن أهم الظواهر التى تتطلب منا الوقفة التحليلية:

١- تتبع أسباب ظاهرة المد الإسلامى المعاصر فى مواجهة السيادة العلمانية بما تنشره من انصراف عن الغيبيات يؤدى إلى إصابة العقول والنفوس بقلق لاحدود له.

٢- التعرف على جوهر هذا المد الإسلامى ومحتواه، وتصور مستقبله فى ظل ماتعانيه الحركات الإسلامية من آفاق معروفة، مثل عجزهم عن إقامة علاقات حوارية مع سائر عناصر المجتمع، ومثل تردد الكثيرين من علماء الإسلام فى الاجتهاد إيثارا للسلامة، ومثل الخلل فى ترتيب الأولويات عند عرض الإسلام والدعوة إليه، خصوصاً حين يتحول الدعاة إلى أولى أمر وحكام، ومثل ذلك التشتت الغريب الذى يحيط بالجماعات والزعامات الداعية إلى الإسلامية.

فليس من شك فى أن مستقبل المد الإسلامى.. رهن بتدارك هذه الآفات، دون تراخ أو تهاون، حتى لاينجح فى مسعاهم أولئك الحريصون على تفريغ هذا المد من محتواه والساعون لتوجيهه إلى حيث يتبدد ويضيع.

والدكتور لايقصر حديثه على إبراز مايلزمنا من جهد مدروس لمواكبة الثورة العلمية الجديدة، وانتزاع مكانهم فى هذا العالم الجديد.. ولكنه يتوجه بثلاثة نداءات إلى كل مثقف عربى ومسلم، يصيح فيها:

١- أن توقفوا - بدون إبطاء - عن الانحياز العقلى والشعورى إلى الماضى، وتعالوا إلى الحاضر والمستقبل، ذاكرين قصر صلتنا بالماضى على أخذ أصول ديننا والقيم الأساسية منه، والإفادة من مكونات حضارتنا وتجاربها المستمدة، مع التسليم اليقينى بأن الجميع محكومون بسنن كونية يخضع لها الجميع.

٢- أن لامجال بعد الآن لعزلة المسلمين عن العالم، فعلينا أن نعجل بترتيب الأولويات فى مناهج الدعوة والتربية والتعليم، بحيث تتميز الأصول من الفروع، وتوجه العبادة إلى كليات العقيدة الإسلامية، والرؤية الإسلامية للإنسان، وطبيعته، وغايات وجوده، وعلاقاته بالآخرين.. بدلاً من التوجه إلى الفروع والجزئيات، والخلافيات التى شغلت أجيالاً بأكملها من العلماء والعامة، والشيوخ والشباب.

٣- أن لا مكان لما استقر فى أذهان أجيال متعاقبة من التعبد بالنصوص، والنفور الشديد من محاولات النظر فى علل تلك النصوص ومقاصدها، ولامكان لرفض التجديد فى الفقه والاجتهاد، ظناً أن فى ذلك افتئاتا على صاحب الشريعة، فصاحب العلم هو صاحب الشريعة، وواهب العقل هو الموحى بالنص.

من هنا.. نبدأ

والدكتور- بعد أن يستوفى تشخيص الداء الذى أصاب المسلمين، ويحدد الدواء الذى يرى فيه البرء- يقدم العاملين فى الحقل الإسلامى فى الهيئة التى يراهم عليها.. إذا ماعادوا إلى المسار الذى كان عليه الأسلاف فى المراحل الأولى لينطلقوا من جديد على بصيرة.

فيراهم جماعات على تقوى وتعقل، متحررين من السجن الرهيب الذى حبس فيه كثير من دعاة الإسلام، مؤمنين بأن الإسلام دعوة إلى الإيمان بالله وحده، والتصديق برسله واليوم الآخر، هذه الدعوة توجتها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وجمع القرآن أصولها ومبادئها، وشريعتها التى تقوم على العدل والمساواة والتكافل، وأخلاق البر، والتواصل، والتراحم.. ويراهم يميزون فى تعاملهم مع تراث الأقدمين- بين النص القطعى الواصل بدليل قطعى، وبين النص الواصل بدليل ظنى، فيلتزمون بالقطعى، وينظرون إلى ماعدا ذلك على ضوء العقل والواقع اجتهاداً واستنباطاً.. ويراهم على صلة ملتصقة بتاريخ الإنسانية وتجاربها، مدركين أن تميز الإسلام إنما هو فى النقاء المطلق لعقيدة التوحيد فيه، وفى شرائعه التى تجسد رعاية مصالح الناس.. ويراهم مؤمنين أن صريح المعقول لايمكن أن يناقض صحيح المنقول، لأن كليهما هبة من الله تعالى.. وموقنين بضرورة توظيف العلم فى الدعوة- على غرار ماصنع الأسلاف- وفق مستحدثات كل عصر، فعلى الدعاة أن يسعوا من خلال حكوماتهم ومؤسساتهم إلى استغلال أحدث التقنيات للوصول بالدعوة إلى شتى بقاع العالم، فالمسلمون إذا مابلغوا تلك الدرجة من السلامة والوعى أمكنهم أن يحددوا مكانهم على خريطة المستقبل، وأن يقتحموا أبواب الأمل، ويصلوا إلى آفاق الرجاء، ويستثمروا جنبات الكون فى غير تهيب، ولا وجل، ولا إشفاق على النصوص والمقدسات.

ومن هنا.. يتوجه الدكتور مناشداً جيل الشباب المسلم: أن تعالوا نرفع أصابعنا عن آذاننا، ونزيل الغشاوة عن عيوننا، ونشحذ الهمة لعمل كبير، وجهاد طويل.. نمد فيه أبصارنا إلى المستقبل، ونرحل فيه بمشاعرنا عن الماضى الذى وقعنا فى أسره، متوهمين أننا بهذا نتقرب إلى الله.

من معوقات الاقتحام

والدكتور أبوالمجد يدرك أن مناشدة الشباب المسلم، ودعوته للنهوض الجاد لايمكن أن يكللها النجاح إلا بمناشدة أخرى، يتوجه بها إلى أصحاب السلطة فى الأمة الإسلامية والعربية، ولكنه لايفصح عنها إفصاحه عن مناشدته الشباب، ودعوته العاملين فى المجال الإسلامى، تلطفا منه مع ذوى السلطان، أملا فى أن لاتطغيهم السلطة، ويتأبوا على نصح النصيح، لعلمه بمدى ماتصنعه البطانات التى تحيط بهم من تعظيم وتفخيم يقاربون به رفعهم إلى مصاف الآلهة، التى ترفض

عظمتها الاستجابة لأية مناشدة أو دعوة، فلا وسيلة لديهم سوى الترهيب والقهر يواجهون به كل رأى آخر يخالف ماهم عليه، ولاأسلوب ينهجون سوى الطغيان والاستبداد يفرضون به سلطانهم على الجميع، مما جعل منهم ومن محكوميهم كيانا مشوها، يضرب به المثل فى التخلف، ويمارس معه كل وسائل الاستغلال.

والدكتور- فى تلطفه هذا- قدم صورة للواقع، تكشف عن كل تلك المعوقات، وتصرخ فى الحكام- بلسان حالها- أن كفوا عن قهركم، وافسحوا صدوركم لصوت العلماء والمثقفين، ولا تغلقوا دونهم الآذان والأبواب، وأفيدوا منهم عند اتخاذ القرارات، ولاتضيقوا بالنقد مهما شابه من حدة أو مبالغة فى تصوير النقائص والأخطاء، واعلموا أن هذه الحدة والمبالغة سوف تزول حين تنجحون فى كسب ثقة العلماء والمثقفين، على نحو ماترونه أمامكم فى كثير من دول العالم.

ولتذكروا دائماً أن النظم الاستبدادية التى تعتمد على القهر وسلب الحريات، وإهدار الحقوق.. هذه النظم تترك بصمات ظاهرة على سلوك الناس، وتصيب بنيتهم الأخلاقية بعاهات حقيقية، تبدو فى انكماش الصدق، وانزواء الوفاء، وتوارى الشجاعة، واختفاء العدل، وارتفاع هامات الكذب والخيانة والتزوير.. ليسود الحياة مستبدون آخرون صغار- أعنف بطشاً من سادتهم الكبار.

ولتذكروا: أن لاعلاج لهذا الداء سوى مزيد من الحرية، تلوح معه بارقة الثقة والأمل، نتجاوز فيه الشعارات المرفوعة، والمبادئ المعلنة ويلتفت الدكتور- فى مسعاه ذلك- إلى العلماء مناشداً إياهم السعى الحثيث لتخليص الأمة مما هو ناشب بين السنة والشيعة من صراع مزمن، ماكان يصح أن يكون مصدر هذا الصراع الذى يستغله الخصوم من هنا وهناك، ليؤرثوا نيران الفتنة، ويزيدوا فى عمقها، فى حين أن مابينهما لايتجاوز الخلاف فى الرأى القائم على الاجتهاد فى الفروع الذى لم يخرج بأحد على أصول العقيدة الإسلامية.

ويخلص من ذلك إلى أن المسلمين لم يعد أمامهم إلا أن يتسابق علماؤهم إلى الأفق الذى تدعوهم إليه مسئوليتهم أمام الله، وأن يتفهموا حقيقة الصراع المعاصر بين السنة والشيعة حتى لايغرق المسلمون فى دوامة فتنة مصنوعة مدبرة، تستنزف قواهم المادية والمعنوية.

وهنا.. يلتفت الدكتور إلى المثقفين، مذكراً إياهم بأن دورهم فى وقت الأزمة يقتضيهم أن يقدموا ماهو أكثر من النصيحة المجردة، ومنبهاً إياهم إلى أن علاقتهم بالسلطة تحددها علاقتهم بالجماهير، فيجب أن يظلوا- عقلياً ووجدانياً- موصولين بالناس، معبرين عن مطالبهم وتطلعاتهم، ومدافعين عن مصالحهم وحقوقهم.

بهذا وذاك.. يرى الدكتور أن المعوقات التى قد تفسد على المصلحين إصلاحهم

تصبح هشة، لاتصمد أمام إقدام المخلصين من أبناء الأمة، فتتهيأ لهم الظروف المناسبة للحوار الخالص الجاد المثمر.

والدكتور بهذا الكتاب.. يشخص علة الأمة، فى جذورها العميقة، وفى مظاهرها السطحية، ويحدد العلاج الناجع لها فى نوعيته وكيفيته ومراحله، فيؤكد أنه يقدم تصور رجل خبير مخلص لدينه ولوطنه ولأمته، استطاع من موقعه السياسى والاجتماعى والإسلامى أن يبصر - فى غير انفعال أو انحراف - الصورة التى أصبحت عليها الأمة، وأن يتحسس مواقعها، ويتلمس أخطاءها، ومايحيط بها من أخطار، وأن يتعمق بالنظر إلى جذورها، وأن يستلهم العلاج الناجع على ضوء الإسلام الخالص، وحاجات العصر.

ولأن الكتاب مجموعة مقالات للدكتور أبو المجد، نشرت بمجلة «العربى» فى أزمنة متفرقة، كان يحتاج من الدكتور إلى تفرغ ليؤلف بين تلك المقالات تأليفا محكما، يربط فيه العناصر بعضها ببعض فى اطراد متنام، فيخلص من الاضطراب والتكرار الذى أصابه، ويعفى القارئ من تشتت الذهن فى متابعته، ولكن الدكتور لم يصنع شيئا من ذلك، واكتفى بوضع كل مجموعة متشابهة تحت عنوان تقريبى جعله فصلا، فأصيب بناء الكتاب المادى بالهلهلة، وألقى على القارئ عبء الربط بين العناصر ولم شتاتها، إما بمداومة النظر فيما بين يديه، أو بمعاودة النظر فيما تقدم من الفصول والمباحث، مما يثقل كاهله، ويبدد جهده، على مانرى فى الفصل الثالث «العروبة والإسلام» حيث قدم المبحث الثانى تحت عنوان «نظرة إلى مستقبل العرب والمسلمين»، والمبحث السادس تحت عنوان «خمسة معوقات تهدد باغتيال المستقبل العربى»، ثم جاء الفصل الرابع «نظرة على المستقبل»، وفيه المبحث الأول «نظرة إلى مستقبل العرب»، والمبحث الثالث «المسلمون دعوة إلى اقتحام المستقبل»، والمبحث الرابع «المسلمون على خريطة المستقبل»، فمباحث الفصلين متداخلة، يكرر بعضها بعضا.. وكذلك فى الفصل الأول «ضرورة الحوار» جاء المبحث الخامس «أربعة وجوه لمأساة الشباب المسلم»، والمبحث السادس «الحوار المقطوع بين العرب والعرب»، وفى الفصل الخامس «قضايا معاصرة» عود إلى ماقدمه فى مبحثى الفصل الأول مع مزيد من التفصيل.

ومع هذا.. أرى أن مادة الكتاب - فى عمومه - وإخلاص الدكتور، وتحمسه للأخذ بيد الأمة وانتشالها من نكستها، ولغته السهلة الواضحة مع فصاحتها.. كل هذا مما يخفف عن القارئ معاناته، كما خفف عنى.

وكل مانرجوه أن يتفضل الأستاذ الدكتور أحمد كمال أبوالمجد - إذا رأى ماأراه - بإعادة النظر فى تنسيق الكتاب، ليقترب من الكمال خطوات فى طبعة أخرى.. والله من وراء القصد.

التاريخ
بين عناية الله والفاعلية الإنسانية

للدكتور/ عبدالحليم عويس

على خلاف التفسيرات المادية للتاريخ تؤمن الرؤية الإسلامية للتاريخ بأن الله هو الخالق للتاريخ زمانا ومكانا وإنسانا وعقيدة، وتحدد إطار التفاعل بين الإنسان والزمان والمكان.

وليس دور الله فى التاريخ - كما يتخيله أرسطو وبعض فلاسفة الإغريق - دورا مؤقتا ينتهى عند انتهاء عملية الخلق، والتزويد بالأسلحة المطلوبة، بل هو عناية كاملة ومستمرة بالتاريخ الإنسانى، وبالكون الذى يتحرك التاريخ الإنسانى فيه، ولا حياة لهذا التاريخ الإنسانى بدون هذا الكون:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

فاطر - ٤١

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

الحج - ٦٥

ومع أن اليهودية والنصرانية دينان أصابهما التحريف فى مصادرهما الأساسية، إلا أن إيمانهما بدور الله فى الفعل التاريخى أمر لا يمكن إنكاره، على الرغم من أن النصرانية (بعد مجمع نيقية) تعطى شخص المسيح (الإبن) دورا أساسيا فى تحريك التاريخ يقترب من دور الله (الأب)...

وفيما بين القرنين الخامس والثامن عشر للميلاد سيطر التفكير اللاهوتى المسيحى فى تفسير التاريخ على العقل الأوروبى كله، ولم يستطع أن يقدر الله حق قدره من جانب، ولا أن يعطى الإنسان المساحة الصحيحة التى يملكها الإنسان فى صناعة التاريخ من جانب آخر، بل كاد يلغى الإنسان، ظانا أنه بذلك يتقرب إلى الله، والحقيقة أنه بتهميشه دور الإنسان فى التاريخ يصم الله ضمنا (بالظلم)، بما أن الإنسان سوف يحاسب فى الآخرة على دوره الأساسى فى صناعة الحضارة، بل وعلى مستوى استخدامه للطبيعة التى سخرها الله له.

إن غوستاف لوبون يتحدث مصوراً هذا التفسير اللاهوتى الذى يلغى الإنسان فيقول: «تصفحوا تاريخ ما بين القرن الخامس والقرن الثامن عشر، تجدوا أن علم اللاهوت هو الذى يسيطر على الروح البشرية، ويوجهها فتطبع جميع الآراء بطابع علم اللاهوت، وتنظر إلى المسائل الفلسفية والسياسية والتاريخية من الوجهة اللاهوتية دائماً، والروح اللاهوتية من بعض الوجوه هى الدم الذى جرى فى عروق العالم الأوروبى حتى بيكن وديكارت» (فلسفة التاريخ - ترجمة عادل زعيتر) - وتدل الكتب التاريخية التى ألفت فى ذلك الزمن الطويل على درجة ما يمكن للعوامل الدينية أن تؤثر فى أفكار الناس، وعلى مقدار بساطة المبدأ العام عن الكون فى ذلك الحين.. هذا المبدأ العام الذى يركز على القدرة الإلهية الجبرية ويلغى الإنسان تماما.

ففى هذا الرأى اللاهوتى تسيطر على مجرى التاريخ قدرة ربانية عاطفة أو ساخطة، فكان لابد من خشيتها أو التضرع إليها بلا انقطاع، وكان أقوى الملوك يرتجفون أمامها، ومن ذلك أن لويس الحادى عشر كان ينفق لب ماله محاولاً أن ينال حماية العذراء، وأبرار الفردوس، مؤمنا - على رواية مؤرخ له - بأنهم يتدخلون فى أعمال الإنسان دائما قادرين وحدهم على ضمان الانتصارات الحربية أو الدبلوماسية، وإلى وقت قريب نسبيا كان على هذا الاعتقاد الصبيانى فلاسفة فضلاء، وقد ساق هذا الاعتقاد لبنتز إلى أفكار كثيرة التفاؤل، فكان يقول: إن العالم بالغ الصلاح بحكم الضرورة، وذلك لأنه لاحد لحكمة الرب وكرمه.

ولم تأخذ مبادئ التاريخ اللاهوتية فى الزوال إلا بعد أن أثبت تقدم العلم كون جميع حوادث العالم خاضعة لسنن وثيقة لا تعرف الهوى. (لوبون: فلسفة التاريخ - ترجمة عادل زعيتر).

وهكذا تجعل النصرانية من فعل الله مصادرة لفاعلية الإنسان، كما أنها - بهذا التصور - تصادر السنن الكونية والاجتماعية التى يرتبط الانسان بها ويتعامل معها، وهو يحقق الإبداع الحضارى، فما دام أبرار الفردوس والعذراء قادرين وحدهم على ضمان الانتصارات الحربية أو الدبلوماسية، فإن السنن الكونية والاجتماعية، والفاعلية الإنسانية، لا تعدو أن تكون ذات دور هامشى أو صورى..

وسيبدو مجازيا إذن نسبة الحضارة إلى الإنسان، فالعالم كما يقول (ليبنتز) بالغ الصلاح بالحكمة الربانية، بعيدا عن حضور الإنسان فى التاريخ..

بل إن الإنسان يعتبر مجرد أداة تتحرك آليا - بلا إرادة ولا وعى - فى الاتجاه الذى تحدده الأقدار القاهرة.

- وفى مواجهة هذا الإسراف اللاهوتى فى تجريد الإنسان من دوره وفاعليته خضوعا للمشيئة الإلهية التى لم تترك له مساحة لائقة من حرية العمل والإبداع، ظهرت الفلسفات المادية الاشتراكية والبورجوازية التى لا تؤمن بفاعلية الله فى التاريخ الإنسانى، وترى أن الإنسان هو - وحده - الفاعل والمريد والقادر والمبدع والمهيمن.

- وكانت الماركسية (الاشتراكية العلمية) أبرز مثل صارخ لهذه الاتجاهات المادية التى ترفض وجود المشيئة الإلهية فى توجيه التاريخ، بل إنها تنكر وجود الله أصلا.

- إن المقولات الأساسية لفلسفة التاريخ عند ماركس واضحة ومنطقية، فبدلا من الأفكار الشخصية - الحرية، والفردية، والأمة، والدين - التى اختارها المؤرخون المثاليون، فإن علم التاريخ الماركسى اتخذ نقطة بدايته من الوظيفة الأولى لكافة المجتمعات البشرية، سواء الابتدائية منها أو المتقدمة، وهذه الوظيفة هى سد الحاجات الفيزيولوجية للإنسان، وتوفير الغذاء والمسكن والملبس والمأوى وبقية الضرورات الأساسية للحياة. وقد تساءل ماركس: «هل من حاجة إلى بصيرة عميقة لإدراك أن أفكار الإنسان ونظراته وتصوراته، أو بكلمة واحدة وعيه، يتبدل مع كل تبدل من أحوال وجوده المادى، فى علاقته الاجتماعية فى حياته الاجتماعية؟ وماذا يستطيع تاريخ الأفكار أن يثبت غير أن الإنتاج الفكرى يبدل طبيعته تبعا للتبدل الذى يحدث فى الإنتاج المادى؟، اتخذت هذه المعالجة للتاريخ شكلها الكلاسيكى فى مقدمة ماركس لكتابه «نقد الاقتصاد السياسى» حيث قال: «الناس فيما يسيرون عليه من إنتاج اجتماعى يدخلون فى علاقات محددة لا يستغنى عنها ومستقلة عن إرادتهم؛ وهذه العلاقات هى «علاقات الإنتاج» التى تكون فى «جملتها» البنية الاقتصادية للمجتمع، وإن هذه البنية الاجتماعية هى: «الأساس الحقيقى الذى تقوم عليه النظم القومية القانونية والسياسية، وتتطابق معها أشكال من الوعى الاجتماعى»، وبالإضافة إلى ذلك، فإن علاقات الإنتاج ذاتها تتطابق مع مراحل النمو المختلفة من القوى المنتجة وتتبدل تبعا لها (جيفرى باراكلو: الاتجاهات العامة فى الأبحاث التاريخية - ترجمة د. صالح أحمد العلى). وبالتالى، وفى ضوء هذه المعادلات الماركسية الاقتصادية الفاعلة فلا وجود لدور علوى فى توجيه التاريخ.

- أما التفسير البورجوازى للتاريخ فهو يخلط بين المظاهر الطبيعية ومشيئة الله، حتى ليبدو توجيه الله للتاريخ الإنسانى محصوراً فى الكوارث الطبيعية التى يؤدب بها البشر.. بل إن كلمة «الطبيعة» تستعمل عند بعض المفسرين البورجوازيين فى مكان اسم الله، وتأتى كلمة «القدر» كأنها مستقلة ومرادفة - أيضا - لاسم الله دون أن ترتبط بالمشيئة الإلهية..

وتزداد الرؤية البورجوازية المنبثقة ـ كرد فعل للكنيسة ـ غموضًا ومادية حين تتعامل مع الدين والأيديلوجيا على أنهما مجرد أوهام، ومجرد خادم للأوضاع ولا ضير من استغلالها لخدمة الدولة.

إن الدين لا يوجه إذن، بل إنه يوظف لخدمة الأوضاع، كما أن دوره الحقيقى ليس فى هذه الدنيا، بل فى الآخرة حيث الخلاص الأبدى.. يقول «هوبز»: إن على رجال الأكليروس أن يدركوا أنهم ليس لهم سلطة عدا تلك التى تمنحهم إياها السلطة المدنية العليا.

ويقول «هوبز» أيضًا: «إن لكل مواطن عادى كامل الحرية ـ لأن الأفكار حرة ـ فى أن يؤمن أولاً يؤمن إيمانًا عميقًا بالوقائع المقدمة على أنها معجزات.. وبالنظر إلى الحسنات التى يضيفها المعتقد الشعبى على الذين يثبتون المعجزة ويلتزمون بها فإن ذلك المواطن العادى بإمكانه أن يستنتج ما إذا كان ينبغى اعتبار تلك الوقائع معجزات أم أكاذيب» (ماكس هوركهايمر: بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية ـ ترجمة: محمد على اليوسفى).

وينبغى على الدولة أن تدعو دينا يحمل الأوهام المفيدة لأهدافها، وتصدق على عبادته ونشره متخذة على عاتقها جيشًا كاملاً من الكهنة حسب ممارسة الكنيسة الانكليكانية.

فى البدء ابتدع الكهنة الدين ورعوه لأغراضهم الشخصية بطريقة متعمدة، وهذا ما ينبغى على الدول أن تقوم به الآن: «إن الخوف من قوى خفية، سواء أكانت مختلقة أو منقولة عن التقاليد، يعد دينا عندما يقام بقرار من الدولة، ومعتقدًا باطلاً عندما لا ينشأ بقرار منها، ينبغى إذن وضع الخوف، باعتباره خاصة أساسية فى الطبيعة البشرية، فى خدمة الدولة وذلك بواسطة الدين: ينبغى أن يستخدم أساسًا لضمان الطاعة أمام القانون ولمراعاة حسن السلوك البرجوازى عامة.

إن كون المسيح هو المخلص الموعود فى العهد القديم، هو قسم من العقيدة يستبقيه هوبز باعتباره شرطًا كافيا لخلاص الروح، إذ أن المرء هكذا يكون ميالاً إلى التسليم بأن التقيد بالوصايا يسمح بالحصول على الخلاص الأبدى. (هوركهايمر: بدايات فلسفة التاريخ البرجوازية ـ ترجمة: محمد على اليوسفى).

ـ أما ميكيافيلى صاحب كتاب الأمير، فقد أظهر تذبذبًا واهتزازًا فى رؤيته للنسبة المتاحة للإنسان فى التاريخ. وقد انتهى إلى أن الله لا يقوم بدور أساسى فى التاريخ، وخلط بين الطبيعة والمشيئة الإلهية، وأعطى لقوانين الطبيعة سلطة مطلقة وكأنها إله فاعل قادر... إن ميكيافيلى يتساءل: هل البشر قادرون بشكل عام على التدخل الواعى فى مجرى التاريخ؟ ويطرح ميكيافيلى ـ مثل عادته ـ هذا السؤال من أجل هدف عملى إذ يقول فى الأمير: «أى دور للقدر فى الأمور الإنسانية».

وهو يعنى بـ «القدر» كل مالا يتوقف على

إرادة البشر فيقول: «لست أجهل مطلقًا بأن كثيرًا من الناس فكروا ومازالوا يفكرون بأن الله والقدر يدبران أشياء هذا العالم بطريقة لا يتمكن معها كل التعقل الإنسانى من توقيف مسارها أو تنظيمه: ومن ثم يمكن الاستنتاج بأنه من غير المجدى «الاهتمام بذلك بكثير من المشقة، وأن الأمر لا يستدعى سوى الإذعان وترك كل شىء يسير حسب القدر» وأنا نفسى أثناء تفكيرى فى ذلك بضع مرات توصلت جزئيًا لهذا الرأى.. ومع ذلك لم أستطع الافتراض بأن تتحول حرية الاختيار لدينا إلى لا شىء، وأتصور بأنه قد يكون من الصحيح أن القدر يتصرف فى النصف من أعمالنا، لكنه يترك النصف الآخر تقريبًا تحت سلطتنا.

إننى أقارنه بنهر عنيف عندما يفيض، يغمر السهول، يقتلع الأشجار والأبنية، يجرف التربة من مكانها ويحملها إلى مكان آخر، لا شىء يمكن أن يعرقله.. ومع ذلك، ومهما كان جبروته، فإن الناس لا يتهاونون بعد انتهاء الكارثة فى البحث عن وسائل لتلافى الفيضانات كالسدود والحواجز وغيرها. (هوركهايمر: بدايات فلسفة التاريخ البورجوازية..).

ـ وحول الدور الذى يعطيه ميكيافيلى للطبيعة التى تشبه (الإله) عنده يشير إلى أن الإرادة الإنسانية مشروطة بعوامل طبيعية كالغرائز والميول الطبيعية التى لا يستطيع أحد مقاومتها، تمامًا مثلما هى الحالة بالنسبة لسقوط الحجر الذى تحدده الجاذبية والثقالة.

وهكذا فبينما تكاد فاعلية الله فى التاريخ تنعدم عند ميكيافيلى، نجد الفاعلية الإنسانية ـ كذلك ـ هامشية، إذ هى محكومة بغرائز ميكانيكية مسيطرة وبقوانين طبيعية، فالإنسان جزء من الطبيعة، ولا يمكنه بأى طريقة أن يتحرر من قوانينها. وهو ليس حرًا إلا فيما يتعلق بإمكانية التصرف على أساس قراراته الشخصية، الحرية لا تعنى التحرر من الشروط الطبيعية. (هوركهايمر: بدايات فلسفة التاريخ...).

فالطبيعة وليس الله أو الإنسان، هى الفاعلة الأكبر فى التاريخ البشرى، والتاريخ بالتالى يمضى بطريقة ميكانيكية فيزيائية.. والدولة تشبه فى المحيط الإنسانى (القوة) المناظرة لقوة الطبيعة فى المحيط الكونى!!

وقد ذكر ميكيافيلى فى إحدى رسائله: «أن الطبيعة مثلما أعطت الناس وجوها مختلفة، وهبتهم أيضًا عقلاً مختلفا وأفكارًا مختلفة.. وينتج عن ذلك أن كل شخص يتصرف وفقًا لعقله وفكرته». ويعود عيب التصور الميكيافيلى للتاريخ إلى كونه يجعل هذا النمط الخصوصى «للتفكير وللإحساس» متعلقًا بعوامل طبيعية ثابتة تاريخيا دون اعتبار التغيرات الاجتماعية.

وطبقًا لمعنى العلم الجديد فإن ما هو ثابت نسبيًا وحده قابل للتفسير، ونظرًا لاعتبار الذرات عناصر ثابتة فقد شكل هذا الاعتبار أداة تفسيرية للفيزيقا. كذلك فإن

طبائع الإنسان عند ميكيافيلى تشكل آخر برهان يسمح بتفسير مجرى التاريخ، لأنها تنتج عن عناصر نفسية ثابتة: الغرائز والأهواء التى لا تتغير. (هوركهايمر: بدايات فلسفة التاريخ..).

وفى محاط آخر يأتى فريدريك نيتشه عابدا للقوة الإنسانية وللنتائج الواقعية التى تنتهى إليها حركات الصراع فى التاريخ.. فلا مكان إلا للإنسان، وأما غير الإنسان فهو غير موجود فى التاريخ.. بل إن التاريخ الطبيعى «علم الأحياء» يتمتع بتقديس خاص لدى نيتشه.. إنه النتيجة الحيوية الخالصة المتعانقة مع العقلانية الإنسانية، فالتفسير التام والمعرفة الناجزة لضرورة حدث تاريخى ما يمكنهما أن يصبحا وسيلة لعقلنة التاريخ، غير أن التاريخ المعتبر «فى ذاته» لا يمتلك عقلا، فهو ليس «جوهرا» من أى نوع كان، ولا «روحا» ينبغى أن ننحنى أمامه، ولا «قوة» ولكنه خلاصة مفهومية للأحداث التى تنتج عن صيرورة تطور حياة الناس الاجتماعية.

لا أحد هو مدعو من «التاريخ لكى يحيا أو لكى يموت، إن التاريخ لا يطرح أية مهمة كما أنه لا يحل أية مهمة أيضا. لا يوجد سوى بشر حقيقيون ينشطون ويجتازون العراقيل ويتمكنون من إنقاص الشر الفردى أو الجماعى الذى خلقوه هم أنفسهم أو خلقته قوى الطبيعة. ليست الدعوة المتعلقة بالاستقلالية الحلولية للتاريخ فى كائن جوهرى موحد سوى ميتافيزياء دوغمائية. (المرجع السابق..).

ولئن كان فيكو الإيطالى المتوفى سنة ١٧٤٤م يدعو العناية الإلهية «ملكة الشؤون البشرية» وإذا كان يتوجب على فهمه للتاريخ، كما يقول بوضوح «أن يكون برهنة على (العناية) كواقع تاريخى» ويبدو حينئذ بأن الدلالة الأساسية لفلسفته تتكون من الإيمان بمعنى إلهى ما وغاية مقدسة للتاريخ. وأنه عندما يطبق مفهوم (العناية) تطبيقا محسوسا يتضح بأنه لا يعنى بذلك سوى الإلحاح أو القانون الذى يدفع الناس، برغم غرائزهم الفردية والوحشية والأنانية، إلى تكوين مجتمع وثقافة. وما هو جوهرى فى التاريخى ليس الظواهر السطحية التى يصنف «فيكو» ضمنها بواعث وأعمال الناس الفردية، أن ما يتحقق هو بالأحرى تعاقب لأشكال اجتماعية تجعل العمل التمدينى للبشر ممكنا. (المرجع السابق...) غير أن فيكو يعود إلى كاثوليكيته فيرى أن الله يحاكم الإنسان بعد موته محاكمة عادلة.

هكذا يبقى الحكم على الفرد متعاليا عن التاريخ فى نظر فيكو. فى حين أن دين هيغل على العكس، يتكون أساسا من الإيمان بلا هوت ملازم - أى بإنجاز للعدالة المطلقة فى

المجتمع - وتتطابق عنده محاسبة العالم مباشرة بتاريخ العالم، وتغدو مسألة الألم الفردى بلا معنى، ذلك ان مثاليته تنكر على الفردية أية حقيقة جوهرية. يبين مثلا فيكو وهيغل بأن الإيمان الصادق بدين متعال ومنزل يسمح - على الأقل - فى العصر الحديث، باستكشاف للدنيا يكون أكثر موضوعية من الخلط الحلولى بين الله والعالم، وبين العقل والواقع. (المرجع السابق) إن فيكو ينطلق فى النهاية، مثل ميكيافيلى، من فكرة أن النتاجات البشرية ينبغى أن تفسر من خلال الضرورة وبتحديد أكثر: من خلال ردود الفعل على الضرورة المادية. إن شروط الحياة الخارجية والبيئة النفسية البدائية للبشر الأوائل هما العنصران اللذان يسمحان بتقديم تفسير للتاريخ البشرى.

ويمكن لتلك الظروف الفعلية فى الأزمنة البدائية أن تستنتج من المواد التى تزودنا بها شهادات التقليد المتوارث وخصوصا الأسطورة. (المرجع السابق...).

ومن المهم الإشارة إلى أن فيكو يستنتج شروط الحضارة من تفاعل الظروف المادية الخارجية والاستجابات الغرائزية لدى الناس، برغم لجوئه إلى العناية الإلهية فى إطار مادى حداثى.

وتعود شروط الحضارة جوهريًا - عند فيكو - إلى أربعة عناصر ناتجة عن التفاعل الذى أشرنا إليه. ويدعوها فيكو «الأسباب الأربعة» أو بالأحرى العناصر الأربعة الأساسية للعالم الاجتماعى (...): الأديان، الزواج، الملاجىء السكنية، وأول قانون زراعى (المرجع السابق..).

ويوضح فيكو بأن «العناية الإلهية فى مرحلة ما قبل القوانين دفعت الناس المتوحشين والعنيفين نحو الإنسانية وكونت الأمم بتحريك فكرة غامضة عند الناس فنسبوها بسبب جهلهم، إلى مخلوقات لم تكن لتمتلكها، ولخوفهم من ذلك الإله الخيالى، بدأوا بالتلاؤم مع نظام ما» (المرجع السابق...).

ونحن نلمح أن مفهوم الدين عند فيكو لا يعدو أن يكون الميثولوجيا «الأسطورية» التى تمنح الناس تعويضا زائفا، والتى يخترعها الناس البدائيون لمقاومة الخوف من الطبيعة أو من الناس الآخرين... وحتى فى العصور المتطورة يتطور مفهوم الدين لمعالجة حاجات ضرورية لكنه ليس أكثر من ميثولوجيا ملفقة وهمية تستجيب لتحديات معينة.

***

الثقافة الإسلامية فى جزر القمر فى مواجهة الثقافة الغربية

للأستاذ الدكتور/ عبدالله نجيب محمد

تتكون مجموعة جزر القُمُر من أربع جزر كبيرة إلى جانب ١٥ جزيرة صغيرة، وأكبر هذه الجزر هى جزيرة القمر الكبرى grand comoro (المجازيجا باللغة المحلية) وجزيرة انجوان (انزوانى) وجزيرة موهيلى (موالى)، وجزيرة مايوت «ماهورى» وسكان جزر القمر خليط من العرب اليمنيين والحضارمة والساكالاف والبانتو الافارقة والآسيويين من إيران وأندونيسيا والملايو وغيرها، ويبدو أن أول دخول للإسلام إلى هذه الجزر قد بدأ منذ القرن العاشر الميلادى، ولكنه تزايد فى القرون التالية بصورة ملحوظة.

ويورد الأوروبيون الذين زاروا جزر القمر عند منتصف القرن السابع عشر أن انجوان كان لها ملك يعتبر الرئيس الأعلى لجزر القمر الأربع، ويمكن أن يستخلص من المصادر نفسها أن كل جزيرة كان لها بحكم الواقع حاكم من أهلها، وفى سنة ١٦٠٢م كانت جزيرة «موهيلى» يحكمها ملك مسلم يستمتع بالاستقلال والهيبة، ويورد «جيفرى» قائمة بأسماء سلاطين «مايوت» الذين غطت عهودهم الفترة من ١٥٣٠م إلى ١٨٤٣م، وكان آخرهم من مدغشقر، وقد قيل إن «الحسن الحسنى» الجد قبل الأخير ومؤسس السلالة الحاكمة المعروفة كان له ولدان لكل منهما إسمان أحدهما بانتوى والآخر عربى، وهذا يحمل دلالة ضمنية ذات مغزى، وقد خلفه ولداه ووسعا سلطة السلالة الحسينية حتى شملت جزر القمر الأخرى[١]، وبعد ذلك سادت المنافسات الداخلية بين الحكام القدامى والجدد وقد ترتب على انتشار الإسلام تبنى أشكال حضارية جديدة، وطبقا للروايات العربية وجد نوع من النظام القضائى الإسلامى والتنظيم الإسلامى، وتحولت المدن بالإضافة إلى كونها مراكز لنشر الإسلام إلى وحدات إدارية تحكمها أسر محلية مسلمة، ومع ذلك نلاحظ أن تنظيم دول المدن احتفظ ببعض أصوله المحلية، مع استبدال بعض قواعده بقواعد إسلامية، وكان تأثير الإسلام فى هذا يتفق مع الدور المتزايد للطبقات الاجتماعية الجديدة التى صاهرت المسلمين ومدت نسبها إلى أصول عربية أو فارسية مشهورة، وعلى كل حال فقد توطد الإسلام السنى وأقيم نظام قضائى جديد قوامه (القضاة والنواب) (قضاة القرى) والمجالس (مجالس الفقهاء) كما كان للنظام التعليمى الجديد دور فى تشكيل جماعة قوية من العلماء يختار الحكام القضاة من بينهم ويحسبون حسابهم فى الوقت نفسه.

برغم التجزئة السياسية للجزر إلا أنه قد حل محلها إلى حد كبير تجانس دينى وثقافى ترسخ منذ عام ١٥٠٠م، حيث امتزج السكان من الناحية العرقية واختلط الدم العربى بالدم الأفريقى والدم الشيرازى وغيره ليشكلوا معا ثقافة واحدة بالمعنى العام، كان أهمها القاسم الأفريقى المشترك واللغة التى سرعان ما تطورت لتصبح لغة التعامل فى الجزر، ولا نزاع فى التأثير العميق للثقافة الإسلامية التى أدخلت مجموعة جديدة كاملة من الأبعاد الثقافية والدينية على الحضارة الموجودة، أدت إلى نوع من التجانس الثقافى العام.

هذا وقد أدى اعتناق السكان للإسلام إلى ارتباطهم بالعالم الإسلامى من حولهم، ومعروف أن العالم الإسلامى كان متمتعا فيما بين القرن العاشر والقرن الخامس عشر إلى أوائل القرن السادس عشر بمعرفة أكثر تقدما فى العلوم المختلفة، وبثقافة أكثر رقيا وتقنيات أفضل فى العمارة والصناعة، وبمستوى حضارى أرقى منه فى أى مكان آخر فى العالم، وقد أصبحت الجزر آنذاك موصولة بذلك المعين من الإبداع الفكرى والرقى الحضارى، هذا وقد قامت الأدلة على الاتصالات المتنامية بين المسلمين عربا وغير عرب وبين الساحل الشرقى الأفريقى وجزر القمر، وتزايدت الاتصالات الثقافية بين جنوب شبه الجزيرة العربية والجزر، وساد المذهب الشافعى بتأثير مهاجرين من اليمن الذين تأثروا بدورهم بمصر، وساعدت مدن مثل «عينات» و«تارم»، «مكة» و«المدينة» و«القاهرة» و«استانبول» فى تكوين العقلية المذهبية لعلماء المسلمين فى الجزر، وسافر

(١) - د.ك كينت: مدغشقر وجزر المحيط الهندى ص ٩٧٩ .

الطلاب من جزر القمر إلى الحجاز وحضرموت والقاهرة لتلقى العلم، وحصل بعضهم على إجازات تؤهلهم لتعليم اللغة العربية وتفسير القرآن والحديث وتدريس الشريعة الإسلامية فى المساجد أو فى غيرها، وقد أدى كل ذلك إلى نوع من المزج بين الثقافة القديمة والثقافة الإسلامية، واللغة السواحيلية نفسها شاهد على ذلك فهى لغة بانتوية الأصل ولكنها تأثرت بهذا المزج الثقافى إلى حد بعيد كذلك ظهرت أشكال اجتماعية جديدة، حيث التقى الوجه الاجتماعى للشريعة الإسلامية بكثير من عادات وتقاليد السكان، فالشريعة الإسلامية فردية وجماعية، والأسرة أكثر الأشكال قدسية فى الإسلام، وهى كذلك عند البانتو، فتعدلت قوانين الميراث والملكية واستغلال الأرض طبقا للشريعة الإسلامية وتطورت إلى الأفضل، وأصبح الفرد شخصية قانونية أمام المحاكم، وظهر نظام قضائى جديد استلهم العرف الذى كان يرقى فى هذه البلاد إلى مرتبة القانون الأساسى، ولذلك قالوا: «العرف كالقانون المكتوب»[٢]، وكانت القوانين والشرائع الإسلامية تتداخل بيسر فى الأنظمة الحكومية والإدارية والأنشطة الاقتصادية، وخاصة التجارة التى تستلزم الثقة والأمانة.

ويتمثل المظهر المحسوس للتأثير الإسلامى فى اتخاذ الألقاب الإسلامية وارتداء الأزياء العربية، وارتياد المساجد، وقد أورد بلانتيه وصفا لأهالى جزر القمر، وهى أوصاف يتضح منها الأثر العمانى أو اليمنى، فيقال إنهم يحملون فى أوساطهم خناجر معقوفة وذات مقابض من ذهب وفضة، أما النساء فيلبسن الحرير صافيا، ويجعلن على أكتافهن ورؤوسهن منديلا من الحرير، ويرخين نقابا مزركشا مفتوحا عند العينين ولا يخرجن للشوارع إلا وهن منقبات.

ويتحدث هؤلاء الكتاب وغيرهم عن حسن تمسك أهل هذه الجزر بالإسلام تمسكا شديدا، وعن كثرة المساجد التى وصل عددها إلى ٦٧٠ مسجدا فى المدن والقرى وإلى انتشار الكتاتيب والمدارس التى تعلم الدين واللغة العربية بجانب اللغة السواحيلية واللغات المحلية الأخرى، وكذلك تعدلت عادات الأهالى فى الزواج والختان والولادة والوفاة والطلاق وفى الاحتفال بالأعياد الإسلامية وبصوم شهر رمضان وبليلة القدر والإسراء والمعراج وغيرها من المناسبات الإسلامية[٣].

والواقع أن الحضارة فى الجزر كانت مثالا إقليميا للحضارة الإسلامية، فهى إقليميا تأثرت بالثقافة المحلية، وتمثل اللغة القمرية هذا الجانب، كما تمثل بعض المظاهر الأخرى

(٢) – سبنسر ترمنجهام: الإسلام فى شرق افريقيا صـ ٢٦٨ ترجمة محمد عاطف النواوى.

(٣) – راجع: رجب محمد عبد الحليم: العربية والإسلام فى أفريقيا الشرقية من ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين صـ ٢٨٦.

من الطقوس المتعلقة بالميلاد والزواج والمراسم الجنائزية ومراسم التنصيب والاعتقاد فى الأرواح، والرقصات التقليدية تمثل جانبا آخر من الثقافة الإقليمية.

هذا وقد مثلت الحضارة فى جزر القمر مزيجا من قيم وعادات المجموعات الوطنية سواء كانت أفريقية أو غيرها، وانصهرت معا فى بوتقة حضارية إسلامية جديدة كانت بمثابة إطار لها، وتحولت أسماء الحكام إلى أسماء عربية ولكن الواقع أنهم من أصول مختلطة، ولم يعد للون أثر اجتماعى أو سياسى كبير بل أصبح «اليوكو YUKO» الحسب والنسب والمكانة العلمية هى التى تميز شخصا بعينه وتحدد مكانته الاجتماعية.

٣- الثقافة الإسلامية فى مواجهة الثقافة الغربية:

وقد بدأ اهتمام القوى الأوروبية بجزر القمر، بتثبيت أقدامها فى مواقع منتقاة حول سواحلها، وجعلها مجرد محطات لتزويد السفن بالمؤن والمياه، وفى مرحلة تالية جعلت منها سوقا للمنتجات الأفريقية وأهمها الرقيق.

ثم بدأت موجات الرحالة والمستكشفين من البرتغال وانجلترا إلى الجزر منذ القرن السادس عشر، وأصبحت بعض أجزاء من سواحلها منذ سنة ١٦٣٠م قواعد لمجموعات من القراصنة الأوروبيين، وبهذا بدأت نهاية السلطة والسيطرة العربية، وكانت تلك أيضا بداية تحول طرق التجارة، وظلت الدول الأوروبية ممسكة بنفوذها فى الجزر مدة طويلة حيث فرضت فرنسا سيطرتها على جزيرة «مايوت» خلال عام ١٨٤١م، ثم وضعتها تحت حمايتها فى سنة ١٨٦٦م، ثم وسعت من سيطرتها وحمايتها على «أنجوان» و«القمر الكبرى» فى ١٨٩٢م[٤] وخلال عام ١٩٠٩م ازدادت السيطرة الفرنسية واستشرى تهديدها، وظلت فرنسا منذ ذلك التاريخ تقريبا تحكم الجزر حتى ١٩٦١، ثم أصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية فى ٢٦ يونية ١٩٧٥ «وثيقة استقلال جزر القمر»، ما عدا جزيرة «مايوت».

وبرغم إمكان القول بأن اهتمام الإدارات الفرنسية فى البداية كان ينصرف فى المحل الأول إلى السيطرة السياسية والاقتصادية، فإن الأمور المتعلقة بالدين والثقافة لم يكن من الممكن عزلها عن اهتماماتها، فقد افترض الحكام أن تحقيق التطور يقتضى تعديل الثقافة المحلية إن لم يكن تدميرها، ولذلك يمكن أن نرى كيف أنه لم يكن هناك مفر من أن تصطدم السياسة الفرنسية ببعض المعتقدات التقليدية التى تنهض عليها المجتمعات القمرية، فسعت إلى استئصالها بإصدار المراسيم والأوامر الإدارية[٥].

(٤) – محمد صفى الدين: افريقيا بين الدول الاوروبية صـ ١٠٠.

(٥) – العلاقات العربية الافريقية، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم القاهرة.

وساعدت العلمانية الغربية على انتشار النزعة التحررية فى بعض المجالات، وتغلغل التمدن وهو هدية الغرب الروحية فى قلوب وأرواح وعقول النخب، وكان ذلك خطرا على عقيدتهم حيث أدت إلى المادية والإفراط فى الحرص على الكسب والإفراط فى الاستهلاك وغير ذلك.

وقد تزايد تأثير الحضارة الغربية العلمانية فى القانون والتعليم وفى الحياة الاقتصادية ثم فى ظهور الدولة العلمانية، وقد قابل القمريون أفرادا وجماعات التجديدات الغربية بردود فعل مختلفة، وبالإضافة إلى ذلك يجب ملاحظة أن عدد المتعلمين فى هذه البلاد محدود وأغلب هؤلاء مازالوا يتبعون تقاليد أسلافهم ولا يدخلون عليها إلا تعديلات بسيطة.

أما الذين تلقوا تعليما عاليا فعددهم أقل بكثير، وهؤلاء يتنازعهم تياران، تيار ينادى بالتمسك بالتقاليد وآخر ينادى بتقبل الجديد، وبعضهم يرون سرعة التغير وآخرون يفزعون منه.

لم تستسلم الثقافة القمرية الإسلامية استسلاما كليا للغزو الثقافى الأوروبى، بل يمكن القول أنها تعرضت لبعض التعديلات، من ذلك مثلا، إدخال بعض النظم وبعض الأصول والإجراءات القضائية، ولكنها مهما بلغت درجة قبولها لم تؤدى إلى التخلى عن حدود القوانين والشرائع الموروثة، وإن كان النظامان قد تعرضا فى حالات كثيرة للتعديل خلال عمليات التكيف.

أما بالنسبة للجزر عموما، فإن أثر الاستعمار فى المجال الثقافى لم ينفذ إلى الأعماق، ولم يرسخ أقدامه بصفة دائمة، ولم يبلغ قط أغوار المناطق الريفية حيث ظلت الحياة تسير على سجيتها كما كانت تسير من قبل، وظل الفن المحلى والمعتقدات الدينية ثابتة الأقدام، وكل ما طرأ عليها من تعديلات واقتباسات كان على سبيل الإضافة لا الحذف.

ولابد من الإشارة أيضا إلى أن المسيحية لم تنجح إلا جزئيا فى هذه البلاد[٦]، ومع ذلك وبرغم استقلال البلاد فمازال المبشرون يحاولون اكتساب المزيد من الأتباع ويستخدمون المدارس والخدمات الطبية وغيرها كعملية منهجية فى هذا المضمار.

وقد تغير الآن المسرح فى جزر القمر بكامله وأصبحت المشكلة التى يواجهها المسلمون ناجمة عن اضطرارهم واحتياجهم إلى الاتجاه بأنظارهم إلى داخل بلدهم لكسب معاشهم، وأصبح عليهم أن يتأقلموا وفقا لمتطلباتها مما جعلهم يعانون أنواعا من القهر والتوتر، وكان من الطبيعى أن يعارضوا إحلال التعليم الغربى محل التعليم الذى ألفوه وأنسوا إليه، ولكن عندما تبين لعدد

(٦) - ليلى محمد مصطفى (بنت الوادى) جزر القمر دولة إسلامية عربية أفريقية، دار الشعب ط ٢٠٠١ صـ ٣٢.

قليل من المسلمين أن حياتهم يجب أن يطرأ عليها بعض التغيير لكي يتمكنوا من مسايرة العصر، نشطوا لتكوين جمعيات خاصة بهم لتنشيء المدارس، وتستخدم المعلمين لتدريس القرآن الكريم وتقوم بتوزيع النشرات الإسلامية والإنفاق على بعض الدارسين بإيفادهم لإكمال دراستهم بالخارج فى البلاد العربية خاصة.

وبرغم ذلك فانهم مازالوا حائرين بسبب بعد المدرسة العلمانية واختلافها تماما عن النظام الإسلامى، والمحافظون على موقفهم لم يغيروه، فالنظام التقليدى بالنسبة لهم لا بديل عنه، ويجب الحفاظ عليه والتمسك به، وقد روضوا أنفسهم على وجود التعليم الحديث العلمانى جنبا إلى جنب مع نظامهم الإسلامى.

وأكثر المشاكل التى تواجه القمريين اليوم ليست مجرد فتح مدارس جديدة، وإنما تكمن فى وضع اللغة العربية والإسلام فى التعليم الجديد، وفى اتباع الطرق الحديثة فى تدريسها، وفى خلق الدافع للمسلمين لكى يمارسوا مهنة التعليم والتدريب عليها، والواقع أن الحكومات على علم بتلك المشاكل وهى تدركها إدراكا تاما.

والذى يهم الجميع هو تعلم اللغة العربية كأساس لدراسة القرآن والفقة، ومن الطبيعى أن يكون تعليم البنات محدودا وبطيئا، ويوجد الآن عدد أكبر من المدارس الحديثة للفتيات المسلمات، إلا أنهم يصرون على فصل الجنسين فى سن البلوغ، ونتيجة لذلك يتوقف تعليم البنات عند المرحلة الابتدائية غالبا.

وفى البلاد بأسرها اتجاه نحو الإصلاح، لتشكيل المجتمع طبقا للاتجاهات الحديثة، ومع ذلك لم نر أن المجتمع التقليدى قد تأثر بتلك الاتجاهات، أو حدثت به تغيرات اجتماعية جوهرية، فالبناء الاجتماعى فى القرى والأرياف لم يتأثر كثيرا بالحكم الاستعمارى، والمسلمون يتمسكون بدينهم وقوانينهم الاجتماعية، وبخاصة العائلية فهى أقل نواحى الحياة تأثرا، وحتى أولئك الذين اتبعوا وسائل الحياة الحديثة يمتنعون عن القيام بأى تعديل فى حياتهم العائلية، أما التقسيم الطبقى القائم على وراثة الوضع الاجتماعى سواء كان وضعا متميزا أم غيره، فيبدو أن الحواجز الطبقية تعدلت أو خفت حدتها وأصبحت تقوم على أسس جديدة هى ثقافة الفرد الحديثة وثروته ومركزه الاجتماعى ثم نظرته إلى حقوق الفرد وحريته، كما أن العلاقة التقليدية بين الطبقات الاجتماعية آخذه فى التغيير، مثل علاقة الزعيم الدينى بالجماعة التى يعيش بينها، وطبقة ملاك الأراضى بالعمال والرعاة، وعلاقة شيخ القرية بأهلها وسكانها، ومع ذلك فإن كل الذى يمكن قوله هو أنه ليست هناك أية بوادر

على توقع حدوث تغيرات جوهرية أو ثورية وقد ظلت اللغة العربية لغة الإدارة والتعليم إلى أن أصبحت جزر القمر تحت الحماية الفرنسية فى منتصف القرن التاسع عشر، ومازالت لغة الدين والدواوين وتحظى باحترام وتقديس القمريين حتى الآن، باعتبارها لغة القرآن الكريم، ومازال الاعتقاد بأن صحة إسلام المرء تتم بتعلم العربية، ومن سمات تحضره أخذه بثقافتها، وما تزال العربية حاضرة فى التعليم وفى أسماء الأبناء والمدن والمعاملات، وما تزال تنقش على أبواب بيوتهم ومساجدهم ويكتب بها بعض المثقفين فى معاملاتهم.

وبعد الاستقلال وعملا بمقتضيات الدستور بدأت الحكومة فى تشجيع العربية، حيث نص الدستور القمرى الصادر بتاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٧٥م على اعتبار الإسلام هو دين الشعب القمرى، واللغتين الفرنسية والعربية هما اللغتان الرسميتان للبلاد، وتقوم الحكومة وبعض الجمعيات بإيفاد البعثات واستقبال الأساتذة لتدريس العربية بالمعاهد القمرية.

واللغة العربية أكثر انتشارا فى القرى والمدن النائية، ويعمل القمريون على تدريسها والعناية بها فى المدارس والكتاتيب فى كل مكان، هذا وقد ساهمت الدول العربية والإسلامية فى نشر وتدعيم العربية عن طريق رابطة العالم الإسلامى وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ومن خلال بعثات جامعة الأزهر وكليات الدعوة الإسلامية، كما ساهمت جامعة الدول العربية، بإهداء مطبعة إلى جزر القمر للمساعدة فى طبع ونشر الكتب العربية وقامت المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بوضع وإعداد برامج تعليمية جديدة تتلاءم مع البيئة القمرية، كما دربت بعض الأساتذة والمفتشين للغة العربية وطبعت بعض الكتب المدرسية(٧).

وفى النهاية يمكن القول: إن جزر القمر، عروس المحيط الهندى تختزن فى ذاكرتها تراثا ثقافيا ثريا، أفريقيا وآسيويا، ضمنه إلى تراثها العربى الإسلامى، وصنعت منه مزيجا ثقافيا فريدا، تحدت به عواصف الزمان وتحديات الاستعمار الذى دام قرابة مائة وخمسين عاما.

وتتسم الثقافة القمرية عامة بمسحة عربية إسلامية، جعلت السكان جميعا ينعمون بالسلام الاجتماعى النادر، ورقة المشاعر والأحاسيس، حيث يزاولون أنشطتهم الحياتية، ويمارسون فنونهم وآدابهم التى تضفى على حياتهم كثيرا من الوداعة والبهجة.

(٧) - المرجع السابق صـ ٣٠.

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾

أثر اللغة فى تقدم الأمة

للأستاذ الدكتور/ عبد المنعم يونس

يعجب المرء كثيرا من أمر تلك الشعوب التى تتسابق فى تقويض العرى التى تجمع بينها وبين سائر الأوطان التى تجمعها لغة واحدة، وتسعى جاهدة إلى انتشار لغات أخرى وافدة عليها لا تمثل تراثا كان فى يوم من الأيام يحمل أمجادها، ويؤدى دوره فى توطيد أركانها.

ويزيد من عجب المرء عندما يسير فى شوارع كثير من تلك المدن العربية والإسلامية فيجد أن هذه الشوارع قد غطت واجهات محلاتها عبارات أجنبية لا تمثل إلا أمرا واحداً هو القضاء على لغتنا العربية الأصيلة، فأسماء المحلات مكتوبة باللغة الانجليزية «بيتزا هت»، «تونكى» «لافوار»، وهكذا... عندها يجد المرء نفسه يهتف مع المتنبى:

مغانى الشعب طيب فى المغانى
بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربى فيها
غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها
سليمان لسار بترجمان(١)

فالمتنبى وهو العربى الضارب فى العروبة لغة وأرومة يقول إنه عندما ذهب إلى بلاد فارس وزار شعب بوان، وهو احد مدن فارس بشيراز رأى نفسه غريبا فى هذا المكان، لأنه لا يعرف، ولا يفهم كلامه، بل هذا المكان، وما فيه من ملاعب تشبه ملاعب الجن الذين لا يظهرون، لو سار فيها سليمان ـ عليه

(١) - شرح ديوان ابى الطيب المتنبى المسمى «معجز احمد لابى العلاء المعرى صـ ٤ صـ ٣٣٧ تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب، ط دار المعارف بمصر.

السلام.. على الرغم من معرفته بلغة الجن لسار بترجمان.

لكن الفرق بيننا وبين المتنبى أن الأخير كان يسير فى شعب بوان فى بلاد فارس، أما نحن فإننا نسير فى مدن عربية، عربية فى بنائها، عربية فى تنظيمها، عربية فى أسمائها، لكنها غير عربية فى لغتها فإذا تجاوزت عن أسماء تلك المحال التجارية فإنك تصدم بما يتحدث به بعض الشباب فى نواديهم ومجالسهم الخاصة، كأنهم ليسوا عربا، لقد تغير لسانهم، وأصبحت العجمة مسيطرة عليهم، بل إنهم يتباهون بذلك، ولا عجب فى ذلك، فكثير من المسلسلات المتلفزة تفسح مجالا واسعا لذلك، فلن تمر عليك دقيقة وأنت تشاهد بعض هذه المسلسلات دون أن تصدم بممثل يلوك الألفاظ الأجنبية، ويتباهى بها، ولا أريد أن أذكر أسماء بعض هذه المسلسلات، لأننى عن يقين من أن المشاهد العربى قد شاهد الكثير منها، وقد استاءوا كثيرا لذلك.

وأنا أتساءل لماذا كل ذلك؟ أهانت علينا لغتنا حتى نستبدلها بلغات أخرى؟ وهل خدعنا بما يبيته الاستعمار لنا، ليصرفنا عن لغتنا التى هى لغة القرآن، والتراث وعظمة التاريخ الإسلامى؟! إنها ظاهرة جد خطيرة علينا أن نتصدى لها، وعلى علمائنا، ومفكرينا أن يجردوا أقلامهم للوقوف فى وجه ذلك التيار الجارف، الذى يحاول أن يصرف الأمة العربية عن لغتها التى استمرت قرونا عديدة تحمل تراثها، وعظمة أمجادها وتاريخها.

لعلنى لا أكون قد اتيت بجديد عندما أقول إن اللغة العربية التى كانت وعاء للقرآن الكريم لم تنتشر فى ربوع البلاد الإسلامية غير الناطقة باللغة العربية إلا بإيمان هذه البلاد بالقرآن الكريم، وحرصهم الحرص كله على لغته، لأنها لغة لا تحمل أمجاد الأمة العربية فحسب، وإنما تحمل عظمة الإسلام ممثلة فى القرآن الكريم، وتؤديه هذه اللغة غضا إلى هذه البلاد كما قرأه رسول الله محمد ﷺ، وكما أنزله الله عليه: لأنه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ولا تقبل عبادة المسلم أيا كان لونه أو جنسه إلا إذا تعلم آيات من القرآن الكريم، وأداه كما كان يؤد به المسلمون الأوائل فى مشارق الأرض ومغربها.

ولماذا نذهب بعيدا، ألم يعلم هؤلاء الذين تغرهم لغة المستعمر، أو اللغات الأجنبية الأخرى أن الاستعمار حاول فى النصف الأول من القرن العشرين أن يبعد الأمة عن لغتها وأن ينشر لغته بين ربوعها، إما عن طريق فرضها على المدارس ودور العلم، أو عن طريق شغل المجيدين للغات الأوربية الوظائف السيادية، أو القيادية فى بلادنا، حتى يجعل غيرهم يقتدون بهم، فيتعلمون هذه اللغات ويتركون لغتهم الأم، وقد حدث ذلك فى المشرق العربى، والمغرب العربى - أيضا -

وكلنا يعلم أن المغرب العربى، وبخاصة الجزائر - قد عانى كثيرا فى تعريب دواوينه ولعله لا يزال يعانى حتى الآن على الرغم من تلك الأموال الطائلة التى أنفقت فى قضية التعريب.

ولم يقف الاستعمار عند ذلك بل أوحى إلى كثير من أذنابه فى الصحف والمجلات أن يتبنوا قضية العامية وأن يروجوا لها، وكتب كثير من الكتاب بعض المقالات التى تدعو إلى العامية، وتحاول جاهدة توطيد أركان العامية فى بلادنا، وكتب أحد الإنجليز كتابا يضع فيه أبجدية للهجة القاهرة العامية، وانخدع هؤلاء الكتاب بما قاله الأوربيون من أنهم لم يتقدموا إلا بعد أن تركوا اللغة اللاتينية، واستبدلوها باللهجات الأخرى - الفرنسية - الإنجليزية - الإيطالية.. ولم يعلموا أن اللغة العربية ليست لغة تؤدى ما تؤديه اللغات الأخرى، وإنما هى لغة مقدسة، لأنها تحمل قدسية القرآن، وقدسية العبادة التى يؤديها المسلمون - صبحهم - ومساءهم، أما اللغة اللاتينية فإنها لا تحمل تلك القدسية؟ لأن التوراة والإنجيل نزلا باللغة العبرية، وترجما إلى اللاتينية، ومنها إلى اللغات التى استحدثت فيما بعد، لكن الاستعمار أراد أن يصرف العرب والمسلمون عن لغة القرآن الكريم، حتى يتمكن من فرض لغته على المسلمين، وبذلك لا يتفاعل المسلمون مع لغتهم، ثم مع دينهم، بل ويتركوا قوميتهم، وتاريخهم ليجعلوا كل ذلك صورة محفورة فى خزائن الكتب لا صورة حية تذكرهم دائما بأمجادهم، وعظمة تاريخهم.



حافظ براهيم

إن القارىء العربى عليه أن يعلم أن هذه المعركة التى حدثت فى أوائل القرن الماضى قد قاومها الأدباء والمفكرون الذين دانوا بالإسلام، ولم تنطل عليهم الأعيب الاستعمار، فكتب حافظ إبراهيم قصيدته المشهورة والتى جاءت بعنوان «اللغة العربية تنعى نفسها بين أبنائها».

رجعت لنفسى، فاتهمت حصاتى
وناديت قومى فاحتسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشباب وليتنى
عقمت، فلم أجزع لقول عداتى
وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء المخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتى

إن العداء للفصحى لم ينشأ من المستعمر ورجاله فحسب، بل إنه - نشأ أيضا - من تلك الأبواق التى آمنت برأيه، واستأجرها

لترويج فكرته، حتى يأتى هذا الرأى من داخل العرب أنفسهم، فقد كتب أحد الكتاب فى مجلة «الهلال» مقالا يدافع فيه عن اللهجات السوقية يقول: «إنه يشتغل بضبط أحوالها، وتقييد شواردها لاستخدامها فى كتابة العلوم، وهو يؤكد فى مقاله.. أن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو من أهم أسباب تخلفنا الثقافى، ورغم أنه من الممكن اتخاذ أى لهجة عامية لغة للكتابة كالمصرية أو الشامية، وأنها ستكون أسهل على سائر المتكلمين بالعربية على اختلاف لهجاتهم من العربية الفصيحة، وزعم أيضا أن تعلق المسلمين باللغة الفصيحة لا مبرر له، لأن هناك كثيرين لا يتحدثون بالعربية، ولا يكتبون بها، ولأن اللغة التى يتكلمها المسلمون هى غير العربية الفصيحة على كل حال وقال: إن كل ما يطالب به هو وضع قواعد هذه اللغة التى يتكلمون بها فعلا وواقعا، وختم مقاله بقوله: وما أحرى أهل بلادنا أن ينشطوا من عقالهم طالبين التحرر من رق لغة صعبة المراس، قد استنزفت أوقاتهم، وقوى عقولهم الثمينة، وهى مع ذلك لا توليهم نفعا، بل أصبحت ثقلا يؤخرهم عن الجرى فى مضمار التمدن، وحاجزا يصدهم عن النجاح، ولى أمل بأن أرى الجرائد العربية قد غيرت لغتها، وبالأخص جريدة «الهلال» الغراء التى هى فى مقدمتها، وهذا أعده أعظم خطوة نحو النجاح، وهو غاية أملى ومنتهى رجائى»[2].

وإذا كانت هذه المحاولات السافرة لم تؤت أكلها لأن ثمرها نىء، وأفكارها خبيثة مكشوفة تنبه لها العامة والخاصة، وكتب الغيورون على اللغة والتراث والمقدسات مقالات مثل: الأستاذ مصطفى صادق الرافعى الذى كتب كثيرا من المقالات ضمنها كتابه «وحى القلم»[3]، منها ذلك المقال الذى كتبه تحت عنوان «اللغة والدين والعادات» بناه على جملة أفكار منها أن اللغة صورة حية لوجود الأمة فى أفكارها ومعانيها، وحقائق نفوسها، لأن اللغة تشترك فيها الأمة، فهى تدل على قومية الفكر، تتحد بها الأمة اتحادا فكريا، ودقة التعبير فى اللغة دليل على قوة سلطات الأمة، وعمق اللغة دليل على عمق روح الأمة، وميلها إلى التفكير والبحث فى الأسباب والعلل يقول الرافعى: «أما اللغة فهى صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها، وحقائق نفوسها، وجودا متميزا قائما بخصائصه، فهى قومية الفكر، تتحد بها

(٢) - د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر صـ ٢٤٤، والمقال المشار إليه جاء بمجلة الهلال عدد ١٥ مارس ١٩٠٢ تحت عنوان «الفصحى واللغة العامية لاسكندر المعلوف».

(٣) - مصطفى صادق الرافعى- وحى القلم جـ ٢ صـ ٢٢-٢٧ دار المعارف- الطبعة الثانية.

الأمة فى صورة التفكير وأساليب أخذ المعنى من المادة، والدقة فى تركيب اللغة دليل على دقة الملكات فى أهلها، وعمقها هو عمق الروح ودليل الحس على ميل الأمة إلى التفكير، والبحث فى الأسباب والعلل»[4].

ثم يلمس الكاتب دور الاستعمار فى محاولة إثناء الأمة عن لغتها، لأنه يعمل على تحول هذه الدولة المستعمرة عن لغتها، حتى يتمكن من السيطرة عليها فيقول: «لا جرم كانت لغة الأمة هى الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة فى التاريخ لا صورة محققة فى وجوده، فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر»[5].

إن الأمة العربية تتكلم لغة واحدة هى اللغة العربية الفصحى، فإذا حافظ شعب من شعوب هذه الأمة على لغته أمكنه عقد آصرة قوية بينه وبين غيره من سائر الشعوب الناطقة بهذه اللغة، أما إذا غلبت عليه اللهجة العامية، أو لغة المستعمر الذى يريد ترويجها، فإن تلك الآصرة ستكون ضعيفة، أو ستنمحى كلية، وبذلك يضمن المستعمر صرف هذا الشعب عن أمته، ويسهل عليه التحكم فيه، والتصرف فى مستقبله.

ثم يلمس الأستاذ مصطفى صادق الرافعى قضية لها خطرها على الشعوب التى تتعلق باللغات الأجنبية لأن هذه الشعوب تنزع إلى أهل هذه اللغات بطبيعة الحال، فهم يميلون إليهم، ويفاخرون بأمجادهم ويباهون غيرهم بهذه التبعية، لكن الشعوب العظيمة هى التى تجعل لغة المستعمر خاضعة للغتهم أو تكون هى اللغة الثانية، أما لغتهم الأصلية فتأتى الأولى دائما.

فكم رأينا شعوبا أهملت لغتها، وانبهرت بلغة غيرها، فأصبحت فى دائرة النسيان، لأنها تخضع بحكم اللغة إلى غيرها، ويحكم على ماضيها بالإهمال والنسيان، وعلى حاضرها بالتبعية، وعلى مستقبها بالمذلة والهوان، وقد يصدق هذا الحكم على كثير من الشعوب، التى فرض عليها الاستعمار لغته، وبالتالى فرض عليها التبعية له.. فاللغات- كما يقول الرافعى- تتنازع القومية، ولهى والله احتلال عقلى للشعوب التى ضعفت عصبيتها، وإذا هانت اللغة القومية على أهلها أثرت اللغة الأجنبية فى الخلق

(٤) مصطفى صادق الرافعى، وحى القلم، جـ٢ صـ ٢٢، ٢٧ ط دار المعارف، الطبعة الثانية

(٥) - وحى القلم جـ ٢، صـ ٢٢- ٢٧، المرجع السابق

القومى ما يؤثر الجو الأجنبى فى الجسم الذى انتقل إليه»(١).

لقد فتح الإسلام بلاداً كثيرة، واستقبلت هذه البلاد اللغة العربية على أنها لغة عبادة، فهى وعاء للقرآن الكريم، ووجدت فيها بعض الشعوب لغة حية لها تأثيرها الرائد، لأن هذه الشعوب وفدت على المجتمع الإسلامى وتأثرت بلغته بل ودافعت عن هذه اللغة، ونشأ كثير من الشعراء والكتاب فى ربوع الأمة العربية، وتأثروا بأدبها وشعرها، وكان منهم الذين أسهموا إسهاما رائدا فى الحفاظ عليها، والتقعيد لها.

والذى يستعرض أسماء الأدباء والشعراء والكتاب والعلماء الذين نشأوا إبان الدولة الأموية والعباسية يجد عددا هائلا منهم ليسوا عربا، وإنما تعربوا، وحافظوا على اللغة العربية وبذلوا جهدا رائدا فى فهم معانيها وأسرارها، فبشار بن برد، وأبو نواس، ومهيار الديلمى، وابن الرومى، والباقلانى، وعبد القاهر الجرجانى، وأبو الأسود الدؤلى، وبديع الزمان الهمزانى، والزمخشرى، والبخارى وغيرهم وغيرهم.

ويوم أن رأى بعض الكتاب العودة إلى اللغة الفارسية تقبلها أبناؤها على مضض، حتى قال بعضهم لأن أهجى بالعربية خير من أن أمدح بالفارسية، لأن اللغة العربية كانت فى نظرهم لغة الحياة، أو قل هى اللغة التى تجمع الأمة كلها على لغة سواء، وكيف ينسلخون من لغتهم التى هى قوام دينهم، والتى كتبوا بها، وحملت عواطفهم وأفكارهم زمنا ليس بالقصير؟!!

ليتنا نعود إلى لغتنا التى حملت أمجاد أمتنا قرونا عديدة، وأسهمت فى نقل حضارتنا إلى كثير من الأمم، وجعلتنا نفخر بما قدمنا من علوم ومعارف إلى سائر الأمم الأخرى، فمن يجهل الدور الذى قام به العرب فى الفيزياء والرياضيات والطب والفلسفة، وسائر العلوم التى كانت أوروبا فى يوم ما فقيرة فيها؟، وكانت ترسل أبناءها للتعلم على أيدى أولئك الرجال الذى قدموا معارفهم إلى الإنسانية دون تعصب أو ضن بها على غيرهم!

إن ما قام به علماء الأندلس، وعلماء المشرق لهو جدير بأن يضع الأمة العربية فى مصاف الأمم الرائدة فى مختلف المجالات، ولكن شريطة أن يرى ذلك أبناؤها، وأن ينظروا إلى ماضيهم نظرة إكبار، وعرفان بالدور الذى قام به أسلافهم، ويومها سيدأبون على تراثهم، ويحافظون على لغتهم، بل ويتباهون بها فى جميع الأوساط وعندها سيقدرنا العالم كله لأننا أمة رائدة فى جميع المجالات.

(١) - وحى القلم جـ ٣ صـ ٣٤.

علاقة الإنسان بالأشياء من الوجهة الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

قد يخيل إلى البعض، أن عدوان الإنسان على الأشياء لا يصادم طبيعة المنطق ولا طبيعة الدين، لأنه عدوان على كائن جمادى لا يحس من جهة، ولأننا من جهة أخرى نهينا ـ من الوجهة الدينية ـ عن إيقاع العذاب فقط بالأحياء وليس بالأشياء.

وهو تصور ساذج وخابط معاً، لأن الإسلام حين حدد علاقة الإنسان بإطاره المادىّ الذى هو الكون، أقامها على جسور من الحب والتعاطف الجمّ، حتى لا يدمّر أحدهما الآخر فى فورة غضب، أو فى لوثة لا مبالاة!!

فنحن مطالبون بامتلاك الآفاق والأعماق، ولكنه هذا النوع من الامتلاك النظيف، الذى يرى فى الزهرة جمالاً ينبغى أن لا يدمّر، وفى الغيمة جمالاً ينبغى أن لا يصادر، وفى الغدير الصغير جمالاً ينبغى أن لا يرنق!!

أما هذا النوع من الامتلاك الغليظ، الذى يفترض بعشوائية فادحة، أن من حقه أن يدمر كل ما يلقاه: فى الحدائق، وفى الشواطئ، وفى المركبات، وفى الميادين، وفى الشوارع، وفى المستشفيات، وفى النوادى، وفى واجهات البيوت.. فإنه مرفوض من الوجهة الاقتصادية، ومرفوض من الوجهة الاجتماعية، ومرفوض من الوجهة الجمالية.. أى أنه مرفوض من الوجهة الإسلامية التى هى الإطار الطبيعى لكل هذه الوجهات!!

فالذين يتصورون أن من حقهم أن يقتلوا الأشجار والأزهار، وأن يحطموا المقاعد والنوافذ، وأن يلوثوا الشارع والحائط، وأن يرنقوا الغدير والجدول، ليسوا على سواء مع فطرة الله فى الخلق، ولا مع الإسلام الذى يضع الجمال شرطاً فى كل عبادة، ومضمونا لكل بناء!!

إن الجمال فى الكون معراج إلى تأمل الأشياء وماوراء الأشياء، ودائما يحفز القرآن الكريم على حتمية أن نجول بأبصارنا وأفكارنا فى منادح الكون، أرضه وسمائه، ليقفنا فى النهاية أمام هذا الحس الإنسانى الشفيف الذى يجهش فى إخبات حقيقى:

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴾[1]

وما دام كل شئ مخلوقا هكذا لحكمة مقصودة، فكيف يباح لنا الاعتداء الغاشم عليه بلا تبرير؟

ولماذا لا نتوجه بالتفكير فيما يربط بيننا وبين الأشياء من منافع متبادلة؟

إن البيت هو الذى يجننا إذا جن المساء!! إن الشارع هو الذى نتبادل فيه أساسيات العيش والحياة!! إن السوق هو مجال الإنماء والإثراء؟

إن الجامعة هى مناط الفكر الحضارى: أليست الحياة كلها قائمة إذن على هذا التبادل النظيف بين الإنسان والأشياء؟ وهل يستطيع الإنسان أن يأبق من الأرض، أو يهرب من تحت السماء؟ فلماذا نعاند هذا الجدل الطبيعى، ونتخفى وراء عدوانية غير مفهومة، ونمزق إطارنا بلا هوادة وبلا تعقيل؟

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أتقوا اللاعنين، قالوا: وما اللاعنان؟ قال: الذى يتخلى فى طريق الناس أو ظلهم»[2].

وعن جابر ـ رضى الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال فى الماء الراكد»[3].

وعن أبن برزة قال: «قلت: يا نبى الله، علمنى شيئا انتفع به. قال: اعزل الأذى عن طريق المسلمين»[4].

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة، فى شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذى الناس»[5].

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها، فله بذلك أجر»[6].

هنا يتراوح الحديث عن الأشياء بين السلب والإيجاب، فلا ينبغى أن يتخلى (أى يُحْدِث) أحد فى طريق الناس، أو ظلهم.. لأن تلك جهالة إنسانية وجمالية

(1) آل عمران (١٩١).
(2) مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٧٢).
(3) مسند الإمام أحمد (٣/٣٥٠).
(4) مسند الإمام أحمد ٤/ ٤٢٠، ٤٢٣.
(5) صحيح مسلم (٤/٢٠٢١) برقم ١٢٩، ١٩١٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب (٣٦) فضل إزالة الأذى عن الطريق.
(6) مسند الإمام أحمد (٣/١٩١) بلفظ مختلف.

معا، فالطريق للسعى والكدح، والظل للجمام والراحة، وليسا لهذا النتن الذى يقزز ويشيع البؤس فى عافية الناس!!

ولا ينبغى أن يبال فى الماء أساسا، وفى هذا الماء الراكد على التخصيص، لأنك قد تضطر إلى الاغتسال أو الاغتراف من هذا الماء الذى رنقته بما أحدثته فيه!!

ولا ينبغى أن ندع سانحة لغرس شجرة تطرح ثمرة أو فيئا، ولا سانحة لقطع شجرة تطرح عقبة فى طريق الناس، أو حتى أذى.. لأن فى الغراس الأول توسيعا لقاعدة الخير فى الأشياء، ولأن فى القطع الثانى تقليصا لظل الشر فى الأرض.

وكما يكون تعامل الإنسان مع الأشياء تعامل جمال وفكر، يكون كذلك تعامل منفعة جزيلة تستأهل الشكر لا التبديد، فالماء الذى نريقه على الأرض بلا حساب، والطاقة التى نهدرها لسبب ولغير سبب، والطعام الفائض الذى نسقطه فى القمامات بغلاظة فاحشة، والمال الذى نحرقه فى المخدر والمفتر والمسكر فى مباراة فاجعة.. كل أولئك يشى بأننا نعيش فى عزلة قابضة عن طبيعة الحس الإسلامى المثقف، الذى يرى فى هذه الأشياء الجليلة مدخلا إلى إيمان حقيقى بما هى هبة السماء إلى الأرض، فكيف نبددها بكل هذا الغباء الغليظ؟

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
٦٣ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٦٤ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
٦٧ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٨ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ٦٩ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
٧٠ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ٧١ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ
نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ
٧٣ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾[7].

ولقد أصل الإسلام فى هذا الصدد لمنطق منهج سلوكى شامل، ربما يبرز نوعية العلاقة بين الإنسان وكل الأشياء ـ من الوجهة الإسلامية ـ ذات ملامح متفردة، فإذا قامت مثل هذه العلاقات ـ فى غير الإسلام ـ على مجرد التلازم الوجودى بين الإنسان وإطاره المادى الذى هو الأشياء، فإنها تنهض فى الإسلام على أساس من التعاطف الحميم الذى يرى فى الأشياء نعمة ممنوحة لا نقمة متسلطة.. حتى فى الظواهر الطبيعية الفاجعة ينقب الحس الإسلامى عن مواطن الجمال والجلال فى هذه الظواهر، ولا يدع الإنسان المسلم يحدق فى وجهها القبيح إلا بعد أن يمنحه اقتدارا ما على تأمل وجهها الجميل، حتى تتعادل أبعاد الظاهرة فلا تظل شرا مطلقا،

(7) الواقعة (٦٣: ٧٤).

وإنما تستحيل ـ فى بعض جوانبها ـ إلى خير محقق، أو حتى مأمول وليست هذه الوضعية المسلمة بعارية عن الحكمة، ولكنها مليئة بقيم الجدوى وصواب العلاقات، لأن الإنسان حين يقيم علاقته مع الكون على أساس من الحبّ والتعاطف والجدوى وتبادل الإسرار الحميم، تصبح الحياة الإنسانية فى الكون مليئة بالأمن والتفاؤل وحس التجاوب الحى.. أما إذا أقامها على أساس من التوجس والقهر وتربّص العلاقات، فإنها تصبح نوعا من العذاب المدمّر، ونوعا آخر من كراهية الأشياء والأحياء، ونوعا ثالثا من تأويل كل ما يحدث ـ وحدوثه حتم ـ على أنه مؤامرة كونية ضدّ وجود الإنسان فى الوجود!! ومن هنا بطّن الإسلامُ حركة هذه الظاهرة بنوع من التفاؤل وحسّ الإخبات والتهليل.

(كان عبدالله بن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال: سبحان الذى (يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته).

وعن كعب أنه قال: من قال ذلك ثلاثا عوفى من ذلك الرعد، وفى الترمذى عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: «اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك».

إن الحس الإسلامى هنا يسلحك ازاء تمرّدِ الأشياء بضبط قوانينها الشاملة أى بحتمية التواصل مع قانونها الأول، فإذا أنت فعلت، فلا عليك أن تملأ جفنيك بالأمان وتنام.. ليس هنا ترك للإنسان فى مواجهة عارية مع الطبيعة الفظة ربما تملأ عليه حياته بقلق الخوف، وتوقع الفاجع... وإنما هنا عودة بكل الظاهرة ـ الإنسانية والطبيعية ـ إلى مصدرها الإلهىّ، وتحكيم مطلق العدل فى مطلق الوجود، والاطمئنان الآنىّ واللاّ محدود إلى حتمية القرار فى حضن اللّياذ بالأعلى.. كذلك هناك تضمين لأرهف ما فى الوجود من إحساسات (وهو التسبيح بالحمد) فى قلب أرهب ما فى الوجود من ظواهر (وهو دمدمة الرعد) حتى لا ينخلع الناس، ولا يعادون إطارهم الكونىّ.. وحتى يروا فى الدمدمة أطياف التناغم، هنا كذلك عودة بكل الظاهرة إلى مصدرها الإلهى.. وليس التخبط بها فى مفارق الأشباه والنظائر!!

ولا تفتأ الوجهة الإسلامية تذكر الناس بأن الشّر والخير فى مفهومهم القاصر نسبيان تماما، حتى لا تصاب حركتهم الحياتية بالتخثّر المتخم أو بالإحباط الرهيب.. إنهم يلهثون على طريق الطلب وتمنى أن تجىء الأشياء، فإذا جاءت، واستمرت، فربما فزعوا إلى الطريق

النقيض وتمنّوا أن تغيض... من هنا يلفتهم الإسلام إلى القصْد فى كل من الاتجاهين، وإلى التسليم بأن ما يسوؤهم قد يسعد سواهم:

فى الصحيحين، عن أنس قال: دخل رجل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب الناس، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، قال أنس: والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بنيان ولا دار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس ستا ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائما، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الأكام، والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر، قال: فأقلعت وخرجنا نمشى فى الشمس».

هنا ـ فوق تعرية تردّد الطبائع الإنسانية بين الإلحاف فى طلب الطلب ثم الإلحاف فى طلب الحجْب ـ إطلالُ الإنسان الإلهىَ على تواصل العطاء الفوقىَ، فهو لا يرفض هدايا السماء ولا يمكن له أن يرفضها، حتى وهى توشك أن تعطل دورة الحياة فى بعض من الأشياء، ولكنه يدعو أن تُسدَّد فى اتجاه الأكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر.. وهذه قمة الحسّ المسئول عن كل التاريخ وليس عن فقرة أو عدة فقرات من كتابه، لأن حكمة الأشياء أشمل من أن تكون حكمة شئ واحد.

لقد كان النبى ﷺ حريصا على أن يؤكد فى أخلاد المسلمين أن آيات الله فى الطبيعة لا تسير وفق مشيئة جيل أو قبيل، وإنما هى محكومة بمنطق أعرض وأشمل، فقد أرجو الشئ الذى يلحّ فى رجاء دفعه سواى، وقد يصيبنى مطلق الشرّ مما يصيب الأغيار بمطلق الخير... وتأسيسا على هذه المسلّمة ينبغى أن يظل المسلم فى إطار محدوديته صامدا على مشارف إيمانه، فإذا هبّت نسائم الخير فليحمد الله، وإذا جاءه غير ذلك فليستعذ بالله ثم يكدح.

قال أبو هريرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الريح من روح الله تعالى، تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب فإذا رأيتموها فلا تسبوها، وأسألوا الله من خيرها، واستعيذوا بالله من شرها». [8]

(٨) مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٦٨).

وإذنْ فعلاقة الإنسان بالأشياء والأحياء تبدأ بشكر النعمة وتسبيح المنعم:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾(٩)

وتنتهى إلى تأسيس جدل حقيقىّ بين الإنسان والأشياء، توشك أن تكون علاقة حىّ بحى، وعاقل بعاقل، وكائن مملوء بالوعى بكائن مملوء بالوعى، فهما ـ نعنى الإنسان والأشياء ـ يتناجيان تحت سماء حبّ أكيد:

روى النسائى: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سوارى المسجد، فلما صُنِع المنبر واستوى عليه، اضطربت تلك السارية تحن كحنين الناقة، حتى سمعها أهل المسجد، حتى نزل إليها رسول الله ﷺ فاعتنقها.

وفى صحيح مسلم عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: «لأنه حديث عهد بربه».

ومتى تمّ للمسلم هذا الحسّ الكونىّ، فهو مؤهل لحفاوة الأشياء به.. إن المكان ليحتفى بإنسانه النظيف، وإن الزمان ليحتفى هو الآخر بإنسانه الفاضل، لأنهما بإنسانهما الفاضل النظيف، سيصيران محراب عبادة لا مباءة تهتك، ومجالى إبداع لا سراديب مؤامرة، وطريق عروج إلى الله لا مهاوى انحدار إلى الشيطان!!

وحين يصبح الإنسان مؤهلا لحفاوة الكون به، يصبح الكون فى نفس اللحظة مؤهلا هو الآخر لحفاوة بلا حدود، لأنه استطاع بذكاء شديد أن ينتخب إنسانه المثالى:

فعن على بن أبى طالب قال: «كنت مع رسول الله ﷺ بمكة، فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله».(١٠)

وعن جابر بن سمرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إن بمكة حجراً كان يسلّم علىّ ليالى بعثت، إنى لأعرفه الآن».(١١)

ومن هذا المنطلق، منطلق تجاوب الكون والإنسان، عمل الإسلام على تأصيل علاقة الإنسان بالأشياء ـ حتى التى يملكها ـ على منطق الارتفاع بحسّ الملكية عن مراغة الامتلاء المغرور، أو الأثرة الفاجعة، أو الاستعلاء المريض.. وأكّد فى وعيه دائما، أن منطق الملكية فى الإسلام موشوج بذروة التسليم بأنها موهوبة لا مكسوبة، وبأنها تمت وفق مشيئة عليا، وفى حراسة قوة عليا، وما لم تستطرد على هذا المنهج الإلهىّ فهى مرهونة بالزوال وحتمية الصيرورة:

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾(١٢).

وإذن فنحن فى علاقتنا بالأشياء نتردّد بين أشياء نحتازها وبين أشياء تحتازنا كذلك!!

ولكن هناك نوعية من الأشياء التى لا نملكها ولا تملكنا، إذ هى فوق الملك والاحتياز، ولكنها تفرض علينا أن نتناولها بحسّ عبادىّ، ونقف منها موقف الخاشع الضارع لا موقف المسيطر المالك، تلك هى ما حدده الإسلام من قبلة ومناسك ومساجد وأماكن مقدسة، فنحن فى هذه الأطر لا نملك إلا حتمية الخشوع وتقديس المقدسات!!

هل يعنى ذلك ـ من الوجهة الإسلامية ـ أننا عُبّاد أمكنة وأزمنة؟؟ لا يستطيع ـ حتى مكابر ـ أن يزعم مثل هذه الفرضية المنكرة، لأن صيحة الإسلام الأولى كانت هى التوحيد فى مواجهة التوثين، والتعقيل فى مواجهة الخرافة، والتنزيه لطاقات الروح والبدن عن أن تخرّ ساجدة لغير خالق الإنسان والأشياء!!

كل ما هناك أن الإسلام أقام هذه العلاقة العاقلة بين الكائن والكون، حتى لا يدمر كلاهما الآخر، ولا يقنط أحدهما من صاحبه، ولا يفسّر جانب حركة جانب على أنها عدوان مبيّت، أو افتئات مقصود!!

وبعد ذلك يطلق الإسلام للإنسان، كل طاقاته فى تفجير الأرض عن كنوزها الهائلة، ربما وفق إيقاع شرط واحد: أن يتم كل أولئك فى إطار المشروعية النظيفة، وامتلاك غاية إنسانية فى كل فعل مادىّ!!

هذه ملامح من علاقة الإنسان بالأشياء من الوجهة الإسلامية، وهى تشكل منهجاً مغايرا تمام المغايرة لسائر مناهج العلاقة فى سائر المواضعات، وقمين بنا ـ نحن المسلمين ـ أن نرابط على حدود إسلامنا هذه، فلا نذوب فى جذب الإحساس باليباب!!

(٩) الزخرف (١٣).

(١٠) سنن الترمذى (٥/٢٥٣) رقم ٣٧٠٥، كتاب المناقب.

(١١) سنن الترمذى (٥/٢٥٢) رقم ٣٧٠٢، كتاب المناقب، باب ما جاء فى نبوة النبى صلى الله عليه وسلم وما قد خصه الله به.

(١٢) الكهف (٣٩).

الأم ودورها التربوى

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

الأم فى اللغة: أصل الشىء، وهى بمعنى والدة الإنسان- موضع مدح وذم فى لغة العرب وأدبهم. فهم يقولون لمن أرادوا مدحه: رشد ورشدت أمه، ولمن أرادوا ذمه: هوت أمه.

ومنه قول كعب بن سعد الغفوى:

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا

وماذا يؤدى الليل حين يثوب

وجاء على لغتهم قوله تعالى:

﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾(١).

قال القرطبى:

«يعنى جهنم وسماها أما لأنه يأوى إليها كما يأوى إلى أمه، ومنه قول أمية بن أبى الصلت:

فالأرض معقلنا وكانت أمنا

فيها مقابرنا وفيها نولد(٢)

والعرب تجمع الأم على جمعين: الأمات والأمهات. وقال بعضهم: الأمات لغير الآدميين، والأمهات للآدميين العقلاء. ولكن ابن منظور فى لسان العرب(٣) أورد شواهد شعرية كثيرة ترد:

على هذا الرأى منها قول جرير:

لقد ولد الأخيطل أم سوء

مقلدة من الأمات عارا

حيث استخدم (الأمات) مع العاقل. وقال آخر مستخدما كلمة (الأمهات) مع القرود:

رمى أمهات القرد لذع من السفا

وأحصد من قربانه الزهر النضر

وقد حفل الأدب العربى القديم بما يدل على مكانة الأم وما لها من أثر فى حياة أبنائها فهى منبع العطف، ومصدر الحنان. ومن أمثالهم التى كانوا يتداولونها قولهم «أم فرشت فنامت» ويروى «أم فرشت

(١) القارعة (٩).

(٢) القرطبى، الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص١٦٧.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، ص ١٣٤-١٣٥.

فنامت»(٤). يضربونه فى بر الرجل بصاحبه. أى أن الصاحب البر يكون لصاحبه حنانا ومحبة بمثابة الأم التى تمهد الفراش لوليدها، وتسهر تحرسه فينام هنيأ قرير العين. وقد ورد هذا المعنى نفسه فى شعر قران بن غوية الضبى الشاعر الجاهلى الذى قال:

وكنت له عما لطيفا ووالدا

رؤوفا وأما مهدت فنامت

كما ورد فى رجز لأبى وجزة (يزيد بن عبيد السلمى ت ١٣٠هـ) يخاطب فيه ابنه عبيدا فيقول:

فارجع إلى أمك تفرشك ونم

إلى عجوز رأسها مثل الإرم(٥)

واطعم فإن الله رازق الطعم

كما كانت العرب تستخدم لفظ «الأم» فى التكنية كثيرا فهم يقولون للحمى «أم كلبة»، وللمنية «أم اللهيم»، وللخبز «أم جابر»، وللحرب «أم ربيق»، وللدنيا أم درز»، وللمقبرة «أم عامر»... إلخ.

تربية الأمهات فى القرآن الكريم

وقبل أن نتطرق إلى المسئولية التربوية للأمهات فى ضوء القرآن الكريم يحسن بنا أن نتوقف أمام نظرة القرآن الكريم للأم التى تناط بها تلك المسئوليات. فقد عنى عناية بالغة بأخلاق الأمهات فمن ذلك:

تخصيص النساء بالموعظة فى مجال تحريم السخرية بالآخرين:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٦)

تربية المرأة المسلمة على الفضائل الخلقية مثل الحفاظ على التستر وعدم إظهار العورات قال تعالى:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٧)

(٤) الميدانى، مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧، ص ٣٥، وقد ورد بلفظ (أم فرشت فنامت).

(٥) ابن المحاسن محمد بن على العبدرى الشيبى (ت ٨٣٧هـ)، تمثال الأمثال، ج١، تحقيق د. أسعد ذبيان (بيروت: دار المسيرة، ١٩٨٢) ص ٢١٢، والإرم: الحجارة.

(٦) الحجرات (١١).

(٧) النور (٣١).

وقال أيضا:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٨).

كما أشاد القرآن الكريم بالتربية الدينية للأم حين ذكر نبى الله إسماعيل عليه السلام ابن إبراهيم عليه السلام فقال تعالى مشيدا بتربيته لأهله:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾(٩).

ووجه النداء نفسه إلى النبى محمد ﷺ ولكل مسلم فقال تعالى:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(١٠)

وأجمل القرآن الكريم الآداب التي يجب أن تتحلى بها المرأة حين جعلها شروطا لبيعة النبى ﷺ للمهاجرات فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١١)

المسئولية التربوية للأم فى ضوء القرآن الكريم

إذا كان التشريع الإلهى ممثلا فى القرآن الكريم قد جعل القوامة للرجل على أسرته تقديرا لمسئوليته الاقتصادية عن الأسرة، وجعل للمرأة وظيفة أساسية هى (الأمومة) ورعاية أبنائها، فإن هذا التقسيم لم يرد فى القرآن الكريم قسرياً نهائياً غير قابل للمناقشة. بل إن قصة خروج ابنتي نبى الله شعيب للعمل وسقى البهائم دليلا على إمكانية خروج المرأة للعمل إذا اضطرتها الظروف.

ومع ذلك فإن على الأم مسئوليات تربوية - سواء أكانت ربة منزل أم عاملة - تتمثل فى النقاط الآتية.

الإعـــداد البدنـــى

ويتمثل فى ارضاعها لأطفالها وإطعامهم ورعاية حاجات النمو لديهم. قال تعالى:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١٢)

(٨) الأحزاب (٥٩).

(٩) مريم (٥٤، ٥٥).

(١٠) طه (١٣٢).

(١١) الممتحنة (١٢).

(١٢) البقرة (٢٣٣).

وقال أيضا فى قصة موسى عليه السلام:

﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٣).

وقد أثبت العلم الحديث أن للرضاعة الطبيعية تأثيرا نفسيا مريحا للرضيع إلى جانب وظيفتها الأساسية وهى التغذية. وتشمل مسئولية الإعداد البدنى للطفل - المنوطة بالأم - تعويد الطفل العادات الغذائية السليمة بعد فطامه واستغنائه عن الرضاعة بما يشمله ذلك من النظافة الشخصية والأكل باليمين والأكل مما يليه وما شاكل ذلك.

كما يشمل الإعداد البدنى أيضاً تعويد الطفل العادات الصحية فى الشرب والنوم والإخراج وما يتصل بذلك مما تقوم به الأمهات فى العادة، ومما يتصل بالإعداد البدنى للطفل عملية الفطام، قال تعالى:

﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٤)

والفصال فى اللغة هو الفطام. ويجب على الأم قبل أن تفطم وليدها أن تعوده تناول بعض الأطعمة الخفيفة. ويفضل أن يكون فطام الأطفال فى فصل الشتاء وأوائل الربيع أو فى الخريف لأن الأغذية تتخمر فى الصيف وتصير غير صالحة للأطفال فتسبب إسهالاً وقيئاً وأحيانا التهابات معوية (١٥).

الإعـــداد النفســى

نقصد بالإعداد النفسى ما يعبر فى الشريعة الإسلامية بلفظ (الحضانة) والحضانة فى اللغة مشتقة من الحضن وهو الصدر والعضدان وما بينهما وهى فى الشرع كما عرفها المالكية: «حفظ الولد فى مبيته وذهابه ومجيئه والقيام بمصالحه من طعام ولباس وتنظيف جسمه وموضعه»(١٦) ويلاحظ أن تعريف المالكية هذا للحضانة يكاد يحصرها فى جوانبها البدنية المادية التى أشرنا إليها في النقطة السابقة. وإن كان فى بدايته يشير إلى نوع من الرعاية النفسية. أما تعريف الحنابلة فإنه يتسع للوظائف النفسية للحضانة التى يحددها الحنابلة بقولهم إنها «حفظ صغير أو مجنون أو معتوه

(١٣) القصص (١٢، ١٣).

(١٤) لقمان (١٤).

(١٥) محمد فريد وجدى، دائرة معارف القرن العشرين، م٧، ط٣ (بيروت: دار المعرفة، ١٩٧١) ص ٣١٢.

(١٦) العلامة محمد عرفة الدسوقى، حاشية الدسوقى على الشرح الكبير، م٢ (القاهرة: مكتبة عيسى بابي الحلبي، د.ت) ص ٥٢٦.

[وهو المختل العقل] مما يضرهم وتربيتهم بعمل مصالحهم كغسل رأس الطفل ويديه وثيابه وتكحيله وربطه فى المهد وتحريكه لينام ونحوه»[17].

فإذا استعد الطفل للاعتماد على الغذاء الخارجى مع بدء عملية الفطام، تزايدت مسئولية الأم فى رعايته نفسيا حتى لا يشعر بانقباض لابتعاده عن ثديها الذى كان ارتباطه به منذ ولادته دائماً ومستمراً ومشوباً بالحنان.

ومما يتصل بالإعداد النفسى ما قرره القرآن الكريم فى شأن الأسر التى تعانى من التصدع. إذ يجب على المرأة فى هذه الحالة أن تسعى مع زوجها إلى إيجاد حلول لما ينشأ بينهما من نزاعات وفى ذلك قيمة تربوية كبرى تتعلق بنشأة الأبناء فى كنف الوالدين معاً بدلاً من الطلاق الذى يتصدع معه بناء الأسر، قال تعالى:

﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[18].

تربية العقيدة

من المسئوليات التربوية للأم تربية أبنائها على العقيدة الصحيحة. وقد أشار القرآن الكريم إلى دور الأم فى هذا الصدد من خلال قصة ابن نوح الذى كفر وقال لأبيه وهو يدعوه للركوب فى السفينة مع المؤمنين:

﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾[19].

ونحن نعرف أن هذا الابن مات كافراً، وأن أثر الأم واضح فى شخصيته فامرأة نوح كافرة بنص القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾[20].

وقال فى شأن امرأة لوط عليه السلام التى خانت زوجها وانحازت إلى قومها المنحرفين:

(17) البهوتى (منصور بن يونس) كشاف الإقناع عن متن الاقناع، ج5 (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، د.ت) ص495.

(18) النساء (128). (19) هود (42).

(20) التحريم (10).

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[21]

﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[22].

وقد روى القرآن الكريم قصة الابن العاق الذى دعاه والداه إلى التوحيد فأهانهما ورفض أن يدخل فى دين الله الحق، فقال تعالى:

﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[23].

فهذه الآية تدل على تعاون الأم مع الأب فى تنشئة أولادها تنشئة دينية صحيحة.

التربية الجنسية

من مسئوليات الأم التربوية أن تربى بناتها وأبناءها التربية الجنسية السليمة وذلك- كما يتضح من القرآن الكريم- يكون عبر أساليب سامية راقية منها:

تعريف الأبناء بمفهوم العورات الذى حددته آية الاستئذان [النور/ 58] التى حثت على عدم دخول الصبيان والعبيد والإماء إلى البيوت دون استئذان. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[24].

تعريف الأطفال بمعنى بلوغ الحلم وما يترتب عليه من حقوق وواجبات بالنسبة لكل من الفتى والفتاة.

تعريف البنات بما يجب عليهن من ستر عوراتهن وعدم التبرج بالزينة وتعويدهن المشية المستقيمة التى لا تكشف مفاتن الفتاة.

تعريف الفتيات معنى الحيض وما يتعلق به من أعمال شرعية.

***

(21) النمل (57). (22) هود (81).

(23) الأحقاف (17). (24) النور (58).

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

دفن الرجل فى مدفن النساء

● نمتلك مدفناً فى بلدنا وقد تعارفنا على أن لكل أسرة من العائلة مدفناً خاصاً بها بعضه للرجال وبعضه للنساء، وأحياناً يحدث أن يدفن أحد أفراد أسرة عند أسرة أخرى من نفس العائلة نتيجة لظروف المدفن، وحدث أن رجلا بترت ساقه ودفنت بمدفن أسرة أخرى من نفس العائلة فى مقبرة الحريم، ثم توفى هذا الرجل بعد فترة ودفن مع ساقه فى نفس المقبرة بناء على معلومات غير دقيقة من الرجل الموكل بحراسة المدفن، وحدث أن بعض سيدات الأسرة المدفون عندها الرجل رأين رؤيا منامية تفيد تضرر الأموات من وجود هذا الشخص بين النساء، واستنكار الأموات من الرجال من وجود هذا الرجل بين نساء الأسرة.

نرجو التفضل بالإفادة.. هل يتم إخراج جثة هذا الرجل.. أم تبقى كما هى ولا يلتفت إلى الرؤيا؟ علما بأن الوفاة مضى عليها أكثر من ستة أشهر.

- الجواب:

يجب على المسئولين عن هذه المدافن نقل رفات هذا الرجل من مقبرة النساء وإعادة دفنها مع الرجال، قال النووى المنهاج: ونبشه بعد دفنه للنقل وغيره حرام إلا لضرورة. أهـ وقال الخطيب الشربينى: ولا يجمع رجل وامرأة فى قبر إلا لضرورة. أ.هـ وحيث لا ضرورة فى صورة السؤال يجب نقل الميت الرجل من مدفن النساء.

الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة

● هل تجوز الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة؟ وبماذا تفسر الأحاديث التى جاء بها النهى عن الصلاة فى مثل هذه المساجد والتى تشتمل بعضها على لعن من اتخذ القبور مساجد؟

- الجواب:

نعم تجوز الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة، كما عليه الكثير من أهل العلم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـى جمعـة
مفتى جمهورية مصر العربية

مستدلين بصحة الصلاة فى المسجد النبوى الشريف مع اشتماله على أضرحة وقبور لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فضلا عن البقعة المشرفة الطاهرة المتضمنة لجسد المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومستدلين بقول الله تعالى:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾

(الكهف ٢١)

ولم يعقب القرآن الكريم بإنكار فعلهم، وبما رواه موسى بن عقبة فى مسنده أن أبا بصير لما توفى فى حياة رسول الله ﷺ دفنه أصحابه فى جدة البحر وبنوا عليه مسجدا ولم ينكر عليهم الرسول ﷺ ذلك، ثم استدلوا بانتشار ذلك فى بلاد المسلمين شرقا وغربا من القديم بلا نكير من علماء المسلمين.

أما الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما مرفوعا عن عائشة وغيرها من لعن الذين يتخذون المساجد على القبور فيقول النووى فى شرح مسلم: قال العلماء: إنما نهى النبى ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفا من المبالغة فى تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية.

ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعين إلى الزيادة فى مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضى الله عنها مدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبي بكر وعمر رضى الله عنهما بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر فى المسجد فيصلى إليه العوام ويؤدى إلى المحذور ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر أ.هـ.

ومن هذا النقل يظهر أن المنهى عنه هو الصلاة على القبر أو إليه، بمعنى اتخاذه قبلة،

فإذا كان القبر بمعزل عن المصلى أو فى غير اتجاه القبلة، أو عليه ما يحيط به أو فى حجرة منفصلة فكل ذلك يمنع من المحذور ويحقق الجواز.

وقال العينى فى شرحه على صحيح البخارى: وقال البيضاوى: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لشانهم ويجعلونها قبلة يتوجهون نحوها فى الصلاة واتخذوها أوثاناً لعنهم النبى صلى الله عليه وسلم ومنع المسلمين عن مثل ذلك، فأما من اتخذ مسجداً فى جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم له ولا للتوجه إليه فلا يدخل فى الوعيد المذكور.

ويشرح البندنيجى من الشافعية معنى الحديث والنهى فى قوله الذى نقله عنه العينى أيضاً: والمراد أن يسوى القبر مسجداً فيصلى فوقه، فيكره أن يبنى عنده مسجد فيصلى فيه إلى القبر، أما المقبرة الداثرة إذا بنى فيها مسجد ليصلى فيه فلم أر فيه بأساً، لأن المقابر وقف وكذا المسجد، فمعناهما واحد.

وعقد البخارى باباً فى صحيحه بعنوان: باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور. فقال ابن حجر: قال ابن رشيد: ولفظها «أى الترجمة – أى العنوان» يقتضى أن بعض الاتخاذ لا يكره، فكأنه يفصل بين ما إذا ترتبت على الاتخاذ مفسدة أو لا. اهـ فهكذا يفرق العلماء بين الحالات المختلفة ولا يعممون كما يفعل بعض المسلمين المقلدين لغيرهم بلا وعى ولا فهم.

النقاب

● ما حكم الدين فى النقاب؟ وهل ورد عليه دليل من الكتاب والسنة؟

– الجواب: النقاب فى حقيقته هو تغطية المرأة لوجهها مع بقية جسمها، وهذا ما عليه بعض المذاهب الثلاثة الحنفية والشافعية والحنابلة خلافاً للمالكية، يقول ابن قاسم من الشافعية: وعورة الحرة فى الصلاة ما سوى وجهها وكفيها ظهراً وبطنا إلى الكوعين «أى الرسغين»، أما عورة الحرة خارج الصلاة فجميع بدنها.. أهـ. من شرح أبى شجاع. ويقول ابن قدامة الحنبلى: فصل، فأما نظر الرجل إلى الأجنبية من غير سبب فإنه محرم إلى جميعها فى ظاهر كلام أحمد. أ.هـ. من المغنى، وقال ابن نجيم الحنفى فى البحر: قال مشايخنا: تمنع المرأة الشابة من كشف وجهها بين الرجال فى زماننا للفتنة. أهـ.

ودليلهم ما روى تفسيراً لقوله تعالى:

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾

(النور ٣١)

قال القرطبى: قال ابن مسعود: ظاهر الزينة هو الثياب.

ولقوله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾

(الأحزاب ٥٩)

قال القرطبى: قال ابن عباس وعبيدة السلمانى: ذلك أن تلويه المرأة (أى الجلباب) حتى لا يظهر منها إلا عين واحدة تبصر بها. أهـ.

ولكن المالكية وجمع كبير من علماء المذاهب الثلاثة الأخرى قالوا بجواز كشف الوجه:

قال الماوردى من الشافعية: عورتها مع غير الزوج كبرى وصغرى: فالكبرى ما عدا الوجه والكفين، والصغرى ما بين السرة والركبة، فيجب ستر الكبرى فى الصلاة وكذا عن الرجال الأجانب.. أهـ من مغنى المحتاج.

وقال القاضى أبويعلى من الحنابلة: يحرم عليه النظر إلى ما عدا الوجه والكفين لأنه عورة. أ.هـ. من المغنى.

وقال الدردير المالكى فى الشرح الصغير: وعورة الحرة مع رجل أجنبى جميع البدن غير الوجه والكفين، وأما هما فليسا بعورة. أهـ.

وقال النسفى الحنفى فى كنز الدقائق: وبدن الحرة عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها. اهـ.

ودليلهم أيضاً من الآيتين حيث روى عن سعيد بن جبير، وعطاء الأوزعى فى تفسير الزينة التى يجوز إبدائها: الوجه الكفان والثياب. وروى أبو داود حديث عائشة المرفوع المشهور: «يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا وهذان»، وأشار إلى وجهه وكفيه، عليه الصلاة والسلام. فالمسألة بها خلاف قوى وقديم. والأدلة محتملة، والأولى عدم اعتراض أصحاب أحد الرأيين على الآخر، وهذا من الناحية النظرية، ثم من الناحية العملية هناك مدخل للترجيح فى المسألة بصفة شخصية جزئية ترجع إلى المفاسد المترتبة على كشف الوجه أو ستره. وعلى الأعراف والعادات، وغير ذلك، والله تعالى أعلم.

الحلف بالطلاق

● ما حكم الدين فيمن يحلف بالطلاق دائماً فى بيعه وشرائه هل يقع طلاقه؟

– الجواب:

الحلف بالطلاق من السلوكيات المعيبة والتصرفات القبيحة والمرذولة والخصال القميئة التى يحرمها الشرع الحنيف ويأباها الطبع السليم، وليس فيها احترام لشعائر الله وحرماته التى أمرنا الله بتعظيمها:

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾

(الحج ٣٠)

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾

(الحج ٣٢)

فالطلاق شرع لحكمة إلهية تساعد على حل مشكلات وتعديل المسارات بعد تفكر وتعقل وتأن وتدبر واستشارة واستخارة، لا ليلاك بالألسنة عند الغضب وعند التهديد وعند الجد وعند الهزل وعند البيع وعند الشراء بهذه الطريقة التى تسئ لصاحبها وللمجتمع ولصورة الإسلام والمسلمين.

وقد استقرت الفتوى لما شاع هذا اللفظ على الألسنة بهذه الصورة على أن اللافظ إذا قصد الطلاق به يقع به الطلاق، وإلا كان كالنذر الذى يحنث فيه صاحبه، وكفارته كفارة يمين، يطعم عن كل يمين عشرة مساكين أو يكسوهم. وإن لم يجد ما يطعم أو يكسو به صام ثلاثة أيام متتابعة عن كل يمين.

التدخيــن

● ما حكم التدخين أثناء الإحرام بالحج؟

- الجواب:

التدخين ثبت ضرره للقاصى والدانى والعالم والجاهل والمسلم والكافر، فهو خبيث ضار استقرت الفتوى على تحريمه لضرره القاصر على صاحبه والمتعدى لغيره، ولكن التدخين فى الإحرام بالحج أو العمرة لا يبطلهما، ولا يمنع انعقادهما، فالنسك صحيح ناقص الثواب للتلبس بالمعصية وتكرارها، والمفترض فى الحاج أن ينخلع من الذنوب ويقلع عن المعاصى، ففى الحديث «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» رواه الشيخان عن أبى هريرة مرفوعاً، فالله سبحانه وتعالى لا يظلم مثقال ذرة، ويقول عز من قائل:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

(الأنعام ١٦٤)

والله سبحانه وتعالى أعلم

***

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

قصة العدد

حَديثٌ عَنِ العبَّاسِ

للأستاذ الدكتور عبداللطيف الحسينى

خرج الزبير بن العوام تاجراً فى بعض رحلاته خارج المدينة وطالت غيبته عما كانت تعهد زوجته أسماء بنت أبى بكر فانطلقت إلى منزل صفية بنت عبدالمطلب والدة الزبير تتسلى معها بحديث عن التاجر الغائب وكانت صفية تحب أسماء وترعى لوالدها منزلته من رسول الله ﷺ فتحادثتا عن رحلة الزبير.

وكانت صفية ذات حلم وصبر فقالت لأسماء: لاتقلقى فسيعود إن شاء الله رابحا غانما كعهدى به وأفضل أن تقضى معى الليلة فأنا وحيدة ولا أجد من يشاركنى فى هذه السن العالية إلا قليلا قليلا.

فقالت أسماء: وهذا ماأتمناه فسأجد فى حديثك مايسليني ياأماه

قالت صفية: وفى أى موضوع يجرى الحديث يابنت أبى بكر؟

فقالت أسماء: أنت عمة رسول الله وأختُ أبى طالب، وحمزة، والعباس، وعبد العزى، وأريد أن أعرف منزلة إخوتك فى قلبك أمّا منزلة رسول الله فلن تعلو عليها منزلة

فقالت صفية: منزلةُ رسول الله! إن محبة الرسول قد خالطتْ دمى وجرت فى نفسى وكنت أود أن أكون أقرب الأقرباء إليه مع أنى عمته وهذا إذ يشرفنى أمام الناس فإنه لا يكفينى لقد كنتُ أريد أن أكون له كل شئ.

قالت أسماء: أعرف ذلك فتحدثى عن الإخوة، ودعى حديث الرسول الكريم.

فابتسمتْ صفية، وقالت فى ارتياح: كان أبو طالب أخى، ولكنه بمنزلة والدى فقد رعانى ونشأتُ معه فى بيته بعد وفاة والدى عبدالمطلب وكان يحبّ رسول الله حبا جما

فوق حبه لأبنائه وإخوته، ورسول الله يحبه ويلوذ به ويعتبره أباه وإذا قلت لك إنه أبى فهذا يكفى فى تقديره وقد حزن رسول الله ﷺ على وفاته وسمى العام الذى توفى فيه عام الحزن إذ توفيت فيه السيدة خديجة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ فكان المصاب شديدا على نفس ابن اخى.

أما حمزة فلولا أنى أعتقد أنه سيد الشهداء وأنه من الذين صاروا بعد الاستشهاد أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله لما صبرت عنه ساعة فقد علمت بمصرعه يوم أحد وجئت ذاهلة لأراه فشاهدنى رسول الله ﷺ وعلم خطر الموقف حين أنظر إلى جسده الطاهر ممزقا فحال بينى وبين رؤيته وقال لى والدمع فى عينيه: ارجعى ياصفية إرجعى ياصفية هو سيد الشهداء، وأما عبدالعزى (أبو لهب) فقد كان منا قبل أن يتزوج أم جميل حمالة الحطب فلما تزوجته غلبته على أمره بكيدها الحقود فاستمع إليها ولن أطيل الحديث عنه فسيلقى جزاءه عند ربه حين لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله.

قالت أسماء: لقد اختصرت الحديث كثيراً وكنت أرجو أن تتسعى فى القول إذ لم يبق إلا حديث العباس.

فضربت صفية بيدها على كف أسماء وقالت: حديث العباس سيطول لأنه مظلوم.

قالت أسماء ومن الذى ظلمه يا أماه؟

فقالت صفية: بعض الناس لايعرفون عنه إلا أنه أسلم قبل الفتح ويعدون ذلك مما ينزل بقدره عن السابقين الأولين.

وانتظرت صفية قليلاً ثم قالت: اسمعى ما لاتعرفين ياأسماء، لقد كان العباس معتقداً اعتقاداً صادقاً بنبوة رسول الله وصدق رسالته منذ أعلن دعوته على الصفا وقال للناس إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة وإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، لم يكن العباس حاضرا فى هذا اليوم بل كان فى تجارة باليمن وجاءته الأنباء ببعثة رسول الله هناك وتحدث عن ذلك بعدرجوعه فقال: ذهبت تاجرا إلى اليمن مع أبى سفيان بن حرب فقدم علينا عبدالله بن حذافة السهمى من مكة فقال لى: يا عباس لقد خطب ابن أخيك القوم على الصفا فقال: (إن الرائد لايكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ماكذبتكم ولو غششت الناس جميعاً ما غششتكم وإنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً).

فتغير وجه أبى سفيان وازداد حزنه حين شاع الخبر فى اليمن ثم جاء راهب يهودى يسأل عمن باليمن من أهل مكة فقالوا له فلان وفلان، فقدم إلى أبى سفيان وقال له: بلغنى أنك عم محمد الذى جهر بالنبوة فقال: نعم.

فسأله: هل كان لابن أخيك صلة بالأصنام؟

فسكت ولم يجب ثم قال أبو سفيان: ما كنت أحب له أن يدعى هذا الأمر الذى بلغنا عنه الآن وعندنا من هو أفضل منه.

وقد بلغنى أن أبا سفيان ادعى أنه عم الرسول وتحدث إلى الحبر اليهودى بما قال فذهبت إلى الحبر سريعا وقلت له: إنا عم الرسول ومن حدثك بأنه عمه فقد كذب.

فقال الحبر أنت أخو عبدالله.

قلت له: نعم أنه أخوه ووالدنا عبدالمطلب.

فقال: هل عرفت لابن أخيك سقطة فى حياته؟

فقلت: لا، والله عبدالمطلب ماكذب ولاخان وهو يسمى الأمين عند قريش.

قال: فهل كتب بيده؟

قلت: لا إنه أمى لا يقرأ ولايكتب.

فقام اليهودى فزعاً وقال: ويل يهود وويل يهود لقد ظهر نبى الإسلام.

ورجعنا إلى مكة فوجدت حديث محمد ابن أخى على كل لسان فأسرعت إلى أخى أبى طالب وأخبرته بحديث الحبر اليهودى فقال إنه يذكره بحديث «بحيرى» الراهب النصرانى فهما بشارتان.

قالت صفية: ومن هنا كان العباس بن عبدالمطلب معتقداً بصدق رسول الله ﷺ منذ البعثة ورسول الله لايعلم ذلك عنه، وقد كان فى كتمانه الخبر لأنه كان يحمى المسلمين والمستضعفين بمكة حين لم يجدوا النصير بعد هجرة الرسول إلى المدينة ولم يستطيعوا الهجرة نظراً لشدة المشركين فى حصارهم.

وسكتت أسماء كالمفكرة، ثم قالت لصفية: وماذا أيضا عن العباس؟

فقالت صفية: عندى مايؤكد صحة قولى كل التأكيد، أنت تعرفين أن الرسول قد بايع الأنصار عند العقبة بيعتين وفى البيعة الأولى لم يصحبه عمه العباس لأنها كانت بيعة تمهيدية، أما البيعة الثانية فكانت بيعة نهائية وحين بدأ اللقاء، سكت رسول الله ﷺ وبدأ العباس بن عبد المطلب الحديث فقال: إن محمداً منا حيث علمتم وقد منعناه من قومنا ممن يقومون بمعارضته فهو فى عز من قومه ومنعة من بلده وأنه قد أبى إلا الانحياز لكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما وعدتم وبما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم فى ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه فى عزة ومنعة من قومه وبلده.

هكذا بدأ العباس ثم تحدث عن الرسول بكل ماكان يقوم فى خاطره، ولولا ثقة الرسول ماقام مقام المتحدث عنه فى يوم مشهود له مابعده.

قالت أسماء: هذا صحيح، وقد حدثنى به أبى أبو بكر وهو يحفظ للعباس هذا الموقف ويراه موقف صدق أمين.

ابتسمت صفية وقالت: إذن أنت تعرفين الكثير عن العباس، فماذا سأقول؟

قالت أسماء: مهلا ياأماه فحديثك يزيد فى اطمئنانا لما أعلم ويضيف الجديد مما أجهل، فأنا أستمع إليك مسرورة بكل جوارحى.

قالت صفية: لقد تفتحت نفسى للحديث عن العباس، وساروى لك قصته بمكة بعد موقعة خيبر، لقد غزا رسول الله خيبر واعتقد المشركون أن المسلمين سينهزمون أمام اليهود لأنهم يتمتعون بالحصون الواقية ومعهم أموالهم الكثيرة التى اشتروا بها السلاح من الروم بل كان الروم يرسمون لهم خطط الدفاع والهجوم، والحر حينئذ شديد على الجيش الإسلامى وكنت أنا فى هذه الغزوة وحين أمر رسول الله ﷺ الزبير بمهاجمة بعض المقاتلين خفت عليه وقلت فى لهفة: أخاف عليه يارسول الله فاختر غيره.

فتبسم وقال: لاتخافى ياعمتاه فالله ناصره ولن يخذله فاطمأن قلبى لقول رسول الله ووثقت بنصره إذ قاتل أعداءه ورجع منصوراً بتأييد الله.

فى هذه الغزوة اعتقد المشركون أن الرسول مخذول وتراهنوا مع من يقول غير ذلك من بنى هاشم وقد جاء الحجاج السلمى من الموقعة ليأخذ أمواله من مكة فاحتال على المشركين بحديث غير حقيقى وقال لهم: إن المسلمين قد انكسروا وأسر محمد وستأتيكم اليهود به لتقتلوه! هنا فرح المشركون فرحاً شديدا.

أما العباس فقد أدركه الجزع الشديد وبعث بالليل عبده إلى الحجاج كى يزوره ويعلم منه ماكان فأسرع إليه الحجاج وقال له هنيئاً ياعباس بفوز رسول الله لقد انتصر وساق الغنائم وتزوج ابنة سيد بنى النضير، ولكنى أردت أن آخذ المال وأرحل إلى المدينة مسلما فاطمأن العباس ثم اتفقا على ألا يُعلن العباس الأمر إلا بعد ثلاثة أيام حتى لايستطيع القوم ملاحقته ومصادرته.

وفى اليوم الثالث لبس العباس عباءته وتخلق بالطيب وحمل عصاه واتجه إلى زيارة البيت الحرام فوجد المشركين يتهكمون به ويقولون لاتُظهر التجلد ياعباس فابن أخيك سيُقتل هنا عن قريب.

فابتسم شامتاً وقال لهم: ضحكَ عليكم الحجاج لقد انتصر رسول الله أعظم انتصار وأخبرنى الحجاج نفسه بأنه احتال ليأخذ المال ويرحل إلى المسلمين حيث أسلم مخلصاً للدين الحنيف.

قالت أسماء: إذنْ كان العباس المُمَثّلَ الأول للمسلمين بمكة، وهذه الواقعة تنطق بالدليل.

قالت صفية: وأىّ دليل بعد القرآن الكريم ياابنة أبى بكر فى إيمان العباس.

فردّت أسماء فى عجب: وهلْ نزل فى العباس بن عبدالمطلب قرآن كريم؟ لا أعلم هذا من قبل ياأماه!

فقالت صفية: ألست تذكرين غزوة حنين.

فقالت أسماء: ومن التى تنساها وهى غزوة حاسمة من غزوات رسول الله ﷺ.

قالت صفية: ألم يقل الله ـ عز وجل ـ بشأنها فى كتابه العزيز:

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

التوبة: (٢٦)

قالتْ أسماء: نعم وما موضع الاستشهاد الخاص بالعباس؟

قالتْ صفية: إيه يابنت أبي بكر، لماذا لا تكونين فقيهة كأختك عائشة أم المؤمنين؟، إن العباس بن عبدالمطلب كان أول من ثبت مع الرسول ﷺ ساعة الهرج، فقال له الرسول: ياعباس ناد المؤمنين، والعباس رجل جهورى الصوت بعيد مداه، فصاح صيحة مدوية: يامعشر الأنصار الذين آووا ونصروا.

يامعشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، إن محمداً رسول الله حى فهلموا، وسمع المسلمون صوت العباس يصيح: ياأهل القرآن، ياأهل البقرة، يدعوكم رسول الله فكان لصوت العباس الأثر البالغ، وأقبلوا من كل جانب إلى الميدان وكل واحد منهم يصيح: لبيك يارسول الله وإذ ذاك تم النصر، فإذن كان العباس بيقين أحد الذين قال الله ـ عز وجل ـ فيهم «ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين» فماذا تقولين بعد هذا النص الصريح.

قالت أسماء مبتسمة: ليست عائشة ـ رضى الله عنها ـ هى الفقيهة وحدها، بل أنت معها ياابنة عبدالمطلب، عمة النبى، وابنة سيد البطحاء.

قالت صفية: وتريدين ثانية مثل هذه؟

قالت أسماء: لقد اقتنعت تماماً ولكن فى الزيادة إفادة، ومن علمتْ خير ممن جهلت فما هذه الثانية؟

قالت صفية: أتشكين فى صراحة عمر بن الخطاب؟ الفاروق وعدم انحرافه عن الحق متى بان له وجه الدليل؟

فقالت أسماء: لقد كان الشيطانُ يخاف من عمر؟ ولن يخاف الشيطان إلا من الحق.

فردت صفية: إذن فاستمعى: لما كان عام الرمادة وأصاب الناس قحط شديد وضنت السماء بمائها، صلىّ عمر بالمسلمين صلاة الاستسقاء، ودعا العباس بن عبدالمطلب، فوقف فى جواره وقال له الفاروق: ادع معنا ياعباس، ثم رفع عمر يديه إلى السماء، وقال مخاطبا ربه: اللهم إنا كُنا إذا شح الغيث على عهد رسول الله نستسقى به، واليوم قد غاب رسول الله فإننا نستسقى بعمه العباس، اللهمَّ فاكشف السوء وأنزل الغيث وارحم عبادك المؤمنين، فما مرّ وقت حتى نزل الغيث مدراراً، وأقبل المسلمون يحتضنون العباس ويقولون له: هنيئا لك ياساقى الحرمين، هذا رأى عمر فى العباس، وهذا رأى المسلمين فى العباس، فهل بعد ذلك يقين.

قالت أسماء لصفية: أماه عندك علم غزير ولا أرى أن انقطع عن مجلسك وسازورك كثيراً كثيراً إذ لا أشبع من حديث ابنة عبدالمطلب عمة الرسول.

فربتت صفية بيدها على كتف أسماء، وقالت: المنزل منزلك وأحب أن أراك كل حين، وإذا جاء الزبير ولدى فليسرع بالحضور إلىّ لأطمئن.

العمل في الإسلام

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن الإسلام يأمرنا بأن نطبق إيماننا عملاً وسلوكا فجاءت آيات القرآن الكريم التي تحثنا على الإيمان تحثنا بعده مباشرة على العمل، والتي تذكر وصف الإيمان تذكر بعده العمل وتبين جزاء العاملين المخلصين وصان الإسلام حقوق العاملين والعمال قبل أن تجعل الدنيا للعمال عيدا يحتفل العمال فيه وقبل أن تقيم منظمات دولية احتفاء للعمال وإقامة لأعيادهم. قبل ذلك بأربعة عشر قرنا كان الإسلام قد أعطى توجيهاته للأمة جميعاً أن تعمل وأن تحرص على العمل وأن تصون حقوق العمال والعاملين، ونظر الإسلام إلى العمل نظرة أخرى. إذ من العمل ماهو عمل ديني وعبادة كالصلاة والزكاة والصيام والحج والبر إلى غير ذلك من الطاعات.

ومن العمل ماهو دنيوى فيه السعي على الرزق وفيه بناء الحضارات وفيه كفالة الحقوق ونظر الإسلام الى هذا النوع الثاني أيضاً على أنه عبادة وأن القائم به على أكمل وجه بحيث يتعب وينصب ويعود متعبا كالا من عمل يده، يقول سيدنا المصطفى ﷺ: «من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له»(1) فنظر الإسلام إليه نظرية أخرى تختلف تماما عن سائر النظريات الأخرى الدنيوية، بل نظر إليه الإسلام على أنه قيمة في ذاته حتى وإن لم يحصل الإنسان الذى يعمل على شيء من هذا العمل، حتى وإن افترضنا أن القيامة ستقوم ولن ينتفع أحد من عمل أو غرس أو زرع، فالإسلام يأمرنا ألا نهدر قيمة العمل ففي الحديث «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليغرسها»(2)، إذا قامت الساعة أي قامت القيامة ولن ينتفع أحد من هذا العمل فلماذا إذن نغرسها؟ إن الرسول ﷺ يريد أن يعلمنا بأن للعمل قيمة في ذاته وأنه نوع من أنواع العبادة وأنه حين يقع في يديك غرس أو زرع أو شيء مما أودع الله في هذه الأرض فيجب عليك أن تنتفع به وأن تقدره وألا تهدره. وحتى لو كان الإنسان غنيا وحتى لو كان ذا مال كثير ولا يحتاج إلى مال ولا إلى عمل يأمرنا الإسلام أيضا أن نعمل.

(1) مجمع الزوائد ٤/ ٦٣.

(2) الكامل لابن عدى ٦/ ٢٢٩٤.

إننا نرى كثيرين من الناس يقول أحدهم: ولماذا أتعب نفسي ولدى ثروة طائلة؟ لو استثمرتها لجلست في بيتي مستريحاً دون عناء. لا إن هذا يرفضه الإسلام ويرفض هذه النظرية ويأمر حتى الأغنياء وحتى أصحاب رؤوس الأموال أن يقوم كل بما قيضه الله له من عمل أي عمل، حتى يشارك في عمارة الحياة وحتى يمسي مغفوراً له وحتى ينفع غيره وحتى يتقرب إلى الله بهذا العمل. ولذلك يقول سيدنا المصطفى ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»(3) لماذا ضرب المثل بسيدنا داود عليه السلام؟ لأن سيدنا داود كان ذا مال وثروة ولم يكن بحاجة إلى العمل ولكنه مع هذا كان يعمل في الصناعة الحديدية التي يصنع بها الدروع السابغات التي تستعمل في الحروب ويبيعها ويأكل من ثمنها لأن أعظم الأكل ما كان من عرق الإنسان وكده كما أخبر الرسول ﷺ «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده» فضرب المثل بداود وقال «وإن داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» مع أنه كان غنيا وكان من الممكن أن يركن إلى ثروته ولايعمل ولكنه كان يعمل. إذن للعمل قيمة في ذاته تدعونا إلى أن نحرص عليه.

عرف المسلمون منذ فجر الإسلام قيمة العمل وأنه نوع من أنواع العبادة، وأن المؤمنين لابد وأن يكونوا أمة عزيزة الجانب قوية ولا يتأتى ذلك إلا بالعمل، من أجل ذلك كلف الإسلام المجتمع والأمة والمسئولين من أبناء الأمة أن يسهموا في تشغيل الطاقات العاطلة وفي دعوة الغير إلى العمل. ولذلك لما سئل الرسول ﷺ، «أى الأعمال أفضل؟ أى الإسلام خير؟ قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله. قيل فأى الرقاب أفضل؟ قال: أغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها. - أى التي تعتق في سبيل الله- فسئل فإن لم يجد؟ قال: تعين صانعاً أو تصنع لأخرق(4)» تعين صانعا أى تساعد إنسانا على أن تكون له مهنة وصنعة وعمل أو تصنع لأخرق، يعنى الإنسان الذى لايعرف صنعة ولايهتدى إليها فتهديه إليها؛ انظروا إلى أى مدى يوجه الإسلام المجتمع، ويحب تشغيل الطاقات العاطلة التي يعيشها عالمنا المعاصر في مجتمعنا وفي كل المجتمعات حتى في أغنى البلاد. ما كانت لتبرز ظاهرة البطالة بهذا الشكل المخيف لو أن هناك رعاية ولو أن هناك معرفة لهذا الدين الذى أوجب على أتباعه ألا يكون فيهم أحد عاطل. قد يسأل سائل ويقول: ومن أين لي العمل؟ ومن ذا الذى يهيىء لي العمل؟ تعال معي يا أخي وانظر إلى قول الله تبارك وتعالى:

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾(5)

(3) صحيح البخارى ٣/ ٧٤.

(4) مسند الإمام أحمد ٥/ ١٥٠.

(5) الملك (15).

وأقل الأعمال مهما كان بسيطا فهو عند الله عظيم. فلا تستصغر عملا ولا تستهين بعامل مهما كان قدره. لقد وقف أحد الأنصار هذا الموقف، لا عمل له، وراح يسأل، ومد يد السؤال، ونحن في مجتمعنا إذا رأينا سائلا، بعض الناس يعطيه وبعض الناس لايعطيه وآخر يقول: فليعمل، والآخر ينهره ويقول له: أنت في صحتك فلماذا لاتذهب لعمل «أبذل له النصيحة ولاتنهره»:

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾[6] انظر إلى سيدنا المصطفى ﷺ لما جاءه سائل من الأنصار يسأل. ساله هو وقال[7]: «أليس في بيتك شيء؟ قال: بلى يارسول الله في بيتي حلس - وهو غطاء البعير - نفرش بعضه ونتغطى ببعضه وقعب - إناء من الفخار - نشرب فيه. قال: اذهب فائتني بهما ثم عرضهما قائلا: من يشترى هذين؟ قال رجل: بدرهم. قال: من يزيد على ذلك؟ كان هذا أول مزاد في الإسلام - من يزيد على هذا؟ قيل: درهمان. فأخذ منهما واحدا وأعطاه للرجل وقال: انبذ هذا طعاماً لأهلك، واذهب واشتر بهذا قادوما وائتني به فجاءه بالقدوم. فشد فيه عوداً وأعطاه له وقال: اذهب فاحتطب - أى اجمع الحطب، وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما فجاء الرجل بعد خمسة عشر يوماً واشتغل بعملية جمع الحطب وبيعه وإذا به قد ربح ثمانية دراهم اشترى بأربعة منها ما يحتاج إليه بيته».

وهكذا قال له النبي ﷺ: «هذا خير من أن تأتي المسألة نكتة سوداء - أى نقطة سوداء - في وجهك يوم القيامة». أى أنه بهذا يعلمنا ويعلم المجتمع والمسئولين ويعلم رجال الأعمال ويعلم الأفراد قاطبة، أفرادا وجماعات، أمما وشعوباً، حكومات ومسئولين، ألا ننهر السائل بل علينا أن نساعده في تهيئة وجود العمل ليكون عضوا نافعاً في المجتمع، حتى لا يكون شوكة في المجتمع ضارة، وكما حثنا الإسلام على تهيئة الفرصة للعاملين دعانا أيضا إلى أن نحافظ على حقوق العاملين. فمنهم من يكون ضعيف الحال، ومنهم من يكون تحت رئيس له يكلفه من العمل ما لاطاقة له به، ومن الناس من يكلفه بعمل خاص لذاته أو لبيته، إن الإسلام يأمرنا بالرفق بهذا العامل، ويقول لا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقونه فإن كلفتموهم فأعينوهم، وينظر إلى الأرقاء والى ملك اليمين وفي حكمهم الآن الخدم والبسطاء من الكادحين. يقول «من كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقونه فإن كلفتموهم فأعينوهم» ولذلك كان سيدنا المصطفى ﷺ يعين أصحابه في الأعمال. كان في بناء المسجد يحمل بنفسه الأحجار، وكان لما أرادوا معالجة شاة ذبحوها ليأكلوها وقال أحدهم: عليَّ ذبحها. وقال الآخر: عليَّ طهيها. قال النبي ﷺ: «وعليَّ جمع الحطب. قالوا: يارسول الله كلنا يكفيك ذلك. قال: علمت هذا ولكني لا أرضى أن أتميز على واحد منكم».

يضرب ﷺ المثل الأعلى في العمل وفي احترام العاملين وفي صيانة حقوق أصحاب

(٦) الضحى (١٠).

(٧) سنن ابن ماجة جـ٢ رقم ٢١٩٨.

الأعمال بأن نعطي الأجير حقه قبل أن يجف عرقه، لا أن نرجئه ونسوف.

لقد روى الإمام البخاري في صحيحه حديثاً ما معناه أن جماعة نزلوا غارا فانحدرت صخرة فأغلقت عليهم الغار فلم يستطيعوا الخروج منه. فقالوا: لانجاة لنا إلا إذا تقربنا إلى الله تعالى بأرجى أعمالنا للقبول. فتوسل أحدهم بأنه كان له أبوان كبيران وكان إذا جاء باللبن بالليل قبل أن يطعمهما ويطعم أبناءه وزوجته ليكون بارا بوالديه أولا. فلما تأخر مرة ووجد والديه نائمين لم يذقه ولم يذقه زوجته وأبناءه قبل والديه، وظل طول الليل حاملا اللبن على كفيه حتى إذا برق الفجر واستيقظا، أطعمهما فقال: «اللهم إن كنت فعلت برا بوالدي وطاعة لك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت جزءا بفضل هذا العمل الصالح. فجاء الثاني وتوسل إلى الله بعمل آخر، وهو أنه كان له ابنة عم يريد الوقوع بها في منكر وأنه أعطاها ماتريد وتوسل إلى الله أنه ترك المعصية وهي أشهى شيء إلى نفسه تركها خوفا من الله فقال: اللهم إن كنت تركت هذه المعصية خوفا منك، وأعطيت المرأة ماتريد ففرج عنا مانحن فيه، فانفرج ثلثا الصخرة لكنهم لا يستطيعون الخروج. فجاء الثالث وقال: اللهم إنه كان عندي عمال وأجراء أعطيتهم جميعاً أجورهم وحقوقهم سوى واحد ذهب فلم يأخذ أجره فاحتفظت له بأجره واستثمرته له. فلما جاء أشرت إليه ليأخذ ماله بعد أن استثمره له وقال له: هو ماترى. قال لاتستهزيء بي أين أجرى؟ قال والله يا أخي هو أجرك استثمرته له. فاستاقه. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا بفضل الله سبحانه وتعالى. هذا يعطينا أن رعاية حقوق العاملين الكادحين المعروقين من أهم ماينبغي على المجتمع المسلم أن يرعاه وأن يحافظ عليه وأن يحافظ على حقوق العاملين وألا نحتقر أحداً في عمله مهما كان عمله بسيطا، ومهما كان العمل في تصورك يعتبر عملاً لا قيمة له فهذا العمل الذي تعتبره لا قيمة له هو عند الله له قيمته العظيمة. وإذا كان يعمل حتى في أبسط الأعمال التي يظنها الناس بسيطة فهو إنسان عظيم عند الله إذا أخلص في عمله، لقد قدره قبلي وقبلك أطهر من مشى على الأرض حين جاء يصافحه أحد العاملين وفي يده شقوق - مانسميه القشف والخشونة من أثر العمل - فلف يده وهو يصافح رسول الله ﷺ فقال له: «لماذا تلف يدك وأنت تصافحني؟ قال: يارسول الله كفاي أمجلتا من كثرة العمل - تشققت - ففض عنها اللفافة وأخذها المصطفى ﷺ، وقبل يد العامل الكادح ورفع يلوح لأصحابه بها كأنها راية وقال لهم: هذه يد يحبها الله ورسوله» أفرأيتم دينا أعظم من هذا في تقدير العاملين أفرأيتم نظرية في العالم أروع من نظرة الإسلام وهو يقدر الكدح والسعي من أجل العمل.

إن احتفاء الأمم والشعوب وإن اتخاذها عيدا للعمال والعاملين والكادحين، وإن مانقدمه لهم قليل بالنسبة للمخلصين منهم الذين يقدمون عرقهم ودماءهم في خدمة أمتهم. قال ﷺ: «من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له».

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

إصلاح الأموال حفظ للكرامة

● قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله فإن إقلالا في رفق خير من إكثار في خرق.

● وقال أيضا: لا يقل مع الإصلاح شيء، كما لا يكثر مع الإفساد شيء.

ويروى هذا المعنى عن المتلمس إذ قال:

حفظ المال خير من فناه
وسير في البلاد بغير زاد
قليل المال تصلحه فيبقى
ولا يبقى الكثير مع الفساد

● وقال حكيم: إن في صلاح الأموال سلامة الدين، وجمال الوجه، وبقاء العز، وصون العرض.

● وقال أحيحة بن الجلاح: أصلحوا أموالكم فإنكم لا تزالون ذوي مروءات ما استغنيتم عن عشيرتكم.

● وقال عبدالله بن عباس: اطلبوا الغنى بإصلاح ما في أيديكم، فإن الفقر مجمع العيوب.

احذر أنت أيها الإمام

في ترجمة أبي حنيفة أنه رأى غلاما يستحم في النهر، فقال له: احذر يا غلام أن تسقط، فقال له: احذر أنت أيها الإمام فإن في سقطة العالم سقوط العالَم.

علامة الإيمان

من علامة الإيمان للإمام علي -رضي الله عنه- قوله: أن تؤثر الصدق حين يضرك، على الكذب حين ينفعك، وألا يكون في حديثك فضل عن عملك، وأن تتقي الله في حديث غيرك.

حظ المؤمن منك ثلاثة

من كلام يحيى بن معاذ الرازي: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه.

حقا

إلى ديان يوم الدين نمضي
وعند الله تجتمع الخصوم

حوار بين الحق والباطل

للدكتور مصطفى السباعي:

تمشي الباطل يوماً مع الحق

فقال الباطل: أنا أعلا منك رأساً.

قال الحق: أنا أثبت منك قدماً.

قال الباطل: أنا أقوى منك.

قال الحق: أنا أبقى منك.

قال الباطل: أنا معي الأقوياء والمترفون.

قال الحق:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

الأنعام: (١٢٣)

قال الباطل: أستطيع أن أقتلك الآن.

قال الحق: ولكن أولادي سيقتلونك ولو بعد حين.

ما قيل في حفظ اللسان

لا تكشفن من مساوي الناس ما ستروا
فيكشف الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

وقال شاعر آخر:

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى
ودينك موفور وعرضك صين
فلا ينطقن منك اللسان بسوأة
فللناس سوآت وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك مساويا
لقوم فقل: يا عين للناس أعين
فعاشر بإنصاف وكن متوددا
ولا تلق إلا بالتي هي أحسن

دعاء

اللهم اجعلنا ممن يأخذ الكتاب باليمين،

واجعلنا يوم الفزع الأكبر.. آمنين.

وأوصلنا برحمتك وكرمك إلى جنات النعيم.

واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

نَعيمٌ مُعتَدِلٌ

للأستاذ الدكتور/ على أحمد الخطيب

ذاك هو أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ فهو عربى قرشى من صميم قريش، نسل عبد مناف بن قصى، سليل فهر ابن مالك بن النضر. سواء قلنا: فهر هو قريش أم جده النضر بن كنانة[1].

كان أبو سفيان الزعيم المعتدل حقا من بين صناديد قريش بكل ما للاعتدال من معنى لغوى مصحوب بمفهومه الخلقى الكريم.

كان عاقلاً حكيماً ذا نظر بعيد سديد.

ثم هو فى كلمة جامعة.. «يحذر الخطر ولا يستمرئ العدوان».

وهو حين يخشى على قومه الخطل لا ينكر ما عليهم من أخطاء.

نزيه، لا يناله دنس الخلق، ولا حطة الكذب، ولا ضعة النفاق.

لضميره عليه ألف حساب، لذا لا يحب منه أن يعصف عليه بلوم، أو ينوء ـ لوطاته ـ بحساب. وليس معنى ذلك كله أنه برئ من الخطأ، أو ذو مناعة منه.. لا، فقد يكون مخطئا كله، ولكنه يصغر ـ فى النهاية ـ أمام الحق، ولا يتنكر له.

وخلق أبى سفيان واحد فى جاهليته وإسلامه على سواء، وصدق رسول الله ﷺ فهو القائل: «خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» صحيح البخارى.

●●●

فى حياته ـ رضى الله عنه ـ مواقف ثلاثة يُجسِّدْن اعتداله، ويبرزن دهاءه:

كانت «القرشية فى دمه» فما التقرش إلا التجارة والاكتساب[2] وهو ـ بهما ـ نعم الخبير، يتحمل تجارة المكيين جمعاء، ويسوق بها إلى أعالى الجزيرة منعطفا بها إلى «غزة» وغيرها من أراضى الإمبراطورية الرومانية الشرقية، يقيم بها الأيام والليالى فى عرض

(1) انظر لابن هشام ـ سيرة النبى ﷺ ١/١٠١ ـ ١٠٥ بتحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ـ دار التراث ـ القاهرة ـ بلا تاريخ.

(2) نفس المرجع ١/١٠٢.

رائع وصفق ناجح قبل أن يعود إلى مكة بربح وفير.

وهو ـ بطريقه ـ عليم خبير، يعرف جيدا مسالكه وشعابه، له فيه أكثر من سبيل، دفعته الحيطة لمعرفته، لينجو بتجارته إذا ألم به خطر أو توقع عدوانا.

وحرفته التجارية إحدى الأسباب التى تكشف لنا عن اعتداله، وتبين ـ بحق ـ أنه الإنسان الذى يسعى لدرء الخطر ولا يستمرئ العدوان.



هاجر رسول الله ﷺ ولم يكن بينه وبين المكيين عهد بشئ أو التزام بأمر، وهاجر ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصحبه ـ رضوان الله عليهم ـ تاركين مالهم بهذا البلد من حق ومال استولى عليه هؤلاء المكيون قسرا دون أن يردعهم فى غضبهم هذا حق أو حياء.

وكان خلاصه ﷺ وخلاص أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ دون عهد منهم لهؤلاء الوثنيين نعمة من الله ـ تعالى ـ عليهم وفضل، فلا التزام فى أعناقهم نحو قومهم قريش بشئ؛ بل فى الوثنيين هؤلاء وزر ما فعلوه بأولئك المؤمنين، وقد بات هذا الوزر يتردد فى نفوسهم «حذرا» أليما أن يفعل هؤلاء المسلمون بهم شيئا جزاء ما قدموا من سيئات، وشيئا فشيئا بات هذا الحذر أمرا متوقعا لا جدال فيه.



وما أن مضت سنة واحدة على هجرة الرسول ﷺ وصحبه ـ رضوان الله عليهم ـ ودخلت الثانية حتى تحركت مكة للنظر فى أموالها وإعداد تجارتها، ولما كان الوقت صيفا أعدت تجارتها لسوق الشمال حيث أرض الشام التى كانت خاضعة لحكم الدولة الرومانية الشرقية، ففى هذه الأرض كانت تروج بضاعة مكة، وكانت تجمع ـ حقا ـ نفائس ثغرى الروم، وبخاصة نساؤهم، وكانت عناصرها الأساسية جلود مكة التى تفنن أهلها فى عمل مفروشات جميلة منها إلى طيوب «بخور» من طيوب اليمن والهند، إلى ما كان لهذه الأخيرة من طيور نادرة جدا لدى الغربيين، فلم تكن سلعا بدوية صرفة؛ بل تجمع فيها أذكى ما ملكت أيدى المكيين من اليمن والهند على سواء.

أعدت قريش قافلتها التجارية هذه موزعة على «ألف بعير» تحمل أموال قريش كلها بقيادة أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية، وله أركان عاملة من أهل مكة نحو من ثلاثين إلى أربعين رجلا تحت قيادته[3].

وقوافل مكة هى القوافل الآمنة الوحيدة التى لا تتعرض لها القبائل ولا تقوم ضدها غارة ما أثناء مرورها فى طريقها إلى الشمال؛ بل ولا الجنوب أيضا، فإن العرب حرمت على أنفسها أن تمس القرشيين بسوء، فإنهم أهل كعبتهم الساهرون على راحتهم يوم يحجون

(3) ابن كثير ـ السيرة النبوية ٢/٣٨٠ ط عيسى البابى الحلبى ١٣٨٤هـ.

أو يعتمرون، وقد أوسعوا لهم فيما يرضيهم من عقائد، وفى التنزيل العزيز:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾(٤).

وانطلقت العير مصعدة إلى الشمال لتصل إلى بغيتها بفلسطين فى شهر من بداية سيرها من مكة، فتلك مدة هذا السفر عند المكيين (٥).

ما أن اقترب أبو سفيان من «قرية بدر» حتى تملكته الهواجس، واشتعل به القلق:

إن محمداً «ﷺ» خرج من بينهم بلا عهد ولا وعد، وجناياتهم عليه وعلى أتباعه مريرة، فليس له أمام محمد «عليه الصلاة والسلام» حق يحميه من سطوة عدله لو انبرى له وجماعة المسلمين فاحتازوه وأموال مكة، وأسروه ومن معه، وانهار اقتصاد مكة لسنين!

والقوة التى بيد محمد «ﷺ» ليست هينة، لقد قويت شوكته، وصارت له الكلمة فى الأوس والخزرج على سواء، وهم عدة لا يستهان بها، وأهل حرب على دربة بأمرها، ثم هم ـ من قبل ذلك ومن بعده ـ طريقه إلى الشام، وعسير عليه الآن أن يجتاز طريق الساحل فتتضاعف المؤنة وتطول الشقة، ويضطرب حبل القافلة!

فماذا يفعل، وهذه الأمانات التجارية فى ذمته؟

وماذا هو فاعل لو خرج هؤلاء المهاجرون وأحاطوا به، وليس معه ما يغنيه إزاءهم؟

إنه لو خرج عليه أعراب غيرهم لهبت القبائل من حوله لنصرته وحماية قافلته إكراما لمكة وحرمها الآمن، ولأوقعوا بالمهاجمين له شر وقعة.

أما والمهاجم محمد «ﷺ» وصحبه، وهم مكيون كأهل القافلة، فلن يفعل العرب حيالهم شيئا، بل سيقولون:

الرجل وقومه!!

إن الأمر عسير، لقد فاتت الحيطة، وليس أمامه إلا أن يمضى!

ومضى أبو سفيان، وشاء الله ـ عز وجل ـ أن تتجاوز القافلة مكامن الخطر، وتتخذ سبيلها إلى الشام، وسلم لأبى سفيان وقت يسير لتقويم حساباته، وأخذ الأهبة لحماية القافلة، فلئن فات محمداً ﷺ ذهابها، فلن يفوته إيابها، وهكذا أيقن أبو سفيان بأن الخطر قائم، وعليه أن يحذره، وقبل أن

---

(٤) العنكبوت ـ ٦٧

(٥) ابن هشام ـ سيرة النبى ﷺ ٤/٢، والصالحى الشامى ـ سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ١٣٢/٣ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ وزارة الأوقاف المصرية ـ ١٤١٨هـ.

يستقر بالشام كان قد رصد العيون لتأتيه بتحركات المسلمين المقبلة.

أليس قلنا ـ عن أبى سفيان: «يحذر الخطر...»

كان أبو سفيان «المعيا» بحق فى ظنه، فطنا فى توقعه، فإن أمر القافلة لم يفت رسول الله ﷺ بل أعد لها العدة منتظرا إيابها، ودعا المهاجرين لها، وأجمع حديث الرواة على ذلك، فقالوا:

لما سمع رسول الله ﷺ بأبى سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم، وقال: «هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها..»

فخف لذلك بعض المسلمين، إذ لم يروا الأمر يستحق نفرة جماعية فما هى إلا قافلة عليها حفنة من الرجال، سهل جدا السيطرة عليهم، وقال رسول الله ﷺ:

«من كان ظهره حاضرا فليركب معنا»(٦)

ولم ينتظر ـ عليه الصلاة والسلام ـ من غاب عنه ظهره، وارتحل رسول الله ﷺ يجد فى طلبه حتى إذا كان قريبا من «الصفراء»(٧) بعث بسبس بن عمرو الجهنى، وعدى بن أبى الزغباء الى بدر يتحسسان الأخبار عن أبى سفيان، فعادا يؤكدان له ﷺ نبأ قرب وصول القافلة.

لكن الله ـ عز وجل ـ كان يريد أمراً آخر، كان المسلمون يطلبون العير قافلة المكيين، وكان الله ـ تعالى ـ يريد لهم لقاء أعز مكانة وأطيب ثمرة.

كان ـ تعالى ـ يريد رقاب زعماء قريش.. فكانت وقعة «بدر» التى أطاحت بهم فى رمضان من السنة الثانية للهجرة النبوية الشريفة.

وهكذا شاء الله ـ تعالى ـ ألا يلقى المسلمون القافلة. لما ادخر لهم من خير.

نجح الرصد من عيون أبى سفيان فى تقصى الخبر عن المسلمين، واستطاع إيصال نبأ حملة رسول الله ﷺ إليهم فى الشام «جاء فى الطبقات الكبرى»:

وكان قد بلغ المشركين بالشام أن رسول الله ﷺ يرصد انصرافهم، فبعثوا ضمضم بن عمرو الغفارى حين فصلوا من الشام الى قريش بمكة يخبرهم بما بلغهم عن رسول الله ﷺ(٨).

---

(٦) الظهر: ما يركبه المسافر من حيوان. وانظر النص لدى العلامة برهان الدين الحلبى ـ إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون «السيرة الحلبية» ١٥٢/٢ ط أولى ـ المطبعة الأزهرية المصرية ١٣٢٠هـ.

(٧) الصفراء: واد بين جبلين بينه وبين مكة مراحل يسيرة. انظر معجم البلدان.

(٨) انظر: محمد بن سعد بن منيع البصرى ـ الطبقات الكبرى ـ ١٢/٢، ١٣ دار صادر بيروت بلا تاريخ.

استأجر أبو سفيان ضمضم بعشرين مثقالا[9]، فطرق مكة على أبشع صورة يمكن أن يتمثلها ـ أو تمثُّلُ ـ في إنسان: قد مزق ثوبه في أكثر من مكان، وقطع أنف بعيره وأذنيه، وعكس رحله، وصاح ـ ببطن الوادي: «يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة[10]، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها.. إن أصابها محمد لن تفلحوا أبداً.. الغوث الغوث»[11].

انطلق أبو سفيان مطمئنا يرى أن رسالته إلى قريش ستمكنهم من حماية القافلة حتى إذا اقترب من «المدينة المنورة»، وليس ثمة خبر عن قريش أو جس خيفة: ماذا يحدث لو تأخرت النجدة وليس بينه وبين المسلمين إلا مراحل يسيرة، بل معدودة، لقد خرجوا ـ فعلا ـ يطلبونه ومن معه، بل قطع محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أكثر المسافة، وجاوز «وادي الصفراء» إلى أقرب المنازل إلى «بدر» وليس بينه وبين بدر أكثر من مرحلة أو دونها، يمكن قطعها في يوم أو أقل، وعندئذ ساوره قلق عنيف ورأى أن يتحسس الأمر بنفسه، فترك القافلة حيث هي قبل المدينة، وانطلق مسرعا مستخفياً إلى «بدر» حتى وقف على مائها، ووجد على الماء مجدي بن عمرو الجهني، وكان على معرفة به فسأله:

ـ هل أحسست أحداً من عيون محمد؟

قال مجدي: والله، ما رأيت أحداً أنكره إلا راكبين أتيا إلى هذا المكان.

وأشار له إلى حيث نزلا.

سار أبو سفيان إلى مكانهما فوجد أبعارا لبعيريهما، فأخذا منها واحداً وفته فوجد فيه نوى، فقال: هذه ـ والله ـ علائف يثرب.

الأمر ـ إذا ـ حق، ومحمد ﷺ وصحبه سيدهموننا لا محالة، فعاد سريعا ـ كأسرع ما يكون إلى القافلة، وحول مسارها إلى ساحل البحر على بعد الشقة، وأعمل السير ليلا ونهاراً حتى جاوز الخطر، ونجا والقافلة. تاركاً بدراً والحجاز.

وكما انتدب ضمضم بن عمرو الغفاري صارخا إلى مكة مستغيثا يطلب النجدة، بعث قيس بن امرىء القيس إلى القرشيين الذين هبوا لحرب المسلمين، فأدركهم قيس بأرض «الجُحفة»[12] وبلغهم رسالة أبي سفيان:

«إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، وقد نجاها الله (تعالى) فارجعوا»[13]

(٩) أي من الذهب، يزن المثقال ٤.٤٥٧ جرام انظر المصباح المنير والمعجم الوسيط.

(١٠) اللطيمة: العير تحمل الطيب والسلع من الحرير وغيره.

(١١) الحلبية ١٥٤/٢.

(١٢) قرية تعتبر الخمس الثاني من المسافة بين مكة والمدينة المنورة.

(١٣) ابن كثير ـ السيرة النبوية ٣٩٩/٢. والنص كذا في بقية السير بنفس الموضع

كانت الرسالة واضحة تحمل بصمة أبي سفيان الثانية «.. ولا يستمرىء العدوان»

نعم: «يحذر الخطر ولا يستمرىء العدوان»..

لكن أبا جهل أبى إلا الحرب، بل اعتبرها لهواً لا حرباً وقال:

«والله، لا نرجع حتى نحضر بدراً فنقيم عليه ثلاثة أيام، فلابد أن ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان[14]، وتسمع بنا العرب، وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها..».

وساقهم أبو جهل إلى بدر.. إلى مصارع كل صناديد الشرك، وفي بدر قتلوا جميعا، صناديد واحد فقط لم يكن معهم، هو أبو لهب بقي بمكة فنزل به طاعون الثعلبة ـ والعياذ بالله ـ فقضى عليه بعد أيام معدودة من وقعة بدر[15] سبعة أيام فقط.

كان المهاجرون مشوقين إلى العير.. إلى القافلة وما فيها وفاء بشيء من حقهم المغتصب في مكة، وأبى الله تعالى ـ إلا النفير.. فكانت الحرب لهؤلاء الصناديد..

لماذا..؟

في التنزيل العزيز الجواب:

﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

.. هكذا

قال ـ تعالى ـ عن بدر:

﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[16].

ولنا من الآية الكريمة ملمح مبارك، لعله يريد أن يقول ـ لنا ـ: إن كل من بقي من المكيين ـ بعد بدر ـ في طريقه إلى الإسلام.

هذا ما وقع في نفسي من هذه الآية الشريفة.



ثم بعد:

فقد كانت زعامة الرأي لأربعة من قريش في الجاهلية.

قال يونس بن عبيد ـ رحمه الله ـ تعالى:

«كان عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة بن ربيعة، وأبوجهل بن هشام، وأبوسفيان لا يسقط لهم رأي في الجاهلية..»[17] أي في مكة.

وجرفت «بدر» عتبة وشيبة وأبا جهل مع من جرفته من بقية الصناديد، وبقي ـ حيا ـ أبو سفيان، فصار زعيم قريش.

(١٤) الحلبية ١٦٢/٢ وانظر النص في غيره من السير.

(١٥) ابن كثير ـ السيرة النبوية ٤٧٩/٢.

(١٦) الأنفال ـ ٧.

(١٧) عز الدين أبي الحسن بن الأثير ـ أسد الغابة ١٠/٣ كتاب الشعب.

المؤسسات العلمية في العصر الإسلامي

٢- بيت الحكمة

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

مقدمة تاريخية لابد منها

في يوم ١٣ من ربيع الأول سنة ١١ هجرية الموافق ٨ من يونية سنة ٦٣٢ ميلادية اختار الله رسوله محمدا ﷺ لجواره وله من العمر ثلاث وستون سنة، بعد أن بلغ رسالته، وأدى أمانته، وبيّن للناس أمور دينهم، وأرسى الأسس العامة لقيام دولة عربية إسلامية موحدها دستورها القرآن الكريم وبيانه النبوي، وأسلوبها العمل والعلم ولزوم جماعة المسلمين، وبذلك أصبح الإسلام - كعقيدة وثقافة - قادرا على التوحيد بين شعوب أشدّ ما تكون اختلافا وتباينا.

وحمل خلفاء الرسول ﷺ من بعده تعاليم الإسلام إلى جميع شعوب الأرض، واستطاع المسلمون أن يقيموا، على مراحل، دولة الإسلام الكبرى، ويشيدوا للبشرية حضارة زاهرة حققت انتشارا ودواما متلازمين لم تحققهما أي حضارة أخرى عرفها التاريخ، ففي عهد الخلفاء الراشدين (٦٣٢ - ٦٦١م)، وهم: أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، استطاعت جيوش العرب أن تقهر الروم والفرس، واتسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية لتشمل إلى جانب الجزيرة العربية بلاد فارس والعراق وبلاد الشام ومصر وأفريقيا حتى طرابلس الغرب، وكذلك أرمينيا وأواسط آسيا حتى نهر جيحون.

وفي عهد الخلفاء الأمويين (٦٦١ - ٧٥٠م) واصل المسلمون نشر الدعوة الإسلامية والجهاد في سبيل الله خارج

الجزيرة العربية، وجعلوا دمشق حاضرة لهم، وامتدت حدود الدولة العربية الإسلامية حتى بلغت التركستان شرقا والأندلس وأواسط فرنسا غربا، وأسوار القسطنطينية شمالا، وفتحت بخارى وسمرقند وبلاد ما وراء النهر، بالإضافة إلى بلاد السند وشمال أفريقيا وجزيرتي قبرص ورودس، وقد بلغ عدد الخلفاء الأمويين أربعة عشر خليفة، أولهم معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية، وأشهرهم عبدالملك بن مروان الذي انتشل هذه الدولة من فوضى العصبية القبلية التي كادت أن تمزقها، واستطاع أن يعيد إليها مجدها ويرسي دعائمها، ويعزى إليه الفضل في تمهيد الطريق أمام من جاء بعده من أولاده وأقاربه لمزيد من الفتوحات في الشرق والغرب، وبلغت الدولة الأموية أوج ازدهارها في عهود ولديه الوليد، وسليمان بن عبدالملك، وابن أخيه عمر ابن عبدالعزيز الذي شبه المسلمون خلافته بخلافة جده عمر بن الخطّاب في عدله وزهده وعمله، وبوفاة الخليفة عمر ابن عبدالعزيز في عام ٧٢٠ ميلادية وتولي يزيد الثاني بن عبدالملك تاسع خلفاء البيت الأموي بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة الأموية لأسباب عديدة من بينها تطور المنافسة بين أفراد البيت المالك، وظهور روح العصبية بين القبائل، وانغماس بعض الخلفاء في حياة البذخ والترف اللذين أخذوهما عن البلاط البيزنطي، وقد أدى كل ذلك إلى زوال سلطان الأمويين وسقوط دولتهم على أيدي العباسيين في عام ٧٥٠م.

وفي عهد الخلفاء العباسيين (٧٥٠ - ١٢٥٨م) عاد للدولة العربية الإسلامية مجدها وعزها، ووصفها ابن طباطبا صاحب «الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية»، بأنها ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك، فكان أخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تدينا، والباقون يطيعونها رهبة أو رغبة، وكانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم، أسواق العلوم فيها قائمة، وشعائر الدين فيها معظمة، والدنيا عامرة، والحرمات مرعية، والثغور محصنة، ومازالت على ذلك الحال حتى كان أواخرها، فانتشر الخبر، واضطرب الأمر، وانتقلت الدولة.

وقد بلغ عدد الخلفاء العباسيين سبعة وثلاثين أشهرهم أبوجعفر المنصور (٧٥٤ - ٧٧٥م) المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، وهارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩م) الذي جعل من العاصمة بغداد مركزا عالميا للتجارة، وكعبة يحج إليها طلاب العلم والأدب، والمأمون (٨١٣ - ٨٣٣م) الذي اشتهر بحبه للعلم والعلماء، وشغف بعلوم الفلك والطب

والفلسفة، ونظر في علوم الأوائل وأمر بنقلها إلى العربية، وبحلول عهد المتوكل (٨٤٧م) عاشر الخلفاء العباسيين بدأ نجم الدولة العباسية الساطع يميل نحو الأفول، وخضع الخلفاء لنفوذ الفرس تارة ولنفوذ الأتراك تارة أخرى، وانتقل مركز الثقل من بغداد إلى الممالك والدويلات المستقلة أو شبه المستقلة التي انقسم إليها العالم الإسلامي، وبالرغم من أن الدولة الإسلامية الكبرى لم تعد تخضع لحكومة مركزية واحدة، إلا أنها ظلت من أقصاها إلى أقصاها يسودها وحدة الدين واللغة والتاريخ والمصير المشترك.

وتجدر الإشارة إلى أن عناية المسلمين في صدر الإسلام - خاصة أيام الأمويين - اقتصرت على علوم الدين واللغة، التي عرفت باسم العلوم النقلية، تميزا لها عن العلوم العقلية التي وجه المسلمون نشاطاتها الفكرية إليها في العصر العباسي، بعد أن استقرت أمور الحكم وقلة الحروب والفتوحات وكثرة الأموال والثروات وراجت التجارة ونشطت الرحلات وبدأت الاتصالات مع أمم ذات حضارات وثقافات مختلفة.

المؤسسات العلمية الإسلامية

كان نظام المؤسسات من أهم مميزات الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، وقد ارتبط تاريخ المؤسسات العلمية في العصر الإسلامي، كالمكتبات والمستشفيات والمراصد والمدارس العلمية وغيرها، ارتباطا وثيقا بسيرة الحكام الذين أنشأوها وبالعلماء الذين أحيوها، وهذا يعني أن مهمة هذه المؤسسات في الأساس هي رعاية العلم والعلماء في مختلف المجالات.

ولم يكن نشاط العلماء والمؤسسات التي ينتمون إليها نشاطا متواصلا ومنتظما في الزمان والمكان، فقد تركز في العواصم الكبرى، في بغداد أيام الخليفتين العباسيين هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩م) والمأمون (٨١٣ - ٨٣٣م)، وفي مصر في العصر الفاطمي، وفي العواصم البويهية الكبرى في القرن الرابع للهجرة «العاشر الميلادي» كالري وأصفهان وشيراز وبغداد، وفي سوريا في زمن الأمراء الأيوبيين.. إلى آخره.

بيت الحكمة

أنشأه هارون الرشيد، وبلغ النشاط فيه ذروته في عهد المأمون، حيث ازدهرت الترجمة لنقل العلوم من اللغات الأجنبية إلى العربية، وقد حوى بيت الحكمة مؤلفات مكتوبة في الأصل بلغات مختلفة، ومن أهمها الكتب اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والأرامية، ويقول ابن أبي أصيبعة: إن الرشيد قلد يوحنا ابن ماسويه ترجمة الكتب القديمة

التي وجدها في أنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم بعد دخول المسلمين فيها، ويحدث «ابن نباتة» أن المأمون عين «سهل بن هارون» كاتبا على «خزانة الحكمة»، حيث كتب الفلاسفة التي نقلت إلى المأمون من جزيرة قبرص.

ذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل إليه يطلب خزانة كتب اليونان، وقد اغتبط بها المأمون، ويروى ابن النديم أن مجموعة ثالثة جاءت من القسطنطينية إلى خزانة الحكمة، طلبها المأمون من ملك الروم، وهي تضم مؤلفات لأفلاطون وأرسطو وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس وغيرهم.

وقد صنفت هذه الكتب التي وردت إلى بيت الحكمة حسب موضوعها، واختير لها المترجمون ممن لهم خبرة علمية بالموضوع الذي يترجمون عنه، بالإضافة إلى إجادتهم للغة أخرى أو أكثر غير العربية.

وقد ظهرت عبارة «بيت الحكمة» أو مثيلتها «خزانة الحكمة» في أيام هارون الرشيد.

أما في عهد الخليفة المأمون، وإن لم يكن هو المنشيء لهذه المؤسسة، فقد أعطاها دفعة قوية جدا نحو النشاط العلمي الذي ارتبط بها، وبيت الحكمة الذي بدأ مكتبة في خدمة الأمير أو الحاكم، أضحى في عهد المأمون مكتبة مفتوحة للنخبة من العلماء، كذلك غني عن البيان أن نعرف المقصود بـ «الحكمة» في الثقافة العربية الإسلامية، باعتبارها ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق بها، فهي كلمة تشير إلى العقل وإلى الفكر النظري بالمعنى المباشر للكلمة، وإلى جميع أشكال المعرفة الموروثة من العصور القديمة والمستحدثة التي تضيف إليها.

وقد اغتنى بيت الحكمة بكنوز المعرفة الإنسانية على نحو ما ذكرنا، إلا أن هذه المقتنيات القادمة من الخارج، والتي تحدث عنها أولئك الذين يحلو لهم التركيز على كل ما هو استثنائي وإبرازه لخدمة أفكار وأيدلوجيات تخصصهم، هي أقل بكثير من مجموعات المخطوطات التي كانت متوفرة في الدولة العباسية الكبرى. إن بعض المدن كالإسكندرية، والرها، وحران، ونصيبين، بالإضافة إلى عدد من الأديرة، عاشت حياة فكرية راقية، وكانت المؤلفات الفلسفية والعلمية اليونانية تحفظ في هذه المدن وتشرح وتترجم إلى السريانية، ثم العربية، وقد احترم الفاتحون العرب الوضع السائد في هذه المدن قبل الفتح، وذلك هو ديدنهم مثلما فعلوا في كثير من الميادين الأخرى، ولم يضعوا حدا

حركة النقل والتكامل مع المعارف القديمة، بل إنهم على العكس من ذلك، تابعوا هذه الحركة وطوروها عمقا واتساعا.

كذلك كان بيت الحكمة مكانا لنسخ المؤلفات، وكان النساخ يعملون فيه لحساب هارون الرشيد والمأمون والبرامكة، وكانت تعقد فى بيت الحكمة اجتماعات للعلماء، ولعل مثل هذه الاجتماعات قد لعبت دورا ما فى التوفيق بين الفلسفة والعلوم الدينية ومن خلال هذا المسار كان بيت الحكمة مواكبا دعوة الإسلام فى انفتاحه على العقلانية الإيمانية، وهى غير العقلانية المادية أو الوثنية، التى اتصفت بها ثقافة القدماء فى الشرق والغرب، مما يؤكد أصالة هذا التوجه العلمى فى الفكر الإسلامى منذ نزول القرآن الكريم.

وهكذا كان بيت الحكمة أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الإسلامى، ولعله أول جمعية علمية إسلامية، أو لنقل «جامعة إسلامية» يجتمع فيها العلماء للبحث والدرس، ويلجأ إليها طالبوا المزيد من العلم النافع، ويعتبر عصر المأمون أزهى عصور بيت الحكمة، لأنه كان مثالا للخليفة العالم، يهب العلم وقته ورعايته، كما يهب العلماء احترامهم وعنايته، وقد فقدت هذه المؤسسة العلمية الإسلامية دورها المهم بعد حكم الخليفة المأمون، وأهمل المعتصم شأنها.. وتوالت الأحداث بعد ذلك، مما زاد فى الإقلال من شأنها، ولكنها ظلت تقاوم إلى أن داهم التتار بغداد، وقتل «هولاكو» المستعصم آخر الخلفاء العباسيين، فانتهى بكل أسف هذا الصرح العلمى العظيم واندثرت خزانة الكتب، وعفيت آثار «بيت الحكمة».

أهم المراجع:

١- د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، القاهرة، ١٩٨٣م.

٢- د. عبدالحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م.

٣- موسوعة تاريخ العلوم العربية، إشراف د. رشدى راشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧م.

***

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

الطائفة المسيطرة

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

«إن من يعتدى على يهودى فكأنما اعتدى على كل فرنسا».

تذكرت هذه العبارة المنسوبة إلى السيد «نيكولاى ساركوزى» وزير داخلية فرنسا وأنا أقرأ خبرا أوردته الصحف عن تعرض الممثل المسرحى الكوميدى الفرنسى «ديودونيه» لهجوم إرهابى غير مسبوق، حيث شن عدد من اليهود هجوماً بالزجاجات المملئة بالغازات الحارقة على المسرح الذى مثل فيه مؤخرا عرضا غنائيا استعراضيا بعنوان: «طلاق باتريك» مما أدى إلى إحداث حالة من الرعب داخل المسرح، وإصابة عدد من المتفرجين تم نقلهم إلى المستشفيات.

أما الجريمة التى ارتكبها «ديودونيه» فهى أنه قام فى ديسمبر الماضى بالسخرية من الصهاينة على شاشة القناة الثالثة للتليفزيون الفرنسى، حيث ارتدى طاقية وملابس اليهود السوداء ووجه كلامه إلى جمهور المشاهدين الفرنسيين قائلا: «انضموا مثلى إلى معسكر الخير الصهيونى الأمريكى».

«ديودونيه» وهو فرنسى من أب كاميرونى وأم فرنسية اتهم المهاجمين بممارسة الإرهاب، وبالعمل لحساب من وصفهم بـ «تجار العبيد» الذين حققوا ثروات ضخمة من تجارتهم.

ديودونيه قال عن نفسه: إنه زنجى فقير يُضرب، ويُعاقب، وتُلقى القنابل على جمهوره لا لشىء، إلا لأنه «زنجى أسود قذر» وهى العبارات التى رددها المهاجمون اليهود أثناء هجومهم على المسرح.

ديودونيه وجه سؤالا إلى الرأى العام الفرنسى نشرته جريدة «لوجورنال دو ديمانش» وهو: لماذا

لم يهتم أحد فى فرنسا بإدانة هذا الهجوم الذى شنه المتطرفون اليهود؟، وأجاب بنفسه عن السؤال قائلا: «لأننى زنجى أسود قذر لا أنتمى إلى الطائفة المسيطرة».

ديودونيه نفى عن نفسه بشكل قاطع تهمة معاداة السامية مؤكدا أنه سخر فقط من المتطرفين اليهود الذين قتلوا (اسحق رابين) رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق وهؤلاء الذين يشنون حرب إبادة ضد الفلسطينيين العُزّل مؤكدا أن أحدا من عائلته لم يخدم فى جيش هتلر النازى.

ولكنه اتهم من وصفوه بـ «الزنجى الأسود القذر» بأنهم تجار العبيد الذين حققوا الثروات فى البنوك ولجأوا إلى الإرهاب ضد كل من يعارض سياسة رئيس الوزراء الإسرائيلى إرئيل شارون.

مؤكدا أن إسرائيل هى التى مولت نظام الفصل العنصرى البغيض فى جنوب أفريقيا.

وبرغم أن «ديودونيه» تعرض للاعتداء المادى ممثلا فى هذا الهجوم المسلح، والمعنوى العنصرى ممثلا فى وصفه من قبل المهاجمين بـ «الزنجى الأسود القذر»، فقد قدمت الرابطة الدولية ضد العنصرية ومعاداة السامية شكوى ضد الممثل الكوميدى الفرنسى، ولماذا؟ بسبب الحديث الذى أدلى به لصحيفة (لوجورنال دوديمانش).

ترى ماذا كانت ستصير إليه الأمور لو كان الذين هاجموا «ديودونيه» ذوى ملامح شرق أوسطية يتحدثون بلكنة عربية؟!

وإذا كانت الرابطة الدولية ضد العنصرية، ومعاداة السامية قد اعتبرت حديث ديودونيه حديثا معاديا للسامية وتقدمت بشكوى ضده، فلماذا لم يتم توجيه نفس الاتهام إلى أمثال السيد «سلمان رشدى» صاحب آيات شيطانية والذى سخر فى كتابه من الدين الإسلامى والعبادات الإسلامية وكل ما يقدسه المسلمون، فى حين نظر الغرب إلى الكتاب على أنه إبداع أدبى وإلى مؤلفه على أنه مُبدعٌ مضطهد من قبل المتطرفين المسلمين؟!!

وفى ذات الوقت بماذا يمكن تفسير موقف زعماء اليهود فى فرنسا الذين أشادوا بقانون «منع الرموز الدينية الظاهرة فى المدارس الفرنسية» الذى حرمهم فقط من ارتداء الطاقية اليهودية وهى مجرد رمز دينى، فى حين اتخذ زعماء الدين الإسلامى والمسيحى فى ذات البلد ـ فرنسا ـ موقفا معارضا ومتحفظا تجاه نفس القانون، لأنه أسقط تماما مبدأ حرية العقيدة للمسلمين وللمسلمين فقط على اعتبار أن الحجاب فريضة دينية إسلامية وليست مجرد مظهر دينى، ومن هنا يُفهم سر الترحيب اليهودى بهذا القانون.

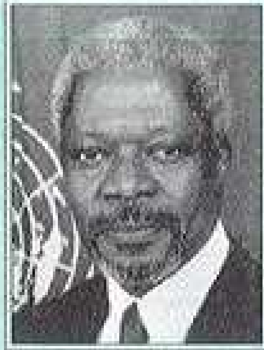
وإذا كان «ديودونيه» لم يجد من يحفل به بعد العدوان الوحشى الذى تعرض له فبرر هذا التجاهل بقوله: «لأننى زنجى أسود قذر لا أنتمى إلى الطائفة المسيطرة»، فإنه لا يمكن بحال تصور انتماء المسلمين إلى تلك الطائفة المسيطرة، وإذا كان المسيحيون الفرنسيون بل القيادات المسيحية فى العالم قد رفضوا القانون أو على الأقل تحفظوا عليه فإن هذا يعطينا تصورا كافيا

لحقيقة تلك الطائفة المسيطرة التى عناها ديودونيه ولم يصرح باسمها فأدت إلى إثارة ثائرة المدافعين عن تلك الطائفة، ويزداد التصور وضوحا مع عبارة السيد (ساركوزى) التى كتبناها فى بداية المقال.

كل هذا والصهاينة أنفسهم يوجهون للمسلمين كمسلمين عبارات تنطوى على تمييز عنصرى، مثل الحاخام يوسف عوفاديا أحد أكبر المرجعيات الدينية لدى إسرائيل، والأب الروحى لحزب شاس الدينى المتطرف الذى قال على الملأ: «عليكم اللعنة أيها المسلمون إنكم تتكاثرون مثل النمل!!».

والغريب أن القادة الإسرائيليين عندما يتحدثون عن دولتهم التى سرقوها من الشعب المسلم العربى الفلسطينى يستخدمون مصطلح (الدولة العبرية) أو (الدولة اليهودية) وهو تعبير عنصرى من الطراز الأول لأن إسرائيل تضم عربا فلسطينيين يحملون الجنسية الإسرائيلية، فأين هى جماعات محاربة التفرقة العنصرية من هذا السلوك العنصرى؟!

أضف إلى كل ذلك تلك الهجمة الشرسة التى يتعرض لها حاليا السيد «كوفى عنان» الأمين العام للأمم المتحدة بسبب دعوته إلى وضع حد لظاهرة (الإسلاموفوبيا) أى العداء للإسلام والذى وصفه بأنه يمثل تحديا لروح التوحد بين الشعوب، حيث أشار إلى أن المسلمين أصبحوا هدفا للاشتباه والتحرش والتمييز العنصرى، فضلا عن انتشار الأفكار المشوهة ضد الإسلام، وحذر أيضا من ظاهرة



كوفى عنان

استغلال اليهود لمسألة معاداة السامية.

إذا وضعنا كل هذا داخل إطار واحد فإننا نستطيع ببساطة أن نؤكد على أن الطائفة المسيطرة التى عناها «ديودونيه» فى حديثه لصحيفة (لوجورنال دو ديمانش) لا تسيطر فقط على صنع القرار فى فرنسا، بل على صنع القرار فى العالم كله، وصنع الأحداث المدوية كأحداث الحادى عشر من سبتمبر، وغزو واحتلال أفغانستان، ثم غزو واحتلال العراق، وأخيرا تهديد إيران وسوريا.

هذه كلها أحداث حققت إسرائيل من ورائها مكاسب هائلة فى مقدمتها تشويه صورة الإسلام والمسلمين وإقناع العالم بمشروعية امتلاكها للسلاح النووى من جانب وحتمية إخلاء العالم الإسلامى من ذات السلاح وما يشابهه من أسلحة الدمار الشامل من جانب آخر وصولاً إلى تحقيق سيطرة إسرائيلية عسكرية فعلية على الأمة الإسلامية.

وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

المائدة (٦٤)

أصوات جديدة فى إسرائيل

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد

تعالت أصوات جديدة فى إسرائيل، منذ نهاية الثمانينيات، تدعو إلى إعادة كتابة تاريخ الصراع العربى - الإسرائيلى من جديد، وقد اصطلح على تسميتهم باسم «المؤرخين الجدد»، وهم يخالفون، فى أفكارهم، وآرائهم، وتحليلاتهم، لأحداث هذا الصراع، «المؤرخين القدامى» من أصحاب الرواية التاريخية الإسرائيلية التقليدية، التى تمجد الصهيونية، وتعلى من شأن الدولة العبرية، والاستيطان اليهودى فى فلسطين. ويرى أصحاب المدرسة التاريخية الجديدة أن الرواية التاريخية التقليدية التى يتبناها المؤرخون القدامى حول الصراع العربى الإسرائيلى، ونشأة الدولة اليهودية، مليئة بالمغالطات والافتراءات التاريخية، والحقائق المشوهة، بالإضافة إلى حذف حقائق تاريخية أخرى، ما كان ينبغى حذفها، لتضليل الشعب الإسرائيلى، وإيهامه بأن آباءه، وأجداده عندما جاءوا إلى فلسطين «كانت أرضاً بلا شعب». ومن ثم تشهد إسرائيل جدلاً حاداً بين المؤرخين الجدد والمؤرخين القدامى، وصلت أصداؤه قطاعات كبيرة فى المجتمع العبرى، فكان محل اهتمام وسائل الإعلام، وأصبح محور الحديث فى المؤتمرات العلمية، وفى عدد كبير من المجلات الأكاديمية المتخصصة. ومن جانب آخر، فإن هذا الجدل الواسع لم يقتصر فقط على الدوائر العلمية، فقد صار جزءاً من اهتمام السلطات الإسرائيلية أيضاً. لذلك انتقد «أمنون روبنشتاين» وزير التعليم والثقافة والرياضة الإسرائيلى الأسبق فى حكومة «نيتانياهو» اليمينية عام ١٩٩٦ المؤرخين الجدد بدعوى أنهم يسعون للقضاء على الحركة الصهيونية، ويسيئون إلى الدولة العبرية بقوله: «إنهم يقدمون الصهيونية فى صورة عنصرية إستعمارية ويحملونها كل سلبيات القومية، من دون أن يظهروا تجاهها أى قدر من التعاطف، إذ يصورون إسرائيل فى صورة الدولة التى قامت على اضطهاد الآخر».

والجدير بالذكر أن هذا الجدل الذى يدور حول الصراع العربى الإسرائيلى طال أيضاً «علماء الاجتماع»، فيذهب بعضهم فى

انتقاداته إلى أن الاستيطان اليهودى يمثل مشروعاً استعمارياً لسلب أرض الآخرين. وفى هذا السياق يرفض المؤرخون الجدد، أمثال «إيلان بابيه» من جامعة حيفا، و«بن موريس» من جامعة «بن جوريون» و«آنى شلايم» من جامعة «اكسفورد»، و«توم سيجيف» صحفى بجريدة هآرتس، التسليم بالروايات التاريخية التقليدية، الرسمية التى تتبنى مقولات «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض»، وأنه «ليس هناك من نتحدث أو نتفاوض من معه» وهذه المقولة الأخيرة نسمعها على لسان شارون، وأعضاء حكومته اليمينية المتطرفة التى تتجاهل وجود الرئيس «عرفات» على رأس السلطة الفلسطينية، ويزعمون أنه لم يعد صالحاً للتفاوض معه.

ومن جهة أخرى يؤكد عدد من علماء الاجتماع المؤيدين للمدرسة التاريخية الجديدة مثل «كيمر لينج» فى دراسته عام ١٩٩٣، و«بن اليعازر» فى دراسته عام ١١٩٩٥ «عسكرة المجتمع الإسرائيلى» وأن ثقافته صارت ثقافة عسكرية، تسعى إلى ابتداع أشكال جديدة من الصراع مع العرب. وهذا الوصف من جانبهم، يوضح أن الدولة العبرية تحولت بحكم صهيونيتها العنصرية، إلى ترسانة مسلحة بالسلاح التقليدى والنووى، إلى درجة أن البعض يصفها بأنها «دولة بالزى العسكرى» لذا يذهب «فلابان» فى بحثه عام ١٩٨٧، و«سلاتير» فى دراسته عام ١٩٩٥، إلى أن إسرائيل رفضت، خلال الأربعينيات والخمسينيات، فتح نوافذ الحوار مع الدول العربية المجاورة، كما تشددت فى مواقفها تجاه عملية السلام اعتماداً على قوتها النووية الآن. كما يذهب «إيلان بابيه» و«بنى موريس» فى دراستيهما عامى ١٩٨٦، ١٩٩٥ على التوالى إلى أن سياسات إسرائيل الأمنية تسيطر عليها روح المغامرة العسكرية، فقد أدت هذه السياسات غير المتعقلة من جانب الصفوة الحاكمة إلى حرب سيناء عام ١٩٥٦، على مصر وحرب ١٩٦٧ على كل من سوريا والأردن ومصر. ولقد أكد «بنى موريس» فى دراستين قام بهما عامى ١٩٨٩ و١٩٩١ أن إسرائيل تتحمل مسئولية قضية اللاجئين الفلسطينيين، فهى وليدة سياسة الترحيل (الترنسفير) والطرد التى خططت إسرائيل لها سلفاً، لتفريغ فلسطين من الفلسطينيين، مستخدمة القوة المسلحة، والإرهاب ضدهم عامى ١٩٤٧ و١٩٤٨. كما أوضحا فى هاتين الدراستين أن الفلسطينيين لم يتركوا ديارهم وأرضهم طواعية، بل أجبرتهم القوات الإسرائيلية، والمنظمات الإرهابية الصهيونية على الرحيل تحت تهديد السلاح والعنف. ويرى المؤرخون الجدد أنه لولا المنظمات الإرهابية اليهودية مثل شيترن، وأرجون، وليحيى، التى مارست أبشع أنواع الإرهاب ضد الشعب الفلسطينى، ما نشأت الدولة العبرية، وأن إسرائيل كدولة يهودية ولدت خطأ، ومن هنا

فلاتزال حكومة شارون تمارس سياسة إرهاب الدولة ضد الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية وقطاع غزة، ولم تتخل عن مخطط الترحيل. فشارون بيمينيته المتطرفة التى تميل إلى العنف يرى أن مصير إسرائيل مرتبط بمقولة «إن السلام مع العرب غير قابل للتحقيق» وأن إسرائيل عليها أن تحافظ على تفوقها العسكرى بشكله المطلق على كافة الدول العربية مجتمعة لردعهم وحماية وجودها، ولفرض شروط السلام الذى تريده، حتى يكون لها الهيمنة على الدول العربية، ولتبقى لها السيادة حتى فى ظل الدولة الفلسطينية المرتقبة.

وفى هذا الإطار يرفض المؤرخون الجدد الرواية التاريخية الإسرائيلية التقليدية التى تقول «إن العالم العربى المعادى، يسعى إلى تدمير الدولة اليهودية» ويعتبرون هذه المقولة الزائفة، ما هى إلا مجرد «أسطورة صهيونية»، ويؤكدون أن تصلب إسرائيل فى مواقفها تجاه الفلسطينيين هو الذى يحول دون التوصل إلى السلام مع العرب. واللافت للنظر أن المؤرخين الجدد يذهبون إلى القول إنه يجب أن تقوم أية تسوية سياسية مع الفلسطينين على أساس ما جرى عام ١٩٤٨ (أى على أساس فلسطين التاريخية المحتلة عام ١٩٤٨) وليس على أساس ما حدث عام ١٩٦٧ لاسترداد الضفة الغربية وقطاع غزة فقط وإنما يكمن أساس القضية فى مشروعية وجود إسرائيل كدولة يهودية، ومن هذا المنطلق تقف إسرائيل موقف العداء من هؤلاء المؤرخين الشبان، وتصفهم بالخيانة والعمالة. وقد أشار «إيلان بابيه» أحد المؤرخين الجدد، إلى هذه الرؤية فى كتابه «حرب ١٩٤٨ فى فلسطين: أصول الصراع العربى الإسرائيلى» لذلك لم يكد هذا الكتاب يصدر، ويعرض فى منافذ البيع، حتى سارعت السلطات الإسرائيلية بمصادرته، وجمعه من الأسواق، منذ سنوات قليلة، بسبب ما يتضمنه من تحليلات وآراء تكشف زيف التاريخ الإسرائيلى الذى يطمس حقيقة الصراع العربى الإسرائيلى.

ويرى المؤرخون الجدد، من ناحية أخرى، أنه إذا كانت الرواية الإسرائيلية التقليدية تزعم أن إسرائيل بعددها القليل خاضت حربا بطولية أمام الكثرة العربية التى تمثلت فى مواجهة سبعة جيوش عربية بمفردها، فإن الحقيقة التى تكشفها الوثائق الإسرائيلية التى أطلع عليها هؤلاء المؤرخون تؤكد وجود توازن فى العدد على ساحة القتال عام ١٩٤٨، بين العرب واليهود، غير أن الانتصار الذى أحرزته إسرائيل عام ١٩٤٨ لم يكن راجعاً إلى قوتها بقدر ما كان راجعا إلى عدم استعداد العرب، الاستعداد الكافى، بالإضافة إلى حالة التمزق، والضعف التى كانوا عليها فى هذه الحقبة التاريخية. كما يكشف هؤلاء المؤرخون المحدثون، وعلى رأسهم «بنى موريس» أن الدور الصهيونى فى سياسة تفريغ فلسطين من أصحابها ظل مستمراً قبل وأثناء وبعد حرب ١٩٤٨،

فقد جاء فى خطاب «ديفيد بن جوريون» أمام مؤيدى «حزب مبام» (اتحاد العمل) بعد الموافقة على قرار التقسيم بأربعة أيام، قوله: «إن المشكلة الأساسية التى تواجه الدولة اليهودية التى توشك على القيام هى «المشكلة السكانية» التى تتمثل فى وجود ٥٢٠ ألف يهودى مقابل ٣٥٠ ألف فلسطينى، وأنه فى حالة إمكان ضم القدس إلى الدولة اليهودية، فستضيف معها حوالى مليون مواطن، ٤٠٪ منهم غير يهود. وفى ظل هذه التركيبة السكانية، فليست هناك قناعة بأن السلطة ستصبح فى أيدى الأغلبية، فلن تكون هناك دولة يهودية قوية ومستقرة، طالما ظلت بها أغلبية يهودية تصل إلى ٦٠٪ فقط». فما أشبه الليلة بالبارحة، فى ضوء هذا الخطاب الذى جاء على لسان الصهيونى الكبير «ديفيد بن جوريون» قبل قيام الدولة اليهودية، فإن إسرائيل الآن تخشى من الأقلية العربية (١,٢ مليون عربى إسرائيلى) من أن تصبح أغلبية تحكم اليهود الذين سيتحولون إلى أقلية، فى غضون ١٥ سنة، أو ٢٠ سنة قادمة على الأكثر. ولعل الدعوة التى أعلنها «أحمد قريع» رئيس الوزراء الفلسطينى، بإقامة ثنائية القومية فى فلسطين برمتها، يتمتع فيها الجميع عربا ويهوداً على السواء بحقوق متساوية، لخير دليل على الرعب الذى يسيطر على حكومة شارون، فى الوقت الراهن، لأن شارون يدرك مدى الخطر الديموجرافى (السكانى) الفلسطينى الذى يمكن أن يقضى، فى المستقبل، على وجود إسرائيل كدولة يهودية نظرا لارتفاع معدل الولادة الطبيعية فى الوسط العربى عنه فى الوسط اليهودى، وأحب أن ألفت الانتباه إلى أن الدعوة الجديدة التى صدرت من جانب المؤرخين الجدد لإعادة كتابة تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى من جديد. هى دعوة حقيقية قائمة على اطلاعهم على الوثائق التى كانت إسرائيل تعمد إلى حجبها عن الباحثين، فى السابق، بالإضافة إلى حصولهم على معلومات، وبيانات من الطرف العربى، ساعدتهم كثيراً فى معرفة حقيقة الصراع العربى الإسرائيلى، وكيفية نشأة الدولة اليهودية. وقد أسهمت جهود المؤرخين الجدد فى إبراز مجموعة من الآراء والأفكار التى تبلورت فيما يسمى بظاهرة «ما بعد الصهيونية» **Post Zimnism** وترجع أهميتها إلى سعيها لتغيير الفلسفة التى تقوم عليها الصهيونية لتتواءم مع المتغيرات التى يموج بها العالم، وتنادى هذه الظاهرة بأفكارها الجديدة، الشعب الإسرائيلى بمراجعة تاريخ الدولة العبرية، ومعرفة أحداث الصراع العربى الإسرائيلى على حقيقتها خاصة أنه ملىء بحقائق كثيرة لا تمت للواقع التاريخى بصلة، ويرى الكاتب

الفلسطينى «هشام الدجانى» ضرورة الانفتاح على المؤرخين الجدد، فهم يمثلون جزءاً من تيار «ما بعد الصهيونية»، ويذكر أيضاً أن «ظاهرة ما بعد الصهيونية» لم تعد ظاهرة هامشية، بل هناك جدل حقيقى فى إسرائيل اليوم حول «مصير الصهيونية ودورها»، ويدعو إلى التفاعل مع هذه الظاهرة عربياً وفلسطينياً فيقول: «ينبغى ألا نقف مكتوفى الأيدى، أو موقف المتفرج، إننى أدعو إلى الحوار مع رموز هذه الظاهرة، وأنه من الخطأ الفادح تجاهل هذا التيار الذى يمثل وجهاً حضارياً مشرقاً، يقف فى وجه تيار مشحون بالتعصب وحب العنف» ويرى «رشيد الخالدى» أن أهمية «التاريخ الإسرائيلى الجديد» تكمن فى «أنه يؤسس لتصويب النظرة تجاه عدالة الحقوق الفلسطينية، وهو تصويب لابد منه، إذا أراد الجميع تحقيق سلام عادل وشامل بالمنطقة». وفى هذا السياق يقول الكاتب «ربعى المدهون»: «من الصعب إن لم يكن من المستحيل الانتصار لقضيتنا، بدون المساهمة التى يقدمها المؤرخون الجدد، فى تأييد حقوقنا، وإيمانهم بحل شامل، يضمن العدل والمساواة للجميع فى بلادنا. ولا شك أن ما قاموا به هو خطوة فى الاتجاه الصحيح» ويذكر المؤرخ الفلسطينى «إلياس صنبر»: «أن ما قام به المؤرخون الإسرائيليون الجدد، أفاد كثيراً فى ثلاثة مستويات.

الأول: إثباتهم الرواية التاريخية الفلسطينية.

والثانى: إزاحة الشعور الخاطىء ببراءة الإسرائيليين حول ما حدث عام ١٩٤٨.

والثالث: إبراز فكرة أن إسرائيل ولدت من خلال ارتكابها جريمة فى حق شعب آخر». وفى هذا الإطار الذى يدعو إلى الاستفادة من المؤرخين الإسرائيليين الجدد لاستعادة الحق الفلسطينى السليب يرى الدكتور «إدوارد سعيد» - رحمه الله - ضرورة المبادرة من جانب المثقفين العرب، بالاتصال المباشر مع هؤلاء المؤرخين الإسرائيليين، ودعوتهم إلى النقاش فى الجامعات، ومراكز الثقافة، والمنابر العامة فى العالم العربى.

وفى الختام يمكن القول إن الدعوة التى يطلقها الدكتور «إدوارد سعيد» لعقد لقاءات مع هؤلاء المؤرخين الجدد يخدم القضية الفلسطينية، خاصة أن المدرسة التاريخية الإسرائيلية الجديدة التى يمثلونها تتبنى ما تطرحه الرواية الفلسطينية العربية، وهذا فى حد ذاته خطوة نحو إيجاد مؤيدين، وأنصار من داخل إسرائيل يدعون لعدالة القضية الفلسطينية، فما أحرى العرب والفلسطينيين أن يقيموا قنوات اتصال معهم، فهم يمثلون جماعة ضغط إسرائيلية تتحدث بلسان عربى.

النباتيون ليسوا أفضل من غيرهم

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

تشيع فكرة بين الناس مؤداها أن النباتيين الذين لا يأكلون لحوم الحيوانات أو الطيور هم أكثر ذكاء وأخف ظلاً وأعظم نشاطاً وهى فكرة تريد أن تلبس الحق ثوب الباطل إذ يزعم مروجوها أن هدفهم هو الرحمة بالحيوان وقد أثبت العلم بالأدلة والبراهين خطأ هذه الفكرة.

ومن المعروف أن الوجبة التى ترتفع فيها نسبة الكولسترول والدهون المشبعة تزيد من خطر الإصابة بأمراض القلب وأنواع معينة من السرطان وأن اللحوم ومنتجات الألبان التى تكثر فيها نسبة الدهون هى مصدر هذه الأخطار. كما أن تناول الكثير من الفاكهة والخضروات والحبوب والبقوليات يمكن أن يقلل من خطر الأمراض المزمنة وهي أفكار راسخة فى الذهن منذ وقت بعيد. لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو: «هل ينبغى علينا الإقلال من تناول اللحوم والإكثار من تناول الخضروات؟» ويجيب على ذلك الباحثون الغذائيون بالنفى المشفوع بتبرير له وجاهته. فالأمر كما يقولون ليس هو الامتناع عن أكل اللحوم بالكلية لكن المهم هو إضافة لمسة نباتية لوجبات اللحوم فواقع الحال يؤكد أن النباتيين فى العادة يأكلون أفضل من غيرهم فهم يستهلكون الكثير من الفيتامينات وغيرها من العناصر الغذائية ذات الفائدة التى لا تنكر.

إن النباتى المعتاد يتناول من الألياف ضعفين أو ثلاثة أضعاف ما تناوله غير النباتى وقد تمت دراسة هذه المواد وأكدت معظم الأبحاث أن المواد المضادة للأكسدة والموجودة فى الأغذية ترتبط غالبا بتقليل خطر الإصابة بالسرطان وأمراض القلب. كما أن استهلاك أغذية أخرى يمكن أن يقلل من مستويات بعض الهرمونات فى الدم والتي ارتبطت فى كثير من الأبحاث الهامة بخطر الإصابة بأمراض القلب. وصحيح أن الألياف لا تقى من سرطان القولون إلا أنها تقلل من الكوليسترول.

فالوجبة الغذائية الخالية من اللحوم تحوى الأقل من الدهون المشبعة والأقل من الكوليسترول والقليل من السعرات الغذائية ومن ثم فإن النباتيين نجوا من خطر محقق وهو السمنة وكانت إصابتهم بالنوع الثانى من مرض السكر أقل ولا يزال العلماء غير متأكدين إذا ما كانت فوائد الوجبة الغذائية النباتية تنبع من أو

تعزى إلى الاستهلاك الزائد للفواكه والخضروات والحبوب أو أن سببها الإستهلاك المتناقص للحوم أو كلا السببين معاً، يضاف إلى ذلك أن تناول كميات معتدلة من اللحوم هو مصدر فوائد كثيرة تأكد منها العلماء.

فإن السمك والدواجن منزوعة الجلد تقل فيها نسبة الدهون المشبعة كما أنها تعد مصدرا عظيما للبروتين والحديد. وأما السمك الذى يتم اصطياده من المياه الباردة كالسلمون والتونة تحتشد فيه الأحماض الدهنية لما يعرف علميا باسم OMEGA-3 والذى يقلل من خطر الإصابة بأمراض القلب. كما أن الوجبة النباتية يمكن أن يقل فيها فيتامين ب١٢ لأنه موجود بغزارة فى الأطعمة ذات الأصل الحيوانى.

وقد أوضحت الدراسات أن الأمريكان من أصل أفريقى الذين اقتصرت وجباتهم من اللحوم على ثلاث مرات أو أقل فى الأسبوع انخفضت لديهم مستويات الكوليسترول بكل أنواعه أكثر من أولئك الذين يتناولون اللحوم يوميا. وقد دلت الإرشادات الغذائية التى تبسط للعامة فهم الأمور الغذائية على عدم الاقتصار علي النظام الغذائى النباتى وبالتالى وجهت الناس إلى وجبات تنخفض فيها السعرات الحرارية وهى وجبات غنية بالألياف وتنخفض فيها الدهون وخصوصاً الدهون المشبعة والكوليسترول وهي تقصر أهميـة أن تكون نباتيـا في مدة لا تزيد عن أسبوعين.

إن الخيار الغذائى الجوهرى ليس فى أن يكون محتويا على كثير من اللحوم أو تنعدم فيه اللحوم لكنه من الأهمية بمكان أن يكون ذلك الخيار صحيا أو غير صحى والفرق هنا واضح مؤداه أن تهتم بما هو صحى. كما ينصح باستخدام دهون غير مشبعة أحادية التركيب والتى تتوفر بكثرة فى زيت الزيتون. ولا تنس أن تحصل على البروتين من مصادر غير حيوانية كالفول، كما يحسن بك الابتعاد عن الأغذية التى تخلو من الردة كالعيش الأبيض. إن الخبز والبقوليات التى تحتوى علي الكثير من الألياف والمواد النشوية والسكرية المعقدة ينبغى التقليل منها سواء كانت في لحوم الدجاج أو أطباق السلطة التى لا تخلو منها مائدة.

وبعد فإن الاعتدال فى تناول الطعام هو ديدن المسلم الذى نصحه الرسول ﷺ بقوله:

«كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة» (أخرجه البخارى).

تنويـــــه

وقع خطأ مطبعى غير مقصود فى عدد شهر ذى الحجة ١٤٢٤هـ فى مقال «المرأة المسلمة» وصحته: «وتتجلى تلك التوجيهات فى كثير من الآيات الكريمة..... ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ فإن كان الاختلاف وعدم المساواة هما أصل الخلق... إلخ.

بين الصحف



المجلات

إعداد

أ / محمود الغشنى

أ / عبدالموجود أمين

أسباب ضعف الأمة الإسلامية

طرحت جريدة «عقيدتى» فى عددها الصادر فى ١٣ / ١ / ٢٠٠٤ هذا المقال لمصطفى السيد العايش مما قال فيه:

أصبح حب الدنيا وكراهية الموت فى سبيل الله خلقا ثابتا ونهجا دائما أدى بالأمة إلى الشح والظلم والكذب والتباغض والقطيعة فضعف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكثر الطامعون وقل الناصحون فأصيبت بداء ثالث هو داء التنازع، فتنازعت الأمة وتنافست على الإمارة وحطام الدنيا ثم أصيبت بإمارة المترفين فقطعوا أرحامهم وسفكوا دماءهم ولولا أن كان فى الأمة بقية من أهل العلم والعمل لايزال البعض منهم يظهر الحق ويدعون إليه يحفظ الله بهم هذه الأمة من الاستئصال ويجدد لها أمر دينها بين الفترة والفترة.

وقال يرثى حظ الأمة: «إن المسلمين لا تنقصهم الإمكانات ولا يشكون من قلة عدد، وهم يشكلون قوة لا يستهان بها بعد اجتماع كلمتهم واتحاد جهودهم وتنسيق أعمالهم.

وقال: إن الله وعد المسلمين بالنصر والعزة والكرامة وأشارت الأحاديث الصحيحة إلى أن النصر آت لحظة يعيد المسلمون صلتهم بدينهم، ويتجردون من أهوائهم ويقضون على أسباب الفرقة التى شتت شملهم ويرتفعون إلى مستوى واقعهم فهما وتدبيرا وعملا.

غطرسة شارون وتواطؤ أمريكا

فى جريدة «الحياة اللندنية» فى عددها الصادر فى ٩ / ٢ / ٢٠٠٤ فى صفحة الرأى كتب ماهر عثمان:

من مظاهر وتجليات غطرسة القوة الإسرائيلية التى بلغت عنان السماء فى عهد حكومة الصهيونى شارون:

عدم إجراء أى مفاوضات ذات معنى مع السلطة الفلسطينية بزعم أنه لا يوجد فى فلسطين شريك يمكن التفاوض معه، فقد بدأ شارون التطبيق العملى لسياسة إنكار الوجود الفلسطينى.

وطلع شارون فى الآونة الأخيرة على الملأ بخطتين جهنميتين القصد منهما السيطرة على أكبر مساحة من الأراضى الفلسطينية مع أقل عدد من العرب الفلسطينيين ويدعى أن هاتين الخطتين إحداهما مكملة للأخرى.

الأولى: خطة الانفصال عن فلسطين وتأتى بعد بناء جزء كبير من جدار الفصل العنصرى على أراضى الضفة الغربية وأيضا بعد بناء جدار «غلاف القدس» الذى يقضى بإخلاء ١٧ مستوطنة من المستوطنات اليهودية الـ ٢١ فى قطاع غزة فى مقابل ضم إسرائيل الكتل الاستيطانية الضخمة الواسعة الامتداد فى الضفة، وهى كتل تقطع أوصال الرقعة الجغرافية للضفة، وهذه خطة يساعده فيها النظام الأمريكى وبخاصة فى ظروف الانتخابات الأمريكية.

الخطة الثانية: تشكل الطرف الآخر فى معادلة العقيدة الصهيونية وهى تهدف إلى «الحصول على أكبر رقعة من الأراضى الفلسطينية مع أقل عدد من السكان العرب» فتقترح مقايضة أراض بين إسرائيل والدويلة ـ على حد قوله ـ الفلسطينية.

انفراد أمريكا بالقوة خطر يهدد العالم

فى جريدة «أخبار اليوم» فى عددها الصادر فى ٣١ / ١ / ٢٠٠٤ يقول جون ستمبل: ثمة أمور خطيرة تهيمن على العالم، الفترة الحالية فنحن فى وقت ملىء بالأحداث والقضايا الساخنة التى من الممكن أن يمتد صداها وتأثيرها السلبى علينا لعقود عديدة قادمة.

فالولايات المتحدة قوة عظمى وحيدة فى العالم، واتساع الفجوة بينها وبين معظم دول العالم أمر ينذر بازدياد الاضطرابات وعدم الاستقرار، ويقول الأصدقاء ـ قبل الأعداء: إن أمريكا تقودنا للسير على طريق من الأشواك معها فالمنهج الأمريكى الأحادى فى التعامل مع القضايا الدولية هو السبب فى تدهور الكرة الأرضية خلال العام ونصف العام الماضى، فضلا عما تسبب فيه من تدهور فى علاقات واشنطن مع حلفائها ويظل موضوع الإرهاب الدولى يمثل أكبر عقبة نحو تمتع العالم بالأمن والاستقرار.

الاقتصاد الإسلامى والعولمة

تحت هذا العنوان تحدث د. محمد عبدالحليم عمر فى جريدة «عقيدتى» الصادرة ٢٧ / ١ / ٢٠٠٤ يقول: إن إسلامنا يرفض اليأس فإننا نحاول أن نقدم «روشتة» اقتصادية إسلامية لتقليل الآثار المدمرة للعولمة على شعوبنا الإسلامية، والاستفادة من الآثار الإيجابية، تتمثل فى:

١- التمسك بالدين الإسلامى للتأثير فى دول العالم الآخر بدلا من أن يؤثر الغير فينا.

٢- لابد من التعامل بحذر شديد مع العولمة لصالح الدول الإسلامية.

٣- يجب تغيير أنماط الإنتاج والاستهلاك والاستثمارات السائدة فى المجتمعات الإسلامية، لذلك يجب تنمية الوعى الوطنى الدينى وامتلاك أدوات العولمة وبخاصة التكنولوجية.

٤- توحيد الجهود فى الفترة الحالية فى قبول الاتفاقيات المنظمة للعولمة حتى يكون للدول الإسلامية صوت مسموع.

٥- يجب الاهتمام بالإنسان المسلم وتربيته تربية إسلامية من خلال تحديث المناهج التعليمية والتنمية البشرية حتى يكون لديه القوة لمواجهة تغريب الأفكار وأساليب حياته.

وينهى الكاتب مقاله بقوله إن الأمر ليس بهذه السهولة وليس مجرد توصيات تقدم وإنما تحتاج المواجهة وعيا وجهدا وقادة يفهمون مخاطر العولمة ويعملون على تلافيها وحصد مكاسبها.

الأزمة الإيرانية

كتب الأستاذ حازم عبدالرحمن فى جريدة «الأهرام» الصادرة فى ٤ / ٢ / ٢٠٠٤ يقول: هناك طريقتان لتفسير الأزمة السياسية فى إيران.

الأول: أن المحافظين قد ضاقوا ذرعا بجلوس الإصلاحيين على كرسى الرئاسة وتمتعهم بالأغلبية فى البرلمان فقرروا تقليم أظافرهم وما شجعهم على ذلك هو وجود اتصالات بين الغرب والإصلاحيين.

أما السبب الثانى فقد يكون لعبة سياسية بمعنى أن الإصلاحيين بزعامة خاتمى لم يحققوا أى شىء مما وعدوا به الشعب، وفقد الشعب الثقة بهم فجرى البحث عن طريقة لتمد أجل حياتهم والهدف هو أن تستمر لعبة التقسيم الإيرانى السياسى بين الإصلاحيين والمحافظين واستمرار رجال الدين.

واللافت للنظر أن هذه الأزمة لم تحرك الشارع الإيرانى الذى خلا تماما من أى تظاهرات لتأييد الإصلاحيين.

ويبدو أن التفسير الأقرب هو الثانى، لذلك لم تنطل على الإيرانيين تلك اللعبة واعتبروا أنها محاولة لتجديد دماء الإصلاحيين وبعث الثقة فيهم.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
عادل رفاعى خفاجة

العمل فى الإسلام

ينظر الإسلام إلى العمل على أنه قيمة عظمى، فبالعمل قامت دولة الإسلام وبدونه آلت هذه الدولة العظمى إلى ما آلت إليه اليوم.

والعمل فى الإسلام مطلوب لذاته، ألم تر أن النبى ﷺ دعا إلى عدم ترك العمل حتى ولو قامت الساعة، فنراه ﷺ يقول:

«إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل»[1].

ومن المعانى التى تبدو واضحة من هذا الحديث أن العمل مقصود لذاته بغض النظر عن النتيجة المرجوة منه، فماذا عساه يجنى الإنسان من فسيلة ـ إن علقت ـ تثمر بعد عشرات السنين ـ وقد أظلته الساعة؟!

اللهم إلا أجر الغرس من الله الذى لا يضيع عنده أجر.

ومنه أيضا - نفهم أن الله - تعالى - يثيب على العمل الصالح سواء أثمر هذا العمل أم لم يثمر.

وهذا قول الحق تبارك:

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[2].

ولأن العمل قيمة عظمى فقد حضَّ عليه الإسلام وطالب كلاً من الغنى والفقير بأن يعمل، وهو ما نلمسه فى حديثه ﷺ الذى يقول فيه:

«إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة. قالوا: فما يكفرها يارسول الله قال: الهموم فى طلب المعيشة»[3].

أليس فى هذا الحديث دفع لكل أفراد المجتمع - غنيهم وفقيرهم - أن يعملوا لكى يُكفِّر الله عنهم تلك الذنوب التى لا يكفرها إلا العمل؟!

أليس فى ذلك ما يجعل المجتمع كله يتحرك صوب الفلاح؟! وهل ينتظر المجتمع الكسول - الذى لا يأبه أفراده بالعمل - إلا فشلا أكيدا؟!

وصدق الشاعر:

ما أبعد النُّجْحَ عمن لا مضاء له
وأضيع الأمرَ بين القال والقيل

الناسُ شعبانِ: شعبٌ كله عمل
يبغى الحياة وشعب كالتماثيل

وما أجمل ذلك القول المنسوب إلى الإمام علىٍّ كرم الله وجهه:

إن الفتى من يقول ها أنا ذا
ليس الفتى من يقول كان أبى

إن الإسلام يدفع أتباعه دفعا إلى العمل الجاد الشريف لا إلى مجرد التكسب دون أن يعبأ الإنسان بما جمع من حلال أم من حرام، فرب عمل جرَّ كسبا وأورث ندما، لذلك نجد التوجيه النبوى فى هذا الشأن يبين الأمر ويزيده وضوحاً ففى حديثه ﷺ يقول:

«إنه ليس من روح تموت حتى تستوفى رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصى الله فإنه لاُينال ما عنده إلا بطاعته»[4].

وصدق الشاعر:

تغدو إلى كسب قيراط أخو عمل
لو يوزن الإثم فيه كان قنطارا

فالإسلام لا يريد منا أن نكون مجرد جامعى مال من حلّه ومن حرامه، ولا يريد منا كذلك أن نتكفف الناس لقوله ﷺ: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه»[5].

وقوله ﷺ: «ما أكل أحدٌ طعامًا خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»[6]، وقوله ﷺ: «من بات كالا من عمل يده بات مغفورا له»[7].

ولقد حرص جميع الأنبياء على العمل فما من نبى إلا كانت له مهنة.

والقرآن الكريم يقص علينا أخبار الأنبياء السابقين فيقول فى شأن نوح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[8].

(1) مسند الإمام أحمد/ ١٢٥١٢ - والفسيلة صغير النخل.
(2) الكهف (٣٠).
(3) المعجم الأوسط جـ١ ص٣٨.
(5) البخارى/ كتاب البيوع/ باب كسب الرجل حديث ١٩٣٢.
(7) راجع فتح البارى حديث ما أكل أحد طعاما قط (١٩٣٠).
(4) مصنف ابن أبى شيبة جـ٧ ص٧٩.
(6) البخارى/ كتاب البيوع/ باب كسب الرجل حديث ١٩٣٠.
(8) هود (٣٧).

ويقول جل ذكره في شأن سليمان عليه وعلى نبينا أفضل السلام:

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾(٩).

وقد أخبرنا النبي ﷺ أن الأنبياء جميعا امتهنوا حرفة رعي الغنم، حيث قال: «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم فقال الصحابة: وأنت؟ فقال: كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»(١٠).

ثم هذا نبي الله يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لعلمه بأهمية العمل، يطلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض.

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾(١١).

لقد طلب يوسف عليه السلام العمل الذى يجيده لذلك قال: «انى حفيظ عليم».

هذا هو الإسلام ينادى بالعمل الجاد المثمر وينادى أيضا بضرورة. اتقانه فنجده ﷺ يقول: «إن الله يحب إذ عمل أحدكم عملا أن يتقنه»(١٢).

وحذر من يتصدى لعمل ليس بأهل له فقال ﷺ: «من تولى عملا وهو يعلم أنه ليس لذلك العمل بأهل فليتبوأ مقعده من النار»(١٣).

ولقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم معنى العمل وقيمته وقدره عند الله من تأكيد الرسول على أهمية العمل للفرد وللمجتمع فهذا علىّ رضى الله عنه يقول: جعت مرة بالمدينة جوعا شديدا فخرجت أطلب العمل من عوالى المدينة فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرا(١٤) فظننتها تريد بله فأتيتها فقاطعتها كل ذنوب على تمرة فمددت ستة عشر ذنوبا حتى مجلت(١٥) يداى ثم أتيت الماء فأصبت منه ثم أتيتها فقلت بكفى هكذا بين يديها.. فعدت لى ستة عشر تمرة فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فأكل معى منها(١٦).

أما عن عمر - رضى الله عنه - فقد أُثر عنه قولته الشهيرة «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: «اللهم ارزقنى، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، وأن الله تعالى

(٩) الأنبياء (٨٠).
(١٠) البخاري: كتاب الإجارة.
(١١) يوسف/٥٥.
(١٢) مسند أبي يعلى ص ٧ ص ٣٤٩.
(١٣) تهذيب الكمال ص ٣٢ ص ٦٩، سير اعلام النبلاء جـ ٤ وص ٢٤٥.
(١٤) المدار: قطع طين يابس، الواحدة: مدرة، والمَدْرُ تطيّن الحوض بالطين الحر لئلا ينشف الماء. (راجع العين: للخليل بن احمد الفراهيدي: مادة مدر).
(١٥) مجلت يده: بكسر الجيم هو ما يحدث في كف اليد من ارتفاع جزء من الجلد كالقبة يحتوي قليلا من الماء من كثرة العمل بفأس او نحوه وقال الطبري: «المراد به غلظ اليد، وكل من عمل عملاً بكفه فغلظ جلدها قيل مجلت كفه». راجع فتح الباري جـ١١ ص ١١٩.
(١٦) مسند الإمام أحمد كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة.

إنما يرزق الناس بعضهم من بعض(١٧)، وتلا قول الله جلّ وعلا:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١٨)

وبعد، فهذه بعض تعاليم الإسلام التى تؤكد على أهمية العمل لا لأنه وسيلة لجمع المال، ولكن لأن المشرع الحكيم يعلم أهمية العمل وارتباطه الوثيق بالمهام التربوية لأفراد المجتمع جميعاً فمن طريق العمل يعرف كل إنسان دوره فى الحياة وواجباته تجاه الآخرين وحقوقه عندهم فلا ينشأ منطوياً منعزلاً مفرطا فى حقه، ولا محباً لذاته معتديا على حقوق الآخرين.

وبالعمل يعرف كل إنسان ذاته وقدراته فيتعلم الشكر لله على ما أنعم عليه من فضل..

ويتولد لديه حب العلم لإتقان عمله.

وهذا ماكان عليه السلف الصالح، وما تأخرنا وتنكبنا الطريق إلا بعد أن نظرنا إلى الأعمال والحرف وصنفنا محترفيها تبعاً لها فهذا شريف وهذا وضيع تبعاً لحرفته وأهميتها فى نظر الناس.

فانصرف الناس عن بعض الأعمال، ونسوا حث الشريعة على أنه «كلٌ ميسر لما خلق له».

ولن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها؛ فلابد ان يكون لكل مسلم عمل شريف جاد مثمر بغض النظر عن منزلة هذا العمل فى منظومة المجتمع.

ولابد أن يكون طموح المسلم للغنى عن طريق ذلك العمل الجاد الشريف، لا أن تتعلق نفسه بالغنى السريع عن طريق «من سيربح المليون»ومثله برامج كثيرة حتى أصبح شبابنا ينظر إلى أن العمل يأتى فى مرحلة تالية لفرصة سانحة.

نسأل الله التوفيق والسداد

عادل خفاجة

وإلى رسائل القراء



(١٧) راجع العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.
(١٨) الجمعة (١٠).

هجرته صلى الله عليه وسلم

كتب القارىء محمد عبدالغنى اسماعيل – قنا – الشيخية.. يقول :

عن عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – قالت : «كان لا يخطئ رسول الله أن يأتى أبا بكر أحد طرفى النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذى أذن الله فيه لرسوله ﷺ فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرانى قومه أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة «أى وقت شدة الحر بين الظهر والعصر، فى ساعة كان لا يأتى فيها» قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الساعة إلا لأمر حدث، قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء فقال رسول الله : أخرج عنى من عندك، قال : يا رسول الله إنما هما ابنتاى، قال : إن الله أذن لى فى الخروج والهجرة قالت : قال أبو بكر : الصحبة يارسول الله؛ قال : الصحبة؛ قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى».

وقد جهز أبو بكر راحلتين له وللرسول صلى الله عليه وسلم ثم استأجر دليلاً خبيراً بطريق الصحراء اسمه عبدالله بن أريقط وعلى الرغم من أن هذا الرجل كان كافراً إلا أنهما وثقا فى أمانته فواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال.

ووصل رسول الله ﷺ إلى غار ثور ومعه صاحبه الصديق ففزع المشركون لهجرة رسول الله وخروجه من مكة أشد الفزع فطاردوه فى كل مكان وقعدوا له كل مرصد.

وخرج الرسول ﷺ وصاحبه من الغار بعد ثلاثة أيام، ووصل صلى الله عليه وسلم «قباء» ثم غادرها واتجه إلى حيث كان الأوس والخزرج وهم الأنصار، وكانوا يحيطون به عن يمين ويسار وامتلأت قلوبهم بالبشر والسرور.

هكذا نرى أن رسول الله ﷺ فى هجرته أخذ بالأسباب التى تكفل له النجاح فى الهجرة من التزام السرية التامة فى الخطة ووضع كل إنسان فى الموضع الذى يصلح له ولم يترك للعدو ثغرة ينفذ منها وبعد العمل والجهاد اتجه إلى الله – تعالى – العلى القدير، المنقذ الوحيد يطلب منه العون، والنصر فاستجاب له الله ونجاه من كيد المشركين فصلى عليك الله يا رسول الله بقدر ما جاهدت وتحملت المتاعب والمشاق لنصرة هذا الدين الحنيف ولنشر الدعوة الإسلامية.

يا أسفى على قومى

● أما القارىء أحمد عبدالمقصود حسانين، قنا – فرشوط – فكتب يقول : لن يكون للمسلمين فى عالم اليوم مكان إلا بالرجوع إلى دينهم «الإسلام» ولغتهم «العربية».

أما الإسلام فقد قال عنه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما طلبنا العزة من غيره أذلنا الله» وأما اللغة العربية فلقد شرف الله بها كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقال عنه.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ يوسف / ٢

وبذلك تكون للغتنا العربية مكانة لا تدانيها مكانة، ورحم الله حافظ إبراهيم حين قال :

أرى لرجال الغرب عزاً ومنعةً
وكم عز أقوام بعز لغات

وإننى لأعجب حين أستمع إلى وسائل الإعلام فأجد بعض المذيعين والمذيعات يرفعون المفعول وينصبون الفاعل – بل والأكثر عجباً حين نستمع إلى فيلم أو مسلسل فنجد ممثلاً يتكلف فى نطق الألفاظ العربية تكلفاً واضحاً وذلك من أجل إضحاك المشاهدين فيا أسفى على قوم يضحكون على لغتهم التى أعزها الله تعالى.

من أعلام الفكر الإسلامى :

د. رشدى فكار

وكتب الأستاذ فرج مجاهد عضو اتحاد الكتاب – شربين دقهلية – يقول :

جاء من أقصى صعيد مصر، فقد ولد فى قرية الكرنك التابعة لمحافظة قنا عام ١٩٣٠، أتم دراسته بمعهد قنا الدينى ثم جاء إلى القاهرة والتحق بالأزهر وتخرج فيه، ثم تابع دراسته فى أوروبا بالقسم العلمى بالسوربون وتخرج فيه بحصوله على دبلوم الدراسات العليا، كما حصل على ليسانس الآداب «تخصص فلسفة بالمعادلة» فى جامعة جنيف

فى العلاقات الدولية، ثم حصل على الدكتوراه فى جامعة باريس مع مرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٥٦م ثم حصل على درجة الأستاذية مع درجة دكتوراه دولة أخرى فى جامعة جنيف عام ١٩٦٧م.

ثم تقلد وظائف عديدة منها: محاضر بالسوربون فى القسم العلمى للدراسات العليا، وأستاذ زائر فى كل من جامعة نيوشاتل وجامعة جنيف وجامعة محمد الخامس بالرباط، وانتسب بالعضوية لأكثر من ٤٢ جمعية دولية وأكاديمية. تجاوز إنتاجه العلمى ٢٠٠ مؤلف بين دراسات وأبحاث وترجمات وتعليقات باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية.

ومن أشهر كتبه باللغة العربية: «نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع من خلال القرن الرابع عشر الهجرى» و«تأملات إسلامية فى قضايا الإنسان والمجتمع».

وباللغة الفرنسية له: «أصول الماركسية» فى مجلدين و«المراهنة الصناعية» فى خمس مجلدات، و«علم الاجتماع وعلم النفس» معجم موسوعى عالمى فى مجلدين.

ويقول عن كتبه: إن خير كتاب يعتز به هو الذى نشر منه طبعات عدة فى باريس وهو كتاب «تأملات فى الإسلام» وكان له أكبر الأثر فى إسلام بعض الشخصيات المرموقة فى الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية.

وكان الدكتور فكار - رحمه الله - عالماً فذاً فى المجالات الإسلامية والفلسفية، كما كان يتمتع بخلق عظيم، كما كان غيوراً ومحباً لوطنه وعربته وإسلامه.

واستطاع الدكتور رشدى فكار أن يحصل على العديد من الأوسمة والنياشين وشهادات التقدير من عدة دول أوروبية وإسلامية وعربية، كما منحته الحكومة الفرنسية عضوية أكاديمية العلوم التى لا يحصل عليها إلا العلماء المتميزون، كما استطاع بتفوقه العلمى أن يقع عليه الاختيار فى السنوات الأخيرة كرئيس لجمعية «الإيدو» العالمية ومقرها جنيف والتى تضم فى عضويتها نخبة من الحاصلين والمرشحين من شتى أنحاء العالم لجوائز نوبل العالمية.

وفى يوم السبت ٥ من أغسطس ٢٠٠٠ الموافق ٥ من جمادى الأولى، انطفأ سراج هذا المفكر الإسلامى الكبير، وانتقل إلى عالم الخلود، رحمه الله.

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء، ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.



للأستاذين:
محمد الشرقاوى
يحيى سليمان

هيئة علماء المسلمين بالعراق تستنكر هدم المساجد

دعت هيئة علماء المسلمين فى العراق الشعب العراقى للوحدة بمختلف طوائفه ومذاهبه وأحزابه وأعراقه فى وجه الاحتلال.

كما استنكرت الهيئة فى بيان أصدرته محاولات الاحتلال للوقيعة بين السنة والشيعة من خلال عمليات الاعتداءات على مساجد الشيعة تارة وإلصاقها بالسنة وعلى مساجد السنة تارة أخرى وإلصاقها بالشيعة.

وقالت الهيئة: إن من أفدح أخطاء القوات الأمريكية المحتلة والمتحالفة معها هو قيامها بهدم المساجد واعتقال الأئمة والخطباء واقتحام المساجد وبعثرة المصاحف وتمزيقها وتدنيس المنابر.

وأوضح البيان أن القوات الأمريكية تثير بذلك غضب المسلمين وتهين رموزهم حيث اعتقلت حتى الآن أكثر من «٤٠» إماماً وخطيباً من أهل السنة بزعم أنهم يحرضون على مقاومة قوات الاحتلال.

كما حذرت الهيئة فى بيانها قوات الاحتلال من عواقب هذه الممارسات وطالبتها بالإفراج الفورى عن المعتقلين من الخطباء والأئمة وكافة أبناء الشعب العراقى.

سكان مدينة أسبانية يمنعون بناء مركز إسلامى

رفض سكان حى «كاربليت» بمدينة «ريوس» بناء مركز إسلامى رغم موافقة المجلس البلدى للمدينة ونظموا مظاهرات صاخبة للاعتراض على بناء المركز.

وأوضح مسئول الاتحاد الإسلامى الثقافى بمدينة «ريوس» أن جماعات عنصرية تقف وراء المظاهرات الرافضة لبناء المركز الإسلامى والمسجد بالحى.

وقال محامى الاتحاد: إن مشاورات تجرى حاليا مع المجلس البلدى للمدينة لنقل مقر المركز والمسجد إلى مكان آخر مشيراً إلى أن المحاولات العنصرية لرفض بناء المسجد تتعارض مع مبدأ الديمقراطية المعمول به فى أسبانيا.

استمرار الحملة ضد الوجود الإسلامى

قامت السلطات الأمريكية بمداهمة المركز الإسلامى فى «كليفلاند» واعتقلت رئيسه الشيخ/ فواز محمد درمح - فى إطار تصعيدها المستمر ضد الوجود الإسلامى على أراضيها.

ووجهت السلطات الأمريكية لرئيس المركز تهمة إخفاء علاقته مع جماعات مناهضة لإسرائيل منها منظمة الجهاد الإسلامى الفلسطينية وكذلك إطلاقه دعوات معادية لليهود ووصفهم بأنهم أحفاد القردة والخنازير وقد تم إطلاق سراح «درمح» بكفالة مالية على أن يمثل أمام المحكمة ليواجه حكماً بالسجن خمس سنوات وتجريده من الجنسية الأمريكية فى حالة ثبوت التهم الموجهة إليه.

باحث أمريكى يؤكد:

أمريكا وحش يريد الانتقام من المسلمين

أكد الباحث والقانونى الأمريكى «ستانلى كوهين» أن الولايات المتحدة أصبحت كالوحش الجريح الذى يريد الانتقام من المسلمين.

وقال «كوهين» فى محاضرة ألقاها بمقر الندوة العالمية للشباب الإسلامى بعنوان «حقوق المسلمين فى الولايات المتحدة بين الواقع والطموح»: إن الإدارة الأمريكية صعدت من ممارساتها القمعية ضد القيادات الإسلامية، وهى تعمل على القضاء على الوجود الإسلامى بأراضيها وأشار «كوهين» إلى استغلال جهات مغرضة ومعادية للوجود الإسلامى فى أمريكا لأحداث سبتمبر لاستهداف كل ما هو إسلامى.

وقد تم طرد آلاف المسلمين من أمريكا.

وحذر «كوهين» من الإذعان للإجراءات التى تستهدف إرهاب المسلمين وإسكات أصواتهم.

مما يذكر أن «كوهين» محام أمريكى يهودى يتبنى الدفاع عن قضايا المسلمين فى الولايات المتحدة.

هجمة صهيونية ضد «أنان» بسبب دعوته لوضع حد لمعاداة الإسلام

شن اللوبى الصهيونى داخل الولايات المتحدة الأمريكية والمنظمات اليهودية عبر

العالم هجوماً حاداً ضد «كوفى أنان» الأمين العام للأمم المتحدة بسبب دعوته للحد من ظاهرة «الإسلاموفوبيا» - أو العداء للإسلام - وتحذيره من استغلال اليهود لقضية معاداة السامية.

وكان «أنان» قد أدان فى تصريحات له كافة أشكال الكراهية والتمييز وبشكل خاص ضد المسلمين ودعا إلى وضع حد لظاهرة «الإسلاموفوبيا» وحذر «أنان» من أن العداء للإسلام يمثل تحدياً لروح التوحد بين الشعوب. مشيراً إلى أنه منذ أحداث سبتمبر فإن الكثير من المسلمين وبشكل خاص فى الغرب وجدوا أنفسهم أهدافاً للاشتباه والتحرش والتمييز.

كما أن أناساً كثيرين بدأوا ينظرون للإسلام كدين مناهض للغرب فى الوقت الذى انتشرت فيه الأفكار المشوهة عن الإسلام.

تضامناً مع مسلمات فرنسا

نظم مسلمو الولايات المتحدة الأمريكية وكندا مظاهرات حاشدة أمام القنصليات الفرنسية فى مدن الدولتين المختلفة تضامناً مع المظاهرة التى نظمها مسلمو فرنسا احتجاجاً على مشروع القانون الفرنسى لحظر ارتداء الحجاب فى المدارس والإدارات الحكومية.

وشارك فى المظاهرات عدد كبير من المنظمات الإسلامية الأمريكية وعلى رأسها اتحاد الطلاب المسلمين بأمريكا وكندا.

وقد سلمت المنظمات المشاركة فى المظاهرات خطابات احتجاج موجهة للرئيس الفرنسى «شيراك» للقناصل الفرنسيين بهذه المدن والتى شهدت المظاهرات.

وزيرة بلجيكية ترفض إصدار قانون يحظر الحجاب

أعلنت وزيرة الاندماج الاجتماعى البلجيكية «مارى آرينا» رفضها لإصدار قانون جديد يحظر ارتداء الحجاب فى بلجيكا.

وقالت الوزيرة البلجيكية: إن ارتداء الحجاب لا يبرر اعتماد قانون بحظره؛ منتقدة تصريحات وزير الخارجية البلجيكى «باتريك ديوال» التى أيد فيها اعتماد قانون حظر الحجاب.

وأوضحت الوزيرة «آرينا» إن مثل هذه التصريحات العدائية المتشددة تكشف عن مخاطر تهدد التماسك الوطنى.

وكان الوزير قد أكد فى تصريحات له تأييده لسن قانون بحظر ارتداء الحجاب ورموز دينية ظاهرة فى المدارس والإدارات وأنه يجب الاقتداء بموقف الرئيس الفرنسى «جاك شيراك» فى هذا الشأن.

الاحتلال الأمريكى ينتهك اتفاقيات جنيف بالعراق

نددت منظمة «هيومن رايتس ووتش» المعنية بحقوق الإنسان حول العالم

بالممارسات الوحشية للاحتلال الأمريكي بالعراق وانتهاكاته المتكررة لاتفاقيات جنيف المتعلقة بوضع الدول تحت الاحتلال. وكشفت المنظمة في تقرير لها أن القوات الأمريكية تقوم بخرق اتفاقيات جنيف بالعراق من خلال هدم المنازل لأقارب المشتبه فيهم بالضلوع في عمليات المقاومة وكذلك هدم منازل المسئولين السابقين.

وأعرب رئيس منظمة «كينث روس» في رسالة بعث بها «لرونالد رامسفيلد» وزير الدفاع الأمريكي عن قلقه للممارسات اللا إنسانية للقوات الأمريكية ضد الشعب العراقي وقيامها باعتقال زوجات وبنات بعض المطلوبين وهدم منازلهم مشيراً إلى أن ذلك يماثل جرائم خطف الرهائن.

وناشدت المنظمة القوات الأمريكية وقف مثل هذه الجرائم التي لا تعتبر ضمن الضرورات العسكرية.

مفتي أوغندا يطالب بمراعاة حقوق المسلمين

دعا الشيخ/ شعبان مرباجي - مفتي المسلمين بأوغندا - المسئولين عن التشريعات في البلاد مراعاة المسلمين الذين يعيشون في أوغندا عند إصدار قوانين جديدة. وحذر «مرباجي» من تجاهل المسلمين.

وقال: إن المسلمين لن يستجيبوا لأي قانون يخالف الشريعة الإسلامية.

وعبر عن أمله في أن يراعي أعضاء البرلمان الأوغندي مصالح المسلمين خاصة فيما يتعلق بأحكام الأسرة.

إسرائيل تمنع الأسرى من الصلاة

صعدت سلطات الاحتلال الإسرائيلي من إجراءاتها التعسفية ضد الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين وذلك بمنعهم من أداء الصلاة وإلقاء الحجارة على من يصر على الصلاة منهم.

وقال «محمد شدفان» محامي نادي الأسير الفلسطيني: إن هذه الاجراءات شهدت تصعيداً خطيراً في ممارسات التعذيب والتنكيل ضد الأسرى والمعتقلين وكذلك حرمانهم من أدنى حقوقهم مما يعد خرقاً خطيراً للمواثيق الدولية.

وأوضح «شدفان» أنه يتم وضع أكثر من «٦٠» أسيراً في خيمة واحدة مما يؤدي إلى انتشار الأمراض الجلدية بينهم.

***

أنباء مجمع البحوث الإسلامية

البعوث الإسلامية

أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر القرار رقم (٧) لسنة ٢٠٠٤م بتعديل جهة إيفاد كل من: فضيلة الشيخ/ أحمد حسين أبوعديبه المدرس بمعهد الواسطي الإعدادي الثانوي التابع لمنطقة بني سويف الأزهرية وذلك للعمل بالمركز الثقافي الإسلامي بمدينة ايدنج بولاية بنسلفانيا الأمريكية بدلاً من المركز الثقافي الإسلامي في هيوستن.

- فضيلة الشيخ/ حمدي محمود هاشم موسى وكيل معهد البدرشين التابع لمنطقة الجيزة الأزهرية وذلك للعمل بمركز الفاروق الإسلامي بولاية هيوستن الأمريكية بدلاً من العمل بالمركز الثقافي الإسلامي في دبلن بأيرلندا لمدة ثلاث سنوات.

منح دراسية جديدة بالأزهر الشريف

صرح الأستاذ/ فوزي زيدان مدير عام الإدارة العامة للوافدين بأن حجم المنح الدراسية للعام الدراسي ٢٠٠٤/٢٠٠٥م قد بلغ ١٨٠٨ منحة على نفقة الأزهر بخلاف ٢٥ ألف طالب وطالبة من مختلف دول العالم يدرسون على نفقتهم الخاصة.

الأزهر يصرح بنشر إصدارات جديدة

صرح فضيلة الشيخ/ عبدالظاهر محمد عبدالرازق مدير عام الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بأنه قد تقرر التصريح بنشر وتداول عدد من الكتب وهي:

- قطرة من بحار المعجزة والكرامة، للدكتور/ محمد الطيب عبداللطيف - رجال في ظل العرش، للأستاذ/ إبراهيم أبوسمرة قرطم - سر الوجود، للأستاذ/ صبحي عبدالرءوف محمد - الطريق الصحيح إلى الله، للأستاذ/ محمود عيد إبراهيم - الكعبة المشرفة، للأستاذ/ حسن شبرته.

إصدارات أزهرية جديدة

صرح فضيلة الشيخ/ فؤاد عبود الشريف مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات بأن مجمع البحوث الإسلامية أصدر كتباً جديدة ومنها:

كتاب (موقف المسلم من الفن في ضوء الكتاب والسنة) وكتاب (هذا هو الإسلام في ضوء حديث جبريل عليه السلام جزء ١). لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر.

كتاب (الإسلام وتجديد الوعي) لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي - عضو مجمع البحوث الإسلامية.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

الإمام الأكبر يستقبل وفدا من البوسنة

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفداً من أساتذة اللغة العربية بجمهورية البوسنة وذلك فى إطار حضورهم دورات بمركز اللغة العربية بجامعة القاهرة، ضمن برنامج المركز للتعرف على الأنشطة الدينية والثقافية والأدبية بجمهورية مصر العربية، وقد رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف مؤكدا على احترام العالم وتقديره لشعب البوسنة، وأن الأزهر الشريف على استعداد لتلبية ما تحتاجه دولة البوسنة فى النواحى العلمية والتعليمية والثقافية، وقد أوصاهم أن يكونوا دائما فاهمين لدينهم وما يجب عليهم نحو خالقهم وأمتهم، وقال: إن الأزهر الشريف يقف إلى جانب إخواننا فى دولة البوسنة يؤازرهم ويعاونهم ويقف إلى جانب المظلوم حتى يأخذ حقه وإلى جانب الحق دائما وهو أمر واجب علينا، وأشار إلى أن طلاباً من البوسنة عددهم أربعون طالبا وطالبة يدرسون بالأزهر الشريف إلى جانب إخوانهم المصريين.

الإمام الأكبر لأساتذة جامعة لوند السويدية:

علينا أن نقول الكلمة الطيبة ونسعى للخير

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مجموعة من أساتذة مادة الأديان بجامعة - لوند السويدية - وأساتذة كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة الأزهر الشريف وأساتذة كلية اللاهوت المصرية، وذلك فى إطار حضورهم مؤتمر الحوار بين الأديان الذى تنظمه جامعة لوند السويدية مع جامعة الأزهر الشريف، حيث رحب فضيلته بالوفد فى الأزهر الشريف مؤكدا على أننا جميعا متفقون على أن العالم كله من أب واحد وأم واحدة وهذه هى الحقيقة الأولى.

والحقيقة الثانية: أن رابطة الإنسانية تربطنا جميعا، وعلينا أن نقول الكلمة الطيبة ونسعى للخير ونمد يد العون لكل محتاج لعلمنا وثقافتنا.

والحقيقة الثالثة: أننا جميعا يجب أن نتلاقى فمن شأن هذه اللقاءات أن تنفعنا جميعا وتقرب الأفكار، والله - عز وجل - أوجدنا كى نتعاون ونتعارف مصداقا لقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾(١).

والحقيقة الرابعة: أننا نشعر بأن الحوار بين الناس هو أمر مطلوب فى كل زمان ومكان وبخاصة أننا فى عصر أصبح العالم فيه كقرية صغيرة، والعالم اليوم أصبح لا يستغنى بعضه عن بعض.

والحقيقة الخامسة: أننا نؤمن بتعاون الحضارات لأن لكل دولة حضارتها وكل دولة تنتفع بحضارة الدولة الأخرى، والحضارات تنمو وتزدهر وتزيد بين العقلاء، ونحن نؤمن بتعاون الحضارات ولا نؤمن بتصادمها.

والحقيقة السادسة: أن اللقاءات بين العقلاء لابد أن تكون لها الثمرات الطيبة، فعندما ألتقى بغيرى أستفيد أنا من علمه وتخصصه ويستفيد هو من علمى وتخصصى لأننا فى عصر التخصصات الدقيقة ولقاء الإنسان بأخيه الإنسان يزيده معرفة.

وفى نهاية اللقاء شكر الوفد فضيلته على هذا اللقاء ووصفوا فضيلته بأنه يمثل روح التسامح والمحبة والمودة، ومثل هذه اللقاءات تساعد على بناء مجتمع إنسانى متحاب فى هذا الكون.

الإمام الأكبر يستقبل وزير العلوم الهندى

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الدكتور/ مورلى مانوها رجوش وزير تنمية الموارد البشرية والعلوم والتكنولوجيا بدولة الهند يرافقه سعادة السفير/ ساتنام جيت سينغ والوزير المفوض والمستشار الثقافى والإعلامى بالسفارة، حيث رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه فى الأزهر الشريف مشيرا إلى أن حضارة الهند العظيمة التى أمدت العالم بالحكمة والأدب الرفيع، والروابط العلمية بين مصر وأزهرها الشريف لا تنقطع وفى الأزهر الشريف وجامعته العريقة يدرس من طلاب الهند أكثر من مائة طالب وطالبة فمصر والهند تتقارب أفكارهم ومقاصدهم منذ القدم، موضحا بأننا فى مصر نؤمن بأن الناس جميعا أخوة فى الإنسانية وأن لكل إنسان عقيدته، والعقائد لا تباع ولا تشترى، والإكراه على العقائد لا يأتى بمسلمين صادقين ولكن يأتى بمنافقين، والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - وأشار إلى أن الحضارات عند العقلاء تتعاون وتتقارب وتتلاقى ولاتتصارع، وفى الأزهر الشريف لجنة للحوار تستقبل كل من يرغب فى الحوار، والعالم الآن به كثير من العقائد والديانات ولا نستطيع أن نجعل العالم على فكر واحد أو عقل واحد ولكن كل ما نتمناه

(١) الحجرات (١٣).

أن يكون عدد العقلاء أكثر من عدد السفهاء، وكل دولة فيها من يفهم الحقائق ومن لا يفهم، والتعصب الأعمى هو الذى يجعلهم يبتعدون عن الحق، ولكن الموقف فى النهاية يكون للعقلاء، ونحن ضد الإرهاب والعدوان، ونحن مع الحق والعدل ومع التفاوض، واللقاءات من شأنها أن تعرف كل واحد بالآخر، ومادام هناك نوايا طيبة، واتجاه لإعطاء كل ذى حق حقه، هنا ينتشر العدل والأمان والرخاء والاستقرار، والعقلاء هم الذين يعالجون الأمور بحكمة وروية.

وعن الإرهاب قال فضيلته: إن الارهاب لا يجعل الدولة فى حالة استقرار، والفرق بين الإرهاب والجهاد هو الفرق ما بين السماء والأرض، لأن الجهاد هو رد العدوان والدفاع عن النفس وعن المال وعن الوطن وعن العرض وعن الأرض كما هو الحال فى دفاع الفلسطينيين عن أنفسهم، ووطنهم وأرضهم وعرضهم، والإرهاب هو الاعتداء وهو الظلم وهو التخريب، كما يفعل الإسرائيليون بالفلسطينيين، وكان هذا رداً من فضيلته على سؤال من السيد الوزير.

ومن جانبه شكر السيد الوزير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حديثه الشيق، مقدراً علاقات الصداقة بين البلدين مشيراً إلى أن الذين حكموا الهند رؤساء وقضاة ومحافظون وحكام كان منهم مسلمون، وأضاف: بأن الحكمة التى ذهبت إلى الغرب إنما يرجع الفضل فيها لمصر، معربا عن سعادته لوجود طلبة من الهند يدرسون فى الأزهر الشريف وحينما يعودون يحتلون مراكز عليا فى الهند، وقال سيادته: إن فى الهند العديد من الديانات يشغل أصحابها مناصب هامة فى الجيش والحكومة، فالهند تعيش فى جو من الأخوة والوئام، وتقدم ما تملك من المساعدات فى كافة فروع العلم والحكمة، وقدم شكره لفضيلة الإمام على أفكاره التى تعارض صراع الحضارات، والتى تؤيد التعاون بين الحضارات، وقال: إن الهند تنتهج منهج تعاون الحضارات وليس صراعها، وتؤيد التقارب وخلق مزيد من الحوار لخلق أفكار بناءة، وعدم فرض أفكار معينة كما فى مؤتمر حوار الحضارات ليس فقط فى الدين ولكن فى أى نظام من الأنظمة معربا عن سعادته بما قدمه فضيلة الإمام الأكبر من شرح وتوضيح لبعض المفاهيم الإسلامية، وفى نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف للضيف كتاب «الأزهر فى ألف عام» باللغة العربية والانجليزية، وبيان مجمع البحوث الإسلامية فى شأن الجهاد والإرهاب.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور/ محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف.

زنزبار تطلب تزويدها بالمناهج الأزهرية

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد وزارة الزراعة الزنزبارى برئاسة معالى الوزير/ على عبدالله على وزير الإدارة المحلية والتنمية، حيث رحب فضيلته بالسيد الوزير والوفد المرافق فى

الأزهر الشريف مؤكدا على تعاون الأزهر الشريف ومساعدته للمسلمين فى كل مكان، ويستقبل أبناء المسلمين من شتى بلاد العالم للتعلم فى الأزهر الشريف والدراسة على منح وقدم فضيلته شرحا موجزا لنظام التعليم فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة، ودور الأزهر وعلمائه فى تثقيف وتعليم المسلمين وتوضيح صحيح الإسلام.

ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حسن الاستقبال والحفاوة وعلى دور الأزهر البارز لدى المسلمين فى كل مكان فى العالم، وخاصة فى شهر رمضان المعظم من كل عام حيث يرسل الأزهر الوعاظ والأئمة والعلماء لنشر الثقافة الإسلامية، وعلى التسهيلات التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء دولة زنزبار، وأشار إلى أن عدد السكان يقارب ٩٠٠ ألف نسمة ونسبة المسلمين ٩٨٪ منهم. وقال: إن لديهم كلية إسلامية تدرس اللغة العربية، وطلب من فضيلة شيخ الأزهر إمداد بلاده بالمقررات الدراسية الأزهرية فى اللغة العربية من نحو وصرف للمرحلتين الاعدادية والثانوية وإمدادهم بالقرآن الكريم، وزيادة المنح الدراسية للدراسة بمعاهد الأزهر الشريف، وتخصيص مكان لعدد من الوعاظ لحضور الدورات التدريبية التى يعقدها الأزهر كل ثلاثة أشهر لعلماء العالم الإسلامى، وقد وعد فضيلته، بتلبية كل الطلبات.

قضاة أندونيسيا فى ضيافة شيخ الأزهر

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، وفد القضاة الأندونيسى المكون من عشرين عضوا برئاسة الدكتور/ رفيال كعبة نائب رئيس محكمة النقض العليا بأندونيسيا، يرافقهم المستشار/ حسن أنيس أحمد رئيس المحكمة بالمكتب الفنى بمركز الدراسات القضائية بالقاهرة، وتأتى تلك الزيارة فى إطار البرنامج الذى نظمه مركز الدراسات القضائية بمصر للتعرف على الجوانب الشرعية والقانونية بجمهورية مصر العربية، حيث رحب فضيلته بالسادة القضاة مشيدا بأن القضاء على رأس المؤسسات التى تحتل المكانة العالية التى تحمى حياة الناس وتحكم بينهم بالعدل، مستدلا بآيات القرآن الكريم التى تحض على العدل، والحكم بما أنزل الله، وقال: إن القضاء فى الأمة هو عقلها وروحها، وسبب انتشار الخير والرخاء والأمان والحب بين الناس، والفضائل يغذى بعضها بعضا، والهيئات القضائية هى التى تنصف المظلوم وتأخذ من الظالم لكى تعطى للمظلوم حقه، وما يتعلق بالقانون المدنى والقانون الجنائى وما يتعلق بأى معاملة أو خلاف بين الناس، الشريعة الإسلامية أوجدت له الحل، وكل قضية لها فى شريعة الإسلام الحل، وكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ غطت كل جوانب الحياة من عبادات ومعاملات، وسواء أكانت أمورا اجتماعية، أو مالية أو جنائية وفى الحديث الشريف: «تركت فيكم

أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه»[٢] وأكد فضيلته على أن شريعة الإسلام تسعد الناس، ويعيشون فى رحابها آمنين مطمئنين طالما اتبعوها، وشريعة الإسلام تعطى لكل ذى حق حقه للمسلم ولغير المسلم مؤكدا على أننا فى مصر كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى فى الحقوق والواجبات وأحكام الأسرة تطبق عليها أحكام شريعة الإسلام، أما غير المسلمين فيما يتعلق بأحكام الزواج فيحتكمون إلى شريعتهم.

وأجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم وقال: إن الدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بالتوسط والاعتدال والبعد عن المغالاة، ومناهج الأزهر الشريف علماء الأزهر هم الذين يضعونها والأزهر الشريف يواجه التطور لمستجدات العصر، وشريعة الإسلام فى مصر هى المصدر الرئيسى لكل القوانين.

وفى نهاية اللقاء شكر الحضور فضيلته على الشرح الوافى لأسئلتهم وعلى المعلومات التى سمعوها وأشبعت رغبتهم فى المعرفة.

الإمام الأكبر يؤكد:

الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الوفد الرسمى برئاسة شينج هو بانغ بيان نائب رئيس لجنة القوميات والديانات للمؤتمر الاستشارى السياسى للشعب الصينى، ورئيس الجمعية الإسلامية الصينية ونائب رئيس جمعية المؤمنين بالسلام يرافقه نائب رئيس الجمعية البوذية الصينية، والسيد نائب رئيس جمعية الطاوية الصينية، والسيد الأمين العام للجمعية الكاثوليكية الصينية، والسيد نائب مدير عام الجمعية المسيحية الصينية، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بحضارة الصين العريقة التى خدمت الإنسانية، موضحا بأن الناس جميعا سواء أكانوا من الصين أو من أمريكا أو من أوروبا أو من آسيا أو من أفريقيا أو من استراليا هم جميعا من أب واحد وأم واحدة، وهذا لايمنع أن يكون لكل إنسان عقيدته، والاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون، لأن الذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - وشريعة الإسلام تقرر أنه مادام غير المسلم لا يعتدى عليك فأنت لا يصح لك أن تعتدى عليه ونحن نرحب برئيس الوفد ومن معه من المسلمين ومن غير المسلمين وكل من يأتى لزيارة مصر والأزهر الشريف، ولدينا فى مدينة البعوث الإسلامية ٤١٨ طالبا وطالبة من الصين يدرسون بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة على منح من الأزهر الشريف يتلقون العلم النافع مع إخوانهم من دول أخرى ويحظون بالرعاية الكاملة، ونحن فى مصر نتساوى فى الحقوق والواجبات ولكل إنسان عقيدته ولا إكراه على العقائد، والإسلام ضد العصبية المقيتة الذميمة، ودائما مصر وأزهرها

(٢) موطأ مالك، كتاب القدر، ص ٨٩٩.

الشريف أبوابهم مفتوحة للجميع وهذا واجبنا.

ومن جانبه شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وقال: إننا جميعا سعداء لإتاحة الفرصة لجمعية الديانات التى تهدف للسلام والتعايش السلمى بين شعوب العالم، وهدف الزيارة هو التبادل الودى، وأن مصر بلد جميل وشعب طيب، وهذا ما شاهدناه هنا، ونحن فى الصين عندنا خمسة ديانات، وندعو إلى الحوار، ونعارض النزاع، كما ندعو إلى التسامح والتعايش السلمى بين الأديان المختلفة، ولم يحدث فى تاريخ الصين أى نزاع بسبب العقائد، كما ندعو إلى التقريب بين المذاهب، وما سمعناه من فضيلتكم من آراء قيمة يؤكد بأن الأزهر الشريف دائما، هو مهد الثقافة الإسلامية فى العالم، ودائما رمز على مر التاريخ وندعو الله بمزيد من المساهمات.

وفى نهاية اللقاء قدم فضيلته للضيف المصحف الشريف مؤكدا على أن ما يقوم به الأزهر الشريف من توضيح لصورة الإسلام هو واجب لا شكر عليه، كما قدم للضيف كتاب «الأزهر فى ألف عام» باللغة العربية والانجليزية.

وزير التعليم الأندونيسى:

التعليم فى أندونيسيا يسير على نهج الدراسة بالأزهر

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر معالى الوزير الأستاذ الدكتور/ عبدالمالك فجر وزير التعليم الأندونيسى والسفير الدكتور/ بختيار على سفير أندونيسيا بالقاهرة والوفد المرافق، رحب فضيلته بالوفد معربا عن أن الأزهر الشريف ودولة أندونيسيا تربطهما علاقات قديمة وصلات علمية ودينية وهى فى تزايد مستمر، وأن طلاب اندونيسيا يدرسون فى الأزهر الشريف على منح دراسية يفوق عددهم ٣١١٥ طالبا وطالبة وحينما يتخرجون فى الأزهر الشريف يأتى غيرهم والتواصل مستمر، والأزهر الشريف بمناهجه المعتدلة البعيدة عن التعصب والعنصرية تجعل للأزهر خاصية ينفرد بها فى تعليمه، وقدم فضيلته شرحا مبسطا لمراحل التعليم فى الأزهر الشريف بدءاً من مرحلة الحضانة وحتى المرحلة الجامعية مؤكدا على أن حفظ القرآن الكريم هو من أولويات الدراسة بالأزهر الشريف، والأزهر يدرس إلى جانب علومه المتخصصة منهج وزارة التربية والتعليم، وقال فضيلته: إن الأزهر يرسل علماءه إلى مختلف الدول لشرح صحيح الإسلام وفى أندونيسيا خمسون عالماً أزهرياً يتعاونون مع علماء أندونيسيا فى النهضة العلمية.

ومن جانبه شكر الوزير فضيلة شيخ الأزهر على حفاوة اللقاء وقدم شكره وشكر بلاده للأزهر الشريف على ما يقدمه لدولة أندونيسيا، وأوضح الوزير أن نظام التعليم فى أندونيسيا يسير على نهج الدراسة بالأزهر الشريف، ورغب فى أن يكون لطلاب أندونيسيا مكان فى الكليات العملية.

وقد وعد فضيلته بدراسة هذا المطلب فى

حدود الشروط المعمول بها مؤكدا على أن طلاب أندونيسيا وماليزيا يمتازون بالخلق الرفيع والمداومة على تلقى العلم بكل جد وإخلاص وأدب، ونصح فضيلته بضرورة أن يتعلم الطالب فى أندونيسيا منذ صغره مبادىء اللغة العربية فى المراحل المختلفة من دراسته حتى يستطيع أن يفهم معانى القرآن الكريم وبذلك يتعرف على الإسلام وعلى لغة القرآن التى نزل بها القرآن، وقد شكر الوزير فضيلة الإمام الأكبر على ما قدمه الأزهر لأندونيسيا عام ٩٨، ٩٩، والمساعدات التى قدمت لأبناء أندونيسيا لمواصلة دراستهم بالأزهر الشريف، ورغب الوزير فى تخصيص موعد يناسب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة أندونيسيا، حتى ترسل الدعوة الرسمية لهذه الزيارة التى ينتظرها المسلمون فى دولة أندونيسيا بكل حب وتقدير، وقد وعد فضيلته بأنه سيلبى الدعوة حين تأتى إن شاء الله - تعالى - وقدم فضيلته للضيف مصحف الأزهر الشريف وللسيد السفير أيضا مصحف الأزهر الشريف. حضر اللقاء فضيلة الدكتور محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف.

الدورة التدريبية الـ(٦٣) لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى

- شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية الثالثة والستين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى وعددهم ١٩ (تسعة عشر) عالما من دول: الجزائر/ الصين/ السودان/ المالديف/ هونج كونج/ الهند. وقد أمضوا ثلاثة أشهر بمدينة البعوث الإسلامية تلقوا خلالها العلوم والمعارف الإسلامية من كبار علماء الأزهر والجامعة وقد تحدث فضيلة الإمام الأكبر وأوصاهم أن يكونوا رسل سلام يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يذكروا مصر وأزهرها الشريف بالخير وفى نهاية اللقاء وزع فضيلته شهادات التخرج عليهم وافتتح فضيلته الدورة الرابعة والستين لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى وعددهم ٢٢ إماماً من دول: سيراليون/ الكاميرون/ تشاد/ أندونيسيا/ مالاوى/ الفلبين، والصين. شهد الحفل فضيلة الدكتور/ محمود امبابى وكيل الأزهر الشريف.

***

Allah Says:

"Thereafter surely your Lord to the ones who have emigrated even after they had been persecuted, and thereafter strove and endured patiently, surely your Lord, even after that, is indeed Ever-Forgiving, Ever-Merciful."

(Surat An-Nahl "The Bee" : 110)

Allah promises the emigrants that they will be richly rewarded in life and in the hereafter. Allah says:

"And the ones who emigrated in (the cause of) Allah even after they were done an injustice, indeed We shall definitely locate them in the present life a fair (location) and indeed the reward of the Hereafter is greater, if they did (Only) know. (Such are) the ones who have endured patiently and have put their trust in their Lord."

(Surat An-Nahl "The Bee": 41; 42)

One of those was Suhaib Al-Roumy. When he wanted to emigrate, the non-believers of Quraish told him: "You came to us a poor beggar and became rich among us, and now you want to leave us and escape with your money! We will never let you!" Suhaib answered: "If I leave my money will you allow me to go?" They agreed. So he gave up his money to the non-believers. When the Prophet heard of this he said: "Suhaib has made a profitable bargain." Allah said about this incident:

"And of mankind (there is) he who barters himself seeking gracious satisfaction from Allah; and Allah is Ever-Compassionate with (His) bondmen"

(Surat Al-Baqarah "The Cow ": 207)

Another great man was Abu Bakr Al-Seddiq who had previously given up all his money for the sake of Allah, and his whole life for the protection of the Prophet (PBUH) during the Hijra. And so many other men have done great deeds in the Hijra for the sake of Allah and to protect their religion. Even women have made so many sacrifices for the sake of Allah although they were poor and weak. They emigrated to Ethiopia and to Medina solely for the sake of Allah.

Now, the Islamic nation has changed. It has given up its principles and turned a blind eye to the horrible events happening in the world. Its people and scholars have become engrossed in worthless misdeeds. As a result, Allah has allowed it to be tormented by vicious nations around it and there is no more peace or prosperity.

MODERN CIVILIZATION AND THE HIJRA*

By : Ustaz Mohammad Al-Mohamady Mourad Ghoneim

With the beginning of the month of Muharram, a new Islamic year begins which is an extension of the history of Muslims and a reminder of the Hijra (emigration) of the Prophet (PBUH) and his companion. This Hijra destroyed all the expectations of the non-believers and defeated them. It presented to the world several unique human beings.

A year has passed and another has started. We do not know what God has decreed for the year gone by, and we are ignorant of what God has written for us in the year to come. This new year calls on to us saying:

"Oh! Human being, I am a new year that will witness your deeds, so make good use of me before I leave without return."

Allah says:

"Surely in the creation of the heavens and the earth and in the alternation of the night and the day-time there are signs indeed for ones endowed with intellects. The ones who remember Allah, upright and seated and on their sides, and meditate upon the creation of the heavens and the earth. "Lord, in no way have you created this untruthfully. Hymned be You! So protect us from the torment of the Fire!"

(Surat Al-Imran "The Household of Imran": 190, 191)

In the past, our history as Muslims was very bright. Now, it is very disappointing. At the beginning, we were a strong nation made up of separate tribes in the desert, but they were united by their beliefs in one God and their religious brotherhood. They were men and women believers that God had placed on Earth to protect it. Their hidden secrets were as pure as their appearance and their inner souls were clear as their deeds. If recognized as great people, they would humbly deny it, and if any of their miracles is noticed, they refuse to acknowledge it. All on Earth and in the heavens were content with them. Their real value was in their deeds and their 'Jihad' not in their family name.

Allah says:

"O you mankind, surely We created you of a male and a female, and We have made you races and tribes that you may get mutually acquainted. Surely, the most honorable among you in the Providence of Allah are the most pious. Surely, Allah is Ever-Knowing, Ever-cognizant."

(Surat Al-Hujurat " The Apartments ": 13)

* An Article published (in Arabic) At Al -Azhar Magazine .

And Allah says to his Prophet (PBUH):

"And (suffer) yourself to (endure) patiently with the ones who invoke their Lord in the early morning and nightfall, willing to seek His face; and do not let your eyes trespass away from them, willing (to gain) the adornment of the present life; and do not obey him whose heart we have made heedless of Our Remembrance, and who closely follows his own prejudices; and to whom the Command has been all excess."

(Surat Al-Kahf "The Cave ": 28)

This was the nation left behind by the Prophet (PBUH) after he had changed its ignorance into knowledge and wisdom; and its doubt and suspicions into certainty and peace. He left this nation great and honored among the powerful nations, its opinions respected and its achievements acknowledged. Its people followed their religion very closely, and were a practical application of the principles of Islam. As a result, they became a great nation. This is the reason for the great honor God has given to the Muhajirrin (emigrants) who followed in the footsteps of the Prophet (PBUH). He mentioned them several times in the Holy Quran because of their honest belief and their obvious Jihad for the sake of Allah with their money and their lives. Allah has decreed that the degree of his mercy is according to the readiness of the Muhajirrin to emigrate from Mecca to Medina to follow in the footsteps of the Prophet (PBUH) and then their good deeds.

Allah Says:

"And the earliest Outstrippers, of the Emigrants and the Ansar and the ones who closely followed them in fair-doing, Allah has been satisfied with them and they have been satisfied with Him; and He has prepared for them Gardens beneath which Rivers run, eternally (abiding) therein forever; that is the magnificent triumph"

(Surat Al-Tawbah "Repentance": 100)

Allah has raised the position of the emigrants because of their faith and jihad.

Allah Says:

"The ones who have believed, and have emigrated, and have striven in the way of Allah with their riches and their selves are more magnificent in degree in the Providence of Allah; and those are the triumphant"

(Surat Al-Tawbah "Repentance: 20)

They hold a special position because of their trials and their patience and for upholding the truth after they have realized it.

subjects without cautiousness or wariness. The honorable Imam Muhammad Abdou would talk about the reformation that should be made to Al-Azhar and the massive obstacles he would face in organizing it. He would reveal to him the malicious intentions of the purposeful who would resist any effort aiming at reformation. Whatever the subjects they tackled, you would feel the intimacy and attachment that soon took place between the two scholars. Moreover, you would witness great mutual trust between them.

The angered youth of sheikh Rashid Rida was motivating him toward persistent, ceaseless work, and filling him with hope of rescuing the nation suffering fear and doubts about its future. He used to believe that the enlightened press was more suitable for guiding and awakening minds. Hence, he insisted on issuing "*Al-Manar*" magazine, so as to fill the gap caused by the absence of *Al-`Urwah Al-Wothqa* for years. Such an act of issuing a liberal magazine in an occupied nation is a courageous act that needed patience, determination and faith. At that time, there were few who would read such papers; hence, papers alone would not suffice. Additionally, the occupier would silence any voice calling to enlightening minds or regaining rights. That is, the owner of any paper or magazine was fighting alone in a severe battlefield.

Despite all those difficulties, the image of *Al-`Urwah Al-Wothqa* would motivate and encourage him to continue in his efforts. He published the first issue of "*Al-Manar*" in which he stated some objectives to be achieved. Amongst his objectives were: exhorting to educate boys and girls, motivating to acquire sciences and arts, reforming the educational books and methods, stimulating toward keeping pace with the developed nations, explaining the evil matters and behaviors that intermingled with the traditions of the Islamic Nation, etc.

In his youth, sheikh Rashid Rida was looking for an example to follow. Moreover, he was attracted to pure Sufism, which drove him toward contemplating the creation and exhorted him to read the book entitled The "*Ihyaa'* (i.e., Revival)" written by Imam Al-Ghazaly, in which he could find a new method of soul-refinement as well as independent thought. However, the Sufi spirit was about to deviate him from the moderate path of Sufism to the extreme one had it not been for one of the issues of "*Al-`Urwah Al-Wothqa* (i.e., the most trustworthy handhold)" magazine. That magazine shook his inner psychological feelings strongly and turned his intellectual attitude toward a new direction. In other words, it made him fully aware of the reality of the Islamic world and its retardation from civilization and its being suffocated by the imperialism; moreover, it made him see the true colors of the treacherous intentions of the enemies of Islam aiming at destroying Islam and its supporters.

Muhammad Rashid Rida graduated and became a teacher of religion in Lebanon. However, he thought that his message should not be restricted to the field of teaching; rather, his message should be to study the Islamic facts of the entire Islamic world. He found that there was no other way before him but to join the reformatory trend under the leadership of Jamalud-Din Al-Afghany and his follower, Muhammad Abdou. Thereupon, he left Lebanon to join them.

Soon, the two men, Imam Muhammad Abdou and sheikh Rashid Rida, met. Imam Muhammad Abdou received his guest with great ovation and began to listen to his bright mind and ambitious spirit. In their first meeting, Imam Muhammad Abdou was able to feel sheikh Rida's reformatory hopes, sincere zeal and faithful intention of supporting Islam and regaining the glory of Muslims. In their conversation, the two men tackled many different

The Dignified Sheikh, Muhammad Rashid Rida
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

When one speaks about Imam Muhammad Abdou, one has to mention his Sheikh, Jamalud-Din Al-Afghany, and his disciple, Muhammad Rashid Rida. Those three great persons have cooperated for disseminating the reformatory message all over the Islamic world. Moreover, they have been among the first to eliminate the darkness of ignorance, turning it into light. They have been regarded as the symbol of hope reviving the desperate spirits.

The three scholars have undertaken the responsibility of renovation and reformation. They have been well-known for their freedom of speech, independence of opinion, and wakefulness of thought. In addition, they have been known for fearlessly fighting against the purposeful rumors and the malicious falsehoods aiming at distorting the reality of this everlasting religion, Islam.

As for his personal life, sheikh Rashid Rida was born on 18 October 1865. He was brought up in an honorable family in a village called Al-Qalamoun[1]. For more information, he was brought up in a religious environment that would respect the Islamic traditions. His family line would end up at Al-Hussein Ibn Ali (may Allah be pleased with him), so he would feel great honor accompanied by a huge responsibility toward defending his creed. Moreover, he was able to memorize the Qur'an as well as numerous *hadiths* (i.e., Prophetic Traditions) in young age. All of such matters urged him to study the religious sciences as well as to call to the Book of Allah (i.e., the Qur'an) and the guidance of His Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him).

[1] Al-Qalamoun: One of the villages of Lebanon Mount near the Mediterranean Sea.

will be left wide open for the other listeners to consider what they have heard; some will be convinced and others will remain silent.
With regard to the abovementioned, we may perceive a new fact, unknown in the society of the pre-Islamic epoch, namely, the existence of the tie (i.e., relationship) of religion and creed. That new fact had its great influence on the members of every single clan at that time. This is despite the fact that such a tie would contradict what they had been brought up on, namely tribalism and blind ardor that were considered the pillar of support and advocacy.
The new tie came to existence as a manifest fact on the Day of Badr. This was when the Muslim sons stood defending their belief and true religion against their disbelieving fathers and relatives. The Messenger managed to overcome the negative effect of the first chock caused by his own uncle, Abu Lahab, and continued proclaiming his message. Despite its severe pain, that chock indicated the divinity of the Call and denied the claim of its being manipulated and schemed by the Prophet and his supporters and relatives.
When the disbelievers of Quraysh felt the threat of the new Call against their (false) creeds, they began to practice persecution against Muslims, even their own relatives did not escape suffering and oppression. Besides, they would harm and persecute the Prophet himself. When such oppression and persecution intensified, there was no other way before Muslims but to leave Mecca to escape their enemies, who were angered by Muhammad's advocacy of social reforms. Muslims made two emigrations from Mecca to Abyssinia. However, this did not stop the disbelievers of Quraysh, for they continued harming and persecuting Muslims. They would even plot to assassinate the Prophet himself.
Allah The Most High said:{"And as the ones who have disbelieved were scheming to confine you , or kill you ,or to drive you out, and they were scheming ,and Allah was scheming ;and Allah is The most Charitable of schemers"} [Al-Anfal (The Spoils : War Gains) :30]
Inspired by Allah, the Prophet went to Medina where he was given supreme authority, and he began to establish the Islamic state.

AL-AZHAR MAGAZINE

Al-Muharram 1425 A. H.



ENGLISH SECTION

March, 2004

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Thoughts during Hijrah

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) was commanded by Allah to call to Islam publicly; this was after shouldering the huge burdens of calling to it in secrecy. As soon as Allah revealed the verse in which He said, {" And warn your kinsmen, the nearest kin. "}[Ash-Shuara(The poets):214] Muhammad, the Prophet, hurried and climbed up the Mount Safa (a mount at Mecca) and called the people of Quraysh (the most influential tribe in Mecca) including the clans of Hashim (his relatives), Asad, Makhzoum, Umayyah, 'Addi, and others. There was a great gathering from all the people of Mecca.

Logically addressing their minds, Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) started by asking, "What would you say if I told you there was a cavalry at the foot of this mount coming to attack you; would you believe me?" They replied, "Yes, for we have never heard or witnessed you lying before." Thereupon, Muhammad said, "I am the Messenger of Allah, and I warn you of a punishment that is close at hand." Abu Lahab said, "May your hands perish! You only called us to tell us this?" Therefore, Allah, the Almighty, revealed:{" Would the hands of Abu- Lahab be cut up, and would he be up(too)!"}[Al-Masad(Palm-Fibers):1]

The effect of that terrible chock on the honorable Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) at the beginning of his call, in addition to its being from one of the closest relatives to him, can be expressed by the Arab poet who said:

Injustice done by the nearest person

Is more painful than the sharpened weapon .

It goes without saying that such criticism launched by Abu Lahab against the Prophet had its massive, negative consequences on the attendants. For more illustration, such criticism showed that the new caller (i.e., the Prophet) would not receive the support and help of his own relatives; so how would they support and help him? Thereupon, no sign of approval or support could be heard after that abusive talk of Abu Lahab. So the original rule stating, "*contradiction begets fall*," could be witnessed here. That is, the door

الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

• • •

رئيس التحرير
ا.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

- داخل مصر: ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية: ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا: ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا: ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١.. - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

صفر ١٤٢٥هـ - ابريل ٢٠٠٤م - الجزء الثانى - السنة السابعة والسبعون

افتتاحية العدد

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ

قُدر علينا أن نُجادل فى البدهيات، فبدلَ أن يكونَ النقاش فى أمور غامضة تستدعى الجلاء، فيبذل كل كاتب جهده العقلى فى استكناه الأسرار، وكشف الظلمات، فيفيد قارئه، ويُقوى يقينه، بدل أن يكون النقاش فى هذه الغوامض، أصبحنا نضطر للنقاش فى فضل الإنسان، وأنه أرقى المخلوقات، ولا نستشهد فى هذا المجال بمثل قول الله - عز وجل:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(1).

لأن الذين يُنكرون فضل الإنسان على سواه، لا يستندون إلى النص القرآنى الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، بل يستندون إلى نظرية «أصل الأنواع» وما قال داروين!.

وأعجبُ العجب أن يظهر رأىٌ علمى لا يرتفعُ إلى مستوى اليقين، فيكون محور المناقشة، ومثار الجدال أمداً بعيداً حتى ينكشف عواره ويتخلى عنه أصحابه تعديلا وتحويراً أو محواً واستئصالاً لدى الأمم التى حبذت هذا الرأى حيناً من الدهر، ولكننا نحن فى بلاد الإسلام نُعدّ الرأى القديم جديداً، ونُترجم ما قيل منذ قرن فى تأييده، ثم نسكتُ عامدين عما قيل بعْد ذلك فى تفنيده، وكأنما يُزعجنا كل الإزعاج أن ينتصر الحقّ على الباطل، فيعزّ علينا أن نُصحح الأخطاء كما صحّحها أصحابها منصفين، ولو كُنا نسعى للحقيقة وحْدها دُون أدنى غرض، لترجمنا إلى العربية ما قيل فى هدم «الآراء الداروينية» كما ترجمنا من قبلِ أُسُسها التى قامت عليها، ولكنّ الولوع بالإلحاد الدينى لوجه الإلحاد، هو الذى يصدّ الباحث عن الحقيقة، فيجعلُ بينه وبينها مئات الستائر ويُقيم دُونها مئات السدود.

لم نبْعد عن عنوان «المقال» لأنّ الذين يستندون إلى نظرية «أصل الأنواع» فيرون الإنسان لا يرتفع عن الحيوان فى شىء، وما هو إلا قردٌ نهض على قدميه، ينكرون الواضح البديهى حين يشهدون ما فتح الله على يد الإنسان من آفاق العلم، إذ بنى المنازل وأجرى الأنهار، واكتشف المخترعات، ومهد السبيل إلى حياة سعيدة لو ظلّ الحيوان على الأرض وحده آلاف القرون ما اهتدى إلى شىء منها، هذا الإنسان الذى بلغ أرفع ما يبلغه كائن حيوى على ظهر الحياة، رأى واجباً عليه إزاء ما رُزق من نعم العقل، وما أوتى من ثمار المعرفة، أنْ يترك أخلاق الحيوان، فلا يعيش فى همجية متوحشة يأكل فيها الكبير الصغير، ولا يكون وجوده لنفسه وحدها، كوجود الذئب مع الكلب، والثعلب مع الضبع، بل يكون وجوده بمثابة قبس يُنير الطريق لزملائه فى الحياة، فهو يُعطى ويأخذ، بل قد يرتقى كثيراً فيعطى ولا يأخذ، وهو يشْملُ برحمته الفقير، والمسكين، وذوى الحاجة، وأولى الضعف من العجزة والأطفال والشيوخ، ولن ينْعم بالراحة المطمئنة وهو يسمع لساناً يشكو، وأنّة ترتفع، وكذلك حين يرى دموعاً تترقرق، ودماء تسيل، لأن الشعور الإنسانى الرحيم سياجٌ قوىّ يحمى ذويه فى مهاب الأرزاء وتيار العواصف، فيعيشون آمنين مطمئنين!. وهذا إذا سلمتْ الإنسانية من الأنانية المريضة التى تدفع الدول القوية إلى تدمير الشعوب بدعوى نشر الديمقراطية، وذلك موضوع آخر سنعالجه بعد حين.

إن القول بأن الإنسان والحيوان على حد سواء فى هذه الحياة قول يتجه فى صميمه إلى الدعوة للكُفر، وإنكارِ خالق الوجود جلّ وعلا، لأن الحيوان لم يُكلّف بالإيمان، ولم يُرزق العقل الذى يهديه الصراط القويم، إنما تُسيّره الغريزة ليبلغ أربه الجسمى، ويسد حاجته الجنسية حفظاً لبقاء النوع، وهو لا يستشعر أدنى مسئولية حين يهجم على حيوان ضعيف فيأكله، وبذلك تكون شريعةُ الغاب إباحة للفوضى وتأييداً للهمجية، والحيوانُ فى هذا النطاق مُستريح الخاطر لأنه لايفكر فى مستقبله، وليس له ما يشغله غير حاجة ساعته. فإذا أخذ الإنسان - ظالماً - يؤلف الكتب ليثبت أنه والحيوان سواء، وأن عاقبة الإثنين كمبدئهما فى اتفاق واتحاد، إذا أخذ الإنسان ينتصر

---

(1) الإسراء: (٧٠).

لهذه الوجهة فهو في هذا الانتصار الخادع لا يُقرِّرُ حقيقة علمية، ولكنه ينكر ما تواضع عليه الناس من الشرائع العادلة، والأحكام الرادعة، بل يمتد إلى ما فوق ذلك فينكر خالق الكون، وينكر تبعا لذلك مسئولية الثواب والعقاب يوم يقوم الناس لرب العالمين، وإذا ساد الشعور بعدم المسئولية يوم القيامة، فللإنسان أن يقتل، وأن ينهب وأن يسرق وأن يزني، وللمجتمع بعد ذلك أن يتحول إلى غابة متوحشة يُسيطر فيها القوى وحده، وله الحق في أن يأكل الضعيف!.

وإذا كانت الأدلة العلمية قد نسفت أسطورة التطور نسفا لا بقاء لها من بعده، فلا تزال هناك أدلة خطابية يتناقلها الأغرار ممن يقرءون الملخصات القديمة في مؤلفات الغرب، ويعدونها لضيق اطلاعهم خلاصة ما تمخضت عنه العقول البشرية هناك من إبداع، هذه الأدلة الخطابية تتضح في مثل قول القائل: كيف يكون الإنسان سيد الكون، والبرغوث الصغير يشرب دمه!. والبعوض الحقير يؤرق ليله!. وكيف يكون سيد الكون والأعاصير والزلازل والبراكين تشتت شمله، وتقضي على وجوده!. وكيف يكون سيد الكون والجراثيم التي لا ترى تتغلغل في جسمه، وتنفث سمومها في دمه، فتحكم عليه بالفناء؟!.

والذين يلهجون بهذه الخطابيات، يضحكون بها على أنفسهم أولاً قبل أن يضحكوا بها على الناس، لأن البرغوث الصغير، والبعوض الحقير، لا يجدُ مجاله إلا إذا غفلت عنه عين الإنسان، وكذلك الجراثيم القاتلة، أما إذا التفت إليها الإنسان، وقد التفت فعلاً فيما اكتشفه من أدوية ومُبيدات، وما اتخذه من سُبُل وقائية للصون الصحي، فلن يكون لها ضرر يحدث تأثيره الفاجع.

وقد عاشت البراغيث والبعوض والجراثيم حقبا طوالا، ولم تمحق وجود الإنسان، بل وقف لها سيدُ الكون بالمرصاد، فحصرها في أضيق نطاق، أما الأعاصير والزلازل والبراكين، فهي على تعدد حوادثها عبر السنين المتوالية، إنما تُمثل الاستثناء، ولا تمثل القاعدة، والإنسان يبذل جهده في اتقائها، وقد نجح كثيراً في أعظم أحواله، فإذا أعجزه أن يقطع عليها الطريق، فغير مُستبعد أن يأتي اليوم الذي يستطيع فيه العقل الإنساني أن يتنبأ بالحدث المُرعب قبل وقوعه، ومن يدري فقد يكون الشرُ باباً للخير، وإذن فليس معنى هذه الكوارث أن الإنسان والحيوان في مرتبة سواء!.

على أن شعور الإنسان بتفوقه وهو تفوق واقعي لا ينكره المنصفون، يدفعه دائماً إلى

الارتقاء المادى، والارتفاع الروحي، فهو في عالم المادة يكتشف الجديد مُخترعا، متخيلا، فمُحققا، فمجربا، فمنفذا، وكل جيل يأتي بما يشبه المعجزات إذا قيست اكتشافاته بما أتى به الجيل السابق، ونحن الآن نعيش في عصر الفضاء، ولو رجع أجدادنا في القرن التاسع عشر إلينا اليوم لأذهلهم ما فتح الله به على الناس من غرائب الاكتشافات، وإنصافا للحقيقة، نقول: إن العلم قد تقدم ماديا، ولكنه لم يرتفع بالمستوى الخلقى لدى الإنسان، فالإنسان الذى فتت الذرة هو الذى جعلها سلاح إبادة واستئصال، وأوروبا التى افتخرت باكتشافاتها العلمية هي التى شنت حربين عالميتين في نصف قرن، أكلت أولاهما عشرة ملايين من الأرواح، وقضت ثانيتهما على ثلاثة وعشرين مليونا ونصف، غير التدمير المريع في المنازل والجسور والمتاجر والمصانع والقلاع!. وهذا مرضٌ خُلقى أكثر منه خيبة سياسية، وعلاجه أن نأتمر بإرشاد الدين في الاستجابة إلى الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا تم ذلك فقد تهيأ للإنسان أن يستمر في فتوحه العلمية على نهج رشيد!.

وأعود فأقول: أليس من العجائب أن يدور النقاش حول مكانة الإنسان بالقياس إلى الحيوان، وأن تكون القضية غامضة لدى بعض من يُحرفون الكلم عن مواضعه لحاجة في نفس يعقوب؟!.

لقد كان الأجدر أن نلتفت إلى ناحية النقص في الإنسان، فنبحث عن وسائل استكمالها ليستطيع أن يؤدى دوره الإنساني كما توحى به الشرائع السماوية التى فرضت عليه أن يسمو عن الدنايا سالكاً نهج الله الحميد!. وحينئذٍ نكون غير مُحابين، لأننا لا نُنزه الإنسان عن النقائص، بل نعترفُ باقترافه إياها!. وهي مع ذلك ليست حتماً لا مفر منه، ولكنها أمراض تتطلب العلاج، وما جاءت رسالات السماء على أيدى الأنبياء إلا لتهدى إلى الصراط القويم!.

الإنسان أسمى قدراً من أن ينحط إلى مرتبة الحيوان، لكنه يحتاج إلى أن يتلافى ما يلحقه من قصور، وإذا كنا نعترف أنه استطاع التفوق في مجال البحث الكوني طباً وطبيعة وهندسة واختراعاً، فإن تفوقه في البحوث العلمية، لم يُصاحبه تفوق في السلوك الإنساني نحو الفضائل، وقد ذكر كاتب فاضل أن البحوث الخلقية قد نكصت في مجال التمحيص، فلم ترتق إلى ذروة البحوث الطبيعية التجريبية، وعلى الإنسان أن يبحث في وسائل الارتقاء النفسي، لينجو من شرور الأنانية والاستعلاء، يقال ذلك

فى معرض الانتقاد لما هو واقع ملموس.

وهذا كلامٌ غير مُسلَّم، لأن الشرائع السماوية، والقرآن مهيمن عليها جميعها، قد جاءتْ بالمنطق الفصل فى تنقية النفوس، والاستمساك بالفضائل، فليست وسائل الارتقاء الإنسانى بالمجهولة حتى تكتشف، ولكن البصائر قد عميت عن صراط الله الحميد، ولنْ نُعمِّمَ الحكم فنجعل البصائر جميعها عمياء، ولكننا نتجه به إلى قادة العالم ممَّن يُشعلون الحروب، ويخربون المدائن، ويزهقون ملايين الأرواح، لا لهدف أمثل، بل لإرضاء نزوات حمقاء، ونُعدُّهم مع ذلك أبطال أمم، وقادة شعوب، وهم سفاحون لا يختلفون عن قُطَّاع الطرق فى شيء، بل إن قاطع الطريق مهما استشرى خطره، فهو لا يبلغ فى شره الحيق، معشار ما يبلغه خطر أحمق مجنون، ليشعل الحرب غطرسة واستعلاء!!.. فإذا استطاعت الأمم أن تضع قيادتها فى أيدى أناس يقدرون المُثُل الإنسانية، فلن نزعج بعد اليوم بنزوات حمقاء تجلب الشرور، وتفعل ما تفعل الزلازل والبراكين!. وهنا يكون الإنسان أسمى قدراً من جميع جهاته لأنه فهم رسالة الإنسانية على وجهها الصحيح، فكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقد وعد الله هؤلاء الكرام أن يستخلفهم فى الأرض ليصبح خوف الناس أمناً، وفقرهم ثراء، وتلك عقبى المصلحين.. وهو أمل بعيد التحقيق الآن حين نرى قوى الشر العالمية تتحدى الشعوب الضعيفة، فتحتلها بالنار والدمار، وتدعى أنها جيوش التحرير والاستقلال.. تدَّعى ذلك. وتجد من يستمع إليها ممَّن يخشون سلطانها الباطش، ولو اتفقت الكلمة الصارخة فى وجهها البغيض، لارتدعت عن زيفها الأثيم، وعرفت أنها تلبس ثوب الرياء، وهو ثوب مفضوح يكشف العورات، فتبدو ظاهرة للعيان!.

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى:

﴿هُوَ
ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ
وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ
مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ
وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ الآية: ٧

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قوله - تعالى - ﴿مُّحْكَمَٰتٌ﴾ من الإحكام - بكسر الهمزة - وهذه المادة تستعمل فى اللغة لمعان متعددة، ترجع إلى شىء واحد هو المنع يقال: أحكم الأمر أى أتقنه ومنعه عن الفساد ويقال: أحكمه عن الشىء أى أرجعه عنه ومنعه منه. ويقال حكم نفسه وحكم الناس، أى منع نفسه ومنع الناس عما لا يليق. ويقال أحكم الفرس أى جعل له حكمة تمنعه من الجموح والاضطراب.

وقوله: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أى أصله الذى فيه عماد الدين وفرائضه وحدوده وما يحتاج إليه الناس فى دنياهم وآخرتهم. وأم كل شىء: أصله وعماده.

قال ابن جرير: والعرب تسمى الأمر الجامع لمعظم الشىء أما له. فيسمون راية القوم التى تجمعهم فى العساكر أمهم. ويسمون المدبر لمعظم أمر البلدة والقرية أمها»[1].

وقوله ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ من التشابه بمعنى أن يكون أحد الشيئين مشابها للآخر ومماثلا ومشاكلا له مشاكلة تؤدى إلى الالتباس غالبا. قال: أمورمشتبهة ومشبهة - كمعظمة - : أى مشكلة ويقال: شبه عليه الأمر تشبيها: لبس عليه.

ولقد جاء فى القرآن ما يدل على أنه كله محكم كما فى قوله - تعالى -

﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[2].

وجاء فيه ما يدل على أنه كله متشابه كما فى قوله - تعالى -

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[3].

وجاء فيه ما يدل على أن بعضه متشابه كما فى الآية التى نحن بصدد تفسيرها. ولا تعارض بين هذه الإطلاقات الثلاثة. لأن معنى إحكامه كله: أنه متقن متين لا يتطرق إليه خلل أو اضطراب. ومعنى كونه كله متشابها أنه يشبه بعضه بعضا فى بلاغته وفصاحته وإعجازه وهدايته. ومعنى أن بعضه محكم وبعضه متشابه. فستبينه بعد سرد بعض الأقوال التى قالها العلماء فى تحديد معنى كل منهما.

فمنهم من يرى أن المحكم هو الواضح الدلالة الذى لا يحتمل النسخ. والمتشابه هو الخفى الذى لا يدرك معناه وهو ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة والروح.

ومنهم من يرى أن المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان. والمتشابه هو الذى لا يستقل بنفسه، بل يحتاج إلى بيان، فتارة يبين بكذا، وتارة يبين بكذا، لحصول الاختلاف فى تأويله.

ومنهم من يرى أن المحكم هو الذى لا يحتمل فى تأويله إلا وجها واحداً والمتشابه

(١) تفسير ابن جرير جـ٣ ص١٧٠ طبعة مصطفى الحلبى

(٢) هود (١)

(٣) الزمر (٢٣)

هو الذى يحتمل أوجها. ومنهم من يرى أن المحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر. أما المتشابه فهو ما كانت دلالته غير راجحة، وهو المجمل والمؤول والمشكل.

هذه بعض الأقوال فى تحديد معنى المحكم والمتشابه[4]. وقد اختار كثير من المحققين هذا القول الأخير، ومعنى الآية الكريمة - بعد هذا التمهيد الموجز:

الله - عز وجل - الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، والذى أنزل الكتب السماوية لهداية الناس، والذى صورهم فى الأرحام كيف يشاء، وهو الذى أنزل عليك - يا محمد - هذا الكتاب الكريم المعجز العظيم الشأن، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وقد اقتضت حكمة الله - تعالى - أن يجعل هذا الكتاب ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ أى واضحات الدلالة، محكمات التراكيب، جليات المعانى، متقنات النظم والتعبير حاويات لكل ما يسعد الناس فى معاشهم ومعادهم، بينات لا التباس فيها ولا اشتباه.

وقوله ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أى هذه الآيات المحكمات الواضحات الدلالة المانعات من الوقوع فى الالتباس لانكشاف معانيها لكل ذى عقل سليم، هن أصل الكتاب الذى يعول عليه فى معرفة الأحكام، ويرجع إليه فى التمييز بين الحلال والحرام، ويرد إليه ما تشابه من آياته، وما استشكل من معانيها.

والجار والمجرور ﴿مِنْهُ﴾ خبر مقدم، و﴿ءَايَٰتٌ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿مُّحْكَمَٰتٌ﴾ صفة لآيات وقوله ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ صفة ثانية للآيات.

قال الجمل: وأخبر بلفظ الواحد وهو ﴿أُمُّ﴾ عن الجمع وهو ﴿هُنَّ﴾ لأن الآيات كلها فى تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة، وكلام الله واحد. أو أن كل واحدة منهن أم الكتاب كما قال - تعالى -:

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾[5].

أى كل واحد منهما. أو لأنه مفرد واقع موقع الجمع»[6].

وقوله ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ أى ومنه آيات أخر متشابهات وذلك كالآيات التى تتحدث عن صفات الله - تعالى - مثل: الاستواء، واليد والغضب، ونحو ذلك من الآيات التى تحدثت عن صفاته - سبحانه - وكالآيات التى تتحدث عن وقت الساعة، وعن الروح وعن حقيقة الجن والملائكة وكالحروف المقطعة فى أوائل السور.

قال الشيخ الزرقانى ما ملخصه: ومنشأ التشابه إجمالا هو خفاء مراد الشارع من كلامه أما تفصيلا فنذكر أن منه ما يرجع خفاؤه إلى اللفظ من جهة غرابته كلفظ الأب

(٤) إذا أردت المزيد فراجع الإتقان للسيوطى، وتفسير الألوسى جـ٣ ص٨٠ وتفسير الفخر الرازى جـ٧ ص١٧٨

(٥) المؤمنون (٥٠)

(٦) حاشية الجمل على الجلالين - بتصرف يسير - جـ١ ص٢٤٢.

فى قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾(٧).

أو من جهة اشتراكه بين معان عدة كما فى قوله - تعالى -

﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾(٨).

أى فاقبل إبراهيم على الأصنام يضربها بيمينه، أو بقوة، أو بسبب اليمين التى حلفها. ومن هذا النوع فواتح السور المبدوءة بحروف التهجى لأن التشابه والخفاء فى المراد منها جاء من ناحية ألفاظها.

ومنه ما يرجع خفاؤه إلى المعنى، ومثاله كل ما جاء فى القرآن وصفا لله - تعالى - أو لأهوال القيامة، أو لنعيم الجنة.. فإن العقل البشرى لا يمكن أن يحيط بحقائق صفات الخالق، ولا بأهوال يوم القيامة، ولا بنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار.

ثم قال - رحمه الله: ويمكننا أن ننوع المتشابهات ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما لا يستطيع البشر جميعا أن يصلوا إليه كالعلم بذات الله وحقائق صفاته، وكالعلم بوقت القيامة ونحوه مما استأثر الله بعلمه.

النوع الثانى: ما يستطيع كل إنسان أن يعرفه عن طريق البحث والدرس، كالمتشابهات التى نشأ التشابه فيها من جهة الإجمال والبسط والترتيب. والأمثلة على ذلك كثيرة، فمثال التشابه بسبب الإجمال قوله - تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾(٩).

فإن خفاء المراد فيه جاء من ناحية إيجازه. والأصل: وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى لو تزوجتموهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء.

النوع الثالث: ما يعلمه خواص العلماء دون عامتهم ولذلك أمثلة كثيرة من المعانى العالية التى تفيض على قلوب أهل الصفاء والاجتهاد عند تدبرهم لكتاب الله»(١٠).

ثم بين - سبحانه - موقف الذين فى قلوبهم مرض وانحراف عن الحق من متشابه القرآن فقال:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾.

فالجملة الكريمة تفصيل لإجمال اقتضاه الكلام السابق.

والزيغ - كما يقول القرطبى - الميل، ومنه زاغت الشمس، وزاغت الأبصار، ويقال: زاغ يزيغ زيغا إذا ترك القصد، ومنه قوله - تعالى -:

﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾(١١).

وهذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق

(٧) عبس (٣١) (٨) الصافات (٩٣) (٩) النساء (٣)

(١٠) مناهل العرفان فى علوم القرآن لفضيلة الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى جـ٢ ص١٧٤. (١١) الصف (٥)

وجاهل وصاحب بدعة، وإن كانت الإشارة بها فى ذلك الوقت إلى نصارى نجران.

والابتغاء: الاجتهاد فى الطلب. يقال: بغيت الشىء وابتغيته، إذا طلبته بجد ونشاط.

والفتنة: من الفتن: وأصل الفتن إدخال الذهب للنار لتظهر جودته من رداءته. والمراد بها هنا الإضلال وإثارة الشكوك حول الحق.

والتأويل: يطلق بمعنى التفسير والتوضيح والبيان. ويطلق بمعنى حقيقة الشىء وما يؤول إليه أمره، مأخوذ من الأول وهو الرجوع إلى الأصل.

يقال: آل الأمر إلى كذا يؤول أولا أى رجع. وأولته إليه: رجعته.

المعنى: لقد اقتضت حكمتنا - يا محمد - أن ننزل عليك القرآن مشتملا على آيات محكمات هن أم الكتاب، وعلى أخر متشابهات. فأما الفاسقون الذين فى قلوبهم انحراف عن طلب الحق، وميل عن المنهج القويم، وانصراف عن القصد السوى فيتبعون ما تشابه منه، أى: يتعلقون بذلك وحده. ويعكفون على الخوض فيه. ولا تتجه عقولهم إلى المحكم ليردوا المتشابه إليه، وإنما يلازمون الأخذ بالمتشابه كما يلازم التابع متبوعه، لأنه يوافق اعوجاج نفوسهم وسوء نياتهم. وتحكم أهوائهم وشهواتهم.

وقد بين - سبحانه - أن اتباع هؤلاء الزائغين للمتشابه إنما يقصدون من ورائه أمرين:

أولهما: «ابتغاء الفتنة» أى طلبا لفتنة المؤمنين فى دينهم، وتشكيكهم فى عقيدتهم، وإثارة الريب فى قلوبهم بأوهام يلفقونها حول المتشابه الذى جاء به القرآن، بأن يقولوا - كما حكى القرآن عنهم -

﴿ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(١٢).

وبأن يقولوا: كيف يكون نعيم الجنة، وما حقيقة الروح ولماذا يعذبنا الله على أعمالنا مع أنه هو الخالق لكل شىء، إلى غير ذلك من الشبهات الزائفة التى يثيرها الذين فى قلوبهم زيغ طلبا لتشكيك المؤمنين فى دينهم.

وثانيهما: «وابتغاء تأويله» أى: ويتعلقون بالمتشابه ويتبعونه طلبا لتأويل آيات القرآن تأويلا باطلا، وتفسيرها تفسيرا فاسدا بعيدا عن الحق زاعمين أن تفسيرهم هذا هو الحق بعينه، لأنه يتفق مع أهوائهم، وشهواتهم وميولهم الأثيمة.

وفى جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة فى عدولهم عن سنن الرشاد وإصرارهم على الشر والفساد.

وفى تعليل الاتباع - كما يقول الآلوسى - «بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة أو الحقيقة. إيذان بأنهم ليسوا من أهل التأويل - فى عير ولا نفير ولا قبيل ولا دبير - وأن ما يبتغونه ليس بتأويل أصلا لا أنه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبه».

وقد ذم النبى ﷺ هؤلاء الذين يتبعون ما

(١٢) الرعد (٥)

تشابه من القرآن طلبا للفتنة والتأويل الباطل، وحذر منهم فى أحاديث كثيرة. ومن ذلك ما رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: تلا رسول الله - ﷺ - هذه الآية:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ﴾

إلخ الآيات

قالت: قال رسول الله - ﷺ - «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»(13).

وقد استجاب الصحابة - رضى الله عنهم - لوصايا الرسول - ﷺ - فكانوا يتباعدون عن الذين فى قلوبهم زيغ. ويزجرونهم ويكشفون عن أباطيلهم.

قال القرطبي: «حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى: قال: أنبانا سليمان بن حرب عن حماد ابن زيد عن يزيد بن حازم، عن سليمان بن يسار أن صبيغ بن عسل قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن وعن أشياء: فبلغ ذلك عمر - رضى الله عنه - فبعث إليه عمر فأحضره وقد أعد له عراجين من عراجين النخل. فلما حضر، قال له عمر: من أنت؟ قال: أنا عبدالله صبيغ. فقال عمر: وأنا عبدالله عمر ثم قام إليه فضرب رأسه بعرجون فشجه، ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه فقال: حسبك يا أمير المؤمنين!! فقد والله ذهب ما كنت أجد فى رأسى»(14).

ثم بين - سبحانه - أن تأويل المتشابه مرده إلى الله - تعالى - وأن الراسخين فى العلم يعلمون منه ما يوفقهم الله لمعرفته فقال:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

وقوله - تعالى - ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ من الرسوخ وهو الثبات والتمكن وأصله فى الأجرام، أن يرسخ الجبل والشجر فى الأرض، واستعمل فى المعانى ومنه رسخ الإيمان فى القلب. أى ثبت واستقر وتمكن.

والألباب، جمع لب وهو - كما يقول الراغب - العقل الخالص من الشوائب وسمى بذلك لكونه خالص ما فى الإنسان من معانيه، كاللباب واللب من الشيء وقيل هو ما زكا من العقل، فكل لب عقل وليس كل عقل لبا، ولهذا علق الله - تعالى - الأحكام التى لا يدركها إلا العقول الزكية بأولى الألباب»(15).

قال الآلوسى: «وقوله:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾

فى موضع الحال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الأخيرة. أى يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله - تأويلاً فاسداً - والحال أن التأويل المطابق للواقع - كما يشعر به التعبير بالعلم

(13) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير جـ6 ص42، طبعة مصطفى الحلبى سنة 1345هـ.
(14) تفسير القرطبى جـ4 ص14.
(15) المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص644.

والإضافة إلى الله - تعالى - مخصوص به - سبحانه - وبمن وفقه - عز شأنه - من عباده الراسخين فى العلم. أى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا فى مزال الأقدام، ومداحض الأفهام، دونهم حيث إنهم بمعزل عن تلك الرتبة، هذا ما يقتضيه الظاهر فى تفسير الراسخين»(16).

وقوله:

﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾

جملة موضحة لحال الراسخين فى العلم، ومبينة لما هم عليه من قوة الإيمان، وصدق اليقين.

أى يقول الراسخون فى العلم عندما يقرءون ما تشابه من آيات القرآن آمنا به وصدقنا وأذعنا فنحن لا نشك فى أن كلا من الآيات المتشابهة والآيات المحكمة من عند الله وحده فهو الذى أنزلها على نبيه - ﷺ - بمقتضى حكمته ومشيئته. وقوله:

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

معطوف على جملة (يقولون) وقد ختم به - سبحانه - هذه الآية على سبيل المدح لهؤلاء الراسخين فى العلم.

أى: وما يدرك هذه الحقائق الدينية ويعتبر بها ويتذكر ما اشتمل عليه القرآن من أحكام وآداب وهدايات وتشريعات إلا أصحاب العقول السليمة، والألباب المستنيرة التى لا تتأثر بالأهواء والشهوات، ولا تركن إلى البدع الزائفة والأفكار الفاسدة.

قال ابن كثير: «وقوله - تعالى -

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾

اختلف القراء فى الوقف هنا فقيل الوقف على لفظ الجلالة، فقد ورد عن ابن عباس أنه قال: «التفسير على أربعة أنحاء فتفسير لا يعذر أحد فى فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون فى العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله». وعن أبى مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله - ﷺ - يقول: «لا أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾

الآية وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يسألون عنه».

وحكى ابن جرير أن قراءة عبد الله بن مسعود، إن تأويله إلا عند الله، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به. واختار هذا القول ابن جرير - وهو مذهب الأكثرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم خصوصا أهل السنة.

ومنهم من يقف على قوله:

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾

وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول،

(16) تفسير الآلوسى جـ3 ص82.

وقالوا الخطاب بما لا يفهم بعيد. وقد روى عن ابن عباس أنه قال. أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله، وروى عن مجاهد أنه قال والراسخون فى العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به.

وفى الحديث أن رسول الله - ﷺ - دعا لابن عباس فقال: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل».

والذى نراه أنه إذا فسر المتشابه بما استأثر الله - تعالى - بعلمه كقيام الساعة وحقيقة الروح، كان الوقف على لفظ الجلالة وكانت الواو فى قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ للاستئناف، والراسخون مبتدأ وجملة ﴿يَقُولُونَ﴾ خبر عنه.

أى والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ويفوضون علمه إليه - سبحانه - ولا يقتحمون أسواره، كأهل الزيغ والضلال الذين أولوه تأويلا فاسدا.. وإذا فسر المتشابه بما لا يتبين معناه إلا بعد نظر دقيق بحيث يتناول المجمل ونحوه كان الوقف على لفظ العلم، وكانت الواو فى قوله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ للعطف.

أى: لا يعلم تأويل المتشابه تأويلا حقا سليما إلا الله والراسخون فى العلم أما أولئك الذين فى قلوبهم زيغ فهم أبعد ما يكونون عن ذلك.

ويجوز الوقف على هذا الرأى أيضا على لفظ الجلالة؛ لأنه لا يعلم تأويل هذا المتشابه علما كاملا إلا الله. أولا يعلم كنهه وحقيقته أحد سواه.

وإذا فسر المتشابه بما قام الدليل القاطع على أن ظاهره غير مراد. مع عدم قيام الدليل على تعينه، كمتشابه الصفات أو ما يسمى بآيات الصفات مثل قوله - تعالى -

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾(١٧).

جاز الوقف والعطف عند من يؤولون هذه الصفات تأويلا يليق بذاته - تعالى - وهم جمهور علماء الخلف ووجب الوقف على لفظ الجلالة عند من يفوض معانى هذه المتشابهات إلى الله - تعالى - مع تنزيهه عن ظواهرها المستحيلة وهم جمهور علماء السلف وهذه المسألة من المسائل التى أفاض القول فيها الباحثون فى علم الكلام.

هذا وقد ذكر العلماء حكما متعددة لاشتمال القرآن على المحكم والمتشابه، منها: الابتلاء والاختبار، لأن الراسخين فى العلم سيؤمنون به وإن لم يعرفوا تأويله، ويخضعون لسلطان الربوبية، ويقرون بالعجز والقصور، وفى ذلك غاية التربية ونهاية المصلحة. وأما الذين فى قلوبهم زيغ فيؤولونه تأويلا باطلا طلبا لإضلال الناس وتشكيكهم فى دينهم.

ومنها: رحمة الله بهذا الإنسان الضعيف الذى لا يطيق معرفة كل شىء. فقد أخفى - سبحانه - على الناس معرفة وقت قيام الساعة لكيلا يتكاسلوا ويقعدوا عن الاستعداد لها،

(١٧) طه (٥)

ولكيلا يفتك بهم الخوف فيما لو أدركوا بالتحديد قرب قيامها.

ومنها - كما يقول الفخر الرازى: «أنه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب، ومنها: أن القرآن إذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر الناظر فيه إلى الاستعانة بدليل العقل، وحينئذ يتخلص من ظلمة التقليد، ويصل إلى ضياء الاستدلال والبينة، أما لو كان كله محكما لم يفتقر إلى التمسك بالدلائل العقلية، فحينئذ يبقى فى الجهل والتقليد. ومنها أن اشتماله على المحكم والمتشابه يحمل الإنسان على تعلم علوم كثيرة كعلم اللغة والنحو وأصول الفقه وغير ذلك من أنواع العلوم، ومنها: أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام، وطبائع العوام تنبو فى أكثر الأمر عن إدراك الحقائق، فمن سمع من العوام فى أول إثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا مشار إليه، ظن أن هذا عدم ونفى فوقع فى التعطيل، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتوهمونه ويتخيلونه، وبذلك يكون مخلوطا بما يدل على الحق الصريح. فالقسم الأول وهو الذى يخاطبون به فى أول الأمر يكون من المتشابهات، والقسم الثانى وهو الذى يكشف لهم فى آخر الأمر هو المحكمات»(١٨).

ومنها - كما يقول الجمل نقلا عن الخازن: «فإن قيل القرآن نزل لإرشاد الناس فهلا كان كله محكما؟ فالجواب أنه نزل بألفاظ العرب وعلى أسلوبهم. وكلامهم على ضربين: الموجز الذى لا يخفى على سامع هذا هو الضرب الأول، والثانى المجاز والكنايات والإرشادات والتلويحات وهذا هو المستحسن عندهم، فأنزل القرآن على ضربين ليتحقق عجزهم فكأنه قال: عارضوه بأى الضربين شئتم، ولو نزل كله محكما لقالوا: هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا»(١٩).

قال بعض العلماء: والذى يستخلص من مصادر الشريعة ومواردها، أن الآيات المتشابهة لا يمكن أن يكون موضوعها حكما تكليفيا من الأحكام التى كلف عامة المسلمين أن يقوموا بها، وأنه لا يمكن أن تكون آية من آيات الأحكام التكليفية قد انتقل النبى - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى دون أن يبينها، ولا تشابه فيها بعد أن بينتها السنة النبوية، لأن الله - تعالى - يقول:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٢٠).

ولا شك من أول بيان ما نزل إليهم بيان الأحكام التكليفية.

لذلك نقول جازمين أنه ليس فى آيات الأحكام آية متشابه، وإن اشتبه فهمها على بعض العقول، لأنه لم يطلع على موضوعها، فليس ذلك لأنها متشابهة فى ذاتها، بل لاشتباه عند من لا يعلم، واشتباه من لا يعلم لا يجعل آية فى القرآن متشابهة»(٢١).

«يتبع»

(١٨) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ٧ ص١٨٤ بتلخيص يسير.

(١٩) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص٢٤٢.

(٢٠) النحل (٤٤)

(٢١) تفسير الآية الكريمة لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة بمجلة لواء الإسلام العدد التاسع - السنة الثامنة.



خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ماتحاب رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه»(١).

من حكمة الله تعالى أن جعل الحياة متشابكة المصالح، متشعبة الجوانب، متعددة المنافع لايستطيع القيام بأعبائها إنسان واحد، مهما أوتي هذا الإنسان من قوة العزم، ومتانة الجسم، وسعة الحيلة، والقدرة على التصرف وتسيير الأمور. **ونحن في كل يوم** من الأيام نواجه تعدد مشاكلها، وقسوة مطالبها.. وكلما انتهى الإنسان من أمر يشغله ويسيطر على فكره، فاجاه أمر آخر لا قبل له به، ولا طاقة له عليه. ومن هنا كان ضروريا للإنسان، حتى تسهل عليه الحياة، وتلين له قوة العيش أن يتعاون مع إخوانه لتحقيق ماهو نافع ومفيد تعاونا بناء مثمرا يظهر من خلاله حسن المعاملة وسماحة الخلق ورقة الطبع وكرم المعاشرة. قال تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(٢).

(١) مجمع الزوائد ١٠/٢٧٦.
(٢) المائدة ٢.

هذا وإذا كان الحق سبحانه قد أوجب علينا في هذه الآية أن نتعاون لتحقيق الخير لصالح الجماعة الإسلامية. فقد نهانا عن أن نتعاون فيما يجلب الضرر والأذى والظلم والطغيان للجماعة الإسلامية. وإذا كان الإسلام قد أوجب علينا في الحديث الشريف التحابب في الله. وذلك يقتضي ان نتخير أصدقاءنا وإخواننا من ذوى الدين والتقوى والورع والصلاح والمروءة والشهامة. فقد نهانا عن إخوان السوء وشياطين الإنس وأوجب علينا أن نتجنب أهل الشرور والمعاصي والآثام وقد قص القرآن الكريم علينا نماذج فيها العبرة والعظة لمن أراد الهدى والرشاد قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾(٣).

فالآيات الكريمة تتحدث عن مشهد من مشاهد الطغيان. وصورة من صور الزيغ والضلال لرجل من المشركين عرف الحق وأقر به. ثم انتكس إلى جحيم الضلال وظلام الشقاء. نزولا على رغبة صديقه المشرك. وحفاظا على وده. فمن الرجل؟ ومن صديقه؟ الرجل: عقبة بن أبي معيط كان جار رسول الله ﷺ. وكان كثير الجلوس معه. صنع ذات يوم طعاماً. ودعا الناس إليه.. ودعا رسول الله ﷺ فيمن دعا.. فأبى رسول الله ﷺ أن يأكل من طعامه حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فشهد بذلك وأسلم، ونعم بنعمة الإسلام. وكان صديقه أبي بن خلف في سفر. فلما حضر وأخبر بإسلام عقبه صديقه قامت قيامته وثار ثورة عارمة وأقام الدنيا ولم يقعدها. وجاء إليه وهو في قمة الغضب والثورة وقال له: وجهي من وجهك حرام إن لم تكفر بمحمد وترد عليه دعوته. ولست أدرى بما أقول من أسف؟ أو من عجب؟ أن الشقي نفذ ما أشار عليه به صديقه، فارتد عن الإسلام. وكفر بعد أن هداه الله إلى الإيمان. فاستحق غضب الله والخلود في النار قال تعالى:

﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٤).

(٣) الفرقان: ٢٧: ٢٩.
(٤) البقرة: ٢١٧

وسماه القرآن الكريم ظالما لنفسه. لأنه ظلم نفسه بأقبح أنواع الظلم فكفر بعد الإيمان. وضل بعد الهدى. وشقى بعد السعادة.. ولو راجعنا أسباب الشقاء فى كل المجتمعات. لوجدنا معظمها، إن لم تكن كلها من مصاحبة أهل الشر ومصادقة أصحاب المعاصى والمنكرات، ولذلك كان من مآثر السنة وذخائر الهدى النبوى الشريف «لاتصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى»(٥).

«خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه»(٦).

هذا والتعاون المطلوب بين الإخوة هو التعاون الذى يحقق المصلحة للفرد والجماعة وذلك لايقوم إلا على أساس من التدين الصحيح والأخلاق الفاضلة والنية الخيرة والحرص المؤكد على الصالح العام.

لأنه فى دنيانا التى نكابدها ونقاسى من شدائدها ونعانى من أهوالها. نرى أن صلات الإنسان بأخيه الإنسان. متعددة الجوانب. متنوعة المظاهر مختلفة الأشكال والألوان. فهذه صلة لاتستهدف إلا عرض الحياة ومكاسبها المادية يشتعل فى ظلالها الحب. وينشط فى ظلماتها النفاق. فإذا زالت المنافع ونضب معين المكاسب. تمزقت الروابط وتقطعت الأواصر. وتناكرت الوجوه. ونسى الأصدقاء بعضهم بعضا. فلا سلام. ولا سؤال. ولاتهنئة فى فرح. ولاتعزية فى مصيبة ولا عيادة في مرض. كأن لم تكن معرفة سابقة. ولا صلة سالفة. ولا ود قديم، وهذه صلة تحالف أصحابها على ضياع حق أو اغتصابه. فتراهم وقد جمع بينهم الشيطان. ثم ما لبثوا أن فرقتهم الأحقاد والعداوات. وهذه صلة قامت على اتحاد فى الأهواء وتقارب فى الميول والرغبات. فإذا تعارضت المصلحة تقطعت الصلة، وانفكت الرابطة وتفرق الجمع.

وهذه صلة قامت على حب المرءوس لرئيسه لمصلحة ينشدها. أو لترقية يتطلع إليها، فإذا وصل إلى غرضه، زادت المحبة وتأكدت المودة وتوطدت الرابطة، أما إذا فاته ذلك تحولت الصداقة إلى عداوة وانقلب الحب إلى بغض، والود إلى جفاء ونسى أو تناسى أن الذى يشغل المنصب الذى يتطلع إليه هو زميله فى العمل وأخوه فى الإسلام..

وهذه صلة قامت بين غنى وفقير طمعا فى النوال وحبا لأصحاب النفوذ والمال. فإذا ما افتقر الغنى وتغير وضعه الاجتماعى. وزال عنه سلطانه. انفض عنه صديقه، وكذلك كل الصداقات التى تقوم على غير دين لاتدوم. وحقا ما كان

(٥) أخرجه الترمذى (٢٣٩٥)

(٦) أخرجه الترمذى (١٩٤٤)، وأحمد ٢ / ١٦٨

لله دام واتصل. وما كان لغيره انقطع وانفصل.

فالصديق الحقيقى هو الذى يقف بجوار أخيه فى الشدائد وفى كل الأحوال فى الرضا والغضب. والغنى والفقر، والصحة والمرض. والأمن والخوف ويعجبنى ما أنشده بعضهم :دعوى الإخاء على الإخاء كثيرة بل فى الشدائد تعرف الإخوان

وما أنشده الآخر: جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوى من صديقى

وقد نسب بعضهم هذه الأبيات للإمام الشافعى رضى الله عنه:

رأيت الناس قد مالوا
إلى من عنده مال
ومن لا عنده مال
فعنه الناس قد مالوا
رأيت الناس منفضة
إلى من عنده فضة
ومن لا عنده فضة
فعنه الناس منفضة
رأيت الناس قد ذهبوا
إلى من عنده ذهب
ومن لا عنده ذهب
فعنه الناس قد ذهبوا

لهذا وذاك ولغير هذا وذاك جعل الدين الإسلامى أسسا فاضلة يجتمع عليها الناس وظلالا وارفة إذا تبنوها عاشوا فى ألفة حانية ومحبة صادقة لاتفرقهم الدنيا ولاينزغ بينهم الشيطان. هذه الأسس الفاضلة تتمثل فى قوله ﷺ «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٧) أى لايكون مؤمنا كامل الإيمان إلا إذا نزع من قلبه الأنانية والأثرة وحب النفس وأن يحب لغيره مايحب لنفسه قال ﷺ «والذى نفس محمد بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا»(٨).. وبهذا الحب المتبادل بين الإخوة تقوى العلائق وتتوطد الروابط ويعيش الناس سعداء. ويرضى عنهم رب العباد ويمنحهم أرفع الدرجات. وفى هذا المعنى جاء قوله ﷺ: «إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء. يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله تعالى. فقالوا يارسول الله. تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم. ولا أموال يتعاطونها.

(٧) أخرجه البخارى ١ / ١٠

(٨) أخرجه أحمد ١ / ١٦٧

فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور. لايخافون إذا خاف الناس ولايحزنون إذا حزن الناس[9] ثم تلا قول الله تعالى:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[10].

ثم استمعوا إلى منطق الإسلام وجماله ويسره وسماحته وأدبه في الاجتماع حين يقرر «إذا زار العبد أخاه في الله أرصد الله له على مدرجة الطريق ملكا يقول له طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة. إن الله قد أحبك كما أحببته فيه»[11]. أتعلمون لماذا لأنه لم ينتظر لزيارته ردًا ولم يقصد من ورائها نفيا. وإذا كان الإنسان كذلك فيكون محبوبا كثير الأصدقاء. ولن يكون له أعداء اللهم إلا حاسد نعمة. والمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه. والعاجز من لا صديق له ولا إخوان. وقد أثر عن الإمام على رضى الله عنه قوله: «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان. وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم». وقوله: عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تستمعون إلى قول أهل النار:

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[12]

فالأصدقاء هم عدة الدنيا وسلاح الحياة. وهم الذخيرة في أوقات الشدة ولهذا أنشد بعضهم:

أخاك أخاك إن من لا أخ له
كساع إلى الهيجا بغير سلاح

واليد الواحدة لاتصفق. ومن أجل ذلك قيل: ما استحق أن يولد من عاش لنفسه.. ولذلك أنشد بعضهم:

مابكثير ألف خل وصاحب
وإن عدوا واحداً لكثير

وفي لقاء الإخوان متعة الدنيا وسعادة الحياة. وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي ﷺ قال: «مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى. وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا»[13]. هذا هو الحال في

(9) أخرجه النسائي ٨ / ٢٧

(10) يونس: ٦٢: ٦٤

(11) أخرجه الطبراني ٦/٢٣٢

(12) الشعراء: ١٠٠، ١٠١

(13) إتحاف السادة المتقين ٦/٢٠٤

الدنيا. فما الشان في الآخرة. يكفي أن المتحابين في الله يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله. قال ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.. ومنهم.. رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا»[14]

هذا والصديق الصالح علامة على توفيق الله ورضوانه. ويؤكد رسول الله ﷺ هذا المعنى في نفوس المسلمين فيقول: «من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسى ذكره. وإن ذكر أعانه»[15]

والمقياس الذى تعرف به درجة الأفضلية عند الإخوة المتحابين في الله كما بين الحديث الشريف. هو شدة الحب. فأفضلهم عند الله أشدهم حبا لإخوانه وقد تناول القرآن الكريم جانبا من ذلك حين امتدح الأنصار رضى الله عنهم لتكريمهم للمهاجرين رضوان الله عليهم. ومقاسمتهم لهم المال والدور، وإيثارهم على أنفسهم قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[16].

هذا وقد أوصى رسول الله ﷺ أنسا راوى الحديث الشريف فقال: «يابني إن قدرت على أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غل لأحد فافعل فإن ذلك من سنتي. ومن أحب سنتي فقد أحبني. ومن أحبني كان معي في الجنة»[17] وإنها لنعم الوصية لو طبقها الناس في حياتهم وترسموها في سلوكهم لضمنوا عز الدنيا ونعيم الآخرة قال تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾[18].

هذا ومن مآثر السنة وذخائر الهدى النبوى الشريف: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[19] ومن الحكم المأثورة التي تناقلها الناس جيلا بعد جيل: سل عن الجار قبل الدار وعن الرفيق قبل الطريق.

والله ولى التوفيق.

(14) أخرجه النسائي ٨/٢٢٢

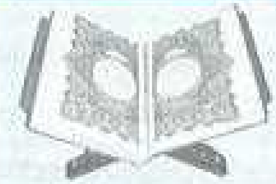
(15) إتحاف السادة المتقين ٦/١٧٣

(16) الحشر: ٩

(17) أخرجه الترمذى (٢٦٧٨)

(18) النساء: ٦٩ : ٧٠

(19) أخرجه أحمد ٢/٣٠٣، ٣٣٤



منطلقات الهوية الإسلامية فى ضوء القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

تميزت الحضارة المعاصرة عن غيرها من الحضارات التى سبقتها ومرت بها البشرية فى تاريخها الإنسانى، وهى كما أحصاها «توينبى» فى كتابة الضخم «دراسات فى التاريخ» عشرون حضارة: تميزت بالتوجه «التكنولوجى» الذى بات يسيطر على كل مظاهر الحياة الإنسانية، فلقد جثمت بسطوتها على الإنسان وحياته ومازال بها حتى خرجت من نطاق قدرة السيطرة عليها، بل وتجاوزت أبعاد فهمه والتعبير بلغته عن منجزاتها.

ولاشك فى أن الباحث عن مزاياها الإيجابية لا يستطيع أن يحصيها غير أن جانبها السلبى هو الذى يهدد مستقبلها لما يقودنا إليه من أخطار، وقد لا يدركها العقل البشرى، وهو فى نشوة انبهاره بمنتجاتها.

وأبسط مثال على ذلك هو الإقبال الشديد على الأقمار الصناعية ولهف الناس على تجربتها والجرى وراءها على متن الأثير دون وعى لما يمكن أن تقود إليه. نستطيع أن ندرك من هذا المثال، كيف أصبحت «التكنولوجيا» أكثر سيطرة على الإنسان بعدما كان هو الذى يسيطر عليها.

كما أن التقدم «التكنولوجى» فى ميدان التسلح ألغى قضية الحوار وقضى على لغة التفاوض وهدد العلاقات القائمة على قيم الإخاء الإنسانى، فمن الممكن تحت التقدم فى السلاح أن يتسبب خلاف تافه بين دولتين فى مقتل مئات الآلاف من البشر فى أقل من يوم واحد لترويج بيع الأسلحة وذلك هو ثمن التقدم.

ولم تكن القوة ذات يوم سبيلاً إلى التفاهم ولا سبباً جوهرياً مؤديا إليه ويضربون مثالاً حياً على أن المبادئ والقيم هى دائماً السبيل الوحيد إلى التفاهم وآية ذلك نجاح المرأة فى اكتساب حقوقها فى معركة مساواتها بالرجل برغم أنها أضعف منه قوة فى الجسم والمال فإنها تمكنت من احتلال مكان مناسب لها فى المجتمع ولم يكن ذلك بفضل قوتها بل بفضل المودة والرحمة، فعلى الرجال أن يتعلموا بعض تلك القيم لتحقيق السلام.

من أجل ذلك يتساءل المرء فى ظل الانبهار التكنولوجى: أين موقع الإنسان المعاصر من القيم الأخلاقية ومن الدين؟

يرى المهتمون بتاريخ الحضارات أنه لا حديث عن الدين بدون الأخلاق ولا حديث عن الأخلاق بدون الدين، حيث الصلة الوثيقة بين الدين والأخلاق، والدين هو المصدر الوحيد للإجابة على المشكلات الأخلاقية التى تواجه الإنسان، وأن عدم رابطة الأخلاق بالدين يوقع الأمم والشعوب فى فوضى لاحد لها، ويصيب الإنسان فى نفسه بمشاكل لا قبل له بها من قلق وتمزق وانتحار وإدمان... إلخ.

وهذا ما وقع فيه الإنسان المعاصر حين راح يبحث عن قيمه الأخلاقية وأغفل الجانب الدينى، وراح يبحث عن إجابات لها من مصادر أخرى لم يكن الدين من بينها.. لماذا؟ لأن الدين أصبح لديه قضية قابلة للجدل. شأنه شأن أى قضية فكرية يقع بين الرفض والإنكار. وبذلك فتحت الحضارة المعاصرة، تحت ضغطها المادى الباب واسعاً أمام كل الرغبات والشهوات لتهرب بعيداً عن قيود الدين، حتى محاولة حل لغز الكون قبلته بدون افتراض وجود الله، وأن كل شئ وفق فروضها يسير حسب قوانين الطبيعة الحتمية. وأنه لا وجود لشئ إلا للمادة والحركة.

من هنا كانت منطلقات الثقافة الغربية غير منطلقات الثقافة العربية الإسلامية وبتجلى بينهما التعارض من جوانب وليس التعارض سبيلاً إلى الرفض الثقافى إنما هو السبيل إلى تبنى مشروعية الحوار إذ لاحوار بين المتوافقين إنما الحوار بين المتعارضين دائما، لذلك ينبغى بالحوار حصر مسائل التعارض بين الثقافتين العربية الإسلامية والغربية.

أما من ناحية الثقافة العربية فمازال يزج بها فى حلبة الصراع القومى العقائدى الذى يتهددها من الداخل وهو الذى يشكل الحرب الأهلية ويشعل المعارك الجانبية بين الجيران ويبررون شرعية الصراع بأنه من أجل الوحدة العربية التى يرون فيها أنها الدرع الواقى ضد شراهة الغرب الذى نجح فى تحويل مجرى رأس المال العربى فى أن يصب فى الأوعية الغربية بدلاً من العربية. ولا ينبغى أن نبرز أن الصراع القومى. هو لهدف قومى أسمى، يبغى الوحدة العربية.. لماذا؟.

لأن الهدف القومى لا يكون بالصراع القومى.. إنما السبل الحضارية هى التى تعين على تحقيقه وتهيئ له الجو المناسب ولا يغيب عن بالنا أن السوق الأوربية تم تحقيقها كصورة من صور التوحد الأوربى من غير سيف ولا دم مهراق، وتم فى التاريخ العربى الحديث تحقيق «الجامعة العربية» كصورة من صور التوحد القومى، من غير صراع ولا تناحر. فإن بلغ مبلغ الجد فعليهم اختيار سبيل إلى التوحد القومى من غير استرجاع للآهات العرقية الخبيثة ومن غير مصانعة.

وحان الوقت كى يبتعد المجتمع العربى

المعاصر عن هذه التضحيات بالبشر فى سبيل الأيديولوجيات التى تهل من هنا ومن هناك، ولا شك فى أن المجتمع القومى يرغب فى حالة من الهدوء بعيداً عن تحكم الأيديولوجيات الوافدة فى مصائره وأنه مهما اختلفت المذاهب السياسية والاقتصادية. فإن المجتمع العربى يرى أن هناك مفهوماً وأصلاً يجب أن يحترمه الكل - مهما اختلفت مذاهبهم وتوجهاتهم - يضمن لهم الأمان الاجتماعى ويحفظ عليهم كرامتهم، هو الإسلام.

ومن الناحية المقابلة تبرز الثقافة الغربية التدخل الغربى / الأمريكى فى شئون الشعوب من دول العالم الثالث بكونها مسئولة عن حماية الشرعية الدولية والديمقراطية وبوصفها قوة عظمى تقر ما هو الحق وما هو الباطل على أساس نفعى برجماتى يحقق المصلحة الغربية.

من هنا - كما يبدو - فإن الصراع بين الثقافتين نقطة جوهرية، الصراع القومى الثقافى العربى من أجل التخلص من سيطرة الغرب. والهدف الغربى هو احتواء العالم العربى.. فكلتا الثقافتين عليها أن تدرس مفاهيم الصراع القائم بينهما.

هكذا تنطلق كل ثقافة داخل ذاتها فى مواجهة الأخرى. فعلى المستوى الدولى ينقسم العالم الآن: إلى قطبين متقابلين: فالعالم الغربى ينظر لنفسه إيجابياً أنه هو الأقوى والمنتصر.

وبنظرة إلى العالم الثالث على أنه هو الأضعف المتخلف والمحتاج الذى يجب إخضاعه. أما العالم الثالث: فهو ينظر لنفسه سلبياً على أنه هو المظلوم الذى يبحث عن الانتقام والمقهور الذى يرغب فى التمرد والثورة، وينظر إلى الغرب على أنه اللعنة وعلى أنه هو سبب الفقر والظلم والقهر الواقع عليه. ومن هنا: كان الحل الوحيد الذى يدعو إليه كل المفكرين من داخل المنظمة الإسلامية والمنظمة الغربية الأمريكية هو إقامة جسور متينة للحوار بين الشمال والجنوب وبين الدول المتقدمة والدول النامية، إلا أن مثل هذا الحوار قد يكون بعيد المنال إلا إذا تغيرت القيم الثقافية والأخلاقية للمجتمع الدولى برمته وهو الشئ الذى وإن كان صعباً غير أنه ليس بعيد المنال.

وفى نظرنا فإن مشروع الحوار ينبغى أن يرتكز على أصول منها:

> إقامة حوار فكرى يحصر نقاط الخلاف وإبراز المساحات الثقافية المشتركة بين العالمين. وذلك لأن كل الحوارات المصلحية والسياسية والاقتصادية قد أثبتت فشلها.

> تقييم مراحل الحوار السابقة التى قام بها الاستشراق باعتبار أنه كان يعبر عن روح الشرق، كما يراها الوعى العربى، المساند للدور الاستعمارى.

بالطبع لم يخل علم الاستشراق من بعض التوجهات والنزعات الاستعمارية نتيجة الوضع التاريخى الاستعمارى للشرق ولأن أصحابه من المنتمين للثقافة الغربية

الاستعمارية وكانوا غير أكاديميين وتبين فى مراحل لاحقة أن أخطاء الاستشراق عن الشرق كانت فاحشة وشنيعة وساهمت فى تشويه صورة الإسلام والعرب على المستوى الدولى.

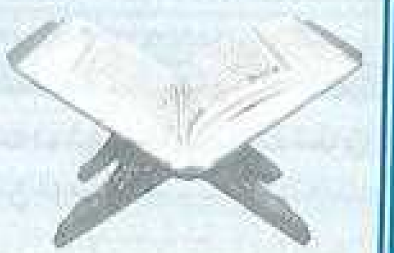
وأنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل قيام حوار فكرى بين الحضارات المختلفة، ما لم يكن الدين، الذى هو الفطرة الربانية، وهو الأصل الوحيد الذى شارك فى بناء كل الحضارات، هو منطلق الحوار، فهو أعرق الأصول الحضارية والأصل المشترك بين كل البشر مهما اختلفت أجناسهم وقومياتهم وألسنتهم ولقد أخفق الفكر الغربى بمذاهبه الحديثة الفلسفية والسياسية من يوم أن أسلم قيادته للتمرد الفكرى وبفضل الفلسفة المادية تأصلت مقولة: أن حركة التاريخ صراعية وتآمرية. أدت تلك المقولة إلى تعبئة المجتمع عسكرياً استعداداً لحرب صراع الحضارات التى لا تنتهى، وتصارعت الأيدلوجيات حول تحقيق مبتغاها هذا يسلب الحرية الفردية بحجة الهوية الجماعية وهذا ينازع الجماعية باسم تحقيق الحرية الفردية. وهذا نيتشه ذلك الفليسوف الذى نقد المسيح والدين والأخلاق والمجتمع والعالم والأسرة.. وهذه خاصة غربية، وغير موجودة فى العالم الشرقى وذلك ظهر فى الغرب تحت مبدأ احترام الرأى الفلسفى.

ومنذ عانى العالم الغربى الحربين العالميتين، والشعوب تنقد الحكومات والفرد ينقد المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الغربية.

فظهر خلال القرن العشرين مذاهب فلسفية غربية تدعو إلى الحرية بأشكال متنوعة ومختلفة لم تشهدها حضارات أخرى فى قرن واحد من الزمن.

والحضارة الغربية منذ بواكير العصر الحديث حتى الآن برغم كل ما حققته من تقدم علمى واقتصادى وسياسى إلا أن الوعى الموجود لدى أفرادها يطلق عليه المفكرون نقاد الفكر «الوعى الشقى» الذى يبحث دائماً عن انسجام مفقود مع البيئة التى يحيا فيها، دون أن يستطيع أن يصل إليها، فيشقى كلما زاد بحثه، فمنذ عصر النهضة الأوربية والعلم الغربى يتصارع مع الدين حتى سقطت سلطة الكنيسة.

ومنذ ماركس والمجتمع الغربى يتصارع مع الدولة، ومنذ نيتشه والوعى الغربى يتصارع مع الدين والإيمان والأخلاق وأشكال الحضارة الغربية ويبغى تدميرها ومن الواضح أن تلك الظواهر لم يسبق أن عاصرتها أى حضارة إنسانية فعادة كل تهديد يحيق بحضارة ما يصدر من خارجها. إلا الحضارة الغربية فإن تهديدها من الوعى النقدى من الأفراد أنفسهم أى من عقلها الداخلى. ومن توهمات الغرب أن الخطر من الخارج وليس من عمقه هو، فكان قديماً ذلك الخارج: اليهودية ثم الشيوعية ثم الآن الأصولية الإسلامية.



التربية الإيمانية فى القرآن الكريم

مناهجها وأهدافها

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى

منهج التذكير بالنعم

كان حديثنا فى المقال السابق ، حول منهج التأمل فى الكون من آيات الذكر الحكيم ، وقلنا إن قيمة ذلك المنهج أن ينتهى بالمتأمل إلى أن الإيمان بالله وما جاء به الرسل ضرورة حتمية من بدهيات العقول . فإما أن يقر المتأمل ويذعن إلى ماأفضي إليه تأمله فى آيات الله فى الكون ، فيحقق لنفسه السعادة التى لا كدر فيها عاجلاً وآجلاً .

وإما أن يعاند ويغالط نفسه قبل أن يغالط غيره ، فتقوم لله عليه الحجة ، وأضل نفسه بعد أن بصَّره الله بالحق الذى لايعتريه شك ، فهو هالك - لا محالة - عن بيِّنة .

ومـا قلناه عن ذلك المنهج (التأمل فى الكون) نقوله هنا فى منهج «التذكير بالنعم» .

والقـرآن فى هذين المنهـجين ، وفى غيرهما ، من مناهج التربية . الإيمانية فيه . يتسلل فى لطف وخفة إلى مدارك الإنسان وعقله وقلبه ، ويقوده بيد حانية إلى غرس الحقائق الإيمانية لتتمكن من نفسه فيؤمن بها بعد أن أبصرها وأحسها ، بعيدا عن القهر والقسر ، لأنهما لايثمران إيمانا قط . وأساس الإيمان هو الإقناع .

ولهـذا كـان منهج الدعـوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ليحيا من حىَّ على بينة ، . ويهلك من هلك عن بينة . وما الله بظلام للعبيد ومنهج التذكير بالنعم مـثل منهج التـأمل فى الكون ، تخـتلف مـشاهده بالقـصر والطول النسبيين . وها نحن هنا نبدأ بالمشاهد القصيرة ونثنى بالطويلة ، كما فعلنا فى المنهج الأول .

المشهد القصير الأول

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(1) .

هذا المشهد يتناول مرحلة خلق الإنسان وتطويره وهو فى عالم الغيب ، قبل أن يأتى ضيفا جديدا من ضيوف الحياة الدنيا .

كان الإنسان أولا ترابا مبلولا (طين) ومر هذا الطور بمراحل غير معلومة لنا ، حتى بلغت مرحلة «النطفة» التى نزلت فى قرار مكين ، وهو رحم الأم ، ومـعنى مكين يعنى مجهز بما يوفر الرعاية والحفظ للأمانة التى أودعها فيه البارئ المصور (الله) ولما كانت النطفة قريبة من طبيعة العنصر الأول الذى بدأ الله تكوين الإنسان منه (الطين) فإن تغيرا طرأ عليها صاعدا بها نحو الاكتمال ، لما كان الأمر كذلك عبَّر الله عن التطور الذى طرأ عليها بحرف العطف والتراخى ﴿ ثُمَّ ﴾ فقال ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ وهى المرحلة الثالثة بعد المرحلة الطينية والمرحلة النطفية .

وقد بين الحديث الشريف أن كل مرحلة يفصل بينها وبين السابقة عليها مدة ومع هذا نرى هذه المدة وهى أربعون يوما لا وجود لها فى عطف خلق العلقة مضغة حيث قال : ﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ وكأن فى هذا إشارة إلى تباعد هذه المرحلة عن المرحلة الطينية . وذلك يناسب نمو النعم ، التى أنعم الله بها على الإنسان وهو بيد القدرة الإلهية يطور خلقه كيف يشاء .

لذلك جاء عطف خلق المضغة على النطفة بحرف «الفاء» التى تفيد الفورية والترتيب .

وكذلك المضغة عظاما بـ«الفاء» وتوجيه العطف بـ«ثم» وبـ«الفاء» يفيد ملمحا آخر إليك بيانه ، فالعطف بـ«ثم» بين النطفة والعلقة منظور فيه إلى بداية الخلق فى الرحم ، أى انتقال النطفة إلى العلقة ، فالنظر هنا كان إلى أول مرحلة النطفة .

وفى العطف «الفاء» بين صيرورة العلقة مضغة ، وصيرورة المضغة عظاما منظور فيه إلى آخر مرحلة العلقة والمضغة فجاء التحول فورياً لا متراخيا . فالنعم آخذة طريق التصاعد إلى الكمال فى الوجود الرحمى .

كذلك جاءت صيرورة العظام مكسوة باللحم معطوفا بـ«الفاء» للدلالة على أن كسوة العظام لحما جاءت مباشرة لآخر مرحلة«العظمية» وكل هذا يفيد توالى النعم على الإنسان وهو جنين فى رحم أمه بعيدا عن تدابير الناس .

وبعد ذلك جاء نفخ الروح والخروج من الرحم إلى الحياة الدنيا وأدى القرار المكين

(1) المؤمنون ١٢-١٤ .

الجهز بكل مافيه حفظ ورعاية للجنين وصار الجنين بعد ذلك ﴿ خَلْقًا آخَرَ ﴾ فى أول عهده بالحياة الدنيا ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

هذه العناية، وهذه الرعاية، وهذا التدبير الحكيم حبا الله بها الإنسان ولم يكن الإنسان شيئا، ولم يكن له راع ولا حافظ ولا مدبر إلا الله بارئ النعم وكان محصول هذا كله هو إنعام الله على الإنسان بالخلق والإيجاد، ليس لله فى هذا الصنع معين لاشريك فكيف لايؤمن المخلوق بالخالق، وكيف لايؤمن الموجد بالموجد، كيف لايؤمن المنعم عليه بالنعم: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ ؟! كلا ثم كلا

﴿ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ؟ كلا ثم كلا.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾[2].

إن هذا المشهد ـ وحده ـ لدليل قاطع على الإيمان الضرورى بالله ـ عز وجل ـ فهو دليل عقلى قاطع لكل عذر، مزيل لكل شبهة، ماح لكل باطل أو وهم يعترف به الشيطان فى أوهام العباد ليكفروا بالله، فليذهب الكفر وأهله ودولته إلى نار جهنم خالدين فيها وليس لهم إلى خروج من سبيل.

وبراهين القرآن لايأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ولايزيدها تطاول العصور والدهور إلا قوة وجلاء.

فيوم نزل القرآن بهذه الحقائق كانت غيبا من الغيوب التى لايعلمها إلا الله، ومع هذا أدت المراد منها أيما أداء والآن، وقد ازدهرت الكشوف العلمية أثبت العلم التطبيقى الطبى صدق ماأعلنه القرآن قبل أربعة عشر قرنا، وحدد لكل مرحلة من مراحل تكوين خلق الإنسان وتطوره خصائصها ومدة مكثها فى الرحم وثبت يقينا مطابقة مانص عليه القرآن مع ماأشار إليه العلم فضاعف قيمة هذه الأدلة فى التربية «الإيمانية ومن أصدق من الله قيلا».

المشهد الثانى القصير

﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (22) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (23) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾[3].

المشهد الذى عنيناه هنا، يبدأ من

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾[*] إلى آخر الآيات.

وهذا المشهد مهد له القرآن بتمهيد قصير، يبدأ من ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[*] وهو دعاء على الإنسان لمعاصيه الصاعدة منه إلى

(٢) مريم ٦٧٠.

(٣) عبس ١٧٠-٣٢.

ربه: وكفرانه بنعم الله عليه وقد تضمن هذا التمهيد بعضا من النعم، يذكر الله بها عباده وهى:

مبدأ خلقه الذى خلقه الله منه، وصنع الله الحكيم فى تقديره، الإنسان والكيفية التى خلقه عليها، ثم يذكره بنعمة هدايته السبل التى فيها يعمل وينفع نفسه وولده وأهله، أى كيف يستثمر قدراته فى تحقيق النفع له، هذا فى الحياة الدنيا وحين يميته يحفظ بدنه بدفنه فى الأرض إكراما وتكريما له، إلى أن يأتى يوم البعث لتجزى كل نفس بما كسبت.

ولكى يصحو الإنسان من غفلته، ويهتدى من ضلاله لفت الله نظره للتأمل فى ما يأكله ويشربه. ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾

وطعام الإنسان لايغيب عن مشاعره، من أجله يسعى ويشقى من الذى وفر له هذا الطعام؟ أهو نفسه؟ كلا إنه الله عز وجل، نعم هذه بديهة لاتحتاج إلى بيان ثم دعاه ليتأمل فى مبادئ رزقه وطعامه الذى به يعيش، ومن أجله يعمل:

يبدأ هذا الطعام من مراحل متطورة، أول مرحلة هى مرحلة إنزال الماء. الذى عبر عنه القرآن بالصب لكثرته وتتابعه ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾

وهذه العبارة فيها دلالة مكثفة فهى حلقة وصل بين مرحلتين من مراحل تكوين طعام الإنسان.

المرحلة الأولى مرحلة الإنزال، التى تكررت مرات فى مجال التذكير بنعم الله على الخلق، منها قوله عز وجل:

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾[4].

وقوله:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾[5].

هذه هى المرحلة المتقدمة على مرحلة «صب الماء» أما المرحلة التى تليها، فقد سبقت الإشارة إليها فى آية سورة الزمر

﴿ فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾[6].

يعنى خزنه جاريا، للوفاء بحاجة الناس. وهو نوع من تيسير الحصول على النعمة.

لكن هذه النعمة فى حاجة إلى تكميل، وهو النص على استدامتها لأن إنزال الماء وحده لايكفى. وجريانه فى ينابيع لايكفى، ولذلك أكمل الله هذه النعم فقال:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ﴾[7].

أسكناه يعنى أدمنا وجوده هذه هى حلقة من حلقات تكوين طعام الإنسان الذى أمرنا

(٤) البقرة ٢٢٠.

(٥) الزمر ٢١٠.

(٦) الزمر ٢١٠.

(٧) المؤمنون ١٨٠.

الله وفى مناهج التربية الإيمانية فى القرآن مبدأ شائع فى آيات كثيرة، هو وضع الإنسان بين حالتى الرجاء والخوف لئلا ينخدع الإنسان بالرغبة والرجاء، ولئلا يقنط بالرهبة والخوف.

وتحقيقا لهذا المبدأ، بعد أن ذكرنا الله بجزيل نعمه وضمانها وتيسيرها بإنزال الماء من السماء، وسلكه ينابيع فى الأرض، وإسكانه فيها قال عز وجل بعد قوله:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾

قال:

﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾(٨).

ليجعل الإنسان راجيا خائفا، فتتوازن عنده مشاعر الرجاء والخوف.

يعنى أن الله - عز وجل - قادر - إذا شاء - أن يذهب بالماء الذى أنزله فأجراه ويسره وأدام مكثه بين يدى الناس.

ثم أكمل عوامل التخويف فقال:

﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾(٩).

لأن غرور الإنسان قد يخيل إليه أنه قادر على تخزين الماء، وبخاصة فى عصرنا هذا الذى ازدهرت فيه العلوم والصناعات المذهلة لأن الله إذا أراد إذهاب الماء حتى لو خُزن بوسائل التقنية الحديثة فإنه قادر قدرة فائقة على إذهاب الماء المخزون بإعدامه وهو مخزون. كما قال عز وجل

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(١٠)

***

وبعد إحكام هذه الحلقات فى عملية إنزال الماء، الذى جعل الله منه كل شئ حى، دعا الله الإنسان لينظر فى شئون طعامه. فقال:

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾(١١).

وليس المراد مجرد النظر بالعين المبصرة. بل المراد التأمل والتفكر العميق الواعى.

وفى عقدية النظر بحرف الجر «إلى» لمحة بيانية رائعة. حيث لم يعد الفعل «ينظر» باللام، فلم يقل: لطعامه.. لأن فارقا كبيرا بين الدلالات فيهما فدلالة التعدية باللام «لطعامه» تفيد قصر النظر وتحصر الرؤية على الطعام المجهز الموضوع على الموائد بين يدى الآكلين، وهم فى هذه الحالة يكونون مشغولين بتناول الطعام، ليس لديهم فرصة للتأمل العميق الواعى وكما قيل فى المثل الشعبى: «هم البطون يعمى العيون»، فكيف يتأتى منهم التأمل العميق الواعى؟

لذلك عدل القرآن الحكيم عن التعدية باللام إلى التعدية بـ «إلى» لأنها تفيد «بعد المسافة فى النظر المأمور به الإنسان»، فيتجاوز النظر حالة وضع الطعام بين يدى الآكلين، ممتدا إلى مبدأ تكون الطعام، وسلسلة المراحل والأسباب التى مرَّ بها من أول مرحلة (إنزال الماء) إلى آخر مرحلة، لأن تأمل هذه السلسلة هى التى تتكامل فيها النعم وتتجلى فيها قدرة الله وحكمته. ويبدو للإنسان فضل الله عليه، من مولده - مولد الفضل - إلى نهايته، وهى تناول الطعام بين يدى الآكلين، فلا ينخدعون بما لهم من جهد فى الحصول على الطعام وجودة إعداده. لأن هذه الجهود البشرية لم يكن إليها من سبيل لو لم يخلق الله عناصر الطعام الأولية، فهو الخالق، والخلق هم الصناع، والخلق أصل، والصناعة فرع، لأنها عمل فى شئ موجود من العدم.. ولا موجد إلا الله.

فالنجار مثلا صانع.. ولولا خلق الله للأخشاب ما كانت صناعة النجارة.

والنساج صانع، ولولا خلق الله للقطن والصوف والأوبار والأشعار ما كانت صناعة النسيج وهكذا وهذه الآية ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾(٠) دعوة إلهية مجملة لإثارة الانتباه، وتحريك المشاعر وتفريغ النفوس من الشواغل التى تحول بينها وبين كمال التأمل فى فيوضات نعم الله - عز وجل - ومن تيسير الله مهمة التأمل فى نعمه على الناس فصل لهم بعد هذه الآية عناصر ذلك التأمل العميق فى الآيات التى بعدها: عنصرا تلو عنصر.

«يتبع»

***

(٨) المؤمنون ١٨.
(٩) الحجر ٢٢.
(١٠) النحل ٤٠.
(١١) عبس ٢٤.

خطبة الجمعة

مكانة القرآن

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، ضلت الطرائق إلا طريقته، وخابت الدعوات إلا دعوته:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(1). أشهد أن لا إله إلا الله، يضل من أعرض عنه، ويهدى إليه من ينيب، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، تعلق بربه فما انفصل منه، وأقبل عليه فما أعرض عنه؛ فصلواتك اللهم وسلامك عليه وعلى الفروع الطاهرة من آله وذريته، والسابقين من أنصاره وصحابته، والمستمسكين بكتابه وملته:

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(2). يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام:

شاعت بين المتحللين والملحدين جريمة التطاول على الدين، والاستخفاف بأوامر الله رب العالمين، والتجارؤ على إنكار الخالق أو التشكيك فى وجوده، والسخرية بكتابه وأحكامه، مع أننا لو تركنا كل الأدلة العقلية والمنطقية على وجود البارىء المصور، وعلى سمو الدين المنزل من السماء وصدق الكتاب الموحى به من رب السماء، واتجهنا إلى قلب الإنسان ونفسه لوجدنا لديهما برهاناً أى برهان؛ وقلب الإنسان رائده ودليله كما يقولون، وفى نفسه من الدلائل ذات العجائب ما لو أنعم المرء فيه النظر لأعطاه خير العبر، والقرآن المجيد هو الذى يقول:

(1) - المائدة: «50».

(2) - آل عمران: «101».

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(3)

إن الإنسان قد يغتر بقوته وحيلته، فيعرض عن حمى خالقه وهدى دينه حيناً طويلاً أو قصيراً من الزمان، ثم تجتاحه جائحة، أو تلم بساحته ملمة تسد عليه منافذ الحيلة، وتقطع الطرق أمامه، فيحاول مايحاول، ثم يضعف ويعجز. وإذا هو بوعى أو بدون وعى يرفع وجهه إلى السماء قبلة الدعاء هاتفاً فى سره أو علنه قائلاً: «يارب»، فيحس عندها أنه مخلوق ضعيف قد عرف ربه أقوى الأقوياء، فاستمد من حوله وطوله، واعتز بقدرته وقوته، وشعر بالطمأنينة والرجاء وبالراحة بعد التعب والعناء، وقد يتعرض المرء لخطر من الأخطار، أو زلزلة عنيفة من أحداث الحياة، فيندفع إلى رحاب الله، يجد فى هديه نجواه وسلواه، وإن لم تمتلىء يده مادة ومتاعاً، امتلأ قلبه على الأقل سكينة وطمأنينة؛ وقد يضيق صدر المرء، أو تحيط به الأحزان والأشجان، ويصبح فى هم مقعد مقيم، فإذا امتدت يده إلى المصحف كتاب ربه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وتلا جانباً من سوره أو آياته، أحس كأن مدداً روحياً عجيباً يأتيه من أفق رفيع وسيع، فيدخل على نفسه بالرضى، وعلى صدره بالثبات واليقين.

ولقد جرت عادة الناس بأنه إذا أقدم جماعة منهم على أمر جليل له خطورته ومخاوفه تعاهدوا باسم الله جل جلاله على الوفاء والصدق، ووضعوا أيديهم معاً فوق المصحف الشريف وهم يأخذون هذا العهد، وكأنهم يتذكرون أن هذا القرآن هو أعظم ميراث سلمه إليهم نبيهم صلوات الله عليه من ربهم عز شأنه، وهذه اليد النبوية المحمدية هى التى صافحت أيدى المؤمنين آخذة العهد عليهم بأن يكونوا جنود الرحمن وأنصار القرآن وأبطال الإيمان والسابقين إلى الجهاد والشهادة حتى يفوزوا فى دنياهم بالعز الشامخ وفى أخراهم بالنعيم المقيم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(4).

ولسنا بهذا نستدل لشرعية هذا الوضع، ولكن المعنى أن نقول إن المتعارف من وضع المتعاهدين أيديهم على المصحف فى موقفهم الدقيق الرهيب هو أنهم قد آمنوا بأن هذا القرآن هو أغلى شىء عندهم، فهم يلمسونه بأيديهم لينالوا أقباساً من أنوار جلاله وعظمته، ولو كان لديهم ماهو أجل وأعظم لاتجهوا إليه وتعاهدوا عليه.

ومادام للقرآن فى نفوس المسلمين والمنتسبين إلى دين الله هذه المكانة. عند الفزع والهول وهذا الإشعاع فى لحظات الشدة وأوقات الروع، فمن أوجب الواجبات

(3) - الذاريات: «20، 21».

(4) - الفتح: «10».

والزم اللوازم أن يكون هذا القرآن على الدوام رائدا وقائدا، ومناراً وشعاراً، فإذا كنا نجد فيه عند الهول أو الهم عصمة وفرجاً فإنا واجدون فيه على الدوام وفى أوقات الأمان والسلام مسعداً وهادياً، لأنه نور الله المبين، وحبله المتين، وذكره الحكيم، وصراطه المستقيم، والمخرج من الظلمات إلى النور، والفاصل بين الحق والباطل، فيه ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا!..

فخبرونى أيها الناس.. كتاب هذا شأنه وهذا سلطانه، وهذا قدره وهذا مكانه، كيف ينساه أبناء الإسلام هذا النسيان فى دينهم ودنياهم وهم فى أشد الاحتياج إليه «وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر»؟ وكيف تخلو منه صدور شبابنا ومحمد صلوات الله عليه يخبرنا بأن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب؟ وكيف تتقلص ظلال تحفيظه ويتناقص عدد حفاظه يوماً بعد يوم؟. وكيف يكون مبلغ أمرنا معه أن تقتحم محرابه وحماه فنخرج على الناس ببدعة تلحينه وغنائه على الآلات الموسيقية كأنه قصيدة شعرية أو قطعة غزلية صاغها شاعر مخمور أو متغزل متبطل، تعالى كلام ربنا وخالقنا عن ذلك علواً كبيراً، وكأننا قد نفذنا كل شىء يجب علينا نحو القرآن من إجلاله ونشره وتحفيظه وتحليل حلاله وتحريم حرامه، والاهتداء بنوره، والخضوع لدستوره، ولم يبق إلا أن نلحنه موسيقياً ونغنيه للناس كما تغنى القصائد والمواويل!.. الكتاب الذى فجر الماء من الصخر الأصم، وخلق قادة الناس من رعاة الغنم، وهدى للتى هى أقوم، ونزله روح القدس، وجاء تذكرة لمن يخشى، ولو نزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، هذا الكتاب يراد له ياقوم أن يهون جلاله يوماً بعد يوم، وتذهب هيبته مرحلة بعد مرحلة، حتى يصير مجموعة من الأغنيات، ولو أردنا خدمته حقاً لملأنا به القلوب والعقول، ولجعلناه المرشد والدليل، ولقلنا: رضينا بكتاب ربنا قائداً ومقيداً، ورائداً ومسعداً..

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

إن الحرب أولها كلام، معظم النار من مستصغر الشرر، والذين لايرجون لله وقاراً من دعاة الإلحاد والتحلل يكيدون للإسلام وكتابه كيدا من وراء كيد، وليس لهم من علاج إلا الحزم والعزم، والحمل على طريق الحق طوعاً أو كرها، فليتذكر ولاة المسلمين واجبهم نحو القرآن، وليتذكر كل مسلم حق القرآن عليه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون.

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾

«التغابن: ٧»

الإيمان بالبعث «ضرورة» خلقية

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

أرأيت إلى الطالب الذى يوقن تماما بأنه سيؤدى امتحانا فى آخر العام، ألا تراه مكبا على التحصيل، مقبلاً على الدرس، مستغرقا فى توجيهات المعلم، مصاحبا لكتاب المنهاج أينما حل أو ذهب؟ وقد وضع نصب عينيه بل نصب عقله ووجدانه نتيجة التفوق، وبشرى النجاح؟

ثم أرأيت إلى العامل فى أى مجال عندما يستشعر أهمية الحافز أو الترقى وتوقف ذلك على صحيفة عمله، وتقرير التقويم السنوى، ألا تلحظه مجداً متفانياً مشغولاً ليل نهار بالتفكير فى الإتقان والإبداع، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يشغله عنه شاغل أملاً فى أن يفوز بجزاء جهده ذلك بالجائزة المتوقعة؟

وإذا كان هذا هو شأن حوافز الدنيا وجوائزها فماذا يكون شأن المرء الذى يطمع فى جوائز الآخرة التى يدخرها الحق -سبحانه- للمتقين الذين يلهجون بحمد الله يوم القيامة وهم يرفلون فى حلل الجنة هاتفين

﴿ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾[1].

إن المؤمن الكيس الفطن الذى يعى تمام الوعى، ويؤمن صادق الإيمان بأنه مادام هناك إله حق، وعده الصدق، وأن هذا الإله الحق لم يخلق الناس عبثاً ولكنه خلقهم لتحقيق رسالة العمران فى الأرض، وأنزل عليهم تكليفاته التى تعينهم على إنجاز هذه الرسالة العمرانية الجليلة.

إذن فلابد أن يكون هناك فى نهاية المطاف - وياله من مطاف - حساب على مدى استجابة العبد المخلوق لتكليفات الرب الخالق، ذلك يوم الامتحان، أو ذلك يوم التقويم أو بالمنطق الذى بدأنا به هذا الحديث ذلك يوم

(١) الزمر (٧٤)

الامتحان حيث يكرم المرء أو يهان.

ومن ثمة فقد اقترنت الدعوة إلى الإيمان بالله -سبحانه- بالدعوة الى الإيمان باليوم الآخر، ولا يغنى الإيمان باحدهما فقط عن الإيمان بالآخر فالله -عز وجل- هو منزل التكاليف على عباده، وهو -سبحانه وتعالى- الذى يضع الموازين القسط يوم القيامة ليميز بين من آمن ومن كفر

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾(٢).

ولك أن تتامل قوله تعالى

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(٣).

وقوله سبحانه

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٤).

ونعود إلى منطقنا فى أول هذا الحديث فنقول إن الطالب الذى لا يعترف بامتحان آخر العام لا يحفزه حافز إلى الجد ولا يدفعه دافع إلى الاستذكار، كما أن العامل الذى لا يعنيه تقويم عمله وما يرتبط به من أجر لا يهمه أن يعمل أو لا يعمل.

وهكذا فقد جبلت النفس الإنسانية على اقتران العمل بالجزاء، ومن هنا ذكر علماء النفس أن من حاجات الإنسان الفطرية الحاجة الى النجاح، والحاجة الى السلطة الضابطة التى تلوح دائما للإنسان بالجزاء، وتحفزه إلى تحقيق النجاح والخوف من الفشل.

ومن هنا فقد قيل بحق: «إن النجاح يولد النجاح».. وكذلك استفاد علماء الاجتماع من ذلك عندما قرنوا المسئولية بالجزاء. فالمسئولية هى تحمل نتيجة العمل، ونتيجة العمل هذه هى الجزاء فالمسئولية إذن هى تحمل الجزاء.

ومن هنا قرنوا بين هذ كله وبين الحرية التى هى اختيار الإنسان (المسئول) لفعل ما، مع استطاعته اختيار غيره، ثم قدرته بعد ذلك على تحمل (جزاء) هذا الاختيار.

ومن هنا أيضا كان من اتساق الأمور أن الخالق -عز وجل- الذى خلق الإنسان ويعرف ما توسوس به نفسه جعل الإيمان قرينا للحرية

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(٥)

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٦).

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٧)

وغيرها وغيرها من الآيات الكريمة المبينة التى عبرت عن هذا المعنى الذى اقتضته

(٢) الزلزلة (٧، ٨) (٣) المؤمنون (١١٥) (٤) الجمعة (٨)
(٥) يونس (٩٩) (٦) البقرة (٢٥٦) (٧) الانعام (١٤٥)

حكمة الخالق العليم فى توجيه الإنسان المخلوق وهو أعلم به

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(٨).

فالمؤمن إذن إنسان حر مسئول عن نتائج أفعاله: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(٩).

ومن رحمة المولى -عز وجل- الذى أنزل على خلقه التكاليف بما فيها من أوامر حازمة ونواه صارمة أن رفع -سبحانه- القلم عن العبد غير المسئول الذى لا يدرى ما يفعل، ويفعل ما لا يدرى.

وقد أكد القرآن الكريم فى مواضع كثيرة التنبيه الشديد إلى يوم القيامة والترغيب فيه والترهيب منه، فالترغيب فيه هو للمؤمنين الذين تطمئن قلوبهم بذكر الله لما سيجدونه من ثواب عظيم وخير عميم فى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾(١٠).

وأما الترهيب من ذلك اليوم فللمارقين الضالين المكذبين الظانين بالله ظن السوء حيث يعرضون على النار ويستغيثون فلا مغيث ويندمون ولات مندم.

والمتأمل فى كتاب الله -سبحانه- والمتدبر فى حديث رسوله ﷺ يرى أن الإيمان بالله واليوم الآخر ليس قاصرا على أداء العبادات المعروفة من صلاة وصيام وغير ذلك بما يصاحبها من أمور تعبدية، وإنما الإيمان بالله واليوم الآخر يمتد إلى تنظيم التعامل بين الناس بعضهم مع بعض. يقول الحبيب ﷺ وهو بحق بالمؤمنين رؤوف رحيم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت)(١١) ذلك أنه إن لم يقل خيرا فقد يكون فى قوله هذا فتنة بين الناس ونفاق لأحد على حساب أحد أو كذب على أحد أو غير ذلك من الأقوال التى تنافى الخير والتى وصفها القرآن الكريم بالكلمة الخبيثة التى اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

ومن الأدلة الناطقة على تلازم الإيمان بالله وحسن العلاقة بالناس أن المرء إذا أقسم بالله ثم حنث فى قسمه فإن عليه أن يكفر عن ذلك بإطعام المساكين.. أرأيت أعظم وأجل من ذلك أن البر بالبشر تكفير عن الحنث بالحلف بالله العظيم صاحب الملك والملكوت؟ أليس هذا فضل من الله ونعمة وتكريم ورحمة؟

(٨) الملك (١٤) (٩) الشعراء (٨٨، ٨٩) (١٠) الإنسان (٢٠)

(١١) وفي رواية: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» أخرجه البخاري ومسلم، واورده مالك في الموطأ.

ثم هيا نتأمل كتاب الله -عز وجل- وكيف يؤاخي بين الصلاة التي هي عبادة خالصة له وبين الزكاة التي هي عبادة له -سبحانه- في ظل التكافل والتراحم والتعاون بين الناس، فكم من آية كريمة تذكر الصلاة مقرونة بالزكاة، وليس بعيدا عن عقولنا ووجداننا وإعجابنا ما فعله الخليفة الأول والصديق الأوفى «أبو بكر» -رضى الله عنه- عندما تخلى عن هدوئه ولينه لكي يقف للمرتدين الذين منعوا الزكاة بعد انتقال سيدنا محمد ﷺ حتى لقد رد على «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه -رده الحازم الحاسم (أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام يا عمر) وذلك عندما رأى عمر عدم قتال المرتدين لأنهم شهدوا «أن لا إله إلا الله»، وما ذلك إلا لعمق إيمان أبى بكر باقتران الزكاة بالصلاة، وقد دفعه ذلك إلى قوله الشهير الجهير (والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه)، ودقت الطبول المؤمنة وانطلق الزحف الإسلامي في اثني عشر جيشا يقودها أبطال الساحة المحمدية ليقضوا قضاء مبرما على حركة المرتدين الذين رفضوا استمرار أداء الزكاة.

ثم ألا نذكر معا أن «الصوم» وهو عبادة يجزى بها الله وحده الذى قال في حديث قدسي: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به)[١٢]

يظل في ذمة المرء معلقا بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر التي يؤديها الصائم إلى من يستحقها من الناس القريب منهم أو البعيد.

بل إن الحج وهو الفريضة التي يأتي فيها الملبون إلى ربهم شعثا غبراً تاركين الأهل والمال والولد غير عابئين إلا بالله -عز وجل- هذه الفريضة ترتبط كذلك ارتباطا وثيقا بمنافع الناس وإطعام الجائع والبائس والفقير والمعتر، أليس في ذلك يقول المولى -سبحانه- في إشارة إلهية عظيمة إلى أن التوجه الخالص إلى الله لا يصرف الإنسان عن غيره من بني البشر بل إن اهتمام الحاج ببني جنسه في هذا الموقف العظيم هو من شعائر الحج يقول سبحانه موحيا إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه- السلام

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾[١٣].

ويقول أيضا -عز وجل -في هذا المقام

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[١٤].

(١٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/٢٧٣)

(١٣) الحج (٢٧، ٢٨)

(١٤) الحج (٣٦)

الأزهر

بل إن ركن التوحيد نفسه وهو شهادة (أن لا إله إلا الله) وهو أصل العبادات جميعا هو تكريم للبشرية والسمو بها إلى مراتب العزة والثقة بالله وبالنفس والبعد عن التملق والنفاق والمراءاة، كما أنه تحرى العلو الروحاني والارتفاع النفسي عن الدنايا من القول أو الفعل أو العمل ليس خوفا من الله فقط. وهذا حق. ولكن أيضا حبا فيه أن ابدع ما يعجز عنه غيره، وحمدا له أن سخر للإنسان كل ما ينعم به من نعمة، وأملا في رحمته وعفوه في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويقينا في أنه الإله الواحد الأحد الحق الذى لفت المخلوقات جميعا من لدن خلق الكون إلى أن يشاء الله إلى تدبر معنى قوله عز وجل:

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[١٥]

وهكذا نرى أنه إذا كانت البداية هي الإيمان الوثيق بالله -عز وجل -فإن نتيجتها دون جدال هي الإيمان العميق باليوم الآخر حيث المساءلة بين يدى أسرع الحاسبين وخير الشاهدين عن مدى ما قدم الإنسان من طاعة أو عصيان للأوامر والنواهي الإلهية التي هي أولا وأخيرا في صالح الإنسان الذى جعله الله في الأرض خليفة.

ومن ثمة كان من الاتساق الإيماني البين أن يصل القرآن الحكيم التأسي برسول الله ﷺ بالإيمان بالله واليوم الآخر في الآية الكريمة:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١٦].

ذلك أن النبي ﷺ بقوله السديد وفعله الحميد وإقراره الرشيد هو المبلغ الواثق، والشارح الصادق لما يريده الله -سبحانه- من عباده.

ولقد كانت مشكلة المشكلات لدى الكفار في مواجهة أنبياء الله ورسله أنهم لم يكونوا يؤمنون باليوم الآخر:

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[١٧]

وأيضا: ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[١٨]

وذلك رغم الجواب المفحم الذى كان يتجلى به الله على رسله ليردوا به على هؤلاء المكذبين، وتأمل ذلك في الآية الكريمة:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[١٩]

أرأيت أبسط وأعمق، وأفحم وأصدق من هذا الرد الإلهي المحكم الذى يشير إلى

(١٥) محمد (١٩)

(١٦) الأحزاب (٢١)

(١٧) الرعد (٥)

(١٨) الواقعة (٤٧ - ٥٠)

(١٩) ياسين (٧٨، ٧٩)

سطحية عقول هؤلاء الفاسقين وضحالة أحلامهم حتى أمام القضايا البديهية الواضحة وضوح الشمس فى وضح النهار كما يقال.

وقد أدى تكذيب هؤلاء بقضية البعث الى رفض كل ما نشأت عنه هذه القضية من مقدمات فشاه استدلالهم وضل حدسهم:

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(٢٠)

ثم يؤكد المولى -جل وعلا- المرة تلو المرة أن الدعوة الإلهية التى حملها محمد ﷺ إلى الناس كافة هى لخيرهم ونفعهم وسلامة مسيرتهم فيقول عز من قائل:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢١).

وإذا كان كل من طالب العلم وطالب الترقى كما جاء فى بداية هذه السطور يبذل أقصى ما يستطيع لبلوغ غايته إذن فما أجدر بطالب النعيم المقيم فى الآخرة أن يجعل تعاليم الحق همه وشاغله فى حياته الدنيا ليفوز بالجزاء الأوفى فى حياة الآخرة. فما الدنيا العاجلة إلا معاد الآخرة الآجلة.

ورحم الله الشاعر شوقى حيث يقول فى مثل هذا المعنى عن قد قدر الدنيا فى نظر العقلاء:

جنيت بروضها وردا وشوكا
وذقت بكأسها شهدا وصابا
فلم أر غير حكم الله حكما
ولم أر دون باب الله بابا

وحكم الله وبابه لا يتناقضان مع السعى فى الأرض والأخذ بأسباب الحياة فى إطار من الإيمان العميق الذى يبين لصاحبه الفرق بين السير فى ضوء الشمس وبين التخبط فى دياجير الظلام.

كل هذا يضع أمام أبصارنا وبصائرنا كيف ترتبط أخلاقياتنا وسلوكياتنا ارتباطا وثيقا فى الحياة الدنيا وإيماننا بيوم الحساب، إذ فى ضوء هذه الأخلاقيات والسلوكيات الدنيوية يكون حسابنا وجزاؤنا فى اليوم الآخر، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

ونرى ذلك فى حياتنا العملية فى كل مكان، فهناك فرق بين الأخلاق الحميدة التى يتحلى بها كل من يخشى الله، وغيرها مما نجده عند العصاة المستهترين:

﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾(٢٢).

حيث طمس الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة، وشتان بين أخلاق هادية تقود أصحابها إلى جنات النعيم، وأخرى هاوية تسوق أهلها إلى أعماق الجحيم.

والله سبحانه الهادى إلى سواء السبيل.

(٢٠) الأنعام (١٠)   (٢١) التوبة (١٢٨)   (٢٢) المائدة (٧٩)

المبادئ الدستورية فى الإسلام

بقلم اللواء الدكتور/ محمود خليل

جاء الإسلام بالعديد من المبادئ والأسس التى قامت عليها الدولة ودار حولها الفكر السياسى الإسلامى فالإسلام دين ودولة فهو على خلاف الديانات الأخرى لم يتناول فقط الأمور الروحانية وانما أحكم التوازن بين الناحيتين من الأمور الدينية والدنيوية، فهو دين وسط، فالشريعة الإسلامية - وهى المصدر الأساسى للتشريع فى الإسلام - تتضمن مجالين أحدهما خاص بالعبادات والشعائر، والآخر خاص بالمعاملات والشرائع.

فالمجال الأول يتعلق بالأمور الروحانية وعلاقة الفرد بربه.

والثانى يتعلق بعلاقة الفرد فى تعامله مع غيره من الأفراد وفى تعامله مع الدولة، والمجالان مرتبطان ومتكاملان فالرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما جاء برسالته السماوية جاء ببداية الدولة الإسلامية التى أسسها فى المدينة فكان مبشرا بالدين ورئيسا للدولة فى آن واحد.. والاسلام لم يعرف انفصال بين السلطتين أو الصراع بينهما

ومن الطبيعى فى هذا الأمر أن يتناول الإسلام أمر الخلافة التى مثلت محور الفكر السياسى الإسلامى وهى تعنى ببساطة الإمامة وهى سلطة عامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول - ﷺ - كما لم يعرف الإسلام واسطة بين الفرد وربه فالعلاقة مباشرة فى كافة ممارسات الدين الإسلامى، حيث لم يعرف الإسلام سلطة كهنوتية مسلسلة أو سلطة الحل والربط فى الأرض والسماء، وعالم الدين الإسلامى ليس أفضل من أى فرد إلا بعمله، بل إن أحكام العبادات ليست قصرا على علماء الدين إذ أن كل فرد مسلم يستطيع أن يتفهم أحكامها وفقا لقدراته، وقد حرص الإسلام على النظرة الموضوعية للطبيعة البشرية، فلم ينشد من الإنسان أن يتسامى إلى مرتبة الملائكة أو ينحط إلى درجة الوحوش، ولذلك فإن الإسلام لم يتضمن مجرد بعض المبادئ الأخلاقية أوالوصايا التى ينتهجها المؤمن، إنما جاء بالعديد من القوانين المحكمة التى جاءت بها الشريعة والتى تمثل مبادئ عامة مع ترك الباب مفتوحا لتفسير هذه المجالات.

والمصدر الأساسى للتشريع هو القرآن وجاءت السنة لتفسيره وفتح الباب للاجتهاد بصوره المختلفة فمع وجود هذه القوانين العامة والمبادئ الأساسية ترك التفاصيل للظروف الخاصة لكل مجتمع عن طريق الاجتهاد فيما لا نص شرعى

فيه، وعلى هذا فقد تميز الإسلام بالمرونة وبأنه دين يتمشى مع كل عصر وكل زمان حيث يمكن تطبيق أحكامه فى العصور المختلفة، ويهمنا فى هذا المجال توضيح أهم المبادئ الأساسية التى جاء بها الإسلام والتى تقام عليها دعائم الدولة وتمثل المبادئ الدستورية الإسلامية.

مبدأ الحكم بما أنزل الله

ويُعتبر هذا المبدأ هو أول المبادئ الدستورية فى الإسلام أى أن الشريعة هى المصدر الأساسى للحكم فى الدولة وأساس شرعيته، فمصدر التشريع فى الدولة الإسلامية يجب أن يكون الشريعة الإسلامية، والقوانين الوضعية لابد أن تتطابق مع الشريعة الإسلامية، وإذا كان هناك تناقض فتكون تلك القوانين باطلة:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰفِرُونَ ﴾[1]

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴾[2]

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴾[3]

كان صفة من يخرج على هذا المبدأ الأساسى هى الكفر والفسوق والظلم، والنص فى ذلك، ويُعرف هذا المبدأ بالحاكمية على أساس أن الحكم كله لله..

مبدأ المساواة

وهو من المبادئ الأساسية التى يقوم عليها الحكم فى الفكر السياسى الإسلامى وتقوم عليه الدولة الإسلامية بالأساس. وقد جاءت المساواة فى الإسلام بصورة مُطلقة لم ترد فى أى دين آخر، حقيقة أن مبدأ المساواة وارد فى كافة الأديان السماوية، ولكن التأكيد على المساواة وعلى أهميتها العامة والخاصة بالنسبة للأفراد قد تكرر كثيراً فى الإسلام، ويبدو الإطلاق فيما يتعلق بمفهوم المساواة من أن كلمة الناس ـ الدالة على الجنس البشرى ـ ذُكرت ٢٤٠ مرة فى القرآن الكريم مما يؤكد على الأخوية البشرية، كما ذُكرت كلمة الإنسان حوالى ٦٥ مرة أما كلمة البشر فقد ذُكرت فى ٣٦ آية وعلى هذا نجد أن الإسلام ركَّز على مفهوم المساواة مما لا يقبل أى شك أو تأويل، وبطريقة منطقية أكد على الأصل الواحد للبشر بغض النظر عن اللون أو الجنس أو اللغة أو المولد أو غيرها حيث الجميع مرجعهم إلى آدم عليه السلام أى إلى نفس واحدة، وقد جاء الإسلام فى هذا المجال بالعالمية المطلقة التى نشرها الرواقيون فلسفياً، وتلك العالمية تبدو فى كافة المبادئ العامة الأساسية التى أرسى دعائمها الإسلام كما تبدو أيضاً فى الدعوة نفسها حيث إنها موجهة إلى الناس كافة، وفى التأكيد على مبدأ المساواة نجد أن التأكيد على أن الأفراد متساوون أمام الخالق ومعيار التفرقة والتفاضل هو التقوى وهى رهينة بعمل الفرد وفى متناوله

(١) المائدة (٤٤). (٢) المائدة (٤٥). (٣) المائدة (٤٧).

شخصياً فلا يوجد فى الإسلام شعب معين يُسمى شعب الله المختار على عكس اليهودية مثلاً:

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾[4].

وموضوع المساواة يثير تساؤلاً حول موقف الإسلام من الرق فقد اتخذ الإسلام سياسة منظمة للقضاء عليه فى النهاية. فمن ناحية سعى الإسلام إلى تضييق أبواب الدخول إليه وقصرها على الحرب المشروعة بين المسلمين والكفار، ومن ناحية أخرى خصص الإسلام لتمويل عتق الرقاب أحد المصارف الثمانية للزكاة:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[5].

فضلاً عن التحرير الإجبارى للتكفير والمكاتبة إلخ.. وفى ضوء ما جاء به إسلامنا بكل ما يعرف فى وقتنا المعاصر بالإعلان العالمى لحقوق الإنسان فقد أعطى الإسلام للرقيق الكثير من الحقوق وأعاد إليهم إنسانيتهم فلم ينظر إليهم النظرة الشائعة «كشىء» أو «آلة حية» أو «شبه إنسان»، وقد ذهب الإسلام إلى حد تشجيع المسلمين على الزواج من إمائهم:

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[6].

مبدأ العدل

وهو المبدأ الثالث فى المبادئ الدستورية الإسلامية وقد كُررت كلمة العدل فى القرآن نحو ٢٨ مرة، والقرآن يدعو الحكام والأفراد بالحكم على أساس العدل والتأكيد على أهميته سواء فى الأمور الخاصة أو العامة، والعدل يتطلب سواء فى تعامل المسلمين مع بعضهم أو فى تعامل المسلمين مع غير المسلمين، فدولة المسلمين تتضمن الأمة (جماعة المسلمين) وأهل الكتاب (اليهود والنصارى، أى الديانات العالمية السابقة على الإسلام) وأهل الفطرة (من يتبعون الديانات التقليدية) والمشركين والكفار.

والعدل مرتبط بالعدالة من الناحية القانونية ـ أى المساواة أمام القانون ـ كما يرتبط أيضاً بالعدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى، وقد أقرّ الإسلام الملكية الخاصة واعترف بها ونظم الأمور المتعلقة بها، وتحقيقاً للعدالة الاجتماعية فقد جعل الإسلام الزكاة من الأركان الأساسية التى لا يقوم إسلام المسلم إلا بها، وقد ذُكرت الزكاة مقترنة بالصلاة ٢٥ مرة فى القرآن الكريم تأكيداً على أهميتها كأداة لتحقيق التكافل الاجتماعى وفى نفس الوقت لم يدع الإسلام للفقر الإرادى أو الزهد ولكنه نظم ما للفقراء والمساكين على الأغنياء من حقوق وبهذا يكون الإسلام قد كفل حق الأغنياء والفقراء سوياً فى المجتمع المسلم وضمن تحقيق العدل فى الأمة حتى

(٤) المؤمنون (٥٢). (٥) التوبة (٦٠). (٦) النور (٣٢).

يسهل على الحاكم أن يحكم فى أمته بالعدل، فالعدل فى الإسلام أساس المُلك:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[7]

فالعدل أمر صريح من الله للحاكم وفريضة دستورية للدولة الإسلامية.

مبـــدأ الشـــورى

وتُعتبر الشورى من أهم المبادئ التى تقوم عليها الديمقراطية عامة وهى حكم الشعب، والإسلام فى الواقع ركَّز على أهمية ارتباط الفرد بالمجتمع وأهمية الجماعة وقد جعل الإسلام الشورى من أسس الدولة ونصَّ على مبدأ الشورى فى القرآن:

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[8].

ويسرى مبدأ الشورى على كافة أوجه الحياة السياسية وكافة الأمور ذات الطابع العام فى الدولة فالشورى جزء لا يتجزأ من أسلوب الحُكم فى القرآن، وفى قول الرسول - ﷺ - لأبى بكر وعمر وكانا أقرب مستشاريه (لو اجتمعتا فى مشورة ما خالفتكما)[9] وتجدر الإشارة إلى أن الإسلام كما أكد على الشورى كأساس لممارسة السلطة فى كافة جوانبها إلا أن هناك تأكيداً على ضرورة اتخاذ القرار النهائى من جانب المسئول:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[10]

وقد تدرج مبدأ الشورى فى الإسلام بصفة عامة مما يدل على مرونة الإسلام فالبيعة كانت معروفة فى عهد الرسول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[11]

ثم عُرف بعد ذلك الانتخاب للخليفة ومن ناحية أخرى فقد تدرَّج البعض من الشورى إلى أنها تتطلب إيجاد مجلس للشورى لتنظيم أمور الشورى على أسس تنظيمية ومجلس الشورى هذا يأتى عن طريق الانتخاب من الأمة، وتوضيحاً لأهمية الشورى فإن الرسول - ﷺ - كان يؤكد عليها مُكرراً «اتبعوا السواد الأعظم» وقوله:[12] «عليك بالسواد الأعظم»[13] والشورى من المفاهيم الإسلامية الأساسية الهامة التى تُمثل جوهر مضمون الديمقراطية بمعنى المشاركة الشعبية أو الرقابة الشعبية أو الإشراف الشعبى على أعمال الحكومة وهناك ركيزة أساسية للدولة الإسلامية قائمة

(7) النساء (58).
(8) الشورى (38).
(9) مسند الإمام أحمد 4/227.
(10) ال عمران (159)
(11) الفتح (10).
(12) أخرجه ابن ماجه.
(13) مسند ابن ماجه 2/1303.

بالأساس على الشورى وهى أن دولة الإسلام تقوم بالأساس على الرضاء الشعبى.

مبـــدأ الطاعـــة

وهو مبدأ أساسى فى الحكم وقد ورد صراحة فى القرآن الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾[14].

فطاعة الله واجبة وكذلك طاعة الله الرسول وطاعة أولى الأمر ولكن طاعة أولى الأمور رهينة بأمرين:

أولهما بأن يكونوا من جماعة المسلمين (منكم)..

وثانيهما: أنها رهينة بطاعة أولى الأمر لله ورسوله، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، أى أن طاعة أولى الأمر مرتبطة بطاعتهم لتعاليم الله ورسوله، وليست تدهورا من البشر إنما نظرة واقعية لواجب الطاعة وعدم الخروج أساسا، وتأكيداً لذلك قول الرسول - ﷺ - «السمع والطاعة على الفرد المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[15] -وقول الرسول - ﷺ - «ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصانى»[16] -ولكن الأمير يجب أن يتقيد بتعاليم الله وإذا أمر بمعصية يجب الخروج عليه والثورة عليه، وبالتالى فالإسلام لا يقر حق الثورة طالما أن الحاكم جاء عن طريق الرضاء الشعبى ويعمل فى إطار ما أمر الله به.. ويرتبط بمفهوم الطاعة. أن رأى الأغلبية يلزم الأقلية حتى وإن كانت مُخالفة لها فى آرائها ومصالحها، وعليه فإن طاعة الحكومات الإسلامية التى يتولى أمرها من جماعة المسلمين الذين جاءوا بطريقة شرعية ومنفذين لتعاليم الله تُعتبر واجباً دينياً ولكن هذه الطاعة تنتهى بانتهاء طاعة الحكام لله ورسوله.

وأخيـــرا

فإن الإسلام فيما يتعلق بالنظام السياسى ونظام الحكم قد وضع المبادئ والقواعد الأساسية التى تُعتبر المبادئ الدستورية التى تقوم عليها الدولة الإسلامية وهذه القواعد عندما تتبعها حكومات الإسلام تبنى دولاً إسلامية قوية ذات حضارة متقدمة كما أن هذه المبادئ تؤدى إلى نتيجة هائلة وهى الرضاء الشعبى عن الحكومة مما يشيع الاستقرار والأمن العام الذى هو الأساس الذى تطمئن به النفوس ويأنس الضعفاء ويزول الخوف وتتم الطمأنينة على الأرواح والأموال والأهل فى المجتمع المسلم مما فيه صلاح حال المسلمين فى الدنيا والآخرة إن شاء الله.

(14) النساء (59).
(15) أخرجه البخاري ومسلم.
(16) أخرجه البخاري ومسلم.

الخيار الإسلامي

في مذاهب التقدم

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

ليس كل «تغير» «تقدماً»..

فالتقدم - لغة - هو السير إلى الأمام.. لكن «الأمام» - الجديد - إذا لم يكن خيراً وأفضل من السابق - القديم - لا يستحق المعنى الإصطلاحي للتقدم، حتى وإن انطبق عليه معناه اللغوي؟!..

وإلا، فهل يعد «تقدماً» السبق إلى الجديد في وسائل الدمار؟! وفي وسائل الترف التي تزيد من رخاوة الإنسان وتخنثه؟! أو الجديد والسبق في سبل اللذة والشهوة غير المضبوطة بالأخلاقيات؟!..

إن الاتفاق على ضرورة التقدم.. والرغبة في الترقي، ليست موضع خلاف.. لكن من الأهمية بمكان أن نحدد مضمون هذا «التقدم» الذي نريد.. لنتأكد هل يحقق لنا «ارتقاء» حقيقياً؟ أم هو مجرد سبق وتغيير؟!.. ولنتبين معنى هذا «الارتقاء»، وهل تضبطه أخلاقيات الدين، فيحقق - بالتوازن - سعادة في الدنيا، تؤهل لسعادة الآخرة، التي هي خير وأبقى؟.. أم أنه من نوع ذلك «الارتقاء إلى أسفل»؟!.. الذي نتخدع به عن الارتقاء الحقيقي في كثير من الأحيان؟!..

إن قرآننا الكريم يعلمنا أن «التقدم» هو المقابل «للتأخر»

﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾(١).

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾(٢).

لكن «التأخر» في مواقع النساء عند الصلاة بالمساجد أفضل لهن وللرجال من «التقدم»!.. ولقد كان «تقدم» و«سبق» بعض الصحابة - في غزوة أحد - إلى جمع الغنائم، هو الكارثة التي جلبت الهزيمة إلى المسلمين!.. فليس كل تقدم خيراً.. وليس

(١) المدثر: ٣٧

(٢) الحجر: ٢٤

الأزهر

كل سبق ارتقاء، بالمعنى الحقيقي للتقدم والارتقاء.

كذلك يعلمنا القرآن الكريم أن للتقدم قوانينه وسننه.. وأن التخلف والتأخر ليس إلا ثمرة لغيبة هذه السنن والقوانين.. فليس التقدم أماني وأحلاماً للكسالى والقاعدين، حتى لو حسنت منهم النوايا وصحت لديهم المعتقدات النظرية.. فحتى «الإيمان» الديني، لا يكتمل إلا إذا جاء «العمل» ليجسد «التصديق»!. وشواهد القرآن الكريم على هذه الحقيقة تتعدى اقتران «الإيمان» بـ «العمل» في آياته الكريمة الكثيرة - وهو ملحظ له دلالته الكبرى - وإنما نرى هذه الشواهد أيضاً، في مثل قول الله، - سبحانه وتعالى - :

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾(٣).

فتحقيق الغايات في السعادة والتقدم والارتقاء، وتغيير سلبيات الواقع ونواقصه لا يأتي بمجرد الأماني، حتى ولو كانت أماني المؤمنين. فبصرف النظر عن عقائد أصحاب الأماني - مؤمنين كانوا أو غير مؤمنين - فلابد لتحقيق الأماني من الأخذ بالسنن وإعمال القوانين، والتعلق بالأسباب.. فهذا الكون الذي نعيش فيه قد أبدعه الله لغايات وحكم، وأقام نظامه على القوانين والعلل والعلاقات والأسباب، التي لا تبديل لها ولا تحويل.. كان ذلك منذ بدء الخلق، وحتى يبدل، - سبحانه وتعالى - ، هذه السنن والقوانين والأسباب، فيرث الأرض ومن عليها:

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(٤).

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾(٥).

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(٦).

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾(٧).

بل إنه حتى المعجزات، التي هي خوارق للسنن والقوانين المعتادة - أي خوارق للعادة - إنما هي صنع إلهي، يتفرد مسبب الأسباب، وخالق السنن، ومقنن القوانين، بإظهارها على يد رسله وأنبيائه، لتأييدهم وإقامة الأدلة والأعلام على صدق دعوتهم.. وذلك وفق قوانين وسنن لهذه المعجزات، لا

(٣) النساء: ١٢٣

(٤) الأحزاب: ٦٢

(٥) فاطر: ٤٣

(٦) الفتح: ٢٣

(٧) الإسراء: ٧٧

يعلمها ولا يستطيع السيطرة عليها ولا التحكم فيها البشر العاديون؟!.. فهناك، خلف الأسباب العادية، والقوانين الطبيعية، القدرة المطلقة لخالق الأسباب والمسببات.. بهذه القدرة خلقها، وأودعها تأثيرها «الذاتي - الذي هو مخلوق في ذات الوقت».. وبهذه القدرة يستطيع - عندما يشاء - أن يوقف فعل السبب المركب في الطبيعة، ليحل محله سبب آخر يصنع مُسَبَّبا جديداً ومغايراً؟!..

فلا شيء يتم بدون أسباب وقوانين وسنن تضبط علاقات الأسباب بالمسَبَّبات.. وما الحديث الشائع عن خلاف حقيقي بين حجة الإسلام الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥هـ ١٠٥٨ - ١١١١م] وفيلسوف الإسلام ابن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥هـ ١١٢٦ - ١١٩٨م] حول هذه القضية - قضية السببية - إلا وهم من الأوهام الفكرية الشائعة!.. فالخلاف بينهما شكلي، في مصطلحات التعبير، ومناطق التركيز.. فابن رشد - الذي أكد على علاقة السببية، لم يقف بالمسببات عند أسبابها الذاتية والمباشرة، وإنما أكد على تأثير ودور «الفاعل من خارج» الأسباب المادية.. والذي هو الخالق لهذه الأسباب المادية ذاتها.. فقال: «ولا ينبغي أن يشك في أن هذه الموجودات قد يفعل بعضها بعضاً ومن بعض، وأنها ليست مكتفية بأنفسها في هذا الفاعل، بل بفاعل من خارج، فعله شرط في فعلها، بل في وجودها، فضلاً عن فعلها..»[8].

وهو ذات المعنى الذي عبر عنه الغزالي بمصطلح «الاقتران» بين السبب والمسَبَّب.. فخالقهما قادر على إيقاف عمل السبب في المسَبَّب، بخلق سبب جديد، أو بتغيير طبيعة المسَبَّب كي لا يفعل فيه السبب القديم.. «إننا نسلم أن النار خلقت خلقة إذا لاقاها قطنتان متماثلتان أحرقتهما، ولم تفرق بينهما إذا تماثلتا من كل وجه.. ولكنا، مع هذا، نجوِّز أن يلقى شخص في النار فلا يحترق، إما بتغير صفة النار أو بتغير صفة الشخص»..[9].

فليس بين مفكري الإسلام من أنكر «السببية» بإطلاق، ولا السنن والقوانين.. وليس بينهم من أنكر القدرة المطلقة لخالق الأسباب والمسببات على التغيير والتبديل.. وليس هناك منهم من أنكر ارتباط التقدم والتغيير والارتقاء بأسبابه وسننه وقوانينه.. مع اللجوء إلى الله - سبحانه وتعالى - بعد استفراغ الجهد في الأخذ بالأسباب، ليعيننا على ما وراء هذه الأسباب!..

***

لكن الخلاف قد وقع - بين المذاهب والفلسفات - في معنى التقدم.. وفي

(٨) (تهافت التهافت) ص١٢٤. طبعة القاهرة سنة١٩٠٣م.

(٩) (تهافت الفلاسفة) ص٦٧، ٦٨. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٢م.

المناهج والسبل المحققة للارتقاء.

● فأصحاب النزعة «الباطنية - الغنوصية»: يرون «التقدم.. والارتقاء» - الذي يسمونه «خلاصاً» - يرونه في المجاهدة الفردية.. الجوانية.. التي تعتمد على العرفان الذاتي، وتقوم على إدارة الظهر للمادة وعالمها، والجسد وحاجاته، والدنيا وما فيها.. وذلك وصولا إلى قمة التقدم والارتقاء - الخلاص - بالفناء في المطلق والكلي والحق.. وهم في سبيل ذلك يحطون من شأن الأسباب - ومنها «العقل» و«النقل» و«الحرية» و«الإرادة» و«الاستطاعة» و«القدرة» - رافضين الاعتراف بأية علاقة تلازم أو فعل أو تأثير بينها وبين النتائج والمسببات والثمرات.. وذلك اعتماداً على أن هذه النتائج والمسببات والثمرات إنما هي «هبات» و«فيض» و«إلهام» لا أثر فيها للأسباب!..

وهذه النزعة «الباطنية - الغنوصية» هي ثمرة من ثمرات الفلسفة الإشراقية القديمة، التي ازدهرت في مدارس فارس الفلسفية، ثم طبعت التشيع الفارسي بطابعها.. وتجلت، كذلك، في التصوف الفلسفي - وبالتحديد لدى القائلين بوحدة الوجود، أو قصر الوجود الحقيقي على الله وحده.

وأصحاب هذه النزعة - التي هي على النقيض الكامل من النزعة المادية - تبعاً لإنكارهم أي وجود حقيقي لما سوى الله - سبحانه وتعالى - ينكرون وجود سببية أو أسباب في العالم أو الإنسان أو المجتمعات.. كما ينكرون أية علاقة للتقدم والارتقاء بعالم الماديات.. فالخلاص - التقدم - هو الارتقاء على درب الفناء الروحاني، وعلى حساب الدنيا وما فيها!..

ونحن إذا تتبعنا سمات نظرتهم إلى العالم والإنسان، في ضوء علاقتها بالله - سبحانه وتعالى - سنجد الموقف المفضي إلى نفي الوجود - مطلقاً - أو الوجود - الحقيقي - ومن ثم السببية والأسباب وفعلها - عن ماسوى الله.

أ - فهم لا يعتدون بالعمل - كسبب فاعل ومثمر - بل يعرضون عنه.. وإذا ما رسوه، فإنهم لا يرون «علاقة الضرورة» بينه وبين ما يثمر من آثار وثمرات ومسببات.

ب - وهم جبريون، ينفون وجود الإرادة الإنسانية.. وعلى حد قول «النفري» [٣٥٤هـ - ٩٦٥م] - وهو من كبار فلاسفتهم: فإن «المماليك - [أي فاقدي الحرية والإرادة] - في الجنة. والأحرار - [أي ذوي الإرادة] - في النار»[10]؟!.

فالجبر هو طريق التقدم - الخلاص - والحرية هي طريق السقوط في النار؟!..

فـفناء «الخلق» في «الحق» - عندهم - هو

(١٠) (المواقف والمخاطبات)- موقف الحجاب- تحقيق: آرثر يري. تقديم: د. عبد القادر محمود. طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥م.

حقيقة التقدم والخلاص!..

جـ- ولذلك فهم لا يعتمدون على «الأغيار» - ومنها «المادة» والأسباب المودعة فيها والمخلوقة بها ولا يثقون فيها، فهى وهم أو عدم محض!..

د- وينكرون أن تكون معرفة المصنوع سبيلاً لمعرفة الصانع.. والمتدبر فى «الخلق» طريقاً للإيمان «بالخالق».. فلا وجود، فى الحقيقة - عندهم - للمصنوع ولا للخلق، حتى يكون النظر فيها والمعرفة لها سبيلاً لمعرفة الخالق الصانع!..

هـ- وهم يعتبرون السلامة «هبة»، لا علاقة لها بالعمل والتكسب والأسباب.. وحتى العبادات - إذا مارسوها - على النحو الذى جاءت به الشريعة - فإنهم ينكرون أن يكون لها - فى السلامة والنجاة والخلاص والتقدم - فعل الأسباب للمسبَّبات.

و- وكذلك المعارف، يرونها «هبة» لا علاقة لها بالاكتساب والأسباب..

ز- ويصرحون، فى مذهبهم، بنفى السببية - أى العُدة - ويقولون بانعدام تأثيرها فى الارتقاء والتقدم إلى الغاية - التى يسمونها مقام «الوقفة».. وبعبارة «النفرى»: «وقال لى - [أى الله، سبحانه وتعالى] - كل أحد له عُدةٌ، إلا الواقف، وكل ذى عُدة مهزوم»[11]؟!.

ح- ذلك أن غاية أصحاب هذه النزعة «الباطنية - الغنوصية - العرفانية» ليست تحقيق «خلافة الإنسان لله» سبحانه وتعالى فى عمار العالم، بالكسب والأسباب، وإنما غايتهم - وتقدمهم - هو «فناء الإنسان فى الله» وذلك عن طريق «محو الأنا» لا إثباتها، فهذا مذهب فى التقدم والارتقاء والخلاص.. لكن، بمفاهيم خاصة لهذه المصطلحات، تجعله مغايراً للتقدم الذى يعنيه الإسلام!..

● وعلى النقيض من هذه النزعة «الباطنية - الغنوصية» - ذات الأصول الفارسية - فى مذاهب التقدم - تأتى النزعة «المادية» - ذات الأصول «الإغريقية - الغربية».

فمفهوم التقدم، لدى الماديين - وتجلياته فى الحضارة الغربية الوضعية العلمانية - يعنى: السيطرة على الطبيعة وقهرها من قبل الإنسان.. ذلك الإنسان الذى تصوره الماديون: «سيداً لهذا الكون»، لا حدود لحريته واختياره.. وهدف هذه السيطرة على الطبيعة والقهر لها، هو تحقيق الحد الأقصى من «القوة» والحد للإنسان.. والتى رأوها غير متناهية؟!.. كل ذلك، بصرف النظر- بل وبرغم- أخلاقية أو لا أخلاقية السبل والوسائل المحققة لهذه الغايات.. بل وبرغم- وبصرف النظر- عن لا أخلاقية كثير من هذه المقاصد والغايات؟!..

وفى سبيل تحقيق هذا اللون من «التقدم»

(11) المصدر السابق- موقف الوقفة.

رأى أصحاب هذه النزعة المادية:

أ- أن مصدر المعرفة- المستحقة لوصف المعرفة والعلم والحقيقة- هو المادة، وعالم الشهادة.. أما ما عدا ذلك، من عالم الغيب، وما وراء المادة، فلا ترقى «معارفه» إلى أكثر من «الميتافيزيقا»، و«معارف» طفولة العقل البشرى، التى هى أدخل فى «الخرافات» منها فى حقائق المعارف والعلوم!.

ب- وأن سبل الإنسان إلى المعارف الحقة لا تعدو «التجارب المحسوسة بالحواس الخمس» و«براهين العقل الإنسانى» فى الاستدلال والاستنباط.. ولا مكان «للوحى».. والنقل.. والأدلة السمعية».. ولا «للوجدان» فى سبل المعرفة المعتمدة والمأمونة!..

جـ- وأن الصراع بين الأضداد هو قانون الحياة والأحياء - فى الأحياء الطبيعية- التى تخلقت ذاتياً، ونشأت فيها نسمة الحياة طبيعياً.. ثم ارتقت وتطورت بالانتخاب الطبيعى، عن طريق قهر الأقوى للأضعف - لأن الأقوى هو الأصلح للبقاء.

وكما حدث ويحدث قيام وعمل هذا «القانون» فى الأحياء الطبيعية.. فلابد من قيامه وعمله فى الاجتماع البشرى- بصراع الطبقات المحرك للتاريخ.. والصراع بين «قوى الإنتاج» وبين «علاقات الانتاج» - المحدد لخط سير تطور وتقدم النظم الاقتصادية والاجتماعية.. بل والأنساق الفكرية والثقافية والاعتقادية..

وعلى نفس المنوال تكون العلاقات بين الحضارات والدول فى العالم.. حتمية صراع الأضداد، ومشروعية البقاء للأقوى، لأن الأقوى هو الأصلح.. فهى «رسالة» وليست عدوان شريعة الغاب؟!..

د- وبنفس الفلسفة تكون النظرة إلى «البيئة»- وهى «الطبيعة»- فهى مسخرة للإنسان- بمعنى السخرة- ليقهرها- لا بمعنى الرفق بها والارتفاق معها- فكل ما يحقق «القوة» و«الوفرة»- بالمعنى المادى للقوة والوفرة- هو من صميم «التقدم» لدى أصحاب النزعة المادية، حتى ولو أخل بتوازن الإنسان - كفرد وكمجتمع- وحتى لو أخل بتوازن البيئة التى يعيش فيها الإنسان.

وحتى المعايير التى يضعها أصحاب هذه النزعة «المادية» على الممارسات، تقف عند الدنيا، وعند المصالح الدنيوية، وعند كفاءة تحقيقها للوفرة المادية والحدود القصوى للذات الدنيوية، فقط لا غير، أو بالدرجة الأولى!..

هـ- وأما فى النظرة للموروث.. فإن التقدم- عند أصحاب هذه النزعة المادية- وخاصة لدى تيار «الحداثة»- إنما يعنى الانقطاع التاريخى والقطيعة المعرفية مع الجذور الحضارية.. فكل البناء المادى دائم التغير والتقدم والترقى.. وكل البناء الفكرى- حتى الأخلاق والقيم والدين- دائم

التغير والتطور أيضا– ففواصل ومحطات الانقطاع والقطيعة فى الثقافة والمثل والمعايير هى القانون المطلق الدائم الإعمال!..

تلك هى أبرز معالم مفاهيم «التقدم» لدى أصحاب النزعة المادية.. تلك التى جعلت من إنسانها– على نحو ما نراه فى بعض التطبيقات الغربية– وكذلك المقلدة لها:

● ذلك الإنسان الذى يحاكى – فى القوة المادية– الأسد المفترس.

● والذى يريد العالم غابة: الأقوى فيها هو الأصلح للبقاء– الفكرى.. والمادى.

● والذى يأكل فى سبعة أمعاء– مصداقا للحديث النبوى الشريف، الذى يقول فيه رسول الله ﷺ «المؤمن يأكل فى معى واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء»!

● والذى يعلم ظاهرا من الحياة الدنيا، عازلاً علومه – بل وبنوك معلوماته.. عن تغيير النفس وتزكيتها بالعلم النافع..

● والذى غدا عملاقا، لكنه يقف على ساق واحدة، هى ساق المادة.. والقوة المادية.. والوفرة المادية.. واللذات المادية الدنيوية!.. حتى لقد حقق أعلى مستويات الوفرة المادية فى العالم، وأيضا أعلى مستويات القلق والشك واللا أدرية والقنوط– بل والانتحار الفردى والجماعى– فى هذا العالم أيضا؟!..

وهكذا تفلس النزعة المادية فى تحقيق التوازن للإنسان فى هذه الحياة.. وفى هذا التوازن جوهر السعادة الإنسانية.. لقد أفلست قديما فى تحقيق السعادة «لقارون».. وهى تفلس اليوم فى تحقيقها للمجتمعات «القارونية» التى سادت فيها!..

كما أفلست النزعة «الباطنية– الغنوصية» فى أن تمثل طريقاً لتقدم أمة أو مجتمع، وإن نجحت فى شئ من ذلك بالنسبة لآحاد من الناس.. فلم تجاوز حدود «الاستثناء– الشاذ» الذى لا يجوز عليه القياس!..

***

● أما الرؤية الإسلامية للتقدم، والمذهب الإسلامى فى الارتقاء، فإن له مفاهيمه المتميزة، ومناهجه المتميزة أيضا.

ونحن إذا شئنا معياراً لهذا التقدم الإسلامى، وللمذهب الإسلامى فى الارتقاء، فليس كالوسطية الإسلامية معيارا يتميز به عن مفاهيمه المغايرة فى النزعة «الباطنية– الغنوصية.. العرفانية».. وفى نقيضتها «النزعة المادية» أيضا.. فبالوسطية الإسلامية يكون التقدم إسلاميا، وذلك عندما يكون تحقيقاً:

أ– للتوازن.. الذى هو الوسط.. أى العدل.. فى ذات الإنسان الفرد، وفى علاقاته بالآخر، وأيضا فى علاقاته بالبيئة والطبيعة والمحيط..

ب– وتحقيقاً للتوازن الذى يجمع بين «الوحدة الإنسانية» بين البشرية جمعاء.. وبين «التعددية» فى الشعوب والقبائل والقوميات والحضارات، ليصبح العالم «منتدى حضارات: متميزة.. ومتفاعلة» لا متصارعة، ولا منغلقة.. أو تابعة بعضها للبعض الآخر.

جـ– وتحقيقا للتوازن بين «وحدة الدين الإلهى– أزلاً وأبدا– فى أمهات عقائد الإيمان: بالألوهية الواحدة.. والإيمان بالغيب واليوم الآخر والحساب والجزاء.. وبالعمل الصالح.. مع التعددية فى الشرائع، ليكون السباق والاستباق على درب الاقتراب الأكثر من تحقيق مُثُل الاعتقاد الأصح بعقائد هذا الدين الإلهى الواحد.

د– وتحقيقا لتوازن مصادر المعرفة.. وسبل تحصيل هذه المعرفة.. بتكامل آيات كتابى الخالق– سبحانه وتعالى– آيات «كتاب الوحى– المقروء» وآيات «كتاب الكون– المنظور».. مع تكامل سبل الإنسان للتحصيل معارف هذه الآيات.. هداية: العقل، الذى إن استقل بمعارف عالم الشهادة، فلن يستقل بإدراك معارف عالم الغيب.. وهداية، النقل والوحى– بلاغاً قرآنيا، وبياناً نبوياً– التى تهدى الإنسان فيما وراء مدركات ملكاته النسبية، كمخلوق نسبى القدرات والملكات.. وهداية: الحواس الخمس، التى تدرك.. بالتجربة.. الكثير من حقائق هذا الوجود.. وهداية: الوجدان– والنور القلبى– الذى هو لطيفة ربانية خلقها الله متعلقة بالقلب– جوهر الإنسان..

فبهذه المصادر للمعرفة.. وبهذه الوسائل للمعرفة.. تتكامل وتتوازن معارف الإنسان فى نموذج التقدم الإسلامى، حيث تنتفى أحادية المعرفة– باطنية كانت أم مادية– عقلية كانت أم نقلية– نظرية ذهنية كانت أم تطبيقية يدوية..

هـ– وتحقيقا لتوازن حقوق كل من «التوحيد» لخالق كل شئ– أسبابا كانت أو مسببات.. والتسليم بأسباب مادية، قائمة فى الظواهر الكونية والبشرية والنفسية، لها فعل وتأثير فى المسبَّبات..

فوجود هذه الأسباب المادية، وفعلها فى المسبَّبات حقيقة لا ريب فيها.. والإيمان بأن هذه الأسباب الفاعلة، هى أيضا مخلوقة للفاعل الأول والخالق الأوحد لكل موجود، هى الأخرى حقيقة لا ريب فيها.. فهذا الكون المادى.. والبشرى.. تحكمه «الأسباب– المخلوقة» لخالق كل ما فى الوجود، أسباباً كانت أو مسببات..

وهذه الوسطية الجامعة بين «توحيد خالق كل شئ» وبين الاعتراف «بفعل «الأسباب المودعة فى الطبيعة» هى التى عبر عنها– عن صدقها– وعن صعوبة استيعابها من غير أهل الاختصاص– أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (١٦٣–٢٥٥هـ ٧٨٠–٨٦٩م) عندما قال «إن المصيب هو الذى يجمع: تحقيق التوحيد ،وإعطاء الطبائع حقها من الأعمال. ومن

زعم أن التوحيد لا يصلح إلا بإبطال حقائق الطبائع، فقد حمل عجزه على الكلام فى التوحيد، وكذلك إذا زعم ان الطبائع لا تصلح إذا قرنها بالتوحيد، ومن قال هذا فقد حمل عجزه على الكلام فى الطبائع. وإنما ييأس منك الملحد إذا لم يدعك التوفر على التوحيد إلى بخس حقوق الطبائع، لأن من رفع أعمالها رفع أعيانها، وإذا كانت الأعيان هى الدالة على الله، فرفعت الدليل، فقد أبطلت المدلول عليه[١٢]؟!

و- وتحقيقاً لتوازن «سلطة الإنسان» فى عمارة الأرض- بما تقتضى من حرية وإرادة واستطاعة وقدرة واختيار ومسئولية وتكليف- وبين «سيادة الحاكمية الإلهية» فوق «سلطة الإنسان» لأنها «سلطة الإنسان» الخليفة لسيد الوجود وخالق كل موجود وراعى ومدبر كل أمر.. وليست سلطة الإنسان المغتصب للسيادة الإلهية فى هذا الوجود.. ومن ثم فإنها «سلطة» محكومة بآفاق «سيادة الحاكمية الإلهية»، المتمثلة فى الشريعة الإلهية، التى هى بنود عقد وعهد الاستخلاف الإلهى للإنسان!..

وإذا كانت الكهانة والكنيسة الغربية قد أفرطت عندما ألغت «سلطة الإنسان» بجعلها الدولة والعلم والاجتماع والسياسة وكل العمران البشرى ديناً ثابتاً عابثاً مقدساً وسيادة وحاكمية إلهية لا خلاف فيها وحاكمية للإنسان، وذلك يوم ان أدعت أنها تحكم الدولة بالتفويض والحق الإلهى.. ثم جاءت العلمانية الغربية- كرد فعل لذلك- ففرطت، عندما جعلت سلطة الإنسان فى الدنيا والدولة «سيادة وحاكمية» لا معقب عليها من نبأ الغيب وشريعة السماء وحقوق الله، حتى لتقرر هذه العلمانية للإنسان- إذا هو اختار- أن يحل الحرام ويحرم الحلال الدينى.. فإن هذا الخلل فى التوازن، لدى فريقى الإفراط والتفريط، هو الذى بدأت منه الوسطية الإسلامية فى علاقة «سيادة الحاكمية الإلهية» بـ«سلطة الأمة» فى الفكر الدستورى لدولة الإسلام.

تلك بعض من معالم المذهب الإسلامى فى التقدم.. مذهب الوسطية الإسلامية، المجسد للعدل والتوازن.. والمتميز عن إفراط «الباطنية - الغنوصية» وتفريط «المادية- الوضعية- العلمانية»..

وصدق الله العظيم إذ يقول

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[١٣].

وصدق رسوله الكريم إذ يقول «الوسط: العدل. جعلناكم أمة وسطاً»[١٤]

---

(١٢) [كتاب الحيوان] جـ٢ ص١٣٤، ١٣٥، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون، طبعة القاهرة.

(١٣) البقرة: ١٤٣ (١٤) رواه الإمام أحمد.

المؤسسات العلمية فى العصر الإسلامى

٣- المكتبات

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾
(القلم: ١)

يعد الكتاب - بما يحويه من علم - من أهم الأسس التى تقوم عليها أى نهضة علمية أو فكرية، وإذا كان القرآن الكريم.. ذلك الكتاب الذى لا ريب فيه.. قد بدأه الوحى الأمين بهذه الآيات الباهرات التى تأمر مرتين بالقراءة، وتذكر مادة العلم، وتتضمن ذكر القلم باعتباره أداة للتدوين، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

(العلق: ١ - ٥)

فإن الوحى فى المرة الثانية بدأ الآيات بحرف من حروف الهجاء، وتضمنت القسم بالقلم وما يسطر بالقلم، فكان هذا أول قسم إلهى فى القرآن الكريم. قال تعالى:

صناعة الكتاب

لهذا اهتم المسلمون بالكتاب والمكتبات لنشر العلم والمعرفة، وحرصوا على اقتناء كل ما يقع تحت أيديهم من كتب، يتساوى فى ذلك العلماء وكثير من العامة، وكان للحكام جهد بارز فى تشجيع التأليف والعمل على نشر الكتب بنسخها وإيداعها فى المكتبات، ولهذا ازدهرت الوراقة وكثر الوراقون والنساخ الذين كانوا يحصلون من وراء عملهم على أرباح مجزية، وتعتمد هذه الأرباح على أهمية موضوع الكتاب ومدى جدته وجودة خطه. ولما كان للناسخ دور كبير فى نشر الكتاب، فقد كان عليه أن يتحرى الدقة، ويبعد عن

التصحيف، مع وضوح الخط، والحرص على مقابلة ما ينسخه بالأصل. وقد قال محمد بن إبراهيم اللخمي الأشبيلي (ت: ٦٣٩ هـ) ناصحاً النساخ:

فلا تكتب بيمينك غير خط
بهيّ بيّن صحت يمينك
ولا تكتب بها خطا دقيقا
فأحوج ما تكون له يخونك

أى ربما يكون ـ عند حاجتك له ـ قد مسح بفعل الزمن أو ما يقع عليه من الغبار أو الرطوبة، وقد يكون مقصوده أنه عند تقدم العمر وضعف البصر لا يستطيع قراءة ما كتب بهذا الخط الدقيق.

وكان العلماء وطلبة العلم ينسخون الكتب بأنفسهم لضمان انتشار الكتاب الخالى من الأخطاء أو التصحيف، لأن الناسخ إذا كان عالماً بما يكتب، فإن ذلك سيجنبه ما يقع فيه النساخ عادة من أخطاء تقلل الاستفادة من الكتاب. وقد كان الحسن بن الهيثم ـ على سبيل المثال ـ يعيش فى آخر حياته على ما كان يكسبه من بيع الكتب العلمية التى ينسخها، لأنه كان لا يأكل إلا من عمل يده.

وتأتى بعد النسخ عملية أخرى، وهى التسفير أو التجليد، وهو بمثابة الإخراج النهائى للكتاب، والغرض منه حفظ الكتاب وصيانته ضد عوامل التلف، كما أن من شأن التجليد أن يضفى جمالاً على الكتاب، إذ لم يقتصر عمل المجلد أو المسفر على مجرد كسوة الكتاب بالجلد لحفظه، بل يقوم بزخرفته وتلوينه وتذهيبه مما يجعله قطعة فنية. أيضا، يسهل التجليد عملية نقل الكتاب واستعماله وتداوله. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الصناعة أصبحت علماً له أصول وقواعده، وقد ألف فيه بكر الإشبيلى (ت: ٦٢٩ هـ) كتاباً أسماه «التيسير فى صناعة التسفير»، ضمنه خبراته التى استفادها من خلال عمله الطويل فى هذه المهنة، وباستعراض أبواب وفصول هذا الكتاب نجده لم يترك شاردة ولا واردة تتعلق بالتسفير إلا وتحدث عنها حديث من أمضى عمره فى هذه الصناعة، فيضم الكتاب عشرين باباً: أولها باب الأدوات التى تستعمل فى التسفير، وآخرها باب العيوب فى التسفير.

وكانت حوانيت الوراقين ـ بالإضافة إلى دورها فى إنتاج الكتب ونشرها ـ منتديات فكرية وأدبية، فكثيرا ما تدور المحاورات العملية والأدبية بين المترددين على تلك الحوانيت.

وبصورة عامة ينسب إلى النساخ والوراقين والعلماء خلال القرنين الأولين من تاريخ الإسلام (القرنين السابع والثامن الميلاديين) فضل الحرص على حفظ ونسخ نصوص أهم الكتب فى العالم الإسلامى، ونعنى بها القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد نهضوا بهذه المهمة بجد ومثابرة، وبدرجة من الدقة جنبتهم كثيراً من المشكلات التى اكتنفت حفظ ونقل معظم الكتب الأخرى الدينية والدنيوية خلال

الانتقال من عصر المخطوطات إلى عصر المطبوعات.

ونذكر فى هذا المجال أن استيراد الطريقة الصينية لصناعة الورق وتطويرها وانتشارها فى العواصم الإسلامية الكبرى خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) ساعد كثيراً على ازدهار عمل الناسخين الذين توفرت لهم منذ ذلك الوقت مادة خفيفة، وصلبة، وأقل كلفة من البردى والرق، فانتشرت تجارة النسخ بفضل تهافت الطبقات المثقفة للحصول على الكتب الجميلة، وازداد عدد النساخ فى المكتبات الخاصة والعامة، وقد روى أنه كان بمكتبة «بنى عامر» بطرابلس الشام مائة وثمانون ناسخاً يتبادلون العمل ليلاً ونهاراً، بحيث لا ينقطع النسخ، ولا يقل الذين يؤدون عملهم فعلاً عن ثلاثين ناسخاً فى أية ساعة من ساعات النهار والليل.

المكتبات العامة والخاصة

من بين عوامل ازدهار النهضة العلمية فى العصر الإسلامى نذكر تلك المكتبات الضخمة التى شاعت فى أيام بنى العباس، وكان الخلفاء والأمراء يتسابقون فى إقامتها وتزويدها بكل ما تنتجه قرائح العلماء فى مختلف فروع المعرفة. وحسبنا أن نعلم أن مكتبة العزيز بالله الفاطمى بالقاهرة كانت تضم مليوناً وستمائة ألف مجلد مفهرسة ومنظمة، وأن دار الحكمة فى القاهرة ضمت مائة ألف مجلد، منها ستة آلاف مخطوط فى الرياضيات والفلك، وأن دار الكتب فى قرطبة ضمت أربعمائة ألف مجلد تقع فهارسها فى أربع وأربعين كراسة، كذلك كان يلحق بكل جامع مكتبة كبيرة يؤمها الناس من كل حدب وصوب.

وقد كانت هذه المكتبات بمثابة مراكز للبحث العلمى ومجالس لتبادل العلوم والمعارف، ففى مكتبة دار الحكمة استقر علماء ومقرئون ولغويون ومؤلفو معاجم وأطباء وفلكيون، وفيها كان أساتذة يعلمون وباحثون يجتمعون. وقد أنشأ الخليفة «الوقف»، وهو عبارة عن عقارات من الأراضى فى الفسطاط لحساب عدد من الجوامع ودار الحكمة، وكان أكثر من عُشر هذا الريع بقليل مخصصاً لهذه الدار لدفع رواتب كل من المسئول الإدارى «الحافظ» والناسخين والخدم، ولتأمين إصلاح الكتب، ولتزويد القراء بالحبر والورق والأقلام، ولشراء السجاد والأبسطة. إن هذه الميزانية المخصصة بأكملها للمكتبة، لا يدخل فى حسابها مصاريف أخرى كتعويضات العلماء المرتبطين بالمؤسسة ونفقات التعليم، وقد ازدهرت هذه المؤسسات بفضل المخصصات الكبيرة من الوقف.

وكان للمؤسسات الشبيهة بدار الحكمة الدور نفسه فى كل من الموصل، والبصرة، وحلب، وطرابلس، وبغداد، فقد كانت جميعها تؤمن حفظ المخطوطات ونسخها، كما كانت فى الوقت نفسه مراكز للتعليم ونشر العلوم والأفكار، وقاعات للاجتماعات

والمناقشات، وأحيانا مأوى للعلماء والطلاب. وكان يتولى أمور هذه المكتبات علماء متميزون، مثل سهل بن هارون وكان أمينا لبيت الحكمة، وعلى بن يحيى المنجم وكان أمينا لمكتبة الفتح بن خاقان، وعلى بن محمد الشابشتي وكان أمينا لدار الحكمة بالقاهرة، وابن مسكويه وكان أمينا لمكتبة ابن العميد.

من ناحية أخرى، انتشرت المكتبات الخاصة فى المجتمع الإسلامى بطريقة لم يسبق لها مثيل، ويذكر بعض المستشرقين أن متوسط ما كانت تحتويه مكتبة خاصة لعربى فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) كان أكثر مما تحتويه مكتبات الغرب مجتمعة. وهذا يعكس الحال الذى كانت تعيشه أوروبا فى العصور الوسطى ويوضح مدى تخلفها عن العالم الإسلامى، ويؤكد ما جاهر به المؤرخون عن انغماسها فى ظلمات الجهل والسحر والخرافة.

ويصف ابن أبى أصيبعة مكتبة الطبيب ابن المطران الغنية بأكثر من ثلاثة آلاف مجلد، وكان يشتغل فيها لحسابه ثلاثة ناسخين دائمين، كما أن ابن المطران نسخ بنفسه عددا من الكتب، وعند موته سنة ٥١٧هـ/ ١١٩١م بيعت مجموعته الفريدة هذه إلى عمران، وهو طبيب آخر مولع بالمكتبات.

وأنشأ على بن يحيى المنجم (ت: ٢٧٥هـ/ ٨٨٦م) مكتبة كبيرة فى قصره فى ضواحي بغداد، ويروى ياقوت الحموى أن أبا معشر الفلكي المشهور توقف فيها عندما كان فى طريقه إلى مكة للحج، فشغف بما تحويه من الكتب، مما جعله يمكث عن الحج ليتفرغ للاطلاع على كتب علم الفلك، ويعيب الراوى بطريقة غير مباشرة أبا معشر لقلة إيمانه!!

وكان لمحمد بن أحمد بن عبدالرحمن العبيدى المعروف بابن البناء الإشبيلى (ت: ٦٤٦هـ) مكتبة عامرة، وكان حسن الخط متقن التقييد، ومن المولعين بجمع الكتب، فكان ينسخ كل ما يقع تحت يده من أمهات الكتب ويودعها مكتبته، وقد اتسعت هذه المكتبة وضمت أعدادا كبيرة من الكتب حتى ليقال إنه عندما خرج من إشبيلية أخرج معه نحوا من خمسمائة مجلد كلها بخط يده.

ومن طريف ما يروى فى حب المسلمين للعلم والمعرفة وحرصهم على جمع الكتب فى مكتباتهم الخاصة قول محمد بن عبدالملك ابن سعيد (ت: ٥٨٩هـ) عن عبدالله بن يحيى الحضرمى (ت: ٥٧٨هـ): «أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح، ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيد فى ثمنه، فيرجع إلىّ المنادى بالزيادة علىّ، إلى أن بلغ فوق حده، فقلت له: يا هذا أرنى من يزيد فى هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوى، فأرانى شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه، وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه إن كان لك غرض فى هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده، فقال لى: لست بفقيه ولا أدرى ما

فيه، ولكنى أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقى فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد، استحسنته.. إلخ».

وهذه القصة الطريفة لا تخلو من معلومات قيمة، فهى تشير إلى وجود سوق خاص بالكتب فى كل مدينة أندلسية، كما نجد فيها ما يدلنا على حرص العلماء على الكتب وشغفهم بها، فالحضرمى بلغ به الفرح غايته لأنه وجد كتابا يحتاجه، قضى مدة فى البحث عنه وكأنه يبحث عن ضالة، ولكنه لضيق ذات اليد لم يظفر به، وفاز به من لديه المال، ولكنه لا يعرف القيمة العلمية لهذا الكتاب، وانصرف الحضرمى حزينا، وكأنه فقد عزيزا لديه.

ويرتبط شغف العلماء بجمع الكتب ارتباطا وثيقا بحرصهم على بلوغ الحكمة وإدراك الحقيقة، مهما كلفهم ذلك من مشقة، فقد أخذ حنين بن إسحق العالم الطبيب يبحث عن كتاب «البرهان» لجالينوس فى أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر حتى ظفر بما يقرب من نصفه.

وقضى أبوالريحان البيرونى، عبقرى الحضارة الإسلامية، فى تباريح الشوق أكثر من أربعين سنة يبحث عن نسخة من كتاب مانى «سفر الأسفار»، وذلك لتوخى الحقيقة فيما رواه أبوبكر الرازى عن مانى.

ومهما يكن من أمر، فإن شغف المسلمين بالكتب، وحرصهم على اقتنائها، كان جزءا من اهتمام المسئولين فى الدولة الإسلامية بإنشاء المكتبات العامة لتكون ضمن منظومة المؤسسات العلمية التى أثمرت الحضارة الإسلامية الزاهرة، وبقدر ما أسهمت هذه المكتبات الكبيرة خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة العاشر، والحادي عشر للميلاد في إزكاء النهضة الحضارية للأمة الإسلامية نجدها قد تعرضت بعد ذلك للمصادرات والتدمير فى عصور التفكك والتراجع والانحطاط.. فلله الأمر من قبل ومن بعد.

أهم المراجع:

- الكتاب فى العالم الإسلامى، تحرير: جورج عطية، ترجمة: عبدالستار الحلوجي، عالم المعرفة، الكويت، شعبان ١٤٢٤هـ، أكتوبر ٢٠٠٣م.
- د. يوسف على بن إبراهيم العرينى، الحياة العلمية فى الأندلس فى عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤١٦هـ.
- موسوعة تاريخ العلوم العربية، الجزء الثالث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٧م.
- د. عبدالحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م.
- د. أحمد فؤاد باشا، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة، القاهرة ١٩٨٣م.

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

فرعونيون وعرب (*)

للأستاذ / أحمد حسن الزيات

عفا الله عن كُتّابنا الصحفيين!

ما أقدرهم على أن يثيروا عاصفة من غير ريح، ويبعثوا حرباً من غير جند!!

حلا لبعضهم ذات يوم أن يكون بيزنطياً يجادل فى الدجاجة والبيضة أيتهما أصل الأخرى! فقال على هذا القياس:

أفرعونيون نحن أم عرب؟ أنقيم ثقافتنا على الفرعونية أم نقيمها على العربية؟!.

نعم قالوا ذلك وجادلوا فيه جدال من أعطى أزِمّة النفوس وأعنّة الأهواء يقول لها كونى فرعونية فتكون! أو كونى عربية فتكون! ثم اشتهر بالرأى الفرعونى اثنان أو ثلاثة من رجال الجدل وساسة الكلام فبسطوه فى المقالات، وأيدوه بالمناظرات، ورددوه فى المحادثات، حتى خال بنو الأعمام في العراق والشام أن الأمر جد، وأن الفكرة عقيدة، وأن ثلاثة من الكُتّاب أمة، وأن مصر رأس البلاد العربية قد جعلت المآذن مسلات، والمساجد معابد، والكنائس هياكل، والعلماء كهنة!.

مهلاً بنى قومنا لا تعتدوا بشهوة الجدل على الحق، ورويداً بنى عمنا لا تسيئوا بقسوة الظن إلى القرابة! إن الأصول والأنساب عرضة للزمن والطبيعة: تراشج بينها القرون، وتفعل فيها الأجواء حتى يصبح تحليلها وتمييزها وراء العلم وفوق الطاقة، فإذا قلنا فلان عربى أو فرنسى أو تركى، فإنما نعنى بهذه النسبة الخصائص الثقافية والاجتماعية لهذا الشعب كاللغة والأدب والأخلاق والهوى والدين، فبديع الزمان عربى وأصله فارسى، وروسو فرنسى وأصله سويسرى، والأمير فلان تركى وأصله مصرى. لأن كلاً من هؤلاء الثلاثة أصبح جزءاً من شعبه، ينطق بلسانه ويفكر بعقله ويشعر بقلبه.

فبأى شيء من هذا يتمارى إخواننا الجدليون؟، وهم لو كشفوا فى أنفسهم عن مصادر الفكر ومنابع الشعور ومواقع الإلهام، لرأوا الروح العربية تشرق في قلوبهم ديناً، وتسرى فى دمائهم أدباً، وتجرى على ألسنتهم لغة، وتفيض فى عواطفهم كرامة.

لا نريد أن نحاجّهم بما قرره المحدثون من العلماء من أن المصرية الجاهلية تنزع بعرق إلى العربية الجاهلية، فإن هذا الحجاج ينقطع فيه النفس ولا ينقطع به الجدل.. وكفى بالواقع المشهود دليلاً وحجة. هذه مصر الحاضرة تقوم على ثلاثة عشر قرناً وثلثاً من التاريخ العربى، نسخت ما قبلها كما تنسخ الشمس الضاحية سوابغ الظلال.. وذلك هو ماضى مصر الحى الذى يصيح فى الدم، ويثور فى الأعصاب، ويدفع بالحاضر إلى مستقبل ثابت الأس شامخ الذُرى، عزيز الدعائم.

أزهقوا إن استطعتم هذه الروح، وامحوا ولو بالفرض هذا الماضى، ثم انظروا ماذا يبقى فى يد الزمان من مصر؟!.. هل يبقى غير أشلاء من بقايا السوط، وأنضاء من ضحايا الجور، وأشباح طائفة ترتل «كتاب الأموات»، وجباه ضارعة تسجُد للصخور، وتعنو للعجماوات، وقبور ذهبية الأحشاء ابتلعت الدور حتى زحمت بانتفاخها الأرض، وفنون خرافية شغلها الموت حتى أغفلت الدنيا وأنكرت الحياة؟!.. وهل ذلك إلا الماضى الأبعد الذى تريدون أن يكون قاعدة لمصر الحديثة، تصور بألوانه وتشدوا بألحانه وتحيا أخيراً بروحه؟!..

ولكن أين تحسون بالله هذه الروح؟!.. إن أرواح الشعوب لا تنتقل إلى الأعقاب إلا فى نتاج العقول والقرائح، فهل كشفتم بجانب الهياكل الموحشة، والقبور الصم، مكتبة واحدة تحدثكم عن

(*) ردا على اللغط الذى يذيعه أعداء العروبة والإسلام، نعيد نشر المقال الرائع الذى كتبه الأستاذ رئيس تحرير مجلة الأزهر الأسبق أحمد حسن الزيات فى هذا الموضوع من قبل فى مجلة الرسالة، السنة الأولى العدد الثامن عشر الصادر فى أول أكتوبر سنة ١٩٣٢م

فلسفة كفلسفة اليونان، وتشريع الرومان وشعر كشعر العرب؟!.

أم الحق أن مصر القديمة دفين فنيت روحه مع الآلهة، وصحائف موت ذهب سرها مع الكهنة، والجامد لا يبعث حياة، والجامد لا يلد حركة؟!.

لا تستطيع مصر الإسلامية إلا أن تكون فصلاً من كتاب المجد العربي، لأنها لا تجد مدداً لحيويتها، ولا سنداً لقوتها، ولا أساساً لثقافتها إلا في رسالة العرب. أما أن يكون لأدبها طابعهُ، ولفنها لونُه، فذلك قانون الطبيعة، ولا شأن لنا ولا ليَعزُب فيه.. لأن الأداب والفنون ملاكُها الخيال، والخيال غذاؤه الحس، والحس موضوعه البيئة، والبيئة عمل من أعمال الطبيعة يختلف باختلافها في كل قطر. فإذا لم يوفق الفنان بين عمله وعمل الطبيعة، ويؤلف بين روحه وروح البيئة، فاته «اللون المحلى» وهو شرط جوهرى لصدق الأسلوب وسلامة الصورة. وقديماً كان لون الأدب في الحجاز غيره في نجد، وفي العراق غيره في الشام. وفي مصر غيره في الأندلس، دون أن يسبق هذا التغاير دعوة ولا أن يلحق به أثر!.

انشروا ما ضمنتْ القبور من رُفات الفراعين، واستقطروا من الصخور الصلاب أخبار الهالكين، وغالبوا البلى على ما بقي في يديه من أكفان الماضي الرميم. ثم تحدثوا وأطيلوا الحديث عن ضخامة الآثار وعظمة النيل وجمال الوادى وحال الشعب، ولكن اذكروا دائماً أن الروح التى تنفخونها في مومياء فرعون هي روح عمرو، وأن اللسان الذى تنشرون به مجد مصر هو لسان مُضر، وأن القيثار الذى توقعون عليه ألحان النيل هو قيثار امرىء القيس، وأن آثار العرب المعنوية التى لا تزال تعمر الصدور وتملأ السطور وتغذى العالم، هى أدعى إلى الفخر وأبقى على الدهر، وأجدى على الناس من صفائح الذهب، وجنادل الحجارة.

إنما تتفاضل الأمم بما قدمت للخليقة من خير، وتتفاوت الأعمال بما أجْدت على الإنسان من نفع. أليس «الخزان» خيراً من الكرْنك، والأزهر أفضل من الأهرام، ودار الكُتب أنفس من دار الآثار؟!.

وبعد.. فإن ثقافتنا الحديثة إنما تقوم في روحها على الإسلام والمسيحية، وفي أدبها على الآداب العربية والغربية، وفي علمها على القرائح الأوروبية الخالصة. أما ثقافة «البردى» فليس يربطها بمصر العربية رباط، لا بالمسلمين ولا بالأقباط.

***

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

«النحل: ١٢٥»

رد على من يوجهون سهامهم إلى الإسلام

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

من المتوقع أن يطرح سؤال يفرض نفسه علينا، يقول: إذا كان الحوار هو لغة الإسلام، وإذا كانت مبادىء الإسلام وأحكامه وتعاليمه بهذه المثالية الجميلة، وأنها تدعو إلى التعايش السلمى والتعارف والتآلف مع اتباع الديانات الأخرى.. فلماذا يتهم الإسلام بتلك الاتهامات التى تشوه صورته، وتظهره بأنه دين إرهاب وقتل واعتداء؟؟؟

والإجابة عن هذا السؤال لازمة وضرورية لتوضيح الحقائق، ووضع الأمور في مكانها الصحيح.

يرجع السب في اتهام الإسلام بهذه الاتهامات الباطلة، ووصفه بتلك الصفات الكاذبة إلى سببين رئيسيين: سبب يرجع إلى المسلمين أنفسهم، وسبب يرجع إلى أعداء الإسلام الحاقدين عليه.

أما السبب الذى يرجع إلى المسلمين أنفسهم فيعود إلى:

١- سلوك بعض الأفراد والجماعات المنتسبة إلى الإسلام، وارتكابهم جرائم بشعة متنوعة: من قتل وتخريب وتدمير وعنف، يقومون بارتكابها في الدول الإسلامية الذين هم من مواطنيها وينتمون إليها، وفي الدول غير الإسلامية في كثير من أنحاء العالم، وإعلانهم بكل جرأة ومغالطة أنهم يفعلون ذلك باسم الإسلام، وأن هذه

الأعمال هى منهج الإسلام وشريعته..

وأخطر من ذلك إصدارهم فتاوى إسلامية بعيدة كل البعد عن مفاهيم الإسلام الصحيحة، وهذه الأعمال كلها زور وبهتان، وادعاء كاذب على الإسلام منهم، لأن الإسلام لا يدعو ولا يقر مثل هذه الأعمال..

وقد استغل أعداء الإسلام سلوك وأفعال هؤلاء الأفراد وتلك الجماعات استغلالا يخدم مصالحهم وأهدافهم فى ضرب الإسلام ومحاربته.. فركزوا عليها أضواء الإعلام وأقلام الكتاب، وأظهروها على أن هذا هو الإسلام.

٢ - تقصير المسلمين - ولاسيما فى الفترة الماضية - فى توضيح حقائق الإسلام الصحيحة، ومبادئه وأحكامه السليمة، ونشرها وتعميمها فى دول الغرب بلغات مواطنيها.. وغياب الإعلام الإسلامى والعربى عن التصدى والرد على الإعلام الدولى الذى يخضع لسطوة وسيطرة أعداء الإسلام، فأطلقوا له العنان فى تشويه صورة الإسلام والإساءة إليه، وفى تخطيطهم المرتبط بالعمل الجاد على تنشئة الأجيال الجديدة القادمة وعندها صورة سيئة عن الإسلام، وكراهية شديدة له.

أما السبب الذى يرجع إلى أعداء الإسلام فإن من يقوم بهذا العمل:

(أ) إما جاهل بشريعة الإسلام وفرائضها وأحكامها فى: العقيدة والشريعة، والعبادات والمعاملات، والحدود ومفهوم الجهاد فى سبيل الله.. ألخ فأثار الشبهات حول بعض تشريعات الإسلام وأحكامه التى لم يفهم الحكمة والغاية منها، وأوقعه فى هذا جهله باللغة العربية - لغة القرآن الكريم وأحاديث رسول الله - ﷺ - التى لا يتسنى لغير المتمكن من معرفة اللغة العربية وأساليبها وبلاغتها معرفة الفهم الصحيح، والاستيعاب السليم لشريعة الإسلام[١].

(ب) وإما حاقد عمى بصره عن الحق، وامتلأ قلبه بالبغض والكراهية لدين الإسلام فاتهمه ظلما وعدوانا بالإرهاب والاعتداء، وانتشاره بالقوة وحد السيف.. ألخ ما ورد فى كتب بعض المستشرقين، وما تردده وسائل الإعلام فى دول الغرب المملوكة لأعداء الإسلام، وما ينشر على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) من إساءة متعمدة للإسلام.

ويلاحظ على هذه الحملة الظالمة على الإسلام - والتى اشتدت ضراوتها بعد

(١) تعبيرات القرآن الكريم والأحاديث النبوية مليئة بالتشبيهات والاستعارات والمجاز والكناية، والألفاظ المشتركة، والألفاظ المترادفة الخ، وفهم معانيها والإحاطة بمقاصدها لا يتأتى إلا للمتمكن من علوم اللغة العربية وعلوم التفسير والحديث.

أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م - يلاحظ عليها التدنى فى إسفافها فى الهجوم على الإسلام، والتعرض فى وقاحة لحياة الرسول - ﷺ - ... وهؤلاء يظنون بفكرهم العقيم أنهم بقيامهم بهذه الحملة، وتعمدهم الإساءة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام (الرمز) سيصلون إلى تحقيق غرضهم وهو هدم الإسلام!! ولكن هيهات هيهات

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢].

غير مدركين عواقب هذه الفتنة التى يثيرونها، فسيجد بعض المسلمين المتعصبين أنفسهم فى وضع يلجأون فيه على استخدام نفس الأسلوب والطعن فى الديانات الأخرى وفى رموزها... واستعمال نفس أساليب التدنى والإسفاف - معاملة بالمثل - وسيكتوى الجميع بنار هذه الفتنة ولن ينجو منها أحد..

الانحراف فى السلوك الدينى عام فى كل الديانات وليس عند المسلمين فقط

إنصافا للحقيقة، ومنعا للظلم، وتحقيقا للعدالة، واعترافا بالواقع، لابد من الإشارة والتنويه والتوضيح إلى أن الانحراف فى السلوك الدينى ليس قاصرا على أتباع الدين الإسلامى فقط، بل هو عام يشمل اتباع جميع الديانات، فلم ينفرد الإسلام وحده بالفجوة:

- بين أحكامه وشرائعه ومبادئه التى ترفض الإكراه على الدين، وتحرم الاعتداء على النفس البشرية، وتحرم الاعتداء على دم ومال وعرض الإنسان أيا كان.. وفى الوقت نفسه تأمر بتحقيق العدالة والمساواة فى الحقوق والواجبات بين الناس جميعا، فكلهم إخوة فى النسب، فإن أباهم واحد وأمهم واحدة.

- وبين سلوك وأفعال وفتاوى بعض أتباعه التى لا تمت إلى تعاليم وأحكام وشرائع الإسلام بصلة.

غير أن أعداء الإسلام يصرون على المغالطة ومجانبة الحقيقة، فيدعون كذبا وزورا: أن هذا هو الإسلام!!

وهذا التنويه والتوضيح فيه ضرورة لأمرين:

الأمر الأول: تحقيق العدالة فى الحكم بين الديانات، فلا توجه تهمة إلى دين - وهو منها برىء - بينما ذات التهمة بنفس المعايير والمقاييس والأوزان موجهة إلى الديانات الأخرى - وهى منها بريئة أيضا - ولكن يسكت الحديث عنها عمدا وقصدا، وهذا ظلم وغبن واضح.

(٢) الصف / ٨

الأمر الثانى: دعوة قادة جميع الأديان إلى تحمل المسئولية الكاملة فى تصحيح الانحراف فى السلوك الدينى - كل فيما يخصه - حتى تنعم البشرية بالأمن والأمان، والاستقرار والطمأنينة.

لن أذكر تفاصيل كثيرة، ووقائع متعددة للاستدلال على ذلك. وإنما سأكتفى ببعض الأمثلة فقط، ومن أراد المزيد فليرجع إلى سجل التاريخ ففيه الكثير.

المسيحية[٣] تدعو للتسامح والمحبة، وبغض الخداع والرياء والنفاق، والتسامح ليس مع المسيحيين فقط، بل مع الأعداء فى أن يحبوا أعداءهم ويباركوا لاعنيهم، فقد ورد بالإنجيل الإصحاح الخامس آية ٤٤ - على لسان السيد المسيح - (وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم)، والسيد المسيح لم يشارك فى إراقة الدماء البشرية، ولم يحض أو يوصى بإراقة الدماء البشرية، وبالتالى فإن كل المسيحيين ملتزمون باتباع تعاليم السيد المسيح بعدم إراقة الدماء البشرية وسفك الدماء، وعلى ذلك فإن كل أعمال العنف التى يرتكبها بعض من ينتسبون إلى المسيحية مثل ما حدث من الكاثوليك ضد البروتستانت، وكل أعمال العنف التى ارتكبها الكاثوليك فى حق الأقباط الأرثوذكس فى مصر فى فترة الحكم الرومانى قبل دخول عمرو بن العاص مصر فى عام ٦٤٠م لا تتحملها الديانة المسيحية أو الإنجيل بل يتحمل وزرها مرتكبوها، ما علاقة الإنجيل الذى ذكرنا تعاليمه بعدم سفك الدماء، ما علاقته بهذه المذابح البشرية التى ارتكبها بعض الباباوات ضد المسيحيين الذين يعارضون سلطات البابا فى روما؟ وها هى محاكم التفتيش لقتل كل من يعارض بابا روما؟ ويحكى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية الكثير من المجازر البشرية.. ولكن سوف أحكى واحدة منها كمثال: وهى مذبحة تمت على أيدى فرسان الصليب، حيث تم حصار مدينة بيزيه، وقام الفرسان المسيحيون بقتل وذبح أكثر من عشرين ألف شخص ما بين رضع ونساء وشيوخ ورجال، برغم أن أغلبهم احتمى داخل كنيسة القديسة مريم المجدلية، ثم قاموا بإحراق المدينة كاملة حتى أصبحت كومة من الرماد، وتحول البشر ومبانى الكنيسة إلى رماد، هل تعاليم الإنجيل والسيد المسيح تبيح ذلك؟ إن السيد المسيح يقول: أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم فما هذا الذى يحدث من مسيحيين مع

(٣) كتاب: الإرهاب صناعة غير إسلامية للدكتور نبيل لوقا بباوى

مسيحيين مثلهم ولكنهم يختلفون فى بعض الآراء مع بابا روما؟ هل من المسيحية والإنجيل أن يتم إحراقهم أحياء؟

ويتم حرق عشرين ألف نسمة داخل مدينة بيزيه على يد مسيحيين مثلهم!! إن الإنجيل برئ والمسيحية بريئة أيضا من مثل هذه التصرفات اللا إنسانية، مثلما القرآن برئ والإسلام برىء أيضا من أحداث نيويورك وواشنطن فى الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، أيا كان مرتكبوها، وبرىء من كل الأفعال الإرهابية التى ارتكبتها الجماعات الإرهابية فى أى مكان فى العالم.

وسوف نذكر مثلا للإرهاب المسيحى حدث قريبا حتى نستطيع تذكره. وتذكره الذاكرة، فقد شاهدنا وقائعه البشعة فى تليفزيونات العالم، ونقلته كل وكالات الأنباء، وهو إرهاب قام به أشخاص ينتسبون إلى المسيحية فى مدينة أوكلاهوما سيتى بأمريكا، فهل مجزرة أوكلاهوما البشرية نستطيع أن ننسبها إلى الإنجيل والمسيحية، ونقول أن ذلك إرهاب مسيحى كما يفعل الغرب ويقول: إن هناك إرهابا إسلاميا لمجرد أن بعض من ينتسبون إلى الإسلام ارتكبوا بعض أعمال العنف فينسبون ذلك إلى الإسلام والمسلمين!!

ولكن حينما يحدث إرهاب ممن ينتسبون إلى المسيحية لا يقولون إنه إرهاب مسيحى!! فإلى متى الكيل بمكيالين؟؟ وفى واقعة أوكلاهوما أو مجزرة أوكلاهوما سيتى بأمريكا نجد أن الاتهام وجه فى بداية الأمر إلى المسلمين كما هى عادة الغرب، ولكن تبين بعد ذلك أن الذى ارتكب المجزرة البشرية فى أوكلاهوما مسيحيون أمريكان، ولكن هل الإنجيل يقر هذه المجزرة؟

بالطبع لا..

وجرائم المسيحيين الصرب مع مسلمى كوسوفا، وقتل المسلمين بل وجمعهم ودفنهم جماعات أحياء، وجرائم اغتصاب السيدات المسلمات، كل ذلك ليس ببعيد.. ولكن هل الإنجيل والمسيحية كدين مسئولان عن هذه الجرائم؟؟

بالطبع لا.

ثم هل بعد ذلك يمكن أن يقال: إن الانحراف فى السلوك الدينى قاصر على أتباع الدين الإسلامى؟؟

أين العدل يا من تدّعون العدل؟ وتنادون بتحقيق العدل؟

الديانة اليهودية[٤] باعتبارها ديانة سماوية تلقت شريعتها من الله على يد موسى عليه السلام، وجميع الأديان السماوية لا تبرر القتل،

(٤) بتصرف من كتاب: الإرهاب صناعة غير إسلامية. الدكتور نبيل لوقا بباوى

بل تمنع القتل والاعتداء على الآخرين.. والتوراة هى الشريعة اليهودية، وهى الوصايا والأحكام التى كلم الله بها موسى، وقد ورد فى سفر الخروج الآية ١٢٠ «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب يعاقب من نطق باسمه باطلاً. أذكر يوم السبت المقدس. أكرم أباك وأمك لكى يطول عمرك على الأرض التى يهبك إياها الرب إلهك. لا تقتل لا تزنى لا تسرق لا تشهد زوراً على جارك لا تشته بنت جارك ولا زوجته ولا عبده ولا أمته».

فالتوراة وهى دستور اليهود فى كل أنحاء العالم تحرم القتل والسرقة والإرهاب، وعلى ذلك فإن كل الجرائم اللاأخلاقية واللاإنسانية التى ارتكبها يهود إسرائيل ولا زالوا يرتكبونها ضد الفلسطينيين واللبنانيين لا تقرها التوراة.

والحديث عن جرائم يهود إسرائيل والمجازر البشرية التى نفذوها فى الفلسطينيين منذ احتلال فلسطين من قبل عام ١٩٤٨ ولا زالوا يرتكبونها كل يوم على مرأى ومسمع من العالم يطول شرحها والحديث عنها...

مذبحة دير ياسين التى لم يكتف اليهود فيها بقتل الشيوخ والأطفال والنساء الحوامل، بل قاموا بشق بطون الحوامل للتمثيل بهن!!.

مذبحة قانا فى عام ١٩٩٦م التى راح ضحيتها ١٤٧ قتيلاً معظمهم من الأطفال والشيوخ والنساء عدا مئات من الجرحى، والتى لجأ فيها المواطنون اللبنانيون والنساء والأطفال الرضع والشيوخ إلى مبنى الأمم المتحدة فى قانا خوفاً على حياتهم من شدة القصف بالصواريخ والمدافع التى يلقيها اليهود على السكان الآمنين العزل من أى سلاح فى مدينة قانا، لقد دخلوا إلى مبنى الأمم المتحدة متصورين أن ذلك المبنى يتبع الأمم المتحدة، ولا يمكن لإسرائيل أن تقذفه بالصواريخ!! ولم يعرف هؤلاء الضحايا أن عالم الغابة تحكمه قوانين أخرى... فإسرائيل الطفل المدلل لدولة هى إحدى الدول الخمسة دائمة العضوية فى مجلس الأمن تستطيع أن تستخدم حق الفيتو فى مجلس الأمن، وبالتالى لا يمكن أن يحدث لإسرائيل أى لوم حتى لو قتلت أمين عام الأمم المتحدة ذاته طالما حق الفيتو مضمون فى جيب حكام إسرائيل...



بطرس غالى

والمبكى حقا ما حدث بعد ذلك بعد أن ظهر تقرير الأمم المتحدة عن مذبحة قانا والذى يصور حالة الدمار فى مبنى الأمم المتحدة، والمجزرة البشرية والجثث المقطعة للأطفال والشيوخ والنساء، طالبت إسرائيل وأمريكا الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالى ـ فى ذلك الوقت ـ



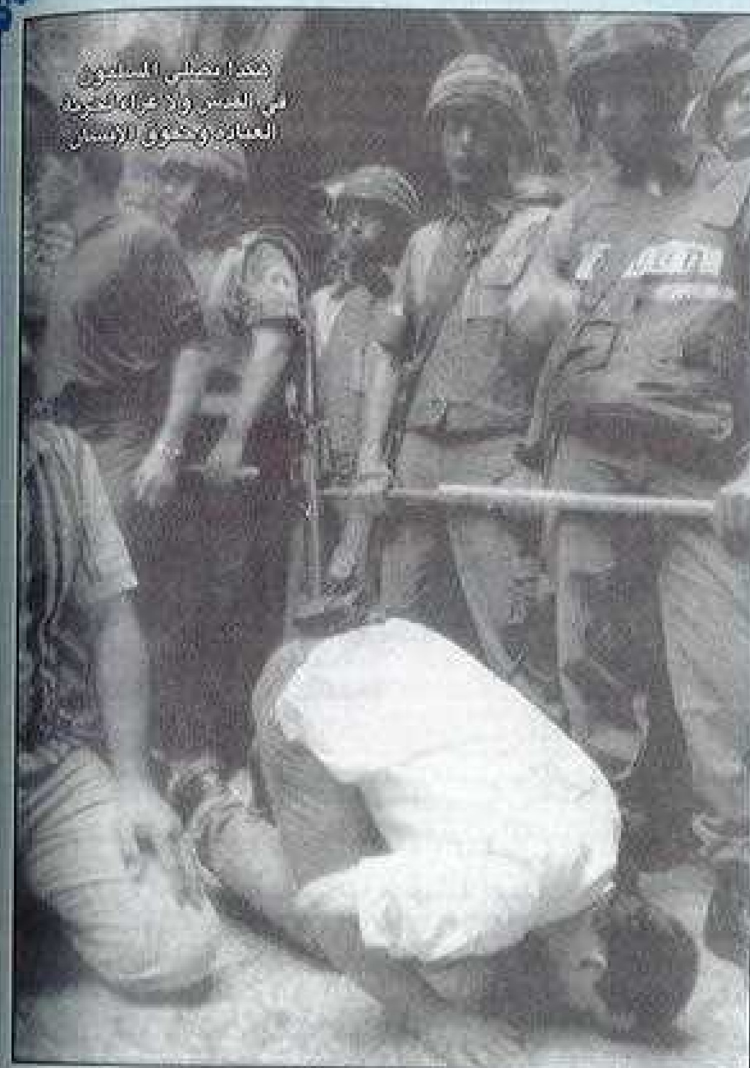
القصف الإسرائيلى الوحشى للجنوب اللبنانى مستمر تحت سمع وبصر العالم منذ ربع قرن مضى وحتى اليوم

عدم نشر التقرير، ولكنه رفض وأذاع التقرير، فكانت النتيجة عقابه بعدم التجديد له مرة ثانية كأمين عام للأمم المتحدة رغم أن السوابق الدولية منذ إنشاء الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٦ أن يجدد للأمين العام مرتان، وذلك بشرط أن يسمع كلام المسئولين فى أمريكا...

مذبحة مخيمى صبرا وشاتيلا فى ١٨ سبتمبر ١٩٨٢م، والتى تم فيها تنفيذ أكبر مجزرة بشرية إرهابية عرفها العالم فى تاريخ البشرية، والتى لا يتصورها عقل بشرى، فالحيوانات لو أرادت أن تتخلص من حيوانات أخرى فى غابة يحكمها قانون الغاب لا يمكن أن ترتكب مثل أحداث صبرا وشاتيلا، والتى نفذها وزير الدفاع الإسرائيلى فى ذلك الوقت ـ رئيس الحكومة الإسرائيلية حالياً ـ بالتنسيق القذر بينه وبين الميليشيات المسيحية اللبنانية للقضاء التام على الفلسطينيين فى المخيمين..

إن أى كلام لا يستطيع تصوير جثث الأطفال الرضع وهى ممزقة إرباً إرباً، منهم طفل رضيع مزق جسده إلى ثلاثة أجزاء منها جزء وهو يرضع من ثدى أمه التى مزق جسدها إلى قسمين، لقد كان اليهود يخلعون أبواب البيوت لتصفية العائلات الموجودة داخل المنازل بالمدافع الآلية، حتى الأطفال الذين تمكنوا من الاختباء تحت

الكراسى والأسـرة تم حصدهم، فقد كان يتم تمشيط المنازل لقتل كل نفس حية، وكـان يتم قتل الفلسطينيين وهم راقدون على أسرة نومهم، أو يتم قتلهم وهم يتناولون طعام عشائهم، حتى من كان داخل دورة المياه يتم فتحها وتنهمر عليه موجات المدافع الرشاشة، وكانت الميليشيات والقوات الإسرائيلية تتصرف بوحشية، فكانوا يطلبون من العائلات الفلسطينية الوقوف أمام الجدران ووجوههم للحائط فى صف واحد، الأطفال والنساء والشيوخ وظهورهم لميليشيات الكتائب وقوات اليهود ويتم حصدهم بطلقات الرشاشات.



إن حقد الحيوانات على الحيوانات لا يصل إلى حقد ميليشيات الكتائب المسيحية وقوات اليهود على الفلسطينيين، وكانت قمة المأساة أن أعطى جيش اليهود الجرافات العملاقة لميليشيات الكتائب لهدم المنازل على من فيها أحياء إن كان فيها أحد حى.

ما حدث فى ٢٦ فبراير عام ١٩٩٤م من قيام المستوطن اليهودى المتطرف باروخ جولدشتاين بارتكاب مجزرة بشرية داخل الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل راح ضحيتها ٩٣ فلسطينيا قتلوا أمام أجهزة الأمن الإسرائيلية هذا خلاف ٣٠٠ مصاب فلسطينى آخرين.

ما حدث أخيراً فى جنين بقيادة رئيس وزراء إسرائيل من دك المنازل على سكانها من

الفلسطينيين، وأصبحت المنازل مقابر جماعية للأسر الفلسطينية وذلك فى عام ٢٠٠٢م.

هل هذه الأعمال الإجرامية الوحشية التى يقوم بها يهود إسرائيل كل يوم فى فلسطين من قتل المدنيين الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، وهدم المنازل، وتجريف للأراضى الزراعية التى هى مصدر قوت المواطنين الفلسطينيين تقرها التوراة؟؟؟

ثم هل بعد ذلك يمكن أن يقال: إن الانحراف فى السلوك الدينى قاصراً على أتباع الدين الإسلامى؟؟؟

أين العدل يا من تدعون العدل؟ وتنادون بتحقيق العدل؟

أين العدل يا أصحاب العقل؟

الخطأ فى الربط بين الأديان وبين سلوك الأتباع

● وضح الآن أن الدين الإسلامى هو دين السلام، وهو دين التآلف والإخاء بين أبناء البشر، وهو دين التعايش الإيجابى البناء بين الناس جميعاً، وأن المسلم صحيح العقيدة يتمسك بالفضائل ويتجنب الرذائل، يتعاون مع غيره ولا يؤذيه، ينكر الجريمة ولا يقرها، حريص على سلامة مجتمعه وعلى سلامة المجتمع الإنسانى على وجه عام، وأن المسلم مطالب باستعمال لغة الحوار عند التعامل مع الآخرين.. قد نجد من أتباع الدين الإسلامى من يخالف منهج الجدال بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يتحلى بالخلق الكريم الذى يدعو إليه الإسلام... فيشتط منهم من يشتط، فى أسلوبه وتصرفاته، ويغلو ويسرف فى فكره وآرائه، وهو فيما يأتى من الشطط وفيما يسلك من الغلو والإسراف يبتعد عن تعاليم دينه، ويخالف ما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة من نهى عن اللجاج، ودعوة إلى الرشاد...

كما نجد أيضاً من أتباع الديانات الأخرى من يسلكون هذه المسالك من الشطط والغلو والإسراف فى الأسلوب والتصرفات، فى الفكر والآراء، وهم أيضاً مخالفون لرسالة السماء التى تدعو إلى السماحة والرفق، والحب والإخاء، والتعاون والمساعدة، وعدم الاعتداء على النفس والمال والعرض...

وأولئك وهؤلاء لا يحسبون على أبناء ملتهم إذا خالفوا منهج الدعوة الإصلاحية فى دينهم، وعليهم الوزر حين شطوا عن الطريق المستقيم، وابتعدوا عن المنهج السليم، ولم يلتزموا بتعاليم الدين.. وما قامت النزاعات بين أتباع الديانات المتعددة، والمذاهب المختلفة إلا بسبب ما يدعو به هؤلاء من التطرف الفكرى دون خشية من الله أولاً، ودون رعاية للأخوة الإنسانية التى تجمعهم، والتى شاءت إرادة الله أن يجعل البشر شعوباً وقبائل لتتعارف لا لتتناحر!! فهل

هم منتهون ؟ ؟

فيجب علينا جميعاً إذا ما ارتكب فرد أو جماعة ـ تنتسب إلى أى دين ـ بعض الجرائم التى لا يقرها الدين، يجب علينا قبل أن نوجه التهم إلى الدين الذى ينتمون إليه أن يسأل علماء هذا الدين المشهود لهم بالصلاح والتقوى والاعتدال، ما موقف الدين من هذه الجريمة؟ وما حكم الشرع فيها؟ فإذا جاءت الإجابة أن الدين ينكر هذه الجريمة ولا يقرها، فإن الأمانة تقتضى عدم الربط بين مرتكب هذه الجريمة والدين، كما تقتضى العدالة أيضاً أن تنسب الجريمة إلى اسم من ارتكبها ولا تنسب إلى دينه، وبذلك تتحقق الأمانة والعدالة.

الخاتمة

أجد لزاماً علىّ فى ختام هذا البحث أن أوجه نداء إلى: العلماء ورجال الفكر، وإلى رجال الصحافة والإعلام بجميع وسائله، وإلى القائمين على شئون التعليم فى جميع مراحله أن يعملوا على دعم الحوار الدينى وتأييده، وبيان أهميته على المستوى المحلى والمستوى العالمى،

كما يرجى من رجال الدين على وجه خاص أن يكونوا على مستوى المسئولية فى تصحيح المفاهيم الخاطئة، وفى تربية النشا على قبول الطرف الآخر، وعلى حبه والتعاون الإيجابى البناء معه، وعلى تعليم الدعاة ضرورة الالتزام بالموضوعية، وتجنب الإساءة إلى أتباع الديانات المخالفة، وعدم التعرض إلى رموز الأديان بسوء...، وان يتحلوا بالصبر والحكمة، والقوة والعزيمة.

وفى الوقت نفسه يجب علينا أن نبعد الأديان السماوية عن الجرائم التى ترتكب باسمها كذبا وزورا لتحقيق أهداف شخصية لا علاقة لها بالدين... لأن الإصرار على نسبتها إلى الأديان لن يخدم الإنسانية التى تسعى إلى أن تعيش فى سلام...

وختاماً يجب أن نؤمن جميعاً بأن الحوار هو لغة الله جل شأنه استعملها مع خلقه ليعلمهم كيف يتعاملون عندما يختلفون...

وعلى الله قصد السبيل.

***

وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ

للدكتور / حمدى فتوح والى

لم يعد للمسلمين اليوم ما يعتصمون به ولا يفزعون إليه ويستمدون منه أسباب العزة والقوة إلا عقيدتهم فى ربهم، وثقتهم فى نصره، وصدق ولائهم له، وحسن توكلهم عليه، وشهادة الواقع وتجارب التاريخ تؤكدان «أن العالم الاسلامى لا يبيع دينه، ويؤثر أن يهلك دونه ولا يغض من موقفه نفر من شذاذ الفكر والعقل من الخونة والجبناء، فقدوا الشرف والدين، ونشدوا العيش على أى حال وبأى ثمن»(1).

إن ما نراه ونقرأه ونسمعه اليوم من إعلاء لشأن الفرعونية والحماسة لنشرها والترويج لرموزها والدعوة إلى سلخ مصر عن عروبتها وإسلامها، أمر لا يقول به إلا أحد رجلين إما رجل شديد البغض لوطنه عميق الكراهية له شيطانى المكر والدهاء، شديد الولاء للأعداء، فهو يرفع شعار الولاء لمصر ظاهرا ويبطن لها الدمار والهلاك.

وإما رجل شديد الغباء، مطبق الجهل، غائب عن وعيه سادر فى غيه، يريد من يعلمه ويحتاج إلى من يرشده وأظن أن أصحاب فكرة تكوين حزب يدعو إلى فرعونية مصر، هم من هذا الصنف الأخير «تغليباً لحسن الظن» وإلا فإنى أتساءل دهشا ماذا يبقى من مصر بعد أن تسلخ من عروبتها وتعزل عن دينها وعقيدتها وهل بقى لمصر والعالم العربى الاسلامى إلا هذه العقيدة التى يرتجف منها الغرب ارتجافا ويفزع من ذكرها رعباً ورهبة، وهل جرد الغرب جيوشه واستنفر دوله وأنفق الأموال ورصد الميزانيات وجند المنظمات الدولية بهتانا وزورا إلا من أجل القضاء على هذه العقيدة، واجتثاث جذورها؟!!

وهل يشك عاقل فى أن ما يفعله الغرب الماكر الفاجر من اصطناع حملة باسم القضاء على الإرهاب أن ذلك كله تمويه وخداع وتضليل وأن القصد كله هو القضاء على الإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقا وسلوكاً بعد أن أغراهم نجاحهم فى المرحلة

(1) هموم داعية ـ محمد الغزالى ص٥٦

الأولى عندما أسقطوا الاسلام شريعة ونظاماً.

إننا نعرف يقيناً أن هناك جهوداً جبارة تبذل منذ قرون متوالية لحصر الاسلام فى دائرة الاعتقاد الوجدانى، والشعائر التعبدية، وكفه عن التدخل فى نظام الحياة الواقعية، ومنعه من الهيمنة الكاملة على كل نشاط واقعى للحياة البشرية كما هى طبيعته، وكما هى حقيقته وكما هى وظيفته، وقد آتت هذه الجهود الجبارة ثمارها وبلغت غايتها بتخطيط صليبى محكم منذ وضع «لويس التاسع» ملك فرنسا وصيته عندما وقع أسيراً فى معركة المنصورة وجاءت حملة حفيده الصليبى الحاقد «نابليون» لتختبر حيوية الجسد الاسلامى، وتنظر مدى ما وصلت إليه نتائج تلك الوصايا، بضرورة إضعاف العقيدة وتشويه الحقائق وإحياء النعرات والعصبيات، والترويج للخرافات والشعوذات وواكب حملة نابليون الفرنسى حملة «فريزر» الانجليزى فكان عاقبة أمرهما خسراً، وأدرك الغرب الصليبى الماكر أن جسد الأمة الإسلامية ما يزال قويا وأن كل محاولة عسكرية ستبوء بالفشل فرجعوا إلى بلادهم بعد أن فقد الفرنسيون جيشهم فى شوارع القاهرة، وغرق أسطولهم فى موقعة «أبى قير» فى الاسكندرية وقتل قائدهم كليبر على يد شاب أزهرى حلبى مسلم وفقد القائد الإنجليزى جيشه كله أو معظمه فى شوارع مدينة «رشيد» فى مقاومة اسلامية رائعة فلم يجدوا أمامهم إلا الانسحاب المهين لكنهم رجعوا بدروس غالية ودراسات وافية لينتفعوا بها لجولتهم القادمة، وقد هيأوا لتلك المهمة جيشاً من علمائهم ومثقفيهم عرفوا فى تاريخنا الحديث «بالمستشرقين» جعلوهم يتخصصون فى دراسة اللغة العربية والعقيدة الإسلامية، وكل ما يتصل بعقيدة المسلمين وتراثهم، فكان هؤلاء المستشرقون أشد خطراً على الإسلام والمسلمين من هدير المدافع وحشد الجيوش، ورصد الأساطيل فى كشف الثغرات، والدلالة على العورات وتوجيه الأنظار إلى مواطن القوة لإضعافها ومواطن الضعف للدخول منها وكانت خلاصة تلك الدراسات تؤكد أن قوة الاسلام والمسلمين تكمن فى جوانب ثلاثة أساسية هى: الخلافة والشريعة والعقيدة، يقول الشيخ محمد الغزالى: إليك نص الوثيقة التى أعدها وزير المستعمرات البريطانية أورمسى غو لرئيس حكومته والتى نشرت بتاريخ ٩/١/١٩٣٨ والتى يقول فيها: إنه ظل ربع قرن شديد الاهتمام بالسياسة البريطانية فى الشرق الأوسط وأنه يلح على استمرار نهجها المدروس لأنه أكثر تمشيا مع مصالح بريطانيا البعيدة المدى، فى ذلك الجزء من العالم ونتساءل: ما هذا المنهج المدروس؟ تاركين الإجابة لوزير المستعمرات كما ذكرت فى الوثيقة المحفوظة بالمركز العام للوثائق بلندن تحت رقم ٣٧١/٥٥٩٥ وقد نشرت هذه الوثيقة فى جريدة «العلم» نقلا عن مجلة «درع الوطن» بالإمارات العربية المتحدة.

وهاك نص الوثيقة:

«إن الحرب علمتنا أن الوحدة الاسلامية هى

الخطر الأعظم الذى ينبغى على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه وليست انجلترا وحدها هى التى تلتزم بذلك بل فرنسا أيضا»(٢)

ومن دواعى فرحنا أن الخلافة الإسلامية زالت، لقد ذهبت ونتمنى أن يكون ذلك إلى غير رجعة! إن سياستنا تهدف دائماً وأبداً، إلى منع الوحدة الاسلامية أو التضامن الإسلامى، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك!.

إننا فى السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى شجعنا ـ وكنا على صواب ـ نمو القوميات المحلية فهى أقل خطرا من الوحدة الاسلامية أو التضامن الإسلامى! إن سياستنا الموالية للعرب فى الحرب العظمى ـ يعنى الأولى ـ لم تكن نتيجة متطلبات «تكتيكية» ضد القوات التركية بل كانت مخططة لغرض أهم هو إبعاد سيطرة الخلافة على المدينتين المقدستين، مكة والمدينة فإن العثمانيين كانوا يمدون سلطانهم إليهما لمعان مهمة!

ومن أسباب سعادتنا أن كمال أتاتورك لم يضع تركيا فى مسار قومى علمانى فقط بل أدخل إصلاحات بعيدة الأثر أدت إلى نقض المعالم الإسلامية لتركيا(٣).

ذلك هو تفكير شياطين الغرب، وتلك هى أسباب سعادتهم أما إصلاحات أتاتورك البعيدة الأثر التى أدت إلى نقض المعالم الاسلامية لتركيا فهى إسقاط الخلافة، وإلغاء الحكم بالشريعة، واستبدالها بالقوانين الأوروبية وإلغاء الأذان ومنع الحجاب واعتبار لبسه جريمة، وتحويل أكبر مساجد تركيا إلى متاحف.

وبدا المسلمون بين عشية وضحاها «كغنم غاب عنها الراعى» وهجم على هذه الأغنام قطيع من الذئاب كان يتربص بها فأنشب فى جسدها الأنياب والمخالب وأثخنها بالجراح وقسمت دولة الخلافة الاسلامية بين دول الغرب الصليبى بمقتضى اتفاق ودى وقع بين وزيرى خارجية انجلترا وفرنسا ١٩١٦ عرف باتفاق «سايكس ـ بيكو» وبسقوط النظام الإسلامى المتمثل فى الخلافة الإسلامية تحققت المرحلة الأولى وهى غياب الإسلام نظاماً وسياسة، وأحس المسلمون الغيورون من أبناء الأمة بعظم الكارثة وفداحة الخطب فقاموا ينادون بضرورة عودة الخلافة وقيام الجامعة الإسلامية وهنا بدأ الصراع الرهيب الذى ازداد اليوم حدة وضراوة بإعلان المرحلة الثانية وهى: القضاء على الاسلام عقيدة وتراثا وأخلاقاً وآداباً حتى لا يبقى للإسلام على وجه الأرض أثر يذكر أو يدل عليه.

وكان التمهيد لتلك الموجة محكماً ودقيقاً ويعتمد على جانب كبير من التخطيط والإتقان لثقتهم أن غياب القيادة مع وجود العقيدة مايزال ينطوى على خطر عظيم.

ويحذر المستشرق الإنجليزى «جيب(٤)» أهله وعشيرته من الاكتفاء باحتلال البلاد وإسقاط

---

(٢)-(٣) هموم داعية ـ الشيخ محمد الغزالى ص ٨١ و ٨٢.

(٤) «هـ. أ. ر. جيب» المستشرق الإنجليزى ومستشار الخارجية الإنجليزية فى مصر.

الخلافة وإلغاء الشريعة وتغيير الأنظمة ووضعها فى أيدى أوليائه وصنائعه من رجال الأحزاب والمغامرين الثوريين وغيرهم فيقول: «إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة تدعو إلى الدهشة فهى تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة فى أمرها فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزعامة لا ينقصها إلا صلاح الدين جديد»

ثم يدل قومه على مكمن الخطر فيقول مشيراً إلى أهمية التعليم والصحافة فى تغريب شخصية الأمة وإخراجها من عقيدتها: «والسبيل الحقيقى للحكم على مدى التغريب أو الفرنجة هو أن نتبين إلى أى حد يجرى التعليم على الأسلوب الغربى وعلى المبادئ الغربية وعلى التفكير الغربى فالأساس الأول فى كل ذلك هو أن يجرى التعليم على الأسلوب الغربى هذا هو السبيل الوحيد ولاسبيل غيره»(٥).

وهذا التخطيط المحكم والتدبير الشيطانى الرهيب هو الذى يؤتى ثماره اليوم فى إعلامنا وفى مناهج دراستنا وهو ما نراه فيما يقع فى العراق وفلسطين وأفغانستان وفى جنوب السودان وفى جميع بلاد العالم العربى والإسلامى فى كيد ظاهر حينا ومختف باطنى فى غالب الأحيان، ولكن ما تخفيه ضمائرهم ينضح اليوم سماً زعافاً على ألسنتهم، وعلى صفحات إعلامهم.

فهذا رئيس أمريكا الأسبق ريتشارد نيكسون لا يخفى حقده الأسود وكراهيته العميقة فيقول: «إن على روسيا مساعدة أمريكا لمواجهة الخطر الإسلامى الذى سيظهر فى المستقبل القريب على شكل ثورة إسلامية وإن الثورة الإسلامية يمكن أن تشكل خطراً على مصالح روسيا فى العالم الثالث، لأن ثلث سكان روسيا من المسلمين وإن على الدولتين أن تواجها القوى الإسلامية بدلاً من بيع الأسلحة لدول العالم الثالث»(٦).

ويؤكد شيمون بيريز رئيس وزراء العدو الصهيونى الأسبق مدى رعبه من العقيدة الإسلامية بقوله: «علينا أن نتذكر الآن أن العالم العربى يمر بمرحلة التغيير من الهوية العربية إلى الهوية الاسلامية فالحرب اليوم فى منطقة الشرق الأوسط هى حرب أيديولوجية «عقيدية».

هذا ما نطقت به ألسنتهم وما اتفق عليه كبارهم.

﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٧)

(٥) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين مؤسسة الرسالة ص ٢١٦ نقلا عن كتاب «إلى اين يتجه الإسلام» تأليف المستشرق الانجليزى «جيب».

(٦) من مقال له بمجلة الشئون الخارجية الأمريكية.

(٧) آل عمران ١١٨.

الإسلام ومنظومته الأخلاقية فى مواجهة الماسونية واللادينية

للدكتور/ عبد الحليم عويس

إن كل المحاولات التى يبذلها دعاة الحرية الفوضوية ودعاة اللادينية واللاأخلاقية محاولات محكوم عليها بالفشل، وحَسْبُ هذه المحاولات أن تبلبل أفكار الأمة، وأن تجعلها تتآكل داخلياً، وأن تفقد بالتالى عقوداً أو قروناً من مسيرتها الحضارية، فلا يمكن أن يستقيم هذا العالم الإنسانى بدون قيم وأخلاق وروابط تحتفظ للإنسان بإنسانيته «فى أحسن تقويم» كما أراد الله له، وتحول دون سقوطه «إلى أسفل سافلين» كما يريد أعداء الله له من شياطين الإنس والجن، مثقفين كانوا أو إعلاميين أو مفكرين أو سياسيين!!

وعَبْرَ كل الدراسات المحترمة التى تكلمت فى قضايا تفسير التاريخ نجد أن وجود (نظام) قيمى أخلاقى وقانونى يمثل شرطاً أساسياً لبقاء النوع الإنسانى، وبدون هذا (النظام) تنهار الحضارات ويسقط الإنسان إلى مستوى من الانحطاط لا يستطيع الحيوان أن يصل إليه.. وليس الدين فى الحقيقة إلا الضامن الحقيقى لوجود نظام أخلاقى يحكم الحياة والإنسان ظاهرياً وباطنياً، ويقيم علاقته بالله وأخيه الإنسان على أسس إنسانية كريمة، ومن هنا كان القول المأثور عن رسول الله ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١).

يقول هنرى برجسون: «لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة».

ويقول (شاشاوان): «مهما يكن تقدمنا العجيب فى العصر الحاضر علمياً وصناعياً واقتصادياً واجتماعياً، فإن عقلنا فى أوقات

(١) رواه مالك فى الموطأ، وورد فى الحاكم ومسند أحمد والبيهقى (بدون إنما) كما ورد بلفظ صالح الأخلاق.

السكون والهدوء يعود إلى التأمل فى المسائل الأزلية».. أى أنه لابد من مبادىء، وأسس وثوابت أزلية وإنسانية وقيم أخلاقية لكى تقوم الحياة الإنسانية ولكى تستقر وتتطور.. ومهما تكن أمام أعيننا من ظواهر حضارية تبدو أنها مزدهرة بلا أخلاق ولا قيم ولا ثوابت، فيجب ألا تخدعنا هذه الظواهر، فالخلل يبدأ من الجذور، كما تستقر الجراثيم فى الجسد عشرات السنين دون أن يشعر صاحبها بها، لكنها تعمل فى كل ساعة على هدمه وقد سقطت الحضارة الرومانية فى عدد من القرون - حسب دراسة جسيبون - بينما كانت تشعر بالزهو والخيلاء والكبرياء القومى، ولم تترك أثراً حضارياً يحمد لها، بل إنها قامت بتشويه الدين ومزجه بالوثنية عندما اضطرت إلى قبوله، كما أن هذه الحضارة عمقت مفهومين خطيرين يؤثران سلباً فى حياتنا المعاصرة، وهما مفهوم (الاستعلاء العنصرى)، ومفهوم (سيطرة القوة على الحق) لمجرد أنها الأقوى، وكما يقول - بحق - المجاهد الكبير (على عزت بيجوفيتش): إن الشعوب تدخل التاريخ عندما تكون غنية فى الأخلاق، حتى وإن كانت فقيرة مادياً، وعندما تخرج منه فإن الوضع يكون عادة معكوساً، ويضح ذلك استنتاج أن الحضارة بمعنى المعرفة المادية وحسب ممكنة، ولكن الأخلاق ليست نتيجة وإنما هى مقدمة تاريخية، وهى تلتقى بالإنسان عندما يملك الوعى الدينى الخالص. أما عندما يبتعد الوحى، وبالتالى - ينحدر - التطور التاريخى فإن الدين ينسحب أو ينحرف وتسقط الأخلاق، ويظهر على المسرح الانهيار الأخلاقى(٢).

وفى يقينى أن أول - بل وأعظم - ما يعطيه المسلمون للحضارة الحديثة هو «الدين بمنظومته العقدية والأخلاقية والتشريعية»، ولاسيما بعد أن انهزمت القوى الداعية إلى الدين فى الحضارة الحديثة، وأصبح الدين منقاداً لا قائداً، وعليه أن يقبل ضغوط الواقع، حتى ولو كان هذا الواقع هبوطاً بالإنسان إلى أسفل سافلين ممثلاً فى زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة ليس كسلوك شاذ، بل كسلوك معلن يدق باب بعض دور العبادة بقوة، وبضغط رهيب، ويعلن عن نفسه صراحة فى ظل حماية قانونية!! ولعل هذا الانهزام الأخير الذى وصل إلى هذا المستوى جاء نتيجة تلك الأفكار التى أرادت زحزحة الدين بنظمه الأخلاقية والشيوعية، ودعت إلى نسبية القيم وتاريخيتها، كما دعت إلى نزع القداسة عن

(٢) هروبى إلى الحرية: دار الفكر العربى ط/١/٢٠٠٢ نقلاً عن مصطفى الأزهرى، المنار الجديد عدد ٢٢ - القاهرة.

قضايا الجنس وتركها تتحرك فى المجتمع بدون سيطرة قيمية أو دينية، وذلك مثلما يدعو (الدكتور صلاح فضل) فى ورقته المقدمة إلى مؤتمر الثقافة العربية فى القاهرة(٣) - إلى تلك الإباحية الجنسية الفاضحة والشذوذية قائلاً: (إن أولى علامات التقدم الاجتماعى (وهى أولى علامات الانحطاط الحيوانى فى رأينا!!) - عند من يعرفون ألف باء حضارة) - تظهر عندما يتجاوز المجتمع المفهومات والعلاقات الناجمة عن إضفاء طابع الخطورة والأهمية على قضايا الجنس، ويقيم محلها مفهومات وعلاقات جديدة ترتكز على العقلانية وتحقيق المصالح الاجتماعية الكبرى فى المجتمع والانتاج والرفاهية.

لأن بدائية المجتمع البطركى تتجسد فى بدائيته الجنسية، ولكى يتحرر هذا المجتمع لابد أن تكون المرأة حرة تعتز بكرامتها الإنسانية واستقلالها عن الوصاية!!

وحينئذ لا تشغل مسألة الجنس اهتمام الرقابة الاجتماعية ولا تصبح المتعة بأولوية قصوى فى سلم الاهتمامات، ويتم تقبل الحلول التى اهتدت إليها المجتمعات المتطورة فى سيرتها الحضارية عبر التاريخ، بما يحافظ على تحرر المرأة من بيع الجسد وامتلاك مصيرها المستقل(٤).. أى بدل بيع جسدها فمن حقها أن تمنحه هبة مجانية للناس حصولاً على المتعة وتحقيقاً لامتلاك مصيرها المستقل، إنها الشيوعية الجنسية التى كنا نظن أن الوعى البشرى قد تجاوزها.. لكنها عادت بقوة بعد سيادة الفكر الماسونى والصهيونى على العالم.. ذلك الفكر الذى تألق فى مؤتمرى (القاهرة وبكين) للسكان والتنمية - اللذين قصد منهما إباحة العلاقات الجنسية الشاذة، وإباحة الدعارة باسم الحرية الجنسية للمراهقين، وذلك بطريقة قانونية وتربوية تحميها الدول والمواثيق الدولية، وهذا يعنى أن (الدين والأخلاق) فى خطر عظيم وأن (الماسونية والصهيونية) قد نجحتا داخل الحضارة الأوروبية ومجالات تأثيرها نجاحاً كبيراً، بحيث يبدو أن أى محاولة لرسم صورة للتركيب الحضارى الأوروبى لابد أن تقنعنا بجلاء بأن الروح الأخلاقية التى أطلت على عصر النهضة، قد آلت إلى روح لا أخلاقية تكتنف كل مظاهر الحياة، وحتى العقل الذى عبد فى مطلع هذه النهضة، طغت عليه مذاهب لا معقولية تهيمن على عوالم الفن والأدب والسلوك الاجتماعى!!

واستغل الماسون الشعارات الثورية: الحرية، والإخاء، والمساواة، فأصبحت بذاتها

(٣) ١ - ٢ يوليو ٢٠٠٣ المجلس الأعلى للثقافة - مصر (وهو مؤتمر تغريبى يسعى إلى علمنة الدين وتنحيته انسجاما مع الأفكار الماسونية والصهيونية الشائعة)!!

(٤) صلاح فضل - المرجع السابق.

- بعد أن جعلوها مذاهب - وسائل هدم تهدد حياة ومستقبل الإنسان بالخطر، فقد استغل هؤلاء أيضاً التطور الفنى والتقنى، وأقنعوا الفكر الأوروبى بأن هذا التطور فى علوم الطبيعة كاف بذاته لإعطاء تفسير يغنى عن تفسير أصل الأشياء بالله، وكاف فى الدلالة على إمكانية الاستغناء عن الله، وللأسف الشديد فإن الكنيسة الأوروبية والمذاهب المسيحية أصبحت عاجزة عن صد التيارات اللادينية والإباحية فى المحيط الأوروبى وفى البلدان المتأثرة به، كما أن رجال المسيحية قد أصبحوا خاضعين للصهيونية والماسونية وعاجزين فى الوقت نفسه عن إقامة الجسور والتعاون مع الإسلام والمسلمين من أجل الاحتفاظ للدين والأخلاق بوجودهما وتأثيرهما، مع أن هذا التعاون ضرورى ومهم ليس بين الحريصين على الدين والأخلاق من المسلمين والمسيحيين فحسب، بل بين كل المؤمنين بضرورة الثوابت الدينية والأخلاقية للحياة، وهم الذين يسميهم الرئيس (على عزت بيجوفيتش) فى كتابه: الإسلام بين الشرق والغرب (رجال الطريق الثالث) الذين يتكاتفون من أجل الوقوف ضد عبادة الآلهة الجديدة، وتقديس الأقانيم المادية البحتة، أو حسب تعبير رجاء جارودى الميثولوجيا الانتحارية للتقدم وللنمو على المنوال الغربى. ذلك المنوال الذى يتسم بالفصل بين العلوم والتقنيات (أى تنظيم



على عزت بيجوفيتش



جارودى

الوسائل والقدرة) من جهة، وبين الحكمة (أى التبصر بالغايات الإنسانية والدينية) من جهة أخرى.

ويشير جارودى إلى ضرورة أن يكون هناك «نظام اقتصادى عالمى جديد»، ولايمكن أن يوجد مثل هذا النظام بدون نظام ثقافى عالمى جديد؛ ينتقل بالإنسانية من الهيمنة الغربية العنصرية اللاأخلاقية إلى التشاور على مستوى الكرة الأرضية لإعادة تحديد مواصفات مشروع إنسانى شامل - (مشروع الأمل) فالحوار بين الحضارات أصبح ضرورة ملحة.. إنه مسألة بقاء، ومهمتنا هى أن نعقد الحوار من جديد بين حضارات الشرق، والغرب لكى نضع حداً لمنولوج الغرب الانتحارى.

والانتحار - فى معجم جارودى - مرتبط تمام الارتباط بالكفر، وهى كلمة لها معنى محدد عنده، فهو يعرف الكفر باعتباره (النظر إلى الأشياء كما لو كانت مستقلة عن أصلها وغايتها ومعناها) أى

فصل الأشياء عن الدين والأخلاق والغايات العليا الدنيوية والأخروية.

وفى مقابل هذا الانهيار الغاياتى والأخلاق العالمى يضع جارودى الرؤية الإسلامية للواقع، التى تنطلق من فكرة (التوحيد) والتى تعطى لكل حياة ولكل شىء معنى بالنسبة لعلاقته بالكل، وهذا التوحيد ليس توحيداً جامداً، فالتوحيد الحقيقى هو (فعل من الله دائم الخلق، فعل من النبى، الذى بكلامه، الموحى به من الله، يكون ليس وحدة أو جملة ولكن فعل توحيد، فعل تجميع، فعل لكل إنسان يعى أنه ليس ثمة إلهى وحقيقى إلا الله وانه فى كل لحظة يربط كل شىء وكل حادث وكل عمل بمبدئه)(٥).

وسواء رضى أصحاب العقائد والرسالات الأخرى، ومثلهم أصحاب الطريق الثالث الذين يسعون لإنقاذ الإنسانية من الانتحار من أصحاب الضمائر والأخلاق.. أن يضعوا أيديهم فى أيدى المسلمين أم لم يضعوا - فإن على المسلمين - حتى ولو وقفوا وحدهم ضد قوى الشر الصهيونية والماسونية والعولمية الأخلاقية والثقافية - أن يستميتوا فى الدفاع عن الدين والحق والقيم الإنسانية الثابتة والأخلاق التى لا تستقيم الحضارة الإنسانية إلا بها.

وعلى الأمة المسلمة - ابتداء - أن تطهر أرضها من الأعشاب والحشرات الضارة، التى تنبت فى صفوفها من أنصار الماسونية والصهيونية.. (دعاة هدم الدين والاستسلام للباطل ونشر الإباحية الأخلاقية.. إعلاميين أو فلاسفة أو مثقفين)، فهؤلاء هم المتهودون من ذوى القلوب الكافرة والعقول المستأجرة

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾(٦).

وإنه لمن الخيانة العظمى لله إهمال الأمة الإسلامية لوظيفة البلاغ أمراً بمعروف ونهياً عن منكر وتثبيتاً لموازين الحق المطلق والقيم المطلقة التى تنتظم كل الإنسانية.

ومن الخيانة العظمى أيضاً خضوعها لمحاولات التدخل فى ثوابتها وتحريف دينها ومناهجها، وتعطيل حركة الدعوة والإغاثة والتكافل الاجتماعى بين أبنائها، تحت ضغط إرهابها بشعارات العنف والتطرف، بينما تعمل كل الكتائب التنصيرية، وبينما تحكم فى الهند حكومة هندوكية،

(٥) نقلاً عن عبدالوهاب المسيرى، اليهود فى عقل هؤلاء، ص١١٩، ١٢٠ سلسلة إقرا ٦٢٠ - دار المعارف، مصر.
(٦) البقرة (١٤).

وتقام فى أوروبا وأمريكا أحزاب مسيحية ويمينية متطرفة، وفى إسرائيل أحزاب غاية فى التطرف والعنصرية.

أما المسلمون فيحرمون وحدهم من تقديم دينهم للعالم، ومن الإعلان العلمى الودود عن حقائق الإسلام العالمى الكفيل - قبل غيره - لو وجد رجالاً وظروفاً للتمكين - بإنقاذ سفينة الإنسانية من الغرق تحت وطأة اللادينية والانحلالية الحيوانية.. بوسائله الرحيمة الكريمة التى تجسدها الآية القرآنية الكريمة:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٧).

ولقد أنقذ المسلمون العالم القديم فى القرن السابع عشر الميلادى، وانقذوا إنسانية الإنسان التى كانت قد تهاوت أمام استبداد القياصرة والأباطرة والوثنيات والصراعات اللاهوتية وعبادة الشهوات والغرائز، وبالتالى غيروا المفاهيم والعقول والمعارف والعقائد على المستوى الإنسانى كله بطرق متفاوتة بسطها الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه العظيم (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)..

وهم الآن - وحدهم - المؤهلون للدور نفسه، بعد أن أصبحت إنسانية الإنسان مهددة بالدمار والحيوانية البهيمية واللادينية، كما يعلن (رينيه دوبو) فى صدر كتابه (إنسانية الإنسان - نقد علمى للحضارة المادية) من خلال أقواله: «نحن ندعى أننا نعيش فى عصر العلم، إلا أن الحقيقة هى أن الميدان العلمى، كما يدار الآن، ليس فيه توازن يسمح للعلم بأن يكون ذا فائدة تذكر فى إدارة أمور الإنسان..».

«.. إن الحياة الشاذة التى يعيشها عامة الناس الآن تخنق وتعطل التفاعلات الحيوية الضرورية لسلامة الإنسان العقلية ونمو الإمكانات الإنسانية».

وهذا الواقع المأساوى الإنسانى، يفرض على المسلمين الانطلاق الرشيد - بإسلامهم لإنقاذ البشرية وإنقاذ أنفسهم، وأداء الرسالة التى كلفهم الله بها

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٨).

واعين بأن أسلافهم أنقذوا العالم بالإسلام فى ظروف أسوأ من ظروفنا، دون أن يأبهوا بقوة أعدائهم أو يلتمسوا لأنفسهم المبررات، فنصرهم الله، ومكن لهم فى الأرض، وثبت أقدامهم.

---

(٧) الأنبياء: ١٠٧.

(٨) آل عمران (١١٠).





عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين



لعل الهدف النفسى أخطر الأهداف التى يترصدها كلا طرفى الخصومة فى خصمه، فهو الأكثر انتشارا لأن منافذه ومآتيه غير محددة ولا محدودة، ولأن الآثار الناجمة عنه أعمق وأبعد وأشمل مما ينجم عن الأهداف المادية أيا كانت، حتى إن الأهداف المادية قد تصبح - أو تحول - لأهداف نفسية، ليتضاعف تأثيرها، وحتى إن الأهداف النفسية تتخذ وسيلة للتبكير بتحقيق الانتصار وحيازته بأقل الخسائر المقدرة، بل ربما حيازته بدون خسائر.

ومن هنا.. نجد القرآن الكريم يرتكز - فى إعداد الأمة المسلمة - على الجانب النفسى بأكثر من وسيلة؛ فنراه يغرس فى نفس المؤمن أنه الأقوى بنية، والأمضى سلاحا، والأثبت جنانا، والأفضل مصيرا ونهاية؛ فالمقاتل الواحد المؤمن قد يفضل العشرة، على ما يقرره قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

[الأنفال: ٦٥]

والمقاتل المؤمن يواجه من يحاربه موقنا أن عون الله معه، وأن جند الله تؤازره، وذلك قوله عز وجل:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ

وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ
ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ
ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

[الأنفال : ٩ - ١٢].

والمقاتل المؤمن يعلم أن نهايته إما النصر، وإما الشهادة، كما يعده المولى فى قوله:

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

[آل عمران : ١٥٧]،

وقوله:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ
بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟
بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران : ١٦٩ - ١٧١].

ومن هنا أيضا.. نرى القرآن الكريم يعمل على استلال بذور الخوف من نفوس المؤمنين قبل أن يفرخ فيها؛ فيذكرهم بأن عدوهم يجد مثل ما يجدونه من ويلات الحرب المفروضة عليهم فى نحو قوله جل شأنه:

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ
وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

[آل عمران : ١٤٠].

ولأن المؤمنين هم الأفضل مصيرا، فيجب أن يكونوا الأبلغ ثباتا، كما يوضحه قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ
يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[النساء : ١٠٤].

وعلى الرغم من أن هذا الإعداد القرآنى ممتد إلى أمتنا الإسلامية فى كل عصورها، وفى شتى بيئاتها ومواقعها... نلاحظ أن أبناء الأمة الإسلامية لم يفيدوا من هذا الإعداد فى بعض المراحل التاريخية؛ فأوقعوا أنفسهم فريسة الضعف النفسى، واستبدا الفزع بهم، وسيطرة الخوف عليهم، حتى رأوا فى أعدائهم قوة لا تقهر... الأمر الذى ألزم المفكرين المخلصين لأمتنا الإسلامية أن يبذلوا الجهود المتواصلة، ليستلوا من نفوس الأمة - فى مجموعها - هذا الذى جرفهم عن الطريق السوى، وقذف بهم فى آتون هذا الوهم الفتاك.

وكان من أبرز من قاموا بذلك - فى هذه المرحلة التى نعيشها من القرن العشرين والقرن الحادى والعشرين - الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيرى، بما قدمه من تعريف بحقيقة

الصهيونية، وما يتعلق بالدولة الإسرائيلية والأخطبوط الاستعمارى الغربى فى عدد وافر من الدراسات المتسمة بالنظر العميق، والتفكير المرتب، والبحث المتانى المحايد.. ومن أهم هذه الدراسات وأحدثها كتابه (البروتوكولات، واليهودية، والصهيونية).

أما الأستاذ الدكتور عبد الوهاب المسيرى، فقد سبق التعريف الموجز به هنا فى (كتاب الشهر) مع بعض كتبه.. وأما كتاب (البروتوكولات واليهودية والصهيونية) فيقع فى أربع وخمسين ومائتى صفحة من القطع المتوسط، يضم ثمانية فصول، قامت دار الشروق المصرية بنشر الطبعة الأولى منه سنة ٢٠٠٣.

البروتوكولات بالمنظار التاريخى

الدكتور المسيرى يعلن فى أكثر من موطن أن غايته من هذا الكتاب... هو تبديد الهالة التى يحاط بها اليهود، ونقض ما نسج حولهم من أوهام وخرافات أسطورية، جعلت منهم اليد الطولى التى لا يفلت من قبضتها أحد، والعقل العبقرى الفذ الذى لا يستطيع ملاحقته أحد فى إحكام تدبيره، وفى شمولية تخطيطه.

وانطلق الدكتور إلى غايته تلك متناولا أبرز الوثائق التى تصنع بها تلك الهالة، والتى تحاك من خيوطها هذه الأوهام والأساطير التى يكسى بها الكيان اليهودى، وهى (بروتوكولات حكماء صهيون).

ففى الفصل الأول (أصل البروتوكولات والموضوعات الأساسية) يذكر الدكتور أن


عبدالوهاب المسيري

(بروتوكولات حكماء صهيون) وثيقة يقال أنها كتبت فى (بازل) بسويسرا سنة ١٨٩٧، وهو العام الذى عقد فيه المؤتمر الصهيونى الأول، وأن هناك من يزعم أن (تيودور هرتزل) تلا هذه الوثيقة على ذلك المؤتمر، وأنها نوقشت فيه، بل إن بعضهم يزعم أن (البروتوكولات) هى محاضر أحد مؤتمرات حكماء صهيون التى كانت تهدف إلى وضع خطة محكمة لإقامة امبراطورية عالمية تخضع لسلطان اليهود، وتديرها حكومة عالمية يكون مقرها القدس، أو أوروبا، على ما جاء فى أحد (البروتوكولات)، ويذكر الدكتور المسيرى: أن (البروتوكولات) نشرت فى البداية ملحقا لكتاب من تأليف موظف روسى، يدعى (سيرجى نيلوس) سنة ١٩٠٥، وهذا الموظف كان يعمل فى الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، وقد ادعى (نيلوس): أنه تسلم مخطوطة (البروتوكولات) سنة ١٩٠١ من صديق له، حصل عليها من سيدة تدعى (مدام ك)، وأنها بدورها ادعت أنها سرقتها من أحد أقطاب (الماسونية) فى فرنسا.

ولكن (نيلوس) نفسه أخبر أحد النبلاء الروس أن هذه السيدة أخذتها من رئيس

البوليس السرى الروسى فى فرنسا، وأن الأخير هو الذى سرقها من أرشيف المحفل الماسونى.

ويتابع الدكتور المسيرى، فيذكر أن الدراسات العلمية المتعمقة توصلت إلى أن (البروتوكولات) وثيقة مزورة، استفاد كاتبها من كتيب فرنسى، ألفه صحفى يدعى (موريس جولى) يسخر فيه من نابليون الثالث، وعنوان هذا الكتيب (حوار فى الجحيم بين ماكيافيللى ومونتسكيو، أو السياسة فى القرن التاسع عشر)، وقد نشر هذا الكتيب فى بروكسل سنة ١٨٦٤، ووقع كتاب (جولى) فى يد (هرمان جودش) الألمانى الذى كان ينشر كتبه باسم (سير جون رتكليف)، فأعاد صياغته فى هيئة قصة أسطورية عن المؤامرة اليهودية، وقدمه جزءا فى سلسلة روايات بعنوان (بيارتيز) صدرت سنة ١٨٦٨.

وقد كشفت جريدة (التايمز) اللندنية فى ثلاثة أعداد متتالية فى ١٦، ١٧، ١٨ أغسطس سنة ١٩٢٦ أوجه التشابة بين الكتيب و(البروتوكولات)، خصوصا (البروتوكولات) من ١ : ١٩ ويلاحظ الدكتور المسيرى: أن جميع ما يتردد حول (البروتوكولات) إن هى إلا أقوال مرسلة لا سند لها، ولا دليل على وقوع ما ورد بها من أحداث.

ويلاحظ: أن اليهود هبوا فى كل مكان يعلنون: أن (البروتوكولات) ليست من عملهم، ولكن العالم لم يصدق إعلانات اليهود، بسبب الاتفاق الواضح بين ما جاء فيها وبين الأحداث الجارية فى العالم، فزادت انتشارا، وزادت مع انتشارها المذابح والاضطهادات ضد اليهود فى كل أنحاء روسيا.

البروتوكولات بالمنظار العلمى

وينطلق الدكتور المسيرى من هذ النظرات التاريخية المستقصية، ليضع (البروتوكولات) تحت منظار البحث المتأنى مع المقاييس العلمية، حيث يستدل من أصل نصها على أن من كتبها ينتمى إلى التشكيل الحضارى الروسى، والتشكيل الرجعى القيصرى على وجه الخصوص، مستدلا بما يلى.

١- أن نصها الأصلى قد كتب باللغة الروسية، ولم يكتب باللغة الآرامية التى كان يجيدها كثيرا من (الحاخامات) آنذاك. ولا كتب باللغة (اليديشية) التى كانت لغة الغالبية الساحقة ليهود شرق أوروبا فى ذلك الحين.

٢- وأن أفكار (البروتوكولات) مشوشة ساذجة، تفتقر إلى الترابط؛ فبينما يؤكد كبير حكماء صهيون الدهاة العتاة: أنهم سوف يستخدمون المحافل الماسونية قناعا لأغراضهم، بحيث تبدو تلك المحافل ماسونية، بينما هى فى الواقع جزء من المؤامرة اليهودية العالمية.. بينما يؤكد كبير الحكماء هذا.. نرى هؤلاء الحكماء فى الوقت ذاته يقررون أنهم بقوتهم التى لا حدود لها - سيمنعون تأليف أية جماعة سرية جديدة - وأنهم سوف يحلون الجماعات السرية الموجودة، وينفون أعضاءها، أو يبقونهم فى خوف دائم من النفى، وأنهم سوف يصنعون هذا الصنيع نفسه مع الماسونيين، بل سوف يقدمون الماسونيين الأحرار إلى الموت بأسلوب لا يستطيع أحد أن يرتاب فيه، حتى ولا الضحية نفسه، بل إن من يكتشف السر لن يجرؤ على الاحتجاج عليه.

٣- وأن كاتب البروتوكولات جاهل بالتاريخ؛ فهو يؤكد أن حكماء صهيون قاموا بالثورة الفرنسية من خلال المحافل الماسونية لتخريب فرنسا والعالم... علما بأن الثورة الفرنسية منحت أعضاء الجماعة اليهودية كل حقوق المواطنين، وعملت على دمجهم فى المجتمع، على الرغم من أن دمج أعضاء الجماعات اليهودية فى مجتمعاتهم يقوض أساس الصهيونية التى تعتمد على عدم الدمج حتى تستوجب نقلهم إلى فلسطين لتأسيس الدولة الصهيونية.. وحتى تؤسس الحكومة العالمية.!

فهل أدخل هذا الدمج الغبطة والسرور على قلب حكيم حكماء صهيون، فراح يتباهى بأن الثورة الفرنسية يهودية ماسونية؟!

٤- وأن كاتب البروتوكولات يذكر أن حكماء صهيون اخترعوا أفكارا مثل الحرية، والإخاء، والمساواة؛ ليؤلبوا الشعوب على ملوكهم، فيتمكنوا هم من السيطرة على تلك المجتمعات علما بأن هذه الأفكار قديمة قدم البشرية، حتى لقد بشرت بها جميع الديانات السماوية، وفى مقدمتها الإسلام.

٥- وأن كاتب البروتوكولات يذكر: أن حكماء صهيون ابتكروا أفكارا مثل الفردية والذاتية؛ ليدمروا الحياة الأسرية بين غير اليهود.. على الرغم من أن الفردية اكتسحت الجماعات اليهودية نفسها، فزادت معدلات الطلاق بينهم فى الولايات المتحدة، كما زادت بين الجماعات الأخرى هناك.!

٦- وأن كاتب البروتوكولات يذهب إلى أن حكماء صهيون الذين أسسوا العلوم الجديدة، مثل الاقتصاد السياسى، وأنهم هم الذين طوروا علم الأحوال الاجتماعية، ولن يسلموا أسراره للأمميين.

فهل اليهود هم الذين أسسوا علم الاجتماع؟! وما هى أسراره التى سيستأثرون بها؟!

٧- وأن كاتب البرتوكولات.. يدعى: أن حكماء صهيون المخربون سوف يقومون بنشر الأفكار الديمقراطية؛ لتزج بالمجتمع فى نزاع مع كل القوى، فما إن يضمن الرعاع الحرية، حتى يحولوها إلى فوضى، وخلافات حزبية، تحول الشعب إلى حيوانات متعطشة للدماء، وتعوق كل إمكان للاتفاق.

٨- وأن كاتب البروتوكولات.. يقرر: أن غاية الحكماء من ذلك.. هو تحقيق الهيمنة

الكاملة على جميع حكومات الأرض، بما فى ذلك التى تقف (ظاهريا) ضد المؤامرة اليهودية الكونية، حيث يتحكم اليهود فيمن يعاونهم، وفيمن يعارضهم على سواء!.

٩- وأن كاتب البرتوكولات.. غفل عن أن (البروتوكولات) هى خطاب من حكيم حكماء صهيون الموجه إلى بقية الحكماء، فأشاع: أنها المخطط الذى وضعه حكماء صهيون لإفساد العباد، والهيمنة على العالم، وملأها بالاعترافات التى لا مبرر لصدورها من حكيم الحكماء إلى بقية الحكماء؛ فهم ليسوا فى حاجة إلى ذلك.

ويخلص الدكتور المسيرى من ذلك.. ليقرر: أن كاتب البروتوكولات مزيف غبى، لم يتمكن من السيطرة على نبرة خطابه، فجاءت ساذجة غير محددة المعالم، تومىء إلى أن كاتبها روسى معاد للثورة، ينسج الأفكار والأقوال، ثم ينسبها لليهود، فلم يدرك أنه بالغ فى تضخيم شر اليهود، وقوتهم حتى أصبحوا كالآلهة، يهيمنون على كل شىء، ويفعلون كل شىء فى الدنيا، مثل قوله على لسان الحكيم: «وإننى أستطيع فى ثقة أن أصرح اليوم بأننا أصحاب التشريع، وأننا المتسلطون فى الحكم، والمقررون للعقوبات وأننا نقضى بإعدام من نشاء، ونعفو عمن نشاء... إلخ»

أى أن البروتوكولات تجعل اليهود مسئولين عن كل شىء من شر وخير، وثورة ومناهضة للثورة، واشتراكية ورأسمالية!

أسباب انتشار البروتوكولات

ويذكر الدكتور المسيرى: أن هذه (البروتوكولات) أحرزت شيوعا بالغا فى الغرب وفى عالمنا العربى، هيمنت به على تفكير الغربيين والعرب معا، حتى خيل للجميع مثولها وراء كل الأحداث - هنا وهناك - على الرغم من سذاجتها، ووضوح تزييفها.

ويرى الدكتور: أن لهذا الذيوع فى العالم الغربى أسبابه الخاصة، وله فى العالم العربى أسبابه الخاصة به

أما ذيوع البروتوكولات بين الغربيين وهيمنتها عليهم، فيرجعه الدكتور إلى سببين أساسيين هما:

أ) تآزر الاعتقاد المسيحى أن اليهودى هو قاتل الرب... مع التصور الراسخ أن اليهود كتلة واحدة متماسكة، ومع رؤية اليهودى فى صورة الشحاذ المتسول، والثرى المحتكر للسوق، والثورى الذى يقلب نظام الحكم، والمؤمن المتمسك بدينه، وقواد الفتيات للدعارة.

ب) إحساس الإنسان الأوروبى فى أواخر القرن التاسع عشر بأزمته، وإدراكه السطحى بعد تزايد معدلات العلمنة والتصنيع فى الغرب، وهيمنة القيم الداروينية والرأسمالية الجشعة عليهم... مضافا إلى العقيدة المسيحية.

الأمر الذى جعل من اليهودى رمزا متعينا لعملية انقلابية، تجر وراءها البؤس والشقاء... فلما جاءت «البروتوكولات»

رأوا فيها تطابقا مع هذا وذاك، ورأوا فيها تفسيرا لكل ذلك، فلم يترددوا فى قبولها..

وأما ذيوعها فى العالم العربى فيرجعه الدكتور إلى عدة أسباب من أبرزها:

١- ظهور اليهودى أمام العرب داخل التشكيل الاستعمارى، حيث وظفه المستعمرون ليخدم مصالحهم بين العرب.

٢- عجز العرب عن العثور على تفسير لما ألحقه الصهيونيون بهم من هزائم متوالية، منذ دخل المستعمرون بلاد العرب..

٣- قيام الدولة الصهيونية تحت اسم اليهودية، وادعاؤها المستمر أنها تتحدث باسم يهود العالم جميعهم... يسر الربط بين اليهودى والعنف والإرهاب!.

٤- قيام المستعمرين الغربيين بتحويل يهود البلاد العربية إلى عنصر وظيفى استيطانى يدين لهم بالولاء؛ مما ساعد على انسلاخ هؤلاء اليهود عن التشكيل الحضارى العربى والإسلامى، وحصرهم فى صورة الأجنبى المغتصب والمتآمر الذى لا انتماء له سوى البحث عن مصلحته.

٥- أكد هذه الصورة انتماء كثيرين منهم إلى الحركات الشيوعية، والطبقات الرأسمالية.

٦- تعذر الوصول إلى تفسير لدعم الغربيين العقلانيين الديمقراطيين للتجمع الصهيونى سياسيا واقتصاديا وعسكريا دعما مطلقا.

٧- استحالة العثور على تفسير لدعم أمريكا ومساندتها للدولة الصهيونية بتلك الصورة التى تفرض عليها التناقض المثير.

٨- الدعم الغربى لقيام الدولة اليهودية بأساطيرها التلمودية، على الرغم من اندفاعه غير المتردد فى فصل الدين عن الدولة.

٩- الاستسلام الغربى للزعم المحموم بالإبادة النازية لليهود - مع مضى أكثر من خمسين عاما على ذلك - والاستمرار فى تقديم التعويضات للصهيونيين، وإعلان الندم عما بدر من الألمان، فى حين تلتزم بالصمت المطلق إزاء ما يقع على المسلمين من مذابح فى شتى البقاع الإسلامية.

١٠- الزعم الغربى أن فلسطين قدمت لليهود تعويضا عما أصابهم فى ألمانيا.

هذه الأسباب وغيرها هيأت الأذهان العربية إلى تقبل (البروتوكولات)؛ لما وجدوه فيها من تفسير لهذا الواقع الغريب، وتعليل سريع لهزيمتنا أمام أنفسنا وأمامهم، حيث لم نجد من سبيل إلا أن ننسب لعدونا قوة خارقة لا حدود لها، والقدرة التى لا طوق لأحد على مقاومتها، دون تمحيص ولا نظر عقلانى.

البروتوكولات بالمنظار العقدى

ويفحص الدكتور المسيرى (البروتوكولات) على ضوء العقيدة اليهودية - كما فحصها تاريخيا وعلميا - فيرى: أن كاتب (البروتوكولات) لا يعرف شيئا عن العقيدة اليهودية؛ إذ لم يشر مرة واحدة إلى أى من الطقوس أو الأعياد اليهودية، ولم يستخدم كلمة واحدة تنتمى إلى اللغات اليهودية، ولم يشر إلى أى كتاب من الكتب اليهودية التى يعرفها حكماء صهيون، ويؤمنون بما تحويه، مما هو أسوأ مما تضمنته البروتوكولات؛ مثل ما جاء فى العهد القديم من أوامر بإبادة سكان أرض كنعان وطردهم، وما يحويه التلمود من تيارات معادية للأغيار، وعبارات تقرر تفوق اليهود العرقى، والقومى، والفكرى، وتشير إلى أنهم آلهة أو أشباه آلهة، وما تضمنته كتب التراث الصوفى اليهودى (القبَّالاه) من تميز وعنصرية متعجرفة، زادت من عزلة اليهود عن العالم، حيث تقرر: أن أرواح اليهود مستمدة من الكيان المقدس، وأن أرواح الأغيار مخلوقات بهيمية، خالية من الخير، وأنها تصدر عن الحارات الشيطانية؛ فبينهم وبين اليهود اختلافات جوهرية.. فلو كان كاتب (البروتوكولات) يعرف شيئا من ذلك لاعتمد فى خطابه عليها حتى يكون أقوى تأثيرا.. من كل ما يؤكد: أنه خطاب روسى متعصب جاهل بالأمور اليهودية.

ويستعرض الدكتور المسيرى بعض ما ورد فى الكتب اليهودية من قيم إنسانية وأخلاقية عامة تتناقض مع تلك النصوص العنصرية؛ ليستخلص من ذلك أن هناك فرقا بين سلوك الإنسان وبين ما جاء فى النصوص المقدسة التى يؤمن بها، فليس ما جاء فى النص المقدس الذى يؤمن به إنسان ما، هو وحده الذى يحرك هذا الإنسان، وإنما الذى يحركه هو تلك التفاسير القائمة على استخلاص المعنى، والتركيز على بعض الأفكار، وتهميش بعضها الآخر، كذلك الذى صنعه الصهيونيون باستيلائهم على اليهودية وصهينتها؛ بغية التركيز على الجوانب العنصرية، وعلى فكرة العودة، وكره الأغيار؛ لنجد يهودا لا يؤمنون باليهودية كعقيدة، وإنما كمجموعة من العادات القبلية، كما هو حال اليهود فى الولايات المتحدة الذين تم علمنتهم، فلم يجدوا مانعا من إباحة الشذوذ الجنسى، على الرغم من وضوح تجريمه فى التوراة..!

العنف الصهيونى والاستعمار الغربى

ويخلص الدكتور المسيرى من ذلك النظر المتنوع إلى: أن ما تقوم عليه الصهيونية من تقديس للعنف، لا يرجع إلى الذاتية اليهودية - كما يتصور بعض الدارسين متوهمين أن ذلك بفعل البروتوكولات - ولكنه مستمد من الحضارة العنصرية الاستعمارية التى يتحركون فى إطارها، حيث وظف المستعمرون الغربيون عنفها لصالح الإنسان الغربى، صاحب القوة والحضارة المادية البحتة... تلك الحضارة التى انطلق الصهيونيون منها إلى إعادة كتابة ما يسمى (التاريخ اليهودى)، حيث صورت الأمة اليهودية على أنها ليست جماعة دينية، بل جماعة محاربة من الرعاة الوثنيين الغزاة؛ فهى تمجد السيف وتتخذه رمزا للقوة، حتى إن (جابوتنسكى) آثر أن يربط بين السيف والتوراة، وتبعه فى ذلك تلميذه (مناحم بيجين)، وحتى إن (بيرد شفسكى) رفض التاريخ اليهودى الذى يسيطر على الحاخامات والمفكرون اليهود، ورفض أخلاقيات العبيد، وحتى إن كتابات (هرتزل) امتلأت بعبارات الإعجاب بهذا السيف. ويتضح هذا الجانب من الفكر الصهيونى فى كتاب (الثورة) لمناحم بيجين، الذى يقول فيه: «أنا أحارب، إذا أنا موجود» ويقول: «من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال».

ويتضح من توظيف (بن جوريون) للعنف فى إعادة صياغة الشخصية اليهودية، وجعله البوتقة التى يولد فيها المجتمع الصهيونى الجديد، وينبه الدكتور إلى أن هذا التوجه الصهيونى نحو تحديث الشخصية اليهودية وعلمنتها يعد فى نظر


مناحم بيجين

اليهودية الأرثوذكسية تمردا وكفرا وتجديفا، ولذلك شكلت الأرثوذكسية اليهودية جبهة قوية لمعارضة هذا التوجه الصهيونى، على ما أوضحه بيان (البروفيسور إسرائيل شاهاك) الأستاذ المعارض بالجامعة العبرية فى القدس، فى قوله: «إن إضفاء صبغة مثالية يهودية على دولة إسرائيل الصهيونية هو أمر لا أخلاقى ومعاكس للتيار الرئيسى للعقيدة اليهودية، ولابد أن يؤدى بإسرائيل إلى كارثة»، وفى قوله: «يبدو لى أن غالبية شعبى قد تركوا الرب، واستبدلوا به وثنا وضعوه فى مكانه، وهذا يشبه بالضبط ما حدث عندما آمنوا بالعجل الذهبى فى الصحراء.. واسم هذا الوثن الجديد هو دولة إسرائيل».

ويذكر الدكتور المسيرى أن كثيرا من اليهود المتدينين الذين لم يجرفهم التيار الصهيونى يرون: أن الصهيونية هى أكثر المحن الشيطانية التى واجهت المجتمعات اليهودية فى العالم، ويرون: أن إسرائيل الحقيقية لا تقوم على المدافع، وإنما تقوم على الإيمان بالرب والتوراة.

«يتبع»

دَوْلَةٌ وَاحِدَةٌ أَمْ دَوْلَتَان ؟

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

لعل رئيس الوزراء الفلسطينى «أحمد قريع» كان محقا عندما أعلن استعداده أمام الجميع، بقبول إقامة دولة ديموقراطية علمانية واحدة على أرض فلسطين الانتدابية تضم جميع سكانها، عربا، ويهودا، مسلمين، ومسيحيين، على السواء، يتمتعون فى ظلها بالمساواة التامة فى الحقوق والواجبات، بسبب تعنت حكومة الليكود بزعامة «شارون» ومراوغتها فى القبول بإقامة دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة وهذا لا يعنى أن الفلسطينيين لا يريدون دولة فلسطينية، وإنما إذا لم يكن هذا ممكنا، فلا يبقى سوى الدولة الواحدة وفى ضوء ذلك هناك افتراضان مطروحان للنقاش، الأول افتراض عدم إمكانية الفصل بين إسرائيل، ومناطق السلطة الفلسطينية فى الضفة والقطاع بإقامة دولة فلسطينية بجوار دولة إسرائيل، والثانى افتراض عدم إمكانية إقامة دولة ديموقراطية علمانية واحدة تضم العرب واليهود، وكافة العقائد الأخرى، فى فلسطين برمتها وفى ظل هذين الافتراضين، فلا مفر - من أجل تسوية الصراع الفلسطينى الإسرائيلى - من قبول الطرفين لخيار «دولة ثنائية القومية» فى كل فلسطين بحيث تشمل الجماعتين الفلسطينية واليهودية.. وفى هذا السياق يذكر المحللون السياسيون ضرورة توافر أربعة أسس لقيام هذا النظام الثنائى القومية، الأول إقامة ائتلاف يضم ممثلين للقومية الفلسطينية، والقومية اليهودية، إذا جاز اعتبار الديانة اليهودية قومية.

والثانى ضمان تمثيل نسبى لتقسيم المشاركة فى المؤسسات السياسية والعامة بين اليهود والفلسطينيين،

والثالث حق كل من الجماعتين، فى إدارة شئونها الداخلية، وفق نظام سياسى متفق عليه.

والرابع حق كل جماعة فى الاعتراض على أية قرارات تتخذ بشأن المشكلات الجوهرية المتعلقة بالقوميتين.

وفى هذا الإطار يمكن أن يتحقق خيار الدولة الواحدة ثنائية القومية من خلال إقامة المؤسسات التشريعية المشتركة، والسلطة التنفيذية التى تمثلها الحكومة، والجهاز القضائى، وقوات حفظ الأمن والنظام، وقوات الدفاع، على أن تدير كل من الجماعتين شئونها الداخلية بشكل مستقل، على غرار ما هو مطبق فى بلجيكا وسويسرا. أى خضوع كل من القوميتين اليهودية والفلسطينية لحكومة مركزية، باعتبار الدولة وحدة إدارية واحدة.

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا السياق، هو ما موقف الأطراف المعنية من هذا النظام الثنائى القومية؟ هنا يلاحظ المحللون السياسيون أن اليمين الإسرائيلى ينقسم قسمين

الأول يعارض تقسيم البلاد إلى دولتين، يهودية، وأخرى فلسطينية.

والثانى يؤيد ضم الضفة الغربية وقطاع غزة إلى دولة إسرائيل، غير أن هذا القسم يتجاهل منح الفلسطينيين حقوق متساوية مع اليهود ومن جهة أخرى، فإن اليمين الإسرائيلى المتطرف يرى أن ترحيل الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة، أو نقلهم إلى الأردن صار أمرا ضروريا لاستكمال تحرير أرض إسرائيل الكاملة. واللافت للنظر أن حكومة الليكود اليمينى تعارض فكرة إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وتكتفى بحكم ذاتى للفلسطينيين فى الضفة وغزة، بينما يلاحظ أن معظم اليسار الصهيونى يؤيد الفصل بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، بإقامة دولة فلسطينية بجوار دولة إسرائيل.

وجدير بالذكر أن تأييد الفصل بين الجانبين يرجع فى المقام الأول إلى الخوف الشديد من احتمال أن يؤدى استمرار الاحتلال الإسرائيلى للضفة والقطاع إلى تحويل دولة إسرائيل، فى المستقبل، إلى دولة ثنائية القومية، من ثم تتحول الأقلية العربية إلى أغلبية مسيطرة، بفعل الزيادة الطبيعية فى المواليد، وهذا هو الخطر الديموجرافى الذى تراه إسرائيل

العدو الأكبر الذى يهدد وجودها فى فلسطين، وقد يقضى على المشروع الصهيونى. أما الجانب العربى، فيؤيد جزء منه إقامة دولة ثنائية القومية على كل فلسطين الانتدابية، فى حين ترى الغالبية العربية ضرورة إقامة دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب الدولة الإسرائيلية، وعلى الجانب المقابل، فإن التيار الإسلامى والتيار القومى لا يؤيدان خيار الدولة ثنائية القومية. وفى هذا السياق ثمة موقفان رئيسيان للفلسطينيين.

الموقف الأول يعارض أى تقسيم لفلسطين الانتدابية، ويمثله الحركات الأصولية التى ترى أن فلسطين هى وحدة واحدة لا تتجزأ، لا يجوز تقسيمها، ويتشابه موقف هذه الحركات الأصولية مع موقف اليمين الإسرائيلى المتطرف الذى يؤمن بأرض إسرائيل الكاملة، التى لا يمكن التنازل عن أى جزء منها وإن كان يتعارض كل منهما فى دعوى حقه فى الأرض.

والموقف الثانى يمثله تيار الوسط الفلسطينى الذى يؤيد إقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيلية من خلال التوصل إلى تسوية سياسية عادلة للقضية الفلسطينية، ويرى «أسعد غانم» المحاضر فى دائرة العلوم السياسية فى جامعة حيفا أن فكرة الدولة ثنائية القومية هى أكثر واقعية من فكرة الدولة القومية، على اعتبار أن الدولة الفلسطينية فى الضفة الغربية والقطاع لا يمكن تحقيقها فى ظل حكومة الليكود اليمينية، بالإضافة إلى أن الواقع فى فلسطين الانتدابية هو واقع ثنائى القومية ويذكر «أسعد غانم» أيضا أن ثمة اعتبارات ثلاثة بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين، تضغط فى اتجاه دعم خيار الدولة ثنائية القومية:

الأول أن موافقة إسرائيل على إقامة سلطة فلسطينية فى الضفة وغزة، مشروط بعدم فتح السلطة الوطنية أبواب المناطق الفلسطينية لاستقبال اللاجئين، إذ أن هذا الأمر بالنسبة لإسرائيل سيسهم فى تغيير الميزان الديموجرافى لصالح الفلسطينيين

والثانى أن هؤلاء اللاجئين أخرجوا عنوة من المناطق التى تقوم عليها دولة إسرائيل، ويريدون أن يعودوا إلى ديارهم الأصلية فيها.

والثالث معاناة هؤلاء اللاجئين فى أماكن تواجدهم فى الدول العربية، ومحاولاتهم ايجاد مخرج من هذه المعاناة. لذلك فإن الحل لهؤلاء اللاجئين، وعودتهم إلى ديارهم ممكن فقط فى إطار دولة ثنائية القومية، تقوم على أساس المساواة فى الحقوق والواجبات بين اليهود والفلسطينيين.

ومن جانب آخر يتساءل المحلل السياسى الإسرائيلى «إدى كاوفمان» ماذا تخسر إسرائيل لو أعلنت من جانبها، اعترافها بحق الفلسطينيين فى إقامة دولة لهم، وبدء مناقشة تفاصيل التسوية النهائية معهم؟ و

يذكر المحلل السياسى الإسرائيلى «ميرون بن فيتشنى» «أن الاتفاق على إقامة دولة فلسطينية مستقلة يعتمد على استعداد إسرائيل للتعامل مع الفلسطينيين كشريك مساو ويضيف فى هذا الصدد فيقول: «إن إقامة دولة فلسطينية يمكن أن يبدو بالفعل، فى نظر إسرائيل، حلا كاملا للنزاع، لكنه ليس كذلك بالنسبة للفلسطينيين، وهذا ما يخيف إسرائيل».

ويذهب محلل سياسى إسرائيلى آخر وهو «أهارون مير» إلى القول «إن نظرية الفصل بإقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل، هى خطأ فى الأساس لذلك فإننى أفضل دولة واحدة لكل سكانها» ويرى أيضا أن إقامة دولة واحدة لكل مواطنيها هو الحل العملى، فيقول: «أذكر أننى فى أغسطس ١٩٩٣، قبل أوسلو، بشهر، نشر «سيرى توسيفا» مقالا بالإنجليزية، أيد فيه ضم الضفة الغربية وقطاع غزة إلى إسرائيل على أساس منح حقوق سياسية كاملة لجميع السكان. ويذكر هذا المحلل الإسرائيلى أنه قبل أوسلو ١٩٩٣، بحوالى عشر سنوات التقى «ارزبيتون» بالقيادى الفلسطينى «زياد أبو زياد» وسأله لماذا أنتم متشددون إلى هذه الدرجة فيما يتعلق بمسألة الدولتين؟ فرد عليه «زياد» بقوله: كنا نرغب فى دولة واحدة، لكننا نعرف أن الحديث معكم فى هذا الشأن مستحيل، لأنكم تعتقدون أن من ليس من نبت إسرائيل، فإنه ليس من نبت اليهود، وغير مرغوب بالنسبة لكم، وعليه، فقد فرضتم علينا شعار «دولتان لشعبين»، ونحن لا نريد ذلك.

ويذهب «أهالى مير» مؤيدا إقامة «دولة واحدة لجميع سكانها» على غرار النموذج الأمريكى الفيدرالى فى كل فلسطين، فيرى «أنه يمكن التفكير فى هيكل فيدرالى لفلسطين، بتقسيمها إلى

قطاعات على أساس جغرافى، وليس على أساس عرقى أو ديموجرافى، مع انتخاب رئيس على رأس السلطة التنفيذية، إلى جانب سلطة تشريعية، وسلطة قضائية، تكون على قمتها محكمة عليا لشئون الدستور، وأن يكون وضع القدس مشابها لـ(واشنطن دى سى) وذلك بأن يكون فى العاصمة ضواح وأحياء، ذات إدارة مستقلة، مثل حى المائة باب، وحى الشيخ جراح، ويكون لها رئيس بلدية منتخب، يشبه الرئيس المنتخب على مستوى الدولة أو الاتحاد الفيدرالى.

فى حين يرى بعض الباحثين أن خيار «دولة واحدة للجميع» لن يرضى اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل، لأنهم سيقولون «لو كان لابد أن نتنازل عن خصوصيتنا، وعن دولة بها أغلبية يهودية، ففى هذه الحالة، من الأفضل لنا أن نهاجر إلى مكان آخر مثل الولايات المتحدة الأمريكية، فهناك يمكن لنا أن نعيش فى مستوى متميز، ناعمين بأمن شخصى أفضل». وفى هذا الصدد يقول «شلوموجازيت»: إننى أؤيد الفصل بين اليهود والفلسطينيين، وأريد أن أعيش فى دولة أغلبيتها يهودية، وإننى أتمنى أن أصل إلى دولة يهودية لا يعيش فيها عربى واحد». وهذا يكشف بصراحة سعى معظم اليهود إلى أن تكون فلسطين من البحر إلى النهر، لهم وحدهم، لا يشاركهم فيها أحد من الفلسطينيين.

وعلى الجانب الآخر يذهب الكاتب الإسرائيلى «ميخائيل ولتزر» إلى أن الدولة ثنائية القومية» هى الحل الوحيد فى ظل الظروف الراهنة، وفى هذا النظام الثنائى القومية، يشترط الكثيرون من رجال القانون والسياسة، ضرورة تحقيق المساواة التامة بين جميع السكان فى فلسطين، وتوفير الديمقراطية الحقيقية لجميع المواطنين، وتجنب هيمنة الأغلبية على الأقلية، وتوزيع السلطة بين الجانبين اليهودى والعربى، ومشاركة الفلسطينيين فى الأحزاب السياسية، وإن كانت ثمة صعوبات أمام إمكانية مشاركة الفلسطينيين، خاصة فى المرحلة الأولى، فى مجال السياسة الخارجية، وشئون الدفاع. ولكن هل يمكن للإسرائيليين القبول بدولة ثنائية القومية، وهم يعلمون أن الفلسطينيين فى غضون عشرين سنة أو يزيد، سيصبحون أغلبية فى فلسطين؟ هذا كما ذكرنا من قبل، هو الخطر الديموجرافى الذى يخشاه الإسرائيليون، فهم يرونه السلاح البشرى الذى يقضى على دولة

إسرائيل، وينهى المشروع الصهيونى غير أنه فى ظل خريطة الطريق التى تؤيدها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى، والأمم المتحدة فإن الخيار العملى والمقبول هو إقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيلية.

أما وضع القدس فى إطار قيام دولتين لشعبين، فهناك خياران رئيسان طرحهما عالم التاريخ الإسرائيلى «إيلى برنافى».

الأول أن تظل القدس مدينة مفتوحة أمام أصحاب العقائد، مع وجود بلدية يهودية، وأخرى فلسطينية، تشرف عليهما بلدية عليا، يكون أعضاؤها من اليهود، والفلسطينيين، وعلى إسرائيل أن تختار لها عاصمة أخرى، ولتكن تل أبيب، وتبقى رام الله عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة.

والخيار الثانى للقدس، أن تكون عاصمة للدولتين، بعد تقسيمها بينهما بحيث يكون لإسرائيل فيها النصيب الأكبر، وأن يمارس كل من اليهود والفلسطينيين سيادتهما على الأماكن، والأحياء، والمقدسات الخاصة بكل منهما، على أن تكون هناك بلدية يهودية، وأخرى فلسطينية، وبلدية عليا مشتركة، تتولى الإشراف على البلديتين الفرعيتين، وهذا الخيار، ما ترفضه إسرائيل لأنها تريد القدس كلها واللافت للانتباه إن إسرائيل تشترط لإقامة دولة فلسطينية، أن تكون منزوعة السلاح، ومجردة من أية أسلحة رئيسية مثل الدبابات والصواريخ، ويكتفى فقط بأسلحة دفاعية، مع حظر إنتاجها لأى سلاح، وعدم امتلاكها لجيش نظامى، ويسمح فقط بقوات للشرطة لحفظ الأمن الداخلى والنظام العام، وليس لها الحق فى عقد اتفاقات أو تحالفات عسكرية مع أى دولة أخرى، أى أن إسرائيل تريد للفلسطينيين دولة ناقصة السيادة، يسهل السيطرة عليها، والهيمنة على مقدراتها لتكون تابعة لها - وفى الختام يمكن القول إن حافظة التاريخ لا تنسى قرار التقسيم رقم ١٨١، ولا القرار ٢٤٢، ولا اتفاق أوسلو ١٩٩٣، ولا المفاوضات الكثيرة اللاحقة، لأنها لا تسقط بالتقادم، لذلك فإن السؤال الذى يطرحه العالم على إسرائيل بوصفها الطرف الأقوى والمسيطر، هو هل تقبل من جانبها إقامة دولة واحدة للجميع، يهودا وفلسطينيين فى فلسطين كلها، أم دولتين لشعبين يتوقان للعمل سويا من أجل السلام والأمن؟ أم لا يزال الطريق مخضبا بالدماء؟

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

عدة المتوفى عنها زوجها

● أرسلت السيدة/ س.ع.ف:

توفى زوجى وأنا حامل، وبعد شهر من الوفاة وضعت مولودى وتقدم لخطبتى أحد اقاربى، ودار نقاش عن صحة هذه الخطبة، فأنا أعلم أننى لابد أن أنتظر حتى مرور أربعة أشهر وعشرة أيام ولكن قريبى هذا يقول: إن العدة تنتهى بوضع الحمل، أرجو إفادتى بالحكم الشرعى.

●● الجواب: عدة المرأة التى توفى عنها زوجها اذا كانت حاملا تنقضى بوضع الحمل قلت المدة أو كثرت، وتحل عند ذلك للأزواج، وهذا مذهب جمهور الفقهاء، وقد استدلوا على ذلك بعموم قوله تعالى:

﴿ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾

(الطلاق: ٤)

وهذه الآية مخصصة لعموم قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾

(البقرة: ٢٣٤)

ومن السنة بحديث أم سلمة - رضى الله عنها: أن امرأة من أسلم يقال لها سبيعة كانت تحت زوجها، توفى عنها وهى حبلى، فخطبها أبو السنابل بن بعكك فأبت أن تنكحه، فقال: والله لا يصلح أن تنكحيه حتى تعتدى آخر الأجلين، فمكثت قريبا من عشر ليال ثم نفست، ثم جاءت النبى ﷺ وآله وسلم فقال: «انكحى» متفق عليه.

وورد عن عمر، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وأبى هريرة، رضى الله عنهم، أنهم قالوا فى المتوفى عنها زوجها: إذا ولدت وزوجها على سريره جاز لها أن تتزوج.

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى جمهورية مصر العربية

خطبة الجمعة

● ورد من السيد/ م.ع.ع:

عدت من سفرى بعد عدة سنوات، وفى اول جمعة بعد عودتى من السفر وأثناء الاستماع لخطبة الجمعة رآنى أحد الأصدقاء الأوفياء فأتى إلىّ وصافحنى وربت على كتفى بحرارة شديدة، فلم أستطع إلا مبادلته المصافحة والتحية، واعلم أن: من مس الحصى فقد لغا، ومن قال لأخيه صه والإمام يخطب فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له، وإنى أتسال هل أعيد الصلاة أم أكون فى حكم المضطر؟

●● الجواب: الكلام أثناء خطبة الجمعة حرام عند جمهور الفقهاء غير أنه لا يبطل الجمعة، ومعنى قوله ﷺ: «ومن لغا فلا جمعة له» أى لا جمعة له كاملة فينقص كلامه هذا من ثواب جمعته لا أنها باطلة، لأنهم اجمعوا على أن فرض الجمعة يسقط حينئذ، ولا إعادة عليه.

على أن بعض العلماء قد خصص الحديث برد السلام وتشميت العاطس، وصرح الإمام الشافعى فى مختصر البويطى بجواز ذلك فقال: «ولو عطس رجل يوم الجمعة فشمته رجل رجوت أن يسعه لأن التشميت سنة، ولو سلم رجل على رجل كرهت ذلك له ورأيت أن يرد عليه لأن السلام سنة ورده فرض»، وقال الإمام النووى فى المجموع: إنه الأصح، وحكى الترمذى ذلك - ايضا - عن الإمام أحمد وإسحاق، ولكن ينبغى على هذا القول أن يقتصر على رد السلام دون المصافحة وغيرها مما يزيد على ذلك.

المسلمون على شروطهم

● ورد من السيد ع.ر.خ:

أقرضت أحد أصدقائى مبلغ (ألف دولار أمريكى) واتفقنا فى ذلك الوقت أن استرداد المبلغ بالجنيه المصرى وكان سعر الدولار فى

ذلك الوقت (ثلاثة جنيهات ونصف) فيكون المستحق لى ثلاثة آلاف وخمسمائة جنيه واتفقنا أن أخاه سيقوم بالدفع بعد سفره بشهر على خمسة أقساط، وسافر صديقى ولم يسدد شقيقه لى سوى ألف جنيه وعند عودة صديقى من السفر علم بأن شقيقه لم يعطنى سوى ألف جنيه فقط، فاعتذر لى وشكرنى كثيرا ودفع لى مبلغ ألفين وخمسمائة جنيه.

وإنى أتساءل: أليس من حقى أن آخذ المبلغ المتبقى بسعر الدولار اليوم، علما بأننى انتظرته كثيرا وسعر الدولار وقت حضوره من السفر يعادل ضعف سعره وقت الاقتراض؟

●● الجواب: ما دام قد تم الاتفاق على أن يكون السداد بما يعادل قيمة الدولار من الجنيه المصرى وقت الاقتراض وهو ٣٥٠٠ جنيه فإن المقرض لا يستحق سوى ذلك، ولو قل سعر الدولار عن ذلك لكان المقترض ملزما بدفع المبلغ المتفق عليه فكذلك إذا زاد سعره لأن الغنم بالغرم، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾

(المائدة: ١)

وروى الترمذي عن عمرو بن عوف رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ وآله وقال: «المسلمون على شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا» وصححه الترمذى لكثرة طرقه وصححه ابن حبان والحاكم من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه.

وعلى ذلك فليس للمقرض أن يأخذ ما تبقى من دينه بسعر الدولار اليوم، بل بالسعر المتفق عليه.

الدعاء للميت

● ورد من السيد د/أ.أ.م:

ما رأى الدين فى إلقاء خطبة أثناء دفن الميت فى المقابر بصوت عال ثم بعد ذلك تذكير الميت بعد إتمام الدفن والدعاء له والتأمين بصوت عال؟ وهل يتعارض ذلك مع وجوب الصمت أثناء التشييع للجنازة؟

●● الجواب: الصمت عند الجنازة إنما هو عند تشييعها، قال الإمام النووى رحمه الله: واعلم أن الصواب ما كان عليه السلف من السكون حال السير مع الجنازة، فلا يرفع صوت بقراءة ولا ذكر ولا غيرهما لأنه أسكن لخاطره وأجمع لفكره فيما يتعلق بالجنازة وهو المطلوب فى هذا الحال. أ. هـ.

أما الوقوف على القبر بعد دفن الميت والدعاء له فهو من السنة، لما رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد عن عثمان - رضى الله عنه - قال: كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل» وروى مسلم عن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - أنه قال: «إذا دفنتمونى فأقيموا بعد ذلك حول قبرى ساعة قدر ما تنحر جزور ويفرق لحمها حتى أستأنس بكم وأعلم ماذا أراجع رسل ربى».

ويسن تلقين الميت بعد الدفن لما روى عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحكيم بن عمير - وهم من قدماء التابعين من أهل حمص - قالوا: إذا سوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه كانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره: يا فلان قل لا إله إلا الله اشهد أن لا إله إلا الله، ثلاث مرات، يا فلان قل ربى الله ودينى الإسلام ونبيى محمد ﷺ، ثم ينصرف» رواه سعيد بن منصور فى سننه.

وروى عن أبى أمامه الباهلى - رضى الله عنه - قال: إذا أنا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نصنع بموتانا، أمرنا رسول الله ﷺ فقال: «إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يستوى قاعدا، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله، ولكن لا تشعرون، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما، فإن منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته! ويكون الله تعالى حجته دونهما «فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ قال: «ينسبه إلى أمه حواء: يا فلان ابن حواء» رواه الطبرانى وابن شاهين وغيرهما، قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله: وإسناده صالح وقد قواه الضياء فى أحكامه.

وقال الإمام النووى فى الروضة، والحديث الوارد فيه ضعيف، لكن أحاديث الفضائل يتسامح فيها عند أهل العلم من المحدثين وغيرهم وقد اعتضد هذا الحديث بشواهد من الأحاديث الصحيحة، كحديث «اسألوا له التثبيت» ووصية عمرو بن العاص - رضى الله عنه - ولم يزل أهل الشام على العمل بهذا التلقين من العصر الأول وفى زمن من يقتدى به. أ.هـ وقد قال تعالى:

﴿ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

(الذريات: ٥٥)

وأحوج ما يكون العبد إلى التذكير فى هذا الحال.

وقال ابن القيم - رحمه الله - فى كتاب الروح: جرى عليه عمل الناس قديما وإلى الآن، والحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به فى سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار كاف فى العمل به، وما أجرى الله - سبحانه وتعالى - العادة قط بأن أمة طبقت مشارق الأرض ومغاربها وهى أكمل الأمم عقولا وأوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك لا ينكره منها منكر، بل سنه الأول للآخر ويقتدى فيه الآخر بالأول. أ.هـ.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ترسل الاستفتاءات إلى العنوان التالى: مجلة الأزهر - مدير التحرير - بريد رابعة العدوية - مدينة نصر

الإسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

أشرق الإسلام بدعوته المتكاملة، وقوانينه العادلة فأخذ بيد المجتمعات البشرية الحائرة، إلى طريق الأمن والاستقرار وحياة الحق والخير والإصلاح واهتدى الناس على يد صاحب الرسالة وخاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه. فقد جاءهم بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجاءهم برسالة اشتملت على كل ما فيه سعادة الفرد والجماعة فى الدين والدنيا والآخرة.

وقد تخبطت الإنسانية فيما قبل الإسلام من مجتمع وثنى تخيم عليه الجهالة والضلالة إلى آخر يطفح بالظلم والعدوان ومن موقع يصلى الناس فيه بطش الأقوياء والمستبدين، وآخر تتسلط فيه الأهواء والوساوس.

وهكذا ظلت دنيا الناس.. ردحا من الزمن تسير خبط عشواء لا قوانين عادلة تحكمها، ولا أخلاق فاضلة تكفكف من غلوائها ولا ضمير يهدئ المشاعر، ولا كتاب ولا دعوة.

فقانونهم هو قانون الغاب، ويل للضعيف فيه من القوى، وأخلاقهم يسودها الاستعلاء و«اللا إنسانية» فويل للفقير من الغنى، ولا يقتصر الأمر فى ذلك على أهل كل موقع أو بلد، أو حى أو قبيلة، وإنما امتدت هذه الحياة القاتمة الظالمة إلى كل صقع، وتسربت فى كل فجاج الحياة الجاهلية المسفة.

فعلاقات البلاد ليست أحسن حالا من علاقات الأفراد وعلاقات الدول ليست أخف وطأة مما ترزح تحته البلاد والمجتمعات فترى الحرب تشن لأتفه الأسباب وترى الغارات بين الحين والآخر.

وهكذا، لا علاقة إنسانية بين الأفراد والمجتمعات، ولا علاقة دولية بين دول وأخرى، فكل وشائج الصلة الإنسانية مبتورة، وكل العلاقات الدولية فى ذلك الحين تصرخ بالغارات.. وتحترق بالبطش والزحف والعدوان.

وظلت الحياة هكذا، إلى أن بعث الله رسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا فجاء الرسول صلوات الله وسلامه عليه بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فدعا الناس إلى ربهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور ومن قانون الغاب إلى قانون العدل الإلهى الذى لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.. ومن حياة الجاهلية المظلمة إلى حياة الإسلام الوارفة الظلال الآمنة المطمئنة. فوضح الحق من الباطل والخير من الشر، وأنار لهم معالم الطريق.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾(١).

قواعد أصيلة

أرسى الإسلام قواعد أصيلة للعلاقات الدولية بين الدول بعضها مع بعض، وبين الأمم والشعوب.

وأول قواعد هذه العلاقات الدولية «الوحدة» بين المسلمين القائمة على التعارف والتآلف، وأساسها الإيمان بالله وثمرتها تقوى الله سبحانه وتعالى.

وقال الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(٢)

وقال جل شأنه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾(٣).

ومن قواعد العلاقات الدولية الثابتة «السلم» ففى ظله تتمكن الوحدة من القيام، وفى جوه يتمكن الأفراد والجماعات من التعارف والتآلف والتآزر والتعاطف.

قال الله تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(٤).

والإسلام فى دعوة الناس إلى الحق، لم يتخذ الحرب وسيلة للنشر والتبليغ والإرشاد، وإنما اتخذ الحكمة والموعظة الحسنة.

قال الله سبحانه:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(٥).

---

(١) الأنعام: ١٥٣.
(٢) الحجرات: ١٣.
(٣) النساء: ١.
(٤) الأنفال: ٦١.
(٥) النحل: ١٢٥.

وبين سبحانه أنه لا إكراه فى الدين .. قال تعالى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾(٦).

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(٧).

وفى حالة الحرب، نرى أن الإسلام لا ينادى بالحرب إلا إذا امتدت يد الأعداء وقوتل المسلمون.

قال سبحانه:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾(٨).

وقال جل شأنه:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(٩).

ومن أهم القواعد الأصيلة فى العلاقات الدولية: الوفاء بالعهد.

وقال سبحانه:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(١٠).

قال الله تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾(١١)

وفى الصحيحين عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به».. وقال صلوات الله وسلامه عليه: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم».. فذكر منهم: «ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفى له وإلا لم يف له» فالغدر محرم فى علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، وفى علاقة الدول بعضها مع بعض ويصور القرآن الكريم أهمية الوفاء بالعهد، بل إن القرآن يعد خروج الناس عن عهودهم ومواثيقهم، وعدم الالتزام بها خروجا من الإنسانية وهبوطا إلى المستوى الحيوانى، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾(١٢).

---

(٦) البقرة: ٢٥٦. (٧) يونس: ٩٩.
(٨) الحج: ٣٩، ٤٠. (٩) البقرة: ١٩٠.
(١٠) النحل: ٩١. (١١) الإسراء: ٣٤.
(١٢) الأنفال: ٥٥ ـ ٥٨.

وللإسلام فضل السبق على سائر الأمم، وعلى شتى النظم الحديثة والقوانين الوضعية والدول المتقدمة التى تنادى بحقوق الإنسان، وبالعلاقات الدولية.

لقد كان للإسلام الفضل فى معاملة الأسرى، وفى معاملة المبعوثين والموفودين والعيون وما إلى ذلك.

لا ضرر ولا ضرار

ومما يجدر مراعاته والحفاظ عليه، أن تلك العلاقات ينبغى ألا يلحقها ضرر فلا تكون علاقة دولة بدولة أخرى فيما لا يتفق ومبادىء الإسلام، أو أن يترتب على علاقة ما أن تتسرب بعض الرذائل، أو تفتح بعض الثغرات للمحاكاة والتبعية والتقليد.

فواجب الأمم أن تحافظ على الإسلام فى سائر علاقاتها ومعاملاتها وبحيث لا يكون هناك ضرر ولا ضرار.. وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار» رواه ابن ماجه والدارقطنى.

وهذه قاعدة هامة وثابتة، من أهم القواعد الإسلامية فى العلاقات أنها تكفل الحياة المستقرة الآمنة والمعيشة الهادئة السعيدة، وتحرم كل ما يلحق بالإنسان أو المجتمع أو الدولة ضررا ما من الأضرار فى الدين أو فى النفس أو فى المال أو فى الصحة أو فى العرض وما إلى ذلك.

لقد جاء الإسلام بقوانين عادلة وأحكام فاصلة فيها سعادة البشرية دنيا وأخرى، وفيها الخير والأمان والنفع العام والإصلاح التام.

وكيف لا وهو الدين الذى أصلح به حياة الأفراد والجماعات والأمم والشعوب وهذب معاملاتهم ورفعها من وهدة المادية إلى الحياة الطيبة الكريمة التى تشرق فى جوانبها القيم الروحية، والمبادىء الفاضلة، ورفع الإسلام من القيمة الإنسانية فليس لأحد أن يستذل غيره، وليس لدولة أن تستعبد دولة أخرى فإن تاج الكرامة الذى ألبسه الإسلام للإنسانية ما كانت لتتخلى عنه، أو تخلعه إلا عندما تنخلع هى من قيم هذا الدين الخالد العظيم.

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(١٣).

وقال سبحانه:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٤).

هذا ومن حاول أن يلحق بأخيه المسلم ضرراً، أو حاولت دولة أن تلحق بدولة أخرى

---

(١٣) الإسراء: ٧٠. (١٤) المنافقون: ٨.

ضرراً، أو تشق عليها في أمر من الأمور أو شأن من الشئون لقي جزاء عمله إن كان فردا أو كان مجتمعاً أو دولة فجزاؤها عام.

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾(١٥).

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «لا ضرر ولا ضرار من ضار ضره الله ومن شاق شاق الله عليه».. رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد علي شرط مسلم.

والحياة مليئة بأنواع الضرر وأمثلته كثيرة فالضرر بالصحة بشرب المحرمات والمخدرات والترويج لها، والضرر بالمال وتبذيره في غير الوجوه المشروعة أو أكله بالباطل بالجملة فكل ضرر يلحق الفرد أو المجتمع من الغير فالقائم بهذا الضرر والمتسبب فيه ملعون، عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال: «ملعون من ضار مؤمناً أو مكر به» رواه الترمذي.

ومن الضرر ما يكون ماديا ومنه ما يكون معنويا، ومن الضرر ما يتصل بسلوك الإنسان ومحاولة فتنته وإفشاء سره، أو المكر به، وغير ذلك من الأمور.

علاقات مصونة

والإسلام حين نادى بالعلاقات وعمل على توحيد الأفراد والجماعات والأمم والشعوب وأمر الله تعالى بقوله:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(١٦)

فإنه قد جعل هذه العلاقات في شتى صورها مصونة من الانحراف بها، أو البعد عن الحق ومجافاة الصواب.

لقد حذر الإسلام من موالاة المنافقين وأعداء الدين وأخذ الحيطة في العلاقات أو المعاملات التي تتصل بهم، فأولى بالمسلمين أن يصونوا علاقاتهم عن كل دنس أو انحراف أو ريبة.

وإذا تصفحنا دستورنا الخالد وكتاب ربنا الحكيم، نجد أنه قد أسس قوانين عادلة محكمة لمثل هذه العلاقات والمعاملات وجعلها علاقات مصونة من الوقوع في الخطأ، أو التوحل في الريبة، كما جعلها مصونة أيضا من أن تهضم حقوق هؤلاء، أو أن يظلموا مع أنهم على غير الإسلام، فالإسلام لا يقر المسلمين على قتال من كان بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق، إذا كانوا مسالمين محايدين: وتلك سمة واضحة في سماحة هذا الدين الحنيف حتى تطلع الأمم والدول الأخرى على عظمة الإسلام وعدالة قوانينه وسماحة مبادئه.

وإن ديناً له مثل هذه المثل العالية، والمبادئ المحكمة لجدير بأن يتبع وجدير بأن تكون له السيادة والحاكمية فلا يحكم إلا بكتاب الله

(١٥) الأنفال: ٢٥.

(١٦) آل عمران: ١٠٣.

الأزهر

وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

ويوم أن يرقى المسلمون وتكون كلمتهم هي العليا، ولا قانون إلا القانون السماوي العادل يوم أن يأمن الناس جميعا على أنفسهم وأموالهم ودمائهم وأعراضهم وتنتشر الأمانة ويشيع السلام في الأرض.

قال الله تعالى:

﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾(١٧)

وهاهو القرآن الكريم يصون العلاقات من الريبة في جانب المسلمين ومن وقوع الظلم على غيرهم، يصونها حين يكون هناك ميثاق وعهد، وحين لا يكون هناك ذلك يصونها وقت السلام ويوجه المسلمين إلى واجبهم وقت الحرب إلى غير ذلك من الأمور الهامة والمبادئ المحكمة في كل ما يتصل بالعلاقات الدولية.

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾(١٨)

هذا هو الإسلام في علاقاته ومبادئه الإنسانية السمحة، فماذا يقول أعداء الإسلام وخصومه؟

إنه لم يدع جانبا من جوانب المعاملات والعلاقات ولا حالة من تلك الأحوال إلا وكانت له قوانينه العادلة ومبادئه الفاضلة التي ترقى بالدول والأمم والمجتمعات والشعوب إلى المستوى الإنساني الرفيع الذي يصبو إليه كل ذي عقل سليم، يرى الخير فيفعله ويرى الحق فيتبعه ولا حق ولا خير إلا في الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا.

قال سبحانه:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٩).

(١٧) الحج: ٤١.

(١٨) النساء: ٨٨ _ ٩١.

(١٩) الروم: ٣٠.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«ما أكفر الإنسان !!»

اقتبس بعض الأدباء من قوله تعالى:

﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾(1).

هذين البيتين:

يتمنى المرء في الصيف الشتا
فـإذا جـاء الشـتـا أنكره
فـهـو لا يرضى بحـال واحـد
قـتـل الإنسـان مـا أكـفـره ؟

«سبحان للتواضع»

إذا رأيت من هو أكبر منك، فقل: سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقال: سبقته إلى الذنوب فهو خير مني.

«إماتة القلوب»

رأيت الذنوب تميت القلوب
ويورثك الذل إدمـانهـا
وترك الذنوب حـيـاة القلوب
وخـيـر لنفسك عـصـيانهـا

«اللهم اغفر»

سمع أبو يعقوب الخريمي منصور بن عمار صاحب المجالس، يقول في دعائه: «اللهم اغفر لأعظمنا ذنبا، وأقسانا قلبا، وأقربنا بالخطيئة عهدا، وأشدنا على الدنيا حرصا» !!

فـقـال له: تحرم على زوجتي إن كنت دعوت إلا لإبليس.

(1) سورة عبس (17)

«ومن ابن أبزى ؟»

روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل أن «نافع بن عبدالحارث» لقي عمر بن الخطاب بعسفان، وكان عمر استعمله على مكة، فقال عمر: من استخلفت على أهل الوادي ؟ فـقـال: استخلفت عليهم «ابن أبزى» فقال: ومن ابن أبزى ؟ فقال رجل: من موالينا، فقال عمر: استخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا أمير المؤمنين: إنه قارىء لكتاب الله، عالم بالفرائض، قاض.

فقال عمر: رضي الله عنه - أما إن نبيكم - ﷺ - قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين».

«احفظ»

احفظ قول الحكيم الذي قال: لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل، وفيما بينك وبين صديقك الرضاء.

وذلك أن العدو خصم تصرعه بالحجة وتغلبه بالحكام، وأن الصديق ليس بينك وبينه قاض، فإنما حكمه رضاه.

«ذلل نفسك»

ذلل نفسك بالصبر على جار السوء، وعشير السوء، وجليس السوء، فإن ذلك مما لا يكاد يخطئك.

«عجبت لك يا بن عباس»

بينما كان الإمام عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما يركب دابته ذات يوم أتاه آت؛ وقال له: عظم الله أجرك يا ابن عباس، لقد مات ولدك، فنزل ابن عباس - رضي الله عنهما - عن دابته، وصلى لله ركعتين، وبعدما فرغ من الصلاة قال له الرجل: عجبت لك يا عبد الله، أخبرك بموت ولدك، فتستقبل الخبر بالصلاة.

فقال له ابن عباس: يا هذا أوما قرأت قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(2).

«حيوان.. يتكلم»

قال الدكتور مصطفى السباعي: من سمع القرآن فلم يخشع، وذكر الذنب فلم يحزن، ورأى العبرة فلم يعتبر، وسمع بالكارثة فلم يتألم، وجالس العلماء فلم يتعلم، وصاحب الحكماء فلم يتفهم، وقرأ عن العظماء فلم تتحرك همته، فهو حيوان يأكل ويشرب، وإن كان إنسانا ينطق ويتكلم.

(2) البقرة (153).

«نصيحة»

إذا سأل الوالى غيرك فلا تكونن أنت المجيب عنه، فإن استلابك الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسئول والسائل.

«حقاً»

تموت الأسد فى الغابات جوعاً
ولحم الضأن تأكله الكلاب

«الحسن وعائشة بنت طلحة»

قال الحسن بن على بن حسين لامرأته عائشة بنت طلحة: أمرك بيدك! فقالت: قد كان عشرين سنة بيدك فأحسنت حفظه؛ فلم أضيعه إذ صار بيدى ساعة واحدة وقد صرفته إليك! فأعجبه ذلك منها وأمسكها.

«بين معاوية وشريك بن الأعور»

دخل شريك بن الأعور على معاوية وهو يختال فى مشيته، فقال له معاوية: والله إنك لشريك وليس لله من شريك، وإنك ابن الأعور، والصحيح خير من الأعور، وإنك لدميم، والوسيم خير من الدميم فبم سودك قومك؟

فقال له شريك: والله إنك لمعاوية، وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية وإنك ابن حرب والسلم خير من الحرب. وإنك ابن صخر والسهل خير من الصخر. وإنك ابن أمية، وما أمية إلا أمة صغرت فسميت أمية، فكيف صرت أمير المؤمنين؟ فقال معاوية: أقسمت عليك إلا ما خرجت عنى فخرج وهو يقول:

أيشتمنى معاوية بن حرب
وسيفى قاطع ومعى لسانى
وخلفى من بنى عمى ليوث
ضراغمة تحن إلى الطعان

«صولة الحق»

صولة الحق فى ساعات تقضى على انتصار الباطل فى سنوات.

«دعاء»

اللهم إنا إليك محتاجون فأعطنا، وعن الطاعة عاجزون فأقدرنا، وهب لنا قدرة على طاعتك، وعجزاً عن معصيتك، واستسلاماً لربوبيتك، وصبراً على أحكام إلهيتك، وعزاً بالانتساب إليك، وراحة فى قلوبنا بالتوكل عليك.

حسن المعاملة فى الإسلام

لفضيلة الشيخ:
عادل رفاعى خفاجة

إنه لمن الإنصاف أن نقول: إن الإسلام هو الدين الذى يدعو إلى حسن معاملة الجميع، وأن تعاليمه السمحة جعلت من حسن المعاملة منهاج حياة يضم الجميع فى إطار من الود والحب.

وتلك المعاملة لا يجعلها الإسلام وقفاً على معتنقيه فحسب وإنما يريدها خيراً يعم كل البشر.

بل يتعدى الجنس البشرى ليشمل الطيور والحيوانات والنباتات والبيئة المحيطة بهم.

لذلك فلم يترك الإسلام مسألة حسن المعاملة عند حد الحث أو الطلب، بل قرنها بالإيمان.

فقال - ﷺ -: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(١) ومن هنا يتضح أن بداية المعاملة الحسنة فى الإسلام إنما تبدأ أساساً من الضمير الذى لا يطلع عليه أحدٌ إلا الله - سبحانه وتعالى - لذلك كان الحث على أن نحب للآخرين ما نحب لأنفسنا وهل يحب أحدٌ لنفسه أن يُخدع أو يُظلم؟!

فإن أذعن المؤمن لأمر ربه، وأحب لأخيه ما يحب لنفسه، فهل نجد بعد ذلك من مظلوم أو مغبون؟!

(١) البخارى / كتاب الإيمان / باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

ولما كان الأمر بالحب أمراً مجملاً، فقد جاء التفصيل، حتى لا يقف البعضُ عند مجرد العاطفة، أو التمنى لأن الإسلام دين عمل ينتظر من معتنقيه أفعالاً جادة، ففصل الأمر بالحب في نقاط شتى وهو ما يرسم – بحق – منهاجاً شاملاً للمعاملة الحسنة فى الإسلام.

فنراه يأمر أتباعه بمعاملة الآخرين ببشاشة لقوله ﷺ: «تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة»[2] وإذا كان أول اللقاء حاكمه الحب، ودلالته التبسم فلابد أن يكون الحديث بعد اللقاء من نفس المعين لقوله تعالى:

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[3].

وقوله ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»[4] ولأهمية الأفعال، فإن الإسلام لا يقف عند حد الابتسام وإلقاء السلام والكلام الطيب، لتوكيد أواصر المحبة عند الناس، وإنما يأمرهم – أيضاً – بفعل الخيرات، قال تعالى:

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[5].

ومن أقوال الرسول – ﷺ –:

● «من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته»[6]

● «والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»[7]

● «خير الناس أنفعهم للناس»[8]

ويأمرهم أن تطابق أفعالهم أقوالهم، بل ويحذرهم تحذيراً شديداً من مغبة الوقوف عن حد الكلام الحسن الجميل الذى لا يعضده العمل، حيث قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[9]

وتحظى حسن معاملة الوالدين بالنصيب الأوفر من اهتمام الإسلام لما تنضوى عليه من وفاء واجب

يقول الحق تبارك وتعالى:

(٢) سنن للترمذى / كتاب البر والصلة / باب ما جاء فى صنائع المعروف.

(٣) البقرة /٨٣.

(٤) مسند الإمام أحمد / كتاب باقى مسند المكثرين / باب مسند أبى هريرة.

(٥) البقرة / ٢٧٢.

(٦) صحيح مسلم / كتاب البر والصلة وباب تحريم الظلم.

(٧) صحيح مسلم / كتاب الذكر والدعاء.

(٨) مسند الشهاب ج٢ / ٢٢٣.

(٩) الصف / ٢، ٣

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[10].

وقد أجاد أمية بن أبى الصلت حين صور هذه العلاقة التى تربط الأب بصغيره وما ينتظره منه عند كبره وحاجته إليه فى قصيدة رائعة مطلعها:

غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً
تعل بما احنى عليك وتنهل
إذا ليلة نابتك بالشكو لم
ابت لشكواك إلا ساهراً اتململ
كانى انا المطروق دونك بالذى
طرقت به دونى فعيناى تهملُ

ومن عظمة الإسلام أن جعل حسن معاملة الوالدين ثابتة حتى لو كانا كافرين، فقال تعالى:

﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[11].

وفاءً لما بذلاه من جهدٍ وعناء فى تربية أبنائهما.

وتنال معاملة النساء فى الإسلام قدراً متميزاً من الرعاية والتقدير، حيث جعل حسن معاملة النساء مقياساً لخيرية المؤمنين.

وهو ما نراه واضحاً فى قول الرسول الكريم «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم خلقا»[12]

وليس حسن المعاملة مقصوراً على ذوى القرابة، بل يحض الإسلام أتباعه على بذل الخير وعمل المعروف لجميع أبناء المجتمع، حتى ولو كان ذلك المعروف مجرد طلاقة الوجه عند اللقاء. وهو ما يبدو فى قوله ﷺ: لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلقٍ»[13]

وينتقل الإسلام إلى درجة أعلى من درجات الرقى فى التعامل وحسن المعاملة حيث يطالب بالصفح عن المخطىء والإحسان إليه. حيث يقول الله – تبارك وتعالى:

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[14].

ويؤكد على ضرورة التزام التقوى والعدل، وذلك أن النفس البشرية التى لم تتشرب حلاوة الإيمان يصعب عليها الإحسان لمن أساء إليها لذلك نجد التوجيه الإلهى يحث المؤمنين – فى حالة عدم

(١٠) الإسراء (٢٣، ٢٤).

(١١) لقمان (١٥).

(١٢) سنن الترمذى / كتاب الرضاع / باب ما جاء فى حق المرأة على زوجها.

(١٣) صحيح مسلم / كتاب البر والصلة والآداب / باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(١٤) فصلت / ٣٤.

مقدرتهم أن يحسنوا إلى من أساء إليهم - أن يلتزموا العدل.

فنجد القرآن يؤكد على هذه القضية فيقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[١٥].

وتتجلى روعة الإسلام في عدم التفريق بين أتباعه وبين مخالفيه.. حيث يأمر بالحفاظ على أموالهم وأعراضهم والبعد عن كل ما يتسبب في ظلمهم وهو ما نلمسه بوضوح في قول الرسول الكريم «من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئاً منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[١٦].

لقد أثمرت تلك التعاليم الإسلامية السمحة عند سلفنا الصالح، فقد روى مجاهد قال: كنت عند عبدالله بن عمر وغلام له يسلخ شاةً، فقال: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مراراً. فقال الخادم: كم تقول هذا؟! فقال له: إن رسول الله - ﷺ - يقول: مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت إنه سيورثه»[١٧].

هكذا كان حرص ابن عمر ليطمئن على اليهودي قبل غيره من الجيران مخافة أن يظن الغلام أنه سيستثنيه من حق الجوار ليهوديته.

إن حسن معاملة الجار ثابتة سواء كان الجار مسلماً أم غير مسلم.

وقد جعل النبي - ﷺ - حسن معاملة الجيران مقياساً لمنزلة المؤمن عند الله.

فقد روى عبدالله بن عمر قال: قال رجل: «يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت؟ قال: إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أساءت».

أليس في ذلك ما يدفع كل إنسان أن يتقي الله في جاره فيحسن معاملته طمعا في أن ينال عند الله خير منزلة؟!

والإسلام يدعونا إلى مخاطبة أهل الكتاب ومجادلتهم بأفضل أساليب الجدال، فالعلاقة القائمة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب لا يحكمها سوى حسن المعاملة لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[١٨]

ولأن المسلمين لا يتخذون المخالفين لهم في العقيدة أعداء منذ بداية الدعوة فقد أرسل النبي - ﷺ - أتباعه إلى الحبشة، لأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهو ما حدث بالفعل حيث أعطاهم الأمان وأكرم وفادتهم،

(١٥) المائدة / ٨.

(١٦) سنن أبي داود / كتاب الخراج والإمارة والفيء باب تعشير أهل الذمة.

(١٧) سنن الترمذي ج٤ ص٢٢٢ (١٨) العنكبوت / ٤٦.

برغم اختلاف العقيدة.

هذا جانب من جوانب حسن المعاملة بين المسلمين ثم بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى، وهو جانب مشرق بفضل الله تعالى.

ولكي نعلم أن حسن المعاملة مطلب أساسي في الإسلام لا تفرضه ظروف أو تمليه مصلحة نجد أنه يتوجه إلى المسلمين بضرورة اتباع نفس المنهج مع باقي الكائنات الحية الأخرى، فنجده - ﷺ - يقول: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، لا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلا»[١٩].

ولما سئل رسول الله - ﷺ - عن ثواب إحسان المرء إلى دابته أو إلى البهائم هل يثاب عليه أم لا؟

فقال - ﷺ -: «في كل ذات كبد رطبة أجر»[٢٠] وعن مالك بن سعيد أن رسول الله - ﷺ - رؤي وهو يمسح وجه فرسه بردائه، فسئل عن ذلك فقال: عوتبت الليلة في الخيل»[٢١].

وعن أبي هريرة عن النبي - ﷺ -: «أن رجلا رأى كلبا يأكل الثرى من العطش فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه فشكر الله له فأدخله الجنة»[٢٢].

وإذا كانت أحدث النداءات في القرن الحالي هي المطالبة بالحفاظ على البيئة، وعدم تلويثها بحرق المخلفات، مما يتسبب في زيادة الغازات السامة في الجو فيؤدي إلى ضرر - واقع لا محالة - ببعض المرضى، فإن الإسلام نادى بمعاملة البيئة معاملة حسنة وعدم الإساءة إليها دفعاً للأذى عنها وبالتالي عن الإنسان، وهو ما يندرج حديثاً تحت ما يسمى «الحفاظ على البيئة».

فمن صور حرص الإسلام على عدم تلويث البيئة والحفاظ عليها نظيفة خالية من الأذى:

تحذيره - ﷺ - من التبول في الماء الراكد أو الأماكن الظليلة.

لقوله - ﷺ -: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه»[٢٣].

وفي شرح النووي لهذا الحديث ذكر عدة وجوه لإعراب (يغتسل) نقلاً عن الشيخ أبي عبدالله بن مالك - رضي الله عنه - ثم قال: وأما النصب فلا يجوز لأنه

(١٩) صحيح مسلم / كتاب التوبة / باب في سعة رحمة الله وإنها سبقت غضبه.

(٢٠) البخاري / كتاب: الأدب / باب: رحمة الناس والبهائم.

(٢١) موطا مالك ج٢ / ٤٦٨.

(٢٢) البخاري ج١ ص٧٥

(٢٣) صحيح مسلم / كتاب الطهارة / باب النهي عن البول في الماء الراكد.

يقتضى أن المنهى عنه الجمع بينهما دون إفراد أحدهما، وهذا لم يقله أحد، بل البول فيه منهى عنه، سواء أراد الاغتسال فيه أو منه أم لا[24].

وفى قوله - ﷺ -: «من أحيا أرضاً ميتة فهى له»[25] ما يشجع على استزراع الصحراء والحفاظ على البيئة، وفى ذلك صورة من صور حسن المعاملة للبيئة.

ومما ورد فى كثير من وصايا أمراء المؤمنين لقادة جيوشهم وجنودهم أنهم إذا فتح الله عليهم أرضا فلا يقطعوا شجراً ولا نخيلا وفى ذلك نوع من حسن المعاملة للبشر وللنبات فى آن واحد.

ولعل ما يلزم المسلم الحاج من تحريم اقتلاع الزرع أو كسر الأشجار أو صيد الطيور دلالة على ضرورة المحافظة على مفردات البيئة من حولنا ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً حتى نضمن ذلك التوازن المنشود بين أفراد هذا الكون سواء العاقل منها أو غير العاقل.

وذلك لمصلحة الانسان الذى جعله الله مستخلفاً فى الأرض.

من هذه العجالة عن حسن المعاملة فى الإسلام يمكننا أن نقول: إن تكريم الله للإنسان يجعل حسن المعاملة من أهم الحقوق التى يجب أن يحصل عليها، فهى أفضل طريق للقضاء على الممارسات القاسية، وصنوف التعذيب التى ابتكرها الإنسان ضد أخيه الإنسان الذى كرمه الله، فلابد أن يعامل على هذا المستوى من التكريم حتى عند توقيع عقوبة ما عليه لخطئه، فلا يجب أن ننسى أن هذا المخطىء إنما هو إنسان كرمه الله.

هذا هو ما شرعه الله فى شأن حسن المعاملة فأين ذلك مما يدعيه المطالبون بحقوق الإنسان فى الغرب؟! وحقوق الإنسان أضيع ما تكون عندهم والشاهد على ذلك ما يصنعونه بأيديهم فى سجون جوانتنامو، ناهيك عما يحدث فى فلسطين تحت سمعهم وأبصارهم من انتهاك صريح لكل حقوق الانسان تتمثل فى الإبادة الجماعية لهذا الشعب الأعزل وتهجير أهله من أراضيه!!

من هنا يبدو الفارق بين ما شرعه الإسلام الحنيف فى شأن حسن المعاملة منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام وبين ما تطالب به القوانين الوضعية الآن!!

ويكفى أن نذكر أن من قوانين الله

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[26]

(24) راجع شرح صحيح مسلم للإمام النووى فى شرح الحديث.

(25) سنن أبى داود، كتاب الخراج والإمارة، باب إحياء الموات.

(26) الإسراء (70).

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

فى عددها الصادر فى شهر ذى الحجة ١٤٢٤هـ - فبراير ٢٠٠٤م، أتحفتنا مجلة «الأزهر» بمقال الأستاذة الدكتورة «زينب صالح الأشوح» تحت عنوان «المرأة المسلمة بين النعم الإلهية، والنقم البشرية».. أثلج صدرنا، وغمرنا بالمزيد من السعادة والسرور، حيث أكد لنا -وبطريقة عملية- صدق رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- الذى لا ينطق عن الهوى حينما قال: «الخير فىَّ وفى أمتى إلى يوم القيامة»[1]. وحينما قال أيضاً: «أمتى كالمطر، لا يدرى أوله خير أم آخره»[2].

والأستاذة الدكتور شغلت كثيرا بالشق الثانى مما حواه العنوان: «النقم البشرية» حتى أوشك هذا الشق أن ينسيها ما حواه الشق الأول «النعم الإلهية»..!! صحيح أن فى ذكر النقم ما يشى بالنعم؛ لكننا فى مجال لا يكفى أن نتوقف عند حدود التلميح بالآراء دون التصريح؛ بخاصة فى مثل هذه القضية المهمة، التى كثر اللغط حولها، وتناثرت فيها الآراء من هنا وهناك منذ عدة عقود من الزمان، حتى خاض فيها الكثير والكثير، ممن يهرفون بما لا يعرفون. وعلت أصواتهم؛ حتى تلاشت -أو كادت- أصوات المخلصين من الكتاب والمفكرين، وسط هذا الخضم الهائل من الضجيج والعجيج، الذى تصبه على أسماعنا وأبصارنا وعقولنا هذه المؤتمرات والندوات والمجامع النسائية؛ العالمية والمحلية، التى يقودها ويغذيها الغرب الصليبى، والشرق الملحد، متعاونين فى ذلك مع الصهيونية العالمية، التى يسوؤها أن تطبق شريعة الله فى أرض الإسلام، لأنها تعلم جيداً -ويحق- أنها عندئذ لن تجد لنفسها مكانا على سطح الأرض إلا فى الكهوف والمغارات.. كما تزكيها، وتعمل على نشرها على أوسع نطاق، منافذنا الثقافية؛ مسموعة ومقروءة ومرئية، تحت عنوانات مختلفة مثل: تحرير المرأة، المرأة العصرية- حقوق المرأة- دور المرأة العصرية.. وغير ذلك مما هو من هذا القبيل من الشعارات التى فقدت معناها؛ لما أدت إليه من محتويات، هى بطبيعتها وحقيقتها ضد المرأة، وحقوق المرأة.. ولما أثارته من حفائظ فى صدور الرجال؛ بعد أن وجد الرجل نفسه فى داخل بيته يخوض حربا شرسة، ضد أمه وأخته وابنته وزوجته؛ وحتى تحولت البيوت التى هى فى الأصل سكن وراحة، وهدوء لأفراد الأسرة إلى ساحة للصراع الشرس بين شقيها؛ الرجل والمرأة..!!

(1) كشف الخفاء ١/ ٤٧٦ (2) القرطبى ٤/ ١٧٢

أقول: الأستاذة الدكتورة، لم تلتفت كثيرا إلى الشق الأول من العنوان، وهو ما تتقلب فيه المرأة «المسلمة» وأعنى «المسلمة» من النعم الإلهية.. أو قل: إن الوقت لم يسعفها -فهى معذورة- كما أن المساحة الممنوحة لمثل هذا المقال، لا تعطيها الفرصة، لتوفية الموضوع حقه على الجانبين معا؛ فلها منا مزيد من الشكر والعرفان، ومن الله المثوبة وحُسن الجزاء، على هذه الغيرة النادرة المثال على منهج الإسلام فى تربية الأسرة، وما يجب أن نحوطه به من الرعاية، وحُسن الفهم، وسلامة التأنى فى معالجة مثل هذه القضية، التى تفتح الباب على مصراعيه ،لكثير من القضايا الأخرى، وتترقف عليها -أو قل تنجم عنها- سلامة المجتمع، ومتانة أواصره، أو انحلاله وتفسخ عناصره. فقضية المرأة وما يثار حولها من قضايا فرعية أو جزئية هى قضية الأم، بكل ما لها وما عليها، وهى كما قال الشاعر الحكيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق

أو كما قال أحد الساسة القدامى:

- «إن الأم التى تهز سرير وليدها بيدها اليمنى، إنما تهز وفى ذات الوقت العالم بيدها اليسرى»..!!

وعلى كل حال، أودّ أن تسمح لنا الأستاذة الفضلى «زينب صالح الأشوح» بأن نضع يدنا فى يدها -عبر صفحات المجلة- لنشد عليها، ونبارك مسيرتها، ونكمل معها الطريق -من خلال مشاركتها الرأى فيما تقول- معترفين لها بفضل السبق، ولها منا مزيد الشكر، ومن الله حسن المثوبة؛ لما صدقت فيه من الآراء، ولما أبدته من الغيرة المستنيرة على بنات جنسها، فكانت شهادتها -وهى من أهلها- إكليلا يتلألأ فوق جبين المرأة المسلمة: المثقفة.. الواعية.. التى لم تلعب برأسها رياح الشهرة والانتساب إلى تلك الفئة الممتازة، من السيدات اللاتى يقمن بواجبهن فى جامعة الأزهر الشريف.

ناقشت السيدة الفضلى «عددا من النقاط المحورية، التى تناولتها الحركات المعاصرة المدعية بأنها تسعى لتحرير المرأة، وللرفع من شأنها، ولتخليصها من ظلم الرجل» فقد ناقشت بوعى وموضوعية وصدق، ما يمكن إجماله فيمايلى:

(١) «الادعاء بعدم وجود فرق إطلاقا بين الرجل والمرأة؛ مما يستدعى تحقيق المساواة بينهما فى الحقوق والواجبات».

(٢) طموح المرأة «للعمل ليس فقط خارج منزلها.. ولكنها أصبحت تسعى أيضا لجميع المجالات، التى يمكن فى كثير من الأحيان أن تضر بتكوينها وتنال من أنوثتها، بل ومن كرامتها أيضا..».

(٣) تجاوز الحركات التحررية «الحدود الحمراء، حين بدأت بعض الأبواق فى

الادعاء بعدم وجود حكم شرعى يلزم المرأة بارتداء الحجاب ادعاء بأن ذلك كان مقصورا على زوجات النبى فقط..».

ناقشت السيدة الدكتورة هذه النقاط المحورية، وما قد يتفرع عنها من نقاط جزئية بتوسع مناسب، يُذكر فيُشكر. وهى كلها نقاط تكاد تقتصر كما قلنا على دراسة «النقم البشرية» التى إن قُدِر لها أن تأخذ مداها دون تيار مضاد يحجّمها، ويردها إلى جادة الصواب، فستكون باباً واسعاً من أبواب الفتن التى تهب على المجتمعات لا تبقى منها ولا تذر. ولتسمح لنا الدكتورة أن نضيف إلى ما قالته بعض النعم -حيث لا يمكن حصرها كلها فى مثل هذا المقال- التى حباها الله إياها، وفضّلها بها، سواء فى ذلك ما فُضّلت به علي بنات جنسها من غير المسلمات، أو ما خُصّت به دون الرجل ذاته، الذى تزعم الزاعمات أنها تريد أن تساوى به فى الحقوق والواجبات.

أولاً: ألا يكفيها أن يحتوى كتاب الله الخالد «القرآن الكريم» ضمن سوره الوضيئة على سورة تسمى «سورة النساء» لكثرة ما تحفل به من حقوق المرأة المسلمة، التى يلتزم بها الرجل حيالها: سواء فى وجوب توفير المسكن والدواء، أو الطعام والشراب، أو الحماية ورعاية حرمتها، أو التأديب والمحافظة على أخلاقها، أو حقوق الميراث والملكية الخاصة.. فضلاً عن الصداق الذى هو «نحلة» ودون مقابل.. ألا يكفيها هذا كله وغيره الكثير والكثير مما لا يقع تحت حصر..؟!!

يقول الله -تعالى- فى مفتتح هذه السورة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(١).

إن من يتأمل هذه الآية الكريمة يجدها مفعمة بالوصايا التى أوصى بها الله الرجل تجاه المرأة، وقد صدّرها وختمها بالأمر بتقوى الله -تعالى-، وتقوى الأرحام، ثم بإيقاظ المشاعر الإنسانية التى تراقب الله فى كل خَطرة فى النفس أو نبضة فى الضمير

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

وكل ذلك موجه إلى تعميق المشاعر الإنسانية الرحيمة تجاه المرأة، التى ميزها الله -عز وجل- بالرحم الذى تحمله بين جنباتها من دون الرجل.

وإذا كانت التقوى -تقوى الله عز وجل- إنما تعنى مراقبته فى السر والعلن، بالبُعد عما يغضبه، وامتثال أوامره التى أمر بها «وهى مفهومة ومعهودة، لتكرارها فى

(١) النساء (١)

القرآن»(٢). فماذا تعنى الأرحام؟ وهو تعبير لم يرد فى كلام الله -سبحانه وتعالى- إلا فى هذا الموضع، كما لم يرد «أصيلا» فى كلام العرب مطلقا. ماذا تعنى تقوى الأرحام؟

يقول الشهيد سيد قطب(٣): «أما تقوى الأرحام، فهو تعبير عجيب، يلقى ظلاله الشعورية فى النفس، ثم لا يكاد الإنسان يجد ما يشرح به تلك الظلال؛ اتقوا الأرحام. أرهفوا مشاعركم للإحساس بوشائجها، والإحساس بحقها، وتوقى هضمها وظلمها، والتحرج من خدشها ومسها.. توقوا أن تؤذوها، وأن تجرحوها وأن تغضبوها.. أرهفوا حساسيتكم بها، وتوقيركم لها، وحنينكم إلى نداها وظلها».

وإذا كنا نعرف أن الرحم من أخص خصائص المرأة، التى لا نظير لها فى عالم الرجال، ألا يتضمن هذا أمرا بتقوى الرجل للمرأة، وتحاشى ظلمها، أو هضمها حقها؟ وإلا فكيف يتأتى تقوى الأرحام؟

وإذا أعدنا النظر فى هذه الوصية الغالية، وجدناها مشمولة بحيثياتها، التى تقويها، وتدعو للحرص عليها عملا بمراقبة الله -عز وجل-. والقرآن ملىء بالكثير من الآيات الكريمة التى تحض الرجل على حُسن معاملة المرأة، والحفاظ عليها ومد يد العون والحب لها فى كل شئون حياتها.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤).

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾(٥).

ومن الهدى النبوى الكريم، قوله -ﷺ-: «إنما النساء شقائق الرجال»(٦).

وقوله أيضا: «استوصوا بالنساء خيرا»(٧).

وروى الطبرانى عن عوف بن مالك ان رسول الله -ﷺ- قال: «ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يبلغن أو يمتن إلا كن له حجابا من النار» فقالت له امرأة: أو بنتان؟ قال: «أو بنتان»(٨).

وعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة» [رواه الترمذى].

ثانيا: والآن مع نعمة أخرى من نعم الله

(٢) سيد قطب. الظلال ص ٥٧٥.
(٣) نفس المصدر.
(٤) الروم (٢١).
(٥) النحل (٧٢).
(٦) أخرجه ابو داود، كتاب الطهارة
(٧) اخرجه البخارى ٤ / ١٦١
(٨) اخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٨ / ٥٦

التى أسبغها على المرأة المسلمة. وهى نعمة صيانته لحقوق الملكية الفردية، التى تتمتع بها وحقها فى الميراث الذى تتساوى فى أصل فرضيته مع الرجل، كما تتساوى فيما فرضه الله لها مع الرجل فى بعض الحالات. اقرأ قوله تعالى:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾(٩).

وقال -تعالى-:

﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾(١٠).

وإذا كان البعض ممن يثيرون الشبهات حول أحكام الشريعة الإسلامية، يرون فى مضاعفة نصيب الرجل بالقياس إلى نصيب المرأة فى الميراث، إجحافا بالمرأة، وسلبا لبعض مستحقاتها، وذلك بمقتضى قوله -تعالى-:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾(١١).

فإننا نرد عليهم بعدة أمور:

[١] إن شريعة الإسلام هى أول شريعة جاءت لتعطى المرأة حقها، بعد أن عاشت ردحا من الزمان، لم تكن تتمتع بأى حق من حقوقها الإنسانية؛ حيث كانت تمنع من الميراث، كما كان يمنع الصغير إلا من الفتيات، الذى لا قيمة له، ولا يُسمن ولا يُغنى من جوع؛ وذلك بدعوى أن المرأة والصغير، لم يشتركوا فى تحصيل الأموال؛ كما أنهم لم يركبوا.. ولم يحموا الذمار ولم يدافعوا عن القبيلة. فضلا عن أن المرأة كانت تُملك كالمتاع بعد موت زوجها إلا إذا هربت فور تحقق الموت، ولحقت بأهلها قبل أن يلقى عليها الوارث ثوبه.

فجاء الإسلام، وجعل لها نصف ما للرجل، وذلك بمقتضى قوله -تعالى-:

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾. وقوله -تعالى-:

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾(١٢).

[٢] إن قاعدة التوريث فى الإسلام، تقوم على معنى «الغُنم بالغُرم»، فإذا كان الرجل هو الذى قد كلفته الشريعة الإسلامية بالبحث عن الرزق لما حباه الله من القوة الجسمية التى لم تتوفر للمرأة غالبا مع ما ينتج عن ذلك من تعرض لآلام

(٩) النساء (٧).
(١٠) النساء (١١).
(١١) النساء (١١).
(١٢) النساء (١٢).

السفر والتنقل وما فى ذلك من أخطار قد تكون ساحقة فى بعض الأحيان، وهو ما يجعله شريكا أصيلا فى تحصيل المال المورِّث، كان من الإنصاف أن يكون نصيبه ضعف نصيب المرأة.

[٣] إن المتأمل فى حقيقة هذا التفاوت البيِّن بين نصيب الذكر والأنثى فى الميراث، ليدرك تماما أنه تفاوت يفضى عند تطبيقه على الجانبين إلى التماثل: فإذا كان الذكر يأخذ ضعف الأنثى فإنه ينضم فى نهاية الأمر إلى ما ترثه زوجته من مورِّثها، ليتماثل مع ما ترثه أخته مضافا إلى ما يرثه زوجها من مورِّثه ليصبح ما يرثه كل منهما «واحد صحيح» فى الحالتين. ولا يقولنَّ قائل، إن المورِّث فى الحالين مختلف؛ مما يتبعه اختلاف فى مقادير المال المورَّث.. ولكن حكمة الله غالبة؛ حيث إن ذلك يعد بابا من أبواب توزيع الثروة بين الناس كلما تركزت فى أيدى فئة من الناس بعينها.

[٤] إن نظرة واحدة متفحِّصة لتؤكد على أن ما تحصل عليه المرأة، مما يساوى نصف ما للرجل، إنما هو حق خالص لها، لا يجب عليها أن تنفق منه قليلاً أو كثيرا على بيتها إلا إذا طابت نفسها عن شىء من ذلك لزوجها، ويلحق بهذا ما تتقاضاه من زوجها من الصداق. قال -تعالى-:

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾(١٣).

ثالثا: فرضية الصداق، الذى أوجبه الله على الرجل للمرأة وجعله الفقهاء ركنا من أركان الزواج لا يصح إلا به مضافاً إلى بقية الأركان الأخرى. وجعله «نحلة» أى عطية وهبة، كما مر فى الآية السابقة. وليس مقابلاً للاستمتاع؛ إذ اللغة لا تشهد لذلك هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن المرأة تستمتع بالرجل كما يستمتع هو بها.. وإن من يتأمل الآية الكريمة فى عبارة

﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾

وذلك فى جانب المرأة المعطية، وهو ما يفيد ضرورة أن يرى الرجل فى امرأته الرضاء التام والسماحة الندية، قبل أن يأخذ شيئاً من مالها الخاص، ليقابله بعد ذلك بقوله: ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ وهو ما يؤكد أيضا على أن الرجل لا يسيغ هذا المال، ولا يستمتع به ولا يكون له فيه البركة إلا إذا كان مسبوقا من جانب المرأة بالرضى الخالص، والمودة الصادقة.

فالمهر عطية من الرجل للمرأة؛ ليكون دليلا على المحبة الصادقة، وإعلانا من الرجل عن رغبته فى الزواج منها، بالغاً ما بلغ مقداره، حيث لم يضع له الشرع حدا لا يتجاوزه. قال -تعالى-:

(١٣) النساء (٤).

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾(١٤).

كما حرم على الرجل أن يعضل زوجته، ويضيق عليها الخناق؛ حتى تعيد له صداقه أو بعضه. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(١٥)

وهذا، مما امتازت به الشريعة الإسلامية على بقية الشرائع «حيث تفرض الشعوب غير المسلمة على المرأة، أن تدفع هى المهر للرجل -ولكنهم يسمونه باسم آخر- فترى البنت العذراء مضطرة إلى الكد والكدح لأجل أن تجمع مالاً تقدمه لمن يقترن بها إذا لم يكن لها ولى من والد أو غيره يبذل لها هذا المال، وكثيرا ما تركب الأوانس الناعمات أخشن المراكب وتتعرض للعنت والتفريط فى العرض والشرف، فى سبيل تحصيل هذا المال.

«وشريعة اليهود تفرض للمرأة مهرا لكنها لا تملكه بالفعل إلا إذا مات أو طلقها؛ لأنه ليس لها أن تتصرف بمالها وهى متزوجة»(١٦).

رابعاً: أصالة دور المرأة المسلمة فى بناء الأسرة، بجانب قوامة الرجل عليها: إن الأسرة فى الإسلام لا تقوم إلا على الحب والرضى من كلا الطرفين، ولا ننسى هنا قصة المرأة التى جاءت إلى رسول الله -ﷺ- لتشكو له وليها حينما أراد أن يزوجها رجلاً لا تحبه ولا ترضاه، فأقر الرسول -عليه السلام- أن هذا الزواج لا يصح إلا إذا رضيت الزوجة. فقالت المرأة: الآن قد رضيت يا رسول الله، ولكنى أردت أن يعرف الآباء للبنات حقهن فى اختيار أزواجهن..!!

هذه الأصالة التى يتمتع بها دور المرأة فى بناء الأسرة، تواكب تسليمها هى ووليها بأن القوامة للرجل؛ امتثالا لقول الحق -تبارك وتعالى-:

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾(١٧).

فالمرأة والرجل شطران لنفس واحدة. كما قال الله فى كتابه العزيز:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾(١٨).

(١٤) النساء (٢٠، ٢١). (١٥) النساء (١٩).

(١٦) محمد رشيد رضا -حقوق النساء فى الإسلام- ملحق مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ، ص٢٧.

(١٧) النساء (٣٤). (١٨) النساء (١).

ولم يشأ الحق -تبارك وتعالى- أن تقوم العلاقة بينهما على الشحناء والتنافس على السلطة ونفاذ الكلمة. ولكنه «أراد بالتقاء شطرى النفس الواحدة.. أن يكون هذا اللقاء سكنا للنفس، وهدوءاً للعصب، وطمأنينة للروح، وراحة للجسد.. ثم سترا وإحصاناً وصيانة.. ثم مزرعة للنسل وامتداد الحياة.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(١٩).

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾(٢٠).

ولكن، لابد أن نفهم أن قوامة الرجل على المرأة وجميع أفراد الأسرة ليس من شأنها إلغاء دور المرأة، وجعله على هامش الحياة. وليس من شأنها «إلغاء وضعها المدنى. وإنما هى وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة، وصيانتها وحمايتها. ووجود القيِّم فى مؤسسة ما، لا يلغى وجود ولا شخصية ولا حقوق الشركاء فيها والعاملين فى وظائفها»(٢١).

هذه بعض النعم الجليلة، التى أنعم الله بها على المرأة المسلمة فى محيط الأسرة -وهى قلّ من كُثر مما لا يحيط به مقال واحد أو عدة مقالات -صيانة لها، وأمنا لحياتها، واستقرارا لأسرتها التى هى مزرعة لها «نساؤكم حرث لكم» فالمرأة هى مزرعة الرجل، وهى حقله الذى يهتم بنظافته وطيب تربته، وسلامة هوائه ومائه؛ حتى يخرج منه الزهر غضا نقيا طاهرا بعيدا عن الدنس، يشرح النفس، ويملأ الصدر سعادة وسرورا.

وأخيرا -نتوجه إلى السيدة الفاضلة الدكتورة «زينب صالح الأشوح» ببالغ الشكر والتقدير، على ما أتاحته لنا من هذه الفرصة النادرة للمشاركة فى طرح هذه القضية المهمّة التى شغلت العالم -ولا تزال تشغله-. ولا يعنينا ممن تشغلهم هذه القضية إلا المجتمعات الإسلامية المعاصرة، راجين الله -تبارك وتعالى-، أن يعيد مفكريهم وكتابهم وساستهم إلى جادة الصواب، وأن يلهمهم الرشاد فى تفهم شرعه وتطبيق منهجه؛ إذ لا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها. حيث قال -عليه السلام-: «لا زلتم منصورين على أعدائكم مادمتم متمسكين بسنتى، فإن تركتم سنتى سلط الله عليكم من أعدائكم من يخوفكم، فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا إلى سنتى» صدق الرسول الكريم، الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى. ونحن على صدقه من الشاهدين الشاكرين. والحمد لله رب العالمين.

---

(١٩) الروم (٢١)

(٢٠) البقرة (١٨٧)

(٢١) سيد قطب «فى ظلال القرآن» مقتطفات من تعليقه على قول الله -تعالى-: «الرجال قوامون على النساء».

مواقف إسلامية

الحكيمة أمّ حكيم

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

سأل سائل من علماء الاجتماع: هل المقصود من تربية «البنت» أن تكون «زوجة» وظيفتها فقط أن تدبر شئون البيت؟. وأجاب:

الواجب أن تعنى أولاً بتعليمها ما تنشأ به امرأة قادرة على النهوض بنصف أعباء الهيئة الاجتماعية.

لأن العشرة الزوجية ليست حرفة يتلقى الطالب أسرارها فى دور التعليم.. ولكنها عمل كسائر الأعمال فى الحياة الإنسانية، يحسنه الإنسان أو لا يحسنه.. بمقدار ماله من الحذق والاختبار.

ومعنى ذلك: إنه لا يكفى أن تكون المرأة «سيدة البيت» فلابد من تسليحها بخلال اجتماعية أخرى.. تستطيع بها أن تدير الأزمات الأسرية الطارئة.. لاسيما فى غياب العائل.. هذه الأزمات التى لا تكفى فيها الصفات الشخصية المستحبة والتى تعود إلى غريزة حب الحياة.

وإنما هى فى حاجة إلى خلال «الإيثار» والوفاء و«الصبر» لتواجه بهما أحداث الزمان وعلى مستوى المجتمع، والواقع شاهد بذلك.

فالمجتمع يقدم شخصية العموميات وإن كانت تنقص صاحبها الخلال الشخصية.. مؤثرة له على رجل الخصوصيات وإن كان مستكملاً من هذه الوجهة لأن المجتمع يستفيد من الأول أكثر مما يستفيد من الثانى.

وإذ.. يعتقد بعض الناس أن السعادة هى أن

تتوفر لديه جميع مبتغياته.. حتى لا تعود له بغية فى الحياة، وأن التعاسة هى حرمان الإنسان من جميع حاجاته.. حتى لا يكون شىء من مستلزمات الحياة إلا وهو محتاج إليه..

على أنى لا أظن أن هذا التعيس أولى بالانتحار من هذا السعيد؟! لأن السعادة بالدرجة الأولى راجعة إلى ما يملكه الإنسان من قيم، هى جوهر الحياة وأساسها.

ولقد كانت «أم حكيم» – رضى الله عنها – مصداق ذلك، فإنها – فضلاً عن حسن تبعلها تحت سقف البيت – كانت لها من الخلال.. ما أثبتت به وجودها على ساحة المجتمع الكبير.

وفاء.. وإباء.. وحكمة..

وبهذه الخصائص المتميزة.. كانت واحدة فى مدرسة صارت بتضحيتها:

أم الرجال، وظئر الرجال، وحاضنتهم أيضا.

فتماسك من الإسلام البناء بعون الله سبحانه، والذى سخر له خير الأبناء.

وإذ يعمد كُتّاب القصص إلى الإغراق فى الخيال.. تملقاً لعواطف الجماهير التى تميل إلى هذا اللون من الحديث الأسطورى..

إذا كان بعض القصاص يفعل ذلك.. فإننا فى تأملنا لسيرة «أم حكيم» لن يكون لنا جنوح إلى الخيال.. لأن ما فيها من مواقف وعبر.. هو فى ذاته أغرب من هذا الخيال!.

«أم حكيم»

لم تكن تلك المرأة التى تتلفع بفضل مئزرها.. ترفاً.. كما وأنها لم تكن تسقى فى العلب، فترمى بقوس ليس فيها وتر.

ليس فى حياتها مجهول.. تتشوفه.. ولا غامض.. فتجهله.. ومن ثم كانت تقدم، عندما يكون الإقدام غرما.

وقد أثبتت بمواقفها أنها جديرة بتلك الكرامة التى نادى بها «ﷺ» فى خطبة الوداع فلقد كانت عاملة آملة، منطلقة من حكمة تقول: اليد العاطلة سبيل إلى الشلل.. والقدم العاطلة: سبيل إلى الزلل..

وإذا كانت سلعة الله غالية، وهى الجنة.. فقد حاولت أن تدفع الثمن.. ولو كان حياتها!.

من هى أم حكيم؟!.

لقد نشأت فى بيت مرموق من بيوت العرب. فأبوها الحارث بن هشام بن المغيرة.. رمز من رموز العرب. أخو أبو جهل لأبويه، وابن عم خالد بن الوليد – رضى الله عنه – وخال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه –

وكان المتوقع أن تنشأ مدللة.. مرفهة.. ولكن شخصيتها تنامت فى تربة خصبة، جعلت منها امرأة عسكرية، تجيد صناعة الموت!.

وإذا كان الزمان يمضى بنا.. ولا نحسه.. وقد نتفرج على من يحاول أن يصنع لنا تاريخنا.. فإن أم حكيم – رضى الله عنها – كانت تصنع هذا التاريخ صنعاً.

الطائر يغرد فى سربه

أجل.. خرجت فى صحبة زوجها «عكرمة» وهما على الكُفْر.. فشهدت بصحبته «أحداً» وأبلت فى هذه الموقعة بلاء..

وبهذه العسكرية المتميزة، كانت ذلك الطائر الذى يغرد فى سربه.. مستمدة عسكريتها من هذه العمومة.. والخئولة.. التى صادفت فى نفسها غراماً بلقاء الموت..

رفقاء السلاح

قد نذكر هنا تلك المعركة التى دارت منذ أيام بين زوج يريد من زوجته أن تصحبه إلى البلد الذى أعير إليه.. ولكنها رفضت رفضا وقف بهما على حافة الطلاق..

نذكر هذا.. ثم يربو إعزازنا لأم حكيم التى ضمت إلى حسن تبعلها.. ورعايتها لأولادها أن كانت لزوجها رفيق السلاح فى معركة حياة أو موت!.

وهكذا تفرض المرأة احترامها على الحياة، ذلك بأن قيمة الإنسان حيث يضع نفسه.. وذلك خير من أن يضع نفسه فى «المزاد» قبله الناس أو رفضوه!.

وإذا كانت عاطفة «الأنثى» غلابة.. فإنها – وعندما يحدق الخطر – تتراجع أمام تكاليف العقيدة. ذلك بأن العواطف – كما يقول علماء النفس انفعالات فوارة جسدية لا سلطان للعقل عليها، وهى أليق بأطوار الحياة الأولى عندما كان الجسد يقوم بوظائفه إشباعاً لرغباته، دون تدبر فى العواقب..

ولكن أم حكيم كانت فوق هذا المستوى، تحلق فى آفاق المعالى.. وتحت قبة السماء.

الامتحان الصعب

لقد كانت «أم حكيم» تمتلك مع «الصارم» القوى:

ذلك العقل الذكى.. والقلب الزكى!!

وبهذا كانت مرشحة للإسلام، الذى بهرتها أنواره والتى لم تستطع عنها حولا!.

ولكن الثمن كان باهظاً. ذلك بأن إسلامها يعنى «التفريق» بينها وبين زوجها «عكرمة».. ولقد كان الاختيار صعبا، فعكرمة لم يكن مجرد زوج.. وإنما كان مع ذلك والد الصغار.. ورفيق السلاح.. وابن العم العزيز!.

وحق لها أن تختار بين عقلها وقلبها، عقلها الذى يقودها إلى الإسلام.. وقلبها المشدود إلى الزوج الحبيب..

ولكن لم يطل ترددها.. واختارت أن تكون مسلمة، مهما كان الثمن باهظاً!.

وربما كانت هناك مساومات من قبل الزوج.. لكنها آثرت ما هى مقتنعة بصحته وهو: الإسلام.. ولئن كانت قد ائتمرت بأمره، فخرجت معه فى «أحُد».. فإنها اليوم لا تجد بُداً من الخروج «على معيته».. لأن المرء مع عقيدته!.

ويبقى الود

ولكن الدين.. وإن فرّق بين الزوجين.. فإنه لم يمح الذكريات العزيزة مع الزوج القديم.. وبقى «عكرمة» فى بؤرة الشعور..

إن الإسلام الذى فرق بين المسلمة أن يعلوها وثنى.. لا يقف حارسا يمنع القلب من أن يكون له خلف الضلوع وجيب!. وإذا كان الإنسان «واحدا» فى هذه الدنيا.. فإن من يحبه يكون «كل هذه الدنيا» متمثلة فى واحد هو: رفيق العمر!.

ولم تكن الرفقة «مجرد إعجاب» وإنما هى الدماء المشتركة.. تختلط على ساحات النضال..

ألا وإنها إن صارت بالإيمان مطمئنة النفس، فإنها لم تكن خامدة الحس..

ولئن تُفرق العقائد بيننا، فإن الأمل فى اللقاء يظل متوهجاً لا يخبو..

وجاء الفرج

وكان فتح مكة نصراً من الله مبيناً، وقد أراد الله تعالى أمراً.. ثم يسر سبحانه وتعالى أسبابه، لقد هرب أبوها يوم الفتح.. كما هرب زوجها «عكرمة».

ولكن اهتمامها كان بزوجها «عكرمة» وليس بأبيها.. «الحارث بن هشام» والذى استجار بأم هانئ فأجارته. ولقد أخذ اهتمامها الجانب الإيجابى، فلم تركن إلى الأسى.. ولكنها وقفت كل جهودها، وأعملت فكرها مجددة الأمل فى العودة إلى العش القديم مع زوجها العظيم.

من مظاهر الوفاء

لقد تتبعت أخبار «عكرمة».. وبدقة ثم لم تتراخ فى نجدته.. حين أسرعت فى العدو وراءه.. وكان توقيتها مصيباً هدفه، حين لحقت به والفلك على وشك الرحيل.

التخطيط الحكيم

لكنها لم تفعل ذلك.. حتى تحصل على عفو رسول الله «ﷺ»

تقول الرواية: ذهبت إليه «ﷺ» تطلب العفو عن عكرمة..

قالت: يا رسول الله، قد هرب عكرمة منك إلى اليمن.. وخاف أن تقتله.. فأمنه..

فقال رسول الله «ﷺ»: هو آمن..

فخرجت فى طلبه.. ومعها غلام لها رومى، فراودها[1] عن نفسها..

فجعلت تمنيه، حتى قدمت على حىٍّ من «عك» فاستغاثتهم عليه، فأوثقوه رباطاً..

.. وقالت: ما لقيت من غلامك الرومى، وخبرته خبره، فقتله عكرمة. وهو يومئذ لم يُسلم»[2].

إنسانية الرسول

لقد استقبلها الرسول بقلب مفتوح..

(١) المراودة: أن تنازع غيرك فى الإرادة، فتريد غير ما يريد.

(٢) حياة الصحابة ج١/١٦٦ ط دار الفكر - بيروت.

قرات وسمعت منه «ﷺ» ما لم تكن تتوقع.. وتراجعت كل ما صنعته الدعاية الكاذبة الخاطئة عنه؛ وأطمعها العفو النبيل.. أن تطلب الأمان لزوجها.. فأعطاها الأمان.

النجدة

ولقد وجدت عكرمة على شاطئ البحر فى طرف قاس لا يحسد عليه.. فقد كان يساوم رجلاً «نوبياً» مسلماً على نقله.. والنوبى يسأله: أمسلم أنت؟.

فلما قال عكرمة: لا..

حوّل النوبى وجهه عنه.. وصاح به: لن أنقلك حتى تشهد أن لا إله إلا الله.. وأن محمداً رسول الله..

فقال عكرمة: ويلى!!.. ما جئت هارباً إلا فراراً من هذه الشهادة!.

اللحظة الحرجة

وفى رواية أنها من فرط حرصها عليه. أنها لم تدع الفرصة لتفوت.. والفلك تمضى به..

فنسيت أنوثتها.. وما تفرضه من وقار وتحمل.. ولم تكن تذكر إلا شيئاً واحداً هو: أن يعود عكرمة عوداً حميداً.. فجعلت تصيح إليه وتقول:

يا ابن عم جئتك من عند أبر الناس.. وخير الناس.. وأوصل الناس..

ثم نصحته قائلة: لا تهلك نفسك.. ثم طمأنته على حياته قائلة: وقد استأمنت لك منه.. فأمنك..

ويعنى ذلك أن قرار إهدار دمه.. لم يعد سارى المفعول..

فقال متعجباً.. بل معجباً بسعيها: أنت فعلت ذلك؟!!!...

قالت: نعم.. أنا كلمته.. فأمنك.

فرجع معها

وكان أن قتل الخادم «الرومى» كما أشرنا.. مؤكداً طبيعة الإنسان حيثما كان، الإنسان الذى لا يطلب أكثر من أن يكون فى نظر الناس قويا وأقبح شىء عنده أن يُعَيّر بالضعف. وبناء على ذلك.. كان دفاعه عن «العرض» هنا قويا.. انتهى بقتل الخائن إثباتاً للقوة. وفراراً من الضعف المهين.. ودرساً يؤكد غيرة العربى على عرضه الذى يجب أن يظل مصوناً.. لا يدنسه أجنبى غوىّ!!.. وإن دفع حياته ثمناً لغيرته!

المبادئ.. فوق الغرائز

بحكم إيمانها القوى.. وفطرتها الأبية.. قمعت أم حكيم رغبة الخادم الأجنبى أن يدنس شرفها..

ولكنها لم تكنْ أن هناك بلاءً أشد، يخبئه القدر لها، فقد جعل «عكرمة» يطلبها، وكانت تأبى عليه وتقول: إنك كافر.. وأنا مسلمة!.

وكان يقول لها: إن أمراً منعك منى.. لأمر كبير!!

ثم أسلم بعد ذلك.

وهكذا تمهد بإبائها لإسلامه بعد قليل..

هذا الإباء الكاشف عن قدرة المرأة ـ مهما كانت الظروف غلابة ـ أن تظل طاهرة نقية.. تتحدى النوازع الدافعة.. وأنها تتحمل ـ لو تهاونت ـ مسئولية الانحراف..

العائد المهاجر

لما رآه الرسول « ﷺ » وثب فرحاً به وقال: مرحبا بمن جاءنا مهاجراً مسلماً..

وكانت قد سبقته، فاستأذنت على رسول الله « ﷺ ».. فدخلت.. فأخبر «عمر» رسول الله « ﷺ » بقدوم عكرمة.. فأسلم..

عندما تتعطل لغة الكلام

ولعلنا نحس بشحنة البهجة في قلب عكرمة والتي تتعطل عندها لغة الكلام.. من حيث إنها من ذلك النوع الذي يُحس ولا يوصف.

الإحلال والتجديد

ولقد كان عكرمة صادقاً مع نفسه.. حين أعلن إسلامه الذي ولد قوياً.. قوة عكست عمق إخلاصه.. حين طلب من الرسول « ﷺ » أن يغفر له سابق إساءته.. ليستأنف الحياة من جديد صفحة بيضاء من غير سوء، ثم لتكون هناك عملية إحلال وتجديد يكفر بها عن سيئاته الخالية، فأوصى به الرسول أصحابه خيراً.. وأن يعاملوه بإحسان.. مسدلين على ماضيه ستاراً.. وإلى الأبد..

وعادت معه زوجته إلى البيت، إلى الصغار، لا بقطعة الحلوى، ولا بدمية اللعب، وإنما بكلمة التوحيد التي تعمر البيت.

وإذا كانوا يقولون اليوم:

إن وراء كل رجل عظيم امرأة.. فلقد كان عكرمة ذلك الرجل العظيم، وكانت أم حكيم تلك المرأة التي صاغها الإيمان.. والذي به أنقذت زوجها.. بل وذريتها من الهوان.. ليعيشوا أعزاء في دوحة الإيمان.

حديث الذكريات

وعادت المياه إلى مجاريها، عاد الزوجان كأن شيئاً لم يكن، مؤكدين أن الطلاق قد لا يكون نهاية المطاف، لأن الذكريات المشتركة كما يقول العلماء وبقايا المودة تظل محفورة في القلوب فلا تنسى، وعند قرار العودة يكون لهذه الذكريات أثرها في رأب الصدع واجتماع الشمل في صحبة عزم أكيد على تلافي السلبيات التي فرقت شمل الجميع من قبل.

وها هو ذا السفين يستأنف سيره من جديد خفاق الشراع.. عبر السعادة التي سوف تُظلل البيت.. وإلى الأبد.

ومازال الخطر مستمرا

ولقد كانت شخصية «أم حكيم» متراحبة مترامية الأطراف، فلم تقف بها الأقدار عند هذا الحد، بل إن عودة زوجها إليها.. كان في الواقع عوداً حميداً إلى صناعة القتال من جديد..

وكانت موقعة اليرموك في مقدمة هذه المواقع، وكان فيها أيضاً من رفاق السلاح..

لما اشتد القتال في اليرموك، وتراجع الناس إلى مواقفهم..

قال عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك: قاتلت رسول الله « ﷺ » في مواطن وأفر منكم اليوم؟!.. ثم نادى: من يبايع على الموت؟!.. فبايعه عمه الحارث بن هشام.. وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم. فقاتلوا قدام «فسطاط خالد».. وكانوا أبطالاً..

[ولما صرعوا من الجراح استسقوا ماء ـ طلبوا ماء ـ فجيء إليهم بشربة ماء.. فلما قربت إلى أحدهم.. نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه.. فلما دفعت إليه.. نظر إليه الآخر.. فقال: ادفعها إليه..

فتدافعوها كلهم.. من واحد إلى واحد..

حتى ماتوا جميعاً، ولم يشربها أحد منهم.. رضي الله عنهم أجمعين](٢).

وكان «عكرمة» رضي الله عنه ممن طلب شربة ماء وهو يحتضر.. ومعه عمه «الحارث ابن هشام».. و«عياش بن ربيعة»..

قدم الساقي للحارث.. فرأى عكرمة ينظر إليه.. فأشار للساقي أن يقدم له.. فلما همّ بالشرب وجد «عياشاً» راعش اليد، فلم يحمل الكأس.. فقال للساقي: قدم إليه.. ثم فارقوا الحياة عطاشا!!..

زواج الأقارب

وفي مرحلة من مراحل القتال نادى عكرمة: من يبايعني؟!..

وكان ممن بايعه: «عمه وحموه» الحارث بن هشام، وولده «عمر بن عكرمة»..

وما كان أسعد عمر المقاتل الصغير.. وهو ينظر حوله ليرى رفاق السلاح: أباه.. وجده.. وأمه..

مؤكداً في نفس الوقت كيف كان نسل الأقارب قويا.. عكس ما يقرره الباحثون الأجانب اليوم!!..

الموقف الأصعب

وعلى طول ما لاقت أم حكيم من أحداث، ولكن القدر الأعلى كان يخبئ عنها أصعب المواقف: فقد قُتل عكرمة.. وهي تنظر إليه.. فاعتدت أربعة أشهر وعشراً.

ولقد كانت التقاليد.. تمنع امرأة كأم حكيم أن تفكر في الزواج.. كما قد يحدث اليوم أنفة.. وتعالياً.. وتظاهراً.. ممن يتمتعن وهن الراغبات!!..

ولكن أم حكيم قبلت أولاً «فكرة» الزواج.. كان يزيد بن أبي سفيان يخطبها.

وكان خالد بن سعيد بن العاص يرسل إليها، في عدتها يتعرض للخطبة.

فحطت إلى خالد بن سعيد، فتزوجها على

(٢) البداية والنهاية ج٧/١١.

أربعمائة دينار.. محطمة بذلك التقاليد التى لم تستعبدها يوماً.

.. وصدق القائل: [إذا كان الجنون هو مخالفة ما جرى عليه العرف بين الناس، فإن النبوغ نوع من الجنون، فإن النابغة يستهين بالتقاليد المرعية بين الجمهور، لأنه لا يعرف وجهاً للتمسك بها إما لأنها عقيمة فى ذاتها، أو لأنها كانت صالحة أو ضرورية فى زمن من الأزمان ثم عادت غير ضرورية فى الوقت الحاضر].

ولقد كان فى حياة أم حكيم تجربة من هذا النوع، فأبوها هو: الحارث بن هشام.. أسلم يوم الفتح.. وكان سيداً شريفاً فى الإسلام.. كما كان فى الجاهلية.. استشهد بالشام.. وتزوج عمر بعده بامرأته فاطمة.[4]

وإذاً.. فقد كانت غصناً باسقاً.. فى دوحة لا تستعبدها التقاليد التى قد يتحمل كبرها.. «أكبر» الأولاد، حين يغضب من زواج أمه.

زواج على أرض المعركة

ولقد تم الزواج بلا «ولى» ولكن كان الله ـ تعالى ـ وليها، المؤمنون من رفاق السلاح.. وعلى أرض مكشوفة.. لا فى الشوارع الخلفية.. ولئن كان عمر زواجها ليلة واحدة.. فقد جمع الزمان، فكان هذه الليلة المباركة.. وإذا كانت فرحة الجسم لم تتم.. فقد كانت فرحة الانتصار على الروم أعمق وأصدق..

وهكذا: تأبى الشجاعة إلا أن تطل من خلال امرأة سلاحها الإيمان.. لتؤكد هذه الحقيقة:

إن البندقية مع الإيمان أقوى من المدفع بيد غير المؤمن. والمثل الأعلى لما يصنع الإيمان من عجائب فهو المسلمون الأولون.. الذين مشوا لإعلاء كلمة الله شرقاً، إلى تركمانستان، وأطراف الصين، ومشوا غرباً حتى اقتحم «عقبة» بفرسه ماء البحر، بحر الظلمات «الأطلنطى»..

المسلمون الذين فتحوا بالإسلام وللإسلام ما بين قلب فرنسا، وقلب الهند.

لم نجد المسلمين إلا أقل من عدوهم عدداً، وأضعف عُدداً، وأقل عتاداً ومدداً..

فَبِم انتصروا؟!..

لقد كان قواد الروم والفرس مِمَّن درس فنون الحرب. ففى أى كلية عسكرية درست «أم حكيم»؟!..

«لقد فتح «قُتيبة» من الأرض أوسع مما فتح «نابليون».. ولكن ما فتحه «نابليون» عاد إلى أهله. وما فتحه قواد الإسلام بالإسلام.. بقى للإسلام».

زوجة الأمس وزوجة اليوم

إن دم «خالد» زوجها لم يذهب هدراً.. لقد ثأرت له بقتل سبعة من العلوج..

ألا إنها لم تقتل «زوجها» وإنما قتلت أعداءه!! فكانت حجة أقامها الله على

(4) البداية ج٧/٩٥.

بعض الأزواج والزوجات اليوم.. مؤكدة قدرة المرأة على أن تكون أكبر من الأحداث، وأن وفاءها ممتد الجذور، لا ينال منه ريب الزمان.

خصوبة الشخصية المسلمة

ولكن يبدو أن رواية الأحداث لم تتم فصولاً، فقد تقدمت الروم فى معركة «مرج الصُّفَّر» أراد خالد أن يُعرس بها ـ يدخل بها ـ فجعلت تُكفكف من إحساسه وتقول: لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع «يهزم الروم»..

فقال خالد: إن نفسى تحدثنى أنى أصاب فى جموعهم ـ أقتل ـ..

قالت: فدونك!

«فأعرس بها عند القنطرة التى بالصُّفَّر، فبها سميت قنطرة أم حكيم» وأولم عليها..

فما فرغوا من الطعام.. حتى تقدمت الروم، وقاتلوا.. وقُتِل خالد..

وقاتلت أم حكيم يومئذ، فقتلت سبعة من الروم بعمود الفسطاط الذى عَرس بها خالد فيه»

وفى الطبقات: بعد أن قتل زوجها خالد، «شدت أم حكيم عليها ثيابها، وعدَت.. وإن عليها لدِرع الخلوق فى وجهها»..

الاستعلاء فوق الأحزان

لقد استعلت «أم حكيم» فوق الأحداث.. فلم تمكنها من شل حركتها..

وتناست أيام سعادتها.. ولم تعد تذكر إلا فيما يجب أن تفعله انتصاراً لدينها..

وبعد ما ودعت زوجين شهيدين.. وعلى مرآى ومسمع منها!. ثم لم تكن مجرد «مقاتلة».. ولكنها كانت فدائية تخوض معركة شرسة، «فلقد كانت معركة «مرج الصُّفَّر» عنيفة.. اقتتلوا أشد القتال على النهر.. وصبر الفريقان، وأخذت السيوف بعضها بعضاً، فلا يُرمى بسهم ولا يُطعن برمح، ولا يُرمى بحجر، ولا يُسمع إلا وقع السيوف على الحديد وهام الرجال، وأبدانهم»

.. ومعنى ذلك: أنها كانت معركة مواجهة بالسلاح الأبيض.. وما يُلقاها إلا الذين صبروا.. ولاحظ من قوة أعصابها أن تخلع عمود الخيمة التى كانت بالليل عرسها مع خالد، لتقتل به سبعة من جنود الروم..

الوفاء.. وليس البكاء!!

كثيرون هم الذين يفقدون رفيق العمر.. ثم يجعلون منه «حائط المبكى»، يذرفون الدموع.. ويجددون الذكرى.. ولكن أم حكيم ـ وإن كان خطبها جسيماً ـ فإنها جعلت من الوفاء لزوجها أن تموت على مثل ما مات عليه.. لم تكتف بأنها زوجة البطل.. أو أمه أو أخته!. ولكنها اختارت أن تكمل المسيرة من بعده منطلقة من عقلها.. لا من قلبها..

هذا العقل الوقور الذى يثبت خطانا على الطريق الطويل، لنجدد بالوفاء حياة أعزائنا.. بالعمل لا بالأمل.

المرأة فى القرن العشرين

«قصيدة اجتماعية من نظم الشاعر الأزهرى الكبير الأستاذ/ **عبدالجواد رمضان** الأستاذ بكلية اللغة العربية وقد نشرت بالمجلد الثامن عشر من مجلة الأزهر، ونعيد نشرها تعقيباً على مقال الدكتورة **زينب الأشوح** بالعدد الأسبق، قال رحمه الله:

أملٌ كما خفقت بُروق خُلب ... طفلٌ يصيح به، وشيخ يكذب
كذبت أمان لم يشرد دونها ... نوم، ولم يُثلم لسيف مضرب
سجع الحمام، فما استرد هديله ... شجو يردده وحزن يغلب
والنوح أتفه ما بذلت معونة ... لمعذب فى دائه يتقلب

***

ناجيتُ مصر، فما ملكت محاجرى ... والخطب لا ينفيه دمع يسكب
هتف الهوى برجالها فتجمعوا ... حتى إذا هتف الجهاد تشعبوا!
إن يخطبوا، فالخطب فيما يُخطب ... أو يكتبوا، فالقذع فيما يُكتب
عمرو يُنازل بالمثالب خالداً ... وسعاد تحتث الصفوف وزينب
من كل مفلول العزيمة خاتم ... حرباء فى ألوانه يتذبذب
طبن بمختلف السباب يصوغه ... «ثرثارة فى كل ناد يخطب»
أسدٌ إذا احتدم الجدال مقذف ... أما إذا احتدم النزال فأرنب
شيع تلاعنْ لا ينهنه غيَّها ... خلق، ولا يدنى لرشد منصب
ومحمَّق والعى ملء إهابه ... يسمو إلى الشرف الرفيع وينعب!

غفل الزمان فساد غير مسوّد ... والماء إن يسكن علاه الطحلب
أقسمت لو نعطى على أفهامنا ... أربى على بعض الرجال الجُندب

***

وخريدة كالدُّر فى أصدافه ... والكف رَخْص، والبنان مخضب
ملكت جلالتها أريكة بيتها ... لا غاصب يدنو، ولا متغلب
تختال بين رياشه وقطينه ... كالشمس تشرق فى الجلال وتغرب
القلب ملك يمينها، والمال تحـ ... ـت نعالها، والروح فيما تطلب
برزتْ بميدان السياسة سافراً ... تتقحم الأهوال ما تتهيب
تُدلى بمنطقها، وعذب حديثها ... وتظل تخطب فى الجموع وتسهب
فكأنما ملك يخاطب جنةً ... فمقدس لجلاله، ومقرب ......
أخت الغزالة إننى لك وامق ... وعليك من حسك السياسة أحدب
روض السياسة شائك، وطريقها ... وعر، ومركبها ـ فديتك ـ أصعب
صونى جمالك واحفظيه، فإنما ... حق الجمال من السياسة أوجب
البيت أفضل ـ لو علمت ـ رعاية ... وأجل فى مجد الفتاة وأهيب
فابنى به الأخلاق صرحاً شامخاً ... تتخرب الدنيا ولا يتخرب
وارعى بنيك فهم عماد مكارم ... وسداد عادية، وغرس طيب
ما الشعب إلا بالبيوت فإن هوت ... غشَّى شوارقها المضيئة غيهب
قالوا: الحجاب، فقلت: تلك سخافة ... أرأيتم شمس الضحى تتحجب؟.
قولوا: الفضيلة، لا تقولوا غيرها ... فسلاحها عند الدفاع مجرب

لا خير في حَجْبٍ بغيرِ فضيلة ... في الليل أكثر ما تدب العقرب
يا طيف مصر، وأنت أكرم مرشد ... قل لي: بأى طريقة أتمذهب؟.
قام الشجار على المذاهب بيننا ... حزب نؤيده، وآخر يُشْجب
كل يعزز في السياسة دينه ... والخصم يشرب في البلاد ويطرب
غلب الهوى، وسرتْ بمصر سمومه ... فمضت بمقصدها المقدس مغرب
أبنى أبى، مصرُ الغداة لما بها ... فابكو مفاخرها المخيلة أرثبوا
أنتُم فوارسها، وأنتم داؤها ... والداء أقتله النسيب الأقرب
حبل الخصام إلى انفصام، والهوى ... سهم بمنتضل العظائم أخيب

***

يا سائق الوجناء يحدو خلْفَها ... أعلى صراط الرُشْد أم تتنكب؟.
خل الحُداء، فقد مللنا كأسه ... وانظر، لعل طريقنا لا يركب
الجو معتكر الجوانب حالك ... والدرب وعر، والصحاب تشعبوا
ألا أهبت بهم فيرشدْ حائر ... ويسير وقاف ويلحق متعب؟.
الفرد أدنى ما يكون ضلاله ... والجمع أدنى للرشاد وأقرب
والجيش ما لم تأتلف وحداته ... مهما توافر جمعه لا يغلب
الله يعلم أنني لك وامق ... يا مصر إلا أنني أتجنب
لى في هواك مواقف صخابة ... الفضل يقضيها عليّ ويوجب
لا أبتغى الزُلْفَى لديك بذكرها ... لكن بمحض بنوتى أتقرب
أمنيتي لك أن يوفق قائم ... بالأمر فيك، وأن يتم المطلب

***

الإنسان

في زمالة مع الحق والخير والجمال

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

أظننا لسنا في حاجة إلى أن نقول: إن أساس هذه الرحلة يرتكز على دعائم وهي: الإنسان من جهة والخير والحق والجمال من جهة أخرى، وعلى مدى التفاعل الحي بينها جميعا من جهة ثالثة.. ما موقف الإنسان من الخير؟ ما موقفه من الحق؟ ما موقفه من الجمال؟ ثم ماذا يستطيع الخير والحق والجمال جميعا أن تقدم لهذا الإنسان؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة ربما تضيء لنا شعاب الطريق، لأن الإنسان في أعقل تعريفاته هو: ذلك الكائن العاقل الدءوب الزاحف من قيعان ماضيه الملبدة الغائمة إلى قمم حاضره المضيئة الموشاة، والمستهدف في رحلته الطويلة غدا أفضل وفجراً أكثر إشراقاً، وحضارة أنضر نضارة، وأذكى ذكاء.

ومادام ذلك كذلك، مادام الإنسان ساعياً إلى الأفضل والأذكى في رحلته الطويلة، فلا بد أن يرتفق معه هذه المُثُل حتى لا يرتطم وجوده بصخور الفناء، إن الكون بلا خير عالم يموج بألوان الشر الرهيب وهو بلا حق ميزان مضطرب الكفات، ثم هو بلا جمال رحلة في دروب معتمة لا تفضى إلى نهار.

إن كل دعوة من دعوات السماء هتفت من أعماقها بالخير والحق والجمال لأنها

الجناح الذى يطير بالإنسانية دائما إلى فوق، وفى فترة من دعوات المصلحين ورسالات السماء، عاش العالم حقبة من الزمن لا يدين بالحق، ولا يؤمن بالخير، ولا يتعامل بالجمال، إلا بقدر ما تحقق له من مآرب شخصية أو منافع مادية فتخلخلت حياته من الداخل والخارج: أقفر الداخل من الخير الذى يثرى النفس ويخصب الوجدان ويلهم الروح، ومن الجمال الذى يرهف المشاعر، ويوجه إلى الرشد، ويحدو إلى السماء، ومن الحق هذا الميزان الذى يضع الأمور فى نصابها أبداً ويقيم على الأرض عدالة عادلة ولا ينحرف بطبيعة هنا أو هناك.

إن عالما يقفر داخله، ويقفر خارجه، مقضي عليه لا محالة بالتفتت والانهزام، وليس ما نطالعه على صفحات التاريخ من رق بشرى عفّر جبهة الإنسان بالتراب، ومن ظلم إنسانى أنقض ظهر الآدميين بأوزاره، ومن حرب كونية ساحقة صوّحت معالم الخلق والابتكار فى جنبات الوجود، ليس ما نطالعه من هذه الكوارث المأساوية الدامية سوى نتيجة حتمية لانطماس معنى الخير والحق والجمال من وجود الآدميين.

وإذا كان لهتاف الفلاسفة الروّاد كأفلاطون وأرسطو وسقراط من معنى، فهو محاولة ذكية لاستنقاذ هذه المثل من قبضة الطوفان إلا أننا هنا أمام حقيقة رائعة لابد من أن نجليها، لقد تتابعت الدعوات والصيحات من الفلاسفة والمصلحين من أجل الخير والحق والجمال، ولكنها جميعا والحق يقال لم تخرج عن إطار كونها دعوة حارة مخلصة تجيش فى النفس، وتعبر عنها الألسنة فتتجاوب بها الآفاق، لأن دعاتها لم يضعوا لها ضوابط وقوانين من جهة، أو لم يسلموها إلى قوة حاكمة تخطط وتنفذ من جهة أخرى، أو لم يضعوها فى مستوى الإمكان البشرى (كنظرية المثل) المعروفة بأبعادها التجريدية الشاهقة من جهة ثالثة، وما أكثر الشعارات فى دنيا الناس، ولكن ما أقل من يستطيع تطبيقها واقعا عمليا يُعاش.

حتى إذا جاء الإسلام العظيم نفض عن هذه القيم الخالدة ثوبها الشعارى الحالم ونزل بها إلى صعيد الواقع الحى، فجعل منها خطة يوم وعمل غد وشريعة أجيال.

ليس الخير فى المفهوم الإسلامى أن تلهج بكلمات طيبة، أو تغيب عن وعيك فى سبحة ذاهلة، إن الخير هنا أن تكون أنت، أن تحقق وجودك، أن تستحيل كما يريدك الله إنسانا يشارك إيجابياً فى حركة التاريخ وإثراء الوجود، أن تناضل الشر فى أعماقك وأعماق الآخرين، فى وجودك ووجود كل الساعين على الأرض، الزاحفين على الثرى، أن تحقق السعادة لأكبر مجموع من الناس.

وليس الحق أن تلزم صراطاً لا لك فيه ولا عليك وإنما الحق أن تنزل إلى أرض المعركة حتى ولو رجعت منها نازفا منهزما، لقد كان

بوسع الرسول - ﷺ - كإنسان مميز أن يحيا سيد نفسه وسيد الآخرين، ولا يتعرض لمثل ما تعرض له من جراحات دامية، وعذابات رهيبة ولكن لأنه فهم حقيقة دوره فى المرحلة التى يحياها، وحقيقة دوره فى التاريخ، نزل إلى أرض المعركة مسلحا بالحق الذى يؤمن به، وجابه ما جابه، من طغيان متعصب، وشعارات انهزامية، هاربة، وأبداً لم يقع ذابلاً على الأرض، إن الحق أن تنصف الناس حتى من نفسك.

وليس الجمال كذلك أن توشى الإطار الخارجى بتهاويل، أو تتأنق حتى فى اللفتة والهمسة، ولكنه التلاؤم الفاهم مع فطرة الخلق كما أرادها الله، والتحليق بكل المستويات العاطفية والسلوكية والفكرية إلى آفاقها العالية، حتى لا يقع مفهوم جمالى على وجهه تحت سنابك انحراف مريض.

ونستطيع أن نُصيخ إلى هتافات القرآن المجلجلة بقيم الحق والخير والجمال جميعاً:

﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم﴾(1).

﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾(2).

﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾(3).

﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾(4).

﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾(5).

وللخير فى القرآن كما للحق:

﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا﴾(6).

﴿فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين﴾(7).

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾(8).

وللجمال فى القرآن كما للحق والخير:

﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾(9).

هذا قليل من كثير ولو شئنا أن نستطرد مع حديث القرآن العظيم عن هذه القيم الخالدة فلن يسعنا مثل هذا المجال، على أن ذلك ليس من غرضنا هنا، إننا فقط نحاول أن نقول:

- إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تفرّد بتناول هذه المثل تناولاً واقعيا

---

(1) البقرة (119)
(2) البقرة (213)
(3) التوبة (33)
(4) الإسراء (81)
(5) الأنبياء (18)
(6) المزمل (20)
(7) يوسف (64)
(8) آل عمران (110)
(9) النحل (6)

عملياً معاشاً يخدم قضية الإنسان ويكافح من أجل مستقبل أفضل لكافة البشر :

أجل إن الحق والخير والجمال فى معانيها المطلقة معايشة للجانب الأرقى، ومعاندة للجانب الهابط، هى كل ما يحقق للإنسان إنسانيته من الداخل الثرى المضىء إلى الخارج القاصد المنضبط.

إن الإنسان حين يعمل أو يناضل من أجل الخير فهو إنما يعمل فى الواقع من أجل أن يختفى من العالم شبح الشر والهبوط، وحين يعمل أو يناضل من أجل الحق فهو إنما يعمل فى الواقع من أجل أن يختفى الباطل النزق، والظلم الشرس، والافتئات المعصوب، وحين يعمل أو يناضل من أجل الجمال فهو إنما يعمل فى الواقع من أجل القضاء على العداوة والقبح وإرادات الدمار فى هذا الوجود.

ولنتساءل معاً : (من أين يبدأ الخير ؟).

هل الخير فكرة عقلية محضة ؟ أم تراه من ثمار الوعى الدينى العميق الذى يقف إلى جانب كل المعانى الراشدة فى حياة الفرد وحياة الجماعة ؟

الذى نعرفه أن الخير لو كان فكرة عقلية محضة لتعرض للعواصف والأعاصير، ولما أخذ حظه الواضح فى زحمة الوجود المائر الكبير، ربما لأن عقول البشر تتباين حكمة ونزقا، فهذا ينزع فى تفكيره وتقديره عن حكمة عاقلة، وذلك ينزع فيهما عن هوى متعصب محموم، وربما لأن عقول البشر تختلف إدراكاً وضحالة، ثباتا واهتزازا، فالذى أراه اليوم حقيقة بيضاء قد يصبح فى غد خرافة رعناء.

إذن فالخير كفكرة عقلية محض افتراض قد لا يكون، وحينئذ لا نجد أمامنا سوى الضمير الدينى الذى ينزع فى حكمه وتقديره، وفى بواعثه وحوافزه عن قوة وراء العقل، وحقيقة أعلى من التفكير، إن الضمير الدينى هو المشرق الطبيعى لفكرة الخير ولا بأس حينئذ أن يقف العقل كعامل مساعد للضمير فى حركة تنظيم الخير وتسديده إلى منطقة المنشود، ونستطيع أن نقول مثل هذا فى فكرة الحق مع محاولة التوفيق بين طبيعته وطبيعة الباعث الدينى الذى يرتكز أساساً على فكرة الضمير المبدع.

أما الجمال فربما كان فى حاجة إلى وقفة خاصة ربما لأن له مع الإنسان دورا قياسياً رائعا ممتازاً، أو ربما لأننا نخلع عن كواهلنا المكدودة قيودها فى رحابه الفيحاء.

نريد أن نقول : إن الإنسان عارياً من الخير والحق والجمال كائن زاحف على الأرض لا يدرى ولا يعرف ما غايته ولا يستطيع أن يزعم حتى أنه إنسان.

وكذلك الحق والخير والجمال إنها بلا

إنسان يعيشها ويتمثلها شعارات جوفاء فارغة لا توحى ولا يمكن أن توحى بشىء.

إن التلازم الجذرى بينهما، نعنى بين الإنسان والمثل، هو الذى يعطى كليهما حياته الحقة، وواقعيته الأصيلة، وهل الحياة شىء آخر سوى قيمة تلهم، وإنسان يتلقى، وعالم يصيخ من بعد إلى هتافات الوحى نديانة تغرد على فم الإنسان ؟

ولكن ألسنا قد وعدنا بإلقاء الضوء على موقف الإنسان من الجمال وقيمة الجمال فى حياة الإنسان فى وقفة خاصة ؟

أجل.. وها نحن على مشارف الرحلة التى نأمل أن تكون فى حجم دور الجمال وجمال الجمال فى آن معا.

قبل أن نستطرد دعونا نؤكد أننا لا نريد أن نتعمق فلسفة الجمال ولا أن نغيب فى شعاب تعاريفها وأقيستها وحدودها، ولكننا فقط سنستطرد مع الجمال من حيث كونه قيمة خلقية وقيمة اجتماعية وقيمة دينية تؤتى العالم أخصب الثمرات.

فهو كقيمة خلقية : يفجر فينا مشاعر الحب، ويلهمنا نوازع السمو، ويرسم فى حياتنا معالم التطور، إنه يرقق أحاسيسنا ويرهف أذواقنا ويهبنا طاقات من الخير دفاقة أبدا. إن الإنسان الجميل هو الإنسان الذى يكره الكلمات المشبوهة الملتوية، هو الذى لا يحقد ولا يغدر ولا يخون ولايقيم وجوده على أنقاض وجود الآخرين.. إن الإنسان الجميل هو الإنسان السوى الذى يجعل من قلبه مزرعة للعواطف الطيبة والمشاعر النبيلة والأحاسيس المرهفة.

وبقدر ما يتوافر لدى الإنسان من كل هذه الأنماط الأخلاقية والسلوكية بقدر ما يأخذ مكانه فى البناء الاجتماعى الشامخ الركين.

ولقد كان الرسول العظيم محمد بن عبدالله -ﷺ- حريصاً على أن يزرع فى أعماق أتباعه هذه الحاسة الجميلة لإيمانه الوطيد بأنها سبيل الترقى الإنسانى، وحافز التطور البشرى، لقد كان يحاول جاهدا أن يقدم صداقة واعية بين الإنسان والكون حتى يتلقى الإنسان عن صديقه الكون كل مباهج الرؤية الفاتنة وكل مشاعر الإحساس النبيل.

فها هو يخرج مرة فى أصحابه حتى يستقبل الجبل فيهتف من أعماقه صائحا : «أحُدٌ جبل يحبنا ونحبه».

وحين يطالع الهلال البازغ يرفع وجهه إليه فى جلال قائلاً : «ربى وربك الله»، وحين يهل الربيع على الأرض وتبزغ نباتاته الصاعدة ينحنى عليها فى تراحم جم ويقول : «عام خير وبركة إن شاء الله».

وحين تمطر السماء يستقبل رذاذها بصدر عريان، وحين يسألونه عن سر

حفاوته بالمطر يلتفت إليهم قائلاً: «إنه حديث عهد بالسماء» وهو الصادح بكلماته الملهمة: «إن الله جميل يحب الجمال».

وهكذا كان الإنسان العظيم محمد -عليه الصلاة والسلام- يقدس الجمال ويحاول أن يرعرع غراسه فى أعماق الملايين، لأنه يؤمن بأن الجمال ركيزة من ركائز التكامل الخلقى الذى لا ينحرف ولا ينسر ولا يضرب فى أعماق الظلام.

والجمال كقيمة اجتماعية: يطهر علاقتنا أو قل علاقاتنا بالكون وبأنفسنا وبالآخرين، إنه يطهر علاقاتنا بالكون لأنه يبنيها على أساس من التجاوب الصاعد الأصيل، فأنت حين تستشعر الجمال فى نجمة أو نسمة تفتح كل مغاليق حياتك للحياة، وتستقبل الوجود فى صداقة وحب، إن الجمال يشدك إلى دنياه بينما ينفرك القبح حتى من نفسك.

وهو يطهر علاقاتنا بأنفسنا حين يوحى إلينا نزعة التعادل العاقل الملهم الذى لا يدمر فى ارتفاعه الشاهق إلى أعلى، ولا يكظم فى إيغاله المرهق إلى تحت، إنه يعطيك معنى التعادل العاقل من خلال التناسق العام فى كل مشاهد الكون وكل مشاهد الحياة.

وهو يطهر علاقاتنا بالآخرين حين يقيمها على أساس من التضامن الحلو والأخوة المتكاتفة والسلام الأرحب الخصيب.. إنه يغريك بالعدل حتى يوحى إليك أن لاشىء أجمل من العدل ينشر أجنحته البيضاء فيحتضن بها الملايين، ولا شىء أوبل من الظلم الذى هو افتئات صارخ على طبيعة الخلق فينا، وتشويه هابط لفطرة البراء وبراءة الفطرة، وانهيار بالمستوى الآدمى إلى مستوى راكد ورخيص.

وهنا نستطيع أن نقول أن للجمال رسالة إنسانية واجتماعية خالدة فى مكافحة القوى العدوانية ومؤازرة أنصار الحياة، فى تحريك ما همد من العواطف الإنسانية الباردة، وإذكاء ما همد من المشاعر الآدمية المضيئة، وإثراء ما أجدب من مناطق فى قلوب الملايين.

والجمال كقيمة دينية هادفة يعقد محبة بين الإنسان كمحب والله كمحبوب، محبة أساسها الفهم المتحرر الواعد الذى ينمو على أرض جمالية ويتفتح فى ضوء جمالى ويعرج إلى ربه فى نغم مؤمن حالم جميل، وهنا لابد أن نطيل التأمل، فليست قيمة من القيم الخالدة تستطيع أن تقف إلى جوار الجمال فى حركة كونه معراجا إلى الإيمان، لأن الله فى قرآنه العظيم يتخذ من الجمال دائما مقدمات لقضية هذا الإيمان، إن الله يدعو البشر للإيمان به عن طريق الجمال المبثوث فى الأرض، المبثوث فى الآفاق.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾(١٠)

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾(١١).

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(١٢).

﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(١٣).

إن القرآن العظيم فى هذه الآيات يتخذ من الجمال مقدمة لقضية الإيمان، فلا يلبث أن يتسرب بها إلى أعمق أعماق البشر، لأن عاطفة الإحساس بالجمال ألصق بعاطفة النفوس، والاستثارة الإيمانية عن طريقها تختصر مراحل الطريق.

وبعد:

فلسنا ندرى ماذا كانت تكون حياة الإنسان لو أنها أقفرت من الجمال، وزخرت بأمواج القبح القبيح؟ أغلب الظن أنها كانت لابد أن تتحطم وتتهالك، أو تأوى إلى كهف بارد منطفىء الآفاق والأعماق.

إذن فلنسعد بالجمال كهبة من هبات الله، لتكن أعماقنا جميلة، ولتكن أخلاقنا جميلة، ولتكن علاقتنا جميلة، ولتكن عقائدنا جميلة، فإن هذا الجمال وحده هو الذى يمكن أن يخلع على الحياة والأحياء جميعاً كل مظاهر الحب وكل مظاهر التطور، وكل مظاهر الإيمان.

ولنعرف أن زمالة الإنسان مع الحق والخير والجمال زمالة وجود، تدور معه وجودا وعدما، وليست من نوعية هذه الزمالات المسطحة التى تتلون بلون إناءاتها قتامة وإشراقاً..

***

(١٠) ق (٦ : ١٠)
(١١) النحل (٥ : ٦)
(١٢) الشمس (١ : ١٠)
(١٣) لقمان (١١)

قصة العدد

من إرهاصات مطلع النور :

الأمَـلُ السَّـرَابُ

للأستاذ / شوقي محمود أبو ناجي

مع أن أبرهة عاد من مكة إلى اليمن مذموماً مدحوراً، ولم يحقق شيئاً مما كان يصبو إليه من هدم للكعبة وإخضاع تهامة لسلطانه، إلا أن بقاءه فى اليمن مع ولديه فى أرض عربية، كان يمثل كابوساً ثقيلاً وحّد مشاعر العرب تجاهه.. هذه المشاعر التى لم تتوحد من قبل على شىء، ولهذا كان انتصار سيف بن ذى يزن على الأحباش نبأ أدخل السرور والارتياح على قلوب عرب الجزيرة، وخاصة القرشيين فى مكة، الذين رأوا الخطر الداهم رأى العين، حتى إذا ما أسقط فى أيديهم، وظن الكثيرون أن ضرام الشر المتلمظ سيرسل ألسنته إلى مكة لا محالة.

كانت عناية الله فوق قوانين البشر.. تمثلت هذه العناية فى الطير الأبابيل

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[1].

فمنذ انتشر نبأ النصر الذى أحرزه سيف بن ذى يزن، ولا حديث لأحد فى تهامة إلا عن هذا النصر المؤزر، وعودة ملك اليمن للعرب. وربما خاض بعضهم فى تفصيلات الحرب، ووصف السفن التى أمده بها كسرى، وقد يدفع الإعجاب بشخصية سيف بن ذى يزن إلى أن تنسج الخيالات حوله. قصصاً أقرب إلى الأساطير.

(١) سورة الفيل

اجتمع كبار قريش فى دار الندوة يبحثون أمر إيفاد جماعة من رؤسائهم لتقديم التهنئة للعربى المنتصر، وإظهار شعور الفرحة وتقديم الهدايا.

وتتعلق أنظار المتحلقين بعبد المطلب، وهم ينظرون إليه نظرة إعجاب وإكبار، وإن بعضهم ليعلن أن هزيمة أبرهة أمام الكعبة وأمام سيف بن ذى يزن ما كانت إلا ببركة دعاء عبدالمطلب سيد قريش. ويتساءل الرجال المتحلقون حول زعيمهم عمَّن يضمهم وفد التهنئة، ويعلن الجميع عن الرغبة فى نيل هذا الشرف، والحظوة برؤية القائد العربى المظفر الذى رد الكرامة ومحا العار. هذا الأمر وحده كان شغل الرجال الشاغل ومدار تفكيرهم إلا واحداً لم يشارك القوم أحاديثهم لأن فكرة غريبة ضربت حول عقله سياجاً، فلا يركز إلا فيها ولا ينفك يقلبها على وجوهها ليتحقق هدفه على أفضل صورة يصبو إليها. وعندما سأله عبدالمطلب عن رغبته فى الانضمام للوفد أجاب بكلمة واحدة: لا.

كانت عبارة صغيرة سمعها من أحد الشباب الذين يجلسون خلفه، حولت تفكيره تماماً عما يخوض فيه القوم، بل عزلته عنهم فلم يدرك شيئاً مما قالوا أو ماذا سيفعلون.. قال الفتى الذى يجلس خلفه: إن سيفاً استبدل الفرس بالأحابيش!!.. ومع ما فى هذه العبارة من تحامل على سيف، إلا أنها فتحت أنظاره على شىء كان غائباً عنه.. وتساءل بينه وبين نفسه: متى كانت جميع أمور القبائل بأيديها؟! أليس سيف بن ذى يزن ملكاً وعلى اليمن بتفويض من كسرى؟ والنعمان بن المنذر يحكم الحيرة بتأييد من المدائن، والحارث بن جبلة ملك الغساسنة يحكم الشام بسلطان قيصر الروم، حتى رؤساء القبائل فى أواسط الجزيرة غير متحررين من التبعية بصورة أو بأخرى لسلطان أى من هذين المعسكرين! فلا عليه أن يطلب من قيصر الروم أن ينصبه ملكاً على قريش، ولم يُعيه التفكير كثيراً فقد كان مقتنعاً تمام الاقتناع بروعة الفكرة، والذى يُطمئنه أكثر إلى تنفيذها، أنه اعتنق المسيحية مع ورقة بن نوفل وعبدالله بن جحش بعد أن هداه تفكيره مع أصحاب له إلى نبذ عبادة الأصنام التى جلبها عمرو بن لحى الخزاعى، والتى سعى بها إلى صرف الناس عن دين إبراهيم عليه السلام، واستخف عثمان وأصحابه بعقول من يتقربون إلى أحجار لا تضر ولا تنفع.. بل إنهم يتذللون خاضعين أمامها!! فإذا كانوا كذلك من ضيق الأفق وضحالة التفكير، فأولى بهم أن يخضعوا لسلطان رجل ذكى مثله، يستطيع أن يقبض على أمور الحكم والشرف فى مكة، والتى استقرت فى جماعة لا يبدو أن شيئاً منها سيخرج من أيديهم[2] إلى واحد من بنى أسد بن عبدالعزى. «رهطه». ولو أنه أنجب أولاداً مثل

(٢) كانت السيادة في قريش كالآتي:

(أ) الحجابة والسدانة: وهى حراسة الكعبة وحمل مفاتيحها ويتولاها بنو عبد الدار بن قصي.

(ب) السقاية: ويشرف عليها بنو هاشم لسقاية الحجيج من بئر زمزم

عبدالمطلب أو أمية أو نوفل، لجعل جُلَ همَه في تنشئة هؤلاء الأبناء والمهُد لهم طرق السيادة والشرف، أما وأنه قد حُرِم الأبناء، فلا أقل من أن يُعلي ذكر نفسه حتى لا تنساه الأجيال بعد رحيله إلى مثواه الأخير. وقد كان مطمئنا إلى ترحيب «يوسطينوس الثاني» به وإن الناس ليتحدثون عن الحفاوة البالغة التي قوبل بها الحارث بن جبلة من قبل الإمبراطور «جوستنيان»[٣] وعينه أميرا على جميع قبائل العرب في سوريا ومنحه لقب «فيلارك وبطريق»[٤] وهو أعلى لقب بعد الإمبراطور، وزاد قدره عندما انتصر على النعمان بن المنذر في تشرين سنة ٥٥٤[٥].. إذا فليس بينه وبين ذيوع الصيت والثراء العظيم سوى أن يقطع الطريق بين مكة والقسطنطينية مع أول قافلة تنطلق إلى الشام، ولم يندم على ما فاته من هدايا سيف التي عاد بها وفد التهنئة، بل لم يُلق بالا إلى ما سمع من مظاهر الحفاوة والتكريم التي قوبل بها الوفد، لأن الشاغل الوحيد الذي يدور في فلكه والذي سيطر على تفكيره، هو الهدف الذي لابد أن يعمل على تحقيقه.

انطلق عثمان مع القافلة دون أن يُسر إلى قريب أو صديق بما يدور في خلده، وما فكر أحد أن يكون لعثمان هدف غير التجارة شأنه شأن القرشيين جميعاً. حتى رفاق الرحلة كان يعتزل عنهم بأفكاره، فما يشاركهم الحديث إلا نادرا، وإنه لحريص كل الحرص على ألا تنفلت منه عبارة أو لفظة تنم عن الهدف الذي انطلق من أجله. وإنه ليتخيل القافلة بطيئة عما يجب أن تكون عليه من العجلة، وهو يتمنى أن تُطوى

= (ج) الديات: وكان صاحبها إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً أجابوه.

(د) السفارة: وكان صاحبها ذا حق مطلق في البت في شئون الصلح بعد الحرب أو الخلافات التي تقوم بين قريش والقبائل الأخرى وافضت إلى بني عدي وكان يقوم بها قبيل الإسلام عمر بن الخطاب.

(هـ) اللواء: وحامل اللواء بمثابة القائد ويسير أمام ركبه في القتال والتجارة، وكان اللواء في بني أمية.

(و) الرفادة: وهي الإشراف على الضريبة التي تخصص لإطعام الفقراء من الحجاج. تولاها عبدالمطلب ومن بعده أبوطالب ثم انتهت إلى بني نوفل بن عبد مناف.

(ز) الندوة: وهي بمثابة دار الشورى، ورجالها من الذين بلغوا سن الأربعين، ويختار رئيس الندوة من بينهم. ولا تصدر قريش عن أمر إلا بموافقته. وتولاها الأسود بن عبدالعزى من قصي.

(ح) الخيمة: ويقصد بها حراسة دار الندوة، ويبيح لصاحبه الحق في دعوة دار الندوة وحشد الحشود. وكانت في بني مخزوم

(ط) الخازنة أو بيت المال: وكانت في بني حسن بن كعب.

(ي) الأزلام: ويشرف صاحبها على السهام وكان العرب يستقسمون بها لمعرفة رأي الآلهة وكان القائم عليها قبيل الإسلام صفوان بن أمية – عن كتاب دولة الرسول محمد محمود العربي.

(٣) سنة ٥٢٩م.

(٤) فيلارك وبطريق: Phylaarch and Patricius فجر الإسلام لأحمد أمين.

(٥) هزيمة الحارث للنعمان في تشرين ٥٥٤.

الأرض من تحته ليبلغ الشام ثم القسطنطينية في ساعات معدودات.. وانتهى السير بالقافلة إلى الشام ليتفرق أصحابها في الأسواق، وليبحث هو عن الركب المتجه إلى عاصمة الحضارة الرومانية، حتى يبلغ مشارفها، وتراءت له تلالها السبعة تنهض بقاعاتها الشامخة مطلة على البوسفور والقرن الذهبي وهي تنحدر ناحية بحر مرمرة، كما شاهد على البعد القباب البيضاء اللامعة للقصر الإمبراطوري ونهايات الأعمدة الرخامية وهي تحمل رسوما لم تتضح جلية لناظريها بعد، ولكنها ألقت في قلبه شيئا من الرهبة. وكلما اقترب من المدينة ظهرت معالم هذا القصر العظيم، واقترب سور المدينة، وتراءت البوابات الاثنتا عشرة وهي تتحلى بمظاهر الفخامة وتتناثر على السور أبراج الحراسة التي تبدو وكأنها معلقة في الهواء، وتقدم عثمان إلى الباب المواجه للقصر الشامخ، فإذا به يبصر ما لا عين رأت من مظاهر الرفة والثراء والنعمة، تبدو في مجموعة القصور التي تلي القصر العظيم، والكنائس التي تشق منائرها عنان السماء لتعلن في شموخ عن عقيدة أهل البلاد، وعن التقدم الذي أحرزت به سيادة العالم ومضى عثمان في ذهول يجوس خلال شوارع المدينة بادئا بالشارع الكبير الذي يتوسطها ويضم أجمل وأرقى حوانيتها، حتى أفضى إلى سوق قسطنطين، فراعه ما رأى من تنوع الفنون التي لا تجتمع إلا في مدينة الحضارة، وإن التعجب الذي أحسّ به في أسواق بصرى ودمشق والحيرة واليمن ليتضاءل أمام التقدم الهائل والمدنية المترفة التي تتسم بها هذه المدينة الجميلة الرائعة، حتى إذا قضى أياماً يُهيىء نفسه فيها للمثول أمام حاكم أكبر دولة في العالم، ولم ينتظر كثيراً حتى أذن له في دخول الصرح العظيم. فارتدى الثوب العربي الذي أعدّه لهذه المناسبة، وجعل يخطو ثابتاً في ردهات القصر حتى بلغ قاعة العرش فخر ساجداً أمام الملك وزوجه صوفيا الجميلة، حتى إذا سُمح له بالنهوض وقف يتظاهر بالخشوع أمام جلال الإمبراطور وزوجه ربة الجمال، وعندما أشار إليه بالجلوس استشعر العظمة التي تقمصته، وتمنى لو أن كل رجال قريش ينظرون إليه الآن ليبصروا بأعينهم كيف يجالس أعظم ملك في هذه الدنيا، وإذا كان بعضهم يتيه بلقاء الحارث بن جبلة، أو النعمان بن المنذر، وحتى كسرى أنوشروان، فإنه لقي هؤلاء جميعاً، ودخل قصورهم، ولكن أين قصورهم جميعاً من هذا البهاء الذي يبدو معجزة البشر؟، ومن أين لأي من ملوك الأرض المال الذي يُنفق على مثل هذا الإيوان وما يحيط به من وسائل النعمة والترف. وجمع عثمان شتات نفسه ليبسط أمام الملك ما جاء من أجله، ويشرح قيمة مكة في نفوس العرب على اختلاف انتماءاتهم، وأنه لو نُصّب أميراً على مكة من قبل عظيم الروم، لدانت له العرب جميعاً ولكانت زيادة في ملكه كما حدث أن أصبحت اليمن زيادة في ملك كسرى.

كان يوسطنيوس وزوجه الملكة صوفيا ينصتان باهتمام إلى حديث عثمان وهو يرى

الاهتمام على ملامحهما، فيسهب في توضيح ما لمكة من قداسة ومكانة عظمى، وكيف أن البيت الذى بناه سيدنا إبراهيم تهرع إليه القلوب من أقصى الجزيرة إلى أقصاها، كما أنه ليس لمكة حاكم بالمعنى المعروف، كل ما هنالك أن بها بطوناً تتقاسم الشرف، فإذا ما آلت إليه السيادة.. أبقى على مكانة هؤلاء واتخذ منهم وزراء وأعواناً.

كان يوسطنيوس على علم بكل ما قاله عثمان، ومع هذا أرجأ الرد حتى يفكر في الأمر، وكان قد حان موعد السباق الذى يعد فى المناسبات المختلفة في الميدان مترامي الأطراف الذى يقع جنوبى القصر والذى رُصّت فيه مقاعد متدرجة تتسع لقرابة خمسين ألفاً من المتفرجين.

مضى الملك وزوجه برفقتهما الضيف العربى إلى المقصورة المعدة لذلك، وما أن ظهر الملك والملكة في المقصورة حتى تعالت الهتافات بحياتهما، وهما يردان على تحايا الرعية.

كانت ساعات قضاها عثمان في المقصورة الإمبراطورية وكأنها حلم جميل، وما كانت أحلامه لتصور له ترحيب الإمبراطور به إلى درجة أن يصطحبه في ساعات متعته، وإن الألعاب التى شاهدها لتخلب اللب، وليس لأحد من أبناء صحرائه أن يتصور مدى هذا التنظيم والدقة والبراعة في الفنون، وكان قصارى ما رأى ألعاب النيرنجيات في أسواق فارس، ولكن الذى رآه اليوم شيء يفوق الخيال.

عاد الثلاثة إلى القصر الإمبراطورى ليجلس الضيف العربى إلى وليمة العشاء الفاخرة والتى لا يتسنى لأحد من العرب أو غير العرب أن يجمع على مثلها صنوف هذا الطعام وهذه الفواكه التى لا تجود بها إلا بلاد الشام والولايات الرومية.

وبينما كان عثمان يتناول طعامه فى هدوء، منحياً طريقته العربية الشرهة، فلم يهجم على الطعام هجوم الذئاب الجائعة كما يفعل هو وقومه ولكنه كان يتناول القطعة الصغيرة ويمضغها فى مهل شأن المتحضرين.

وبينما القاعة في هدوء لا يقطعه غير صوت تقطيع الطعام، نظر الإمبراطور إلى عثمان فتوقف عثمان عن المضغ ليستمع إلى الخبر الذى من أجله تجشم الصعاب، فقد أخبره الملك أنه قبل ما عرضه عليه ولولا أنه كان على مائدة الطعام لقام يقبل رأس الملك وقدميه على ما تفضل عليه من عزّ الدنيا.

كانت فرحة الإمبراطور والإمبراطورة لا تقل عن فرحة عثمان، فها هو الحلم الذى طالما راودهما يتحقق بأيسر مما يتصوران، فطالما تمنيا لو أن نصارى الحبشة ونصارى اليمن يتصلان بسبب بنصارى الدولة الرومانية وها هي ذى أولى حلقات الوصل تتحقق بتنصيب حاكم نصراني على مكة. وإذا كان عثمان قد عرض عليه أن يوافيه بخراج تهامة ووافقه على ذلك، فهو في غنى عن هذا الخراج الهزيل وإن كان سيقبله لكي يحس هؤلاء الأعراب بالإذعان للسلطة الرومانية وأن هناك يداً فوقهم. ولا ضير من أن يعود هذا الخراج ولو مضاعفاً في صورة عطايا وهدايا لعثمان ليوطد مكانته التى هي توطيد لمكانة النسر الرومانى.

حمل عثمان كتاب الإمبراطور الذى يوليه فيه حاكماً على مكة من قبله، وختم فى أسفله بالذهب وهو يكاد يتقافز فى دروب القسطنطينية من الفرح، ولم يحمل هذا الكتاب فحسب، ولكن الهدايا الثمينة التى تفضل بها عليه تجعله يتيه فخراً على كل الدنيا، لقد أهداه الإمبراطور هدايا أثمن من أن تقدر بمال، حتى بغلته أهداها سرجاً موشاة بالذهب وقبل أن يهم بالانطلاق ناحية الشرق، توجه إلى كنيسة أيا صوفيا ليصلى فيها شكرا لله وشكرا للإمبراطور، وإن لم يكن يدرى ما تتمتم به شفتاه لأن شعور الفرح لم يكن ليدع شعورا يأخذ من تفكيره شيئاً، وما كان له أن يبقى في القسطنطينية بعد أن تم له ما أراد، وما أسرع أن تهيأ للرحيل لينضم إلى أقرب قافلة متجهة إلى الشام لينطلق منه إلى حيث ينتظره عز الدنيا في مكة، ومع أن الوقت لم يطل في انتظار القافلة إلا أنه كان أعجل ما يكون وود لو استطاع أن يحلق كما تحلق الطيور ولو استطاع لما تمهل لحظة واحدة، ولكن لابد من الصبر على هذه الرواحل الكسلى.. عزاؤه أنه استطاع أن يبلغ مأربه دون عقبات تقف في طريقه، وما أن تراءى له الأخشبان في الأفق حتى تهيأ ليلبس الثوب الحريرى المزركش الفضفاض الذى خلعه عليه يوسطنيوس، ووضع السرج الموشاة بالذهب على ظهر بغلته ولم تسمح له العجلة أن يذهب إلى داره لينال قسطاً من الراحة من وعثاء السفر، ولكنه انطلق إلى الحرم ليطوف بالبيت ثم يصيح:

- يا قوم .. يا قوم..

واتجه إليه الناس يشخصون إليه بأبصارهم ويعيرونه أسماعهم وهو يقول: - يا قوم - إن قيصر من قد علمتم، أموالكم ببلاده، وما تصيبون من التجارة فى كنفه، وقد ملكني عليكم، وإنما أنا ابن عمكم وأحدكم، وإنما آخذ منكم الجراب من القرظ والعكة من السمن والأوهاب فأجمع ذلك ثم أبعث به إليه وأنا أخاف إن أبيتم ذلك أن يمنع عنكم الشام فلا تتجروا به ويقطع مرفقكم منه.

وأذهلت المفاجأة الناس، ونزل عليهم الخبر كأسوأ ما يكون، فلا يتصور أحد من سادة الحرم أن تكون عليهم سيادة، وهم الذين سبق لهاشم أن أخذ لهم حبلاً[6] من الروم وغسان بالشام، وأخذ لهم نوفل حبلاً من الأكاسرة بالعراق، وأخذ لهم المطلب حبلاً من حمير باليمن، فاختلفت قريش بهذا السبب إلى هذه النواحي[7].. ولكن - وهم يعلمون ما لقيصر من سطوة - اجتمع سادتهم فى دار الندوة، وقلبوا الأمر على وجوهه، فلم يجدوا بداً من الرضوخ لهذا الأمر المهين الذى سيجبرهم - وهم السادة - على دفع الجزية وهم صاغرون بعد عقد التاج على رأس عثمان.

(٦) حبلاً: عهداً.

(٧) الكامل في التاريخ جـ٢

لم يمض غير يوم واحد على اجتماع سادة قريش فى دار الندوة، وإقرارهم بالمهانة، حتى هبوا نحو صائح فى الحرم:

- يا قوم.. يا قوم.

وإذا بصاحب هذا الصوت أبو زمعة الأسود ابن المطلب بن أسد - ابن عم عثمان بن الحويرث - يصيح وحروف كلماته تحمل شظايا الغضب:

- عباد الله.. ملك بتهامة؟!

وثاب الناس إلى رشدهم، وأدركوا الخطر الداهم الذى كاد يحيق بهم ليسلبهم أعز ما يتيهون به.. عزهم وكبرياءهم وصوت أبى زمعة يرن فى آذانهم:

- إن قريشاً لقاح(8) لا تملك.. إن قريشاً لقاح لا تملك.

وهاج الناس بصيحات الاستنكار لما جاء به عثمان، ولو أنه بينهم فى هذه الساعة لفتكوا به.

لم ينتظر عثمان حتى ينصرم الليل وانطلق يحث السير إلى الشام ثم إلى القسطنطينية ليشكو قومه إلى الإمبراطور ويستعديه عليهم ليبطش بهم ويمكن لعثمان من السيادة عليهم، فأمر الإمبراطور كاتبه أن يكتب إلى جفنة، ملك عرب الشام ليجهز جيشا لحرب قريش وليخضعهم لأوامره، وقد كبر عليه أن تعصيه جماعة متفرقة من البشر لا يجمعهم جامع، ما إن يروا زحف الجند حتى يوفضوا إليه صاغرين، وهمَّ جفنة أن يجهز كتيبة لذلك حتى أتته كتب من الأعراب المحيطين به تنهاه عن ذلك وتذكره بالمصير الذى حاق بفيل أبرهة وقد كان أكبر عدة وعتاداً، وكيف فتك رب الكعبة بأصحاب الفيل.

جلس جفنة بينه وبين نفسه، ثم استشار المقربين منه فلم يشر عليه أحد بمهاجمة مكة حتى لا يلقى ما ألقى أبرهة وجيشه ولكنه بين أمرين كلاهما مر.. إما أن يعصى هرقل فيعرض نفسه للعزل والعقاب، وإما أن يفعل ما أمره به، وذلك ما لا يستطيع أن يقدم عليه. واهتم لهذا الأمر هماً لا مثيل له، وعزف عن الطعام والشراب، وهجر أصحابه وسماره، حتى دخلت عليه زوجه - وهى أحد مستشاريه - لتطمئنه أنها وجدت الحل الذى ينقذه حتى من اللوم.. فيستحثها جفنة: قولى.. قولى بربك.

- السم.. يقتل عثمان بالسم.. ولدىَّ قميص مصبوغ بالسم كانت إحدى الكاهنات قد أهدته إلىّ لأهديه لمن أريد التخلص منه، وما عليه إلا أن يلبسه حتى يتسلل السم إلى جسده.. لابد أن تهديه إلى عثمان، وأن يلبسه أمامنا.

(8) اللقاح: الفحل الذى يلقح النوق ويكون ملكاً للقبيلة وليس لرجل بعينه.

المراجع: الكامل لابن الأثير جـ٢ - السيرة النبوية لابن هشام/ المغازى للواقدى/ البداية والنهاية لابن كثير - تاريخ الإسلام للذهبى/ فجر الإسلام لأحمد أمين/ دولة الرسول للدكتور: محمد محمود العربى.

وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

أمين عام اللجنة العليا للدعوة الإسلامية

برغم أنى أحب أن يتخلص المسلمون - وأنا واحد منهم - من عادات كثيرة فأحب أن نتخلص من نظرتنا للدين وفهمنا له ونصحح كثيرا من مفاهيمنا الخاطئة كما نصحح علاقتنا بالله. ومما يجب علينا أن نصححه على سبيل المثال لا الحصر:

إننا «موسميون» نتعامل مع أحداث التاريخ الإسلامى تعاملا موسميا وقتيا.

ليس فقط بل من منطق قصصى - أو إن صح التعبير أو جاز - نصوغ التاريخ والأحداث فى حكايات وأقاصيص وتتحول الأحداث العظيمة إلى (حدوتة) وتنزلق العظة والعبرة بل تنحدر إلى مهاوى التسلية وتزجيه الفراغ وننسى بعد وقت قصير الحدث والعبرة ولا يبقى منه إلا بعض حكايات هلامية أقرب إلى الوهم لا تدفع الإنسان إلى عمل جاد نافع أو تحمله أن يقلع عن عادة مرذولة. ولقد حمل ابن تيمية على القصاص وأخرج كتابه المسمى «أحاديث القصاص»(1) وفند فيه حكايات نسبوها إلى النبى ﷺ وبين فسادها بعقل راجح كبير ومنهجية عالية. فكان رأيه جيدا مقبولا ودفاعه عن السنة رائعاً مجيداً وليس من العقل ولا من الإنصاف والدين أن نرفض هذا الرأى لأن قائله ابن تيمية ولا يمكن أن يُرفض ابن تيمية جملة لأنهم زعموا أنه يناهض التصوف. ولم يكن ذلك منهم لأن القصص مرفوض أو حرام - فالقصص كثير فى القرآن الكريم بل حث عليه سبحانه وتعالى حيث قال:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾(2).

فالرفض إذا ليس للقصص وإنما للاختلاق وإيراد ما لم يرد.

(1) أحاديث القصاص: تحقيق الشيخ أحمد عبدالله باجه، ط الدار اللبنانية المصرية.

(2) يوسف (111)

فقد يكون من الحزم أن يرفض الإنسان مباحا أو حلالا جائزا لأنه يجر إلى ممنوع أو حرام، ورحم الله الإمام مالك الذى قال (بسد الذرائع) فهو انفرد بين الأئمة بهذا المبدأ الأصولى الذى أثبتت الأيام، والأحداث وشذوذ البشر جدواه وضرورته حيث إنه يقتضى منع المباح إذا كان يوصل إلى حرام وهذا من الفقه الجيد والسياسة الشرعية الرشيدة فى معالجة الفساد قبل وقوعه وخير سبيل فى إصلاح الدهماء وليس هذا تزيدا من الإمام مالك كما قد يتوهم بعض قصار النظر ممن ينسبون إلينا وإلى ديننا تعنتا وغلوا بسوء قصد وعن رغبة فى التضليل للتخلص من عُرى الدين وآدابه الرفيعة.

قال صاحبى وتبدو عليه حالة غريبة بين التذمر الحذر والإعجاب المتحفظ: إسمح لى أن أطلب منك أن توضح دوافعك لهذا الكلام وأن تبين لى علاقته بعنوان مقالك؟

قلت لصاحبى لقد أثارتنى صفحات مجهولة الهوية والمصدر ظاهرة الحقد والكراهية للإسلام كله قرآنا وسنة وصحابة وحديثا ومحدثين تحمل عنوانا سيىء الأدب مستفزا يقول: «النبى ﷺ بين القرآن الكريم وأخطاء البخارى وإخوته» وقد تغضب لما وصف به البخارى والمحدثين لكنك إذا عرفت أن النبى ﷺ وجهت إلى ذاته الشريفة سهام الطعن المسموم، وأن القرآن الكريم حاول المغرضون تشويهه بكل سبيل خلط كلماته وآياته فماذا أنت فاعل؟

ولا أحب أن أدنس مجلة الأزهر بنقل السفاهة التى تعرض بها الكاتب لكنى - على كره منى - أحاول أن أتناول عدة نقاط وردت فى البحث المشئوم المسموم.

أولاً: لماذا لم يعلن البحث عن هويته إن كانت له هوية أو جهة علمية أصدرته؟

ثانيا: فى نهاية البحث كتب «القاهرة فى ٢٩ / ١٢ / ٢٠٠٣م د. عثمان محمد على» وأظن أنك تعلم أن ما بين القوسين كلمات لا معنى لها ولا مدلول وأنها يمكن أن تستبدل مثلا (تل أبيب - واشنطن - امستردام - موسكو) وأى تاريخ اخترت وأى اسم شئت!!

ثم قلت لصاحبى بالله عليك هل هذه شجاعة بحث ونزاهة باحث يريد أن يعلن عن رأيه أم أن هذا عمل تخريبى لا يقدِّر فاعله عواقب فعله.

ثالثا: إننى مهما ترفعت عن ذكر ما ورد من إفك فى هذه الصفحات مجهولة الهوية إلا أننى لا أستطيع أن أتجاوز بهتانا شاذا وغريبا.

قال صاحبى مقاطعا: أراك تبرر لنفسك فعلا آليت على نفسك ألا تفعله.

قلت فى حدة: دعنى من سفسطتك فالأمر أكبر من أن يُحتمل فهو عمل بادى التجنى على الحقائق خارج عن حدود الأدب والفهم والبديهة، وقد اخترت لك نموذجا مما استفزنى تحت عنوان «وظيفة الأنبياء» أورد الباحث قوله تعالى:

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾(٣).

(٣) الكهف (٥٦)

﴿ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٤).

ثم يقول: وهنا نطرح سؤالا، يطرح الأستاذ الباحث السؤال على النحو التالى: هل استقال الشيطان من عمله؟ أم ناصب العداء لبنى آدم بما فيهم الأنبياء؟ وهل هو أقوى أم الأنبياء؟

فجأة قام صاحبى مذعورا يصرخ كأنما لدغه ثعبان قائلا: ما هذا الحمق والتجنى ثم أردف ألفاظا أربأ بمجلة الأزهر عنها وقلت فى - رزانة واتزان لصاحبى مطالبا إياه بالهدوء والتحلى بالأناة - الأمر أخطر من هذا وحيث إن السفر طويل والعقبة كئود عليك أن توطن نفسك «وجيلك كله معك» على مباراة تستخدم فيها ضدك أنت ودينك كل الأسلحة القذرة وفى كل اتجاه.

كتم غيظه وظل إلى جوارى يغلى كقدر البخار المضغوط وأنا بدورى أسأل الأستاذ الباحث: هل فهم وظيفة الأنبياء؟ وهل عرف من هو النبى؟ لابد أنه يعرف ويلقى سمومه فى خبث لأنه تمادى وقال: نعود للقرآن الكريم لنسترشد به ثم أورد الآيات الآتية:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾(٥).

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٦).

ثم عاد الباحث العليم بأساليب البحث العلمى عما يتصور أنه حقيقة أو قل إن شئت ما يريد أن يلقيه فى أذهان صبية يستمعون إليه وهو يعلم أنه افتراء وجهل محض يقول: ومن هنا نفهم - (وليته قال من هنا نجهل أو من هنا نمكر) من الآيات السابقة أن الشيطان أقوى من الأنبياء ومن الناس؟

قال صاحبى فى غضب عارم: أو مسلم الذى قال هذا الكلام أو عاقل ذلك الذى أورد السؤال؟

قلت لصاحبى فى هدوء ويقين: دع إسلامه وعدم إسلامه لله.

﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾(٧).

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾(٨)

فلست أنا وأنت نستطيع الإجابة عن هذا السؤال.

ثم تماديت فى يقينى وإيمانى قائلا لصاحبى أسأله: هل هذه أساليب البحث العلمى؟ وهل هذا هو التجرد النزيه الذى تزعمه الحضارة الغربية؟!

ثم تلطفت قائلا لصاحبى: فلنعد إلى كتاب الله نستلهم منه الجواب واليقين ولنزدد منه وبه إيمانا وعقلا ولنرجع إلى سورة «الحجر» (٩)

(٤) الأنعام (٤٨)　(٥) المؤمنون (٩٧)　(٦) الأعراف (٢٠٠)

(٧) الطارق (٩)　(٨) الحاقة (١٨)

(٩) والحوار تكرر فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومعناها (العقل)، ولنعد قراءة حوار جرى بين الله - سبحانه وتعالى - وبين إبليس الشيطان الرجيم وأنا أقول فلنعد لأننا قرأناه من قبل ورددناه كثيرا دون وعى أو يقين يقول الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[١٠]

فاستجاب الملائكة للأمر الإلهى كما قال الله.

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[١١]

وامتنع إبليس فلم يمتثل كما قال الله.

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[١٢]

فقال الله - سبحانه وتعالى - يوجه كلامه لإبليس ليبين حجته وسبب امتناعه:

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[١٣]

فيرد إبليس فى كبرياء زائف وغرور أحمق أعمياه أن يفهم أن السجود ليس لآدم ولكن لخالق آدم.

﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[١٤]

فكان الحكم الإلهى بطرده من الجنة.

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[١٥].

وأيقن الشيطان الرجيم أن حكم الله بطرده ولعنه ثابت عليه إلى يوم الدين فطلب من الله - تعالى - أن يبقيه إلى يوم البعث.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[١٦]

فأجابه الله تعالى:

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾[١٧]

فتوعد إبليس بنى آدم لأن آباهم فى تصوره كان سببا فى طرده من الجنة ولعنه، ومع حقد إبليس على آدم وبنيه إلا أنه استثنى منهم طائفة ممتازة هم عباد الله المخلصين.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[١٨]

وإبليس يعلم حدود قدرته وضعفه أمام

---

(١٠) الحجر (٢٨، ٢٩) (١١) الحجر (٣٠) (١٢) الحجر (٣١)
(١٣) الحجر (٣٢) (١٤) الحجر (٣٣) (١٥) الحجر (٣٤)، (٣٥)
(١٦) الحجر (٣٦) (١٧) الحجر (٣٧)، (٣٨)
(١٨) الحجر (٣٩)

الطائفة الممتازة المختارة من عباد الله فاعترف بضعفه وأقر بقوتهم فاستثناهم فقال:

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[١٩].

فقال الله - سبحانه وتعالى - مؤكدا ضعف ابليس وأعوانه من الجن والإنس، وأن أمره تعالى وإرادته قضت بهذا التميز:

﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[٢٠].

صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين.

قال صاحبى صائحا مبتهجا كيف؟ وبأى عقل؟ بل بأى سماجة تجرأ هذا الدعى وفهم من الآيات السابقة التى أوردها أن الشيطان أقوى من الأنبياء ومن الناس؟

قلت دعك من السباب، وانتبه لحرب ماكرة خبيثة توجه للإسلام وكن يقظا حذرا، ولا أملك إلا أن أعيد كلمات كتبها العالم الخبير الدكتور البيومى[٢١]: «هوجم الإسلام بضراوة ماكرة من قوم يتسمون ظاهريا بطابع البحث التاريخى المقارن، وهو طابع مدخول لأنه لا يرتكز على الحقائق النزيهة التى دونها التاريخ قدر ما يرتكز على اصطياد أخبار ملفقة تكون وحدها مصدر التحليل والتعليل لتصل بالقارىء إلى ما يريده الدارس المغرض من الاقتناع بأفكار يضعها فى رأسه قبل أن يبدأ خطوات البحث، لتكون النتائج التى يبتغى الوصول إليها متسقة مع هذه الأفكار تمام الاتساق، وهى سبيل مكشوفة لم تعد تجد صداها عند المنصفين».

ثم قلت لصاحبى لقد حالت ظروف دون نشر مقالى عن الهجرة فى المحرم ففرحت لأنى أحسست كأن الله - سبحانه وتعالى - قد استجاب لى حتى أخرج بالفعل لا بالقول من حزب «الموسميين» إلى حزب الذين يريدون أن تعيش أحداث الإسلام حية نابضة فى قلوب المسلمين وعظاتها متوهجة فى عقولهم تصهر حياتهم بسماحة الدين فتزيدهم يقينا وتمسكا بسنة نبيه ﷺ.

ثم فارقت صاحبى على موعد باللقاء واستكمال حديثنا عن التوسل فى العدد القادم إن شاء الله.

---

(١٩) الحجر (٤٠)
(٢٠) الحجر (٤١)، (٤٢)
(٢١) افتتاحية مجلة الأزهر عدد المحرم ١٤٢٥هـ تحت عنوان «الطريق إلى مكة» للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبدالموجود أمين

الإصلاح من أجل أمريكا وإسرائيل

تحت هذا العنوان نشرت جريدة (الحياة) اللندنية فى عددها الصادر فى ٣ من مارس كلمة للكاتب / عبدالوهاب بدرخان قال فيها :

ـ أصبح المشروع الأمريكى لـ«الإصلاح» على جدول أعمال العرب ، أقطاراً منفردة وجامعة عربية . السبب واضح : غياب مشروع عربى داخلى أو إقليمى لـ«الإصلاح» . ولابد أن الباحثين فى تطوير العمل العربى المشترك ، من خلال تطوير هياكل الجامعة العربية ، وجدوا أنفسهم فجأة فى سباق مع الورقة الأمريكية ، وهو سباق غير متكافىء ، فما يربط كل دولة عربية على حدة بالولايات المتحدة يبدو أقوى وأكثر فاعلية مما يربط أى دولة بالجامعة العربية .

ومع أن القمة العربية المقبلة تستعد لإعلان موقف «موحد» من المشروع الأمريكى ، إلا أن المواقف المتفرقة ستبقى سيدة الموقف لأن واشنطن لم تعد تعترف بوجود شىء اسمه «النظام العربى» ، كونها عملت بشكل مباشر على إحباطه وتفتيته . والحاصل الآن أن الدول العربية تتحرك تجاه الولايات المتحدة ، كل دولة حسب مصلحتها وسعياً إلى مكاسب مبكرة ، ولا تبالى مسبقاً بما ستقرره قمة تونس .

ولا شك أن هناك دولاً تتهيأ للعب دور «الريادة» فى قضية «الإصلاح» ، متسلحة ببديهية محسومة هى أن الولايات المتحدة ستعرف كيف تفرض إرادتها على الكبير والصغير ، وبالتالى فالأجدى احتلال موقع متقدم فى الخطوة الأمريكية . فمن

يبلغ أولاً أنه موافق يمكن أن ينال مكاسب وامتيازات لن يحصل عليها الموافقون المتأخرون . وإذ يقال إن الأوروبيين يسعون إلى تعديل المشروع الأمريكى ، وأنهم يحاولون التنسيق مع العرب ، إلا أن المسعى الأوروبى قد يصطدم بواقع أنه ينسق مع عرب يصعب أخذ كلمتهم على أنها مؤكدة ومضمونة ، أى انه يمكن البناء عليها لـ«تحسين» الشروط الأمريكية .

الجديد فى الموضوع أن المبعوث الأمريكى مارك جروسمان انضم بدوره إلى الجوقة العربية المنشدة ، فقال : «الإصلاح لا يمكن أن يفرض ولن يفرض من الخارج» ، وعلى افتراض أن من سمعه من العرب يريد أن يصدقه ، فالسؤال هو : هل يصدق جروسمان نفسه ؟ الأرجح لا ، لكنه يلقى إلى العرب بما يودون استهلاكه ، فالمشروع الأمريكى صيغ بذهنية ١١ سبتمبر وبنى على أساس نظرة فوقية مستعلية وبوشر نقاشه مع الأوروبيين ولم يصل إلى أصحاب الشأن إلا تسريباً . كما أنه مشروع لا يقول كل ما عنده ، ولا يفصح عن نياته ، تماماً كما كانت الحرب على العراق ، إذ لم يقل أحد أنها مشروع احتلال دائم للعراق (حتى بعد تسليم السلطة) تمهيداً لاحتلال مباشر أو غير مباشر للمنطقة (باللجوء إلى القوة العسكرية أو من دونها) . ففى المقارنة يبدو مشروع «الإصلاح» بمثابة برنامج سياسى للاحتلال العسكرى . إذا قرىء فى ظاهره فإنه قد يبدو لكثيرين إيجابياً لا يريد سوى الخير لهذه المنطقة وأهلها ، لكنه فى باطنه يرمى إلى إعادة صوغ المنطقة وأهلها لتغدو منسجمة مع السياسة الأمريكية وأخطائها بل تلقائية الطاعة لها .

منذ اللحظة الأولى طرح الأمريكيون أفكارهم لـ«الإصلاح» العربى متعمدين تجاهل القضية الفلسطينية . تخيلوا أن «الإصلاح» شىء داخلى بحت ولا علاقة له بهواجس الأمن . هذا لا يعنى سوى أنهم يراهنون على أنظمة قمعية مستصلحة ، مهمتها أن تقول لشعوبها : انسوا الفلسطينيين ، انسوا إسرائيل ، تذكروا «ماما أمريكا» .. الكرة تعود إليهم الآن ، فأى اصلاح داخلى أو اقليمى لن يغير شيئاً من واقع تمارس فيه إسرائيل جرائم حرب وإرهاب دولة وتسعى إلى إلغاء شعب تحتل أرضه وحياته .

الإدارة الأمريكية تواصل تدمير العراق

وعن جريدة الوطن العمانية نقلت «الوفد» الصادرة فى ٣ من مارس هذه الكلمة للكاتب العراقى وليد الزبيدى يقول فيها :

ـ لو بقيت أسرار برنامج الأسلحة العراقية المحظورة فى الخفاء ، ولم يتمكن أحد من الوصول إليها ، لوجدت القوات الأمريكية غطاء لاعتقال العلماء العراقيين ، ولم يتمكن أحد من الاعتراض على ذلك ، على اعتبار أن مهمة البحث عن الأسلحة الخطيرة ، توجب أخذ المعلومات من بعض العلماء ، الذين ساهموا فى

بناء برنامج الأسلحة، لكن ما يجرى الآن فى العراق من اعتقال للعلماء، لا يمكن إيجاد تفسير له، إلا من خلال الزوايا التالية:

أولاً: أن عمليات الاعتقال التى تستهدف العلماء والتى تنفذها القوات الأمريكية فى العراق، تتكامل مع عمليات الاغتيال التى تستهدف المئات من الأطباء.. العلماء.. الأساتذة، وبدأت بعد أيام من بداية الاحتلال، ومازالت مستمرة، ولم تتخذ قوات الاحتلال الأمريكى، أى خطوة لحماية العلماء، الأمر الذى يدلل على ما قلناه، أن ذلك يتكامل مع ما تقوم به القوات الأمريكية من اعتقالات.

ثانيا: أن ثمة مخططا، لا نعرف بالضبط من يقف وراءه، يهدف إلى إجبار العلماء العراقيين، على مغادرة العراق، أو الاختفاء، وفى كلتا الحالتين فإن الخسارة أكبر من جسيمة، وهذا أمر يهدد مستقبل العراق، خاصة أنه قد تم ابعاد الآلاف من الأساتذة والعلماء عن الجامعات والمستشفيات ومراكز البحث العلمى والدوائر والوزارات، تحت لافتة القضاء على حزب البعث، وإذا ما استمرت الأوضاع، على هذا الحال من عمليات إبعاد وقتل وتخويف، يضاف إلى ذلك الاعتقالات، فإن الصورة ستكون مجسمة أكثر، وتبرز جميع أوجهها المرعبة بالنسبة لمستقبل العراق.

ثالثا: فى الوقت الذى تتواصل فيه عمليات الاعتقالات ولم يتم اطلاق سراح الذين تم اعتقالهم منذ أشهر، فإن الصمت المطبق يلف الجامعات ومراكز البحث وحقوق الإنسان فى العالمين العربى والإسلامى، ولم نسمع باحتجاجات أو رسائل استنكار تقدمها هذه الجهات مطالبة بإطلاق سراح العلماء، والتوقف عن اعتقال المزيد، ولم نجد من يتحرك مع هذا الصعيد، سوى مركز رصد الاحتلال فى العراق بإمكاناته البسيطة، والذى نظم تظاهرة للمطالبة بإطلاق سراح العلماء، وتحاول مديرة المركز إيمان أحمد أن توصل صوتها لكن، وللأسف، ليس ثمة استجابات بالمستوى المطلوب، بالأخص فى العالمين العربى والإسلامى.

إن علماء العراق، لا يمثلون أسلحة الدمار، لكن من الواضح أن هناك آلاف المسوغات، التى تتوكأ عليها إدارة الاحتلال لمواصلة تدمير العراق، ابتداء من أهم سواتره العلمية، وهم العلماء.

مذابح الشيعة

تحت هذا العنوان كانت الكلمة التى كتبها الأستاذ/ جمال بدوى بجريدة (الجمهورية) بتاريخ ٤ من مارس يقول:

ـ لمصلحة من ترتكب المذابح ضد المسلمين الشيعة؟ فى العراق اهتزت العتبات المقدسة تحت وقع الانفجارات البشعة فأودت بحياة أبرياء لا يقل عددهم عن (٢٠٠) وإصابة (٣٠٠) أثناء الاحتفال بذكرى استشهاد الإمام الحسين فى كربلاء، وقالت السلطات العسكرية الأمريكية إن الانفجارات كانت نتيجة عمليات انتحارية، والتفجير عن بُعد، وإلقاء قذائف الهاون وهى أعمال لا تقوم بها إلا منظمات إرهابية مدربة، وفى بغداد وقعت تفجيرات مماثلة حول أكبر مسجد شيعى، وفى باكستان تعرض موكب شيعى لهجوم مسلح قتل أثناءه حوالى خمسين شخصا، وإصابة مائة آخرين مما دفع الشيعة إلى إحراق العديد من المنازل والمتاجر.

يقول المبدأ الأمنى: ابحث عن المستفيد من الجريمة.. تصل إلى الفاعل وإذا بحثت عن المستفيدين من العدوان على الشيعة، فلن تجد بينهم جماهير أهل السنة الذين يجمعهم بالشيعة كتاب واحد، ونبى واحد، وقبلة واحدة، وهموم مشتركة مصدرها الحال البائسة التى يعيشها عالم الإسلام، وإنما المستفيد من هذه المذابح هو العدو المشترك للمسلمين، والذى يعمل عن إذكاء النار والوقيعة فى صفوفهم حتى يتحولوا إلى شراذم يضرب بعضها وجوه البعض الآخر، ويغرقون جميعا فى حمامات دموية يستحيل بعدها نهوضهم من مرقدهم.

تحاول بعض التفسيرات السطحية أن تعزو تفجيرات كربلاء وبغداد إلى «سنة» العراق بزعم أنهم يحاولون تعطيل الانتخابات العامة التى من المقرر أن تسفر عن أغلبية شيعية تمنحهم مكتسبات تعوضهم عن الظلم الذى حاق بهم أثناء حكم صدام حسين، ويدحض هذه التهمة أن طغيان صدام حسين لم يقتصر على الشيعة، وكان من عموم البلاء حيث أصاب أهل السنة أيضا، ومقابر مثلث بغداد السنى أبشع شاهد على ذلك، ومذابح «حلبجة» التى أصابت الأكراد -وهم من السنة- أسوأ دليل على أن أذى صدام لم تسلم منه طائفة أو جماعة عراقية رفضت التسليم بألوهية صدام حسين (!!).

ولو سلمنا -جدلا- بمسئولية أهل السنة عن تفجيرات كربلاء وبغداد لأسباب ودوافع عرقية طائفية: فمن المسئول عن تفجيرات مدينة كويتا الباكستانية؟ لقد فطنت المراجع الشيعية العراقية إلى خطورة توجيه الاتهامات الجزافية إلى سنة العراق، وبلغ السيد على السيستانى ذروة التعقل والحكمة حين تصدى لهذا الاتهام، ولم ينجرف وراء الاتهامات المتسرعة، وألقى الكرة فى الملعب الأمريكى، وقال: إن الاحتلال الأمريكى مسئول مسئولية مباشرة عن ضياع الأمن وعدم الاستقرار فى العراق، وكذلك فعل الرئيس الإيرانى محمد خاتمى فوصف التفجيرات بأنها من عمل الشياطين الذين يريدون إشاعة الفوضى فى العراق حتى يتحقق لهم البقاء فى العراق.

الخلاف بين السنة والشيعة فى العراق هو خلاف تاريخى فى المفاهيم السياسية، ولكنه لا يصل إلى حد المواجهة المسلحة، والتصفيات الدموية، وكلاهما يدرك استحالة اقتلاع الآخر، ومن هنا كان وقوفهما معا ضد طغيان صدام حسين، والتوجه نحو المستقبل لبناء عراق جديد يتمتع بالحرية والديمقراطية والمساواة، ومن ثم جاءت هذه العمليات الاجرامية لزرع الفتنة بين أكبر طائفتين فى العالم الإسلامى.

محاكمة إسرائيل كشفت أمريكا

تحت هذا العنوان كتب محمد هزاع فى جريدة (المساء) الصادرة يوم ٢٦ من فبراير يقول:

ـ منذ الدقيقة الأولى لبداية جلسات محكمة العدل الدولية حول «الجدار العازل» الذى تقيمه إسرائيل، بدا واضحا أن المسألة تحولت إلى محاكمة عالمية لسياسات إسرائيل جملة وتفصيلاً.

ويبدو أن هذا الأمر أثار الولايات المتحدة الأمريكية وأغضبها فنزعت عنها ما تبقى من «برقع الحياء» وأفصحت عن موقفها الحقيقى من القضية بوضوح حيث وجهت تحذيرا للمحكمة الدولية من مغبة إصدار قرار -المفروض أنه استشارى- بخصوص مدى مشروعية هذا الجدار العنصرى، بل وبدأت ممارسة الضغوط على بعض الدول التى كانت قد أبدت استعدادها للمشاركة فى الدفاع عن حق الشعب الفلسطينى فى التمتع بكامل حريته على أرضه كى لا تشارك بأى نوع من أنواع المشاركة فى هذا الحدث الدولى العام!!

وهكذا تأكد ما هو مؤكد أصلاً لدى كل المنصفين حيث ثبت يقينا أن ما يوصف بأنه سياسات إسرائيلية فيما يتعلق بإقامة «معازل» للشعب الفلسطينى كوسيلة لمنع قيام الدولة الفلسطينية هو فى الحقيقة سياسة «إسرائيلية- أمريكية».

هذا هو ما قاله بالتحديد المفكر الأمريكى صاحب المواقف المتميزة «ناعوم تشوميسكى» رغم أنه يهودى قح فى مقال نشرته له أخيرا جريدة «النيويورك تايمز».

أوضح «تشوميسكى» أنه لولا الدعم الأمريكى غير المحدود للدولة العبرية ما أقدمت على ارتكاب مثل هذه الجرائم فى حق الشعب الفلسطينى، مشيرا إلى أن هذه السياسات ليست فى صالح إسرائيل ولا فى صالح أمريكا على المدى البعيد.

وما يقوله الرجل صحيح بنسبة ١٠٠ فى المائة لأن سياسات الثنائى المتوحد «بوشارون» ترسخ العداء لدى الفلسطينيين والعرب والمسلمين، بل وكل شعوب الأرض لكل ما هو إسرائيلى أو أمريكى وربما تكون استطلاعات الرأى الأخيرة فى أوروبا وأمريكا نفسها أكبر دليل على ذلك حيث بات مؤكدا أن قطاعات كبيرة من شعوب العالم بما فى ذلك الشعبين الإسرائيلى والأمريكى ترى أن «بوشارون» أخطر على العالم من كل من يوصفون بالإرهاب أمثال «بن لادن» و«صدام» وغيرهما.

وإذا كان الأمر كذلك فهل يستمر المروجون للسياسات «الأمريكائيلية» فى الشرق الأوسط فى الحديث عن حيدة ونزاهة وشراكة ورعاية أمريكا لخطط السلام بالمنطقة؟!

أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ:
محمد الشرقاوى

وثيقة إسلامية لحقوق الإنسان بأوروبا

تم اكتشاف وثيقة تاريخية هامة فى البوسنة والهرسك كان قد أصدرها السلطان العثمانى «محمد الفاتح» حول حقوق الإنسان تضمن للنصارى الكاثوليك والأرثوذكس وغيرهم حقوقهم المدنية والدينية.

وتعتبر هذه الوثيقة من أقدم إعلانات حقوق الإنسان حيث سبقت الإعلان الفرنسى لحقوق الإنسان عقب الثورة الفرنسية عام «١٧٨٩م» بحوالى «٣٢٦» عاماً.

وسبقت ميثاق الأمم المتحدة عام «١٩٤٨»، بحوالى «٤٤٨» عاماً.

تعيين أول مسلم بحكومة العاصمة الهولندية

أعلن حزب العمل الهولندى عن اختياره لمسلم يدعى «أحمد أبو طالب» لشغل الموقع الشاغر فى الحكومة المحلية للعاصمة «أمستردام»، الذى كان يشغله «روب أودكيرك» والذى اضطر لتقديم استقالته بسبب تورطه فى فضيحة «أخلاقية».

جاء اختيار أبو طالب - كأول مسلم - لهذا الموقع ليدعم إنجازات المسلمين بهولندا فى المجال السياسى فى السنوات القليلة الماضية، حيث تمكن عدد من المسلمين من دخول البرلمان المركزى والبرلمانات الإقليمية والمجالس البلدية. كما يشغل عدد كبير من المسلمين مواقع مهمة فى الوزارات والهيئات الحكومية.

وبالنسبة لـ«أبو طالب» فهو ابن أحد المهاجرين المغاربة ويشغل منصب مدير قطاع تنمية

الشئون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الحكومة المحلية للعاصمة الهولندية.

النازيون الجدد يذبحون مسلمة بروسيا

ارتكب النازيون الجدد بروسيا جريمة بشعة عندما قاموا بذبح طفلة مسلمة من أصل طاجيكي أمام والدها وذلك في شمال مدينة «سان بطرسبرج» ثاني أكبر المدن الروسية.

وبدأت وقائع المأساة عندما قام نحو «١٥» شاباً ينتمون لإحدى جماعات النازيين الجدد - التي تتخذ مواقف عنصرية ضد غير الروس - بمهاجمة عائلة مسلمة من أصل طاجيكي تتكون من أب وطفلته التي تبلغ من العمر «٨ سنوات» وابن أخيه الذي يبلغ من العمر «٧ سنوات» وقاموا بضرب الأب بآلة حادة على رأسه فسقط مغشياً عليه ثم قاموا بذبح الطفلة بسكين وتناوبوا على طعنها «١١ طعنة» فيما أفلت الطفل من بين أيديهم.

ويذكر أن عدد أفراد مجموعات النازيين الجدد في مدينة «سان بطرسبرج» وحدها يبلغ نحو «٢٠ ألف شخص» وذلك بحسب إحصائيات وزارة الداخلية الروسية.

وتستهدف هذه الجماعات المواطنين غير الروس أو الروس الذين لا يدينون بالمسيحية؟ وتحتفل هذه الجماعات بعيد ميلاد الزعيم النازي الألماني «أدولف هتلر» كل عام في العاصمة الروسية «موسكو» دون أية عقبات من أجهزة الأمن ومنذ عام «٢٠٠٠» قام النازيون الجدد بالاعتداء على مواطني «٢٣ دولة» من الدارسين والمقيمين في «روسيا» وبلغ عدد حالات الاعتداء أكثر من «١٠٠» حالة.

«بريمر» يرفض وضع أي إشارة للإسلام في الدستور العراقي الجديد

جاء الرفض المتشدد للحاكم الأمريكي للعراق «بول بريمر» لوضع أية إشارة للإسلام في مشروع الدستور العراقي الجديد ليكشف عن المخططات الحقيقية لغزو العراق وهي محاربة الإسلام والمسلمين حتى يصبح العراق أرض الحضارة الإسلامية دولة علمانية تحارب دينها الإسلامي والذي ظلت إحدى أهم حصونه وقلاعه المنيعة عبر التاريخ.

وحاول «بريمر» تبرير موقفه بأنه يريد للعراق أن يكون دولة تتسع لكل الأعراق والديانات في إشارة منه إلى أن الإسلام لا يتسع للآخر، وهذا الموقف نفسه سبق وأن كشف عنه وأكده رئيس الوزراء البريطاني «توني بلير» خلال زيارته الأخيرة لقواته المحتلة في جنوب العراق.

حيث قال مخاطباً جنوده: نحن جئنا إلى هنا لنحارب التطرف الإسلامي ونوقف المد الإسلامي الذي يهدد العالم المسيحي الغربي!!

ومن ناحية أخرى وافق مجلس الحكم العراقي المعين من قبل الأمريكان على عدم الإشارة إلى عروبة العراق وانتمائه العربي سواء في الدستور أو أية وثائق تتعلق ببناء الدولة وذلك في محاولة جديدة لفصل العراق عن محيطه العربي.

تصاعد أعمال العنف ضد مسلمي تايلاند

تصاعدت التوترات بين الأغلبية البوذية والأقلية المسلمة في جنوب تايلاند وذلك بعد أن شهدت تايلاند مؤخراً سلسلة من أعمال العنف كان آخرها مقتل اثنين من المسلمين برصاص مجهولين.

مما اضطر رئيس الوزراء التايلاندي «تاكسين شيناواترا» إلى زيارة إقليم «فطاني» الذي تسكنه أغلبية مسلمة لمحاولة نزع فتيل العنف.

ومع تصاعد الأحداث قررت اللجنة الإسلامية المركزية في تايلاند وقادة المسلمين في الأقاليم الجنوبية وقف التعاون مع السلطات الحكومية في تايلاند بسبب سوء معاملة قوات الأمن للمسلمين.

حتى أنت يا «كيري»!

أعرب السيناتور الديمقراطي الأمريكي «جون كيري» مرشح الحزب الديمقراطي لخوض انتخابات الرئاسة الأمريكية المقبلة عن تأييده للجدار الفاصل الإسرائيلي في الضفة الغربية وانتقد «كيري» في أول تصريحاته المعادية للعرب المداولات الجارية في محكمة العدل الدولية في «لاهاي» بشأن شرعية بناء هذا الجدار. وزعم «كيري» في بيان أصدره أن تشييد الجدار الفاصل هو عمل قانوني هدفه الدفاع عن النفس؟ وادعى أن «بوش» على حق في مناقشته مع إسرائيل المسار المحدد للجدار الفاصل من أجل التخفيف عن الفلسطينيين الأبرياء؟ لكن في الوقت نفسه من حق إسرائيل وواجبها الدفاع عن حياة مواطنيها زاعماً أن تشييد الجدار هو رد فعل على العمليات المعادية لإسرائيل.

مما يذكر أن استطلاعاً للرأي أجرته شبكة «سي. بي. سي» الأمريكية أظهر تقدم «كيري» على الرئيس الحالي «بوش» حيث حصل كيري على نسبة ٤٨٪ من الأصوات فيما حصل «بوش» على نسبة ٤٣٪ من الأصوات.

دعوة لمواجهة حملات التنصير في العراق

دعا المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة إلى تكثيف حملات الإغاثة الإسلامية في العراق لمواجهة حملات التنصير التي بدأت في الانتشار هناك تحت ظل الاحتلال الأنجلو أمريكي.

وقال الأمين العام للمجلس أن انتشار التنصير في العراق يتطلب من المنظمات الإسلامية الإغاثية أن تقوم بدور كبير في تكثيف الإغاثة الإسلامية للشعب العراقي وأن تحرص على تقديم هذه الإغاثة بالإشراف المباشر وتوصيلها للشعب العراقي خاصة في المناطق الفقيرة.

هذا وتفيد التقارير أن عدد المنظمات التنصيرية التي دخلت العراق خلال عام «٢٠٠٣» بلغ نحو مائة منظمة.

أبناء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

الإمام الأكبر يستقبل سفير تايلاند

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير/ شاريوات سانتابوت سفير مملكة تايلاند الجديد حيث رحب فضيلته بالسيد السفير فى مصر وأزهرها الشريف متمنيا لسيادته دوام السداد والتوفيق فى عمله كسفير جديد لبلاده فى القاهرة ومعربا عن أن الأزهر الشريف دائما يقدم كل عون ومساعدة لأبناء المسلمين فى كل مكان، وأوضح أن أبناء تايلاند يدرسون بالأزهر الشريف على منح من الأزهر فى مرحلة التعليم قبل الجامعى وهم أكثر من مائتى طالب وطالبة وهناك أيضا من الطلاب من يدرس بالدراسات الخاصة، وبجامعة الأزهر الشريف وعددهم كثير، كما أن الأزهر يرسل العلماء إلى تايلاند لتعليم أبناء المسلمين التعليم الاسلامى بكل يسر ووضوح والأزهر على استعداد لاستقبال المزيد من الطلاب والطالبات للدراسة به، فمصر وأزهرها الشريف فى خدمة الدول الصديقة، ومن جانبه عبر السفير عن سعادته البالغة لهذا الاستقبال وتلك الحفاوة، ونقل تحيات وتقدير مملكة تايلاند والمسلمين بها إلى الأزهر الشريف وشيخه الجليل وعلمائه الأفاضل لخدماتهم العظيمة للمسلمين فى شتى بقاع الأرض للتعليم المعتدل وتعريف المسلمين بأمور دينهم الحنيف، وقال: نحن نقدم الشكر لتعاونكم واستقبالكم المزيد من الطلاب للدراسة بالأزهر الشريف، ويسعد مملكة تايلاند أن تقوموا بزيارتها، لما لذلك من أثر بالغ الأهمية لدينا، ونحن نسعى لتوقيع بروتوكول التعاون الثقافى بين بلدينا، لإنشاء معهد أزهرى يشرف عليه الأزهر الشريف ويمده بالمناهج، والكتب الدراسية والمدرسية، ونسعى لإنشاء فرع لجامعة الأزهر الشريف بتايلاند لطلابنا ولطلاب الدول المجاورة لاستكمال

دراستهم العليا الأزهرية، ولكونى سفيرا لبلادى فى القاهرة فإننى أطمح نحو كثير من التعاون، لأن مملكة تايلاند حريصة على ذلك.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على أن الأزهر الشريف يسعده ذلك، قال: سندرس كل هذه الطلبات ونعمل على تلبيتها إن شاء الله تعالى.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس ديوان رياسة جمهورية كازاخستان

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ نورطاى ابيقايف رئيس ديوان الرئاسة لجمهورية كازاخستان (وهو منصب يعادل رئيس وزراء) يرافقه معالى سفير كازاخستان بالقاهرة والوفد المرافق، وقد رحب فضيلته بالضيف فى مصر والأزهر الشريف داعيا المولى سبحانه وتعالى أن يديم على دولة كازاخستان نعمة الأمن والأمان والرخاء والاطمئنان ومؤكدا على أن الأزهر الشريف وجامعته العريقة فى خدمة دولة كازاخستان، وقد قدم فضيلته الشكر والتقدير والامتنان لدولة كازاخستان رئيسا وحكومة وشعبا على حسن الاستقبال والحفاوة التى قوبل بها فضيلته أثناء زيارته الأخيرة لدولة كازاخستان وحضوره المؤتمر الدولى الأول الذى حضره زعماء الأديان فى العالم، ومن جانبه قدم الضيف شكر بلاده رئيسا وحكومة وشعبا لمصر وللأزهر الشريف ولشيخه الفاضل ولعلمائه على ما يقدمونه لدولة كازاخستان مشيدا بموقف فضيلته فى فعاليات المؤتمر الأول الذى عقد بكازاخستان وخطاب فضيلته الذى ترك فى نفوس الشعب كله انطباعا لا ينسى، واصفا خطبته بأنها خطبة السلام، مشيداً بفكرة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لعقد مؤتمر دولى لزعماء الأديان، وقال إنه جاء إلى مصر بحثا عن دعم شيخ الأزهر وخبرته لبحث جدول الأعمال الخاص بالمؤتمر الثانى الذى سيعقد فى سبتمبر ٢٠٠٦، وأن كازاخستان بصدد البدء فى تشييد قصر السلام ليكون جاهزاً للافتتاح مع بدء أعمال المؤتمر الثانى فى عام ٢٠٠٦ وقدم لفضيلته كتباً تتضمن المعلومات والكلمات التى ألقاها الحضور فى المؤتمر الأول.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يؤكد:

الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون

– استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفداً ألمانيا وتركيا من جامعة فرانكفورت الألمانية وجامعة أزمير التركية برئاسة السيد فيبر رئيس قسم مقارنة

الأديان، ووافق الوفد الدكتور ثروت قادس من الكنيسة الإنجيلية بمصر، والمقيم فى ألمانيا، والوفد مكون من ٢٢أستاذا جامعيا، وقد رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف مؤكداً على أن رابطة الأخوة والإنسانية هى التى تجمعنا لأننا جميعاً من أب واحد وأم واحدة، وقد أوجدنا الله ـ عز وجل ـ لنتعارف ونتعاون ونتلاقى على ماينفعنا، ودائماً أقول إننا مع تعاون الحضارات وليس صراع الحضارات، لأن الحضارات عند العقلاء تتآزر وتتعاون من أجل خدمة الإنسان والإنسانية، وأن لكل شعب حضارته وكل شعب يأخذ من حضارة الشعوب الأخرى فينتفع من فى الشرق بحضارة الغرب وينتفع من فى الغرب بحضارة الشرق وهكذا، والاختلاف فى العقائد لايمنع من التعاون، والذى يحاسب على العقائد هو الله عز وجل لأنه لاإكراه على العقائد قاله الله عز وجل يقول :

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾(١).

والأديان السماوية التى أنزلها الله ـ عز وجل ـ على رسله تعطى لكل إنسان حقه، والأديان تدعو إلى إخلاص العبادة لله، والتحلى بمكارم الأخلاق والأديان تتفق على أن الصدق والعدل والعفاف والطهارة كلها فضائل يجب أن تتفق على أن الكذب والعدوان والخيانة والاعتداء على الغير واغتصاب حقوقهم كلها رذائل يجب أن تجتنب ولاتختلف باختلاف المكان أو الزمان أو الأشخاص، ونحن فى الأزهر الشريف لانجبر أحدا على رأى ولكن نتعارف ونتحاور ونتناقش وقد نختلف اليوم ولكن فى الغد قد نتفاهم، كما أننا فى الأزهر الشريف نستقبل آلاف الطلاب والطالبات من أكثر من ١٠٠ دولة من دول العالم يتعلمون فى الأزهر الشريف فى معاهده وجامعته العريقة ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية وتؤدى لهم كل الخدمات، والتعلم فى الأزهر الشريف يتسم بالسهولة واليسر والاعتدال والوسطية ويدرس الطلاب جميع المذاهب ولايتقيدون بمذهب معين، وكان للأتراك رواقا بالجامع الأزهر الشريف وللآن الطلاب الأتراك يدرسون بالأزهر الشريف.

وأجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم.

وفى نهاية اللقاء شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على هذا اللقاء المثمر وتلك المناقشة الهامة التى استفاد منها الجميع الأمر الذى أعطى أمل الاستمرار فى الحوار للتعمق فى معرفة حقيقة الأديان وأبدى الوفد رغبته فى المزيد من المعارف الكثيرة التى يتحلى بها فضيلته من علم فياض وأفق واسع.

(١) ـ البقرة ٢٥٦.

الإمام الأكبر يؤكد :

الإسلام اهتم برعاية الطفولة

ـ استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة فريدة على من المكتب الرئيسى لليونيسيف بنيويورك يرافقها سيادة السفير محمد أنيس سالم بالمكتب الإقليمى لليونيسيف فى عمان الأردن، والدكتورة سحر حجازى مديرة البرنامج الإعلامى بالقاهرة حيث رحب فضيلته بهم فى الأزهر الشريف معربا عن سعادته بالتعاون بين الأزهر الشريف واليونيسيف وذلك لتحسين أوضاع الطفولة، موضحاً أن الشرائع السماوية وعلى رأسها شريعة الإسلام ترعى الطفولة، وقال : إن أطفال اليوم هم شباب الغد والقرآن الكريم يقول :

﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾(٢).

والطفولة هى زينة الحياة، ورعاية الطفولة فطرة إنسانية، ونحن نعيش من أجل أولادنا، نعطيهم العناية والرعاية والتربية، فرعاية الطفولة فى شريعة الإسلام أمر مهم ومن يقصر فيها لا يكون مسلما كاملا، ووظيفتنا أن نشيع هذا الفهم فى المجتمع الإنسانى كله، وقد أصدر صفوة من علماء الأزهر الشريف كتابا يحمل اسم (المنهج الإسلامى فى رعاية الطفولة) بين حقوق الطفل فى شريعة الإسلام والحفاظ على حياته ونموه، والتغذية وأثرها فى بناء الجسم والعقل، وتربيته تربية صحيحة، وتنشئته على مفاهيم الإسلام من حيث النظافة الشخصية وصحة البيئة مستدلا على ذلك بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة، كما أوضح فضيلته أن الطلاب والطالبات الذين يدرسون بالأزهر الشريف سواء من مصر أم من خارج مصر دراستهم تقوم على الوسطية والاعتدال مما يجعل الطلاب ينشأون نشأة طيبة لا انحراف فيها كما أن الأزهر الشريف يوفد علماءه إلى دول كثيرة ليعلم أبناء تلك الدول صحيح الإسلام ووسطيته واعتداله كما تعقد دورات تدريبية فى الأزهر الشريف يحضرها علماء من دول كثيرة من العالم يتم من خلالها دراسة المفاهيم الإسلامية الصحيحة والتعاليم الإسلامية السمحة فى كل مجالات الحياة بما فى ذلك الاهتمام بالطفل ونشأته وتربيته، وإذا استعانت اليونيسيف بهذا الكتاب وتمت ترجمته إلى بعض اللغات سيكون له آثاره الطيبة لما يحتويه من معلومات مفيدة ومهمة.

وقد أعربت السيدة/ فريدة عن أهمية هذا اللقاء البناء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف الذى وضح فيه الكثير من الجوانب التى يجب أن يعرفها

(٢) ـ الكهف ٤٦.

العالم كله وبخاصة بما يعود بالنفع على الأقليات المسلمة فى كل مكان، فالأزهر الشريف بمكانته العالمية ومناهجه المعتدلة يخرج علماء أكفاء يمكننا الاستعانة بهم والرجوع إليهم دائما.

الإمام الأكبر:

عدم توافر الثقة يؤدى إلى تفكيك عملية السلام

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد الكنيسة المشيخية الذى يمثل القطاع الأكبر فى كنائس الولايات المتحدة الأمريكية والذى قام بزيارة لبعض الدول كسوريا ولبنان والأردن وفلسطين بهدف دعم العلاقات مع قادة المنطقة والمسئولين فيها، رافق الوفد الدكتور/ صفوت البياضى رئيس الطائفة الإنجيلية والقس/ ثروت قادس رئيس المجمع الأعلى للكنيسة الإنجيلية بمصر والقس/ فيكتور رئيس المجموعة بالمشيخة الإنجيلية؛

رحب فضيلته بالوفد فى الأزهر الشريف مؤيدا جهود الوفد فى مهمتهم السامية من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، ومعارضتهم لبناء الجدار الظالم فى فلسطين وما ترتب على هذا من خسائر فادحة فى الأراضى الزراعية والمبانى، وما أحدثه من جرح فى النفس البشرية للبلد الواحد وحرمان الإبن من أبيه والأخ من أخيه على أرضهم فى فلسطين، وقد أيد فضيلته جهود الوفد فى لقائه بالمسئولين فى البلاد العربية لخدمة الإنسانية، مؤكدا أن الأديان السماوية والعقول الإنسانية السلمية تدعو إلى الحق وتستنكر الظلم والبغى والعدوان، وأكل أموال الناس بالباطل، وطالب محكمة العدل الدولية أن تحق الحق فى هذه القضية كما أوضح فضيلته أن شريعة الإسلام تبين للناس فى كل زمان ومكان أن الناس جميعا على اختلاف عقائدهم وجنسياتهم يجب عليهم أن يتعاونوا فيما بينهم، لأن التعاون والتعارف يؤدى إلى المحبة التى تنفع صاحبها وتنفع غيره أيضا؛ أما البغى والعدوان فيولد الأحقاد والضغائن ويجلب الدمار والخراب ويشيع الفوضى، وتمنى للعالم كله الأمان والرخاء والتعاون بما يعود بالنفع على الإنسانية؛

وقال فضيلته: إن عدم توافر الثقة لدى البعض يؤدى إلى عدم احترام الآخرين وتفكيك عملية السلام، وأوضح فضيلته أنه إذا جلس العقلاء من الطرفين وكان حديثهم من القلب وكانت عندهم الرغبة فى الوصول إلى الحل وجمعت بينهم المحبة والإخلاص هنا تتوافر الثقة ويمكن الوصول إلى حلول طيبة ونافعة وإذا لم يتوافر ذلك وفقدت الثقة فلن يطبق العدل بين الناس.

وشكر الوفد فضيلته على هذا اللقاء المثمر البناء الذى اسعدهم وأفادهم فى مهمتهم.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور محمود امبابى وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وفداً عراقيا

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الوفد العراقى الممثل لمجلس الحكم وهيئة علماء المسلمين والحزب الإسلامى وعشائر العراق برئاسة الدكتور/ محسن عبد الحميد- عضو مجلس الحكم، رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف مشيداً بالعلاقات الأخوية بين مصر والعراق مؤكدا على تلاحم الشعب العراقى وتصديه لما يحدث فى العراق، ومؤكدا على أن العراق قوة صامدة ضد التدخل الأجنبى فى شئونه، وعلى الشعب العراقى أن يتغاضى عما سلف من أخطاء وسلبيات وأن يتعاون بجميع طوائفه مبتعداً عن الخلاف حتى يكون قوة فاعلة تعمل لصالح بلاده متمسكا بالمحبة التى تقرب الإخاء والمودة، وأن يعمل الجميع لصالح الشعب العراقى، وأن يعيش بعقلية جديدة واعية، وأن ما مضى قد مضى لا يجب أن نلتفت إليه، والشعب العراقى بجميع طوائفه أخوة يتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان والله ـ عز وجل ـ يقول:

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٢].

وأكد فضيلته على أن ضروريات الحياة التى نعيشها الآن تحتم أن نكون جميعا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا لأن مصلحتنا أن نتكاتف ونتعاون ونتآخى لنجمع شمل الأمة ونبتعد عن كل ما يُحدث الخلاف والفرقة حتى لا نضر بأمتنا، والعقلاء يؤمنون إيمانا عميقا بأن عطاء الله أكبر من كل عطاء، ومن أجل ذلك نتضرع إلى الله ـ عز وجل ـ أن تعود للشعب العراقى وحدته ورخاءه وأمنه وسلامته، وعلينا أن نوضح للناس الأمور الدينية بالحكمة والصبر، ونتصدى للفتنة التى تضر بالأمة، وعلينا أن نخاطب العقول السليمة التى نتمنى أن يكثر عددها، ونؤكد على أن يكون العراقيون هم الذين يحكمون أنفسهم وأن تنسحب القوى الأجنبية تاركة للعراقيين تحديد مصيرهم، والشعب العراقى قادر على بناء بلاده وإعادة الاستقرار لها مؤكدا على أن المؤمنين دائما أخوة متحابين متراحمين متعاونين، وأدعوا الله أن يرزق الشعب العراقى نعمة الأمان والاستقرار، والأزهر الشريف كانت له وقفة إيجابية حينما اجتمع مجمع البحوث الإسلامية بجلسته الطارئة عقب أحداث العنف الأخيرة التى شهدتها بعض المدن العراقية والتى سقط على أثرها مئات القتلى والجرحى وأصدر بيانا استنكر فيه ما حدث مع ضرورة الإسراع بوأد الفتنة فى مهدها لجمع الشمل وتوحيد الصف العراقى ويذكر البيان الأخوة الأشقاء فى

(٢) - الأنفال ٤٦.

العالم العربى والإسلامى والرأى العالمى كله بالمأساة التى تجرى على أرض فلسطين ومن جانبه أعرب الوفد عن شكره للمقابلة الطيبة والحفاوة البالغة التى قوبل بها فى الأزهر ومن شيخه الجليل مؤكدا على أن الشعب العراقى واع تماما لما يدبر له ويعلم أن عليه أن يتعاون ويتحد، وحيا الوفد الجهود الدائبة التى يقوم بها الأزهر الشريف مواكبة لما يحدث فى العالم من أحداث.

اجتماع المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

- ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتماع الرئاسة الرابع والأربعين للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر رئيس المجلس بالسادة الحضور متمنيا لهم دوام التوفيق لخدمة ديننا ووطننا ومثنيا على جهود المجلس ولجانه فى العمل الدائب لنصرة الحق ومتابعة قضايا الأمة والأقليات الإسلامية فى العالم، ثم ألقى الاستاذ كامل الشريف أمين عام المجلس كلمة عبر فيها عن شكره لمصر وحكومتها الرشيدة بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لدعمه لهذا المجلس حتى يؤدى واجبه من خلال منظماته المشتركة، كما أوضح دور الأزهر الشريف فى خدمة الإسلام والمسلمين، وتوالت كلمات الأعضاء حيث ألقى فضيلة الدكتور/ محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف رئيس لجنة التعليم والدعوة الضوء على أهمية نشر التوعية العلمية الصحيحة والمناهج الدينية لنشر الفكر الصحيح المعتدل وذلك بارسال العلماء المتخصصين إلى مختلف دول العالم موضحا أن الأزهر الشريف يقوم بإرسال الكتب الثقافية والعلمية لكثير من البلدان، كما أن الأزهر الشريف يستقبل الطلاب من أكثر من ١٠٠ دولة ليتعلموا فى الأزهر الشريف، ويرعاهم رعاية كاملة فى السكن والعلاج والتعليم والأنشطة المختلفة حتى يحصلوا على الشهادة العليا من الأزهر الشريف، كما يقوم الأزهر بعمل دورات تدريبية للعلماء من دول العالم فى دورات متتابعة كل ثلاثة أشهر وصلت الآن الى الدورة التدريبية رقم [٦٤] ويقوم بالقاء الدروس لهم أساتذة متخصصون فى العلوم المختلفة من الأزهر الشريف ومن جامعة الأزهر الشريف وذلك من أجل بناء الشخصية الإسلامية الفاهمة لدينها فهما صحيحا، وأيضا يرسل الأزهر العلماء إلى دول العالم المختلفة ليقوموا بتعليم أبناء المسلمين فى بلادهم، كما يرسل الأزهر العلماء إلى البلاد الإسلامية وغير الإسلامية لحضور المؤتمرات وذلك لتوضيح صحيح الإسلام.

وقد أوضحت اللجان فيما يخص تنسيق الإغاثة فى العراق أن رابطة العالم الإسلامى ومنظمة المؤتمر الإسلامى تتابع أوضاع الشعب العراقى وتقدم الدعم والعون له، دعما لوحدته وحفاظا على تراثه الحضارى وثقافته الإسلامية،

وأصدرت توصيات من أهمها: تدعو الهيئة التأسيسية المجتمع الدولى ومؤسساته العالمية والإقليمية إلى اتخاذ مواقف جادة وسريعة لمنح الشعب العراقى السيادة الكاملة لإدارة شئونه من خلال تشكيل حكومته الوطنية الشرعية فى أسرع وقت ممكن، كما دعت تقارير لجنة القدس إلى تعميق الوجود الإسلامى والمسيحى فى المدينة المقدسة بروح المواطنة والانتماء للمدينة وتعزيز مختلف أوجه التضامن الإسلامى المسيحى فى القدس دفاعا عن هويتها العربية والإسلامية، تجاه ما تقوم به قوات الاحتلال من جرائم بشعة من إبادة وتهجير وعقاب جماعى وتدمير لكل شيء ضد شعب أعزل، كما تضمن تقرير لجنة الشباب البرامج التى تم تنفيذها من إقامة مخيمات ومؤتمرات إقليمية وأشادت بجهود الاتحاد العالمى للكشاف المسلم وتعاونه فى تنفيذ المشاريع المشتركة والأنشطة الصيفية فى مجال حفظ القرآن والسنة النبوية والدعوة الإسلامية وفيما يتعلق بالقضايا الراهنة وشئون الأقليات، تضمن التقرير أن مسئولية المجتمع المدنى الإسلامى وفى مقدمتها المنظمات الإسلامية العالمية الأعضاء فى المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة هى توثيق ارتباطها وتكثيف اتصالاتها بمؤسسات المجتمع المدنى الفرنسى والأوروبى لإجراء حوار موضوعى، والعمل على تشكيل رأى عام ضاغط لصالح الفتاة المسلمة فى أوروبا، دون الإضرار بعلاقة الجاليات الإسلامية فى تلك المجتمعات، وبعد هذه الاجتماعات على مدى يومين صباحا ومساء توجه أعضاء هيئة الرياسة لافتتاح المسجد المقام فى مقر هيئة رياسة المجلس والذى أقامته مؤسسة الحرمين الخيرية إحدى لجان المجلس حيث أقيم المسجد على مساحة ٤٥٠ م٢ ويضم مكتبة إسلامية ضخمة وفصولاً لتعليم اللغة العربية، لغير الناطقين بها، ومركز لتعلم الكمبيوتر، ومصلى للنساء، ومكانا لحفظ القرآن الكريم وقد بلغت تكاليف هذه الإنشاءات حوالى ٦٠٠ ألف ريال سعودى، وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رئيس المجلس والسادة أعضاء هيئة الرياسة بهذه الإنشاءات التى تعود بالنفع على الطلاب والطالبات وعلى المسلمين المجاورين بالمنطقة.

حضر الاجتماعات والافتتاحات السيد المشير سوار الذهب نائب رئيس المجلس، وفضيلة الشيخ محمود إمبابى، رئيس لجنة التعليم والدعوة، والأستاذ كامل الشريف الأمين العام للمجلس، والشيخ يوسف جاسم الحجى نائب الرئيس ورئيس الهيئة الخيرية بالكويت، والدكتور عبدالله عمر نصيف رئيس المجلس الاسلامى بباكستان، والسادة أعضاء الهيئة التأسيسية، والأستاذ توفيق الشريف المدير العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

الثقافة الجامعية بالولايات المتحدة الأمريكية

فجأة أصبح التقرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية وسياساتها العدوانية ضد الإسلام والعروبة هدفاً من جانب فئة طفت فجأة على سطح الأحداث متاجرة بقيم الأمة ومعتقداتها، وثوابتها الراسخة.

تشكل ما يشبه الطابور الخامس المبشر بعهد جديد فى إطار الهيمنة الأمريكية.

فهذا يدعو إلى تحرير مصر من إنتمائها للعروبة ونزع الرداء الإسلامى عنها بدعوى أنها فرعونية الأصل وأن العرب والمسلمين لم يكونوا سوى غزاة ناسيا أنه هو نفسه يكتب ويفكر ويعبر باللغة العربية لغة الإسلام والعروبة، ولكننا نلتمس له العذر فقليل في هذا الزمن من يقول لا للدولارات الأمريكية.

وذاك يقوم بتأسيس حزب يدعو إلى شطب نص فى الدستور أجمعت عليه طوائف الشعب كلها وهو «أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع».. إنه يقدم فروض الولاء والطاعة لأربابه وأولياء نعمته فى تل أبيب وواشنطن، بل لعله مجرد موتور من الدستور المصرى الذى وضعته ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والتى أبعدت آباءه وأجداده، وأبعدته هو شخصياً عن مزاولة النشاط السياسى بعد أن تسببوا فى إفساد الحياة السياسية فى مصر لفترة ليست باليسيرة.

وثالثٌ متمثل فى جهة ما عقدت فى القاهرة مؤتمراً جعلت له عنواناً «الحقوق الجنسية للإنسان» يناقش الحقوق الجنسية داخل مؤسسة الزواج أى بين الزوج والزوجة،

ويطرح فكرة تدريس الجنس قبل الزواج.. بمعنى تدريس دقائق وتفاصيل الممارسة الجنسية بين الرجل والمرأة حتى إذا ما وصلا إلى مرحلة الزواج كانت لديهما معرفة عن كيفية الاستمتاع بممارسة الجنس ولا نعلم ما إذا كانوا قد وضعوا مناهج عملية لتعليم الجنس وما يلزم من وسائل إيضاح وعندها يصبح عمل شرطة حماية الآداب بلا جدوى.

وجاء هذا كله متواكباً مع تصريحات السيد «كولن باول» وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية التى تتحدث عن ضرورة إصلاح وتطوير التعليم وفق الرؤية التى تطرحها الإدارة الأمريكية ونستعير تعليقاً فى هذا الصدد من جريدة اللواء الإسلامى الصادرة يوم الخميس ٢٨ من ذى الحجة ١٤٢٤هـ الموافق ١٩ من فبراير ٢٠٠٤م فى الصفحة الرابعة:

«خرج علينا السيد «كولن باول» وهو - كما هو معلوم لدينا - وزير خارجية الإدارة الأمريكية بقيادة بوش «الابن» باقتراحات فى غاية الأهمية لنا، لأنها تتعلق بأخص شئوننا الداخلية وهويتنا الذاتية كمسلمين.. إذ أنه يقدم فيها رؤيته لكيفية إصلاح شأن تعليمنا الدينى حتى تتوقف مدارسنا وجامعاتنا الإسلامية عن تعليم - كما يزعم - طلابها كراهية غير المسلمين. وذكر أن إدارته ستعمل من خلال العديد من البرامج لإقناع قادة العالم الإسلامى بأن التعليم الذى يقدم فى هذه المدارس لا يواكب العصر ويدمر الأمن والسلام.. حيث إن هذه المدارس كما يروى لنا فضيلة الشيخ «باول» لا تعلم طلابها سوى أسوأ مفاهيم الدين والرجعية والكراهية».

واستكمالاً لما نشرته الزميلة «اللواء الإسلامى» نقدم هذا الخبر الذى يوضح النمط الثقافى والتعليمى الذى يرغب فضيلة الشيخ باول في نقله إلى مدارسنا، حيث نشرت الصحف (١) خبراً جاء فيه: قبلة مشينة فاضحة فجرتها مؤخراً ثلاث لاعبات كرة قدم أمريكيات بفريق جامعة كولورادو حيث فضحن الجامعات الأمريكية قاطبة، واتهمنها باتباع أساليب رخيصة ومخزية لضم لاعبين ونجوم جدد إلى صفوف فرقها الرياضية فى مختلف الألعاب، فى حين أن المفترض فى هذه الجامعات أنها مؤسسات تربوية فى المقام الأول بغض النظر عن قوة وشراسة وارتفاع مستوى المنافسات الرياضية بين الجامعات الأمريكية وطالبت اللاعبات الثلاث اللاتى كن طالبات بجامعة كلورادو بتعويضات مالية من خلال دعوى قضائية قمن برفعها ضد الجامعة بسبب تعرضهن للاغتصاب والاستغلال بشكل فاضح ومشين أثناء حفلة لإغراء لاعبين جدد بالانضمام إلى صفوف الفرق الرياضية للجامعة.

(١) الجمهورية ٢٦ من فبراير ٢٠٠٤.

وأعلنت لاعبة أخرى اسمها «كاتى هيندا» وهى لاعبة كرة قدم بفريق جامعة كلورادو أنها كثيراً ما تعرضت لتحرش فاضح بالقول والفعل من جانب بعض زملائها اللاعبين فى جامعة كلورادو.

أما رئيسة الجامعة «بيستى هوفمان» فقد أكدت أن ما يحدث من فضائح مشينة فى جامعتها ليس إلا انعكاساً لما يحدث فى كافة الأوساط والفرق الرياضية بالجامعات الأمريكية كلها وليس جامعة كلورادو وحدها. وقالت أيضاً: إن ما حدث من وقائع فاضحة مخلة يعتبر نتيجة طبيعية لحفلات الشرب والسكر، وهو ما يؤدى بدوره إلى ما لا تحمد عقباه من أحداث غير لائقة بين لاعبى ولاعبات الفرق الرياضية، وأن هذه الظواهر الخطيرة عنصر أساسى مما أسمته «الثقافة الجامعية بالولايات المتحدة الأمريكية».

ودفعت هذه الفضيحة رئيس اتحاد رياضة الجامعات الأمريكية إلى تشكيل لجنة للتحقيق فى الأساليب الفاضحة فى استخدام فتيات وليال حمراء من جانب الجامعات الأمريكية فى ضم لاعبين جدد إلى الفرق الرياضية.

هذا هو النموذج الذى يسعى فضيلة الشيخ «باول» نحو تطبيقه فى مدارسنا ومعاهدنا، وبدلاً من تعاليم الدين الإسلامى التى تجعل الفضيلة والشرف والعفاف إحدى ثوابتها الشرعية، تصبح الخلاعة والمجون والرذيلة وكل ما اعتبرته رئيسة جامعة كلورادو الأمريكية من أسس الثقافة الجامعية بالولايات المتحدة الأمريكية، تصبح هذه الأمور - التى لن تجد لها سبيلاً بإذن الله إلى معاهدنا التعليمية - وفقاً للتصور الثقافى الأمريكى هى البديل لمبادىء الدين الإسلامى الحنيف إن لم يكن بالرضا فبالإرهاب والتنكيل كما نرى فى الشعوب التى ابتليت بالاحتلال الأمريكى البغيض.

ومن هنا كان رد الفعل القوى للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك الذى أعلن رفض الشعوب لكل من يحاول إخضاعها أو إقحام أفكار عليها، وقال: «إن من يتصور أنه من الممكن فرض حلول أو إصلاحات من الخارج على أى مجتمع أو منطقة فهو واهم. الشعوب ترفض بطبيعتها كل من يحاول إخضاعها أو فرض أفكار عليها».

أحمد تقى الدين

والى رسائل القـــراء ←

من البيـــان النبـــوى

يقدم الشيخ عبداللطيف سيد حسنين -واعظ عام بنى سويف- قطوفاً من البيان النبوى الشريف بعنوان «الإخلاص وإحضار النية»، يقول:

- عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» [متفق عليه]

ورد فى تعظيم قدر هذا الحديث الشريف أقوال منها: ما قاله الإمام البخارى: ليس فى أخبار رسول الله -ﷺ- شىء أجمع وأغنى وأكثر فائدة من هذا الحديث. واتفق جماعة من أهل العلم على أنه ثلث الإسلام. وكونه ثلث العلم لأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها لأنها قد تكون عبادة مستقلة وغيرها يحتاج إليها ومن ثم ورد «نية المؤمن خير من عمله» يعنى قد ينوى المرء طاعة لم يوفق فى أدائها ويكتب له الأجر. يقول رسول الله -ﷺ-: «يقول الله -عز وجل- للحفظة يوم القيامة اكتبوا لعبدى كذا وكذا من الأجر فيقولون يا ربنا لم نحفظ ذلك عنه، ولا هو فى صحفنا. فيقول: إنه نواه» [رواه أبويعلى فى مسنده].

وفى قوله -ﷺ- [إنما الأعمال بالنيات] كأنه يشير إلى أن النية تتنوع كما تتنوع الأعمال كمن قصد بعمله وجه الله -تعالى- أو تحصيل موعوده أو الاتقاء لوعيده.

والنية هى القصد، ومعناها: انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالا أو مآلاً والشرع خصصه بالإرادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاء رضاء الله وامتثال حكمه.

ويستفاد من هذا الحديث: أن الأعمال الخارجة عن العبادة لا تفيد الثواب إلا إذا نوى فاعلها القربة، كالأكل إذا نوى به القوة على الطاعة. وأن الترك المجرد لا ثواب فيه، وإنما يحصل الثواب بالكف الذى هو فعل النفس، فمن لم تخطر المعصية بباله أصلا ليس كمن خطرت فكف نفسه عنها خوفا من الله؛ فالذى يحتاج إلى النية هو العمل بجميع وجوهه لا الترك المجرد. وأن من عمل عملا يقصد به الثواب وأضاف إلى ذلك مصلحة دنيوية فإنه يثاب لكن دون ثواب من أخلص، كمن هاجر لله وضم إلى ذلك قصد التزويج وكمن نوى بصومه العبادة والحمية من الأمراض أو بطوافه العبادة وملازمة قريب له. كما لا يجوز الإقدام على العمل قبل معرفة الحكم لأن فيه أن العمل يكون منتفيا إذا خلا من النية.

دعوة لنشر الرسائل الجامعية

● يقدم القارىء محمد عباس محمد عرابى اقترحًا للمجلس الأعلى للجامعات المصرية يهدف إلى الاستفادة من مكتبات الرسائل الجامعية المنتشرة بشتى الجامعات المصرية التى حصل أصحابها على درجات الماجستير والدكتوراه، حيث يرى ضرورة تفعيل هذا الكم الهائل الذى تذخر به المكتبات الجامعية عن طريق تشكيل لجان علمية على مستوى الجامعات والكليات والأقسام، وتحت إشراف المجلس الأعلى للجامعات، وأكاديمية البحث العلمى ومختلف الهيئات البحثية فى مصر تقوم ببحث كيفية الاستفادة منها بحيث لا تكون مجرد وسيلة يحصل بها أصحابها على درجات علمية، بل تكون وسيلة للارتقاء بالمجتمع كله ورفع مستواه العلمى والثقافى.

●● ومجلة الأزهر تضم صوتها إلى صوت القارىء لتتحقق الاستفادة من هذا الكم الهائل الذى تحفل به المكتبات الجامعية، لا فى مصر وحدها، ولكن فى العالم العربى والإسلامى كله لتمثل بداية صحوة علمية حقيقية تنتشل عالمنا العربى والإسلامى من وهدة الضياع التى يعيشها.

أثمـــن هـــديـة

● **وينتقى القارىء سعد الأشهب من بنى سويف فقرة من كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) ص ٤٠١، ٤٠٢ للمستشرقة الألمانية سيجريد هونكه تقول فيها:**

ـ إن العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ونظموها ورتبوها، ثم أهدوها إلى الغرب فحسب، إنهم مؤسسوا الطرق التجريبية فى الكيمياء، والطبيعة، والحساب، والجبر، والجيولوجيا، وحساب المثلثات، وعلم الاجتماع. بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية فى مختلف فروع العلوم، والتى سُرق أغلبها ونُسب لآخرين، قدَّم العرب أثمن هدية، وهى طريقة البحث العلمى الصحيح، التى مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم.

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِۦ

صفحة من مذكرات مبعوث أزهرى

تحت عنوان «نظرة الغرب للبعثات الإسلامية والعربية» كتب فضيلة الشيخ محمد محمود حمودة -وكيل معهد كرداسة- متناولا تجربة عاشها بنفسه وقت أن كان مبعوثا للأزهر الشريف بدولة «مالى» يقول:

ـ البعثات العربية والإسلامية الموجهة للدول الأفريقية استطاعت -بفضل الله- ورغم وجود بعض المعوقات، أن تفرض وجودها وأن تنجح إلى حد بعيد فى نشر اللغة العربية والمثل القوى يتضح فى أداء البعثة الأزهرية فى «مالى» وهى دولة تدين بالإسلام حيث تبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٥٪ من إجمالى عدد السكان.

فقد انتشر مبعوثو البعثة الأزهرية فى المدارس الإعدادية والثانوية وفى الجامعات، والمساجد، والمراكز الإسلامية، والإذاعة والتليفزيون، وكان لعمل البعثة على مر السنين أثره الفعال، حيث انتشرت اللغة العربية فى ربوع البلاد بشكل أثار سخط الهيئات التابعة لدول الغرب حتى أنها فيما أصدره بعضها من كتب أكدت أنه ما من ثلاثة يمشون فى الشوارع إلا وتجد اثنين منهم يتكلمون العربية، وهذا ما أثار حفيظتهم من زاوية أن انتشار اللغة العربية يجعل للإسلام موضع قدم راسخة، لذا تنشط البعثات التبشيرية وبإمكانات هائلة لمواجهة هذا النجاح، ولكن الله غالب على أمره، فمن بين ما سمعته أثناء عملى بالبعثة أن مبشرة أمريكية جلست وسط مجموعة من المسلمين تمارس عملها بينهم، فلما حان وقت صلاة العشاء وارتفع صوت المؤذن انفضوا من حولها ملبين النداء.

والمؤكد أن هناك صوراً عديدة مماثلة لانجازات البعثات الأزهرية العديدة المنتشرة ليس فى قارة أفريقيا وحدها ولكن فى معظم قارات العالم.. فالعالم كله اليوم أصبح شغوفا بالتعرف على الإسلام ذلك الدين الذى وصمه أعداؤه ممن أعمى الغل أبصارهم وضرب على قلوبهم فصاروا كما قال المولى سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

(البقرة/ ١٧١)

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف/ ٢١).

شخصية العدد

مراد هوفمان

● **ويعبر القارئ (على فهمى) من الزقازيق عن إعجابه بكتاب الدكتور (مراد هوفمان) «الإسلام كبديل» فأرسل إلينا يقول:**

ـ الدكتور (مراد هوفمان) ألمانى مسلم، سفير بالخارجية الألمانية، حصل على درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد فى القانون، ومن مؤلفاته أيضاً: (طريق فلسفى إلى الإسلام)، (دور الفلسفة الإسلامية)، (يوميات مسلم ألمانى).

اعتنق الإسلام يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٨٠، وكان قد عاين صمود وصلابة المجاهدين الجزائريين إبان الثورة الجزائرية، ولم يفهم من أين يأتيهم هذا الدعم الخفى، حتى قرأ القرآن.

يقول مراد هوفمان فى كتابه:

«إن النظرة الثاقبة الممحصة تتبين قلة المؤلفين الموضوعيين الأكفاء الحريصين على توصيل الخلفية الفكرية والروحية للإسلام بوصفه ظاهرة حضارية فذة. ويقنع بعض القراء بالتحليلات السطحية السياسية والاجتماعية، يدفعهم إلى ذلك الخوف مما يتصورونهم أصوليين متطرفين متزمتين، ومن بطش سيف الإسلام. الحق إن ديناميكية المسلمين المعاصرين أو حركتهم ومقدرتهم على التعايش السلمى لا يتسنى لمسهما ومعرفتهما دون تفهم الإسلام، ذلك الدين العالمى بعظمته الروحية والفكرية والعقلية.. إن الإسلام لا يطرح نفسه بديلا (خيارا) للمجتمعات الغربية بعد الصناعية، إنه بالفعل هو البديل الوحيد».



(ص١٩، ٢٠)

وقد أحدث كتاب الدكتور هوفمان ضجة هائلة فى ألمانيا حتى إن وزارة الخارجية الألمانية اضطرت إلى إصدار بيان جاء فيه:

بيان وزارة الخارجية بتاريخ ١٩٩٢/٤/٢٥م

بون: بيان وزارة الخارجية بشأن السفير الألمانى هوفمان فى المغرب.

صرح المسئولون بوزارة الخارجية الألمانية بأن الوزارة لا ترى أى داع لاستدعاء السفير الألمانى بالمغرب (فيلفريد هوفمان) من منصبه، وذلك بعد تقصيها للأمر، ورداً على الذين طالبوا بإقالة السفير من منصبه.

وكان ممثلو الحزب الاشتراكى الألمانى (إس. بى. دى) وبعض ممثلى الكنيسة البروتستانتية الألمانية قد طالبوا باستدعاء السفير، لأنه صرح بأن القرآن لديه أهم من القانون الأساسى الألمانى، وذلك إذا تحتم الخيار بينهما. فضلا عن ذلك حبذ السفير المذكور دخول المجتمع (الألمانى) فى الإسلام ودافع عن القرآن، مع علمه بأن القرآن يسمح للرجل أن يضرب زوجته لتأديبها وردعها..

بعد أن رُفع الأمر إلى وزارة الخارجية الألمانية لتتخذ موقفاً، أفادت الوزارة بما يلى:

قد أسلم السفير المذكور عام ١٩٨٠م، وله الحق ككل مواطن آخر أن يعتنق الدين الذى يؤمن به.. أما أقوال السفير وكتابه «الإسلام هو الحل البديل» فليسا خروجاً على واجبه الوظيفى بصفته سفيراً.

وليس هناك أى دليل مباشر أو غير مباشر على أنه أساء استغلال سلطته المخولة إليه، أو إلى أنه قد خالف القانون الأساسى الألمانى.

(ص٢٥١)

من التراث

ابن خلدون

● **ويرسل القارئ مصطفى نور الدين من سوهاج، فقرة أعجبته، كتبها الأستاذ الدكتور على عبدالواحد وافى فى معرض تحقيقه لكتاب (مقدمة ابن خلدون) (٢٦٤/١) جاء فيها:**

ـ تحدث عن مقدمة ابن خلدون بعض المعاصرين له وبعض من جاءوا بعده بقليل من أدباء البلاد العربية ومؤرخيها، فاستطاع نفر قليل منهم أن يدرك شيئاً من قيمتها وقيمة مؤلفها، وظهر شىء من آثارها فى أقلامهم وبحوثهم، ولكن معظمهم قد عجزت أفهامهم عن إدراك عظمتها، فانتقصوها وانتقصوا صاحبها معها، ولم يفيدوا منها فائدة تذكر.

وكان على رأس المشيدين بفضلها وفضل مؤلفها والمتأثرين بها المؤرخ الشهير تقى الدين المقريزى الذى كان معاصرا لابن خلدون، وكان ممن حضروا دروسه وتتلمذوا عليه. فهو يتحدث عن شيخه حديث التلميذ البار الوفى، فيصفه «بشيخنا العالم العلامة الأستاذ قاضى القضاة»، ويتتبع أخباره فى كتابه «السلوك» ويعرِّف بمقدمته فى كتابه (درر العقود الفريدة)، فيقرر أنه «لم يعمل مثلها وأنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها، إذ هى زبدة المعارف والعلوم، ونتيجة العقول السليمة والفهوم، توقف على كنه الأشياء، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء، وتعبر عن حال الوجود، وتنبىء عن أصول كل موجود، بلفظ أبهى من الدر النظيم، وألطف من الماء سرى به النسيم.

من إبداعات القراء

من جحيم الأحداث

● وعن مأساة العراق التى تكالب عليها اللئام كانت هذه القصيدة التى كتبها الصديق / أحمد حمدى والى الطالب بالصف الثالث الثانوى بمدارس الهدى والنور بالمنصورة وجعل عنوانها «من جحيم الأحداث»:

بغداد قد زحف التتار	وتكالبوا حول الديار
وتأهبوا كى ينشروا	فى أرضنا صور الدمار
ويدنسوا أرض الطهارة	فى تعال وافتخار
وليخرسوا صوت الأذان	وينهبوا كل الثمار
يا أيها الأنجاس فى	ثوب التغطرس والفخار
إن رمتموا حربى هنا	فأسود أمتنا كثار
فى الكوفة الشماء روح	تستحيل على الحصار
وبكر بلاء قبوركم	وبابل بركان نار
أنا لن أنكس جبهتى	فصغارنا تأبى الصغار
وكم انتظرت من العروبة	هل يطول الانتظار
حكامنا يتجمعون	لكى يقودوا الانكسار
ويقرروا بشجاعة	ألا يجمعنا قرار
ويقبلوا نعل الظلوم	وعقلهم رهن الدولار
لو كنت منكم سادتى	لذهبت أبغى الانتحار

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

The command in the above verses includes the Prophet as well as his nation. Then, Allah, the Almighty, commands him to increase his knowledge, as He says:

(And in no way have you been brought of knowledge except a little.) [Al-Isra' (The Night Journey): 85]

The scientific progress in all the different fields is the secret behind the country's power and mighty. The Golden Age of the Islamic Nation can be seen in its advance in the scientific researches and inventions in all the various fields, especially medicine, astronomy, geography and geology. For example, the first school of medicine in Europe was established by the Arabs and Muslims in the south of Italy; the first astronomical observatory was established by Muslims in Spain; the first to think about the blood circulation was Ibnun-Nafis; the first to discover the microbe causing scabies was Ibn Zahr; the first thesis of its kind to tackle diseases such as smallpox and measles from a sound scientific point of view was that of Al-Razi; and numerous invaluable geological and geographical facts was reached by Ibn Sina (Avicenna).

In this respect, we find ourselves obliged to shed some light on some of the contributions of Ibn Sina. He was a philosopher and physician. Born near Bukhara (in what is now Uzbekistan), he served as court physician to the Samanid ruler of Bukhara. His work "*The Canon of Medicine*" was for many years a preeminent medical textbook in the European universities until the seventeenth century. The following are some of its contributions:

- The first to use anesthetics in operations.
- The first to use hypodermic injections.
- The first to deeply study the diseases of stomach and intestines.
- The first to discover the effect of the psychological state on the digestive system.
- The first to describe the intestinal parasites.
- The first to describe the respiratory system and the nervous diseases.
- The first to use ice on head to reduce high temperature.

Has the time not come to wake up of our sleep and heedlessness so that we may restore the position we used to assume!

and message. This is because we represent nothing but the mere reflection of the others' mirrors.

With regard to the abovementioned, I assure you that there is no hope in resisting the external challenges unless we rebuild the Arab and Islamic home from the inside and according to Allah's Law and our cultural principles. Thereupon, it is necessary not to overlook the realities of things; rather, we have to look at the real core of things. In addition, we have to reconsider man's formation in accordance with the positive concepts that regard science and work as the main aims behind existence. However, we have to believe that if man is formed without a creed, then there will be no hope in progress.

Before I conclude, I have to make mention of three matters regarding the cultural challenges and the duty of Muslims toward them:

First: Grasping, understanding and analyzing the efforts exerted through the twentieth century in an attempt to study the cultural crisis facing Arabs and Muslims.

Second: Introducing the works of some thinkers, including the works of Malik Ibn Naby who has been called "Ibn Khaldun[1] of the Modern Age." Such works may represent guidelines to find a way out of the cultural confusion caused by the universal attacks of Crusades, Zionism, and Secularization.

Third: To regard the cultural challenge as the main axis for any renaissance efforts. In my point of view this is the foundation on which other political, economical, or information stand.

---

[1] Ibn Khaldun (1332-1406), medieval Islamic historian. He was born in Tunis (now in Tunisia). In the 14th century he completed his monumental work *Muqaddamah,* the introductory volume to his *Universal History,* which is a valuable guide to the history of Muslim of North Africa and the Berbers. In the *Muqaddamah* Ibn Khaldun outlined a philosophy of history and a theory of society that are unprecedented in ancient and medieval writing. Societies, he believed, are held together by the power of social cohesiveness, which can be augmented by the unifying force of religion.

*Where Have the Scientific and Cultural Progress of the Islamic Nation Gone?!

By: Sheikh Abdul-Khaliq Nuseir

When looking into history, one finds that the scientific and cultural progress of Europe owes its source to the scientific and cultural progress of Arabs and Muslims and the intellectual and moral heritage they have disseminated everywhere they reached. All fair historians have agreed that Muslims have been the founders of the universal culture that can be seen today in the astonishing scientific discoveries and inventions due to the scientific and cultural advance during the Golden Age of the Islamic Nation.

The retardation of Muslims nowadays goes back to the fact that they have taken from Europe the worst, including excessive luxury, dissoluteness and profligacy, unlike Europeans who have taken from Muslims the best, including the scientific and cultural facts and fundamentals by which Muslims used to surpass the other nations. Unfortunately, we have fallen behind owing to the fact that we have neglected the scientific and cultural progress. On the other side, Europe has exerted lots of efforts and paid much attention to the scientific and cultural progress until it has become the leader of the world. Muslims have forgot the Qur'anic exhortation toward science and knowledge.

With regard to the virtue of seeking knowledge, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) said addressing Abu Dharr, *"O Abu Dharr, it is better to go seeking to learn one verse of Allah's Book (i.e., the Qur'an) than to perform a hundred rak`ah (i.e., a unit of prayer). And it is better to go seeking the knowledge of an issue, whether people act according to it or not, than to perform a thousand rak`ah."*

The command came to Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) through the Divine Revelation, and in the first words revealed of the Qur'an, Allah has said:

(Read: In the Name of your Lord Who created, created man from clots. Read: And your Lord is The Most Honorable; Who taught man what he did not know.) [Al-Alaq (The Clot): 1-5]

---

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

*The Cultural Challenges Facing Muslims

By: Dr. Abdul-Halim Ewais

When we talk about the cultural challenges facing the Islamic Nation in the 3rd millennium, we have to bear in mind that this millennium is not another shore different from that we have moved from. This is because the cultural progress passes through some forms of cognitive accumulations.

We should know that the countries around us are striving to take qualitative leaps in the 3rd millennium because they feel that they are not on the top and that any lost hour is for the benefit of their opponents and that they may pay dearly for it. Upon realizing that, we come to know that the intended top is far-off from us, we Arabs and Muslims. This is due to the fact that we are staying there at the bottom suffering internal and social disunity and lacking the motives toward competition.

If it were up to me, I would introduce an analysis of the intellectual and the cultural essences recorded through the 20th century with regard to the reasons behind Muslims' retardation as well as the factors leading to their advance; we may begin with the ideas of Imams and scholars including Jamalud-Din Al-Afghany, Muhammad Abdou, Rashid Rida, Al-Kawakiby, Shikeib Arslan, Jalal Kishk, Muhammad Al-Ghazaly and others who have exerted great efforts to handle the dilemma of the cultural progress.

Moreover, there are few scholars whose ideas are worth consideration. On the top of those scholars is Malik Ibn Naby who has lived in France for more than thirty years and has written his early books in French. In my point of view, Malik has introduced, from the heart of Paris, an intellectual methodology encompassing the European culture. His methodology would search for the hope buried under the

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

dominance of the European culture. In addition, Malik's methodology established and provided bases for the principles of the cultural communication and the methods of the positive reaction (i.e., exchange) with other cultures. In other words, his methodology has set limits of keeping the national spirit; of taking from others what may lead to progress not retardation and to production not consumption; and of keeping away any products, means or aspects of other cultures that may deceive the importers, as they are not up to the level of such aspects, means or products, which may lead to their destruction. This is exactly the bitter fact in which the Islamic Nation lives now, and such fact shall continue unless it gives up its current methods. This bitter situation shall continue if we entered the 3rd millennium while tied by the different internal cultural situations as well as the external international system crowned by the GATT, which prevents us from protecting our creativity and obligates us, while at the first primary stage, to face giants carrying PhDs.

I invite you to go back to discuss the right basis of launch so that our train may fit the rails of culture. I introduce to you the thinking of Malik Ibn Naby; while others may introduce the thinking of Muhammad Iqbaal, Muneir Shafiq, Jalal Kishk, or any of the moderate thinkers. Such people have not spoken about the means of achieving Muslims' renaissance or facing the cultural challenges while feeling defeat and alienation, and believing that the East is nothing and the West is everything.

I feel sorry when I say that we do not live the age of advanced technology, for we have not, for example, produced a plane or even car. Moreover, we do not live the age of economy, as our Arab and Islamic world does not represent a united economic entity that can face the challenges of its age due to its economical weight. Furthermore, we do not live the age of culture, thought, and information that stand for the real outcome of our view and philosophy, or express our identity

Upon seeing that magnificent unchangeable order in the heaven as opposing to man's world characterized with disorder and confusion, one realizes that there has to be a reformation done to that entire corruption and imminent affliction. That is, people's heedlessness with regard to the Last Day, and their belief that there is no resurrection is considered the first guilt of this corruption. This is exactly what I understood from the first speech delivered by Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) and in which he declared his message to his people.

For more illustration, the first prophetic speech must be the extraction of thinking that continued for years until the realization of a decisive, undoubted conclusion. You can see this in the Prophet's logical speech to his people when he called them to warn them. He commenced by asking them, *"What would you say if I told you there was a cavalry at the foot of this mount coming to attack you; would you believe me?"* *They replied, "Yes, for we have never heard or witnessed you lying before." He continued, "The guide does not lie to his people. By Allah! If I lied to all people, I will not lie to you. I am the Messenger of Allah sent to you in particular and to all the people in general. By Allah! You shall die the way you sleep and you shall be resurrected the way you wake up. You shall be called to account for what you do; for good deeds, there is reward, and for bad deeds, there is punishment. There is lasting Paradise (for those who do good) and there is lasting Hellfire (for those who do evil)."*

With regard to the above-mentioned, the community's corruption lies in their denial of the issue of resurrection. The Messenger would know that the issue of resurrection needed a proof to make it perceivable for the disbelievers. In the Cave of Hira, he reached the decisive truthfulness of that issue; he realized that such an issue would entail and ensure the reality of reward and

punishment. In support of the Messenger's belief, the revelation came declaring the unquestionable truth of the issue in the statement of Allah in which He says:

("O you shrouded (in your mantle), rise up (and) so warn! And so your Lord magnify, and so your clothes purify and so defilement forsake! And be not bountiful, (hoping) to gain more, and to your Lord (endure) patiently! So when the Trump is trumped, upon that Day then it will be a difficuly Day. For the disbelievers other than being easy.) [Al-Muddaththir (Shrouded):1-10]

Moreover, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him), says, *"Indeed, you will die in the same way you sleep and you will be resurrected in the same way you get up."*

These are some of the thoughts that came into my mind while I was standing before the Cave of Hira. When I came back home, I began to read a book written by professor Muhammad Hussein Heikal entitled *"Manzel Al-Wahi* (i.e., The Place of the Revelation)." In this book, the author tackles the same issue and surprisingly saying, "Why Muslims who set off for *Hajj* (i.e., Pilgrimage) or *`Umrah* (i.e., Lesser Pilgrimage) do not practice this spiritual sport; that is, to stand contemplating before the Cave of Hira. They abstain from experiencing such a sublime spiritual sport, as they no longer give attention to the spiritual aspect in their life, for their sole and entire aim is directed to the material one, so it has taken hold of them. When people fall into such vortex, they miss the true meaning of worship and devotion."

focus their efforts on; besides, they have to think about the ways and solutions through which they can liberate such devastated, ill-fated countries. They have also to try to stop bloodshed in these countries, as it is unreasonable to let the shedding of the blood of civilians, weak, old, women and children continue; this is in addition to the bitter facts that their houses are demolished on their heads, and patriots are annihilated and called terrorists.

All such terrible matters take place while being witnessed by the whole world without showing the least response. In addition, aggression has gone too far to the degree that invaders shamelessly and rudely declare in advance their plan to kill – or more precisely, assassinate – certain persons and leaders whose mistake does not go beyond defending their country. Further, the aggressors may execute their crimes against civilians using all the possible tools of war, even the prohibited ones, including tanks, cannons, warplanes, missiles and other destructive weapons. Instead of being angry and displeased with what is happening, you may see some of the cultured weak Muslims stand by the side of the aggressors and support them believing that Islam is breathing its last. This is due to nothing but their ignorance of the reality of Islam as well as their disregard of history; how many an enemy strong in evil tried to destroy and silence Islam, but turned tail getting nothing but disappointment and loss. Islam always comes out of every struggle victorious. In this respect, Allah, Glory be to Him, says:

(Surely We indeed vindicate Our Messenger and the ones who have believed in the present life, and upon the Day when the (noble) Witnesses rise up) [Ghafir (The Forgiver): 51]

And:

(And upon that day the believers shall exult. In the victory (from) Allah; He vindicates whomever He decides, and He is The Ever-Mighty, The Ever-Merciful. The promise of Allah! Allah does not fail His promise, but most of mankind do not know) [Ar-Rum (The Romans): 4-6]

Thoughts Before the Cave of *Hira'* (Hira)

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

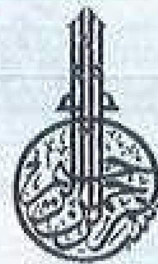
Seeing the Cave of Hira reminds the onlooker with the first phase of Islam. There, the revelation began to come directly to the Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) from Allah, Exalted be He, through the angel Gabriel. Hence, the Cave of Hira is considered the place at which the first connection between the heaven and the earth took place.

Numerous questions may rise in one's mind when standing before the Cave of Hira. We may ask ourselves, "What was Allah's Messenger thinking of when secluding himself in that cave? Was he remaining silent and thinking of nothing? Was he trying to stay away from people and their worldly affairs? Or was he dedicating himself in that seclusion to search in matters occupying his mind, and contemplating the falsehoods of the people worshipping idols, drinking wine, committing sins, attacking others transgressively, spoiling properties, and raping women?

I am just trying to realize such thoughts in accordance with what I have read in the Prophetic *Sunnah* (i.e., Prophetic Acts and Practices) and the Prophet's words I memorize. Undoubtedly, the Prophet's noble words represent the substance of sublime thoughts and ideas occupying his mind at the beginning of prophethood. We may conclude that the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) hurried to the Cave of Hira to seclude himself in a place away from people. He would go there to contemplate the marvelous order in the universe's movement including the glittering stars, the dark night and the shinning sun. On the other hand, he could not find such an order in people's affairs. That is, he would see, from the top of the mount, the balance and order in the world of heaven, and he would see down there the corruption, transgression and injustice in man's world.

AL-AZHAR MAGAZINE

Safar 1425 A. H.



ENGLISH SECTION

April . 2004

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Attack against Islam
The Action and the Reaction

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Unfortunately, we can see, nowadays, that there is a party who has taken the animosity against Islam as a trade from which they can benefit. That is, such people have got themselves ready to the mission through which they can achieve their malicious aims and selfish interests. True are the Words of Allah in which He describes those people saying:

(And when you see them, you admire their figures, and when they speak, you hear their speech).

[Al-Munafiquon (The Hypocrites): 4]

The song they used to sing over the past months relates to the issue of renewing and refreshing the "Religious Speech." Truly, we cannot say that all of those who have tackled this subject – whether by writing in a newspaper, holding discussions on TV, compiling a book, or expressing their conviction of the importance of the subject in whatever way – are to be included in that purposeful party.

That is, some individuals have tackled this subject while bearing good intentions. Many discussions, conferences and seminars have been solely held for this subject. On these occasions, the faithful men and the believing protectors of the nation have participated. However, with the excitement of the subject, many of them have not been aware that the spiteful enemies of Islam are those who have given rise to this issue to achieve their own deceitful aims. Those enemies do not care the least about the idea of reviving and renewing the Religious Speech as a way of reforming the means of the Call to Islam so that it may disseminate and prevail. Rather, their concealed target is to turn Muslims as well as non-Muslims away from Islam, and to link it to terrorism. Additionally, they desire to turn the attention of people away from what is happening in the occupied territories: Afghanistan, Iraq and Palestine. Nevertheless, these are the main issues that men of letters, the cultured, as well as those responsible for enlightenment have to

الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

●●●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير
سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

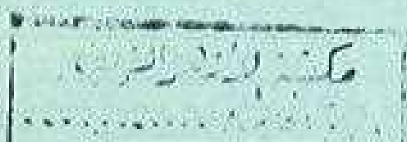
سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوى

● داخل مصر	١٨ جنيهاً مصرياً
● الدول العربية	٥٠ دولاراً أمريكياً
● أوربا وأمريكا	٨٥ دولاراً أمريكياً
● اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩



ربيع الأول ١٤٢٥هـ - مايو ٢٠٠٤م - الجزء الثالث - السنة السابعة والسبعون

افتتاحية العدد

في ذكرى المولد النبوى

الأسلوب القرآنى غير الأسلوب النبوى

أعرف أن النقاش الهادئ يفضى إلى خير كثير، أما النقاش الصاخب فتتغلب فيه الذاتية على الموضوعية، وهذا مايحوله إلى لجاج عنيد.

وقد زارنى أحد الزملاء ممن يشغلون أنفسهم بشئون من الفكر الجاد، فذكر لى أن إيمانه لايتزعزع قيد لحظة بأن القرآن الكريم منزل من عند الله ولكن قراءات له فى كتب الاستشراق تقول إن محمدا ﷺ قد افتراه، وقد كان فصيحا بليغا، ولا يعجزه أن يأتى بمثله! فكيف نقول لهؤلاء!

قلت : إن الفرية قديمة منذ عهد الرسالة.. وقد رد عليها القرآن بقوله عز وجل:

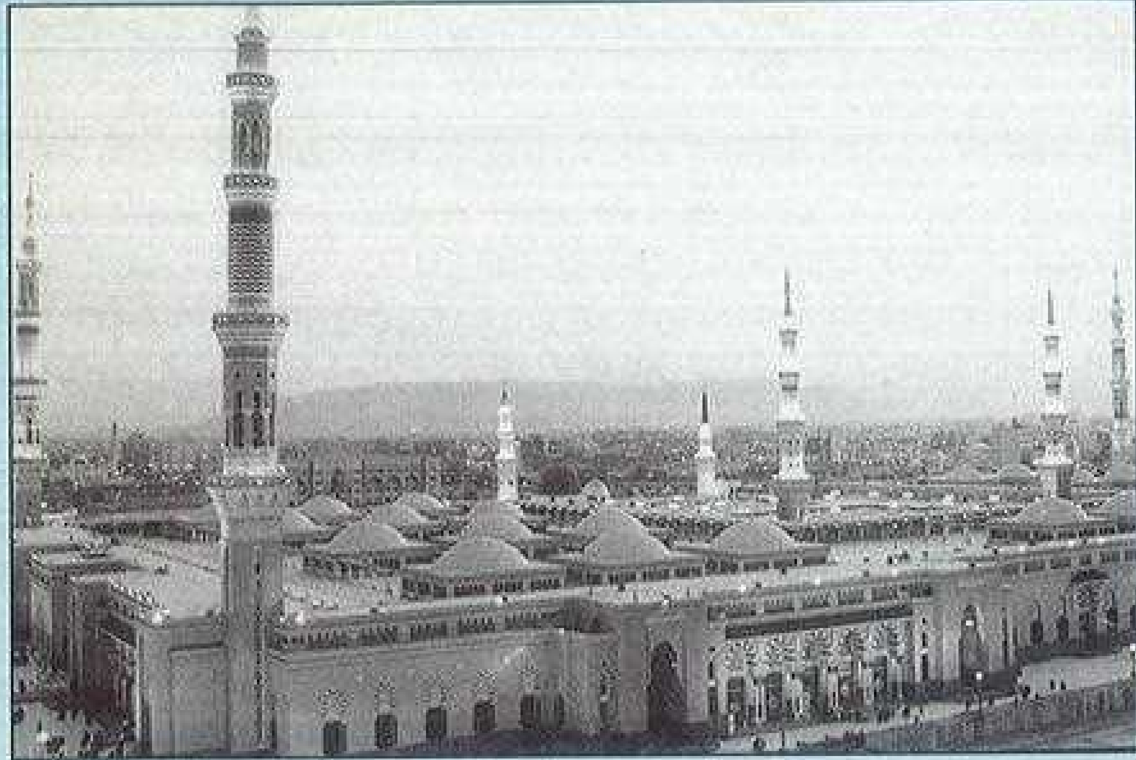
﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

(هود: ١٣)

وقد دحضها السابقون بما لا مزيد عليه، ولكنى الآن سأقنعك بأدلة ملزمة، لايجد العقل مثارا للارتياب فيها، فهل ستسمع؟

قال أجل : ويسعدنى أن أستضئ بنور هذه الأدلة، لا لكى يطمئن قلبى فهو مطمئن ولكن لأقمع من يلوكون الإفك عن غرض خبيث!

قلت : إن نصوصا صريحة فى القرآن تجزم عقليا بأن رسول الله قد أوحى إليه، ولم يخترع، فإذا كانت هذه النصوص العقلية ذات دلالة صادقة على نزول الوحى، وقد انتقلت بمضمونها من الدليل النقلى إلى الدليل العقلى، بمعنى أن قارئهما يجد نفسه أمام منطق لايقبل التفنيد، فقد وضح اليقين!



فابتسم صاحبى ابتسامة المرحب، وقال هيا: !

قلت : يقول الله – عز وجل – فى كتابه مخاطبا رسوله فى سورة القيامة:

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

(القيامة ١٦ : ١٩)

يقول المفسرون جميعا فى سبب نزول الآية «إن رسول الله ﷺ كان إذا لقن الوحى نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة فى الحفظ. وخوفا من أن يفلت منه حرف، فأمره الله أن ينصت بقلبه وسمعه حتى يرسخ القول فى نفسه، لأن الله قد ضمن حفظه فلن يفلت منه حرف واحد» فهل كان نزول هذا النص الكريم إلا دليلا على اهتمام النبى بما يتلقى من وحى ربه! وإذا كان الرسول قد افترى القرآن وحاشا أن يكون ـ فهل يخطر بباله أن يأتى بهذا المعنى، ولماذا؟ وهو القائل فى زعم هؤلاء المتخرصين؟!

ثانيا : يقول الله – تعالى فى سورة (الأنعام):

﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

(الأنعام ٥٢)

ويقول المفسرون إن جماعة من رؤساء المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : لو طردت عنا هؤلاء العبيد ـ يعنون المستضعفين من أمثال بلال وخباب وصهيب ـ لجلسنا إليك وحادثناك .

فقال ﷺ : وما أنا بطارد المؤمنين .

قالوا : فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فاقعدهم معك إن شئت .

فقال : نعم : طمعا فى إيمانهم، ولكن الله - عز وجل - لم يرض أن يطرد هؤلاء ، فنزلت الآية الكريمة تدعو الرسول إلى إبقائهم لديه ، أفلو كان هو الذى ألف القرآن ! أيذكر ماكان من تسرعه حين وافق ومن تصحيح الوحى لموقفه ! أم أنه تلقى النداء من ربه عن يقين !

ثالثا : يقول الله - عز وجل - فى سورة النساء :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (النساء ١٠٥ : ١٠٨)

يقول المفسرون ما ملخصه : «إن طعمة بن الأبرق سرق درعا من جار له فى جراب من دقيق ، فجعل الدقيق ينتثر من خرق ، ثم خبأها عند يهودى . فبحث الجار عن درعه فلم يجدها وتتبع أثر الدقيق فوجده انتهى إلى منزل اليهودى فأخذها ومن معه ورفعوا الأمر إلى رسول الله فحكم بما ظهر له بشهادة الأثر الذى انتهى إلى منزل اليهودى ، فنزل الوحى مصححا الحكم ، وداعيا رسول الله إلى الاستغفار حيث لم يصب الرأى» أفلو كان رسول الله هو الذى ألف القرآن ، أيجد داعيا إلى إبراز تخطئته ، وكونه خصيما للخائنين ! ولم يجبره أحد على أن يعلن استغفاره مما وقع فيه ! .

رابعا : قال الله - تعالى - فى سورة التوبة :

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

(التوبة ٨٠)

قال المفسرون : إن عبدالله بن عبدالله بن أبىّ سأل رسول الله أن يستغفر لأبيه لعظيم جرمه فلم يكسر خاطر الابن واستغفر له ، فنزل الوحى مؤكدا أن الله لايغفر لهذا المنافق مهما استغفر له الرسول .. والحديث التاريخى فى هذا المنحى يطول ، ولكننا نريد أن نعلم أن الوحى

يصحح ماوقع فيه الرسول لأنه بشر ! ولو كان هو المؤلف لما وقع تصحيح لما أقره واختاره ، ولكنه حكم السماء !

ولايقتصر الأمر على هذه الأربعة فهناك مشابه أخرى منها : قول الله - عز وجل :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (الأنفال ٦٧ ، ٦٨)

ومنها قوله تعالى

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴾ (عبس ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤)

ومنها قوله

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (التوبة ٤٣).

ومنها هذا النص الذى أشير إليه بايجاز وهو قول الله - تعالى :

﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (الإسراء ٧٢ : ٧٥)

ففى هذا النص الكريم ما يفيد أن الرسول قد كاد يركن قليلا إلى المشركين فى بعض ما اقترحوه ولهذا هدده الله بأن يذيقه ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لايجد نصيرا من دونه فليت شعرى ما كان أغنى الرسول عن إثبات هذا اللوم العنيف لو كان هو الذى ألف وأذاع ! هذه أدلة يقينية تقطع ألسنة من يفترى الكذب على الله وعلى رسوله الأمين !

قلت هذا وسكتُّ ، وظن صاحبى أنى أبحث عن أدلة أخرى من كتاب الله ، فابتسم معلناً اقتناعه التام بما ذكرت وأنه يقف الآن على صخرة ثابتة من الحقيقة الراسخة ، وفتح لى بذلك مجالاً للخوض فى الموضوع من ناحية ثانية فقلت :

تعلم يا أخى أن رسول الله كان يخطب كل جمعة ، وفى مواقف تحدث كثيراً غير موقف الجمعة ، حتى سمع له أعداؤه وأصحابه معاً أكثر من خمسمائة خطبة نبوية ، ولم يعن المسلمون بتدوينها إذ كان همهم الأول تدوين كتاب الله محاذرين أن يختلط به حرف واحد لم ينزل به الوحى ، هذه الخطب الكثيرة تختلف فى أسلوبها عن أسلوب القرآن ، فلو كان القائل واحدا ،

أما يوجد بعض التشابه فى الأسلوب على كثرة ما أذاعه الرسول من آثار مع أن الأغراض التى تحدث عنها القرآن، والمعانى التى ترددت فى الذكر الحكيم، هى فى كثير من اتجاهاتها موضع الخطبة الدينية لرسول الله، إذ قال الله - عز وجل

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾
(النحل ٤٤)

فهل وُجد أدنى تشابه فى الأسلوب بين ما قال الرسول وما نزل من القرآن. لقد كان الرسول ﷺ يستشهد بالآية الكريمة فى الخطبة القصيرة أو الطويلة فتنفرد الآية بإشعاع خاص يعلن مصدرها الأعلى الرفيع وقد عقد العلماء فصولاً شافية فى إيضاح الفروق بين الأسلوبين، ومن أبرز المعاصرين فى هذا المجال الأستاذ الدكتور محمد عبدالله دراز - رحمه الله - حيث قال:

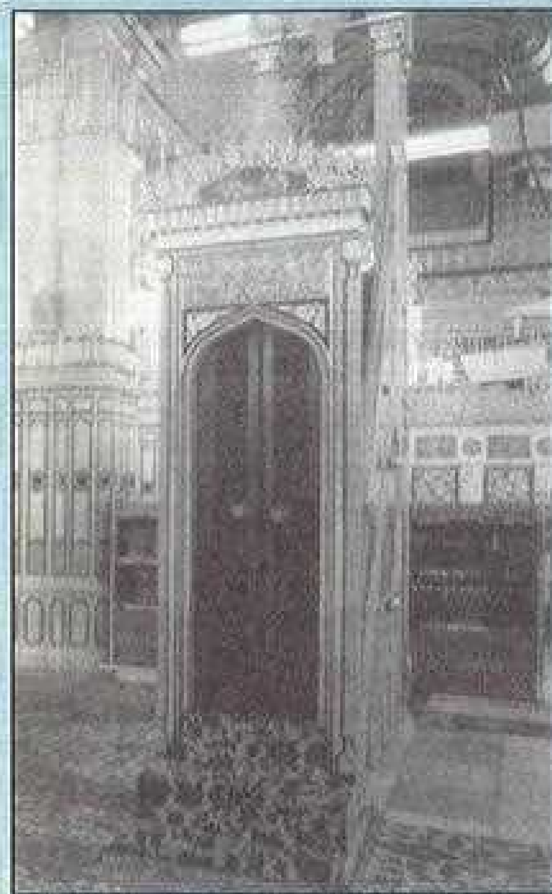
«ونحن نرى الأسلوب القرآنى فنراه ضرباً وحده، ونرى الأسلوب المحمدى فنراه ضرباً وحده ولا يجرى مع القرآن فى ميدان إلا كما تجرى محلقات الطير في جو السماء لا يستطع إليها صعودا ثم نرى أساليب الناس علي اختلافها ضرباً واحداً لا تعلو عن سطح الأرض، فمنها ما يحبو حبوا، ومنها ما يشتد عدوا، ونسبة أقواها إلى القرآن كنسبة هذه السيارات الأرضية إلى السيارات السماوية، نعم لقد تقرأ القطعة من الكلام النبوى فتحاول اقتناصها، كما تطمع فى اقتناص الطائر، ولقد تقرأ الكلمة من الحكمة «النبوية» فتشتبه عليك أمن كلمات النبوة أم كلمات الصحابة أم كلمات التابعين؟ أما الأسلوب القرآنى فإنه يحمل طابعاً لا يلتبس معه غيره. ولا يجعل طامعاً يطمع فى أن تحوم حول حماه».

ثم إن الناس يتحدثون عن الإعجاز بالصرفة فيفهمون القول على غير وجه الصحيح، إذ وقر فى أذهانهم أن المراد أن الله صرفهم عن المعارضة صرفاً، مع قدرتهم عليها، وهذا خطأ لا يمكن أن يقع فيه أمثال الجاحظ والمرتضى وابن سنان من القائلين بالصرفة، ولكن المراد بالصرفة أن العرب حين تأكدوا من قصورهم التام عن محاكاته انصرفوا مبدئياً دون محاولة لهذه المحاكاة!! وهنا نفهم «الصرفة» بمعناها الحقيقى لا بما تردده بعض المؤلفات! وإذا كان فى العرب من صرح بأن القرآن مفترى، وليس من عند الله، فهو تصريح المجابه الذى يظهر غير ما يبطن، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾
(النمل ١٤).

هذا بعض ما دار به الحديث بيني وبين صاحبي، حاولت أن أشرك فيه قارئى الكريم، على أنى حين خلوت إلى نفسي، تذكرت شيئا كنت قرأته من قبل، ولا أدرى فى أى كتاب، هذا الشيء هو الطابع الإلهى الذى يغمر قول رب العزة فيوحى بالجلال والقوة فى كل نص إلهى، بحيث يشعر

القارئ أنه يتلقى أمر السماء فى كل حرف قرآنى، أما الحديث النبوى فيظهر فيه الروح البشرى الذى يقوى فى مناسبة، ويرق فى مناسبة أخرى، يتجلى الروح الإلهى فى مثل قول الله - عز وجل:



﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ (٢٢) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ «الروم ١٧-٢٥».

ما يظهر الروح البشرى الذى يحن ويرق في مثل قوله ﷺ «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، إلى من تكلنى إلى عدو يتجهمنى، أم إلى قريب ملكته أمرى. إن لم تكن ساخطا على فلا أبالي، أعوذ بنور وجهك الكريم الذى أضاءت له السموات والأرض، وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تحل علىَّ غضبك، أو تنزل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

هذه أرفع مناجاة بشرية يتقدم بها أكرم مخلوق إلى ساحة خالق عظيم، فليقرأ الجاحدون ثم يوازنوا بينها وبين أسلوب القرآن العظيم.

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [الآيات: ٨، ٩]

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

اشتملت هاتان الآيتان على دعوات طيبات. ويرى بعض العلماء أن هذه الدعوات من مقول الراسخين في العلم، فهم يقولون:

﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾(١).

ويقولون أيضاً:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾

ويرى بعضهم أن هذا كلام جديد، وهو تعليم من الله - تعالى - لعباده ليكثروا من التضرع إليه بهذه الدعوات وأمثالها.

والزيغ - كما أشرنا في الآية السابقة - الميل عن الاستقامة، والانحراف عن الحق. يقال: زاغ يزيغ أي مال، ومنه زاغت الشمس إذا مالت.

والمعنى: نسألك يا ربنا ونضرع إليك ألا تميل قلوبنا عن الهدى بعد إذ ثبتنا عليه ومكنتنا منه. وأن تباعد بيننا وبين الزيغ الذي لا يرضيك. وبين الضلال الذي يفسد القلوب، ويعمي البصائر.

﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾

أي وامنحنا من عندك ومن جهتك إنعاماً وإحساناً تشرح بهما صدورنا، وتصلح بهما أحوالنا

﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

لا غيرك، فأنت مالك الملك وأنت القائل

﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾(٢).

فأنت ترى أن هذه الآية الكريمة قد تضمنت سؤال المؤمنين ربهم تثبيت الإيمان في قلوبهم ومنحهم المزيد من فضله وإنعامه وإحسانه.

قال الفخر الرازي - ما ملخصه: وقال - سبحانه - ﴿ رَحْمَةً ﴾ ليكون ذلك شاملاً لجميع أنواعها التي تتناول حصول نور الإيمان والتوحيد والمعرفة في القلب، وحصول الطاعة في الأعضاء والجوارح، وحصول سهولة أسباب المعيشة والأمن والصحة والكفاية في الدنيا وحصول سهولة سكرات الموت عند حضوره، وحصول سهولة السؤال في القبر، وغفران السيئات والفوز بالجنات في الآخرة. وقوله: ﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾

يتناول كل هذه الأقسام. لأنه لما ثبت بالبراهين الباهرة أنه لا رحيم إلا هو أكد

(١) آل عمران (٧).

(٢) سورة فاطر - الآية ٢.

ذلك بقوله: ﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ تنبيهاً للعقل والقلب والروح على أن هذا المقصود لا يحصل إلا منه - سبحانه - ثم قال:

﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾

كان العبد يقول: «إلهى هذا الذى طلبته منك فى هذا الدعاء عظيم بالنسبة إلىّ، حقير بالنسبة إلى كمال كرمك، فأنت الوهاب الذى من هبتك حصلت حقائق الأشياء وذواتها وماهياتها ووجوداتها، فكل ما سواك فمن جودك وإحسانك فلا تخيب رجاء هذا المسكين، ولا ترد دعاءه واجعله أهلاً لرحمتك»(٣)

هذا، وقد ساق الإمام ابن كثير وغيره بعض الأحاديث النبوية عند تفسيرهم لهذه الآية ومن ذلك ما أخرجه أبو داود والنسائى وابن مردويه عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «لا إله إلا أنت سبحانك أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك. اللهم زدنى علما، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى، وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»(٤)

وروى الترمذى عن شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة: ياأم المؤمنين، ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه «يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك» فقلت: يارسول الله، ما أكثر دعاءك يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك؟ قال: «ياأم سلمة إنه ليس آدمى إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ» فتلا معاذ - أحد رجال سند هذا الحديث

﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾

وعن أنس - رضى الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يقول: «يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك. قلنا: يارسول الله قد آمنا بك، وصدقنا بما جئت به، أفيخاف علينا؟ قال: نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها - تبارك وتعالى(٥).

ثم حكى - سبحانه - ضراعة أخرى تضرع بها المؤمنون إلى خالقهم فقال:

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ ﴾

أى: ياربنا إنك جامع الناس: محسنهم

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ٧ - ص١٩٥.
(٤) تفسير ابن كثير جـ١ - ص ٣٤٨.
(٥) تفسير القرطبى جـ٢ - ص٢٠.

ومسيئهم، مؤمنهم وكافرهم. ليوم لا شك فى وقوعه وحصوله وهو يوم الحساب والجزاء، لتجازى الذين أساءوا بما عملوا وتجازى الذين أحسنوا بالحسنى. فأنت - سبحانك - لم تخلق الخلق عبثاً، ولن تتركهم سدى، وإنما خلقتهم لرسالة عظمى هى عبادتك وطاعتك. فمن استجاب لك تفضلت عليه بالثواب العظيم، ومن أعرض عن طاعتك عاقبته بما يستحقه.

وقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

تعليل لمضمون الجملة المؤكدة أو لانتفاء الريب فى وقوع يوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب.

أى إنك يامولانا لا تخلف ما أخبرت به عبادك من أن هناك يوماً لا شك فى وقوعه، تجازى فيه الناس على أعمالهم بمقتضى إرادتك ومشيئتك.

وفى هذه الآية الكريمة إشعار بأن نهاية أمل المؤمنين أن يظفروا بالجزاء الحسن من خالقهم يوم القيامة، لأنهم بعد أن سألوه تثبيت الإيمان وسعة الرحمة، توجهوا إليه بالمقصود الأعظم وهو حسن الثواب يوم القيامة. فكأنهم قالوا - كما يقول الرازى -: «ليس الغرض من تلك الدعوات ما يتعلق بمصالح الدنيا فإنها فانية، وإنما الغرض الأعظم منه ما يتعلق بالآخرة فإنا نعلم أنك ياإلهنا جامع الناس للجزاء فى يوم القيامة، ونعلم أن وعدك لا يكون خلفا، وكلامك لا يكون كذبا فمن زاغ قلبه بقى هناك فى العذاب أبد الآباد، ومن أعطيته التوفيق والهداية والرحمة وجعلته من المؤمنين، بقى هناك فى السعادة والكرامة أبد الآبدين فالغرض الأعظم من ذلك الدعاء ما يتعلق بالآخر»(٦)

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين قد اشتملتا على دعوات كريمات بليغات، من شأنها أن تسعد الناس فى دينهم ودنياهم. والله نسأل أن ينفعنا بها إنه مجيب الدعاء، وأرحم الراحمين.

***

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ٧ - ص١٩٥.



من المسلم

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى البخارى عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله. فلا تخفروا الله فى ذمته».

التعريف بالراوى: هو الصحابى الجليل: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار أبو حمزة ويقال: أبو شامة الأنصارى البخارى. خادم النبى ﷺ وهو القائل: «خدمت النبى ﷺ عشر سنين. فما قال لى قط لشىء فعلته لم فعلته؟ ولا لشىء تركته لم تركته؟» وقد قيل إنه كان أشبه الناس صلاة برسول الله ﷺ من كثرة ملازمته له واستشهدوا بحديث أبى هريرة – رضى الله عنه: «ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم» يعنى أنس بن مالك – رضى الله عنه.

وأمه أم حرام مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام زوجة أبى طلحة زيد بن سهل الأنصارى، أتت بأنس – رضى الله عنه – إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله، هذا أنس، خادم لبيب يخدمك» فوهبته

إياه فقبله وسألته أن يدعو له فقال: «اللهم أكثر ما له وولده وأدخله الجنة»، وقد استجاب الله – عز وجل – دعاء نبيه فكثر ماله وولده يقول أنس – رضى الله عنه: «جاءت بى أمى إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام فقالت: يا رسول الله خويدمك أنيس فادع الله له. فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة» قال: فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة. يعنى كثرة ماله وولده. وأنه يرجو الثالثة وهى الجنة وتؤكده الرواية الثانية التى يقول فيها: فوالله إن مالى كثير حتى إن نخلى وكرمى ليثمر فى السنة مرتين، وإن ولدى وولد ولدى ليتعادون على نحو المائة وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة، وعمر طويلا جاوز عمره مائة عام وكان آخر من توفى بالبصرة من الصحابة رضوان الله عليهم.

اللغويات: من صلى صلاتنا: أى صلى صلاة كصلاتنا، أو صلّى كما نصلى ـ واستقبل قبلتنا: أى توجه فى صلاته نحو الكعبة المشرفة والمسجد الحرام، قال تعالى:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾(1).

وأكل ذبيحتنا: أى ذبيحة المسلمين لأن بعض الكتابيين والوثنيين يتحرجون من الأكل من الذبائح التى ذبحها المسلمون.. ذمة الله: عهده وأمانه. ولا تخفروا: أى فلا تغدروا ولا تنقضوا العهد مع الله ورسوله.

الشرح والبيان: يروى لنا الصحابى الجليل أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ وموضع سره. أنه سمع من الداعية الأعظم، ومعلم الإنسانية الأول، وطبيبها الأوحد. الذى يأسو الكلوم. ويداوى الجروح. ويعرف كيف تقاد النفوس إلى الخير، وكيف تهدى إلى سواء السبيل، أن الحكم على المرء بالإسلام له علامات ظاهرة ودلالات واضحة وتأتى فى مقدمة هذه العلامات الصلاة كصلاة المسلمين. لأن الصلاة بهذه الكيفية لا تتأتى إلا من مقر بالرسالة لسيدنا محمد ﷺ، ولا يكون ذلك إلا بعد الإقرار بتوحيد الله – عز وجل – فإذا كان الركن الأول من أركان الإسلام هو الشهادتين وهما تتضمنان أس سعادة الإنسان وصلاح شئونه فى معاشه ومعاده فإن الركن الثانى هو الصلاة، والصلاة عماد الدين فمن أقامها أقام الدين، ومن هدمها هدم الدين، وإذا صلحت صلح سائر العمل وإذا فسدت فسد سائر العمل.

والشهادتان: هما شهادة أن لا إله إلا الله، وتتحقق باعتقاد القلب واعتراف اللسان بأن الله موجود وأنه واحد لا شريك له، وهذه الشهادة هى عماد كل دين إلهى قال تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(2).

(1) البقرة (144).

(2) آل عمران (64).

وكلمة ﴿ سَوَآءٍ ﴾ أى كلام عدل لا تختلف فيه الشرائع وشهادة أن محمداً عبده ورسوله تتحقق بإيمان القلب وإقرار اللسان بأن محمد ابن عبدالله بن عبدالمطلب القرشى عبد الله ورسوله وما كان ابناً لله ولا ملكاً من ملائكته وما جاء بشيء من تلقاء نفسه إن هو إلا وحى يوحى إليه قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾(٣).

والصلاة تتحقق بأداء الصلوات الخمس فى مواقيتها مستكملة الأركان مستوفاة الشرائط وأن تؤدى فى خشوع وخضوع ليتذكر العبد بها ربه ويستحضر مراقبته، ومن راقب الله - عز وجل - وقف عند حدوده وانتهى عما حرم. ويوضح ذلك ما أورده الإمام البخارى عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. وإقام الصلاة. وإيتاء الزكاة. وصوم رمضان. وحج البيت».

والصلاة الكاملة الثواب: هى التى تؤدى جماعة فى المسجد فقد روى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى بيته وصلاته فى سوقه بضعاً وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضا فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة. فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسجد كان فى الصلاة ما كانت الصلاة هى تحبسه والملائكة يصلون على أحدكم ما دام فى مجلسه الذى صلى فيه يقولون: اللهم ارحمه. اللهم اغفر له. اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه. ما لم يحدث فيه» ولا تصح الصلاة إلا باستقبال القبلة لقوله تعالى:

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾(٥).

ولقوله ﷺ: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء. ثم استقبل القبلة وكبر» رواه مسلم، وقد أجمع المسلمون على ذلك.

وحدّ القبلة لمن كان مقيماً بمكة أو قريباً منها هى عين الكعبة، فيجب عليه أن يستقبل عينها يقيناً إن أمكن، وإلا اجتهد فى إصابة عينها.. ولا يكفيه استقبال جهتها. وكذلك من كان بمدينة رسول الله ﷺ. فإن قبلته هى عين الكعبة. وذلك لأن محراب مسجده ﷺ وضع مسامتا لعين الكعبة بالوحى أى مساوياً لها فيجب استقبال عين المحراب.

والقبلة بالنسبة لمن كان بعيداً عن مكة: هى جهة الكعبة فيجوز له الانتقال عن عين الكعبة يميناً أو شمالاً، أى لا بأس بالانحراف اليسير الذى لا تزول به المقابلة بالكلية بحيث يبقى شيء من سطح الوجه مسامتاً للكعبة - لكن الشافعية يرون أن الانحراف اليسير يبطل

(٣) الكهف (١١٠).

الصلاة.. وعلى كل فتحرى الدقة فى التوجه إلى الكعبة من الواجبات الشرعية وشروط الصحة.

وأكل ذبائح المسلمين من علامات الإسلام، والذبائح اسم لما يذبح من الحيوان الذى يحل أكله، إذ لا يجوز أكل شيء منه إلا بالتزكية ما عدا السمك والجراد لقوله (ﷺ): «أحل لكم ميتتان ودمان: الميتتان: السمك والجراد. والدمان: الكبد والطحال» ومن داوم على هذه الأمور: يصلى كما نصلى ويستقبل فى صلاته قبلتنا، ويأكل من ذبائحنا كان مسلماً تجرى عليه الأحكام الدنيوية فيناكح ويوارث وتقبل شهادته.. إلخ وإذا مات يغسل، ويكفن، ويصلى عليه، ويدفن فى مقابر المسلمين.

وله أمان الله وأمان رسوله ﷺ وحرمة دمه وماله إلا بحق الإسلام وحسابه على الله.

ومن كان هذا شأنه فإن رسول الله ﷺ قد نهى أصحابه وأمته عن التعرض له. ومن تعرض له فقد خان الله ورسوله ونقض عهدهما وأمانهما والله تبارك وتعالى يقول:

﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٤).

ويؤكد ذلك ما أورده البخارى عن أنس - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فإذا قالوا وصلوا صلاتنا وذبحوا ذبيحتنا. فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

وهذا الحديث يرشد بجلاء ووضوح أن أمور الناس محمولة على الظاهر دون الباطن وقد ورد فى الأثر: «لنا الظاهر والله يتولى السرائر» فمن أظهر من الناس شعائر الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك.

كما أن الحديث يرشد إلى أن الصلاة من العلامات المميزة للمسلم عن غيره. قال تعالى:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾(٥).

وكذلك يرشد الحديث إلى تعظيم شأن القبلة ورفع قدرها وأنها شرط فى صحة الصلاة، وأن من أكل ذبيحة المسلم مضافاً إلى ما تقدم فإن ذلك من علامات الإسلام ودلالاته وقد قال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» هذا هو الإسلام وتلك مبادئه وتعاليمه. فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

(٤) النساء (١٤).

(٥) الفتح (٢٩)

المصريون عرب

نشرنا بالعدد الماضى مقال الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات (فرعونيون وعرب) وننشر فى هذا العدد مقال الأستاذ الكبير مكرم عبيد باشا القطب المسيحى الشهير وقد نشر بمجلة الهلال الصادرة فى يناير سنة ١٩٣٩، وفيه أبلغ رد على من يريدون أن يفرقوا الكلمة بين العرب جميعاً ويحاولون التشكيك الظالم فى عروبة مصر والله يعلم ما تخفى الصدور.

بقلم : مكرم عبيد باشا

إن تاريخ العربية سلسلة متصلة الحلقات، لا بل هو شبكة محكمة العقد، وإذا علمت أن رابطة اللغة والثقافة العربية فى هذه الأقطار أوثق منها فى أى قطر من أقطار الأرض، وأن التسامح الدينى نشأ وترعرع ومازال موجودا بين أصحاب الأديان كلها فى الجارات الشقيقة، أيقنت أن المقصود بقولى: «المصريون عرب» هو هذه الوشائج وتلك الصلات التى لم تفصمها الحدود الجغرافية، ولم تنل منها الأطماع السياسية منالا. على الرغم من وسائلها التى تتذرع بها إلى قطع العلاقات بين الأقطار العربية والعمل لقتل الروح العربية بين أبنائها، والسعى للتفرقة، واضطهاد العاملين لتحقيق الوحدة العربية التى لا ريب فى أنها من أعظم الأركان التى يجب أن تقوم عليها النهضة الحديثة فى الشرق العربى فالشرق العربى فى حاجة إلى الوحدة والتضامن أمام التيار الأوربى الجارف، وأبناء العروبة فى حاجة إلى الوحدة والتضامن أمام التيار الأوروبى الجارف، وأبناء العروبة فى حاجة إلى أن يؤمنوا بعروبتهم وبما فيها من عناصر قوية استطاعت أن تبنى حضارة زاهرة، وأن تخضع البلاد الأجنبية لها حقبة طويلة من الزمان.

نحن عرب، ويجب أن نذكر فى العصر دائماً أننا عرب قد

وحدت بيننا الآلام والآمال، ووثقت روابطنا الكوارث والأشجان، وصهرتنا المظالم وخطوب الزمان. فأحدثت منا أمماً متشابهة متماثلة فى كل ناحية من نواحى الحياة.

نحن عرب فى هذا الجهاد القائم فى كل قطر من أقطار العروبة لاستكمال الحرية، وإحياء مجد الحضارة العربية، وترقية شؤوننا العامة، وقيادة الشباب إلى المثل العليا، وتربية شعوبنا تربية صالحة تنزع عنها خمول الأعوام الماضية وتدفعها إلى التماس الخير لها، وتوقظها من سباتها، وتشعرها بكرامتها، وتنير أمامها السبيل، فترى الحياة العصرية على حقيقتها، وتعرف ما ينفعها وما يضرها، فتأخذ منها ما يساعدها على بناء حياة جدية مؤسسة على مجد الماضى وما يمتاز به من قوة روحية وإيمان سماوى ومرفوعة الأركان بخير ما أنتجه العصر الحاضر من رقى علمى وإنتاج صناعى.

نعم نحن عرب من هذه الناحية، ومن ناحية تاريخ الحضارة العربية فى مصر، وامتداد أصلنا القديم إلى الأصل السامى الذى هاجر إلى بلادنا من الجزيرة العربية.

ولهذا يجب أن نعمل متضامنين، ونسعى إلى المجد متعاونين ونوثق الوحدة العربية التى تنهض مع الاشتراك فى الأمانى والآمال، وفى التاريخ واللغة والخصائص القومية.

فالوحدة العربية حقيقة قائمة، هى موجودة، لكنها فى حاجة إلى تنظيم، والغرض من التنظيم إيجاد جبهة تناهض الاستعمار، وتحفظ القوميات، وتوفر الرخاء، وتنمى الموارد الاقتصادية، وتشجع الإنتاج المحلى، وتزيد فى تبادل المنافع وتنسيق المعاملات. فكما أن أوربا خلقت شيئاً معنوياً ترتبط به، وتلتف حوله أغراض سكانها على اختلاف أممهم، فكذلك نحن سيؤول مصيرنا إلى الالتفاف حول مثل أعلى يوفق بيننا، ولا يمزجنا بعضنا ببعض، فنصير كتلة واحدة، وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة، أو وطناً كبيراً يتفرع منه عدة أوطان، لكل منها شخصيتها لكنها فى خصائصها القومية العامة متحدة، متصلة اتصالا قوياً بالوطن الأكبر.

وهذه نظرية الأوطان المتجانسة، يعيش الرجل لنفسه ثم لأسرته وإقليمه، وفى الوقت نفسه يعيش لوطنه وللأوطان التى تربطها بوطنه روابط لا انفكاك لها.

إن العمل لتوحيد الثقافة، وتبادل المنافع، والآراء بين البلاد العربية يؤدى إلى توحيد الجهود والاستفادة من الجهاد المشترك الذى يقوم به العرب فى سبيل الحرية.

[عن الهلال ١٩٣٩]

أضيئوا الشموع فى الذكرى العطرة

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

عندما عاد اللورد كرومر - المندوب السامى البريطانى على مصر أيام الاحتلال - وقابل ملكة بريطانيا قال لها: «لن يستقر الأمر لبريطانيا فى مصر إلا إذا أطفئت الشموع، ولما سئل ماذا تقصد بالشموع؟ قال: كتاتيب تحفيظ القرآن فى مصر».

وإذا كان هذا الكلام ينطوى على عداء واضح للإسلام، فإن دين الله لا يعدم شهادة المنصفين له من مثل قول سديو الفرنسى: «لو وجد المصحف فى فلاة لقلنا إنه كلام الله».

وإنه ليجب علينا ونحن نحتفل بمولد النبى الكريم ﷺ أن نتذكر ما قاله المنصفون ونوضحه لأبنائنا ونقصه على من لم يسمعه، كما يجب أن نتذكر قول المبطلين لندحضه بالبراهين الساطعة.

وعلينا - أيضا - أن نقابل الدعوات الرامية إلى الهدم وإطفاء الشموع بخطة طموح فنضىء الشموع كل عام احتفاءً بمولده ﷺ ونفتتح فى كل عام عدداً من الكتاتيب فى كل محافظة

أما الأمر الثانى الذى يجب على المسلمين أن يفعلوه احتفاءً برسول الله في ذكرى مولده ﷺ فهو الرجوع إلى السنة النبوية الشريفة، فيقرأونها قراءة من ينشد ضالته، قراءة مريض أصيب بداء يسعى إلى الشفاء بالحصول على

الدواء، قراءة تتجاوز النظر والاطلاع إلى الفهم والاتعاظ وإلى العمل والتطبيق.. وإلا فلا فائدة من القراءة، ولا أمل يتحقق من الاطلاع.

ومن باب الموافقات أن المسلمين يحتفلون فى هذا الشهر الكريم بحلول ذكرى مولد رسول الله ﷺ، وهذه مناسبة عظيمة تتطلب أن يرجع المسلمون فيها إلى سيرة سيدنا محمد ﷺ إمام المرسلين وخاتم النبيين، الذى حباه ربه بالتكريم، وحباه فى القرآن الكريم بالخير العميم والفضل الوفير فى قوله جل وعلا:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١).

لقد كان مدد محمد ﷺ فى حياته، وفى أسلوب دعوته إلى الإسلام، وفى منهجه فى معاملة أتباعه، وفى طريقته فى مواجهة أعدائه هو القرآن الكريم، الذى أعجز الأولين والآخرين، كان مدده فى بيانه، فقد كان ﷺ أفصح الفصحاء، وكان يعلن ذلك فى قوله الشريف: «أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش، ورُبيت فى بنى سعد»، وكان أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ يقول له: يا رسول الله، ما رأينا الذى هو أفصح منك!! فكان يجيبه بالقول الشريف: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى»، وقوله: «أوتيت جوامع الكلم».

وكان القرآن الكريم مدده فى أخلاقه وشمائله الكريمة، فعندما سأل سعدُ بن هشام السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن معنى هذه الآية: «وإنك لعلى خلق عظيم» قالت له: ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قالت: فإن خُلق رسول الله ﷺ كان القرآن، وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: «خدمت النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى أفٍ قط، وما قال لشىء صنعتُه لم صنعته، ولا لشىء تركته لم تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقا، ولا مسستُ خزا قط ولا حريرا ولا شيئا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكا قط ولا عطراً كان أطيب من عرق النبى ﷺ، وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالسا، فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم»، وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: جمع النبى ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تُصلح ما

(١) القلم : ٤.

بين العبد وبين ربه، وحُسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه، لقد حدد رسول الله ﷺ الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين فى دعوته بقوله : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

إن أمارات النبوة وعلامات الرسالة كانت واضحة على محمد ﷺ منذ صباه، كان (٢) محمد ﷺ قبل الرسالة فتى قريش الذى إليه يطمئنون، وبأمانته يعترفون، وباستقامته يضربون الأمثال، فكان يعرف بينهم بالأمين، وكان ﷺ ذا مهابة وجلال وجمال وهو فى فجر صباه، وكان علما فى قومه، ما من قرشى إلا عرف محمداً الصبى المستقيم، والأمين، مع تلافيه حضور مجتمعاتهم الصاخبة، فقد عصمه الله من أوزارها، وجنبه المشاركة فى عاداتهم الجامحة، وأنجاه ربه من مباذلها، ومن ثم كانت صفحته قبل الرسالة وضاءة الجنبات، وسيرته قبل النبوة عاطرة النفحات، ذكر أبوهاشم محمد بن ظفر فى «خير البشر بخير البشر» : حج أكثم ابن صيفي ـ حكيم العرب ـ والنبى ﷺ فى سن الحلم، فرآه أكثم، فقال لأبى طالب ما أسرع ما شبّ أخوك! فقال : ليس بأخي ولكنه ابن أخي عبدالله، فقال أكثم : أهو ابن الذبيحين؟ قال : نعم. فجعل يتوسمه ثم قال لأبى طالب : ما تظنون به؟ قال : نحسن به الظن، وإنه لوفيّ سخيّ، قال : هل غير هذا؟ قال : نعم، إنه لذو شدة ولين، ومجلس ركين، وفضل متين، قال : فهل غير هذا؟ قال : إنا لنتيمّن بمشهده، ونتعرف البركة فيما لمسه بيده، فقال أكثم : أقول غير هذا، إنه ليضرب العرب قامطة - يعنى جامعة - بيدٍ حائطة، ورجل لائطة، ثم ينعق بهم إلى مَرتع مريع، وورد سريع، فمن اخرورط إليه هداه، ومن احرورن عنه أرداه.

وفى تعففه - ﷺ - عن المشاركة فى عادات الجاهلية تقول أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - سمعت رسول الله ﷺ يقول : (سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله، فما ذقت شيئاً ذبح على النصب حتى أكرمنى الله برسالته).

وأما مكارم الفعال وجلائل الأعمال وخطير الاجتماعات والمسارعة إلى عمل المروءات فكان محمد الشاب يحرص عليها ويسهم فيها، وإن قصة إعادة بناء الكعبة والاختلاف من أى القبائل يضع

(٢) البيان المحمدي للأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة ص٣١ وما بعدها بتصرف.

الحجر الأسود فى مكانه من ركن البيت معروفة.. فلما أن اتفقوا على أن يضعه أول قادم، وكان ذلك القادم هو الشاب محمد بن عبدالله استبشر الأقوام خيرا، وقرّوا عينا، فإن إجماعهم على حب محمد وتقديرهم لطهارة نفسه ونقاء ثوبه جعلهم يسندون الأمر إليه، وكان ما كان من فرشه ثوبه ووضعه الحجر الأسود فى وسطه، ثم طلب من كل قبيلة رجلا يمسك طرفا من الثوب، ويرفعوه إلى مستوى مكانه من البيت، ثم أخذه بيده الكريمة ووضعه فى مكانه المعروف منذ أن رفع إبراهيم القواعد من البيت وإبنه إسماعيل إلى يومنا هذا وإلى يوم يبعثون.

ويدخل فى إسهامه ﷺ فى كريم الفعال، ومشاركته فى الخطير من الاجتماعات شهوده حلف الفضول، والإشادة بهذا الحلف والتنويه بفضله، يروى جبير بن مطعم ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لقد شهدت فى دار عبدالله بن جُدعان حلفا ما أحبّ أن لى به حُمْر النعم، ولو دعى به فى الإسلام لأجبت».

لقد صوّر عمه أبوطالب مقام ابن أخيه ـ فى قومه ـ أجمل تصوير وأبلغه حين تقدم يخطب خديجة لمحمد قائلا : «الحمد لله الذى جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن محمداً بن عبدالله إبن أخى مَنْ لا يوازن به فتى فى قريش إلا رجح عليه براً وفضلا، وكرما وعقلا، ومجدا ونبلا، وإن كان فى المال قُلّ، فإنما المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلىّ).

تلك كانت شمائل محمد ﷺ فى صباه وقبل المبعث : سلوكه إرهاص بنبوته، وخلقه يرشحه لمكانته، وأدبه يبشر برسالته.

إن أم المؤمنين السيدة خديجة - رضى الله عنها - تصف الرسول ﷺ حين أخبرها بخبر الوحى، ووصف نزول جبريل عليه، وقوله لها : (لقد خشيت على نفسى) فقالت له تُسرّى عنه وتطيب خاطره وتثبت جأشه : (كلا، والله ما يُخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتَقرى الضيف، وتُعين على نوائب الدهر» ثم أتت به بعد ذلك ابن عمها (ورقة بن نوفل) على النحو الذى فصلته السيرة.

بهذه الكلمات الشديدة الإيجاز،

البعيدة الأعماق، النبيلة المرامى، وصفت أم المؤمنين السيدة خديجة - رضى الله عنها - محمدا ﷺ أكمل وصف، وصورته أصدق تصوير، فى إيمان كامل بكل كلمة قالتها، وكل لفظ نطقت به، فلقد كانت تلك النعوت بعض أوصاف محمد - ﷺ.

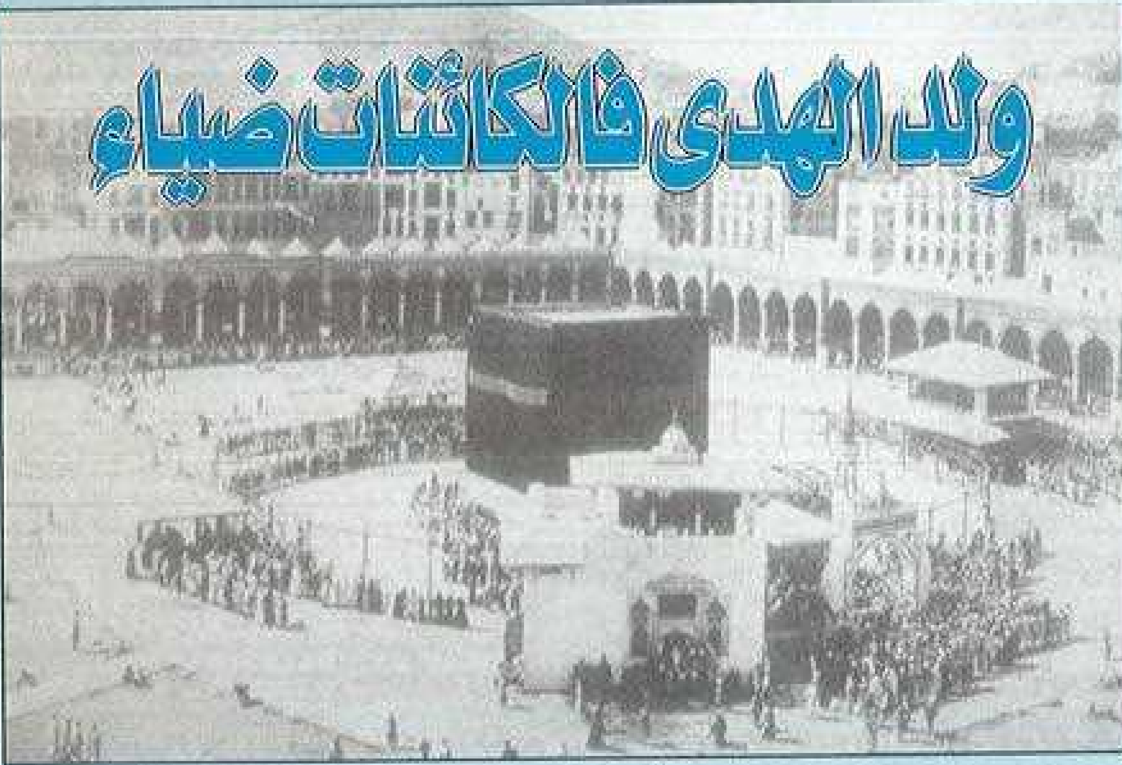
إن محمداً الإنسان الذى عرفته قريش، وشهدت لأخلاقه وسجاياه الكريمة وصدقه وأمانته العربُ قاطبة قبل البعثة، هو نفسه الرسول المختار، إن خلائقه وشمائله من جود وشجاعة وتقوى وحياء وأمانة وصدق وعفة وتصوُّن وحب للناس وصلة للرحم.. كل أولئك وأكثر قد تجمعت فى محمد الرسول وتحققت زبدتها فى شخصه العظيم.

واليوم يعيش المسلمون - مع كثرة عددهم وتنوع ثرواتهم وتميز جغرافية بلادهم - يعيشون أياما عصيبة، تكالبت عليهم فيها ذئاب البشر، واستأسدت عليهم أراذل البشر، وتحالفت ضدهم قوى السفهاء، واستكبر عليهم الضعفاء، وتعالى عليهم الوضعاء، واستذلهم الأذلاء من القردة والخنازير وليس أمامهم اليوم للخروج من محنتهم، ولاسترداد مكانتهم وعزتهم إلا اللجوء إلى القرآن الكريم، لا يفارقهم لحظة آناء الليل وأطراف النهار، يتلونه بتدبر وإمعان، يتفكرون فى معانيه، ويعملون بما فيه، ينفذون أوامره ويجتنبون نواهيه، ويُحفِّظونه أهليهم وأولادهم.. ويعملون على نشر دور حفظه ورصد الأموال على بنائها وتعميمها، فأعداء الإسلام يعلمون جيداً وعن يقين أن هذا القرآن الكريم مادام باقياً فى أيدى المسلمين يرتلونه بألسنتهم، ويحفظونه فى قلوبهم، ويعملون بما فيه فلن يكتب لهم النصر على المسلمين مهما تفوقوا عليهم فى بعض مراحل التاريخ، وستدور عليهم الدوائر، وسيرد كيدهم فى نحورهم، وسيسترد المسلمون عزتهم ومجدهم ومكانتهم.

ألا يجدر بنا - فى ذكرى مولده ﷺ - أن ننادى بالاهتمام بفتح المزيد من المدارس القرآنية «الكتاتيب» حتى ننير بالقرآن العقول فلا يجذبها بريق الغرب الخادع ونبدد به الظلام الذى يريده لنا أعداؤنا؟!

مرة أخرى نقول: أضيئوا الشموع.

***



ولد الهدى فالكائنات ضياء

للأستاذ الدكتور/ عبد المنعم يونس

هذه نفثات مصدور، أو أنات مكلوم، أرسلها فى موكب النور، أو فى مشرق الوحى، وقد يقول قائل لماذا كل ذلك ونحن فى ذكرى عطرة، نفرح فيها بأعظم مخلوق وأشرف مولود؟ أقول له إننى أردت أن أجعل المسلمين اليوم.. يعيشون الذكرى أو قل يحيون ذلك الحدث الذى غير وجه التاريخ، أو بدد الظلمات التى كانت تضرب بأطنابها على العالم كله.

إن العالم كله كان يتخبط فى ظلمات الجهل، ومكبل بأغلال الظلم، يعيش فى وثنية قاتلة، وأنانية بغيضة، وطبقية جائرة، يئن تحت وطأة أقوام قساة القلوب، لا يشغلهم من أمر دنياهم إلا قضاء رغباتهم المادية التى عاشوا لها ومن أجلها، ولا يشغلهم من أمر أخراهم إلا أنهم يقولون «نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر».

أرسل هذه الأنات والعالم - اليوم - عاد سيرته الأولى، وأصبح القوى يفتك بالضعيف، والغنى يستعبد الفقير، وكأننا نقول مع القائل: «الليلة بنت البارحة، وما تحت الشمس من جديد»

﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾(١).

إن من ينظر إلى عالم اليوم لا يكاد يميزه من عالم الأمس، لقد عاد الناس سيرتهم الأولى، وأصبحوا فى حاجة إلى منقذ، أو إلى هاد يرشدهم ويأخذ بيدهم إلى مدرج الخير، أو إلى طريق الهدى والرشاد، ولكن أنى لهم ذلك، وقد جاءهم رسول من أنفسهم، أبان لهم ما عمى عليهم، وأظهر لهم ما خفى من دنياهم وأخراهم، فكان بنص القرآن الكريم:

﴿ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢).

وكان «خاتم الأنبياء والمرسلين»، لكنه ترك فيهم قرآنا يتلى إلى يوم الدين، وتولى حفظه حتى يرث الله الأرض ومن عليها

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٣).

بقى أن أقول: إن على مسلمي اليوم أن يعودوا إلى قرآنهم يقرأونه من جديد قراءة متأنية فاهمة واعية، ليست خارجة من ألسنتهم، لا تتجاوز حناجرهم، يقرأونه كما نزل على محمد ﷺ وكما كان يقرؤه السلف الصالح، يأخذ بألبابهم، ويستحوذ على قلوبهم وعقولهم، فتخشع قلوبهم لذكر الله، وتتطامى نفوسهم عند سماع آيات الله، أو كما وصفهم القرآن الكريم

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(٤).

ولا أريد أيها القارىء الكريم أن أسترسل فى تلك النفثات التى أردت بها أن أنبه من المسلمين غافلا، أو أوقظ نائما، أو أحيى فى عقل الأمة ما ابتعد عن هدف، أو ساقه تفكيره إلى حتف، فسار فى طريق غير مألوف، أو تفرقت به السبل فصار أمره إلى بوار، وإنما أردت أن أقول: هاكم هو محمد ﷺ وهاكم هو شهر ميلاده، قد أقبل عليكم، فهلا يممتم وجوهكم نحوه، تستضيئون بنوره، وتهتدون بهديه، وتسترشدون برشده، فتحيوا سيرة سلفكم الصالح، حتى تقولوا للعالم كله، إن أمة الإسلام - اليوم - لا تقل أثرا عنها بالأمس، ذلك الأمس الذى كانت فيه أمتنا منارة العالم، ومرشدة الدنيا، يخطب ودها العدو قبل الصديق.

وانطلاقا من منهجى فى استنطاق فن الأمة الذى وصف بأنه ديوان العرب أقول: لقد كتبت فى ميلاد رسول الله ﷺ دواوين كثيرة، ولم تمر المناسبة على شاعر من شعراء الإسلام إلا وقال قصيدة يصف بها موكب النور، أو ميلاد رسول الله ﷺ ولكننى ألجأ هنا أيضا إلى الانتقاء لضيق المساحة المتاحة.

ولن يستطيع كاتب فى العصر الحديث أن

(١) ياسين (٣٠). (٢) الأنبياء (١٠٧). (٣) الحجر (٩). (٤) الأنفال (٢: ٤).

يغفل علمين من أعلام الشعر هما «البوصيرى» فى العصر الوسيط، و«أحمد شوقى» فى العصر الحديث، فكلاهما كان رائدا من رواد المدائح النبوية.

وإذا كان النقاد يعودون بالمدائح النبوية إلى قصيدة كعب بن زهير التى أعجب بها رسول الله ﷺ والتى قدم له بعد إنشادها جائزة من أرقى ما أعطى شاعر جائزة على شعره، فقد وضع عليه بردته ﷺ فإن قصيدة كعب يعود بها البعض إلى فن الاعتذار الذى كان مألوفا عند العرب، لكننى أرى أن مدحة كعب هذه تدخل فى باب المديح من أوسع أبوابه، لكن مصطلح المدائح النبوية وضعوه للشعر الذى قيل بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، وإن لا فكيف نقول فى تلك الأبيات التى جاءت فى قصيدة «بانت سعاد»:

إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول
فى فتية من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا، فمازال أنكاس ولا كشف
عند اللقاء، ولا ميل معازيلُ
شم العرانين أبطال لبوسُهُم
من نسج داود فى الهيجا سرابيل

لقد وفق كعب بن زهير فى المدح، وليس الاعتذار فحسب، لأن سيرة رسول الله ﷺ هى التى دفعته إلى أن يخلص من الاعتذار إلى مدح رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة.


احمد شوقى

ولا يمكن لمقال يكتب أن يحيط بكل ما كتب عن ميلاد رسول الله ﷺ مما هو مدون فى كتب السيرة النبوية، فموقف جده عبدالمطلب يوم ميلاده، وفرحته عندما بشر بميلاده، بل فرحة مكة كلها بهذا الميلاد، لأن مكة، كانت تحب عبدالله ابن عبدالمطلب، ذلك الفتى الوسيم، الذى كان إذا سار سعدت به ربوع مكة كلها، بل ولا يمكن أن يقف الكاتب عند حديث رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أبى إبراهيم، وبشرى أخى عيسى، ورؤيا أمى آمنة»(*) فقد روى أنها رأت كأن نورا خرج منها أضاء ما بين السماء والأرض، ولكننى أريد أن أقف عند بعض ما قاله علمان من أعلام الشعر هما البوصيرى وشوقى لأضع بين يدى القارىء بعض ما قالاه من شعر حول تلك المناسبة.

يقول البوصيرى فى البردة:

أبان مولده عن طيب عنصره
يا طيب مبتدأ منه، ومختتم
يوم تفرس فيه الفرس أنهم
قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
وبات إيوان كسرى، وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

(*) الدر المنثور جـ ٨ ص ١٤٨

والنار خامدة الأنفاس من أسف
عليه، والنهر ساهى العين من سدم
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
وردُ واردُها بالغيظ حين ظمى
كأن بالنار ما بالماء من بلل
حزنا، وبالماء ما بالنار من ضرم(٦)

لقد ذكر البوصيرى ما وقع فى ليلة ميلاد رسول الله ﷺ من خوارق العادات، فتصدع إيوان كسرى، وإخماد نيران الفرس، وبحيرة ساوة التى غاض ماؤها، كل هذه دلائل واضحة على عظيم شأن ذلك الوليد.

وإذا كان بعض الكتاب فى العصر الحديث ممن خدعوا بالمناهج الغربية الحديثة التى جاءوا بها من أوروبا ينكرون ذلك، لأنه لا يتفق وما تدركه عقولهم فإننا نقول لهم إن المعجزات الإلهية، والنواميس الربانية لا يستطيع العقل البشرى - مهما أوتى من تفكير أن يقف على إدراك كنهها؛ لأنها ليست من صنع البشر، وإنما هى من صنع خالق القوى والقدرة إنها من صنع الله - سبحانه وتعالى - وأنى لبشر أن يقف على ما تخطه العناية الإلهية.

وللبوصيرى قصيدة أخرى يتحدث فيها أيضا عن قصة الميلاد تسمى «الهمزية»، والتى ذكر فيها - أيضا - كيف تمت البشرى للسيدة آمنة أم المصطفى ﷺ وكيف وقعت الإرهاصات التى ذكرها فى «البردة»، لكنه يزيد هنا أمرا آخر، وهو أنه يبعث تهنئة للسيدة آمنة، ثم يتحدث عن فخار أمنا حواء بهذا الميلاد، فيقول:

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

ثم يقول:

فهنيئاً لآمنة الفضل
الذى شرفت به حواء
من لحواء أن حملت أحمد
أو أنها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب
من فخار ما لم تنله النساء
وأتت قومها بأفضل مما
حملت قبل مريم العذراء(٧)

أما أمير الشعراء أحمد شوقى، فقد كان رائعا فى كل ما لمسه عند حديثه عن ميلاد رسول الله ﷺ سواء أكان فى نهج البردة، أو الهمزية، لقد لمس أحمد شوقى قضايا تطلبها العصر الحديث، فهو يلمس فى نهج البردة ما أحدثه ميلاد رسول الله ﷺ من تغيير اقتضته حاجة البشرية، فقد كانت هناك قوتان تحكمان العالم، قوة الفرس، وقوة الروم، وكلا القوتين كانت ظالمة لعباد الله يعذبان عباد الله، ويذبحان بالشبهة، والخلق

(٦) ديوان البوصيرى ص٢٢٨، ٢٢٩ تحقيق محمد سيد كيلانى الطبعة الثانية ١٩٧٣ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر.

(٧) ديوان البوصيرى ص٤٩، ٥٠ المصدر السابق.

كلهم يتحكم قويهم فى ضعيفهم ويأكل بعضهم البعض الآخر، كان لابد أن تنظر العناية الإلهية إلى هذه الدنيا وأن يولد محمد ﷺ ليخرج الناس جميعا من الظلمات إلى النور، وليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا.

يقول أحمد شوقى:

أتيت، والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام فى صنم
والأرض مملوءة جورا مسخرة
لكل طاغية فى الخلق مُحتكم
مسيطر الفرس يبغى فى رعيته
وقيصر الروم من كبر أصم عمى
يعذبان عباد الله فى شبه
ويذبحان كما ضحيت بالغنم
والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم
كالليث بالبهم، أو كالحوت بالبلم(٨)

صورة رائعة يقدمها أحمد شوقى لذلك العصر الذى سبق ميلاد رسول الله ﷺ فكان لابد والأمر كذلك من ميلاد رسول الله ﷺ حتى يعمل بما منَّ الله به عليه من رسالة الإسلام على إقامة العدالة الاجتماعية، وأن يقوم بتغيير تلك المعبودات التى كانت تُعبدُ من دون الله والتى صدق فيها قول الله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١٠).

أما قصيدة أحمد شوقى الهمزية فقد بدأها بالحديث عن الميلاد بدءا رائعا، يقول فيه:

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملك الملائك حوله
والمنتهى والسدرة العصماء
وحديقة الفرقان ضاحكة الربا
بالترجمان شذية غناء
والوحى يقطر سلسلاً من سلسل
واللوح والقلم البديع رواء
نظمت أسامى الرسل فهى صحيفة
فى اللوح واسم محمد طُغراءُ
اسم الجلالة فى بديع حروفه
ألفٌ، واسم طه الباء(٩)

افتتاحية عظيمة تلك التى بدأ بها أحمد شوقى قصيدته، فقد أعلن للعالم كله أن ميلاد رسول الله ﷺ أضاء العالم كله، وأصبح الناس، وقد وجدوا أن الكائنات كلها مضيئة، وأن الزمان قد عمته الفرحة، فصار مبتسما بعد عبوس، وصار

(٨) الشوقيات جـ١ ص١٩٠ - ٢٠٨ مطبعة الاستقامة بمصر.

(٩) الشوقيات جـ١ ص٢٤ - ٤١ المصدر السابق.

(١٠) الحج: (٧٣، ٧٤).

يثنى على الذات الإلهية التى منت عليه بميلاد أشرف مخلوق، وأعظم مولود.

إن كل ما خلق الله - سبحانه وتعالى - سعد بهذا الحدث العظيم: جبريل والملائكة حوله، والعرش يزهو، وكل الجوانب العلوية تزدهى، والمنتهى والسدرة العصماء، وحديقة الفرقان ضاحكة الربا، والوحى يقطر سلسلا من سلسل، واللوح والقلم كلها فرحة مبتهجة بميلاد الرسول ﷺ، ثم ينتهى من ذلك الوصف لمخلوقات الله العلوية إلى أن محمدا هو خاتم الأنبياء والمرسلين، لكنه يسوق ذلك فى صورة بديعة فيقول: إن أسماء الرسل جميعهم كُتبت فى صحيفة واحدة، ختمها محمد ﷺ، وهذا ما أشار إليه بقوله «طغراء» واسم الرسول ﷺ مقترن باسم الله سبحانه وتعالى، ولم يكتف أحمد شوقى بذلك بل أخذ فى أثناء القصيدة يسوق لنا جانبا من رسالة الرسول ﷺ، يصفه بأنه أبلغ العرب:

صدر البيان له إذا التقت اللغى
وتقدم البلغاء والفصحاء

ثم يصفه بأنه أعظم الناس طرا فى خُلقه:

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا
منها وما يتعشقُ الكبراء

حتى يقول:

زانتك فى الخلق العظيم شمائل
يُغرى بهن، ويُولعُ الكرماء

ويأخذ بعد هذا الإجمال فى تفصيل صفات رسول الله ﷺ:

وإذا سخوْت بلغت بالجود المدى
وفعلت ما لا تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادرا ومقدرا
لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان فى الدنيا هما الرحماء

حتى يقول:

يا منْ له عز الشفاعة وحده
وهو المنزه ما له شفعاء

ثم يختم قصيدته بقوله:

ما جئت بابك مادحاً بل داعيا
ومن المديح تضرع ودعاء
أدعوك عن قومى الضعاف لأزمة
فى مثلها يلقى عليك رجاء

ونحن ندعو معك يا أمير الشعراء، فإن العالم اليوم يتعرض لأزمة ليس لها من دون الله كاشفة، ندعو ونضرع إلى الله - سبحانه وتعالى - فى ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ أن يمُن على أمته بالأمن والأمان لتعود سيرتها الأولى، حتى تكون:

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(١١).

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾(١٢).

(١١) ال عمران (١١٠).
(١٢) إبراهيم (٢٠).

خطبة الجمعة:

مع الرسول صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله - عز وجل - الكل خاضع لعظمته، والكل ضعيف أمام قدرته:

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(١).

أشهد أن لا إله إلا الله، علا بجلاله وربوبيته، ودنا بفضله ورحمته:

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢).

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، المنزل عليه قول ربه:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(٣).

فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، وجنوده وحزبه:

﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(٤).

(١) الأعراف (٥٤).
(٢) الأعراف (٥٦).
(٣) الكهف (١١٠).
(٤) ال عمران (١٠١).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ...

إن من أسطع الدلائل على أن هذا الإسلام هو دين الله القوى القادر، أن يبتلى بكل هذه العداوات والافتراءات خلال عصور التاريخ، ومع ذلك يبقى قائماً محدد المعالم ثابت الأركان تصديقاً لقول الله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٥).

ولقد حاول أعداء الله وأعداء دينه أن يهدموه بكل ما استطاعوا من حيلة ووسيلة، فباءوا بالخيبة والخسران:

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(٦).

ومن أخبث المفتريات التى رددوها ومازالوا يرددونها إلى اليوم أن الإسلام حركة بشرية قام بها رجل عبقرى طموح إلى السيادة والقيادة والتملك، فادعى النبوة والرسالة، وسخر الذين من حوله لتحقيق مطامحه ورغباته، وهم يقصدون بذلك سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. يزعمون هذا مع أن الناظر فى سيرة هذا النبى الكريم يجد كل الدلائل والشواهد على نقيض ما يفترون، فهذا النبى العظيم لم يبدأ رسالته بأمر ربه إلا بعد أن بلغ الأربعين من عمره، والطموح الذى يتحدثون عنه يظهر عادة فى سن المراهقة أو عهد الشبيبة، حيث يكون الإنسان قبل الثلاثين بسنوات، أما بعد الأربعين، وقد استوى عقل الإنسان، وكمل رشده، وتمت رجولته واعتدلت مطامحه، فبعيد أن يجمح به الطموح فى هذه الحال، وخاصة أن سيدنا محمداً ظل قبل الرسالة يعيش هادئاً متعبداً مستقيماً يوصف دائماً بأنه الصادق الأمين.

ثم أين هذا الطموح إلى الملك أو الزعامة الدنيوية فى حياة محمد عليه الصلاة والسلام وقد عرض عليه قومه عدة مرات ما يغرى من المال والجاه والجمال والملك، فأبى كل ذلك، وآثر أن يعيش داعية. فقيراً، وطالب قومه بأن يقولوها كلمة واحدة هى كلمة (لا إله إلا الله) ليعزوا بها فى الدنيا والآخرة، وليقودوا بزمامها هذا العالم، وفى كل مناسبة كان يقول لهم: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأركب كما يركب العبد وأمشى كما يمشى»(٧). ويروى أن الله تعالى خير نبيه بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً، وكلما أراد الناس له أن يتجاوز حده ردد ما علمه ربه أن يقوله:

﴿ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(٨).

وهذا أعرابى يقف بين يدى الرسول،

(٥) الحجر (٩).

(٦) التوبة (٣٢).

(٧) اتحاف السادة المتقين بإحياء علوم الدين ٥/٢١٤.

(٨) الإسراء (٩٣).

فتبهره أضواء النبوة بروعة جلال الرسالة، فيضطرب الأعرابى ويرتجف فيهدئ النبى من روعه، ويقول له: «هون عليك، فإنى لست بملك ولا جبار، وإنما ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة»(٩). ولقد واجه الله ـ تعالى ـ رسوله فى القرآن المجيد بما يتعارض كل التعارض مع الاتجاه إلى الاستبداد أو التسلط، فقال له:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾(١٠).

وقال له:

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾(١١).

وقال له:

﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾(١٢).

ولما رفع الله رسوله إلى أعلى مقام فى حادث الإسراء والمعراج خلع عليه الوصف الذى يبعده كل البعد عن الكبرياء والخيلاء، وهو وصف العبودية، فقال:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾(١٣).

والذى يطمع إلى الملك والسعادة يحرص على جمع المال وحيازة العقار، لكى يحصن ملكه ويقوى سلطانه من جهة، وليرضى مطامحه ومطامعه من جهة أخرى، ولكن سيد الخلق محمداً يعيش فقيراً ويموت فقيراً، فلا قصور ولا دور، ولا خدم ولا حشم، ولا متاع ولا ضياع، بل يعرض عليه ربه بوساطة سفيره جبريل أن يهبه الفضة والذهب فى ضخامة الجبل، فيكون جواب محمد العظيم: «بل أجوع يوما فأسأل ربى، وأشبع يوماً فأشكره»(١٤).

ويجعل من دعائه المكرر قوله: «اللهم أحينى مسكيناً، وأمتنى مسكيناً، واحشرنى فى زمرة المساكين»(١٥). وكان رحمة الله للعالمين قد رجا هذا من ربه ليحصن نفسه الشريفة ضد التعالى والغرور، وضد اللهو بالزينة والمتاع، وكان من دعائه قوله: «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً»(١٦). ولو كان محمد يريد بدعوته أن يحقق لنفسه ملكا أو سلطاناً لفعل كما يفعل الملوك والسلاطين، وهو أن يعطى أهله وذريته امتيازات أو يفضلهم على غيرهم، أو يخصهم بشىء من التمتع والجاه، ولكنا نرى سيد الخلق يذكر أهله ويحذرهم وينذرهم ويقول: «يا آل محمد، لا يأتينى

(٩) سنن ابن ماجه ٣٣١٢.

(١٠) الغاشية (٢١، ٢٢).

(١١) آل عمران (١٢٨).

(١٢) المائدة (٩٩).

(١٣) الإسراء (١).

(١٤) إتحاف السادة المتقين ٧/٢٩٦.

(١٥) أخرجه ابن ماجه ٤١٢٦.

(١٦) صحيح مسلم ٧٣٠.

الناس بالأعمال، وتأتونى بالأثقال، اعملوا فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً»(١٧). وهذه فاطمة البتول الزهراء، وهى بضعته الزكية وكريمته النقية، لا يميزها بقليل ولا كثير، بل يقول لها: «يا فاطمة بنت محمد، اعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً»(١٨). ويعلن أنها تتساوى فى شرعة العقاب مع سواها، فيقول: «وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»(١٩). وحينما تتعب من العمل وتذهب إليه وتسأله أن يعينها بما ييسر لها الخدمة، يرفض أن يعطيها، ويذكر لها أن أهل «الصفة» الفقراء أولى بالمعونة.

ولكى يقطع الرسول الأسباب بينه وبين ادعاء السلطان أو استغلال المنصب منع أهله أن يأخذوا شيئاً من الزكاة، ولقد حدث أن دخل الحسين وهو صغير مع جده بيت أموال الصدقات، فتناول الصبى ببراءة الطفولة تمرة وضعها فى فمه، فأمره الرسول بتركها وقال له: «إنا أهل بيت لا تحل لنا الصدقة»(٢٠). ولم يكتف الرسول بهذا، بل صد أسرته عن التطلع إلى ميراث له أو مال يتركه من خلفه، فقال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»(٢١). وبذلك أبعد عن مقام النبوة شبهة الاستغلال لها، أو اتخاذها وسيلة لإغناء الأهل أو إثراء الأولاد، وقد يتصل بهذا أن الله ـ تعالى ـ كأنه أراد ألا يبقى للنبى بعد وفاته غلام حتى لا يقال إنه قد ترك بعده من ذريته من يخلفه، بل لقد انتقلت الخلافة إلى أبى بكر وعمر وعثمان، وتأخر ابن عمه على بن أبى طالب فى بلوغ مرتبة الخلافة لأنه لو وليها عقب وفاة الرسول «لأوشك - كما ذكر الإمام ابن القيم - أن يقول المبطلون إنه ملك ورث ملكه أهل بيته، فصان الله رسالته ونبوته عن هذه الشبهة». ويضيف ابن القيم إلى هذا قوله:

«وتأمل قول هرقل لأبى سفيان: هل كان فى آبائه من ملك؟ قال: لا. فقال له: لو كان فى آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك آبائه.

فصان الله منصبه العلى من شبهة الملك فى آبائه وأهل بيته. وهذا والله أعلم هو السر فى كونه لم يورث هو والأنبياء، قطعاً لهذه الشبهة، لئلا يظن المبطل أن الأنبياء طلبوا جمع الدنيا لأولادهم

(١٧) الحاكم ٤/٧٣.

(١٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢/٥٣١.

(١٩) صحيح البخاري ٤/٢١٢، ٨/١٩٩.

(٢٠) مسند الإمام أحمد ٤/٣٥.

(٢١) فتح الباري ١٢/٨.

وورثتهم، كما يفعله الإنسان من زهده فى نفسه وتوريثه ماله لولده وذريته، فصانهم الله عن ذلك، ومنعهم من توريث ورثتهم شيئاً من المال، لئلا تتطرق التهمة إلى حجج الله ورسله، فلا يبقى فى نبوتهم ورسالتهم شبهة أصلا.

ولا يقال: فقد وليها علىٌّ وأهل بيته، لأن الأمر لما سبق أنها ليست بملك موروث، وإنما هى خلافة نبوة، تستحق بالسبق والتقدم، كان علىٌّ فى وقته هو سابق الأمة وأفضلها، ولم يكن فيهم حين وليها أولى بها منه، ولا خير منه، فلم يحصل لمبطل بذلك شبهة، والحمد لله». وقد ذكر ابن القيم كلامه هذا فى كتابه «بدائع الفوائد» ج٣ ص٢٠٧، فأين إذن ما يزعمه أولئك المفترون الذين ما زالوا إلى الآن يحاولون بجدع الأنوف وشق النفوس أن ينالوا من رسول الإسلام منالا، وهو بعصمة ربه فوق الشبهات وفوق الظنون؟...

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام...

إن هذا النبى الكريم الذى لم يجمع مالا ولم يبتغ سلطاناً والذى لم يتعلق بجاه الدنيا أو مطامع الحياة، قد آتاه ربه من الدرجات المعنوية الرفيعة ما تتطامن أمام روعته الملوك والسلاطين، فجعله خاتم النبيين، وإمام المرسلين، ورحمة الله للعالمين، ووصفه بأنه رءوف رحيم، وبأنه السراج المنير، وجعله قائد الغر المحجلين يوم الدين، فما أجدر هذا النبى الكريم بأن يكون المثل الأعلى لكل إنسان، وأن يكون القدوة المثلى فى كل زمان ومكان.

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٢٢).

وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعاً إلى سواء السبيل

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(٢٣).

***

(٢٢) الأحزاب (٢١).

(٢٣) المائدة (٨٨).

في ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم

للأستاذ/ عادل رفاعي خفاجة

ترى من يستطيع أن يحصى محامد رسول الله ﷺ؟!

وهو الذى قال فيه ربه تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(1).

وماذا يقول المادحون وقد رفع الله ذكره حيث قال: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾(2).

لقد أحسن الإمام البوصيرى حين قال:

فإنَّ فضل رسول الله ليس له ... حدٌ فيعرب عنهُ ناطقٌ بفم

وتابعه العشارى فقال:

فإن فضل رسول الله ليس له ... عدٌ فيحصر فى الأوراق بالقلم

وإذا أردنا أن نتكلم عن النبى ﷺ فى ذكراه، فعن أى جانب من جوانب شخصيته نتكلم؟!

هل نتكلم عنه هادياً أم مصلحاً؟! أم نتناوله كرائد ومعلم مهذباً ومثقفاً؟! أم نتكلم عنه كرجل سلم يدعو إلى الأمن والأمان والتسامح؟!

لقد بلغ رسول الله ﷺ القمة فى العبادة والزهد، فكان يصلى حتى تتورم قدماه، وكان يطيل السجود حتى تظن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنه قُبض.

وكان يستغفر الله فى كل يوم سبعين مرة.. وقد يظن من يعلم ذلك أنه ﷺ زهد الدنيا وتفرغ للآخرة... إلا أنه كان برغم ذلك خبيراً بأمور الناس ومدى

(1) القلم/4.

(2) الشرح/4.

حبهم للدنيا، وولعهم بالمال؛ فكان يستعمل الرحمة فى موضعها والشدة فى موضعها، ولكنه إذا اضطر إلى استعمال الشدة فإنما كانت شدته تنبعث من الرحمة التى جبله الله عليها، ولم لا؟ وهو:

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(3).

لقد ربى النبيُّ أتباعه على العدل والرحمة فجعل غلاظ الأكباد من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم خشية الفقر، جعل منهم رجالاً أصحاب قلوب رحيمة حتى على أعدائهم!!

مما دعا جوستاف لوبون أن يقول: «ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب»(4)

ومن أخلاقه ﷺ حبه التوسط فى الأمر كله:

ففى التزام التوسط التزام الإسلام والفلاح لقوله ـ تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾(5).

وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾(6).

وقوله تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(7).

لذلك نجده ﷺ يعلم أصحابه هذا النهج القويم الذى يقوم على التوسط فيقول: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولاتبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله.. فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»(8).

وإذا تأملنا ماكانت عليه العرب قبل الإسلام، وجدنا أن للأغنياء نصيب فى أموال الفقراء والمحتاجين يأخذونه منهم باسم الربا، فلما جاء الإسلام تغيُّر الأمر فأصبح للفقراء نصيب فى أموال الأغنياء باسم الشريعة الإسلامية الغراء التى ألقت عليهم رداء من الأخوة، من هنا يتضح كيف ساس النبى هؤلاء العرب وكيف نزع من قلوبهم الأثرة وحب الذات وأبدلهم الإيثار وحب الآخرين؟!

وما ذلك إلا لتمتعه ﷺ بعبقرية فى القيادة.

أما عن تواضعه ﷺ: فلم تكن عظمته كعظمة الملوك الجبارين الذين لايعرفون العظمة إلا إذا اقترنت بذل الرعية؛ فكان ﷺ ينهى أصحابه أن يقوموا له إجلالاً، وكان يقول لهم: «لاتقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً»(9).

(3) التوبة/128.

(4) راجع مقال الشيخ يوسف الدجوى بمجلة الأزهر - المجلد التاسع - عدد ربيع الأول ص 164

(5) الفرقان/67.

(6) الإسراء/29.

(7) الأعراف/21.

(8) فتح البارى شرح صحيح البخارى شرح حديث رقم/5982، وراجع أيضاً مسند الإمام أحمد حديث رقم 12579.

(9) سنن أبى داوود/ كتاب الأدب/ باب قيام الرجل للرجل.

ولما دخل عليه أعرابى بهره جلال النبوة، فتملكته رجفة، فأخذ النبى يهدئ من روعه ويقول له: «هوّن عليك فإنى لست بملك إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»(١٠).

• إن التاريخ يحمل لنا أسماء الكثير من القادة الأفذاذ، فإذا فتشت فى حياتهم وجدت أن أغلبهم وصل إلى عليائه مارا بدماء شعبه أو بدماء البشرية بصفة عامة!! ولكنه ﷺ لما اكتمل له النصر، وفتح الله عليه مكة، والتقى صناديد قريش الذين آذوه - وقد أيقنوا أنهم هالكون لا محالة - عفا عنهم جميعا وقال كلمته الشهيرة التى مازالت تدوى فى سمع الأجيال المتعاقبة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»(١١)، فقدم البرهان الأسمى الذى يوضح أن الإسلام لايسمح لأهله بمكايدة المنهزمين وقدم البرهان الأنصع على عفوه ﷺ.

كانت رسائله ﷺ إلى الملوك والأمراء كثيراً ما تحمل تلك الآية الكريمة:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١٢).

وكم فى ذلك من احترام للآخر وتعلق بالحق لإظهاره لا لإثبات الذات، فالأصل هو النظر فى القضية لا إلى متبنيها أو هو النظر إلى القول لا إلى قائله.

ولما كانت دعوته ﷺ تقوم على هذا المنهاج فقد وجدت طريقها إلى القلوب وقطعت دابر الشقاق والخلاف فوحدت بين متنافر القلوب وألفت بين متناثر القبائل وجعلت منها أمة لها كيانها وهيبتها بين الأمم.

ومن تفرده - ﷺ - أن تتجمع له من حسن السجايا والطباع مايزيد على الحصر، وإن واحدة منها لتكفى أن ترفع ذكر من يتصف بها.

ومع كل هذا التفرد والتميز الذى حباه الله إياه لم يجد الغرور إلى قلبه سبيلاً فنراه ﷺ يقف للعجوز من نساء المدينة تكلمه فى الطريق فيقف لها حتى تقضى ما أرادت منه وربما يذهب معها حيث تريد.. فأى تواضع هذا الذى يجعل قائد الأمة وقائد الغر المحجلين يوم القيامة يسير مع عجوز حيث شاءت!!

إنه الأدب الربانى، وأخلاق القرآن العظيم.

(١٠) سنن ابن ماجة/ كتاب الأطعمة/ باب القديد.

(١١) راجع فتح البارى/ دخول النبى صلى الله عليه وسلم من أعلى مكة.

(١٢) آل عمران/٦٤.

حيث قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١٤).

وكما وصفته أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها: «كان خُلُقُه القرآن»(١٥).

وما ذكرنا إلا قطرة من محيط فضائله وصفاته.

فهل يتساوى ﷺ مع عظماء الدنيا.

أليس يفضلهم مجتمعين؟! وكيف لا.. وقد رفع الله له ذكره!!

فسلام الله عليك يارسول الإنسانية فى يوم مولدك العظيم وسلام عليك فى الأولين وآخرين.

وبعد..

فمخطىء من يظن أننا نحتفل بذكرى مولده - ﷺ - لنتذكره، هل نسيناه ونحن نذكره فى كل صلواتنا المفروضة والمسنونة؟! والنبى فى قلوبنا ومن حقه علينا أن نتذكره مع كل سجود لله، فهو ﷺ المرشد الهادى الذى أخذ بيد الإنسانية من ظلمات السجود للأوثان إلى نور السجود لخالق الأكوان.

إن الهدف من استعراض بعض المواقف المحمدية إنما هو محاولة لاستنشاق عبق النبوة، فإذا ما تحقق لنا ذلك واهتزت معه القلوب فقد أثمر احتفالنا بالنبى الخاتم.

وإنه لحقيق بنا أن نخجل إن لم تهتز أعماقنا أو وقفنا عند حد القول فلم نتحول إلى مرحلة الفعل والتعبير عما نقول بالأفعال حتى نكون جديرين بحب رسولنا، وملء أسماعنا قول الحق - تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(١٦).

أما ما يحدث من الاكتفاء بأن يكون يوم ميلاده يوم عطلة رسمية ولعبة فى أيدى أطفالنا، وقطعة حلوى، فهذا بعيد كل البعد عما يريده لنا الإسلام فما ذاك إلا لهو لا طائل منه.

إنما يدعونا الإسلام إلى أن نتبادل القول الصالح ونتسابق إلى العمل المثمر، فليكن احتفالنا بميلاده ﷺ إن كان قولاً فليكن علماً ينتفع به الأبناء وإن كان عملاً فليكن عملاً يمسح دموع البؤساء ويفتح أبواب الرجاء.

***

(١٤) سنن البيهقى الكبرى ص١٠ ص١٩١.

(١٥) مسند الإمام أحمد/ باقى مسند الأنصار/ حديث السيدة عائشة - رضى الله عنها.

(١٦) الصف/٢، ٣.



أسد الله

في بدر أذل كبرياءهم وفي أحد قتل كبراءهم

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

بعد هزيمة المشركين الماحقة في غزوة بدر، كانوا يشيعون تعبيرا عن خيبة أملهم: أن أصحاب محمد ﷺ يقتلون أنفسهم ويخسرون حياتهم.. فيخرجون من الدنيا بلا فائدة.. ويضيعون أعمارهم إلى غير شيء.

فنزل قوله تعالى بعد غزوة بدر:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[1].

ونزل قوله تعالى بعد غزوة أحد:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

(1) البقرة (154).

(2) آل عمران (169، 170).

والمعنى: إن احتجتم إلى مجاهدة عدوى بأموالكم وأبدانكم ففعلتم ذلك: فتلفت نفوسكم. فلا تحسبوا أنكم ضيعتم أنفسكم، بل اعلموا أن قتلاكم أحياء عندى.

وإذن.. فلا تصغوا إلى هذه الدعاية الكاذبة الخاطئة.. والتي يراد بها تدمير روحكم المعنوية موقنين أن شهداءكم أحياء.. وإن تناثرت أشلاؤهم.. ثم إنهم عند ربهم.. حباً وكرامة.. تجرى عليهم أرزاقهم المقدرة لهم.. يسرحون في مروج الجنة.. حيث شاءوا وليس صحيحا ما يروجه المثبطون من وجوب الحذر من القتال.. وأن القتل شيء مكروه، لأن القتل إنما يحصل بقضاء الله وقدره.. كما أن الموت يحصل بقضاء الله وقدره، فمن قدر الله له القتل.. لا يمكنه الاحتراز عنه. ومن لم يقدر له القتل لا خوف عليه من القتل وكيف يقال: إن القتل ضياع.. مع أن المقتول في سبيل الله أحياه الله بعد القتل. وخصه بدرجات القرب والكرامة. وأعطاه أفضل أنواع الرزق. وأوصله إلى أجلّ مراتب الفرح والسرور؟

فأى عاقل يقول إن مثل هذا القتل يكون مكروها؟

وفي هذا الأسلوب تحريض للمسلمين حتى يظلوا في أكمل أوضاعهم العسكرية.. فرارا بهم من الوقوع في مصيدة المثبطين من المنافقين.. ذلك بأن من ترك الجهاد.. فربما وصل إلى نعيم الدنيا وربما لم يصل.. وبتقدير أن يصل إليه.. فهو حقير وقليل.

ومن أقبل على الجهاد فاز بنعيم الآخرة قطعاً وهو نعيم عظيم.. ومع كونه عظيما فهو: دائم مقيم

وإذا كان الأمر كذلك.. ظهر أن الإقبال على الجهاد أفضل من تركه.

وبهذا المنطق الصارم سقطت نظرية المنافقين المتشبثين بالحياة.. أية حياة.. وبقي المجاهدون الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وإن كانوا مدفونين تحت الثرى، بينما كان المنافقون أمواتا.. وإن عاشوا فوق الثرى!!

فإذا بقي في نفس السامع شوق إلى مزيد يقين بحياة الشهداء.. فليتأمل ذلك الحوار الذي دار بين الشهداء وبين ربهم المنعم المتفضل..

لقد كان المتوقع أن ينبهروا بهذا النعيم المقيم العظيم في الجنة.. فيستمسكوا به.. لكن أمنيتهم الوحيدة كانت هي: عودة إلى الدنيا.. إلى ساحة الوغى.. ليموتوا في سبيل الله مرة أخرى.. فكأنما كانوا بحيث لاتكفيهم حياة واحدة يبذلونها، وإنما هم بحاجة إلى ما يحصى من الحيوات يجودون بها في سبيل الله.

وإذ يقول المفسرون: إن آية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ نزلت في «حمزة» رضي الله عنه بالذات.. ثم في أصحابه من رفاق السلاح.. فإنه لمما يطيب لنا أن نعود بالذاكرة إلى هذا الماضي المجيد.. استحضارا لهذه القدوة الحسنة نجدد بدروسها حياتنا.. نعود عوداً

حميداً نجدد به أنفسنا. ونستعيد أمسنا.

الأقرب رحماً

أجل.. إنه الأقرب إلى الرسول ﷺ رحماً، فهو عمه.. وابن خالته، ثم هو أخوه من الرضاع.

وبهذا الدم المشترك.. وتلك الوشائج الجامعة.. نفسر الموقف الذى أعلن فيه إسلامه.. لما ضرب أبا جهل ضربة موجعة عندما علم باعتدائه على ابن أخيه محمد ﷺ.

قصة إسلامه

بينما كان عائدا من رحلة صيد مارس بها هوايته المفضلة.. أخبرته أخته صفية بأن «أبا جهل» اعترض رسول الله ﷺ. فآذاه وشتمه وعلى الفور اتخذ القرار الصعب..

وإذا كان الجبان يهرب من اتخاذ القرار.. ضعفا.. وإذا كان هناك من يتخذ القرار ليهرب به من المنحنى الخطر.. فإن حمزة اتخذ القرار الأصعب وما أكثر المنعطفات فى طريق الإنسان.. وما أكثر المترددين فى مواجهة الواقع الذى يفرض نفسه..

لكن الأبطال لا يترددون.. انطلاقا من يقينهم بأن ضحايا التردد أكثر من ضحايا الاقتحام!!

ومن ثم.. لم تطل حيرته بين عقله وقلبه، وقرر الاقتراب من أبى جهل.. وعند رأسه.. وهو بين أركان حربه، ثم شج رأسه بحربته متحديا له، ولحاشيته حين قال له: ردّ علىّ.. إن استطعت!. وعندما قال لحاشيته التى همت به: إمنعونى إن كنتم صادقين! فأنا على دين محمد..

ولم ينقذ الموقف المحرج.. إلا أبو جهل نفسه والذى أحس بالهوان.. حين قال لأتباعه:

دعوا أبا عمارة.. فإنى والله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا.

وعندما تراجع فرعون هذه الأمة أمام رجل واحد هو حمزة، كان تراجعه نقطة تحول فى طريق الدعوة الإسلامية، فقد علمت قريش أن إسلام حمزة يجعل محمدا فى منعة.. فكفوا عنه أيديهم وألسنتهم.

ثم عاد حمزة ـ رضى الله عنه ـ بصيد ثمين أربى فى ميزانه من كل ما اصطاده حتى ذلك اليوم. وهو إذلال رأس الطغيان، وفوزه بالإسلام، وأنشد:

حمدت الله حين هدى فؤادى
إلى الإسلام والدين الحنيف

إلى دار الأرقم

ومن دار الندوة، إلى دار الأرقم.. هذه النقلة فى حياة حمزة ـ رضى الله عنه ـ والتى شرفت بها قريش..

وهناك خرج المسلمون الذين صفهم ﷺ صفين: صف على رأسه عمر

وصف على رأسه حمزة، فى مشهد ما

كان يخطر لهما على بال.. ظهر فيه الحق الذى بدأ نجمه فى الصعود:

وإن الحق سلطان مطاع
وما لخلافه أبدا سبيل

أسد الله

من الباب.. إلى المحراب

لا تقاس حياة الإنسان بالزمن، طولا، ولكنها تقاس بما يلاقى من الأحداث والمواقف عرضا.. وذلكم هو البطل.. الذى يحمل روحه على كفه يقدمها رخيصة فى سبيل الله، فليس هو بالمؤرخ الذى يروى هذه الأحداث.. ثم يصفها ويصنفها ويؤلف بينها.. مستخرجا العبرة منها.

وإنما هو الذى يصنع هذه الأحداث، وفى ساحات الوغى، جاعلا من قيمة «التضحية» ذلك الثمن الغالى لما ينشده من كمال.

وكذلكم كان حمزة ـ رضى الله عنه ـ لقد كان مع الشجاعة من الباب إلى المحراب حتى لقى ربه راضيا مرضيا.

وكان لابد من استثمار شجاعة حمزة ـ رضى الله عنه ـ من اليوم ولحساب الإسلام..

عقد ﷺ لحمزة لواء أبيض فى ثلاثين رجلا من المهاجرين.. ليعترض عيرا لقريش، ولقى حمزة «أبا جهل» فى ثلاثمائة رجل من قريش.. ولكن حاجزا تدخل.. فحجز بينهما.. ولم يكن قتال..

ولو كان.. لهزم أبو جهل فى نظر نفسه على الأقل.. حين يواجه حمزة.. وله معه ذكرى مُرّة.. ألقت ظلالها على قلبه.. فكان منه على حذر.

وفى غزوة بدر الكبرى.. أذل الله به كبرياء قريش

يقول عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه:

«قال لى أمية بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه آخذاً بأيديهما:

يا عبدالله، من الرجل منكم.. المُعْلَم بريشة نعام فى صدره؟ قلت: حمزة..

قال: ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل»(٣)

وهكذا كان حمزة ـ رضى الله عنه ـ

لقد انتزع اعتراف الأعداء بشجاعته، والفضل ما شهدت به الأعداء.

أجل: لقد جعل له علامة الشجعان، الذين يواجهون الأخطار، فى وضح النهار، وعلى الملأ.. ولو كان العدو أكثر عددا وأمضى عُددا.

ومتى كان المسلم يهرب من مقارعة الأعداء، ومقابلة الخصوم؟ إنه يستحيل أن يكون المسلم جبانا أو نذلا: ولو أعوزه البارود، أو فقد الرغيف، إنه يقاتل بالبندقية القديمة.. ويقاتل بالسيف.. ويقاتل

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٨٦.

بالحجارة. ولو كان خصمه أقوى دول الأرض. ويقاتل جائعا. أو يصبر يومه على تمرة. أو يأكل الكلأ.

كما يستحيل أن يكون اليهودى شجاعا أو نبيلا، ولو قاتل بالسلاح الكثير. الذى جاء من يضعه فى يده. ويسلطه به على الناس.

إن الإسلام قد صب البطولة صباً فى أعصاب المسلمين وأجراها فى دمائهم، فمهما حاقت بهم الشدائد. وتوالت المحن. فلن تتبدل طبيعة البطولة فيهم، والعاقبة لهم.. إن كانوا مع الله لأن الله سيكون حينئذ معهم. ومن كان الله معه لن يغلبه مخلوق.

أتذكرون يوم عادوا من معركة الأحزاب. وقد نفدت منهم آخر قطرة من الطاقة البشرية استنفدها ما قاسوا من الشدة والامتحان فى ذلك اليوم.. حتى لم يبق لأحد أمنية إلا أن يأكل لقيمات.. ثم يطرح نفسه على الأرض يستسلم إلى نومة مريحة، فجاءهم الأمر من القائد العام.. من الذى لا ينطق عن الهوى، جاء الأمر بالمسير إلى الناقضى العهد، إلى حثالة البشر.. أما مسحوا النوم عن عيونهم؟ ثم استلوا بعزائمهم.. بل بإيمانهم التعب من أجسادهم وامتثلوا الأمر وساروا.

لقد دُعُوا بعدها إلى الجهاد.. إلى التضحية.. إلى بذل الروح مائة مرة.. فما تقاعسوا.. ولا ترددوا. لقد لبوا دوماً.. وما أبوا يوما! ولا يزالون حاضرين ليلبُّوا إن دُعُوا من جديد»(٤).

وفى أحد.. قتل كبراءهم

كان حمزة -رضي الله عنه- صائداً للغزال.. فصار بالإسلام صائدا للرجال!!

وكان يركز على رموزهم والقواد فيهم:

أ - قتل أرطاة بن شرحبيل.. وكان حامل اللواء.

ب - وكذلك قتل حامل اللواء: عثمان أبى طلحة.

جـ - وعلى طريقته الخاصة هجم على «سباع ابن عبدالعزى».. فقتله..

وقد كانت نية الثأر منه قوية لهذا السبب.. هذه النية التى أفصح عنها جبير ابن مطعم لما طلب من غلامه «وحشى» أنه لو قتل حمزة.. عم النبى بعمه «طعيمة» الذى قتل فى بدر.. لو قد فعل.. لكان حراً! ولقد فعل «وحشى» فعلته!.

تصفية القادة

ومع أن السبب المباشر من وراء هذه المؤامرة هو الأخذ بالثأر، إلا أنه كان من وراء «جبير» رأى عام يخطط للتخلص من

(٤) ذكريات على الطنطاوى ١/٦، ٤١، ٤٢.

القيادات المؤمنة.. من رموز الكفاح.

ولقد كان «وحشى» مملوك جبير بن مطعم.. كان آلة نفذوا بها خطتهم الماكرة..

وحشى.. والتكليف الصعب

ماذا رأى وحشى من حمزة.. بعد ماسمع عنه؟ لنستمع إليه وهو يقول:

والله.. إنى لأنظر لحمزة يهد الناس بسيفه هداً.. ما يقوم له شىء، مثل الجمل الأورق.. فكان الشجاع بين يديه كأمس الذاهب.. لا يعود».

ومع هذا.. فلم يتراجع «وحشى» أمام الهول الذى يرى.. وظل يلملم أطراف شجاعته..

يقول «وحشى»:

«وهززت حربتى.. حتى إذا رضيت منها. دفعتها عليه.. حتى خرجت من بين رجليه

فأقبل نحوى. فغلب. فوقع. وأمهلته. حتى إذا مات جئت فأخذت حربتى ثم تنحيت إلى العسكر. ولم يكن لى بشىء حاجة غيره»

لماذا قتل وحشى «حمزة»

وكيف؟

أما لماذا أقدم «وحشى» على مهمة غير محسوبة.. فقد تكلفه حياته.. فهى الحرية.. والاستقلال، هذه السلعة الغالية، والتى لابد لمن يتغياها أن يدفع ثمنها. وقد يكون العدو أقوى، لكن الإنسان بالحرية أغنى وأقوى، والحصول على الحرية والاستقلال. مطلب أسمى.. تهون فى سبيله الحياة.. مهما كانت قوة الطغاة.

أما «كيف» قتل حمزة

فمن خلال هذا الموقف الموحى.. نحصل على الجواب:

يقول «جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى»:

«خرجت أنا و«عبيد الله بن عدى فى زمان «معاوية».. فلما مررنا «بحمص».. وكان وحشى مولى جبير قد سكنها وأقام بها. فلما قدمناها.. قال عبيد الله بن عدى:

هل لك فى أن نأتى «وحشياً» فنسأله عن قتل حمزة.. كيف قتله.

لقد كان حمزة -رضى الله عنه- قوياً قوة.. استحال معها أن يتصور أن يهزمه أحد؟

ولكن الواقع يؤكد: أنه قتل فعلا.. وقتله واحد من العبيد اسمه «وحشى» فكيف تم ذلك..؟

أسد الله.. حتى آخر لحظة

لقد كان «أبو عمارة» -رضى الله عنه- أسد الله وأسد رسول الله وكان سيد الشهداء..

فماذا حدث.. حتى سقط بين يدى واحد من العبيد.. ولم «تلطمه ذات السوار»؟!!

إن حديث وحشى عن هذه اللحظة الحاسمة شاهد صدق على أن البطولة كانت لحمة حمزة وسداه رضى الله عنه.

فلم يجرؤ «وحشى» على مواجهته.. ولكنه تحايل.. حتى جعل من نفسه «كمينا» فقد كان من الحبشة.. قناصا.. متميزا، فاختبأ تحت صخرة.. فلما دنا منه.. رماه برمحه.. فاخترقه.. رماه بعد مافرغ حمزة من قتل صناديد المشركين.. من حاملى اللواء.. أى فى لحظة حرجة.. ومع أن الرمح اخترمه.. فسقط من بين رجليه.. إلا أنه غالب الصدمة.. ولكن النزيف لم يمكنه.. فاعجله عن ضرب وحشى.. ثم أسلم الروح..

حمزة.. فى الخالدين

أجل.. أسلم حمزة ـ رضى الله عنه ـ روحه.. لتصعد فى السماء.. فلم يعُد من أبناء هذه الدنيا.. إنه البقاء إذن.. وليس الفناء!

جاء فى صحيح مسلم:

إن أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة.. حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش، فاطلع عليهم ربك اطّلاعة فقال: ماذا تبغون؟

فقالوا: ياربنا، وأىّ شىء نبغى.. وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك؟

ثم عاد عليهم بمثل هذا (ثلاث مرات)

فلما رأوا أنهم لا يُتركون من أن يسألوا، قالوا: نريد أن تردنا إلى الدار الدنيا

فنقاتل فى سبيلك حتى نُقتل فى سبيلك مرة أخرى - لما يرون من ثواب الشهادة - فيقول الرب جل جلاله: إنى كتبت أنهم إليها لا يرجعون.

عطاء الشهداء

ولقد أعطى الشهيد ـ حمزة رضى الله ـ عنه أعطى الحياة من بركته التى فاضت على الأحياء.. حتى ساعة رحيله، فقد كان من بركته: إسلام جبير بن مطعم.. و«وحشى» نفسه، ثم «هند» التى مثلت به تمثيلا.

***

قصة العدد

بين أخوين صحابيين

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدى

أحس زهير بن أبى سلمى بدبيب الموت فى أعضائه فهو لا يستطيع أن ينهض من مجلسه إلا بمعاونة أولاده الثلاثة وهم كعب وبجير وعقبة وقد كانوا من الوفاء بحيث لزموه ولم يبرحوا مجلسه إلا لضرورة حتمية فإذا اتجهوا إلى الخارج تركوا أحدهم معه حتى يلتئم الشمل وقد أراد كعب أن يرفه عن أبيه فقال له: إنك يا أبت ذائع الصيت عظيم المكانة بين الناس يروى القوم شعرك، وفيهم من يفضلك على جميع الشعراء وهذا كله مما يدفعك إلى حب الحياة واستشعار السعادة فيها، فنظر زهير إلى كعب نظرة حانية وقال له: كأنك لم تعرف قولى يا كعب:

سئمتُ تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

فعجل كعب يقول: أعرفه جيدا فقد حفظتُ جميع شعرك وأنا أحاوِل احتذاءه وهيهات!، فزفر زهير زفرة حارة وقال: أنا لا أفكر فى الحياة الآن يا ولدى ولكنى أفكر فيما بعد الحياة، فقال كعب: وهل بعد الحياة شىء يا والدى؟، فصرخ زهير فى وجهه قائلا: وتزعم أنك حفظت شعرى؟، حتى المعلقة التى شرّقت وغربت لم تفطن إلى قولى فيها:

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر
ليوم حساب أو يعجل فينتقم

فاطرق كعب حائراً، وهنا قال بجير: أنا في شغل شاغل من هذا البيت في شعرك وفي أمثاله مما يأتينا من الطائف من شعر أمية بن أبي الصلت، لقد وقفت حائراً شاردا أمام قول أمية:

ألا رسول لنا يأتي فيخبرنا

ما بعد غايتنا عن رأس مجرانا

فهو يتساءل عن مجيء رسول يوضح لنا عاقبة أمرنا بعد الموت وأنا أتساءل بدوري هل سيجيء؟

وهنا قال كعب منفعلاً: أمية ليس بشاعر فكلامه إذا قيس بكلام الشعراء من أمثال النابغة وامرىء القيس وطرفة لا يعد شيئا ولا أذكر والدي فهو أرفع من أن يقرن به أمية بن أبي الصلت ذلك الشاعر القروي الذي لم تنضجه نار الصحراء!

فقال زهير: سأموت وفي صدري غصة منك يا كعب لأنك تخرج من حديث إلى حديث دون موجب فتذكرني بما قلت من قبل:

وذي خطل في القول يحسب أنه

مصيب فما يلمم به فهو قائله

يا بني نحن نتحدث عن حيرة أمية فيما بعد الموت ولا نتحدث عن منزلته الشعرية وهو في هذا المجال قد سبق الشعراء إلى معان جديدة وقد قيل لي إنه هاجر للشام واتصل بالأحبار والرهبان فعرف ما لم يعرفه زملاؤه الشعراء، قال كعب: ومن الرسول الذي يتساءل عنه أمية؟ هذا هراء، وظهر التبرم على وجه زهير

فقال بجير: والله الذي أحلف به على غير عادة الكثيرين يا أبي إني أتوقع مجيء خبر من السماء وأن ما يتردد في البادية عن حديث الحنفاء صحيح.

فقال زهير: يخيل إلي أني لن أدرك هذا العهد ولعلكم تدركونه فكونوا معه ذوى عقول مفكرة وقلوب واعية، فرد كعب: هذا بعيد بعيد..

ومضت فترة قصيرة اتجه فيها زهير إلى ولده عقبة وقال له: يا عقبة كأنك لست معنا لقد تحدثنا عن الشعر والبعث وأمية ابن أبي الصلت وعقلك شارد يا بني! فلماذا لم تتكلم؟

فابتسم بجير وقال: كأنك لم تعلم أن سوداء الغميم قد ملكت قلبه وشغلته عن كل شيء إلا هواها اللجوج.

فقال زهير: أعرف ذلك جيدا وقد أسمعته شعري ليعتبر به ويصحو من هيامه حيث أقول:

محا القلب عن سلمى وأقصر باطله

وعرى أفراس الصبا ورواحله

فزفر عقبة زفرة حارة وقال: من الذي يملك أمر قلبه يا أبي؟ لقد عرفت أني جاوزت الأربعين وأن حبيبتي لم تتخط العشرين فحق لها أن ترفض هواي لذلك أعيش في هم مقيم!

قال زهير: ابتعد عنها يا عقبة فلا أمل فيها وغيرها كثير، ومال زهير برأسه إلى الأرض يريد النوم فخرج أولاده الثلاثة إلى ظاهر الخيمة وعلى وجه بجير ما يشبه الكآبة

فقال له أخوه كعب: لماذا الحزن يا بجير؟

فقال: أرى أن ميعاد أبي قريب قريب لقد اشتد به المرض كما رأينا وهو رجل مسن كبير نهايته اليوم أو الغد.

قال بجير: ليس الموت بالسن فكم شيخ عمر وفتى أحتضر ووالدي هو الذي يقول:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم

قال كعب: ولقد عمر أبوك وهرم فماذا بعد هذا؟ ولم يمض يومان حتى أسلم زهير حكيم الشعراء روحه إلى خالقها وبكى عليه أبناؤه كثيرا وحضر المعزون من كل صوب في البادية وآثر أولاده أن يفترقوا بعد رحيله إلى أمكنة شتى فقد كان الذي يحبب لهم البقاء في غطفان مقام والدهم الحبيب.

مات زهير قبيل بعثة الرسول ﷺ على أصح الأقوال أو بعدها بأربعة أعوام على رأى آخر وكان قد استقر رأى كعب وبجير أن يرعيا الغنم في مضارب مزينة وأن يتفرغا لعملهما دون أن يشتركا في شيء آخر غير ما كان يجري على لسانيهما من أبيات الشعر ولم يعرفا أخبار مكة حين أعلن الرسول ﷺ رسالته وقابل من الأزمات الشداد ما هو مدون بسيرته الكريمة، ولكن هجرته ﷺ إلى المدينة كانت حديث القبائل جميعاً ولاسيما حين قامت حرب الأحزاب فاحتشدت سبع قبائل وراء أبي سفيان لمهاجمة المدينة، ولكن المعجزة الحربية تحققت فرجع القوم مقهورين، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وهنا أخذت الأنباء تتحدث عن قوة المسلمين وأخذ حديثه ﷺ يدور على ألسنة البدو والحضر معاً وكان بجير سعيداً بما يسمع إذ رأى أن أحاديث والده وما تردد فيها عن أمية بن أبي الصلت قد جعلتا الإجابة واضحة وضاق كعب بما سمع من بجير وكان الشقيقان في شبه خلاف دائم وقد زار بجير المدينة بعد سنوات قليلة فرأى عز الإسلام وسمع عن معارك خيبر وصلح الحديبية ما جعله يوقن أن الدين الجديد قد أخذ نوره في الامتداد وأن الوقت يتحرك بسرعة ليصبح الإسلام دين العرب ويصبح نبي الإسلام قائد الإصلاح المنتظر ثم رجع إلى أخيه كعب فحدثه بما رأى وسمع

ولم يكن حديث العقيدة مما يشغل باله فى كثير أو قليل بل إن عناده الجامح دفع به إلى هجاء الرسول ﷺ ودعوة الإسلام استجابة لأقوال سمعها من أعداء الرسالة وكان بجير يسخط على ما يقول ويصيح به: سيجىء يوم يكون محمد صاحب الكلمة المسموعة ولعل شعرك هذا الظالم قد وصل إليه فتكون فى صفوف الأعداء وربما أهدر دمك!.

ولم يطل بجير صحبة أخيه فى البادية بل صمم على الانتقال إلى المدينة وكان ذلك فى السنة الثامنة عند التجهز لفتح مكة فأعلن إسلامه واستعد للمشاركة فى الفتح الأعظم مع بنى سليم فظهرت آيات إخلاصه وذكرت كتب السيرة حديثاً عن مشاركته فى غزوة حنين والطائف وسجلت شعراً قوياً ينم عن إحساسه الإيمانى الصادق وكان مما قال يوم الفتح الأعظم:

هزمناهم بمكة يوم فتح
وكان النصر بالبيض الخفاف
فآبوا غانمين بما أردنا
وآبوا نادمين على الخلاف

وفوجىء كعب بأخبار أخيه وبأنه لم يسلم فقط، بل كان علماً من أعلام الجهاد وكأنما عز عليه أن يصدق حدس أخيه وتتحقق أمجاد الإسلام دون أن يستشيره فى شىء وقد قضيا حياتهما معا وما فارقه إلا ليلم بأخبار المدينة ويرجع إليه فكيف يحدث هذا كله دون أن يخبره بشىء، ثم عبر عن شعوره فى رسالة شعرية بعث بها إلى بجير يقول فيها:

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالة
فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المأمون كأساً روية
فأنهلك المأمون منها وعلكا

وحين قرأ بجير الرسالة وقف عند قوله: «سقاك بها المأمون كأسا روية»، وقال إن هذا الوصف سيرضى رسول الله ﷺ فانطلق إليه وأسمعه ما جاء فى رسالة أخيه وشفع له فى العفو عنه والرسول سمح كريم يميل إلى العفو والغفران متناسيا ما هُجى به من شنيع القول وضاربا المثل للمسلمين فى العفو عند المقدرة فلم يتردد فى العفو عنه وسُر بجير كثيرا مما قال أخوه ومن رضا رسول الله ﷺ فأسرع بإرسال قصيدة قال فيها:

فمن مُبلغ كعباً فهل لك فى التى
تلوم عليها باطلاً وهى أحزمُ
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده
فتنجُو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من النار إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شىء دينه
ودين أبى سلمى على محرم

وما أراد بجير بالبيت الأخير قدحاً فى أبيه ولكنه بذلك يرد على ما قال كعب فى رسالته:

على خُلق لم تلقَ أماً ولا أباً
عليه ولم تدرك عليه أخا لكا

وما كاد كعب يقرأ بشارة أخيه بعفو الرسول عنه حتى اطمأن قلبه وسر سروراً ملأ أقطار نفسه وجعل ينظم قصيدته الذائعة فى مدح الرسول ﷺ «بانت سعاد»، ثم اتجه إلى المدينة وسأل عن الرسول الكريم، وكان ﷺ لا يعرفه فقال له: يا رسول الله إن كعب بن زهير جاءك ليستأمنك تائباً مسلماً فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتك به

فقال الرسول ﷺ: نعم.

قال كعب: فأنا هو يا رسول الله.

وعند ذلك وثب رجل من الأنصار فقال: دعنى أضرب عنقه يا رسول الله فقد هجاك وهجا المسلمين

فقال الرسول: دعْه عنك فقد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه وهنا ابتدأ الشاعر يتلو مدحته الشهيرة «بانت سعاد»، وقد قال منها:

نبئت أن رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذى أعطاك نافلة
القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم
أذنب ولو كثرت فىّ الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

وقد خلع عليه الرسول عليه السلام بردته الشريفة فظلت عند أهله حتى اشتراها معاوية بعشرة آلاف وهى البردة التى ظل الخلفاء يتوارثونها جيلاً بعد جيل، سعد بجير بما تم من إسلام أخيه وتصافحا فى حنين وشوق.

قال بجير: كنت أود أن يكون أبى زهير حاضرا اليوم فسيكون سعيداً، فقال كعب: سيكون سعيداً دون شك لقد جاء القرآن مصدقاً لقوله:

فلا تكتمنّ الله ما فى نفوسكم
ليخفى ومهما يكن الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر
ليوم حساب أو يعجل فينتقم

وتحدث الناس بقصيدة كعب فكانت من أبلغ ما قيل عن رسول الله ﷺ.

***

في ذكرى المولد النبوي

صيحة النبي صلى الله عليه وسلم

للشاعر الكبير الأستاذ شفيق جبرى
عميد كلية الآداب السورية سابقا

سرت فى بطاح البيد صيحة صائح … فماجت بمسراها بطون الأباطح
ترامت قدوتْ فاستطال بها المدى … وقد طرحتها البيد أقصى المطارح[1]
فمرت على الركب الحيارى فأمسكوا … بحمر المطايا بين غاد ورائح[2]
وألقوا بآذان إليها طليحة … وقد صعقوا فوق الركاب الطلائح[3]
تراهم سكارى فى الفيافى وما مشت … حميا كؤوس فى خلال الجوانح[4]
مضوا يسألون الريح عن صيحة الفلا … فما الصوت فى عصف الرياح ببارح[5]
ينادى مناديهم هل الأرض زلزلت؟ … فأجفلت الآرام ملء المسارح[6]

(١) طرح الشيء: رماه وألقى به، والمطارح: ج مطرح وهو المكان يطرح إليه.
(٢) الركب: ركبان الإبل أو الخيل
● البعير الأحمر لونه كلون الزعفران، والعرب تقول: «خير الإبل حمرها وصهبها» وهي أصبر الإبل على الهواجر (اللسان).
(٣) آذان طليحة: متعبة، من (طلحه: أتعبه)
● صعق: غشي عليه. ● الركاب: الإبل واحدتها راحلة. ● الطلائح: ج طليحة وهي الناقة التي جهدها السير وأتعبها
(٤) سكارى: بضم السين وفتحها
● الحميا: الخمر. ● الجوانح: أضلاع الصدر.
(٥) برح المكان: زال عنه، فهو بارح.
(٦) أجفل البعير وجفل: نفر وشرد. ● الآرام: ج رئم وهو الظبي الأبيض.

أم الملأ الأعلى تدلت نجومه … فكل سبيل فى الدجى غير واضح
أصيحة إنس فى الجبال دويها … أم الجن صاحت فى رحاب الصحاصح[7]
فلا الصوت صوت الإنس فى كل هضبة … ولا الحس حس الجن فوق الصفائح[8]

***

ولما ألح اليأس فى الركب أدلجوا … يطيحون فى الظلماء كل المطايح[9]
ومال بهم غمض الليالى من الونى … وما النوم فى جنح الليالى بجانح[10]
فناجى خليل فى الشجون خليله … مضى الليل فى نجوى الشجون الفوادح
فبينا رجال الركب فى غمرة السرى … وأجفانهم تهفو إلى أى سانح[11]
إذ الفجر فى البيداء قد زحزح الدجى … وهب نسيم الفجر دون اللوافح[12]
ولاح خيال يقطر الأنس طيفه … فدب دبيب الروح فى كل طائح[13]
ملامح نور فى الغراء رفيفها … ومطلع وحى من رفيف الملامح
تصيح بهم: إنى النبى محمد … بعثت ولم أبعث إليكم بفادح[14]

***

حملت الهدى أجلو بضوء سراجه … عن العرب ما أعيا ضياء المصابح
أضمد من جرحى السيوف جروحهم … وأمسح ما ناءت به كف ماسح
تعالوا، تعالوا أجمع الشمل بينكم … فلا كاشح يعدو على حوض كاشح[15]
تسيح دماء العرب من كل نخوة … لقد ملئت منها صفاح المسايح[16]
أروح على جهد من الهم جاهد … وأغدو على برح من الحزن بارح[17]

(٧) الرحاب: ج رحبة وهي الأرض الواسعة ● الصحاصح: ج صحصاح وهو ما استوى من الأرض وكان أجرد.
(٨) الصفائح: ج صفيحة وهي وجه كل شيء عريض.
(٩) أدلج القوم: ساروا الليل كله أو في آخره. ● طاح يطوح ويطيح: تاه في الأرض
(١٠) الغمض: النوم. ● الونى: الكلال والإعياء ● جنح الليل: طائفة منه ● جنح: مال.
(١١) السرى: السير ليلاً. (١٢) لفحته السموم بحرها: أحرقته، والسموم: الريح الحارة.
(١٣) طاح يطوح: أشرف على الهلاك فهو طائح. (١٤) الفادح: الصعب المثقل من (فدحه الأمر: أثقله وبهظه)
(١٥) الكاشح: الذي يطوي كشحه على العداوة، والكشح: ما بين السرة ووسط الظهر.
(١٦) ساح الماء يسيح: جرى على وجه الأرض. ● الصفاح: ج صفح، وصفح كل شيء جانبه
(١٧) الجهد: المشقة، ويقال: «جهد جاهد» للمبالغة ● البرح: الشدة والأذى والشر، و«برح بارح» للمبالغة

أمــا ضـجّت الأخــلاقُ من ظُلم أهلهـا ... أمــا رزَحَتْ فى الظلم بين الروازح(١٨)
فــمــا نفــرةٌ تُلْوى بأعناقِ رهطِكم؟ ... ومــا وحـشــةٌ تُخْنى على كلّ زائح؟(١٩)
فـأين قلوبٌ كـالغصـون التـفـافُهـا؟ ... إذا سـامـحتْ غـالتْ بروح التـسـامح
تعـالوا، تعـالوا أمـلأ الأرضَ بالهـدى ... وأزحفْ بـقــــرآنى إلى كل نـازح(٢٠)
فـهـذا بيـانى كـالضُّحى غـيـرُ زائفٍ ... وهذا شـعـورى كـالصَّـبا غـيـرُ جـارح(٢١)

***

تمـهل هـذا الـرَّكْبُ فـى الـوحـى بُـرهـةً ... وأمـعنَ فى وجــه من الظنّ طالح(٢٢)
أتنبُتُ فى هذى الفــيــافى نُبُــوَّةٌ؟ ... وأفْقُ الفــيــافى كـالحٌ أىّ كـالح(٢٣)
فــلا الرملُ ريّانٌ يسُحُّ بـه النـدى ... ولا التُّـرْبُ خـفــاقٌ بظلّ الدوائح(٢٤)
فـمـا تُدرِكُ الأبصـارُ فى البـيـد بهـجـةً ... ولا تـسـمعُ الآذانُ صَــدْحَ الصــوادح
فــمــا فى ســوادِ الليلِ أنسٌ لمقلةٍ ... ولا الأُنسُ بادٍ فى بيـاض الصـبـائح(٢٥)
فكيفَ يجـيشُ الوحىُ فى ظلّ قـفـرةٍ؟ ... فلمــا ظلُّهــا للوحى يومـاً بصــالح

***

لسـرعـانَ مـا جلّى اليـقينُ ارتيـابَهمْ ... فــهــشُّـوا إلى طيبٍ من الوحى فــائح
مشى الوحىُ فيهمْ مشْيَةَ البُرْءِ فى الضنى ... فــأىُّ فـتى من ســحــرهِ غــيــرُ طافح؟
فطاروا إلى الدنيـا بدينِ مــحــمــدٍ ... وقــد فــتــحــوا الدنيــا كلمــحــة لامح
كــأنَّ الريـاحَ الذاريـاتِ مطيُّـــهــمْ ... يلفُّــونَ وجــهَ الأرضِ لفَّ الوشــائح(٢٦)
فـمـا عـاقتِ الصـحـراءُ عن طىِّ رملِهـا ... ولا ردّتِ الأمــواجُ خــوضَ الجـحــاجح(٢٧)

(١٨) رزحت الناقة: سقطت إعياء أو هزالاً، وإبل روازح: مهزولة ضعيفة.

(١٩) ألوى به الدهر: أهلكه. ● أخنى عليه الدهر: أهلكه. ● زاح عن المكان: تباعد وزال.

(٢٠) النازح: البعيد. (٢١) الصبا: ريح مهبها جهة الشرق.

(٢٢) الطالح: خلاف الصالح. (٢٣) كلح وجهه: تكشر فى عبوس، فهو كالح.

(٢٤) سح الماء يسح: سال من فوق إلى أسفل. ● الدوائح: ج دائحة وهى الشجرة العظيمة.

(٢٥) الصبائح: ج صبيحة، وهى الفجر أو أول النهار.

(٢٦) ذرت الريح التراب: أطارته وفرقته.

● الوشائح: ج وشاح وهو نسيج عريض مرصع بالجوهر، تشده المرأة بين عاتقها وكشحها.

(٢٧) الجحاجح: ج جحجاح وهو السيد.

تجــوز بهمْ رمْـضَــاءَ كلَّ تنوفــةٍ ... ســوابحُ خــيلٍ تهــتــدى بســوابح(٢٨)
فــفــى كلِّ برٍّ منهــمُ زحفُ زاحفٍ ... وفى كلِّ يمٍّ منهــمُ ســبحُ ســابح
كـــأنَّ دوىَّ النحلِ مــثلُ دوِيِّهم ... إذا ارتفــعــتْ أصــواتُهم بالفــواتح
يجــولُ بهمْ إسـلامُــهـمْ كلَّ جـولةٍ ... ويُلقى بهــمْ إيمانُهــمْ فى الطوائح(٣٠)
فــمـا الموتُ فى الإيمان مُــرٌّ مـذاقُـه ... ولا الحتفُ فى الإسلام صعبُ الجوائح(٣١)
فــقــادوا على أرمــاحــهمْ كلَّ مُصْـعَبٍ ... وراضــوا على أســيــافــهمْ كلَّ جــامح(٣٢)
فــلا قــيــصــرٌ يزهو على الشامِ تاجُـهُ ... ولا تاجُ كــســرى كــالنجــوم اللوامح(٣٣)
تناثرتِ التــيــجــانُ تحت خــيــولهمْ ... وأهوى إلى أقــدامــهــم كلُّ طامح
رواشحُ بالموت الذُّعــافِ ســيــوفُــهمْ ... مــضى مــا بنوْه بالســيـوف الرواشح(٣٤)

***

فــأين رســولُ الله يشــهــد أمــةً ... تئنُّ أنينَ الطيــــرِ من كلِّ ذابح؟
تعــالتْ فطاحتْ فــاستكانتْ فــأصـبحتْ ... لإذلالهــا يلهــو بهــا كلُّ مــازح(٣٥)
فــلا ملكُهــا فى الأرضِ مــشــتبكُ العُــرا ... ولا عــيــشُهــا فى الخلقِ عيشُ الصحائح(٣٦)
على مــثلهــا من ذلةٍ بعــد عــزةٍ ... تفــيضُ جــفــونٌ بالدمــوعِ الســوافح
فــهـــذى فلسطينٌ تنوحُ من الأذى ... فــمــا نَضَحتْ عنهــا عــيــونُ النوائح(٣٧)
فـهل صـيـحـةٌ فى العُـرْبِ تبعثُ ملكَهمْ ... ألا ربَّمــا هبّــوا بصــيــحــة صــائح!

***

(٢٨) الرمضاء: شدة الحر. ● التنوفة: البرية لا ماء فيها ولا أنيس. ● السوابح: الخيل السريعة.

(٢٩) الفواتح: ج فاتحة، وفاتحة الشيء: أوله وفواتح القرآن: أوائل السور، وسورة الفاتحة فى القرآن الكريم مكية وآياتها سبع.

(٣٠) الطوائح: القوائف وهى حوادث الدهر. (٣١) الجوائح: ج جائحة وهى البلية والداهية العظيمة.

(٣٢) الرجل المصعب: المسوَّد. ● الجامح من الرجال: من يركب هواه

(٣٣) البيت إشارة إلى واقعتى اليرموك والقادسية التى انتصر فيهما العرب على الروم والفرس.

(٣٤) الرواشح: ج راشح وهو الجبل الذى يندى، والسيوف الرواشح بالدم هى التى تدىت به.

● الموت الذعاف: السريع

(٣٥) طاح: أشرف على الهلاك (٣٦) الصحائح: ج صحيح وهو ذو الصحة أو البرىء من كل عيب وريب.

(٣٧) نضحت العين: فارت بالدمع

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

الأغانى والموسيقى

● ورد من السيد م.س.ع:

ما حكم الغناء؟ وما حكم الاستماع إليه؟ وما حكم المغنى؟

●● الجواب: الأغانى والموسيقى منها ما هو مباح سماعه ومنها ما هو محرم؟ وذلك لأن الغناء كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح.

فالموسيقى والغناء المباح: ما كان دينيا أو وطنيا أو كان إظهارا للسرور والفرح فى الأعياد والمناسبات، مع مراعاة عدم اختلاط الرجال بالنساء، وأن تكون الأغانى خالية من الفحش والفجور وألا تشمل على محرم كالخمر والخلاعة، وألا يكون محركا للغرائز أو مثيرا للشهوات، وأن تكون المعانى التى يتضمنها الغناء عفيفة وشريفة.

أما الموسيقى والأغانى المحرمة: فهى التى تلهى عن ذكر الله ـ تعالى ـ وتتضمن أشياء منكرة ومحظورة مثل أن تكون باعثة على تحريك الغرائز والشهوات ويختلط فيها الرجال بالنساء أو يكون صوت المغنى فيه تخنث وتكسر وإثارة للفتن وتسعى إلى تدمير الحياء والأخلاق.

القبر الشرعى

● ورد من السيد د/أ.أ.م:

قرأت فى كتب الدين وسمعت من مشايخ الدين أن المقبرة الشرعية: تحت التراب ولا يدخل فى بنائها أى شيء دخل النار ولكن لظروف البيئة وارتفاع المياه الجوفية «الرطوبة» وكثرة عدد المسلمين بالنسبة للمقابر أصبحت المقابر فوق سطح الأرض وتبنى بالطوب الذى دخل النار ويدفن فى القبر الواحد أكثر من جثة

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـى جمعـة
مفتى جمهورية مصر العربية

حيث يوضع الهيكل العظمى للميت السابق فى جانب القبر ثم توضع الجثة الجديدة، وبالطبع كل ذلك فوق سطح الأرض وداخل القبر الأشبه بالحجرة، بل لجأ البعض أخيرا إلى بناء دور ثان للمقابر فما رأى الدين فى ذلك؟

ونظرا لكثرة المقابر المجاورة لبعضهما فما رأى الدين فى كتابة اسم المتوفى على القبر وذلك لتعليم قبره لمن يزوره ولم يمر عليه؟

●● الجواب: دفن المسلم فى قبره من تكريم الله وله ونعمه التى امتن عليه بها فقال تعالى:

﴿ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴾

(عبس: ١٨ - ٢١).

وأقل ما يجزئ فى القبر: حفرة توارى الميت وتمنع بعد ردمها ظهور رائحة منه تؤذى الأحياء ولا يتمكن من نبشها سبع ونحوه، وأكمل القبر: اللحد، وهو حفرة فى جانب القبر الذى من جهة القبلة يوضع فيها الميت وتجعل كالبيت المسقف بنصب اللبن عليه وهو الطوب النيء، واللحد أفضل من غيره إلا أن تكون الأرض رخوة لينة يخاف منها انهيار اللحد، فيصار إلى الشق وهو حفرة مستطيلة فى وسط القبر تبنى جوانبها باللبن أو غيره يوضع فيها الميت ويسقف ويرفع السقف قدر قامة وبسطة (قامة رجل معتدل يقوم ويبسط يده مرفوعة) كما أوصى سيدنا عمر ـ رضى الله عنه ـ بذلك فيما رواه ابن أبى شيبة وابن المنذر.

وأما استعمال الطوب الذى مسته النار فهو فى الأصل مكروه وإنما كرهه العلماء

تفاؤلا بأن الميت لا تمسه النار، إلا أن هذه الكراهة تزول مع حاجة الناس إلى ذلك الطوب وذلك لرطوبة الأرض وكثرة المياه فيها، وقد نقل صاحب بدائع الصنائع عن الشيخ أبى بكر محمد بن الفضل البخارى أنه كان يقول: لا باس بالآجر فى ديارنا، لرخاوة الأراضى، وكان أيضا يجوز دفوف الخشب واتخاذ التابوت للميت حتى قال: لو اتخذوا تابوتا من حديد لم أر به بأسا فى هذه الديار أ هـ.

وهذه الحجر التى لجأ أهل مصر إلى دفن الموتى فيها قد أقرها العلماء منذ زمن بعيد نظرا لطبيعة الأرض الرخوة وكثرة مياهها وأفتوا بجوازها ما دامت قد توفر فيها ضابط الدفن الشرعى وهو: منع الرائحة والسبع، وذكروا أن هذه الحجر يصدق عليها اسم الحفرة الشرعية التى يصح دفن الميت فيها، قال ابن قاسم العبادى فى حواشيه على تحفة المحتاج: الحفرة صادقة مع بنائها، فحيث منعت ما ذكر (يعنى الرائحة والسبع) كفت، فالفساقى إن كانت بناء فى حفر كفت إن منعت ما ذكر. أ.هـ، وذكر الشبراملسى فى حواشيه على نهاية المحتاج أن الأرض إن كانت خوارة أو ينبع منها ما يفسد الميت وأكفانه صح الدفن فى الحفر المبنية كالفساقى المعروفة ببولاق ولا يكلفون الدفن بغيرها. أهـ.

وأما دفن أكثر من جثة فى القبر الواحد ومثله بناء دور ثان للمقابر فجائز للحاجة الملحة إلى ذلك من كثرة الموتى وقلة المدافن لما روى الترمذى والنسائى عن هشام بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فقلنا: يا رسول الله الحفر علينا لكل إنسان شديد، فقال رسول الله ﷺ: «احفروا وأعمقوا وأحسنوا، وادفنوا الإثنين فى قبر واحد قالوا: فمن نقدم يا رسول الله؟ قال: «قدموا أكثرهم قرآنا» قال: فكان أبى ثالث ثلاثة فى قبر واحد، قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

أما كتابة اسم المتوفى على القبر لتعليم قبره فذلك جائز، لما روى أبو داود فى سننه من حديث كثير بن زيد المدنى، عن المطلب قال: «لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن، أمر النبى ﷺ رجلا أن يأتيه بحجر فلم يستطيع حملها، فقام إليه رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه، قال كثير: قال المطلب: قال الذى يخبرنى عن رسول الله ﷺ: كأنى أنظر إلى بياض ذراعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين حسر عنهما، ثم حملها فوضعها عند رأسه، وقال: «لتعلم بها قبر أخى، وادفن إليه من مات

من أهلى»، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وإسناده حسن.

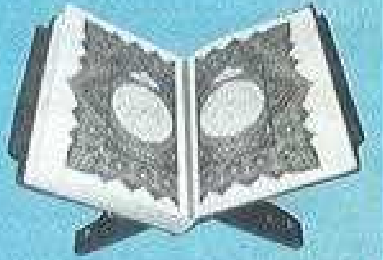
قال الإمام العينى فى شرح السنن (٦/١٥٨) وفى الحديث من الفقه: جواز وضع الحجارة ونحوها عند القبر للعلامة، وجواز جمع الرجل موتاه فى حظيرة واحدة، وفي هذا المعنى ما يفعله الناس من وضع الألواح على القبور ونصبها عن رؤوس الموتى للعلامة».

وأما الحديث الذى رواه الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما: «نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها» فهو محمول على فعل ذلك مباهاة وتفاخرا أو على سبيل الزينة لا التعليم، ولذلك قال الحاكم فى المستدرك بعد ما رواه: هذا حديث على شرط مسلم، وقد خرج بإسناده غير الكتابة، ثم قال: هذه الأسانيد صحيحة وليس العمل عليها، فإن أئمة المسلمين من الشرق إلى الغرب مكتوب على قبورهم وهو عمل أخذ به الخلف عن السلف. أ.هـ.

ومما روى عن السلف فى الكتابة على القبور ما أخرجه ابن شبة فى تاريخ المدينة (١/١٢٠) عن يزيد بن السائب قال: أخبرنى جدى قال: لما حفر عقيل بن أبى طالب فى داره بئرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه: قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب، فدفن عقيل البئر وبنى عليه بيتا، وأخرج أيضا: أن قبر أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ بالبقيع حيث دفع محمد بن زيد بن على قريبا من موضع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه حفر فوجد على ثمانى أذراع حجر مكسور مكتوب فى بعضه: أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فبذلك عرف أنه قبرها. أ. هـ. وللحافظ أبى بكر بن أبى الدنيا جزء مطبوع اسمه (القبور) عقد فيه بابا خاصا للكتابة على القبور.

***

التربية الإيمانية في القرآن الكريم



مناهجها وأهدافها (٢)

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعني

ومن الأساليب التى اشاد بها البيانيون أسلوب التفصيل بعد الإجمال.. لأنه يشوق النفوس إلى عقبى الكلام كيف تكون. وهذا الذى جاءت عليه هذه الآيات، فالإجمال فى الآية ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾[1]

والتفصيل فى الآيات التى بعدها. وأولها قوله تعالى ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ ﴾[2].

هذه الآية اشتملت على خصوصية فى إنزال الماء لم ترد فى آيات الذكر الحكيم إلا فيها، وهى التعبير عن إنزال الماء بـ «الصب» ثم توكيده بمفعوله المطلق «صبا» مع أن المعهود فى القرآن هو التنزيل لا الصب.

ولعل الداعى البيانى لهذه الخصوصية الفريدة، هو أن الإنسان مأمور فى هذا المقام بالتأمل العميق الواعى فى مكونات طعامه الأولية فناسب ذلك أن يحل «الصب» محل الإنزال لأن الصب هو التدفق بغزارة ويقتضى أن مصدر الصب قريب من المكان المصبوب فيه.

كما أن الفعل صب يحتوى فى نفسه على خاصية أخرى.. هى إسماع صوت الماء المصبوب فتشترك فى إدراك هذه النعمة حاستان من حواس الإنسان الظاهرة هما:

- حاسة الإبصار (العين) تشاهد تدفق الماء.
- حاسة السمع (الأذن) يدوى فيها صوت الماء عند سقوطه على الأرض.

وذلك أوقع فى الشعور بالنعمة التي يمتن

(١) عبس «٢٤».

(٢) عبس «٢٥».

الله بها على عباده.

ثم أكد هذا الصب بمفعوله المطلق «صبا» ليوفر العناية بالإحساس بهذه الرحمة والعناية الإلهية

وفى إيثار كلمة «الماء» دلالة على تجريد المقام من كل احتمال إلا إرادة الإحسان والإنعام على العباد.

حيث لم يقل «المطر» لأن القرآن لا يستعمل المطر إلا فى مقامات العقاب والشر كما فى قوله عز وجل:

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[3].

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾[4].

﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾[5].

أما فى مقامات الإنعام والخير فيكون التعبير بالماء والغيث والمدرار.

لذلك قال فى آيات الإنعام: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ ﴾ يمتن على عباده، ويذكرهم بهذه النعم الجليلة ثم قال: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾[6].

وتشقيق الأرض بعد إنزال الماء نوعان:

الأول: عند نزول الماء فعلا من ضغط حبات الماء على القشرة الأرضية لتتشرب مقدارا من الماء النازل وهذا غير مراد هنا.

الثانى: تشقيق الأرض بازغا منها النبات بعد بذر الحب فيه وهذا هو المقصود من ﴿ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾[5] لأنه محط العبرة لمن يعتبر وتتجلى فيه قدرة الله بارزة للعيان لأن هذا النوع من الشق من عمل الله الخالص يحدثه جلت قدرته بواسطة نبت غض طرى ضعيف مخترقا قشرة الأرض وهى أقوى منه كثافة ومع ذلك يغلب الله الضعيف الغض الطرى على القوى الكثيف ولا دخل للزارع بهذه العمليات وليس له حيلة فيها مهما أوتى من مهارة وخبرة، وعمل الإنسان ينتهى عند وضع البذر فى الأرض وإهالة التراب أو الثرى عليه فى عمليات عشوائية مكرورة.

ثم تتولى العناية الإلهية تلك المراحل بإخراج النبات من الأرض وعمليات نمو ذلك النبات، عمليات لا تتوقف لا بليل ولا نهار حتى يؤدى الزرع ثماره متاعا للناس ولأنعامهم.

والدليل على أن المراد بالتشقيق فى ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ ﴾ أمران قرآنيان، أحدهما: العطف بـ «ثم» فى ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ ﴾ لأن ﴿ ثم ﴾ تفيد معنيين.

الأول: ترتيب المعطوف به مع المعطوف عليه وهذا معروف نحويا.

الثانى: أن بين المعطوف عليه وبين المعطوف مهلة زمنية تقدر بحسب القرائن الحالية.

والمعطوف عليه هو نزول الماء مصبوبا من

(٣) الشعراء «١٧٣».

(٤) هود «٨٢».

(٥) الفرقان «٤٠».

(٦) عبس «٢٦».

السماء والمعطوف هو تشقيق الأرض، والمهلة أو التراخي بينهما هي المدة التي يعد الزراع الأرض فيها للزراعة، تطول أو تقصر وهذا ما يشبه خروج النبات شاقا الأرض شقا.

الثاني: العطف بـ«الفاء» بعده مباشرة في قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾[٧].

والفاء المعطوف بها تفيد - كذلك - معنيين مجتمعين، هما:

الترتيب، بمعنى أن ما بعدها حدث بعد ما قبلها أى أن حدوث المعطوف وقع في الوجود بعد حدوث المعطوف عليه.

وأن الحدوثين لم يكن بينهما فجوة زمنية وهي المعبر عنها نحويا بـ«الفورية»، وهذا هو الواقع الملموس فتشقيق الأرض بعد بذر الحبوب فيها يكون دائما مقرونا ببزوغ النبات وتقريراً لنسبة هاتين النعمتين لله - عز وجل - أسند الفعلان وهما:

﴿شَقَقْنَا﴾ و ﴿فَأَنبَتْنَا﴾ إلى ضمير اسم الجلالة «الله» وإن كان هذا الضمير، وهو الفاعل مجموعا أو دالاً على الجمع، لأن «نا» الجماعة وهي فاعل الفعلين تسمى في البيان العربي «نا» التعظيم إذا كان المراد بها مفردا.

وهذه الآية ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾[٨].

تصور أول مشهد من مشاهد نعم الله، التي كانت ثمرة صب الماء، أى إنزاله من السماء، تلاه عدة مشاهد وللابتداء بإنبات «الحب» وتقديمه على ما تلاه لأن «الحبوب» مصدر الخبز، وهو المقوم الأول في تغذية الإنسان.

وقد جيء به «نكرة» غير معرفة للدلالة على أمرين: الأول، تعظيم شأنه وكثرته.

والثاني: الدلالة على تنوعه، فليس هو نوعا واحدا بل هو أنواع كثيرة، منها ما هو طعام للإنسان متنوع الحجوم والطعوم والألوان.

ومنها ما هو طعام للحيوان. وكل هذه الأنواع أودعها الله خصوصيات وكفاءات غذائية تؤدى أدوارا عظيمة في الحياة. ثم قال:

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[٩].

والملاحظ في سرد هذه النعم أن المقدم فيها أعلى قيمة وأكثر نفعا وإمتاعا من المؤخر، وآخرها هو «الأب» وهو الكلأ الذي ترعاه الأنعام. أما ما قبله فكله خاص بالإنسان في المقام الأول لذلك كان رتبته التأخير من حيث هو غذاء الأنعام، ثم إن الأنعام نفسها من منافع الإنسان كما قال مولى النعم:

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[١٠].

وهذا مقصود به ما يؤكل لحمه، أما ما لا

(٧) عبس ٢٧.
(٨) عبس ٢٧.
(٩) عبس ٢٨: ٣٢.
(١٠) النحل ٥، ٦.

يؤكل لحمه من الحيوان، فلم يفت القرآن أن يذكر به العباد على أنه من نعم الله عليه، لأن فيه منافع أخرى أشار إليها القرآن فقال:

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١١].

هذا ما ذكر الله به عباده في هذا المشهد ووجه الاستشهاد به على التذكير بالنعم ما ذكره العلامة ابن رشد في كتابه القيم «فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال»، أن كل ما خلقه الله - عز وجل - للإنسان وسخره لمنافعه فيه دلالتان على التربية الإيمانية في القرآن وما يتصل بمناهجها وأهدافها: الدلالة الأولى: دلالة الاختراع، يعنى أن نعم الله على الإنسان هو موجدها من العدم المحض، أو كما يقول الحكماء «من ليس» أى من العدم، الذى لم يسبقه وجود هذا هو معنى «الاختراع».

أما الدلالة الثانية: فهي دلالة العناية أى أن هذه المخترعات مسخرة لما يوافق منافع الإنسان سواء أدركنا وجه النفع فيها كما في خلق الماء، والرياح والأنعام المأكولة اللحم، وغير المأكول اللحم من غير الأنعام كالخيل والبغال والحمير.

أو لم ندرك وجه النفع فيها كالذئاب والحيات مما نفهم أنها لا نفع فيها قط، وإنما هي مخلوقات ضارة وكثيرا ما يتساءل بعضنا عن الحكمة الإلهية من خلق هذه الأصناف وفي مواجهة هذا التساؤل نذكر حقيقتين مهمتين:

الأولى: نحن البشر لم نحط بكل شيء علما وفي ذلك يقول الله عز وجل:

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١٢].

وقوله في الإنسان:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[١٣].

فالعالم بمنأى حتى الآن من إدراك كل أسرار الله في مخلوقاته، ولا ندرى هل بقى من عمر الدنيا ما يمكن العالم من فحص مخلوقات الله، ومعرفة الأسرار من خلقها.

وإذا رجعنا إلى الوراء قبل ازدهار العلوم، ثم رصدنا ما عرفناه في عصور ازدهارها من أسرار مخلوقات الله في الإنسان وفي الحيوان، وفي الكائنات الحية، وفي بواطن الأرض، وفي البحار، وفي النباتات، وفي الفضاء وفي العوالم العلوية والأعشاب، وفي كل مخلوق لو قارنا ما توصلنا إليه الآن من معارف كانت مجهولة تماما للعالم من قبل، وهذا معناه أن عامل الزمن مع التقدم العلمي يكشف لنا جوانب مهمة عن منافع أودعها الله في مخلوقاته، مصداق ذلك قوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[١٤].

(١١) النحل ٧، ٨.
(١٢) الإسراء ٨٥.
(١٣) الروم ٧.
(١٤) فصلت ٥٣.

إذن، فليس جهلنا بأسرار مخلوقات الله حجة، على أن الله خلق أنواعا من مخلوقاته للشر الخالص المضاد لمصلحة الإنسان، حتى يكون ما قاله ابن رشد من دليل الاختراع ودليل العناية مجرد حبر على ورق وصدق الله العظيم

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(١٥).

وفي هذا الإطار تتبنى جامعة الأزهر مشروعا لتعشيب الدواء والعلاج وهو مشروع يستحق كل عناية ونرجو له النجاح وإن طال الزمن والعالم الآن يخطو خطوات وثابة في استكشاف ما ينطوى عليه خلق الله من منافع وأسرار.

أما الحقيقة الثانية فلها عدة ملامح، منها ما حدث قديما، ومنها ما يحدث الآن، فما حدث قديما أن حكيما كان يقيم في قصر في إحدى الصحارى، هذا الحكيم أحاط حرم قصره من جميع الجهات بأنواع من النباتات ذات الألوان والروائح المختلفة، وعندما شعر بحلول أجله أوصى أبناءه بعدم المساس بهذه النباتات مع شدة الحفاظ عليها، ولم يخبر أبناءه بفوائدها.

ومات الحكيم وقرر أبناؤه إبعاد تلك النباتات عن حرم القصر وناموا ليلتهم فلما أصبح الصباح فوجئوا بأن الحيات والثعابين والحشرات الضارة تملأ أفنية القصر، وتمنعهم من التحرك، وبعضها زحف إلى غرفة المعيشة فادركوا معنى وصية أبيهم الحكيم، وأسرعوا إلى إعادة النباتات في مواقعها فهربت الحيات والحشرات الضارة إلى حيث كانت.

ذكر هذه القصة الإمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق في كتابه القيم «الإسلام والعقل».

في العصر الحديث حدث أن أصحاب مزارع تربية الظباء في بعض البلاد الغربية الذين يتجرون في صناعة «الفراء» التي ترتديها ثريات النساء في المجتمعات المعاصرة، ويشترينها بأثمان ذات أرقام فلكية لما لحظوا أن الوحوش المفترسة تغير على هذه المزارع ليلا، وتسبب ذعرا للظباء فتموج داخل المزارع وتضطرب اضطرابا عنيفا طوال الليل فقام أصحاب المزارع بعمل أسلاك شائكة على مسافات بعيدة من مواقع المزارع تتجمع حولها الوحوش فلا تقترب من المزارع نفسها فنجت الظباء من الاضطراب، ونتج عن ذلك رداءة المنتوجات من الفراء، حيث لاحظوا أن أشعار جلودها ضعفت وذهب بريقها وصارت سريعة التآكل ومنيت تجارة الفراء بالركود والخسارة ثم أدركوا أن السبب في جودة صناعتهم هو ما كان يسود الظباء من ذعر واضطراب وحركة عنيفة حين إحساسها بحركة وأصوات الوحوش، لأن الاضطراب كان أنسب لتغذية شعرها وتقوية جلودها فعادوا لما كانوا عليه، وتبين لهم أن ما كانوا يرونه ضارا تأكد

(١٥) إبراهيم «٣٤».

لهم أنه هو النافع وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى:

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١٦).

وقوله:

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١٧).

وقوله:

﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(١٨)

وقصة الظباء هذه نشرتها الصحف منذ عشرين عاما، على أنها إحدى عجائب مخلوقات الله.

كما نشرت الصحف الكبرى في العقد الأخير من القرن العشرين الميلادى خبرا له مغذى كبير في مجال العلوم الحديثة خلاصة هذا الخبر أن مجموعة من العلماء في الغرب، بدأوا يبحثون في السموم التي تحملها الحيات والثعابين، وهم يتوقعون أن في هذه السموم دواء لبعض الأمراض الحديثة المستعصية، كالسرطان، هذا الخبر وإن لم يعلن عن مصيره حتى الآن فهو خطوة واعدة حول الالتفات إلى الطاقات المغمورة في بعض مخلوقات الله، حتى تلك التي لا نراها - نحن الآن - إلا شرا خالصا ومن يدرى فقد يسفر البحث عما لم يكن لنا في الحسبان ولا نذهب بعيدا بعد هذه الإشارات، فإن لدينا سفرا علميا يعد ثورة هائلة في هذا المجال وإن لم يأخذ مكانه من الشهرة بين كنوز العلم والمعرفة.

هو كتاب «حياة الحيوان الكبرى» للعالم المصرى «الدميرى».

هذا الكتاب يقع في مجلدين كبيرين، وقفه مؤلفه على دراسة خواص الحيوانات جميعا المألوف منها وغير المألوف الزواحف التي تمشى على بطونها، وما يمشى منها على رجلين، وما يمشى منها على أربع، وما يطير بجناحيه.

ورصد الخصوصيات الموجودة في كل نوع منها في دراسات لطيفة ممتعة ومقنعة كما ذكر ما ورد فيها من آيات وأحاديث نبوية أو تجارب أجراها عليها الأقدمون وهذا الكتاب في أمس الحاجة إلى إعادة طبعه وإجادة إخراجه ودرس ما ورد فيه من أنماط العلم والمعرفة.

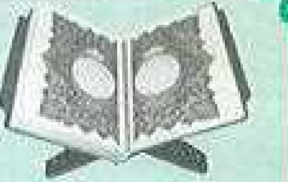
وهو وما ذكرناه آنفا مصداق لعبارة العلامة ابن رشد عن مخلوقات الله ودلالة التذكير بها في القرآن على دعامتين من دعائم التربية الإيمانية في القرآن، مناهجها وأهدافها وهما:

دلالة الاختراع فكلها أوجدها الله من العدم المحض.

ودلالة العناية فكلها مسخرة لمنافع العباد.

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾(١٩).

(١٦) النحل «٨».
(١٧) البقرة «٢١٦».
(١٨) النساء «١٩».
(١٩) لقمان «٢٠».



القرآن وثيقة الوحى الإلهى فى الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

● تأمل قوله تعالى

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾(١)

إن أهم ما تشير إليه تلك الآيات أنها تتحدث من بطن الغيب عن قضية توثيق القرآن وجمعه.

أخرج البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت.. أرسل إلى أبى بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده.. فقال أبوبكر: إن عمر أتانى.. فقال: إن القتل استحر بقراء القرآن وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن.

فقلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ـ ﷺ ـ؟

قال عمر: هذا والله خير.

فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت الذى رأى عمر.

قال زيد: قال أبوبكر: إنك شاب عاقل، لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله فتتبع القرآن واجمعه، والله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان ثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن، قلت: ـ أى زيد: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله؟

قال: هو والله خير.

فلم يزل أبوبكر يراجعنى وأراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر.

فتتبعت القرآن أجمعه من العسف واللخاف وصدور الرجال ووجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾(٢)

حتى خاتمة سورة براءة، فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر فى حياته، ثم عند حفصة بنت عمر، قال المحاسبى يصف هذه المرحلة بأنها ـ كمن يجد أوراقا ملفوفة فى بيت فربطها بخيط.. ثم جد فى زمن عثمان بن عفان ما أوجب نسخه فى مصاحف عدة وتوزيعها على الأمصار.

فقد روى البخارى عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وإذربيجان، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد ابن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن حارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشى الثلاثة:

إن اختلفتم أنتم وزيد فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف، ورد عثمان المصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل بلد بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من كل صحيفة ومصحف أن يحرق.

فكل مصحف غير هذا يعتبر خارجاً عن الإجماع وغير متواتر وعلى ذلك لا يصح أن يعمل به فجاء القرآن موثقاً مكتوباً ومقروءاً رسماً وأداء على أحسن ما يكون التوثيق فصدق تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٣).

ولقد جاء القرآن مشتملاً

● على العقائد التى يجب الإيمان بها فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو الحد الفاصل بين الإيمان والكفر.

● وعلى الأخلاق الفاضلة التى تهذب النفوس وتصلح من شأن الفرد والجماعة وتحذر من الأخلاق السيئة التى تذهب بما فى الإنسانية الفاضلة.

● وعلى الدعوة إلى النظر والتدبر فيما خلق الله للتعرف على أسرار الله ونعى فى سبيل ذلك على التقليد.

● ثم أرشد الله من خلال قصص الأولين أمما وأفرادا إلى سننه الاجتماعية والمعنى التاريخى لقضية الإيمان والكفر.

● وقرر فيما قرر علاقات تشريعية فاضلة ترفع من شأن الفرد فى نفسه ومع الجماعة ومع الله مما يحفظ على المجتمع رشده وبقاءه.

(١) القيامة (١٧: ١٩).

(٢) التوبة (١٢٨).

(٣) الحجر (٩).

تميز القرآن من بين سائر الكتب السماوية بأنه معجزة

قال تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٤)

ثم طرح الله قضية التحدي قائلاً:

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ ﴾(٥).

ثم قال:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(٦).

ثم قال بصوغ عجز الناس عن أن يأتوا بمثله ويقرر في نفس الوقت حقيقة إعجازه..

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(٧).

ويرجع سر إعجازه إلى نواح عدة منها:

لفظية.. معنوية.. روحية.. تساندت هذه النواحي وغيرها فأعجزت الناس عن أن يأتوا بمثله.. فالنواحي اللفظية تظهر في: فصاحة ألفاظه وحسن تأليفها والتئامها وبلاغة أساليبه وأفانينها وجمال نطقها.

قال تعالى:

﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(٨).

والنواحي المعنوية تظهر في طرائقه الفكرية وتقريره للنواميس الطبيعية في معرض الاستدلال على وجود الله كقوله تعالى:

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾(٩).

وقوله

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾(١٠)

وقوله في خلق الإنسان:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ﴾(١١).

ومن إعجازه تشريعه الذي انتظم قانوناً عادلاً مؤلفاً من مواد قليلة تتضمن أحكاماً كلية ومبادئ عامة في فروع الفقه وتتقبل بنصوصها وبروحها ومعقولها وقائع الناس مهما اختلفت أجناسهم وأزمانهم وأصقاعهم «لا تضيق بمصلحة ولا تقصر عن حاجة».

قال تعالى:

﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾(١٢)

---

(٤) الإسراء (٨٨). (٥) هود (١٣، ١٤). (٦) البقرة (٢٣، ٢٤).

(٧) الإسراء (٨٨). (٨) هود (١). (٩) الحجر (٢٢).

(١٠) النمل (٨٨). (١١) المؤمنون (١٣، ١٤). (١٢) الأنعام (٥٧).

ومن نواحيه الروحية ما يظهر في: تأثيره البليغ في النفوس وأخذه بمجامع القلوب حتى ناء المشركون في وصف هذه الروحية.. فمن قائل: إنها سحر.. ومن قائل: ما هو بالشعر ولا بالكهانة، وأجاد وصفها مشرك عربي هو الوليد بن المغيرة قائلاً: «إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر» فالقرآن إذن: لا يعد من مفاهيم النبي الشخصية بل هو وحي الله المباشر.

ونرى أن من يريد أن يفسر القرآن فعليه الاهتمام بالقواعد والمناهج التي وضعها السلف كما عليه أن يضع في اعتباره هذه القواعد التي هي في مضمونها نورانية القرآن والاندماج معه وفيه.

القاعدة الأولى: احترام المعنى الإلهي

والوقوف على معنى النص الإلهي بالضرورة في كل الأحوال أن يكون وليد الذكاء العقلي الإنساني بل يجب أن نضع في اعتبارنا قول الغزالي: «إن الإيمان نور يغدقه الله في قلب عبيده عطية وهدية من عنده فإذا لم نضع في اعتبارنا ذلك فلسوف نرى اختلافا كثيرا بعدد عقول الباحثين».

القاعدة الثانية: تضامن المعنى

إذا أخذنا في اعتبارنا هذه القاعدة سوف تظهر المعاني المتضاربة أكثر مواءمة وانسجاماً فلا نسلخ آية من مقامها ثم نحاول الوقوف عليها وبحثها كقوله تعالى:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾(١٣).

لابد عند تفسيرها من احترام مقامها ورعاية المعاني حتى تظهر متكاملة متضامنة.

القاعدة الثالثة: مراعاة الوضع اللغوي

نستطيع بذلك أن نقرر أنه محكم متشابه أو القول اللغوي على الحقيقة أو على المجاز أو خارج عنهما مثل:

﴿ كهيعص ﴾(١٤).

﴿ حم ﴾(١٥) ﴿ ق ﴾(١٦) ﴿ ن ﴾(١٧)

القاعدة الرابعة: يراعى تدرج الموضوع الواحد في القرآن

إذا كان القرآن قد يفسر بعضه بعضاً فلا ينبغي تجزيئ الموضوع الواحد حتى لا نجد أنفسنا أمام محاكم مختلفة حينا ومتقابلة أحيانا إذ القرآن وحدة متضامن الأجزاء.

القاعدة الخامسة: رعاية غاية القرآن

هو أن يوحد الإنسان الله وينزهه ويوجه العبادة إليه ويقر بسلطانه فكل تفسير لا يتحقق من وراء تلك الغايات فمرفوض.

يمكن بهذه القواعد أن تتقارب وجهات نظرنا أو على الأقل نتفق حول ما هو متشابه وما هو محكم فلا يلغو العقل فيما ليس من شأنه.

---

(١٣) الماعون (٤). (١٤) مريم (١).

(١٥) غافر (١). (١٦) ق (١). (١٧) القلم (١).

المساواة هو من حقوق الإنسان

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

منذ أكثر من أربعة عشر قرنا وقد أرسى الإسلام حقوق الإنسان على نحو لم تعرف له البشرية مثيلا حتى يومنا هذا وما كانت المواثيق الدولية ولا ما تنادت به منظمات حقوق الإنسان لتصل إلى معشار ما دعا به ديننا الحنيف وما نادت به آيات الذكر الحكيم حين سوت بين الخليقة كلها وحين نادى الحق تبارك وتعالى بالمساواة وأسقط موازين العصبية العمياء كما أسقط موازين الجنس، والعنصر والمال والحياة واللون وخاطب البشرية جمعاء فردها إلى أب واحد وأم واحدة قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١).

وخاطب الرسول ﷺ بني آدم جميعا قائلا لهم: «كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(٢).

وظل يوجه أمته إلى مبدأ المساواة حتى لا يستعلى أحد على أحد، حتى لا يظلم أحد أحدا، وحتى في لحظاته الأخيرة من الحياة وفي مرض موته، عندما خرج متكئا على يد عبدالله بن عباس وعلى بن طالب رضى الله عنهما يقول للمسلمين ما معناه: «من كنت

(١) سورة الحجرات آية (١٣)

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/٤١١

جلدت له ظهرا فهذا ظهري.. ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ من مالي»(٣). وهكذا ضرب أروع الأمثلة في الحفاظ على حق المساواة الذى هو من أهم حقوق الإنسان.

ولقد صان خلفاؤه الراشدون من بعده هذا الحق العظيم، فجاء أبوبكر الصديق رضى الله عنه فلخص دستور حكمه في أول لحظة تولى فيها المسئولية قائلا: «إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم القوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له».

كما دعا من بعده الفاروق عمر رضى الله عنه إلى هذا المبدأ العظيم ألا وهو: المساواة ليس بين المسلمين بعضهم مع بعض بل بين المسلمين وغير المسلمين، فعندما سابق ابن عمرو بن العاص ابن رجل مصري قبطي فسبقه القبطي وقال ابن عمرو: أنا ابن الأكرمين، وعندما رفع الأمر إلى خليفة رسول الله ﷺ الفاروق عمر استقدم الوالي عمرو بن العاص وولده والمصري وأعطى الدرة إلى ابن القبطي وقال له: أضرب ابن الأكرمين فيضربه، ويأخذ حقه على ملأ من الناس ثم يقول له ضعها على صلعة عمرو، يقول: يا أمير المؤمنين: لقد ضربت من ضربني، قال إنما نال ما نال بنفوذ أبيه ثم التفت إلى عمرو وقال: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟ إن كلمات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت موصولة بتوجهات سيدنا المصطفى ﷺ الذى جاء بهذا الوحي الآلهي الذى يعلن أنه ليس لإنسان أن يعتد بحسبه، ولا بماله، ولا بجاهه، ولا بعنصريته، ولاهويته، ولا جنسيته، وعلى هذا النحو كان الإسلام في عصوره الزاهرة وكان رسول الله ﷺ يسوى في الحقوق بين الجميع حتى أن أبا ذر رضى الله عنه عندما قال لرجل: يا ابن السوداء خاطبه النبي ﷺ وخاطب في شخصه الأمة جمعاء قائلا: «أعيرته بأمه، إنك إمروء فيك جاهلية إخوانكم خولكم» أى: خدمكم «فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم من العمل ما لايطيقون فإن كلفتموهم فأعينوهم» -وفي رواية قال «ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى».. لقد وعا أبو ذر هذا فندم على كلمة واحدة قالها وجاءت بعض الروايات تقول لقد وضع خده على الأرض يريد أن يضع الرجل قدمه عليه، ليكفر عن هذه الكلمة التي قالها.

(٣) التاريخ الكبير للطبراني ١٨/٢٨٠

وحين أهم قريشا شان المرأة المخزومية التى سرقت وأرادو أن يخاطبوا النبى ﷺ فى شأنها وقالوا من يجترىء على ذلك إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فلما تكلم قال له النبى ﷺ وكان إذا همه أمر خطب المسلمين فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أتشفع فى حد من حدود الله إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)(٤) إن النداء الربانى الذى خاطب فيه رب العزة الناس جميعا وبين لهم أنه خلقهم من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا وقبائل وضح وبين لماذا كانوا كذلك:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾(٥).

أى من أجل أن يتعارفوا من أجل أن يتآلفوا ومن أجل أن يتعاطفوا ومن أجل أن يتضامنوا ومن أجل أن يتساندوا فى النوازل التى تنزل بهم.

والقرآن الكريم حين نادى الناس أن يكونوا متعارفين متآلفين كان يستهدف التعارف والتآلف لا العصبيات ولا الخصومات ولا الحروب التى تشنها الدول بعضها ضد بعض.

إن الجنس البشرى يجب أن يكون أسرة واحدة وإن حوار الحضارات يجب أن يأخذ مجراه الحقيقى، لإقامة جسور الثقة بين الناس على الصعيد الدولى.

يجب أن تسرى روح المساواة على الصعيد الدولى بين جميع الدول والشعوب، فلا تستعلى دولة على أخرى ولاتغتر بقوتها أو مالها أو ممتلكاتها أو اختراعاتها بل يجب أن تكون المساواة رائدة الدول والشعوب بحيث تتكامل الدول والشعوب، فما كان زائدا عند دولة يعطى الزائد إلى الدولة الأخرى التى تحتاج إليه ،وما كان ناقصا عند دولة تبادر الدول الأخرى باستكماله لها..

وهكذا يكون التكامل والتعاون بين الدول والشعوب والمساواة على الصعيد الدولى تستوجب على الدول جميعا أن تشعر كل دولة بمشاعر الأخرى، وأن تراعى حقوقها على جميع المستويات، وأن تصون حرمتها الإنسانية فلا يصح لدولة أن تعتدى على أخرى أو تستعمرها أو تغتصبها أو تنهب حقوقها، لأن جميع الدول سواسية فى الحقوق والواجبات. فلا توظف القوة لقهر الآخرين أو العدوان عليهم، ولا تستغل المعادن والثروات لتصنيع أسلحة الدمار بل تستغل للإصلاح والإعمار، وألا تقتصر الدول على نفسها بل لابد أن تعاون غيرها، من أجل أن يعاونها غيرها فلم يضع الله خيرات الأرض لجنس دون آخر، أو لفئة دون

(٤) صحيح البخارى ٤/٢١٣

(٥) الحجرات (١٣)

أخرى قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾(٦).

أى أنها للعباد جميعا، وجميع الخلق شركاء فى خيرات الأرض، وبالشعور بالمساواة يحترم الإنسان أخاه الإنسان، وتحترم كل دولة أخواتها ويحيا الناس فى أمن وسلام، وفى استقرار ورخاء.

القدوة الحسنة فى المساواة

لقد قدم الرسول صلوات الله وسلامه عليه الأسوة الحسنة فى المساواة، عندما سوى بينه وبين غيره من الناس فى العمل والسعى والخدمة، فلم يقبل أن يميزه أصحابه على أنفسهم.

فعندما كانوا فى سفر وأرادوا إعداد شاة للطعام ووزع الصحابة على أنفسهم العمل فمنهم من قال: على ذبحها ومنهم من قال على سلخها، ومنهم من قال: على طهيها، فقال عليه الصلام والسلام؛ وعلى جمع الحطب(٧)، وعندما قالوا له: كلنا يكفيك هذا، رفض قائلا: علمت ذلك ولكنى أكره أن أتميز على أحد من أصحابى، أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه.

نموذج للمساواة فى بناء المسجد

كما قدم الأسوة الحسنة من شخصه الكريم فى بناء المسجد النبوى الشريف، عندما هاجر من مكة إلى المدينة، وشرع فى بناء المسجد النبوى.. فلم يترك أصحابه يبنون المسجد وحدهم، ووقف يشرف عليهم بل كان الرسول ﷺ يشترك مع أصحابه فى البناء، وكان يعمل معهم وينقل الطوب اللبن ويحمل الأحجار بنفسه.

نموذج للمساواة فى حفر الخندق

وفى غزوة الخندق شاور الرسول ﷺ أصحابه فأشار عليه سلمان الفارسى بحفر خندق، فأعجب ذلك المسلمين ولم يكن العرب يعلمون قبل ذلك الخندق كوسيلة من وسائل الحرب..

وفى حفر الخندق قدم الرسول ﷺ نموذجا للعمل فقام يشارك المسلمين فى حفر الخندق وفى نقل التراب بنفسه دون أن يتميز فى العمل على واحد منهم.

وروى عن أنس رضى الله عنه أن الأنصار والمهاجرين كانوا يرتجزون وهم يحفرون الخندق وينقلون التراب على متونهم:

نحن الذين بايعوا محمدا

على الإسلام ما بقينا أبدا

فيجيبهم النبى ﷺ قائلا:

اللهم إنه لاخير إلا خير الآخرة

فبارك فى الأنصار والمهاجرة.

(٦) سورة الرحمن اية (١٠)

(٧) مسند الإمام احمد ١/٨٢، ١٢٤، ٥/٢٩٥

المساواة بين الرجل والمرأة في الثواب والعقاب

لقد أعد الله سبحانه وتعالى الثواب للطائعين والعقاب للكافرين والعاصين، رجالا كانوا أو نساء لافرق بين الجنسين، فوعد سبحانه وتعالى بدخول الجنة لمن عمل الصالحات وكان صادق الإيمان رجلا كان أو امرأة فقال سبحانه:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾(٨).

كما وعد رب العزة سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات جزاء على إيمانهم أن يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار وأن يسكنهم مساكن طيبة فى جنات عدن، وأن يحظوا برضا الله تعالى عليهم وبالفوز العظيم.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٩).

ووعدالله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين الصالحين الذى جمعوا العمل الصالح مع الإيمان الصحيح أن يجعل جزاءهم فى الدنيا حياة طيبة سعيدة رغيدة موفقين فيها للخيرات بعيدين عن الشرور والسيئات، وأن يجعل لهم جزاءهم فى الآخرة أحسن الأجر وأعظم الثواب بما عملوا فى دنياهم، قال الله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١٠).

وبين سبحانه أنه لا يضيع عمل المخلصين رجالا أو نساء ووعد سبحانه وتعالى الذين هاجروا فى سبيل الله وأخرجوا من ديارهم وتحملوا ما تحملوا من أذى أعدائهم، فى سبيل ربهم وعدهم الله تعالى أن يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار قال تعالى:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾(١١).

وبين رب العزة سبحانه وتعالى أن الرجل والمرأة فى الجزاء والثواب سواء وعندما قالت السيدة أم سلمة رضى الله عنها للنبى ﷺ: «يا نبى الله مالى أسمع الرجال يذكرون فى القرآن والنساء لايذكرون؟ فأنزل الله تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١٢).

(٨) سورة النساء اية (١٢٤)
(٩) سورة التوبة اية (٧٢)
(١٠) سورة النحل اية (٩٧)
(١١) سورة ال عمران اية (١٩٥)
(١٢) سورة الأحزاب اية (٣٥)

وكما أن الرجال والنساء سواء فى الثواب والجزاء على العمل الصالح فهم أيضا سواء فى العقاب على المعصية وفى إقامة حدود الله على الطرفين عند ارتكاب ما يستوجب الحد قال الله تعالى:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٣).

المساواة بين الأبناء

وعن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنهما ـ قال: «انطلق به أبوه يحمله إلى النبى ﷺ فقال: أشهد أنى قد نحلت النعمان من مالى كذا وكذا. قال «فكل بنيك نحلت مثل الذى نحلت النعمان؟.. قال لا. قال فاشهد على ذلك غيرى.. قال أليس يسرك أن يكونوا لك فى البر سواء؟ قال بلى.. قال فلا إذا» (١٤).

المساواة أمام القضاء

كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنهما ـ «أن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك فإنه لاينفع تكلم حق لا نفاذ له، وآس بين الناس فى وجهك ومجلسك وقضائك حتى لايطمع شريف فى حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا، ومن ادعى حقا غائبا، أو بينة فاضرب له أمدا ينتهى إليه، فإن جاء ببينة أعطيته بحقه فإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية، فإن ذلك أبلغ فى العذر، وأجلى للعمى، ولايمنعك من قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه لرأيك، وهديت فيه لرشدك، أن تراجع الحق، لأن الحق قديم لايبطل الحق شيء، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض بالشهادة إلا مجلود فى حد، أو مجرب عليه شهادة الزور، أو ظنين فى ولاء أو قرابة، فإن الله ـ عز وجل ـ تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والإيمان ثم الفهم الفهم فيما أدلى إليك مما ليس فى قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال والأشباه، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله فيما ترى وأشبهها بالحق، وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذى بالناس عند الخصومة والتنكر، فإن القضاء فى مواطن الحق يوجب الله له الأجر، ويحسن به الذخر، فمن خلصت نيته فى الحق ولو كان على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين لهم بما ليس فى قلبه شانه الله، فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ لايقبل من العباد إلا ما كان له خالصا، وما ظنك بثواب من عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته» (١٥).

وبالله التوفيق

(١٣) سورة النور اية (٢)
(١٤) رواه البخارى والنسائى
(١٥) السنن الكبرى للبيهقى

توظيف القيم الإسلامية فى بناء الشخصية المتكاملة

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

يضم هذا العنوان لفظين هما (القيم) و(الشخصية المتكاملة)، وقد تعلمنا من بلاغة ديننا الحنيف قبل أن نتعلم من دروس المنطق أن الإبانة هى من أهم عوامل التفاعل بين الناس بعيداً عن التعمق والغموض.

****

● أما «القيمة» فى معناها القريب فهى الهدف ومهما اختلفت المجالات التى تطلق فيها كلمة (قيمة) فهى تشير إلى هذا المعنى، ففى المجال الاقتصادى مثلاً - وهو مجال مادى - يقال أن قيمة هذا القلم مثلاً خمسة جنيهات، وهذا يعنى أن (الهدف) من إنتاجه وتسويقه هو ذلك القدر من الجنيهات، وأما فى المجالات المعنوية فعلم النفس هى غاية السلوك، وفى علم الاجتماع هى غاية العلاقات والتعاملات بين الناس، وفى الفلسفة هى غاية الفكر المجرد وهو «البحث عن الحقيقة» التى تتواءم تقريباً مع المعنى الحرفى لكلمة الفلسفة وهو «محبة الحكمة».

والقيمة فى المجال المعنوى قد تكون نسبية أى تختلف من فرد إلى آخر أو من مجتمع إلى آخر أو فى نفس المجتمع من زمان إلى زمان، وقد تكون القيمة مطلقة يتعارف عليها الناس جميعاً ويحاولون السعى للوصول إليها كغاية مثلى يهدف إليها كل إنسان.

وإذا كان ذلك هو شأن الفلسفة و«التفلسف» فإن هناك مجالاً آخر يختلف فى الموضوع والمنهج والغاية، ذلك هو الدين حيث الموضوع هو عالم الغيب والشهادة، والمنهج هو الإيمان الذى يمتزج فيه العقل والحس والروح، والغاية هى عبادة الحق جل وعلا

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١).

(١) الذاريات (٥٦).

والإنسان الذى يتغيا هذه الغاية المثلى يعبد الله فى تعامله مع نفسه، وفى علاقته بالناس، وفى الانشغال بالله فى كل مايزرعه من عمل فى الدنيا ليجنى ثمرته فى الآخرة، أى أن يكون بصره واستبصاره جميعاً على دوره فى خلافة الأرض وأن تكون بصيرته فى تطلع دائم إلى يوم المعاد.

ونحن هنا نركز حديثنا على الدين الإسلامى فقط حتى لاتتشعب المعانى، وتتفرغ الدروب، ولا تثريب؛ إذ الإسلام هو الدين الذى قال فيه الخالق المعبود عز وجل:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾(٢).

● وأما الشخصية المتكاملة فإنها الكيان المتوازن للفرد لأن كل شخصية كما هو معروف تتألف من عناصر: جسمية وعقلية ووجدانية واجتماعية منها ما هو موروث ومنها ما هو مكتسب، فإذا طغى أحد هذه العناصر على غيره فقدت الشخصية توازنها وبالتالى فقدت تكاملها.

ومن هنا كان الهم الشاغل للقائمين على التربية هو - بقدر الإمكان - تحقيق التوازن والاتساق بين عناصر شخصية النامى منذ نعومة أظفاره كما يقال.

وإذا كان علماء النفس منذ عُرف علم النفس يعكفون على دراسة وبحث أساليب تحقيق هذا التكامل فى كيان الفرد حتى تصبح الكيانات الشخصية أبنية قوية الأركان متوازنة البنيان.

ولئن أتاح الإسلام للناس فى كل زمان ومكان الفرصة للبحث والدراسة وفق معطيات كل عصر إلا أنه فى الأمور الدقيقة التى تتعلق ببناء الإنسان الذى هو خليفة الله فى الأرض وضع أمامنا قواعد أساسية ومبادىء أولية يمكن للباحثين أن يقيموا عليها اجتهاداتهم ودراساتهم، وذلك من منطلق أن الله سبحانه هو خالق هذا الكيان البشرى وهو سبحانه أعلم بكيفية (تشغيل) هذا الكيان وبالتالى بأسلوب تقويمه إذا اعوج أو انحرف عن الجادة.

ومن هنا فقد أعد لذلك منهاجا ربانيا لتربية الإنسان يمكن أن يهتدى به العلماء،

(٢) آل عمران (١٩).

وينسج على منواله الباحثون. ومن مجالات هذا المنهاج الربانى التربوى ما اشتمل عليه الإسلام من «قيم»، وكيفية توظيف هذه القيم لصالح الإنسان «وتكامل شخصيته» الفردية مما يعينه على القيام برسالته التى أبدعه الله من أجلها وهى عمران الأرض، وإثراء الحياة.

ولقد دعا الإسلام دائما إلى توثيق العلاقة بين بنى آدم وبين خالقهم.

إن القيم الإسلامية هى معان حية نابضة ينبغى أن تتقمص السلوك، وتلتحم بالأخلاق، وتتضفر بكيان المرء حتى يصبح مظهره الإنسانى مع الناس انعكاسا صادقا لخبره الإيمانى مع الله.

وهكذا تصبح هذه القيم الخالدة التى أرادها الحق لنا سفينة هادئة واثقة تشق بركابها المؤمنين الآمنين عباب الموج المتلاطم الذى لايستقر على حال حتى تصل بهم إلى بر الأمان فى الدنيا والآخرة. فالمسلم الحق هو الذى يتحصن بالقيم التى بثها الخالق سبحانه فى أنفسنا، فطرية نقية تميز الخبيث من الطيب وتعى سنة الله فى الخلق التى لاتبديل لها ولا تحويل، ولعل ذلك هو مصداق الإشارة النبوية الحكيمة «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(٢).

ولاشك فى أن المسلم الذى يتخذ من هذه القيم الإسلامية سلوكاً عمليا يمشى على الأرض، ويوظفها فى الارتقاء بنفسه وبذويه لهو المسلم القدوة الذى يسير بين الناس نبراساً يطمح الآخرون إلى السير فى مسيرته وانتهاج نهجه، ويكون بهذا قد حقق عمارة الأرض وسار على النهج العظيم فى كونه أسوة لغيره.

وامتداداً لهذا يكون الإيمان بالقيم والمثل والاستهداء بها فى سلوكنا وحياتنا العملية هو الوسيلة الوحيدة لبناء المجتمع الخيّر، المترابط، المتكافل، المتعاون على البر والتقوى، القوى بالله، والقوى بنفسه والقوى على أعدائه والمنتصر دائماً بتوفيق الله، ولئن سرى بين المرجفين المتشككين دعوى أن المتمسكين بالقيم الفاضلة هم أقل تمتعا بالحياة وأقل حظاً من أولئك الذين لاضابط لسلوكهم ولا معيار لأخلاقهم، قلنا إن هذه هى وساوس الشيطان ودعوى جنوده من البشر، وهى ألوان من الإضلال والانحراف من شأنها أن تشكك الناس فى الفضيلة والمثل والقيم لأن التشبث بأهداب الفضيلة، والعمل فى إطار القيم المثلى هو فى ذاته سعادة لا تعدلها سعادة لأنها تملأ المرء رضا وتعمر وجدانه بالأمل وتقود خطواته دائما إلى الحق والخير.

والفضيلة الإنسانية هى التقوى كما يعبر القرآن الكريم وكما يعبر النبى ﷺ وما من

(٢) أخرجه البخارى ٢/١٢٥.

أمر أمرَ به الله أو نهى عنه الله إلا أردفه بقوله (واتقوا الله) حتى فى القتال عندما أذن بالقتال وقال:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾(٤).

قال عزّ وجل:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٥).

فالفضيلة الإنسانية التى هى تقوى الله تلاحظ فى المجتمع الإسلامى سواء أكان صغيراً يشمل الجيران وأهل الحى أم كان المجتمع الكبير فى الأمة. وقد عمل الإسلام على تكوين المجتمع الفاضل بالعبادات والعبادات من شأنها أن تربى الضمير الاجتماعى فى الإنسان، فالصلاة والصوم والحج والزكاة، هذه كلها لتربية الضمير الاجتماعى فى قلب المؤمن، فالصلاة ليست فقط عملاً بين العبد وربه أو ليست عملاً مجرداً من النتائج والثمرات بل هى عمل له غايته وله ثمرته، وغايته الامتناع عن الفساد والامتناع عن الفحشاء والمنكر أى الامتناع عن كل أمر يتفحش فيه الإنسان بالقول أو العمل وكل أمر تنكره العقول المستقيمة السليمة، ولذلك قال الله تعالى

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(٦).

فإذا كانت الصلاة قد شرعت واعتبرت عماد الدين واعتبرت فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة. إذا كانت الصلاة لها هذا الشأن فلأن لها غاية وهى تربية الإنسان ليكون فاضلاً وليكون ضميره اجتماعياً يعيش مع المجتمع.

ولعل نشر الصلاة المفروضة على خمسة أوقات فى اليوم والليلة هو دعوة ربانية للعبد أن يحرص على الحضرة الإلهية فى هذه الأوقات حتى يتجلى عليه ربه بالطاقة النورانية التى تعينه على الذكر والشكر كما قال سبحانه (ولذكر الله أكبر) وعلى معاملاته مع الناس وفى التقائه بالناس. وإن مؤمنا يقوم بهذا حق القيام لابد أن يتربى ضميره الاجتماعى ويأتلف، ويصبح من الذين يألفون ويؤلفون.

وكذلك الصوم وآثاره الخلقية الواضحة كالصبر والتعاطف، والتعاون على البر والتقوى، وقوة الإرادة، والالتزام.. وغير ذلك من الآثار الماثلة أمامنا فى شهر الصوم

وهنالك فى أداء مناسك الحج يلتقى المؤمن بإخوته المؤمنين من مشارق الأرض ومغاربها، والكل فى ضيافة الرحمان، تراهم جميعا فى زيهم الموحد البسيط الذى هو أقرب إلى لباس المهد وكفن اللحد، وكأنهم يُحشرون إلى الله عز وجل كما خلقهم أول مرة.

وأما الزكاة فإن من نافلة القول أن نصفها بالفريضة الاجتماعية الخاصة، ومن ثمة –

(٤) البقرة (١٩٠).

(٥) البقرة (١٩٤).

(٦) العنكبوت (٤٥).

كما يرى جمهور العلماء - فهى لاتحتاج إلى نية لأنها تؤخذ كحق معلوم للسائل والمحروم جبراً إذا تعذر الاختيار، ولنا فيما فعل الخليفة الصديق رضى الله عنه مع مانعى الزكاة بعد انتقال الرسول ﷺ وشن الحرب ضدهم بلا هوادة ما يبلور لنا قيمة الزكاة وأهميتها فى العقيدة الإسلامية كركن من أركان الإسلام وكصرح اجتماعى يشتد به البناء الإسلامى المتين.

ولعله من المفيد أن نتعرف الآن على بعض الخصال الإيمانية التى تنطوى تحت القيم الإسلامية.

ومن أبرز هذه الخصال: الحياء والثبات على الحق، والكرامة الإنسانية..

● فأما الحياء فإنه الحصن الذى حصن به الإسلام أهله حتى إن الناس ليحتفظون فى عقولهم وقلوبهم بالمأثورة النبوية الطاهرة التى تقول (إذا لم تستح فافعل ما شئت) (عن يحيى عن مالك وذكره مالك فى الموطأ) ومن أقوال النبى صلى الله عليه وسلم (إن الحياء شعبة من الإيمان)(٧) وكذلك (الحياء خير كله)(٨) و(لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء)(٩) فالحياء يجعل المرء أهلا لكل تكريم وتقدير وقدوة لغيره، وعنوانا فاضلا على أبنائه وعشيرته.

أما التبجح والتطاول والخروج على قواعد الخلق الكريم والدين القويم بحجة مسايرة العصر، ومجاراة كل فكر وكل قول دون فحص أو تمحيص بين مايضر وما ينفع فذلك هو وأد الحياء بعينه، والانطلاق إلى الضياع إن جاز هذا التعبير.

● وأما الثبات على الحق فهو معدن الأبطال أصحاب الأعمال الرفيعة والمبادىء المنيعة الذين يسيرون على طريق الحق لايبالون بالقيل والقال لأنهم كما قال فيهم الأديب مصطفى صادق الرافعى:

وكُن رجلا كالضرس يرسو مكانه
ليطحن لا يعنيه حلو ولا مر.

أولئك أصحاب الإرادة الحازمة، والعزيمة الصارمة، وكم لنا فى أسلافنا من قيادات الإسلام ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه خير شاهد وأصدق دليل على مانقول. وإذا كلفنا بعض المأثورات القديمة فلنا أن نستشهد فى هذا السياق بما قاله أحد الحكماء عندما سئل عن مسألة:

«الحق صديقى والأستاذ أيضا صديقى، ولكن الحق أحب إلى من الأستاذ» برغم ما للأستاذ على التلميذ من حق التهذيب والتأديب.

● كما أن الحفاظ على كرامة الإنسان بعيداً عما يحطّ بها أو ينال منها هو من أجلى صور القيم الإسلامية.

(٧) أخرجه البخارى ١/١٢، ٨/٣٥.
(٨) أخرجه احمد فى مسنده ٤/٤٢٦، ٤٢٦، ٤٤٠.
(٩) أخرجه مالك فى الموطأ (٩٠٥).

إذ من ملامح التمسك بالكرامة أن ينأى الإنسان عما يعيب الخلق من كذب وخيانة وخلف للوعد، ونقض للعهد، فمن المأثور عن سيد الخلق ﷺ (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)(١٠) وفى رواية (وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر).

ولاتقبل كرامة المسلم الحق أن يكون منافقا لأنه يؤمن بكتاب الله العزيز الحكيم الذى يؤكد

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾(١١).

ويحضرنا فى هذا الباب قول النبى ﷺ (إياك ومايُعتذر عنه)(١٢).. فالمؤمن الكيس الفطن يأبى أن يقدم على عمل لن ينجزه أو قول لن ينفذه أو وعد لن يبر به وهو إن فعل من باب المكابرة والمغامرة سوف يجد نفسه لا محالة يقدم العذر تلو العذر لأنه لم يفلح فى إنجاز العمل أو تنفيذ القول أو البر بالوعد وهو حديث يلفتنا إلى أن نحسب أفعالنا وأقوالنا قبل أن نفعل أو نقول، فأكرم بنبى يحفظ للأمة كرامتها فيهيب بها ألا تقول أو تفعل إلا ما تستطيع حتى لاتهتز صورتها أمام الغير من المتربصين بها الدوائر.

ويسوقنا هذا إلى نبذ الشعارات الرنانة التى يعلم صاحبها قبل غيره أنه يكذب نفسه قبل أن يكذب الناس.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن، كيف تتحقق القيم التى أشرنا إليها فى نفوس الناشئة؟ أو بصياغة أخرى كيف نوظف هذه القيم لبناء الشخصية منذ الطفولة؟



سارتر

إن الإسلام قد كفانا مؤونة الجواب فحدد لنا وسائل ذلك فى ثلاث: القدوة، ومجاهدة النفس، والعادة.

● فأما عن القدوة فهى أمر ضرورى للغاية، وأنت لو نظرت إلى مراحل تطور حياتك على اختلافها لوجدت أنك فى كل مرحلة منها كنت محتاجا إلى الموجه الذى يوجهك من أب أو أم أو معلم أو أى شخص آخر كنت واثقا فى قدرته على توجيهك وهداية سلوكك ومن الخطأ أن يظن إنسان أنه مستغن عن القدوة، لأن الإنسان كائن اجتماعى يتأثر بالمجتمع، ولاتتصور كما يتصور الفيلسوف الوجودى المعاصر (جان بول سارتر) إن الإنسان هو الذى يصنع قيمه ومعاييره بعيدا عن المجتمع.

ومن الخطأ كذلك الظن بأن الأخلاق الفاضلة تتحقق للفرد أو للمجتمع بمجرد

(١٠) أخرجه الترمذى فى الإيمان (١٤).
(١١) النساء (١٤٥).
(١٢) اتحاف السادة المتقين بإحياء علوم الدين ٨/١٦٠، ٦٢٠.

سن القوانين وتوقيع العقوبات، فمما لم تكن القدوة الحسنة في مختلف مجالات حياتنا الاجتماعية، وما لم يكن الإنسان نفسه راغبا في تغيير ماهو عليه من أخلاقيات فاسدة، فلن يتحقق شيء من ذلك.

ولا أدل على أهمية الاقتداء في الإسلام من أن الله تعالى أمر رسوله في القرآن بالاقتداء بالأنبياء السابقين في قوله تعالى:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾(١٣).

وأمرنا تعالى بالاقتداء بالرسول ﷺ في قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١٤)

كما أمرنا الرسول ﷺ بالاقتداء بصحابته قائلا (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)(١٥).

● وأما عن مجاهدة النفس فهي الوسيلة الثانية من وسائل ترسيخ القيم الإسلامية في النفوس، وهل التربية إلا حمل النفس على سلوك معين؟ ولاشك في أن هذا يحتاج إلى مجهود كبير لأن النفس دائما وأبداً تميل إلى تحقيق حظوظها وأهوائها.

ورحم الله «شوقي» حين قال في هذا المعنى..

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ولابد من تعويد الناشيء الكف الإرادي عن الشهوات لبناء شخصيته البناء الأكمل فكما أنه لا عضلات قوية للجسم بلا رياضة بدنية، فكذلك لا أخلاق سوية بلا مجاهدة نفسية.

ويمكننا القول إن التربية كلها قد جمعتها الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾(١٦).

وعبادات الإسلام التي ذكرناها من قبل من حج وصلاة وصوم وزكاة لاتخرج عن كونها حمل النفس على خلاف هواها تأكيدا لعبودية الإنسان لله، ولهذا فهي تعبير بيّن عن مجاهدة النفس مصداقا لقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١٧).

● أما العادة باعتبارها الوسيلة الثالثة لتحقيق القيم في نفوس الأفراد، وتصديقها على سلوكهم فإنها من أهم الوسائل في التربية، التي في جوهرها

(١٣) الانعام (٩٠).
(١٤) الأحزاب (٢١).
(١٥) اتحاف السادة المتقين ٢/٢٢٣.
(١٦) النازعات (٤٠، ٤١).
(١٧) العنكبوت (٦٩).

اقتلاع عادات سيئة من نفس الإنسان وإكسابه عادات أخرى حسنة، ومن الصعب على الإنسان أن يقلع عن عاداته الرديئة إلا بإيمان قوى بأنها ضارة به.

ولعلك تفهم هنا لماذا أمرنا رسول الله ﷺ بأن نأمر أولادنا بالصلاة وهم في سن السابعة، وذلك مع أنهم لم يكلفوا بعد إنما ذلك لبيان أهمية التعوّد في التربية بالنسبة للطفل.

وليس من شك في أن الطفل لو نشأ في جو إسلامي، ووجد أهله يتدبرون القرآن، ويصومون رمضان، ويؤدون الزكاة ويقيمون حياتهم على آداب الإسلام، لتعلق قلبه بهذا الدين الحنيف، والعكس صحيح، فإذا تركنا الطفل بلا توجيه في بيئة لاتتقيد بأحكام الإسلام وآدابه، ثم شكونا بعد ذلك من انحرافه، نكون بإزاء تناقض صارخ، وإلا فمن أين يجد الطفل أنوار الهداية إذا كان كل ما حوله يتخبط في ظلام الغواية؟

ولعل ما ذكرناه الآن عن القيم الإسلامية التي نراها أساسا للتربية الإسلامية يجعلنا نستنبط الأهداف العامة التي تتوخى تحقيقها هذه التربية ويمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: تحقيق التوازن النفسي للإنسان، وذلك بالملاءمة بين قيمه الموروثة وفكر العصر، والإسلام ليس ضد الانفتاح على كل الآراء والتجارب، وهو يمجد العقل، ويبني الحضارة، وهو أيضا ضد الجمود المتمثل في التقليد الضار.

ثانيا: تنشئة الإنسان تنشئة إسلامية وفق مناهج ارتباطية تربط المواد الدراسية بالقيم الإسلامية، بل تحقق التكامل بين المؤسسات التربوية والثقافية والأسرية في منظومة متسقة الوسائل والغايات حتى لاتتعرض شخصية الناشيء إلى التفكك والاضطراب.

وبعد.. فإننا ننبه إلى أن مذاهب التربية في عالمنا المعاصر هي اجتهادات قابلة للصواب والخطأ، ومن ثم فليس لها صفة الحقائق الثابتة، إذ لكل أمة عقائدها وقيمها وفلسفتها النابعة من واقع تراثها، ومايصلح لبعضها قد لايصلح للبعض الآخر، ولهذا لايجوز أن نستورد فلسفات تربوية هي نتاج بيئتها وعصرها، ولاتصلح لغير هذا العصر وتلك البيئة. على أنني لا أدعو إلى أن ننغلق على أنفسنا، فمن واجبنا أن نعمل على دراسة كل فكر، ولكن يجب أن يكون لنا منه موقف حتى لايضيع استقلالنا الفكري الذي يجب أن نوظفه في تلبية احتياجاتنا العلمية والروحية.

عندئذ لن نفقد هويتنا ولن نغفل عن غيرنا.

وعلى الله قصد السبيل

طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

استغفروا الله

روى أن رجلا أتى إلى الحسن فشكا إليه الفقر، وأتى آخر فشكا إليه الجدب، وأتى آخر فشكا إليه جفاف بستانه، وجاء آخر طالبا الولد فقال لكل منهم: «استغفروا الله» فقيل له فى ذلك: رجال يشتكون إليك ألوانا مختلفة، ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟ فقال: ما قلت من قبل نفسى شيئا ولكنى أخذت ذلك من قول الله تعالى:

﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾(1).

غاية الفخر

دخل الحسين بن على -رضى الله عنهما- على يزيد بن معاوية يوما فجعل يزيد يفتخر ويقول نحن كذا وكذا، ولنا من الفخر كذا وكذا، ولنا من الشرف كذا وكذا، والحسين ساكت لا يرد فحان وقت الصلاة وأذن المؤذن فلما قال: «أشهد أن محمدا رسول الله» قال الحسين: «جد من هذا يا يزيد»؟؟ فخجل يزيد ولم يرد جوابا.

فإنك فان

قيل لرجل صالح: خذ حظك من الدنيا فإنك «فان».

فقال: الآن وجبت أن لا آخذ حظى منها، ولله در القائل:

(1) سورة نوح ١٠-١٢.

هبك بلغت ما تشتهيه
وملكت الزمان تحكما فيه
هل قصارى الحياة إلا ممات
يسلب المرء كل ما يقتنيه

من مفاسد هذه الحضارة

أنها تسمى الاحتيال ذكاء، والانحلال حرية، والرذيلة فنا، والاستغلال معونة.

ما يضحكك يا عمر؟

يروى أن عمر بن عبدالعزيز، كان فى سفر مع سليمان بن عبدالملك فأصابتهم السماء برعد وبرق وظلم وريح شديدة، حتى فزعوا لذلك، وجعل عمر يضحك فقال له سليمان: ما يضحكك يا عمر؟ أما ترى ما نحن فيه؟

فقال: هذه آثار رحمته -سبحانه وتعالى- : فيها شدائد كما ترى، فكيف بآثار سخطه وغضبه؟

كلامى لست تفهمه

قال حكيم:

وجاهل يدعى فى العلم فلسفة
قد راح يكفر بالرحمن تقليدا
وقال: أعرف معقولا فقلت له:
عنيت نفسك معقولا ومعقودا
فقال: إن كلامى لست تفهمه
فقلت: لست سليمان بن داودا

لزيارة المريض آداب

حل رجل على عمر بن عبدالعزيز يعوده فى مرضه، فسأله عن علته، فلما أخبره قال: من هذه العلة مات فلان، ومات فلان، فقال له عمر:

إذا عدت المرضى فلا تنع إليهم الموتى، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا.

وقال ابن عباس -رضى الله عنه- إذا دخلتم على الرجل وهو فى الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن ولقنوه الشهادة ولا تضجروه..

وقال بكر بن عبدالله لقوم عادوه فى مرضه فأطالوا الجلوس عنده: المريض يعاد والصحيح يزار.

قالوا عن الإيمان

للدكتور مصطفى السباعى

من آمن بوجود الله لم يكن من المتحيرين.
ومن آمن برحمته لم يكن من اليائسين.
ومن آمن بحكمته لم يكن من المترددين.
ومن آمن بجبروته لم يكن من المتردين
ومن آمن برزقه لم يكن من الطامعين.
ومن آمن بعدالته لم يكن من الظالمين.
ومن آمن بوعده لم يكن من المتقاعسين.

ومن آمن بوعيده لم يكن من المخالفين.

ومن آمن بذلك كله كان من عباد الله المقربين.

شجاعة أعرابى

دخل أعرابى إلى هشام بن عبدالملك، فقال: يا أمير المؤمنين أتت علينا ثلاثة أعوام، فعام أذاب الشحم، وعام أكل اللحم، وعام أنقى العظم، وعندكم أموال فإن تكن لله فبثوها فى عباد الله، وإن تكن للناس فلم تحجب عنهم؟ وإن تكن لكم فتصدقوا إن الله يحب المتصدقين.

قال هشام: هل من حاجة غير هذا يا أعرابى.

قال: ما ضربت إليك أكباد الإبل أدرع الهجير وأخوض الدجى لخاص دون عام.

فأمر له هشام بأموال فرقت فى الناس وأمر للأعرابى بمال فرقه فى قومه.

يا أيها الحمار الأزعر

كان عباس العقاد يعمل فى مقتبل حياته فى وظيفة كتابية وكانت المكاتبات فى ذلك العهد تلتزم صيغاً لا يقبلها الذوق العربى السليم، فإذا جاء موظف ولم يلتزم هذه الصيغ أعيدت إليه المكاتبات، وطلب إليه تغييرها حتى تأخذ طريقها إلى الاعتماد، وكان يرأس العمل رجل فى وظيفة باشكاتب، اشتهر فى أنحاء القطر بالحزم والمهابة والدراية بأصول الإدارة وأساليب المكاتبات، وقد ضاق العقاد ذرعاً به، لأنه كان يعيد إليه ما يكتبه ليصبغه حسب الكليشيهات المعهودة، وكان العقاد يرى أنها أساليب غير مقبولة عربياً، فاتجه يوماً إلى مكتب الباشكاتب ومعه المكاتبات التى ردها إليه فإذا به يجده وحيداً فى مكتبه، ففاجاه العقاد بقوله: «يا أيها الحمار الأزعر أمثلك يصحح الكتابة العربية، وأنت لا تعرف منها غير الهجاء، وكتابة العرضحالات» ولم يصدق الرجل أذنيه واستولى عليه أنه أمام مجنون يوشك أن يبطش به، ويعتدى على حياته، فقفز من كرسيه خارج الحجرة يستغيث بالفراشين والموظفين المساعدين، واتجه إلى مكتب وكيل العمل يشكو إليه، وكان رجلاً مرحاً فاستدعى العقاد وسأله فاقسم أنه ما خاطبه إلا بما يستحقه من الاحترام.

إذا كنت

إذا كنت تحب السرور فى الحياة فاعتن بصحتك.

● وإذا كنت تحب السعادة فى الحياة فاعتن

بخلقك.

● وإذا كنت تحب الخلود فى الحياة فاعتن بعقلك.

● وإذا كنت تحب ذلك كله فاعتن بدينك.

فاذكر محاسنها

إذا عظمت مساوىء زوجتك فى عينك، فاذكر محاسنها، وقل أن توجد زوجة ليس فيها بعض المحاسن.

الأعرابى.. والقمر

حكى أن أعرابيا ضل الطريق، فبات جزعا وأيقن بالهلاك، فلما طلع القمر اهتدى ووجد الطريق، فرفع إليه رأسه ليشكره، فقال له: والله ما أدرى ما أقول لك ولا ما أقول فيك.

أقول رفعك الله فالله قد رفعك، أم أقول نورك الله فالله قد نورك، أم أقول حسنك الله فالله قد حسنك، ولكن ما بقى إلا الدعاء أن ينسىء الله فى أجلك وأن يجعلنى من السوء فداك.

***

القلب.. واللسان

قيل إن لقمان النوبى الحكيم بن عنقاء بن يروق من أهل أيله أعطاه سيده شاة وأمره أن يذبحها ويأتيه بأخبث ما فيها، فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها، ثم أعطاه أخرى وأمره يذبحها ويأتيه بأطيب ما فيها فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها، فسأله عن ذلك، فقال له: يا سيدى لا أخبث منهما إذا خبثا، ولا أطيب منهما إذا طابا.

دعاء

اللهم رضنا بقضائك، وصبرنا على طاعتك وأوزعنا شكر نعمتك وغطنا برداء عافيتك، واجعل يدك ورحمتك مبسوطة علينا وعلى والدينا وأهلينا وعلى أولادنا وذوينا، واجعل الموت خير غائب ننتظره.

التوسل
بعض ماله وماعليه

لفضيلة الشيخ/ الطاهر الحامدى
الأمين العام للجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف

قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(١).

صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين.

لعلماء أصول الفقه عبارة موفقة تقول: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» وهذه العبارة على إيجازها وقلة كلماتها إلا أنها عظيمة المعنى جليلة الخطر وهكذا كل غال ونفيس فلو أنا قصرنا آيات القرآن وأحكامه على أسباب النزول لعطلنا القرآن كله وأوصلنا العلمانيين والحداثيين إلى أهدافهم وما يريدون للقرآن من تعطيل.

وليس من المقبول ولا من المعقول أن يقول أحد برأيه فى القرآن دون سند أو دليل وعلى صاحب الرأى ألا يتأثر بهواه أو يكون واقعا تحت تأثير حزبه وجماعته.

قال صاحبى وقد بدت عليه علامات الترقب والاهتمام كأنه يستعد لدرس أو حوار علمى: أرجو أن توضح لى ما قلت فأنا أطلب البيان بعد الإيجاز والتصريح بعد التلميح.

قلت: لا بأس عليك يغفر الله لى ولك. أما عن التفصيل والبيان فهما حق لكل طالب علم ودارس حتى يصل إلى أربه ومبتغاه من علمه الذى يعالجه وحتى يصل إلى يقينه من أحكامه التى يعتنقها ويؤمن بها ويلقى الله عليها ويعامل ربه بيقين ثابت.

ثم أردفت قائلاً لصاحبى: لابد حتى

(١) الآية/ ٦٤ سورة النساء.

نصل فى خلافنا أو نقاشنا إلى بر الأمان وإلى يقين ثابت أن نبدأ بالمسلمات التى نتفق عليها جميعا ومن هذه القاعدة الصلبة - قاعدة المسلمات الثابتة - ننطلق إلى مجالات الحوار والخلاف فنصل بها إلى يقين متفق عليه فمثلاً فى قضية التوسل يزعم بعض المنكرين له أنه شرك من دون الله ولذلك يرفضونه ولو علم هؤلاء أننا نبرأ، إلى الله من كل شرك ظاهر وخفى وأننا نعوذ بالله الواحد الأحد من كل شىء يبعدنا عن حضرته سبحانه لا إله إلا هو. وأنهم فيما يرموننا به يستشهدون بآيات من القرآن الكريم نزلت فى حق المشركين لما نهاهم الرسول ﷺ عن عبادة الأوثان من دون الله فزعموا جاهلين خاطئين أنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى.

قاطعنى صاحبى قائلاً: حب لأخيك ما تحب لنفسك وما رضيته لنفسك كيف لا ترضاه لغيرك فقد أوردت عبارة الأصوليين التى تقول «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» وقلت فيها ما قلت إعجابا وألزمت بها مخالفيك فكيف تبيح لنفسك أن تتخلص مما ألزمت به غيرك وتنقض قاعدة سبق أن أعلنتها فى حوارك مع مخالفيك، فهذه الآية بمقتضى قاعدة الأصوليين تجعل التقرب إلى الله عن طريق عبادة الأوثان أيا كانت هذه المعبودات حجارة أو بشراً ممنوعة وشركاً بالله مرفوضاً فليست هذه الآية قاصرة على زمن الرسالة!

بادرت صاحبى قائلاً: هذا قياس مع الفارق ووسائل الفقه والأصول تحتاج إلى عقل راجح يعرف كيف يطبق النصوص، حيث إن مايجوز فى موضع قد لا يجوز فى موضع آخر وإن تشابها ظاهريا حيث إن المشركين اتخذوا أوثانهم وأصنامهم أربابا يعبدونهم من دون الله فهم قصدوهم بالعبادة وتوجهوا إليهم بالعبادة واتخذوهم أربابا من دون الله، أما عن المتوسلين بأنبياء الله والصالحين من عباده فهم يعتقدون:

أولاً أن من يتوسلون بهم ما هم إلا عباد لله لكنهم أكثر صلاحا وقربا لله تعالى.

ثانيا: أنه بصلاحهم وبجاههم وقربهم من الله. يفرج الله عنا ما نحن فيه وأن لهم شفاعة ولصالح المؤمنين شفاعة وردت بها النصوص ولا ينكرها إلا جاحد محروم فقد ورد أن الرجل الصالح يشفعه الله فى أهله وجيرانه كما أن بعض الأماكن وبعض الأزمنة ذات قدر جليل ومكانة عند الله فقد ورد فى فضل المدينة المنورة الشىء الكثير وأن من مات بها يشفع فى سبعين من أهله قد وجبت لهم النار وليس هذا إلا بفضل من الله - سبحانه وتعالى - فليس لأحد أى اختيار أو عمل فى البقعة التى يتوفى أو يدفن فيها، إنما ذلك فضل الله لاينكره إلا جاحد محروم وقد أجمع المسلمون على أن البقعة التى حوت جسده الشريف ﷺ

هى أفضل بقعة على وجه الأرض، فلست أرى سببًا لأفضلية هذه البقعة إلا احتوائها على الجسد الكريم الطاهر فبذلك شرفت. فبالله عليك ألسنا مطالبين - صالحون وطالحون عاملون ومقسطون - أن نتحرى أوقات القبول وأمكنته حيث تتنزل الرحمات وتستمطر الفيوضات أم إننا نتلمس أماكن العذاب وأزمانه ثم ندعو فلا يستجاب لنا؟ فبالله عليك قل لى بم تفسر أن النبى ﷺ فى غزوة تبوك طلب من أصحابه إذا مروا بوادى الحجر أن يسرعوا الخطى حتى لايتعرضوا لعذاب الله النازل على أهل هذه الديار؟! ثم ألم يأمر النبى ﷺ بان لايشربوا من ماء هذا المكان وألا يصنعوا به خبزاً وأن من صنع منه خبزاً لا يأكله ولا يطعمه لحيوان أو راحلة[٢]. وما ذاك إلا لأن هذا المكان موطن عذاب نزل على أهل هذا المكان فبالمقارنة والقياس الجلى والعقل الراجح المستنير الخالى من التعصب والهوى لك أن تقول إن مواطن الرحمة هى التى تحوى رفات الصالحين والمؤمنين الموحدين الذين نحسبهم على خير مثل مقابر المسلمين الذين أمرنا أن نسلم عليهم وما ذاك إلا لأنهم أحياء يسمعون فيجيبون ولكن لانسمع جوابهم.

ثم قلت لصاحبى: ولماذا نذهب بعيداً وقد قرأنا ما فعله النبى ﷺ فى أول غزوة غزاها حيث قال وهو يرسى مبادىء الإسلام مخاطبًا قتلى المشركين: يناديهم كلاً باسمه يا فلان ابن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقًا. فقالوا له: يارسول الله كيف تخاطبهم بعد أن بلوا ورموا؟ فقال ﷺ: «والله ما أنتم باسمع لما أقول منهم ولكنهم لاينطقون». وفى المقابل أن شهداء المسلمين أحياء يتنعمون عند ربهم يرزقون وفى رحمة الله يرفلون ويتنعمون. فبالله عليك كما أن الأولى موطن غضب الله وفيها تتنزل اللعنات؟ أليست الثانية موطن رحمة وفيها وبها وبمن فيها تستمطر الرحمات ويستشفع؟

ثم واصلت حديثى قائلاً: لصاحبى هل يمكن لقائل أن يقول إن مخاطبة النبى ﷺ لأهل القليب شركًا بالله.؟

قاطنى صاحبى قائلاً: أى شرك فى هذا.

قلت: عفى الله عنك يبدو أنك لم تسمع بما قاله أحد العلماء الذين نكن لهم كثيرًا من التقدير وإن كنا لا نقر لهم كثيرًا من التشدد الذى يمارسونه كأنهم خلقوا البشر وكأنهم لم يسمعوا حديث رسول الله أو قل إنهم

(٢) راجع سيرة بن هشام، والسيرة الحلبية، والروض الأنف.

سمعوه وجنح بهم تعصبهم إلى هذا التشدد المقيت، يقول النبى ﷺ لاتنظروا فى ذنوب العباد كأنكم أرباب ولكن انظروا فيها كأنكم عبيد.

والناس رجلان: معافىً ومبتلى فارحموا أهل البلاء واسألوا الله العافية.

قال أحدهم فى تفسير الآية التى صدرنا بها الحديث

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾[٢].

مانصه (وهذا المجىء إلى الرسول ﷺ) مختص بحياته لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لايكون إلا فى حياته وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شىء، بل ذلك شرك [أ.هـ تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان] انتهى كلام الشيخ بنصه

ثم قلت لصاحبى: دعنى أسالك سؤالاً، هل لو طلبنا من الرسول ﷺ فى حياته ألا يكون شركًا أم أن الشرك مقتصر على الطلب منه ﷺ بعد مماته؟

ثم قلت لصاحبى: أرجوك أن تسمح لى بسؤال آخر، هل الحكم بأن سؤاله ﷺ بعد مماته يكون شركًا هو نتيجة منطقية لما أورده الشيخ من مقدمات؟.

فقد قال: إن السياق يدل على ذلك، وهذا حقه فى الفهم. لأنه منتهى علمه وإن كان غير مسلم لأنه تحكم فى النص لا مبرر ولا معنى له.

أما قوله «وأما بعد مماته فإنه لايطلب منه شىء» فذلك مرفوض لأنه دعوى بلا دليل وذلك من وجوه.

الأول: جاء فى حديث الإسراء والمعراج أن سيدنا إبراهيم أبا الأنبياء - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - قال للنبى ﷺ «مُر أمتك أن يكثروا من غراس الجنة.

قال: وما غراسها؟

قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله» فهاهو بعد انتقاله ومن عالم البرزخ ناشد النبى ﷺ ليعلم أمته.

ثانيًا: ماسبق أن قلناه من أن النبى ﷺ سال قتلى المشركين فى بدر عما وجدوه عند الله وطلب منهم إجابة وأقر بسماعهم بكلامه وفى ذلك قال حسان بن ثابت شعرًا، واقره النبى ﷺ فلماذا ننكر الواقعة ولا ننشد الشعر قال حسان بن ثابت:

يخاطبهم رسول الله لما
قذفناهم كباكب فى القليب.
ألم تجدوا حديثى كان حقًا
وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا
صدقت وكنت ذا رأى مصيب.

(٢) النساء/ ٦٤

كما أنه بمقتضى إيماننا بنعيم القبر وعذابه الثابت فى الأدلة القطعية التى لا ينكرها الشيخ ومنها أن النبى ﷺ مر على قبرين فقال: «إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير». والذى يعذب لابد أن يكون حيا يسمع ويحس وإلا فلا معنى للعذاب، وبالمقابل فإن الذى يتنعم لابد أن يكون حيا يسمع ويحس وإلا فلا معنى للنعيم وتعتقد أن المؤمنين جميعا الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أحياء يتنعمون كلٌّ على قدر إيمانه وصلاحه وعمله.

ثالثا: إن الحكم بالشرك يكون لمن يُثبتُ لمخلوق فعلا مع الله حيث إن الثابت المقرر أن الفاعل لكل شيء هو الله - سبحانه وتعالى - بتحقيق قوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٤).

وقوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾(٥).

فالفعل له سبحانه وعلى ذلك فمن يقول إن للحى فعلاً يسلب منه بعد موته فهو أولى بالشرك. وإن كنا لا نرمى به أحدا ترفعا عن التراشق المذموم بكلمات الكفر والشرك. وما نراه من عمل للبشر فى الدنيا ما هو إلا مباشرة للفعل فقط أما الخلق والإيجاد فهو لله - تعالى - ولذلك قال الصوفية بحق ـ الذين رأوا تعلق الإنسان بالناس والأسباب قالوا: «إن الأسباب هى الباب وهى الحجاب» فمن باشرها إمتثالاً لأمر الله - تعالى - معتقدا أن الفاعل والمؤثر والموحد هو الله - سبحانه وتعالى - كانت له بابًا للقرب والوصول إلى حضرة الله والنعيم بالمشاهدة فى مقام الإحسان. ومن باشرها معتقدا أن لها تأثيرا فى الخلق والإيجاد كانت له حجابا يحجبه عن الله

فلذلك نقول تأسيساً على ماسبق: إن مباشرة الأسباب طاعة وتركها معصية والاعتقاد فيها شرك نسأل الله السلامة والعافية.

قال صاحبى: جزاك الله عنا خيراً لقد أدركت الآن أن الشيخ تسرع فى الحكم بالشرك على مخالفيه وكان يمكن أن يقول إن الذى تكلم بهذا أخطأ.

قلت لصاحبى: إن هذه التهمة ـ تهمة الشرك ـ معلبة جاهزة يزعمها قومه وهو يلقيها فى وجه كل مخالف له فهو يضمن بذلك رضا الجماعة..! وتلك مصيبة كبرى نسأل الله السلامة.

وإلى لقاء آخر إن شاء الله

(٤) الصافات/ ٩٦

(٥) الزمر/٦٢

الإسلام والبعد الإنسانى فى التنمية

للأستاذ الدكتور/ عبد الله نجيب محمد

منذ عهد قريب كانت الأعمال البدنية كالقرع والطرق والسحق والطحن وخراطة الخشب كانت أعمالاً مألوفة، وكان الناس على صلة وثيقة بالأرض والريح والماء والمطر، وكان الناس يسيرون، يصعدون التلال ويهبطون إلى الوديان، كان الناس فيما مضى فى انسجام مع الأرض والسماء، وتغيير الفصول والشهور وإيقاعات الحياة، أما المعاصرون فقد وصلوا إلى النجوم، وارتادوا أعماق المحيطات وسبروا أغوار الأرض، ولكنهم فى ذلك الوقت انفصلوا عن بيئاتهم، وعن القوى المحيطة بهم وأصبحوا كأنهم كائنات بلا جذور، آلات آدمية تطير وتهبط من قارة إلى أخرى، يقيمون فى مساكن شاهقة لا علاقة لها بالأرض ولا بالسماء، يصعدون إليها ويهبطون بالمصاعد ويتحركون بالسيارات، فلم يعد لهم صلة فعلية بالعناصر المادية ولا حتى بالجاذبية الأرضية، مقلين فى أداء الأعمال اليومية التى كانت تربطهم بالعوالم.

فى الوقت الحاضر يتحمل الناس أبدانهم بصعوبة ويتقبلون على مضض أوزانهم ويسيئون استخدام معداتهم ورئاتهم ويتجنبون الحركة الخفيفة ومع زوال الأعمال التقليدية، ماتت الأعياد والاحتفالات التى كانت تجمعهم وتصلهم بإيقاعات الحياة وتعرض مباهاتهم ومرحهم الصاخب وتساعد على إقرار الأخوة بينهم وتقربهم من الإله وتغريهم بالأمل، انسحقت معانى الشعائر وقلت مساحة التبادل والتفاهم، وضاعت قيمة السكون والقداسة ومعنى الزمان وقيمة المكان وحتى النشوة، نشوة الجسد والروح، النشوة الطبيعية عادت وكأنها مهمة ثقيلة ينقصها الانفعال والانبهار.

وفى مجال العلم شاع نوع عجيب من الشرك المنهجى يتم فيه الفصل بين الجسد والروح، والعلم والسلوك، وبين الإنسان، والرجل والمرأة والمسجد والمدرسة، وصار التقدم فى الطب سبباً فى المرض، والتقدم فى الهندسة سببا فى ازدحام الشوارع وارتطام الرجل بالرجل، وتقدم الزراعة سببا فى تلوث المزروعات وفقدان نكهتها

الحقيقية، والتقدم التكنولوجى سبباً فى الخراب والدمار والحروب.

وأخيراً ارتفعت أصوات بعض المفكرين - على استحياء - تصف المشكلات التى يتمخض عنها النمو الاقتصادى الذى ينظر إليه كغاية فى ذاته، والذى ترتب عليه تدهور البيئة الطبيعية وظهور ضغوط جديدة تهدد الإنسان فى وجوده بوصفه كائناً اجتماعياً. ومن ثم ظهر ما يسمى «التنمية الشاملة» التى تأخذ فى اعتبارها إلى جانب العوامل الاقتصادية - عوامل ثقافية واجتماعية تضفى عليها الصفة الإنسانية.

إن مراعاة البعد الإنسانى فى التنمية يعنى الإقرار بأن التنمية يجب أن يكون هدفها النهائى إعادة الإنسان إلى ذاته وإحلاله فى نظام يعظم فيه وجوده وكرامته وفى مدنية تتقبله وتحتضنه بدلاً من أن تلفظه وتنفيه، وفى مجتمع يسوده التكامل والتضامن وفى عمل يمنحه الكرامة والحرية(1).

وهكذا يعود العلماء مرة أخرى إلى نقطة البداية.

وفى رأينا أن الازدهار فى المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية (بعض الوقت)، لم يكن سببه الأساسى دقة النظام وصحة الفلسفة والتقارير الاقتصادية التى أخذوا بها، وإنما كان أساس ذلك هو استغلال هذه المجتمعات لمجتمعات أخرى، بل إن النظام الرأسمالى، ما كان ليعيش أو يبدو فى صورته الباهرة تلك، إلا بهذا الاستغلال، بل إن النظام الرأسمالى نفسه قد وضع فلسفته وقوانينه ونظمه عند عدد من المجتمعات الغربية على أساس استغلال بقية المجتمعات فى العالم، سواء فى آسيا أو إفريقيا أو غيرها، نوع من الاسترقاق بصورة جديدة.

والآن بدا نوع من التحول المهم فى الاقتصاد العالمى، بل وفى المدنية العالمية التى قامت على الاستغلال، وبدا يتحطم نمط التقدم الاقتصادى والاجتماعى الذى استمر خلال الربع الأخير من هذا القرن، ووجد السياسيون والاقتصاديون وعامة المواطنين فى أنحاء العالم وجدوا أنفسهم فى عالم جديد تعرضت فيه أنماط الفكر والعمل المألوفة للتحدى، وأصبحت توقعات المستقبل يحيطها الشك والخوف.

كان مفهوم التقدم الاقتصادى غير المحدود والمستمر، قد وقر فى ذهن أساطين الرأسمالية فى جميع أنحاء العالم، نتيجة لازدياد الإنشاء والتعمير والإنتاج العالمى والتجارة العالمية والسيارات والسلع الاستهلاكية المعمرة، والإنشاء الواسع للمتاجر المتعددة الأغراض، إلى جانب مظاهر الترف الأخرى.

أما الآن فقد أصبحت حتمية النمو الاقتصادى، وحتى إمكانيته موضع تساؤل، وأدرك العالم أنه حتى الهواء والماء والغاز والبترول سلع محدودة المقدار، ويتحدث الاقتصاديون كثيراً عن مشكلات الطاقة والاستثمار ومشكلات نقص السلع الزراعية

(1) راجع عالمنا الوحيد كوكب فى خطر: مقتطفات من بحث عن المشكلات العالمية الكبرى، أعده: يوشيو اب الاستاذ بجامعة طوكيو واكثر من 15 باحثاً آخرين: عن مجالة رسالة اليونسكو مايو 1986.

والفائض فى السلع الصناعية، هذا مع ارتفاع معدلات زيادة السكان.

وقد تنبأت كثير من الأبحاث الاقتصادية أن أزمة فى المدنية العالمية سوف تحدث إن آجلاً أو عاجلاً، بسبب تلوث البيئة الناشىء عن التصنيع العالمى المطرد، أو بسبب تناقص الغلة فى الزراعة واستخراج المواد الخام، وظاهرة تناقص الغلة تتطلب تحويلاً متزايداً من الموارد العالمية لإطعام سكان العالم المتكاثرين، وتزويد الصناعة بالمواد الخام.

والواقع أننى أعتقد أن هناك خلطاً فى المعانى بين فكرتى (التقدم أو التحديث) وبين (التنمية) فالتقدم يوحى بنوع من المضمون الفلسفى والأخلاقى، فضلاً عن فكرة التحسين (المادى والمعنوى) وهذا المضمون، شأنه شأن أفكار الجمال والعدالة ذو طبيعة شخصية.

إن صورة المجتمع المثالى، الذى لعله الهدف الأخير للتقدم، ليست موضوع اتفاق بين الثقافات، بل ولا فى نطاق ثقافة واحدة، فهناك دائماً وجهات نظر فردية ومن ثم فإننى لا أرى كيف يمكن أن تعنى فكرة التقدم شيئاً أكثر من تزويد الإنسان بحالة من الرضا.

أما التنمية فهى مجرد وسيلة، مثلها مثل العلم والتقنية للوصول إلى التقدم الذى هو رغبة شائعة على نطاق واسع، حتى عند الأصوليين الذين قد يفضلون التقدم صوب عصر ذهبى انقضى، بدلاً من التقدم صوب مستقبل غير محقق.

وفى هذا الإطار، فإننى أرى أن تاريخ الحضارة الغربية - بشكل ما - لم يكن يهدف إلى الانتصار العالمى للعقل والروح بقدر ما كان انتصاراً للجسد والمادة، انتصاراً لعلاقات النمو الاقتصادى فى شكلها الخطى البسيط.

والغريب فى الأمر أن الغرب ينزع دائماً إلى محاولة توحيد جميع الشعوب فى نمط ثقافى واحد، تتوحد فيه الأذواق وأنماط السلوك والتفكير والعمل والإنتاج والاستهلاك ومنطق التوحيد هذا سوف يولد من غير شك نوعاً من الرتابة وقد يؤدى هذا المنطق إذا بلغ مداه إلى بشرية جامدة من حيث التنوع.

وفى الغرب نقرأ اليوم وعلى نطاق واسع، دراسات عديدة، يرتاب فيها المفكرون فى حقيقة ما سيئول إليه العالم إذا استمر هذا المفهوم القاصر للتقدم.

أما فى الشرق، فإن مفكريه وهم يشهدون إخفاق النموذج الغربى فى التقدم فإنهم يحاولون الانطلاق إلى مفهوم مختلف عن التقدم أكثر شمولاً ودفئاً وعزاء للإنسانية.

قد نتفق على هذا الطرح الذى طرحناه، وعلى أن فكرة التقدم المطرد والتنمية الاقتصادية الخطية، لا تحقق الرفاهية للإنسان، بل لعلها قد أضرت به، وقد نؤمن بالثقافة كهدف نهائى للتنمية، والسؤال الذى يطرح نفسه ما الذى يمكن أن نفعله، وكيف نمضى إلى غايتنا؟ كيف يمكن للشعوب صياغة نماذجها الخاصة فى التنمية؟ وكيف يمكنها أن تجد لها مكاناً فى عالم العولمة؟

لقد عاشت بلادنا قروناً وقروناً حياة دينية

وبرغم كل ما قيل عن تخلفها المادى، إلا أن كل الدلائل تشير إلى أنهم كانوا سعداء بحياتهم البسيطة وأن التقدم قد أضر بها أكثر مما نفعها، وأدى إلى إفساد عقائدها وتقاليدها وأخلاق أهلها، وأفسد البيئة الطبيعية والاجتماعية ولم يرقها.

وقد أرشدنا الإسلام إلى عدد من القيم، لو اتبعناها فسوف لا نعانى من ضغط المشكلات الاقتصادية بهذا الشكل العنيف، وهى فى الجملة حلول سلوكية غير مادية، ولكن نتائجها عظيمة ومؤثرة، ويمكن أن نذكر منها:

١ / أن مقياس سعادة الفرد وقوته وقدرته على العطاء لا يكمن فى مقدار الثروة التى يملكها بقدر ما يكمن فى إيمانه الصادق، وقدرته على مساعدة الآخرين والحد من رغباته المادية، والإسراف فى ماكله ومشربه ومسكنه وغير ذلك.

٢ / إن الإسلام لا يجعل من أهداف المسلم السعى وراء الثروة بكل سبيل.

٣ / إن الإسلام يدعو إلى البساطة فى المعيشة، وعدم الإسراف فى الاستهلاك.

٤ / إن مفهوم التنمية بمعنى زيادة دخول الأفراد، وزيادة السلع الكمالية، ليس من الأهداف ذات الأولوية فى الإسلام ذلك أن المجتمع قد ينتج إنتاجا غزيرا، وتتوافر لأفراده مستويات عالية من المعيشة، ومع ذلك يظل الناس فى مجموعهم لا يشعرون بالرضا والسعادة، إن الرضا والسعادة وقدرة الإنسان على العطاء والولاء لوطنه، ووقوفه مدافعاً عن حماه، لا تتأتى بغير شعوره بالأمان والحرية والعدالة، فإذا افتقد إحدى هذه الأسس الثلاث، فلا ينتظر منه أن يكون مواطناً صالحاً مفيداً لوطنه ومجتمعه، حتى ولو كان غنياً، يتمتع بكل نعم الحياة الحديثة.

ولذلك نحن نعتقد أن أساس ضعفنا ليس فى فقرنا بقدر ما هو فى مذلتنا وحاجتنا للآخرين، وفى خوفنا وشعورنا بعدم الأمان فى أوطاننا، وفى قلقنا لعدم توفر العدالة الكافية بيننا، ووجود مساحة هائلة من التفاوت فى الدخل بين أفراد المجتمع.

وبالإضافة إلى ذلك حدثت تغيرات جوهرية فى قيمنا الاجتماعية والاستهلاكية - المدنية الغربية مصدرها - ومزيد من الاعتماد على غيرنا، كذلك فإن عدم توافر العدالة والإدارة الديمقراطية قد أوجد كماً هائلاً من الوظائف غير المنتجة، ووجود مساحة هائلة من التفاوت فى الاستمتاع بالمال العام والخدمة العامة حيث تمكنت فئات بعينها من الحصول على امتيازات ضخمة فى صورة خدمات وتسهيلات متميزة.

وفى رأيى أنه ما لم نبدأ عاجلاً بوضع الحلول لهذه المشكلات فإن تدهوراً سريعاً سوف يحل بنا، وسوف تتوالى الأزمات والكوارث التى لا يمكن التغلب عليها، إن المهم فى كل ذلك هو مبدأ الإنسان وكيف يكون سوياً وسليماً.

فهل آن لمفكرينا من المسلمين أن يعيدوا صياغة مفهوم التنمية على أسس إسلامية، خالصة تعنى بالإنسان؟!

الواقعية والمثالية من المنظور الإسلامى

للأستاذ الدكتور/
محمد أحمد العزب

حين نتأمل تعريف الواقعية والمثالية فى غير الإسلام، وتعريفهما من الوجهة الإسلامية، نكون قد بدأنا نمسك على الفور بطبيعة المدخل الذى يمكن من خلاله أن نفضى إلى واقعية بلا كذب، وإلى مثالية بلا تزوير.. أو فلنقل: إلى واقعية مثالية تكسر طوق انحصارها فى ما هو واقع فحسب، وإلى مثالية واقعية، ترفض أن تصير مجرد همهمة فارغة بلا قابلية للتحقق الوجودى.

الواقعية - فى غير الإسلام - معناها: «ذلك المذهب الذى يقرر وجود العالم الخارجى مستقلا عن الفكر»، والمثالية - فى غير الإسلام - معناها: «الميتافيزيقا: أى ذلك الميل الفلسفى الذى يرجع جميع أنواع الوجود إلى الفكر، سواء أكان فرديا أم لا، فمعنى وجود الأشياء، هو إدراك الإنسان لها، ولا وجود لها فى ذاتها».

هذه تعريفات آثرت أن أنقلها حرفيا عن «معجم المصطلحات العربية» حتى لا يظن بنا نوع من الافتيات على هذه الواقعيات أو هذه المثاليات، فما الذى تمخض عنه هذا التصور غير الإسلامى للواقع وللمثال على السواء؟

تمخض عنه أن المثالية أصبحت تحديقا فى غير الواقعى، أى مجرد حركة جوفاء فارغة من المضمون، فإذا أحسنا بها الظن إلى مدى أبعد، كانت مجرد حركة مليئة بالمضامين الخرافية والأسطورية التى ترفض الواقع ولا ترشّده، وتحلق فوقه ولا تحلّق به، وهذا نزوع مدمّر من كل اتجاه، لأن الفكر المثالى حين يعيش واقع الخرافة لا واقع الواقع، إنما يمهّد فى نفس اللحظة لتدمير الواقع بالخرافة، وتدمير المثال بتفريغه تماما من مضمونه التاريخى.

وإذا كانت المثالية - فى غير الإسلام - تحليقا غير مسئول فى فضاء الأسطورى والخرافىّ، فإن الواقعية - فى غير الإسلام كذلك - تقف من ذلك على النقيض، أى أنها تلتحم بالواقع التحاما مباشرا، ولكن على أنه واقع بلا ضمير، واقع ينزع فى صدوره

عن شرية مطلقة، فى بواعثه وظواهره معا، واقع محكوم بالخسة، والنذالة، والجبن، والاغتصاب، والشر بلا حدود، حتى إن فيلسوف هذه الواقعية «بلزاك» كان يقول على لسان أحد أبطاله: «يجب أن تسقط بين الناس كقنبلة، أو تتسلل بينهم كوباء، أما الشرف فلا فائدة منه، إن الناس ينحنون أمام قوة العبقرية وهم يكرهونها».. وعلى هذا النحو من التشاؤم والسوداوية المطلقة عمقت الواقعية من مفهومها الأساسى: فى المسرح، والقصة، والتصوير، والنحت، والفلسفة، وقاد زعماؤها عملية الإبداع الفنى والفكرى تحت رايتها الوبيلة من هذا المنظور.

ولم تستطع هذه الواقعية أن تنجو حتى من مخالب بعض سدنتها، فقد هبَّ العديد من هؤلاء يرفضون انحصار الواقع فى هذا الفهم الغليظ، حتى صرخ أحدهم: «يجب أن لا نقصر ذلك الواقع على العالم الخارجى الموجود بشكل مستقل عن وعينا، فالشئ الموجود بشكل مستقل عن وعينا هو المادة، أما الواقع فيضم جميع التأثيرات المتبادلة العديدة التى يمكن أن يدخل فيها الإنسان بقدرته على التجربة والفهم، إن الفنان الذى يرسم منظرا طبيعيا يستفيد بقوانين الطبيعة التى اكتشفها علماء الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، لكن ما يصوره فى الفن ليس هو الطبيعة المستقلة عن شخصه، وإنما هو المنظر الطبيعى كما يبدو ومن خلال إحساسه، ومن خلال تجربته الخاصة، وليس الفنان مجرد أداة مرتبطة بجهاز حسّى يستطيع إدراك العالم الخارجىّ، بل هو - أيضا - ينتمى إلى عصر معين، وطبقة محددة، وأمة بعينها، وله مزاجه الخاص، وشخصيته المستقلة، ولهذه كلها دورها فى تحديد الأسلوب الذى يرى به، ويعانى، ويصور المنظر الطبيعى، إنها جميعا تشترك فى خلق واقع أكبر بكثير من مجرد مجموعة الأشجار والصخور والسحب مجموعة الأشياء التى يمكن أن توازن أو تحسب أو تقاس، إن هذا الواقع تحدده جزئيا نظرة الفنان الفردية والجماعية، والواقع فى شموله هو مجموع العلاقات بين الذات والموضوع، لا ماضيا فحسب، بل ومستقبلا أيضا، لا أحداثا فحسب، بل وتجارب ذاتية، وأحلاما ومخاوف وعواطف وخيالات كذلك».. فإذا كان ذلك من المنحى الفنى، فما بالنا بالمنحى العقيدى، الذى ينطوى على مفردات هائلة هذه بعض جزئياتها الصغيرة؟.

وإذن، فنحن حين نرفض الواقعية - غير الإسلامية - والمثالية - غير الإسلامية كذلك - إنما نرفض بالتحديد نوعيات من الخرافة الساذجة التى لا تحرك الواقع فى اتجاهه الصوابى، لأنها مشغولة عن هذه المسئولية بتأمل أسطورىٍّ فارغ من المضمون! ونرفض كذلك نوعيات من التعامل الأبكم مع هذا الواقع الكبير، الذى يضم ملايين الارتفاعات الشاهقة، ولا يعيش هكذا كما يريدونه بائسا فى قاع انحطاط واقعى مخيف.

من قال إذن: بأن المثالية الراشدة يمكن فقط أن تكون تحديقا فى الخرافىّ والأسطورى؟ مع أنها من الوجهة الإسلامية تحديد مثال ينبغى للواقع أن يزحف صوبه بلا إبطاء، حتى يحيله إلى مثال واقع، وليس مجرد مثال محايد!! ومن قال: بأن الواقعية الراشدة يمكن فقط أن تكون حركة دائرية لا تتطلع إلى ما هو خارج نطاقها المادى الغليظ؟ مع أن كل الأديان السماوية ما جاءت إلا لكى تنقذ هذا الواقع من انحصاره البائس فى واقعيته المحدودة وتشرف به على واقع أجمل وأرقى، واقع تتسع أرجاؤه حتى تصبح الأرض مجرد واقع على خريطته الكبيرة!!.

وإذا اتفقنا أساسا على أن الإسلام الحنيف هو الدين الذى أصل للواقعية والمثالية معا من وجهات متكافئة، فلماذا لا نتفق كذلك على أن الواقع المسلم المعاصر يبدو فى أشد الحاجة إلى عودة حميمة للاحتماء بقلاع إسلامه من جديد؟.

لقد تخلى الواقع المسلم المعاصر عن واقعيته ومثاليته جميعا.. إلا من عصم الله.. وحين فعل ذلك بدا واقعا معطوبا.. فارغا.. ممزقا.. كاسدا.. متسولا بلا حدود!! وتخلت المثالية المسلمة المعاصرة عن مثاليتها وواقعيتها جميعا.. إلا من عصم الله.. وحين فعلت ذلك، بدت مثالية خائفة.. منزوية.. عاجزة.. غير قادرة على توصيل ذاتها إلى الآخرين!!.

لماذا هذا البوار التاريخىّ.. وفى أيدينا مشاعل قهرت كل التاريخ.. وظلت صامدة مضيئة قادرة على الإشعاع والتواصل، وفضح كل زوايا الإعتام والظلام؟؟ ربما كان مثل هذا البوار التاريخى.. لأننا تصورنا أن مجرد انتمائنا إلى الإسلام.. شكلا لا مضمونا.. وقولا لا حركة فاعلة.. يمكن أن يعصمنا من الانهيار الذى نعانى بعضه الآن.. وهذه هى الوضعية المضللة التى حذرنا الإسلام من مجرد اقترافها أبدا.. فالإيمان تكليف.. ومكابدة عمل.. ومسئولية وجود.. وحافز فتح.. وبداية قتال مع كل الوجود حتى يسلم وجهه لله.. ليس الإيمان أبدا أن أقول.. آمنت.. ثم أنحرف.. ولكنه أن أقول: آمنت.. ثم أستقيم: «قل آمنت بالله.. ثم استقم».. والانحراف هنا ليس مجرد انحراف سلوكى صغير.. ولكنه انحراف عن الفقه الحقيقى.. وانحراف عن القتال المصيرىّ.. وانحراف عن التطور العاقل.. وانحراف عن الحضارة المتلئلة.. وانحراف عن الواقع النظيف.. وانحراف عن المثال الفاعل!!! والاستقامة هنا ليست مجرد استقامة سلوكية محدودة.. ولكنها استقامة على المنهج الشمولى أى على طريق الحق.. والخير.. والازدها.. والتفتح.. والإنماء.. وتعلية كل الوجود المسلم محتوى وإطارا.

ولو أن المعادلة كانت مجرد انتماء شكلى إلى الإسلام ثم لا شىء، أى مجرد رفع الشعار، لما كابد الرعيل الأول معاناة

صدامه مع كل القوى التاريخية المعاصرة له.. ولما انتضى المسلمون سيوفهم فى وجه أعتى قوى مسلحة فى العالم آنذاك.. ولما أمرنا نحن بالمرابطة فى سبيل الله.. على الحدود.. والثغور.. والتخوم.. حتى لا تكون فتنة.. ويكون الدين لله.. ولكن المعادلة كانت وماتزال وستظل إن شاء الله، إنتماء وجود إلى وجود، أى انتماء وجود إنسانى إلى وجود عقيدىّ، يتبادلان من خلاله جدل الحياة، وحتمية الكون، وبقاء النظير فى النظير!!.

ولماذا نجهد ذاكرتنا المكدودة فى تعليل هذه الوضعية الحضارية المخيفة التى نحياها؟؟.

إن البوار التاريخى الذى نعانى منه الآن.. حصاد طبيعى.. أو لنقل غير طبيعى.. للواقع الممزق الذى نعانى منه الآن وقبل الآن.. هذا الواقع الممزق.. هو الآخر حصاد طبيعى.. أو غير طبيعى.. لبعض تصورنا الآنىّ المريض.. لما ينبغى أن يكون عليه الواقع المسلم.. أى أن المثال الذى وضعه البعض فى غيبة من الوعى الإسلامى شرطا لواقعية إسلامية جديدة.. كان مغلوطا من بعض جوانبه على الأقل.. والمحصلة: هى ما نرى من تمزق فى العالم الإسلامىّ.. وتشتت فى الفكر الدينى.. وتخلف فى الوضع الحضارىّ.. وارتباك فى العلاقات الدولية.. لأن شرط النهوض الإسلامىّ ينبغى أن يبدأ من هذا المنطلق: أن يكون قرآنىّ الصدور.. محمدىّ السيف.. إسلامىّ الموقف.. وبعدها تجىء واقعية مسلمة بحجم كل الواقع وكل المثال.. أما أن نقاتل بسيوفهم أو بلا سيف.. ونندفع براياتهم أو بلا راية.. ونتحرك فى اتجاههم أو بلا اتجاه.. فإن ذلك يعنى على الفور أننا نسير أشواطا مخيفة إلى الوراء.. وأننا نقتل أروع ما فينا.. تطلعا إلى أقبح ما فى أيدى الأغيار.. لأننا سنصل فى النهاية - إن وصلنا - إلى واقع يصادم طبيعة الواقع الإسلامى، وإلى مثل منافية بطبيعتها للمثال الإسلامى.. وماذا يمكن أن ننتظر، حين نفقد المنطلق؟ غير أن نفقد القرار؟؟.

من هنا.. فإن الواقعية الإسلامية المعاصرة لا ينبغى أن تظل تنظيرا فكريا مجردا.. ولا ينبغى أن تظل المثالية الإسلامية المعاصرة حلما غير مأمول الوصول.. وإنما ينبغى أن تستحيل الواقعية الإسلامية إلى تعبير عن واقع حىّ.. والمثالية الإسلامية إلى تجسيد لمجرد القيمة فى مطلق الفعل.. وعندها.. يجوز لنا أن نتحدث عن واقعية إسلامية حقيقية.. وأيضا عن مثالية إسلامية حقيقية.. فرضا شروطهما على التاريخ يوم كان التاريخ رجالا لا مجرد سطور.. وسيعيد التاريخ نفسه إن شاء الله.. فنتحدث بصيغ قرآنية صرفة.. ونتحرك بنا لا بسوانا.. ونتجه إلى الله بقلوب تتسع لعطاياه.. وليس ذلك ببعيد إن شاء الله!!.

المؤسسات العلمية فى العصر الإسلامى

٤ - المدارس التعليمية

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

اهتم المسلمون اهتماما كبيرا بالتعليم والتربية، وكانت المدرسة إحدى المؤسسات التعليمية والتربوية والثقافية التى تميز بها المجتمع الإسلامى الأول. ويبدو أن «التعليم الابتدائى» بدأ منذ عهد النبى محمد ﷺ، الذى كان يطلق الأسرى فى مقابل أن يعلموا أولاد المسلمين. وفى عهد عمر بن الخطاب بدىء فى تنظيم تعليم الطلاب الصبيان؛ فنسمع عن «الكتّاب»، وقد انتشر هذا التعليم بعد ذلك وظهرت كلمات عديدة تدل عليه، ولا سيما فى عهد العباسيين؛ فنسمع عن «مكاتب الصبيان»، ومن يقوم بالتعليم فيها من مؤدّبين (أو معلمين). وتذكر المراجع أن أحد مؤدبى الصبيان كان عنده تسعمائة، وآخر كان عنده ثلاثة آلاف. ولعل التهذيب الخلقى كان أهم جانب من التعليم فى هذه المرحلة المبكرة من العمر، ولذا فإن مكان الدرس كان يسمى «مجلس الأدب» مثلما كان المدرس يسمى «مؤدبا». وكانت الدولة تشرف على هذه المجالس عن طريق المحتسب الذى كان من عمله أن ينذر المعلمين بألا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا. وكانت مقررات التعليم الإبتدائى أساسها التربية الدينية وعلوم الخط والحساب. وقد وضع الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان بنفسه برامج الدراسة لأبنائه، فقال لمعلمهم: «وعلمهم كتاب الله - عز وجل - حتى يحفظوه، وقفهم على ما بيّن الله فيه من حلال وحرام حتى يعقلوه، وخذهم من الأخلاق بأحسنها، ومن الآداب بأجمعها، وروّهم من الشعر أعفّه، ومن الحديث أصدقه، وجنّبهم محادثة النساء، ومجالسة الأظناء، ومخالطة السفهاء، وخوّفهم بى، ولا تخرجهم من علم

حتى يفهموه، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم».

وظهر فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) نوع من التعليم المتوسط متمثلاً فى شكل «المدرسة النظامية» التى أنشأها الوزير نظام الملك (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م) فى عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٧م، وأنشأ المستنصر العباسى «المدرسة المستنصرية» فى عام ٦٣١ هـ / ١٢٣٤م)، وقد كانت أشبه بمدينة فيها أربعة أروقة، كل منها يختص بمذهب خاص من مذاهب السنة، وكان عدد طلابها ثلاثمائة موزعين على الأروقة يتلقون العلم داخلياً وبالمجان، ويعطى الطالب إعانة مالية. وافتتح الحكم الثانى حوالى عام ٩٦٥م فى قرطبة سبعاً وعشرين مدرسة لأبناء الفقراء بالإضافة إلى المدارس الثمانى التى كانت فيها فعلاً. وفى القاهرة أنشأ المنصور قلاوون مدرسة لليتامى ملحقة بالمستشفى المنصورى، ومنح كل طفل فيها، يومياً، رطلاً من الخبز، وثوباً للشتاء وآخر للصيف.

وقد ازداد عدد المدارس فى بلاد الإسلام إلى حد كبير، واستمر بناؤها طوال فترة عصر الإسلام المزدهر، وفى جميع دوله، ينشؤها القادرون من الأفراد، بالإضافة إلى الملوك والأمراء. ويبدو أن بناء المدرسة المثالى كان يتكون من صحن (فناء) وإيوانات تحيط به عليها القباب، كما كانت تلحق بها مكتبة، ففى إحدى مدارس مصر فى أيام المماليك، ألحقت مكتبة بها مائة ألف مجلد. وتصف المستشرقة الألمانية سيجريد هونكه فى كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» جانباً من الحياة التعليمية فى الدولة الإسلامية، فتقول: «كان الطلبة يتناولون طعامهم مجاناً، ويتقاضون مرتباً صغيراً، ويسكنون فى الأدوار العليا فى المدرسة، دون مقابل؛ أما فى المهاجع، فثمة المطبخ والمخازن والحمامات، وفى الطبقة (الطابق) الأرضية تلتف الفصول وقاعات المكتبة على شكل دائرى خلف ممرات مظللة تزينها الأعمدة، وفى الوسط فناء فسيح تتوسطه نافورة ماء. هنا يتعلم شباب العرب الطموح القرآن وقواعد اللغة والديانة والخطابة والأدب والتاريخ والجغرافية والمنطق والفلك والرياضة، ويسهم الطلاب فى المناقشات والمناظرات، ويعيد معهم دروسهم مساعدون (أى معيدون) من طلبة الصفوف المتقدمة أو من الخريجين. وتبدو هذه المدارس كخلايا النحل الدائبة النشاط، تخرج للجميع شهداً حلواً فيه شفاء للناس، ولتقدم قادة للعلم والسياسة».

ويتضح من هذا النص أن دور «المعيد» — مثلما هو فى عصرنا — أن يعيد على الطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه.

أما الطريق الذى يسلكه الراغب فى تعلم فرع معين من العلوم، والذى يرغب الطالب أن يقوم هو بتدريسه يوماً من الأيام، أو العمل فى مجاله بعد إجازته، فكان يبدأ فى المساجد؛ فلم تكن المساجد مجرد أماكن لأداء الصلوات فحسب، بل كانت جامعات للعلوم والمعارف. وحول أعمدة هذا النوع من التعليم العالى كان

يجلس الأستاذ ويلتف حوله طلابه ومريدوه فى شكل حلقة أبوابها مفتوحة لمن يشاء، رجلاً كان أم امرأة، ولكل الحق فى سؤال الأستاذ أو معارضته. وكان هذا النظام أفضل دافع للأساتذة والطلاب على حد سواء، لكى يحرصوا على اتقان الدرس والتعمق فيه، كما كان يحمى تلك المجالس من أن يتسرب إلى التدريس فيها مدّعو العلم ومن لم تكتمل ثقافتهم. وكانت حلقات العلم فى الجامع الأزهر مثلاً تتعدد حتى تزيد على الأربعين حلقة.

وحول أعمدة المساجد أتيحت للطلاب دائماً فرصة التعلم والاستماع إلى الأساتذة الزائرين من كل أنحاء العالم الإسلامى المترامى الأطراف، كما كان المتعلمون يحرصون خلال رحلات الحج على زيارة مراكز الثقافة الإسلامية الواقعة على مقربة من طريقهم إلى مكة المكرمة، فيستمعون لكبار الأساتذة فى القاهرة أو دمشق أو بغداد أو القيروان. ويفرز هذا التلاقح الثقافى على أيدى هؤلاء المعلمين والمتعلمين أفكاراً علمية تنتشر فى كل البقاع.

وهنا تلفت «هونكه» الانتباه إلى جانب أخلاقى بالغ الأهمية، تظهر من خلاله قيمة الأمانة العلمية فى نقل مثل تلك الأفكار ونسبتها إلى أصحابها، فلم يكن المسلم يحرك فمه بأفكار سرقها عن غيره، وكان مألوفاً مثلاً أن نسمع من أستاذ علامة قوله: «أخبرنى يحيى بن عيسى أنه سمع من أبى بكر البغدادى كيف شرح سعيد ابن ياقوت فى إحدى محاضراته أن ......» ولم يكن لأحد أن يأخذ آراء أستاذه التى ألقاها شفويا فى إحدى محاضراته ليدرسها لتلاميذه دون أن يستأذن أستاذه صاحب الرأى نفسه. وبذلك كان حفظ حق المؤلف — بلغة العصر — مرعياً مقدساً، ورثته الجامعات الغربية عن المدارس العليا والجوامع الإسلامية.

ومن المدارس العليا الشهيرة فى العالم الإسلامى، بالإضافة إلى المساجد الجامعة، المدرسة الرشيدية والأمينية والطرخانية والشريفية فى سوريا، والناصرية والصلاحية فى مصر. ولم تخل مدينة هامة من مدرسة نظامية أو أكثر، كالإسكندرية، ونيسابور، وسمرقند، وأصفهان، ومرو، وبلخ، وحلب، وغزنة، ولاهور، وغيرها. كما ظهرت فى أسبانيا معاهد كثيرة للدراسات العالية، ومن أشهر الجامعات الأسبانية جامعات: قرطبة، وأشبيلية، ومالقة، وغرناطة. وإلى جامعات أسبانيا هذه كان يفد الطلاب الأوربيون للتعلم والدراسة.

وتجدر الإشارة فى هذا الصدد إلى الاهتمام بتعليم النساء المسلمات، وإن وجدنا أول نداء لتعليمهن من قبل المبعوث معلما ﷺ، حيث اعتبرت زوجته عائشة — رضى الله عنها — حجة فى الدين الإسلامى. وقد وجدنا نساء شاعرات وأديبات وقابلات، كما كان النساء يحضرن مجالس الوعاظ وتكون بينهن وبين الرجال ستارة.

واهتم علماء المسلمين بالتربية والتعليم فى مختلف مراحل العمر، وخصصوا كتباً لذلك، فألف حجة الإسلام الغزالى — على سبيل المثال

– كتاب «إحياء علوم الدين» الذى بين فيه أن عملية التربية تتعاون فيها طبيعة المتعلم وبيئته، وأن دراسة المعلم لنفسية تلاميذه بقصد إيجاد الصلة الروحية بين المعلم وتلميذه دون أن يرفع الكلفة حتى لا يفسد خلقه، وأن يبتعد به عن التدليل، ويعوده الخشونة حتى لا يغلب عليه الكسل. وينبغى أن يعوّد الأخلاق الكريمة، فيقوم لمن فوقه، ويعوّد ألا يبصق فى مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب. ويربأ الغزالى بالمعلم الإسلامى أن يطلب الأجر لقاء التعليم – على غرار ما يعرف اليوم بالدروس الخصوصية – فإن من يقبل من المعلمين المال لا يجد الاحترام الكافى، ويشير إلى ذلك بقوله: «إن من طلب بالعلم المال، كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه، فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما، فكان المعلم يحصل غالباً على المال عن طريق الهبات؛ كما نظم أجر المدرس فى عهد الأيوبيين والمماليك، وبلغ فى أيام صلاح الدين أربعين ديناراً للمدرس وعشرين ديناراً للمعيد، وكل يوم له ستين رطلاً من العيش، هذا غير كعك ولحم فى عيدى الفطر والأضحى.

وربما نجد فى المستشفيات الإسلامية خير نموذج لتدريس العلوم التخصصية، فقد كانت بمثابة مدارس عالية للطب. وكان الطلاب يتلقون فيها كل ما قاله أبو قراط، وجالينوس، وما جاء به أساتذتهم المسلمون أنفسهم الذين اتبعوا فى تدريس الطب طريقة عملية تفرض على الطلاب أن يحتكوا بالمرضى ليقابلوا بين ما تعلموه نظرياً وما يشاهدونه عملياً. وكان المبدأ الأساسى المعمول به فى امتحانات التخصص هو الاهتمام بحقل معلوم لدرجة الإتقان، ويدل على ذلك صيغة الشهادة التى حصل عليها أحد الأطباء المختص بالجراحة الصغيرة.

«بسم الله الرحمن الرحيم.. بإذن البارى العظيم نسمح له بممارسة فن الجراحة لما يعلمه حق العلم ويتقنه حق الإتقان حتى يبقى ناجحاً وموفقاً فى عمله. وبناء على ذلك، فإن بإمكانه معالجة الجروحات حتى تشفى، وبفتح الشرايين، واستئصال البواسير، وقلع الأسنان، وتخييط الجروح وتطهير الأطفال.. وعليه أيضا أن يتشاور دوما مع رؤسائه ويأخذ النصح من معلميه الموثوق بهم وبخبرتهم».

هذه هى بعض المؤسسات العلمية التى قامت عليها الحضارة العربية الإسلامية، وكانت سبباً فى رقى العلوم وانتشارها.

أهم المراجع:

١- د. عبدالمنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨م.

٢- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨١م.

٣- م. شريف، الفكر الإسلامى، منابعه وآثاره، ترجمة د. أحمد شلبى، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٦م.

تيَّار الإحيَاء والتجَديد

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

فى تيار الإحياء والتجديد لثقافتنا العربية وفكرنا الإسلامى.. وهو تيار عريض - وبه هو الآخر فصائل متمايزة، إن فى ميادين اهتماماتها، أو فى حظها من التجديد، أو فى مقاييس التجديد لديها - .. فى هذا التيار، نستطيع أن نرصد أسماء عشرات من العلماء الأعلام.. لكننا نشير إلى بعض من أبرز قادة هذا التيار.. من مثل: رفاعة الطهطاوى [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ - ١٨٠١ - ١٨٧٣م] وخير الدين التونسى [١٢٢٥ - ١٣٠٨هـ ١٨١٠ - ١٨٩٠م] وجمال الدين الأفغانى [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] والإمام محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] وعبدالله النديم (١٢٦١ - ١٣١٤هـ ١٨٤٥ - ١٨٩٦م] وعبدالرحمن الكواكبى [١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ ١٨٥٤ - ١٩٠٢م] ومحمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ ١٨٦٥ - ١٩٣٥م] وحسن البنا [١٣٥٤ - ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ - ١٩٤٩م] ومحمد الخضر حسين [١٢٩٣ - ١٣٧٧هـ ١٨٧٦ - ١٩٥٨م] ومصطفى كامل باشا [١٢٩١ - ١٣٢٦هـ ١٨٧٤ - ١٩٠٨م] وطلعت حرب [١٢٩٣ - ١٣٦٠هـ ١٨٧٦ - ١٩٤١م] وسعد زغلول [١٢٧٣ - ١٣٤٦هـ ١٨٥٧ - ١٩٢٧م] ومصطفى عبدالرازق [١٣٠٢ - ١٣٦٦هـ ١٨٨٥ - ١٩٤٦م] ومحمد مصطفى المراغى [١٢٩٨ - ١٣٦٤هـ ١٨٨١ - ١٩٤٥م] وعبدالعزيز جاويش (١٢٩٣ - ١٣٤٧هـ ١٨٧٦ - ١٩٢٩م] وأحمد حسن الزيات [١٣٠٢ - ١٣٨٨هـ ١٨٨٥ - ١٩٦٨م] وعبدالجليل عيسى [١٣٠٥ - ١٤٠٠هـ ١٨٨٨ - ١٩٨٠م] وعلى الخفيف [١٣٠٨ - ١٣٩٨هـ - ١٨٩١ - ١٩٧٨م] وعبدالوهاب خلاف [١٣٠٥ - ١٣٧٥هـ - ١٨٨٨ - ١٩٥٦م] ومحمد حسين هيكل [١٣٠٥ - ١٣٧٥هـ ١٨٨٨ - ١٩٥٦م] وعباس محمود العقاد (١٣٠٦ - ١٣٨٣هـ ١٨٩٩ - ١٩٦٤م] وعبدالحميد بن باديس [١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ ١٨٨٧ - ١٩٤٠م] ومحمد الفاضل بن عاشور [١٣٢٧ - ١٣٩٠هـ ١٩٠٩ - ١٩٧٠م] وعلال الفاسى [١٣٢٦ - ١٣٩٤هـ ١٩٠٨ - ١٩٧٤م] وعلى مبارك [١٢٣٩ - ١٣١١هـ ١٨٢٣ - ١٨٩٢م] وقاسم أمين [١٢٨٠ - ١٣٢٦هـ ١٨٦٣ - ١٩٠٨م] وزكى مبارك [١٣٠٨ - ١٣٧١هـ ١٨٩١ - ١٩٥٢م] وشكيب أرسلان [١٢٨٦ - ١٣٦٦هـ ١٨٦٩ - ١٩٤٦م] وغيرهم.. وغيرهم من أعلام هذا التيار.

وإذا كان تراث حقبة الجمود والتراجع فى حضارتنا العربية الإسلامية، قد كان بضاعة تيار التقليد للموروث.. وإذا كان النموذج الحضارى الغربى قد مثل منابع ومنطلقات تيار التقريب.. فإن المنابع التى انطلق منها تيار الإحياء والتجديد قد تمثلت فى:

● مبادىء الإسلام، كما تمثلت فى منابعه الجوهرية والنقية: البلاغ القرآنى، والبيان النبوى للقرآن الكريم، كما تمثل فى السنة النبوية الثابتة.

● وثوابت التراث العربى الإسلامى، التى مثلت قسمات الهوية الحضارية للأمة، والتى حفظت لأجيالها تواصلها الحضارى ووحداتها كأمة عبر الزمان والمكان.

● وكل ما أبدعه العقل الإنسانى، فى مختلف الحضارات، مما هو «إبن الدليل»، كما تمثل فى الحقائق والقوانين التى مثلت وتمثل العلوم التى لا تتغاير موضوعاتها بتغاير الحضارات والمعتقدات.. أى العلوم الموضوعية المحايدة، التى هى «مشترك إنسانى عام» متميز عن «العلوم الإنسانية» - ومنها الثقافة - التى تدخل فى الخصوصيات التى تتمايز فيها الحضارات..

تلك كانت المنابع الفكرية لتيار الإحياء والتجديد..

وإذا نحن شئنا أن تكون إشاراتنا لأهم الملامح الفكرية لمشروع الإحياء والتجديد الذى صاغه هذا التيار، وبشّر به، ودعا إليه.. وإذا شئنا أن تكون إشاراتنا هذه موثقة وصادقة فى التعبير عن حقيقة ملامح هذا المشروع.. فإننا نستطيع أن نتحدث بلسان أعلامه، فنقول إنهم


محمد عبده

قد أرادوا مشروعا تجديديا لا يقيم قطيعة مع التراث، وإنما يتجاوز المتخلف منه ذلك الذى تجاوزه التطور.. ولا يقيم قطيعة مع الحضارات الأخرى، وإنما يميز فى عطائها بين «المشترك الإنسانى العام» وبين «الخصوصيات» التى تتميز بها تلك الحضارات.. ولا يدير ظهره للواقع - حاضرا ومستقبلا - فيهجره إلى الماضى - كما فعل تيار التقليد للموروث - أو إلى «الآخر الحضارى» - كما فعل تيار التغريب - وإنما أراد هذا التيار استلهام الموروث، والاستعانة بالوافد الملائم، كمنطلقات لإبداع جديد للواقع العربى والإسلامى الجديد.. فالإبداع هو الهدف والأساس والسبيل إلى الإحياء والتجديد، فى مذهب أعلام هذا التيار..

● وإذا كان الإمام محمد عبده - وهو المهندس الأعظم لفكر هذا التيار - قد حدد أهدافه العامة.. فإننا واجدوها: الإحياء والتجديد فى ثلاثة ميادين:

الأول: تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة، قبل ظهور

الخلاف، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه، وتقل من خلطه وخبطه، لتتم حكمة الله فى حفظ نظام العالم الإنسانى. وأنه - أى الدين - على هذا الوجه - يعد صديقا للعلم، باعثا على البحث فى أسرار الكون، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالبا بالتعويل عليها فى أدب النفس وإصلاح العمل - كل هذا أعده أمرا واحدا -..

أما الأمر الثانى: فهو إصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير، سواء كان فى المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها، أو فيما تنشره الجرائد على الكافة مُنشأ أو مترجما من لغات أخرى، أو فى المراسلات بين الناس..

أما الأمر الثالث: فهو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة.. فالحاكم، وإن وجبت طاعته، هو من البشر الذين يخطئون، وتغلبهم شهواتهم، ولا يرده عن خطئه، ولا يقف طغيان شهوته، إلا نصح الأمة له بالقول والفعل..

وإذا كان الإمام محمد عبده قد حدد، فى هذه الكلمات، ميادين الإحياء والتجديد.. فإنه قد نبه على تميز هذا التيار، عندما استطرد فقال: ولقد خالفنا فى الدعوة إلى ذلك رأى الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة:

أ- طلاب علوم الدين، ومن على شاكلتهم..

ب- طلاب فنون هذا العصر، ومن هو فى ناحيتهم..(1)

تلك هى ميادين الإحياء التى عمل فيها تيار التجديد، المتميز عن تيارى التقليد والتغريب..

وإذا كانت قد سبقت إشارتنا إلى نقد الإمام محمد عبده لجناحى تيار التقليد للموروث- أبناء المؤسسات التعليمية الموروثة.. والنصوصيين.. فإن الأفغانى يؤكد تميز هذا التيار عن تيار «التغريب» بحديثه عن الموقف من «علوم» الغرب، ومن «ثقافة» الغرب، وذلك عندما يعرض لما صنعه العثمانيون والمصريون فى «التحديث على النمط الغربى»! فيقول: «لقد شيد العثمانيون عدداً من المدارس على النمط الجديد، وبعثوا بطوائف من شبانهم إلى البلاد الغربية ليحملوا إليهم ما يحتاجون من العلوم والمعارف والآداب.. وكل مايسمونه «تمدنا»، وهو فى الحقيقة تمدن للبلاد التى نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنسانى!

فهل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك، وقد مضت عليهم

(1) الإمام محمد عبده (الأعمال الكاملة) جـ٢ ص ٢١٨، ٢١٩، دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

أزمان غير قصيرة؟!

نعم، ربما وجد بينهم أفراد يتشدقون بألفاظ «الحرية»، و«الوطنية»، و«الجنسية»، وما شاكلها.. وسموا أنفسهم «زعماء الحرية».. ومنهم آخرون قلبوا أوضاع المبانى والمساكن، وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية، وسائر الماعون، وتنافسوا فى تطبيقها على أجود مايكون منها فى الممالك الأجنبية، وعدوها من مفاخرهم.. فنفوا بذلك ثروة بلادهم إلى غير بلادهم!.. وأماتوا أرباب الصنائع من قومهم.. وهذا جدع لأنف الأمة، يشوه وجهها ويحط بشأنها!..

لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة، المنتحلين أطوار غيرها، يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها.. وطلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات، يمهدون لهم السبيل، ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم؟!

إن أب العلم وأمه هو الدليل، والدليل ليس أرسطو بالذات، ولا جاليليو بالذات.. والحقيقة تلتمس حيث يوجد الدليل..

وإن الظهور فى مظهر القوة، لدفع الكوارث، إنما يلزم له التمسك ببعض الأصول التى كان عليها آباء الشرقيين وأسلافهم.. ولا ضرورة فى إيجاد المنعة، إلى اجتماع الوسائط وسلوك المسالك التى جمعها وسلكها بعض الدول الغربية الأخرى، ولا ملجىء للشرقى فى بدايته أن يقف موقف الأوربى فى نهايته بل ليس له أن يطلب ذلك وفيما مضى أصدق شاهد على أن من طلبه فقد أو قر نفسه وأمته وقرا[2] أعجزها وأعوزها![3]»


مصطفى كامل

ويزيد مصطفى كامل باشا موقف هذا التيار من «الهوية» الحضارية وضوحاً وتحديداً، عندما يحدد علاقة «الوطنية» بـ«الجامعة الإسلامية» وعلاقة حضارتنا بالحضارة الغربية فيقول: «إننا نريد أن تكون مصر للمصريين، ونرفض قطعياً كل نير أجنبى..

وإذا كنا نطلب إرشاد أمتنا الى الحقيقة الدينية، فما ذلك إلا لأن الأضاليل والأكاذيب والخزعبلات، التى راجت بين العامة، باسم الدين قلبت حقيقة هذا الدين، فصار الجهل والتأخر والانحطاط، وكل الآفات، مما يلقى على الدين وينسب إليه، والدين منه براء. لذلك كان من المستحيل إحياء الأمة وإنهاضها بغير الحقيقة الدينية، لأنه لا سبيل إلى إبادة جيش الباطل، الذى

(٢) أى أزلها وصدعها.

(٣) (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى) ص ١٩٥، ١٩٧، ٥٣٢. تحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

ألف ونظم باسم الدين، إلا بالدين نفسه فالتعليم الدينى ليس فرضا من الوجهة الدينية فحسب، بل هو كذلك أيضاً من الوجهة الوطنية.

إن بث الحقيقة الدينية بين المسلمين من أكبر الأسباب الموجدة للتسامح والتقرب من الشعوب الأخرى، إذا لا تعصب مع علم، ولا نفرة مع نور ورشاد، فمن منفعة العناصر كلها أن يعرف المسلمون دينهم على حقيقته، وأن تزول أوباء الجهالات والخرافات من بينهم..

ونحن إذا اعتمدنا على الإسلام وقواعده وأوامره وإرشاداته، وأخذنا من المدنية الغربية فوائدها ومنافعها، واعتبرنا بعبر التاريخ، وتركنا النزاع الذى أضر بمصر والإسلام، واجتنبنا كل افتراق وشقاق، وبلغنا أقصى مايرام من مجد وعز وسؤدد ومقام رفيع[4].

فتقليد الغرب شىء.. والأخذ من المدنية الغربية الفوائد والمنافع شىء آخر.. و«إحياء الأمة وإنهاضها بغير الحقيقة الدينية مستحيل».

● ويزيد الإمام محمد عبده هذه الحقيقة.. حقيقة ضرورة «إسلامية النهضة والإحياء والإصلاح» يزيدها حسما وتأكيدا، عندما يقول: «إن الدين هو سبيل لمزيد الإصلاح فى المسلمين ولامندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية» عن صبغة الدين يحوج المصلح إلى إنشاء بناء جديد، ليس عنده من مواده شىء ولا يسهل عليه أن يجد من عماله أحدا..

وإذا كان الدين كافلا بتهذيب الأخلاق وصلاح الأعمال وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولأهله الثقة فيه، وهو حاضر لديهم، والعناء فى إرجاعهم إليه أخف من إحداث ما لا إلمام لهم به فلم العدول عنه إلى غيره؟![5]

● لكن محورية الإسلام فى النهضة والإصلاح لدى هذا التيار تيار الإحياء والتجديد قد جاءت موقفاً متميزاً عن موقف المقلدين للموروث، أولئك. الذين وقفوا عند تراث عصور التراجع والتخلف الحضارى.. وعن موقف النصوصيين، أولئك الذين وإن كانوا قد طهروا العقائد من البدع والخرافات، إلا أن جمودهم عند حرفية النص قد جعلهم يهملون إعمال العقل فى الوعى بمرامى النصوص وملابساتها ومقاصد الشريعة وحكمها وغاياتها..

(٤) مصطفى كامل: فقرات من خطبة بالإسكندرية فى ٣ مارس سنة ١٨٩٦م. وخطبة فى الإسكندرية فى ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٠٧م. وخطبة فى ذكرى تنصيب محمد على باشا حاكما على مصر. فى ٢١ مايو سنة ١٩٠٢م. انظر كتابنا (الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل) ص ٨٧، ٩٥ ـ ٩٧ طبعة بيروت سنة ١٩٧٦م.

(٥) (الأعمال الكاملة) جـ٣ ص ٢٣١.

ففى منهج تيار الإحياء والتجديد نجد «العقل: هو جوهر إنسانية الإنسان.. وأفضل القوى الإنسانية على الحقيقة[6].. وهو نقطة الافتراق التى ميزت الإنسان عن غيره من الحيوانات.. والتى جعلها الله محور صلاحه وفلاحه[7]..»

وإذا كانت «الحكمة»: ثمرة من ثمرات العقل، لأنها: هى الإصابة فى غير النبوة.. فإنها - أى الحكمة - فى منهج هذا التيار: «هى مقننة القوانين، وموضحة السبل، وواضعة جميع النظامات، ومعينة جميع الحدود، وشارحة حدود الفضائل والرذائل، وبالجملة، فهى: قوام الكمالات العقلية والخلقية.. فهى أشرف الصناعات!..»[8].

● وليس مقام العقل هذا - فى منهج هذا التيار - خاصاً بالعمران الدينوى وحده.. بل إن هذا هو مقامه وتلك هى مكانته فى تحصيل الإيمان الدينى أيضاً؟!.. فإذا كان العقل هو آداة النظر والتدبر والتفكر.. وإذا كان الإيمان هو التصديق القلبى الذى يبلغ مرتبة اليقين، فإنه «لا يقين مع التخرج من النظر، وإنما يكون اليقين بإطلاق النظر فى الأكوان، طولها وعرضها، وحتى يصل إلى الغاية التى يطلبها بدون تقييد.. فالله يخاطب، فى كتابه، الفكر والعقل والعلم، بدون قيد ولا حد.. والوقوف عند حد فهم العبارة مضربنا، ومناف لما كتبه أسلافنا من جواهر المعقولات..

والقرآن - وهو وحده المعجز الخارق - قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم.. فهو معجزة عرضت على العقل، وعرفته القاضى فيها، وأطلقت له حق النظر فى أنحائها، ونشر ما انطوى فى أثنائها.. فالإسلام لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلى، والفكر الإنسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى، فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة، ولايخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية..

والمرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به.. فمن ربى على التسليم بغير عقل، والعمل، ولو صالحا، بغير فقه، فهو غير مؤمن، لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير، كما يذلل الحيوان، بل القصد منه: أن يرتقى عقله، وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان فى دينه، فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله، ويترك

---

(٦) المصدر السابق. جـ٥ ص٤٢٨، جـ٢ ص٢٩٨.

(٧) (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى) ص٢٥٦، ٢٥٧.

(٨) المصدر السابق. ص ٢٦٠.

الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته فى دينه ودنياه!..»[9].

● وفى الوقت الذى استعار فيه تيار التغريب مفهوم «الوطنية» الضيقة، المناقض لوحدة الأمة الإسلامية، ووحدة ديار الإسلام.. وجاهر أعلام هذا التيار - بلسان أحمد لطفى السيد باشا (١٢٨٩ - ١٣٨٣هـ، ١٨٧٢ - ١٩٦٣م) - بأن «الجامعة الإسلامية خرافة.. لا أثر لها ولا وجود.. وأن القول بأن أرض الإسلام وطن لكل المسلمين قاعدة استعمارية تنتفع بها كل أمة مستعمرة تطمع فى توسيع أملاكها ونشر نفوذها كل يوم فيما حوالها من البلاد.. وأن المصرى: هو الذى لا يعرف له وطنا غير مصر..»![10].

وهو المفهوم الذى يبرر التجزئة الاستعمارية الغربية لوطن العروبة وعالم الإسلام.. فإن تيار الإحياء والتجديد - الذى بعث الوطنية - كدائرة انتماء - على يدى مصطفى كامل باشا - قد نبه على خطر هذا المفهوم الغربى والضيق للوطنية، خطره على وحدة الأمة الإسلامية.. فكتب الإمام محمد عبده يقول: «لقد انحلت الروابط الملية، بل تقطع أكثرها، حتى كادت الأمة تخرج عن كونها أمة حقيقية متكافلة بالمصالح الاجتماعية والتعاون على الأعمال المشتركة التى تحفظ وحدتها. وطفق بعض هؤلاء «المتمدنين» الذين قطعوا روابطهم بأيديهم يفكرون فى جعل الرابطة الوطنية تؤهل كل قطر بدلا من الرابطة الملية الجامعة لأهل الأقطار الكثيرة، فلم يفلحوا، ولكن أثرّ كلامهم أردأ التأثير!..»[11].

● وبينما رأى تيار التغريب - بسبب التقليد لمناهج الغرب - فى إسلامنا: مسيحية، تدع مالقيصر لقيصر وما لله لله.. وفى الخلافة الإسلامية: دولة الكهانة التى استبدت باسم السماء والتفويض الإلهى والسلطة الدينية.. نبه تيار الإحياء والتجديد على تميز الإسلام فى هذا الميدان.. ميدان علاقة الدين بالدولة.. «فليس فى الإسلام سلطة دينية، سوى سلطة الموعظة الحسنة.. وهى سلطة خولها الله لكل المسلمين، أدناهم وأعلاهم.. وليس للخليفة.. أو القاضى، أو المفتى، أو شيخ الإسلام أية سلطة دينية.. بل إن كل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهى سلطة مدنية!.. فليس فى الإسلام سلطة دينية بوجه من الوجوه..»[12].

لكن رفض الإسلام هذا للسلطة الدينية، ليس هو موقف المسيحية التى تقف عند حدود الرسالة الروحية، وخلاص النفوس،

---

(٩) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ٢ ص ١٥١، ٢٧٩ - ٢٨١، جـ٤ ص٤١٤.

(١٠) أحمد لطفى (قصة حياتى) ص٦٧، ٧٠، ١٢٤، ١٢٣ طبعة دار الهلال القاهرة سنة ١٩٨٢م.

(١١) (الأعمال الكاملة) جـ٤ ص٦٨٢.

(١٢) المصدر السابق. جـ٢ ص١٧٥، جـ٢ ص ٢٨٥، ٢٧٦، ٢٨٨.

وبملكة السماء.. وليس العلمانية الغربية التى تفصل الدين وتعزل أحكامه عن الدولة والعمران وعلومهما وشئونهما.. لأن الإسلام دين ودولة.. بلاغ وتنفيذ.. وبعبارة الإمام محمد عبده، أيضا: «فإن الإسلام: دين وشرع، فقد وضع حدودا، ورسم حقوقا.. ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود، وتنفيذ حكم القاضى بالحق، وصون نظام الجماعة، وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى فى عدد كثير، فلابد أن تكون فى واحد، وهو السلطان أو الخليفة.. وليس من أصول الإسلام أن يدع ما لقيصر لقيصر، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله، ويأخذ على يده وعمله.. فكان الدين بذلك عند أهله: كمالا للشخص، وألفة فى البيت، ونظاما للملك..»(١٣).

فنحن هنا، فى فكر هذا التيار، أمام مشروع للإحياء والنهضة والتجديد، يدعو أعلامه إلى:

● «سلفية - عقلانية - مستنيرة» فى فهم الدين، على النحو الذى فهمه منه «الجيل المؤسس» جيل الصحابة والتابعين.. قبل ظهور الخلاف الذى افتعلته المؤثرات الأجنبية.

● وإلى «عقلانية إسلامية» متميزة عن عقلانية الغرب - اليونانية والحديثة.. عقلانية تقر النقل فى ضوء العقل، وتضبط العقل بالنقل فيما لا يستقل بإدراكه، وتؤسس الإيمان الدينى على النظر العقلى، فتنقذ الإنسان من الخصوصية التى لا عقل لأهلها.. ومن الوضعية التى لا تؤمن إلا بثمرات الحواس والمحسوس.

● وإلى تأسيس النهضة على الإسلام.. وعلى ثمرات إبداع الحضارات الأخرى فيما هو مشترك إنسانى عام، فى ميادين العلوم التى حقائقها وقوانينها موضوعية محايدة، لا تتأثر بتغاير العقائد والحضارات، لأنها ابنة الدليل، تلتمس حيث يوجد الدليل.

● وإلى بعث الروح الوطنية والروابط القومية، كلبنات ودوائر انتماء فى البناء الأعم والأشمل، الذى هو وحدة الأمة والملة فى المصالح والحضارة والاعتقاد.

● وإلى شمولية الإسلام - بالوسطية - لمختلف جوانب الحياة الإنسانية والعمران البشرى.. الدين والدولة.. الفرد والطبقة والأمة الوطنية والقومية والجامعة الإسلامية والإنسانية.. الروح والجسد والدنيا والآخرة.. إلخ.. إلخ على النحو الذى يعصم نهضة الأمة ومشروعها الحضارى من الانشطارية والثنائية التى مزقت وتمزق العقل الغربى حيال هذه الثنائيات.

تلك هى أبرز ملامح مشروع الإحياء والتجديد، الذى دعا إليه وجاهد فى سبيل

---

(١٣) المصدر السابق. جـ٣ ص ٢٨٧، ٢٢٥، ٢٢٦.

تطبيقه، هذا التيار.

وإذا كان «العقد.. المنظم» لهذا التيار قد انفرط بعد «الحزب الوطنى الحر» وجمعية العروة الوثقى وهما التنظيمان اللذان قادهما جمال الدين الأفغانى.. وانفرط عقدهما بوفاته - فإن أعلام هذا التيار قد أقاموا العديد من التنظيمات.. والمؤسسات.. والمنابر الفكرية.. وأسهموا فى الأحياء والتجديد بمختلف السبل والوسائل.. فمن «دار العلوم» إلى «مدرسة القضاء الشرعى» إلى تيار مجلة «المنار» إلى جمعية «أم القرى».. إلى «جماعة العلماء الجزائريين» إلى العديد من الأحزاب.. والصحف.. والمجلات.. ودور النشر.. والجامعات.. والكتب.. التى مثلت القنوات التى عبرت منها معالم هذا المشروع الحضارى إلى عقول قطاع واسع وأفئدة جمهور عريض من أبناء هذه الأمة، على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام.

صنع هذا التيار ذلك، رغم الحصار والتضييق اللذين فرضا عليه من تيارى التقليد والمحاكاة، التقليد للموروث والمحاكاة للتغريب!

● فعبد الله النديم: يرفع راية الدفاع عن العربية.. ووحدة الأمة.. وتميز تقاليدها.. فى مواجهة الذين انطلقوا - بعد الهزيمة العسكرية لجيش الثورة العرابية يقلدون الغزاة المنتصرين!

● وقاسم أمين: يدافع فى (الرد على داركور) عن تميز التمدن الإسلامى عن



عبدالله النديم



قاسم امين

التمدن الغربى.. ويضبط فى «تحرير المرأة» حريتها بالضوابط الإسلامية - وذلك قبل أن يميل فى «المرأة الجديدة» إلى قدر من التغريب.

● وسعد زغلول الذى قاد أعظم ثوراتنا الوطنية فى العصر الحديث، يرفض العلمانية الغربية، ويتعجب من «جهل» الشيخ على عبد الرازق (١٣٠٥ - ١٣٨٦هـ ١٨٨٧ - ١٩٦٦م) الذى زعم فى كتابه «الإسلام وأصول الحكم» أن الاسلام «رسالة روحية» لا علاقة له بسياسة الدولة والعمران.. فيكتب قائلا: «لقد قرأت كتاب الإسلام وأصول الحكم بإمعان، لأعرف مبلغ الحملات عليه من الخطأ والصواب. فعجبت أولا كيف يكتب عالم دينى بهذا الأسلوب فى مثل هذا الموضوع؟!

لقد قرأت كثيرا للمستشرقين ولسواهم، فما وجدت ممن طعن منهم فى الإسلام حدة كهذه الحدة فى التعبير، على نحو ما كتب الشيخ على عبد الرازق.

لقد عرفت أنه جاهل بقواعد دينه، بل

بالبسيط من نظرياته، وإلا فكيف يدعى أن الإسلام ليس مدنيا؟! ولا هو بنظام يصلح للحكم؟؟!.

فأية مدنية من نواحى الحياة لم ينص عليها الإسلام؟ هل البيع؟ أو الإجارة؟ أو الهبة؟ أو أى نوع آخر من المعاملات؟؟!

ألم يدرس شيئا من هذا فى الأزهر؟ أو لم يقرأ أن أمما كثيرة حكمت بقواعد الإسلام فقط عهوداً طويلة كانت أنضر العصور؟ وأن أمما لا تزال تحكم بهذه القواعد، وهى آمنة مطمئنة؟ فكيف لا يكون الإسلام مدنيا ودين حكم؟!

وأعجب من هذا ما ذكره فى كتابه عن الزكاة! فأين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية الأزهرية؟! والذى يؤلمنى حقا، أن كثيرا من الشبان الذين لم تقو مداركهم فى العلم القومى، والذين تحملهم ثقافتهم الغربية على الإعجاب بكل جديد، سيتحيزون لمثل هذه الأفكار، خطأ كانت أو صوابا، دون تمحيص ولا درس، ويجدون تشجيعا على هذا التحيز فيما تكتبه جريدة «السياسة» وأمثالها من الثناء العظيم على الشيخ على عبد الرازق، ومن تسميتها له بالعالم المدقق، والمصلح الإسلامى والأستاذ الكبير.. الخ.



سعد زغلول — مصطفى عبدالرازق

وكم وددت أن يفرق المدافعون عن الشيخ بين حرية الرأى وبين قواعد الإسلام الراسخة، التى تصدى كتابه لهدمها!(١٤)

لقد كتب سعد زغلول هذا الكلام فى ٢٠ اغسطس سنة ١٩٢٥م - أى قبل وفاته بعامين - فأثبت به وفيه أنه قد ظل طوال حياته الفكرية الابن البار لتيار الإحياء والتجديد، والتلميذ الوفى لفكر جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده.

● أما الشيخ مصطفى عبد الرازق: فإنه ينهض بعبء التأسيس لذلك التحول الذى أحدثه هذا التيار فى حقل الدراسات الفلسفية، وذلك عندما يقدم فى كتابه «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية» نظرية تميز الفلسفة الإسلامية عن فلسفات الأمم الأخرى؟ وكيف أن عقلانية الأمة الإسلامية قد تجلت فيما أبدعه المسلمون

(١٤) محمد إبراهيم الجزيرى (سعد زغلول: ذكريات تاريخية) ص ٩١ - ٩٣ طبعة كتاب اليوم. القاهرة وانظر كتابنا (معركة الإسلام وأصول الحكم) ص ١٤٩، ١٥١ طبعة دار الشروق. القاهرة سنة ١٩٨٩م.

فى «أصول الفقه وأصول الدين» فأرسى بذلك معلما من معالم التميز للمشروع الحضارى الذى أبدعه تيار الإحياء والتجديد.

● أما رشيد رضا: فهو الذى حفظ الإستمرارية لفكر هذا التيار قرابة أربعة عقود.. تحول فيها (تفسير المنار) إلى معلم جديد لمنهج جديد فى تفسير القرآن الكريم.. وغدت فيها مجلة (المنار) منارة التجديد والإحياء على إمتداد عالم الإسلام.

● وكان الخضر حسين: فارس المعارك الفكرية لهذا التيار ضد المتغربين - وخاصة فى كتابيه: (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) و (نقض كتاب فى الشعر الجاهلى).. كما كان فارس التجديد بما كتبه فى الشريعة.. واللغة.. وسبل الإصلاح.. وفارس الجهاد الوطنى، بالمركز الذى أقامه - بالقاهرة - لدعوات وحركات التحرير الوطنى الإسلامية وخاصة فى بلاد الشمال الأفريقى.

● أما حسن البنا: فإنه الإمام الذى انتقل بمشروع النهضة هذا من إطار الصفوة المثقفة والنخبة المفكرة إلى أحضان الأمة، وأيدى الجماهير.. فلقد جاء فى حقبة عمت فيها بلوى الاحتلال الأجنبى، والتشرذم القطرى، والهيمنة التغريبية كل أنحاء ديار الإسلام.. فكان لابد من أن تحمل الأمة - وليس فقط علماءها - مسئولية التربية والإعداد والاستعداد لمواجهة التخلف الموروث والاستلاب الحضارى بهذا المشروع الحضارى الجديد.. مشروع الإحياء والتجديد.. فقدم الرجل فى هذا الميدان أعظم ما يمكن أن يقدمه مجدد مجاهد استشهد وهو لم يتجاوز الأربعين من عمره إلا بسنوات ثلاث؟!.



الخضر حسين

تلك إشارات إلى طرف من معالم المشروع الحضارى لتيار الإحياء والتجديد.. ونماذج من مواقع نفر من إعلامه.. آثرنا فيها التمثيل.. فلم نعرج على ابن باديس.. والنهضة التى أعاد بها الجزائر إلى العروبة والإسلام.. ولا على الكواكبى.. وإنجازاته فى الحرية، والعروبة، ومعالجة أسباب التخلف ووسائل النهوض.. فالحديث عن هذا التيار حديث «مجلدات» لا «سطور» فى صفحات!!(١٥)

(١٥) انظر كتابنا: (مسلمون ثوار) و (الإمام محمد عبده) و (جمال الدين الأفغانى) و(رفاعة الطهطاوى) و (عبدالرحمن الكواكبى) و (على مبارك) و(قاسم أمين) و(تيارات الفكر الإسلامى) و(الصحوة الإسلامية والتحدى الحضارى) طبعة دار الشروق القاهرة.

حتى لا يأتى الغروبُ

للأستاذ الدكتور / على أحمد الخطيب

هذا التعبير - على بساطته الشديدة - كان الهدف الأساسى والرئيسى لساسة بريطانيا منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر، حتى إذا قدم القرن العشرون كانت - حقا - الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس، فقد انتشرت مستعمراتها عبر قارات العالم كله، وصار الهدف الأساسى لكل زعيم بريطانى أن تبقى إنجلترا الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس!!

لكن، هل كانت تستطيع..؟!

إن رئيس وزرائها «كامبل بترمان» كان يرى الحقيقة المؤلمة التى يمكن أن تعصف بالإمبراطورية، وتأتى أرضها فتنقص من أطرافها، وتأذن - بذلك - للشمس أن تغيب!

كان ذلك عام (١٩٠٧) وعلى مكتبه البحوث العلمية الصادقة التى تكشف عن خواء أوروبا، واستنفاد مواردها، ويعنى ذلك أن يتم البحث عن موارد لا تعطيها حاجتها فحسب، بل تسمح لها أن تعيش فى بذخ ورفاهية، فكتب إلى علماء أوروبيين ذوى تخصصات عالية فى التاريخ والقانون والسياسة يدعوهم إلى «لجنة بحث» تلتقط أوروبا من هوة الردى التى توشك أن تأتى عليها.

حتى إذا اجتمعت اللجنة خاطبها محدداً مهمتها قائلاً:

«إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى، ثم تستقر إلى حد ما، ثم تنحل رويدا رويدا وتزول والتاريخ مليء بمثل هذه الأمثلة، وهى لاتتغير بالنسبة لأية إمبراطورية أو أمة، فهناك الامبراطوريات: روما وأثينا والهند والصين، وقبلها: بابل وآشور والفراعنة وغيرهم، فهل يمكن الحصول على «أسباب» أو «وسائل تحول دون سقوط الاستعمار الأوروبى وانهياره، أو تؤخر مصيره المظلم، بعد أن بلغ الآن الذروة، وبعد أن أصبحت أوروبا قارة قديمة استنفدت مواردها، وشاخت معالمها، بينما العالم الآخر[1] لايزال فى شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية». [2]

وأمهلهم فترة لدراسة الوضع وتقديم الحلول.

وقدم هؤلاء العلماء نتيجة أبحاثهم فى هيئة تقرير سرى إلى وزارة الخارجية البريطانية، يقتطف د. أحمد شلبى منه بضعة حقائق، فيقول: وهاك مقتطفات منه:

«إن الخطر ضد الاستعمار فى آسيا، وأفريقيا: ضئيل، ولكن الخطر الضخم يكمن فى البحر المتوسط، وهذا البحر همزة الوصل بين الغرب والشرق.. وحوضه مهد الأديان والحضارة، ويعيش فى شواطئه الجنوبية والشرقية - بوجه خاص شعب [3] واحد تتوافر له: وحدة التاريخ والدين واللسان، وكل مقومات التجمع والترابط، هذا فضلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية.

فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل الحديثة وإمكانات الثورة الصناعية الأوروبية، وانتشر التعليم بها، وارتقت الثقافة..؟

إذا حدث ما سلف فستحل الضربة القاضية حتما بالاستعمار الغربى.

وبناء على ذلك فإنه يمكن معالجة الموقف على النحو التالى:

١ - على الدول ذوات المصالح المشتركة[4] أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة.. وتأخرها، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل.

٢ - ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقى - فى هذه المنطقة - عن الجزء الآسيوى، وتقترح اللجنة لذلك «إقامة حاجز بشرى قوى وغريب يحتل الجسر البرى الذى يربط آسيا بأفريقيا بحيث يشكل فى هذه المنطقة - وعلى مقربة من قناة السويس - قوة صديقة للاستعمار، وعدوة لسكان المنطقة» [5] اهـ

«ومن هنا أصبحت فلسطين.. ضرورة للسياسة الغربية، ومن أجل ذلك اتجهت الجهود إلى استعمار الإبادة، أو تحويل فلسطين من بلد عربى إلى غربى على نحو ما

(١) يقصد القارتين: آسيا وأفريقيا وأمثالهما من ذوات الأرض البكر.

(٢) د/ أحمد شلبى - مقارنة الأديان... اليهودية - ص١٠٠ ط٨ السنة ١٩٨٨ مطابع كل العرب.

(٣) واضح أنه الشعب العربى.

(٤) وهى الدولة الاستعمارية: انجلترا، فرنسا، أسبانيا، هولندا... الخ.

(٥) نفس المرجع ص١٠٠ ومابعدها.

(٦) نفس المرجع ص١٠٢.

تم فى استراليا ونيوزيلندا وأمريكا،[6] أهـ

وحشر ـ فعلا ـ الحاجز البشرى، أو الجسم الغريب (إسرائيل) فى المنطقة طبقا لتوصيات «لجنة بترمان» ليقوم بتكريس الاستعمار، وتشكيل هوية جديدة لفلسطين على النحو الذى يحقق لأوروبا ما تريده من بذخ ورفاهية واستعمار أبدى.

وهيهات هيهات لتلك الأحلام!!

كانت توصيات لجنة بترمان فى النهاية من العقد الأول للقرن العشرين، وأنشئت إسرائيل ـ فى النهاية من العقد الخامس للقرن نفسه، واعترفت بها الولايات المتحدة عقب دقيقتين ـ فقط والله ـ من إعلانها.

وهذا الجانب السياسى لاستعمار المنطقة لم يكن كل شىء.

كان هناك جانب آخر فاجأ انجلترا، وبقدر ما ضاقت به فى البداية بقدر ما نشطت لمواجهته علميا، فهو يكرس لها غزوا جديدا، ليس لثقافة المنطقة فحسب، بل للثقافة الاسلامية لسبر جذورها الروحية، ومعرفة حقيقة هذه الروح، وموقفها من هذا المد الغربى، ثم مواجهة أركان هذه الثقافة لتبديدها ـ إن أمكن ـ أو ـ على الأقل ـ لإسكانها والسيطرة عليها.

ولأستاذنا العالم النابه الدكتور محمد البهى الفضل فى كشف هذا الجانب لنا.[7]



د. محمد البهى

وقد وعينا حديثه، والحمد لله.

بدأ هذا الجانب مع الحرب العالمية الأولى التى انطلقت شرارتها فى النصف الأخير من العقد الثانى للقرن العشرين عندما بدا أن أوروبا قد تسقط تحت الحكم القيصرى لألمانيا، ونشطت انجلترا لحربها مع حلفائها، وكان لألمانيا أيضا حليف له أهميته هو تركيا التى كانت يومئذ مقر الخلافة الإسلامية.

ونلاحظ أن الفارق بين حوادث لجنة بترمان وإعلان هذه الحرب نحو عشر سنين، ومستعمرات انجلترا يومئذ منتشرة غربا وشرقا، وأهم مستعمراتها فى الشرق «الهند».

رأت انجلترا أن تعد جيشا ـ بقدر ما يكون ـ من الهنود، وأصدرت أوامرها بذلك، وقام الضباط الإنجليز الموكل إليهم إنشاء هذا الجيش باختيار الجنود وتدريبهم فنيا وعسكريا للمهام التى ستوكل إليهم، كما فعلوا ـ نفس الأمر ـ بمستعمراتهم فى أفريقيا، وبخاصة جنوبها.

لاحظ الضباط أن فريقا غير هين من

(٧) هو أستاذ الفلسفة بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر، وله مؤلفات عديدة تتسم بالعلم الجاد واستقصاء القضايا فيما عرض له من دراسة. رحمه الله رحمة واسعة، وقد قامت مجلة الأزهر بالتعريف له وإصدار «العلمانية» من مؤلفاته.

هؤلاء الجنود الهنود متهاون تماما فى أداء واجباته العسكرية، ورأى الضباط أن القمع ليس من الحكمة، وقد يثير مشاكل تفسد خطط الحرب فى هذه المنطقة، فرفع الضباط أمر هؤلاء الجند إلى قياداتهم العليا بانجلترا، فأمرتهم هذه بدراسة أسباب التهاون حتى يمكن معالجتها، وإذا هى سبب واحد لا أكثر.

كان هؤلاء الجند مسلمين، وأصروا ـ فى أنفسهم ـ ألا يكونوا محاربين للخليفة المسلم.. قال الضباط لهؤلاء الجنود: إن الخليفة فى تركيا، وهو لا يحكم الهند؟

قال الجند: ولو.. لا نحارب الخليفة.. إنه لا يحكمنا ولكنه خليفتنا.

وكان هذا الحادث هو النبع الذى انطلق منه وجوب دراسة الإسلام دراسة مستفيضة وعكف علماء من انجلترا على هذه الدراسة التى انتهت إلى أمرين جوهريين لن يمكنا الاستعمار ـ بحال ـ من سكون أو طمأنينة طالما كانا من الأركان الأساسية لشريعة الإسلام هما:

- الجهاد الذى شرع أساسا لحماية الأرض الإسلامية.
- وأن يكون على المسلمين حاكم مسلم.

[وسكتت انجلترا تماما عما عرفته بشأن «الجهاد» وعلى سبيل المثال: أنه لم يشرع عدوانا وبلاء على الناس، واهتمت فقط بتصويره سيفا مسلطا على رقاب غير المسلمين، فعلى هؤلاء ألا يأمنوهم لأنهم ـ أى المسلمين ـ إرهابيون بالطبيعة.. طبيعة الإسلام:

وتناست من طبيعة الإسلام قوله تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة ٢٤٤)

﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

(البقرة ١٩٣)

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

(الممتحنة: ٨، ٩)

تناست انجلترا هذه الأحكام والحدود، وهى على علم بها لتصل ـ فقط ـ إلى هدفها الذى تريد].

واستطاعت بـ«قاديانى» أن تحقق هدفها ـ أو كما ارتضت لنفسها أن تفهم، فقد أفتاها: القاديانى بأنه لا ضرورة للجهاد، لأنه إنما شرع لنشر الإسلام، وقد انتشر.

[ومن هنا نبتت فكرة انتشار الإسلام بالسيف].

وأن من الممكن أن يحكم المسلمين غير مسلم مادام لا يتدخل فى شئون دينهم.[8]

أعدت انجلترا برنامجها لتشويه الإسلام مستخدمة فى ذلك من الجواسيس والمستشرقين ما شاء لها من جنود مستهدفة فى ذلك أمرين ترى أنه لا نجاح لها إلا بتحقيقهما:

١ - إبعاد الإسلام عن روح المسلمين بجذبهم إلى حضارة الغرب البراقة بمختلف أساليبها مع إعداد المال اللازم لكل أسلوب منها.[9]

٢ - الحيلولة التامة عن يقظة تعيد المسلمين إلى ممارسة الدين بطريقة يهيمن بها على كل حياتهم وبدأ الغزو مصحوبا بالتطبيق العنيف، وفى غمرة من نشوة النصر، أو ما اعتبره الانجليز نصرا دهمتهم الحرب العالمية الثانية، وجرفت - فى طريقها من ثروتهم الأخضر واليابس - حتى إذا انتهت كانوا المعدم المنصور، على أنه فى الفترة ما بين الحربين استطاعت بعض الأقطار أن تحظى باستقلالها، وأن تأخذ حظا طيبا من دينها.



فوستر دالاس



نيكسون

مضافا - إلى ذلك - ما طرأ على العالم من رياح الشيوعية، واعتناق كثير من أبناء العالم الثالث لها، مما ارتعدت له فرائس الولايات المتحدة وانجلترا معا، والتمسا «الدين» جزرا لمدها.

وفى أولى طبعات «حرب أم سلام» لـ«جون فوستر دلاس» وزير خارجية الولايات المتحدة الاسبق - ذكر أنه استدعى للوزارة - وكان وقتئذ مندوب الولايات المتحدة بهيئة الام - وسلم خطابا سريا واردا من بريطانيا، ليعلم منه أن بريطانيا تخبر الولايات المتحدة بعجزها ماليا عن مباشرة واجباتها تجاه المستعمرات، والأقطار الأخرى التى نالت استقلالا ظاهريا، وأن على الولايات المتحدة أن تقوم بملء الفراغ، وإلا اكتسحتها الشيوعية».

(٨) انتهى مارعيته عن استاذى الفاضل الدكتور محمد البهى فيما عدا مابين الأقواس المربعة. رحمة الله تعالى عليه.

(٩) راجع - على سبيل المثال للاستاذ جرجس سلامة - تاريخ التعليم الاجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين - رسالة علمية جيدة نشر الرسائل الجامعية - المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية رسالة يجب أن تقرأ، وانظر - ايضا - على سبيل المثال للدكتور ا.ج. اربرى - المستشرقون البريطانيون.

وفى طبعة تالية كتب «دلاس»:

«وفى أوائل سنة ١٩٤٧م أخبرت الحكومة البريطانية حكومتنا سرا بأنها تشعر بأنها غير قادرة على المضى - وحدها - فى اليونان، وأنه ما لم تكن الولايات المتحدة مستعدة للمساعدة فإنها قد تنسحب، مع ما قد يترتب على ذلك من احتمال سقوط اليونان ومحاصرة تركيا، ووقوع شرق البحر الأبيض المتوسط بأكمله والشرق الأدنى تحت سيطرة الشيوعية السوفيتية.

ومضى دلاس يقول:

(وكانت المجازفة بذلك من الأمور الخطيرة بحيث قرر «الرئيس ترومان» أن على الولايات المتحدة أن تتدخل لسد الثغرة)

وهكذا ورثت الولايات المتحدة تركة بريطانيا، وبدأت مخطط العدوان على الإسلام سافرا بعد سقوط الشيوعية، فأعلنت ضرورة بقاء «حلف الناتو» لأن الإسلام أشد خطرا من الشيوعية وكتب الرئيس الأسبق نيكسون كتابه المعروف ضد الإسلام وزودت بريطانيا الولايات المتحدة بكل برامجها الممهدة لحرب الإسلام فى جداول تفصيلية تضم اثنتين وسبعين نقطة توضح:

أ- مظاهر التخلف عند المسلمين.

ب- وما يقابلها من إنكار الإسلام لها.

جـ- ثم أخرى تذكر ما بقى للمسلمين من قوة.

د- إلى رابعة تطلب توسيع نقاط الضعف فى المسلمين لطمس معالم القوة فيهم.

وضع ذلك كله تراثا كاملا للولايات المتحدة من مخلفات «لورانس» و«همفرى» وغيرهما من عملاء انجلترا السابقين، وصار فى النهاية بين يدى الرئيس «بوش».

ولم يكذب بلير حين قال: «أنا تابع» وهل كان يملك أن يقول غيرها.

وفات أولئك أنهم - يحاربون الإسلام نفسه.. أى يحاربون الله - عز وجل.

وإنا لمنتصرون وقد خاب من افترى

***

ما أشبه الليلة بالبارحة

للأستاذ الدكتور / عبد الحليم حفني

وأعنى بالليلة هذه الحملة الكاذبة الظالمة التى تواطأ فيها أعداء الإسلام اليوم على وصف الإسلام بأنه دعوة للإرهاب، وأنه منبع للعنف وسفك الدماء، ولذلك فهم يواصلون ليلهم بنهارهم، ويتواصى الأقصى منهم والأدنى بأنه لا خلاص للعالم مما هو فيه إلا بالقضاء على هذا الدين، وأعنى بالليلة البارحة تلك الحرب الجائرة الباغية التى شنها أعداء الإسلام على هذا الدين فى حياة النبى ﷺ، والتى حشدوا فيها كل ما يملكون، وكل ما اخترعته عقولهم من فنون الحرب، وهذا موضوع واسع مستفيض، يحتاج إلى بحث مستقل، ويمكن إيجاز أهم عناصره فى النقاط التالية، ولكن قبل ذلك ينبغى أن يقال:

إن علماء الحرب وخبراءها من البدهيات لديهم أن الحرب ليست نوعا واحدا، وأن الحرب العسكرية التى تستحوذ دائماً على اهتمام الناس ومشاعرهم ليست إلا لوناً واحداً من ألوان الحرب، وأنها ليست أخطر ألوان الحرب، بل هناك ما يفوقها أهمية وخطرا، فالحرب العسكرية لا تسمى حربا شاملة، بل هى حرب نوعية، أما الحرب الشاملة فهى التى تجتمع فيها عناصر ثلاثة هى:

الحرب النفسية

وهى أخطر أنواع الحرب وأشدها تأثيرا فى العدو إذا أحسن استخدامها، وقوامها تشكيك العدو فى قوته وفى أحقية موقفه، وفى مقدرته على المقاومة، ثم محاولة إقناعه بأن عدوه هو صاحب الحق، وهو الأقوى فى الحرب، ومن المعروف أن الحرب النفسية كانت الوسيلة أو السلاح الذى اكتسح به التتار الإمبراطورية الإسلامية قديما، والسلاح الذى اكتسح به هتلر معظم دول أوروبا فى العصر الحديث.

ومنذ بدأت دعوة الإسلام بدأت معها

الحرب النفسية ضد هذا الدين، وكانت هذه الحرب أقوى وأخطر مما يتصور الكثيرون، فمما يؤسف له أن تكرار الأخبار الدينية جعلها تفقد الكثير من الإحساس بأعماقها وآثارها الحقيقية، فمثلا حين نسمع ما كان يتعرض له العبيد والمستضعفون من العذاب الأليم حين يعتنقون الإسلام كان ينبغى أن نضع أنفسنا مكان هؤلاء المعذبين لنتصور ولو بعضا مما يعانونه من آلام جسدية ونفسية، ونتصور الرعب الذى ينتاب الذين يفكرون فى اعتناق الإسلام، وهذا مثال فحسب من أمثلة الحرب النفسية التى أدارها أعداء الإسلام حينذاك عامدين، ولكنهم لم يتركوا معلما من معالم الإسلام، إلا ووجهوا إليه كل سهام حربهم النفسية، وأكبر وأخطر هذه المعالم شخص النبى ﷺ، وقد وجهوا إليه من حربهم النفسية ما لو وجه إلى جبل لاهتز واضطرب، ولو أننا تأملنا بعض التأمل لهالنا مدى مقدرته على الصمود والثبات وسط هذه الحرب التى تنوشه من كل وجه، وأخطرها السخرية به، والاستهزاء بشخصه، وبكل ما يصدر منه، والقرآن يروى كثيرا مما وجهه أعداء الإسلام إلى الرسول ﷺ من سخرية، ونأخذ من ذلك مثالا واحدا فى قوله تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾(١).

فكيف نتصور نفسية شخص كلما مر على شخص أو جماعة لا ينظرون نحوه إلا بالسخرية والاستهزاء، تتحدث بهذا ألسنتهم، وتشير بهذا أيديهم، وهو يسمع ويرى هذه السخرية مصبحا وممسيا وفيما بين ذلك، بين قائل هذا المجنون، وقائل هذا هو الساحر، وقائل هذا هو الكاهن ويجتمع الإيلام كله حين يراهم ويسمعهم يشيرون إليه قائلين:

﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾

بكل ما يحمل هذا التعبير من تحقير وإهانة، وهو لا يعانى هذا زمنا يسيرا، بل ثلاث عشرة سنة هى مدة إقامته فى مكة بعد البعثة، والإنسان قد يتحمل عداوة أعدائه مهما طالت، ومهما اشتدت وقست، ولكنه لا يطيق أن يجد نفسه موضع السخرية من كل من يلقاه، ومن كل من يمر به، ولذلك يتفق علماء علم النفس الاجتماعى على أن السخرية هى أقوى سلاح لتغيير العادات والتقاليد التى يتفقون أيضا على أن سلطانها على المجتمعات أقوى من سلطان الدين والقانون معا، كطالب الثأر فى مجتمعات الثأر، قد يكون مؤمنا متدينا، وهو يعلم أن هذا يعاقب عليه القانون والدين ولكن العادة المسيطرة تدفعه إلى تحدى كل هذا، فأقوى احتمال ينتظر معه تغيير هذه العادة وغيرها أن يجد الشخص نفسه موضع السخرية مما

(١) الفرقان (٤١).

يفعل، ولذلك كان المؤمنون الأولون وفى قمتهم رسول الله ﷺ جبالا راسخة أمام السخرية الدائمة بهم، والقرآن الكريم يصور كيف كان أعداء الإسلام يستهزئون بالمسلمين الأوائل ويضحكون منهم، ويتغامزون بهم كلما رأوهم، ويتفكهون بهذه السخرية كلما رجعوا إلى بيوتهم أو ضمتهم مجالسهم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾[2].

فكان هذا وغيره ألوانا من الحرب النفسية العاتية التى شنها أعداء الإسلام على رسول الله ﷺ وأتباعه، فهل زحزحت أحدا منهم قيد شعرة عن إيمانه ويقينه؟ لقد هان عليهم أن يتركوا أموالهم وأولادهم وأهليهم وأوطانهم ويهاجروا لا يحملون إلا إيمانهم، أفلا يجد أعداء الإسلام اليوم فى ذلك عبرة تردعهم عن حربهم النفسية ضد الإسلام والمسلمين؟

الحرب الاقتصادية

وقد يظن كثير من الناس أن الحرب الاقتصادية وليدة التقدم الحضارى الحديث، فتعالوا بنا إلى موقف الذين نظنهم فى البداوة والجاهلية الحضارية كيف كان موقفهم من الحرب الاقتصادية سواء فى مكة أو المدينة، فأما فى مكة فقد أضافوا إلى الحرب النفسية حربا اقتصادية بالغة البراعة، شديدة الإحكام، فحين لم تنجح كل وسائلهم ومنها استماتتهم فى الإغراء ثم فى الإلحاح على بنى هاشم رهط النبى أن يسلموه إلى أعداء الإسلام أو أن يتخلوا عن حمايته والدفاع عنه فلما فشلوا رسموا خطتهم التى توقعوا فى كل احتمالاتها النجاح، فمن الاحتمالات أن يشتد الضغط فى المقاطعة المعيشية والاقتصادية والاجتماعية على النبى فيتخلى عن دينه الجديد، ومن الاحتمالات أنه إذا تشبث النبى بدعوته فلن يطيق أتباعه الحرمان والجوع فيتخلوا عنه ويرجعوا عن دينه، ولكن المقاطعة لم تكن موجهة ضد النبى وأتباعه فحسب، بل إلى كل بنى هاشم، فقد اجتمعت قريش كلها وتعاهدوا عهدا موثقا كتبوه فى صحيفة أودعوها جوف الكعبة ألا يتعاملوا مع بنى هاشم ببيع أو شراء أو تبادل أو تزاوج أو أى شىء فيه نفع لهم، فإذا قدمت قافلة اشتروا كل ما فيها حتى لا يبقى لبنى هاشم شىء قط، بل ولا يسمحون لأحد من بنى هاشم أن يغادر نطاق شعب أبى طالب خشية أن ينال طعاما أو شيئا، ويصف رواة السيرة بعض ذلك بقولهم: (فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا

(٢) المطففين (٢٩ - ٣٢).

عنهم الأسواق، فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة ولا بيعا إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ)[3] أى يريدون أن يصل الضيق ببنى هاشم أن يسمحوا لقريش بقتل النبى، وهذا كان من الاحتمالات التى توقعها زعماء قريش من هذه المقاطعة الاقتصادية التى لم تتوقف إلا بمعجزة إلهية، حيث سلط الله الأرضة (العتة) على صحيفة المقاطعة فلم تبق منها إلا اسم الله، وقد أخبرهم النبى بذلك، فذهبوا فوجدوها كما قال، وهكذا كانت الحرب الاقتصادية فى مكة.

وإذا كانت الحرب ضد الإسلام فى مكة يديرها زعماء الشرك وحدهم، فقد انضمت إليهم فى المدينة جبهتان كانتا بالغتى المكر والدهاء والخبث، هما جبهة المنافقين من العرب، وجبهة اليهود إضافة إلى جبهة المشركين من عرب المدينة وما حولها، وقد ظلت هذه الجبهات بكل ما أوتيت من مكر ودهاء تدبر وتكيد للإسلام لتحقق ما استهدفه أعداء الإسلام فى مكة وهو اجتثاث الإسلام من جذوره، فكان من أخطر ما دبروه الحرب الاقتصادية ضد المسلمين، وخصوصا المهاجرين الذين ضحوا بكل ما يملكون من مال وأولاد وغير ذلك، وفروا إلى الله ورسوله بإيمانهم وحده فى قلوبهم، لا يملكون فى المدينة طعاما أو مأوى أو أى شىء، فكانت خطة أعداء الإسلام حينذاك أن هؤلاء المهاجرين يعيشون على ما ينفقه أهل المدينة عليهم، ولو أن أهل المدينة كفوا أيديهم عن الإنفاق عليهم لكان من المؤكد أن ينفضوا عن محمد، إما بالرجوع عن دينهم وعودتهم إلى أوطانهم التى جاءوا منها، أو ترك المدينة إلى أى وجه أو وجوه أخرى بحثا عن وسيلة معيشة، وحين يجد أهل المدينة أن هؤلاء المهاجرين تركوا دينهم أو تركوا نبيهم سيفكرون هم أيضا فى التخلى عن الالتفاف حول النبى ﷺ والتخلص من عبء نصرته والدفاع عنه، وعبء الإنفاق على المهاجرين، وقدر أصحاب هذه الخطة أن يشيعوا هذه الخطة فى المدينة، وأن يبذل كل منهم جهده فى حمل ذويه من أهل المدينة على تنفيذ هذه الخطة والدعوة إليها

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[4].

وكان من قادة هذه الخطة عبدالله بن أبى ابن سلول الخزرجى أبرز زعيم فى المدينة حينذاك، أى أن هذه الخطة كان وراءها من يؤمل فى نجاحها الذى يؤدى فى النهاية إلى القضاء على الإسلام من جذوره، فهل نجحت خطتهم الاقتصادية ـ على خطورتها ـ فى القضاء على هذا الدين؟ وألا يعتبر أعداء

(٣) سيرة ابن كثير ٢/ ٤٤ ط بيروت

(٤) المنافقون (٧).

الإسلام اليوم من تلك العبر؟ مع أن أية حرب اقتصادية اليوم مهما بلغت خطورتها لن تبلغ الخطورة التى كانت حينذاك.

الحرب العسكرية

وإذا كانت الحرب النفسية والحرب الاقتصادية على خطورتهما التى أشرنا إلى شىء منها لم تحقق لأعداء الإسلام ما يبتغون، فكذلك الحرب العسكرية التى بدأت ضد الإسلام والمسلمين منذ كانت لهم شوكة وكيان، فمنذ أحس أعداء الإسلام أن المسلمين أصبحوا يستطيعون أن يدافعوا عن كيانهم بدأت عقولهم وجهودهم كلها تتجه إلى أن يجتثوا هذه القوة الناشئة ليقضوا على الدين من أساسه، وبعد أن كان المسلمون فى مكة يواجهون نوعا واحدا من العداوة، هى عداوة المشركين، أصبحوا فى المدينة يواجهون ثلاثة أنواع جمعتهم الرغبة الجامحة فى القضاء على الإسلام من أساسه، وهم:

أولا: المشركون الذين لم يدخلوا الإسلام من أهل المدينة وما حولها.

وثانياً: المنافقون من عرب المدينة وما حولها الذين يقول عنهم القرآن:

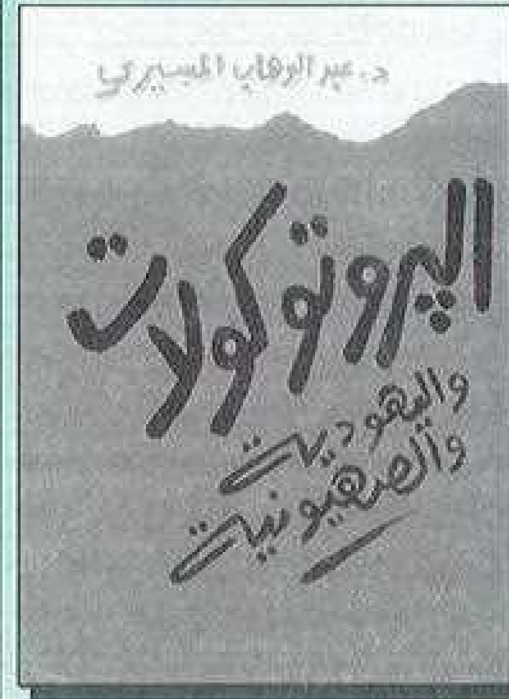
﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾(٥).

وثالثا اليهود الذين يؤكد القرآن كما يؤكد الواقع أنهم أشد الناس على الإطلاق عداوة للإسلام، وأحرص الناس على الإطلاق على القضاء عليه، وقد تجلت خطورة هذه العداوات حينما كونوا تحالفا كان الهدف منه واضحا ومحددا وهو القضاء على هذا الدين الجديد من أساسه، وذلك فى قصة الأحزاب المعروفة، والتى سجلها القرآن الكريم وسجل خطورتها على المسلمين، وكيف زاغت الأبصار من المسلمين حينئذ وبلغت قلوبهم الحناجر فزعا وخوفا على الإسلام أن يقضى عليه، وحيث لم تكن للمسلمين طاقة بمقاومة هذه الحشود وهذا التحالف، فقد تولى الله عنهم الموقف فأرسل على الأعداء جنوده من فوقهم فى صورة رياح وعواصف، ومن تحتهم فى قلوبهم التى امتلأت شكوكا وريبة فى حلفائهم وأعوانهم، فآثروا النجاة بأنفسهم من الوقوع فى شباك الغدر والخديعة، وتواصلت الجهود العسكرية لأعداء الإسلام فى محاولة القضاء على دين الله فيما هو معروف ومشهور، فهل استطاعوا القضاء عليه أو النيل منه؟

وحقا إنهم استطاعوا النيل من المسلمين بوصفهم أمة ومجتمعات، أما الإسلام نفسه فلا، ولن يكون هذا إلى يوم القيامة، لأنه فى حماية الله المباشرة.

(٥) التوبة (١٠١).





عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٢

من خلال النظر العلمى المتأنى.. أوضح الدكتور عبد الوهاب المسيرى: أن «بروتوكولات حكماء صهيون» عمل مزيف؛ منحول إلى حكماء صهيون؛ مستنطقا – فى سبيله إلى ذلك – أحداث التاريخ، ومستقرئا انتشارها الذائع والعلاقة الوطيدة بين البروتوكوليين والصهيونيين والاستعمار الغربى؛ خصوصا فى الاعتماد على العنف.

والدكتور المسيرى – فى سبيله إلى تقرير ذلك – قام برصد مظاهر التناقض التى تسود «البروتوكولات» فى الفصل الثالث من الكتاب «البروتوكولات الصهيونية».

بين البروتوكوليين والصهيونيين

ومن بين مظاهر تلك التناقضات:-

١- ما تقرره البروتوكولات من أن حكماء صهيون سيستنزفون كل قوى الحكم فى جميع أنحاء العالم، وسيشكلون حكومة عالمية؛ على الرغم من أن فكرة الحكومة العالمية تتناقض مع الفكرة الصهيونية التى تهدف إلى إنهاء الشتات بتجميع كل أعضاء الجماعات اليهودية فى فلسطين.

٢- ما تزعمه المنظمة الصهيونية من أنها عالمية... حتى سلم العرب بهذا، وصاروا يتحدثون عن «الصهيونية العالمية»، بينما الواقع يقرر: أنها أبعد ما تكون عن العالمية، وأنها ظاهرة غربية بحتة؛ لأن الغالبية العظمى

للجماعات اليهودية إما فى الغرب، أو فى المستعمرات الغربية، ولا يوجد يهود فى الهند، ولا اليابان، ولا الصين، بل ولا فى معظم دول أمريكا اللاتينية.

ومع اعتماد البروتوكولات على حكماء صهيون.. نراها لا تذكر المخططات الصهيونية من كل ما يدل على أن كاتب البروتوكولات لم يكن على علاقة كبيرة بالجماعات اليهودية، سواء فى روسيا أو خارجها، ولم يكن لديه فكرة عن المخططات الصهيونية.

ومع هذا التعارض الظاهرى.. فإن الرؤية الاختزالية التآمرية لليهود - وهى تشكل الإطار المرجعى للبروتوكولات - لا تختلف فى أساسياتها عن الرؤية الاختزالية الصهيونية لليهود... فكلا الفريقين يرى اليهود من خلال نظرة ساذجة تقوم بتحديد دوافعهم ووجودهم فى التاريخ؛ فتسقط عنهم زمنيتهم، وتركيبيتهم، وإنسانيتهم... الأمر الذى يجعل من الصعب اندماجهم فى الشعوب الأخرى، ويجعلهم لا يشعرون بالانتماء لأوطانهم، ولا يحنون إلا لصهيون أينما وجدوا.

ومن ناحية أخرى... ترى: أن البروتوكوليين يتفقون مع الصهيونيين فيما يمكن تسميته «الاستمرار اليهودى» حتى لكأن ثمة استمرارية تاريخية بين يهود بابل قبل الميلاد ويهود الولايات المتحدة فى العصر الحديث، وبين يهود خيبر أيام الرسول ﷺ، ويهود الصين فى القرن الثانى عشر الميلادى.

ثم تأتى حقائق الواقع الفعلى فتدحض هذه الرؤية وتلك... حيث نجد الغالبية العظمى من يهود العالم لا تزال تعيش خارج دولة إسرائيل التى تدعى أنها دولة اليهود.. وحيث نجد أن معدلات اندماج اليهود فى مجتمعاتهم - خاصة الأوروبية - مرتفعة للغاية... الأمر الذى ألجأ البروتوكوليين وأعداء اليهود إلى الإصرار على استخدام العنف لإخراج اليهود من أوطانهم، إذا لم تفد فى ذلك الطريقة الصهيونية المنظمة.

وإذا نظرنا إلى انتماء «هرتزل» اليهودى نجده يرفض اليهودية وتقاليدها... وفى المقابل نجده يعمل على تحويل الكثرة اليهودية الغربية للهجرة إلى مكان ما خارج الحدود الغربية، حيث يمكن توظيفها لصالح الغرب؛ فقام بتأسيس المنظمة الصهيونية ليتفاوض مع القوى الاستعمارية باسم «يهود العالم» على الرغم من إدراكه أن المنظمة الصهيونية لا تمثل أحداً.. اللهم إلا أقلية من اليهود لا يعتد بها، وأن العنصر الحاسم فيها إنما هو الدولة الاستعمارية الراعية، ولذلك... تجاهل منظمته، وبدأ بحثه الدائب عن قوة غربية ترعى

المشروع لعلمه أن نجاحه ذلك سوف يجعل المنظمة ترضخ له وتتبعه، فاستغل معرفته باللغات الأوروبية، وصلته بممثلى الحضارة الأوروبية، وعرض عليهم تسخير يهود العالم لخدمة الاستعمار الغربى، فى مقابل إقامة الدولة الصهيونية.

وعن طريق «جوزيف تشامبرلين» وزير المستعمرات البريطانية فى وزارة «بلفور» توصل إلى حل مسألة يهود شرق أوروبا على الطريقة الاستعمارية؛ بنقلهم إلى الشرق... وحين تقرر تقسيم الدولة العثمانية.. تقرر إنشاء الدولة الصهيونية فى فلسطين؛ لتساعد على عملية التقسيم، ولتضمن وجود قاعدة راسخة للغرب فى قلب العالم العربى...

وليس هناك أدنى شك فى أن هذا المخطط لم يشر إليه حكيم حكماء صهيون من قريب أو من بعيد...!

تنبؤات وأكاذيب بروتوكولية صهيونية

ويرى الدكتور المسيرى: أن بعض مروجى الفكر البروتوكولى يدعون أن ما جاء بها قد تحقق بحذافيره، أو فى طريقه إلى التحقق، ويقدمون أمثلة من الواقع تدعم هذا الادعاء، ولكنهم - فى الوقت نفسه - لايلتفتون إلى كثير من الوقائع المهمة الى غفلت عنها البروتوكولات، مثل: تسليح مصر من «التشيك» والاتحاد السوفيتى، ومثل: عبور مصر خط «بارليف»، وقيام «بوش الابن» بنزع سلاح العراق وغزوه، مع وقوف الأنظمة العربية موقف المتفرج، وتمكنه بذلك من الهيمنة على مصادر البترول، ومثل نجاح باكستان فى تطوير سلاحها النووى، وقيام الانتفاضة الفلسطينية... إلى غير ذلك من الوقائع التى سكتت عنها.

كما أنهم لا يلتفتون إلى النبوءات البروتوكولية التى لم تتحقق، مثل: نبوءة امتداد دولتهم من النيل إلى الفرات، ونبوءة جمع المشتتين اليهود، وتأسيس دولة يهودية تحقق استقلالهم بجهودهم الذاتية، وتشييد دولة فاضلة، ونبوءة اختلاف المجتمع الصهيونى عن المجتمعات الأخرى، ونبوءة إنقاذ اليهود من الاضطهاد والمخاطر، ونبوءة توحد المجتمع اليهودى فى الدولة الإسرائيلية، وحماية الدولة الإسرائيلية يهود العالم من الاندماج فى مجتمعاتهم.. إلى غير ذلك من النبوءات الكثيرة التى خيب الواقع فيها آمال الصهيونيين.

ويضيف الدكتور إلى ذلك طائفة أخرى من الأمثلة الكثيرة لإخفاقات المخابرات الإسرائيلية فى تنبؤاتها وتقديراتها مثل: فضيحة «لافون»، وفشلها فى كشف صفقة الأسلحة التشيكية لمصر، وإخفاقها فى إخفاء ما قامت به ضد العلماء الألمان، حيث

قبضت الشرطة السويسرية على من قاموا بذلك سنة ١٩٦٣، وفشلها فى مكافحة اختطاف الطائرات، ومفاجآتها بعملية مطار اللد، وبحرب سنة ١٩٧٣، وإخفاقها فى تقدير حجم المقاومة اللبنانية، وفى التنبؤ بانتفاضة سنة ١٩٨٧، وفى التوصل لمدبرى عملية نسف السفارة الإسرائيلية فى «بيونس إيريس» سنة ١٩٩٢، وإخفاقها فى منع تفجير فندق «باراديز» فى كينيا، وفى تنبؤ شارون بإنهاء انتفاضة الأقصى فى مائة يوم.. إلى غير ذلك، من كل ما يقرر: أن من يتحدث عن النبوءات الصهيونية تحققت، قصر نظره على بعض المواقف، وتجاهل المواقف الأخرى؛ فلم يقدم الصورة الكلية التى تعلن أن الصهيونيين، والبروتوكوليين مثل غيرهم يصيبون ويخطئون من كل ما يسقط تلك الهالة الكاذبة التى استسلمنا لها، وبثت الرعب فى قلوبنا..!

الاستعمار الغربى ودوره الصهيونى

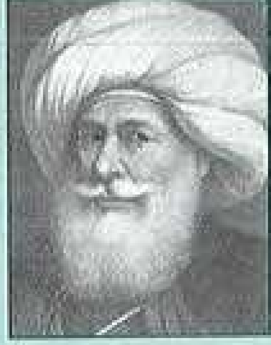
وفى بداية الفصل الرابع «الصهيونية الاستعمارية الغربية» يلفت الدكتور المسيرى النظر إلى أن ما يتوهمه بعضنا من أن محاربة الصهيونية توجب تصعيد الكراهية ضد اليهود... مقررا: أن هذا التوهم نشأ من اعتقاد أن الصهيونية ظاهرة يهودية، ذات جذور توراتية تلمودية بروتوكولاتية، وأن الغربيين يساندون الدولة الصهيونية حبا فى اليهود، وانطلاقاً من التراث اليهودى المسيحى المشترك..!

على الرغم من أن العكس هو الصحيح؛ فالصهيونية - نظريا وتطبيقيا - ظاهرة غربية بحتة، كما يؤكده النظر الفاحص.

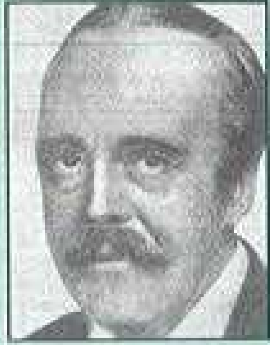
فالفكر الصهيونى فى نتاج ما نسميه «الحل الاستعمارى لمسألة أوروبا اليهودية» الذى نشأ عن كره الغربيين لليهود، ورغبتهم فى التخلص منهم، والعمل على تصديرهم إلى أى بقعة أخرى يوظفون فيها لصالح الغربيين.!

ويرجع ذلك إلى بدايات القرن السابع عشر، حيث ظهر ضرب من الصهيونية غير اليهودية، وهى حركة الاسترجاع المسيحية التى كانت تطالب بإعاد اليهود إلى «أرضهم الأم»... فكان لها أثرها فى تحديد معالم التفكير السياسى لهذه الفترة بين غير اليهود فى البداية، ثم بين اليهود بعد ذلك.!

ولأن الرؤية الاسترجاعية البروتستانتية فى حقيقتها تقوم على معاداة اليهودية؛ لأن الهدف من استرجاع اليهود هو هدايتهم وتحويلهم إلى المسيحية... لقيام هذه الرؤية على تلك المعاداة رفضها يهود الولايات المتحدة؛ بسبب نزوعها الإبادى.. فى حين آزرتها الدولة الصهيونية لأسباب «براجماتية» نفعية.



محمد على



بلفور



نابليون

ولكن.... مع انتصاف القرن التاسع عشر، وتفاقم المسألة اليهودية فى شرق أوروبا، وانتشار الفكر الاستعمارى... بدأ بعض المفكرين اليهود فى الاستجابة للصيغ الصهيونية غير اليهودية.

ومن هذا التفكير الاسترجاعي... صدر فى ٢٠ / ٤ / ١٧٩٩ نداء نابليون الموجه إلى كل يهود آسيا وأفريقيا الذى يحثهم فيه على طاعة القيادة الفرنسية، حتى يتسنى استعادة العظمة الأصلية لبيت المقدس، كى يعيد اليهود إليه... فإذا تذكرنا أنه لم يكن يحب اليهود ولا يحترمهم أدركنا: أنه إنما هدف إلى ضرب عصفورين بحجر واحد، هما: «تخليص فرنسا من اليهود، وتوظيفهم فى خدمة مشاريعه الاستعمارية»، وما رمى إليه نابليون، سعى إليه (بالمرستون) وزير خارجية بريطانية فى رسالته إلى السفير البريطانى فى استانبول فى ١١ /٨/ ١٨٤٠، موضحا: أن عودة اليهود إلى فلسطين سوف تمكنهم من كبح جماح محمد على، ومن يخلفه؛ تنفيذا لما قررته الدول الغربية المتحالفة فى مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠، حتى يمكننا أن نقول: إن المسألة الشرقية التقت بمسألة أوروبا الغربية، فاندمجتا تمام الاندماج، وتم التوصل إلى إمكانية حل المسألة اليهودية عن طريق تخليص أوروبا من اليهود وتوظيفهم فى حل المسألة الشرقية التى تسعى إلى القضاء على أية محاولة عربية تقف فى وجه المطامع الغربية، وهذا، هو نفس ما سعى إليه (شافتسبرى) شقيق زوجة (بالمرستون)، وموطن ثقته التامة، وزعيم حزب الإنجيليين، الذى كان يهدف إلى تنصير اليهود، والذى بين رؤية الصهيونية فى عدة مذكرات، أوضح فيها: أن الشعب المنبوذ يمكن أن يوظف فى خدمة الإمبراطورية؛ لما عرف عنه من مهارة ومثابرة فائقة، ولما ألفه هذا الشعب من العذاب عبر العصور الطويلة، وقد آزر (شافتسبرى) فى هذه الرؤية، وذلك المسعى صديقه (لورانس أوليفانت) الذى كان أوضح تعبير عن الصهيونية الاستعمارية الغربية غير اليهودية التى سبقت الصهيونية اليهودية بعشرات السنين.. مع تميز صهيونية (أوليفانت) عن صهيونية (شافتسبرى) باقترابها من اليهود، ومحاولة تجنيدهم.

ويتصور البعض أن جهود (بلفور) الصهيونية تعبير عن حبه لليهود، ولكن الواقع يقرر عكس ذلك ؛ فقد اعترف لـ (وايزمان) بأنه ليس من مصلحة أى بلد أن يكون فيه يهود مهما بلغت وطنيتهم وانغماسهم فى الحياة القومية، ولذلك تبنى قانون الغرباء ١٩٠٣ / ١٩٠٥ الذى يهدف إلى وضع حد لدخول يهود (اليديشية) إلى إنجلترا خشية من شرهم الأكيد.

اليهود والصهيونية

ويذكر الدكتور المسيرى: أن الغالبية الساحقة من يهود العالم رفضت الحركة الصهيونية وعارضتها عندما ظهرت على المسرح السياسى، فأعلنت اللجنة التنفيذية لمجلس الحاخامات فى ألمانيا اعتراضها على الصهيونية، على أساس أن فكرة الدولة اليهودية تتعارض مع عقيدة الخلاص اليهودية، كما اتخذت المنظمتان اليهوديتان الرئيسيتان فى إنجلترا مواقف مماثلة، وقد أعرب المؤتمر المركزى للحاخامات الأمريكان عن معارضته التفسير الصهيونى لليهودية على أنها انتماء قومى. وعارض حاخام فيينا فكرة إنشاء دولة يهودية؛ لأنها فكرة معادية لليهود، وترجع كل شيء إلى العرق والقومية، وتبنت اللجنة اليهودية الأمريكية موقفا مناهضا للصهيونية سنة ١٩٠٦، ثم انتهجت نهجا غير صهيونى استمر حتى أواخر سنة ١٩٤٠م، وعندما صدر وعد بلفور أعلنت رفضه فى الحال، وكان السير (أودين مونتاجو) من أهم الشخصيات التى عارضت الصهيونية.. وهو العضو اليهودى الوحيد فى الوزارة البريطانية التى أصدرت وعد بلفور، بل إنه وصف الصهيونية بأنها عقيدة سياسية مضللة، لا يمكن لأى مواطن محب لوطنه فى المملكة المتحدة أن يدافع عنها.

ونظرا لافتقار الصهيونية إلى أية قاعدة قوية بين الجماهير اليهودية.. كان عليهم أن يعتمدوا على قوة كبيرة غير يهودية، يمكنها الاستفادة منهم ومن خدماتهم، فقدموا أنفسهم على أنهم يمكنهم أن يلعبوا دور الوسيط بين القوى الاستعمارية وبين اليهود، لتجنيدهم وتوطينهم فى أحد المواقع التى تهم تلك القوى.

وقد تم فى نهاية الأمر استيعاب الغالبية الساحقة من يهود العالم فى المنظومة الصهيونية من خلال الوسائل الآتية:

أ) نجاحها فى جعل الصهيونية جزءا من الاستراتيجية الغربية العامة، فأصبحت دولة عميلة تقوم باستيعاب الفائض البشرى اليهودى، وتحويله إلى كتلة متماسكة تخدم المصالح الغربية، فلم يعد هناك تناقض بين ولاء اليهودى للدولة الصهيونية وولائه للولايات المتحدة.

ب) نجاحها فى تهدئة يهود الغرب الذين كانوا يعارضون المشروع الصهيونى، حتى لا يضطروا إلى مغادرة أوطانهم الأصلية..

وذلك بطرحها مفاهيم كثيرة، مثل (صهيونية الدياسبورا)، أى صهيونية اليهودى الذى يؤيد الحركة الصهيونية، دون أن يهاجر.

حـ) نجاحها فى صهينة العقيدة اليهودية بما أدخلته من تفسيرات للمفاهيم الدينية اليهودية، مثل فكرة العودة تحت قيادة المسيح المخلص اليهودى حين يأذن الإله (الماشيَح).

د) نجاحها فى طوير ديباجات مراوغة متنوعة يسرت على اليهود أن يقبلوا الرؤية الصهيونية غير اليهودية، ويقبلوا نقلهم إلى فلسطين وتحولهم إلى كتلة استيعابية غربية، تغرس فى وسط العالم العربى.

فالصهيونية الاستعمارية الغربية تنطلق - فى خطابها - من كره اليهود..

فإذا كان المخاطب يهوديا متدينا، كان اليهود الشعب المقدس المكروه من الأغيار بسبب قداسته.. الشعب الذى ينقل إلى فلسطين تحقيقا للحلم الأزلى بالعودة!

وإذا كان المخاطب يهوديا ثوريا، كان اليهودى فرد من التركيبة الطبقية غير السوية فى المنفى... الذى يوطن فى فلسطين ليصبح طبقة سوية عادية، يهيأ لتأسيس دولة العمال والفلاحين، ذات المثل الاشتراكية!

وإذا كان المخاطب مهتما بالهوية اليهودية، فالنقل إلى فلسطين منع من اندماجه وانصهاره خارج الدولة اليهودية!



بن جوريون — هرتزل

وإذا كان المخاطب ديمقراطيا، فالنقل لتحقيق آماله فى أن يكون مثل كل الشعوب الغربية!

فالذى يعفى الاستعماريين الغربيين أولا وأخيرا هو حل مشكلات المجتمع الغربى عن طريق إبعاد اليهود عنها، مع الإفادة منهم فى موطنهم الجديد، بجعلهم قاعدة للعمليات الاستعمارية التقليدية، كما يقرره فكر القادة الصهيونيين وسلوكهم، مثل (ماكس نوردو)، و(هرتزل)، و(وايزمان)، و(بن جوريون)، و(موسى هسى).

من مظاهر التناقض بين الصهيونية واليهودية

وفى الفصل الخامس (الصهيونية ذات الديباجة اليهودية) يعود الدكتور المسيرى ليؤكد - بالتفصيل - ما ذكره فى بدايات الفصل الرابع من أن العقيدة اليهودية ترفض الصهيونية، مما ولد فى نفوس الصهيونيين غير اليهود الكره العميق لليهود، ومحاولة التخلص منهم، واللجوء إلى توظيفهم لصالح الغرب فى مكان يقع خارج الغرب.

١- فيلفت النظر إلى أن مؤسسى الحركة الصهيونية لم يعيروا اليهودية أى التفات إلا باعتبارها مشكلة، تبحث عن حل، حتى إن (هرتزل) تعمد انتهاك العديد من الشعائر الدينية اليهودية حين قام بزيارة المدينة المقدسة.

وعندما وقع الاختيار على فلسطين لم يأل (هرتزل) جهدا فى تأكيد الطبيعة اللادينية لهذا الاختيار، فأخبر البابا (بيوس العاشر) أن الصهيونيين لا يطالبون بالقدس أو مثل هذه الأماكن المقدسة، وإنما ينصب كل اهتمامهم على الأرض العلمانية فقط.

٢- ولو نظرنا لعقيدة «الماشيح» والعودة إلى أرض الميعاد، وموقف الصهيونيين منها.. لوجدنا الرفض نفسة للمفهوم الدينى، كما إن الحاخامات الأرثوذكس، يجمعون على أن تعبير «الشعب اليهودى» فى اليهودية تعبير دينى، يشير إلى طائفة المؤمنين المخلصين الذين يتوجهون بإيمانهم إلى الإله الواحد.

٣- وكان «ماكس نوردو» ساعد هرتزل الأيمن.. يجاهر بإلحاده، وكان «حاييم وايزمان» أول رئيس للدولة الصهيونية يتلذذ بمضايقة الحاخامات بشأن الطعام المباح.

٤- وأن المستوطنين الصهيونيين عنوا بالتأكيد على الطبيعة اللادينية. وفى أوائل العشرينيات قامت مجموعة من الرواد الصهيونيين بمسيرة تحدوا فيها الشرائع اليهودية الخاصة بالطعام، بل إن هؤلاء الصهيونيين قاموا برفض بعض المفاهيم الدينية الأساسية، أو إعادة صياغتها، بحيث يمكن توظيفها فى تسويق الأيديولوجية الصهيونية. ولقد لاحظ الحاخام «شتيرسون» عدم وجود حب حقيقى لصهيون لدى الصهيونيين.

٥- وعلى الرغم من هذا الهرب من اليهودية، والرفض لها، فإن الصهيونية- كأى أيديولوجية علمانية تود أن تكتسب شرعية، وأن تجد الجماهير وراءها لتستغل اليهودية كى تضفى على نفسها صبغة دينية تضمن بها الحصول على تأييد الجماهير، وتظهر الصهيونية كما لو كانت امتدادا لليهودية، وليست نقيضها، على ما صرح به «كلاتزين» فى قوله: إن الدين اليهودى يمكن أن يساهم فى بلورة الروح القومية للشعب اليهودى... ويؤكد ذلك المفكر الصهيونى الأمريكى «هوراس كالن» فى قوله: إن الصهيونية هى إعادة إحياء فكرة القومية اليهودية، على أساس مدنى، علمانى، مثل بقية القوميات الأوربية. وكان الحاخام «شتيرسون» واعيا بهذا القصور الصهيونى للدين اليهودى، بوصفه أداة ووسيلة، حين أشار إلى أن الصهيونيين يرون فى التوراة والوصايا العشر مجرد وسائل ملائمة لتقوية الشعور الاجتماعى.

٦- والصهيونيون اليهود ينطلقون من قاعدة رفض كل يهودى لا يستوطن فى فلسطين «نفى الدياسبورا» المعروفة بـ «يهود الشتات»، وهى أكثر الاتجاهات

انتشاراً وثباتا فى الفكر الصهيونى، ففى ٤/٣/١٩٧٧ نجد الحاخام «الجنرال موردخاى بيرون» كبير حاخامات جيش الدفاع الإسرائيلى يصف الشتات بأنه لعنة إلى الأبد... وهو دائما لعنة، حتى إن هؤلاء الصهيونيين ينكرون كل إنجازات عصور الشتات، ويؤكدون أن المساهمات اليهودية التى تمت على أرض أجنبية هى محض خيانة للروح اليهودية النقية.

ولم يكن باستطاعة الصهيونيين أن يستوعبوا الحقيقة القائلة: إن رفض الشتات يعادل رفض اليهودية واليهود، فكلاهما لم يكن له وجود يعتد به خارج ما يسمى «المنفى»، كما صرح بذلك المؤرخ اليهودى الروسى «سيمون دبنوف».

٧- ومن يبحث عن أصول الصهيونية لا يجدها فى المبادىء الأساسية للشريعة اليهودية الدينية، ولا فى تنوع التجارب التاريخية لأعضاء الجماعات اليهودية، وإنما فى تراث معاداة اليهود واليهودية «معاداة السامية»... هذا إلى أن الكتابات الصهيونية تفترض دائما حتمية معينة لمعاداة السامية حتى لكأنها ظاهرة طبيعية.

ومبالغة من الصهيونيين فى رفض يهود الشتات، فإنهم يقيمون نقدهم للشخصية اليهودية على أساس من الاتهامات المأخوذة من كتابات المعادين للسامية فى العالم الغربى، حتى إن هذا النقد الصهيونى ليهود الشتات يتحول أحيانا إلى تصوير «كاريكاتورى» ينطوى على معاداة مباشرة للسامية، مما أدى بالصهيونيين إلى اعتبار المعادين للسامية حلفاء طبيعيين، وقوة إيجابية فى النضال الصهيونى لتحرير يهود الشتات من عبوديتهم المدعاة.


هتلر

٨- ويزداد كره الصهيونيين لليهود وضوحا.. حين نرى تلك العلاقة القوية بين الصهيونية والنازية التى طالما تردد الحديث- بشتى الوسائل التعبيرية- عن ما أنزلته النازية باليهودية من إبادة تلك النازية التى تعد تيارا أساسيا فى الحضارة الغربية كالصهيونية تماما، فكما حلت النازية المسألة اليهودية بإبادة اليهود، يحاول الغرب الاستعمارى حل المسألة اليهودية بإنشاء الدولة الصهيونية على جثث الفلسطينيين، وينظر بإعجاب إلى الغزو الإسرائيلى لجنوب لبنان وبيروت، وأنحاء أخرى من العالم العربى، حتى

لقد عمقت كل من النازية والصهيونية الاعتزاز بالخصوصية القومية، وكره الغير، كما أكدتا قيام تلك الخصوصية على النقاء العنصري... على ما توضحه عبارة «هتلر» حين سئل عن سبب معاداته لليهود، فقال: «لا يمكن أن يكون هناك شعبان مختاران، ونحن وحدنا شعب الله المختار».

٩- والعلاقة بين النازية والصهيونية ليست مقصورة على تماثل البنية والتفكير فحسب، بل إنها تتجاوز ذلك إلى التماثل في كثير من العلاقات الفعلية التي تبدأ من استغلال النازية للدعاية الصهيونية في الترويج لرؤيتهم الإجرامية، فلما اكتشف الصهيونيون عمق التناقض بين فكرة الدولة اليهودية، ومحاولة إنقاذ اليهود... كذلك اكتشف النازيون عمق التناقض بين مصالح الصهيونيين ومصالح اليهود.

ولعل هذا يفسر اعتقاد الصهيونيين أن عدوهم الحقيقي هم اليهود الأرثوذكس، والجماعة المركزية للمواطنين اليهود من أتباع العقيدة الموسوية.

ويؤكد قوة العلاقة بين النازية والصهيونية.. عدم سماح النازيين إلا للصهيونيين بمزاولة نشاطهم، ومنع الإصلاحيين والأرثوذكس من إلقاء الخطب، أو الإدلاء بتصريحات، أو جمع التبرعات، أومزاولة أي نشاط آخر.

كما يؤكدها اتفاقية (الهعفراه) التي تعني نقل السكان اليهود من ألمانيا إلى فلسطين، وقد منحت ألمانيا المؤسسة (الهعفراه) الصهيونية حق احتكار البضائع الألمانية المصدرة إلى فلسطين.

هذا... إلى الأنشطة الأخرى المعتمدة على التحايل والتخفي بين الرسميين والأفراد، كالنشاط الذي أداره مع النازيين (رودلف كاستنر) أحد الزعماء الصهيونيين في رومانيا والمجر، والذي استوطن في إسرائيل، وأصبح محررا لإحدى مجلات (الماباي) الناطقة باللغة الإنجليزية.

معرفة الحقيقة.. سبيل الانتصار

والدكتور المسيري يدرك ما قد يثار من اعتراضات على جعله الصهيونية جزءا من التشكيل الحضاري الاستعماري الغربي، وليست جزءا من تاريخ يهودي عالمي، إذ يتخوف بعض البروتوكوليين من أن هذه الرؤية تبرىء ساحة اليهود، وتجعل منهم مجرد ضحية مستغلة من قبل الغرب.. وكذلك يحرص على وضع هذه الاعتراضات، فيقرر: أن الغاية من تلك الدراسة هو محاولة فهم اليهود أو الصهيونيين، وفهم دوافعهم، ورؤيتهم

ومخططاتهم وسلوكهم، ومواطن قوتهم وضعفهم، وحدود حركتهم - وليس محاكمتهم فحسب- فإننا إذا فهمنا هذه الأبعاد، وعرفنا أسرارها، وما تنطوي عليه.. استطعنا أن نتعرف على العدو المباشر، والعدو غير المباشر، فنتمكن من تحديد أولوياتنا وأساليبنا النضالية بما يتفق مع الواقع الحق.

ويستدرك الدكتور مقررا:

أن توصلنا إلى أن إسرائيل مجموعة من المرتزقة لا يعفيهم من مسئولية اغتصاب الأرض وطرد أصحابها منها بعد إبادة بعضهم، ولا يعفينا من واجب التصدي لهم.

وأن اقتناعنا بأن إسرائيل دولة عميلة يوظفها الغرب لمصلحته، يفرض علينا مواجهة الولايات المتحدة ابتداء، ولا نقتصر على مواجهة الدولة الصهيونية وحدها.

وأن وقوفنا على حقيقة (البروتوكولات) يمكننا من التعرف على الظاهرة الصهيونية بدقة، ويعيننا على اتخاذ الأسلوب المناسب للنضال معها، مستفيدين من تجاربنا المماثلة في مقاومة الاستعمار الاستيطاني في الجزائر، وجنوب أفريقيا.

ويقفنا في الوقت ذاته على خصوصية إسرائيل في تكوينها من مجموعات بشرية مختلفة في الجنس والولاء، مع اعتمادها على البطش والعنف مثل سائر الجيوب الاستيطانية، وإن كانت تختلف عن غيرها من الجيوب الاستيطانية في أنها لم تنجح في إبادة السكان الأصليين، وأنها ووجهت بمقاومة شرسة ترفض الخضوع للتسخير والاستعباد.

فإدراكنا: أن الدولة الصهيونية ليست جزءا من مؤامرة عالمية يهودية... يفتح كوة عريضة من النور والأمل في نجاح مقاومتها والصمود أمامها، وتعللها بالفشل في محاولتها إبادة السكان الأصليين، وتوفير الاستقرار للمستوطنين.. كما فشلت جميع الجيوب الاستيطانية الإحلالية الأخرى.

«يتبع»

***

﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ الحشر : (١٤)

حول يهود الفلاشا

بقلم / صلاح عبد الرحيم محمد

يعتبر يهود الفلاشا إحدى الطوائف اليهودية الشرقية من ذوى البشرة السوداء التى تعيش فى الحبشة، وقد هاجر أعداد منها إلى إسرائيل منذ قيامها فى فلسطين التاريخية ويعرف يهود الحبشة باسم «الفلاشا» ومعناها «الغريب الغازى الذى يدخل أرض غيره من الشعوب بالقوة» أو «هو المهاجر الذى يهيم على وجهه في الأرض» ويطلق يهود أثيوبيا على أنفسهم «بيت إسرائيل» أو «بنى إسرائيل» لأنهم يعتقدون فى انحدارهم من ذرية أو سلالة الملك سليمان، لكن علماء الأجناس يعتبرونهم أحباشا أو أثيوبيين تهودوا وأن العناصر اليهودية القليلة الطارئة دخلوا الأراضى الحبشية من جنوب الجزيرة العربية بعد انتشار اليهودية بين بعض القبائل العربية قبل الإسلام، كما تذكر بعض المصادر أن قدامى الإسرائيليين الذين طرأوا على أرض الكنعانيين العرب (فلسطين) كانوا يعملون فى التجارة، وقد وصلت مراكبهم إلى بعض موانىء البحر الأحمر من الشاطىء الشرقى لأفريقيا ومن المحتمل أن يكون هذا النشاط التجارى كان عاملا فى تعزيز الديانة اليهودية فى بلاد الحبشة، ويعيش يهود الفلاشا فى العديد من القرى المحيطة بالعاصمة القديمة «جوندار» التى تبعد عن العاصمة الحالية «أديس أبابا» مسافة ٧٠٠ كيلو متر شمالا مثل قرية أمبوبر وتيدا وواليكا وغيرها من القرى، وليهود الفلاشا كنيس واحد يؤدون فيه شعائر عبادتهم يقع فى قرية واليكا ويتولى الكاهن مسئولية كل ما يتعلق بأمور دينهم لأنه ليس لهم حاخامات.

وقد حافظ يهود أثيوبيا على عقيدتهم الدينية ولم يختلطوا بغيرهم من الأجناس المتعددة التى تضمهم هذه الدولة، فكانت كل وحدة عنصرية محافظة على نقائها السلالى، وجدير بالذكر أنه فى غضون النصف الأول من عام ١٩٩٩ قام فريق من الإحصائيين الإسرائيليين بزيارة مدينتى جوندار وأديس أبابا والكثير من القرى لعمل مسح إحصائى ليهود الفلاشا، وقد أظهرت عملية الإحصاء وجود ٨٣٠٩ يهودى فى العاصمة «أديس أبابا» و٩٠٨٠ يهوديا فى مدينة جوندار و١٠٢٠٧ يهودى موزعين فى المقاطعات الأثيوبية مثل شيلجا وتكوسا والفا وشبرا وغيرها من القرى فى الريف الأثيوبى، ومما لاحظه رجال الإحصاء الإسرائيليون بعد عودتهم إلى إسرائيل وجود أقارب من الدرجة الأولى فى الكيان الصهيونى لثلثى عدد يهود الفلاشا الموجودين فى معسكرات «أديس ابابا» و«جوندار» انتظارا للهجرة وأن ما يزيد على عشرة آلاف من يهود الفلاشا المقيمين فى إسرائيل لهم أقارب من الدرجة الأولى فى أثيوبيا، ومن اللافت للنظر أن عدد يهود الفلاشا فى إسرائيل الآن حوالى ٦٥ ألف نسمة منهم ١٦ ألف يهودى ولدوا فى إسرائيل ويتكلم هؤلاء الفلاشا اللغات الأفريقية السائدة فى بلادهم الأصلية، وتقتصر معرفتهم باللغة العبرية على بضع كلمات وعبارات وفوق ذلك فإن التوراة التى بين أيديهم مكتوبة باللغة «الجعزية» وهى لغة سامية كما يذكر المؤرخون انتقلت مع الهجرة العربية من جنوب جزيرة العرب حاملة معها لغات ولهجات عديدة كان أقدمها انتشارا «الجعيز» وهى تسمية ورثتها قبيلة يمانية أطلق على أبنائها «الأجاعز».

وفى هذا السياق يذكر «أرنست لوثر» فى كتابه «أثيوبيا اليوم» ما تزخر به هذه الدولة من أجناس ولغات وطوائف مختلفة لذلك فإن العرب سموا هذه البلاد باسم «الحبشة» ومعناها «البلاد ذات الخليط من الأجناس» وهو ما جعل حكامها يختارون لها اسم «أثيوبيا» ومعناه «الوجه المحروق».

وليس خافيا على أحد منا فيما يتعلق بمخطط تهجير يهود الفلاشا إلى إسرائيل أن المخابرات المركزية الأمريكية شاركت الموساد الإسرائيلى فى إنجاز هذا المخطط من خلال عمليتين سريتين، الأولى هى عملية «موشيه» عام ١٩٨٤ حيث عقد الموساد صفقة مع كبار رجال الدولة فى أثيوبيا لنقل ٧٤٠٠ يهودى فلاشى جوا إلى إسرائيل، وقد حرص السفير الأمريكى على أن يطمئن بنفسه على صعود المهاجرين اليهود إلى الطائرات الأمريكية، واستمرت الرحلات الجوية بين أثيوبيا وإسرائيل منتظمة إلى أن وصل عددها ٢٨ رحلة، لكنه فى هذه الرحلة ٢٩ كشف النقاب عن «عملية موشيه» وافتضح أمرها فتوقفت عند هذه الرحلة، والثانية هى عملية «شلومو» عام ١٩٩١، وحصل الرئيس الأثيوبى

«منجستو» وكبار مسئوليه من خلال صفقة شاركت فيها المخابرات الإسرائيلية «الموساد» على ٣٥ مليون دولار مقابل التسهيلات اللازمة لتهجير ١٤ ألف يهودى من أثيوبيا إلى إسرائيل وقد أسهمت طائرات النقل العسكرية الضخمة الأمريكية من طراز «س ١٣٠» فى نقل أعداد المهاجرين تحت إشراف وعيون المخابرات المركزية الأمريكية، ومن جهة أخرى فإنه فى الستينيات والسبعينيات سيطر التردد على السلطات الإسرائيلية بشأن تهجير يهود الفلاشا بسبب الإشكالية العنصرية التى برزت على الساحة السياسية الداخلية مع مجىء أول فوج من الأميين القادمين فى بداية الخمسينيات من القرن العشرين الذين مثلوا جيشا من مجتمعات رعوية وزراعية شبه بدائية غير أن هذه السلطات حرصت على المحافظة على استقدام أعداد إضافية منهم، وذلك لعاملين، الأول هجرة اليهود الروس إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا، وغيرها من الدول الغنية، والتى يجدون فيها الأمن والأمان، والثانى حاجة إسرائيل إلى جنود لحراسة مستوطنات الحدود، فى الضفة الغربية، وقطاع غزة، خاصة أن هذه المستوطنات تشكل حزاما أمنيا للحفاظ على أمن اليهود الغربيين البيض، الذين يقيمون فى المستوطنات الداخلية، فاليهود الفلاشيون، من سكان المستوطنات الحدودية إذن هم أول من يتلقى أية ضربات هجومية من الجانب الفلسطينى، وهذا يكشف السياسة الجائرة التى تتبعها إسرائيل ضد اليهود السود من الفلاشيين، بإسكانهم فى مواطن الخطر، والهلاك على الحدود العربية - الإسرائيلية ليقوموا بحماية اليهود البيض (الأشكناز) الذين يقيمون فى المستوطنات الداخلية الآمنة، وكان يهود الفلاشا لا ينتمون إلى الديانة اليهودية، بل ينظر إليهم سائر اليهود من الطوائف الغربية، على أنهم غرباء من جنس آخر، ومن جانب آخر يتم استخدام هؤلاء اليهود السود، فى أعمال الزراعة، والبناء، ونظافة الشوارع، وغيرها من الأعمال التى يستنكف منها اليهود الغربيون، لذلك فإن وزير الداخلية الإسرائيلى «أفراهام بوراز» طلب من رئيس الوزراء الإسرائيلى (شارون) الموافقة على استقدام المهاجرين اليهود من أثيوبيا، وقال: «إن كل من ينطبق عليه (قانون العودة) يجب استقدامه لإسرائيل، بحيث تكون الأولوية لكل من له أقارب فى إسرائيل» وأضاف وزير الداخلية الحالى، قائلا: «لن تضاف أسماء أخرى للقوائم الموجودة لدى الوزارة، والتى تتضمن أسماء ٢٢ ألف من أبناء طائفة يهود الفلاشا المقيمين فى أثيوبيا» وقد دعا «أفراهام بوراز»، من أجل ذلك، إلى فتح باب التبرعات لتدبير المال اللازم لتمويل عمليات استيعاب هؤلاء اليهود من فلاشا الحبشة المرشحين للهجرة إلى إسرائيل، لاسيما أن تكلفة استيعاب المهاجر الواحد منهم، تبلغ حوالى ١٠٠ ألف دولار، وفى هذا الصدد، أكد

شارون، أثناء لقائه مع «ماسيفنيو سيوم» وزير خارجية أثيوبيا، اهتمامه، بإخلاء معسكرات تجميع يهود الفلاشا فى الأرض الأثيوبية، فى غضون عامين، بحد أقصى ٣٠ يونية ٢٠٠٥ وتقول «تسبى لبنى» وزيرة الاستيعاب والهجرة الإسرائيلية، فى هذا الشأن: «إن أى قرار حول استقدام هؤلاء المهاجرين من يهود الفلاشا، يجب أن يعتمد على مخصصات كافية فى الميزانية، تسمح باستيعابهم، بصورة لائقة»، ويضيف أحد كبار المسئولين فى هذه الوزارة قائلا: «إن استقدام ٢٢ ألف من مهاجرى الفلاشا، يحتاج إلى ميزانية، تصل إلى حوالى مليارى دولار»، ومن ناحية أخرى أعلنت الوكالة اليهودية، فى نهاية نوفمبر ٢٠٠٣ أن الحكومة الإسرائيلية اتخذت قرارا فى فبراير ٢٠٠٣ بتجهيز كل من ينطبق عليه قانون العودة من يهود الفلاشا إلى إسرائيل، واللافت للانتباه، وأنا بصدد الحديث عن هجرة يهود الفلاشا أن ثمة إشكالية، مرتبطة بهذا الموضوع، تشكل جزءا لا يتجزأ منه، وبدونه لا تكتمل عناصره، وملامح صورته، تتمثل فى مسألة إيجاد حل حاسم من جانب السلطات الإسرائيلية لاستقدام عدد كبير من يهود «الفلاشمورا» الذين اعتنقوا المسيحية أثناء حملات التبشير المسيحية، ويريدون العودة، مرة أخرى لليهودية وهم ينتظرون حاليا فى أثيوبيا، إمكانية موافقة السلطات الإسرائيلية على استقدامهم إلى إسرائيل، وإزاء هذه المسألة، توصلت وزارة الداخلية، فى عهد حكومة «إيهود باراك» السابقة إلى معيار جديد، بهذا الشأن، يستند إلى الشريعة اليهودية، يسمح بتهجير هؤلاء اليهود «الفلاشمورا» إلى إسرائيل، وقد جاء هذا المعيار، بمبادرة من «إيلى يشاى» وزير الداخلية السابق، الذى طلب من وزير الداخلية الحالى «أفراهام بوراز» بالعمل على الأخذ بهذا المعيار حتى يمكن حل هذه الإشكالية، ومما يجدر التذكير به أنه قبل تبنى هذا المعيار الجديد المستند إلى الشريعة اليهودية، كان يشترط للهجرة إلى إسرائيل معياران رئيسيان:

الأول هو معيار حق العودة، أى عودة أى يهودى وُلد من أم يهودية إلى إسرائيل

الثانى هو معيار «لم الشمل» أى السماح بعودة الأقارب من الدرجة الأولى لمن هاجروا بالفعل إلى إسرائيل ومازالوا فيها، أما المعيار الجديد الذى تبناه «إيلى يشاى»، ووافقت عليه السلطات الدينية فى إسرائيل وعلى رأسها الحاخام الأكبر «عامر» فقد استند، كما ذكرنا، إلى الشريعة اليهودية، والتى تقضى بحق الهجرة لأولئك الذين يعودون فى أصولهم إلى أمهات يهوديات استنادا لوجهة النظر الشرعية اليهودية التى تقول: «بأن الأمهات اليهوديات، إذا ما تنصَّرن، فأنهن لا يزلن يهوديات» وذلك فى إطار القاعدة الشرعية المعروفة لدى اليهود وهى «رغم خطيئة إسرائيل، فهو إسرائيل» وتأسيسا على ذلك، فإنه حسب هذه القاعدة الشرعية، فإن «أبناء الفلاشمورا» الذى اعتنقوا الديانة المسيحية، لن يُسمح لهم بالدخول إلى

إسرائيل على أساس «قانون العودة»، بل على أساس «قانون الدخول» لكي يعودوا مرة أخرى لليهودية بشكل رسمي، ويندمجوا مرة أخرى في المجتمع اليهودى فى إسرائيل، وفى ضوء ذلك، تم إعداد قوائم بأسماء «ابناء الفلاشمورا» المرشحين للهجرة إلى إسرائيل بواسطة لجنة تم تشكيلها برئاسة «دافيد إفراتي» رئيس إدارة السكان السابق، وتشمل هذه القوائم حوالى ٢٦ ألف فلاشمورى مقيمين فى أثيوبيا، هاجر منهم سبعة آلاف إلى إسرائيل، بينما بقى منهم حتى الآن، ١٩ ألفاً فى انتظار أوامر «شارون» بترحيلهم إلى إسرائيل. ومن هنا يمكن القول: إن لدى إسرائيل معايير متعددة، وليس معياراً واحداً لتسهيل هجرة أية طائفة يهودية من يهود العالم إليها، وهى فى سبيل ذلك، لا تخدم الوسيلة لاستقدام المزيد من المهاجرين ولو كانو سود البشرة، على الرغم من علمها اليقيني، أن يهود الفلاشا غير مرغوب فيهم، من باقى الطوائف اليهودية الإسرائيلية، الذين ينفرون منهم، ويطالبون السلطات الإسرائيلية بترحيل من هو موجود منهم فى إسرائيل إلى بلادهم الأصلية لكن الهدف واضح بالنسبة لإسرائيل، وهو تشجيع هجرة يهود أثيوبيا، لتأمين العامل الديموجرافى، للحفاظ على التفوق العددى اليهودى، على عرب إسرائيل. وحول أوضاع مهاجرى يهود الفلاشا فى إسرائيل، فتذكر صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية «أن نسبة كبيرة من هؤلاء اليهود السود، يعانون من البطالة، والفقر، ويعيشون فى أحياء فقيرة، وأن الضائقة الاقتصادية التي يقاسون منها تخلق مصاعب كبيرة أمام أطفال يهود أثيوبيا فى مواصلة دراستهم، وقد أدى ذلك إلى زيادة نسبة تسربهم، فى التعليم، واندماجهم فى عالم الجريمة، بالاضافة إلى أن نسبة مرتفعة من المعلمين الذين يقومون بالتدريس لهؤلاء الأطفال غير مؤهلين لهذا العمل» كما تضيف الصحيفة نفسها فى هذا الصدد، بقولها «إنه مازالت السلطات الإسرائيلية تعمل من أجل تجميع مهاجرى يهود الفلاشا فى أماكن خاصة بهم (أشبه بالمعازل)، وكأنهم يعيشون فى «أثيوبيا صغيرة»، وذلك ما يجعلهم يشعرون بالمهانة بسبب لون بشرتهم السوداء» وفى الختام، فإن الواقع المرير الذى تحياه هذه الطائفة الشرقية فى إسرائيل، يؤكد، أن ثمة تمييزاً عنصرياً يُمارس ضدها من جانب الطوائف اليهودية الأخرى، برغم أنهم يهود مثلهم، لذلك فهم يشعرون بالغربة، لعدم تقبل المجتمع الإسرائيلى، لهم، لا لشئ إلا لكونهم سوداً.

ولاشك أن هذا الوضع، يدحض زيف دعوى إسرائيل، بوحدة الجنس، أو الشعب اليهودى، ناهيك عن الصراع الطائفى، الذى يمكن أن يشتعل بين كافة الطوائف اليهودية فى المجتمع الإسرائيلى، الذى يضم الأسود، والأبيض، والأصفر، والأحمر، بحيث يمكن وصف هذا المجتمع، بخليطه المتنافر بأنه «متحف الشعوب».

بين الصحف



المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبدالموجود أمين

لن تكون الجريمة الإسرائيلية البشعة بحق شيخ قعيد بلغ من العمر عتياً، وسكنت جسده الهزيل العديد من الأمراض، لن تكون آخر الجرائم الكيان العنصرى الإسرائيلى.

نقدم اليوم بعض ما كتبته الصحف عن الحلقة الجديدة ـ ولن تكون الأخيرة ـ فى سلسلة الجرائم الصهيونية ضد الأمة الإسلامية العربية.

اوردت جريدة «الحياة» اللندنية فى عددها الصادر فى ٢٠٠٤/٣/٢٣م السيرة الذاتية للشهيد الشيخ احمد ياسين، جاء فيها:

- أحمد إسماعيل ياسين.. ولد عام ١٩٣٨ فى قرية الجورة، قضاء المجدل شمال غزة، أصبح لاجئاً مع أسرته بعد حرب ١٩٤٨.
- تعرض لحادث فى شبابه أثناء ممارسته الرياضة، نتج عنه شلل كل أطرافه شللاً تاماً.
- عمل مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية، ثم خطيباً ومدرساً فى مساجد غزة، وأصبح فى ظل الاحتلال أشهر خطيب عرفه القطاع لقوة حجته وجسارته.
- عمل رئيساً للمجمع الإسلامى فى غزة.
- اعتقل عام ١٩٨٣ بتهمة حيازة أسلحة، وتشكيل تنظيم عسكرى، والتحريض على إزالة الدولة العبرية من الوجود، وحوكم أمام محكمة عسكرية صهيونية أصدرت عليه حكماً بالسجن ١٣ عاماً.
- أفرج عنه عام ١٩٨٥ فى إطار عملية لتبادل للأسرى بين سلطات الاحتلال و«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» ـ القيادة العامة، بعد أن أمضى ١١ شهراً فى السجن.
- أسس مع مجموعة من الإسلاميين تنظيماً حركياً لحركة المقاومة الإسلامية «حماس» فى قطاع غزة عام ١٩٨٧.
- دهمت قوات الاحتلال الصهيونى منزله أواخر (آب) «أغسطس» ١٩٨٨، وهددته بدفعه فى مقعده المتحرك عبر الحدود ونفيه إلى لبنان.
- عام ١٩٨٩ اعتقلت سلطات الاحتلال الشيخ أحمد

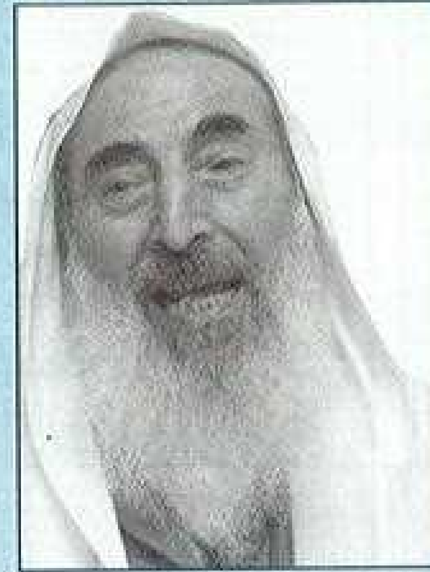
ياسين مع المئات من حركة «حماس» في محاولة لوقف المقاومة المسلحة التي أخذت آنذاك طابع الهجمات بالسلاح الأبيض على جنود الاحتلال ومستوطنيه، واغتيال العملاء.

● في ١٩٩١ أصدرت محكمة عسكرية صهيونية حكماً بالسجن مدى الحياة مضافاً إليه ١٥ عاماً، بعدما وجهت للشيخ لائحة اتهام من ٩ بنود منها: التحريض على خطف جنود وقتلهم، وتأسيس حركة «حماس» وجهازيها العسكري والأمني.

● بالإضافة إلى إصابة الشيخ بالشلل التام، فإنه يعاني من أمراض عدة منها: «فقدان البصر في العين اليمنى» بسبب الضرب أثناء التحقيق، وضعف شديد في العين اليسرى، والتهاب مزمن بالأذن، وحساسية في الرئتين، وأمراض التهابات باطنية ومعوية.. وأدى سوء ظروف اعتقاله إلى تدهور حالته الصحية، مما استدعى نقله إلى المستشفى مرات عدة.

● في ١٩٩٢ خطفت مجموعة فدائية من مقاتلي كتائب الشهيد عز الدين القسام جندياً صهيونياً وعرضت الإفراج عنه مقابل الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين ومجموعة من المعتقلين في السجون الإسرائيلية بينهم مرضى ومسنون ومعتقلون عرب خطفتهم قوات صهيونية من لبنان، إلا أن الحكومة الإسرائيلية رفضت العرض وأغارت على مكان احتجاز الجندي مما أدى إلى مصرعه ومصرع قائد الوحدة المهاجمة قبل استشهاد عناصر المجموعة الفدائية في منزل في قرية بيرنبالا قرب القدس.

● أفرج فجر الأربعاء ١/١٠/١٩٩٧ عن الشيخ بموجب اتفاق جرى التوصل إليه بين الأردن وإسرائيل سلمت عمان بموجبه عميلين صهيونيين اعتقلا في الأردن عقب محاولة اغتيال فاشلة تعرض لها العضو القيادي في حماس «خالد المشعل».



وفي جريدة «اللواء الإسلامي» الصادرة يوم ٢٠٠٤/٣/٢٥ كتب الأستاذ محمد الزرقاني يقول:

●● لم يكن الشيخ أحمد ياسين الموجود بيننا بجسده إلا رجلاً مسناً مشلول الجسم تماماً، وداخل هذا الجسم الضئيل الضعيف تكالب عليه العديد من الأمراض المنهكة، كما أضاع المجرمون الصهاينة نور إحدى عينيه تماماً، وضعفت العين الأخرى، وحتى صوته كان يخرج من بين شفتيه ضعيفاً خافتاً، وإن كان مليئاً بالصلابة والتحدي!!.

●● هكذا كان الجسد الذي تخلصت منه قوى البغي والعدوان الصهيونية، في عملية «خسيسة» وجبانة، أشرف عليها بنفسه المجرم «شارون» رئيس العصابة التي تتستر في رداء دولة، وتحت حماية إمبراطورية الشر الأمريكية التي تملأ الدنيا كذباً بكلمات عن الحرية والديمقراطية، بينما هي مصاصة للدماء وزاهقة للأرواح وسارقة للثروات.. وهل هناك خسة أكبر من أن تواجه دولة بطيرانها الحربي رجلاً مقعداً وشبه ضرير؟!.

●● كان الشيخ أحمد ياسين يتصف بالاعتدال.. وما فعلته العصابة الصهيونية لم يكن إلا تأكيداً على

رفضها التام لدعاوى السلام. ولم يعد هناك في العالم كله من يجرؤ على إدانة الشعب الفلسطيني الذي سيواصل انتفاضته، ومهما فعلت إسرائيل ومهما حمتها أمريكا فلن يحميها شيء.

●● إن إسرائيل لم تتخلص إلا من جسد الشيخ أحمد ياسين.. لقد انتهى الجسد الفاني، ولكن ستبقى روح الاستشهاد والفداء والتضحية التي زرعها في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني حتى يتم تحرير الأرض الفلسطينية وكافة أراضي المسلمين المحتلة.

ونقتطف جزءاً من مقال الكاتب الصحفي «فاروق جويدة» والمنشور بجريدة «الأهرام» الصادرة في ٢٠٠٤/٣/٢٦ تحت عنوان: «ماذا بعد اغتيال الشيخ ياسين»؟!.. قال:

لن يكون اغتيال الشيخ أحمد ياسين زعيم حماس الروحي ومؤسسها حدثاً عابراً في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي، وفي المواجهة بين إسرائيل والشعب الفلسطيني.. إن اغتيال الشيخ القعيد وهو خارج من المسجد بعد أداء صلاة الفجر سيكون نقطة تحول مهمة وخطيرة، ليس على المستوى الإقليمي بين شعوب المنطقة، لكنه سيترك آثاراً واسعة المدى على موقف أمريكا في المنطقة والعلاقات بين الدول العربية بعضها بعضاً، وعلاقاتها مع أطراف دولية أخرى لها مصالحها وأهدافها في العالم العربي.. نقطة البداية أن شارون رئيس وزراء إسرائيل أشرف بنفسه على عملية اغتيال الشيخ ياسين، وتابعها لحظة بلحظة، حتى تناثرت أشلاء الرجل في مشهد رهيب أمام باب المسجد.. ولا شك أن شارون لا يحتاج إلى أن نصفه بالإرهابي، فهو يمثل أسوأ مراحل التاريخ الإسرائيلي إرهاباً في المنطقة، إنه تاريخ كامل من الإرهاب، ولكن ذلك يؤكد أن الدولة العبرية تمثل الإرهاب الدولي، بكل أشكاله وألوانه.. ومن هنا فإن الحديث عن قضية الإرهاب يجب أن ينطلق في الأساس من إدانة دولية للإرهاب الصهيوني.. لهذا فمن الصعب أن نطلق على إسرائيل اسم دولة، فمازالت تحكمها حتى الآن عصابة من الإرهابيين القتلة.. ومن الخطأ أيضاً أن نتحدث عن الإرهاب في العالم دون أن نضع إسرائيل في مقدمة القائمة.. لقد أغمضت الإدارة الأمريكية عينيها طوال السنوات الماضية عن الإرهاب الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني، واعتقد الرئيس بوش أن شارون سيقضي على الانتفاضة الفلسطينية خلال أيام معدودة، وسمح له بذلك، لكن الجيش الإسرائيلي بكل إمكاناته لم يستطع القضاء على المقاومة الفلسطينية وكان الغريب في الأمر أن تعتبر الإدارة الأمريكية المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي نوعاً من الإرهاب.

ولا شك أن الإدارة الأمريكية قامت باحتلال الأراضي العراقية بتشجيع من العصابة الحاكمة في تل أبيب التي صورت احتلال بغداد بأنه سيكون فسحة قصيرة للقوات الأمريكية، وبعد ذلك أغمضت الإدارة الأمريكية عينيها عن اعتقال الرئيس عرفات وسجنه وحصاره.. ثم كان اجتياح القوات الإسرائيلية للأراضي الفلسطينية.. والغريب في هذا كله أن أمريكا تحاول أن توهم العالم بأنها تقود معركة ضد الإرهاب، وهذا الإرهاب في المفهوم الأمريكي الخاطئ يتجسد في مقاومة الشعب الفلسطيني.. وصمود الشعب العراقي.. ومعارك حزب الله في الجنوب اللبناني.. وهذا يعني أن كل من يواجه احتلالاً أو اغتصاباً لأرض أو وطن فهو إرهابي.. لكن الإرهاب الإسرائيلي ضد الشعوب العربية يعتبر في نظر الإدارة الأمريكية عملاً مشروعاً ومقبولاً ولابد أن توفر له أمريكا الدعم والحماية.. وكانت آخر مشاهد الإرهاب الإسرائيلي اغتيال الشيخ ياسين، ولا شك أن هذه العملية سوف تفتح أبواب جهنم على الجميع.

● إن هذه العملية ستضع بلا شك نهاية ولو مؤقتاً لكل ما يجري على الساحة السياسية تحت شعار تحقيق السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل، لأن المقاومة الفلسطينية لم يعد أمامها الآن غير أن تمضي في تصعيد

مواجهاتها إلى آخر مدى، ونحن الآن على أبواب مسلسل جديد من الدم وسوف تدفع ثمن ذلك كل الأطراف بلا استثناء.. إن اغتيال الشيخ ياسين وضع السلطة الفلسطينية التى تتفاوض من أجل السلام فى أسوأ مواقفها من حيث المصداقية وأمانة القرار.

إن اغتيال الشيخ ياسين إحراج للسلطة الفلسطينية التى تسعى للتفاوض مع إسرائيل، وإحراج لأطراف دولية كثيرة مازالت تتصور إمكان تحقيق سلام عادل فى المنطقة، لكن الإرهاب الإسرائيلى ينسف كل هذه الجهود.

وفى جريدة «عقيدتى» كتب الأستاذ مجدى سالم تحت عنوان: «رسالة إلى الشعب الأمريكى» قال فيها:

تخطئ الإدارة الأمريكية كثيراً وهى تدعى أنها تحارب الإرهاب ثم تبادر بالدفاع عن إسرائيل وتستخدم الفيتو فى مجلس الأمن لمنع صدور قرار يدين إسرائيل لاغتيالها الشيخ أحمد ياسين بحجة أن القرار لم يشمل إدانة ما أسمته هذه الإدارة بالإرهاب الفلسطينى.

والشيخ أحمد ياسين الذى اغتالته إسرائيل رجل مسن مشلول منذ أن كان عمره ١٤ عاماً وهو لم يحمل فى حياته سلاحاً أو حتى حجراً يقذف به دبابة إسرائيلية، مثلما يفعل أطفال فلسطين اليوم، وقد قضى الكثير من سنوات حياته وهو على كرسيه المتحرك معتقلاً فى سجون إسرائيل.

صحيح أنه مؤسس حركة حماس الإسلامية والأب الروحى لها.. وصحيح أن كلماته التى كانت تخرج من فمه ضعيفة واهنة كانت تلهب حماس رجال المقاومة الإسلامية للمحتل الصهيونى فى الأرض المحتلة ولكنه لم يكن أبداً إرهابياً كما تدعى إسرائيل، وهو الادعاء الذى وافقتها عليه الإدارة الأمريكية.

الشيخ أحمد ياسين لم يأمر أو يخطط طوال حياته لتنفيذ عملية مسلحة ضد المدنيين فى إسرائيل.. ولكن كان يحض رجال المقاومة على قتال جنود الاحتلال الإسرائيلى الذين طردوا الفلسطينيين من بيوتهم وقراهم وهدموا منازلهم وشردوهم، ثم بعد ذلك يتظمون ضدهم حرب إبادة شاملة وكل مبرراتهم فى ذلك أنهم يعملون على ضمان أمن إسرائيل.

.. هذا هو الشيخ أحمد ياسين الذى اغتالته الطائرات الإسرائيلية بثلاثة صواريخ وهو خارج من صلاة الفجر.. والسؤال هنا: منذ متى كانت مقاومة الاحتلال عملاً إرهابياً.. وهل يمكن مثلاً وصف جورج واشنطن الذى قاد عملية مقاومة الاحتلال الانجليزى للولايات المتحدة الأمريكية بأنه كان إرهابياً.. وهل كان رجاله المنتصرون فى حرب تحرير أمريكا إرهابيين؟!..

لا القانون الإنسانى.. ولا القانون الدولى.. ولا حتى الدستور الأمريكى الذى وضعه الآباء الأولون للولايات المتحدة الأمريكية يتفق مع المنطق الذى تبرر به الإدارة الأمريكية الحالية سياستها وهى تقف بالمرصاد لكل محاولات إدانة إسرائيل التى يقوم بها المجتمع الدولى.. والأكثر من ذلك تقوم بتدعيم إرهاب الدولة الذى تمارسه إسرائيل على الشعب الفلسطينى بالمال والسلاح.. وإذا كانت الإدارة الأمريكية قد اختارت هذا الموقف الذى ترى أنه يتفق مع مصالح الشعب الأمريكى.. فهل من صالح الشعب الأمريكى أن يكتسب عداء أكثر من ١٢٠٠ مليون مسلم فى العالم؟!..

.. وهل مراعاة مصالح الشعب الأمريكى تقتضى حماية إسرائيل من الإدانة كلما أقدمت على جريمة جديدة مثلما فعلت مع اغتيال الشيخ أحمد ياسين ومن قبله اغتيال الأطفال فى جنوب لبنان وغيرها من الجرائم التى يندى جبين الإنسانية لها.

كثيرون من الأمريكيين لا يعلمون أن الدين الإسلامى يرفض الإرهاب وأنه لا يسمح لأتباعه بالقتال إلا دفاعاً عن النفس والوطن والدين.. وحتى فى هذه الحالات يدعو الإسلام أتباعه إلى عدم استهداف المدنيين.. بل يطالبهم بحمايتهم.

لذلك فنحن نرفض كل ما يمكن أن يعكر على الأمريكيين صفو حياتهم.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

غثاء السيل

لم ولن تكون الجريمة الشنعاء التى ارتكبها الكيان العنصرى الصهيونى بحق شيخ مسن مقعد آخر الجرائم، ومخطىء من يعتقد أن الكيان الصهيونى سيتوقف ولو ليوم، بل ولا لساعة واحدة عن سفك الدماء، إن كياناً أقيم على جثث الشيوخ والنساء والأطفال، وارتبط وجوده بنهر من الدماء سال ولايزال يسيل منذ عام ١٩٣٦م وإلى يومنا هذا، كيان يعتمد فى وجوده على ترويع المحيطين به حتى لاتسول لهم أنفسهم ولو للحظة الوقوف فى وجهه.

من الذى يمكن ان ينسى جرائمهم فى دير ياسين، وكفرقاسم، وبحر البقر، وطائرة الركاب المدنية الليبية، صبرا وشاتيلا، وقانا .... وو إلخ من قائمة جرائم طويلة تشمئز منها الذاكرة لعظيم بشاعتها، تلك البشاعة هى التى صنعت دولة إسرائيل، نجحت إسرائيل فى تخويف البعض منا وإرهابه فتصوروها قوة عظمى لاتقهر مع أن مصر، ومصر وحدها كشفت هشاشة قوتها وزيف إدعاء جيشها الذى لايقهر عندما تحطمت بنيتها العسكرية بالكامل فى ساعات معدودة وأوشك وزير دفاعها على إعلان الاستسلام لولا الدعم العسكرى الأمريكى السريع وغير المحدود بل وغير المسبوق فى تاريخ التحالفات العسكرية على مر العصور.

عشرات الرسائل حملها البريد إلى المجلة تطلب الكتابة عن الشهيد أحمد ياسين. حياته، ونشاته، مع أن الصحف كلها ملأى بالتفاصيل الدقيقة من حياة الرجل منذ ميلاده حتى تطاير أشلا جسده الذى قصفته ثلاثة صواريخ موجهة من طائرة مروحية، المشكلة أننا نريد أن نقرأ

فحسب دونما اعتبار لعظة أو عبرة أو موقف.

ما هى الزيادة التى يمكن إضافتها على ذلك؟! لاشىء..! العويل والصراخ والبكاء والغضب والتنديد والتظاهر.. هذا هو كل ما فى الجعبة إزاء الجريمة الإسرائيلية الشنعاء.. بمعنى نجاح الخطة الإسرائيلية فى إرهاب مليار و٢٠٠ مليون مسلم لم يعد أمامهم سوى العويل والبكاء والتنديد والتظاهر.. وعلى الأكثر عملية انتقامية تنفذها الجماعات الفلسطينية المسلحة انتقاما للشيخ أحمد ياسين ونسى الجميع حجم المأساة التى نعيشها وهى ببساطة أننا أصبحنا كما قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن فقال قائل: يارسول الله وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت».

وياليتنا أتقنا الحياة الدنيا فحتى هذه فشلنا فيها مخالفين تعاليم ديننا التى أكد عليها رسول الله ﷺ: «أحرز لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا».

طلبنا الدنيا وحرصنا عليها ولم نعمل فيها ما يشعرنا بحلاوتها واكتفينا بأن نكون عالة على الدنيا بعد أن كنا ملء السمع والبصر، عجزنا حتى على أن نلتقى ويصافح الأخ منا أخاه، وأعلنا هذا العجز أمام العالم.. هوان ما بعده هوان.

ولأننا صرنا فى حالة يرثى لها فقد تبرع السيد جورج بوش الابن بطرح مبادرته الشهيرة بشأن «الشرق الأوسط الكبير» وما تضمنته من تدخل صارخ فى أدق شئون الأمة عقيدتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها، وكان من الطبيعى أن ترفض مصر هذا التدخل الصارخ الذى لايراعى أى خصوصية للأمة العربية وأيدتها فى موقفها عدد من الدول العربية ذات الثقل ممن أسماهم البعض بـ«التقليديين» فى حين هللت الولايات المتحدة الأمريكية لمواقف دول عربية أخرى واعتبرتها دولا تقدمية فى حين أن هذه الدول التقدمية وهى بالمناسبة «دويلات» وليتنى أجد فى اللغة العربية صيغة تصغير معبرة أكثر لأن تعبير «دويلات» تعبير ضخم بالنسبة لما تمثله هذه الدويلات حجما وثقافة وتاريخا!! فأين.. نحن من وعد الله لعباده:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران ـ ١١٠)

وإلى رسائل القراء

مثل القرآن

عن فضل القرآن الكريم، كتب القارىء أيمن العدوى -من السويس- طائفة من قراءاته فى السنَّة وما أثر عن السلف الصالح:

● قال رسول الله -ﷺ-: «مثل القرآن مثل جراب فيه مسك قد ربط فمه، فإن فتحه فاح ريح المسك، وإن تركه مربوطا كان مسكا موضوعا؛ فإن قرأت القرآن وإلا فهو فى صدرك».

[أخرجه الترمذى]

● وقال -ﷺ- أيضاً: «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة، طعمها طيب، وريحها طيب. ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح فيها. ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها».

[أخرجه مسلم فى صحيحه/ ٥٤٩]

● وعن على -رضى الله عنه- قال: «أخبركم بمن أعطى القرآن ولم يعط الإيمان، ومن أعطى الإيمان ولم يُعط القرآن، ومن أعطى القرآن والإيمان. ومن لم يُعط القرآن ولا الإيمان: فأما من أعطى الإيمان ولم يُعط القرآن فهو بمنزلة ثمرة طيبة الطعم لا ريح لها، ومنزلة من أعطى القرآن ولم يُعط الإيمان منزلة الآسة طيبة الريح خبيثة الطعم، ومنزلة من أعطى القرآن والإيمان بمنزلة الأترجة طيبة الطعم، طيبة الريح، ومنزلة من لم يُعط القرآن ولا الإيمان مثل الحنظلة خبيثة الطعم خبيثة الريح».

[الأمثال من الكتاب والسنة للترمذى ص٤٦]

● روى نافع عن ابن عمر -رضى الله عنهما-: «مثل القرآن مثل الإبل المعقَّلة، إن عقلها صاحبها أمسكها عليه، وإن أرسلها من عقالها ذهبت».

[الأمثال للترمذى ص٤٣، ٤٤]

من فضائل الصحابة

وعن فضائل الصحابة -رضوان الله عليهم- كتب القارىء عاطف السيد أحمد -من الزيتون- بالقاهرة يقول:

ـ أخرج الإمام أحمد عن أبى بريدة قال: «أصبح رسول الله -ﷺ فدعا بلالا، فقال: يا بلال بم سبقتنى إلى الجنة، ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى، إنى دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامى، بم سبقتنى إلى الجنة؟ قال: ما أحدثت إلا توضأت فصليت ركعتين. فقال رسول الله -ﷺ- بهذا».

[فضائل الصحابة: ٢/ ٩٠٧، ٩٠٨]

من التراث

القرويين

وعن جامعة القرويين كانت تلك الكلمة للقارئ الأديب فرج مجاهد عبد الوهاب شربين - دقهلية يقول فيها:

قام جامع القرويين بفاس في دولة المغرب في البداية على أنه مسجد ثم أصبح بعد ذلك مسجداً جامعاً لفترة من الفترات ثم تحول إلى مقراً للدراسات الإسلامية والعربية وتناولت الدراسة فيه جميع فروع المعرفة التي يتكون منها التراث الإسلامي والعربي.. فبجانب علوم اللغة والفقه وعلوم التفسير والحديث نجد علوم الطبيعة والطب والرياضة والفلسفة، ومن أشهر العلماء هناك الأئمة الحافظ أحمد بن علي بن قاسم الزقاق، والمفتي محمد بن قاسم القصار، والفقيه أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجي والمتكلم أحمد بن عمرو السلاجي وهو من طبقة أبي المعالي الجويني في الشرق، والمحدث ابن رشيد السبتي، واللغوي ابن زاكور، والرياضي ابن البناء المراكشي.

والفصول الأولى لقصة إنشاء القرويين تبدأ - كما يجمع المؤرخون - مع هجرة ثمانمائة عائلة أندلسية، تبعتها هجرة ثلاثة آلاف عربي من القيروان بتونس، إلى مدينة فاس، واتخاذهم لها وطناً ثانياً في أوائل القرن الثالث للهجرة، وكان من بين المغتربين التونسيين رجل ورع يعيش في بسطة من الرزق بسبب ما حمله من مال وكان اسمه «محمد بن عبد الله الفهري القيرواني» وتوفي بعد فترة وجيزة من وصوله إلى فاس وترك ثروة طائلة لابنته «فاطمة أم البنين» وأختها «مريم» فعقدتا العزم على إنفاق جزء كبير من هذا المال في انشاء مسجد يخلد اسم أسرتهما واسم البلاد التي نزحتا منها وشجعهما أيضا ضيق المسجدين القديمين بالناس.

شرعت مريم في بناء مسجد «الأندلس» في شرق المدينة. وبدأت فاطمة في بناء مسجد «القرويين» في جنوبها وكان ذلك في يوم سبت صادف غرة رمضان سنة ٢٤٥هـ الموافق ٣٠ نوفمبر سنة ٨٥٩م.

اجتذب القرويين على مر القرون شهرة طبقت الآفاق مما جعل عدداً كبيراً من العلماء الأجانب من أنحاء أوروبا منهم الرحالة «جربريتا» والبابا «سلفستر» الذي نقل الأرقام العربية إلى الغرب، كما نقل نظيرات الفقه الإسلامي واستخدمها في تطوير القانون الروماني. وفي عام ١٩٣٧ عين الملك «محمد الخامس» الأستاذ «محمد الفاسي» أحد العلماء الذين استكملوا دراساتهم في جامعة باريس، مديراً للقرويين فأدخل العلوم العصرية واللغات الأجنبية في مناهج التعليم، إلى جانب المواد الدينية، كما أنشأ قسماً خاصاً بالقرويين لتعليم الفتيات.

شخصية العدد

بديع الزمان سعيد النورسي

ويطلب القارئ سعيد إبراهيم من الإسكندرية إلقاء الضوء على حياة المفكر الإسلامي المعروف «بديع الزمان النورسي»، وللقارئ العزيز نقول:

بديع الزمان سعيد النورسي هو واحد من أبرز رجال الدعوة الإسلامية في القرن العشرين والمؤكد أنه لا يمكننا الإحاطة بترجمة وافية له ولكن نكتفي بتقديم مواقف من حياته:

بديع الزمان سعيد النورسي هو واحد من هؤلاء العظماء الذين رفعوا راية الحق في وجه الطغيان أيا كان شخص هذه الطاغية.

وقد حدث أن قابل السلطان العثماني عبدالحميد الثاني في قصر «يلدز» وأثناء المقابلة انتقد استبداد الحكم وتسلط أجهزة الأمن العثمانية على الشعب مما أثار نقمة حاشية السلطان، فأحالوه إلى محكمة عسكرية.

وفي المحاكمة تحدث بجرأة أذهلت رئيس المحكمة فقرر إحالته إلى الأطباء لفحص قواه العقلية، وتشكلت لجنة طبية مؤلفة من طبيب تركي، وآخر أرمني، وثالث رومي، وطبيبين يهوديين، وقرروا جميعاً إيداعه في مستشفى «طوب طاش» للمجاذيب.

وفي المستشفى حضر أحد الأطباء لفحص قواه العقلية، فبادره النورسي بحديث أخذ بمجامع قلب الطبيب الذي أبهرته شخصية النورسي فكتب تقريراً عن حالته، ومما جاء فيه:


النورسي

«لو كانت هناك ذرة واحدة من الجنون عند بديع الزمان، فمعنى ذلك أنه لايوجد على ظهر الأرض كلها عاقل واحد».

واضطرت الحكومة التركية إلى الإفراج عن الرجل، وبعد فترة حل فضيلة الشيخ «بخيت المطيعي» شيخ الأزهر ضيفاً على إسلامبول، وأراد بعض العلماء ممن ناصبوا النورسي العداء عقد مناظرة بين المطيعي، والنورسي علهم ينالوا من الأخير، وانعقدت المناظرة في مسجد «أيا صوفيا» ووجه الشيخ بخيت المطيعي سؤالاً إلى النورسي: «مارأيك في الحرية الموجودة الآن في الدولة العثمانية؟ وماذا تقول في مدنية أوروبا؟»

فأجاب سعيد النورسي: «إن الدولة العثمانية حبلى حالياً بجنين أوروبا، وستلد يوماً ما، أما أوروبا فهي أيضاً حبلى بجنين الإسلام، وستلد يوماً ما. عندها وقف الشيخ المطيعي يشد على يد مناظره قائلاً: «إنني أوافق على كلامه، وإنني أحمل هذا الرأي نفسه».

وعندما نجحت حركة الاتحاد والترقي في الإطاحة بحكم السلطان عبدالحميد أعلنت الأحكام العرفية وعلقت المشانق لكل مطالب بتطبيق الشريعة واقتيد النورسي للمثول أمام محكمة نصبت في ساحتها المشانق لكل مطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية وشاهد النورسي في جانب من الساحة خمسة عشر جثة لم تزل معلقة بالمشانق فلم يفت هذا المشهد البشع في عضده، ودخل إلى قاعة المحكمة، حيث ابتدره الحاكم العسكري «خورشيدر باشا» بقوله:

ـ وأنت أيضاً تدعو إلى تطبيق الشريعة؟ إن من يطالب بها يُشنق هكذا (مشيراً بيده إلى المشنوقين).

فقام بديع الزمان سعيد النورسي وألقى على سمع المحكمة كلاماً رائعاً نقتطف منه مايأتي:

«لو أن لي ألف روح لما ترددت أن أجعلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام.. فقد قلت إنني طالب علم لذا فأنا أزن كل شيء بميزان الشريعة، إنني لا أعترف إلا بمِلة الإسلام إنني أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذي تسمونه (السجن) في انتظار القطار الذي يمضي بي إلى الآخرة لا لتسمعوا أنتم وحدكم بل ليتناقله العالم كله، ألا لقد حان للسرائر أن تنكشف وتبدو من أعماق القلب.. إنني متهيء بشوق لقدومي للآخرة.. وأنا مستعد للذهاب مع هؤلاء الذين علقوا في المشانق.. تصوروا ذلك البدوي الذي سمع عن غرائب استانبول ومحاسنها فاشتاق إليها انني مثله تماماً في شوقي إلى الآخرة والقدوم إليها. إن نفيكم إياي إلى هناك لاتعتبر عقوبة.. إن كنتم تستطيعون فعاقبوني المعاقبة الوجدانية.. لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقل أيام الإستبداد والآن فإنها تعادي الحياة، وإذا كانت هذه الحكومة هكذا «فليعش الجنون، وليعش الموت، وللظالمين فلتعش جهنم..».

وفي جلسة واحدة فقط يصدر حكم ببراءة بديع الزمان سعيد النورسي من تلك المحكمة الرهيبة التي شنقت العشرات.

بعد براءة بديع الزمان من المحكمة العرفية،عاد إلى دروسه ومحاضراته متجولاً بين القبائل والعشائر في مختلف المدن التركية يعلمهم أمور دينهم ويرشدهم إلى الحق.

وبالإمكان الرجوع إلى كتاب: «بديع الزمان سعيد النورسي.. نظرة عامة عن حياته وآثاره» لمؤلفه الأستاذ إحسان الصالحي، حيث قدم له ترجمة وافية استعنا بها في كتابة هذه الأسطر من حياة عالمنا الورع.

زهـد أبـى العتاهيـة

وعن أبى العتاهية وشعره فى الزهد كتب القارئ كامل أبوالمجد من المنصورة يقول:

ـ أبو العتاهية هو اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى عنزة، وكنيته: أبو اسحق، وأبو العتاهية لقب غلب عليه، وقد نشأ بالكوفة وكان يبيع الفخار، ثم قال الشعر ونبغ فيه، وكان غزير البحر، لطيف المعانى، سهل الألفاظ.. قليل التكلف وله فى الزهد شعر كثير منه:

تعلقت بآمال	طوال أى آمال
وأقبلت على الدنيا	ملحاً أى اقبال
أيا هذا تجهز لفـ	ـراق الأهل والمال
فلا بد من الموت	على حال من الحال

النيـة

● ويختار محمد عبدالتواب من الاسماعيلية كلمة للأديب (مصطفى صادق الرافعى) يقول فيها:

ـ قد لا يستطيع المؤمن أن يأتى الخير فى بعض أحواله، ولكنه يستطيع دائما أن ينويه ويُرغب فيه، ويعزم عليه ليحقق ضميره الطيب فى كل ما يهم به، ويحصر أفكاره فى قانون نيته المؤمنة.

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

بُشرَى لذوِى البَصَائِر

للأستاذ / مجدى عبدالحميد بشير

انتصارات جديدة وفتوح علمية حديثة يقدمها العلماء كل يوم لطائفة من الناس شاء الرحمن الرحيم أن يختصهم بالابتلاء والامتحان. وهذه الكشوف العلمية تنأى بهم عن متاهات الجهل والظلام التى عاشوا فيها أزماناً طويلة حتى رست سفينتهم بحمد الله وفضله على بر الأمان فاكتسبوا أرضاً جديدة تغمرها أنوار العلم وتدفئها شموس المعرفة فتصبح الحياة أكثر أمناً وأماناً وأعظم ازدهاراً واشراقاً. ولئن كانت الكشوف العلمية تمثل للشخص العادى أمراً مبهراً فإنها لأهل البلاء مصدر تيسير وتواؤم مع الحياة يثرى شتى جوانبها ويؤكد للعامة أن هؤلاء الناس أهل لأن تحترم مواهبهم وتقدر قدراتهم وتزكى مهاراتهم.

وحديثنا فى هذه الأسطر يتركز على استثمار جديد لحاسة اللمس التى هى أهم حاسة يتميز بها من حرموا نعمة البصر. فإن اختراعاً جديداً يتمثل فى شاشة عرض يمكن أن تساعد المكفوفين وتسهل لهم أن يدركوا الصور الفوتوغرافية والرسوم التوضيحية والصور عن طريق حاسة اللمس تماماً كما كان الأمر مع طريقة الكتابة النقطية والمعروفة بطريقة «بريل» والتى احتوت ٦٣ رمزاً مكنت المكفوفين من القراءة والكتابة فى كل المجالات الرياضية والموسيقية وشتى فروع العلم كما هو الحال مع المبصرين. وقد قام الباحثون فى المعهد القومى للمستويات والثقافة والمعروف اختصاراً بـ «نيست» بأمريكا بإيجاد اختراع يمكنه أن يترجم النصوص المكتوبة رقمياً إلى طريقة «بريل» ثم تقدموا مؤخراً خطوة إلى الأمام تعد بحق أكثر فائدة وجدوى عندما وجهوا جُلَّ انتباههم لمشكلة أخرى لم تكن فى الحسبان.

ويبين هذه الحقيقة أحد مهندسى الحاسوب والذى يقود فريق العمل فى «نيست» فيقول: «إن الحاجة ماسة لابتكار شاشة عرض معقولة يمكن أن تتعامل مع الجرافيك». وهذه الآلة تخلق نوعاً من شاشات العرض المجسمة التى تتخذ شكلاً مبسطاً يمكن أن يستخدم أكثر من مرة.

وتتلخص الفكرة فى استعمال قطب رفيع يجرى تحت وسادة مكونة من أكثر من ٣٦٠٠ دبوس مستدير حاد الطرف حيث يقوم هذا القطب بدفع تلك الدبابيس إلى أعلى لترسم الصورة المرغوب فى رسمها وتتحرك فوقه لوحة معدنية بها فتحة لكل من هذه الدبابيس. تتحرك هذه اللوحة بخفة تسمح لهذه الدبابيس بدخول تلك الفتحات الموجودة بهذه اللوحة وينشأ عن ذلك صورة تبلغ مساحتها نصف مساحة ورقة مكتوبة وعند توصيل شاشة العرض تلك بحاسوب وماسح ضوئى فإنه يمكنها أن توجد نماذج مجسمة لصور تتراوح ما بين صور لعرض كتب إلى صور لمواقع عنكبوتية بشبكة المعلومات الدولية. ويختتم رئيس فريق «نيست» بشراه الغالية بقوله: «إنه يمكن إنتاج نموذج تجارى يتداول بين الناس لهذه الشاشة بمبلغ مالى يقدر بألفى دولار».

وبعد فإن هذا الابتكار الجديد يذكرنا دائماً بما نؤمن به ولا نحيد عنه بأن لله -تعالى- فى كل محنة منحة ومع كل بلاء عطاء ولا يفوتنا أن نلفت انتباه قراء مجلة الأزهر الأعزاء إلى أن المجلة لا تألو جهداً فى إبراز كل ما يخص أهل البصيرة من تقدم علمى يرتقى بكرامتهم وعزتهم ونشير هنا إلى ما سبق نشره من تاريخ علمى مؤصل وموثق لرحلة الأنامل الذهبية التى تحدثنا فيها عن طريقة «بريل» بالتفصيل وما قدمناه أيضاً من طلبات وجدت بحمد الله وفضله آذاناً مصغية لتيسير وسائل العلم الحديث وأهمها الحاسوب لهذه الفئة من البشر.

والله نسأل أن يوفق كل من يقدم يد العون لأناس اتخذوا شعارهم قول الله تبارك وتعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1].

مؤمنين تمام الإيمان بالصيحة التى أطلقها القرآن فى سمع الزمان حين قال سبحانه:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[2].

ومن أحق من المسلمين بهذه المآثر وهم أتباع الدين الذى كانت أولى آياته التى نزلت على قلب المصطفى ﷺ:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[3].

ودعوة الإسلام للعلم والتعلم معروفة ومن نافلة القول التفصيل فى هذا المجال.

(١) طه (١١٤).
(٢) الحج (٤٦).
(٣) العلق (١).



للأستاذ:
محمد الشرقاوى

الأزهر ينظم دورات تدريبية للوعاظ

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على تنظيم دورات تدريبية للوعاظ المصريين الجدد وذلك بمدينة البعوث الإسلامية، حيث انعقدت الدورة التدريبية الأولى للوعاظ يوم ٣ / ٤ / ٢٠٠٤، واستمرت لمدة خمسة عشر يوما.

تهدف الدورة إلى رفع المستوى العلمى للوعاظ، وتوعيتهم بمفهوم ومعنى تجديد الخطاب الدينى، بما يتناسب والثوابت الإسلامية، وتدريب الوعاظ كذلك على أعمال الفتوى.

يحاضر فى الدورات التدريبية، والتى يتولى الإشراف عليها وتنظيمها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف نخبة من أساتذة ورجال الدعوة الإسلامية، وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

صرح بذلك فضيلة الشيخ الطاهر محمد أحمد الطاهر الحامدى الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف.

جدير بالذكر أن اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر تقوم بتنظيم دورات تدريبية للأئمة والوعاظ على مستوى العالم الإسلامى كله يتلقون خلالها مختلف العلوم المساعدة على تأهيل الداعية المسلم وإعداده إعداداً جيداً لتحمل أعباء الدعوة إلى الإسلام.

الشرق الأوسط الكبير حقل جديد للتجارب الأمريكية

حذر الكاتب والمفكر الأمريكى «مايكل هدسون» من مخاطر مشروع الشرق الأوسط الكبير الذى طرحته الولايات المتحدة الأمريكية والذى وصفه بأنه حقل تجارب جديد للإدارة الأمريكية وقال «هدسون» الذى شارك فى فاعليات مؤتمر «حرب العراق وتداعياتها» بالعاصمة اللبنانية بيروت: إن العالم العربى سيكون بمثابة قاعدة الانطلاق الأمريكية المفضلة فى داخل مشروع الشرق الأوسط الجديد.

وأوضح «هدسون» أن مبررات غزو العراق تولدت لدى المحافظين منذ عام ١٩٩٦م بعدما أنشئ معهد الدراسات الاستراتيجية والسياسية المتقدمة والذى يتكون من مجموعة دارسين ضمت بين أعضائها صهاينة أمريكيين منهم «ريتشارد بيرل»، «دوجلاس فيث»، «ديفيد مسر».

صفوة من البريطانيين يقبلون على الإسلام

أكدت دراسة علمية بريطانية أن الإسلام بدأ ينتشر بشكل ملحوظ فى أوساط صفوة المجتمع البريطانى بعدما خيبت القيم الغربية آمالهم وأوضحت الدراسة التى أعدها الباحث البريطانى المسلم «يحيى بيرت» «جوناثان بيرت» سابقا. وهو نجل اللورد «بيرت» مدير هيئة الإذاعة البريطانية السابق أن أكثر من «١٤ ألف» بريطانى بينهم عدد من كبار ملاك الأراضى ومشاهير المجتمع وشخصيات بريطانية بارزة أخرى اعتنقوا الإسلام فى السنوات القليلة الماضية وأن معظمهم تأثر بكتاب الدبلوماسى البريطانى المسلم «تشارلز لوجاى إيتون» «الإسلام وقدرة الإنسان».

ومن أبرز الشخصيات البريطانية التى اعتنقت الإسلام «إيما كلارك» حفيدة رئيس الوزراء السابق «هيربرت إسكويث» وهى الآن من قيادات حزب الأحرار البريطانى كما تشير بعض الاحصائيات إلى أن «٧٧ ألف» بريطانى اعتنقوا الإسلام عن طريق الزواج أو الدراسة.

بريطانيا تدرس الإلحاد ضمن مادة الأديان

ذكرت صحيفة «الأوبزيرفر» البريطانية اعتزام الحكومة البريطانية إدخال مادة الإلحاد لتدرس ضمن حصص الأديان فى جميع المراحل الدراسية المختلفة.

وأرجعت الصحيفة هذا الأمر إلى تراجع أعداد زائرى الكنائس بشدة خلال الفترة الماضية.

وسوف يتم إدخال مادة الإلحاد ضمن دراسات الأديان الخاصة بالإسلام والمسيحية واليهودية والديانات الأخرى.

منح لقب «سير» للمفكر الإسلامى د. زكى بدوى

منحت الملكة «إليزابيث الثانية» ملكة بريطانيا لقب «سير» (أرفع ألقاب الشرف البريطانية) للمفكر الإسلامى المصرى د. زكى بدوى مستشار رئيس الوزراء البريطانى للشئون الإسلامية وذلك تقديراً له على جهوده فى خدمة الجالية المسلمة وتعزيز علاقاتها الطيبة مع مختلف طوائف الشعب البريطانى.

ومن المقرر أن يقوم وزير الداخلية البريطانى بخلع اللقب على «د. بدوى» نيابة عن الملكة وذلك باعتبار د. بدوى مواطناً أجنبياً ولم يحصل على الجنسية البريطانية برغم استقراره ببريطانيا منذ عشرات السنين.

ويذكر أن «د. بدوى» البالغ من العمر «٨٢ عاماً» سبق له أن منح من بريطانيا قبل «ست سنوات» لقب ضابط من الطراز الممتاز فى الإمبراطورية البريطانية.

أمريكية مسلمة تفوز بجائزة التميز الدراسى

احتلت الطالبة المسلمة «لينى أحمد» من ولاية «أريزونا» الأمريكية قمة المجموعة الأولى لأكثر الطلاب الأمريكيين المتميزين دراسياً وذلك فى مسابقة أجرتها جريدة «يو إس توداى» الأمريكية بين طلاب الجامعات الأمريكية.

وقد حصلت الطالبة المسلمة الأمريكية الجنسية على جائزة خاصة لتفوقها العلمى ولابتكارها جهازاً متطوراً خاصاً بمراقبة تنفس المصابين بأمراض معينة كمرض السكر.

تجدد الحرب العرقية ضد الوجود الإسلامى بكوسوفا

تجددت الحرب العرقية التى يشنها الصرب ضد الوجود الإسلامى بإقليم «كوسوفا» حيث قام الصرب بإحراق المسجد الوحيد بمدينة «نيس» وقد أسفرت المواجهات - التى اندلعت بعد مصرع «٣» أطفال مسلمين غرقاً خلال مطاردة الصرب لهم - عن مقتل أكثر من ثلاثين شخصاً ووقوع «٦٠٠» جريح فى جميع أنحاء كوسوفا؟

وكانت أحداث العنف قد اشتعلت فى مدينة «ميتروفيتسا» المقسمة بين الألبان والصرب بشمال كوسوفا عقب العثور على ثلاثة أطفال غرقى بنهر «إبر» بينما كانوا يحاولون الهرب من مطاردة اثنين من الصرب وعلى الفور خرج آلاف الألبان فى مظاهرات نحو الجسر الذى يؤدى إلى الجزء الصربى الذى تتولى حمايته قوات حفظ السلام التابعة لحلف الأطلنطى. واندلعت بعد ذلك المظاهرات فى عدة مناطق بكوسوفا منها «فوش كوسوفا»، «بين»، «جاكوفا».

ويذكر أن إقليم كوسوفا يتم إدارته بمعرفة الأمم المتحدة منذ حملة القصف الجوى التى شنها حلف «الناتو» على مدى «١١ شهراً» على

العاصمة اليوجسلافية بلجراد لوضع حد لحملة التطهير العرقية التى قام بها الرئيس اليوجسلافى السابق «سلوبودان ميلوسوفيتش» عام ١٩٩٩م ضد الألبان المسلمين.

حريق بمسجدين شرقى فرنسا

تعكف أجهزة التحقيق الفرنسية للكشف عن أبعاد حريقين وقعا بمسجدين شرقى البلاد.

ومن جانبه أكد «دومينيك بيربن» وزير العدل الفرنسى على ضرورة إنزال أشد العقاب بالمسئولين عن إشعال الحريق بالمسجدين.

وقال إمام مسجد «أنس بن مالك» أحد المسجدين اللذين اشعلت بهما النيران: إن المساجد بحاجة لحماية أوسع وتأمين أكبر ضد المتطرفين الذين يريدون إشعال الفتنة به محذراً من وجود أسباب عنصرية وراء الحادثين.

مؤتمر نسائى تونسى يرفض الحجاب

عبر المؤتمر السنوى للجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات عن قلقه إزاء تنامى أعداد المحجبات فى الشارع التونسى.

وشددت الجمعية على رفضها القاطع لظاهرة الحجاب فى الشارع التونسى والتى تعتبرها نوعاً من الانغلاق والرجعية حيث تشهد شوارع المدن التونسية عودة قوية لارتداء الحجاب الذى كان قد اختفى خلال التسعينيات بعد صدور مرسوم حكومى يمنع ارتداء الحجاب فى المؤسسات التعليمية والإدارية.

وزعمت النساء العلمانيات بتونس فى دراسة حديثة نوقشت فى المؤتمر أن الدين والعادات والتقاليد والتعليم أهم مصادر قلق المرأة فى تونس.

أساقفة أمريكا يرحبون بموقف «بريمر» الرافض للإسلام فى الدستور العراقى

رحبت لجنة الأساقفة الأمريكيين العالمية بتصريحات الحاكم المدنى الأمريكى للعراق «بول بريمر» التى رفض فيها وضع أية إشارة للإسلام فى الدستور العراقى.

قائلاً: إن الإسلام لن يكون المصدر الرئيسى للتشريع فى القانون المؤقت للعراق.

وقال الأسقف «جون ريكارد» رئيس اللجنة: إن نجاح الجهود الرامية إلى إعادة بناء عراق ديمقراطى وتعددى تعتمد اعتماداً أساسياً على ضمان الحرية الدينية لجميع أفراد الشعب.

وزعم «ريكارد» أنه إذا كان الإسلام المصدر الرئيسى للتشريع فإن هذا سيضيق مساحة الحرية الدينية للأقليات!

وكان «بريمر» قد هدد باستخدام حق النقض ضد أية رغبة عراقية باعتماد الشريعة الإسلامية كمصدر رئيسى للتشريع فى الدستور العراقى، وتعهد بأنه سيقطع الطريق أمام أية محاولة للنص على ذلك فى الدستور.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

مجمع البحوث الإسلامية يدين جريمة اغتيال الشيخ أحمد ياسين

عقد مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف جلسة طارئة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وذلك للنظر فى عواقب الجريمة الآثمة التى ارتكبتها سلطات الاحتلال الإسرائيلى باغتيال الشهيد الشيخ أحمد ياسين الزعيم الروحى لحركة المقاومة الإسلامية، واغتيال عدد من رفاقه، وفى نهاية الاجتماع أصدر المجمع البيان التالى :-

يعلن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف أن ما قامت به سلطات الاحتلال الإسرائيلى لأرض فلسطين من اغتيال الشهيد المجاهد الشيخ أحمد ياسين ورفاقه هو عمل من أعمال الإرهاب، الذى أجمع العالم على ضرورة مقاومته، وقد جرى تنفيذه على نحو لا يعرف المجتمع الدولى سابقة لمثله، حيث أعلن رئيس سلطة الاحتلال الإسرائيلى فى تحد سافر للمجتمع الدولى - أنه أدار بنفسه عملية الاغتيال، وأشرف على تنفيذها، وهو مسلك يخالف مخالفة صارخة جميع الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية، كما يعد انتهاكا لقواعد القانون الدولى الإنسانى، وأحكام اتفاقية جنيف الرابعة، وإجهاضا متعمداً لكل محاولات إقرار السلام فى هذه المنطقة من العالم، ومجمع البحوث الإسلامية إذ يدين هذه العملية الإرهابية التى تمثل تصعيداً جديداً فى سلسلة الإرهاب الإسرائيلى لتصفية القضية الفلسطينية، وإبادة الشعب الفلسطينى الصامد، الذى لم

تدخر قياداته وسعاً فى مد يد السلام تجاوبا مع كل مشروع جاد لإقرار تسوية عادلة لنزاع طال أمده أكثر من نصف قرن من الزمان.

فإن مجمع البحوث الإسلامية يناشد جميع المنظمات والهيئات الدولية، ومنظمات حقوق الإنسان فى العالم كله أن يتخذوا جميعا موقفاً حاسما لحماية الشعب الفلسطينى من المذابح اليومية التى يتعرض لها تحت سمع العالم وبصره، والمجمع إذ يعلن هذه الإدانة فإنه يحذر المجتمع الدولى من العواقب الوخيمة بسبب التخاذل إزاء هذه الجرائم، وهى عواقب نخشى أن تنفجر وتتصاعد ويتسع نطاقها على نحو يتعذر احتواؤه وتداركه.

كما يناشد المجمع جميع الدول العربية، والإسلامية حكاماً وشعوبا أن تكون لها وقفة تأييد حاسمة للشعب الفلسطينى بكل الوسائل الممكنة، لوقف هذه المذابح، ودعم كفاح الشعب الفلسطينى وقياداته السياسية والميدانية حتى يعود الحق إلى أصحابه، ويتحقق السلام العادل فى هذه المنطقة من العالم

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

مفتى دمشق يؤكد :

الأزهر قلعة العلم للمسلمين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فضيلة الدكتور/ عبدالفتاح الزم مفتى دمشق مدير معاهد الفتح الإسلامى بدمشق والدكتور حسام الدين فرفور نائب رئيس جمعية الفتح الإسلامى رئيس قسم الدراسات التخصصية بالمعهد وطلبة وطالبات الدراسات العليا وعددهم ٣٠ فردا من الجنسين، رحب فضيلته بالسادة الضيوف بمصر وأزهرها الشريف مؤكدا على أن الله - عز وجل - أوجدنا لنتلاقى على طاعته وخدمة ديننا وأمتنا، ومن أجل التواصل والتعارف، وهذه اللقاءات هى من أجل المحبة والتآلف، مؤكدا بأن التعارف مع وبين أهل العلم واجب، وقدم شكره للوفد لزيارته للأزهر الشريف.

ومن جانبه قدم فضيلة مفتى دمشق الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء والترحيب وأن الأزهر بالنسبة لهم هو قلعة العلم للمسلمين فى أنحاء المعمورة وهو المعين المعطاء للعلم، ولكل طالب متعطش للعلم النافع المفيد، والأزهر الشريف هو المرجعية للمسلمين جمعيا فى أنحاء الدنيا، ومصر على مر العصور هى الشقيقة الكبرى

(١) يوسف: ٢١.

لنا وللعرب وللمسلمين فى كل مكان وقالوا: إنهم حينما كانوا فى حضرة فخامة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية السورية قال لهم: عليكم أن توثقوا صلتكم وعلاقتكم بالأزهر الشريف وشيخه وعلمائه، وأخبرهم بأن الأزهر الشريف يمثل وسطية الإسلام واعتداله، وأوضح نائب رئيس جمعية الفتح بدمشق بأن معهد الفتح بسوريا هو بمثابة جامعة تدرس المناهج الأزهرية بالاعتدال والوسطية والتنوير، طبقا لمناهج الأزهر الشريف حيث إن الأزهر الشريف هو منارة الإسلام لسماحته واعتداله واحترامه للشرائع السابقة، كما نطبق خطة جامعة الأزهر الشريف فى مختلف الكليات والشعب العلمية (الشريعة، والقانون، أصول الدين، الدراسات الإسلامية والعربية، التاريخ والحضارة والصحافة والإعلام، شعبة الدراسات الإسلامية والدعوة باللغات العالمية فى المستوى الجامعى الأول) والدراسات العليا بموجب اتفاقيات ثقافية علمية مبرمة بين جامعة الأزهر الشريف ومعهد الفتح الإسلامى وقد أنشىء المعهد عام ١٩٦٥ وبعد تخرج الطلاب والطالبات بعد إتمام دراستهم يحملون رسالة الإسلام للعالم أجمع بالهداية والرحمة ونشر سماحة الإسلام وحضارته فى أنحاء العالم ويلتحق بالمعهد طلاب وطالبات من ٧٠ دولة بخلاف طلاب وطالبات سوريا، والمعهد يعمل فى ظل وزارة الأوقاف السورية التى تشرف على المناهج والمقررات والخطة الدراسية بتوجيه من القيادة السورية، وعلى رأسها سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية، ونعمل يدا بيد مع قيادتها لنشر رسالة الإسلام والحضارة العربية والإسلامية بعيدا عن التطرف والغلو، فالإسلام دين السماحة ودين الرحمة للعالمين.

وقد أبدى الوفد رغبتهم فى أن يقوم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة للمعهد الإسلامى بدمشق لما فى ذلك من آثار طيبة وإيجابية وفعالة لدى أبناء دمشق وسوريا، وسوف توجه الدعوة لفضيلته من المسئولين فى الوقت الذى يراه فضيله مناسبا للزيارة.

الإمام الأكبر يستقبل وفدا سنغاليا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد الطلائع السنغالى وعددهم ٣٥ طالبا وطالبة برئاسة الدكتور أبو بكر لاى باس الأستاذ بكلية الآداب بداكا العاصمة، وأوضح فضيلته بأن العلاقات بين مصر وأزهرها الشريف وجمهورية السنغال علاقة طيبة يسودها الود والاحترام، وتوجد بعثة من علماء الأزهر الشريف يدرسون ويعلمون أبناء السنغال أمور دينهم الإسلامى بكل يسر وسهولة، كما توجد معاهد أزهرية بالسنغال تدرس علوم ومناهج الأزهر الشريف، كما يستقبل الأزهر الشريف أبناء دولة السنغال ويتلقون علومهم بجانب

إخوانهم المصريين وتوفر لهم كل سبل الراحة والرعاية من المأكل والمشرب والسكن فى مدن البعوث الإسلامية بالقاهرة والإسكندرية وأيضا العلاج وتذاكر السفر ذهابا وعودة، كما توفر لهم كل الأنشطة الرياضية والخدمات الاجتماعية والرحلات إلى غير ذلك من أنواع الترفيه.

وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم والتى أوضح فيها سماحة الإسلام واعتداله مؤكدا على أن العقائد لا إكراه عليها، وأن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون والمحبة ونحن نتعاون من أجل خدمة الوطن، وأوصاهم بالتمسك بالأخلاق الفاضلة والصدق والأمانة واحترام الصغير للكبير وتوقيره وعطف الكبير على الصغير، وأن يكونوا مواطنين صالحين يخدمون بلادهم، ومن جانبه شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء وعلى النصائح الثمينة القيمة التى استفادوا منها وستكون دائما نصب أعينهم.

الهند تطلب زيادة عدد المنح الدراسية الأزهرية لأبنائها من المسلمين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ س راتو سفير الهند بالقاهرة بمناسبة تعيينه كسفير جديد لبلاده فى القاهرة، رحب فضيلته بسعادة السفير متمنيا له دوام التوفيق والسداد فى عمله، مشيداً بالعلاقات الطيبة بين مصر ودولة الهند الصديقة، التى نكن لها كل حب واحترام وتقدير موضحا بأن العلاقات ممتدة منذ زمن بعيد، وتقوم على تبادل المصالح والمنافع، وعلى الإخاء الإنسانى، وأوضح فضيلته أن أبناء الهند يدرسون فى الأزهر الشريف بأعداد كبيرة، كما تخرجت فى جامعة الأزهر أعداد أخرى من الطلاب الذين أتموا دراساتهم بالأزهر الشريف وحينما يعودون إلى بلادهم يعلمون إخوانهم وأبناءهم فى دولة الهند.

وقال فضيلته: نحن نرحب بكل تعاون علمى وتعليمى وفى أى مجال من المجالات التى تعود بالنفع على البلدين، لأننا نؤمن بتبادل المنافع فيما بيننا، ونحن نسعد حينما نجد المسلمين وغير المسلمين يتعايشون مع بعضهم فى دولة الهند ويعيشون كأخوة متحابين يخدمون بلدهم ويعيشون فى سلام ووئام، ونحن نرى أنه لا فرق بين أبناء الوطن الواحد فالجميع يتساوون فى الحقوق والواجبات ويتعاونون مع بعضهم البعض وبالنسبة للعقائد فلكل إنسان عقيدته، ولا إكراه على العقائد لأننا ضد التعصب والعنصرية، ونحن مع التعاون والإخاء.

وحول سؤال عن الموقف فى العراق أوضح فضيلته بأنه يطالب بأن يسلم الحكم لأبناء العراق فى أقرب وقت ممكن وهذا هو الحل ولا حل سواه، وعلى المحتل أن يرحل.

وقد شكر السفير فضيلته على هذا اللقاء البناء، مؤكدا على عمق العلاقات الطيبة بين

الهند ومصر، كما قدم الشكر للأزهر الشريف على العون الذى يقدمه لأبناء الهند للدراسة بالأزهر الشريف، ورغب فى زيادة المنح الدراسية وتبادل الزيارات بين طلاب الهند والأزهر الشريف، كما أوضح السفير بأن أعداد المسلمين فى الهند كثيرة، ويقدمون إسهامات كثيرة لدولتهم، وأنهم ساهموا فى تطوير وتحديث الهند، مشيدا برأى فضيلة شيخ الأزهر الشريف فى تعاون الديانات فى البلد الواحد، ومنذ حدوث الحرب فى العراق فإن الهند لم تتدخل، ولها نفس الرأى فى أن يكون للعراق سيادته التامة على أرضه واستقلاله، وتشكيل حكومته من أبنائه.

الإمام الأكبر يستقبل سفير بولندا

●● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد/ يان ناتكانسكى سفير جمهورية بولندا فى القاهرة وذلك بمناسبة توليه عمله كسفير لبلاده فى القاهرة؛ حيث رحب فضيلته بالسفير فى مصر وأزهرها الشريف متمنيا له إقامة طيبة وأن يوفقه الله ـ عز وجل ـ فى عمله الجديد، وقد أشاد فضيلته بالعلاقات الطيبة بين مصر ودولة بولندا ومن جانبه شكر سيادة السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حسن الاستقبال موضحا بأنه تعلم اللغة العربية فى بغداد ومن أجل ذلك سيتحدث باللغة العربية، وأنه جاء للأزهر الشريف لأن شيخه من الشخصيات الهامة فى مصر، ولأنه يحمل دعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أكبر شخصية إسلامية علمية فى العالم وهذه الدعوة للمشاركة فى الملتقى الفكرى الذى سيعقد فى نوفمبر عام ٢٠٠٤ ويضم كبار رجال الدين والمفكرين والمثقفين فى العالم، وتدور أحداث هذا الملتقى على أكثر المبادىء الأخلاقية المقبولة من العالم كله بغض النظر عن الأديان وذلك من أجل احترام الحقيقة والعدل والخير العام وحرية التعبير، وبغرض أن نقول الخير للناس ونساعدهم، ولا نحجب عنهم الحقيقة.

وقدم سعادة السفير لفضيلة شيخ الأزهر رسالة تتضمن شرح الموضوع موضحاً بأن حضور فضيلته له أهمية كبرى لدولة بولندا وخاصة لدى المسلمين هناك والتى تتراوح أعدادهم من ٦-٨ آلاف مسلم.

وأشاد السفير البولندى بمكانة الأزهر العالمية وأنه أقدم جامعة للدراسات الإسلامية وغيرها فى الوطن العربى وفى العالم الإسلامى، وقال السفير بأنه يوجد ببولندا مسجدان أثريان شيدا على الطابع والطراز الإسلامى المتميز من القرن الثانى عشر وينظر إليهما على أنهما أثران إسلاميان عظيمان، كما يوجد مسجد على التراث المعاصر أقامه رجال الأعمال ببولندا، وبولندا من البلدان ذات الأماكن الطبيعية وتحتل الغابات فيها مساحات كبيرة جداً، وحرصت الحكومة على المحافظة على تلك الأماكن

الطبيعية، ومساحات أخرى من الغابات لتكون محميات طبيعية، كما تحرص بولندا على إرسال طلابها للدول العربية لتعلم اللغة العربية، ولدينا سفراء يتحدثون اللغة العربية، وهم سفراء فى تلك الدول.

وفى نهاية اللقاء شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على الدعوة المقدمة لفضيلته لحضور الملتقى وسوف يقوم بدراستها تمهيداً لتلبيتها، وسيتم الرد على سيادته حيث إن الأزهر الشريف حريص كل الحرص على حضور تلك الملتقيات لتوضيح صورة الإسلام الصحيحة فى هذه المرحلة من عمر الأمة الإسلامية التى تحتاج من المسلمين مؤسسات وأفراد أن يتكاتفوا ويتعاونوا كل فى مجاله للتعريف بحقيقة الإسلام.

المؤتمر الثانى لمجلس الاتحاد العام لطلاب المعاهد الأزهرية

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الازهر الشريف بقاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف اللقاء الأبوى لأعضاء المؤتمر الثانى لمجلس الاتحاد العام لطلاب المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية لعام ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ لعدد ٥٠ طالبا يمثلون الأمين العام والأمين المساعد للاتحادات الطلابية على مستوى الجمهورية وقد ألقى فضيلته كلمة أوضح فيها أن هذه اللقاءات من شأنها أن تجعلنا نزداد قربا واتصالا وتعاونا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان وقال: إن الأزهر الشريف يعمل بكل طاقاته لخدمة أبنائه فى جميع الجوانب العلمية والتعليمية ويهتم بدراسة الكمبيوتر إلى جانب العلوم الحديثة والاهتمام بالمعامل وتوفير بيوت الشباب والإعلان عن المسابقات لتعيين الموظفين والمدرسين والفنيين وكافة التخصصات المختلفة، واختيار أفضل العناصر وذلك للارتقاء بالعملية التعليمية مثنيا على مجهودات الدولة التى توفر للأزهر كل مايطلبه ، مؤكدا على حفظ القرآن الكريم فى المقام الأول قائلا: إن شعارنا الذى اتخذناه دليلا لنا هو (ليس بأزهرى من لم يحفظ القرآن الكريم) ثم التبحر فى العلوم الدينية والشرعية، كما أوضح فضيلته بأن جريدة صوت الأزهر تهدف الى خدمة الإسلام وتوضيح صورته.، وخدمة العملية التعليمية للمراحل الدراسية المختلفة، وأشار إلى أن الأزهر الشريف يهتم بالطلبة المتفوقين علميا ويعطى لهم المكافآت المناسبة تشجيعا لهم. وخاصة الاحتفال الكبير الذى يقام لحفظة القرآن الكريم ويتم صرف مبلغ خمسة عشر ألف جنيه جوائز للطلاب بواقع ٢٠٠٠ جنيه لكل طالب حافظ للقرآن الكريم وتتدرج المكافأة حسب نسبة الحفظ ويعطى للمحفظ ١٠٠٠ جنيه عن كل طالب حافظ للقرآن الكريم وهى مسابقة يقيمها الأزهر كل عام تشجيعا للمحافظة على حفظ القرآن إلى جانب

مايقوم به القطاع والمناطق الأزهرية لمكافاة المتفوقين، كما يراعى الأزهر الطلاب ذوى الاحتياجات الخاصة فيلبى لهم طلباتهم واحتياجاتهم، وقال فضيلته إننا نرحب بفكرة تخصيص يوم كل عام ليكون عيدا قوميا للأزهر الشريف وسنقوم بدراسة هذه الفكرة ـ إن شاء الله تعالى ـ ونسعى لتطبيقها.

كما قدم فضيلته النصح لأبنائه الطلاب بالمداومة على الاجتهاد والتفوق فالنجاح وحده لايكفى للوصول إلى المطلوب وركز على الاهتمام بالمداومة على حفظ القرآن الكريم وتلاوته وقال إننا فى عصر التفوق والله لايضيع أجر من أحسن عملا.

مهرجان التفوق الكشفى

شهد فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مهرجان التفوق الكشفى بالعاشر من رمضان بالمجمع الأزهرى النموذجى وبحضور الدكتور حامد شتلة محافظ الشرقية والسادة العلماء والقيادات الشعبية والسياسية والتنفيذية ومستثمرى المدينة وطالب فضيلته الشعوب الاسلامية والعربية ودول العالم بالوقوف الى جانب الشعبين الفلسطينى والعراقى ومساعدتهما فى سبيل الحصول على حقوقهما الكاملة فى الاستقلال والحرية لكى يعيشوا حياة كريمة كبقية شعوب العالم. وتتحرر أراضيهم من الاحتلال ويتحقق لكل مواطن فلسطينى وعراقى الأمن والاستقرار، وقال إن حركة الكشافة تهدف إلى إظهار القوة التى يدعو الإسلام إلى تاكيدها فى اعتناق العقيدة الإسلامية وضرورة التمسك بها، وبمبادئ الحق والعدل والمساواة وغيرها من الصفات التى تمثل أسماء الله الحسنى التى خص الله بها الرسل والأنبياء المخلصين والاتقياء من عباد الله، والأمة القوية التى تعتمد على إمكانياتها ومواردها الذاتية هى التى يحترمها العالم فى العصر الحالى، والحق لابد له من قوة تحميه وتدافع عنه.

وأكد الدكتور حامد شتلة محافظ الشرقية على اهمية مشاركة رجال الأعمال والمستثمرين فى دعم وتنمية المشروعات التى تعود بالنفع العام على المجتمع وفى مقدمتها مشروع التعليم الأزهرى الذى يصحح المفاهيم الاسلامية الخاطئة بما يهدف إلى توفير القيم السليمة وتوفير فرص العمل لكل فئات المجتمع.

* * *

such media; they are just recipients. In addition, our present time has not been fair as regards the movement and flow of news and information. This is due to the fact that the one who owns the means reaches the goal. Hence, we find that the news in all the international information media belong to the West; so there is no wonder that the Western life prevails over the information content, which in return reaches the Muslim society. In other words, the Muslim information becomes a repeated form of non-Muslim Information.

The Outcome

Allah, Exalted be He, does not wish humility for Muslims as He says:

(and might belongs to Allah, and to his Messenger, and to the believers) [Al-Munafiqun (The Hypocrites): 8]

Rather, the humble is the one who admires the West, tends to take its side and follows in its footsteps, and then slackens to introduce dazzling, meaningful Islamic information whose programs would astonish all humanity.

There is an important issue that we have to consider; namely, the Western's monopoly of the international information represents a worrisome matter threatening the future of Muslims. Despite the huge benefits the Western information gets from Muslims' wealth, it does not care the least about revealing the truth or refuting the lies with which Muslims are purposefully attacked; there are many incidents substantiating this issue and all of us are aware of them.

Islam's Universality Necessitates the Universality of Its Information

Unquestionably, the means of delivering the True Religion has to be universal, lest we should be regarded as negligent. The universality of our religion necessitates that we establish universality of our religion necessitates that we establish international information and to make use of the international communication media to deliver the Message as well as to be able to defend it against the Crusade and Zionistic malicious campaigns.

(And when My bondmen ask you Concerning Me-then, surely I am near, I answer the invocation of the invoker when he invokes Me) [Al-Baqarah (The Cow): 186]

This is due to the fact that there are almost uncountable verses in the Qur'an demanding all people, especially the disbelievers, to put aside all the obstacles preventing man from discovering the truth and working according to it. Such grave obstacles involve compulsion in religion, blind imitation of fathers and forefathers, following personal inclinations and whims, taking mediators between Allah and people, etc. With regard to this, Allah, the Almighty, says:

(Would you then compel mankind until they are believers?) [Yunus (Jonah): 99]

(There is no compulsion in the religion; right-mindedness has already been evidently (distinct) from misguidance) [Al-Baqarah (The Cow): 256]

Moreover, the Qur'an dispraises the polytheists as regards their blind imitation of their fathers and forefathers, despite their ignorance and falsehood, in matters of creed and behavior. Allah, the Ever-Glorious, says:

(And when it is said to them "Come to what Allah has sent down and to the Messenger," They say, "Enough for us is what we found our fathers (doing)". Even if their fathers did not know anything and were not guided) [Al-Ma'idah (The Table): 104]

In addition, Allah disapproves of their resistance to respond to the call of truth as they follow only their personal desires and inclinations. Allah says:

(So, in case they don't respond to you, then know that they are only closely following their prejudices) [Al-Qasas (The Narrative): 50]

After putting aside all these obstacles, the Qur'an invites all people to contemplate the creation of heavens and earth and the creation of man; namely, all the universal and human phenomena. This is for the aim of realizing, through studying and discovering what lies in such phenomena of laws, relations, unity of order and wise management, that there is Only One Creator.

What is better than such a methodology based on objectivity and science (i.e., Islam)!

*The Universality of Islam
Our Entrance to a Universal Islamic Information Media
By : Dr Hassan Ali Al-`Anbeessy

The anti-Islamic powers pay a lot of attention to the information media. Their planned and targeted aim behind such efforts is to turn Muslims away from the goals of their religion as well as its behavior, tradition and practice in general. Undoubtedly, when we look into the conditions of our Islamic societies anywhere, we find that those enemies have succeeded in what they have been planning for. They possess the most sophisticated among the products of the scientific advance in the field of information in addition to the abundant resources and wealth.

The Media Working against Islam:

The anti-Islamic West has held sway over the international information media with all its various powers. It has begun to disseminate its ideas and has indirectly propagandized its goals among Muslims. Moreover, it has taken hold of the news sources as well as news circulation, so the information media in the Islamic countries derive from it most of their news.

The field of radio broadcasting is regarded as home for the missionary stations to broadcast about 900 hrs/week, and in more than 80 different languages with all the various local and international dialects. Such broadcasting stations would not forget the different ages: children, adults, and old people. They would allocate more than ten million dollars every week for the specialized programs.

The World of the New International Information

The Islamic world possesses a lot of means, wealth and expertise, so why have its energies become exhausted and its capabilities become wasted?

The new world of international communication has not been fair with regard to the possession of information media; some countries own and others do not. It goes without saying that the Muslim countries are among those who do not possess

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

*The Creed and Reason

By: Dr. Ahmed Abdul-Hamid Ghurab

No doubt that we are a nation of firmly established intellectual and cultural heritage. When one contemplates our intellectual heritage in particular, one notices a real phenomenon worthy of study; namely, our intellectual heritage is seen distinguished by originality, deepness, abundance and openness only when its sources and branches are derived from the Qur'an and the *Sunnah*, while its originality decreases and shallowness appears when it deviates from these two everlasting sources and imitates, instead, the secular cultures and philosophy exaggerating in praising and magnifying the human intellect. Such secular cultures and philosophies deify the human intellect and claim that it can search in everything and solve any problem, and that man's intellect, therefore, is sufficient and he does not need Allah's guidance at all.

It is well known that this secular attitude had its deep roots in the Greek philosophy exaggerating in magnifying the human intellect and denying the Divine Revelation. Then, this attitude flourished in Europe during the Renaissance: This goes back to historical as well as religious reasons due to the persecution committed by the churchmen against science and scientists, and suppression of the freedom of thought and conscience; moreover, those churchmen would interfere in the direct relation between man and his Creator. This was when they assumed the role of intermediating between the created and the Creator, and that only through them man would get either salvation or punishment.

Contrarily, such an attitude cannot be witnessed in Islam. This is due to the fact that Islam does not persecute

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

science or scientists. In addition, Islam does not suppress the freedom of thought or exercise divinity or intermediation between man and his Creator. In support of this view, the Ever-Glorious Qur'an is full of many verses that honor the intellect and exhort man to think about all fields available before the human mind, including all the universal and human phenomena. Further, Islam allows us to study such phenomena in order to get what may benefit all mankind and provide good life on the earth. Additionally, the Noble Qur'an is rife with verses that honor science and scientists. With this in mind, we have to know that science in Islam is the useful science that benefits all people; it is the science relating to belief in Allah and leading to revere and fear Him. In this regard, Allah, Exalted be He, says:

(Surely only men of knowledge are the ones of His bondmen who are apprehensive of Allah) [Fatir (The Originator):28]

Hence, science in Islam is not used to destroy, ruin, torture, or cause corruption in the land as witnessed in the Capitalist West and Communist East. Rather, science in Islam is used to achieve benefit and good for people in this world and in the Hereafter as well; to realize a kind of balance that satisfies all man's material and spiritual needs without excessiveness or monasticism.

The Glorious Qur'an is rich in the verses that state man's responsibility with regard to his deeds. That responsibility depends on man's ability to distinguish between good and evil, and his freedom whether to choose the path of guidance or that of aberrance; man is responsible for his deeds and there is no compulsion in religion.

Besides, the Noble Qur'an expounds the direct relation between man and his Creator. In such a relation man does not need mediators, even prophets and messengers. In this connection, Allah, Exalted and Glorified be He, says:

that its owner (i.e., Dr. Ghalab) was not a member of a political party who would know its leaders, and write political articles which would reach people, unlike others. That is, Dr. Ghalab confined the field of his magazine to culture, art and poetry. His magazine faced a fierce war launched by the competitors of the widespread magazines. Such competitors would instigate the magazine sellers not to buy or distribute it.

Nevertheless, at that time, the College of *Usulud-Din* (The Principles of Religion) was established. Dr. Ghalab was appointed as the professor of philosophy at the college. Moreover, he would participate, with the eminent among scholars, in setting and designing the syllabuses for the students of Al-Azhar colleges and institutes. Further, his compilations began to flow in torrents like rain.

Dr. Ghalab's lectures were directed to studying the Eastern and Greek philosophies. In this relation, Aristotle stated that the world has not known about philosophy except through the Greek empire and at the hands of the Greek philosophers. According to what he claimed, philosophy owns its origin to the Greek. However, this claim has been met with acute disapproval by many people. From this we can realize that Dr. Taha Hussein has based his view on opposing Aristotle's claim. In his Book entitled *"The Philosophy of the East,"* Dr. Ghalab answers that claim saying, "This view has been adopted by many people doing nothing but imitating and following others in every idea attacking and belittling the East." At that time, all the books of philosophy at the Faculty of Arts were denying any influence of the Eastern philosophy on the other philosophies which followed it, according to the Westerners. In support of this view, Dr. Taha Hussein published a book entitled *'Leaders of Thought,'* in which he defended that idea. Moreover, Dr. Ahmed Amin wrote the story of the

Greek philosophy and strongly defended that view disregarding the influence of the Eastern philosophy on humanity.

Among the students who attended the lectures of Dr. Ghalab were some who read the books of scholars like Yusuf Karam, Taha Hussein and Ahmed Amin and realized the difference between the views of such scholars and that of Dr. Ghalab. At first, those students thought that Dr. Ghalab was only trying to satisfy their Eastern zeal not depending on research, investigation or facts. One of those students took heart and asked Dr. Ghalab, "Why do you not publish your answer to those who contradict you in a scientific magazine, so that the circle of discussion widens?" Dr. Ghalab listened to his student thoughtfully and he got convinced with that idea and began to publish successive articles at *"Ar-Risalah (Message) Magazine"* that continued for a whole year. Then, he compiled those articles in two volumes and printed them. These two volumes achieved unexpected success. That is, that student was able to motivate his master to publish his works in public, so his ideas and thoughts would reach the Arab arena after being confined in a narrow field.

Indeed, there are numerous compilations of Dr. Ghalab relating to the field of literature and its history. Among those compilations are "Artists of the French Romanticism," "The Comparative Literature," and "The Hellenistic Literature." Truly, the literary tendency was highly implanted in the character of Dr. Ghalab while he was still a student at Al-Azhar, then at the Egyptian University. That is, he used to publish artistic thoughts in the weekly magazines. Dr. Zaki Mubarak referred to some of those works in his book *"Tears of Lovers."* Additionally, Dr. Ghalab used to publish artistic translations of some of the famous European novels in magazines including *"Weekly Politics," "Ar-Risallah," "Novel."*

were riding? What happened to it?' I replied, 'Yes, by Allah, it is.' They said, 'By Allah, there is something unusual with it.' "

Halimah continued saying, "That year suffered lack of rain; people's sheep suffered hunger and so would not give milk, however my sheep were always satisfied and thus would give us abundant milk. In addition, Allah's blessings were pouring on us. After two years, I weaned him (i.e., the Prophet) and took him back to his mother. I asked her to let him stay with me until he would become strong, and she was afraid for him of the weather of Mecca, so she let me. He stayed with me until he became five years old." At that time, he happened to have an accident, as came in the *hadith* narrated by Anas Ibn Malik which reads, "Gabriel came to the Messenger of Allah while he was playing with his playmates. He took hold of him and lay him prostrate on the ground and tore open his breast and took out the heart from it and then extracted a blood-clot out of it and said, 'That was the part of Satan in you.' And then he washed it with the water of Zamzam in a golden basin and then it was joined together and restored to its place. The boys came running to his mother (i.e. his nurse Halimah) and said, 'Verily Muhammad has been murdered.' They all rushed toward him (and found him all right). His color was a little changed."

It will take books and books to state but some of the Prophet's honorable attributes, including his patience, generosity, humanity, forgiveness, mercifulness, kindness, asceticism, etc. Once, `Umar Ibnul-Khattab visited the Prophet while he was lying on the mat and under his head there was a pillow made of leather and it was stuffed with palm-fibers, so I was moved to tears (on seeing this extremely austere living of the Prophet), and he said, "O Ibnul-Khattab, what makes you weep? I said, "O Allah's Messenger, why should I not shed tears? This mat has left its marks on your sides; Caesar and Khusraw are leading their lives in plenty whereas you are Allah's Messenger and His chosen one, and that is your condition!" Thereupon, he said, "Ibnul-Khattab, are you not satisfied that for us (there should be the prosperity) of the Hereafter, and for them (there should be the prosperity of) this world?"

These are the manners of the honorable Messenger that cannot be reached by a human being.

Dr. Muhammad Ghalab
An Independent Philosopher and Researcher
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

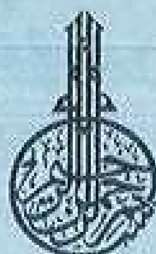
Muhammad Ghalab was born on the 1st day of the twentieth century. He descended from a family that would feel proud of its origin. His father was the chief of the village, and who died while his son was five years old. At his young age, Muhammad Ghalab lost his eyesight. Then he joined Al-Azhar where he became distinguished among his classmates.

Muhammad Ghalab's strong determination pushed him to learn French and to join the Egyptian University. He managed to get the high diploma from the French Law School. At that time, Taha Hussein came back from Paris as a famous professor, so he symbolized a hope for few like Muhammad Ghalab (suffering blindness), who insisted on going to France to reach the same degree. Thereby, Muhammad Ghalab traveled to France to join the university, after a lot of efforts trying to convince his family. In this regard, he would sadly remember that when he took the ship heading for France from Alexandria Port, no one was there to say goodbye to him, and when he returned, no one was there to receive him. However, he succeeded and returned holding the doctorate.

When he came back, Dr. Ghalab followed the footsteps of Dr. Taha Hussein with regard to getting connected with the press and directing the public opinion. Therefore, he issued *"The Intellectual Rise Magazine"* for three successive years, so as to raise a new generation of readers that would absorb his principles. Some youth were attracted to him and he began to motivate them to publish their ideas. Moreover, he invited some of the professors of the High School to contribute in publishing articles. Unfortunately, the Magazine could not reach the planned goal due to the fact

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabiu-l-awwal 1425 A. H.



ENGLISH SECTION

May. 2004

﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Blessings of the Messenger In the Memory of His Birthday

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Every year the Islamic Nation witnesses the memory of the birth of Allah's Messenger, may the blessings and peace of Allah be upon him, and the memories of this early years. In this regard, Ibn Ishaq has narrated that Halimah As-Sa'diyah (the Prophet's nurse) related her story with the Prophet saying, "I went out with some women of my village heading for Mecca seeking to nurse the babies newly-born in Mecca. That time was very difficult, as there was no rain, and my ride was very weak and having difficulty in walking, so all the other women reached Mecca before me. All of them refused to take the Prophet and preferred to take another baby of a rich family instead."

Halimah continued saying, "Upon my late arrival, the rest of the women were preparing for departure. I could not find any baby to take but the Prophet. I hesitated to take him, but I was afraid to return without any baby. Therefore, I returned and took him after I had consulted my husband and he did not mind. My husband and I returned carrying the orphan baby (i.e., the Prophet). At that time, my breasts were out of milk, which made my first foster child in a continuous state of hunger making him cry, especially at night to the degree that prevented all our family from sleep. As soon as I put the baby (i.e., the Prophet) in my lap, my breasts were full of milk at once, so the Prophet and his foster brother drank to their full."

She went on saying, "When my husband went to see his old she-camel, whose udder were dry, he found it full of milk, so he milked it and we all drank from it until satisfied. Thereupon, he said to me, 'O Halimah, by Allah you have won something blessed.' I replied, 'I hope so.' Then, we started the journey of return and I rode my she-ass and carried the baby (the Prophet) with me. Suddenly, the weak she-ass having difficulty in walking began to walk faster as if it were a horse. Soon, I caught up with the women who were ahead of me. They cried surprisingly, 'O you daughter of Abu Dho'ayb! Is not that your weak she-ass you

الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير
سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

ربيع الآخر ١٤٢٥هـ - يونيه ٢٠٠٤م - الجزء الرابع - السنة السابعة والسبعون

افتتاحية العدد

عروبة مصر والدكتور طه حسين

وصلتنا كلمات كثيرة، حول ما شكك فيه المغرضون بشأن عروبة مصر، ومن الكتاب من خص الدكتور طه حسين بلوم حاد، فرأيت أن أكتفى بالرد على ذلك بإعادة ما نشرته فى مجلة «الهلال» (أبريل سنة ٢٠٠٤) عن هذا الموضوع.

«المحرر»

الدكتور طه حسين مفخرةٌ من مفاخر الأدب العربى المعاصر، فقد ترك من الآثار الأدبية القيِّمة ما أحدث دويا بين النُقاد، وكانت له جرأةٌ تدفعه إلى الجهر أحيانا بما لا يرضاه الكثيرون، وهو يُرحِّبُ بعدم الرضا، ويَعُدُّه دليلاً على اليقظة والاستقلال، ومن طبيعة الرجل الكبير أنه لا يصبر على مُراجعة آرائه حين تسنح فى خاطره، بل يُسارع إلى تسجيلها فى مقال عاجل يشغل القُرّاء، أو فى كتاب ثائر يظن أنه سيبعث الضجيج الذى يرحب به كثيراً كثيراً، وهو يعترف بهذه العجلة فى التأليف والنشر، ويسجلها فى مقدمات كثير من كُتُبه، فهو يقول فى مقدمة كتابه: «من حديث الشعر والنثر»: من لى بالوقت الذى يُمكنني من إعادة النظر فى كلام مضت عليه أعوام، ومن لى بفراغ الليال الذى يتيح لى أن أفكر فيما قلته أمس وأنا رجلٌ مضطر دائماً إلى أن أفكر فيما أقوله اليوم أو غداً.

ويقول فى مقدمة كتابه: «حديث الأربعاء»: «كُنتُ أرجو أن تُتيح لى الأيام شيئاً من فراغ البال يمكننى من النظر فى هذه الفصول وتهيئتها للجمع والنشر، ولكنَّ الأيام لم تُتح لى ما كنت أرجو وما أحْسبُ أنها ستُتيحه



د. طه حسين

لى قبل أمد بعيد» ومعنى ذلك كله أنَّ على قارئ الدكتور إذا أراد أن يستند إلى رأى أذاعه، أن يُحاول استقصاء ما كتب في هذا المجال، فربما يكون قد تعجَّل القول فى أمر فأتى بما هو موضعٌ للنقد ثم عنَّ له أن يصحح ما قاله، فكتب ما يُناقض قوله السابق، وهذا ما حدث كثيرا فيما قرأته من آثار الكاتب الكبير، ولا معابة عليه فى ذلك، ولكن الذى يُوجه إليه النقد من اقتصر على رأى سابق للدكتور وعدَّه موضع حكمه، فأطلع قارئه أو سامعه، على ما يجب تصحيحه والتعقيب عليه، لاسيما إذا كان موضع الخلاف جوهريا يترتبُ عليه نتائج حاسمة لا تقبلُ التردد والارتياب، وأىُّ مسألة أقوى خطرا، وأبلغ أهمية من رأى للدكتور فى عُرُوبة مصر ومكانتها من الأمة العربية، فقد أسلف الدكتور فى هذه القضيَّة ما كان موضع النقد الصارم من كبار الدارسين، ثم مضت الأيام، فعاود الدكتور بحثَهُ مُتأملاً فاحصاً، حتى اهتدى إلى خطئه فيما قرر، وكتب ما ثبتت له صحته بعد التأمل والتدبير!. أفيجُوز إذنْ لبعض الفضلاء الذين تحدثوا فى ندوة أدبية عن طه حسين أنْ يعتمد على الرأى السابق وحده، وأن يعُدّه سدرة المنتهى التى اطمأن إليها الأديب الكبير؟. فيظلمه بذلك ظُلْماً بيناً لا لبس فيه!. وما أمثلُ لذلك إلا بمثال من يكتب سيرة تاريخية لخالد بن الوليد «سيف الله المسلول»، فيتحدث عن عدائه للدعوة الإسلامية فى أول أمره، ثم يفيض فى مواقفه العدائية للإسلام فى غزوة بدر، وفى هجومه الصارخ على المسلمين فى أُحُد حيثُ قلب بهذا الهجوم ميزان المعركة تماما!. ويقفُ بالقول عند ذلك تاركاً الصفحات البيض التى سجلها خالد بعد إسلامه، فكانت غُرَّة فى جبين الفتح الإسلامى!. أفذا فعل ذلك من تعرض لسيرة خالد، أفيكون مصيباً أم غير مصيب؟.

أقامت لجنة الدراسات الأدبية والنقدية بالمجلس الأعلى للثقافة بالتعاون مع كلية الآداب قسم اللغة العربية ندوة مُوسعة استمرت يومين تحت عنوان: «طه حسين بعد ثلاثة عقود» وقد دارت بحوث شتى فى محيط طه حسين، يهمُنى منها الآن التعقيب على مُتحدث فاضل قرر أن طه حسين يرى أن مصر ترتبط بثقافة البحر الأبيض، دون ارتباطها بالثقافة العربية، وهذا ما أكده طه حسين فعلا، وألحّ على تقريره فى كتاب «مستقبل الثقافة فى مصر» وقد قُوبل حينئذ بنقد عاصف من كبار المثقفين، أذكر فى طليعتهم المفكر العربى الكبير الأستاذ ساطع الحصرى، حيث أفرد عدة مقالات قوية لدحض هذا الزعم، ولم يجب الدكتور بشىء ما على ناقديه، حيث كان من ديدنه أن يُلقى بالحجر الثقيل فى الماء ليحدث دويا يأخذ الأسماع، ويقرأ ما كُتب دون أن يرد إلا إذا كان محاوره عباس العقاد أو المازنى أو هيكل، فهؤلاء الثلاثة كان طه لا يجرؤ على إغفال قولهم، لما يُعرف من تأثيرهم الأدبى لدى القراء، ثم أجمعت الأمة بعد عشرين عاما على ضرورة الوحدة العربية، ورأى الدكتور أن يُبارك هذا الاتجاه، فألقى خطبة رنانة فى مؤتمر أدباء العرب المنعقد فى القاهرة ابتداء من ١٥ / ١٢ / ١٩٥٧، وحضره ممثلون عن أدباء لبنان وسوريا والعراق والكويت والبحرين واليمن والسودان وتونس والمغرب وليبيا والأردن والجزائر وفلسطين، هذه الخطبة نسخت كل ما قاله فى كتابه «مستقبل الثقافة فى مصر» وأعادت الدكتور طه إلى عروبته الأصيلة زائدا عنها، مبتهجا ببعثها الواقعى بعد أن كانت حُلُما يتردد فى النفوس الرائدة، وكان على الباحث فى ندوة المجلس الأعلى أن يلتفت إلى ذلك فى هذا الوقت بالذات، لأن أقلاما غير مسئولة أخذت تتنكر لعُروبة مصر، وتُرسل من النفثات المريضة فى الصحف المأجورة ما يُزعج المخلصين من أبناء الوطن العربى، وهؤلاء فى رأيى لا يكتبون عن عقيدة، ولا يثبتون على رأى لأن ذبذبتهم الفكرية تحول دون ثباتهم الواعى، كان على الباحث أن يُظهر تراجع الدكتور عما قرّره من قبل، بدل أن يُعطى هؤلاء المندفعين اسما كبيرا يصولون به، هو اسم الدكتور طه حسين، ومهما يكن من شىء فالحقُ لا يُعرف بالأشخاص، ولكن يُعرف بالمنطق لدى الصيّال!.

مناقشـــــات جوهريـــــة

ليس من المعقول أن أعرض فى مقال متواضع، كلَّ ما ساقه الدكتور طه حسين من شبهات حول عروبة مصر، وأعقب عليها بما فنده الكبار من أخطاء وقع فيها الدكتور متسرعا كعادته دون أن يلوذ بالاتئاد، ولكنى أكتفى بثلاث نقاط ذكرها الدكتور، وأختار الرد عليها من نقدات من تعرضوا لها بالتوهين، ومن مقارنة الشُبه العائمة بالإجابات المُقنعة، ينجلى الحق دون ضباب.


سيد قطب

١- يقول الدكتور طه: «إذا أردنا أن نلمس المؤثر السياسى فى تكوين الحضارة المصرية وفى تكوين العقل المصرى، وإذا لم يكن بدٌ من اعتبار البيئة فى تقدير هذا المؤثر، فمن اللغو ومن السخف أن نفكر فى الشرق الأقصى أو الشرق البعيد، ومن الحق أن نفكر فى البحر الأبيض المتوسط، وفى الظروف التى أحاطت به، والأمم التى عاشت حوله، وإذن فالعقل المصرى ليس مثلا شرقيا، إذا فهم من الشرق إلى الصين واليابان والهند، وقد نشأ هذا العقل المصرى متأثرا بالظروف التى أحاطت بمصر، وعجلت فى تكوينها، ثم نما فى أوروبا، وأثر فى الشعب المصرى من الشعوب المجاورة وتأثر بها، وكان من أشد الشعوب تأثرا بها العقل المصرى، وتأثيرا فيها العقل اليونانى».

هذا القول الذى يجعل الشرق محصورا فى اليابان والصين والهند، ويُهمل إهمالا تاما البلاد العربية المجاورة ومنها مشرق الإسلام فى الجزيرة، قد فطن إلى فساده الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ فقال فى الرد عليه: «إن وضع المسألة فى هذا الموضع تتجلى فيه مهارة الدكتور فى المناقشة، فقد قسّم الدنيا قسمين اثنين لا ثالث لهما. قسم تمثله الصين واليابان، وإن شئت فضُمَّ إليهما الهند وأندونيسيا.. وقسم تمثله فرنسا وإنجلترا، وإن شئت فضُمَّ إليهما كل دول أوروبا وأمريكا، ولابد حينئذ أن تكون مصر أمة غربية لأنها تفهمُ الإنجليزى والفرنسى أكثر مما تفهم الصينى واليابانى، ولكن لا ريب نجد وجه المسألة يتغير لو كان الشرق الذى سيواجهك به غير الصين واليابان، أى لو كان هناك قسم ثالث للدنيا يمثله الشرق العربى والمغرب العربى، ومصر بينهما حلقة اتصال».

٢- ويقول الدكتور طه: «ليس بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم فرقٌ عقلى أو ثقافى، وليس بيننا وبين الأوروبيين فرق فى الجوهر، ولا فى الطبع ولا فى المزاج»

فيرد عليه الأستاذ الكبير ساطع الحصرى قائلا:

«لا أدرى كيف يستطيع أحدٌ أن يدعى ذلك بصورة جدية؟. فإن الفروق فى الطبع والمزاج من الأمور التى تشاهد على الدوام بين الأمم الأوروبية نفسها، وهى تبدو للعيان بين الإنجليزى والفرنسى والألمانى والإيطالى، حتى بين الشمالى والجنوبى من الفرنسيين، والشرقى والغربى من الألمان، والسهلى والجبلى من الطليان، وبين الريفى والمدنى والصانع والتاجر والمثقف والعامى من هؤلاء، فكيف يعقل مع هذا ألا يختلف طبع المصريين ومزاجهم عن طبع الأوروبيين ومزاجهم بوجه من الوجوه. إنى أميل إلى

أن الدكتور طه لم يكتب هذه العبارة عن تأمل واقتناع».

٣- يقول الدكتور طه: «إن الإسلام لم يُغيِّر العقل المصرى، ولم يُغيِّر عقل الشعوب التى اعتنقته، بل إن الإسلام قد مدّ سلطان العقل اليونانى، وبسطه على بلاد لم يكن زارها إلا لماما، وإذا كانت أوروبا لم تتأثر عقليا بالإنجيل، فإن مصر لم تتأثر بالقرآن».

فيقول الدكتور زكى مبارك رداً على ذلك:

«إن الديانات تفترق وتجتمع، ولكن هذا لا يمنع من أن هناك خصائص للعقلية المسيحية والعقلية الإسلامية، وهذه الخصائص تخفى على العوام ويُدركها الخواص، وكيف لا توجد هذه الخصائص بين دينين مختلفين،؟. مع أننا نعرف أن هناك خصائص متعددة فى الدين الواحد، إننا نعرف أن للكاثوليكية خصائص. وللبروتستانتية خصائص، وإننا نعرف أن للعقلية الشيعيّة خصائص. وللعقلية السنّية خصائص. فكيف جاز لك يا سيدى أن تتوهم أن الإسلام لم يغزُ العقلية المصرية بتغيير وتبديل؟.

إن الموجة الإسلامية التى طغت على مصر فنقلتها من لغة إلى لغة ومن دين إلى دين والتى قضت بأن تنفرد مصر، بحراسة العروبة والإسلام بعد سقوط بغداد، هذه الموجة العاتية لا يمكن أن يُقال إنها لم تنقل مصر من العقلية اليونانية إلى العقلية الإسلامية، والعقلية الإسلامية هى شىء غير العقلية اليونانية بلا جدال».

هذا قليل جداً، لا يمثل واحداً فى المائة مما كتبه كبار النقّاد فى نقد آراء الدكتور طه حسين فى مستقبل الثقافة، ويكفى أننى أثرتُ شهيّة القارئ الدارس فى تتبع هذه الآراء تتبعاً بصيراً، وقد كانت مجلات: الرسالة والثقافة ودار العلوم فى سنة ١٩٣٩ مسرحاً لهذه الآراء، وكانت بحقائقها الصارمة سبباً فى تعديل جوهرى لهذه الآراء، قام به الدكتور طه حسين حين ألقى خطابه الحافل فى افتتاح مؤتمر الأدباء العرب عام ١٩٥٨م. ومن الحظ الحسن أن مجلة «المجلة» الصادرة بتاريخ يناير سنة ١٩٥٨، قد نشرت خطاب الدكتور فى صدر العدد منوهة به، كما أن الجزء الأخير منه قد قُرر على طلبة المدارس الثانوية فى درس النصوص، فصار مشتهراً على أوسع نطاق، وفى هذا ما يدل على اتجاه حميد للدكتور وشجاعة فائقة فى الرجوع إلى الحق، وأذكر أن الدكتور حسين فوزى رئيس تحرير المجلة قد أثنى ثناء طيبا على خطاب الدكتور، وقال فى المقدمة التى يفتتح بها المجلة كل شهر: «أنا لا أتهم بالغُلو، ولا أرمى بالتحيز عندما أقول إن خطيباً من خطباء المؤتمر وقف يُمثل عندى العروبة فى أعمق معانيها، وأقومها.. ألا وهو الدكتور طه حسين».. ولعل القارئ قد اشتاق إلى أن يقرأ بعض ما قاله الدكتور إذ ذاك، فأسوق إليه هذه الفقرات:

لقد تحدث الدكتور طويلاً عن أثر الأدب العربى فى نهضة الأمة العربية، وعن أثر الدين الذى كان هو العامل الأول أو المؤثر الأول فى انتشار العرب خارج جزيرتهم، ثم فى تكوين هذه الأمة الحديثة ومن المحقق أن البلاد التى يتألف منها العالم العربى الحديث لا يمكن أن تكون مؤلفة حقاً من عناصر عربية خالصة، وإنما هى عربية بلغتها، بشعورها وعقلها ووجدانها وعربية بدينها سواء كان هذا الدين إسلاما أو نصرانيا، هى عربية بهذا كله، أثرت العروبة على غيرها وأصبحت أمة عربية جديدة كوّنها الإسلام، وكونها دون إكراه أو إجرام أو عنف..

ثم قال الدكتور ما نصه:

«إذا كان الأدب قد أدى واجباته إلى الآن فينبغى أن يؤدى هذه الواجبات فى تقوية القومية العربية، وتكوين هذه الوحدة العربية التى ورثها العرب عن أسلافهم وعن آبائهم الأُول، تكوين هذه الوحدة التى أضاعتها الأحداث والخُطوب، يجب أن تعود وأن تتم، ويجب أن تكون الأمة العربية واحدة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، وأن يكون العرب كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وألا يذهب العرب هذه المذاهب المتفرقة، قومٌ يخلصون للفكرة العربية، وقومٌ يخلصون ببعض قلوبهم، ولا يخلصون بها كلها، كل هذا يجب أن يزول. والوحدة العربية يجب أن تتحقق، وليس إلى تحقيقها الصحيح من سبيل، إلا أن ينهض بها الأدباء، فهم بُناة القومية العربية، وهم الحفظة عليها، وعلى نموها وقوتها، وعليهم ألا يريحوا أو يستريحوا حتى يتم تكوين هذه الوحدة، وحتى تمضى الأمة العربية فى طريقها إلى الحياة الراقية المجيدة السعيدة».

هذا الكلام الرائع ردّ حاسم على كل ما قاله من قبل، وهو بتدفقه الجياش، وبحرارته الدافقة ينبئ عن إخلاص أكيد للوحدة العربية، وإيمان بمستقبلها إذا سلكت النهج القويم.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

الآية: ١٠ : ١٣

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

الوقود - بفتح الواو - هو ما توقد به النار كالحطب وغيره. وأصله من وقدت النار تقد إذا اشتعلت. والوقود - بضم الواو - المصدر عند أكثر اللغويين.

والمعنى: إن الذين كفروا بالحق لما جاءهم، وعموا وصموا عن الاستجابة له، لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم يوم القيامة، ولن تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله الذى استحقوه بسبب كفرهم، واغترارهم بكثرة المال، وعزة النفر، وقوة العصبية وقد أكد - سبحانه - هذا الحكم ردا على مزاعمهم الباطلة من أن ذلك سينفعهم فقد حكى القرآن عنهم أنهم قالوا:

﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[1].

فبين - سبحانه - أنه بسبب كفرهم الذى أصروا عليه، لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم أى نفع من وقوع عذاب الله عليهم.

ومن فى قوله ﴿ مِّنَ اللَّهِ ﴾ لابتداء الغاية و﴿ شَيْئًا ﴾ منصوب على المصدرية. أى شيئا من الإغناء. أو النفع، لأن الذى ينفع الناس يوم القيامة إنما هو إيمانهم وعملهم الصالح.

والإشارة فى قوله

﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾

لأولئك الكافرين الذين غرهم بالله الغرور. أى: وأولئك الكافرون الذين اغتروا بأموالهم وأولادهم ولم يعيروا أسماعهم أى التفات إلى الحق هم وقود النار أى حطبها. أى أن النار يشتد اشتعالها فيهم حتى لكأنهم هم مادتها التى بها تتقد وتشتعل.

وجيء بالإشارة فى قوله ﴿ وَأُولَٰئِكَ ﴾ لاستحضارهم فى الأذهان حتى لكأنهم بحيث يشار إليهم. وللتنبيه على أنهم أحرياء بما سيأتى من الخبر وهو قوله ﴿ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾. وكانت الإشارة للبعيد، للإشعار بغلوهم فى الكفر، وانغماسهم فيه إلى منتهاه، ولذلك كانت العقوبة شديدة.

وقوله ﴿ وَأُولَٰئِكَ ﴾ مبتدأ، وهم ضمير فصل والخبر قوله: ﴿ وَقُودُ النَّارِ ﴾ والجملة مستأنفة مقررة لعدم الإغناء. وفى هذا التذييل تهديد شديد للكفار الذين اغتروا بأموالهم وأولادهم ببيان أن ما اغتروا به لن يحول بينهم وبين الخلود فى النار.

قال الفخر الرازى ما ملخصه: اعلم أن كمال العذاب هو أن يزول عن الإنسان كل ما كان منتفعا به. ثم يجتمع عليه جميع الأسباب المؤلمة.

أما الأول فهو المراد بقوله

(١) سبأ: ٣٥

﴿ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾.

وذلك لأن المرء عند الخطوب والنوائب فى الدنيا يفزع إلى المال والولد. فبين الله -تعالى- أن صفة ذلك اليوم مخالفة لصفة الدنيا. ونظير هذه الآية قوله -تعالى-:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[2].

وأما القسم الثانى من أسباب العذاب فهو أن يجتمع عليه الأسباب المؤلمة، وإليه الإشارة بقوله:

﴿ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾

وهذا هو النهاية فى العذاب، فإنه لا عذاب أزيد من أن تشتعل النار فيهم كاشتعالها فى الحطب اليابس[3].

ثم بين -سبحانه- أن حال الكافرين بالحق الذى جاءهم به النبى -ﷺ- كحال الذين سبقوهم فى الجحود والعناد فقال -تعالى-:

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

الدأب: أصله الدوام والاستمرار. يقال: دأب على كذا يدأب دأبا ودأبا ودءوبا، إذا داوم عليه وجد فيه وتعب. ثم غلب استعماله فى الحال والشأن والعادة، لأن من يستمر فى عمل أمدا طويلا يصير عادة من عاداته، وحالا من أحواله فهو من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم.

وآل فرعون: هم أعوانه ونصراؤه وأشياعه الذين استحبوا العمى على الهدى واستمروا على النفاق والضلال حتى صار ديدنا لهم.

قال الراغب: «والآل مقلوب عن الأهل. ويصغر على أهيل إلا أنه خص بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات ودون الأزمنة والأمكنة. يقال آل فلان ولا يقال آل رجل.. ولا يقال آل الخياط بل يضاف إلى الأشرف والأفضل. فيقال آل الله وآل السلطان، والأهل يضاف إلى الكل فيقال أهل الله وأهل الخياط كما يقال أهل زمن كذا»[4].

والمعنى: حال هؤلاء الكافرين الذين كرهوا الحق الذى جئت به -يامحمد- ولم يؤمنوا بك حالهم فى استحقاق العذاب، كحال آل فرعون والذين من قبلهم من أهل الزيغ والضلال. كفروا بآيات الله، وكذبوا بما جاءت به من هدايات فكانت نتيجة ذلك أن أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر حيث أهلكهم بسبب ما ارتكبوه من ذنوب. والله -تعالى- شديد العقاب لمن كفر بآياته.

والجار والمجرور وهو قوله

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾

فى موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف. أى شأن هؤلاء فى تكذيبك يا محمد كشأن آل فرعون والذين من قبلهم فى تكذيبهم لأنبيائهم.

(٢) الشعراء: ٨٨ ، ٨٩.
(٣) تفسير الفخر الرازي جـ٧ ص١٩٨.
(٤) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص٣٠.

والمقصود بآل فرعون أعوانه وبطانته، لأن الآل يطلق على أشد الناس التصاقا واختصاصا بالمضاف إليه، والاختصاص هنا فى المتابعة والتواطؤ على الكفر، لأنه إذا وجد العناد فى التابع فهو فى الغالب يكون فى المتبوع أشد وأكبر. ولأنهم هم الذين حرضوه على الشرور والآثام والطغيان فلقد حكى القرآن عنهم ذلك فى قوله -تعالى-:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ ﴾[5].

وخص القرآن آل فرعون بالذكر من بين الذين سبقوهم فى الكفر، لأن فرعون كان أشد الطغاة طغيانا، وأكبرهم غرورا وبطرا وأكثرهم استهانة بقومه، واحتقارا لعقولهم وكيانهم، ألم يقل لهم -كما حكى القرآن-

﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[6].

ألم يبلغ به غروره أن يقول لهم:

﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[7].

ألم يقل لوزيره:

﴿ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ۝ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ﴾[8].

ولقد وصف الله -تعالى- قوم فرعون بهوان الشخصية، وتفاهة العقل، والخروج عن كل مكرمة فقال:

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾[9].

لأن الأمة التى تترك الظالم وبطانته يعيثون فى الأرض فسادا لا تستحق الحياة، ولا يكون مصيرها إلا إلى التعاسة والخسران.

وجملة ﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ تفسير لصنيعهم الباطل، ودأبهم على الفساد والضلال. والمراد بالآيات ما يعم المتلوة فى كتب الله -تعالى- والبراهين والمعجزات الدالة على صدق الأنبياء فيما يبلغونه عن ربهم.

وفى إضافتها إلى الله -تعالى- تعظيم لها وتنبيه على قوة دلالتها على الحق والخير وقوله:

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾[9].

بيان لما أصابهم بسبب كفرهم وتكذيبهم للحق، وفى التعبير بالأخذ إشارة إلى شدة العقوبة، فهو -سبحانه- قد أخذهم كما يؤخذ الأسير الذى لا يستطيع فكاكا من أسره.

(٥) الأعراف الآية ١٢٧.
(٦) النازعات الآية ٢٤.
(٧) الزخرف الآية ٥١.
(٨) غافر الآية ٣٦ - ٣٧.
(٩) الزخرف الآية ٥٤.

والباء للسببية أى أخذهم بسبب ما اجترحوه من ذنوب. أو الملابسة والمصاحبة. أى أخذهم وهم متلبسون بذنوبهم دون أن يتوبوا منها أو يقلعوا عنها، والجملة على الوجهين تدل على كمال عدل الله -تعالى- لأنه ما عاقبهم إلا لأنهم استحقوا ذلك.

وأصل الذنب: الأخذ بذنب الشىء، أى بمؤخرته ثم أطلق على الجريمة لأن مرتكبها يعاقب بعدها.

وفى قوله:

﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

إشارة إلى أن شدة العقاب سببها شدة الجريمة وتعليم للناس بأن كل فعل له جزاؤه، إن خيراً فخير وإن شرا فشر، وتقرير وتأكيد لمضمون ما قبلها.

ثم أنذر الله -تعالى- الكافرين بسوء المصير، وبشر المؤمنين بحسن العاقبة فقال -تعالى-:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾

وقد وردت روايات فى سبب نزول هذه الآية والتى بعدها. من أشهرها: ما ذكره ابن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة أن رسول الله -ﷺ- لما أصاب من قريش ما أصاب فى غزوة بدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال: (يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم، فقد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم) فقالوا يا محمد، لا يغرنك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا[10]. لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة. إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس. فأنزل الله -تعالى-

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾

إلى قوله -تعالى:

﴿ لَعِبْرَةً لِّأُولِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[11].

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء اليهود وأمثالهم من المشركين الذين يدلون بقوتهم، ويغترون بأموالهم وأولادهم وعصبيتهم.. قل لهم ستغلبون وتهزمون فى الدنيا على أيدى المؤمنين وتحشرون يوم القيامة ثم تساقون إلى نار جهنم لتلقوا فيها مصيركم المؤلم، ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ أى بئس المكان الذى هيأوه لأنفسهم فى الآخرة بسبب سوء فعلهم. والمهاد: المكان الممهد الذى ينام عليه كالفراش.

ولقد أمر الله -تعالى- نبيه -ﷺ- أن يتولى الرد عليهم. وأن يواجههم بهذا

(10) الأغمار: جمع غمر -بضم الغين- وهو الجاهل الذى لم يجرب الأمور.

(11) تفسير ابن كثير جـ1 ص350

الخطاب المشتمل على التهديد والوعيد، لأنهم كانوا يتفاخرون عليه بأموالهم وبقوتهم، فكان من المناسب أن يتولى -ﷺ- الرد عليهم، وأن يخبرهم بأن النصر سيكون له ولأصحابه، وأن الدائرة ستدور عليهم.

وقوله ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ إخبار عن أمر يحصل فى المستقبل، وقد وقع كما أخبر به الله -تعالى- فقد دارت الدائرة على اليهود من بنى قينقاع والنضير وقريظة وغيرهم، بعد بضع سنوات من الهجرة، وتم فتح مكة فى السنة الثامنة بعد الهجرة.

وقوله ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ إما من تمام ما يقال لهم، أو استئناف لتهويل شأن جهنم، وتفظيع حال أهلها.

ثم ساق القرآن مثلا مشاهدا يدل على نصر الله -تعالى- لأوليائه وخذلانه لأعدائه، فقال:

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾

والمراد بالآية هنا العلامة والبرهان والشاهد على صدق الشىء المخبر عنه.

والفئة -كما يقول القرطبى- الجماعة من الناس، وسميت الجماعة من الناس فئة لأنها يفاء إليها، أى يرجع إليها فى وقت الشدة، ولا خلاف فى أن الإشارة بهاتين الفئتين هى إلى يوم بدر. ثم قال: ويحتمل أن يكون المخاطب بهذه الآية جميع المؤمنين، ويحتمل أن يخاطب بها جميع الكفار، ويحتمل أن يخاطب بها يهود المدينة، وبكل احتمال منها قد قال قوم. وفائدة الخطاب للمؤمنين تثبيت النفوس وتشجيعها، حتى يقدموا على مثليهم وأمثالهم كما قد وقع[12].

والمعنى: قد كان لكم أيها الناس علامة عظيمة، ودلالة واضحة على أن الكافرين سيغلبون والمؤمنين سينصرون بما جرى فى غزوة بدر، فقد رأيتم كيف أن الله -تعالى- قد نصر المؤمنين مع قلة عددهم، وهزم الكافرين مع كثرة عددهم وعدتهم. ولقد كان المؤمنون يرون أعداءهم أكثر منهم عددا وعدة ومع ذلك لم يهابوهم ولم يجبنوا عن لقائهم، بل أقدموا على قتالهم بإيمان وشجاعة فرزقهم الله النصر على أعدائهم.

ووصف -سبحانه- الفئة المؤمنة بأنها تقاتل فى سبيل الله، على سبيل المدح لها، والإعلاء من شأنها، وبيان الغاية السامية التى من أجلها قاتلت، ومن أجلها تم لها النصر فهى لم تقاتل لأجل عرض من أعراض الدنيا، وإنما قاتلت لإعلاء كلمة الله ونصرة الحق.

ووصف الفئة الأخرى بأنها كافرة، لأنها لم تؤمن بالحق، ولم تتبع الطريق المستقيم، بل كفرت بكل ما يصلحها فى دينها

(12) تفسير القرطبى جـ3 ص25.

ودنياها.

ولم يصفها بالقتال كما وصف الفئة المؤمنة. إسقاطا لقتال تلك الفئة الكافرة عن درجة الاعتبار، وإيذانا بأن الرعب الذى ألقاه الله فى قلوبهم عند لقائهم للمؤمنين، جعلهم بأنهم ليسوا أهلا لأن يوصفوا بالقتال.

هذا وللعلماء أقوال فى المراد من قوله -تعالى:

﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾

وقد أشار صاحب الكشاف إلى هذه الأقوال فقال: ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾ أى: يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين أى قريبا من ألفين، أو مثلى عدد المسلمين أى ستمائة ونيفا وعشرين. أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم. وكان ذلك مددا لهم من الله كما مدهم بالملائكة. والدليل عليه قراءة نافع «ترونهم» بالتاء، أى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافرة، أو مثلى أنفسهم. فإن قلت فهذا مناقض لقوله فى سورة الأنفال

﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾[13].

قلت: قللوا أولا فى أعينهم حتى اجترؤا عليهم: فلما لاقوهم كثروا فى أعينهم حتى غلبوا، فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين.. وتقليلهم تارة وتكثيرهم تارة أخرى فى أعينهم أبلغ فى القدرة وإظهار الآية. وقيل: يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين فى قوله:

﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ﴾[14].

بعدما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة فى قوله -تعالى:

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ﴾[15، 16].

والذى نراه أن الرأى الذى عبر عنه صاحب الكشاف بقوله: وقيل: يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين.. إلخ هذا الرأى هو أقرب الأقوال إلى الصواب، لأن المسلمين فى غزوة بدر كانوا أقل عددا وعدة من المشركين، ولأن التعبير بقوله -تعالى- ﴿ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ يفيد أن رؤية هذه الكثرة من المشركين كانت رؤية بصرية بالمشاهدة، وليست بالتقدير أو التخيل، وهذا يتحقق فى رؤية المؤمنين للمشركين:

فإن قيل: إن المشركين فى بدر كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين تقريبا -كما حكى لنا التاريخ- ولم يكونوا مثليهم أى ضعفهم؟

(١٣) الأنفال: ٤٤

(١٤) الأنفال: ٦٦

(١٥) الأنفال: ٦٥

(١٦) تفسير الكشاف جـ١ ص٢٤١.

فالجواب على ذلك أن هذا التقدير للمشركين من جانب المؤمنين كان تقديرا تقريبيا وليس تقديرا عدديا، فثلاثة الأمثال قد ترى رأى العين مثلين أو نقول: إن المراد بكلمة مثلين مجرد التكرار وليس المراد به التثنية على الحقيقة، كما فى قوله -تعالى:

﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[17].

فالمراد تكرار النظر مرة ومرات وليس المراد التحديد بكرتين.

وقد رجح ابن جرير الطبرى هذا الرأى، فقد قال بعد سرده لجملة من أقوال العلماء: وأولى هذه القراءات بالصواب: قراءة من قرأ «يرونهم» بمعنى: وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم، يعنى: مثلى عدد المسلمين، لتقليل الله إياهم فى أعينهم فى حال. فكان حزرهم إياهم كذلك.. ثم قال:

وأما قوله: ﴿ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ فإنه مصدر رأيته. يقال رأيته رأيا ورؤية، ويقال هو منى رأى العين، ورأى العين -بالنصب والرفع- يراد حيث يقع عليه بصرى.. فمعنى ذلك: يرونهم حيث تلحقهم أبصارهم وتراهم عيونهم مثليهم[18].

وقوله -تعالى- ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾.. إلخ من تمام القول المأمور به جىء به لتقرير وتحقيق ما قبله. و ﴿ كَانَ ﴾ هنا ناقصة، و ﴿ ءَايَةٌ ﴾ اسمها، وترك التأنيث فى -كان- لوجود الفاصل بينها وبين اسمها، ولأن المرفوع بها وهو اسمها مجازى التأنيث أو باعتبار أن الآية برهان ودليل. وقوله ﴿ لَكُمْ ﴾ خبر كان. وقوله ﴿ فِئَةٌ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أى إحداهما فئة تقاتل فى سبيل الله. وقوله ﴿ وَأُخْرَىٰ ﴾ نعت لمقدر أى وفئة أخرى كافرة. والجملة مستأنفة لتقرير «ما فى الفئتين من الآية» ثم ختم -سبحانه- الآية الكريمة بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾

أى: والله -تعالى- يؤيد بنصره من يشاء نصره وفوزه، فهو القادر على أن يجعل الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة، لاراد لمشيئته ولا معقب لحكمه وإن الذين يغترون بقوتهم وحدها، ويغترون بما بين أيديهم من أموال وعتاد ورجال، ولا يعملون حسابا للقدر، الذى يجريه الله على حسب مشيئته وإرادته هؤلاء الذين غرهم بالله الغرور، تداهمهم الهزيمة من حيث لا يحتسبون، وقد يفجؤهم الخسران والخذلان من الطريق الذى توهموا فيه الكسب والانتصار.

لذا أمر الله -تعالى- عباده بالاعتبار

(١٧) الملك: ٣-٤

(١٨) تفسير ابن جرير جـ٣ ص١٩٨ - بتصرف وتلخيص

والاتعاظ فقال:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

واسم الإشارة ذلك يعود إلى المذكور الذى راوه وشاهدوه وهو أن الفئة القليلة المؤمنة غلبت الفئة الكثيرة الكافرة.

والعبرة -الاعتبار والاتعاظ وأصله من العبور وهو النفور من أحد الجانبين إلى الآخر، وسمى الاتعاظ عبرة، لأن المعتبر المتعظ يعبر من الجهل إلى العلم، ومن الهلاك إلى النجاة.

أى: إن فى ذلك الذى شاهده الناس وعاينوه من انتصار الفئة القليلة التى تقاتل فى سبيل الله، على الفئة الكثيرة التى تقاتل فى سبيل الطاغوت، لعبرة عظيمة، ودلالة واضحة، لأصحاب المدارك السليمة والعقول الواعية التى تفهم الأمور على حقيقتها، وتؤمن بأن الله -تعالى- قادر على كل شىء، أما أصحاب القلوب المطموسة والنفوس المغرورة بقوتها. فهى عن الاعتبار والاتعاظ بمعزل.

قال الفخر الرازى ما ملخصه: «واعلم أن العلماء ذكروا فى تفسير كون تلك الواقعة آية بينة وعبرة واضحة -وجوها: منها أن المسلمين كان قد اجتمع فيهم من أسباب الضعف عن المقاومة أمور منها قلة العدد، وأنهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتاهبوا، ومنه قلة السلاح، ومنها أنها كانت ابتداء غارة فى الحرب لأنها أول غزوات الرسول -ﷺ- وكان قد حصل للمشركين أضداد هذه المعانى من الكثرة والتأهب وغير ذلك ومع هذا فقد انتصر المؤمنون، ولما كان ذلك خارجا عن العادة كان معجزا»[19].

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد أنذرت الكافرين بسوء العاقبة إذا ما استمروا على كفرهم، وساقت لهم ما يؤيد ذلك من واقع ما شاهدوه، وبشرت المؤمنين بنصر الله لهم، وحثتهم على الاتعاظ والاعتبار، لأن من شأن المعتبرين أن يكونوا مراقبين لله -تعالى- ومنفذين لأوامره، ومبتعدين عن نواهيه، ومن كان كذلك كان الله معه بنصره وتأييده.

***

(19) تفسير الفخر الرازى جـ7 ص203



من أدب الاستئذان

لفضيلة الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن عبد الله بن بُسْر صاحب النبى ﷺ أن النبى ﷺ إذا أتى بابا يريد أن يستأذن لم يستقبله، جاء يمينا وشمالا، فإن أذن له، وإلا انصرف[1].

التعريف بالراوى:

هو عبد الله بن بسر الأسلمى، وكنيته أبو صفوان، وقيل أبو بسر، وهو صحابى صغير له ولأبيه صحبة، وكان (رضى الله عنه) ممن صلى إلى القبلتين، توفى سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين سنة، وقيل: مات بحمص، وهو آخر من مات بها - بل بالشام - من الصحابة سنة ست وتسعين عن مائة سنة، وروى عن رسول الله ﷺ خمسين حديثا، أخرج له البخارى حديثا، ومسلم آخر.

(1) رواه البخارى فى الأدب المفرد برقم 1078 بإسناد صحيح لشواهد، وابو داود 5/367

الشرح والبيان:

إن ديننا القويم وتشريعنا الحكيم أصلح الحياة، وأقام الصلات، وأحكم الروابط بين الناس على أساس متين من الحب والرحمة، ورباط قوى من التعاطف والمودة، والأدب العظيم، والخلق القويم. ولو تدبرنا قليلا فى الأدب الحكيم الذى تنطوى عليه تعاليم هذا الدين العظيم لأدركنا ما يحمل فى أطوائه للمسلمين من سعادة دائمة، وظلال وارفة من المودة والحب. هذا الأدب الذى هجره الناس وانصرفوا عنه، ولو تنبهوا إليه قليلا لملأ حياتهم خيرا وبركة.

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وقدوة طيبة، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقتدى به فى كل أمر ونهى صدر عنه

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾(٢).

ومن أخلاقه الكريمة، وصفاته الطيبة ما ورد بهذا الحديث النبوى الشريف من أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أتى بيتا يريد أن يستأذن على أصحابه لم يستقبل بابه، وإنما تحرك عن يمين الباب أو شماله. فإن أذن له أهل البيت دخل، وإلا انصرف. والحكمة فى هذا واضحة جلية، فكل إنسان منا له سر يحجبه حتى عن أقرب الناس إليه، وله عورات يؤذيه أن يطلع عليها غيره، وربما كان فى ضيق من العيش، ويكره أن يرى غيره هذا الضيق، وربما كان فى يسر وسعة ويخشى أن تقتحمه العيون بما فيها من جشع وطمع، وربما كان بحالة تحلوله منفردا، وتشق عليه مجتمعا مع غيره. من أجل هذا شرع الله الاستئذان قبل الدخول، بل أدق من هذا وأحكم شرع الله غض البصر عند الاستئذان، فلا ينبغى أن تسبق العين إلى الرؤية داخل البيت قبل الإذن بالدخول، ولذلك كان صلوات الله وسلامه عليه يقف بيمين الباب أو شماله، وقد ورد فى الأثر: (من سبق طرفه استئذانه فقد دمر)(٣).

أرأيتم إلى الإسلام وهو يؤدب المسلمين أكرم أدب، ويطهرهم ويزكيهم، ويصلح لهم تقاليدهم، ويهذب دعاتهم، ليكونوا قدوة صالحة للناس، ومثلا طيبة فى الأمم وليكونوا دائما أبدا وبحق دعاة حق، وهداة خير، وزعماء إصلاح؟

فكل من تأدب بأدب رب العالمين، وهدى خير المرسلين محال أن يضل فى أمره، أو يشقى فى حياته، أو يعسر بين يدى المولى حسابه.. وفى مقدمة هذه التعاليم العظيمة، والآداب القويمة التى تهذب ذوق المؤمن، وتنمى إحساسه وتجمل أخلاقه - أدب الاستئذان. فقد كان الرجل فى الجاهلية يدخل على الرجل داره دون استئذان حتى أنه ربما

---

(٢) الآية رقم (٧) من سورة الحشر

(٣) فى اللسان (دمر) [illegible] عليهم [illegible] دخل بغير إذن، وقيل: هجم

أصابه مع امرأته فى لحاف واحد، وذلك لا شك أمر يثير الحفيظة، ويلهب الغيظ فى النفوس، ويملؤها كراهة وحقدا. حكى الإمام القرطبى فى تفسيره قال:

(يروى أن رسول الله ﷺ بعث غلاما من الأنصار، يقال له: مدلج إلى عمر بن الخطاب ظهيرة؛ ليدعوه، فوجده نائما قد أغلق عليه الباب، فدق عليه الغلام الباب فناداه، ودخل، فاستيقظ عمر، فانكشف منه شىء، فقال عمر: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا إلا بإذن ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ ...(٤))

فوجده وقد نزل عليه قوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾(٥).

هذا هو الإسلام فى أسمى صوره، وأعلى مراتبه، حث جعل المؤمن كامل الذوق سليم الإدراك، رقيق الإحساس، مرهف الشعور، يعرف واجبه، ويعطى كل موقف حقه، ويحفظ حرمته. لهذا لم يكد عمر بن الخطاب الخليفة الأواب، الناطق بالصواب، الذى وافق حكمه حكم الكتاب يستمع إلى هذه الآية حتى خر ساجدا شكرا لله (عز وجل).

ولم يكن عجبا - والحال هذا - أن يأمر الحق سبحانه - بعد هذه الآية مباشرة - أن الأطفال إذا بلغوا الحلم فعليهم أن يستأذنوا، قال تعالى:

﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾(٦).

تأديب سليم، وتوجيه قويم، وتنزيه وتطهير يجعل المؤمن دائما أبدا فوق الشبهات، ويجعله دائما مرفوع الهامة، موفور الكرامة. تدبروا هذه الآية الكريمة:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (٢٧) فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾(٧).

نلمس هذه المعانى واضحة فى قوله تعالى ﴿تستأنسوا﴾ والمعنى حتى يؤذن لكم، فيحصل لكم الأنس بالإذن. هذا والاستئذان ثلاث مرات، فإن أذن لك وإلا فالرجوع أزكى وأطيب وأطهر؛ لما فيه من سلامة الصدر، والبعد عن مواطن الريب والشكوك.

---

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٠٠

(٥) الآية رقم (٥٨) من سورة النور

(٦) الآية رقم (٥٩) من سورة النور

(٧) الآية رقم (٢٧، ٢٨) من سورة النور

فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي، فرجعت، وقال رسول الله (ﷺ): «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع»، فقال: والله لتقيمنَّ عليه ببينة، أمنكم أحد سمعه من النبي (ﷺ)؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك»[8].

وقد ورد ما يؤيد هذا المعنى من حديث أنس (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثًا[9].

هذا وقد صان الإسلام الأعراض، وصان الكرامة، وحماها؛ صان الإسلام الأعراض أن تدنس، وحمى الكرامة من أن تنتهك، ولا أدل على ذلك من أنه شرع الاستئذان على الأم والأخت والبنت، وكلهن من ألصق الناس بالإنسان، وهنَّ عرضه الذي يحميه، وشرفه الذي يحافظ عليه من الضياع.

روى عطاء فقال: سألت ابن عباس، فقلت: أستأذن على أختي؟ قال: نعم، فأعدت؛ فقلت: أختان في حجري، وأنا أمونهما، وأنفق عليهما أستأذن عليهما؟! قال: نعم، أتحب أن تراهما عريانتين، ثم قرأ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾[10].

وروى البخاري عن علقمة - بإسناد صحيح - قال: جاء رجل إلى عبد الله، قال: أأستأذن على أمي؟ فقال: ما على كل أحيانها تحب أن تراها.[11]

وروى أيضًا - بإسناد صحيح - قال: سأل رجل حذيفة، فقال: أستأذن على أمي؟ فقال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره[12].

هذه هي آداب ديننا؛ وأخلاق شريعتنا، ولكن كثيرًا ممن لم يهذبهم الإسلام، ولم تستنر بصائرهم بآدابه، ممن جهلوا أدب الاجتماع، وحقوق الصحبة - يقتحمون البيوت مستغلين حياء الصاحب، وخلق الصديق في استطلاع أسراره، وكشف مخبآته، والدخول على أهل بيته دون وجوده، ولا تحلو لهم الخلطة والعشرة إلا

(٨) رواه البخاري برقم ٦٢٤٥ ومسلم برقم ٢١٥٣.

(٩) رواه البخاري (٦٢٤٤).

(١٠) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٦٣) بإسناد صحيح، والآية من سورة النور رقم (٥٨)

(١١) الأدب المفرد (١٠٥٩).

(١٢) السابق (١٠٦٠)

بهذا اللون العابث من فقدان الذوق، وضياع الخلق، ورقة الدين، مع أن هذا الأمر يجرُّ إلى شرٍّ مستطير، وذنب كبير؛ لذلك وجب على المؤمنين أن يلتزموا بأدب رب العالمين، وهدى خير المرسلين، وأن يصونوا الحرمات، ويحفظوا الأعراض؛ لأن من هتك حرمة أخيه المسلم هتك الله حرمته، ولقد أنشد الإمام الشافعي رضي الله عنه[13].

يا هاتكًا حرم الرجال وقاطعًا
سبل المودة عشت غير مكرم
لو كنت حرًا من سلالة ماجد
ما كنت هتاكًا لحرمة مسلم

فهل لهؤلاء الخارجين على أدب الإسلام أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يعودوا إلى حظيرة الإيمان والطاعة؛ لتمتلئ حياتهم خيرًا وبركة، وطهرًا وصفاء؛ وليسعدوا في معاشهم ومعادهم، فالخير كل الخير في الالتزام بمنهج الإسلام الذي يحول بين المسلم والوقوع في المعاصي، بل يحول بينه وبين القرب منها، وقد ورد في الحديث الشريف عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «إياكم والدخول على النساء! فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: الحموُ الموتُ!»[14] والحمو: قريب الزوج، كأخيه، وابن أخيه، وابن عمه.

هذا هو الإسلام الذي ارتضاه الله (عز وجل) لنا دينًا:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[15].

ولكن أعداء الإسلام وخصومه دأبوا على تشويه صورته، وقذفه بالتخلف والرجعية، وهو بريء من كل ما هو منسوب إليه، فقد ضمنه الله (عز وجل) ما يصلح الناس به، وكيف لا؟! وهو شريعة الله الذي خلق الخلق، وهو وحده الخبير بما يصلحهم، وما ينفعهم

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[16].

***

(١٣) ديوان الشافعي (بعناية محمد عفيف الزعبي) ص٧٧.

(١٤) متفق عليه.

(١٥) الآية رقم (٣) من سورة المائدة.

(١٦) الآية رقم (١٤) من سورة الملك.

حجية السنة النبوية

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

تتضح مكانة السنة النبوية وحجيتها، بما أوجبه رب العزة - سبحانه وتعالى - من طاعة رسول الله (ﷺ).

● فنلاحظ في آيات القرآن الكريم أن الأمر بطاعة رسول الله (ﷺ) جاء مقرونا بالأمر بطاعة الله - سبحانه وتعالى -، في قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

(آل عمران: ٣٢)

ونرى أن الأمر بطاعة الله - تعالى - مقرون بالأمر بطاعة الرسول (ﷺ) بالعطف بالواو التي تفيد مطلق الاشتراك والجمع بينهما.

● كما جاء التأكيد على طاعة الرسول (ﷺ) بالعطف بالواو مع إعادة العامل في قوله - تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾

(النساء: ٥٩)

● كما جاء الأمر بطاعة الرسول (ﷺ) على الانفراد في قوله - تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥)

وقال سبحانه:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧)

● وبين رب العزة - سبحانه - أن الرسول (ﷺ) هو الذي يبين للناس ما أنزله الله في القرآن الكريم من تشريعات وأحكام، فقال سبحانه:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(النحل الآية: ٤٤)

وكان (ﷺ) يبين للناس ما نزل إليهم بقوله حينا، وبفعله حينا، وبالقول والفعل أحيانا أخرى وكان يصلي أمامهم ويقول: «صلوا كما رأيتموني أصلي». (رواه البخاري)

وقال في حجة الوداع: «لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه».. وفي رواية أخرى: «خذوا عني مناسككم» (رواه مسلم)

● بل إن السنة النبوية المشرفة تستقل بالتشريع في بعض الأحيان كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، وتحريم باقي القرابات بسبب الرضاعة، عدا ما جاء به القرآن الكريم إلحاقا لهن بالمحرمات من النسب، وكتحريم كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وتحليل ميتة البحر.

● وبالأمر بطاعة رسول الله (ﷺ) ووجوب طاعته، وبيان الرسول (ﷺ) للقرآن، وباستقلال سنته الشريفة ببعض الأحكام.

بكل هذا تتضح لنا حجية السنة النبوية المشرفة، ما كان على سبيل البيان أو ما كان مستقلا منها بالتشريع.

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله -: «إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في الإسلام».. وقد أرشد رسول الله (ﷺ) أمته إلى حجية السنة، وحذرهم من بعض الفئات الضالة التي تزعم الاكتفاء بالقرآن دون الحديث، فقال (ﷺ): «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه. ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه» رواه أبو داود في سننه عن المقداد بن معد يكرب وفي التعبير بقوله: «... متكئ على أريكته» إشارة إلى أنه لم يرحل للعلم ولم يطلبه من مظانه ومن أهله.

وفي هذا الحديث معجزة للنبي (ﷺ) فقد ظهر بعض الناس قديما وحديثا يزعمون الاكتفاء بالقرآن ويتركون الأحاديث وفي هذه الدعوة الخبيثة هدم للدين كله، وعدم معرفة لما جاء به القرآن الكريم ومن أجل هذا كله عني المسلمون الأوائل بالسنة النبوية المطهرة منذ صدورها من رسول الله (ﷺ)، وحفظوها في الصدور وفي السطور وسارعوا في نشرها وتبليغها استجابة لأمر رسولهم (ﷺ) وابتغاء حصول دعوته المباركة لكل من بلغ عنه حيث قال: «نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع» وفي رواية أخرى «فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» (رواه الشافعي والبيهقي) في المدخل.

وفي سبيل حفظ الحديث النبوي وجمعه وكتابته رحلوا الرحلات البعيدة وتحملوا قسوة الحياة، ومشقة وسائل الانتقال حفاظا على الحديث النبوي الشريف حتى عرف عن بعضهم الرحلة من أجل حديث واحد.. وقد جاء في صحيح البخاري تعليقا بصيغة الجزم

ـ وهى تفيد قوة الحديث ـ أن جابر بن عبدالله الأنصارى رحل مسيرة شهر إلى عبدالله بن أنيس من أجل حديث واحد .

وقد جاء من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنه ـ يقول : «بلغنى حديث عن رسول الله (ﷺ) لم أسمعه، فابتعت بعيراً، فشددت عليه رحلى وسرت شهراً حتى قدمت الشام فأتيت عبدالله ابن أنيس، فقلت للبواب : قل له جابر على الباب، فأتاه فقال له: جابر بن عبدالله؟ . فأتانى فقال لى، فقلت: نعم، فرجع فأخبره، فقام يطأ ثوبه حتى لقينى، فاعتنقنى واعتنقته، فقلت: حديث بلغنى عنك سمعته من رسول الله فى القصاص، لم أسمعه فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «يحشر الله العباد ـ أو قال الناس ـ عُراة غُرلاً بهما، قلنا: ما بُهما»؟. قال: ليس معهم شىء ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعُد كما يسمعه من قرُب: أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولا أحد من أهل النار عنده مظلمة، حتى أقصّه منه، حتى اللطمة، قلنا: كيف وإنما نأتى الله عُراة غُرلاً بُهما؟. قال: بالحسنات والسيئات» (رواه البيهقى فى المدخل والخطيب فى الجامع والبخارى فى الأدب المفرد وأحمد وأبويعلى) .

ومعلوم أن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن الكريم، ولدينا يقين مطلق بهذا لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر : ٩)

وهذا اليقين يفىء علينا يقيناً قريباً منه بأن الله ـ تعالى ـ تكفل بحفظ كل صحيح من السنّة النبوية ليكون بياناً للقرآن الكريم.. قال تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾

(القيامة: ١٧ : ١٩)

من أجل هذا نرى أن السنّة النبوية المطهرة قد قُيض لها من أسباب الاستيثاق ما لم يحدث له نظير أبداً فى تاريخ البشر.

فقد نقلت جميع أقوال الرسول (ﷺ) وأفعاله وتقريراته وصفاته وسيره ومغازيه بأدق طرق النقل التى لا تعرف الدنيا لها مثيلاً.

وبرز عبر عصور الإسلام أئمة حُفاظ ينفون عن الحديث النبوى تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

ومن أبرز حفاظ الحديث من الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين: أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ ومن بعد ذلك الإمام البخارى فى القرن الثالث الهجرى، وكان أبرز الحُفاظ أكثر تعرُضاً لهجوم المجرحين والناقدين من الجاهلين أو من أعداء الإسلام.

وها نحن نشاهد فى هذه الفترة الأخيرة بعض من يهرف بما لا يعرف ويرفض ما جاء به البخارى وما دوّنه.. وما علم أن هؤلاء الأئمة

فيضتهم الإرادة الإلهية لحفظ السنّة النبوية..

ومن دلائل عناية الله لهذا الإمام الجليل رعاية الله له منذ صغره، فقد روى أنه أصيب فى عينيه وهو صغير السن وحزنت عليه أمه حزناً شديداً وكانت تضرع بالدعاء لربها، فرأت فى منامها الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ يقول لها: «يا هذه قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعائك، فأصبح وقد رد الله عليه نور عينيه»، فتبدل حزنها سرورا.

وألهمه الله حفظ الحديث من صغره، وما إن بلغ السادسة عشرة إلا وقد حفظ كتب ابن المبارك ووكيع وعرف كلام أهل الرأى.

وكان معتزاً بالعلم، فلما طلب منه خالد بن أحمد الذهلى أمير بخارى أن يحمل إليه كتاب «الجامع» و«التاريخ» ليسمعه منه قال البخارى للرسول الذى أرسله الأمير: «قل له إنى لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين».

وقد توجه إلى تصنيف كتابه «صحيح البخارى» الذى يعدُ أصح كتاب بعد كتاب الله بسبب كلمة سمعها من شيخه إسحاق بن راهويه روى عن البخارى أنه قال: «كنت عند إسحاق بن راهويه فقال: «لوجمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سُنة رسول الله (ﷺ)»؟. قال: فوقع فى قلبى فأخذت فى جمع الجامع الصحيح.. وقوى عزمه على ذلك رؤيا رآها قال: «رأيت النبى (ﷺ) وكأنى واقف بين يديه وبيدى مروحة أذب بها عنه فسألت بعض المعبرين؟. فقال لى: «أنت تذب الكذب عن حديث رسول الله (ﷺ) فهو الذى حملنى على إخراج الجامع الصحيح».

هذا واحد من أشهر أئمة الحديث النبوى الذين دوّنوه بمنهج كان غاية فى الدقة والتمحيص واشترط شروطاً دقيقة وعميقة فى قبول خبر الراوى، وبأنه لابد أن يكون قد التقى بمن روى عنه غير ذلك من شروط اتصال السند وعدالة الراوى وضبطه وعدم الشذوذ أو العلة... ولم يجمع فى هذا الكتاب القيم إلا الأحاديث الصحيحة، والتى فى أعلى درجات الصحة التى جاءت على حسب ما اشترطه فيها.

ومع هذه الدقة الدقيقة فى تدوينه للحديث ومع تلقى الأمة لهذا الكتاب بالقبول، ومع ما اصطلح عليه المحدثون من أنه أصح كتاب بعد كتاب الله ـ تعالى ـ مع هذا كله نرى من يشغب على هذا الكتاب النفيس وعلى غيره من كتب السنّة، ومن يزعم أن أحاديثه لا تلزمه، ومن ينكر ـ للأسف الشديد ـ السنّة كلها، ولخطورة هذه الآراء الجامحة التى طغت على سطح الحياة المعاصرة كان من الواجب أن ننافح عن الحديث النبوى، وأن نظهر وجه الحق فى ذلك لنرد دعاوى المبطلين.. فهم مهما كتبوا وتربصوا فنحن لهم بالمرصاد ننافح عن سنّة خير العباد، لأنها الشارحة للكتاب الكريم، وبدونها لا يتضح أمر الشريعة الغراء، ولذا أوجب الله علينا اتباع الرسول (ﷺ) وأن نأخذ ما جاءنا به وأن ننتهى عما نهانا عنه:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ
وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

وبالله التوفيق..

عودة البهاليل للطعن فى السنة النبوية

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى

(١)

فى تراثنا العربى رموز كثيرة لمعان واسعة ومن هذه الرموز «البهاليل» وترمز إلى السذاجة وما يثير الضحك من قول أو فعل، وهى نسبة إلى «بهلول» الذى عده النيسابورى من عقلاء المجانين، فى كتابه المسمى بهذا الاسم. وإن كان بهلول هذا الذى كان يعيش فى عصر هارون الرشيد، ولم يكن بهلول مجنونا حقيقة، بل كان شديد «الصراحة» فى كل ما يقول. فاعتبروا هذه الصراحة «جنونا» ومن سوء حظه أن صار اسمه الصراحة «جنونا» ومن سوء حظه أن صار اسمه رمزا على السذاجة المضحكة، ونسب إليه كل من كان معتوها سفيها.

ومن هؤلاء «البهاليل» الرجل المسمى «باقل» المعروف بخفة العقل والبلادة.

ومنهم «جحا» الضاحك المضحك كما يصفه الأستاذ العقاد فى كتابه «جحا: الضاحك المضحك»، ولكل من هذين الرجلين «باقل وجحا» نوادر طريفة تضحك «الموتى» فضلا عن «الأحياء» من نوادر باقل أنه اشترى جملا بأحد عشرة دينارا، فأخذ يقوده وهو خلفه رابطا عنقه بحبل، يشده بيده، فلقيه أحد معارفه فى الطريق، فسأله: بكم اشتريت هذا يا باقل:

فأطلق الجمل من يده وأفرد أصابع يديه العشر، مُخرجا لسانه مادا له ولأصابع يديه فى وجه السائل ليخبره أنه اشتراه بأحد عشرة دينارا.

وشعر الجمل بالحرية فانطلق فى الصحراء، وضاعت على باقل دراهمه وجمله.

أما جحا الرجل الذى يبدو مما نسب إليه أنه مصدر إثارة الضحك من الأعماق، فمن نوادره هذه النادرة الآتية:

«مر رجل على جحا وهو يحفر الأرض فى فضاء واسع..

فقال الرجل: عما تبحث فى الأرض يا جحا؟

قال جحا: صرة من الذهب كنت قد دفنتها فى الأرض.

قال الرجل: ولماذا لم تجعل عليها علامة؟

قال جحا: جعلت عليها علامة.

قال الرجل: وما هى العلامة التى جعلتها عليها؟

قال جحا: «سحابة كانت فى السماء»؟!

وضاع على جحا ذهبه. كما ضاع على باقل جمله ودنانيره.

والبهاليل الذين مهدنا بهذه المقدمة، كانوا قد أثاروا ضجة صاخبة عام ١٩٩٨م حول الطعن فى السنة النبوية. وكان الهدف الذى أرادوه أن كل الأحاديث النبوية مكذوبة على النبى ﷺ وهو لم يقلها قط وإنما كذبها عليه رواة الحديث البخارى ومسلم وغيرهما.

وأن الرسول لم يقل إلا حديثا واحدا هو «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»؟!

وبعضهم يسخو شيئا قليلا، ويتواضع فيقول: إن الأحاديث الصحيحة لم تزد على عشرة، والباقى كله مكذوب على رسول الله.

وأضافوا إلى هذه الدعوى النكراء دعوى أخرى لا تقل عنها خطرا وشناعة.

هى أن الأمة الإسلامية يكفيها القرآن ولا تحتاج إلى غيره، وأن الأحاديث النبوية لم تكن فى حياة النبى، ولا من حياة الخلفاء الراشدين مصدرا للتشريع مع القرآن. وأن الإمام الشافعى هو الذى أضل الأمة وأضاف ما يقال إنه «أحاديث نبوية» إلى القرآن لتكون مصدرا للتشريع مثله؟!

أثاروا تلك الضجة من خلال كتب وضعوها مثل كتاب «تبصير الأمة بحقيقة السنة» وكان هذا الكتاب يوزع سرا ويباع فى منزل مؤلفه وبعضهم كتب مقالات فى العديد من الصحف والمجلات وتابعنا وقتها كل ما قالوه وأحصينا لهم ثلاثا وثلاثين شبهة حاولوا من خلالها إيهام الناس أن الأحاديث النبوية المدونة فى كتب الحديث كالبخارى ومسلم والموطأ للإمام مالك ومسند الإمام أحمد. وسنن أبى داود. والترمذى والنسائى والدارمى وغيرهم وغيرهم كلها مزورة مكذوبة لم يقل منها النبى شيئا قط.

وهدينا وقتها بفضل من الله إلى الرد على جميع الشبهات التى ذكروها (ثلاث وثلاثون) شبهة. وجمعناها فى كتاب واحد أسميناه:

«الشبهات الثلاثون المثارة ضد السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض».

وبينا فى هذا الكتاب جهلهم المخزى وعنادهم المردى وأن كل ما قالوه ضد السنة النبوية لا يثير عليهم إلا الضحك منهم، ورميهم بالجهل والجهالة.

***

وفى أوائل هذا العام (٢٠٠٤م) عاد هؤلاء البهاليل فى صورة واحد منهم (جديد) للطعن فى السنة النبوية على الطريقة «البلهاء» التى سار عليها بهاليل عام ١٩٩٨م فقد وصلت

إلينا مجموعة من الأوراق (١٧ صفحة) تحمل عنوانا مثيرا هكذا :

«النبى (ص) بين القرآن الكريم وأخطاء البخارى إخوانه».

ويبدو أن موضوع هذه الأوراق ألقى فى شكل محاضرة، غير موضح فيها لماذا وأين ولمن ألقيت. بيد أنها مؤرخة بـ (٢٩ / ١٢ / ٢٠٠٣م) بالقاهرة، وأن كاتبها د. عثمان محمد على محمد. وهذا الاسم قد يكون حركيا. وأيا كان فإننا لم نسمع به ولا قرأنا له شيئا من قبل. ولم نعرف عن مجال تخصصه فى الدكتوراه، إن كان دكتورا شيئا أو هو طبيب. أطلق على نفسه لقب دكتور. شأن الكثير من الأطباء، وأيا كان الأمر. فهذا لا يعنينا شيئا. لأننا لا يهمنا فى هذا المجال إلا الكلام الذى قيل ونسخ على الكمبيوتر. ثم وزع على بعض الناس لحاجة فى نفس يعقوب. الله فاضح أمرها ومن اليسير فهم هذا الرجل من خلال ما كتب فى هذه الأوراق. وكما قيل «فوك يدل على ما فيك».

ونورد فيما يأتى ما يكشف عن حقيقة كاتب هذه الأوراق موضوع المناقشة..

***

هؤلاء البهاليل يطلقون على أنفسهم أنهم «القرآنيون» أى يؤمنون بالقرآن فحسب. ويكفرون بالحديث النبوى كله. وهذه دعوى جاهلة. لأن من لم يؤمن بالحديث النبوى (السنة) محال أن يكون مؤمنا بالقرآن. وهم قد حكموا على أنفسهم بأنهم ليسوا مؤمنين، رضوا أو كرهوا.

الحديث النبوى أساس الإرهاب؟

هذه أول أكذوبة لجأ إليها هذا «البهلول» فى رفض الأحاديث النبوية، واستبعادها عن الإسلام كلية.

يقول البهلول الجديد: «هناك ثمة فارق عظيم بين دين الرحمة متمثلا فى القرآن الكريم، وبين ما يؤمنون به -يعنى الأحاديث النبوية- ويتصرفون بناءا عليه -يعنى المسلمين- ويجعلونه مرجعية لهم من دون الله وكتابه.. ونسبوه زورا وبهتانا إليه -أى إلى النبى ﷺ- وادعوا أنه وحى من عند الله. تلك الافتراءات والهزليات التى عرفت وتعرف بعلم الحديث». هذه مقتطفات مما قاله هذا البهلول.

الرد على هذه الكذبة:

لكى نيسر على القارىء فهم الرد نقول:

- البهاليل، ومنهم صاحبنا هذا، يرفضون الإيمان بالحديث النبوى، لأنه -عندهم- أساس الدعوة إلى الإرهاب، وتخلو من الدعوة إلى الرحمة.

ويدعون أنهم يؤمنون بالقرآن، لأنه أساس الدعوة إلى الرحمة، ويخلو من الدعوة إلى الجهاد المسمى عند هؤلاء البهاليل إرهابا.

إن قولهم هذا يصرخ بالإعلان عن جهلهم الفاضح بالقرآن، وبالسنة، وبهما معا. وبالجهاد وغيره من أصول الدين وفروعه.

فالسنة كالقرآن رحمة وسلاما. ومن ذلك قوله ﷺ:

«ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»[1].

«لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[2].

«إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول فى النار»[3].

إلى مئات المواقف والأحاديث الداعية للرأفة والرحمة والعفو والصفح.

والقرآن كالسنة فى الدعوة إلى الجهاد والقتال إذا وجب.

﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾[4].

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾[5].

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[6].

إن القرآن والسنة ضوءان ينبعثان من مشكاة واحدة.

وهؤلاء البهاليل، حسب دواعى الإيمان التى قد أملاها عليهم الشيطان، ودواعى الكفر، كان عليهم، لو لم يكونوا بهاليل، إما أن يؤمنوا بالقرآن والسنة معا.

وإما أن يعلنوا كفرهم بهما معا. أما هذه التفرقة الغريبة بين الإيمان بأحدهما، والكفر بالآخر فلا مسوغ لها فى دنيا العقلاء.

ونزيدهم وضوحا فنقول:

- إن القرآن الكريم يشتمل على آيات تدعو إلى الجهاد والقتال إذا وجب أكثر بكثير من الأحاديث التى تدعو إلى الجهاد والقتال إذا وجب. فهل معنى هذا أن القرآن الذى يزعمون أنهم يؤمنون به لأنه يدعو إلى الرحمة ويخلو من الدعوة إلى الجهاد الواجب مرشح عندهم ليكفروا به أكثر من كفرهم بالأحاديث النبوية؟!

إنهم لم يدركوا هذا المأزق الحرج الذى غاصوا فيه وعذرهم أنهم تطفلوا وزجوا بأنوفهم فيما ليس لهم فيه إلا الجهل.

وكان ينبغى عليهم -لو كانوا على بصيرة- أن الجهاد والقتال الذى حث عليه كل من القرآن والحديث هو لرد العدوان

---

(١) البيهقى ٩/٤١، ابن كثير ٨/٤٣٦، الترغيب ٣/٢٠٢
(٢) البخارى ١/٤١، ٣/٢١٦، ٥/٢٢٣، مسلم كتاب الإيمان ج٢٩ رقم ١١٩.
(٣) البخارى ٩/١٥
(٤) التوبة: ٣٦
(٥) التوبة: ٥
(٦) البقرة: ١٩٠

وليس للتعدى والظلم. وهو يكون واجبا فى هذه الحالات

● إذا كان بيننا وبين قوم عهود سلام فنكثوها غدرا وخيانة، وطعنوا فى ديننا وفى هذا ورد قوله تعالى

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾

● إذا بدأونا بالقتال فى ديارنا وعلى مداخلها، وفى ذلك جاء قوله تعالى

﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾

وقوله:

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾

وقوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾

● إذا أخرجونا أو حاولوا إخراجنا من ديارنا، وساندوا عدوا لنا يعتدى علينا وفى ذلك ورد قوله تعالى

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٩).

هذا هو الجهاد الذى دعا إليه القرآن والحديث النبوى، وله وصف واحد مهما تعددت أسبابه، إنه قتال دفاعى لرد عدوان قائم فعلا، أو متوقع على وجه اليقين.

ومما جهله البهاليل أن علاقة الدولة الإسلامية بغيرها هى علاقة سلام لا علاقة حرب، حتى لو كان بيننا وبينهم قتال ثم توقفوا عنه وألقوا السلاح فيجب علينا الكف عن قتالهم مع أخذ الحذر، وفى ذلك يقول عز وجل

﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾(١٠).

وقوله عز وجل

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(١١).

فالسلام الذى يدعو إليه الإسلام كتابا وسنة هو سلام الأقوياء الأعزاء.

---

(٦) التوبة ١١

(٩) الممتحنة ٩

(١١) الممتحنة ٨

(٨) الأنفال ١٥-١٦

(١٠) النساء ٩٠

الشيطان أقوى من الرسل؟

هذا البهلول الذى نصب نفسه حاكما على الحديث النبوى وعلى صحابة الرسول ﷺ ورفع نفسه مكانا عليا فوق جميع العلماء منذ صدر الإسلام إلى هذه الساعة وربما إلى أن تقوم القيامة لا يملك ما عند الأطفال قبل البلوغ من الإدراك والتمييز.

وليس هذا تحاملا عليه بل هو الحقيقة التى لا تنكر.

ودليل هذا أنه اطلع على بعض الآيات من القرآن الكريم، وخرج منها بفهم غريب، لا نقول إنه فهم مثير للضحك من الأعماق بل نقول إنه فهم مثير للرثاء عليه وعلى أمثاله وإليك الآيات التى اطلع عليها:

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾(١٢).

وقوله -تعالى-:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(١٣).

وقوله -عز وجل-:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١٤)

هذه الآيات التى نقلها من المصحف ليستعين بها على سؤال أملاه عليه الجهل المطلق

قال ولبئس ما قال:

«وهنا نطرح سؤالا: هل استقال الشيطان من عمله أم ناصب العداء لبنى آدم بما فيهم الأنبياء؟

وهل هو أقوى أم الأنبياء -عليهم السلام- أم لا؟ نعود إلى القرآن لنسترشد به».

هذه هى المقدمة التى قدم بها للآيات الثلاث التى ذكرناها من قبل.

أما النتيجة التى توصل إليها من النظر فى الآيات فقد صورها فى قوله:

«ومن هنا نفهم أن الشيطان أقوى من الأنبياء ومن الناس....؟!

أعزائى القراء: هذه هى عقلية هذا البهلول الذى يريد أن يهدم السنة النبوية، وهو بهذه الحالة من العى والسفاهة وضعف الإدراك.

الرد على هذه الكذبة

ليس فى الآيات الثلاث ولا فى غيرها ما يدل على أن الشيطان أقوى من الأنبياء. ولسنا ندرى كيف فهم هذا الرجل من الآيات هذا الفهم المريض حقا؟

---

(١٢) المؤمنون ٩٧-٩٨

(١٤) الأعراف ٢٠٠

(١٣) النحل ٩٨

ثم ما صلة كون الشيطان أقوى من الأنبياء بموضوع الحديث النبوى سلبا أو إيجابا؟

وهو يريد من حيث مقتضى كلامه أن الشيطان أقوى من خاتم النبيين محمد ﷺ لأن الخطاب من حيث نزول القرآن له من دون الرسل.

لقد فهم هذا الرجل من توجيه الخطاب إلى النبى ﷺ بكاف الخطاب المفرد.

وقد جهل أن الخطاب وإن كان موجها للنبى فإن المراد منه غيره فى المعنى، وهم جميع العباد، بل فريق من الناس لا كل الناس بدليل قول الله -تعالى- للشيطان لما توعد عباد الله بالإضلال والتحريض على المعاصى. قال الله له:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[15]

● إن الشيطان نفسه مدرك لهذه الخصوصية وقد ذكرها بلسان مقاله فقال: «قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم المخلصون».

وأمثال هذه الآيات كثير، يكون الخطاب فيها للنبى ﷺ، والمراد غيره ومن ذلك قوله -تعالى-:

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[16]

فما شاء الله أن يشرك رسول من الله -عز وجل- فضلا عن أن يكون محمدا ﷺ. ومنها قوله -تعالى-:

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾[17].

الخطاب للنبى -عليه السلام- والمراد غيره من عامة الناس.

والسر البلاغى فى العدول إلى هذا المنهج شدة الوعيد والزجر لغير النبى، فخوطب -عليه السلام- هذا الخطاب ليرى الآخرون: مادام هذا هو شأن الرسول إذا دعا من دون الله فما بالك بغيره من عامة الناس، والبهاليل معزولون عن فهم هذه المعانى السامية التى لا يعقلها إلا العالمون. وبين البهاليل وبين بديهيات العلم ما بين السموات والأرض فكيف لهم أن يرتقوا إلى فهم هذه المعانى الدقيقة الرفيعة المستوى؟

حذف اثنى عشرة عاما من الرسالة

ومن الغريب حقا أن الكاتب حذف من رسالة محمد -ﷺ- اثنى عشرة عاما على الأقل وآخر نزول القرآن عليه نفس المدة.

---

(15) الحجر: 42.
(16) الزمر: 65.
(17) يونس: 106.

كما غير مكان بدء نزول القرآن الكريم، وغير أول ما نزل من القرآن.

وإليك كلامه -نبرأ إلى الله منه-:

«تلقى النبى القرآن فى ليلة الإسراء فى شهر رمضان، فى ليلة مباركة، وهى ليلة القدر. يقول ربنا -سبحانه-:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[18].

الرد على هذه الجهالة

- من الأمور المعلومة علم اليقين أن النبى -ﷺ- عاش فى مكة، قبل الإسراء والمعراج مدة تزيد على عشر سنين كانت هذه المدة أشق سنى الرسالة، ومعروف بالإجماع أن أول ما نزل من القرآن هو قوله -تعالى-:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[20].

ومعروف أن النبى ﷺ صار رسولاً من عند الله من أول آية نزلت عليه فى غار حراء.

ومعروف أن الإسراء والمعراج كانا فى أواخر العهد المكى قبل الهجرة إلى المدينة بسنة أو سنتين.

ومعروف أن سورة الإسراء نزلت فى أواخر العهد المكى: انظر البرهان فى علوم القرآن للزركشى (1 / 193)[21].

ومع هذه الحقائق الناصعة أخر هؤلاء البهاليل بدء رسالة محمد -ﷺ- اثنى عشرة عاما، وحذفوا من عمرها المدة نفسها، وجعلوا الرسول يعيش رسولاً أحد عشرة عاما فحسب، لأن رسالته عندهم بدأت ليلة الإسراء والمعراج.

فيكون عمر الرسالة المحمدية أحد عشرة عاماً. عام واحد فى مكة، قبل الهجرة. وعشرة أعوام بالمدينة بعد الهجرة وينقص القرآن جميع السور التى قبل سورة الإسراء.

هذا ما يقوله هؤلاء البهاليل، وهذا هو مبلغ علمهم بالإسلام.

ومع هذا الجهل المطبق يجعلون من أنفسهم جهابذة العلم والمعرفة، ويتصدون لنقد الحديث النبوى ونقضه، باللهول.

***

---

(18) الإسراء: 1.
(19) العلق: 1.
(20) البرهان فى علوم القرآن للزركشى 1/193.

العقيدة الإسلامية وتقويم النفس

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

كنت منذ أيام فى عيادة لمريض بأحد المستشفيات، وفى فناء المستشفى استوقفنى رجل يدل أسلوبه فى الكلام ومظهره العام أنه رجل بسيط تبدو عليه سمات السذاجة بوضوح.

وسألنى الرجل: أين يوجد قسم العلاج النفسى بالمستشفى؟.

- وماذا تريد بهذا القسم؟.
- أريد أن أعالج.
- من أى شىء؟.
- أنا أعانى من «عقدة نفسية».
- وما هى العقدة النفسية؟.
- . . . .

وفهمت من هذا أن الرجل لا يتسم بالبساطة فقط بل يتصف «بالببغاوية» فهو يردد ما لا يفهم، ويكرر ما لا يعى، وقد ذكرنى هذا ببيت الشعر لأحمد شوقى وهو يصف جمهور الملكة القديمة كليوباترا:

يا له من ببغاء عقله فى أذنيه

وكنا ونحن فى شرخ الصبا - كما يقال - لا نكاد نسمع أن فى المستشفيات أقساماً للعلاج النفسى، ولم يكن هذا ناشئاً عن إهمال القائمين آنذاك على صحة الناس، ولكن لقلة المثيرات الحادة فى الحياة وبالتالى قلة الاستجابات المرضية عند الناس. أما الآن فقد تكاثف الداء وتخلخل الدواء.

وحاولت بجهد تأملى المتواضع أن أفسر ذلك فلاحظت أن الناس فيما مضى كانوا يعنون فى تربية أبنائهم وشبابهم - ولا سيما فى البيوت - بالجانب الدينى الذى يقوم على مقولة «افعل ولا تفعل» كما سمعنا من أستاذنا الداعية العلامة الشيخ محمد متولى الشعراوى رحمه الله، أما الآن فيبدو أن الناس قد قفزت إلى بؤرة اهتمامهم موضوعات تربوية أخرى يأخذ منها الجانب الدينى نصيب العصفور بجانب الأسد.

ومن المعروف أنه كلما قل الوازع الدينى كلما كثر المرض النفسى، ولنا فى المجتمعات التى تكثر بها حالات الانتحار أوضح مثال على ذلك، فالفرد هناك يجد نفسه أمام أية مشكلة ضعيفاً مهيض الجناح لا سند يسنده، ولا قوة تؤازره، بعكس المجتمعات التى تعطى للدين نصيباً لائقاً من اهتمامها وتربى أبناءها على أن «الله حق، والقضاء حق، واليوم الآخر حق» ومن هنا كان المرء فيها كلما حزبه موقف، أو استبد به هَمّ، أسند ظهره إلى القوة التى لا تقهر، والمُعين الذى لا يعان، والحى الذى لا يموت، وعندئذ تطمئن نفسه ويهدأ قلبه ويرتاح وجدانه، ولِمَ لا؟.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾(1).

وقد حاول المهتمون بالدراسات النفسية أن يصلوا إلى تحديد مفهوم النفس عبر العصور منذ اليونان القدماء «أفلاطون وأرسطو» ومن قبلهما إلى «ابن سينا» فى العصور الوسطى إلى «وليم جيمس وسيجموند فرويد» وغيرهما فى العصرين الحديث والمعاصر وغيرهم إلا أن واحداً من هؤلاء وأولئك لم يصل إلى ما تصبو إليه البشرية المتطلعة دائماً إلى المعرفة، ولم يزد هؤلاء وأولئك على أن فسروا النفس بما يصاحبها أحياناً من «سلوك» عند السلوكيين وأحياناً أخرى من «شعور» عند الشعوريين.. وهكذا. . . .

وعندما اكتشف الطبيب البشرى «فرويد» ما يعرف بالتحليل النفسى فى موقف عارض كان يعالج فيه إحدى فتياته المريضات؛ ظن الناس ذلك فتحاً علمياً كبيراً لم يُسبق إليه، ولا سيما عندما أرجع أى حالة مرضية نفسية إلى ما أسماه بـ«اللاشعور» الذى يعتبره المنطقة المظلمة فى النفس البشرية، حيث يختزن الإنسان خبراته القديمة المؤلمة، وآماله ورغباته المستحيل عليه تحقيقها، والعلاج عنده يتمثل فى استدراج المريض إلى ماضيه البغيض أو إلى رغباته المكبوتة قسراً والتى لا يستطيع التعبير عنها، فإذا نجح «المحلل النفسى» فى ذلك فقد نجح فى تذكير المريض بسبب مرضه وعندئذ يشفى من علته لأنه كما يقال «إذا عُرف السبب بطل العجب» وغالباً - ما يكون منتهى السبب - فى نظر فرويد راجعاً إلى ما أسماه بالغريزة الجنسية، قبل أن يسميها خلفاؤه بالدافع الجنسى. وعلى هذا الأساس فالنشاط الإنسانى كله فى نظر هذا العالم النمسوى اليهودى مصدره الجنس الذى يتفق فيه الإنسان «العاقل» والبهيم «الأعجم».

وترتب على هذا ما بناه فرويد على أفكاره تلك من تفسير الأحلام، بل والإبداع الفكرى فى كل مجال.

1- الزمر: ٣٦

ومع تحفظنا على الفكر «الفرويدى»، ومع استبعاد هذه الأهمية الكبرى «لمسائل الجنس» التى هى محور هذا الفكر نقول إن «فرويد» ليس هو أول من وظف فكرة اللاشعور فى محاولة العلاج النفسى، فقد سبقه إلى مثل هذا الفيلسوف الطبيب المسلم «ابن سينا» صاحب «الرناستين» الذى ظل كتابه «القانون» فى الطب هو المرجع الوحيد فى أوروبا حتى القرن السابع عشر؛ إلا أن غفلة من يهمهم الأمر من المسلمين طوال هذه القرون أبعدت «ابن سينا» عن بؤرة الضوء العلمى والتاريخى ليظهر مكانه آخرون من أمثال فرويد وغيره.

وليس هذا بالموقف الفريد فى هذا الباب فقد نُحى دور العالم المسلم «ابن النفيس» ليبرز مكانه اسم العالم الغربى «هارفى» عندما نُسب إليه اكتشاف الدورة الدموية الصغرى بدلاً من نسبتها إلى مكتشفها الأصيل «ابن النفيس».

فإذا عدنا إلى ابن سينا نتذكر كيف دعاه أحد الحكام لعلاج ولده من مرض غير معروف، وعندما انفرد ابن سينا بالمريض الشاب فى جو من الألفة والمودة تجاذب ابن سينا معه أطراف الحديث عما يعرفه عن أحياء البلدة، فكان الشاب يبدو عادياً كلما ذُكر حى من أحيائها إلى أن جاء ذكر أحد هذه الأحياء، فإذا بالشاب تسرع نبضاته، وتضطرب دقات قلبه ويصبح كالموج الهادئ الذى إذا أُلقى فيه حجر مفاجئ ارتبك واضطرب. وحينذاك استنتج ابن سينا أنه قد يكون فى هذا الحى الذى ارتبك لذكره الشاب المريض فتاة تستولى على وجدان هذا الفتى وتستحوذ على قلبه.. وقد كان، وعندما سعى ابن سينا لدى والد الصبى أن يزوجه تلك الفتاة برىء المريض من مرضه، وصار شخصاً سوياً.

ولكن هذا كله لم يشف غليل الناس فى التعرف على مفهوم النفس ولا سيما أن الله ـ عز وجل ـ قد حثهم فى قرآنه المجيد على ذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٢].

ومن مجالات العلاج النفسى الذى يصطنعه أصحاب هذه الصنعة ما يُعرف بتعديل الدوافع النفسية ولا سيما الفطرى منها، ومعنى أنه «فطرى» أى لا دخل للبيئة فى إيجاده، وذلك مثل الأمومة والجوع والعطش والجنس الذى ذكرناه آنفاً وهو الدافع الذى وضع فيه البارىء ـ عز وجل ـ سر الرغبة فى التناسل والتوالد لبقاء النوع سواء فى مجال الحيوان بصفة عامة أو فى مجال الإنسان بوجه خاص، بل إننا نجد صورة منه فى تكاثر النبات الذى يتم تلقيحه عن طريق الرياح

٢- الذاريات: ٢١

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾[٣].

وذلك عندما تحمل الرياح عناصر التذكير لتلقح بها عناصر التأنيث فى النباتات.

ويقول علماء النفس إن مثل هذا الدافع الفطرى وهو الجنس لو ترك عند الإنسان دون تعديل لصار كالحيوان، فى بدائيته الفوضوية البعيدة عن التروى والاتزان، ومن ثمة يجعلون لهذا التعديل طريقين: أولهما يسمى «إعلاء الدافع» والآخر يسمى «إبدال الدافع».

وإعلاء الدافع هو ممارسة الدافع نفسه ولكن بطريقة يرضى عنها الناس والمجتمع، فالجنس مثلاً يكون إعلاؤه هو عن طريق الزواج إذ فى الزواج يمارس الإنسان دافع الجنس ولكن بما يوافق ما تعارف عليه الناس من عُرف وعادات وتقاليد وقيم، وهذا الإعلاء «أو الزواج» يلجأ إليه المرء عندما يكون قادراً على متطلبات الزواج وتحمل مسئوليات تكوين الأسرة بعد ذلك، وإلا فإن هؤلاء العلماء يقولون إنه إذا تعذر تحمل تكاليف الزواج وأعبائه، فعلى المرء أن ينتظر، ويلجأ عند ذلك إلى ما يعرف بـ «إبدال الدافع» أى عدم ممارسة الدافع كما فى حالة «الإعلاء» ولكن توجيه الطاقة الناشئة عن الدافع إلى مسار آخر غير المسار الطبيعى للدافع المتمثل فى المعاشرة الزوجية، وذلك كأن يمارس المرء أنشطة رياضية أو فنية أو غير ذلك مما ينفس عن هذه الطاقة بعيداً عن مسارها الطبيعى وذلك خوفاً من الانطلاق الأحمق، أو الكبت الممقوت.

وانظر هنا إلى الإسلام وكيف عالج هذا الموضوع النفسى الخطير، يقول النبى (ﷺ) موجها حديثه إلى الشباب المسلم وهم الفئة التى يعنيها هذا الأمر وموجها حديثه الشريف أيضاً إلى أولى أمر هؤلاء الشباب من آباء ومربين ليتابعوا حكمة النبى (ﷺ) مع آبائهم وبناتهم الذين تشغلهم هذه الظروف النفسية والفسيولوجية، يقول (ﷺ): «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة[٤] فليتزوج ـ وتتذكر هنا إعلاء الدافع ـ ومن لم يستطع فعليه بالصوم ـ وتتذكر هنا إبدال الدافع ـ فإنه له وجاء»[٥].

إلا أن الفرق بين توجيه النبى (ﷺ) فى هذا المجال وبين أفكار علماء النفس أن التوجيه النبوى يوضح لنا أن الأمر يرتبط بالعبادة فى كل من الحالتين، فالزواج عبادة لأنه عصمة من الزلل، واستجابة لتعاليم الدين الحنيف، وكذلك الصوم عبادة لأنه يهذب النفس ويطوع شهواتها وفى نفس

٣- الحجر: ٢٢

٤- من معانى الباءة فى المعاجم: المنزل أو البيئة ويكون معني هذا من استطاع منكم ان ينشيء منزلاً واسرة يتحمل تبعات ذلك.

٥- البخاري: ٧/٧ - مسلم كتاب النكاح ٢/١

الوقت يقيها شر الكبت الذى يعتبر «قنبلة موقوتة» كما يقولون.

وهكذا إذا تعمقنا إيماءات وإيحاءات هذا الحديث النبوى الشريف لتجلت أمام بصائرنا ما يحويه من التربية السديدة والتنمية الرشيدة.

فالتربية هنا تقوم على إنشاء أجيال إسلامية حادة العزيمة، صارمة الشكيمة، تعرف متى تفعل، ومتى لا تفعل، تواجه الشهوة العارمة بالإرادة الصارمة فى توسط واعتدال بعيداً عن الانسياق المنفلت، والكبت المرذول، فهى أجيال تتلقى عن دينها الحنيف ألا تنجرف فتنحرف.

وأما الإشارة إلى التنمية فى هذا الحديث الهادى، فهى ترك ما يضر إلى ما يفيد، وتخطيط العمر إلى مراحل وأدوار ومعالم وأطوار فى استنارة بصيرة، وتبصر مستنير.

فالتوجيه المحمدى هنا إذن تربية وتنمية، فهو «تربية» لأنه يسير بالشباب فى الطريق السوى الذى يرضاه الله سبحانه لصالح الإنسان وهو «تنمية» لأنه يغير ما هو مرذول إلى ما هو مقبول.

ونحن عندما نتعمق فى تأمل هذا الحديث التربوى الجليل نرى أن نقطة الانطلاق فيه هى «الصبر».. الصبر على ما يلاقى الشباب من تحمل وجلد، والصبر عما قد يغريه الشيطان به من ضياع وبدد.

ومن هنا نرى أن الإسلام عنى بالصبر كعلاج للنفس، وأمدها بشحنة إيجابية من التفاؤل والانطلاق إلى الخير، ومواجهة الشهوة بالإرادة الثابتة والعزم المتين.

استمع إلى النبى (ﷺ) وهو ينادى شهداء الإسلام الأول «آل ياسر»، وهم يعذبون أشد التعذيب وينكل بهم أسوأ التنكيل، فيقول لهم: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»[٦].. أى أسلوب أعظم أثراً وأقوى تأثيراً؟. من هذا الأسلوب الذى يشحذ الهمم مهما عانت من عنت وينقل المعذبين - فى سبيل الله - من الواقع الغاشم الأليم إلى رحاب الغيب اللانهائى بما فيه من نعيم مقيم، وثواب عظيم، فيتحول الألم إلى لذة، والشقاء إلى شفاء، والمعاناة إلى مرحلة عابرة فى انتظار الخلود الذى لا يحول ولا يزول.

وعندما نتأمل ذكر «الصبر» فى القرآن الكريم نجد أنه علاج للكيان الإنسانى كله وليس للنفس فقط، فإنه يعالج البدن كما وجدنا فى حديث القرآن عن أيوب عليه السلام:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾[٧].

٦- المستدرك: ٣٨٢/٢

٧- الأنبياء: ٨٣، ٨٤

ويلجأ إليه من وجد نفسه وقد أحاط به الضيق من كل جانب فيجد فى الصبر مع الضيق فرجاً، ومع العسر يسراً

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

وكذلك نجد أولى العزم من الرسل عليهم السلام وقد شحنوا قلوبهم وأرواحهم بطاقات الصبر العظيم الذى أكد للبشرية من بعدهم - وإلى أن تقوم الساعة - أن تلك المعادن الطاهرة النقية التى تحلت بالإرادة المؤمنة القوية - بمدد من الله - استطاعت أن تواجه بالصبر المكين عتاة الظالمين وغلاة الكافرين وكان النصر للصبر، وكان الله مع الصابرين.

وقد ارتبط الصبر فى بعض آيات الذكر الحكيم بالإيمان الحق عندما نقرأ:

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٩].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[١٠].

فعندما نقرأ اقتران العمل الصالح بالصبر فإن هذا يعطينا انطباعاً عميقاً بأن الصبر مرادف الإيمان، فكما يقرن القرآن الإيمان بعمل الصالحات فى العديد من الآيات نراه هنا يقرن الصبر بعمل الصالحات فى العديد من الآيات، نراه هنا يقرن الصبر بعمل الصالحات:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾

ذلك أن الصبر علاجاً نفسياً ناجحاً للقلق والتوتر والتشاؤم والجزع والخوف والحزن والغضب، وغيرها مما يصيب النفس الجزعة القلقة:

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[١١].

وصدق الله - عز وجل - حين يهيئ عبده للصبر والاحتمال فينبئه مقدماً بأنه فى هذه الدنيا فى امتحان ومحن، وتقلبات وإحن ليعلم الله المؤمن الحق ممن يعبد الله على حرف، ومثل ذلك كمثل البوتقة التى توضع بها المعادن فوق النار حتى يمتاز فيها المعدن النفيس عن المعدن الخسيس..

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[١٢].

فأى نعمة أجل وأعظم من معية الله - جل وعلا - للصابرين، فالمولى عز وجل لا

٨- الأنبياء: ٨٧-٨٨

٩- النحل: ٤٢

١٠- هود: ١١

١١- المعارج: ١٩-٢١

١٢- البقرة: ١٥٥- ١٥٦

يقول : إن الله يرعى الصابرين أو إن الله يجزى الصابرين أو إن الله يحمى الصابرين، ولكنه ـ جل من قائل يطمئن الصابرين برحمته ورضوانه فيقول لهم: إنى معكم:

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾

فما أجل وأعظم.

ولك أن تتأمل كيف أن الصبر عملية تنبع من داخل الفرد وليست من خارجه ينمى استعداد المرء له إيمانه العميق الصادق بالله ـ عز وجل ـ وبقضائه الذى لا راد له، ومن هنا يصبح الصبر نوعاً مما يعرف بالإيحاء الذاتى الذى يحادث فيه الوجدان نفسه حتى يزداد تماسك الإنسان أمام ما أصابه من عوارض الحياة، وعندما نقول إن الصبر هو عند الصدمة الأولى فإن معنى ذلك أسبقية عمق الإيمان داخل الفرد، بحيث يكون مستعداً فى أى وقت وحين لتقبل أى حدث من الأحداث دون أن تضطرب له دقة فى قلب أو خلجة فى نبض أو اضطراب فى مسار الحياة، وهذا ما نسميه بالتماسك النفسى والعصبى، وذلك فضل من الله ونعمة يمن بها على المتقين فيزيدهم قوة إلي قوتهم، وعزيمة فوق عزيمتهم، وجاشا مع جأشهم:

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾(١٢).

ولولا فضل الله على المتقين الذين يستشعرون الحضرة الإلهية والمعية الربانية فى حركاتهم وسكناتهم لاهتزت منهم الأعصاب، ولارتعدت منهم الفرائص أمام أدنى عرض يلامس الوجدان، انفعالاً كان أو عاطفة، وعندئذ نقول إنهم فقدوا الصبر على مصائب العيش وأحداث الحياة.

إن من رعاية المولى ـ سبحانه ـ لهؤلاء العباد المتقين الصابرين أنه حماهم من الآثار التى تنجم عن حدة الانفعال وشدة العاطفة فى مواجهة الظروف الطارئة إذ أن الانفعال الحاد يثير ارتباكاً فى وظائف الأعضاء، واضطراباً فى إفراز الغدد وتهيجاً فى جهاز الأعصاب، وأبسط مثال على ذلك أن الانفعال الشديد يصحبه زيادة فى مادة تعرف بمادة «الأدرينالين» التى تعين المرء على أن يتزود بالطاقة اللازمة لمواجهة المثير الانفعالى، فإذا زادت شدة الانفعال زاد بالتالى إفراز مادة «الأدرينالين» فيزداد نشاط الكبد وإفراز المزيد من السكر الذى يولد الطاقة عندئذ يصاب الإنسان بمرض السكرى أو بخفقان القلب أو ضيق التنفس، أو الشلل المفاجئ.. وغيرها من المضاعفات....

١٢- الحديد: ٢١

فعندما يهيب القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف بالمؤمنين أن يواجهوا شدائد الحياة بالعزم الأكيد الذى لا يلين، والإرادة القوية التى لا تفتر، فإنما هو توجيه الإسلام الذى يزين لأتباعه قيمة الصبر حتى لا يتعرضوا لأدواء الجسم وأنواء النفس وحتى لا يصبحوا مثل أوراق الشجر التى تذروها الرياح، حيث لا جذور من إيمان تثبتها، ولا غذاء من اليقين يمنحها التماسك والمناعة أمام أقسى الظروف وأعتى الصروف.

وذلك ما يدفعنا إلى وصف الصبر بأنه علاج قرآنى، بل هو أيضاً وقاية إيمانية تدعم جهاز المناعة الجسمية والعقلية والنفسية، وذلك أن الصبر ـ وهو الوقاية والعلاج ـ مستمد من المدد الإلهى الذى يمد الله به عباده الذين خلقهم ويعرف فيهم مواطن الداء وسر الدواء، مصداقاً لقوله ـ عز وجل ـ :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾(١٤)

وكم يفيدنا ـ فى إطار ذلك كله ـ أن نتأمل قول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ وهو يحضنا على الصبر المقترن بالتوكل فنسير فى خط إيمانى مستقيم لا يلهينا قول مغرض، ولا يثنينا وشاية مريضة، ذلك قوله ـ سبحانه ـ :

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾(١٥).

وكم يعيننا على الانتفاع بهذه المعانى أن نأخذ بأيدى أبنائنا وناشئتنا نحو تفهمهم لها قولاً وعملاً وسلوكاً.

***

١٤- الملك: ١٤

١٥- آل عمران: ١٧٣-١٧٤

مكانة المرأة فى الإسلام

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

لم يترك أعداء الإسلام بابا من أبواب الطعن فى الإسلام إلا ولجوه، ولم يتركوا شبهة - فى نظرهم - تكون موضوعا لإثارة التشكك فى الإسلام إلا وتحدثوا فيها.

ولم يتوقف طوفان مهاجمة الإسلام الذى يصنعه المبطلون والمشككون من خصوم هذا الدين منذ ظهور الإسلام وحتى الآن، وبذلوا أقصى جهدهم فى التنقيب فى مصادر الدين الإسلامى ومبادئه وأحكامه وتشريعاته علهم يجدون فيها ثغرة ينفذون منها إلى تحقيق غرضهم فى هدم هذا الدين الحنيف الذى ختم الله به الرسالات السماوية، والذى ارتضاه - سبحانه - ليكون آخر حلقة فى سلسلة اتصال السماء بالأرض...

ومادام الدين الإسلامى هو خاتم الديانات السماوية إلى أن تقوم الساعة، فمعنى ذلك أن الله - جل شأنه - وهو العليم الخبير - قد ضمنه كل ما تحتاجه البشرية فى حياتها... وأن تعاليمه وتشريعاته صالحة لكل زمان ومكان... وإن بدا للبعض قصور حول بعض التشريعات والأحكام... فإن العيب ليس فى هذه التشريعات والأحكام، وإنما العيب فى عدم فهمنا لها الفهم الصحيح السليم...

وموضوع حقوق المرأة فى الإسلام، وتصور البعض أن الإسلام لم يعطها حقها كاملا، وأن الإسلام فضل الرجل على المرأة... موضوع قديم، غير أن خصوم الدين الإسلامى يحاولون تجديد إثارته بين الحين والحين، وأن يظهروه كل مرة فى ثوب جديد بغية الوصول إلى ما يتمنون

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾

آية ٣٢ سورة التوبة

وللأسف فقد انساق بعض المسلمين وراء هذه الشبهات يثيرونها، بل ويؤيدونها عن حسن نية أو عن سوء نية، غير مدركين أبعاد

هذه المؤامرات على الإسلام، وغير جادين فى معرفة الحق والصواب... ولم يقصر علماء المسلمين على مدى تاريخ الإسلام منذ ظهوره وحتى الآن فى القيام بواجبهم فى الرد على هذه الشبهات وتفنيدها... وبيان الأحكام الصحيحة فيها...

المرأة عند أصحاب الحضارات القديمة

● إذا كان لنا أن ندلف إلى تفاصيل موقف الإسلام من المرأة، أو بالأحرى مكانة المرأة فى الإسلام، فإنه من الإنصاف للحقائق كلها، من تاريخية واجتماعية ودينية، أن نعرض لمكانة المرأة فى المجتمعات غير الإسلامية على مر الأزمنة - فى شئ من الإيجاز - بما فى ذلك مكانتها عند العرب أنفسهم قبل الإسلام، وليس ذلك من قبيل الموازنة أو المقارنة، وإنما من باب وضع الأمور فى نصابها، مادام هناك من أصحاب الهوى من أرادوا تصوير المرأة فى ظل الإسلام صورة غير كريمة، بريئة من كل حقيقة، بعيدة عن كل عدل ونصفة [1]

ذلك أن الواقع التاريخى يقول: إن المرأة لم تلق من الذل والهوان قدر مالقيته خارج النطاق الإسلامى، ولم تنل من تكريم أو تعظيم قدر ما نالته فى رحاب هذا الدين، وهو مايترجم عنه الأستاذ العقاد بقوله: «لقد جاء القرآن الكريم بحقوق مشروعة للمرأة لم يسبق إليها دستور شريعة أو دستور دين، وأكرم من ذلك أنه رفعها من المهانة إلى مكان الإنسان المعدود من ذرية آدم وحواء، بريئة من رجس الشيطان ومن حطة الحيوان».

عند اليونان:

كانت المرأة عند اليونانيين القدامى - وهم أكثر الدول تمدنا وأخذا بأسباب الحضارة - مسلوبة الحرية، معدومة المكانة فى كل ما يتصل بالحقوق الشرعية، بل إن فيلسوفا كبيرا مثل أرسطو كان يعيب على أهل إسبرطة أنهم يتساهلون مع نساء عشيرتهم ويمنحونهن بعض الحقوق التى تفوق أقدارهن...

وأما عند الأثينيين فكانت المرأة مجرد مملوكة أو قطعة من الأثاث تباع وتشترى بيع السائمة والعقار، وكان ينظر إليها نظرة ازدراء واحتقار، وكان من حق الأثينى أن يقتنى أو يتملك أى عدد من النساء بلا قيد ولا شرط، وكان الأثينى يتفاخر بوجود ثلاث طبقات من النساء فى نطاق أمته، طبقتان منها تشكلان الزوجات الشرعيات ونصف الشرعيات، والباقيات بطبيعة الحال وهن الثلث يشكلن طبقة البغايا.

عند الرومان:

ولم تكن المرأة عند الرومان بأحسن حالا من أختها عند اليونان. فقد كان تعدد الزوجات تقليدا من تقاليد الشرف والامتياز، ولم يزل أمر الانتصارات المصحوبة

١) إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة

بالوان الترف والفخامة أن جعلت من قدسية الزواج مجرد كلمة لا معنى لها عند الرومان. وأصبح تعدد الزوجات أمرا قانونيا. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تطور في المجتمع إلى أن أصبح التسرى واتخاذ العشيقات الكثيرات العدد تعترف به الدولة رسميا... والنتيجة الحتمية لذلك كانت ضياع المرأة ثم انزلاقها إلى مهاوى البيع والشراء.

عند الهنود:

وإذا ما انتقلنا إلى الأمم الشرقية فإن الأمر لم يكن بأفضل حالا منه في البيئة الأوروبية، إن لم يكن أكثر سوءا، إذ لم يكن هناك أى تحديد لعدد الزوجات عند الهنود، ولم يكن للمرأة أى حق في المعاملات، بل لم يكن لها حق في الحياة نفسها إذا مات زوجها، فقد كان محتوما عليها أن تموت يوم موته، وأن تحرق وهى حية مع جثته على موقد واحد.

عند البابليين:

لم يكن للمرأة عند البابليين أى نصيب من الحرية أو الكيان، وإنما كانت تحسب في عداد الماشية المملوكة، كما لم يكن هناك أى تحديد لعدد الزوجات عند البابليين والآشوريين.

عند الفرس:

وكان مركز المرأة عند الفرس - على حضارتهم - فيما يذكر الكاتب التركستاني احمد أجايف أكثر سوء وأبعد امتهانا. ذلك أنها لم تكن تتميز عن الأمة المملوكة في شئ، تظل طيلة حياتها سجينة بين جدران منزلها أو منزل زوجها، ولا يحق لها أن تخرج منه. كما كانت تباع وتشترى في كثير من الأحيان. هذا فضلا عن الخروج في التعامل معها عن حدود المألوف في عالم الإنسان، بل في بعض عوالم الحيوان. فقد أبيح الزواج بالأمهات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت. ويزداد امتهان المرأة في المجتمع الفارسي القديم بعدا عن الإنسانية، وذلك بأن تنفى الأنثى في فترة الطمث إلى مكان بعيد خارج المدينة، ويظل مقضيا عليها بأن تقيم في خيمة تعرف باسم: «داخمى»، ولايجوز لأحد مخالطتها إلا الخدم الذين يقدمون لها الطعام، وحتى هؤلاء كانوا يضعون لفائف من القماش حول أنوفهم وآذانهم وأيديهم خشية النجاسة إذا مسوا المرأة أو لمسوا خيمتها. والمرأة الفارسية فضلا عن ذلك كله كانت تحت سلطة الرجل المطلقة، يحق له أن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة.

ذلك هو مقام المرأة ووزنها وطرق معاملتها في نطاق الأمم ذات الحضارات والمبادئ والقيم، وهو مقام كريه محاط بكل أسباب الضعة والظلم والتحقير والازدراء...

المجتمع العربى قبل الإسلام

فإذا ما عرضنا للمجتمع العربى قبل الإسلام وجدناه لا يقل قسوة في معاملة المرأة وامتهانها عن المجتمعات الأخرى، إلا في

حالات قليلة ومع بعض الحرائر من نساء سادات العرب...

فالمجتمع العربى كان يقتل الطفلة بوأدها وهى وليدة، وتلك جريمة من أبشع الجرائم الإنسانية والخلقية. وكان كثير من سادات العرب يفخرون بذلك. فهذا قيس بن عاصم المنقرى يعترف أمام الرسول ﷺ أنه وأد بضع عشرة بنتا من بناته في الجاهلية، وقد استفظع الرسول صلوات الله وسلامه عليه هذا العمل، وفرض عليه كفارة مقدارها عتق نفس عن كل موءودة. مع أن الوأد تم قبل إسلام قيس.

وقد استبشع القرآن الكريم هذه الفعلة الوحشية فوصفها في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

الأيتان ٥٨، ٥٩ سورة النحل

لقد كانت الزوجة في الجاهلية - قبل الإسلام - إذا مات زوجها كان أولياؤه أحق بزوجته: إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها غيرهم، وإن شاءوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها.

وفي بعض القبائل كان الرجل إذا مات ورث ولده - بين مايورث - نساءه جميعا، حتى إنه كان يحق لابن الزوج من غيرها أن يتزوجها بغير صداق إلا الصداق الذى سبق أن أصدقها الميت. وإن شاء زوجها من غيره وأخذ هو صداقها ولم يعطها شيئا، وإن شاء عقلها «ضيق عليها وحبسها ومنعها» لتفتدى منه نفسها بما ورثته من الميت، أو تموت فيرثها. وقد أنقذ الإسلام المرأة من هوان الذل، ورد لها كرامتها، وأعطاها حقها الذى سلب منها، فأنزل الله هذه الآية الكريمة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾

(سورة النساء أية ١٩)

أى أن المرأة كانت تورث بين تركة الرجل كما تورث سائمته وإبله... هذا ولم يكن من حق النساء أن يرثن من مال آبائهن كما يرث البنون...

مكانة المرأة في الإسلام

لم يكن للمرأة والأمر كذلك شئ أو بعض شئ من الكيان أو الكرامة أو الحقوق قبل الإسلام، فماذا أسدى الإسلام إليها؟

لقد نظر الإسلام إلى المرأة على أنها نصف المجتمع الإنسانى، إذا صلح أمرها صلح نصف المجتمع، بل صلح المجتمع كله، لأن الطفل من ذكر أو أنثى يظل موضوع رعاية أمه حتى يبلغ مبلغ الدفاع. غير أنه في سنواته الأربع أو الخمس الأولى يكون رعية رعوية كاملة، فإن كانت الأم صالحة صلحت رعيتها، وإن

كانت غير ذلك فإننا لاننتظر منها إلا ناشئة فاسدة متفسخة لاتنهض بمسئولية ولا يرجى منها خير . . . .

والإسلام دين الفطرة الإنسانية لا شك ، وهو دين العمل الذى يجمع إلى شئون الآخرة أمور الدنيا ، ويجمع إلى التقوى والتقشف الأخذ بأسباب الاستمتاع بالحلال من الطيبات ، ثم هو فى صلب تشريعه وأصل بنيته عمد إلى بناء المجتمع بناء سليما يمنعه من التردى ، ويحول بينه وبين التعرض لأسباب الفساد إذا ماطبقت بصدق روح شريعته ، ونفذت بإخلاص مبادئه وتعاليمه .

أما والأمر كذلك فإنه كان حتميا أن يكون للمرأة فى ظله مكانة ، وأن يكون لها فى نطاق تعاليمه اهتمام ، وأن هذه المكانة وذلك الاهتمام يضعانها فى المكان اللائق بها كمخلوق كريم يشكل نصف المجتمع .

الإسلام يكرم المرأة

لقد خص الإسلام المرأة بالتكريم ، وأحاطها بالإجلال ، وشملها بالرعاية ، وبوأها المكانة الجديرة بها ، فهى : الأم ، والأخت ، والابنة ، والزوجة ، والخالة ، والعمة . . .

لقد كانت المرأة قبل الإسلام محرومة من كل شئ فوهبها الإسلام كل ماحرمت منه ، وأعاد إليها كل ماهو حق لها منذ الأزل كمخلوق كريم : يلد الأطفال ، ويربى الرجال ، ويمنح الحنان ، ويسهم فى خلق السعادة فى المجتمع ، ويؤدى وظيفة سامية ، ويكون نصف الكيان البشرى . . .

فإذا أردنا أن نفصل المكانة التى هيأها الإسلام للمرأة ، والالتزامات التى حددها قبلها ، وجدناها من الكثرة بمكان ، وسأعرض بإيجاز رءوس موضوعات تبين ماأعطاه الإسلام للمرأة من حقوق ، وتشير إلى وضعها الكريم ، وإلى منزلتها السامية ، وإلى مكانتها الرفيعة فى الإسلام ، دون أن أدخل فى شرح هذه الموضوعات التى قام بشرحها وتوضيحها كثير من علماء المسلمين فى كتبهم التى دونوها فى هذا الموضوع . . .

حق المرأة فى الميراث

لم تكن المرأة ترث فى أى مجتمع قبل المجتمع الإسلامى ، فجعل الإسلام توريثها إلزاميا فى قوله تعالى :

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾

آية ٧ سورة النساء

وبعد أن فرض القرآن الكريم حق النساء فى ميراث الوالدين والأقربين فى هذه الآية الكريمة ، نصت آيات أخرى على تخصيص الأنصبة تخصيصا عادلا . . .

● غير أن كثيرين من الذين يثيرون الشبهات حول أهلية المرأة فى الإسلام متخذين من التمايز فى الميراث بين الرجل

والمرأة الذى ورد فى قوله تعالى :

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾

آية ١١ سورة النساء

سبيلا إلى ذلك ، لا يفقهون أن توريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفا عاما ، ولا قاعدة مطردة فى توريث الإسلام لكل الذكور وكل الإناث . فالقرآن الكريم لم يقل : يوصيكم الله فى المواريث والوارثين للذكر مثل حظ الأنثيين . . إنما قال : «يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين» . . . أى أن هذا التمييز ليس قاعدة مطردة فى كل حالات الميراث ، وإنما هو فى حالات خاصة ، بل ومحدودة من بين حالات الميراث (٢)

بل إن الفقه الحقيقى لفلسفة الإسلام فى الميراث يكشف عن أن التمايز فى أنصبة الوارثين والوارثات لايرجع إلى معيار الذكورة والأنوثة ، وإنما لهذه الفلسفة الإسلامية فى التوريث حكم إلهية ومقاصد ربانية قد خفيت عن الذين جعلوا التفاوت بين الذكور والإناث فى بعض مسائل الميراث وحالاته شبهة على كمال أهلية المرأة فى الإسلام . وذلك أن التفاوت بين أنصبة الوارثين والوارثات فى فلسفة الميراث الإسلامى إنما تحكمه ثلاثة معايير :-

أولها : درجة القرابة بين الوارث ذكرا كان أو أنثى وبين المورث المتوفى ، فكلما اقتربت الصلة زاد النصيب فى الميراث ، وكلما ابتعدت الصلة قل النصيب فى الميراث دونما اعتبار لجنس الوارثين .

وثانيهما : موقع الجيل الوارث من التتابع الزمنى للأجيال . . فالأجيال التى تستقبل الحياة وتستعد لتحمل أعبائها ، عادة يكون نصيبها فى الميراث أكبر من نصيب الأجيال التى تستدبر الحياة . وتتخفف من أعبائها ، بل وتصبح أعباؤها ـ عادة ـ مفروضة على غيرها ، وذلك بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للوارثين والوارثات . . . فبنت المتوفى ترث أكثر من أمها ـ كلتاهما أنثى - ، وترث البنت أكثر من الأب حتى لو كانت رضيعة لم تدرك شكل أبيها . . وحتى لو كان الأب هو مصدر الثروة التى للإبن ، والتى تنفرد البنت بنصفها ـ وكذلك يرث الإبن أكثر من الأب ـ وكلاهما من الذكور .

وفى هذا المعيار من معايير فلسفة الميراث فى الإسلام حكم إلهية بالغة ، ومقاصد ربانية سامية تخفى على الكثيرين ، وهى معايير لا علاقة لها بالذكورة والأنوثة على الإطلاق .

(٢) أ.د. محمد عمارة، حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف.

وثالثها: العبء المالى الذى يوجب الشرع الإسلامى على الوارث وتحمله والقيام به حيال الآخرين... وهذا هو المعيار الوحيد الذى يثمر تفاوتا بين الذكر والأنثى... لكنه تفاوت لايفضى إلى ظلم للأنثى أو انتقاص من إنصافها... بل ربما كان العكس هو الصحيح ففى حالة ماإذا اتفق وتساوى الوارثون فى درجة القرابة، واتفقوا وتساووا فى موقع الجيل الوارث من تتابع الأجيال - مثل أولاد المتوفى، ذكورا وإناثا - يكون تفاوت العبء المالى هو السبب فى التفاوت فى أنصبة الميراث... ولذلك لم يعمم القرآن الكريم هذا التفاوت بين الذكر والأنثى فى عموم الوارثين، وإنما حصره فى هذه الحالة بالذات، فقالت الآية القرآنية: «يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين» ولم تقل: يوصيكم الله فى عموم الوارثين، والحكمة فى هذا التفاوت فى هذه الحالة بالذات، هى أن الذكر مكلف بإعالة أنثى - هى زوجته - مع أولادهما... بينما الأنثى الوارثة - أخت الذكر - إعالتها مع أولادها فريضة على الذكر المقترن بها، فهى مع هذا النقص فى ميراثها بالنسبة لأخيها الذى ورث ضعف ميراثها، أكثر حظا وامتيازا منه فى الميراث... فميراثها - مع إعفائها من الإنفاق الواجب هو ذمة مالية خالصة لها ومدخرة لتأمين حياتها ضد المخاطر والتقلبات، وتلك حكمة إلهية قد تخفى على الكثيرين...

وإذا كانت هذه الفلسفة الإسلامية فى تفاوت أنصبة الوارثين والوارثات، وهى التى يغفل عنها طرفا الغلو - الدينى واللادينى - الذين يحسبون هذا التفاوت الجزئى شبهة تلحق بأهلية المرأة فى الإسلام، فإن استقراء حالات ومسائل الميراث - كما جاءت فى علم الفرائض «المواريث» - يكشف عن حقيقة قد تذهل الكثيرين عن أفكارهم المغلوطة فى هذا الموضوع.. فهذا الاستقراء لحالات ومسائل الميراث يقول لنا:

(١) إن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل.

(٢) وهناك حالات أضعاف هذه الحالات الأربع ترث فيها المرأة مثل الرجل تماما.

(٣) وهناك حالات عشر أو تزيد ترث فيها المرأة أكثر من الرجل.

(٤) وهناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث فيها نظيرها من الرجال.

فهناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل، أو أكثر منها أو ترث هى ولا يرث نظيرها من الرجال... فى مقابلة أربع حالات محددة ترث فيها المرأة نصف الرجل.

«يتبع»

من الاتجاه التاريخى الحديث فى كتابة التراجم الإسلامية

للأستاذ الدكتور
محمد أحمد العزب

من الأوفق - قبل أن نوغل فى الاستطراد - أن نحدد ماذا نعنى بمصطلح «الاتجاه التاريخى» فإن هذا التحديد سيعين من غير شك على تكامل الفهم، وعلى ربط هذه الدراسة بمفهوم علمى غير قابل لقضية التمييع!!

أعنى بالاتجاه التاريخى فى كتابة التراجم الإسلامية - التزام الكاتب بنمط تاريخى استقصائى يبدأ من نقطة ميلاد البطل وينتهى إلى وفاته.. متجاوزا ذلك - عبر كل الدراسة - إلى التفرس الدراسى فى ما وراء الظواهر الحياتية من بواعث، وفى ما وراء الوقائع الوجودية من ملامح وسمات.. بشرط ألا يتحيف هذا التجاوز حركة الحس التاريخى الاستقصائى، لأن ذلك وحده هو ما يجعل من هذا الفعل التاريخى ترجمة فيما نعنى بكلمة الترجمة. إن الكاتب إذا انصرف بالاستقصاء التاريخى عن استقراء الملامح والسمات وما وراء الظواهر من بواعث وأشجان، فقد كتب تاريخا أو سيرة ولكنه يبقى فى النهاية أمام مصطلح التراجم فى حاجة إلى كثير هائل من المراجعات التى تتيح له بعدها أن يقف تحت مظلة مفهومها الذى نرجو أن نكون قد حددناه حين زعمنا أنه معنى الرحلة فى الحياة، وليس هو مجرد الرحلة فى الحياة!!

ولقد حمل العصر الحديث - منذ مطالع هذا القرن - نماذج من هذا الاتجاه فى كتابة التراجم الإسلامية ونرجو أن نكون مفهومين حين نقول «الاتجاه التاريخى» أننا لا نقصد بذلك على الإطلاق أن تكون هناك ترجمة تاريخية وأخرى أدبية، فإن هذه المقولة مرفوضة ربما هى ساقطة تحت سنابك التناقض الهائل، أن كل التراجم ترتكز فى حركة وجودها على العنصر التاريخى، وتقسيمها العشوائى إلى تاريخية وأدبية وهى أن الأدبية منها لا تحمل من عناصر التاريخ شيئا فى حين أن ذلك لو حدث يخرج على الفور هذا النمط الأدبى غير المرتكز على أرضية تاريخية من مدى التراجم كلها ليستحيل إلى قصة، أو رواية، أو غير ذلك من الأنماط!!

إذن .. فنحن نعنى «بالاتجاه التاريخى» حركة الاستقصاء فى مقابل حركة الانتقاء، بمعنى أن كاتبا كالدكتور محمد حسين هيكل فى (حياة محمد) يعتبر صاحب اتجاه تاريخى فى مقابل أن كاتبا كعباس محمود العقاد فى (عبقرية محمد) يعتبر صاحب اتجاه تحليلى، لأن الأول منهما - الدكتور هيكل - عنى باستقصاء حياة النبى ﷺ ميلادا وخطوبا ونهاية على نحو استغراقى فى حين أن الثانى منهما - العقاد - ركز على أبعاض صميمية من حياة النبى على نحو انتقائى ظاهر الوضوح وأخذ يبنى عمله الفنى على ضوء من هذا الانتقاء!!

ونرجو ألا يفهم من هذا أن كاتبا كالدكتور محمد حسين هيكل فى ارتضائه للمنهج التاريخى قد عزل نفسه عن التأمل والغوص والتحليل وعرض كل مقدماته ونتائجه على العقل والعلم وأحدث المنجزات، فهو بالفعل قد قدم من هذه الألوان فى تراجمه للنبى.. ولأبى بكر ولعمر أمثلة بارزة، إن الاستقصاء التاريخى لا يعادى ما عداه، أو هكذا نحن نقصد به فى هذه الدراسة أن يكون!!!

وحتى لا ندور فى الفراغ - كما يقولون - فسنبدأ بتأمل الأساسيات الفكرية التى بنى عليها الدكتو هيكل انجازاته الفكرية فى هذا المجال مع ملاحظة أن الدكتور محمد حسين هيكل - يرحمه الله - يعد بحق رائد هذا



عباس محمود العقاد　　محمد حسين هيكل

الاتجاه التاريخى الحديث فى كتابة التراجم الإسلامية بلا منازع على الإطلاق، وإذا قلنا إن هذا الكاتب يمثل عنصر الريادة لهذا الاتجاه التاريخى فيجب أن نردف على الفور الاتجاهين العقلى والعلمى.. فقد حرص الكاتب نفسه على تأكيد هذه العقلانية وهذه العلمية فى كل خطوة من خطوات شرحه لمنهجه، أو تقديمه له، أو الحديث عنه فى كل معرض هنا أو هناك.

فى تقديمه لكتابه الرائد (حياة محمد) ينعى على الشعوب الإسلامية - فى مراحل انحطاطها وتخلفها - أنها أضافت إلى حياة النبى (ما لا يصدقه العقل) [1].... وأن رعيلا رائعا من الشباب المسلم قد اتهم بالإلحاد والكفر والزندقة.. وأن جيل الشباب المعاصر لهم شعر بأن الزندقة تقابل فى نظر جماعة من علماء المسلمين الذين اتهموا هذا الرعيل «حكم العقل والمنطق»[2].. وأن جيلا

(١) حياة محمد طبعة أولى ص/١٤

(٢) المرجع ص: ١٥

جديدا يدرس تراثه الآن «على الطريقة العلمية الحديثة»[3].

وأنه حين اعتزم كتابة حياة محمد فقد فكر فى ذلك «على الطريقة العلمية الحديثة»[4].. وأنه التزم فى كتابته لحياة محمد حدود السيرة لا يتعداها (على الطريقة العلمية الحديثة»[5].. «فحياة محمد جديرة بأن ينقطع لبحثها على طريقة علمية جامعة أكثر من أستاذ يتخصص فيها ويتوفر عليها»[6].

إن هذا الإلحاح على قيمة (العقل) و(العلم) هذا التأكيد الضمنى لعقلية الإبداع وعلمية المنهج.. يقتضى بالضرورة أن يكون الاتجاه التاريخى الحديث قابلا بطبيعته لمزيد من العطاء العقلى حتى يخرج عن مجرد كونه سردا.. ولمزيد من العطاء العلمى حتى يخرج عن مجرد كونه بوحا وهو بالفعل ما نراه ماثلا فى (حياة محمد) لهيكل هذا العمل الإبداعى العظيم الذى قاد حركة التراجم الإسلامية فى مسار آخر مختلف تماما عن المسارات التى كانت تتلكأ فيها فيما غبر!! وهو بالفعل ما نراه ماثلا فى «الصديق أبو بكر» و«الفاروق عمر» على نحو منهجى قائم على حركة العقل ومعطيات العلم بلا حدود!

فما هى الأساسيات المنهجية التى اتكأ عليها الكاتب فى رحلته مع التراجم الإسلامية؟

عن هذه الأساسيات المنهجية يمكن أن نلاحظ ما يلى:

١ - اتكاء المؤلف على القيمة العقلية فى كل ما يتصدى له.. نستبين ذلك واضحا فى كل ما يكتب من التراجم الإسلامية، وهو فى اتكائه الفاهم على القيمة العقلية إنما يرد للفكر العربى الإسلامى اعتباره وجلاله، ويعطى إبداعه - فى الوقت نفسه - مذاقا إنسانيا عاما يخاطب العقل المعاصر بنفس الطريقة التى يتعامل بها مع هذا العقل المعاصر مع الأشياء والأحياء.. وربما كانت ثقافة الدكتور هيكل وقراءاته المتعددة فى الأدب الغربى هى التى أقنعته بضرورة تجاوز المراحل الغيبية فى التفكير، وانتهاج سلسلة من التحديات العقلية فى مواجهة آلاف من التحديات التى يراد من ورائها هدم كل شىء على هذه الأرض، أو على الأقل زرع الزراية بكل ما على هذه الأرض من مقدسات.. إن ملاحظة المنزع العقلى لا تخفى على قارئ لكتبه: (حياة محمد) و(الصديق أبو بكر) و(الفاروق عمر).. ولكن هيكل فى (حياة محمد) بالذات قد جوبه بمشكلة معضلة: كيف يوفق بين النزعة العقلية الخالصة التى تخضع كل شىء لمنطق العقل وقوانينه الصارمة؟ وبين أشتات من الخوارق والمعجزات التى هى بطبيعتها تجاوز لمنطق العقل، وتخط لقوانينه الصارمة؟

(٣) المرجع ص: ١٩

(٤) المرجع ص: ٢١

(٥) المرجع ص ٢٢

(٦) المرجع ص ٢٢

الحق أن الرجل كان موفقا إلى مدى بعيد حين اختار لنفسه أن يتناول محمدا من المنحى الإنسانى[7] مؤكدا أن فذاذاته فى هذا الصدد، وارتفاع قامته المديدة إلى آفاق تنحسر دونها عيون أرتال من العباقرة والنابغين، هو وحده الدليل الحاسم على نبوته من جهة.. وهو المدخل الطبيعى إلى التسليم له بكل الخوارق والمعجزات من جهة أخرى، بلا حاجة إلى لدد، أو فدامة جدل تافه مريض!! فإذا أضفنا إلى ذلك أن محمدا نفسه (لم يلجأ فى إثبات رسالته إلى ما لجأ إليه من سبقه من الخوارق)[8].. وأن محور دعوته كان العقل بالدرجة الأولى، فقد يثبت لنا بعد ذلك أن الكاتب هنا موفق إلى مدى بعيد فى اتكائه الفاهم على القيمة العقلية فى كل ما يتصدى له.

٢- اعتماد المنهج العلمى فى تركيب المقدمات والنتائج، وفى حرية القبول والرفض، وفى النظر إلى القضايا عارية من القداسات فى مراحل البحث الأولية.

وقد لا نبحث طويلا عن هذه الملامح المنهجية فى كل ما كتب الدكتور هيكل من التراجم الإسلامية، فهو لا يفتأ فى كل مراحله من مراحل إبداعه يذكر بهذه الحقيقة التى يعتنقها، ويؤمن بها، ويدافع عنها، ويدعو إليها. ليس ذلك فحسب، وإنما هو يطبق مقولاتها الصارمة فى كل ما يكتب، فهو معنى دائما بشىء (من تقليب الروايات، وموازنتها، واقتناص الحقيقة من خلالها)[9].. وهو حين يشرع فى كتابة (حياة محمد) إنما يفعل ذلك (على الطريقة العلمية الحديثة).. وهو يقف أمام كل القضايا الكبرى التى يمكن أن تثار فى أى من تراجمه الإسلامية ليس موقف المصدق مسبقا، أو المكذب مسبقا.. وإنما موقف البادئ (بالملاحظة والتجربة، ثم بالموازنة والترتيب، ثم بالاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية، فإذا وصلت إلى نتيجة من ذلك كله كانت نتيجة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص، ولكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمى تسرب الخطأ إلى ناحية من نواحيها، وهذه الطريقة العلمية هى أسمى ما وصلت إليه الإنسانية فى سبيل تحرير الفكر، وها هى ذى مع ذلك طريقة محمد وأساس دعوته)[10].

٣- دراسة الوسط الطبيعى والوسط الاجتماعى والوسط النفسى والوسط الفكرى والوسط الذاتى لبطله الذى يترجم له.

وهو يعنى بالوسط الطبيعى: الموقع الجغرافى، وطبيعة الأجواء السائدة، ونوعية المناط الذى ولد ويقيم فيه.

---

(٧) انظر: محمد وهؤلاء - لأحمد عبدالمعطى حجازى

(٨) حياة محمد: ص٧٢

(٩) الصديق أبو بكر ص:٢٤

(١٠) انظر مقدمة (حياة محمد)

وهو يعنى بالوسط الاجتماعى ما يميز سكان المناطق التى يقيم فى ربوعها البطل من ملامح صميمة تبدو فى أنظمتهم الجسمية والأخلاقية والعقلية والاجتماعية والسياسية والإصلاحية.

وهو يعنى بالوسط النفسى مدى استجابات هذا البطل لما يمور حوله وداخله من قضايا وظواهر ومتغيرات، ومعرفة العلاقة بين الفرد وضميره، وبين الفرد ونفسه، وبين الفرد والفرد.

وهو يعنى بالوسط الفكرى ما تقع عليه عينا بطل من جمال وقبح، وتحرر وانغلاق، والنظر فى مقولات البطل من حيث هى أثر دال على نوعية ما يتحرك داخل الوجدان البشرى من ذبذبات.

وهو يعنى بالوسط الذاتى ما يكون عليه «الإنسان» فى «البطل» من الجانب المادى والجانب الفكرى.. الجانب المادى من حيث هو مناط التوتر أو الهدوء.. والجانب الفكرى من حيث هو مناط التحرر أو الجمود[11].

٤- رفض المنهج التاريخى القديم القائم على مجرد الحشد والسرد وتكديس آلاف من المرويات.. والدكتور هيكل فى هذا الصدد معاصر، يجمع ويحقق وينقد ويرتب ويفسر فالمراجع العربية القديمة التى تتحدث عن أبى بكر مثلا (يشوبها اضطراب يجعل تتبع الحوادث المروية فيها عسيرا فى بعض الأحيان كل العسر، ثم إنها كثيرا ما تثبت روايات هى إلى الخرافة أدنى منها إلى التاريخ، وقد يجد الإنسان فى موازنة بعض هذه المراجع ببعض ما يعينه على تمحيص الحوادث، لكنها تتواتر رواياتها أحيانا لحوادث يقف الإنسان منها موقف الحيرة، فلا يسعه إلا أن يثبتها مع الإشارة إلى ما يخالجه من الريبة فيها)[12].

ليس الاضطراب والخرافة هما كل شىء فى هذه المراجع فبعضها (لا يتعرض إلا لماما لأمور جليلة الخطر ترويها لمراجع الأخرى مفصلة أدق التفصيل، فالطبرى، وابن الأثير، والبلاذرى، لا يكادون يتعرضون لجمع القرآن، وجمع القرآن من جلائل الأعمال التى ازدان بها عهد الصديق إن لم يكن أجلها)[13].

ليس ذلك فحسب وإنما يلوح الاضطراب فى الحديث عن حروب كحروب الردة، وعن فتح كفتح العراق، ثم عن فتح كفتح الشام يقع الخلاف بينهم.. (بل ترد الروايات المختلفة فى أمره فى الكتاب الواحد من كتبهم، حتى ليحار الإنسان أى الروايات يأخذ أيها ويدع)[14] (والخلاف على الزمن الذى حدثت فيه الوقائع لا يقل عن الخلاف فى تصوير الوقائع جسامة، وكثيرا ما يكون تحديد التاريخ لبعض هذه الوقائع مغامرة لا تستند إلى أساس

---

(١١) انظر ص: ١٥٢ وص: ٩٦ من كتابه (فى أوقات الفراغ)

(١٢) الصديق أبوبكر ص:٢٢.

(١٣) المرجع السابق: ص ٢٤

(١٤) المرجع السابق ص٢٤.

يمكن الاعتماد عليه فى شىء من الدقة)[15].

إن هذه الخرافية وهذا الاضطراب.. وهذا الاختلاف على الشىء الواحد هو ما عزز رفض الدكتور هيكل للمنهج التاريخى القديم، ودفعه إلى اعتناق منهج تاريخى حديث قاعدتاه (العقل والعلم) فأبدع من خلاله تراجمه الإسلامية.

ويمكن أن نلمح ببساطة التزام الكاتب نوعية من المنهج التاريخى تلائم بشكل واضح طبيعة التراجم الغيرية، تلك هى التزامه الواعى «بتنامى الترجمة» أى البدء من نقطة الميلاد والانتهاء إلى لحظة الموت، عبورا بكل ما عجت به حياة أبطاله من وقائع وهزائم وانتصارات.. إن هذا الترتيب التعاقبى مما يحرص عليه الدكتور هيكل، ويضعه أمام عينه فى كل تراجمه، وهذه السمة تكاد تكون أبرز سمات تقنية هذا الكاتب فيما يبدع فى هذا المجال من كتابات.

٥- دراسة العصر.. والحضارة والدولة من خلال تراجمه لبعض من أبطاله الذين كان لهم دور فى توجيه الدولة والحضارة والعصر.

وقد يبدو ذلك واضحاً كل الوضوح فى كتبه: حياة محمد - والصديق أبوبكر - والفاروق عمر فهو فى حياة محمد قد جلى موقف الإمبراطورية الإسلامية الأولى من كل الاتجاهات، وأقام علاقات هذه الإمبراطورية مع كل القوى المعاصرة لها على مستويين: عقائدى.. وسياسى، على المستوى العقائدى فى اشتباكها مع المسيحية واليهودية، فى حوار هائل ومنتصر، وعلى المستوى السياسى فى اشتباكها مع الروم والفرس والعرب المناوئين فى معارك هائلة ومنتصرة كذلك!! وهو فى (الصديق أبوبكر) قد درس موقف هذه الإمبراطورية الإسلامية من المرتدين، ومن مانعى الزكاة، ومن فتوحات الشام والعراق وهو فى (الفاروق عمر) قد تأمل صراع هذه الإمبراطورية الإسلامية كذلك مع الفرس والروم تهيينا لعبورها المنتصر بعد إلى مصر.. وأفريقيا والمغرب.. وإلى حدود الصين!!

هذه - على نحو مقارب - هى الأساسيات المنهجية التى اتكأ عليها الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابته للتراجم الإسلامية، وهى أساسيات تضع الرجل على مستوى طليعى من أولئك الذين أصلوا بفكر فاهم وبفن حقيقى معاً لهذا اللون الرائع من ألوان الخلق الأدبى المعاصر بلا جدال!!

ويمكن - تعميقاً للدراسة - أن نستطرد فنركز على أهم الظواهر البارزة التى ركز عليها الدكتور هيكل فى تراجمه، وأن نركز كذلك على نوعية مواجهته الفكرية لهذه الظواهر بمنطق المنهج التاريخى الذى قاعدتاه: العقل والعلم.. والذى ارتضى هو أن يكون - على كل المستويات - أساس حركته الراشدة فى هذا المجال، ولكن المدى بنا يتسع، إذا نحن حاولنا أن نفعل من ذلك كله شيئاً، فليكن الإيماء هنا أجدى من الاستطراد، وربما أتيح لنا مع الزمن أن نعود!!

(١٥) المرجع السابق ص٢٤.

مع العارفين

أبو هاشم الزاهد

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

الأمين العام للجنة العليا للدعوة

قال عنه سفيان الثورى: مازلت أرائى وأنا لا أشعر حتى جالست أبا هاشم فأخذت منه ترك الرياء.

قلت لصاحبى: أعجبنى قول سفيان لسببين:

الأول: أن سفيان - وهو من هو - عنده من الشجاعة الأدبية والقوة النفسية أن يعترف بداء الخطيئة وأنها آفة مدمرة للأعمال الصالحة تحرقها كما تحرق النار الهشيم، وتلك شجاعة تحمد له ولا يتحلى بها إلا رجل كبير فى حجم سفيان وعظمته.

فالنفوس الصغيرة لا تعترف على نفسها بنقص فدائماً تدعى لنفسها الكمال.

الثانى: أن سفيان برغم عظمته ومكانته العلمية العالية بين الناس وأنه محل القدوة يعترف بأن معاشرته لأبى هاشم الزاهد - وهو أقل منه مكانة ومنزلة فى المجتمع - أفادته فتعلم كيف يتخلص على يديه من هذا الداء العضال الخفى.

على أى حال فبالإضافة إلى ما سبق يمكن أن نحكم من خلال قول سفيان بأن أبا هاشم عابد مرب قدوة استحق وصف الزهد عن جدارة واستحقاق حتى لحق باسمه تميزاً له عن سواه وعلى أى حال فما قاله سفيان يدل على منزلته الرفيعة، فليس كل الناس يعترف على نفسه بشىء يكره وأكثره ينفى عن نفسه كل نقص، وكلهم يرفض أن يعترف بأنه تخلص من أمراضه وشفى على يد من هو أقل منه، وخسارة ما يمكن أن يقر به أنه عالج نفسه بنفسه وتخلص من عيوبه بمقدرته الخاصة، ولابد أن نقر بأن هذا المسلك الحميد - وهو الاعتراف بحق الآخرين عليك - مسلك حميد يلزمنا أن نحمده لصاحبه.

فإن أكثر الناس يمالى فى الحق، وأكثرهم إذا اعترف به لا يتبعه!!! وقليل أولئك الذين يعرفون الحق ويتبعونه ولذا نرى رسول الله ﷺ يعجب بالصحابى الذى جلس إليه، فلما تبين سبيل الرشاد اتبعه ولم يمار فيه، ولما أراد الرجل الانصراف أمر النبى ﷺ أصحابه أن يشيعوه ويمشوا معه إكراما له ثم قال ﷺ مبينا الباعث على هذا التكريم الذى يستحقه الرجل، قال: «رجل عرف الحق فاتبعه».

قال صاحبى: جعلت عنوان مقالك «أبوهاشم الزاهد» لكنك استرسلت مع كلمة سفيان.

قلت لصاحبى: ذلك حق كله فهى كلمة جليلة ذات قدر عظيم وقائلها رجل ذو قدر جليل وعظيم، وخلق، وسلوك يدل على مكانة رجل ذى قدر عظيم وإن لم يحظ بشهرة سفيان نفسه ولا يمكن أن نمر عليها دون أن نستشعر جلالها وجلال من قيلت فيه، وفى ضوئها تأملت وفهمت قول رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»(1)، فلقد أرشد الحديث إلى أن الصلاة والصيام وزعم الإسلام لا تدل على الإخلاص فقد يكون رياء، لأن بعض الناس يظهر الأعمال الصالحة ليعتقد الناس فيه الصلاح، حتى يصل إلى ما يريده من الناس، وهو لا يصلى لله ـ تعالى ـ إنما يعمل رياء لطلب دنيا أو محمدة أو مكانة عند الناس.

الرياء آفة خطيرة منه الخفى الذى لا يدرك ويخفى على كثير من الناس، ولا يعرفه إلا الخاصة من الأكابر ولا يقدر على دفعه إلا بمعونة الشيوخ المربين، ومن الرياء ما هو جلى ظاهر يدركه كثير من الناس، أما عن دفعه فهو مهمة الشيوخ العارفين المربين أيضا، ومن هنا كانت الحاجة على الشيخ المربى لأن الإنسان لا يعالج نفسه فهو فى حاجة إلى من يشخص له الداء ويصف له الدواء ويداويه ويمرضه حتى يتماثل للشفاء ومن هنا أوجب الصوفية ضرورة اتخاذ شيخ عارف وإلا فهيهات أن يفلح من صار وحده وعمل برأيه!! فقلما يدرك الإنسان عيوب نفسه وإذا أدركها فهيهات أن يفلح فى علاجها، خصوصا الأمراض القلبية الباطنة مثل العجب والكبر والحسد وحب المحمدة، وحب المحمدة هو أصل الرياء والخوف من ألم الذم والطمع فيما فى أيدى الناس نسأل الله السلامة والعافية.

قال صاحبى ـ فى نبرة حادة لكنها لا تخلو من تهكم واستهجان: أرى ـ أن رغبتك فى الوعظ ـ أو قل إن شئت الرغبة فى إظهار علمك أنستك صاحبك الزاهد

(1) صحيح مسلم جـ ١ ص ٧٨.

أعنى أبا هاشم الزاهد؟ فهلا جعلت لنفسك وازعا من اسمه أو كان لك من اسمه أو صفته دافعا للتشبه به فتزهد فى حب المحمدة بإظهار علمك.

قلت على الفور ـ كأنى لم أسمع ما قاله صاحبى: كان شيخى ـ رحمه الله ورضى عنه ـ يعلمنا ويرغبنا فى سلامة الصدر وحسن الظن بالناس كان كثيرا ما يرشدنا إلى هذه الخصلة الحميدة وهى إحسان الظن بالآخرين فإن كانوا عند حسن ظنكم فخيرا فعلتم.

وإن كانت الأخرى فلن تحاسبوا على إساءتهم.

أما إن أسأتم الظن بهم وكانوا خيرا مما ظننتم فإن الله سوف يحاسبكم على سوء ظنكم بهم وإن كانوا مسيئين كما ظننتم فلن يزيد ذلك فى حسناتكم.

وبهذا السلوك التربوى من شيخنا ـ رضى الله عنه ـ كنا نهرب من إساءة الظن إلى إحسان الظن بالناس:

قاطعنى صاحبى قائلا: ذلك خلق حسن أحمده لك وسلوك وأسلوب رائع من شيخك جزاه الله خيرا.

بادرته قائلا: أراك متعجلا فى المدح والذم وعلى أى حال فما حدث لى هو ثمرة تربية شيخى وإرشاده ولعلك قد ازددت يقينا بضرورة الشيخ المربى فليست التربية تعليمات جافة تلقى مثل «المانفيستو» عند الشيوعيين ولكنها معالجة حكيمة تتولد من معايشة فطنة موصولة بالله لأمراض الناس والمجتمع، ألا ترى كيف كان استهجان سوء الظن باحتمال العقاب الإلهى والترغيب فى إحسان الظن بأن السلامة عن سخط الرب فيه على أقل احتمال.

ثم واصلت حديثى قائلا لصاحبى: أما قولك أننى نسيت أبا هاشم الزاهد، فلا، فهو الباعث على هذا الحوار كله، لكن عجلتك وعدم تريثك دفعتك إلى إساءة الظن. يقول ابن الجوزى نزل بغداد خلق كثير من العلماء والزهاد والأولياء والعباد وإنما ننتخب من يدخل فى شرط كتابنا هذا ونذكرهم على طريقتهم والله الموفق (وذكر منهم أبوهاشم الزاهد) وقال عن شرط كتابه. ولما كان المقصود بوضع مثل هذا الكتاب ذكر أخيار العالمين بالعلم الزاهدين فى الدنيا، الراغبين فى الآخرة «المستعدين للنقلة، المتأهبين المستعدين للانتقال من حياة الخمول والكسل ـ بتحقيق اليقظة والتزود الصالح.

ثم قال: إن كتابنا هذا إنما وضع لمداواة القلوب وترقيقها وإصلاحها».

ثم ذكر مما ينطبق عليه شرط كتابه «أبوهاشم الزاهد»، ولابد لنا من وقفة مع أبى هاشم الزاهد يكون فيها لنا رأى فى الرجل!!! ولو أردنا تقييمه فبأى مقياس

نقيسه، وكيف يكون التقييم؟

هل نقيسه ونقيمه بآثاره التى خلفها؟ أو بكثرة تلاميذه الذين تربوا على يديه.

وإن أيا من هذه المقاييس ليس دقيقا ولا قاطعا مانعا ولا متاحا أيضا، وكل ما أورده ابن الجوزى عنه لا يفى بشىء من عناصر التقييم المذكورة، وليس هذا غريبا ففى تاريخنا من هو عظيم فى مجاله ومع هذا فآثاره قليلة. فها هو فقيه مصر: «الليث بن سعد».. قليلة آثاره، ولكنها مع قلتها تدل على عمق وسعة أفق ورجاحة عقل، ولذلك قيل عنه بحق أنه كان أفقه من مالك إلا أن تلاميذه أضاعوا فقهه كما أن اشتهار وكثرة فقه أبى حنيفة النعمان ترجع فى الأغلب الأعم لتلاميذه العظام المجددين المجتهدين الرواة: أبويوسف ومحمد وزفر، فقلة ما تركه الليث لا تنهض دليلا على فقه الرجل وقصارى ما تدل عليه عدم اجتهاد تلاميذه فى تدوين مقالات شيخنا، كما أن قلة ما روى عنه، وإن كانت فى ميزان الكثرة، لم تقف فى جانب الليث بن سعد إلا أنها فى ميزان الفقه الراجح والرأى السديد تعدل فى ميزان الفقهاء خير قياس لأن رسائله ومعارضته للإمام مالك لا تأتى من فراغ وأن هذه القريحة التى ولدت هذه المناقشات والآراء الصائبة لم تولد فجأة أو تنبت من فراغ وبهذا المقياس الأمين الذى لا يتأثر بالكم ولا بالعدد يمكن أن نحكم على أبى هاشم الزاهد بأنه أحد رجالات عصره المعدودين ومما يؤثر عنه قوله: «إن الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المريدين به دونها، وليقبل المطيعون له بالإعراض عنها، وأهل المعرفة بالله مستوحشون وإلى الأخرة مشتاقون».

فهذه العبارة على وجازتها وقلة كلماتها إلا أنها تدل على عميق زهد الرجل، وأن زهده ليس نابعا من فقر يعانيه ولكن منشأه الرضا والأنس بالله والغنى به والقناعة بمعيته، فمن عرف الله استوحش مما سواه، وقلى الدنيا واشتاق للآخرة.

ومما روى عن أبى هاشم الزاهد ـ أيضاً ـ أنه نظر إلى شريك القاضى رآه يخرج من دار يحيى بن خالد البرمكى فساءه ذلك من شريك، وبرغم مكانته وعلو منزلة شريك إلا أن كل ذلك لم يمنع أبا هاشم من أن يقول لما رآه خارجا من دار يحيى: «أعوذ بالله من علم لا ينفع».

قال صاحبى: أفهم من هذا أن أبا هاشم طعن فى شريك بأنه رآه يدخل على السلطان.

قلت لصاحبى: لا تعجل بالملامة والزم غرزك لعل شريكاً وهو قاض معروف مشهور بالعلم والإنصاف كان فى حاجة لبعض الناس أو أمر من أمور العامة.

المنهج العقلى عند نبى الله إبراهيم (عليه السلام)

للأستاذ / عادل خفاجة

الإيمان بالله مسألة لابد لها فى النفس من وضوح، ولابد أن يتوجه إليها الانسان بكليته، يقوده اقتناع كامل لا يشوبه شك ولا تعتريه الهواجس أو يناله الغموض، حتى يحظى المؤمن ويهنأ بنور الإيمان الذى تنجاب له ظلمات الشرك وظلمه.

ومادام الاقتناع هو العامل الأساسى فى الإيمان، فلابد أن يبرز دور العقل.

لقد حث الإسلام متبعيه على إعمال عقولهم، وحذرهم من التقليد، بل حين تعلل الكفار باعتناقهم دين الأباء لما قالوا:

﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[1].

عاب عليهم القرآن ذلك المسلك الذى يلغى العقل الذى ميز الله به الإنسان عما عداه من كائنات فقال:

﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[2].

وهذه الروح التى تعلى من شأن العقل نجدها مبثوثة فى القرآن الكريم

(١، ٢) البقرة (١٧٠).

حيث يقول الله - تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴾(٣).

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾(٤).

وقوله جل شانه:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾(٥).

ولسيدنا إبراهيم الحظ الأوفر في إعمال العقل!! حيث استطاع بحجته أن يقدم البراهين الساطعة الملجئة إلى الايمان

﴿ وَلَٰكِنَّ الظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(٦).

وهل هناك برهان أوضح من قوله - عليه السلام - لمن ادعى الألوهية:

﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾(٧).

فلما كابر ذلك الطاغية وتلاعب بالألفاظ قائلا:

﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾(٨).

أفحمه سيدنا إبراهيم بالحجة الناصعة التى لا تقبل الجدال قائلا:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾(٩).

إن من يتأمل الآيات القرآنية الداعية إلى إعمال الفكر والآيات التى تتحدث عن منهج سيدنا إبراهيم فى الدعوة ليعلم الصلة الوطيدة التى تربط بينهما «تلك الصلة التى تجعل شريعتنا وسبل سيدنا إبراهيم فرعى نبتة، وغصنى دوحة، فكأنهما نشآ فى عش، ودرجا فى وكر، ومهدا فى حجر»(١٠).

وإن ما يؤكد هذه الصلة بين الإسلام وبين أبى الأنبياء هى الآيات الكريمة القائلة:

﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾(١١).

(٣) ال عمران (١٩٠).
(٤) الحج (٤٦).
(٥) العنكبوت (٢٠).
(٦) الأنعام (٣٣).
(٧) البقرة (٢٥٨).
(٨) البقرة (٢٥٨).
(٩) البقرة (٢٥٨).
(١٠) راجع الإسلام والعقل للشيخ عبدربه مفتاح، مجلة الأزهر، السنة الخامسة ص٦٥
(١١) الحج (٧٨).

وقوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾(١٢).

لذلك وجب استقراء منهج سيدنا إبراهيم فى الدعوة من خلال الآيات القرآنية التى جاء فيها ذكر سيدنا إبراهيم.

وبداية أقول: إننى لا أعتقد أن شخصا يحيط بمنهج أى نبى فى الدعوة، لأن من اصطفاهم الله من بين البشر، لابد أنه - سبحانه وتعالى - قد اختصهم بالكثير، فكيف للإنسان البسيط أن يحيط بأعمال من اصطفاهم ربهم.. وكيف يحلل ويبرهن ويصف.. وهو فى الغالب شخص محدود القدرات قياسا بالأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام؟!

إن السير فى ضوء الشمس يغنينا عن تحسس الطريق برغم عدم إحاطتنا بتكوين الشمس أو بكيفية وصول ضوئها إلينا ونبى الله إبراهيم هو أحد الشموس التى استنارت البشرية بنوره، وإن السير على نهجه - برغم عدم إحاطتنا بمنهجه إحاطة كاملة - لجدير بتصويب أخطائنا فى الدعوة هذه الأيام حيث لا تعطى الثمرة المرجوة برغم أننا نباهى منذ زمن بأن القاهرة مدينة الألف مئذنة، وهو ما يعنى أن ألف خطبة تقدم للناس عبر هذه المساجد أسبوعيا - ناهيك عما استحدث من مساجد بعد هذه المقولة:

ومما يدعونا أن نقترب لنقتبس من ذلك المنهج لهذا النبى الكريم قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾(١٣).

وقوله - عز وجل - لنبيه محمد ﷺ:

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١٤).

والمتأمل لمنهج سيدنا إبراهيم فى الدعوة يلاحظ أنه استخدم:

اللين

حيث خاطب أباه مستخدما أسلوب الاستعطاف، فخاطب أبوته قائلا:

﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾(١٥).

موضحا له أن ما لديه من علم هو الأولى بالاتباع، وليس ما وجد عليه الآباء؟!

وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله

(١٢) ال عمران (٦٧).
(١٣) الممتحنة (٤)
(١٤) النحل (١٢٣)
(١٥) مريم (٤٢)

﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾[16].

فكأنه يقول لأبيه: ما هى الفائدة المرجوة من وراء هذه العبادة لمعبود عاجز لا يفيد؟! لأن من «عبد ما لا يسمع ولا يبصر، فقد عبد جاهلا ممعنا فى الجهل، منقطعا عن أسباب العلم والإدراك، وإذا عبد ما لا يغنى عنه شيئا وليس له فى أمره تصرف، وليس له قدرة على إصابته بخير أو شر، فقد عبد عاجزا وألزم نفس سخافة تجر إلى سخافات وضلالة تدعو إلى ضلالات»[17].

ثم هو يبصّر أباه بحقيقة عبادته، وينبهه إلى أن هذه العبادة قد انحرفت عن مسارها من التوجه إلى الله الخالق إلى عبادة الشيطان المخلوق العصى، ثم يصل إلى قمة الاستعطاف لأبيه حين يفصح عن خوفه أن يمسه العذاب.

حيث يقول:

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾[18].

عدم المجاملة

ولما علم إبراهيم - عليه السلام - أن نصحه لأبيه لن يجدى وأن الاستعطاف لم يثمر، لم يتراجع عن مواجهته بالحقيقة دون مجاملة أو مواربة لأن العقيدة فوق كل العلاقات الأسرية ويصور القرآن الكريم ذلك بقوله:

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[19].

المناظرة

والمناظرة لها أهمية بالغة فى إظهار الحق إذا قصد بها ذلك، وإذا خلت من حب الظهور والعناد والمكابرة واتصفت بالتحاور المثمر وفى مناظرة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - للنمرود ومناظرته لأبيه وقومه نلاحظ ضرورة أن يلجأ المناظر إلى لغة بسيطة سهلة ويجب أن تكون مفرداتها عناصر معروفة من الطبيعة، واستخدام الحجة المفحمة الملزمة، وترك الجدال والمراء، والانتقال السريع من حجة قوية إلى حجة أقوى، وهو ما يحتاج إلى صفاء الذهن وتوقد الفكر وإخلاص التوجه لله حتى ينعم الله عليه بالبرهان تلو البرهان وهو ما كان عليه خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - ولكن أنى للعقول التى اعتادت

(16) مريم (42)

(17) راجع: أبو الأنبياء للشيخ محمد محمد المدنى، مجلة الأزهر، المجلد العشرين ص693.

(18) مريم (45). (19) الأنعام (74).

على عبادة الأصنام أن تفىء إلى أمر الله؟!

ولم يقف الأمر لدى نبى الله إبراهيم - عليه السلام - عند الحد النظرى بل تعداه إلى جانب هام جدا فى الدعوة وهو الجانب العملى، أى التطبيق الذى به تتضح الأمور النظرية، فالتطبيق يعطى القدوة، والقدوة أساس النجاح والاتباع السليم.

الابتداء بذوى القربى

إن الابتداء بذوى القربى، مقدم على سواهم لكى لا يكون لأحد على الداعى مطعن ويكون كلامه آنذاك أوقع وأنفع.

وفيه امتثال لأمر الله تعالى:

﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[20].

الصمود والتحدى

لا يجب أن ينهار الداعية إذا وجد فى نفس قومه صدودا، فعليه أن يصمد دفاعا عن دين الله وهو ما فعله نبى الله إبراهيم حين قال:

﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾[21].

وهو ما نفذه خليل الله حين حطم الأصنام.

الامتثال للأوامر الصعبة ما دامت من عند الله

(أ) الامتثال لبناء البيت:

إن الدعوة إلى الله ترتبط بالفعل كما ترتبط بالقول فما الإيمان إلا «قول يصدقه العمل» لذلك كانت مبادرة إبراهيم - عليه السلام - إلى بناء البيت بمجرد أن أمره الله ببنائه.

قال تعالى:

﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾[22].

وأسرع إبراهيم واسماعيل - عليهما السلام - لتنفيذ الأمر

قال تعالى:

﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[23].

(ب) الامتثال لأمر الله بذبح ابنه:

إن فى بناء بيت الله فى صحراء قاحلة لا إنس فيها ولا ماء امتثال لأمر الله، وفيه صبر على مشاق العمل حتى يتم البناء، ولكن الاختبار الأكبر فى الامتثال لذبح الابن تقربا إلى الله!! وهل إذا

(20) الشعراء (214). (21) الأنبياء (57).

(22) الحج (26). (23) البقرة (127).

امتثل الأب بمتثل الابن؟!

إن المسألة بحق شائكة ولكن الإخلاص لله، وصدق العزيمة ووضوح الخطاب فى هذه القضية وحسن تربية الابن كان محصوله إيمان صادق من الابن وامتثال لأمر الله ظهر فى قوله:

﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[24].

إن منهج إبراهيم - عليه السلام - فيه الكثير الذى يجب أن يعلمه كل من يتصدى للدعوة إلى الله منها: أنه يجب أن يتوقع الخطر من أعداء الدعوة وأعداء الحق ويجب عليه ألا يخشى بطش الجبارين وعليه أن يوقن أن الله منقذه كما أنقذ إبراهيم - عليه السلام - من النار.

القرب من الله

كان إبراهيم عليه السلام يتسلح دائما بالدعاء.

فيقول:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾[25].

ويقول:

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[26].

وأخيرا علينا أن نتأمل دعاءه - عليه السلام:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[27].

ولعل هناك من يتساءل كيف يترك هذا الشيخ طفله مع زوجته فى هذا الوادى الموحش وهو الذى اشتهر بإعمال العقل.

وللإجابة عن ذلك نقول: إن العقل الذى عرف أن النار يمكن أن تتحول إلى برد وسلام لا يخشى على ابنه وزوجته.

ومع ذلك فقد دعا الخليل إبراهيم ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وأن يرزقهم من الثمرات، وهو ما حدث فقد استجاب الله له.. وبقيت هذه الدعوة خالدة شاهدة على أن إخلاص العبد لربه موجب لتأييد الله له تأييدا غير محدود.

لقد انتقل خليل الله إبراهيم إلى جوار ربه، وظل تأييد الله له إلى يوم الناس هذا، وسيظل إلى قيام الساعة، لنعلم كم كان إخلاص إبراهيم لربه.

❊❊❊

(24) الصافات (102).

(25) الشعراء (83: 85).

(26) إبراهيم (40، 41).

(27) إبراهيم (37).

الإعلانات
من منظور فقهى تربوى

للأستاذ الدكتور/ مصطفى رجب

استطاع الإعلان منذ ظهر أن يغتال حواس الناس، فصار يحدد لهم ما يأكلون وما يشربون وما يلبسون وما يستخدمون من عطور ومن وسائل تسلية وترفيه، ويتم ذلك كله عبر ضخ إعلامى مستعر ليل نهار، يستهدف فى النهاية إعادة إنتاج حواس المستهلك المسكين..!!، فإذا كانت المصانع تنتج السلع، فإن الإعلانات تنتج المستهلكين لهذه السلع حتى لو كان ذلك بالتزييف والتزوير.

ومن أهم العوامل التى أجّجت نار الإعلان فى حياة البشر مايلى:

١ - التوسع الصناعى غير المحدود، وما أدى إليه من إنتاج سلع وأجهزة، تتحول يوما بعد يوم من حالة الكماليات إلى حالة الضروريات.

٢ - الحاجة المستمرة إلى التخلص من فوائض الإنتاج المكدس فى مخازن الشركات والمؤسسات الصناعية تجعل من الإعلان الوسيلة المثلى لتصريف الإنتاج الراكد.

٣ - ظهور الشركات عابرة القارات أو عابرة الجنسية التى تتخذ لها فروعاً فى دول عديدة، مما أدى إلى توسيع الأسواق، ومن ثم تزداد الحاجة إلى الإعلان للترويج عن منتجات تلك الشركات لتلبية احتياجات السوق الواسعة.

٤ - اشتداد حمى المنافسة التجارية بين الشركات فى ظل الاتفاقيات الدولية التى تحمى حقوق الشركات، أدى هذا الاشتداد فى التنافس إلى الحاجة للإعلان عن السلع المختلفة بوصفها الأرخص سعراً، أو الأيسر استعمالاً، أو الأقل استهلاكاً للطاقة.. إلى غير ذلك من المزايا.

٥ - ارتفاع دخول الأفراد وتزايد السفه الشرائى، أدى إلى تزايد الإعلان لتلبية هذا السفه المتزايد بفعل تراكم القوى الشرائية لدى بعض فئات المجتمع.

ومنذ ظهور الإعلان التجارى كوسيلة لترويج السلع والخدمات، وتزايدت مع تزايد انتشاره ـ أفكار وكتاب شتى تدعمه أو تهاجمه، منها مايرى فيه أسلوبا عمليا مفيدا لتنشيط الأسواق والتجارة، ومنها مايرى فيه إجحافا للمستهلك، من حيث تكالبه على الشراء، وإجحافا بالمنتجين المنافسين الذين لا تمكنهم مواردهم من دخول المنافسة الإعلانية نظرا لارتفاع تكلفتها.

من أجل ذلك رأينا من الضرورى أن نناقش هذه القضية من وجهة نظر الفقه الإسلامى، والتربية الإسلامية. أما من جهة الفقه فلأن المسلم لا ينفك ـ فى أى حال ـ عن كونه إما بائعا أو مشتريا. وفى الحالين: لابد له من النظر فى العواقب، بحكم كون سلوكه ـ فى كل حال ـ مجالا للمحاسبة الإلهية. وأما من جهة التربية فلأن الفقه الإسلامى نبع ثرى من منابع التربية الإسلامية. فما من حكم شرعي إلا وله صلة ما بسلوك الناس الفردي والاجتماعي، ومن ثم فإن التربية تقوم السلوك من حيث كونه مرغوبا فيه أو مرفوضا اجتماعيا، والفقه يقوم السلوك من حيث كونه حراما أو حلالا ـ بدرجاتهما المعروفة ـ.

الضوابط الفقهية للإعلانات

تضمنت الشريعة الإسلامية قواعد للسلوك تحقق السعادة للفرد المسلم فى دنياه وآخرته، انطلاقا من الآية الجامعة وهي قوله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

والإعلان بوصفه سلوكا بشريا اقتصاديا يخضع فى إطار الشريعة الإسلامية لعدد من الضوابط الفقهية / التربوية، أهمها:

١. الصدق

وأساس هذا الضابط آيات كثيرة فى كتاب الله منها قوله تعالى:

﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾[3].

وقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[4].

وأما فى السنة فهناك أحاديث كثيرة تحض على تحري الصدق واجتناب الكذب، منها ما أخرجه البخارى في صحيحه «كتاب الإيمان / باب علامة المنافق ـ جـ١ ص ١١١»، وهو قوله ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر).

(١) الأنعام (١٦٢)
(٢) الأحزاب (٨)
(٣) الأحزاب (٢٤)
(٤) التوبة (١١٩)

وبناء على هذه الأسس من الكتاب والسنة، يجب على مخططى الإعلان ومنفذيه أن يتحروا الصدق، فلا يصفوا السلعة بما ليس فيها، ولا يذكروا من مزاياها إلا ماهو حقيقى من جهة الاستعمال والتكلفة والأمان والفائدة والعمر الافتراضى... إلخ. فالكذب فى ذكر صفات للسلعة لا تتفق مع الحقيقة والواقع ـ فيه ظلم للمستهلك، وتغرير به، وإفساد لما له، وهذا كله مما يحرمه الإسلام، وتأباه المروءة ويعد افتئاتا على قواعد التربية المجتمعية السليمة.

وباستعراض هذا الضابط في الفقه الإسلامى، نجد أن الفقهاء تحدثوا عن «وصف» السلعة المراد بيعها، وهذا الوصف هو عين الإعلان في الاقتصاد المعاصر، فإن الوصف يتضمن حتما الإغراء بالشراء والحث عليه.

وقد أجاز الشافعية بيع سلعة غائبة بناء على وصفها، كما أجاز ذلك المالكية والحنفية فيما نقله عنهم ابن حزم فى المحلى (٧ / ٢١٤) «بيع الثوب الواحد المطوي، أو في جرابه، أو الثياب الكبيرة كذلك، إذا وصف كل ذلك. فإن وجد كل ذلك كما وصف فالبيع لازم، وإلا فالبيع باطل» [المحلى / جـ٧، ص ٢٢٤].

٢. الأمانة

من الأصول الإسلامية لتربية السلوك الإنسانى بعامة: التزام الأمانة فى كل ما يأتى الإنسان المسلم وما يدع، لقوله عز وجل في وصف المفلحين:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾[5].

وقد استنبط الفقهاء المسلمون من قصة موسى ـ عليه السلام ـ كون الأمانة أحد شرطين من شروط الإجارة على أى عمل، فذلك حيث يقول عز وجل على لسان إحدى ابنتي الرجل الصالح ـ وقيل إنه نبي الله شعيب ـ عليه السلام ـ والله أعلم ـ.

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[6].

والأمانة لازمة للمسلم في دينه، وفي معاملاته لقوله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[7].

وقد روى المنذري في «الترغيب والترهيب» أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ تشدد على أهمية الأمانة في حياة المسلم بوجه عام، وفى المعاملات بوجه خاص، وفي البيوع وما إليها من كيل ووزن وأداء بنوع أخص فليرجع إليها القارىء إن شاء.

وفيما نحن بصدده، من أهمية التزام الأمانة في الإعلان، يجب على من ينظم حملة إعلانية أو ينفذها، أو يراعى حقوق الأمانة وحدودها، وأن يضع نصب عينيه قوله عز وجل:

(٥) المؤمنون (٨)
(٦) القصص (٢٦)
(٧) الأنفال (٢٧)

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٨).

فإذا علم أنه محاسب على كل ما يصدر عنه لم يغرر بالمستهلكين ويزين لهم من السلعة ماليس فيها.

وقد نص فقهاء الشافعية على ذلك، فقال الإمام الغزالي في «الإحياء» [٢ / ٧٥] «إن من واجب من يعرض سلعة ما أن يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها، ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب، فإن أخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام، وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب، ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشا، وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة، وكذلك إذا عرض أحسن فردي الخف أو النعل وأمثاله،

ويدل على تحريم الغش ما روي: أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه، فادخل يده فيه فرأى بللا فقال: (ما هذا؟) قال: أصابته السماء، فقال: (هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا) [رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة].

ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روي أن النبي ﷺ لما بايع جريرا على الإسلام ذهب لينصرف، فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم [رواه الشيخان]، فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال: إن شئت فخذ وإن شئت فاترك، فقيل له: إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع، فقال إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم.

وكان واثلة بن الأسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم، فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة، فسعى وراءه وجعل يصيح به: يا هذا، اشتريتها للحم أو للظهر؟ فقال: بل للظهر، فقال: إن بخفها ثقبا قد رأيته، وإنها لا تتابع السير، فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة: رحمك الله أفسدت على بيعي، فقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يحل لأحد يبيع بيعا إلا أن يبين آفته، ولا يحل لمن يعلم ذلك لا تبيينه) [أخرجه الحاكم والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد].

فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه، ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات، بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم، وهذا أمر يشق على أكثر الخلق، فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس، لأن القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون، ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين:

(٨) ق (١٨)

أحدهما: أن تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه، بل يمحقه ويذهب ببركته، وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة. وقد قال ﷺ: (البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما وإذا كتما وكذبا نزعت بركة بيعهما) [رواه الشيخان]. وفي الحديث: (يد الله على الشريكين مالم يتخاونا، فإذا تخاونا رفع يده عنهما) [رواه أبو داود والحاكم]. فإذا لا يزيد مال من خيانة، كما لا ينقص من صدقة.

والثاني: والذي لابد من اعتقاده، ليتم له النصح ويتيسر عليه: أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا، وأن فوائد أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر، وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجيز العاقل أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير، والخير كله فى سلامة الدين.

٣. التزام الأخلاق الكريمة

من الضوابط التربوية للإعلان فى الفقه الإسلامى أن يلتزم المعلن بالأخلاق الحميدة، فلا يروج سلعته باليمين الكاذبة، أو بالصور الخليعة للأجساد العارية، أو بالكلمات البذيئة، والألفاظ الجنسية الموحية بالرذيلة، كما هو الحال في أكثر الإعلانات السائدة فى أيامنا هذه. وهذا الضابط وإن لم يرد به نص في كتب الفقه القديم، فإنه من كبريات المسائل العصرية التي تنطوي تحت القاعدة الفقهية (سد الذرائع) فإذا كان الإعلان ذريعة للفحش والمنكر من القول والعمل صار حكمه بين الحرمة والكراهة سدا للذريعة.

٤. لا ضرر ولا ضرار

هذا الضابط التربوى الفقهى أحد القواعد الخمس الكبرى في الفقه الإسلامي، ويقصد منه هنا ألا يقوم نجاح الحملة الإعلانية على تغرير بالمستهلك وتضليل له كما تحدثنا في البندين الأولين (الصدق، الأمانة) ومن جهة ثانية ينبغي ألا يتضمن الإعلان عن سلعة الإساءة إلى سلعة أخرى تنتجها شركة منافسة، ففي هذا إضرار بالآخرين، لأن من شأن هذا النوع من الإعلانات التنافسية أن يشيع بين الشركات روح العداء، مما يترتب عليه:

١ - إما المبالغة في الكذب واختراع فنون جديدة للإضرار بالمستهلك.

٢ - أو محاولة حبس السلع حتى ينسى المستهلكون عيوبها ثم إعادة طرحها تحت اسم جديد، أو بإعلان جديد، وفي هذا غش وتدليس.

٣ - رفع الأسعار بدون مسوّغ، فيضر ذلك بالمستهلك.

٤ - أو خفض الأسعار بدون مسوّغ سوى التخلص من المخزون الراكد، وفي ذلك إضرار بالمنتج، وكلاهما شر.

نسأل الله السلامة وحسن القصد فى القول والعمل.

مختارات من الشعر الحديث

الربيع

للشاعر الكبير الأستاذ/ أحمد محرم

دُنياك تضحكُ عن ودادٍ صافِ ** وتُريك طيبَ العيشِ كيف يُوافي[1]
تُزجي زخارفَها إليك تحيةً ** تشفيك من شوقٍ بقلبك هافِ[2]
عجِّلْ لنفسك في الربيعِ سراحَها ** فلقد كفاك أذى السجينةِ كافِ[3]
واحللْ عُرى عينيك في جنباته ** بأناملٍ للزهر فيه لطافِ[4]
ريَّا مُنعمةٌ يُريك رفيفُها ** لينَ الشبابِ النضرِ بعد جفافِ[5]
ملكَ الخمائلَ، يكتسين نضارةً ** في جاهه، ويملنَ بالأعطافِ[6]
تجري المواكبُ حوله في لُجةٍ ** للحُسنِ من غرقٍ، وآخرَ طافِ[7]
طلْقُ الجلالِ، يسيرُ بين جنودِه ** فوق الرُّبى في ضجةٍ وهُتافِ
أغفتْ معازفُها[8]، فلما جاءها ** هبَّتْ تُنبهُ كلَّ قلبٍ غافِ
بعثَ الحنينَ إلى الأحبةِ وفدُه ** فطوى الديارَ وطافَ كلَّ مطافِ

(١) الوداد: الحب، ووافاه: أتاه. (٢) تُزجي: تسوق، والهافي: العطشان وأيضا الجوع.
(٣) السراح: الاسم من سرح القوم أرسلهم وأطلقهم، والكافي: الذي يكفيك ويغنيك عن غيره.
(٤) حل العروة: فكها، والعرى: هنا بمعنى الجفون، والأنامل: جمع الأنملة وهي رأس الأصبع وقيل المفصل الذي فيه الظفر.
(٥) الريا: الريح الطيبة، والرفيف: الحسن واللمعان، والنضر: الجميل.
(٦) الخمائل: جمع الخميلة الشجر الكثيف الملتف، والأعطاف: جمع العطف وهو الجانب.
(٧) اللجة: معظم الماء، وغرق أي غارق وغريق. (٨) أغفى: نعس، والمعازف: آلات الطرب.

دُنيا محتْ رسمَ السُّلوِّ وجددتْ ** لذوي الصبابةِ كلَّ رسمٍ عافِ[9]
عكفَ الجريحُ على جوى أحشائِه ** ومضى بقلبٍ والهٍ وشغافِ[10]
لم يبقَ من حقِّ الحياةِ معطلٌ ** جنحَ[11] الزمانُ بنا إلى الإنصافِ

***

قلْ للمفرِّطِ في لُبانةِ نفسِه ** ضيَّعتَ أمرك، فانطلقْ لتلافِ[12]
لك من تباشيرِ الربيعِ رسالةٌ ** من روحِ ربِّك ذي البيانِ الوافي[13]
تاجُ الحدائقِ، فهْي شعرٌ ضاحكٌ ** واستنشدِ الأزهارَ، فهْي قوافي
صُورُ العواطفِ والحياةِ تموجُ في ** دُنيا من الألوانِ والأوصافِ
هذا يُناولُك الهمومَ، يُديرُها ** خمرًا، وهذا من همومِك شافِ
استوفِ حقَّك من مرارةِ علقمٍ ** يسقيكه الساقي، وطيبِ سُلافِ[14]
أو ما رأيتَ الأرضَ، تذبلُ تارةً ** وتعودُ أخرى غضةً[15] الأطرافِ؟
نزلتْ على الحُكمينِ يعتورانِها ** من لينِ سمحٍ وآخرَ جافِ[16]
تثرى من الحُسنِ البديعِ، فإن مضى ** راحتْ بمنزلةِ العديمِ العافي[17]
خذْ من عوارفِها ومن آلائِها ** ما شئتَ، لا تكُ قانعًا بكفافِ[18]
تُعطيك مسرفةً، تُعلِّمُ ذا الغنى ** شرفَ العطاءِ، وسؤددَ الإسرافِ
كرُمتْ على بخلِ الزمانِ وما جنى ** بالأمسِ من ظلمٍ ومن إجحافِ[19]

(٩) الرسم: ما كان لاصقا بالأرض من آثار الدار، والسلو النسيان، والصبابة الشوق ورقة الهوى والولع الشديد، والعافي الدارس البالي.
(١٠) الجوى: شدة الوجد، والواله الحزين، والشغاف غلاف القلب. (١١) مال.
(١٢) اللبانة: الحاجة، والتلافي تدارك الأمر (١٣) التام
(١٤) العلقم: كل شيء مر، والسلاف: ما سال وتحلب قبل العصر أو هو أول العصر.
(١٥) الغض: الطري الناعم (١٦) اعتور القوم الشيء: تعاطوه وتداولوه، والجافي الغليظ.
(١٧) ثري التراب: ندي ولان بعد اليبس، والرجل كثر ماله والعافي كل طالب فضل أو رزق.
(١٨) العوارف: جمع العارفة وهي المعروف والإحسان والرزق، والآلاء جمع الإلى: النعمة، والكفاف من الرزق ما كفى عن الناس وأغنى أي مقدار الحاجة من غير زيادة.
(١٩) الإجحاف: النقص الفاحش.

أَسْبِغْ ثناءك، واجْزِها ما أسبغت ❊❊ من كلِّ وافٍ في الصنائع ضافِ(٢٠)

أتجُرُّ أفوافَ النعيم سَنِيَّةً ❊❊ وتروحُ عاريةً من الأفوافِ؟(٢١)

وفِّ المجوِّدةَ الصَّناعَ جزاءَها ❊❊ لا تجزِيَنْ على يدٍ بخلافِ

أودى الجحودُ بمُحسنين تنازعوا ❊❊ من عبقريِّ الصُّنع كلَّ طرافِ(٢٢)

فقدوا الرجالَ المنصفين، فشاوَهُم ❊❊ شاوُ الضِّعافِ، وما همو بضعافِ

أرأيتَ من يزنُ الرجالَ، فيحتفي ❊❊ بمجرَّدين من الحلومِ خِفافِ؟

ما أنصفَ الهمجَ الجُفالَ(٢٣) وإن همو ❊❊ نزلوا لديه منازلَ الأشرافِ

قُلْ للسواجعِ في الغصون: ترنَّمي ❊❊ وصِلي فنونَكِ بعد طولِ تجافِ

العرشُ حولكِ، والعروسُ ازَّيَّنَتْ ❊❊ لم يبقَ غيرُكِ، فأذِّني بزفافِ

زيدي على النَّسقِ القديم وجدِّدي ❊❊ نسقاً يُجدِّدُ هِزَّةَ المشتافِ(٢٤)

زمنُ القديمِ مضى، وليس بمنصفٍ ❊❊ من لا يزيدُ ذخائرَ الأسلافِ(٢٥)

الفنُّ وجدانُ العصورِ، وصورةٌ ❊❊ مما يُسيغُ العالمُ المتنافي(٢٦)

حذقُ المنقِّبِ، يستقلُّ بما انطوى ❊❊ من سرِّه، وبراعةُ الكشَّافِ

صلفُ المبرِّزِ في مذاهبِ غيره ❊❊ إذعانُ مُمتهنٍ، وعجزٌ مُضافِ

ياطيرُ ما ضاقَ البيانُ، وإنما ❊❊ ضاقَ الزمانُ، وضنَّ بالإسعافِ

غرِّدْ وإن هجتَ الهمومَ لطائرٍ ❊❊ حملَ الهمومَ كثيرةَ الأصنافِ

وردَ النَّميرَ العذبَ غيرَ مُروَّعٍ ❊❊ مثلي بوردٍ ما يُطاقُ زُعافِ(٢٧)

---

(٢٠) أسبغه: أوسعه وأطاله، والصنائع جميع الصنيعة وهي الإحسان، والضافي السابغ.

(٢١) الأفوف: جمع الفوف نوع من برود اليمن، والسني الرفيع. (٢٢) الطراف: الشرف والمجد.

(٢٣) الجفال الكثير وما نفاه السيل. (٢٤) إشتاف إليه إشتيافا: تطاول ونظر إليه.

(٢٥) الأسلاف: المتقدمون جمع السلف.

(٢٦) الوجدان: الشعور، وأساغ الأمر أجاز فعله، والمتنافي المتدافع المتخالف.

(٢٧) ورد الماء: صار إليه، والنمير الزاكي من الماء، والمروع من خامره الخوف، والورد النصيب من الماء، وطاق الشيء قدر عليه، والزعاف الذي يقتل سريعاً ويقال سم زعاف.

ياطيرُ إن كنتَ اللبيبَ فلا تبتْ ❊❊ إلا سليبَ مُروءةٍ وعفافِ

هانَ النفيسُ، فضاعَ بين معاشرٍ ❊❊ وضعوا اللآلئَ موضعَ الأصدافِ

غرِّدْ، وحيِّ الضيفَ غيرَ مُقصِّرٍ ❊❊ إنَّ الربيعَ لأكرمُ الأضيافِ

يُعطي جُزافاً(٢٨)، لا كمن رزقَ الغنى ❊❊ فسخا، وليس عطاؤه بجزافِ

حملَ الطرائفَ والهدايا، تستحي ❊❊ منها هدايا المسرفِ المتلافِ(٢٩)

لم ترجُها (بلقيسُ) في سلطانها ❊❊ والملكُ أفيحُ واسعُ الأكنافِ(٣٠)

تُهدى الذخائرَ من نُضارٍ(٣١) ساطعٍ ❊❊ شتى المئين، كثيرةَ الآلافِ

تبلو (سليمانَ النبيَّ) لعلَّهُ ❊❊ ممَّن يُعادي في الهوى ويُصافي

قذفتْ (بعفريتٍ) تناولَ عرشَها ❊❊ بيدَيْ أخي جبريَّةٍ(٣٢) قذَّافِ

يطوي الجواءَ به كريشةِ طائرٍ ❊❊ والريحُ تعجبُ، والرمادُ السافي(٣٣)

❊❊❊

شعري، رُميتَ من الربيعِ بصاحبٍ ❊❊ سمحِ السهامِ، مُهذَّبِ الأهدافِ

سرُّ البيانِ أذاعه عن قدرةٍ ❊❊ كالسحرِ يظهرُ كلَّ سرٍّ خافِ

سُبحانَ ربِّكَ، إنها آياتُه ❊❊ تشفي القلوبَ من العمى وتُعافي

دعْ من يُجادلُ في الحقائقِ، واجتنبْ ❊❊ ما اعتادَ من كذبٍ ومن إرجافِ(٣٤)

ما المرءُ ينظرُ كلَّ شيءٍ ضاحياً ❊❊ كالمرءِ ينظرُ من وراءِ سجافِ(٣٥)

---

(٢٨) الجزاف: الذي يعطي بغير وزن ولاكيل ولا عد وعلى التخمين.

(٢٩) الطرائف: جمع الطريفة وهي الغريب النادر من الثمار والمختار من الهدايا، والمتلاف الشديد الإتلاف.

(٣٠) بلقيس: إسم أطلقه العرب على ملكة سبأ التي أرسلت إلى النبي سليمان بهدية عندما ألقى إليها الهدهد كتاب سليمان يدعوها وقومها إلى عبادة الله، والقصة مذكورة في سورة النمل ابتداء من [الآية رقم ٢٢]، والأفيح الواسع، والكنف الجانب.

(٣١) ذهب. (٣٢) جبروت.

(٣٣) الجواء: جمع الجو ما بين الأرض والسماء، والرماد ما يبقى من المواد المحترقة بعد احتراقها، والسافي أي المسفي على النسب أو يكون فاعلاً بمعنى مفعول أي المذرو.

(٣٤) الإرجاف: الخوض في الأخبار الكاذبة والفتن. (٣٥) الضاحي الظاهر البارز، والسجاف الستر.

خطبة الجمعة :

فماذا يصنع الواعظ ؟!

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

لك الحمد يا من جل ثناؤك، وتباركت أسماؤك، وتضاعفت آلاؤك، أنت أعلم بمن ضل عن سبيلك، وأنت أعلم بالمهتدين، نشهد أن لا إله إلا أنت، جعلت العزة فى طاعتك، وقرنت الذلة بمعصيتك

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(١).

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدك ورسولك، سيد الناطقين بكلمة الحق، وإمام الصاعدين بقوله الصدق، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى الصفوة المختارة من آله وأحبابه، والخلص الأكرمين من جنده وأصحابه

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾(٢).

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

ذلت والله أمة تكتفى من حياتها، بأن تعيش على تاريخها وذكرياتها، فما كان التاريخ يوماً من الأيام إلا محرضاً على حسن الاقتداء، وشعاعاً يدعو إلى الاهتداء، وإن نفس المسلم لتتقطع

(١) يونس (٥٨).
(٢) الأنعام (٨٢).

وتتوزع، حين يقارن بين الغابر والحاضر، فيرى الفرق واسعا والبون شاسعا، ويدرك أن أمر الأمة كان بالأمس جميعاً ومنيعاً، فصار اليوم شتيتا ذليلا، بسبب الجهل الطافح والهوى الجامح، والجدل العقيم والتوكل الذميم، وإذا أراد الله بقوم نكالاً ووبالاً، لفت أبصارهم عن التطبيق والعمل، وشغل أفكارهم بالشقاق والجدل!..

هذه عظة المسجد يوم الجمعة مثلاً، كانت عند السلف ـ كما أرادها الإسلام على الدوام ـ تذكيراً للنفوس الغافلة، وتطهيراً للقلوب المريضة، وتعميراً للصدور الخاوية، وقطعة من صميم الواقع وحاضر الحوادث، وكانت خطبة الجمعة عند السلف صرخة مدوية تتجدد كل أسبوع، فتصادف الآذان المفتوحة والصدور المشروحة؛ وكان المسلم يسعى إلى المسجد يوم الجمعة خائفاً يترقب، وفؤاده يرجف قلقا وتطلعاً إلى ما سيقوله الواعظ فوق المنبر، فإن بشر الخطيب بخير فرح المسلم، وتفتح عزمه لمضاعفة الجهود وتخطى الحدود، وإن حذر من شر، وندد بباطل، راجع المسلم نفسه، وأصلح عوجه، وآثر فضيلة الرجوع إلى صراط الحق بعد الضلال..

أما اليوم ـ فوا أسفاه ـ لقد صارت خطبة الجمعة عند الكثيرين ـ إلا من عصم الله ـ نوعا من المتعة الفكرية والتسلية الأدبية، يكتفى القوم بالتعليق عليها والتندر بها. فيعجبون بفصاحة هذا الخطيب، ويعيبون أسلوب تلك الخطبة، ويسرون من إيجاز هذه، ويغضبون من إسهاب تلك، ولا شىء وراء هذا من استجابة أو إنابة، حتى أصبحت صلاة الجمعة وخطبتها كلقاء أسبوعى تقليدى معتاد، يحضره البعض بحسب العادة، والبعض لحب الاستطلاع، والبعض رغبة فى تسقط الزلات واختلاق الهفوات، والبعض للمقارنة بين الخطباء المختلفين، والحكم لأحدهم بالسبق على الآخرين؛ أو غير ذلك من توافه الأغراض التى لا تليق برجال يهتف بهم قرآنهم قائلا:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾(٣).

وقائلا:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾(٤).

وقائلاً:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٥).

(٣) القمر (١).
(٤) آل عمران (١٠٢).
(٥) التوبة (١١١).

والأمر من ذلك والأدهى أن بين المسلمين اليوم طائفة كبيرة من الناس لا ندرى كيف ينطبق عليها وصف الإسلام، وهم أناس لا يرضون عن شىء ثم لا يقومون بشىء، قد طالت ألسنتهم وقحت عبارتهم، وكثرت طعناتهم فى غيرهم، ثم قصرت أيديهم وتبلدت عزائمهم، هؤلاء يريدون أن يتخذوا ممن يرشدهم ويعظهم عصا فى أيديهم يلعبون بها كما يشاءون، فإن نفرت أو تابت عليهم كسروها وحطموها، أو كأنهم يريدون أن يكون الواعظ معهم مغنيا يمشى حسب هواهم وأمزجتهم، فيغنى لهم ما يشاءون من الأغانى، فإن أعجبهم اللحن طربوا واستزادوا، وإن لم يعجبهم قاطعوه وقالوا له: إيت بلحن غير هذا أو بدله... وما كان للواعظ أن يغير أو يبدل حسب الأمزجة والأهواء والرغبات. وإلا خان الأمانة ونقض الميثاق، وإنما هو رجل كتب الله له شرف التبليغ عنه، وعن رسوله صلوات الله وسلامه عليه، فهو يصدع بما يلهمه الله إياه، وما يلوح له من القرآن والسنة مناسبا للوقائع والأحداث؛ دون اعتبار لرضا المخلوق أو غضبه، فحسبه أن ينال رضا الخالق العظيم. وقد قال الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: «من التمس رضا الناس بغضب الله وكله الله إلى الناس، ومن التمس رضا الله بغضب الناس أغناه الله عن الناس»!..

ولكن هؤلاء قوم لا يفقهون!..

تراهم إن غضب الواعظ للحرمات المضيعة والمنكرات الشائعة، والكرامات المداسة والحريات المصادرة، قالوا متطرف لا يحسن التصرف، ومتجارئ يستحق أن يلقى الجزاء!.. وإن لان الواعظ فى القول، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والتمس إلى أفئدة الأقوياء القادرين بابا يخاطبهم منه فى رزانة ووقار، قالوا: جبان، ذو هوان، يخاف أهل الجبروت والسلطان!.. وإن دعاهم الواعظ إلى أن يأخذوا نصيبهم من الحياة، ويتمتعوا بطيباتها التى أحلها الله، ولا يحرموا على أنفسهم شيئا من مناعمها ما لم يرد دليل على تحريمه قالوا: يا له من متساهل يريد أن يصرف الناس عن الزهد والعبادة!!.. فإن لامهم بعد ذلك على ترفهم الزائد وجشعهم المريع، واستهتارهم بقواعد الأخلاق والآداب، وخروجهم المتبجح على كريم العادات والتقاليد، قالوا: يا له من متأخر جامد لا يساير ركب الحياة العجلان، بل يريد أن يرجع بنا القهقرى إلى قرون الظلمات الأولى!.. وهكذا!..

فماذا يفعل الواعظ مع هؤلاء، صانكم الله جميعا أن تكونوا من هؤلاء!. وما الذى يستفيده الإسلام أو المسلمون من أمثال أولئك المعرقين يكتفون بالنقد والتجريح، وإبداء الرغبات والكيوف،

ثم تقرع أسماعهم العظات القوية الجهيرة فلا تحرك فيهم ساكنا، ولا تغير منهم خلقا، ولا تصلح لهم حالا، مع أن الواعظ فى وضعه الصحيح طبيب بيده مشرط وآلات جراحة وأدوات تضميد وزجاجات دواء، وقد يعطيك الطبيب الدواء وهو مر علقهم، ولكنه الجالب للعافية والشفاء، وقد يجرى فى جسمك جراحة فيها تشريح وتقطيع، وما يريد بذلك الضر، ولكنه يريد الإصلاح، وقد يمنعك مما تحب من مطعوم أو مشروب، فإن أبيت وأعرضت، لأن ذلك يخالف هواك ومشتهاك ومزاجك، خسرت وندمت، وإن جاهدت وغالبت وأطعت، نجحت وأفلحت، وصدق رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام حين قال: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

ليس الواعظ بوقا يردد فى كل مناسبة ما عرفناه من نصوص وعظات، أصبحت من إبعادها عن شئون الحياة العامة والخاصة كقديم الآثار فى عيون الأغرار، وإنما هو رجل أهم عنصر فى وظيفته أن يعلو صوته بحكم الله فيما جل وقل من أمور الفرد والجماعة، ولا شك أن هذا الحكم سيكون مخالفا لهوى النفس، لأنها أمارة بالسوء، والله لا يأمر بالسوء أو الفحشاء. فمن واجبكم إذن أن تخضعوا لهذا الحكم وتطيعوه، لأنه ليس حكما من قائله بينكم، ولكنه حكم من منزله على نبيكم صلوات الله عليه من فوق سبع سموات، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، ومن واجبكم أن تنسوا أهواءكم وشهوة الجدال والاقتراح فيكم، وتسارعوا إلى وضع أيديكم فى أيدى الذين يوجهونكم إلى ربكم، ويريدون تحطيم الأغلال الضالة الباغية عنكم، وحسب الذين يذكرون بكلمة الله فى الأرض مالاقوا ويلاقون من محنة وابتلاء؛ فلنستمع القول، ولنتبع أحسنه، كما أمرنا الرحمن، فكن من الفائزين:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(٦).

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٧).

قال عليه الصلاة والسلام: «لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة».

وقال عليه الصلاة والسلام: «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها».

***

(٦) المائدة (٨٨).

(٧) النحل (١٢٨).

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر الشريف المقيد برقم ٨٧٦ لسنة ٢٠٠٤م المتضمن مجموعة من الأسئلة بيانها وبيان أجوبتها كالتالى:

فى المواريث

● السؤال الأول: (من ت. ع. من إمبابة):

توفى رجل وترك ٣ أبناء ذكور وبنتين من زوجة وابن من زوجة أخرى توفيت قبله (قبل الزوج) فما نصيب هذا الابن من الزوجة الأخرى وهل يرث الابن حق أمه فى مؤخر الصداق وقائمة المنقولات أم تؤول للزوج بعد وفاتها ثم تقسم على جميع الورثة؟

●● إجابة السؤال الأول: بوفاة الرجل عن أبناء ذكورا وإناثا من زوجة أو من أكثر من زوجة فإن تركته تقسم على أولاده جميعا للذكر مثل حظ الانثيين فتقسم تركة هذا المتوفى على أولاده الذكور الأربعة والبنتين للذكر مثل حظ الانثيين لا فرق بين أولاد زوجة وأخرى وابن الزوجة الأخرى يرث من أمه فى مؤخر الصداق وقائمة المنقولات الزوجية وكذلك الزوج، فللزوج فى تركة زوجته إذا ماتت قبله وكان لها فرع وارث مثل مسألتنا هذه الربع من أموال وعقارات ومؤخر الصداق وقائمة المنقولات وغير ذلك، ويكون للابن أو الأبناء والبنات الباقى تعصيبا للذكر مثل حظ الانثيين ولا يكون ما تركته الزوجة من أموال ومؤخر الصداق وقائمة المنقولات حقا للزوج فقط بل هى لجميع الورثة وليس للزوج فيها إلا فرضه الربع أو النصف حسب الحالة.

وما يرثه الزوج من زوجته يضم إلى أمواله وبعد موته يقسم على جميع الورثة.

الصوفية

● السؤال الثانى: (من ح. ح بني سويف):

ما رأى فضيلتكم فى الأذكار الليلية والتمايل فيها بذكر الله والإنشاد بالأشعار الدينية والوعظية ثم تناول الأطعمة وشرب الشاى والسجائر وكل ذلك بحجة أنهم رجال الصوفية التى لها مكانتها؟

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

●● إجابة السؤال الثانى:

ذكر الله تبارك وتعالى من شعائر ديننا الحنيف ولهذا جعله الله تعالى من صفات أصحاب القلوب السليمة المؤمنة الخالية من المساوئ وغيرها من الأمور المذمومة قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِى
خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩٠) ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا
وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٩١)
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ
ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا
عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ (١٩٤)
فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن
ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ
مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾

آل عمران (١٩٠: ١٩٥)

فبين الله جل فى علاه فى الآيات السابقة أن صاحب العقل السليم المستنير كثير الذكر لله تعالى فى كل أحيانه حال قيامه وحال قعوده وحال نومه، لما روى أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يذكر الله تعالى فى كل أحيانه ولأن ذكر الله طمأنينة للقلب:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ
أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ (٢٨) ﴾

الرعد (٢٨)

وأمر الله عباده بكثرة ذكره فقال تعالى:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

الجمعة (١٠)

والآيات الدالة على ذلك كثيرة فى القرآن الكريم وقال سيدنا رسول الله ﷺ: (ولا يزال لسانك رطبا من ذكر الله تعالى).

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ومتعددة وشأن المؤمن عند ذكر الله تعالى أن يوجل قلبه خوفا وخشية من الله عز وجل لأنه يذكر قدرة الله وقوته عز وجل ينظر لنفسه فيجد نفسه حقيرا فيوجل قلبه وتزداد خشيته من الحق سبحانه قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

الأنفال (٢)

وهذا التمايل الذى يحدث من الذاكر لا حرج فيه ولا مخالفة لشرع الله عز وجل بفعله إذا حدث من صاحبه بسبب استحضار عظمة الله وخوفه منه، أما إن كان هذا التمايل مبالغا فيه لحب الظهور والشهرة فهو أمر ممنوع لأن المسلم فى كل أعماله يجب أن يراقب ربه وأن يبتعد عن الرياء فى القول والعمل، وأما الإنشاد بالأشعار الدينية والوعظية فهو أمر طيب ممدوح فلقد قال حسان بن ثابت رضى الله عنه الشعر أمام النبى ﷺ واستحسنه منه فمادام الشعر بالوعظ والحكم الدينية وفيه دعوة للتمسك بالفضائل والبعد عن الرزائل فهو جائز شرعا والله تعالى من وراء القصد.

وأما عن تناول الأطعمة وشرب الشاى فما هو الحرج فيه فلقد أباح الله تعالى لعباده الطيب الحلال من المآكل والمشرب والملبس قال عز وجل:

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

الأعراف (٣١، ٣٢)

وأما عن شرب السجائر فإن شربها محرم شرعا لما ثبت طبيا من ضررها صحيا ولأنها تأتى بالأمراض الخبيثة فضلا عن أنها محرقة للأموال بغير وجه حق وأن شاربها يسأل عن ذلك يوم القيامة قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

الأعراف (٣٣)

وقول سيدنا رسول الله ﷺ (لا ضرر ولا ضرار).

والصوفية الحقة هى التى بنيت على العلم والفقه والفهم لأحكام الله تعالى والعمل بما جاء به الحبيب المصطفى ﷺ وبما أوحى إليه

من قرآن وسنة.

الحج والعمرة لا يسقطان الصيام

● السؤال الثالث:

مسلمة أدت فريضة الحج والعمرة وعليها أيام فى رمضان أفطرت فيها بأعذار لكنها لا تعلم عددها حيث أعادت بعض أيام ولم تتحقق هل عليها أيام فهل يكفر الحج ما عليها من أيام لم تتحقق منها؟

●● إجابة السؤال الثالث: فرض الله تعالى الصيام على الأمة الإسلامية وجعله ركنا من أركان الدين الحنيف قال تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

البقرة (١٨٥)

وأباح لأصحاب الأعذار الفطر بشرط القضاء عند الاستطاعة قال تعالى:

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

البقرة (١٨٥)

وهذا من يسر الله تعالى بالأمة ولأنه رفع الحرج عن خلقه قال تعالى:

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

الحج (٧٨)

فالمسلم إذا أفطر يوما أو أياما من رمضان بعذر وزال هذا العذر وجب عليه قضاء ما أفطر لأن دين الله أحق بالأداء فإن تأخر عن القضاء مع القدرة عليه حتى جاء رمضان الذى يليه فإن عليه قضاء ما فاته مع إخراجه فدية عن كل يوم ما يكفى إطعام الفقير وجبتين مشبعتين وإذا لم يتذكر الإنسان الأيام التى أفطرها كم عددها فعليه صيام عدد من الأيام يغلب على ظنه أنها الأيام التى أفطرها حتى يخرج عن العهدة بيقين وأما قول السائلة بأنها حجت واعتمرت وهل يسقط الحج والعمرة عنها قضاء ما بقى عليها من صيام شهر رمضان.

فنقول إن الحج والعمرة لا يسقطان الصيام عن صاحبه لقول النبى ﷺ: «العمرة للعمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» متفق عليه، فالمراد بالذنوب التى تكفر هى الصغائر فقط دون الكبائر فلقد قال سيدنا رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» «رواه مسلم» والمطلق يحمل على المقيد فعلى السائلة أن تبادر بقضاء ما فاتها من رمضان قبل فوات الأوان وانقضاء الأجل.

قصة العدد

العهد المصان

للأستاذ / شوقى محمود أبو ناجى

جلس عاصم بن ثابت يفكر فيما آلت إليه حال المسلمين بعد الذى لاقوه فى أحد، وكيف أن هذا القرح - كما سماه القرآن الكريم - لم ينته باستشهاد الكثير من خيار المسلمين وشجعانهم؛ وعلى رأسهم أسد الله حمزة بن عبدالمطلب، كان هذا الرزء همًا ثقيلا نزل بالرسول ﷺ والمسلمين معه. ولم تكن شماتة أبى سفيان ومن معه من مشركى قريش أو سخرية اليهود، أو تعليقات المنافقين الذين قال قائلهم:

- يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا.. لا هم قعدوا فى أهليهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم.

لم يكن هذا أشد ما حز فى نفوسهم، ولكن الذى يضاعف من الشعور بالحزن، هو جراءة أعراب البادية عليهم، وتفكيرهم فى النيل من المسلمين حتى إن خالد بن سفيان الهذلى فكر فى جمع الجموع لقتال المسلمين، وجعل يبذل قصارى جهده فى استنفار القبائل لمداهمة المدينة، وما كان من علاج لهذه الجراءة سوى أن يرسل النبى ﷺ أحد جنوده «عبدالله بن أنيس» ليقضى على الفتنة فى مهدها فى هذيل بقتل خالد بن سفيان.[1]

أما طليحة بن خويلد وأخوه سلمة اللذين جعلا يحرضان من أطاعهما فى بنى أسد على غزو المسلمين، فلابد من قمعهما بسرية على رأسها أحد المخلصين للإسلام «أبو سلمة» لترهبهم فى عقر دارهم.. ولكن عاصما - مع حزنه - كان راضيا عن نفسه، إذ

(١) أبو داود جـ٢ والبيهقى جـ٢ وتفسير ابن كثير جـ١.

نال شرف حراسة النبى ﷺ وبايعه على الموت[2] وإنه ليثلج صدره - وقد ذهب على يحضر ماء ليغسل النبى ﷺ الدماء التى سالت من جبهته الشريف وثنيته - إذ قال ﷺ لعلى:

- لئن كنت أحسنت القتال اليوم، فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، والحارث بن الصمة، وسهيل بن حنيف.. وسيف أبى دجانة غير مذموم.

وإنه ليستشعر الغبطة عندما يتذكر أن الرسول ﷺ سأل يوما من معه:

- كيف تقاتلون؟

فقام عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فأخذ القوس والنبل وقال للرسول ﷺ:

- إذا كان القوم قريباً من مائتى ذراع، كان الرمى، وإن دنوا حتى تنالهم الرماح، كانت المداعسة (المطاعنة) حتى تقصف، فإذا تقصفت وضعناها وأخذنا بالسيوف وكانت المجالدة.. فقال النبى ﷺ: هكذا نزلت الحرب، من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم[3]، وهو يعرف مكانته لدى النبى ﷺ ألم يعهد إليه بقتل عقبة بن أبى معيط بعد أسره فى بدر؟

أحس عاصم أنه استغرق كثيراً فى أفكاره وذكرياته، فطرحها جانباً ليقرأ آيات مما أوحى الله على نبيه عقب أحد، وجعل يتلو:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴿١٣٨﴾ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴿١٣٩﴾ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴿١٤٠﴾ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴿١٤١﴾ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾

صدق الله العظيم

(١٣٨ : ١٤٢ آل عمران)

وإذا به يسمع طرقات على الباب.. كان هناك من يدعوه إلى لقاء الحبيب ﷺ.

كانت فرحة أى فرحة أن يكلفه مع خمسة من أصحابه هم:

مرثد بن أبى مرثد الغنوى، وخبيب بن عدى أحد بنى عدى أحد بنى جحجبى بن كلفة بن عوف، وزيد بن الدثنة بن معاوية، وعبدالله بن طارق بن حبيب، وخالد بن البكير الليثى. ليذهبوا مع الوفد الذى قدم من عضل والقارة وهم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة أخى بنى أسد بن خزيمة. وذكروا له ﷺ أن فيهم إسلاما، ورغبوا أن يبعث معهم نفراً من المسلمين يفقهونهم فى الدين،

(٢) الطبقات جـ٣.

(٣) الإصابة جـ٤.

لم يدر ببال النبى ﷺ أو أحد من أصحابه أن يكون فى نية هذا الوفد غدر وقد جاءوا يلتمسون من يعلمهم الإسلام ويفقههم فيه، وأى هدف أعظم من أن تنتشر كلمة التوحيد ويشرح الله صدور الناس لها؟

أما عاصم ورفاقه فلم تكن سعادته تعدلها سعادة بثقة النبى ﷺ فى علمهم ومقدرتهم على شرح تعاليم الدين الحنيف.

انطلق الركب حتى الرجيع، وهو ماء لهذيل بين عسفان ومكة[4] فلم يرع أصحاب محمد ﷺ إلا بالقوم.. مائة رام فى أيديهم السيوف، فاخترط جماعة المسلمين أسيافهم ثم قاموا فقال العدو:

ـ ما نريد قتالكم، وما نريد إلا أن نصيب منكم من أهل مكة ثمنا. ولكن عهد الله وميثاقه لا نقتلكم.

فأما خبيب بن عدى، وزيد بن الدثنة، وعبدالله بن طارق فقد استأسروا، وقال خبيب: إن لى عند القوم يداً.

تغلبت الفدائية على حب الحياة عند عاصم، ومرثد، وخالد البكير، وثارت الدماء فى عروق عاصم، وهو الفارس الذى يعتز بشجاعته وثقة الرسول ﷺ به. فلم يكن ليستأسر ويصبح عبداً يفعل به سيده ما يريد. وما الذى يريدونه غير القتل، وإذا كان لابد من ذلك فليمت والسيف فى يمينه فذلك خير من أن يقتل صبراً[5]، ولمح فى خاطره خالد بن سفيان الهذلى، وتساءل:

أترى بنو هذيل تتلبسهم الخسة والنذالة فيثأرون لصاحبهم بهذه الطريقة؟ إنه حرّم على نفسه لمس المشركين، إذ أقسم ألا يمسّ مشركاً أو يمسّه مشرك، فهل يستسلم ليوثقه المشركون؟! وصاح فى تصميم وحزم:

ـ إنى نذرت ألا أقبل جوار مشرك أبداً.

ثم تقدم يقاتل وهو يرتجز:

ما علتى وأنا جلدٌ نابلُ
النبل والقوس لها بلابلُ[6]
تزلُ عن صفحاتها المعابلُ
الموت حق والحياة باطلُ
وكل ما حمّ الإله نازلُ
بالمرء، والمرء إليه آئلُ
إنْ لم أقاتلكم فأمى هابلُ[7]

---

(4) ابن هشام جـ٢.

(5) يقتل صبراً: أى وهو أسير مقيد.

(6) فى البداية والنهاية: والقوس فيها وتر عنابل والعنابل بضم العين: الوتر الغليظ.

(7) هابل: ثاكلة.. أى فاقدة ولدها بالموت.

وجعل يرميهم حتى فنيت نبله، ثم طاعنهم بالرمح حتى كسر رمحه، وبقى السيف فقال:

ـ اللهم إنى حميت دينك أول نهارى فاحم لى لحمى آخره. فكسر غمد سيفه وقاتل حتى قُتل وقد جرح رجلين وقتل واحداً.. وقال وهو يقاتل:

أنا أبو سليمان ومثلى رامى
ورثت مجداً معشراً كراما
أصبت مرثداً وخالداً قياما

ثم شرعوا فيه الأسنة حتى قتلوه.

كانت سلافة بنت سعد بن الشهيد قد قتل زوجها وبنوها أربعة.. قتل عاصم منهم اثنين.. الحارث ومسافع ماتا فى حجرها وكلاهما حين أشعره عاصم السهم جرى إلى أمه سلافة بنت سعد فتسأله عمن رماه فيقول لها: سمعت رجلاً يقول حين رمانى خذها وأنا بن الأقلح، فنذرتْ سلافة يومها لئن قدرت على عاصم لتشربن فى قحفه الخمر، ونذرت لمنْ جاءها برأسه مائةناقة.

طمع القوم فى الغنيمة.. فلديهم ثلاثة أسرى سيبيعونهم لقريش، ورأس عاصم وحدها ستباع بمائة بعير لتشرب سلافة الخمر فى قحفها، فما إن سقط على الأرض حتى انطلقوا إليه يريدون احتزاز رأسه، ولكن المفاجأة التى لم يتصورها أحد، والتى تخرج عن تدبير البشر أن يرسل الله ما يشبه الغيم من الدُّبْر تحيط بجثة عاصم متحفزة لأن تلدغ كل من تسول له نفسه أن يقترب منها من المشركين.. وتورمت الوجوه والعيون وكل ما ظهر من الجسم لكل مشرك يحاول الاقتراب من الشهيد الحمىّ بجيوش الزنابير.

لم يكن بد من الانتظار حتى يخيم الليل وتختفى الدُّبْر، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قضى أن يبر عاصم بقسمه حياً وميتاً فلم يستطع مشرك أن يلمسه. فما إن جنّ الليل.. وطمع المشركون أن يظفروا به بعد انصراف الدُّبْر، حتى هطل سيل عظيم جارف فاحتمله فذهب به.

***

---

(8) العتاق: بنت المعزى.

الحضارة الإسلامية نموذجاً

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

الرسول والرسالة

ولد الحبيب محمد ـ ﷺ ـ في قبيلة قريش بمكة في عام الفيل من أبوين فقيرين، ونشأ يتيما فقد توفي أبوه عبدالله بن عبدالمطلب قبل أن يولد، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وهو في السادسة من عمره، وكفله جده عبدالمطلب، ومن بعد جده كفله عمه أبو طالب. واشتغل الأمين محمد ـ ﷺ ـ برعي الغنم، وسافر مع القوافل في التجارة، وذاع بين الناس حسن أخلاقه وأمانته، فلم يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا وفضلا وشرفا ونبلا. وقد ارتضته السيدة خديجة بنت خويلد الشريفة الموسرة زوجا لها وهو في الخامسة والعشرين من عمره، بينما كانت هي أرملة في الأربعين. وكان الحنيفي محمد ـ ﷺ ـ يذهب إلى غار حراء بجبل ثور للاعتكاف والتعبد، لأنه كان يعتنق دين الحنيفية، وهو دين إبراهيم ـ عليه السلام ـ الذي دان به كثيرون من العرب بعد أن فطنوا إلى انحطاط الوثنية، ورغبوا عن الدخول في اليهودية أو النصرانية. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الدين في قوله ـ تعالى:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(سورة آل عمران: ٦٧)

لما بلغ الرسول محمد ـ ﷺ ـ الأربعين من عمره نزل عليه الوحي وهو يتعبد بغار حراء، وبشره بأنه رسول الله إلى هذا العالم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويدعوهم إلى نبذ عبادة الأصنام وخرافات الجاهلية، ويهديهم إلى عبادة الله الواحد الذي لا شريك له، ويجعلهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويعمل على إصلاح المجتمع البشري وتطويره والارتقاء به

إلى مستوى الحياة الكريمة التي يجمع فيها المرء بين خير الدنيا وخير الآخرة.

وتطالبنا الرسالة الحضارية للإسلام، في أول ما نزل من القرآن الكريم بالتوحيد ليكون نقطة الانطلاق نحو الفكرة الصائبة والعمل السليم.. قال ـ تعالى ـ:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

(سورة العلق من ١ :٥)

وفي هذا إعلان واضح بأن الإيمان القوي الصحيح بهذا الدين الإسلامي الحنيف يجب أن يقوم على العقل والعلم والتفكير، ذلك لأن الإنسان بفطرته لا يقنع من الحياة بما تنقله إليه حواسه، أو ينفعل به شعوره، ولكنه يتناول كل شيء بعقله وينفذ إليه ببصيرته ويجتهد في الوقوف على حقيقة أمره والكشف عن قوانين الله فيه. والإسلام عندما يدعو إلى وحدانية الله وتحرير العقول والقلوب من الشرك به ورفع البصر إليه خالصا من أوهام الزيغ والضلال، إنما يكون قد أعاد للإنسان إنسانيته ليصبح خليفة الله في أرضه، ويهتدي إلى قدرة الخالق من خلال البحث والتأمل في مظاهر الخلق والكون المحيطة به والواقعة تحت سمعه وبصره، فيقوى يقينه ويزداد إيمانه وتمسكه بتعاليم الإسلام ومبادئه، ويبلغ من ذلك ما يطمئن إليه عقله وتهدأ به نفسه وتتحقق به سعادته في الدارين: الدنيا والآخرة.. ويحدد القرآن الكريم مضمون الرسالة السامية التي أوصى بها الله إلى رسوله الأمي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في قوله ـ تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة المائدة من ١٥ :١٦)

وكان تقرير هذه الحقائق في العقيدة الإسلامية هو الأساس لقيام نموذج حضاري إنساني فريد يستنبط قيم التوحيد والربوبية، وينطلق منها كبعد غيبي يتعلق بوحدانية خالق الكون وواضع سننه ونواميسه، والمتحكم في تسييره ومصيره. وهنا تكمن الحكمة من جعل التوحيد الكامل الخالص لله ـ سبحانه وتعالى ـ أول الثوابت الإسلامية الذي تنتج عنه بالضرورة العقلية والمنطقية باقي المسلمات الإيمانية. وهنا أيضا يتجلى جوهر الإسلام ومبادئه السامية التي جاءت على موعد مع نضج العقل البشري، وراح الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يدعو إلى هذا الدين الحنيف سرا في أول الأمر بين أقرب الناس إليه لمدة ثلاث سنين، ثم جهر بالدعوة الإسلامية بعد أن أمره الله ـ تعالى ـ بإظهار دينه في قوله ـ سبحانه:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(سورة الحجر: ٩٤)

وجد الرسول فى نشر دعوته بكل ما أوتى من قوة وحكمة، وهاجر إلى يثرب «المدينة المنورة» بصحبة أبى بكر الصديق، فوصلها فى ٢٠ سبتمبر عام ٦٢٢م. واتخذ المسلمون هذه السنة بداية للتاريخ الهجرى بدلاً من التاريخ بعام الفيل، وذلك فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين. وبعد أقل من عشر سنوات على الهجرة أصبحت الجزيرة العربية كلها تدين بالإسلام وتخضع لأول مرة فى تاريخها لقيادة واحدة. وكان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى هذه الأثناء قد أرسل رُسُله إلى ملوك الأرض فى كل مكان يدعوهم إلى الإسلام، فبعث إلى أمراء العرب فى البحرين وعُمان واليمامة واليمن، وبعث إلى أمير الغساسنة وإلى هرقل (قيصر الروم)، وإلى كسرى فارس، إلى نجاشى الحبشة، وإلى المقوقس حاكم مصر من قبل هرقل. وتوضح الرسائل التى وجهها الرسول ـ ﷺ ـ إلى ملوك وأمراء الدول المعاصرة سياسته فى تعميم نشر الدعوة الإسلامية ومطالبة الناس جميعاً بقبول الإسلام مصداقاً لقوله ـ تعالى ـ فى قرآنه الكريم:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(سورة الأعراف: ١٥٨)

وفى السنة العاشرة للهجرة (٦٣٢م) بعد أن اطمأن الرسول ـ ﷺ ـ إلى إيمان العرب بعقائد الإسلام وأركانه، خرج من المدينة فى حوالى مائة ألف من المسلمين قاصداً المسجد الحرام لأداء فريضة الحج، وعند جبل عرفات ألقى على المسلمين خطبته الخالدة التى أوضح فيها أصول الدين الإسلامى الحنيف وقواعده، ودعاهم فيها إلى نشر دعوته والجهاد فى سبيلها. وتمت رسالته ـ ﷺ ـ وهو واقف بعرفة بنزول قوله ـ تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

(سورة المائدة: ٣)

وقد تلا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذه الآية على المسلمين حين نزولها، فكان لها أعظم الأثر فى نفوسهم.

وفى السنة الحادية عشرة للهجرة اختار الله رسوله لجواره وله من العمر ثلاث وستون سنة، بعد أن بلغ رسالته وأدى أمانته وبيّن للناس أمور دينهم وأرسى الأسس العامة لقيام حضارة إسلامية متفردة دستورها القرآن الكريم وأسلوبها العمل والعلم ولزوم جماعة

المسلمين. وبذلك أصبح الإسلام ـ كعقيدة وثقافة ـ قادراً على التوحيد بين شعوب أشد ما تكون اختلافاً وتبايناً. وأيقن المسلمون الأوائل أن دور الإنسان ورسالته هو تحقيق أمانة الاستخلاف بتعمير الأرض وترقية الحياة عليها، والعمل على تمام الانتفاع بخيراتها، وبناء علاقة الإخوة مع بنى الإنسان فى كل مكان. ووجههم دينهم الحنيف بطريق مباشر نحو تحصيل العلم النافع الذى يتحقق به صالح مجموع الأمة وإقامة أمر الإسلام، وجعله فريضة واجبة الأداء بحيث يستمر تحقيق المصلحة العامة وإعلاء كلمة الله فى الأرض.

حضارة الإسلام نموذجا

انبثق الإسلام من قلب الجزيرة العربية ليكون نبعاً جديداً من منابع الهداية والإصلاح والنور والرشاد، وقدم للفكر البشرى منهجاً عقلانياً تجريبياً إيمانياً، ينمى الحس النقدى والنظرة الاستقصائية لدى الباحثين والمفكرين، ويعتبر الإنسان بحواسه وعقله وإرادته وبصيرته وحدثه وكل ملكاته قادراً على استجلاء حقائق الوجود فى ظل القيم الإيمانية الهادية. وفاض هذا النبع الحضارى حتى أصبح بحراً يموج بالقوة والحياة، ولم يمض قرن واحد على وفاة الرسول الخاتم محمد ـ ﷺ ـ حتى كان الإسلام قد امتد من المحيط الأطلسى فى الغرب إلى حدود الصين فى الشرق، ومن بحر خوارزم فى الشمال إلى أعلى شلالات النيل فى الجنوب، وذلك يعدل جُلّ الجزء المعمور من الأرض آنذاك. وقد تم هذا للعرب والمسلمين قبل أن تقع عيون كولومبوس على شواطئ أمريكا بعدة قرون، وقبل أن يستطيع «فاسكودى جاما» أن يصل إلى الأرض التى حلم بها كولومبس بقرون عديدة. وقد كان لهذا الأخير مرشد عربى اسمه أحمد بن ماجد، كانت له خبرة بالملاحة البحرية، فاستطاع بمهارته أن يقود الرحالة الأوروبى إلى الدنيا الجديدة.. وكانت علوم البحار والمحيطات تخصصاً عربياً إسلامياً أصيلاً، وكان الأسطول الإسلامى التجارى يقوم برحلاته الدورية عبر المحيط الأطلسى من ساحل أسبانيا شمالاً حتى المحيط الهندى، ويرسو من حين لآخر على أهم الموانئ الممتدة على طول الطريق، ووصلت بضاعة المسلمين فى نشاطهم التجارى عبر البحار إلى كوريا واليابان والفلبين، كما وصلت تجارتهم عن طريق البر إلى أراضى شمال أفريقيا وإلى قلب شبه الجزيرة الأيبيرية.

كذلك غاص المسلمون فى أعماق البحار، فاستخرجوا الجواهر، وقاموا بأعمال الحفر والتنقيب بحثاً عن الثروات المعدنية فى باطن الأرض، وتحدث ابن حوقل عن استخراج الرصاص والزئبق من فرغانة وكرمان، والكحل من أصفهان، والرخام من تبريز، والكبريت من سوريا وفلسطين، والنفط من باكو، والملح من عبدان، والياقوت والزمرد

والعقيق من مصر وخراسان وجنوب شبه الجزيرة العربية، ومناجم الذهب فى العلاقى على مسيرة خمسة عشر يوما من أسوان، ومناجم الفضة فى هندوكوش، ومناجم الحديد فى أسبانيا والشام.

وقام المسلمون بشق الترع والقنوات، وإنشاء الطرق والقناطر والسدود، وطوروا الزراعة وشبكات الرى وفن البناء وعلوم الفلاحة والمراعى، والمساحة والخرائط، بالإضافة إلى ما أحرزوه من تقدم هائل فى مجالات العلوم الأساسية والتطبيقية. وازدهرت العواصم والمدن الإسلامية، فكانت بغداد مجمع المحاسن والطيبات، وكانت مصر - كما وصفها ابن بطوطة عندما زارها فى القرن الثامن الهجرى «الرابع عشر الميلادى» - أم البلاد المتناهية فى كثرة العمارة المتناهية فى الحسن والنضارة، أما فى الأندلس فقد حرص الحكام على أن يجعلوا من قرطبة صورة جديدة لدمشق مثلما كانت فى عصر الأمويين، ومنافساً لبغداد أيام الخلافة العباسية، فأكثروا من تجميلها ونظافتها وإضافة المرافق العامة بها، حتى قال بعضهم فى وصفها: «فما على الأرض قطّ مثل قرطبة». لقد جذبت بلاد الأندلس كل الأوروبيين بسحرها وجمالها وازدهار الحضارة الإسلامية فيها، حيث عمّر المسلمون - فيما تقول المستشرقة الألمانية «سيجريد هونكة» فى كتابها القيم «شمس العرب تسطع على الغرب» - مرتفعات وسفوح جبال ما كان يُظن أنها يمكن أن يُستفاد منها فى الزراعة لجفافها الدائم، وعلموا المزارعين طُرق زراعة ورعاية التفاح والخوخ واللوز والمشمش والموز والنخيل، كما اهتموا اهتماما خاصا بالقطن وقصب السكر وغير ذلك من النباتات والأشجار التى مازالت حتى اليوم تشمر جزءاً هاماً من صادرات أسبانيا، وما فتئت حتى اليوم أسماء كثيرة من الأدوات فى الحقل الأسبانى تحمل أسماء عربية، ولم يترك المسلمون شبراً من الأرض إلا واستثمروه، وبفضل تلك الجهود فى الزراعة كانت الأرض - زمن عبدالرحمن الثالث - تنتج ثلاثة أو أربعة مواسم كل عام.

هذه هى بعض ملامح الصورة الحقيقية لنموذج الحضارة الإسلامية المتفرد والراقى فى جوانبه الروحية والمادية. وقد شهد بذلك المنصفون من المؤرخين والمستشرقين، وقال أحدهم: «إن المسلمين رفعوا لواء الحكمة بدافع القرآن، وخدموا العلم والمعرفة، وأحيوا علوم السابقين، وعلموا الفلسفة والطب والفلك وفن البناء فى أسمى صوره بالغرب والشرق على السواء، مما أتاح لنا نحن الغربيين أن نصل إلى النهضة العلمية الحديثة، ولهذا يجدر بنا ألا نكفَّ عن البكاء كلما تذكرنا اليوم الذى سقطت فيه غرناطة».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾

(آل عمران ٨٧)



من الإرهابى؟!

للأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

لاشك أننا فجعنا جميعا ونحن نستمع لتلك الأخبار البشعة ونطالع تلك الصور التى احتلت صدر صفحات الصحف المحلية والعالمية وبثتها الفضائيات ووكالات الأنباء وشبكات الإنترنت وبالتأكيد لن ننشر فى مجلة الأزهر تلك الصور، فكيف يمكن لمطبوعة دينية محترمة أن تنشر صورة لأسير عراقى معلق بالحبال فى السقف بينما جنود الاحتلال الأمريكى يتناوبون اغتصاب ابنته تحت أقدامه وعلى مرأى ومسمع منه؟!

كيف يمكن أن ننشر صورة لأسير عراقى يخضع للاستجواب وهو يشاهد أمه أمامه عارية ومهددة بالاغتصاب إن لم يجب عن أسئلة المحققين؟!

كيف يمكن أن ننشر صورة لطفل عراقى يتناوب الجنود البريطانيون ويتبارون أيهم يستطيع أن يقذفه بركلة قدم لمسافة أبعد مما يستطيعها زملاؤه؟!

كيف يمكن أن ننشر صورا لنساء عراقيات اغتصبن داخل بيوتهن وعلى مرأى من أزواجهن وآبائهن وأشقائهن وأبنائهن؟!

ولماذا فعلوا هذا؟!

الإجابة: لأنهم عرب ومسلمون.

﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ⑱ الَّذِينَ يَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ⑲
أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ⑳ ﴾

(هود ١٨ : ٢٠) .

انهم يزدرون مقدساتنا .. لقد لفوا الأسرى فى العلم العراقى الحامل للفظ الجلالة «الله أكبر» ثم تبولوا عليهم .. يا لها من حرية وديمقراطية تلك التى أرادوا تلقينها أبناء العراق ! !

ماذا يريدون وقد حولوا العراق إلى معتقل رهيب وجعلوه نموذجا يحتذى فى كيفية كبت الشعوب وقهرها وإذلالها ؟ !

خطفوا النساء من الشوارع واغتصبوهن وصوروا عمليات الاغتصاب بكاميرات التصوير الفوتوغرافى والفيديو ، بعضهم ليحتفظ بها كذكرى ودليل على الشجاعة والبطولة ، والبعض الآخر ليبيعها لأصحاب المواقع الإباحية على شبكات الإنترنت ، والأغلب الأعم تنفيذا لتعليمات القيادة العليا للجيش الأمريكى ، وهى أمور أكدها أشخاص على مقربة من مراكز صنع القرار مثل (دان سنيور) المتحدث باسم قوات التحالف الذى أكد أن (بول بريمر) الحاكم المدنى الأمريكى للعراق كان على علم كامل من شهر يناير الماضى بكل ما يحدث تجاه الأسرى العراقيين المعتقلين بسجن (أبو غريب) .

وزير حقوق الإنسان العراقى (عبد الباسط تركى) أعلن أنه أبلغ بريمر قبل أكثر من عام فى يناير ٢٠٠٣ بوقوع انتهاكات لحقوق الإنسان فى السجون التى يشرف عليها الأمريكيون ، واحتجاجا على ذلك قدم الوزير العراقى استقالته .

الضباط والجنود الذين وجهت لهم الاتهامات بتعذيب الأسرى العراقيين أكدوا أن عمليات التعذيب تمت منهجتها تحت إشراف قيادات الجيش الأمريكى والكل كان يعلم بما يحدث فى سجن أبو غريب وغيره من السجون الواقعة تحت الإشراف الأمريكى .وبعد ذلك يتساءل الأمريكيون : لماذا يكرهنا العرب والمسلمون ؟ ! سؤال يثير الغثيان والتعجب .

قام أبطال الجيش الأمريكى بالقبض على أبناء الجاليات العربية والإسلامية ومزقوا بطاقات هويتهم وجوازات سفرهم ومحوا كل دليل يشير من قريب أو بعيد إلى هويتهم وحملوهم إلى معسكراتهم رجالا ونساء للعمل كخدم فى معسكرات الجيش الأميركى ، بل كعبيد ومن يرفض أو يتمرد يعاقب بالقتل ، البعض منهم نجح فى الفرار ووجدوا ألا سبيل أمامهم للنجاة مما هم فيه غير حمل السلاح والقتال والانخراط فى صفوف المقاومة طلبا للشهادة بعد أن تقطعت بهم السبل بينهم وبين أوطانهم ، فالموت بشرف أعز ألف مرة عندنا من حياة الذل والخنوع والقهر .

وبعد ذلك نجد من بين قادة الغزاة فى واشنطن ، ولندن من يصف أعمال المقاومة البطولية بأنها أعمال إرهابية !

الجنود الذين فضحوا هذه العمليات



المارينز وأمثالهم يشهرون السلاح فى وجوه الأطفال

وقدموا الصور للصحف والفضائيات أكدوا أن الوضع فى العراق كله أسوأ بكثير مما تعبر عنه الصور ، وأكدوا أن العراقيين يقاتلون بضراوة وشراسة دفاعا عن العرض والشرف والكرامة .

أى أن الأمر لا يتعلق بممارسات فردية كما يقول بوش وتابعه بلير وقد أكدت الـ «واشنطن بوست» الأمريكية أن لديها ألف صورة فى غاية البشاعة .

والمذهل حقا أن (رونالد رامسفيلد) وزير دفاع الولايات المتحدة الأمريكية أكد أنه كان على علم بما يحدث منذ عدة أشهر ودافع عن نفسه بقوله : «ماذا كان يمكن أن أكون فاعلا ؟» .

يرسل ١٥٠ ألفا من الشواذ واللصوص والمغتصبين ، ويقول : ماذا يمكن أن أكون فاعلا ؟ والرئيس الأمريكى يدافع عنه ويمجد بطولاته ويقول عنه : إنه أفضل وزير دفاع أمريكى ! !

من هو الإرهابى ؟ أهو من يدافع عن أرضه وعرضه وشرفه وكرامته التى أهدرها جنود جيش الاحتلال والاغتصاب والسرقة ؟ ! !

وبعد ذلك يصفون أنظمة الحكم لدينا بالديكتاتورية ! ! ألا مرحبا بديكتاتورية - إن كان لها وجود أصلا - تصون الأرض وتحفظ العرض والشرف ، وتذود عن أبناء الأمة ، ولتسقط ديمقراطية مبعوثى دول الاغتصاب والإفساد والإباحية .



أهالى الأسرى فى انتظار أبنائهم أو ما تبقى منهم

السيد جورج بوش، وتابعه بلير عرضا تقديم تعويضات مالية .. هكذا حفنة نقود مقابل إهدار الكرامة واستباحة العرض والشرف، إنهم لايدركون الاختلاف الجوهرى بيننا وبينهم، عندنا لا معنى للحياة بدون شرف وقيم أخلاقية سامية وضعها لنا ديننا الحنيف، على العكس مما هو موجود فى أمريكا والغرب الأوروبى كله، حيث من حق المرأة أن تحصل على أجازة زوجية تلهو فيها مع صديقها، ومن حق الابنة أن تدعو صديقها إلى منزل الأسرة ما دامت قد تجاوزت السن القانونية ليفعلا ما يحلو لهما على مرأى من الأب والأم، ومن حق الفتى أن يجرى عملية تحوله إلى مسخ قبيح فلا هو بالرجل ولا هو بالمرأة، ناهيك عن مسالة الزواج المثلى حيث يتزوج الرجل بالرجل، وتقترن المرأة بنظيرتها، وغير ذلك من الأمور التى أفرزت جيش السفلة الذين بعث بهم بوش وتابعه بلير إلى العراق بهدف نشر الرذيلة وتمجيد الفسق، وتحرير المجتمع العربى من قيم الشرف والفضيلة.

بل لم يخجل الأمريكيون من طرح هذه الوقاحات ضمن برامجهم للإصلاح الاجتماعى فى العالم العربى !!

وللأسف نجد من بيننا من يروج لمثل هذه الوقاحات والسفالات وعندما تصدت لهم جهات الأمن العربية المسلمة، وجد هؤلاء



طفل بين الحياة والموت لم ترحمه القنابل العنقودية لجيش المغتصبين

الأذناب من يدافع عنهم ويمجدهم فى الولايات المتحدة التى قرر رئيسها تحويل جزء من مخصصات برامج المعونة الأمريكية لدعم أنشطة عملائها الإباحيين شريطة أن يقوموا بعمل جاد وفعال فى إفساد قيم وإخلاقيات المجتمع المسلم المحافظ، واستبدالها بالإباحية والانحطاط.

ومؤخرا وجه بوش تهديدا جديدا للأمة العربية الإسلامية على نفس منوال ما جرى فى العراق حيث وقع مرسوما بمعاقبة سوريا معتبرا انها تمثل تهديدا غير عادى للأمن القومى الأمريكى بحجة أنها تدعم الإرهاب، ولها وجود عسكرى فى لبنان وتقوض استقرار العراق.

إذا كانت سوريا تدعم الإرهاب فبماذا يمكن وصف النشاط البشع الذى يقوم به أكثر من ١٥٠ ألف إرهابى أمريكى فى العراق.

وإذا كان الجيش السورى موجوداً فى لبنان برغبة لبنانية كاملة شعبية ورسمية فبماذا يمكن أن نصف التواجد الاحتلالى القبيح للجيش الأمريكى فى العراق ؟!

وإذا كانت سوريا تقوض استقرار العراق فلنسأل الشعب العراقى: من الذى يقوض استقراره. من المجرم الذى قتل النسل وأهلك الحرث، واستباح العرض دون وازع من ضمير.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

(الشعراء - ٢٢٧).

من الواقع الأليم

متى تنجلى هذه الظلمات ؟!

للدكتور / حمدى فتوح والى

أشعر بحالة من القلق البالغ والخوف الشديد على مستقبل الإسلام والمسلمين ـ وشعورى بالقلق ليس شعوراً مرضياً منبعه الوهم وسببه تضخيم الأمور، وإنما مرده إلى ما ألمسه دائماً من امتداد النفوذ الغربى فى أرضنا.. وإطراد قوته مع إطراد ضعفنا، وثقته بنفسه وانهزامنا.

يقول الشيخ محمد الغزالى:

«عندما أنظر إلى الواقع الكئيب، أجد أعداءنا يتقدمون بخطا وئيدة، وخطط صريحة حيناً، ماكرة حيناً آخر ولكنها خطط مدروسة على كل حال، محسوبة المبادئ والنهايات، لا مكان فيها للدعاوى والمغالطات، ولا للارتجال والمجازفات»(1).

وهذا الذى يراه الشيخ هو ما يراه كل مسلم ويشعر بمرارته كل مخلص غيور.

وكلما عصفت بى الشكوك، واستولت على كيانى لحظات يأس قاتل، وانكسار حزين، أعود إلى تاريخ أمتنا فأجدها قد تعثرت من قبل كثيراً، وأصابتها ضربات موجعات، لكن وضوح عقيدتها، وصدق ولائها، وعمق انتمائها، وشدة قربها من ربها، كان ينهضها من كبوتها، ويقيلها من عثرتها ويساعدها حتى تستعيد قوتها، وتستأنف المسير.

واليوم أرى سهام الكفر تصوب إلى تلك العقيدة وذلك الولاء.. اللذان هما جهاز المناعة لجسم الأمة العليل حتى لا تجد الأمة ما تستنفره إن دعا الداعى، ودق النفير.

(1) حصاد الغرور ـ المقدمة ـ الطبعة الثانية ـ دار الشروق.



وكلما تذكرت أن أعداء الإسلام ـ بخططهم الشيطانية، وأساليبهم الإبليسية، قد عرفوا سر صمودنا فأصابوه، ونبع عزتنا وقوتنا فكدروه وأفسدوه ـ أشعر بألم قاتل وحزن ثقيل.

وهذا ما يجعلنى أحس بالرعب، كلما رأيت أيدى الكفر تتسلل إلى مناهج دراستنا، ووسائل إعلامنا، وأستنفر كل ذى همة وغيرة على دينه وأمته، ألا يسمح ليد الإجرام أن تغتال عقيدتنا، وهويتنا، وتبعدنا عن حصننا الباقى وملاذنا الأخير.

إن الأمة كلها لم يعد لها ملاذ تأوى إليه أو حصن تعتصم به إلا حصن الدين، وملاذ العقيدة. ويوم يسقط هذا الحصن ـ لا قدر الله ـ فلن يجد الكفر مشقة ولا تعباً وهو يمارس فينا هواية الذبح التى يجدون فيها نشوتهم ويستشعرون سعادتهم.

«إن حرب الإبادة قد وضعت خطتها لإفناء الجنس العربى وإحلال بنى إسرائيل مكانه، والحقيقة أن الإسلام بالنسبة للعرب ليس فقط الهداية العليا لعباد الله، ولكنه طوق النجاة العاصم من الغرق بالنسبة إلى هؤلاء العرب، والخيط الباقى ليظلوا على قيد الحياة إن أرادوا الحياة.

فهم ـ رضوا أو سخطوا ـ يواجهون حرباً دينية تشنها مشاعر مخلوطة بشغاف القلوب، وليس كما يحكى لهم الكذبة يواجهون حرباً استعمارية عادية»(2).

لقد نظرت فى سنن الله مع أمم الأرض جميعاً فرأيت من أبرزها وأنصفها أن بداية

(2) حصاد الغرور ـ محمد الغزالى ص ٥١.

هلاك كل أمة يكون بعُتُوها عن أمر ربها، ومخالفتها لرسله. وانفلاتها من ضوابط منهجه وشريعته، ووقوعها تحت طائلة غضبه وقهره.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾(٣).

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب، وقد أقام كونه على نواميس ثابتة، وقوانين محكمة، وجعل أكرم الناس لديه، وأقربهم إليه، أكثرهم له طاعة، وأعمقهم له مودة وحبا..

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٤).

ولقد ردّ الله ـ تبارك وتعالى ـ على أهل الكتاب دعواهم التى تبجحوا بها، بهتانا وزوراً عندما قالوا:

﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾(٥).

فلقن نبيه كيفية الرد على دعواهم تلك بقوله:

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾(٦).

ثم شفع هذا الرد الحاسم بقرار إلهى قاطع يعلن فيه إنحرافهم وفسادهم وعتوهم عن أمره، ومخالفتهم لرسله، وخيانتهم لأمانته، وعدم استحقاقهم لشرف الاستخلاف له، وتلقى الوحى منه بعد أن تجرأوا على كتب الله فغيروها وبدلوها تبعا لأهوائهم ومصالحهم، فأصدر حكمه على اليهود بقوله:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٧).

وفى النصارى أصدر حكمه ـ سبحانه وتعالى ـ بقوله:

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾(٨).

ثم أمر بنى إسرائيل جميعاً بشقيهم اليهودى والنصرانى بأن قال لهم جميعاً:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٩).

وانتقلت بذلك قيادة الأرض إلى أمة الإسلام فأصبحت بشهادة ربها «خير أمة

(٣) الطلاق (٨، ٩).
(٤) الحجرات (١٣).
(٥) المائدة (١٨).
(٦) المائدة (١٨).
(٧) المائدة (١٣).
(٨) المائدة (١٤).
(٩) المائدة (١٥، ١٦).

أخرجت للناس» ولقد ضمن الله لهذه الأمة مقام السيادة والقيادة والخيرية مادامت أهلاً لهذا المقام، بشدة القرب منه، وصدق الولاء له، وإخلاص الوجهة كاملة لوجهه الكريم، فإن زاغوا كما زاغ من قبلهم، ونسوا الله كما نسيه من قبلهم، وأشبهوا من قبلهم فى العتو عن أمره، ومخالفة شرعه، ونهجه، لم يبق لهم على الله حق النصرة والمعيَّة وضمان التمكين، الذى أكده لهم من قبل مشروطاً باستقامتهم على دينه، وخلوصهم لمعيَّته، وطاعتهم لنبيه بقوله:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٠).

﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(١١).

أما إن صاروا جند طاغوت أرضى، أو مذهب سياسى، أو شهوة بطن أو فرج، أو رغبة استيلاء أو قهر.. فهذا كله صراع شيطانى، يضرب الله فيه الظالمين بعضهم ببعض، ليذوقوا وبال أمرهم، ويدفعوا ضريبة انحرافهم، قلقا فى نفوسهم، وحسرة فى قلوبهم، وأمراضا فى أجسادهم، وضنكا فى معايشهم.. نظير إعراضهم عن خالقهم:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾(١٢).

وإن أخشى ما أخشاه أن تكون أمة رسول الله (ﷺ) قد بلغت مع ربها هذا الحد، فتساوت مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى فى الكفر بدينه، والاستهزاء بشريعته، فيكونوا قد حققوا بذلك أغلى أمنية لدى أهل الكتاب وهى أمنية أظهرها الله لنا وحذرنا منها بقوله ـ سبحانه ـ:

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾(١٣).

إن المائة عام التى مرت على أمتنا، والتى يمثلها القرن العشرون، كانت أشأم أعوام مرت على أمة الإسلام وأقساها. فقد شهدت سنوات هذا القرن سقوط دولة الخلافة، وغياب الحكم بالشريعة، وتمزيق جسد الأمة، وتوزيعه بين أمم الغرب الحاقدة الكافرة بمقتضى اتفاق تم بين كبار شياطينهم سنة ١٩١٦م. ثم كانت الفاجعة الكبرى والمصيبة العظمى بضياع فلسطين وقيام دولة القردة والخنازير، وعبدة الطاغوت بمساعدة أوليائهم من الصليبيين، ثم كان الأشد من ذلك كله والأعظم خطرا، هو التآمر على عقيدة الأمة بتشويهها، وعلى شخصيتها بتغريبها، وعلى مناهج دراستها ووسائل إعلامها بتفريغها من قيم الإسلام العظيمة، وحشوها بكل ما يزرع الشبهات، ويثير الشهوات حتى غدت الأمة مسخاً شائهاً، وحتى غدا توصيف شخصيتها، أو تحديد هويتها أمراً عسيراً.

وكان من نكد الطالع أن تسلط على الأمة

(١٠) الروم (٤٧).
(١١) الصافات (١٧٣).
(١٢) طه (١٢٤).
(١٣) النساء (٨٩).

بعض أبنائها، ممن فتنهم الغرب بمدنيته، فانبهروا بما رأوا من مظاهر المدنية فى حياة الأوروبيين فقاموا يدعون الأمة إلى التخلى عن دينها، والانسلاخ من عقيدتها وعروبتها حتى قال قائلهم: «إن السبيل لنهضة واضحة، بينة مستقيمة، ليس فيها عوج ولا التواء، هو أن نسير سيرة الأوروبيين. ونسلك طريقهم، لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء فى الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يصاب»(١٤).

وهكذا اجتمعت للغرب كل الوسائل وتهيأت له جميع الأسباب.. حتى ظن الغرب الحاقد، واليهودية الفاجرة الكافرة أن القطاف قد دنا، وأن الثمرة قد نضجت. وأن جهود القرن الماضى قد بلغت المقصد، وحققت المراد، بعد أن قضوا على الإسلام شريعة ونظاما، ودستور حكم ومنهج حياة. واستعدوا للمرحلة الثانية والأخيرة والمتمثلة فى القضاء عليه عقيدة وأخلاقاً وآداباً وسلوكاً. وعادات وتقاليد، عازمين بإصرار وتصميم على تنفيذ مخططهم بكل وسيلة ممكنة، وأبرز تلك الوسائل فى نظرهم، هى ما نصح به كبار شياطينهم بضرورة التركيز على صناعة عقل الأمة وفكرها عن طريق التعليم والإعلام، وبرغم ما حققوه من مكاسب تغرى بالنجاح، فإن يقيننا فى وعد الله لنا بالتمكين والاستخلاف يجعلنا على ثقة من نصره ومعيته وفضله عندما نقرأ قوله ـ تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(١٥).

إن الشىء الوحيد الذى جعله الله شرطاً لتمكيننا ونصرنا، هو شرط الإيمان وعمل الصالحات. وقد أخبرنا ـ سبحانه ـ أن إيماننا يبطل كل كيد كادوه، وكل مكر مكروه، وكل تدبير دبروه بقوله:

﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾(١٦).

إن قوة الإيمان التى جعلها الله ضماناً لوجودنا وشرطاً لنصرنا وتمكيننا، هى التى فزع منها كبار مفكرى الغرب وعبر عن فزعه بقوله: «إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم فى الدنيا الآن بنفس السرعة التى كانوا نشروها بها سابقاً إذا رجعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها، حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوى، لا يستطيع أن يقف أمام روح حضارتهم».

ويؤكد ذلك ما صرح به «سالازار» فى حديث له مع بعض الصحفيين قائلاً: «إن الخطر الحقيقى إنما هو ذلك الذى يمكن

(١٤) مستقبل الثقافة فى مصر ـ طه حسين الفقرة ٩ ص ٤١.

(١٥) سورة النور ٥٥. (١٦) ال عمران ١٢٠.

أن يحدثه المسلمون من تغيير نظام العالم فقيل له: «إنهم فى شغل عن ذلك بخلافاتهم ونزاعاتهم فقال: إنى أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافهم إلينا»(١٧).

وإننى أشعر مع بداية هذا القرن بتفاؤل كبير، وأرى من بين الشدائد العظام، والأهوال الجسام، التى تقع أمام أعيننا فى العراق وفلسطين، وفى كشمير وأفغانستان وفى البوسنة والهرسك وبلاد البلقان، وفى الفلبين والشيشان وما يُدبر لسوريا وإيران وأرى أن ذلك كله يمثل مخاضاً أليما تولد من خلاله أمة الإسلام.

إننى كلما نظرت إلى ما يقع فى فلسطين، من صراع رهيب بين الكفر والإسلام، أتذكر حديث رسول الله ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»(١٨) وأسأل نفسى فى ارتياح عميق: هل كان بمقدور مائة ألف مسجد، على منابرها مائة ألف خطيب على مساحة العالم العربى والإسلامى، أن يفجروا انتفاضة بحجم انتفاضة الأقصى المباركة، التى فجرها فى لحظة واحدة هذا الفاجر الكافر المدعو «شارون» فيُحيى بها أمة بعد مواتها، ويبعث عقيدتها من رقدتها ولتتحول تلك الانتفاضة إلى نار، تأكل فى جسد اليهود على مدى خمسة عشر عاماً، كلفت اليهود أضعاف أضعاف ما خسروه فى جميع حروبهم مع العرب، منذ قامت هذه الدولة اللقيطة اللعينة إلى اليوم. ولتملأ قلوبهم خوفاً ورعباً ولترفع روح الجهاد فى كيان طليعة الإسلام المجاهدة فى فلسطين، إلى درجة تذكرنا خالداً والمثنى، وسعداً والقعقاع.. وتزينا من النساء من فاقت الخنساء وأسماء وليدفع اليهود ثمن فعلتهم الآثمة آلاف الأرواح ومليارات الدولارات. وبينما رحى الانتفاضة دائرة إذا بهذا المجرم يقوم بعمل آخر أشد شناعة من دخول المسجد الأقصى الذى فجر به الانتفاضة الأولى ليصب زيت الغضب والنقمة والثأر على لهيب الانتفاضة، وذلك بإقدامه على اغتيال الشيخ المجاهد التقى أحمد ياسين الذى يعانى شللاً كاملاً لا يقوى معه على أن يدفع عن نفسه ذبابة، فضلاً عن أن يدفع طائرة أو دبابة فيجدد فى الأمة عزمها، ويفجر فيها غضبها المقدس، ويحيى فى كيانها رصيد الإيمان قويا دفاقاً. هذا الإيمان الذى جعله الله شرطاً لنصره، وسبباً أكيداً لتحقيق وعده بالتمكين والنصر إذ يقول:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

إن الأمة اليوم تعانى مخاضاً أليماً ولابد دون المخاض من آلام، ومع عودة الإسلام إلى ميدان الصراع لن يطول ألم المخاض:

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١٩).

(١٧) جوردت سعيد: لم هذا الرعب كله من الإسلام ص ٢٠.

(١٨) رواه ابن ابي الدنيا عن ابي هريرة ورواه البيهقي في الكبير والأوسط.

(١٩) سورة ال عمران ١٣٩.

من التغريب إلى التجديد

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

١

من الظواهر الفكرية، البالغة الأهمية، فى ثقافتنا العربية والإسلامية، الحديثة والمعاصرة.. ظاهرة انتقال عدد من المفكرين -فى مرحلة نضجهم الفكرى- من موقع المحاكاة والتقليد والتبعية للنموذج الحضارى الغربى، إلى موقع الأصالة والتميز والإحياء والتجديد للخيار العربى الإسلامى فى التقدم والنهوض..

فعلى الرغم من الإمكانات الهائلة التى سخرتها السلطات الاستعمارية التى هيمنت على وطن العروبة وعالم الإسلام -لدعم تيار التغريب ورعاية مسيرته، وهى الإمكانات التى نجحت فى وضع أغلب مؤسسات التعليم والتثقيف والإعلام تحت هيمنة نظريات التغريب ورجالاته..

على الرغم من كل ذلك، إلا أن الواقع الفكرى والثقافى -بسبب الحاجة الحضارية للمشروع التجديدى- وبسبب إفلاس أهل التقليد وعجزهم عن تقديم المشروع الحضارى الذى ينير للأمة طريقة النهضة والتحرر .. وبسبب فجاجة الرؤى المتغربة، والرفض التلقائى والطبيعى الذى تقابل به من عقل الأمة ووجدانها، اللذين لم تفسد فطرتهما.. بسبب من هذه العوامل، وغيرها، تخلقت فى الواقع الثقافى فى ظاهرة هامة وذات دلالة وملفتة للأنظار.. ألا وهى: تراجع عدد كبير من الأعلام الذين تغربوا عن التبشير بالنموذج الحضارى الغربى، بعد أن سلكوا هذا السبيل، كاجتهاد خاطىء، وانخراطهم، فى مرحلة نضجهم الفكرى، بتيار الإحياء والتجديد..

وهذه الظاهرة- التى لاتزال قائمة ومستمرة- والتى شملت وتشمل العديد من الذين سلكوا طريق التغريب- بشقيه: الليبرالى والشمولى- تقوم شاهدة على حقيقة تعلمنا ضرورة التميز فى الذين دعوا ويدعون إلى تبنى النموذج الحضارى الغربى، بخيره وشره، بحلوه ومره، بخطئه وصوابه، بإنسانياته وخصوصياته وبعلومه الموضوعية والمحايدة.. تعلمنا ضرورة التميز فى هذا الموكب بين الذين تغربوا «عمالة- فكرية»

للغرب الاستعمارى، بسبب كراهيتهم للإسلام، وسعيهم الواعى والمخطط لإزاحة صبغته عن مشروع النهضة وفلسفة الحكم والعمران.. وبين الذين تغربوا بسبب اجتهادهم الخاطىء، الذى دفعهم إلى الظن بأن استعارة النموذج الغربى هو السبيل إلى القوة والنهضة التى تحرر أوطانهم من أغلال الاستعمار والهيمنة الغربية.. لقد رأوا الإسلام فى الصورة التى قدمها له تيار الجمود والتقليد، فأيقنوا بعجز هذه الصورة عن أن تكون السبيل للتحرر من الهيمنة الغربية، وعندما وازنوا بين هذه الصورة وبين النموذج الغربى، بهرهم الغرب وأدهشتهم إنجازاته.. وخدعوا بزعم الغرب وحدة الحضارة، فحسبوا أن التحضر والتقدم لا يقتضى مشروعا حضاريا متميزا، وإنما يقتضى اللحاق بالغرب، والاشتراك معه فى حضارته، التى صدقوا أنها الحضارة «الإنسانية» و«العالمية» فكان أن أعلنوا -بلسان واحد من أعلامهم-: «أن السبيل.. واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهى واحدة فذة ليس لها تعدد، وهى: أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحب منها وما يكره، وما يُحمد منها وما يُعاب»(١)!


على عبدالرازق

لكن عددا من هؤلاء الأعلام، الذين قادهم الاجتهاد الخاطىء إلى هذا الموقع الفكرى، قد أدركوا، بالتجربة، أن «بذور التغريب» غير صالحة للإنبات فى «تربتنا الحضارية»، وأن «فطرة الأمة»، التى كونها تراثها المتميز وتاريخها الحضارى المغاير لنظيره الغربى، إنما ترفض التغريب رفض الجسد للجسم المقحم عليه والغريب عنه.. فلما نظروا صورة الإسلام، كما عرضها تيار الإحياء والتجديد، وجدوا ضالتهم المنشودة فيه، فكانت عودتهم عن التغريب إلى الإحياء والتجديد.

وإذا نحن شئنا استقصاء الأعلام الذين كونوا هذه الظاهرة، طال بنا الحديث، وخرج عن ما يقتضيه المقام.. ولذلك فإننا سنقف هنا عند الإشارة إلى نماذج ثلاثة، علا نجمهم فى التيار المتغرب.. ثم راجعوا فكرهم ومواقفهم، فكانت عودتهم -الصريحة أو الضمنية- المصحوبة بالنقد الشجاع للمسيرة الماضية.. أو الخالية من هذا النقد الشجاع.. كانت عودتهم عن طريق التغريب إلى تيار الإحياء والتجديد.

● فالشيخ على عبدالرازق [١٣٠٥ -١٣٨٦هـ- ١٨٨٧- ١٩٦٦م]: قد خرج

---

(١) د. طه حسين «مستقبل الثقافة فى مصر» جـ١ ص٤٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م.

على الناس فى سنة ١٩٢٥م بكتابه [الإسلام وأصول الحكم].. فأثار أكبر معركة فكرية فى تاريخنا الحديث.. وغدا كتابه هذا أهم «وثيقة» فى يد «العلمانيين» الذين يريدون للشرق أن يعزل الإسلام عن الدولة والمجتمع كما عزل الغرب المسيحية عنهما..

ففى هذا الكتاب يقول عالم أزهرى، وقاض شرعى -لأول مرة فى تاريخ العلم الإسلامى والعلماء المسلمين-: إن الإسلام دين ورسالة روحية، لا دولة فيها ولا سياسة.. وأن الخلافة الإسلامية كانت -كالكهانة الغربية- استبدادا وطغيانا باسم الدين.. وأن نبى الإسلام ﷺ، لم ينشئ دولة ولم يقم حكومة، ولم يصنع إلا ما صنعه الرسل السابقون: البلاغ، المجرد عن التنفيذ!.. فعنده: «أن محمدا ﷺ، ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة، وأنه، ﷺ، لم يقم بتأسيس مملكة، بالمعنى الذى يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها. ما كان إلا رسولا كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان ملكا ولا مؤسس دولة، ولا داعيا إلى ملك.. وظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبى، ﷺ، لم يكن له شأن فى الملك السياسى، وآياته متضافرة على أن عمله السماوى لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معانى السلطان.. إنما كانت ولاية محمد، ﷺ، على المؤمنين ولاية الرسالة غير مشوبة بشىء من الحكم.

هيهات هيهات، لم يكن ثمة حكومة، ولا دولة، ولاشىء من نزعات السياسة ولا أغراض الملوك والأمراء.. لم يكن هناك ترتيب حكومى، ولم يكن ثمة ولاة ولا قضاة ولا ديوان.. إلخ.. كانت زعامة دينية.. ويابُعد ما بين السياسة والدين»[٢].

لكن هذا الشيخ، الذى استفز الضمير المسلم كما لم يستفزه عالم دينى عبر التاريخ.. والذى افترى على الإسلام ورسوله فرية لم يفترها مستشرق حاقد أو جاهل.. سرعان ما عاد - بالتدريج، ودون إعلان صريح- إلى العدول عن فرية أن الإسلام مجرد رسالة روحية لا دولة فيها ولا سياسة ولا حكم ولا تنفيذ.. فأجاب - بعد أن حاكمته وأدانته «هيئة كبار العلماء» - وبعد أن فند زعمه ونقض دعواه عدد كبير من أعلام العلماء- أجاب عن سؤال لجماعة من العلماء، فقال: «إن الإسلام دين تشريعى، وإنه يجب على المسلمين إقامة شرائعه وحدوده، وإن الله خاطبهم جميعا بذلك»[٣].. وذلك بعد أن كان قد زعم فى

(٢) «الإسلام وأصول الحكم» ص٤٨ - ٨٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥م.

(٣) صحيفة «السياسة» - اليومية - العدد ٨٨١ بتاريخ ١ - ٩ - ١٩٢٥م.

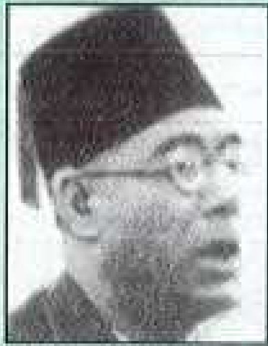
كتابه أن الواجب هو إقامة أية حكومة: بلشفية أو رأسمالية، ديمقراطية أو استبدادية!..

وفى مرحلة تالية من مسيرته الفكرية -سنة ١٩٥١م- دار حوار بينه وبين أحمد أمين [١٢٩٥ - ١٣٧٣هـ/ ١٨٧٨ - ١٩٥٤م] حول دواء ما وصل إليه المسلمون من جمود، فقال فى هذا الحوار: «إن دواء ذلك أن نرجع إلى ما نشرته قديما من أن رسالة الإسلام روحانية فقط، ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل إلخ..».

فلما نشر أحمد أمين ذلك.. فى مجلة «رسالة الإسلام»[٤].. علق على عبد الرازق على هذه العبارة... عبارة: «إن رسالة الإسلام روحانية فقط» - فقال: «... ما أرى إلا أن هناك خطأ فى التعبير جرى به لسانى فى المجلس الذى كنا نتجادل فيه ونستعرض حال المسلمين.

وما أدرى كيف تسربت كلمة روحانية الإسلام إلى لسانى يومئذ، ولم أرد معناها، ولم يكن يخطر لى ببال!..

بل لعله الشيطان ألقى فى حديثى بتلك الكلمة ليعيدها جذعة تلك الملحمة التى كانت حول كتاب «الإسلام وأصول الحكم».. وللشيطان أحيانا كلمات يلقيها على ألسنة بعض الناس...»؟![٥].



احمد امين

هكذا تراجع على عبد الرازق عن «البدعة» التى لم يسبقه إليها عالم من علماء الإسلام.. بدعة «علمنة الإسلام».. وبقى أن يعى ذلك تيار التغريب، الذى يتمسك حتى الآن برأى تراجع عنه صاحبه، ويلعب بورقة سحبها صاحبها منذ عشرات السنين!..

● أما الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ ١٨٨٩ - ١٩٧٣م]: فلعل أشد آرائه المتغربة استفزازا للعقل المسلم كانت تلك التى حوتها صفحات من كتابيه «فى الشعر الجاهلى».. الذى صدر سنة ١٩٢٦م - و «مستقبل الثقافة فى مصر».. الذى صدر سنة ١٩٣٨م..

فهو فى الكتاب الأول.. «فى الشعر الجاهلى».. يعرض لقضية من قضايا النقد الأدبى.. قضية الانتحال فى الشعر الجاهلى - وهى قضية تكلم فيها قدماء ومحدثون، عرب ومستعربون.. ولا علاقة للخلاف حولها بمقدسات الدين وعقائد الإسلام.

لكنه - فى هذا الكتاب - بعد أن تحدث عن افتقار أغلب الشعر الجاهلى إلى الصدق - صدق الثبوت - الذى يجعله المصدر الثقة

(٤) عدد إبريل سنة ١٩٥١م.

(٥) انظر مقاله فى مجلة «رسالة الإسلام» عدد مايو سنة ١٩٥١م.

فى وصف وتصوير الحياة الجاهلية، تحدث عن القرآن الكريم حديثا طيبا قال فيه: «إن القرآن هو أصدق مرآة للعصر الجاهلى، ونص القرآن ثابت لا سبيل إلى الشك فيه»(٦).

لكنه قد عاد فجمح به الفكر واشتط منه القلم عندما سطر نحوا من ثمانية وعشرين سطرا، رفض فيها تصديق إخبار القرآن عما أخبر به حول:

أ- علاقة الإسلام بملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ والحنيفية والحنفاء..

ب- وقصة بناء الكعبة ورفع قواعدها بواسطة إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام..

جـ- وأخبار الرحلة الحجازية لإبراهيم ـ عليه السلام ـ(٧).

وبعد الضجة الكبرى التى أثارتها هذه السطور، التى تشكك فى القرآن بعد أن قال كاتبها - وفى ذات الكتاب-: «إن نصه ثابت لا سبيل إلى الشك فيه».. وبعد النقد والنقض والتفنيد الذى وجه إلى هذا الرأى تحديدا... حذف الدكتور طه هذه السطور من كتابه، وأعاد النظر فيه بالإضافة والتوثيق والضبط والتصحيح، وأعاد نشره تحت عنوان جديد - «فى الأدب الجاهلى» فإذا علمنا أن الكتاب فى صورته الأولى لم يصادر.. وأن النيابة العامة قد حفظت التحقيق مع المؤلف دون توجيه أى اتهام إليه، كنا مطمئنين إلى ما نراه من أن حذف المؤلف لهذه السطور الثمانية والعشرين إنما كان عدولا منه عن ذلك الرأى البالغ فى الشذوذ حد التناقض مع ما قطع به هو نفسه، فى ذات الكتاب، من أن القرآن هو أصدق مرآة للعصر الجاهلى، وأن نصه ثابت لا سبيل إلى الشك فيه..

أما كتابه الثانى - «مستقبل الثقافة فى مصر» - فلعل بعض صفحاته أن تكون أكثر أصوات التغريب علوا وصراحة - بعد كتابات سلامة موسى:

ففى هذا الكتاب يعلن طه حسين ما سبقه إليه سلامة موسى، عندما يقول: «إن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساسا للوحدة السياسية ولا قواما لتكوين الدول»(٨).

ويتبنى ما سبقه إليه على عبد الرازق، فيقول: «إن السياسة شىء والدين شىء آخر..»(٩) ويدعو إلى الإلحاق والالتحاق الحضارى بالغرب، بدعوى وحدة العقل المصرى والشرقى مع العقل الغربى، فكلاهما قد صيغ صياغة يونانية؟!.. فعنده أن العقل الإسلامى هو - كالعقل الأوروبى - مرده إلى عناصر ثلاثة:

(٦) «فى الشعر الجاهلى» ص١٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٦م.
(٧) المرجع السابق، ص٨٠، ٨١.
(٨) «مستقبل الثقافة فى مصر» جـ١ ص١٦.
(٩) المرجع السابق ص١٧.

«.. حضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن.

- وحضارة الرومان وما فيها من سياسة وفقه.

- والمسيحية وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان..»(١٠).

وكما لم يغير الإنجيل من الطابع اليونانى للعقل الأوروبى.. فكذلك القرآن لم يغير من الطابع اليونانى للعقل الشرقى، لأن القرآن «إنما جاء متمما ومصدقا لما فى الإنجيل»؟!!(١١).

ثم يخلص إلى أن يقول: وهكذا «كانت مصر دائما جزءا من أوروبا، فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية، على اختلاف فروعها وألوانها»(١٢).

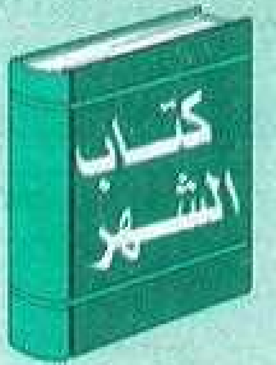
وكما حدث مع كتابه «فى الشعر الجاهلى».. فلقد ووجه هذا الكتاب بحملة كبيرة من النقد والنقض والتفنيد.. وأبرز معارضوه دور الدين واللغة فى الوحدة السياسية للدول والقوميات.. وتحدثوا عن تميز الإسلام فى العلاقة بين السياسة والدين.. وفندوا مزاعمه حول يونانية العقل الشرقى.. ودحضوا افتراءه حول أن القرآن لم يصنع بالعقل الشرقى أكثر مما صنع الإنجيل بالعقل الأوروبى.. إلخ.

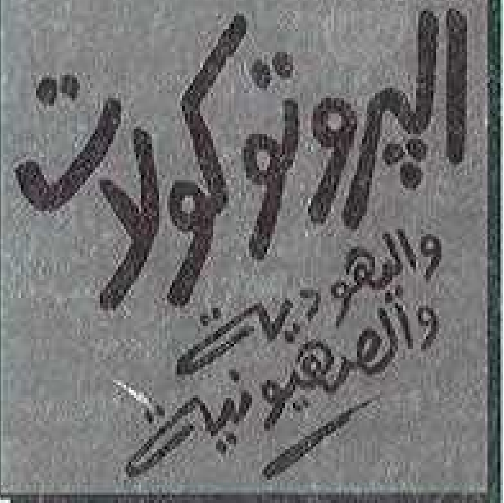
حدث جميع ذلك فى الساحة الفكرية، دونما مصادرة لرأى أو منع لكتاب..

وإذا كان طه حسين لم يحذف هذه الصفحات من كتابه «مستقبل الثقافة فى مصر» - كما حذف السطور الثمانية والعشرين من كتابه «فى الشعر الجاهلى»-.. فلأنه - فى تراجعه عن هذه الآراء - قد صنع أكثر مما صنع فى كتابه الأول.. فلقد أحجم عن إعادة طبع هذا الكتاب - «مستقبل الثقافة فى مصر» - طوال حياته، ودون جميع كتبه الأخرى؟!.. وعندما سئل - سنة ١٩٧١م - عن هذه الآراء التى أثارت الجدل، والتى تضمنها هذا الكتاب، أعلن - رغم كبريائه المتضخم؟! -: أنها آراء تحتاج إلى إعادة نظر وتعديل وإصلاح.. فقال عن هذا الكتاب: «ده كتب سنة ١٩٣٦م.. قُدُم قوى، عاوز يتجدد.. ويجب أن أعود إليه، وأصلح فيه بعض حاجات، وأضيف..»(١٣).

وهكذا عاد طه حسين عن اجتهاداته الخاطئة، التى وضعته فى معسكر المتغربين.. لأنه كان صاحب اجتهاد، أخطأ فيه فتغرب.. فلما أصاب عاد إلى مشارف تيار الإحياء والتجديد.. وهو مأجور فى كل الأحوال.. فلم يكن فى يوم من الأيام «عميلا فكريا» كما كان الحال مع الذين كرهوا الإسلام فسعوا إلى التغريب محاولين زراعته فى تربتنا الحضارية على أمل اقتلاع الإسلام!..

(١٠) المرج السابق ص٢٩.
(١١) المرجع السابق ص٢١، ٢٢.
(١٢) المرجع السابق ص٢٦.
(١٣) انظر حديثه هذا فى صحيفة الأهرام عدد أول مارس سنة ١٩٧١م.





عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

٣

من منطلق الحرص الأمين على النظر الواقعى إلى دولة إسرائيل، بحيث لا يستهان بها، ولا تضخم قدراتها للدرجة الأسطورية التى تجعل منها قوة لا تقهر ولا تقع فى خطأ، ولا يصيبها ضعف... من هذا المنطلق تحرك الدكتور عبدالوهاب المسيرى فى كتابه «البروتوكولات واليهودية والصهيونية» ليعلن أن «البروتوكولات» التى تضفى على اليهود تلك الهالة الأسطورية.. هى وثيقة مزيفة، وأن من الخطأ البين ترويج هذه الوثيقة بقصد التشهير باليهود، وإظهار شرورهم، ودفع الآخرين إلى كرههم، والتصدى لمحاربة العدو الصهيونى... وذلك الخطأ يسلمنا إلى خطر داهم، حيث يخفى عنا حقيقة العدو، فلا نعرف مع من نتعامل، وبالتالى تخفى علينا عيوبنا وتتوارى نقائصنا، فلا ندرك كيفية معالجتها.

والدكتور المسيرى ـ فى مسيرته تلك ـ لم يعتمد على الشعارات المثيرة، ولا على الأقوال المرسلة، غير المدعومة بالحجة الموثقة، ولكنه استنطق التاريخ القريب والبعيد، وتصفح الأحداث الواقعة، وتتبع الوثائق الحية من هنا وهناك... التى تدمغ الأطماع الاستعمارية، والتى تكشف دورها فى نشوء الصهيونية، ودعمها بكل الوسائل فى إشاعة الفوضى بيننا، والاستيلاء على أرض فلسطين لتكون مركز سيطرة استعمارية، تلبى حاجات المستعمرين الغربيين والأمريكيين، لقاء ما يقدم لهم من دعم.

اللوبى الصهيونى... كنز أمريكى استراتيجى

والدكتور المسيرى فى الفصل السادس «سيطرة اليهود على الإعلام ونفوذ اللوبى الصهيونى» يذكر: أن الجماعات التى تمارس الضغط على الحكام وصناع القرار، ويطلق عليها «اللوبى» تتكون من عناصر يهودية وعناصر غير يهودية، فهى تضم كل أصحاب المصالح الاقتصادية، وأصحاب الرؤى الاستراتيجية، الذين يرون أن تفتيت العالم العربى والإسلامى يخدم مصالحهم، وتضم أعضاء النخبة السياسية والعسكرية، ممن يتبنون وجهة نظرهم، وكثيراً من الاستعماريين وجماعات الأصوليين، ممن يرون فى دولة إسرائيل إحدى بشائر الخلاص.

وهذا اللوبى ـ كما يوظف العناصر اليهودية والصهيونية ـ يوظف عناصر ليست يهودية ولا صهيونية، بل قد تكون معادية لليهود واليهودية. ولكن هؤلاء جميعاً يدافعون عن اللوبى الصهيونى وعن مصالحه، بسبب الدور الذى تؤديه الدولة الصهيونية فى الشرق الأوسط، وبسبب تلاقى المصالح الاستراتيجية الغربية والصهيونية.

والدكتور المسيرى يرجع قوة هذا اللوبى الصهيونى إلى استناده على قاعدة واسعة من الناخبين اليهود الذين توجد بينهم نسبة عالية من الأثرياء القادرين على دعم الحملات الانتخابية للحزب الديمقراطى والحزب الجمهورى، ونسبة عالية من مرتفعى المستوى التعليمى.


د. عبدالوهاب المسيرى

كما يرجع تلك القوة إلى أن عدداً كبيراً من المثقفين اليهود هم أبناء حقيقيون للمجتمع الأمريكى، فهم يملكون القدرة على ممارسة الضغط والتأثير المباشر، مستغلة ما تمتاز به من تنظيم جيد، وما يتيحه لهم النظام الانتخابى الأمريكى من تركز فى أهم الولايات ذات التأثير المصيرى.

ويرى: أن هذا اللوبى ألبس ثوباً يماثل الثوب الذى ألبسته «البروتوكولات»، حيث يفسر كل شىء بالتفسير الذى ينسب لليهود قوة خارقة مكنتهم من الهيمنة الكاملة على الولايات المتحدة والعالم العربى، ولا توجد سوى قلة قليلة من المحللين السياسيين والإعلاميين ممن لا يقبلون هذه المقولة.

ومن هذا التفسير... أصبح كثير من العرب يفترضون أن اللوبى الصهيونى هو الذى يؤثر فى صنع القرار الأمريكى، وأن تأييد الولايات المتحدة لإسرائيل ناجم عن عملية ضغط عليها من الخارج.

وعلى الرغم من أن العقل يرى أنه ليس من صالح الولايات المتحدة أن تدخل فى معركة مع الشعب العربى، بل صالحها فى أن تتعاون معه فى كل المجالات الممكنة لتحقيق الاستقرار فى المنطقة العربية بما يعود بالفائدة على الولايات المتحدة، خصوصاً أن العالم العربى يشغل

موقعاً استراتيجياً مهماً، ويشتمل على نسبة ضخمة من البترول، وتعد البلاد العربية من أهم الأسواق المفيدة لاستثمار رأس المال الأمريكى - على الرغم من هذا كله - نرى الولايات المتحدة تتجاوز هذه المعايير المعقولة البديهية، بتماديها فى تأييد إسرائيل للدرجة التى تستجلب عليها عداء العرب، مما لا يتفق مع أى رؤية عقلية، إلا أن تكون خاضعة لقوة خارجية، ذات مقدرة ضخمة، تملك قوة الضغط عليها إلى هذه الدرجة.

على الرغم من هذه الرؤية العقلية... يرى الدكتور: أن الولايات المتحدة قد لا تفكر بهذه الطريقة؛ إذ من المحتمل فى تقديرها: أن عدم الاستقرار فى العالم العربى أفضل وضع بالنسبة لها، وأن تجزئة العرب تخدم مصالحها، وأن إسرائيل هى أداتها فى تحقيق هذا وذاك؛ فمفهوم «المصلحة الاستراتيجية» ليس مفهوماً بسيطاً ولا عقلانياً، واتخاذ القرارات السياسية فى العالم الغربى تتم من خلال مؤسسات يديرها علماء متخصصون، يتخذون أى قرارات حسب إجراءات موضوعية، ومعايير محسوبة تحقق الأهداف الاستراتيجية التى تتم على أعلى المستويات، ولا تتغير إلا بثورة اجتماعية شاملة.

ومن المؤكد أن سلوك دولة عظمى - مثل الولايات المتحدة - إنما هو نتيجة عملية مركبة، تدخل فيها عناصر ذاتية وعقائدية ومادية، وغير مادية، وليس وفق قواعد رشيدة بسيطة.

والغرب - لتحقيق مصلحته التى حددها منذ بداية القرن التاسع عشر - يرى: المنطقة العربية مصدراً هائلاً للمواد الخام الرخيصة، ومجالاً خصباً للاستثمارات الضخمة، وسوقاً عظيمة لمنتجاته؛ ولذلك فهو يرى فى وطننا العربى منطقة مأهولة بشعوب وقبائل وأقليات، لا يربطها رابط حضارى أو اجتماعى واحد، فلكل مصلحته الاقتصادية الخاصة، ومستقبله السياسى المستقل.

والمفهوم الصهيونى لعالمنا العربى يتفق تماماً مع المفهوم الغربى، فكلاهما يؤكد فكرة: أن عالمنا العربى مكان بلا زمان، وجغرافيا بلا تاريخ.

فالنجاح الصهيونى - فى الحقيقة - لا يرجع إلى سيطرة اليهود على الإعلام، ولا إلى لباقة المتحدثين الصهيونيين، ولا إلى مقدرتهم العالية على الإقناع، ولا إلى ثراء اليهود وسيطرتهم المزعومة على التجارة والصناعة... ولكن نجاحهم يرجع إلى أن الصهيونية الجديدة جزء من التشكيل الاستعمارى الغربى، بحيث لا يمكن الحديث عن مصالح صهيونية فى مقابل مصالح غربية؛ فاللوبى والإعلام الصهيونيين يمثلان أداة الغرب الرخيصة.

ولهذا... فإن قوة الحركة الصهيونية تنبع من أنها تخدم المصالح الأمريكية، وإليها يرجع سر سطوة الإعلام الصهيونى، وسر نفوذ اللوبى، ويقرر هذا ما نشأ عن تحركات أسبانيا واليونان لإغلاق القواعد الأمريكية، وما نشأ عن سقوط شاه إيران... من تعاظم الأهمية الاستراتيجية لإسرائيل.

وهذا... يفسر ما يلاحظ من أن الأهمية الاستراتيجية بالنسبة لأمريكا تعاظمت بسبب تحركات إسبانيا واليونان لإغلاق القواعد الأمريكية، وبسبب سقوط شاه إيران؛ فمصلحة أمريكا هى التى تحدد القرار الأمريكى فى نهاية الأمر - وليس اللوبى الصهيونى، ولا القرار الإسرائيلى - وهذا يعنى: أن إسرائيل «كنز استراتيجى» للولايات المتحدة الأمريكية، كما صرح به أحد إعلانات «النيويورك تايمز» الذى مولته إحدى الهيئات الصهيونية، والذى جاء فيه: أنه إذا ماتهددت مصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، فإن وضع قوة لها شأنها هناك يحتاج إلى أشهر، أما مع إسرائيل كحليف فإنه لا يحتاج إلا إلى بضعة أيام.

اللوبى الصهيونى بين أوروبا وأمريكا

ويستطرد الدكتور المسيرى... مقرراً: أن نجاح اللوبى الصهيونى يرجع إلى اتفاق مصلحته مع مصلحة الغرب الاستراتيجية، وليس راجعاً - كما نفترض نحن - إلى قوته الذاتية، ولا إلى عناصر كامنة فيه... والشواهد الواقعية والتاريخية على ذلك كثيرة، من أبرزها:

١ - إن أول من دعا - فى العصر الحديث - لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين هو «نابليون بونابرت»، على الرغم من معاداته لليهود، ولم يكن هناك وجود للوبى اليهودى أو الصهيونى، وإنما كانت هناك مصالح فرنسا الاستراتيجية.

٢ - إن هناك حشداً هائلاً من الساسة البريطانيين الذين عرفوا بكرههم لليهود.. دعو لإقامة دولة يهودية فى فلسطين - قبل ظهور الحركة الصهيونية واللوبى اليهودى - سعياً لتحقيق مصالح استراتيجية لانجلترا.

٣ - مع قوة الوجود اليهودى قبل الحرب العالمية الأولى فى ألمانيا، وتغلغلهم فى شتى مجالات النشاط... لم تقدم أى وعود بإنشاء وطن لهم فى فلسطين؛ لأنها فى ذلك الوقت كانت متحالفة مع الدولة العثمانية... بخلاف انجلترا التى صدر عنها الوعد بإنشاء وطن لليهود على جزء من أرض الدولة العثمانية، على الرغم من ضعف الوجود اليهودى فى انجلترا... وذلك استجابة لمصالحها الاستراتيجية.

٤ - اتفاق السياسة الانجليزية والفرنسية - فى الوقت الحالى - تجاه الشرق الأوسط مع السياسة الأمريكية، مع ملاحظة شدة تقارب انجلترا مع أمريكا، على الرغم من ضعف الجماعة اليهودية فى انجلترا، والضعف النسبى لهذا التقارب بين فرنسا وأمريكا... مما يؤكد أن المصالح الاستراتيجية تفعل فعلها فى كل منها.

٥ - تأييد دول أوروبية أخرى للدولة الصهيونية، مع انعدام الوجود الصهيونى أو اليهودى فيها، مثل هولندا وبلجيكا.

ويذكر الدكتور: أن توافق المصالح الغربية الأمريكية مع مصالح الصهيونيين... أوهمنا: أن النفوذ الصهيونى سيطر على أمريكا بشكل لم يحدث من قبل، ولكننا بالتأمل والبحث المدقق - نجد أن المصالح الاستراتيجية الغربية

الأمريكية هى التى تحدد القرار الأمريكى. وأن الضغوط الصهيونية ذات أهمية ثانوية؛ فهى لا تحدد القرار، ولا تعدل اتجاهه الأساسى، وإن كانت قد تؤخره قليلا أو تعدل شكله.

ويستدل الدكتور على ذلك بعدد من الأحداث المهمة، من أبرزها:

أ) وجود عدد كبير من رؤساء الجمهوريات فى الولايات المتحدة بين الداعين لإنشاء دولة يهودية فى فلسطين، قبل أن يكون للجماعات اليهودية وجود مؤثر فى أمريكا الشمالية.

ب) أن المؤسس الحقيقى للوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة «وليام بلاكستون» الصهيونى غير اليهودى.. أرسل سنة ١٨٩١ التماسا إلى الرئيس الأمريكى «هاريسون» يحثه فيه على إعادة فلسطين لليهود، فووجه بمعارضة يهودية قوية.

وقد تصاعدت الاتجاهات الصهيونية بين أعضاء النخبة الأمريكية الحاكمة مع تزايد اهتمام الولايات المتحدة بالشرق الأوسط.

جـ) اتخذ القرار الأمريكى فى منتصف القرن التاسع عشر بفتح أبواب الولايات المتحدة لجميع المهاجرين اليهود رغم معارضة الأقلية اليهودية التى كانت تؤمن باليهودية الإصلاحية، وكانت تشكل نخبة ثرية مندمجة... والذى كان وراء هذا القرار الأمريكى هو المصالح الأمريكية.

د) ومما يؤكد أن هذا القرار ذو طابع استراتيجى صدور القرار الأمريكى سنة ١٩٢٤ بالحد من عدد المهاجرين، الذى ترتب عليه انخفاض عدد اليهود المهاجرين انخفاضا ملحوظا، من ١١٩ ألفا سنة ١٩٢٤ إلى ٢٧٥٥ سنة ١٩٣٢.

هـ) فى أثناء تردى الاقتصاد الأمريكى بسبب الهيمنة النازية، رفضت الولايات المتحدة ومعظم بلاد أوروبا فتح أبوابها للمهاجرين اليهود على الرغم مما كانوا يمرون به... وذلك للحفاظ على المصالح الأمريكية... بل إن القوات الأمريكية بقيادة «أيزنهاور» رفضت ضرب قضبان السكك الحديدية المؤدية لمعسكرات الإبادة؛ حرصاً من «أيزنهاور» على عدم تبديد طاقته العسكرية.

و) اعترفت الولايات المتحدة بدولة إسرائيل فور إعلانها على الرغم من أنه لم يكن اللوبى الصهيونى قوياً، وكان اللوبى اليهودى المعادى للصهيونية هو الأقوى.

ز) حين شنت إسرائيل الحرب على مصر سنة ١٩٥٦ متحالفة مع انجلترا وفرنسا... عاقبتها الولايات المتحدة؛ لأن ذلك كان ضد المخطط الأمريكى الذى يقضى أن تلعب أمريكا دوراً نشطا فى الشرق الأوسط لتحل محل الاستعمار الأوروبى.

ح)لم تشن إسرائيل الحرب على مصر سنة ١٩٦٧ إلا بموافقة صريحة من الولايات المتحدة التى كان من صالحها تصفية حكم عبدالناصر.

ط) لما حاولت إسرائيل أن تؤكد استقلالها النسبى فى الآونة الأخيرة... جاءتها الرسالة واضحة من «واشنطن»: أن لا تتجاوز حدودها،

يوضح ذلك أحداث ووقائع مثل القبض على «جوناثان بولارد» الموظف الأمريكى اليهودى بتهمة التجسس على الولايات المتحدة لحساب إسرائيل، وسجنه عشرين عاما، رغم محاولات العفو عنه. وزيادة فى الاحتياط... سحب تصريح الأمن من موظف مدنى يهودى يعمل بوزارة الخارجية الأمريكية منذ خمسة وعشرين عاما؛ خشية اطلاعه على وثائق سرية؛ لأن ثلاثة من أولاده يعيشون فى إسرائيل. ومثل محاولة إسرائيل إنتاج طائرة «اللافى» بعون أمريكى لأهداف إسرائيلية كثيرة، من أبرزها تحقيق شىء من الاستقلال الذاتى... ولكن المؤسسة الصناعية العسكرية فى أمريكا رفضت ذلك المشروع رغم المحاولات المستمرة لمدة عامين؛ وذلك لتعارضه مع المصالح الأمريكية.

ى) أثبتت حرب الخليج تحرك الدولة الصهيونية داخل إطار المصالح الاستراتيجية الغربية، إذ أعدت لتقوم بدور الأداة العسكرية الكفء، وقد مولت لهذه الغاية، ولذلك فرض على القوات الإسرائيلية التزام ثكناتها دون أى تدخل، حتى فى مواجهة الصواريخ العراقية، ولم يكن إلا الامتثال... إلى غير ذلك من الأدلة التى تؤكد أن دولة إسرائيل أداة للاستعمار الغربى والأمريكى، وليس العكس؛ من كل ما يؤكد أن النفوذ الصهيونى ليس سببا لسياسات الولايات المتحدة، ولكنه نتيجة لها.

ويخلص الدكتور المسيرى من ذلك كله ليقرر من جديد: أن البروتوكولات أسطورة سيطرت على تفكيرنا ورؤانا؛ فجعلت الدولة الإسرائيلية فى نظرنا القادرة على كل شىء، والمتحكمة فى كل شىء.. وأغفلتنا عن أن التشكيل الاستعمارى الغربى الذى حول العالم بأسره إلى ساحة لنشاطه من خلال جيوشه ومخابراته.. لا يمكن أن يستسلم هكذا لقوة اللوبى الصهيونى. وكان يكفينا أن نسأل أنفسنا: لو أن إسرائيل اختفت من العالم هل ستتغير سياسة أمريكا، وتصبح قوة مسالمة، تتعاون على الخير، وتدعو إلى السلام، أم أنها سوف تبحث لها عن عملاء آخرين تتوسل بهم إلى مصالحها؟!..

ويذكر الدكتور أنه وجه هذا السؤال مرة إلى السناتور الأمريكى السابق «جيمس أبو رزق» فأجاب ـ فى مراوغة نادرة: «إنه لا يمكن تخيل العالم بدون يهود، أو تخيل الشرق الأوسط بدون إسرائيل !!..

فالصهيونيون.. أنفسهم يروجون لهذه الأسطورة؛ لإرهاب العرب وإثارة الرعب فى قلوبهم، والأمريكيون يروجون لها لتبرير دعمهم لإسرائيل، والنظم العربية تعلق على تلك الأسطورة عجزها وفشلها، وهزائمها المتوالية.

البروتوكولات فى ميزان الواقع

ولكى يضع الدكتور المسيرى البروتوكولات فى ميزان النقد الواقعى... نراه يلخص محتوى البروتوكولات فى مقولة: «إن اليهود يتسمون ـ على امتداد التاريخ ـ بكل ما يخطر على البال، وما لا يخطر من الشر والمكر، والرغبة فى

التدمير؛ فهم الذين سعوا لإراقة دم المسيح ـ عليه السلام ـ وهم الذين وضعوا السم للرسول ﷺ وهم وراء مؤامرة عبدالله بن سبأ للقضاء على الإسلام، وهم الذين قاموا بدس الإسرائيليات على الدين الإسلامي، وينسب إليهم ذبح الأطفال لصنع الفطير من دمهم، وهم وراء كل أشكال الانحلال في العالم اليوم، وهم المسيطرون على رأس المال العالمي، والمحركون الآن للوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية.

والدكتور المسيري ـ في سبيله لتقويم هذه المقولة ـ يعمد إلى فحصها بثلاثة موازين؛ هي: الميزان المعرفي، والميزان العملي الإجرائي، والميزان الأخلاقي الديني.

١ - أما الميزان المعرفي فيقرر:

إن هذا الفكر البروتوكولي الناشىء عن عدم المعرفة بكيفية إصدار القرار في أمريكا؛ فصنع القرار في أمريكا يمر بدراسات عديدة، وتقارير واجتماعات... ولا يتم عشوائياً، كما يحدث في بعض البلاد العربية.

إن هذا الفكر البروتوكولي ناشىء عن تعميم، يضع كل يهودي في سلة واحدة، بحيث يذهب إلى أن كل الظواهر اليهودية والصهيونية والإسرائيلية شىء واحد؛ فالجميع يهود!.

إن جميع المخططات والأحداث تصدر عن عقل واحد، وضع مخططاً جباراً، وصاغ الواقع على حسب هواه... ولا تصدر نتيجة تفاعل بين مجموعة من الظروف والمصالح والقطاعات والعناصر المعروفة والمجهولة.

٢ - وأما الميزان العملي الإجرائي... فيكشف أن الخطاب البروتوكولي التآمري يضفي قوة عجيبة على اليهود، ويجعلهم شياطين، لا يتأتى لنا أن نتصدى لهم، ولا نستطيع أن نهزمهم، فينتشر في نفوسنا الرعب منهم؛ بما لهم من نفوذ وهيمنة، وتغلغل في كل المؤسسات والهيئات، حتى لجأت كثير من الدول لتخطب ودها وتتملقها، خصوصاً الدول التي يؤمن حكامها بأن البروتوكولات وثيقة صحيحة.

والحقيقة الجلية أن البروتوكولات وثيقة تافهة، ذات فكر سطحي مضلل، توهم مؤلفها ومترجمها أنها تثير في النفوس الكره لليهود الصهيونيين، ولكنها أثارت الرعب منهم، وشغلتنا بهم عن التعرف على العدو الحقيقي الذي يساند الصهيونيين، والتعرف على أسباب انكساراتنا، حتى نتحاشى الأخطاء.

أما كره الصهيونيين فإن واقعهم وأفعالهم ملأت نفوسنا بكرههم، ولم نعد في حاجة إلى التوسل بهذه البروتوكولات... هذا إلى أن كرهنا لهم لا يصح أن يكون لهوى ذاتي، ولكن لظلمهم إيانا، وتعديهم على أرضنا، وقتلهم أبناءنا.

كما أن كره اليهود في أي مجتمع يلجئهم إلى التحول للصهيونية التي تهش لهم؛ حيث يرون فيها منقذهم مما هم فيه من اضطهاد.

فالتعبئة المثمرة.. لا تقوم على الحب والكره، بقدر ما تقوم على التوجيه الصحيح

نحو الأهداف القريبة والبعيدة، بحيث يمكن اتخاذ الخطوات المحددة التي تؤثر في العدو؛ مثل مقاطعته، ومثل التعرف على طبيعته الخصوصية، وكيفية التصدي له، والتعرف على نقاط ضعفه وقوته، وآليات عمله، والتعرف على قوتنا الذاتية، ومثل الإعلام الواعي المعتمد على إبراز الحقائق حول ما قاموا به من جرائم، ابتداء من دير ياسين، وكفر قاسم، ومروراً بصبرا وشاتيلا، وقانا، وجنين، وغير ذلك.

٣ - وأما الميزان الإسلامي ـ أو الأخلاقي الديني ـ فإن الإسلام لا يقر أن الهوية نتاج للاستمرارية الوراثية كما هو مقرر لدى العلمانيين الذين يرون العقيدة مسألة بيولوجية، لا مسألة إيمانية. فالإسلام لا يوافق على مؤاخذة يهود هذه الأيام بجريرة يهود الماضي، ولا أن يتهم أي إنسان بدون قرائن وأسباب، ولذلك عامل اليهود على أساس مفهوم أهل الذمة؛ فلم يحدث من المسلمين عمليات إبادة لليهود، ولا طرد لهم بسبب الدين أو الجنس... بل إن كثيراً من اليهود اعتنقوا الإسلام وحسن إسلامهم، وانصهروا في صفوف المسلمين..!

ويستدرك الدكتور مقرراً: إنه لا يستبعد بذلك ـ البعد الديني في محاربة الصهيونيين، فيكفي أن نذكر دائماً أننا نحارب الصهيونيين؛ لأنهم مستعمرون اغتصبوا أرضنا، ولأننا نكره الظلم ونرفضه، ونسعى لإقامة العدل في الأرض، وأن نذكر أننا لا نكره اليهود في ذواتهم، وإنما نكره ما يصدر عن بعضهم من ظلم وعدوان.

وهكذا... يتضح: أن الفكر البروتوكولي يجب أن يرفض بناء على تلك الرؤى والموازين المعرفية، والعملية الإجرائية، والدينية الأخلاقية!.

الحاضر الماثل يؤكد زيف البروتوكولات

والدكتور المسيري ـ في الفصل الثامن «من البروتوكولات إلى الانتفاضة» ـ يضيف ميزاناً رابعاً، يقرر زيف البروتوكولات، وهو ميزان الواقع الحدثي، المعتمد على الأحداث الجارية بعد التخلص من آثار نكسة سنة ١٩٦٧ باقتحام حاجز الرعب والخوف سنة ١٩٧٣ ـ في إظهار زيف ما تشيعه البروتوكولات في نفوسنا من خوف ورعب من بطش عدونا، وقدراته التي لا تحد.

١ - فقدم صورة لانتفاضة الحجارة في تطورها، بما تعنيه من استمرارية النضال في تصعيده وتطويره المستمر، سواء في الوسائل، أو في الأماكن، حيث أبدعوا في الانتقال من المظاهرات الحاشدة وإلقاء الحجارة على جنود الاحتلال، إلى مقاطعة كل ما هو إسرائيلي، ورفض التعاون مع سلطات الاحتلال، إلى إلقاء القنابل الحارقة، وإشعال الحرائق في الغابات والمزارع الإسرائيلية... ليثبتوا زيف الزعم القائل: إن الصهيونيين يعرفون كل شىء عن كل شىء، وأن المخطط الصهيوني قد أعد بعد دراسة دقيقة، وأنه ينفذ بحذافيره.

٢- وقدم صورة لانتقال المنتفضين من المقاومة السلبية فى المجال الاقتصادى، إلى المقاومة الإيجابية، حيث بدأوا يحولون بعض المدن إلى مناطق محررة اقتصاديا، والتعديل من أنماطهم الاستهلاكية، حتى أصبح التقشف وما يصاحبه من رفض السلع الأجنبية بجعله عنصر ضغط اجتماعى؛ فرأينا الفلسطينيين - بانسلاخهم عن بعض أشكال العالم الحديث الوافدة من الغرب - يتحركون بكفاءة شديدة، مبطلين مفعول الآلة التكنولوجية الشيطانية.

٣- وقدم صورة أخرى لطور آخر من الانتفاضة، تمثل فى انتفاضة الأقصى والتحرير، التى شهدت بروز أساليب نضالية جديدة، تمثل تطورا نوعيا فى مسار المواجهة مع الصهيونيين، وكان من أبرز أدوارها النضالية: ابتكار الصاروخ «قسام ٢» الذى أظهر عجز آلة الحرب الإسرائيلية عن فرض الأمر الواقع، وعدم صمود دباباتهم - التى تعد من أكثر الدبابات تحصينا فى العالم - أمام أسلحة المنتفضين البدائية.

٤- كما قدم كشفا يبين خسائر الاقتصاد الإسرائيلى من جراء الانتفاضة، حيث تراوحت بين ٦٪ و٨٪، مما يؤكد أن هذه الانتفاضة ليست مجرد هبَّة، بل هى حرب استنزاف أغرقت إسرائيل فى لُجة من الدماء، وأدخلتها فى دائرة دموية كما جاء فى وصف الصحف الإسرائيلية لها، وكما يتضح من تضاعف رافضى الخدمة العسكرية، ومن تصريحات الإسرائيليين المستمرة فى الصحف: أنهم فشلوا فى إقامة الفلسطينيين، ومن اعتقاد أغلبية المستوطنين أنهم دخلوا طريقا مسدودا، ومن ارتفاع نسبة استهلاك المهدئات إلى ٥٠٪، حتى أصبحت المخدرات هى الملاذ لأعداد كبيرة من رواد الأندية والملاهى، ومن جنود الجيش الإسرائيلى.

وهكذا.. أثبتت الانتفاضة أن عدونا ليس عملاقا لا يُهزم - كما تزعم البروتوكولات - وأن قوته ليست بلا حدود، وإنما هو بشر مثلنا، يألم مثلما نألم، ولكننا نرجو من الله ما لا يرجوه هو. وأنه قد يهاجمنا كالصقر الجارح عندما تسنح له الفرصة، ولكنه يفر كالدجاجة حين يدرك مدى قوتنا، وأن الخوف الذى بثته البروتوكولات فى قلوبنا يحرمنا ثمرة انتصاراتنا، ويبعث الشك فى نفوسنا، فنتحول إلى الهرولة أمامه خوف بطشه، بدلاً من التصدى له، ومقاومته حتى يضطر إلى الرحيل عن أرضنا.

٥- ثم دعم ذلك بما آل إليه حال كثير من الصهيونيين والمستوطنين من شك فى المستقبل وصل بالكثيرين منهم إلى اليأس، الذى بدا فى تخوفهم من أنه إذا حدث أى تقهقر من جانب إسرائيل، فهو لن يتوقف عند الخط الأخضر - حدود سنة ١٩٤٨ - إذ سيتبعه انسحاب روحى يمكن أن يتهدد وجود الدولة ذاتها، كما جاء فى «الجيروساليم بوست» فى (٣٠/١/١٩٨٨)، بل وصل إلى طرح نهاية إسرائيل على الأجندة الفكرية والوجدانية الصهيونية، كما وضح من التوجهات الصحفية التى يمثلها ما نشر فى «يديعوت أحرنوت» فى (٢٧/١/٢٠٠٢)، تحت عنوان: «يشترون شققا فى الخارج تحسبا لليوم الأسود»، والتى يمثلها قول «جدعون عيست» فى «يديعوت أحرنوت» فى ٢٩/١/٢٠٠٢، «ثمة ما يمكن البكاء عليه: إسرائيل»، ويتوافق مع هذه المشاعر رأى الأمريكيين الذى بدا فى يأس ٤١٪ منهم من بقاء إسرائيل.. إلى غير ذلك من الأمثلة والشواهد الكثيرة التى ساقها الدكتور المسيرى؛ دعما لما أصاب الإسرائيليين والأمريكيين من تغير مشاعرهم وتفكيرهم.

وبعد... فالكتاب - بهذه النظرات الشمولية المتأنية يكشف عن الجهد الكبير الذى بذله الدكتور عبدالوهاب المسيرى، مرددا النظر بين التاريخ الموغل فى الماضى بحلقاته المتوالية، والتأمل المستقرئ أحداث الواقع، والمتفحص أبعاد «البروتوكولات» على ضوء وقائع التاريخ، والواقع الماثل للتحركات الغربية الاستعمارية، وللدور الذى تؤديه الدولة الصهيونية لهذه التحركات... حتى استطاع أن يقدم به دراسة علمية جادة متعمقة، يمازجها الحرص على مخاطبة العامة قدر الإمكان، من كل ما يثقل كاهل الدارس فى دراسته، الأمر الذى اضطر معه الدكتور - فيما أرى - إلى تكرار بعض الأحداث والمواقف، والأحكام، فيفرض على المتلقى جهدا شاقا فى مواصلة التلقى؛ كما حدث مثلا فى الفصل الأول «أسباب شيوع البروتوكولات» من ص ٣٧ إلى ص ٤٢، الذى كرر فى الفصل السادس «أسباب ازدهار الأسطورة البروتوكولية» من ص ١٨٩ إلى ص ١٩٢، وكما حدث فى الفصل الأول ابتداء من مبحث «هالة حول الكتاب» الذى كرر أيضا فى الفصل السادس من ص ١٩٣ إلى ص ٢١٥.

وفى المقدمة ذكر الدكتور نظام الترقيم الذى التزمه فى هذه الدراسة، الأمر الذى قد يوحى أن لكل باحث نظامه الخاص للترقيم، على الرغم من أن للترقيم العربى قواعده المستقرة والمعروفة... ولا أدرى علاقة موضوع الكتاب بهذه المقدمة!.

ولو أن الدكتور استبدل بهذا ثبتاً أو قائمة بأبرز المصطلحات الواردة فى الكتاب، خصوصاً تلك التى تتعلق بالفكر والسلوك الصهيونى... إذن لأضاف إلى هذه الدراسة القيمة، ما قد يحتاج إليه متلقيها لتيسير استيعاب فكرها وتعبيراتها؛ فهذا - فيما أرى - أولى وأجدى من التعريف بعلامات الترقيم.

أبدى هذه الملاحظات فى مسعاى لتوطيد العلاقة بين هذا الكتاب ومتلقيه... ولكنها لا تنتقص شيئاً من جهد الباحث الدءوب، ولا تقلل من قيمة الدراسة - فى ذاتها - بما بذل فيها من جهد. والله من وراء القصد.



للأستاذ / السيد الصديق حافظ

يا قلعةَ الصبرِ والصُمُود!　　　عن ديننا دافعى وذودى!

إن قلَّ فينا الرجالُ جُودى　　　بالبكرِ والحاضنِ الولود!

«وفاءُ إدريسَ» والصبايا　　　أقدمْنَ فى جُرأةِ الأسود!

أشعلن أجسادهن نارا　　　تأتى على الظالم الكنُود!

«شارونُ» والشرّ يمتطيه　　　من حوله سفْلةُ الجنود!

حربٌ على العُزّلِ الضحايا　　　نارٌ على الرُكّعِ السُجود!

حتى إذا واجهوا رجالا　　　ذابوا من الرُعْبِ فى الجُلود!

●●●

يا أكرمَ الناس عن يقينٍ　　　أعداؤنا الأمُ الوفُود!

أنتم على فطرةٍ طهورٍ　　　والرجْسُ من فطرة اليهُود!

المال معبودُهم ويبقى　　　معبودهمْ آخر العُهُود!

السارقو الأرضَ بالدعاوى　　　البائعو العرضِ بالنقُود!

«شيلوكُ» بالدّيْنِ مُستحلّ　　　لحم المَدينين فى العُقُود!

أعطوهمُ المالَ كى يزولوا　　　عنكم إلى خارج الحُدُود!

●●●

عن عرضنا دافعى وذودى　　　يا قلعةَ الصبرِ والصُمُود!

لم تشبعى قط من طعامٍ　　　يوماً ومن لَذّةِ الرُقُود!

«القُدسُ» ثغرٌ وأنتِ حامٍ　　　للثغرِ من مُعْتَدٍ حقود!

إرثُ النبيين من سواكم　　　يَحْمِى حمَى القُدْسِ فى الوجود؟!

●●●

لا تحسبنّ الشهيد ميْتاً　　　ما أبعدَ الموتَ عن شهيد!

«عبدالعزيز» ارتقى ارتقاءً　　　فى سُلَّم المجدِ والخلود!

«والشيخُ ياسينُ» قد تسامى　　　للموردِ الطيب الوُرُود!

●●●

كُرسىُّ «ياسينَ» كان عرشاً　　　من حولهُ أنبلُ الحُشُود!

فى أفقه أطهرُ البنود　　　فى السهلِ والحزْنِ والنُجُود!

كالسيل ينصب فى حماسٍ　　　لا يعبأ السيل بالسدود!

الحزم والعزم مستطير　　　فى صوته الهادئ الودود!

ما كان بالمبتلى القعيد　　　من يحمل العبء عن عقيد!

القائد الماجد المفدى　　　الباعث الشعبَ من جديد!!!

●●●

لابُدَّ مـن «بـوش» إن أردنـا ... أن ينشطَ الناسُ من خُمُـود!
هـدَّامُ بغـداد ليس فـردا ... لكنْ قبيلٌ كقوم «هود»!
لـو لـم يجـئ «بوشُ» فـى عُـلـوج ... كـالأسْد فى البيد والفُهود!
مـا ارتابت الناسُ فى جنودٍ ... تعْطُو إلى صافع الخُدود!
شكـراً إلـى «بوش» وابن «بوش» ... حتى إلى كلبه الصيُود!
قـد أهديا غيبنا إلينا ... لا نغْمطُ الحقَّ بالجحُود!

•••

لابُدَّ مـن «بـوش» إن أردنـا ... أن يُبعثَ القومُ من هُمُود!
مـا كنتُ «والله» يوم جاءوا ... أرتابُ فى مَهْرب الجنود!!
كـانوا وهدامهم بغاةً! ... مـا حصّةُ البغْى فى الحدود؟!!

•••

غـاض الفراتان واستُبيحا ... وقيل: يا أرضُ لا تجودى!
واليـوم بغدادُ فى عُلاها ... ترنو إلى مطلع السُّعُود!
تستغفر الله من ذنوبٍ ... وقُبحٍ ومن فتنةٍ كَنُود!
والأخذُ بالصالحات يُنْجى ... والأخذ بالسيئات يودى!

•••

يا دولة الظُلم لا تعودى!! ... يا دولة الظُلْم لا تعودى!!
بيدى كما باد قوم «لوط» ... أو قومُ «فرعْون» أو «ثمود»!
واستبشرى يا عراقُ خيراً ... فى عهدك القادم السعيد!
اليـوم لا عار أن تموتوا ... من أجل مستقبلٍ مجيد!

•••

مبادرة الشرق الأوسط الكبير



للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

في الحقيقة، أنه منذ الضربة الدامية، في الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ التى أصابت المارد الأمريكي، بجروح غائرة، لازالت آثارها، بادية للعيان، فقد جاءته الضربة القاصمة من حيث لا يحتسب، فكان يظن أنه لا يمكن أن تطوله، يد الإرهاب الباطشة، ومن هنا وقر في يقين الولايات المتحدة الأمريكية حقيقتان:

الأولى: أن منطقة الشرق الأوسط هى مصدر الإرهاب، الذى يهدد الأمن القومى الأمريكى.

والثانية: ضرورة تشكيل العقل العربى من جديد وتغيير البنية الفكرية والثقافية، بغرس قيم الحرية، والديمقراطية، والتعددية الحزبية، وتداول السلطة بين المؤسسات الحزبية، وذلك للقضاء على التطرف، والتعصب، المفضى للإرهاب، لذا أتى الطرح الأمريكى لمبادرة «الشرق الأوسط الكبير» المعروضة على مجموعة الدول الصناعية الثمانية، التى يجرى مناقشتها، أثناء اجتماعهم، في قمة «سى أيلاند» بالولايات المتحدة، فى يونيو القادم، للتوصل إلى موقف موحد منها، وقد برزت المبادرة الأمريكية نتيجة لأمرين:

الأول: هو تردى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فى بلدان الشرق الأوسط الكبير، الذي يضم البلاد العربية وباكستان وأفغانستان وايران، وتركيا واسرائيل، بسبب ما أسمته هذه المبادرة بالنواقص الثلاثة، وهى الحرية، والمعرفة، وتمكين المرأة من حقوقها.

الثانى: أن استمرار تدهور الأوضاع بهذه الصورة، سيخلق بيئة خصبة لنمو الإرهاب، والتطرف، والتعصب، والجريمة الدولية، التى تهدد المصالح الحيوية والوطنية لمجموعة الثمانى بما فيها الولايات المتحدة.

ومن ثم ترى المبادرة الأمريكية أن السبيل لمعالجة العورات أو النواقص الثلاثة، هو إصلاح الواقع السياسي والاقتصادي، والاجتماعي، والثقافى لدول الشرق الأوسط الكبير، وفى هذا الصدد، تؤكد المبادرة التزام مجموعة الثمانى، بالإسهام فى عملية الإصلاح، وتمتدح بعض زعماء المنطقة، الذين بادروا من قبل باتخاذ خطوات جادة، في سبيل الإصلاح الشامل لمجتمعاتهم، وتحثهم على مواصلة مسيرة الإصلاح، خاصة أنها عملية مستمرة.

والجدير بالذكر أن المبادرة الأمريكية، اعتمدت على تقريرى الأمم المتحدة حول التنمية البشرية العربية لعامى ٢٠٠٢ و٢٠٠٣ فى الحصول على المعلومات، والبيانات الكاشفة لأوجه القصور، والنواقص التى يعانى منها الشرق الأوسط الكبير، وهى «الحرية، المعرفة، تمكين المرأة من حقوقها» والتى تركز المبادرة اهتمامها عليها، فى انطلاقها نحو عملية الإصلاح، وفى هذا السياق وضعت المبادرة الأمريكية لها ثلاثة أهداف أساسية، كسبيل للإصلاح:

الأول: تشجيع الديمقراطية والحكم الصالح.

الثانى: بناء مجتمع المعرفة.

الثالث: توسيع الفرص الاقتصادية.

وتذهب المبادرة إلى أن الديمقراطية والحكم الصالح يشكلان الإطار، الذى من خلاله، يمكن للتنمية أن تنمو، وتزدهر.

ومن أجل ذلك الهدف، حددت المبادرة العديد من الوسائل، أهمها إجراء انتخابات حرة، وتبادل الزيارات لأعضاء المؤسسات البرلمانية، والتنظيمات السياسية، وتدريب القيادات النسائية على المشاركة السياسية الفاعلة، وإقامة مراكز تقديم المشورة القانونية، لتعريف الرجل العادى بحقوقه المدنية والسياسية، ليشارك بفاعلية فى العملية السياسية، وتطوير العمل الصحفى، وتشجيع التوسع فى إصدار الصحف المستقلة، وتطوير منظمات العمل المدنى وتفعيلها ودعم كافة الهيئات المعنية بالديمقراطية وحقوق الإنسان.

أما عملية بناء مجتمع المعرفة فتشير المبادرة إلى أنها تواجه إشكالية تتمثل فى وجود فجوة معرفية، ونزيف للأدمغة تعانى منها مجتمعات الشرق الأوسط الكبير، ويلزم تكريس الجهود من أجل حلها، ويمكن النهوض ببناء مجتمع المعرفة فى بلدان الشرق الأوسط الكبير، من خلال القيام بعدد من المبادرات، أهمها:

أولا: مبادرة التعليم الأساسي وتشمل إعداد برامج محو الأمية، خاصة المتعلقة بأمية النساء، وتدريب فرق محو الأمية، وتشجيع ترجمة الكتب التعليمية وإنشاء مدارس الاكتشاف التى تستخدم التكنولوجيا المتقدمة، ومناهج التعليم الحديث، وتعتبر الأردن فى طليعة الدول التى

أقامت مثل هذا النوع من المدارس، لاكتشاف ورعاية المواهب الطلابية، وعقد المنتديات والمؤتمرات الداعية لإصلاح التعليم، بمشاركة وتمويل مجموعة الثمانى.

ثانيا: مبادرة التعليم فى الإنترنت، بتطوير المناهج الدراسية، ووضعها على الإنترنت، بتولى القطاع الخاص، توفير معداته اللازمة، مع ربط مبادرة فرق محو الأمية بمبادرة تجهيز المدارس بالكمبيوتر، بمشاركة وتمويل مجموعة الثمانى.

وثالثا: مبادرة تدريس إدارة الأعمال ومثال ذلك «معهد البحرين للمصارف والمال» الذي يرأسه أمريكي، وله شراكة مع عدد من الجامعات الأمريكية أما فيما يتعلق بتوسيع الفرص الاقتصادية، فتذهب المبادرة إلى القول بأن مفتاح التحول هو إطلاق حرية القطاع الخاص في دول الشرق الأوسط الكبير، فى إقامة المشروعات الصغيرة، والمتوسطة وخلق فرص العمل من خلال عدد من المبادرات، أهمها:

أولا: مبادرة تمويل النمو، بالتوسع فى عملية إقراض المشروعات الصغيرة، وإنشاء هيئات المال لمساعدة دول المنطقة الساعية إلى تنفيذ برامج الإصلاح، بمشاركة مجموعة الثمانى بتقديمها المساعدات التقنية والخبرات فى مجال الأنظمة المالية، بالاضافة إلى توفير التمويل اللازم.

ثانيا: مبادرة التجارة، بالتوسع فى إقامة المناطق التجارية فى مختلف بلدان الشرق الأوسط الكبير، لتنشيط التبادل التجارى، وتعزيز التعاون الإقليمى بين دول المنطقة، فى إنتاج وتسويق المنتجات، بالاضافة إلى عقد ما يسمى «منبر الفرص الاقتصادية للشرق الأوسط الكبير، ويضم العديد من كبار المسئولين من مجموعة الثمانى ودول الشرق الأوسط الكبير، لمناقشة قضايا الإصلاح الاقتصادى فى دول المنطقة. وفى هذا السياق اقترح السيناتور «ريتشارد لوجار» رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ الأمريكي، تأسيس «صندوق القرن الحادى والعشرين للشرق الأوسط الكبير»، ليكون الآلية الاقتصادية للمبادرة الأمريكية ففى ندوة عقدها «معهد بروكينجز» بواشنطن يوم ٢٩ مارس ٢٠٠٤، قال «لوجار»: إن صندوق القرن الحادى والعشرين للشرق الأوسط الكبير، المقترح تأسيسه، سيجمع المساعدات من الدول الصناعية الكبرى، والدول العربية المانحة، لإطلاق عملية تحديث واسعة، تغطى المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية فى المنطقة، وقد مهد «لوجار» لاقتراحه بقوله: إن الغرب يواجه تحديا خطيرا، يكمن في أسلحة الدمار الشامل، والإرهاب، وعدم الاستقرار الناجم بشكل أساسى عن المنظمات المتطرفة في الشرق الأوسط الكبير، الذي يشكل فى اعتقادى المصدر الرئيسى الأكبر تهديدا للحضارة الحديثة في القرن الحادي والعشرين».

وعليه فالمسألة صارت واضحة تماما حيث يرى الغرب أن الشرق الأوسط الكبير بأوضاعة

السيئة يشكل تهديدا للحضارة الغربية الحديثة ، وأضاف ريتشارد لوجار قوله : علينا أن نعمل من أجل الأمن والاستقرار ، فى هذه المنطقة المضطربة حيث العوالم الديموجرافية ، والتطرف ، والاستبداد ، والعزلة ، والركود الاقتصادى ، التى سحقت فيها الطاقات الإبداعية لشعوبها وثرواتها الطبيعية » ، هذا القول الذى جاء على لسان رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي يحدد الرؤية الأمريكية للشرق الأوسط ، بوصفه منبعا للتطرف ، والاستبداد السياسي ، والتخلف الاقتصادى ، والعزلة الدولية ، ومصدرا للشرور ، يقتل فيه الإبداع ، وتنهب فيه الثروات الطبيعية ، لهذا فإن المبادرة الأمريكية لم تطرح لإصلاح هذه الأوضاع ، حبا فى عيون الشرق الأوسط ، بل من أجل تأمين المصالح الأمريكية فى المنطقة . ويخص السيناتور الجمهوري « ريتشارد لوجار » اقتراحه بإقامة « صندوق القرن الحادى والعشرين للشرق الأوسط الكبير » ، فذكر أن مجموعة الثمانى الصناعية ستتبنى تأسيس هذا الصندوق على نفس المبادىء التى قامت عليها مجموعة المبادرات الدولية مثل « الصندوق العالمى لمكافحة الإيدز والسل والملاريا » ، و « صندوق تحدى الألفية » الأمريكى ، و « خطة عمل مجموعة الثمانى من أجل أفريقيا » ويرى « لوجار » أن سياسة هذا الصندوق تنحصر فى قيام الدول المساهمة بتحديد أهداف عامة لعملية التحديث المطلوبة ، لكنها ستملك الحق فى قبول أو رفض المشروعات التى تقترحها الدول المتلقية للمساعدات ، بمعنى أن المساعدات التى يقدمها الصندوق مرهونة بالنتائج . كما أكد « لوجار » على أن الصندوق سيعزز مصادر التمويل الإنمائى المتاحة لدول الشرق الأوسط بقوله : « إن هذا الصندوق ليس مصرفا إنمائيا ، بل هو هيئة ، مهمتها تقديم المنح ، والتمويل الاستثمارى ولكى تكتمل ملامح المبادرة الأمريكية ، يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية ، وقع اختيارها على تركيا لتكون « النموذج القدوة » فى عملية إصلاح الشرق الأوسط الكبير .

فيقول الرئيس الأمريكي « بوش » : « إن تركيا توفر لمسلمى العالم ، نموذجا ناجحا لديمقراطية حديثة وعلمانية » .

ويشير « بول وولفيتز » نائب وزير الدفاع الأمريكى إلى أن تركيا هى النموذج الذى ستقتدى به دول الشرق الأوسط الكبير فى عملية الإصلاح الديمقراطى ، فيقول : « إن الولايات المتحدة تنظر إلى تركيا على أنها نموذج لمسلمى العالم ، الذين يتطلعون للتطور الديمقراطى ، والرخاء » .

وفى ضوء ذلك ، بدأت تركيا ، فى الآونة الأخيرة ، تحدد لنفسها ، دورا مميزا ، فى مايعرف باسم منظومة « الشرق الأوسط الكبير » حيث أكد رئيس الوزراء التركى « رجب أردوغان » أن تركيا مؤهلة للعب دور نشط فى « المشروع » لأن الديمقراطية أصبحت القضية الأولى فى المنطقة ، ولأن تجربة تركيا أثبتت أنه لا تناقض بين الإسلام والديمقراطية . ففى محاضرة لرئيس الوزراء التركى أمام « معهد إنتربرايز » فى واشنطن يوم

٢٩ يناير ٢٠٠٤ طرح « رجب أردوغان » ما أسماه « الديمقراطية المحافظة » كنموذج للديمقراطية فى الدول الإسلامية ، فيقول : « إن هذه الديمقراطية نظام سياسى واجتماعى توفيقى ، يستوعب الحداثة ، دون رفض التراث ويقبل القيم الإنسانية ، دون تجاهل القيم المحلية ، وجوانب الحياة الروحية » ويؤكد « أردوغان » أن التجربة التركية ليست فقط نموذجا للوفاق بين التراث والحداثة ، وبين القيم المحلية والقيم الإنسانية ، ولكنها نموذج للوفاق بين الشرق والغرب » وبذلك تحدد الدور التركى بدقة بوصفه « النموذج القدوة » للديمقراطية الذى يجب على دول الشرق الأوسط الكبير التأسى به فى عملية الإصلاح ، وفقا للرؤية الأمريكية . ولعل من الدوافع وراء طرح « مبادرة الشرق الأوسط الكبير » ماجاء - فى أجندة العمل الإسرائيلية التى وضعها « ناتان شرانسكى » أحد وزراء كتلة الليكود اليمينية ، والتى لاقت قبول صقور الإدارة الأمريكية - من تأكيد على أن العرب لن يقبلوا إسرائيل إلا بعد تحول أنظمتهم إلى الديمقراطية . كما كشف تقرير - كان أمام « ديك تشينى » نائب الرئيس الأمريكي بوش عن حاجة الولايات المتحدة إلى استيراد ٧٠٪ من احتياجاتها النفطية بحلول عام ٢٠١٠ ، وأن الدول التى يمكن أن تغطى هذه الاحتياجات هى العراق ، وإيران ، والسعودية . ومن هنا بدأت المشروعات تتوالى للسيطرة على الشرق الأوسط الكبير ، بدءا من « مشروع مارشال جديد للشرق الأوسط » والمعروف باسم « مشروع الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية » و « مشروع دمقرطة العالم العربى » الذى تم دمجه بعد ذلك فى مشروع السيناتور الجمهورى « جون ماكين » المعروف باسم « قانون التواصل والتجارة فى الشرق الأوسط للعام ٢٠١٠ » ليتكون منهما « مبادرة الشرق الأوسط الكبير » وفى هذا الإطار ، ترى « مؤسسة راند للبحوث » أن مبادرة الشرق الأوسط الكبير ، تهدف إلى حماية إسرائيل ، وقمع أية أنظمة قوية تعادى الولايات المتحدة الأمريكية فى هذه المنطقة ، ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل ، ومحاربة الإرهاب .

وفى الختام يمكن القول أن أخطر ماتكشف عنه المبادرة الأمريكية لإصلاح الشرق الاوسط الكبير : هو سعى الولايات المتحدة إلى بذل الجهود ، فى محاولة كسب تأييد مجموعة الثمانى لهذه المبادرة ، لتكوين جبهة واحدة لفرض ماجاء فيها على دول المنطقة ، حتى تقطع خط الرجعة عليها من الاستعانة بأية دولة من مجموعة الثمانى الأوربية للوقوف إلى جوارها عندما تستشعر أية خطورة تمس سيادتها من هذه المبادرة . وهكذا تخطط الولايات المتحدة لتدويل المبادرة ، حتى تذعن دول المنطقة ، خاصة العربية منها للمطالب الأمريكية . هذا هو التحدى الكبير الذى يواجه الأمة العربية ، عندما يفرض عليها الإصلاح من الخارج .

لذلك يجدر بالعرب أخذ زمام المبادرة فى عملية إصلاح شاملة حتى يمكن سد منافذ التدخل الخارجى ، ولعل وثيقة الإسكندرية للإصلاح العربى ، هى جدار الصد ، بشرط تفعيلها إلى واقع .

من حديث القرآن الكريم عن اليهود

أصحاب القرية .. حاضرة البحر

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

قال تعالى: ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأعراف ١٦٣ : ١٦٧)

هذه الآيات من سورة الأعراف، تتحدث - مع غيرها - عن بعض طباع اليهود، الذين لا يخرجون من معصية إلا إلى معصية، ولا يفيئون من انحراف إلا إلى انحراف مماثل أو أشد، وفى كل مرة يستوجبون عقاب الله، الذى ينزل بهم، ويدمغهم بصفعة من صفعاته التى تظل سبة فى جبينهم إلى يوم القيامة، وتجعلهم عبرة من عبر التاريخ.

فقبل هذه الآيات التى تصدرت هذا المقال، تحدثت السورة عن إحدى سقطات اليهود، عقب عبورهم إلى أرض سيناء، حينما طلبوا من نبى الله موسى - عليه السلام - أن يجعل لهم إلها وثنا، يعبدونه من دون الله، لأنهم رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم.. وذلك بالرغم من أن أقدامهم لم تكن جفت بعد من مياه البحر، حينما نجاهم الله - عز وجل - من فرعون وملئه..!! فوبخهم موسى - عليه السلام - قائلا لهم:

﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(١)

وعقب هذه السقطة الكبرى، التى وبخهم موسى عليها.. سقطوا فى خطيئة أكبر منها، وهى عبادة العجل الذى صنعه لهم السامرى.. وقد تحدثنا عن ذلك فى مناسبة سابقة وعما عاقبهم به الله - عز وجل.

وقد رأينا موسى - عليه السلام - قد اختار من فوق سبعين رجلا من أشراف اليهود، وأكثرهم لله خشية.. اختارهم موسى لميقات ربه - عز وجل - لإعلان التوبة وطلب المغفرة من الله بعد عبادتهم العجل.. وإذا بهؤلاء السبعين - وهم نقباء بنى إسرائيل - يطلبون من موسى - عليه السلام - أن يروا الله جهرة - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - فأخذتهم الرجفة فهلكوا جميعا، ثم أحياهم الله - تبارك وتعالى - بعد موتهم، رجاء أن يشكروه ويثوبوا إلى رشدهم، وإلى العقيدة الصحيحة

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢)

﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾(٣).

وعقب قصة القرية «حاضرة البحر» - موضوع هذا المقال - جاءت الإشارة إلى قصة الجبل، الذى انتزعه الله - جلت قدرته - من الأرض، ورفعه فوق رؤوسهم، حتى ظنوا أنه واقع على رؤوسهم، عقابا لهم على عصيانهم لأمر الله حينما أخذ عليهم الميثاق، فكانت هذه المعجزة الكبرى، التى أيقنوا معها بالهلاك التام، ولم يجدوا بدا من الامتثال لأمر الله عز وجل

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٤).

●●●

إن قصة القرية، التى وصفها الله - عز وجل - بأنها «كانت حاضرة البحر» سيقت مساق الدلالة على صدق هذا النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه.. فى أنه مبلغ عن الله - عز وجل - حيث كانوا حريصين على إخفاء أحداث هذه القصة التى تعد سبة فى جبين اليهود إلى يوم القيامة، حتى لا يعلمها الرسول - ﷺ - والمسلمون فيعيروهم بها.

وتبدأ هذه القصة التى قصها الله على نبيه

(١) الأعراف ١٣٨ : ١٤٠.
(٢) البقرة ٥٥ - ٥٦.
(٣) الأعراف ١٥٥.
(٤) الأعراف ١٧١.

- عليه السلام - في غير موضع من القرآن الكريم - مع اختلاف في التفاصيل اقتضته المناسبات المختلفة في السياق - حينما طلب الإسرائيليون من الله أن يجعل لهم عيدا يتفرغون فيه للعبادة، وينفضون أيديهم من أعمال المعيشة، والبحث في أسباب الرزق.. فاستجاب الله لهم، وجعل هذا العيد يوم السبت من كل أسبوع.. ثم شاءت حكمته - تبارك وتعالى - أن يختبر قوة إرادتهم، وثباتهم على طاعته، ومدى تمسكهم بحق الله عليهم، وإخلاصهم له في عبادته، وكانت هذه القرية قريبة من البحر، حتى عبر عنها القرآن بأنها ﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾

وكان أهلها يشتغلون بحرفة صيد الأسماك[5].. فجعلت أسماك البحر تظهر لهم على صفحة الماء في هذا اليوم - يوم السبت - قريبة المأخذ، سهلة الاصطياد طوال اليوم، الذي طلبوا فيه من الله أن ينقطعوا للعبادة.. وأجاب الله طلبهم هذا.. فإذا انقضى هذا اليوم، اختفت الأسماك، ولم تظهر بقية أيام الأسبوع، فإذا كان يوم السبت من الأسبوع التالي عادت للظهور من جديد.. وهكذا دواليك. قال عز من قائل:

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[6].

يقول صاحب الظلال معلقا على هذه الآية الكريمة: «فأما كيف وقع لهم هذا؟! وكيف جعلت الأسماك تحاورهم هذه المحاورة، وتداورهم هذه المداورة؟! التي تقع بإذن الله عندما يشاء الله..»!!

ثم يتابع حديثه قائلا: «إن الله - سبحانه - هو الذي خلق هذا الكون، وأودعه القوانين وعلى أساس أن كل ما يقع - سواء من جريان القوانين الثابتة أو جريان غيرها - إنما يقع بقدر من الله خاص، فإنه تستوي الخارقة والقانون الثابت في جريانه بهذا القدر.. ولا آلية في نظام الكون في مرة واحدة..»[7] ولنترك الآن هذه القضية، لنعود إلى ما جرى داخل هذه القرية.

لم يصبر القوم على هذا الابتلاء، فقام جماعة منهم - على عادة اليهود، في حيلهم التي يدبرونها دائما للتخلص من شرع الله - عز وجل - بنصب شباكهم في البحر يوم الجمعة من كل أسبوع، فإذا ما خرج السمك يوم السبت وقع فيها، ويظل هكذا حبيسا بها إلى غروب شمس ذلك اليوم، ثم يقومون بعد ذلك بجمع

(٥) اختلف المفسرون في تعيين اسم القرية، فمنهم من قال إنها «أيلة»، ومنهم من قال إنها «مدين» بين أيلة والطور، ومنهم من قال إنها «طبرية»، ولكننا نتوقف في هذا كله، إذ لا يزيد التعرف على اسمها شيئا في تحقيق هذه القصة.

(٦) الأعراف ١٦٣.

(٧) سيد قطب في ظلال القرآن ص١٣٨٣، ١٣٨٤.

هذه الشباك وفيها السمك، وهم يظنون بذلك أن هذه الحيلة الرخيصة قد انطلت على الله - تبارك وتعالى - وهو غير مؤاخذهم بها.

وهنا يأتي دور علمائهم ووعاظهم، حيث انقسموا إلى فريقين: الفريق الأول، قام بواجبه في الوعظ والإرشاد والتحذير لهؤلاء المحتالين، حيث ذكروهم بأمر الله، وأنذروهم عقابه الشديد، وبينوا لهم أن الله - عز وجل - لا تنطلي عليه الحيل، وأن شرع الله - عز وجل - ما نزل من السماء إلا ليطاع قلبا وقالبا، ولا يفر من الامتثال لأمره تعالى.. غير أن هؤلاء القوم المحتالين، لم ينصاعوا ولم يلتزموا ما أمرهم به الله، وسدروا في غيهم وصموا آذانهم، وأعموا أبصارهم.. فقال الفريق الثاني من الذين التزموا شرع الله وائتمروا بأمره، وانتهوا بنهيه للفريق الأول منهم: لم تعظون هؤلاء الناس، الذين لم ينصاعوا لأمر الله، حتى باتوا ينتظرون الهلاك المؤكد والعذاب الأليم؟! قالوا ذلك لأنهم يعرفون طبيعتهم الخبيثة، وفكرهم الدنيء الذي لا يرعوى عن غيّ، ولا يتراجع عن ضلال.

وهنا يرد عليهم الفريق الأول مبررا هذه الموعظة، التي يُسدونها إلى هؤلاء العصاة قائلين: إنما نعظهم ونوجههم الوجهة الصالحة، أداء للواجب الذي افترضه الله علينا، حتى لا يؤاخذنا عن تقصير في هذه الموعظة.. هذا أولا، وثانيا نعظهم طمعا فيما قد يكون لديهم من بقية في رغبة من إصلاح حالهم، وإيقاظا لما قد يكون في دخائلهم من ميل إلى حب الخير، والخوف من الله - تبارك وتعالى - وبذلك نكون أنقذناهم من عذاب محقق، ومن هلاك ماحق في الدنيا والآخرة، فأصحاب القرية إذن انقسموا إلى ثلاث فرق:

أولاها: فرقة عاصية، تتحايل على شرع الله، وتلتوي أمام أوامره وزواجره تحقيقا لأغراضها الدنيئة، وجريا وراء أطماعها التي لا تقف عند حد.

ثانيها: فرقة واعظة، أخذت على عاتقها مهمة الإصلاح الاجتماعي والديني لهؤلاء العصاة، تحقيقا لما كلفهم به الله - عز وجل - وأملا في انصياع هؤلاء العصاة، ورجوعهم إلى شريعة الله.

ثالثها: فرقة توقفت عن الانضمام إلى أحد الفريقين السابقين، فلا هي بالعاصية التي تحتال على شرع الله وما فيه من أوامر وزواجر، ولا هي بالواعظة، التي ترشد العصاة والمذنبين، غير أنها حاولت أن توقف الفريق الثاني عن ممارسة مهمته في الوعظ والإرشاد، لا كراهية لهذا الطريق في ذاته، وإنما يأسا من صلاح أمر الفريق الأول..

ويلخص هذه الحقيقة قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[8].

سدر العصاة في غيهم، وانقادوا وراء أطماعهم، ولم يكن بد من أن ينزل بهم غضب الله، وتحل عليهم نقمته، فكان العذاب البئيس، الذي لم يحل مثله بأمة قط، وسيظل سبة في جبين اليهود إلى يوم

(٨) الأعراف (١٦٤)

القيامة، حيث سخطهم الله قردة وخنازير أذلاء مقهورين خاسرين. قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾[٩]

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[١٠]

والذى لا شك فيه أن الله - تعالى - لم يظلمهم فى ذلك، وإنما كان الجزاء من جنس العمل «لقد تنازلوا هم عن آدميتهم، حين تنازلوا عن أخص خصائصها - وهو الإرادة التى تسيطر على الرغبة.. وانتكسوا إلى عالم «الحيوان» حين تنازلوا عن خصائص «الإنسان» فقيل لهم أن يكونوا حيث أرادوا لأنفسهم من الانتكاس والهوان»[١١].

أما كيف حدث هذا المسخ من الصورة الآدمية إلى الصورة القردية، فقد ذكر المفسرون أن الطائفتين اللتين لم تشاركا العصاة فيما اقترفوا من الإثم والعصيان اعتزلوهم، حيث أيقنوا أن الغضب لا محالة واقع بهم من قبل الله - عز وجل - فأغلق العصاة أبواب محلتهم عليهم.. يقول ابن عباس فى حديثه مطول له: «فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب - أى أن الذين لم يعصوا طرقوا على العصاة المذنبين من الباب - ونادوا فلم يجابوا، فوضعوا سلما، وأعلوا سور المدينة رجلا، فالتفت إليهم فقال: أى عباد الله، قردة والله لها أذناب، قال (ابن عباس): ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القردة أنسابها من الإنس، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القرود يأتيها نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكى، فتقول: ألم ننهكم عن كذا؟ فتقول برأسها، أى نعم..»[١٢].

«لقد جرت كلمة الله، التى يجرى بها الخلق والتكوين ابتداء، كما يجرى بها التحوير والتغيير.. كلمة «كن»..

﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾[١٣].

«فكانوا قردة مهينين، كما جرى القول الذى لا راد له، ولا يعجز قائله عن شىء سبحانه!»[١٤].

ويأبى الله - جلت حكمته، وتعالت كلمته - إلا أن يرينا صدق آياته رؤيا العين، وفى هذا الزمن الحالك، المفعم بالغطرسة اليهودية، التى لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل، حيث تمتحن أمتنا الإسلامية فى صبرها وجلدها وفى إيمانها بربها، تبارك وتعالى - على يد رجلين من ألد أعداء المسلمين على طول الزمان، هذان الرجلان هما «إسحق شامير» و«إيرئيل شارون» والأول فى سحنة القرود، والثانى يشبه الخنزير.. أما «شامير» فكأنه ابن شرعى صريح ومباشر من السلالة

(٩) الأعراف ١٦٥، ١٦٦

(١٠) المائدة ٦٠

(١١) سيد قطب فى ظلال القرآن ص ١٣٨٥

(١٢) ابن كثير مجلد ٢ ص٢٩٤ ط دار الشعب

(١٣) الأعراف (١٦٦)

(١٤) سيد قطب في ظلال القرآن ص١٣٨٥

القردية، وأرجو أن يتذكر القارىء هذه «التركيبة» العجيبة، التى كانت تطالعنا صباحا ومساء على «شاشة التلفاز» فالزمن الذى يفصلنا عن رؤيته ليس بعيدا - وأما «شارون» الذى يشبه الخنزير، فقد طبقت شهرته الآفاق فى القسوة والغلظة، ولايزال حتى هذه اللحظات ممسكا بعصا اليهود الغليظة، ويطحن بها عظام المسلمين فى فلسطين، دون رحمة أو رادع، طارحا وراءه كل قوانين الإنسانية، ضاربا عرض الحائط بكل الأعراف الدولية، وقد أصم آذانه فى وجه النداءات العالمية، حتى ولو كانت صادرة من حلفائه الذين منحوه المال والسلاح.

وهو الآن، يقيم الجدار العجيب، الذى يفصل بين اليهود والمسلمين الفلسطينيين ظنا منه - وكما تهلل أبواق دعايته الكاذبة - أن بذلك إنما يحمى أبناء جلدته من ضربات المقاومة الفلسطينية، وسوف يخيب - إن شاء الله - ظنه، ويطيش سهمه، وسيكون هذا الجدار وبالا عليه، وكأنى - والله - أراه يجرى ما وسعه الجرى نحو نهايته المحتومة، التى ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم، وهو وعد مؤكد لا محيص عنه

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾[١٥]

أو أن يعيد الله عليهم كرة العذاب البئيس بما كانوا يفسقون

﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾[١٦].

فليثق المسلمون بوعد ربهم، الذى لا يتخلف، ولا يتطرق إليه أدنى شك، بأن أحفاد القردة والخنازير، سوف يلقون المصير المحتوم، الذى ذكره الحق - تبارك وتعالى - فى محكم آياته:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١٧].

«وهذا بمقتضى الجرم الذى ارتكبه أهل هذه القرية، والجرائم الأخرى التى ارتكبها آباؤهم وأبناؤهم.. فهم قوم لا يحبون الخير، ولا يعرفون الطريق إليه، ولا يؤمنون بالله إيمانا خالصا من الشرك أبدا، فإيمانهم ملىء بالشبهات والشهوات، وقلوبهم زائغة عن الحق لا تهتدى إليه أبدا»[١٨].

وصدق الحق تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾[١٩].

(١٥) سورة الحشر ١٤

(١٦) سورة الأعراف ١٦٦

(١٧) سورة الأعراف ١٦٧

(١٨) د. محمد بكر إسماعيل، قصص القرآن ص١٦٥ وبتصرف يسير

(١٩) سورة المعارج ٦، ٧

البصمة الوراثية فى ميزان الأدلة الشرعية

للمستشار/ حسن حسن منصور
نائب رئيس محكمة النقض

من الثمار التى أنتجها العقل البشرى تلك الوسائل والمخترعات المستحدثة فى الحياة الدنيا والتى لا تتعارض مع حقائق وثوابت دين الله تعالى علي مر العصور والأزمان، وإذا كان من الخصائص المتفردة لشريعة الإسلام الصلاحية للتطبيق في كل زمان ومكان. فإن فى الأخذ بهذه الثمار ما يحقق هذه الخاصية، ومن هنا كان إقبال المسلمين منذ فجر الدعوة المباركة على البحث العلمى الجاد والمشاركة الفعالة فى الكشف عن غوامض الكون والوقوف على المجهول فيه، والرواد منهم فى هذا الميدان من الكثرة بمكان فى كل جيل حتى يومنا هذا.

ومن بين هذه الوسائل المستحدثة فى دنيا الناس التى توصل إليها العقل البشرى حديثا، مايعرف بالحامض النووى أو البصمة الوراثية، وهو كشف علمى له أهمية خطيرة فى كثير من المجالات ومنها الأحكام الشرعية، وهذا يقتضى منا البحث الجاد للوقوف علي أثر هذا الكشف العلمى على هذه الأحكام، وهل يعتبر من الأدلة التى يمكن أن تستند إليها؟ وسنحاول هنا استعراض النقاط الأساسية التى تجلى الفكرة العامة عن هذا الأمر الخطير فى حياة الناس وذلك على النحو التالى:

أولا: تعريف البصمة الوراثية

فى اللغة: البصمة هى العلامة، والوراثة هى من الإرث أو الميراث وهو مايتركه أو يخلفه الميت لورثته، وعلم الوراثة هو الذى يبحث فى انتقال صفات الكائن الحى من جيل إلى آخر، وتفسير الظواهر المتعلقة بطريقة هذا الانتقال.

وفى اصطلاح العلماء تعددت تعريفات الباحثين فى هذا المجال، ولكن أبسطها هو أن البصمة الوراثية هى التركيب الوراثى الناتج عن فحص الحمض النووى لعدد واحد أو اكثر من أنظمة الدلالات الوراثية.

وقد عرف العلماء الحامض النووى بأنه مركب كيمائى معقد ذو وزن جزئى عال، لا

يمكن للكائن الحى الاستغناء عنه، ويطلق عليه الحامض النووى الديوكسى منزوع الأوكسجين، وهو معروف باسم الدنا، وهو اختصار لهذه العبارة باللغة الإنجليزية.

والحامض النووى يحمل المعلومات الوراثية وهو موجود فى نواة خلية الكائنات الحية ومهمته هى نسخ المادة الوراثية، ويحمل الشفرة الوراثية اللازمة لتصنيع كافة البروتينات داخل الخلية، وعلى هذا يكون الحامض النووى جزءا من تكوين الخلية الحية.

ثانيا: الإشارة إلى البصمة الوراثية فى القرآن الكريم

جاء فى قول الحق تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾(١).

مايفيد أن الله جلت قدرته يخلق الإنسان مما يخرج من منى الذكر وبويضة الأنثى، وماينتج عن اختلاطهما فى صورة أمشاج كما فى قوله تعالى:

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾(٢).

وقد أثبت العلم الحديث أن الحيوان المنوى هو الذى يحدد نوعية الجنين لقوله تعالى:

﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾(٣).

فهذا الحيوان نوعان أحدهما يحمل كروموسوم الذكورة، والآخر يحمل كروموسوم الأنوثة، وبعد عملية التلقيح تصطف الكروموسومات مع بعضها البعض فى وسط البويضة الملقحة وتتكون خلية جديدة مخصبة، تحتوى على العدد الكامل من الكروموسومات لتحديد جنس الجنين، وعلى ضوء ذلك تتحدد البصمة الوراثية لكل إنسان، من خلال الحامض النووى لهذه الخلية الجديدة.

ثالثا: الجينات الوراثية

ومن الأمور المتعلقة بالحامض النووى، والتى شغلت الأوساط العلمية فى الآونة الأخيرة، مايعرف بالجينات، وهى جمع جين، وهو عبارة عن جزء من الحامض النووى على الكروموسوم، وقيل أنه: هو عنصر كروموسومى لانتقال الميزات الوراثية، ويحتوى جسم الإنسان على حوالى مائة ألف جين فى الخلية الواحدة، ولكن العلماء لم يكتشفوا منها إلا حوالى سبعة آلاف جين.

وذكر العلماء أن الجين يختلف عن الجينوم، والذى هو كلمة مركبة مزجا من كلمتى: جين وكروموسوم، والجينوم يمثل مجمل التركيب الوراثى للكائن.

رابعا: خصائص البصمة الوراثية

ذكر علماء الطب والوراثة أن البصمة الوراثية تتميز عن غيرها من الأدلة البيولوجية الأخرى بالخصائص الآتية:

١ - الاختلاف الكامل بين كل فرد عن

---

(١) الواقعة (٥٨، ٥٩). (٢) الإنسان (٢) (٣) القيامة (٣٩)

آخر عند تحليل البصمة الوراثية، بما ينفي التوافق والتشابه بينهما، ولكن يستثنى من ذلك حالة التوائم المتماثلة الواحدة.

٢ - البصمة الوراثية تعتبر من أدق الوسائل التي تحدد هوية الإنسان، لأن العلماء ذكروا أن نتائج استعمال هذه البصمة لاتقبل الظن أو الشك، بنسبة تصل إلى ١٠٠٪، وذكر بعضهم إن نسبة دقة هذه البصمة تصل إلى ٩٩,٩٩٩٪ في إثبات الأبوة، ولكن بعض العلماء تحفظ على نسبة ١٠٠٪ وقال: إن هذه الطريقة كغيرها من الطرق البيولوجية لايمكن اعتبارها ١٠٠٪ صحيحة وخالية من العيوب، ولكن قد تكون قريبة من هذه النسبة لأنها تحتاج لمعايير للتأكد من صحتها، كالمؤهلات العلمية والخبرة الممتازة وسلامة الطرق والاجراءات التي تتبع لتحليل البصمة الوراثية.

٣- قوة الحامض النووي وتحمله ضد التعفن والتغيرات الجوية، وهذا يساعد على سهولة معرفة أصحاب الجثث والأشلاء المتناثرة.

٤ - إن البصمة الوراثية تفيد في الإثبات في النسب أو الجريمة، وتفيد أيضا في النفي كما في الجرائم، ولكن في نفي النسب هناك أقوال كثيرة سنعرض لها فيما بعد.

خامسا: ماهية الأدلة الشرعية

عرف الفقهاء الدليل في اللغة بأنه المرشد، وفي الاصطلاح بأنه مايترتب على العلم بالشيء الآخر، وفي بيان ذلك قالوا: إذا أعلم المدعى القاضي بحجته على دعواه لزم القاضي من هذا العلم مع اقتناعه بهذه الحجة علمه بصدق المدعى في دعواه.

والأصل في الإنسان براءة الذمة ما لم يقم الدليل على عكس ذلك، فمن ادعى على غيره حقا لزمه إقامة الدليل على هذه الدعوى، وإذا دفع المدعى عليه لهذه الدعوى لزمه إقامة الدليل على نفي ما ادعاه المدعي، وهذا مانبه إلى خطر عدم اتباعه قول رسول الله ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنهما: لو يعطى الناس بدعواهم لادعى أناس دماء رجال وأموالهم ولكن البينة على من ادعى(٤)، من هنا كانت أهمية إقامة الدليل على الدعاوى أمام القاضي، سواء كان ذلك بالإثبات أو النفي حسب الأحوال، والدليل يوصف بالشرعية إذا كان يستند إلى أصل ثابت من أدلة الأحكام الشرعية، المتمثلة في الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستحسان وغير ذلك من هذه الأدلة.

ومن المعلوم أن استظهار الدليل على الدعوة يأتي في مرحلة لاحقة على إقامتها، وأن وجود هذا الدليل قد يكون معاصرا لحدوث وقائع هذه الدعوى.

ومن الأدلة ما هو مادي بحت يعتمد عليه القاضي مباشرة في إثبات أو نفي الدعوى، كالكتابة وسماع أقوال الشهود، ومنها ماهو فني يصدر عن خبير مختص في أحد شئون الحياة كالطبيب الشرعي أو المهندس أو

(٤) أخرجه البيهقي ٢٥٢/٦ ، ٣٣٢/٥

المحاسب وغيرهم، وللقاضي بصدد هذا الدليل كامل السلطة في تقدير الأخذ به أو الإعراض عنه كلية أو عن دلالته، وإذا كان الأمر كذلك، فأين تقف البصمة الوراثية من هذه الأدلة؟ هذا ماسنوضحه فيما يلي:

سادسا: موقع البصمة الوراثية من الأدلة الشرعية

من المتفق عليه بين العلماء المختصين في مجال البصمة الوراثية، أنها تعتمد كليا على تحلل الخلية الحية عن طريق معرفة الحامض النووي الموجود بها، الذى يختلف جزئيا من شخص إلى آخر، وهذا التحليل يتم في المعامل المتخصصة بواسطة الفنيين الباحثين في هذا المجال، وعلى ذلك فإن البصمة الوراثية تعد من الأدلة الفنية التي يستعين القاضي في معرفتها بأهل الخبرة المتخصصين، وفي النهاية تخضع للسلطة تقديره للأدلة الفنية بصفة عامة.

والبصمة الوراثية تستند إلى القاعدة الأصولية التي تقرر أن الأصل في الاشياء الإباحة، وفي الإنسان براءة الذمة، مالم يقم الدليل على عكس ذلك باعتبار أن هذه القاعدة تمثل أحد أدلة الأحكام الشرعية المعروفة في الشريعة الغراء، وهو دليل الاستصحاب الذى من مقتضاه، أن اليقين لايزول بالشك وأن الأصل بقاء ماكان علي ماكان عليه، حتى يثبت خلافه بدليل آخر أقوى منه، فمثلا: كل طعام وشراب ليس في الشرع مايدل على أن حكمه هو الحرمة، فإنه يكون مباحا، لأن الله تعالى خلق كل ما في الأرض لينتفع بها الناس لقوله المحكم:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾(٥).

وقوله: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾(٦).

وغير ذلك من الآيات الدالة على إباحة هذه الأشياء، فتظل كذلك مستصحبة هذا الأصل، حتى يقوم دليل آخر علي حرمتها كمن يسرف في تناول الطعام والشراب، حتى يتسبب في إتلاف أحد أعضاء جسمه، فيصير هذا المباح غير ذلك، كالحرام أو المكروه.

وعلى هذا تعتبر البصمة الوراثية دليلا شرعيا في الإثبات والنفي بصفة عامة، ولكنه ليس دليلا مطلقا عن القيود والضوابط، بل يخضع لكثير منها، حتى تكون له حجيته أمام القاضي في إثبات الدعوى أو نفيها وأيا كان مجال الآخذ به وهذا مايتطلب بيان أوضح لهذه النقاط المهمة، وهو ما سوف نعرض له بشيء من التفصيل في مقال آخر إن شاء الله تعالى.

(٥) البقرة (٢٩)

(٦) الأعراف (٣١)

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الطب في القرآن وفي سنة رسول الله ﷺ

يروى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال ذلك الطبيب لأحد العلماء: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأبدان، وعلم الأديان، فقال له العالم: قد جمع الله ـ تعالى ـ الطب كله في نصف آية من كتاب الله، قال: وما هي؟. قال: قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾[1].

فقال النصراني: «ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب، فقال العالم: قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة، قال: وما هي؟. قال قوله ـ ﷺ ـ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لُقيمات يُقمن صُلبه»، فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا.

قل لي: من أعز الناس يا فراء؟

كان المأمون قد وكل «الفراء» ليعلم ولديه النحو، وفي ذات يوم أراد «الفراء» أن يقضي بعض حوائجه، فأسرع ولدا المأمون إلى حذاء «الفراء» كل يريد أن يحمل هذا الحذاء إليه.. فتنازعا واختلفا ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة، وحين علم المأمون بذلك استدعى «الفراء» إلى قصره ثم سأله، قل لي: من أعز الناس «يا فراء»؟ فقال «الفراء» لا أعرف أحداً أعز في هذه الدنيا من أمير المؤمنين. فقال المأمون: لا.. إن أعز الناس في هذه الأيام من إذا قام من مجلسه تقاتل على تقديم نعليه إليه أبناء خليفة المسلمين.

(1) سورة الأعراف الآية: ٣١

يا نفس تجهزي بجهاز

من كان حين تصيب الشمس جبهته
أو الغبار يخاف الشَّين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته
فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا
في ظل مقبرة غبراء مظلمة
يطيل تحت الثرى في غمها اللُّبثا
تجهزي بجهاز تبلغين به يا
نفس قبل الردى، لم تخلقي عبثا

«عمر بن عبدالعزيز»

دعابات شعرية

قال العتبي: دخل ابن دعبل على بشر بن مروان لما تولى الكوفة، فقعد بين السماطين، ثم قال: أيها الأمير إني رأيت رؤيا فأذن لي في قصها، فقال: قل، فأنشد:

وأغفيت قبل الصبح نوم مسهد
في ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيتني أنك رعتني بوليدة
مفلوجة حسن على قيامها
وببدرة حملت إلي وبغلة
شهباء ناجبة يصر لجامها

قال له بشر بن مروان: كل شيء رأيت فهو عندي إلا البغلة فإنها دهماء فارهة، فقال ابن دعبل: امرأتي طالق ثلاثاً إن كنت رأيتها إلا دهماء إلا أني غلطت!!..

وروى الشيباني عن البطين الشاعر أنه قدم على عليّ بن يحيى فكتب إليه:

رأيت في النوم أني راكب فرسا
ولي وصيف وفي كفي دنانير
فقال قوم لهم حذق ومعرفة
رأيت خيرا وللأحلام تعبير
رؤياك فسر غداً عند الأمير تجد
تعبير ذاك وفي الفال التباشير
فجئت مستبشراً مستشعراً فرحا
وعند مثلك لي بالفعل تبشير

فأمر له علي بن يحيى بكل ما ذكره في شعره.

صدق الخاطب

خرج بلال بن رباح مؤذن رسول الله ـ ﷺ ـ مع أخيه إلى قوم من بني الليث حتى يخطب لنفسه ولأخيه، فقال: أنا بلال وهذا أخي، كنا ضالين فهدانا الله، وعبدين فأعتقنا الله، وكنا فقيرين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فالمستعان الله، فقالوا: نعم وفي هذا كرامة لكما ولنا فزوجوهما.

شوارد وسوانح

للشاعر : محمد عبدالرحمن صان الدين ـ رحمه الله ـ

● يا ربى . . إن لم يرك بصرى ، فقد رآتك بصيرتى ، لذا كان منك وجلى ، وفيك رجائى .

● بينك وبين المصير . مضيق عسير فاسأل ربك التيسير .

● بعض الناس كالماء لا لون له ، ولا طعم ، ولا رائحة ، إلا أنه لا يتبرد به حران ، ولا يرتوى ظمآن .

● إذا اختلف الحكماء ، ساد السفهاء ، وتلاشت الحكمة .

● من أفنى شبابه لاهيا ، قضى مشيبته باكيا ، ورحل غير مأسوف عليه .

● أيتها الأرض ، ليس لك منى إلا جسمى ، وسأخليه لك بعد حين .

● لا دين لمن لا يأبى الخطايا ، ولا يترفع عن الدنايا ، وإن قام الليل وصام النهار .

ثقيل

أطال ثقيل جلوسه عند رجل ، فلما أمسى وأظلم البيت لم يأت بسراج فقال الثقيل : أين السراج ؟ .

قال صاحب البيت : إن الله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ ﴾(٢) .

فى أسى عميق

يناجى إقبال ربه فى أسى عميق ويقول :

إن الغرب الذى يقود العالم اليوم لا يقوده باسمك . . وإنما قوام سياسته عبادة القوة والمادة والشهوات . ولقد خلقت من النار « إبليسا » واحدا وأقامت الإنسانية من خلالها ومطامعها ألف إبليس . .

خلقت إبليس فردا من لظى لهب
ومن تراب أقامت ألف إبليس

ويقول : إننا أهدينا إلى الغرب هدية ورسالة ، وأهدى الغرب إلينا هدية ورسالة ، فهديتنا إلى الغرب هى رسول العفة والمواساة والصبر والسلام ألا وهو المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ وهدية الغرب إلينا الخمر والفجور والإلحاد ، فنعم الهدية هديتنا ، وبئس التحية تحيتهم . .

أهدت الشام إلى الغرب نبيا
هو عف ومواس وصبور
ومن الغرب إلى الشرق هدايا
من قمار ونساء وخمور
تمدن عصركم جمع المزايا
وليس بغائب إلا الضمير

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠ .

حقا

يقال : المنظر محتاج إلى القبول ، والحب محتاج إلى الأدب ، والسرور محتاج إلى الأمن ، والقرابة محتاجة إلى المودة ، والمعرفة محتاجة إلى التجارب ، والشرف محتاج إلى التواضع ، والنجدة محتاجة إلى الجد .

قال الحسن بن وهب :

ما لمن تمت محاسنه
أن يعادى طرف من نظرا
لك أن تبدى لنا حسنا
ولنا أن نعمل البصرا

ثلاثة

ثلاثة لم يسأل الله ـ عز وجل ـ بمثلهم أن تقول :

« اللهم فقهنى فى الدين ، وحببنى إلى المسلمين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » .

« دعاء »

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل معصيتك ، ويؤمر فيه بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر ، إنك سميع الدعاء .

من أنت ؟ ! . .

وقف أعرابى على قوم يسألهم ، فقالوا : من أنت ؟ . . قال : إن سوء الاكتساب يمنعنى الانتساب .

تقدير العلماء

دخل عروة بن الزبير بستانا لعبدالملك بن مروان فقال عروة : ما أحسن هذا البستان ! ! . .

فقال له عبدالملك : أنت والله أحسن منه ، هذا يأتى أكله كل عام ، وأنت تأتى أكلك كل يوم .

عدتى ....

أعددت لكل هول ألقاه فى الدنيا والآخرة « لا إله إلا الله » ، ولكل هم وغم « ماشاء الله » ، ولكل ذنب « أستغفر الله » ، ولكل مصيبة « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، ولكل ضيق « حسبى الله ونعم الوكيل » ، ولكل قضاء وقدر « توكلت على الله » ، ولكل طاعة ومعصية .

« لا حول ولا قوة إلا بالله » .

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

الإصلاح المنشود

الوحدة الإسلامية هى البداية الحقيقية نحو الإصلاح المنشود، ليست القضية قضية تعديل فى مناهج الدراسة أو أساليب ممارسة العمل الاجتماعي والسياسي، بل القضية الحقيقة هى تحقيق طموح الأمة.

● من منا ينكر أن غاية مايتمناه شباب الأمة هو أن يصحو ذات يوم على خبر مفاده أن زعماء الدول العربية قد قرروا تشكيل مجلس حكم موحد يتناوب رياسته ملوك ورؤساء الدول العربية!!

● من منا ينكر أن أبناء الأمة صاروا يتمنون يوماً يصبح فيه العرب قوة تحسب لها الولايات المتحدة الأمريكية والعالم كله ألف حساب ويدفعها إلى إعادة تقييم سياساتهم المنحازة تماماً للجانب الإسرائيلى، وذلك مع ما بات معلوماً أن العرب يملكون من المال مالا يتوفر لغيرهم على سطح هذا الكوكب، ومع هذا يسعى الأمريكيون، ويسعى الغرب الأوروبى لإرضاء الإسرائيليين لا العرب!!

● من منا لا يحلم بأن يصبح المسلمون هم القوة الثانية فى هذا العالم لاسيما وأن المسلمين يملكون المال الوفير، والكثافة البشرية وقاعدة نهضة تكنولوجية وعلمية متمثلة في جامعات ومراكز بحثية على مستوى غير منخفض على الإطلاق وقابل للتطور، فضلاً عن ملايين الأفدنة الصالحة للزراعة والتى يمكن أن توفر للأمة كل ما تحتاج من غذاء وأن تكتفى فى هذا المجال ذاتيا، ناهيك عن مشروعات صناعية عملاقة تمتد من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى.

ترى ماذا يمكن أن يكون عليه حالنا لو توحدت الرؤى وخلصت النية من أجل رفعة الأمة؟!

● من منا ينكر أن هناك رغبة دفينة فى إزالة الحدود والحواجز المصطنعة بين الدول العربية، بحيث يكون بمقدور المواطن العربى أن يتجول بين أرجاء الوطن العربى ببطاقة الهوية الشخصية الصادرة من بلده، وقد كتب فى خانة الجنسية: عربى من مواليد لبنان، عربى من مواليد مصر، عربى من مواليد المغرب.. الخ.

● هل من المنطق ياسادة أن بعض جامعاتنا العربية لايعترف بالشهادات الممنوحة من نظيراتها العربية وتُلزم الراغبين فى التحويل إليها بالارتداد الدراسى لسنة أو سنتين، أو ثلاث؟!

تخيلوا هذا الموقف: طالب حاصل على درجة الثانوية العامة من

مصر، وسافر مع والده المعار للعمل بإحدى الدول العربية، وتنتهى فترة الإعارة قبل أن تنتهى مدة دراسة ابنه، ويكون الابن فى السنة الرابعة فيفاجأ بأنه إذا رغب فى الالتحاق بأى من الجامعات المصرية فإن عليه أن يضحى بسنة، أو اثنين، أو ثلاث بسبب اختلاف خطة الدراسة.

وآخر غير مصرى حصل على درجة الليسانس من إحدى الجامعات المصرية، وعندما عاد إلى بلده يُفاجأ بتعقيدات إدارية لا حد لها تمنعه من التقدم لمرحلة الدراسات العليا ببلده الأم بحجج وعلل معظمها بعيد عن المنطق كأن تكون أوراقه خالية ـ مثلاً ـ من شهادة حسن السير والسلوك، وهذا يقتضى منه أن يعاود السفر ثانية إلى مصر لكى يحصل على هذه الشهادة متكبداً فى سبيل ذلك مصروفات هائلة، مع أن بلده أعرف الناس بسلوكياته.

لماذا لايكون هناك مجلس عربى للتعليم يضع الخطط من أجل نهضة علمية وتعليمية شاملة من خلال رؤية استراتيجية تراعى مصالح الأمة بأسرها وتكون قراراتها ملزمة لوزارات التعليم العربية.

● لماذا لا نفكر فى الإصلاح الذى يحقق طموحاتنا وآمالنا بدلا من الانسياق بدون بصيرة خلف دليل صهيونى متعصب لاهم له إلا تركيع أمتنا والاستيلاء على مقدراتنا؟!

● هل من المنطق أن يكون بأسنا بيننا شديد نفرح ونشمت فى مصائب أشقائنا؟!

● هل يعقل أن نستمع ونصغى لمن يرسخ العداء بين أبناء الأمة الإسلامية ويفرقها بين شيعة، وسنة، مع أن كلاهما يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت.

وبرغم هذا نجد من يثير النعرات بين أبناء الأمة الإسلامية من خلال اختلافات فى الاجتهاد الفقهى مردها إلى الله ـ عز وجل ـ إن شاء منح المصيب أجرين، وإن شاء منح المخطىء أجراً واحداً، وإن شاء عاقب

﴿ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ لقمان (٢٢).

● وهاهم سفهاء يرددون عن خبث أو عن جهالة أقاويل مغلوطة عن فرعونية مصر، وبربرية المغرب، وغير ذلك من جهالات نهانا ديننا عنها:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ آل عمران (١٠٣).

● الإصلاح الحقيقى يجب أن يكون نابعاً من ضمير الأمة وإحساسها ورغبتها فى تحقيق ذاتها وصولاً إلى إعلاء راية تركناها تسقط من أيادينا.

● الإصلاح المنشود لابد أن يأتى من داخلنا ملبياً لآمالنا وتطلعاتنا لا قسراً وإرهاباً من مستعمرين محتلين.

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ التوبة (١٠٥)

وإلى رسائل القراء

من حديث القرآن عن اليهود

وعن «صفات اليهود فى القرآن الكريم» كانت تلك الأسطر التى كتبها إلينا الصديق الشيخ عبداللطيف سيد حسنين، واعظ عام بنى سويف، حيث قال:

لعب اليهود فى العصر الحديث العديد من المؤامرات فشوهوا التاريخ ومجدوا الجاهليات ووقفوا يدعمون الرذيلة ويشيعون الفاحشة، وعن صفاتهم تحدث القرآن الكريم معددا مثالبهم، ومنها أنهم:

● متخصصون فى الكذب على الله:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾

(٣٠ التوبة)

● اتهموا الله بالبخل فقالوا:

﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾

(٦٤ المائدة)

● اتهموا الله بالفقر فقالوا:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ ﴾

(١٨١ آل عمران)

● متخصصون فى تقتيل الأنبياء:

﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾

(٨٧ البقرة)

● متخصصون فى أكل الربا والحرام والسحت:

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

(٦٣ المائدة)

● متخصصون فى نقض العهود:

﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(١٠٠ البقرة)

● أحرص الناس على الحياة:

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

(٩٦ البقرة)

● متخصصون فى كتمان الحق والتضليل:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(١٤٦ البقرة)

● متخصصون فى الجبن والخوف:

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾

(١٤ الحشر)

● اليهود ملعونون:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾

(٧٨ المائدة)

النسب الشريف

للسيرة النبوية مكانة هائلة فى تاريخ الأمة الإسلامية، كيف لا، وبها بدأ تاريخ أمتنا وإن كان هناك من يقول بأن الكلام فى السيرة النبوية المشرفة، بل وفى تاريخ عصر صدر الإسلام كله محفوظ ولم يعد هناك موضع لمستزيد فيه فنحن نقول هذا الكلام صحيح فعلا، لأننا نقرأ بلا وعى، وبلا تدبر، وبلا استلهام للعبرة والعظة.

حول هذه المعانى كانت كلمة الشيخ محمد محمود حمودة وكيل معهد كرداسة الأزهرى والتى تناول فيها مولد رسول الله ﷺ ونشأته، بادئا بنسبه الشريف، فقال:

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب، بن فهر بن مالك، ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وينتهى نسب عدنان إلى سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وتتحدث كتب السيرة عن أبيه ﷺ عبدالله بن عبدالمطلب متناولة أخلاقه نكتفى منها بما ورد عن عفافة، حيث تعرضت له ذات يوم امرأة من بنى أسد بن عبدالعزى، ذات مال وجمال، فقالت له وهى ترى النور يشرق فى وجهه: أين تذهب يا عبدالله؟ فقال: مع أبى، فعرضت عليه نفسها فأعرض عنها، وكان ذا عفة وسماحة، ومضى مع أبيه عبدالمطلب فأتى وهب بن عبد مناف بن زهرة سيد بنى زهرة سنا وشرفا، فزوجه ابنته آمنة بنت وهب، وهى يومئذ أفضل فتاة فى قريش نسبا وموضعا، فحملت بخير من حلمت البرية، حملت برسول الله ﷺ وخاتم النبيين.

ألا فاقرأوا النسب الشريف، وتدبروه، وابحثوا فيه عن معنى الشرف، اقرأوا تاريخ آباء النبى وأجداده وانظروا كيف علوا، وكيف كانوا مضرب الأمثال فى الإيمان والورع والخلق القويم والمروءة والكرم والشجاعة، وكل حميد من الخصال، بحيث لم يتسلل شىء من أدران الجاهلية إلى نسبه الشريف، يقول ﷺ: «إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا، فجعلنى فى خيرهم بيتا، وخيرهم نسبا» (أخرجه الترمذى ٥ / ٥٤٣ طرفة ٣٥٣٢).

ويقول ﷺ: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشا، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم» (أخرجه الترمذى فى سننه ٥ / ٥٨٣، وطرفه ٣٦٠٥).

أجل اقرأوا النسب الشريف وتأملوه وتدبروا كيف علت أسمى معانى القيم الإنسانية النبيلة على الغنى والمال والثروة، وانظروا كيف علا النبى بشرفه ونسبه وخلقه على أغنياء العرب بل وأغنى أغنياء الأرض ويقود جيلا:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب ٢٣)

العهدة العمرية

وتحت عنوان «مواكب الإيمان فى رحاب القدس» كانت كلمة مطولة للقارىء «عمرو حامد مقلد» المدرس بمعهد كرداسة الأزهرى، تناول فيها تاريخ المدينة المقدسة منذ الفتح الإسلامى لها فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وحتى أعاد البطل صلاح الدين الأيوبى تحريرها فى ٢٧ من رجب سنة ٥٨٣هـ.

ونقتطف منها نص العهد العمرى، وهو وثيقة الأمان التى بعث بها الخليفة عمر بن الخطاب لبطريرك النصارى صفرونيوس سنة ٦٣٧م:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذى شرفنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان ورحمنا بنبيه محمد - ﷺ - وهدانا من الضلال وأنقذنا به من التهلكة ووحد قلوبنا، ونصرنا على الأعداء وثبت أيدينا وجعلنا أخوة متحابين فاحمدوا الله يا عباد الله على هذه النعمة.

أما بعد فهذا عهد منى أنا عمر بن الخطاب أعطى للشيخ الوقور بطريرك الأمة الملكية صفرونيوس على جبل الزيتون بمقام القدس الشريف فى الاشتمال على الرعايا والقسوس، والرهبان والراهبات حيث كانوا وأين كانوا وأين وجدوا أن يكون عليهم الأمان، لأن الذمى إذا حفظ أحكام الذمة وجب له الأمان والصون منا نحن المؤمنين وإلى من يتولى بعدنا ولتقطع عنهم أسباب جوانحهم كحسب ما قد جرى منهم فى الطاعة والخضوع وليكن الأمان عليهم وعلى كنائسهم ودياناتهم وكافة زياراتهم التى بيدهم داخلا وخارجا وهى: القيامة وبيت لحم مولد عيسى «عليه السلام» الكنيسة الكبرى والمغارة ذات الثلاثة أبواب قبلى وشمالى وغربى، وبقية أجناس النصارى الموجودين هناك وهم الكرج والحبش والذين يأتون للزيارة من الأفرنج والقبط والسريان والأرمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة تابعين للبطريرك المذكور ويكون متقدما عليهم لأنهم أعطوا من حضرة النبى الكريم والحبيب المرسل من الله وشرفوا بختم يده الكريم وأمر بالنظر إليهم والأمان عليهم، كذلك نحن المؤمنين نحسن إليهم ويكونون معافين من الجزية والغفر والمواجب ومسلمين من كافة البلايا فى البر والبحر وفى دخولهم للقيامة وبقية زياراتهم لا يؤخذ منهم شىء، وأما الذين يقبلون إلى الزيارة إلى القيامة يؤدى النصرانى إلى البطريرك درهما وثلثا من الفضة وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ ما أمرنا به سلطانا أم حاكما أم واليا يجرى حكمه فى الأرض غنى أم فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات، وقد أعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابة الكرام: عبدالله، وعثمان بن عفان، وسعد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وبقية الأخوة الصحابة الكرام، فليعتمد على ما شرحنا فى كتابنا هذا ويعمل به ويبقى فى أيديهم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل.

من سير الأعلام

أبونصر الفارابى.. رائد الفلسفة الإسلامية

ووافانا الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب عضو اتحاد الكتاب، شربين - دقهلية بأسطر من سيرة الفيلسوف أبونصر الفارابى، جاء فيها:

هو محمد بن محمد بن طرفان، ولد عام ٨٧٢م فى قرية «وسيج» بولاية فاراب «جمهورية تركستان الآن» عاش عمره لا تعنيه أمور الدنيا والجسد وعقله يتسامى إلى حيث تسمو روحه.

وقد اشتهر العالم الصغير «محمد» فى إقليم فاراب بلقب «الفارابى» زهوا به وإعلاء لشأنه، فوفد عليه للتلمذة على يديه شباب يطلب العلم وعلماء لهم فى العلم شأو وباع، ثم تاقت نفسه للترحال والأسفار طلبا للمعرفة ورؤية الدنيا ولقاء العلماء والحصول على الكتب التى يشتريها منسوخة أو يستعيرها أو يؤجرها لينسخها بيده وقلمه.

وكان زاده لحما مقددا وجبنا مجففا وتمرا وزيتونا وبضعة دراهم ودنانير وأكبر حمله معه على بغلته أو جمله هو كتبه التى لا تفارقه حيثما رحل أو نزل.

طاف أرجاء آسيا الوسطى وجاب بلاد فارس وأفغانستان وكان أينما نزل فى بلد ترك وراءه نسخة من كتبه لعالم أو جانبا من معارفه لطالب علم كان قد سمع به واشتاق للقياه، وقد دخل الفارابى بغداد عام ٩٢٢م بعد طول ترحال وكانت وقتها مقرا للخلافة العباسية والتقى هناك بـ «أبوبشر متى بن يونس» إمام علماء المنطق فى زمانه الذى كان له أثر كبير فى حياة الفارابى العلمى.

كانت غاية الفارابى من كتبه الفلسفية أمرين هما: التوفيق فيما يبدو من تناقضات بين فلسفة أرسطو من جهة وفلسفة أفلاطون من جهة أخرى.

وقد توفى الفارابى عام ٩٥٠م وحيثما كانت للثقافة والفلسفة مواطن وعلماء وقد تركت ذكرى الفارابى بصماتها على ثقافة العرب والغرب وأنجبت من بعدها وبفضلها فيلسوفين عظيمين قدمتهما للعالم هما: ابن سينا وابن رشد، وكان الفارابى معلمهما الأول بمصنفاته، ورائد أول موسوعة علمية للعلوم فى الدنيا ومؤلف أضخم كتاب فى الموسيقى بالعصور الوسطى وصاحب مدينة فاضلة تتجاوز مدينة أفلاطون الفاضلة بقيم مجتمع عربى مسلم.

وقد درج المستشرقون على إطلاق لقب «المعلم الثانى» على «أبى نصر محمد بن طرفان» الفارابى الفارسى الأصل، التركى الموطن، العربى الثقافة والدين.

من إبداعات القراء

وفاء ورثاء

من معانى الوفاء بين الطالب والأستاذ ننشر هذه الأبيات فى رثاء والدة الأستاذ الدكتور/ طلعت صبح «أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بقلم الطالب الوفى على إسماعيل درويش ونشاركه شعوره نحو الفقيدة الكريمة ونجلها الكبير»

تارجح فى الحشا نصب أليم ... وشاجر فى النهى تعب جسيم
أتذهب أم طلعت واحياه ... بلا كرم ولا نعم تحوم
ولا غرر تخف بنا حياة ... تغيب نورها وبقى المغيم
رأيت بنعشها فرحا مجيدا ... يزف قبولها ملك كريم
وكل ملائك الرحمات تزهو ... بمقدمها وبينهم النعيم
وفاح بقبرها عبق ندى ... يساوق حسنه طرب رخيم
ولاذ بها ملائكة حسان ... تبشرها وصحبتها تدوم
فطيبت وطاب منزلك الرخيم ... وأكرمك المهيمن والرحيم

رسالة إلى أطفال الحجارة

ويرسل القارئ أحمد حمدى والى الطالب بمدارس الهدى والنور الخاصة بالمنصورة برسالة صاغها شعرا إلى إطفال الحجارة يقول فيها:

قم واصرخ فجرها ثورة ... لا تابه لـلـزم النقدرة
الكفر تبجح وتمادى ... والعرب وأمتهم نكرة
والباغى جمع عصبته ... وتملك أسباب القدرة
وتحقق قولك يا ربى ... «ثم رددنا لكم الكرة»

●●●

الحرب ضروس مشعلة ... وحبيب يسقط والدرة
وشهيد مُمزق أشلاء ... وجناة وبغاة فجرة
والقادة فى قومى صاروا ... أصناما ترهقها قترة
يا أسد الله على الباغى ... لتدور النار المستعرة
أنت أحفاد محمدنا ... يا جيش العسرة والنصرة
أذللتم رايات الكفر ... وجعلتم حالهم عبرة
فجرتم ظلم الأوغاد ... واحلتم أمنهم حسرة

●●●

قم فجر وكسر الأعداء ... أرسل للباغى إهداء
لن تنعم أبدا فى أرضى ... لن تشرب دمع البؤساء
لن تهنأ أبدا فى دارى ... وبحدى قطرات دماء
لن تدرك أمنا أو سلما ... لن ترفع فى القدس لواء
اهدم يا مجرم منزلنا ... وتراقص فوق الأشلاء
سأظل أفجر أمنكم ... وأبدد سلام السفهاء

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

بين الصحف



المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

وإسلاماه.. وامعتصماه

إن ما يحدث فى العراق وعلى الأخص فى سجن أبوغريب يصعب تصديقه.

اغتصاب الرجال قبل النساء والتعذيب الوحشى الذى لم يسمع به الإنسان منذ فجر التاريخ.

أين منظمات حقوق الإنسان التى تملأ الدنيا ضجيجا ونحيبا على أى حادثة بسيطة تنهك أدنى حقوق الإنسان الغربى!

أين ضمير العالم؟

الفضيحة صارت على الهواء الآن والصور المذلة المهينة الجارحة للكرامة صارت فى كل مكان.

صراخ العراقيات وهن يغتصبن ويبكين بحرقة تصم الآذان، عذارى العراق أصبحن سبايا فى أيدى جنود الاحتلال الأنجلو- أمريكى يستغثن بالإسلام والمسلمين.

رجولة المواطن العراقى تنتهك وتستباح، أمام عدسات المصورين.

تبول الجندى الإنجليزى على المواطن العراقى السجين يصيب أى إنسان بالاشمئزاز ويصب نار الحقد والغل فى نفوسنا.

إنها حرب للإذلال والعبودية.

المحرران

حرص الكاتب الصحفى «سمير رجب» على تناول هذه القضية فى عموده اليومى بجريدة «الجمهورية» «خطوط فاصلة» بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٤ فكتب يقول:

بعد كل ما ارتكبته الأيادى القذرة من آثام فى حق أبناء الشعب العراقى.. اكتفت الولايات المتحدة الأمريكية بتوجيه «لفت نظر» للضباط، والجنود الذين تورطوا فى عمليات التعذيب..!!

هكذا - بكل هذا الامتهان - تقاس قيمة البشر لدى السادة الأمريكان..!!

إن اغتصاب الرجال.. لا يستحق فى نظر قياداتهم العسكرية أكثر من عبارة «توبيخ» تحفظ فى سجل الضابط، أو الجندى الذى هو أصلا إنسان «مرتزق» انضم للجيش «متطوعا» لكى يحصل على «عائد مجز» يساعده على مواجهة مشاكل حياته!

نفس الحال بالنسبة للفتيات والسيدات اللاتى تنتهك أعراضهن جهارا.. نهارا.. وسط صيحات التهليل.. وغيوم دخان الماريجوانا، وما ينطوى عليه ذلك من انهيار لكافة المعانى، وكل القيم..!

الأغرب.. والأغرب.. أن تصدر تصريحات «أمريكية» تقول إنهم يدرسون بحث صرف تعويضات للأسرى الذين جرى تعذيبهم.. وقد نسى هؤلاء للأسف أن الكرامة العربية لا تقدر بمال وأن العار لا يغسله سوى الدم.

وبالتالى.. فإن الحساب لابد وأن يكون عسيرا.. وليعلموا أن غدا لناظره قريب..!

على الجانب المقابل.. فإن بريطانيا تحاول الآن التنصل من المسئولية.. مؤكدة أن «الأمريكان» هم الذين ارتكبوا الأفعال الشائنة..!

لكن سواء أكانوا هؤلاء.. أم أولئك.. فإن المجتمع الدولى مطالب بالإفاقة من سباته العميق..!

أين الأمم المتحدة.. وأين مجلس الأمن.. وأين وأين..؟!

ثم.. ثم.. ما هذا الصمت الذى يلف العرب..؟؟

إننى أحسب أنهم ينبغى أن يكونوا أكثر حرصا على عقد قمتهم بأسرع ما يمكن لعلها تكون مجالا للتعبير عن السخط، والاشمئزاز، والغضب.

على أى حال.. فلتتوقع أمريكا.. عمليات مقاومة أشد، وأعنف لأن هؤلاء الأسرى الذين تعرضوا لكل تلك الممارسات لديهم أهلهم، وذووهم الذين لن يهدأ لهم بال إلا بعد أن يأخذوا بالقصاص..!

عندئذ.. سوف يدرك العالم من هم «الإرهابيون» الحقيقيون..!

«فضيحة بوش وجنوده فى سجن ابوغريب» كانت موضوع كلمة الأستاذ بسيونى الحلوانى بجريدة «عقيدتى» الأسبوعية الصادرة بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٤:

لايكفى أن يعبر الرئيس الأمريكى جورج بوش عن «امتعاضه» أو «عدم إعجابه» بما ارتكبه ضباطه وجنوده من جرائم أخلاقية غير مسبوقة ضد المحتجزين العراقيين فى سجن أبوغريب ببغداد.

بل يجب أن يعبر الرئيس الأمريكى عن شعوره بالخزى والعار لأن مافعله ضباطه وجنوده لايقوم به إلا الشواذ الذين لا دين لهم ولا أخلاق، ولايمكن أن يصدر من أناس يملأون الدنيا صراخا وضجيجا بأنهم دولة متحضرة تحترم حقوق الإنسان وتبعث بجنودها إلى كل قارات العالم لنشر السلام والحرية والديمقراطية.

الصور التى عرضتها إحدى المحطات التليفزيونية الأمريكية ونقلتها عنها تليفزيونات العالم من داخل سجن أبوغريب مروعة وتؤكد أن الذين بعثهم أمريكا لتحرير العراق مجموعة من الشواذ جمعتهم من الشوارع والحانات وأوكار الشواذ.. وقد شاهد العالم كله

مجندة أمريكية تتلذذ برؤية عورة مجموعة من الشباب العراقيين بعد أن جردوهم من ملابسهم وتحرص على أن تتصور معهم وهم فى أوضاع مخلة بالآداب أجبروهم عليها.. الصور المأساوية التى شاهدها العالم وعبر عن استنكاره لها واشمئزازه منها لم تجسد كل ماحدث من جرائم غير أخلاقية ارتكبها دعاة الحرية وحقوق الإنسان ضد الشعب العراقى فوق تراب وطنه.. فالصور التى تسربت إلى خارج السجن - باعتراف الخنازير الأمريكيين العاملين بداخله - لاتمثل إلا قدرا يسيرا مما حدث مع العراقيين.

لذلك لايكفى أن يعلن البيت الأبيض عن التحقيق مع هؤلاء الشواذ الذين قاموا وأشرفوا على هذه الممارسات الشاذة.. ولا يكفى أن يكون عقاب المتورطين فى هذه الجرائم هو الفصل من الخدمة، بل ينبغى أن يقدم هؤلاء الشواذ من الضباط والجنود الأمريكيين مع قادتهم للمحاكمة العادلة أمام محكمة دولية محايدة.. فما فعلوه أصاب العالم كله بالصدمة واستنكرته كل دول العالم قاطبة، والسكوت عليه إشاعة للظلم وتشجيع للقهر والعدوان، وإساءة بالغة لكل تعاليم الأديان السماوية.

صحيح أن أمريكا المتحضرة ارتكبت ابشع من ذلك ضد المعتقلين والمحتجزين بلا محاكمة فى معتقل جوانتانامو بكوبا.. لكن لايوجد دليل مادى قوى يستطيع العالم أن يحاكم به الأمريكيين الذين ملأوا العالم ظلما وفسادا وإرهابا.

لقد أصابت صور التعذيب التى خرجت من سجن أبوغريب حكام وشعوب العالم بالصدمة حتى السيد «بلير» رئيس الوزراء البريطانى التابع دائما للسيد بوش والمؤيد دائما لمواقفه وسياساته الظالمة.. عبر عن استنكاره الشديد وإدانته لما حدث فى سجن أبوغريب. لكن السيد «كوفى عنان» الذى يجلس على كرسى أكبر منظمة دولية مسئوليتها الأولى منع الظلم واشاعة العدل ومعاقبة الظالمين لم تحرك هذه الصور المفزعة مشاعره ولذلك اكتفى بالتعبير عن انزعاجه لما شاهده.

لقد دفعت هذه الفضيحة الكبرى فريق تجميل صورة أمريكا القبيحة إلى تقديم استقالتهم لإدارة بوش لأنهم أدركوا أنهم لو امتلكوا كل وسائل الإعلام والدعاية فى العالم ووظفوها لتحقيق أهدافهم لما استطاعوا أن يغيروا شيئا فالصورة تزداد قبحا يوما بعد يوم بسبب العدوان والإرهاب والظلم الذى تمارسه إدارة الرئيس بوش.

لذلك من الأكرم للسيد عنان أن يتخلى هو الآخر عن موقعه، مادام أصبح عاجزا عن فعل شىء.

وتحت عنوان «عار الحضارة» جاءت الكلمة التى كتبها الدكتور «يحيى الجمل» فى جريدة الأسبوع فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٣:

تناقلت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة أنباء وصور الجرائم البشعة الخسيسة التى ارتكبها جنود الاحتلال الأمريكى مع مواطنين عراقيين ألقتهم مقاديرهم لكى يقعوا تحت أيديهم الباطشة التى لا ترعى لشىء وقارا، ولم يسمع أحد عن مثل هذه الجرائم التى ارتكبها «المتحضرون» الأمريكيون فى سجون النازى على بشاعتها، بل إن السجون الإسرائيلية والتى ترتكب فيها أبشع الجرائم وأحطها وأكثرها خسة ونذالة لم يتسرب منها مثل هذا الذى تسرب عما يفعله الجنود الأمريكيون باسم الحضارة وحقوق الإنسان وتحرير الشعب العراقى.

هذه هى دروس الحضارة الأمريكية التى يريدون لنا أن نتعلمها ونقتدى بها.

ومما يؤكد أن هذه الجرائم ليست أمراً استثنائيا ما تناقلته الأنباء عن أن الجيش الأمريكى لاحتلال العراق قد استقدم أحد عتاة خبراء التعذيب والتنكيل من معتقل جوانتانامو إلى العراق لكى يدرب ويعلم جنود الاحتلال كيف يفعلون بالعراقيين، أن يجبر رجل على أن يأتى رجلا آخر، وأن يعتلى الرجال بعضهم بعضا أمام الآخرين وأن يجلدوا وأن يصعقوا بالكهرباء.. وأن.. وأن.. والجنود الأمريكيون يتفرجون عليهم ويرسلون القهقهات العالية، ومن عجب أن يقال إن مجندة أمريكية كانت واحدة من الذين يقودون عمليات التعذيب ويشاهدون العراقيين ترتكب فيهم الجرائم الجنسية وكأن الذين يرتكبونها من الحيوانات وليسوا من البشر، **وبعد هذا كله تتساءل أمريكا لماذا يكرهنا العالم؟**

لهذا ولغيره يكرهكم العالم وستزداد كراهية العالم لكم كلما أمعنتم فى البعد عن القيم الإنسانية وكلما أمعنتم فى الطغيان والتسلط والرغبة فى الهيمنة على مصائر العالمين.

إن الحضارات الإنسانية المتعاقبة دالت وزالت عندما فقدت أساسها الخلقى والقيمى وقد آن لحضارة رعاة البقر أن تزول بعد أن أصبحت سبة فى جبين حضارة بنى الإنسان.

والله المستعان.

«التحرير بالتعذيب» كان عنوان الكلمة التى كتبها الأستاذ «أمين محمد أمين» بجريدة «الأهرام» الصادرة بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢، يقول:

خلال حرب تحرير الكويت من الغزو العراقى كانت المهام موزعة بين قوات التحالف، وطلبت إحدى الدول المشاركة أن تكون مهمتها تسلم الأسرى العراقيين على أساس أن تسليحها شرفى مثل التسليح الواقى وذلك على الرغم من علامة التحالف، ومن سير معركة التحرير وبشاعة معاملة الأسرى العراقيين من قوات التحالف وأبرزها صورة الجندى العراقى الذى يقبل حذاء الجندى الأمريكى وهو يعامله بقسوة، وأثارت استياء العالم عند نشرها. فى المقابل كان الأسرى العراقيون يطالبون بتسلم القوات المصرية لهم لمعرفتها واحترامها لقواعد المعاملة الإنسانية الحسنة للأسرى، وهو ما حدث.

هذه القصة التى كنت شاهد عيان لها تؤكد أن حقوق الإنسان والاتفاقيات الدولية لمعاملة الأسرى والقوانين الدولية شىء، والواقع الأمريكى للاحتلال شىء آخر.

وما يحدث على أرض العراق من قوات التحرير الأمريكية وكشفت عنه أخيرا شبكة تليفزيون «سى.بى.إس» هو قليل من كثير بعد دمار الأرض وقتل وجرح الأبرياء تحت دعوى التحرير، يعذب الإنسان العراقى وتنتهك حقوقه بأبشع صورها من قبل جنود الاحتلال. ولعل صورة الطفل العراقى الذى رفع يافطة بجوار الجندى الأمريكى قائلا: «إن هذا الجندى قتل أبى واغتصب أمى» هى صورة من بين مئات الصور المأساوية لشعب ظلم على مدى التاريخ من صدام ومن محتليه، ولعل سجن أبو غريب الذى فرح العراقيون بكسر أبوابه فى الأيام الأولى لسقوط صدام حسين محكوم عليه أن يشهد آلام وعذاب العراقيين حيث ترتكب فيه القوات الأمريكية أبشع جرائم انتهاكات حقوق الإنسان من تعذيب بالأسلاك الكهربائية، وربطها بأماكن حساسة، بالإضافة إلى الضرب من المجندات الأمريكيات للأسرى وتكديسهم عرايا!!

هذه الممارسات غير الإنسانية من قوات الاحتلال التى تلقى يوميا مقاومة باسلة من الشعب العراقى البطل، بحاجة لتدخل سريع من منظمات حقوق الإنسان والصليب الأحمر وغيرها من المنظمات الدولية لوقف المذابح والقتل والتدمير لإنسانية أبناء العراق الصامدين أمام ممارسات صدام على مدى ٣٥ عاماً، واستمرار القهر والتعذيب بصورة أبشع من قبل قوات التحرير الأمريكية. الموقف خطير والأخطر هو الصمت على الجرائم التى ترتكب يوميا فى حق شعب عربى يطالب بحريته دون أن تنتهك كرامته.

أنباء العالم الإسلامى



للأستاذ
محمد الشرقاوى

حملة للتعريف بالإسلام فى مدارس بريطانيا

أطلق مسلمو بريطانيا حملة للتعريف بالإسلام فى المدارس وتشمل الحملة توفير مصادر مسموعة ومرئية ومقروءة بالمدارس فى محاولة لإزالة الصورة المشوهة لدى بعض الطلبة حول الإسلام، وأوضح مسئولو مجلس مسلمى بريطانيا الذى أطلق الحملة تحت عنوان: «كتب للمدارس» أن هذه التجربة تأتى بعد تجارب مماثلة ناجحة قام بها مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» فى بعض مدن الولايات المتحدة الأمريكية.

من ناحية أخرى بدأ مجلس مسلمى بريطانيا فى تنظيم سلسلة من الأمسيات بعدد من المدن البريطانية الكبيرة لدعم مشروع الحملة وإلقاء مزيد من الضوء على سماحة الإسلام.

حملة صهيونية لتشويه الإسلام على «الإنترنت»

بدأت جمعية صهيونية تدعى «يدلاحيم» فى تنظيم حملة شعواء لتشويه صورة الإسلام على شبكة «الإنترنت» من خلال التشكيك فى الإسلام وأصوله.

استخدمت الجمعية فى حملتها تفاسير محرفة لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ كما نسبت أقوالاً محرفة ومشوهة وبعيدة عن الواقع لعلماء وفقهاء مسلمين كبار من أمثال الإمامين أبى حنيفة والشافعى، وقد نشرت الجمعية - التى تمولها حركة «شاس» الصهيونية المتطرفة - كتابا من (٢٢٢) صفحة على الإنترنت مليئة بالتحريف والتشويه.

كما تقوم الجمعية بإصدار أشرطة فيديو وكاسيت تتضمن تمثيلا يسىء للمرأة المسلمة ومعاملتها فى الإسلام.

وزعم رئيس الجمعية «ليفسيك» أن جمعيته على استعداد لإيصال رسالة الإسلام الجديد لمن يريد أن يتعرف على الأحاديث والآيات القرآنية بالشكل الصحيح!!..

وتعمل الجمعية على تعليم هذه المفاهيم للأطفال فى المدارس بغية تنشئة الأطفال على كراهية الإسلام والمسلمين!!..

مسلمو كينيا يتهمون السفارة الأمريكية بالتحريض ضدهم

اتهم الزعماء المسلمون فى مدينة «مومباسا» الكينية السفارة الأمريكية فى كينيا بتحريض أصحاب الديانات الأخرى ضدهم، وكذلك تدبير المكائد ضدهم ليتم رفض الاعتراف بالمحاكم الإسلامية فى الدستور الكينى.. وقال الشيخ محمد دور الأمين العام لمجلس أئمة ووعاظ كينيا: إن السفارة الأمريكية تتدخل فى صياغة الدستور الكينى ضد مصالح المسلمين..

وهدد الزعماء المسلمون فى مؤتمر صحفى نظموه فى مدينة «مومباسا» بتنظيم مظاهرات حاشدة فى مواجهة أية احتجاجات على الاعتراف بالمحاكم الإسلامية فى الدستور الكينى الجديد الذى يجرى إعداده حالياً.

يهودى يكشف خططا لتدمير الإسلام

كشف تقرير على شبكة الإنترنت تم إرساله إلى أكثر من مائة ألف عنوان إلكترونى كتبه المفكر اليهودى «ديفيد ماكبيل» أن هدف الصهاينة وإسرائيل الأساسى يتمثل فى تدمير الإسلام والوقيعة بين المسلمين حتى تنشأ الحروب الطاحنة فيما بينهم بحيث يقتل المسلم أخاه المسلم وتعتدى الدولة المسلمة على جارتها المسلمة أيضا. وأكد «ماكبيل» فى رسالته الإلكترونية أن اليهود يعبثون بأيديهم القذرة فى كل الدول والمجتمعات الإسلامية، وعندما يعجزون عن الإيقاع بين المسلمين والتسبب فى نشوب الحروب الداخلية الطاحنة فى الدول الإسلامية فإنهم يلجأون على الفور إلى أمريكا - التى يسيطرون عليها سيطرة تامة - وبالسلاح الأمريكى وبالجندى الأمريكى تصل

اليهودية الصهيونية إلى هدفها الرامى إلى قتل المسلمين والتخلص من الدين الإسلامى الذى ترى الصهيونية أنه عدوها الأساسى والاستراتيجى فى محاولاتها للسيطرة على العالم.

متطرفون يخربون مسجدا بكندا

قام عدد من المتطرفين والمناهضين للوجود الإسلامى بالاعتداء على مسجد «المهدى» بكندا، وتخريب محتوياته وكتابة تعليقات معادية على جدران المسجد وإشعال النار فيه.

من جانبه تقدم الفرع الكندى لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» ببلاغ إلى السلطات المحلية فى مدينة «بيكيرغ» بمقاطعة «أونتاريو» الكندية للتحقيق فى عمليات التخريب المتعمد للمسجد.

قال مسئولو المجلس فى بيان أصدروه عقب الحادث: نريد أن نتلقى ردا واضحا من المسئولين بالمقاطعة على ما حدث لوقف مثل هذه الاعتداءات العنصرية التى يتعرض لها المسلمون.

اقتراح فى البرلمان الإيطالى بمنع بناء المساجد

تقدم أعضاء من حكومة «سيلفيو بيرلسكونى» الائتلافية بمشروع قانون للبرلمان يخول الحكومة الإيطالية الحد من بناء المساجد فى إيطاليا بزعم أنها قد تستخدم فى نشر كراهية الغرب بين الجاليات المسلمة.

ذكرت تقارير صحفية أن «فيدريكو بريكولو» ممثل الاتحاد الشمالى الإيطالى المشارك فى الائتلاف الحاكم قدم الخطوط العريضة لهذا الاقتراح للبرلمان الإيطالى مؤخرا.

بموجب القانون المقترح ستخضع طلبات بناء أو فتح المساجد فى مبان قائمة وكذلك طرق تمويلها لإشراف السلطات المحلية التى سيخول لها تقييم مدى احتياج المنطقة لبناء مسجد.

كما سيتطلب بناء المسجد ـ حسب هذا الاقتراح ـ إجراء استفتاء شعبى محلى حوله فى منطقة بنائه.

تهديدات بتفجير مسجد المركز الإسلامى بتكساس!

تلقى مسئولو المركز الإسلامى بمدينة «الباسو» بولاية تكساس الأمريكية تهديدات من مجهولين على شبكة الإنترنت بتفجير مسجد المركز وتحويله إلى مركز للموت والدمار ما لم يتم إطلاق الرهائن الغربيين المحتجزين فى العراق.. وقد قام مسئولو المركز الإسلامى بإبلاغ الجهات الأمنية التى كثفت من دورياتها فى منطقة المسجد.. من جانبه قال د. نهاد عوض المدير العام لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير»: إن خطاب

العداء للإسلام فى الولايات المتحدة فى تصاعد مستمر مما يعطى تشجيعا للمتطرفين بأن يتصرفوا وفقا لرؤاهم المتعصبة التى تنشر العنف والإرهاب!!

حملة لمواجهة البرامج الإذاعية الأمريكية التى تروج الكراهية ضد الإسلام

أطلق مجلس العلاقات الإسلامية «كير» حملة لمواجهة البرامج الإذاعية الأمريكية التى تروج لخطاب «الكراهية ضد الدين الإسلامى» وذلك تحت عنوان «الكراهية تضر بأمريكا».

أوضحت «رابية أحمد» المنسقة الإعلامية فى «كير» أن الحملة انطلقت إيمانا بأن خطاب العداء والكراهية لن يقود فقط إلى وقوع اعتداءات على المسلمين والتمييز ضدهم وإنما سيؤدى أيضا إلى الإضرار بالولايات المتحدة عن طريق بناء بيئة من عدم التسامح والتعصب ضدها مشيرة إلى أن البرامج الإعلامية التى تحث على العداء ضد المسلمين كانت أحد أسباب تزايد عدد حالات الاعتداء ضد المسلمين الأمريكيين وممتلكاتهم.

وتتضمن حملة «كير» تزويد المسلمين بإرشادات تفصيلية للمشاركة فى الحملة ضد موجة الكراهية للمسلمين وسبل مراقبة الإذاعات المحلية وكتابة تقارير عما تتضمنه من عبارات تدعو للكراهية!

ضابط من المارينز يفضح جرائم الحرب الأمريكية بالعراق

كشف أحد ضباط «المارينز» الأمريكيين عن جانب من جرائم الحرب البشعة التى ارتكبتها قوات الاحتلال الأمريكى بالعراق خلال الفترة الماضية من قتل للمدنيين واعتداء على الأعراض!

قال الضابط الذى يدعى «جيمى ماسى» فى حوار لصحيفة «لومانتيه» الفرنسية إننى أخجل مما ارتكبناه فى العراق فمن بين التعليمات التى كنا نتلقاها وننفذها أن نلقى بالحلوى فى فناء المدارس وعندما يتجمع الأطفال نندفع لندهسهم بالدبابات «إم ٦٠»، وأضاف الضابط الذى ترك عمله بالقوات الأمريكية وعاد لمقر أسرته بولاية كارولينا الأمريكية.. خلال شهر واحد قمت أنا وفرقتى بقتل نحو ٣٠ مدنيا عراقيا وذلك خلال مهمتنا التى كلفنا بها فى محاصرة القرى وإحكام الرقابة على نقاط التفتيش.. وقد كنا لا نتردد أبدا فى إطلاق الرصاص الحى على أى سيارة تمر من نقطة التفتيش دون توقف.. ولذا فإن مشاهدة الدماء والقتلى من المدنيين العراقيين تلاحقنى كلما حاولت الخلود إلى النوم!!

وروى الضابط الأمريكى بعض الوقائع التى أطلقت فيه وحدته النار لتقتل المدنيين

فى نقاط التفتيش .. وخلص إلى القول : لقد دخلت إلى قائدى وقلت له إننا نرتكب حرب إبادة ضد العراقيين وإنها ليست الطريقة المثلى لتحريرهم وإعادة الديمقراطية لهم إلا إنه انصرف دون أن يرد بأى كلمة.

وعلقت الصحيفة الفرنسية بقولها : إن الانتحار كان هو الحل أمام عدد من الجنود الأمريكيين بالعراق للتخلص من الإحساس بالذنب .. واستدلت على ذلك بتصريح للمتحدث الرسمى باسم «المارينز» بالعراق بأن ٢٣ جنديا أمريكيا قد انتحروا عام ٢٠٠٣ فقط.

«الأذان» يزعج المستوطنين الصهاينة!

قامت مجموعة من المستوطنين اليهود المسلحين بالأسلحة الخفيفة بالهجوم على مسجد عمر المختار بالقرب من الحرم الإبراهيمى فى الخليل وقاموا بطرد المصلين الذين كانوا يؤدون صلاة العصر ، وبرغم استبسال المصلين الفلسطينيين فى الدفاع عن المسجد ، إلا أن انضمام بعض جنود الاحتلال الإسرائيلى إلى المستوطنين، أدى إلى التغلب على المصلين وطردهم خارج المسجد فى الوقت الذى سيطر فيه المستوطنون على المسجد وعاثوا فيه فساداً وخراباً.

وفى اليوم التالى مباشرة قامت مجموعة من جنود الجيش الإسرائيلى بالهجوم على مئذنة مسجد «النبى صموئيل» فى رام الله وأخذوا يطلقون نيرانهم على المئذنة حتى أوقعوا مكبر الصوت الذى يعلو المئذنة وعندما حاول إمام المسجد إثناءهم عما يفعلون اعتدوا عليه بالضرب.

***

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يؤكد :

نؤيد ونؤازر أى إصلاح للأمة على أن يأتى من داخلها

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد القضاء العسكرى المصرى - الأردنى، الذى يحضر دورة إعداد القادة العسكريين ، والذى ينظمه المركز القومى للدراسات القضائية ، ورحب فضيلته بالسادة القضاة فى الأزهر الشريف مؤكدا على أهمية القضاء فى الإسلام، وأنه على رأس المهام التى تقوم عليها الدولة ، فالقضاء الذى يسير على العدل ويعطى كل ذى حق حقه يُسعد المجتمع ويطمئن كل فرد فيه على صيانة حقه ويسود الدولة أفرادا وجماعات الهدوء والاطمئنان والسكينة ، والقرآن الكريم تحدث عن العدل من جوانب متعددة ، فأوجب العدل فى الأقوال لقوله ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾ الأنعام (١٥٢).

وأوجب العدل فى الشهادة فقال ـ تعالى :

﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ الطلاق (٢).

ومع العدو ومع الصديق لقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ المائدة (٨).

فالعدل مطلوب فى مناحى الحياة وفى الإصلاح بين الناس فلا يظلم فريق ولا يحابى فريق لأن العدل هو أسمى درجات الكمال وبوجود العدل يسود المجتمع الأمن والأمان، وميزان الأمان فى الأمة هو العدل ومنه يأتى الخير والرخاء.

وقد أوضح فضيلته بأنه عندما يوجد التعاون بين الأمة العربية والإسلامية ماليا واقتصاديا وعلميا ودينيا بصفاء النفوس وطهارتها فهذا هو التعاون الصادق الذى يأتى منه الخير والرخاء والقوة، ونحن نؤيد ونؤازر أى إصلاح للأمة على أن يأتى من داخلها لا من خارجها ومصر والحمد لله تسير فى هذا المضمار.

الإمام الأكبر يستقبل نائب رئيس المجلس الإسلامى الشيعى العالمى بلبنان

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سماحة الشيخ/ عبدالقادر قبلان نائب رئيس المجلس الإسلامى الشيعى العالمى بلبنان، وفضيلة الشيخ/ محمد غالب المفتى وفضيلة الشيخ/ محمد عصيان المفتى، والوفد المرافق، وأوضح فضيلته بأننا نتعاون من منطلق الحب الخالص لوجه الله ـ تعالى ـ وهذا التعاون يزيدنا ترابطا وقوة لخدمة ديننا وأمتنا ونحن نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، والأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى خدمة أبناء المسلمين فى كل مكان، ومن جانبه أوضح الضيف بأننا نعتز بعلماء الأزهر، ومصر دائما سباقة فى الوقوف إلى جانب أبناء المسلمين فى كل مكان. فالأزهر هو الذى يعلم أبناءنا التعليم الدينى فى المعاهد والجامعات، وقد تعلمنا أن المؤمنين إخوة لا تفرقنا الاجتهادات، والتفسيرات، لأن ديننا واحد، فنحن نعبد الله جميعا، وكعبتنا واحدة، ونقف ضد العدو فى فلسطين وفى العراق، لأن العدو يتعاون على إجهاض شعوبنا ويستثمر أموالنا، ويجعل الشعوب بلا دول.

وقال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف: إننا يجب أن نتعاون ونتكاتف ونكون قوة واحدة فى وجه أى اعتداء على بلادنا لقول الله تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ آل عمران (١٠٣).

وقوله:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ المائدة (٢).

وقوله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج (٤٠).

تشاد تطلب دعما علميا من الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة سفير دولة تشاد والوفد المرافق مؤكدا على العلاقة الطيبة الوطيدة لأننا تجمعنا قبلة واحدة ومصالح مشتركة، وقال: إننا بتعاوننا نكون قوة يشد بعضنا بعضا.

ومن جانبه أبلغ سعادة السفير تحيات رئيس جمهورية تشاد إلى فضيلة شيخ الأزهر الشريف ومؤكدا على أن مصر قبلة المسلمين العلمية لأن بها الأزهر الشريف، وأن النهضة الثقافية والعلمية فى دولة تشاد إنما هى من دور مصر العامل الفعال، وقال: إننا دائما فى حاجة لتوجيهات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، ونحن فى حاجة إلى جهود علمائه الأفاضل والمدرسين فى مراحل ما قبل الجامعة وفى الجامعة أيضا وفى حفظ القرآن الكريم، وطلب زيادة المنح الدراسية، والكتب والمراجع العلمية وحضور السادة علماء دولة تشاد للدورة التدريبية فى الأزهر الشريف وقد وعد فضيلته بتلبية طلباته ومتابعة السفارة فى ذلك.

وجيبوتى تطلب علماء ومدرسين

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير موجادرر سمنتر وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة جيبوتى، والسادة المستشارين المرافقين لسيادته، حيث رحب فضيلته بالوفد معربا عن أن الأزهر الشريف فى خدمة دولة جيبوتى التى نكن لها كل احترام وتقدير، داعيا لهم بدوام السداد والتوفيق رئيسا وحكومة وشعبا.

ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلته على الدور الريادى للأزهر الشريف، واصفا الأزهر بأنه منارة العلم والنور للمسلمين فى شتى بقاع الأرض. وطلب الوزير إمداد المجلس الإسلامى الأعلى بجيبوتى بمكتبة إسلامية تحتوى على كتب فى مجال الإفتاء. كما طلب زيادة أعداد الأئمة والوعاظ ليحضروا الدورات التدريبية بالأزهر الشريف، كذا طلب علماء ومدرسين من الأزهر للاستنارة بعلمهم وخبرتهم فى عمل المجلس بدولة جيبوتى، وقد وعده فضيلة الإمام الأكبر بتلبية طلباته.

الإمام الأكبر يستقبل وفدا ماليزيا رفيعا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الوفد الماليزى برئاسة السيد داتوا محمد على رستم كبير الوزراء بولاية ملاكا الماليزية وحرم سيادته يرافقه الحاج محمد رشيد رضا مفتى الولاية، والسيد/ جاها يا مات نائب رئيس اللجنة الإسلامية بالولاية، والسيد السفير/ أبوبكر داوود سفير ماليزيا بالقاهرة، والسادة مستشارى

السفارة الثقافي والتعليمي.

رحب فضيلته بالسيد كبير الوزراء، والسيدة حرمه والوفد المرافق مشيدا بالعلاقة الوطيدة بين الأزهر الشريف ودولة ماليزيا وقال: إنها صلة قديمة جدا، فعلماء الأزهر الشريف يذهبون لماليزيا ليعاونوهم في حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية ونشر التعليم الديني الإسلامي بيسره ووضوحه، وأن طلاب وطالبات ماليزيا يدرسون بمراحل التعليم الأزهرى المختلفة، وجامعة الأزهر الشريف ويجلسون بجانب إخوانهم المصريين ليتلقوا العلم النافع، ويقارب عددهم ٧٢٩٨ طالبا وطالبة، ويعيشون في مصر وطنهم الثاني وكأنهم مصريون، فنحن والحمد لله تجمعنا عقيدة واحدة ومصالحنا الإسلامية مشتركة، ونحن نكن لدولة ماليزيا كل تقدير واحترام، وتتمنى للسيد مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق دوام الصحة والعافية لما بذله من جهد خلال توليه منصبه، كما نتمنى لرئيس الوزراء الحالي كل السداد والتوفيق في عمله، كما أوضح فضيلته بأن الأزهر الشريف يسعده أن يأتي المزيد من طلاب وطالبات ماليزيا للالتحاق والدراسة بمعاهد الأزهر وجامعته العريقة، وقد شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على اللقاء الطيب البناء مؤكدا على عمق الروابط بين ماليزيا ومصر وأزهرها الشريف وقدم سيادته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة ولاية مالاكا الماليزية.

الإمام الأكبر يستقبل مفتى القدس

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس الشريف الذى جاء يشكر جهود مصر رئيسا وحكومة وشعبا على ما يبذلونه من جهد للقضية الفلسطينية، وقال: نحن دائما فى حاجة لعون الأزهر الشريف، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بفضيلة مفتى القدس داعيا للشعب الفلسطيني بأن ينصره الله حتى يستعيد حقوقه المشروعة فى أقرب وقت ممكن، وطلب الصمود والصبر من الشعب الفلسطيني مؤكدا على وقوف مصر وأزهرها الشريف دائما إلى جانب الشعب الفلسطيني وأن مصر تدعم الشعب الفلسطيني وقيادته بكل ما تملك.

ويستقبل وزير الأوقاف الفلسطينى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سماحة الشيخ يوسف سلامة وزير الأوقاف الفلسطيني والوفد المرافق لفضيلته حيث نقل معالى الوزير تحيات السيد الرئيس ياسر عرفات لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ولعلماء الأزهر مؤكدا على موقف الأزهر الفعال تجاه القضية الفلسطينية، كما أوضح معالى الوزير بأن الشعب الفلسطيني بطوائفه المختلفة يناشدون العالم كله بأن تتاح لهم الفرصة ليتمتعوا بالحرية فى أداء العبادات وهى حق للإنسان فى كل مكان،

ولا يريدون أن تتقطع الأرحام للشعب الواحد، وهذا من شأنه أن يترك الأثر النفسى الفعال فى نفوس الشعب الواحد، ونحن نريد أن نتنفس الحرية كباقي الشعوب لأن ديننا هو دين الحب والتسامح.

كما قام الوزير بالاتصال تليفونيا بالرئيس ياسر عرفات وتحدث معه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الذى أبلغه تحيات وتقدير مصر شعبا وحكومة ورئيسا مؤكدا على أننا فى مصر ندعو للرئيس ياسر عرفات ولشعب فلسطين فى كل وقت وفى جوف الليل أن يثبتهم الله عز وجل وأن يؤيدهم بنصره وأن تقوم دولة فلسطين برئاسة الرئيس ياسر عرفات وعاصمتها القدس الشريف

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ آل عمران (١٢٦).

وشكر الرئيس ياسر عرفات فضيلة شيخ الأزهر الشريف ومصر كلها رئيسا وحكومة وشعبا على ما يقدمونه لفلسطين وما يبذلونه من أجل الشعب الفلسطيني وقال: إننا بعون الله صامدون ونصر الله قريب ومعا نصلى فى القدس الشريف فى القريب إن شاء الله.

وزير الشئون الدينية والأوقاف الصومالى:

الأزهر هو المرجعية الرئيسية للعالم الإسلامى

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الدكتور/ محمود أحمد نور وزير الشئون الدينية والأوقاف بدولة الصومال يرافقه فضيلة الشيخ/ محمود عبدالبارى رئيس رابطة العلماء بالصومال، رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى الأزهر الشريف موضحا بأن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة لأبناء الصومال، وفى الأزهر الشريف طلاب وطالبات من الصومال يدرسون بمراحل التعليم المختلفة وفى جامعة الأزهر ويقدر عددهم بنحو ١٤٧٥ طالبا وطالبة، بجانب إخوانهم من الطلبة المصريين ويقيمون بمدينة البعوث الإسلامية وتقدم لهم كل الرعاية والعناية، ويوجد بعثة من علماء الأزهر الشريف فى الصومال قوامها ٢٦ عالما ومدرسا يقومون بتدريس المناهج الأزهرية بمعهد قرضو الابتدائى الإعدادى الثانوى، كما يستقبل الأزهر الشريف العلماء والأئمة والوعاظ من الصومال حيث يحضرون الدورات التدريبية مع أئمة ووعاظ العالم الإسلامى.

ومن جانبه أشاد معالى الوزير بدور الأزهر الشريف وعلمائه حيث يقف الأزهر الشريف إلى جانب أبناء الصومال ويعلمهم أمور دينهم بكل يسر ووسطية واعتدال، والأزهر هو المرجعية الرئيسية لأبناء الصومال بل للعالم الإسلامى كله، ونحن دائما لا نستغنى عن دور الأزهر

الشريف ونحن فى حاجة إلى العون والمساعدة من الأزهر الشريف، وقدم الشكر لمعادلة شهادتى المعهدين الأزهريين بالصومال، وطلب الوزير زيادة المنح الدراسية للدراسة بالأزهر كذا التنسيق بين الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف بالصومال لإرسال علماء من الصومال لحضور الدورات التدريبية بالأزهر الشريف، ووعد فضيلته بدراسة طلباته تمهيدا لتلبيتها.

الإمام الأكبر يؤكد:

العراقيون هم الأقدر على إدارة بلادهم

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير / عبدالله المعتوق وزير الأوقاف الكويتى يرافقه سعادة السفير / أحمد خالد الكليب، والوفد المرافق لهما حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقات بين البلدين وبخاصة وزارة الأوقاف الكويتية والأزهر الشريف، هذه العلاقة التى يسودها التعاون البناء لخدمة البلدين الشقيقين، لأنه تعاون يبنى ولا يهدم، يعمر ولا يخرب، يصلح ولا يفسد، ودار الحديث حول ما يجرى فى العراق فدعا فضيلته لدولة العراق أن تجتمع على كلمة ورأى واحد حتى تستقر الأمور فى أيديهم فيتحد الجميع لصالح بلدهم العراق والأمة العربية والإسلامية وأن يتم تسليم العراقيين أمور بلادهم وهم أقدر على تسيير أمورهم وبناء بلدهم لأنهم أدرى بمصلحة بلدهم، وأشار فضيلته إلى أن تعاون الأزهر والكويت تعاون بناء فى مجال التعليم حيث يوجد معهد أزهرى بالكويت يقوم بتدريس المنهج الأزهرى بكل يسر وسهولة ووضوح، وعلماء الأزهر الشريف الموفدين للكويت يؤدون عملهم على أكمل وجه لتعليم أبناء الكويت الشقيق وهذا واجب الأزهر الشريف من أجل التواصل والتعاون والمحبة، ومن جانبه شكر الوزير فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء الأخوى الصادق الذى من شأنه أن يوطد التعاون بين الكويت ومصر وأزهرها الشريف وأبلغ تحيات وتقدير صاحب السمو رئيس مجلس الوزراء لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وقدم الدعوة لفضيلته لزيارة الكويت.

الإمام الأكبر:

واجب علماء الأزهر هو بيان الأحكام الشرعية وتوضيحها

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / عبدالعزيز ناصر الكميم سفير اليمن بالقاهرة حيث رحب فضيلته بمعالى سفير اليمن بالقاهرة مشيدا بالعلاقات الطيبة بين مصر ودولة اليمن مؤكدا على أن الأزهر الشريف فى خدمة المسلمين فى

كل مكان وبخاصة دولة اليمن، لأن واجب علماء الأزهر الشريف هو بيان الأحكام الشرعية وتوضيحها وخاصة فى ظل المتغيرات الحالية التى يشهدها العالم ومؤكدا على وحدة الصف العربى الذى من شأنه أن يقوى المسلمين ويجعل لهم شوكة بتعاونهم وتضافرهم وبذلك يكونوا فاعلين ومؤثرين، ويعمل لهم ألف حساب.

ومن جانبه أوضح سعادة السفير أنه يكن لمصر وأزهرها الشريف كل مودة وحب وتقدير وأيضا شعب اليمن وحكومته وأنه حضر يحمل لفضيلة الإمام الأكبر دعوة لحضور المؤتمر الذى سيعقد فى صنعاء فى شهر يونيو تحت عنوان «مؤتمر الإرشاد» الذى يدور محور موضوعاته حول معانى اللين وتأكيد دور المسجد، وتعميق معانى الإرشاد والخطاب الدينى ودور الأزهر الشريف بقياداته للتصدى فى هذه الأيام لمن يدَّعون العلم والمعرفة والفتيا الغير صحيحة، وأوضح أن اليمن حريص على حضور فضيلته لهذا المؤتمر ليبين للناس يسر الإسلام وسماحته ووسطيته، ودار الحديث حول الجهاد والإرهاب فقال فضيلته: إن الفرق بين الجهاد والإرهاب هو الفرق ما بين السماء والأرض، فالجهاد شرع لرد العدوان ومن أجل الدفاع عن الدين والنفس والعقيدة والكرامة الإنسانية كما شرع لنصرة المظلوم سواء أكان مسلما أم غير مسلم، أما الإرهاب فهو الاعتداء على الأنفس والمال والكرامة الإنسانية وهو التخريب والإفساد فى الأرض والعدوان على أموال الناس وأعراضهم ومسكنهم وكل ما يتعلق بحقوقهم، والأزهر الشريف يدين الإرهاب بكل صوره وأشكاله ضد الآمنين الأبرياء.

الإمام الأكبر يستقبل مفتى البوسنة والهرسك

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سماحة الشيخ مصطفى استريتش مفتى البوسنة والهرسك الذى قدم شكره للأزهر الشريف على إرسال الوفد الأزهرى للبوسنة والهرسك، وما قدمه من مجهودات فعالة فى تعليم أبناء البوسنة اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم وتجويده، مشيرا إلى أنه يوجد العديد من المدارس الدينية، كما رغب فضيلة المفتى فى أن يقوم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة للبوسنة والهرسك ليلتقى بالمسلمين وليتفقد تلك المدارس للوقوف على ما تقوم به من تطبيق الوسطية والاعتدال الذى تعلمناه فى الأزهر الشريف ومن علمائه الأجلاء، كما أتمنى أن نصلى فى بيت المقدس.

وقد رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف مؤكدا على أن الأزهر الشريف وعلماءه فى خدمة المسلمين فى البوسنة والهرسك.

الأزهر ينظم دورة تدريبية جديدة لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية العالمية الرابعة والستين لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى وعددهم ٢٢ إماما وواعظا من دول سيراليون والكاميرون وتشاد وأندونيسيا، ومالاوى، والفلبين، والصين، وقد بدأت فى ١ / ٢ / ٢٠٠٤ وانتهت فى ٣٠ / ٤ / ٢٠٠٤ تلقوا خلالها التدريب على الوعظ والفتيا والفقه وعلوم الدين، والتفسير والحديث وقضايا معاصرة من أساتذة وعلماء الأزهر الشريف وعلى رأسهم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وذلك ليكونوا مؤهلين لنقل ما تعلموه لأبناء بلادهم.

وقد ألقى فضيلته كلمة فى الخريجين قال فيها: إن الله - عز وجل - أوجدنا فى هذه الحياة لكى نؤدى رسالتنا لأننا كعلماء مطالبون بأن نبين للناس حقائق الإسلام ورسالته، ونبين ونوضح أن الدين الإسلامى الحنيف يبنى ولا يهدم، ويجمع ولا يفرق، ويعطى لكل ذى حق حقه سواء أكان مسلما أم غير مسلم، وأن يتعاون الجميع على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، كما أمرنا الإسلام بأن نتحلى بمكارم الأخلاق، وأن نتمسك بمبادىء الإسلام السمحة وأن نكون قدوة يحتذى بنا فى أقوالنا وأفعالنا وسلوكنا وكل تصرفاتنا، وبذلك نكون حقا علماء ورثة للأنبياء وأوصيكم حين تعودون إلى بلادكم أن تلتزموا بما تعلمتموه من يسر الإسلام وسماحته ووضوحه وهى السمات الطيبة لشريعة الإسلام وهى بعيدة عن التعصب والمغالا.

ثم قام فضيلته بتوزيع الشهادات عليهم وأهدى كل واحد منهم مكتبة إسلامية للرجوع إليها ولتكون مرجعا للاستعانة بها، كما افتتح فضيلته الدورة التدريبية رقم ٦٥ للأئمة والوعاظ من دول: الجزائر، السودان، ماليزيا، أندونيسيا، تشاد، غانا وعددهم ١٩ إماما وواعظا.

شهد حفل التخرج والافتتاح فضيلة الشيخ / محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ الطاهر الحامدى الأمين العام للجنة العليا للدعوة وعدد من سفراء الدول الإسلامية.

***

Showing kind treatment to one's parents is amongst the most stressed upon commands in Islam, since it involves showing a kind of obligatory loyalty and dutifulness. Allah, the Ever-Glorious, says:

﴿And your Lord has decreed that you should not worship any except Him (only) and (to show) fairest companionship to parents; in case ever one or both of them reaches old age in your presence, do not say to them, "Fie!", neither scold them; and speak to them respectful words. And lower to them the wing of humbleness out of mercy and say, "Lord! Have mercy on them, as they reared me (when I was) small."﴾

[Al-Isra' (The Night Journey): 23-24]

Additionally, in Islam there is a great stress on showing kind treatment to women. That is, Islam makes showing good treatment to women as a measure of the believer's righteousness. This can be clearly witnessed in the words of the honorable Prophet in which he says, *"Those of perfect faith among the believers are those possessing good manners, and those of great righteousness are those doing good to their wives."*

The greatness of Islam can be witnessed in the non-distinction between those who follow it and those who oppose it. Put differently, Islam commands us to guard their properties and honor and to keep away from causing them any harm.

This is the Law of Allah concerning kind treatment; is there any resemblance between it and what the West claims of preserving human rights?! Here, the difference becomes clear between what has been decreed by Islam concerning kind treatment and what is called for by the positive laws.

Kind Treatment In Islam

By: The Dignified Sheikh 'Adel Refaey Khafajah

It is from fairness to say that Islam is the religion that calls to kind treatment among all mankind. Islam's tolerant instructions have made kind treatment a methodology in people's life encompassing them all in an environment of love and amicability. Islam does not restrict such a treatment to those who adhere to it; rather, it wishes to spread good and kind treatment among all people; and even exceed the world of man to that of birds, animals, plants, as well as the surrounding environment.

Thus, Islam does not only call and exhort people to show kind treatment, but it also attaches it to faith. In this relation, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) has said, *"None of you truly believes until he likes for his brother whatever he likes for himself."* Hence, it becomes clear that kind treatment begins substantially through man's conscience of which none knows anything save Allah, Exalted and Glorified be He, so man has been exhorted to love for others what he loves for himself. Does anyone love for himself/herself to be deceived or wronged?

Thereupon, if the believer surrenders to the command of his Lord and loves for his fellow what he loves for himself, then will there be any wronged or deceived person? Since this command (to love for others what one loves for himself) is general, the Lawgiver (i.e., Allah, then the Prophet) has offered the details so that people may not feel satisfied by mere feelings or wishes and do their best. This is because Islam is the religion of deeds, and thus, it expects from its followers to observe deeds of significance. That is, the Lawgiver has detailed such a command in various points which, in fact, represent a comprehensive methodology for kind treatment in Islam.

The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) would command his followers to treat and deal with others in cordiality. In this regard, he says, *"Your smile in the face of your brother is a charity."* Here, if the first meeting is characterized by love implied in the word 'smile,' the conversation, after the meeting, will be encompassed by love. Allah, the Almighty, says:

﴿And speak fair to mankind﴾ [Al-Baqarah (The Cow): 83]

Moreover, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) says, *"The good word is a charity."*

Due to the importance of deeds, Islam does not only exhort to smiling, greetings and fair talk in order to stress upon love and kindness among people, but it also command people to do good. Allah, Exalted be He, says:

﴿Whatever charity you do expend, (then) it is for yourselves; and whatever you expend (should be) for nothing except for your seeking the Face of Allah; and whatever charity you do expend shall be (paid) to you in full, and you are not to be done an injustice.﴾ [Al-Baqarah (The Cow): 272]

In addition, the Prophet says, *"He who meets the need of his fellow Muslim, Allah will help him having his own need fulfilled."* He also says, *"The most righteous among people are those who are most beneficial to them."*

Besides, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) commands people to do as they say. Rather, he warns them against being satisfied by only sweet and kind talk which is not supported by actions. In this connection, Allah, the Ever-High, says:

﴿O you who have believed, why do you say that which you do not perform? Greatly (detested) in the Reckoning of Allah, that you say that which you do not perform.﴾

[As-Saff (The Ranks): 2-3]

*And what they conceal in their hearts is greater

By: Dr. Hamdy Fotouh Wali

Nowadays, Muslims cannot find what they may seek refuge in and resort to except their firm belief in their Lord, their full trust in His ability to support them, their true loyalty to Him, and their reliance on Him. Both reality and history affirm that the Islamic World does not sell its religion. That is, Muslims prefer death defending their cause to being led astray by malicious thoughts and cowards who have lost their honor and religion and have been pleased with living at any cost.

Does any of the mindful have doubt that what the purposeful West does, regarding the so-called campaign of eliminating terrorism, is nothing but mere deception and coverup and that its real aim is to eliminate Islam, as a creed, worship, manners, morals and behavior? We can feel this clearly after it has been encouraged by its success with regard to the first phase of its plan; namely, causing Islam to fall in both *Shari`ah* (Law) and system.

We are fully aware that there are tremendous efforts exerted to confine Islam in the circle of mere spiritual belief and rites and preventing it from interfering in the system of real life or having any influence on it, as well as preventing it from exercising full authority over every realistic activity in the human life. Such efforts have achieved their goals through the Crusade planning first designed by Louis the 9th, king of France. His military campaign to invade the East was followed by many others; however, they all failed to ruin the entity of the Islamic Nation. But they returned to their homes with important lessons and comprehensive studies by which they could prepare for their next campaigns. Moreover, they assigned a great army of their scholars and intellectualists known today as 'orientalists' to study the affairs of the East. Those orientalists have been urged to specialize in the study of Arabic and Islamic Creed as well as all that which relates to the Muslims' Creed and rich heritage. Those orientalists represent a massive danger against Islam and Muslims. They have conducted numerous studies on the points

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine

Muslims. They have conducted numerous studies on the points of strength of the Islamic nation to weaken them, as well as the points of weakness to make use of them as a means of penetration. The conclusion they derived from their studies affirms that the strength of Islam and Muslims lies in three main aspects: the Caliphate, *Shari`ah*, and Creed.

In this regard, one of the British orientalists warns his people not to be satisfied by just colonizing countries or causing the fall of the Caliphate, invalidating the *Shari`ah* and changing the governing systems. He says, "The Islamic movements evolve at a very astonishing speed. Such movements arise suddenly without a prior indication so that the observers cannot notice them. This is because, the Islamic movements lack nothing but leadership; they lack nothing but a new Saladin."

Then he demonstrates to his people where the danger of Islam lies; he refers to the importance of education and press in effacing the character of the Islamic Nation and alienating it from its Creed (i.e., Islam). He says, "The only way to decide how much the Islamic Nation is alienated is to make sure to how extent does education comply with the Western system, principles and thought. The main goal is to make the educational system comply with the Western style; this is the only way."

Such a devilish plotting is their means that have achieved success in all the Arab and Islamic countries. Such a malicious scheme is apparent sometimes and concealed at most times. However, what their hearts conceal becomes a deadly poison on their tongues and on the pages of their press.

True are the Words of Allah in which He says:

﴿Abhorrence has already been displayed of their mouths, and whatever their breasts conceal is (still) greater. We have made evident to you the signs, in case you consider.﴾

[Al-Imran (The Household of Imran):118]

unpunished, then evil will take possession of him and he will continue in his crimes fearlessly. The most obvious example on the evil consequences that took place after the invalidation of death penalty was that some countries, which decided to invalidate it, returned to apply it again as they were astonished at the spread of crimes. True are the Words of Allah in which He says:

﴾And in retaliation there is life for you.﴿ [Al-Baqarah (The Cow): 179]

Let us now objectively tackle the proofs of those who call for the invalidation of death penalty followed by the proofs of those who oppose such invalidation. This is to let the reader decide for himself which party he/she may join.

First: Proponents of Invalidation Say:

1- When it wishes to punish killing, Law should uproot death penalty from its articles instead of effecting a penalty raising much criticism.
2- Killing the criminal is a loss for the country, as it will lose two persons by effecting death penalty. In addition, killing the murderer will not do any good for the people of the victim.
3- Such a penalty represents cruelness and barbarianism. Moreover, it is unfair to continue effecting such a penalty causing pain to the noble human feelings.
4- As soon as such a penalty is effected, it becomes impossible to correct its unjust effects if it is known afterwards that such a penalty has been built on false evidence.
5- Death penalty is a horrible punishment that can be replaced with other punishments such as life sentence or solitary confinement.
6- It has become noticed that crimes decrease in the countries that invalidate such a penalty.
7- Death penalty prevents rectifying the criminal despite the fact that punishment has originally been prescribed to rectify the criminal.

Second: The Opponents of Invalidation Say:

1- By effecting such a penalty, Law represents community, while the killer, by committing his crime represents only himself. What is forbidden for the individual is not necessarily to be forbidden for the community. Since Law has the right to impose fines and confiscation, it has the right to effect such a penalty as well.

2- It is unreasonable to say that the country, when effecting such a penalty, loses a person. Contrarily, the country will win by doing so; this is because if the killer is left unpunished, the community will not feel secure from his evils. Claiming that killing the murderer will not do any good to the people of the killed person disregards completely the psychological aspect of those people. That is, their grieve and sadness will be relieved when the killer undergoes fair punishment.
3- Claiming that such a penalty represents ruthlessness and barbarianism, it is a false claim. In other words, ruthlessness is represented in the killer when he dares to commit such a crime.
4- Claiming that if the death penalty is baselessly effected, there will be no compensation, it is a superficial argument. This is because such a case is very rare since the Judicial Authorities take their precautions not to commit such a mistake. In this regard, the Islamic *Shari'ah* does not permit effecting such a penalty except after the confession of the killer or the testimony of two eyewitnesses.
5- Alleging that death penalty is a horrible punishment and it should be replaced by other punishments such as life sentence, it is as if escaping from an evil to a more evil one. That is, some criminals commit suicide when they are sentenced to life imprisonment.
6- Claiming that crimes have decreased in the countries that have invalidated such a penalty, it contradicts facts and reason. On the contrary, the countries which effect such a penalty are the ones in which crimes have decreased. In India, for example, it has been proved that it effects the death penalty on 25 persons annually though its population exceed 966 millions.
7- Though we agree that death penalty prevents rectifying the criminal, we should know that life sentence does not guarantee the rectification of the criminal as well.

After this objective discussion, we can call for keeping such a penalty as a means of rectifying and securing community.

and renounce the religion afterwards?' I replied, 'No.' Heraclius said, 'Have you ever accused him of telling lies before his claim (to be a Prophet)?' I replied, 'No. He is well known among us by his truthfulness and honesty.' Heraclius said, 'Has he ever betrayed?' I replied, 'No.' Heraclius asked, 'Have you ever had a war against him?' I replied, 'Yes.' Then he said, 'What was the outcome of the battles?' I replied, 'Sometimes he was victorious and sometimes we were victorious.' Heraclius said, 'What does he order people to do?' I said, 'He tells people to worship Allah Alone and not to worship anything along with Him, and to renounce all that our ancestors had worshiped. He orders people to pray, to speak the truth, to be chaste and to keep good relations with their Kith and kin.' Upon hearing this, Heraclius said, 'If what you have said is true, he will very soon occupy this place underneath my feet (i.e., will become of great status among the people.'"

This story states some of the Prophet's noble manners and sublime attributes. These are the characteristics of Islam whether in peace or in war. We remember this while we witness what is happening now in Palestine and Iraq including the killing of children, women and old people, the demolishment of houses and assassination of those who claim their rights and calling them terrorists. Such crimes include the hideous assassination of the two Palestinian leaders, Sheikh Ahmed Yassin and Dr- Abdul-Aziz Ar-Rantissi, who were slain by Israeli missiles in less than a month. The Israeli warplane fired three missiles and killed sheikh Ahmed Yassin ,after he had performed the *Fajr* (Dawn) Prayer. Sheikh Yassin was assassinated along with eight Palestinians who were performing prayer with him. The Israeli Prime Minister, Ariel Sharon, made two statements in which he congratulated the armed forces for their success in assassinating Sheikh Yassin and Dr. Ar-Rantissi. Nevertheless, the killing of Sheikh Yassin would not have needed such destructive weapons; he was a very old paralyzed man imprisoned in his wheelchair. The matter did not stop at this extent, but the United States of America resorted to the veto against the decision submitted by the Arab Countries to Security Council to condemn that brutal crime. This is their so-called civilization, democracy, and call for preserving human rights. In fact, they are calling us to renounce our idealities represented in Islam and believe in the civilization of assassination, demolishment, injustice, dissensions, and deprivation of freedom.

Calling off and Calling for Death Penalty

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

The 18th century witnessed intellectual wars between those who supported the invalidation of death penalty and those who opposed it. That debate has continued until the present and it involves Egyptian, British, Belgian and Italian intellectualists; each party has its own proofs to substantiate its claims. That debate has its far-reached consequences to the degree that some countries have permanently invalidated the death penalty and replaced it with life sentence or solitary confinement. In addition, some countries, which see the inevitability of executing such a punishment, have found themselves obligated to minimize the number of crimes entailing death penalty. Other countries have begun to use light means in execution.

The Heavenly Laws call for the execution of death penalty and applying it to crimes that cannot be deterred except through such a punishment. The *Torah* (Old Testament) states the obligation of killing a self for a self; Allah, Exalted and Glorified be He, says:

﴿And therein We prescribed for them (that) "The self for the self..."﴾

[Al-Ma'idah (The Table): 45]

The Islamic *Shari'ah* (Law) considers the death penalty as a means of deterring the killer as Allah, the Almighty, says:

﴿O you who have believed, prescribed for you is retaliation concerning (the ones) killed: the freeman for the freeman, and the slave for the slave, and the female for the female. Yet whosoever is offered anything in clemency by his brother, then the following after should be with beneficence, and the payment back to him should be with fairness. This is lightening from Your Lord, and a mercy; then, he who transgresses after that, then he shall have a painful torment. And in retaliation there is life for you, O (men) endowed with intellects, that possibly you would be pious.﴾ **[Al-Baqarah (The Cow): 178-179]**

We are fully aware that life is a vast field for quarrel and fight, and that some people find it hard for themselves to respond to the path of good and right as their nature involves oppressive ruthlessness; they set their fingers in their ears so as not to listen to the call for virtue, tolerance and fear of Allah. Thereupon, there must be a fair penalty for such people indulged in evil and wickedness. That is, if the killer believes that he will escape with his crime

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabiul-AKher 1425 A. H.



ENGLISH SECTION

June. 2004

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

Islam's Civilization Not America's Civilization

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah, Exalted be He, has praised the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) saying:

﴿Indeed there has already come to you a Messenger from (among) yourselves, mighty burdensome to him is whatever distresses you, most eager is he for your (welfare), to the believers ever-compassionate, ever-merciful.﴾ **[At-Tawba (Repentance):128]**

Hence, Allah has stated a measurement of greatness and civilization based on manners away from worldly matters including wealth, authority, technology, etc.

The Qur'an is full of the verses that make mention of the Prophet's great manners and attributes. In this regard, 'Abdullah Ibn 'Abbas narrated, ***"Abu Sufyan Ibn Harb informed me that Heraclius had sent a messenger to him while he had been accompanying a caravan from Quraysh. They were merchants doing business in Ash-Sham[1], at the time when Allah's Messenger had truce with Abu Sufyan and Quraysh's infidels. So Abu Sufyan and his companions went to Heraclius. He called for his translator who, translating Heraclius's question, said to them, 'Who amongst you is closely related to that man who claims to be a Prophet?' Abu Sufyan replied, 'I am the nearest relative to him (amongst the group).' Heraclius said, 'Bring him (Abu Sufyan) close to me and make his companions stand behind him.' Abu Sufyan added, Heraclius told his translator to tell my companions that he wanted to put some questions to me regarding that man (The Prophet) and that if I told a lie they (my companions) should correct me. The first question he asked me about the Prophet was, 'What is his family status amongst you?' I replied, 'He belongs to a good (noble) family amongst us.' Heraclius further asked, 'Has anybody amongst you ever claimed the same (i.e. to be a Prophet) before him?' I replied, 'No.' He said, 'Was anybody amongst his ancestors a king?' I replied, 'No.' Heraclius asked, 'Are those who follow him from the nobles or from the poor?' I replied, 'It is the poor who follow him.' He said, 'Are his followers increasing or decreasing (day by day)?' I replied, 'They are increasing.' He then asked, 'Does anybody amongst those who embrace his religion become displeased***

[1] Ash-sham: It is a region that includes Syria, Palestine, Lebanon and Jordan

الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير
أ. د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير
سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي

داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الأولى ١٤٢٥هـ - يوليو ٢٠٠٤م - الجزء الثامن - السنة السابعة والسبعون

افتتاحية العدد

انحدار المستوى العلمي في الجامعات المصرية

تكشف لجان الاختبار عن حقائق مذهلة حين يتقدم حامل الليسانس أو البكالوريوس إلى الوظائف العامة في المؤسسات والإذاعة وغيرهما، إذ يُسأل الجامعي المثقف عن بدائه مبدئية فلا يدرى عنها شيئاً، يُسأل عن مدينة «بروكسل»، فيقول إنها اسم طبيب، بل يُسأل عن عاصمة محافظة من محافظات الجمهورية المصرية فلا يعرفها إسماً وموقعاً، حتى لتشك لجنة الامتحان في أن المسئول جامعي حقاً، ولكن تكرار هذا النوع الأمي وتعداد مشاهداته في اللجان المختلفة، كاد أن يجعل الأمر مألوفاً.

وأنت تحار في سبب هذه الأمية التي فاقت الأمية الأبجدية في خطورتها، فالأمي غير المتعلم معذور حين يجهل كل شيء، ومع ذلك فقد يعرف ما لا يعرفه المتعلم المثقف، إذا قورن بينهما في بعض مناحي السلوك الإنساني! أليس عجيباً كل العجب أن تجد لدى بعض الأميين من ساكني الريف المصري من وسائل ضبط النفس في أحرج المواقف، ولباقة التصرف عند تصادم الرغبات، وحسن الاحتيال للخروج من المأزق ما قد يتعذر وجوده لدى الشباب المتعلم أو لدى بعض الشباب المتعلم لأننا نلتزم الدقة في التعبير، ولا نقصد التشهير بحال. إنما نسعى للعلاج!

لقد كتب الدكتور محمد مندور مقالاً في الأربعينيات تحت عنوان «أمية المتعلمين» ذكر فيه أن الجامعي من خريجي الجامعات الأوروبية يعلم من حقائق الاجتماع وعلم النفس وقواعد السلوك الإنساني ما يساعده على أداء وظيفته المهنية مهندساً أو طبيباً أو محاسباً أو محامياً، بحيث صارت هذه الدراسات الإنسانية ضرورة من ضرورات المهنة لمن يتعامل مع الناس، ولكن المهندس أو الطبيب أو المحاسب المصري لا يلم بهذه الدراسات الضرورية لسلامة سلوكه في الحياة باعتبار أنها بعيدة عن تخصصه وتلك أمية شنيعة في نظر الدكتور محمد مندور - رحمه الله - فما ذا عسى أن يقول لو امتد به العمر إلى الآن ووجد الجامعي المصري ليس بعيداً عن


محمد مندور

الدراسات الإنسانية فحسب، ولكنه بعيد عن البدائه الضرورية التي يستوى لديها المثقف وغير المثقف؟! ماذا يقول الدكتور محمد مندور لو وقف على ما يظهر في لجان الاختبار الشفوى من مآس تذهب بنا إلى حد الاندهاش، ثم ألا من علاج لهذا الافتضاح!.

الصراحة الواجبة

وما دمنا قد تحدثنا عن إخفاق الجامعة في تثقيف أبنائها الطلاب، فلابد أن نتحدث عن أسباب هذا الإخفاق، بل لابد قبل الحديث عن الإخفاق الثقافي، أن نشير إلى الإخفاق التربوى، لأن إغفال الجامعات لتنمية السلوك الإنساني، وتنشئة الطالب نشأة إسلامية تلتمس قواعدها من أخلاق القرآن، وسنة الرسول، وسيرة السلف الصالح، هذا الإغفال جعل بعض الشباب يميل نحو الانحراف، إذ لا يعصمه من الزلل نص محكم من كتاب الله، أو درس تهذيبي يريه النمط المنشود في الحياة، وبعض من قرءوا كتب الشريعة من الطلاب لم يصلوا إلى لبابها المقصود، فالتبس الحق بالباطل في خواطرهم، ولابد لنجاح السلوك الإنساني في الحياة أن تهتم الجامعات بالتنشئة الإسلامية، وأن تجعل السلوك القويم موضع التفوق وأهم وسائل النجاح في مضمار الحياة.

ولاستيعاب التربية الخلقية للشاب الجامعي مكان آخر بسطنا فيه وسائل التهذيب الإنساني، ونريد الآن أن نخص الإخفاق الثقافي لدى متخرجي الجامعة بما يبرز نواحي الضعف الملموس دون محاباه.

مستوى الجامعة

ولا أقصد جامعة بعينها، ولكننا نسجل ظاهرة الهبوط في المستوى الجامعي إذا قيس بما سبقه من المستويات والأدلة حاضرة عند الموازنة بين جامعي اليوم، وجامعي الأمس، والفرق بينهما بعيد بعيد.

لقد اقتربت الكلية الجامعية الآن من المدرسة الثانوية، حيث أصبح الطالب لا يستشعر فرقاً واضحاً بين طريقتي الدراسة في الأولى والثانية، فإذا انتقل من السنة النهائية في المرحلة الثانوية، وواجه التعليم الجامعي، وجد المدرس يلقن، ويشرح ويلخص الدرس، وذلك ما يعهده من قبل، فأين الفارق إذن؟

إن الفلسفة التعليمية التي قام عليها الاتجاه التعليمي في الجامعة موازناً بما سبقه، أن طالب المدرسة الثانوية يلقى المعلومات الغائبة عن ذهنه ليفهمها ويستوعبها، ويمتحن في موادها آخر

العام الدراسى، أما الطالب الجامعى فلابد أن يشارك بنفسه فى تلقى المعلومات، فيعرف مصادرها، وطريقة البحث عنها ثم يعرض ما انتهى إليه ليجد التصحيح من الأستاذ إذا أخطأ، كما يجد من يرشده إلى ما غاب عنه، كى يستكمل البحث على وجهه الصحيح، وهنا يكون الطالب الجامعى أستاذ نفسه حين يعانى ضروب البحث فى المصادر النظرية، والمعامل العلمية، كما يكون تلميذ أستاذه حين يعرض نتائجه عليه ليقوم ما أعوج، ويكمل ما نقص.

أفنستطيع فى ظل هذا المفهوم الذائع بالجامعات العريقة فى أوروبا وأمريكا أن نزعم أن الطالب الجامعى العربى اليوم يشارك أستاذه فى تحصيل المادة، أو نزعم أن الأستاذ يجد لديه من سعة الصدر، ومن انفساح الوقت نسبيا ما يدفعه إلى الرصد الدقيق لخطوات الطالب العلمية، وإعداده لاكتشاف الجديد، وإذا تعذر ذلك بل استحال كما ينطق به الواقع الملموس، فأى فرق بين المدرسة الثانوية والكلية الجامعية فى إعداد العقول، وتهيئة وسائل الابتكار والتجديد؟!

إننا نعرف أن مهمة الجامعة الأولى فى غير بلادنا العربية أن تبرز من ذوى الثقافة الأصيلة من يستطيعون الاشتراك فى قيادة البلاد وتوجيهها اقتصادياً واجتماعياً وعلمياً، بما يبحثون من مشكلات، ويبتدعون من الحلول، ونحن نغرق فى أزمات تستدعى من أساتذة الجامعات طول الدراسة، والخروج بالحلول الملائمة، ولكن قل أن نجد كلية متخصصة فى موضوع الأزمة الاجتماعية أو الاقتصادية أقامت دورة علمية لمناقشة مشكلة تدخل فى دائرة اختصاصها، وخرجت على الناس بالحلول العلمية، مؤيدة بالإحصائيات، فوجد انفصام بين موظفى الوزارات من كبار القائمين على الإدارات التوجيهية، وبين أساتذة الجامعة الذين يشاركونهم الاتجاه العلمى والعملى فى ميدان الواقع، بل وجد انفصام كبير فى أكثر من تخرجه الجامعة من مؤلفات يتداولها الطلاب إذا قيس بما يضطرب به المجتمع العربى من مشكلات تتطلب الحلول، وكان الواجب أن تكون الجامعة بأساتذتها الكبار، ومؤلفاتها المتداولة مصباح هداية ينير ما ادلهم من مشكلات الحاضر، ولكن الواجب شىء، وما نرى شىء آخر!.

ونترك المرحلة الجامعية الأولى إلى ما بعدها من مرحلة الدراسات العالية، لننظر فى البحوث التى يقدمها الطلاب وينالون عليها درجات الماجستير والدكتوراة، ولا نجادل فى أن بعض هذه البحوث قد استقام على الطريق الصحيح، حين وجد الدارس الكفء، والمشرف البصير، والفاحص الناقد، فأبرز فى المجال العلمى شيئا ذا بال، ولكن هذا البعض النفيس قليل إذا قيس بالكثرة المعهودة بيننا اليوم، لقد كان طالب الدراسات العليا من قبل يختار بمقاييس دقيقة، بحيث لا يتهيأ لمرحلتى الدكتوراة والماجستير إلا ذوو المواهب العلمية الرفيعة، وهؤلاء يستشعرون حرارة العمل تنبعث فى عروقهم فلا يهدأون حتى يخرجوا الجيد إن لم يكن الممتاز الرفيع، ومن ورائهم المشرفون يقودونهم إلى مراحل عالية تعنى بالجديد النافع، ولا تنخفض

إلى المكرر المعاد.

هذا ما كان من قبل، وما لمسناه فى الأفواج الرائدة التى أشرقت بها الجامعات حينئذ، أما الآن فقد أصبح الحصول على الدرجة المناسبة للالتحاق بالدراسات العليا ميسوراً للأكثرية بفضل العطف والرحمة لا العدل والإنصاف، وصار من هم أكثر الطلاب أن يجد من يأخذ بيده لينال اللقب العلمى النهائى، والنبوغ فى حقيقته شحيح بين الناس، لأن الابتكار ليس وقفاً على العامة أو الخاصة، بل هو وقف على خاصة الخاصة، فإذا تهيأ للدكتوراة من قعدت به مواهبه دون الابتكار، فماذا عسى أن يصنع، إنك تطالع رسالته التى منحت أرقى الدرجات العلمية وتتساءل عن الجديد فلا تكاد تجد، وإن الحسرة تكون شديدة حين تجد الموضوع مطروقاً، مع أن البدهى الواضح أن يكون الموضوع بجدته ميداناً للبحث الطريف، كما تتزايد هذه الحسرة حين تجد الموضوع على قدمه وتكراره لم يستوف ما قيل، ولم يستقم على منهج يصل بالمقدمات إلى النتائج فى طريق صحيح، وتعم المفاجأة الأليمة، حين تجد صاحب هذا النقل الواضح قد نال أرقى الدرجات العلمية، وأخذ مراتب الشرف العليا، فليت شعرى كيف يتساوى بالقلة القليلة ممن أبدعوا فى هذا المجال؟ وإذا كانت الدرجة العالية قاسماً مشتركاً بين النابه والخامل، والأصيل والدخيل، فكيف يرتقى البحث إلى مداه البعيد؟

ثم ماذا؟ ثم نجد بعد سنوات قليلة هذا الذى نال الدرجة على غير استحقاق قد ترقى فى السلم الوظيفى بالجامعة، فأصبح بدوره أستاذاً للدراسات العليا، وأخذ يشرف على الرسائل الجامعية التى يتهيأ لها الطلاب، وفاقد الشىء لا يعطيه، وإذا كان المشرف على ما وصفناه من الضحولة، وضيق الأفق، فكيف يكون طابعه المتلمس فى مجاله الدقيق؟

على أن الكثرة الكاثرة من أفواج الطلاب فى الكليات العملية قد جعلت الصلة بين الطالب والأستاذ هامشية لا تتأصل على قاعدة راسخة، فبعد أن كانت تجاريب الطب والهندسة والصيدلة والزراعة تجمع الحلقات المحدودة التى تمكن كل طالب من المناقشة، فالاستيعاب، رأينا ازدحام المدرجات يمنع هذه الاستفادة، ورأينا الأستاذ يرهق إذا استمع لكل سائل، وقد فهم الطالب ضيق أستاذه، فاكتفى بحفظ المذكرات، ثم نقل منها إجابته كما تصورها، ووجد التساهل فى التصحيح، وفى النهاية تفقد الجامعة دورها الصحيح.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى: ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب (١٤) ۞ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد (١٥) الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار (١٦) الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾ الآيات: ١٤ - ١٧

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

فأنت ترى في هذه الآيات الكريمة بيانا حكيما من الله - تعالى - لأهم متع الحياة الدنيا وشهواتها، ولما هو خير من هذه المتع والشهوات، مما أعده الله لعباده المتقين من جنات وخيرات.

وقوله ﴿ زُيِّنَ ﴾ من التزيين وهو تصيير الشيء زينا أي حسنا. والزينة هي ما في الشيء من المحاسن التي ترغب الناظرين في اقتنائه.

قال الراغب: «والزينة بالقول المجمل ثلاث: زينة نفسية كالعلم والاعتقادات الحسنة، وزينة بدنية كالقوة وطول القامة، وزينة خارجية كالمال والجاه.. وقد نسب الله التزين في مواضع إلى نفسه كما في قوله - تعالى:

﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾[١].

ونسبه في مواضع إلى الشيطان كما في قوله:

﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ﴾[٣].

وذكره في مواضع غير مسمى فاعله كما في قوله - تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾[٢].

والشهوات جمع شهوة، وهو ثوران النفس وميلها نحو الشيء. والمراد بها هنا الأشياء المشتهاة من النساء والبنين... الخ وعبر عنها بالشهوات للإشارة - كما يقول الآلوسي - إلى ما ركز في الطباع من محبتها والحرص عليها حتى لكأنهم يشتهون اشتهاءها كما قيل لمريض: ماتشتهي؟ فقال: أشتهي أن أشتهي. أو تنبيها على خستها: لأن الشهوات خسيسة عند الحكماء والعقلاء ففي ذلك تنفير عنها وترغيب فيما عند الله، ثم قال: والتزيين للشهوات يطلق ويراد به خلق حبها في القلوب، وهو بهذا المعنى مضاف إليه - تعالى - حقيقة، لأنه لا خالق إلا هو. ويطلق ويراد به الحض على تعاطي الشهوات المحظورة فتزيينها بالمعنى الثاني مضاف إلى الشيطان تنزيلا لوسوسته وتحسينه منزلة الأمر بها والحض على تعاطيها»[٤]

ثم بين - سبحانه - أهم المشتهيات التي يحبها الناس، وتهفو إليها قلوبهم، وترغب فيها نفوسهم، فأجملها في أمور ستة.

أما أولها: فقد عبر عنه القرآن بقوله:

﴿ من النساء ﴾ ولاشك أن المحبة بين الرجال والنساء شيء فطري في الطبيعة الإنسانية، ويكفي أن الله - تعالى - قد قال في العلاقة بين الرجل والمرأة:

(١) ـ الحجرات: ٧.
(٢) ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٢١٨
(٣) ـ الأنفال: ٤٨.
(٤) ـ تفسير الألوسي جـ٢ ص٩٩ بتلخيص

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[5].

وقال – تعالى – فى آية ثانية:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[6].

وإن بعض الرجال قد يستهين بكل شيء فى سبيل الوصول إلى المرأة التى يهواها ويشتهيها والأمثال على ذلك كثيرة ولامجال لذكرها هنا وصدق رسول الله حيث يقول: «ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء»[7] ولذا قدم القرآن اشتهاءهن على كل شهوة. و﴿ مِنَ ﴾ فى قوله:

﴿ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴾ بيانية، وهى مع مجرورها فى محل نصب على الحال من الشهوات. واكتفى القرآن بذكر محبة الرجل للمرأة مع أن المرأة كذلك تحب الرجل بفطرتها لأن ذكر محبة أحدهما للآخر يغنى عن ذكر الطرفين معا، ومايستفاد بالإشارة يستغنى فيه عن العبارة خصوصا فى هذا المجال الذى يحرص فيه القرآن على تربية الحياء والأدب فى النفوس، ولأن المرأة فى هذا الباب يهمها أن تكون مطلوبة لا طالبة. وحتى لو كانت محبتها للرجل أشد فإنها تحاول أن تثير فيه مايجعله هو الذى يطلبها لاهى التى تطلبه.

وأما ثانى المشتهيات: فقد عبر عنه القرآن بقوله: ﴿ وَالْبَنِينَ ﴾ جمع ابن، وهو معطوف على ماقبله، وقد ذكر حب البنين بعد حب النساء لأن البنين ثمرة حب النساء، واكتفى بذكر البنين، لأنهم موضع الفخر فى العادة وحب الأولاد طبيعة فى النفس البشرية فهم ثمرات القلوب، وقرة الأعين ومهوى الأفئدة، ومطمح الآمال، ولقد تمنى الذرية جميع الناس حتى الأنبياء فهذا سيدنا إبراهيم يقول:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[8].

وسيدنا زكريا يقول:

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾[9].

والإنسان فى سبيل حبه لأولاده يضحى براحته، وقد يجمع المال من أجلهم من حلال ومن حرام، وقد يرتكب بعض الأعمال التى لايريد ارتكابها إرضاء لهم، وقد يمتنع عن فعل أشياء هو يريد فعلها لأن مصلحتهم تقتضى ذلك.

وصدق الله إذ يقول:

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[10].

---

(٥) – البقرة: ١٨٧ (٦) – الروم: ٢١

(٧) – البخارى كتاب النكاح، باب ما يتقى من شئوم المرأة جـ٧ ص١١ طبعة المجلس سنة ١٣٤٥

(٨) – الصافات: ١٠٠ (٩) – الأنبياء: ٨٩

(١٠) – التغابن: ١٥

وصدق رسوله ﷺ حيث يقول: «الولد ثمرة القلب، وإنه مجبنة مبخلة محزنة»[11] أى أن الأبناء يجعلون آباءهم يجبنون خوفا من الموت لئلا يصيب أبناءهم اليتم وآلامه، ويجعلونهم يبخلون فلا ينفقون فيما ينبغى أن ينفق فيه إيثارا لهم بالمال، ويجعلونهم يحزنون عليهم إن أصابهم مرض ونحوه.

أما الأمر الثالث من المشتهيات: فقد عبر عنه القرآن بقوله:

﴿ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾

والقناطير جمع قنطار، وهو مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه، تقول العرب: قنطرت الشيء إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة لإحكامها.

قال الفخر الرازى: «القنطار مال كثير يتوثق الإنسان به فى دفع أصناف النوائب وحكى أبوعبيدة عن العرب أنهم يقولون: إنه وزن لا يحد. واعلم أن هذا هو الصحيح، ومن الناس من حاول تحديده. فعن ابن عباس: القنطار ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو مقدار الدية»[12]

ولفظ ﴿ الْمُقَنطَرَةِ ﴾ مأخوذ من القنطار. ومن عادة العرب أن يصفوا الشيء بما يشتق منه للمبالغة أى والقناطير المضاعفة المتكاثرة المجموعة قنطارا قنطارا كقولهم: دراهم مدرهمة وإبل مؤبلة.

وقوله:

﴿ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ﴾

بيان للقناطير، وهو فى موضع الحال منها.

والمراد أن الإنسان محب للمال حبا شديدا، قال – تعالى –:

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[13].

وقال تعالى:

﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾[14].

وفى الحديث الشريف الذى رواه الشيخان عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب»، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة.

وقالت السيدة – عائشة – رضى الله عنها –: «رأيت ذا المال مهيبا، ورأيت ذا الفقر مهينا» وقالت: «إن أحساب ذوى الدنيا بنيت على المال»[15]

---

(١١) – كنز العمال، طرفه (٤٤٤٨٦)

(١٢) – التفسير الكبير للفخر الرازى جـ٧ ص٢١٠

(١٣) – العاديات: ٨ (١٤) – الفجر: ١٩، ٢٠

(١٥) – التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول جـ٥ ص١٦٢ للشيخ: منصور على ناصف

وإنما كان الذهب والفضة محبوبين، لأنهما - كما يقول الرازى - «جعلا ثمنا لجميع الأشياء، فمالكهما كالمالك لجميع الأشياء، وصفة المالكية هى القدرة، والقدرة صفة كمال، والكمال محبوب لذاته، فلما كان الذهب والفضة أكمل الوسائل إلى تحصيل هذا الكمال الذى هو محبوب لذاته - وما لا يوجد المحبوب إلا به فهو محبوب - لاجرم كانا محبوبين»(١٦)

وأما المشتهيات الرابعة والخامسة والسادسة فتتجلى فى قوله - تعالى:

﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾

ولفظ الخيل يرى سيبويه أنه اسم جمع لا واحد له من لفظه، بل مفرده فرس فهو نظير قوم ورهط ونساء. ويرى الأخفش أنه جمع تكسير وواحده خائل. فهو نظير راكب وركب، وطائر وطير. وهو مشتق من الخيلاء لأنها تختال فى مشيتها.

والمسومة. أى الراعية فى المروج والمسارح. يقال: سوم ماشيته إذا أرسلها فى المرعى. أو المطهمة الحسان، من السيما بمعنى الحسن أو المعلمة ذات الغرة والتحجيل من السمة بمعنى العلامة.

والخيل كانت ومازالت زينة محببة مرغوبة، مهما تفنن البشر فى اختراع صنوف من المراكب براً وبحراً وجواً فمع وجود هذه المراكب المتنوعة مازال للخيل عشاقها الذين يعجبهم مافيها من جمال وانطلاق وألفة. ويقتنونها للركوب والمسابقات.. ﴿ وَالْأَنْعَامِ ﴾ جمع نعم، وهى الإبل والبقر والغنم. ولايقال للجنس الواحد منها نعم إلا للإبل خاصة فإنها غلبت عليها.

والأنعام فيها زينة. والإنسان فى حاجة شديدة إليها فى مركبه ومطعمه وغير ذلك. قال - تعالى:

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٧)

﴿ وَالْحَرْثِ ﴾ مصدر بمعنى المفعول أى المحروث. والمراد به المزروع سواء أكان حبوباً أم بقلا، أم ثمراً إذ من هذه الأشياء يتخذ الإنسان مطعمه وملبسه وأدوات زينته.

تلك هى أهم المشتهيات فى هذه الحياة إلى نفس الإنسان قد جمعها القرآن فى آية واحدة، وقد اختصها - سبحانه - بالذكر لأنها أوضح من غيرها فى الاحتياج إليها والتلذذ بها، ولأن فيها إشارة إلى أنواع المتع كلها سواء أكانت متعة جسدية أم روحية، أم

(١٦) - التفسير الكبير للفخر الرازى جـ٧ ص٢١١

(١٧) - النحل: ٥ - ٧

مالية، أم غير ذلك من ألوان المتع، ومن مستلزمات الحياة.

وقد ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾

واسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يعود إلى كل ماتقدم ذكره من الأمور الستة التى سبق الحديث عنها، والمآب: مصدر ميمى بوزن مفعل، من آب كقال - إياباً وأوباً ومآبا، إذا رجع. وأصله مأوب نقلت حركة الواو إلى الهمزة ثم قلبت الواو ألفاً مثل مقال.

أى ذلك المذكور من النساء والبنين وماعطف عليهما هو موضع الزينة، ومطلب الناس الذى يستمتعون به، ويرغبون فيه، ويشتهونه اشتهاء عظيما فى حياتهم، والله - تعالى - عنده المرجع الحسن وهو الجنة، فهى الأحق بالرغبة فيها لبقائها دون المتع الفانية.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد ذكرت المشتهيات التى جبل الإنسان على الميل إليها، وصياغة الفعل للمجهول ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ للإشارة إلى أن محبة هذه الأشياء واشتهاءها مركوز فى الفطرة الإنسانية منذ أوجد الله الإنسان فى هذه الحياة الدنيا.

وهذه المشتهيات ليست خسيسة فى ذاتها، ولا يقصد الإسلام إلى تخسيسها فى ذاتها أو إلى التنفير منها، وإنما الإسلام يريد من أتباعه أن يقتصدوا فى طلبها، وأن يطلبوها من وجوهها المشروعة، وأن يضعوها فى مواضعها المشروعة، وأن يشكروا الله عليها، وألا يجعلوها غاية مقصدهم فى هذه الحياة. إن الإسلام لايحارب الفطرة الإنسانية التى تشتهى هذه الأشياء، وإنما يهذبها ويضبطها ويرشدها إلى أن تضع هذه الأشياء فى موضعها المناسب، بحيث لاتطغى على غيرها ولاتستعمل فى غير ماخلقها الله من أجله، وبذلك يسعد الإنسان فى دينه ودنياه وآخرته.

وللإمام ابن كثير كلام حسن عند تفسيره لهذه الآية فقد قال ما ملخصه: يخبر الله - تعالى - عما زين للناس فى هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد.. فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه كما وردت الأحاديث بذلك.. وحب المال كذلك تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر.. فيكون مذموما، وتارة يكون للنفقة فى وجوه البر فيكون محمودا.. وحب الخيل على ثلاثة أقسام، تارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا إليها غزوا عليها فهؤلاء يثابون. وتارة تربط فخرا ومناواة لأهل الإسلام فهذه على صاحبها وزر، وتارة تربط للتعفف واقتناء نسلها ولم ينس صاحبها حق الله فيها فهذه لصاحبها ستر. وفى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «خير مال المرء مهرة مأمورة أو سكة مأبورة»(١٨) والسكة النخل

(١٨) - مسند الحارث، زوائد الهيثمى ٨٨/١ ، طرفة (٤٢٢)

المصطف، والمأبورة الملقحة،[19] وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم غرس غرسا أو زرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[20].

هذا، وختام الآية الكريمة بقوله:

﴿ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾

إشارة إلى أن متع الدنيا مهما كثرت وتنوعت وتلذذ بها الإنسان فهي زوال، وأما اللذائذ الباقية الخالدة فهي التي أعدها الله - تعالى - لعباده المتقين في الدار الآخرة، ولذا قال - سبحانه - بعد ذلك:

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾

أى قل يامحمد للناس الذين مالوا إلى شهوات الدنيا من النساء والبنين وغيرهما، قل لهم ألا تحبون أن أخبركم بما هو خير من تلك المشتهيات الدنيوية؟

والاستفهام للتقرير، والمراد به التحقيق والتثبيت في نفوس المخاطبين، أى تحقيق وتثبيت خيرية ماعند الله وأفضليته على شهوات الدنيا، وحضهم على الاستجابة لما سيلقى عليهم.

وافتتح الكلام بكلمة ﴿ قُلْ ﴾ للاهتمام بالمقول وتنبيه السامعين إلى أن ماسيلقى عليهم أمر يهمهم ومما يقوى هذا التنبيه هنا: التعبير بقوله ﴿ أَؤُنَبِّئُكُم ﴾ لأن الإنباء معناه الخبر العظيم الشأن، والتعبير بقوله ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ لاشتماله على الإشارة التى للبعيد الدالة على عظم شأن ماسيخبرهم به، والتعبير بقوله ﴿ بِخَيْرٍ ﴾ الذى يدل على الأفضلية، لأن نعيم الآخرة خير محض، ونعيم الدنيا مشوب بالشرور والأضرار. ثم بين - سبحانه - الخبر عنه بعد أن مهد له بتلك التنبيهات التى تشوق إلى سماعه وتغرى بالاستجابة له فقال:

﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

هذه هى اللذائذ والمتع التى أعدها الله - تعالى - لمن اتقاه، أى أدى ماأمره به، وابتعد عما نهاه عنه.

وأول هذه النعم:

﴿ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾

أى بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار، وفي هذه الجنات مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولاخطر على قلب بشر.

(١٩) - تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٥٦ - بتصرف وتلخيص

(٢٠) - تفسير القرطبي جـ٤ ص٢٦

وقوله ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾، خبر مقدم، وقوله ﴿ جَنَّـٰتٌ ﴾ مبتدأ مؤخر، وقوله ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ فى محل نصب على الحال من جنات. وقوله:

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾

صفة لجنات.

وعلى هذا يكون منتهى الاستفهام عند قوله ﴿ بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ وهذا هو المشهور عند العلماء. ومنهم من يجعل الاستفهام منتهيا عند قوله ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾ ثم يبتدأ فيقال:

﴿ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾

ومنهم من يجعل الاستفهام منتهيا عند قوله - تعالى - ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ثم يبتدأ فيقال: ﴿ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾

قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من جعل الاستفهام منتهيا عند قوله - تعالى - ﴿ بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ والخبر بعده مبتدأ عمن له الجنات بقوله:

﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾

فيكون مخرج ذلك مخرج الخبر. وهو إبانة عن معنى الخبر الذى قال: أنبئكم به، فلا يكون بالكلام حينئذ حاجة إلى ضمير[21]

وثانى هذه النعم عبر عنه - سبحانه - بقوله:

﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾

أى أن هؤلاء الذين اتقوا ربهم خالدون فى تلك الجنات التى فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين خلودا أبديا، بخلاف أولئك المنعمين بنعم الدنيا فإن نعيمهم إلى فناء وزوال.

وثالث هذه النعم قوله - تعالى:

﴿ وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾

والأزواج: جمع زوجة وهى المرأة يختص بها الرجل. أى ولهم فى تلك الجنات أزواج مطهرة غاية التطهير من كل دنس وقذر حسى ومعنوى، فقد وصف - سبحانه - هؤلاء الأزواج بصفة واحدة جامعة لكل مايتمناه الرجل فى المرأة.

ورابع هذه النعم قوله - تعالى:

﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾

وهذه النعمة هى أعظم النعم وأجلها أى لهم رضا عظيم من خالق الخلق، ومبدع

(٢١) - تفسير ابن جرير جـ٣ ص٢٠٦ طبعة مصطفى الحلبى الطبعة الثانية سنة١٣٧٣هـ ١٩٥٤م

الكون، ومنشىء الوجود. وهو مصدر كالرضا، ولكن يزيد عليه أنه الرضا العظيم، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، ولأن التنكير قصد به التفخيم والتعظيم.

وقوله ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ صفة لرضوان مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة.

روى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله - عز وجل - يقول لأهل الجنة يوم القيامة: ياأهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحد من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك؟ قالوا: ياربنا وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا»(٢٢).

هذه هى اللذائذ والمتع والنعم التى أعدها الله - تعالى - لعباده المتقين.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾

أى أنه - سبحانه - عليم بأحوال عباده، لاتخفى عليه خافية من شئونهم. وسيجازى الذين أساءوا بما عملوا، ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى. ففى هذا التذييل وعد للمتقين ووعيد للمسيئين.

ثم حكى - سبحانه - أقوال هؤلاء المتقين ومدحهم على إيمانهم وصلاحهم فقال - تعالى -:

﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

أى أن هذه الجنات وغيرها من أنواع النعم قد أعدها الله - تعالى - لهؤلاء المتقين الذين يضرعون إلى الله ملتمسين منه المغفرة فيقولون: ياربنا إننا آمنا بك وصدقنا رسولك فى كل ماجاء به من عندك، فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا فى أمرنا فأنت الغفار الرحيم، ﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ أى جنبنا هذا العذاب الأليم ياأرحم الراحمين.

وفى حكاية هذا القول عنهم بصيغة المضارعة ﴿ يَقُولُونَ ﴾ إشعار بأنهم يجددون التوبة إلى الله دائما لقوة إيمانهم، وصفاء نفوسهم، وإحساسهم بأنهم مهما قدموا من طاعات فهى قليلة بجانب فضل الله عليهم، ولذلك فهم يلتمسون منه الستر والغفران، والوقاية من النار، وهذا شأن الأخيار من الناس.

وقوله - سبحانه - ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ بدل أو عطف بيان من قوله ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ﴾ ويجوز أن يكون فى محل رفع على أنه خبر

(٢٢) - أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق. باب صفة الجنة والنار جـ٩ ص١٤٨

لمبتدأ محذوف والجملة منهما جواب عن سؤال كأنه قيل: من أولئك المتقون؟ فقيل: هم الذين يقولون: ربنا إننا آمنا.. ويجوز أن يكون فى موضع نصب على المدح. ثم وصفهم - سبحانه - بخمس صفات كريمة من شأنها أن تحمل العقلاء على التأسى بهم فقال:

﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾

وفى كل صفة من صفاتهم دليل على قوة إيمانهم، وإذعانهم للحق حق الإذعان. فهم صابرون، والصبر فى البأساء والضراء وحين البأس من أكبر البراهين على سلامة اليقين، وقد حث القرآن أتباعه على التحلى بهذه الصفة فى أكثر من سبعين موضعا. وهم صادقون، والصدق من أكمل الصفات الإنسانية وأشرفها، وقد أمر الله عباده أن يتحلوا به فى كثير من آيات كتابه، ومن ذلك قوله - تعالى -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(٢٣)

وهم قانتون، والقانت هو المداوم على طاعة الله - تعالى - غير متململ منها ولا متبرم بها، ولا خارج على حدودها. فالقنوت يصور الإذعان المطلق لرب العالمين.

وهم منفقون أموالهم فى طاعة الله - تعالى - وبالطريقة التى شرعها وأمر بها. وهم مستغفرون بالأسحار. أى يسألون الله - تعالى - أن يغفر لهم خطاياهم فى كل وقت، ولاسيما فى الأسحار.

والأسحار جمع سحر وهو الوقت الذى يكون قبل الفجر. روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا - عز وجل - إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له، من ذا الذى يسألنى فأعطيه، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر»(٢٤).

وخص وقت الأسحار بالذكر لأن النفس تكون فيه أصفى، والقلب فيه أجمع، ولأنه وقت يستلذ فيه الكثيرون النوم فإذا أعرض المؤمن عن تلك اللذة وأقبل على ذكر الله كانت الطاعة أكمل وأقرب إلى القبول.

وبهذا نرى أن الآيات الكريمة قد كشفت عن المشتهيات التى يميل إليها الناس فى دنياهم بمقتضى فطرتهم، وأرشدتهم إلى ماهو أسمى وأعلى وأبقى من ذلك وبشرتهم برضوان الله وجناته، متى استقاموا على طريقه، واستجابوا لتعاليمه:

﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢٥)

(٢٣) - التوبة: ١١٩

(٢٤) - تفسير القرطبى جـ٤ ص٣٩

(٢٥) - البقرة: ٢١٣

أهم مرغبات النكاح كما يراها رسول الله صلى الله عليه وسلم



لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». متفق عليه

التعريف بالراوى: هو عبدالرحمن بن صخر رضى الله عنه وسبب تكنيته بذلك ما رواه ابن عبدالبر عنه، أنه قال: كنت أحمل يوما هرة فى كمى، فرآنى النبى ﷺ فقال: ما هذه؟ فقلت: هرة فقال: يا أبا هريرة. وفى رواية إسحاق، وجدت هرة حملتها فى كمى، فقيل لى: ما هذه؟ فقلت: هرة فقيل: أنت أبوهريرة. ورجح بعضهم الأول وقيل غير ذلك. أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لازمه الملازمة التامة رغبة فى علم، راضيا بشبع بطنه، وكان يدور معه حيث دار. ومن ثم

كان أحفظ الصحابة، وقيل إنه طلب من رسول الله ﷺ أن يدعو له بقوة الحفظ فدعا له، وقد شهد له ﷺ أنه حريص على العلم والحديث، يروى عنه كما قال البخارى أكثر من ثمانمائة ما بين صحابى وتابعى وله خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا، اتفقا منها على ثلاثمائة وانفرد البخارى بثلاثة وسبعين، وكان ملازما لسكنى المدينة، وبها توفى سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين، عن ثمان وسبعين سنة، ودفن بالبقيع.

اللغويات: تنكح: تتزوج، لأربع: أى لأربع خصال، ولحسبها: نسبها وطيب أصلها، وفى المصباح: الحسب: ما يعد من المآثر وقال ابن السكيت: الحسب والكرم يكونان فى الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرف، ورجل حسيب كريم لنفسه، قال: وأما المجد والشرف فلا يوصف بهما الإنسان إلا إذا كانا فيه وفى آبائه.. وقال: الأزهرى: الحسب الشرف الثابت له ولآبائه. قال: وقوله عليه الصلاة والسلام: «تنكح المرأة لحسبها» أحوج أهل العلم إلى معرفة الحسب لأنه مما يعتبر فى مهر المثل فالحسب الفعال له ولآبائه مأخوذ من الحساب وهو عد المناقب لأنهم كانوا إذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب آبائه ومما يشهد لقول ابن السكيت قول الشاعر:

ومن كان ذا نسب كريم ولم يكن
له حسب كان اللئيم المذمما

فجعل الحسب فعال الشخص كالشجاعة والجود وحسن الخلق، ومنه قوله: «حسب المرء دينه».

فاظفر: يعنى أيها المسترشد، بذات الدين: أى بصاحبته وهو أبلغ: لأنها كناية تربت يداك: أى افتقرت وأسند إلى اليدين لأن التصرف يقع بهما غالبا- ولم ترد العرب بهذه الكلمة وأمثالها معناها الأصلى من الدعاء، بل إيقاظ المخاطب للمذكور بعده وحث وتحريض عليه ليعتنى به وقيل معناه: افتقرت إن لم تفعل ما أرشدتك إليه.. وقد ورد ما يؤيده. أخرج ابن ماجه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يؤذيهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن يطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولا امرأة جذماء سوداء ذات دين أفضل».

الشرح والبيان: الناس فى العادة يقصدون من نكاح المرأة هذه الخصال الأربع، المال والحسب والجمال والدين، فاحرص أيها الراغب فى الزواج على ذات الدين، لما فى ذلك من المنافع الدينية والدنيوية، والتى منها: أن الإسلام يفضل المرأة الأجنبية عند الزواج على النساء ذوات النسب والقرابة، حرصا على نجابة الولد، وسلامة جسمه من الأمراض والعاهات الوراثية من جانب، ومن جانب آخر لتوسيع دائرة الأسرة بمصاهرة الأسر الأخرى. وفى الجانب الأول جاء قوله

ﷺ : «لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاويا»[1] أى ضعيف الجسم، بليد الذكاء، وفى الجانب الثانى جاء قوله جل شانه:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[2].

كذلك فإن الإسلام يفضل فى الزواج البكر على الثيب - التى سبق أن تزوجت - لأن البكر مجبولة على الأنس والألفة بأول إنسان تكون فى عصمته بعكس الثيب، جاء فى الحديث الشريف عن النبى ﷺ قال: «عليكم بالأبكار فإنهن أعزب أفواها - أطيب كلاما - أنتق أرحاما - أكثر أولادا - وأقل خبًا - مكرا - وأرضى باليسير من العمل» ويوضح ذلك ما ورد أن رسول الله ﷺ قال لسيدنا جابر رضى الله عنه: هل تزوجت بعد؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: أثيبا أم بكرا؟ قلت: لا بل ثيبا، قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟ قلت يا رسول الله: إن أبى أصيب يوم أحد وترك لنا بنات سبعا فنكحت امرأة جامعة تجمع رءوسهن وتقوم عليهن، قال: أصبت إن شاء الله» رواه البخارى ومسلم.

هذا وقد ورد أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت للرسول ﷺ: يا رسول الله: أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها، وشجرة لم يؤكل منها، فى أى منهما ترتع بعيرك؟ قال ﷺ: فى التى لم يترتع منها، قالت رضى الله عنها: فأنا هى»[3] وتقصد بيان فضلها على باقى أمهات المؤمنين باعتبار أن الرسول ﷺ لم يتزوج بكرا غيرها.

هذا والزواج هو الأسلوب الأمثل الذى اختاره الله للتوالد والتكاثر، واستمرار الحياة، وإنجاب الذرية الصالحة التى ترفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو الطريق الموصل إلى سعادة الدنيا ونعيم الآخرة، ولهذا لم يشأ الدين الإسلامى الحنيف أن يترك الرجل منا يسير وراء شهواته ونزواته فى اختيار قرينة له، يسكن إليها وتسكن إليه، دون أن يوجهه التوجيه السليم ويرشده إلى الخطة المثلى، فحثه على اختيار الزوجة المتدينة ذات الخلق الكريم، والسلوك المستقيم، عسى أن ينجب منها ذرية صالحة تكون موضع الفخر وزينة العمر، ويعتز بهم المجتمع، وتسعد بهم الأمة. قال تعالى:

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[4].

أى المال الصالح والولد الصالح، وقد حث القرآن الكريم الراغب فى الزواج على التزوج من الصالحات القانتات قال تعالى:

(١) اتحاف السادة المتقين ٥/٣٤٩.

(٢) الفرقان: ٥٤.

(٣) أخرجه البخارى بلفظ مختلف ٥/١٩٥٣.

(٤) الكهف: ٤٦.

﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾[5].

وقال:

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[6]

وبذلك وضع الإسلام للغريزة سبيلها المأمونة وحمى النسل من الضياع، وصان المرأة عن أن تكون كلأ مباحا لكل راتع، ووضع نواة الأسرة الصالحة التى تحوطها غريزة الأمومة وترعاها عاطفة الأبوة، فالزواج نعمة من نعم الله العظمى، وآية من آياته الكبرى قال تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[7].

فالزوجة شريكة حياة الزوج، وربة بيته، وأم أولاده، وموضع سره ونجواه. وهى أهم ركن من أركان الأسرة إذ هى المنجبة لأولاده وعنها يرثون المزايا والصفات والأخلاق والعادات.

ولهذا عنى الإسلام باختيار الزوجة الصالحة، وجعلها خير متاع ينبغى التطلع إليه والحرص عليه قال ﷺ: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[8] فما المرأة الصالحة من وجهة النظر الإسلامية، يوضح ذلك قوله ﷺ: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله»[9] وقال ﷺ: «إن خير نسائكم الولود الودود الستيرة العزيزة فى أهلها، الذليلة مع بعلها، المتبرجة مع زوجها، الحصان عن غيره، التى تسمع قوله، وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها، ولم تبذل له تبذل الرجل»[10].

فهنيئا لمن عمل بوصية الرسول ﷺ وظفر بذات الدين والخلق وقطعا ستحل عليه وعلى ذريته البركة والخيرات بدعوة المصطفى ﷺ .. أما الذين يقصرون رغبتهم فى الزواج من ذوات المال والحسب والجمال ويهملون جانب التدين والأخلاق، فذلك علامات ضعف الإيمان ووهن العقيدة ولن يجنى هؤلاء من وراء ذلك سوى الخزى والعار.. والله سبحانه وتعالى يعاملهم

(٥) النساء: ٣٤.

(٦) النور: ٣٢.

(٧) الروم: ٢١.

(٨) مسند الشهاب ٢/٢٢٦

(٩) سنن ابن ماجة ١/٥٩٦

(١٠) أخرجه البيهقى بلفظ مختلف

بالنقيض من رغبتهم وفى هذا المعنى يقول الرسول ﷺ : «من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا، ومن تزوجها لحسنها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوجها لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه بارك الله له فيها وبارك لها فيه»(١١) وهذا ومن الدواعى القوية والمرغبات الشديدة فى النكاح الجمال وقد نهى الإسلام عن تزوج المرأة الحسناء المفرطة فى الحسن والجمال والتى لا تملك من صفات الكمال غير الجمال، وليس المراد النهى المطلق عن المرأة ذات الجمال بل عن الاكتفاء به عن باقى الخصال أو على الحسن التام الفائق لأنه يخاف بسببه من الإفراط فى الإذلال المورث للوحشة والمنازعة والأطماع الفاسدة، فالمنهل العزب كثير الزحام. ومن شدة الصبوة والميل لا يؤمن منها تولد أمور مضرة، لأنها قد تصرفه عن كثير من الطاعات فى غالب الأوقات، ومن الدواعى الغالبة المال وهو متقلب غير ثابت، غاد ورائح، وإذا كان كذلك فلا يوثق بدوام الألفة سيما إذا قل، وأما إذا كان الداعى الدين فهو الحبل المتين الذى يربط الزوجين برباط وثيق يجعل الزوجين يعيشان فى ألفة حانية ومحبة صادقة لا تفرقهم الدنيا ولا ينزغ بينهم الشيطان.

وكذلك ينبغى أن يكون اختيار الفتاة وولى أمرها لشريك حياتها أيضا مبنيا على الخلق والدين والورع والصلاح قال ﷺ : «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد»(١٢).

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة وقدوة طيبة فقد آثرته أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها على كل من تقدم لخطبتها من وجهاء قريش المتمتعين بالشرف والرياسة والغنى والجاه إذ كان الخلق العظيم فى فطرتها الصافية أرجح لديها من كل ذلك. ولقد عمل الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم بتوجيهات الرسول ﷺ، فامتلأت حياتهم خيرا وطهرا وبركة واستقامت لهم الأمور وانتظمت بهم الشئون وساروا فى طريق الفضيلة لا تلتوى بهم مسالك الهوى، ولا تأخذهم تيارات الشهوة إلى مهاوى الرذيلة وإليكم نموذجا من حياة التابعين - رضوان الله عليهم- خطب أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان ابنة العالم الكبير سعيد بن المسيب -رضى الله عنه- لابنه وولى عهده الوليد، فأبى أن يزوجه إياها،

(١١) كنز العمال، طرفه (٤٤٥٨٩)

(١٢) سنن الترمذى ٣٩١/٢

وزوجها لأبى وداعة أحد طلابه، ويحكى أبو وداعة قصة زواجه فيقول: تغيبت عن حلقة الشيخ أياما فتفقدنى، وظن أن بى مرضا أو عرض لى عارض، وسأل عنى من حوله، فلم يجد عند أحد منهم خبرا، فلما عدت بعد أيام حيانى ورحب بى وقال: أين كنت يا أبا وداعة؟ فقلت: توفيت زوجتى فاشتغلت بأمرها فقال: هلا أخبرتنا يا أبا وداعة فنواسيك ونشهد جنازتها معك ونعينك على ما أنت فيه. فقلت: جزاك الله خيرا وهممت أن أقوم فاستبقانى حتى انصرف جميع من فى المجلس، ثم قال لى: أما فكرت فى استحداث زوجة لك يا أبا وداعة؟ قلت يرحمك الله ومن يزوجنى وأنا شاب نشأ يتيما وعاش فقيرا، ولا أملك غير درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا أزوجك ابنتى- فانعقد لسانى وقلت: أنت تزوجنى ابنتك بعد أن عرفت من أمرى ما عرفت؟ فقال: نعم فنحن إذا جاءنا من نرضى دينه وخلقه زوجناه، وأنت عندى مرضى الدين والخلق، وعقد لى على ابنته وجعل مهرها درهمين اثنين، فلما سئل سعيد بن المسيب رضى الله عنه: أترد خطبة أمير المؤمنين وتزوج ابنتك من رجل من عامة المسلمين فقال: إن ابنتى أمانة فى عنقى، وقد تحريت فيما صنعته لها صلاح أمرها فقيل له: وكيف؟ فقال: ما ظنكم بها إذا انتقلت إلى قصور بنى أمية، وتقلبت بين رياشها وأثاثها، وقام الخدم والحشم والجوارى بين يديها وعن يمينها، وعن شمالها، ثم وجدت نفسها بعد ذلك زوجة للخليفة، أين يصبح دينها يومئذ؟!

لمثل عمل سعيد فليعمل العاملون، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وقد أنشد الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالرجال فلاح

هذا والزواج سنة من سنن الأنبياء والمرسلين قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾(١٣).

ولقد تزوج رسول الله ﷺ وأنجب وقال: «النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى»(١٤)

وفقنا الله للعمل بقوله والاقتداء بفعله إنه نعم المولى ونعم النصير.

***

(١٣) الرعد: ٣٨.

(١٤) فتح البارى ١١١/٩

عودة البهاليل للطعن في السنة النبوية

٢

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

من الأمور التى عرض لها هذا «البهلول» مسألة أمية النبى ﷺ وهى مسألة مقحمة على موضوع الطعن فى السنة النبوية، ولا غرابة فى ذلك، لأن البهلول الذى نكشف مخازيه وجهله فى هذا المقال، والمقال الذى قبله، لا معرفة له بفنون الكتابة، ولكنه يخبط خبط عشواء درى أو لم يدر، ويهرف بما لا يعرف كأمثاله الذين سبقوه فى هذا العبث، ولم يقولوا جملة واحدة صحيحة فى تصديهم للطعن فى الحديث النبوى، ومنهم من كان يعمل سفيراً فى وزارة الخارجية ومنهم من يحمل لقب الدكتوراة، ومنهم من يحمل شهادات متوسطة.

الجديد عند بهلولنا هذا أنه ينكر أن صاحب الرسالة لم يكن أمياً لا يقرأ ولا يكتب، بل كان قارئاً كاتباً، وهو الذى كتب القرآن بخط يده، وجمعه ورتبه فى الصحف كما هو الآن، وظل المصحف الذى كتبه بخط يده - ﷺ - عند أم المؤمنين حفصة ابنة عمر -رضى الله عنهما- إلى أن جاء عصر عثمان بن عفان الخليفة الثالث، فأخذ المصحف من السيدة حفصة ونسخ منه نسخاً وزعها على الأمصار؟! هذا مجمل ما قاله هذا البهلول المضحك؟.

أما ما ساقه من أدلة (وهمية) على أن النبى ﷺ، كان قارئاً كاتبا فمنها: -

● أنه - عليه السلام - لو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، لما قال الله له فى أول سورة نزلت

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

[العلق ١ : ٥]

وما قاله.. هذا البهلول، سمة من سمات الجهل المركب الذى كساه من فروة رأسه إلى أخمص قدميه.

● لأن القرآن لم ينزل مكتوباً من أول آية فيه نزلت، إلى آخر آية فيه نزلت. وإنما نزل مسموعا بصوت سفير الوحى جبريل - عليه السلام - وهذا موضع إجماع بين الأمة، سلفا وخلفا، خاصتهم وعامتهم، كان جبريل يسمعه رسول الله فيستقر فى قلبه ساعة نزوله، مصداق ذلك قول الحق عز وجل:

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

[الشعراء/ ١٩٣ : ١٩٥]

ونلاحظ أن القرآن هنا طوى مرحلة السماع بالأذن، واكتفى بذكر التلقى بالقلب، لأنه المقصد الأعظم من السماع، فالسماع وسيلة لا غاية واستقرار القرآن فى القلب هو غاية الوسائل وغاية الغايات.

وهذا المعنى يؤكده القرآن مرة أخرى فيقول فى وصف القرآن:

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾

[العنكبوت/ ٤٩]

وإضافة إلى هذا الجهل البهلولى نجد جهلاً آخر فاضحا. لأن المراد من القراءة فى قوله تعالى: «اقرأ» التلاوة والكلمتان: القراءة والتلاوة، وإن كان معناهما متقارباً، فإن بينهما فرقا لايهتدى إليه البهاليل أبداً.

فالقراءة تكون بصوت مسموع، وتكون بغير صوت، كمن يطالع فى كتاب ليفيد نفسه وتكون بصوت مسموع كمن يقرأ كتابا ليفيد نفسه وغيره. ولا تجد قارئا يرفع صوته إذا كان يقرأ لنفسه. أما التلاوة فالأصل فيها رفع الصوت هذا فرق.

والثانى أن القراءة تكون من مكتوب منفصل عن القارىء، كالكتاب والصحيفة، أما التلاوة فتكون - مع رفع الصوت، من غير مكتوب منفصل عن القارىء، بل من محفوظ التالى فى صدره. يعنى أن القراءة تكون بواسطة. أما التلاوة فلا تكون بواسطة منفصلة عن ذات التالى.

هذا ما يجهله البهاليل، الذين ابتلى الله بهم هذه الأمة فى هذه الأيام

ومحمد ﷺ لما أنزل الله عليه قوله الكريم:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

لم يعطه جبريل كتابا ليقرأه بعد الاطلاع عليه ببصره، بل كان جبريل يرفع صوته بالآية طالباً من محمد ﷺ أن يردد بصوته الشريف ما تسمعه أذناه من جبريل، فلم يكن الرسول فى حاجة إلى قراءة كلام مكتوب وإنما ترديد كلام مسموع، يعنى يحكى الرسول بلسانه ما سمعه من جبريل ومصدر القرآن فى الأصل هو السماع لا القراءة.

وهنا يبرز سؤال وجيه، لكن على خواطر البهاليل، فهم عن هذا الذكاء بمعزل

حاصل هذا السؤال:

إذا كان المراد من القراءة فى قوله تعالى ﴿ اقْرَأْ ﴾ هو التلاوة. فلماذا عبّر عنها بالقراءة فقال ﴿ اقْرَأْ ﴾ ولم يقل به: أتلُ؟. والجواب:

ارجع إلى الفروق بين القراءة والتلاوة التى تقدم ذكرها قريبا، تجد أن التلاوة شبهت بالقراءة، لأن القراءة لابد أن تكون عن مصدر منفصل عن القارىء.

ومحمد ﷺ كان له في هذه التلاوة مصدر يحاكيه، وهو صوت جبريل وجبريل مصدر منفصل عن محمد ﷺ.

والتلاوة لا يكون فيها مصدر منفصل عن التالي فشبهت تلاوة محمد ﷺ بالقراءة، لأنها كانت مفتقرة إلى مصدر منفصل عنه عليه السلام

كان جبريل عليه السلام كتابا مسموعاً لا كتاباً مقروءاً.

وتلتقي هذه التلاوة بالقراءة من اعتبار آخر، وهو: أن القراءة كما تقدم تكون بصوت وتكون بغير صوت وكذلك كانت تلاوة محمد عليه السلام لما سمعه من الوحي

والسماع الذي هو أصل تلقي القرآن هو أوثق طرق المعرفة بالإجماع. هذا بالنسبة للدليل الأول الذي ظن البهلول الجهول أنه ناهض دليلا على أن النبي ﷺ كان قارئا كاتبا، وأنه هو الذي قد كتب القرآن بخط يده، وجمعه ورتبه في المصحف كما هو عليه الآن.

وأن ما بين أيدي المسلمين - الآن - من المصاحف، هي من صنع النبي نفسه وإن اجماع الأمة على أن النبي كان له كتاب وحي، وهم لا صحة له. هذا ما هدف إليه هذا البهلول؟

وهاانتذا قد مر بك الحق الأبلج الذي يبطل هذه الدعاوى الواهمة، التي يمسي ويصبح فيها البهاليل منكرو السنة النبوية الشريفة.

ودليل آخر ذكره بهلولنا فض الله فاه. وهو أوهن من بيت العنكبوت، إذ يرى أن الأمية بمعنى عدم القدرة على الكتابة والقراءة نقص، وأن جميع الأنبياء والرسل من قبله كانوا يقرأون ويكتبون، وهو الرسول الذي جاء برسالة خاتمة فكيف يكون أقل منهم شأناً. هذا الكلام ناتج عن أمرين مجتمعين:

أولهما: الجهل المطبق.

وثانيهما: العاطفة الجامحة.

هذا إذا افترضنا حسن النية عند قائلي هذا الكلام، وإلا فهو العناد والمكابرة.

ولسوء الفهم، نرى أناسا لانشك في حسن نيتهم، وصدق إسلامهم، يشاركون هؤلاء البهاليل، فيقولون مثل قولهم، أن الرسول لم يكن أمياً، ووصفه بالأمية في القرآن الذي لا يأتيه الباطل، لا من بين يديه، ولا من خلفه، إما أن يكون بمعنى أنه من العرب لا من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وإما أن يكون هذا الوصف مطابقا لحاله عليه السلام قبل البعثة. أما بعد البعثة وتتويجه بالرسالة، فقد صار النبي ﷺ قارئاً وكاتبا، ومحال أن يكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب. لأن الأمية بهذا المعنى نقص وضعة، ومطية الجهل والتخلف لمن يتصف بهما، ومحمد ﷺ كان أشرف البشر، وأعلم الناس أجمعين وفي مواجهة إنكار أمية الرسول أياً كان الباعث على القول بها نقول:

إن محمداً - عليه السلام - كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب في أي مرحلة من مراحل حياته. قبل البعثة وبعد البعثة، حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى.

وإن هذا الوصف له سمة كمال وإعجاز لا مدعاة انحطاط وتعجيز، ولا غرابة في ذلك لأن مزاولة القراءة والكتابة وسيلة لتحصيل العلم والمعرفة. وليستا غاية في ذاتها، فإذا حصل العلم، وثبتت المعرفة عن طريق آخر غير القراءة من كتاب فلا احتياج إلى معرفة القراءة

والكتابة، كما حدث لخاتم النبيين محمد ﷺ.

ولم يبق بعد وسيلتي القراءة والكتابة إلا السماع من مصدر أمين صادق وموثوق به وفيه

وهي الوسيلة التي تلقى بها النبي - عليه السلام - ثروة من العلم أضاءت الكون، وقضت على كل أنواع الجهل، عن طريق «الوحي» وكفى بذلك شرفا أن الله أبى أن يكون لرسوله الخاتم معلم أو أستاذ من البشر، أو من الخلق أجمعين يجلس بين يديه مجلس التلميذ من الأستاذ أو موقف المتعلم الصغير من المعلم الكبير اللهم إلا أن يكون ذلك المعلم هو الله عز وجل.

ولو كان محمد ﷺ رسوخ قدم في القراءة والكتابة للزم أن يكون له معلم من الخلق يعلمه أصول الكتابة والقراءة. وهذا ما حفظ الله منه رسوله الكريم. وأبى أن يكون له معلم إلا هو - عز وجل - حتى جبريل لم يكن معلماً لرسول الله، وإنما كان مبلغ رسالة، ومؤد أمانة، أداها كما تلقاها من الله

﴿ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

[النور/ ٣٥]

ودعوى أن النبي ﷺ، لم يكن أمياً دعوى حادثة لا يعرف لها وجود في التاريخ لا في الجاهلية ولا في الإسلام.

فلم يرد على لسان أحد، حتى خصومه الألداء من كفار قريش نسبة القراءة والكتابة، إليه، لا تصريحا ولا تلميحا، بل إن القرآن يحكي عنهم ما يخالف هذا الزعم، انظر إلى قوله تعالى حاكيا عنهم بعض ما قالوه في هذا الصدد:

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

[الفرقان/ ٥]

لم يقولوا: كتبها، بل قالوا: ﴿ ٱكْتَتَبَهَا ﴾ يعني طلب من غيره أن يكتبها له، وهذا اعتراف منهم بأنه لم يكن يكتب، المتضمن أنه لم يكن يقرأ؛ لأن نفي أحد المتلازمين يتضمن نفي الآخر

ولما أرادوا أن ينسبوا القرآن إلى غير الله قالوا:

﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾

[النحل/ ١٠٣]

أي يعلمه عن طريق السماع لا عن طريق القراءة والكتابة، لأن التعلم أعم من تحصيل العلم عن طريق القراءة والكتابة.

ولما كانت هذه الدعوى محتملة عقلاً نفاها الله - عز وجل - بدليل عقلي واقعي حاسم، ناسف للدعوى من أصولها وفروعها فقال في الرد الدامغ عليهم:

﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾

[النحل/ ١٠٣]

البشر الذي زعموا أنه علم النبي القرآن كان أعجمياً لا عربياً، وهو معروف لهم بعجمته وجهله باللسان العربي.

ومحمد - ﷺ - عربي اللحم والعظم واللسان، وليس له أدنى صلة بلغة ذلك الأعجمي

ومحال عقلاً وواقعاً أن يكون رجلان لكل منهما لغة لا يعرفها الآخر، محال أن يكون أحدهما معلماً (أستاذاً) للآخر، وأن يكون الثاني تلميذاً للآخر هذه الإحالة قائمة، الآن وفي كل عصر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

بهذا البرهان القاهر القاطع أبطل الله دعوى منكري الرسالة، وتركهم في غيهم يعمهون

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

[الإسراء/ ٨١]

ما تقدم ينفي نفياً قاطعاً دعوى أن الرسول ﷺ كان قارئاً كاتباً، سواء كان القائل بهذه الدعوى «بهلولاً» سيء النية والقصد، أو كان حسن النية والقصد، لكنه رأى وصف النبي عليه السلام بـ«الإمعة» نقصاً لا يليق بمنزلته السامية، قياساً على حال من يتصفون بهذه الصفة في دنيا الناس وسنعود لإثبات أن أمية النبي ﷺ واحدة من أظهر المعجزات الإلهية في صدق هذه الرسالة ومن جاء بها صلاة الله عليه وسلامه في الأولين والآخرين وأنها شرف لا يعادله شرف بعد وصفه بالرسالة الخاتمة.

وكما كانت هذه الدعوى باطلة، بكل المقاييس التي تقدمت. فإن لدينا حسماً آخر في إبطال تلك الدعوى المفتراة، التي لا سبب لها إلا العناد أو الجهل بالمغزى الجليل الشأن منها

فقد أعلن الله في كتابه العزيز أن رسوله الخاتم، ﷺ لم يكن في حاجة في تحصيله العلوم والمعارف إلى أن يقرأ كتاباً لأحد، أو يكتب كلاماً هو في حاجة إليه عن أحد - فقال عز وجل:

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

[العنكبوت/ ٤٨]

في هذه الآية نفي صريح لأن يكون الرسول قارئاً كاتباً، فقوله:

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ ﴾

نفي للشق الأول من الدعوى، وهو وصفه بأنه كان قارئاً

وفي قوله:

﴿ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾

نفي للشق الثاني من الدعوى، بأنه كان كاتباً، ورتب القرآن على ادعاء أنه كان يقرأ ويكتب، لو صحت هذه الدعوى، وهو أمر شديد الخطورة، وهو وقوع الريب في النفوس وبخاصة عند دعاة الباطل ومروجيه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن معاصري النبي عليه السلام من المشركين، وكانوا يعرفونه حق المعرفة، كما يعرفون أبناءهم لم يصفوا النبي بأنه كان قارئاً كاتباً، لأنه فيهم ولد وبينهم نشأ وترعرع، وقضى من عمره الشريف بينهم ثلاثاً وخمسين سنة. فما عهدوه جالساً أمام أحد يعلمه القراءة أو الكتابة فلم يريدوا أن يكذبوا على أنفسهم، وقصارى ما حكاه القرآن عنهم أنهم رغبوا من الرسول أن يأتيهم بقرآن غير القرآن الذي

كان يتلوه عليهم، أو أن يعدله بما يوافق أهواءهم. يقول عز وجل:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾

[يونس/ ١٥]

فأمر الله رسوله أن يرد عليهم هكذا:

﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[يونس/ ١٥، ١٦]

تأمل قوله تعالى:

﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

قوله ﴿ مِّن قَبْلِهِ ﴾ أي من قبل القرآن

يعني أنكم تعرفون كلامي الذي ظللتم تسمعونه مني منذ طفولتي حتى شرفني الله بالرسالة فهل تجدون في كلامي ما يشبه القرآن أو يرقى إلى مستواه؟ فكيف آتيكم بمثل القرآن وهو كلام الله؟

ثم يُدخل القرآن هذه القضية في دائرة أحكام العقل، وأن الذي ينتظر من بشر ولو كان رسولاً أن يأتي بمثل القرآن لا يكون إلا فاقد العقل.

إن البهاليل في عصر الرسالة لم يدعوا دعوى بهاليل العصر مع شدة عنادهم للرسالة والرسول ﷺ.

أما الحكمة الإلهية من جعل الرسول أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكذلك جعل قومه أميين لا يقرأون ولا يكتبون، فهي ما أفصح عنه قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[النساء/ ١١٣]

إن الله أراد لنبي هذه الأمة ألا يكون له أستاذ معلم من البشر أو الخلق قط، فهو وحده معلمه ومؤدبه ومربيه.

وأراد ألا يكون للأمة مرب ولا أستاذ ولا معلم إلا محمد ﷺ، فجعلهم أميين قبل الرسالة، علماء حكماء بصراء بعد الرسالة، استجابة لدعاء إبراهيم وإسماعيل صلى الله وسلم عليهم أجمعين:

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[البقرة/ ١٢٨، ١٢٩]

فقل للبهاليل موتوا بغيظكم، وتكفنوا بجهلكم فبطن الأرض أستر لكم من ظهرها.

موضوعية الرسالة ونزاهة الرسول ﷺ

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

رحم الله حجة الإسلام الإمام الغزالى الذى أكد فى كتابه الأشهر «المنقذ من الضلال» (أن الرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال)، مستلهماً فى هذا المعنى مأثورة الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه (لا تعرف الحق بالرجال بل اعرف الحق تعرف أهله، والعارف العاقل يعرف الحق) وأدعو كل من قرأ هذه العبارة المعبرة موجزة الكلمات فياضة الومضات أن يتدبرها تدبر البصير، ويتمعن فيها بالمزيد من التأمل والتفكير، ولاسيما فى هذا الزمان الذى اختلط فيه الحابل بالنابل كما يقولون، وأصبح الكثيرون لا يميزون بين الأمور مما جعل الحق مجرد ادعاء يدعيه كل من استطاع، ويفتقده كل ضعيف فى يأس والتياع وضياع، وأصبحت عبارات مثل (ما ضاع حق وراءه مطالب) أو (الحق ما شهدت به الأعداء) وغيرها أشبه بجرعات الأمل والتفاؤل التى لا تلبث أن تخبو وتزول أمام مشاهد الباطل وهو يصول ويجول، ليس بين الأفراد فحسب بل بين الدول أيضاً حتى لكأننا نخال الأرض قد أصبحت محيطاً هائلاً متلاطماً تتصارع فيه - فى غير تكافؤ - الكائنات المقتدرة والكائنات المستضعفة فى «مشروعية» مفتعلة يصدقها الكاذبون ويطبقها المخادعون والمخدوعون جميعاً.

كل هذا وغيره - مما عبر عنه الشاعر والعالم الفيلسوف عمر الخيام بقوله (القلب قد ضاق بما لا يقال) - جعل عبارة (الحق والرجال) تفرض نفسها فى هذا العصر على مسيرة المنصفين الذين يطلبون (الحق) - وهو من أسماء الله - حثيثاً ثقة فى رب الأسماء الحسنى - عز وجل - الذى هو لا شك متم نوره مهما اشتدت الظلمة فى النفق الرهيب. مما يذكرنا بعبارة الفيلسوف القديم الذى وقف أمام قضاته فى ساحة المحكمة فى وضح النهار وفى يده مصباح متوهج، ولما سئل: عم تبحث فى ضوء المصباح رغم ضوء الصباح؟ أجاب (إنى أبحث عن الحقيقة)!!!

وأفصح ما تعبر عنه عبارة (الحق والرجال) هو بيان الفرق بين ما نسميه اليوم «بالموضوعية» «objective» وبين ما نسميه «بالذاتية» «subjective» وغنى عن البيان أنهما اتجاهان فى التفكير والتعامل يقفان موقف المتوازيين اللذين لا يلتقيان مهما امتدا، فالموضوعية تقوم على النظر فى الموضوع نفسه الذى يدور حوله الفكر والسلوك مجرداً من الميول الخاصة والرغبات الشخصية والأهواء الذاتية، أما (الذاتية) فإنها تقحم هذه الميول والرغبات والأهواء فى الأقوال والأفعال والحكم على الأشياء.

فالناس عندما يصفون قولاً أو فعلاً أو حكماً بأنه حق لأنه صادر عن فلان فهذا أمر ذاتى لأن فلاناً هذا يصيب ويخطىء، ويتغير فكره على مدى العمر، وتتفاوت خبراته وآراؤه فى الحياة بتفاوت الظروف والمناسبات فأنى لنا أن ننسب إليه الحق وهو قيمة ثابتة مطلقة لا تتغير ولا تتبدل بتغير الظروف وتبدل الأحوال؟

أما عندما نقول إن فلاناً يصدر فى قوله أو فعله أو حكمه على الأشياء عن معيار الحق مستنداً إلى جدار ثابت لا يهتز ولا يميل، فتلك هى «الموضوعية» لأن فلاناً هذا ينحى مشاعره وأحاسيسه جانباً عما يقول أو يفعل، ويضع نصب بصره وبصيرته معاً قيمة الحق المستقيم الذى لا يميل مع الهوى، ومثل هذا المرء هو ما نقول عنه: (إنه لا يخشى فى الحق لومة لائم).

ومعظم ما تنوء به كواهل المجتمعات اليوم من مشكلات ترجع إلى غلبة الذاتية على الموضوعية. ورحم الله أستاذنا الشاعر القدير السيد حسن القاياتى عندما عبر عن هذا بقوله:

كل من لاقيت يشكو شجوه

ليت شعرى هذه الدنيا لمن؟ [(١)]

وأقبح ما تكون الذاتية عندما يتسم بها الجدل بين الناس أملاً فى تأكيد الذات أو استكباراً على فضيلة الاعتراف بالحق، وذلك حين يدافع كل من المتجادلين عن موقفه بالباطل لا بالحق دون سند مقبول أو برهان معقول.

وفى تاريخ الفكر الإنسانى منذ القدم وحتى اليوم نلمس هذا النوع المرذول من الجدل القائم على المغالطة والمراوغة، ومن أمثلة ذلك ما عرفناه عن جماعة «السوفسطائيين» [(٢)] عند اليونان القدماء حيث جعلوا الفرد هو معيار كل شىء، وباختلاف الأفراد تختلف الأشياء وتختفى

(١) ديوان القاياتى عام ١٩١٠.

(٢) هم جماعة من مفكرى أثينا فى عصر سقراط ظهروا فى فترة التفكك والانحدار الذى طرأ على المجتمع اليونانى آنذاك وبعد أن كانوا معلمين ماهرين كما تعنى كلمة «السوفسطائية» تحولوا إلى باحثين عن المنفعة والمصلحة الخاصة المادية مما ساعد على زيادة التفكك والانهيار.

الحقيقة (الموضوعية) التي يمكن أن يتفق عليها الناس حتى لقد أعلن كبيرهم «بروتاجوراس» عبارته الشهيرة في القرن الخامس قبل الميلاد (إن ما أراه حقا بالنسبة لي فهو حق حتى لو رآه الناس جميعا باطلا، وما أراه باطلا بالنسبة لي فهو باطل حتى لو رآه الناس جميعا حقا) وهكذا تتمزق الجماعات وتتنافر الأفكار وتنهار الحضارات وتضيع الحقائق.

بل إن من الاتجاهات الفلسفية المعاصرة ما يدور حول (الذاتية الفردية) بصورة أو بأخرى حتى إن هذه الفلسفات تطلق كلمة (الوجود) على وجود الفرد فقط، وتقول إن الذي يحدد وجود الإنسان هو حريته كفرد وليس كمجتمع فإذا سألنا عن وجود الطفل الوليد الذي لم تتشكل حريته بعد هل له وجود أم لا؟ أجاب دعاة هذا الفكر «الوجودي» (إن الطفل هو مجرد مشروع إنسان)!!!

ولقد ساد في الجزيرة العربية قبل الإسلام مثل هذا الاتجاه عندما زعموا تعدد الآلهة وتفاضل العصبيات وغير ذلك مما دعت إليه الأهواء المتنافرة والميول المتناحرة مما أدى إلى ما نعرفه من الحروب الطويلة الطاحنة التي كانت تشتعل لأتفه الأسباب وما حديث (داحس والغبراء) وغيره عن الذاكرة ببعيد.

وهكذا لم يبرأ أبناء الجاهلية من الاستغراق في الذاتية الموغلة في الغرور والمكابرة واللجاج والاعتداد المريض بالنفس

ومن صور ذلك ما عبر الذكر الحكيم به على ألسنتهم التي لا تنطق عن فكر بقدر ما تعبر عن كبر، وذلك في سورة الإسراء:

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾

[الإسراء: ٩٠ - ٩٣]

ولنا أن نتأمل هنا الاتجاه الجاهلي الذي يملؤه العناد الأبله والذاتية الحمقاء، والفكر الفج الذي لا يكفيه ما يرى من آيات السماوات والأرض وما يلمسه من إبداعات الكون التي ترقى على الكم والكيف جميعاً، بل ما يستشعره المرء في نفسه من إعجازات تتحرك معه على الأرض أنى راح أو ذهب:

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[الذاريات: ٢١]

فانقلبوا على أنفسهم يسألون النبي - ﷺ - ما يشبع غرورهم من جدل غث وعناد صبياني ساذج لا يتفق مع ما عرف عنهم من براعة القول وصناعة الكلام إلا في مجال العقيدة الحقة التي تريد أن تخرجهم من الظلمات إلى النور تراهم ينكفئون على أنفسهم حمقى مارقين لا يكادون يفقهون قولا.

ولكن المولى - جلا وعلا - يأمر رسوله - ﷺ - ألا يبالي بما يرجفون وأن يتابع مسيرة الحق على الصراط المستقيم البعيد عن هوى النفس ومهاوي الفتن:

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾

[المائدة: ٤٩]

وكان المولى - سبحانه - قد خلق لهؤلاء كياناتهم المعجزة والمبهرة لكي يحاربوه بها ويتنكرون لها.. فلله ما أحمق وأغبى!!!

ولذا نراهم لم يجدوا مفراً من مناصبة العقيدة الجديدة العداء، ولاسيما عندما كانوا يستشعرون فيها الصدق وفي أنفسهم الكذب والمكابرة، ومن ثمة فقد دفعتهم «ذاتيتهم» الضيقة وغطرستهم العمياء إلى اصطناع ألوان المواجهة ضد ذويهم من أصحاب الفطرة السليمة والكيانات القويمة متناسين ما كان بينهم وبينهم بالأمس من وشائج القربى وروابط الرحم، ويبدو أن الذاتية تولد الذاتية فلقد كان المشركون - كلما غلبهم الحق في معركة - تمادوا إلى إشعال معركة أخرى حتى لقد كانوا

﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾

[المائدة: ٦٤]

وصال معهم إبليس وجال ضاحكاً على أساطينهم، ساخرا من شياطينهم حتى جاء الحق وزهق الباطل:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾

[هود: ١١٩]

ويحضرنا هنا موقف لإبليس مع هؤلاء الطغاة وهو يوسوس لهم بخوض غزوة بدر حين يحكي عنه القرآن الكريم:

﴿ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾

[الأنفال: ٤٨]

وتأمل هذه الآية فلقد كانت الغلبة في تلك الغزوة للملائكة الذين أمرهم الحق - عز وجل - أن ينبروا لحرب الكفار

﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

[الأنفال: ١٢]

ولكن الله طمس على عقولهم فلم يدركوا كلمة (من الناس) التي جاءت في الوسوسة الشيطانية، ولكنهم عموا وصموا مندفعين إلى مصارعهم ليستقروا بعد ذلك في (القليب) [٢].

من هنا نرى أن ظهور الإسلام بالنسبة للمشركين كان مشكلة المشكلات لأنه أراد أن يقلب حياتهم المتناحرة إلى سلام، وأن يغير سلوكياتهم المتحاربة

(٢) هو الموضع الذي أمر النبي - ﷺ - بقتلى المشركين في (بدر) أن يُطرحوا فيه، وكان يناديهم بأسمائهم قائلاً - عليه السلام - «هل وجدتم ما وعد ربكم حقا» الحديث، سيرة ابن هشام

إلى وئام، وأن يحول عقائدهم المريضة وعباداتهم البغيضة من التعلق بالأصنام والأزلام التى ترضى أهواءهم وتريح أحلامهم وأوهامهم إلى عبادة إله واحد لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وكان هذا أمراً بالغ الصعوبة عليهم وعسير الاحتمال لهم أن ينتقل أولئك من (ذاتية) الهوى إلى (موضوعية) الهدى.

فلقد جاء الإسلام فى هذا الصدد بالمواقف المفحمة والأقوال الملجمة التى تضع النقاط فوق الحروف - أو تحت الحروف أحياناً - كما يقال - لتنقية سلوك العبد مما يشوبه من أهواء وأدواء فى الفكر والقول والعمل والحكم على الأشياء حتى تستقيم الأمور على النحو الذى أراده الله للإنسان منذ جعله فى الأرض خليفة يبغى الإصلاح ويحقق العمران.

ومن هنا جاءت الرسالة الحنيفية الخاتمة من لدن (الحق) - عز وجل - تتجلى فى موضوعية حاسمة لا تلين مع الهوى، وكيف لا وربها هو الواحد الأحد - سبحانه - الذى لم يلد ولم يولد فلا يعنيه - عز وجل - إلا العدل بين خلقه دون تفرقة أو تمييز (لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى) حتى يتفرغ الناس إلى التعبد الواعى فى عمارة الأرض والتنقيب الهادف عن أسرار الكون بما يدعم الإيمان، ويسعد الإنسان فى دنياه وأخراه.

يتبـــع

***

المنهج الإسلامى فى بناء المجتمع الإنسانى

بقلم اللواء الدكتور
محمود خليـل

يهدف الإسلام ضمن ما يهدف إلى بناء مجتمع إنسانى فاضل يسعد فيه كل فرد بالحياة ويطمئن فيه من يعيش فى ظله آمنا على نفسه وماله وعقله وعرضه ولقد سلك منهج الإسلام مسالك شتى فى تحقيق هذه الغاية وهى أمن الفرد والمجتمع والحياة بجوانبها المختلفة لذلك فقد سلك هذا المنهج بين الترغيب والترهيب وبين تربية النفس بتكوين الإنسان من حيث النشأة عن طريق وجود البيئة الصالحة وما يتصل بها من تربية وتعليم وثقافة حيث المؤثرات الخارجية التى تؤثر فى سلوك الإنسان من ناحية وتزكية النفس الإنسانية عن طريق العبادات وإثارة جوانب التقوى والخير من ناحية أخرى..

إزدواجية المنهج الإسلامى (ماديا ومعنويا)

انفرد الإسلام فى منهجه بازدواجيته من حيث الاهتمام فى بناء المجتمع الإنسانى ماديا ومعنويا وقد تميز المنهج الإسلامى بهذه الازدواجية دون غيره من المناهج ذلك لأن الدستور أو القانون الذى يراد منه تحقيق الأمن وحماية النظام العام وإشاعة العدل والطمأنينة فى المجتمع لا يمكن أن يحقق شيئا ذا بال إذا لم ينهض على أساس من بناء النفوس بالتربية الصالحة والتزكية المستمرة لأن العادة فى القانون أنه يحرس الحق الموجود ولكنه لا يستطيع أبدا أن يوجد الحق المعدوم، الحق الذى لم تؤمن به النفوس ولم تتذوق له طعما ولذلك قبل اللجوء إلى القانون يجب غرس الإيمان بمفاهيمه وشعبه المختلفة والواجبات وموازين العدالة فإذا آمنت النفس كان من اليسير على القانون أن يطبق وأن يحرس الحق وأن يحقق الأمن العام على النفس والعرض والمال والنسل وغير ذلك مما لا يستطيع الإنسان أن يعيش مطمئنا بغيره عندئذ يحقق التشريع نفوذه فى تحقيق الأمن للفرد والمجتمع وهذا هو جانب الوقاية الذى سلكه منهج الإسلام قبل وضع الحدود كعلاج...

رؤية المنهج الإسلامى

إن الإنسان ليس خيرا محضا ولا هو شر محض. فله رغبات وشهوات وفيه غرائز تثور وتسكن، ولديه نفس تأمر بالسوء أحيانا وتكون مطمئنة ولوامة أحيانا أخرى وهو بين حالاته هذه ينهزم وينتصر ويعلو ويهبط وقد يصل به الحال إلى أن يتمادى فى المعصية كما أن هناك من البشر من لا تجدى معهم تربية ولا ينفع فيهم تعليم أو تهذيب كما لا يؤثر فى نفوسهم تزكية وهذا النوع يشكل خطرا على أمن الفرد والمجتمع الإنسانى لما يرتكبه من جرائم مثل القتل والزنى وتناول المخدرات وبعضها يمس أمن الفرد والمجتمع كقطع الطريق وترويع الآمنين بأخذ أموالهم وإشاعة الخوف فيهم وهناك الجرائم التى تهدف إلى تخريب نظام الحكم بغير مبرر ولا دليل كل هذه الجرائم قد حدد لها المنهج الإسلامى عقوبات بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بحيث لا يترك مجالا لتغييرها وتبديلها على مختلف الزمان والمكان وهناك جرائم أخرى ولكن هذه هى أمهات الجرائم التى تهدد الكيان العام والتى يوجب العقاب عليها لكل من تسول له نفسه أن ينتهكها. فتعتبر هذه الجرائم تضر الكليات الخمس التى بدونها تفسد الحياة وتضيع المصالح لذلك وضع لها المنهج الإسلامى حدودها التى لا تقبل التغيير وهى:-

(١) الدين: وشرع لحفظه قتل المرتد.

(٢) النفس: وقد شرع لحفظها عقوبة القصاص.

(٣) العقل: وقد شرع لحفظه عقوبة حد الشرب.

(٤) العرض: وقد شرع لحفظه عقوبة الرجم أو الجلد مائة جلدة.

(٥) المال: وقد شرع لحفظه عقوبة قطع اليد.

فهذه الكليات الخمس هى الأساس فى حفظ كيان المجتمع لذلك يعد انتهاكها من الجرائم الكبرى وهناك جرائم فرعية تتصل بالجرائم الأساسية ولذلك نجد المنهج الإسلامى قد ربط مساحة واسعة من العقوبات لمقاومة هذا النوع من الجرائم بأساليب يتركها للحاكم المسلم وفق ما يراه من ضرر ناتج عن كل جريمة بذاتها وهو ما يعرف فى الفقه الإسلامى بالتعزير وهى ميزة تضاف إلى امتيازات المنهج الإسلامى ألا وهى الجمع بين الثوابت والمتغيرات فى بنية المبادىء والقيم الإنسانية حتى تتطابق وتتماثل هذه البنية مع المحاور الثابتة فى بنية النظام الكونى.

عدالة المنهج الإسلامى

إن الإسلام دين المساواة فى الثواب قبل العقاب ومن يتأمل الحدود الشرعية فى المنهج الإسلامى للعقاب يجد أنها تقوم على دعامتين أساسيتين:

١- حماية أمن الفرد والمجتمع من الجرائم الفردية أو جرائم العصابات.

٢- أنها عقوبات لا يفلت منها مجرم مهما كان منصبه أو قوته أو نفوذه فالعدالة الإنسانية فوق كل اعتبار وهذا يتضح من موقف النبى ﷺ فى حادثة المرأة المخزومية حين أراد قومها أن يستشفعوا لها وقت أن سرقت وهى الشريفة الحسب - فى نظرهم - أن تعاقب فأجاب الرسول ﷺ الصحابى أسامة بن زيد بقوله: «أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة، إنما أهلك من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذ سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد» وفى هذا الحديث نجد أن الرسول ﷺ قد راعى ثلاثة اعتبارات:-

(١) أن العدالة لا تفرق بين غنى وفقير ولا قوى ولا ضعيف.

(٢) لا يجوز لأحد أن يتوسط بنفسه أو بغيره ليعفى شخصا قد أجرم ويستحق العقاب.

(٣) الاستشفاع فى تطبيق العقوبات بإعفاء ذوى السلطان والأغنياء دون الفقراء والضعفاء يترتب عليه ضياع الأمة وأمن المجتمع لما سوف يعم من فساد وفوضى وضياع الحقوق لذلك كان حرص المنهج الإسلامى فى تطبيقه لهذه الحدود وأثرها البالغ لحماية المجتمع من الآفات والشرور، وجدير بالذكر أن هذه العقوبات تتعرض لموجات من النقض من قبل المارقين عن دين الله ورغم قلتهم إلا أنهم ينادون بقسوة هذه العقوبات ويطالبون بتطبيق عنصر الرحمة والنظر للمجرمين بعين العطف باعتبارهم ضحايا المجتمع الذى يعيشون فيه وأنه من واجبات الإنسان أنه لا يعاقب مجرما بمثل هذه المعاملة القاسية التى يتسم بها القصاص فى الشريعة الإسلامية، والغريب فى الأمر أن أصحاب هذه الادعاءات ينتمون إلى عصر الانفصال التام بين العقيدة والسلوك وبين الفكرة والتطبيق وبين النظرية المجردة والممارسة فى واقع الحياة العملية، فهم يرفعون الشعارات التى تناقض بعضها البعض مثل الحرية وحق الشعوب فى المساواة والكرامة.

ففى الواقع نحن فى عصر سلبت فيه الحرية والكرامة والعدالة وانتهكت فيه الحقوق والأعراض وأكبر دليل على ذلك ما يحدث الآن فى العراق، وفى فلسطين، وأفغانستان، وما حدث من قبل فى البوسنة والهرسك، وكوسوفا وغيرها والذى وصف بأنه أكبر مذابح بشرية وتصفيات جسدية وعرقية خلال هذا الوقت. ومع ذلك يتهم أعداء الإسلام الشريعة بالقسوة لأنها تقطع يد السارق ورقبة القاتل وذلك حفاظا على كرامة الناس وأمنهم.

التكريم والتكليف فى المنهج الإسلامى

إن التكريم والتكليف هما جوهر المنهج الإسلامى فى بناء المجتمع فكل ما

سبق ذكره يعتبر محدده الأساسى هو العقل الذى يوجه الإنسان نحو الخير فالعقل هو ميزان سلوك الإنسان ولذلك جعله الله تكريما للإنسان والتكريم هو زينة البشرية فلقد كرم الله الإنسان عن سائر المخلوقات ليشجعه على التكليف الذى أمره به. فالتكريم والتكليف يرتبطان بالعقل بطريقة أو بأخرى. فجوهر التكريم هو العقل أى أن الله كرم بنى آدم بنعمة العقل وجوهر التكليف هو العقل الذى يميز الحق عن الباطل، وبذلك يكون التكليف هو النتيجة المباشرة والحتمية للتكريم ولولا التكريم ما كان التكليف والعقل هو ربان كلتا السفينتين.. فعدل الله - سبحانه وتعالى - وحكمته اقتضتا ألا يحاسب الخلق عن أعمالهم إلا بتبليغ رسالته إليهم وإعطائهم ما يمكنهم من فهم واستيعاب محتوياتها ثم يترك لهم حرية الاختيار فوجود العقل وحرية الاختيار كانت هى جوهر وجود النار كى تكتمل الصورة ويصنف البشر بين طيب وخبيث بل وفاجر فيختار كل طريقه إما النجاة أو الهلاك ومن هنا وضحت قيمة العقل بالنسبة للإنسان فعلاوة على أنه يحدد السلوك الإنسانى فهو يجد ما ينفع الإنسان وما يضره فى دنياه وبذلك فليس غريبا أن يولى الإسلام العقل كل هذا الاهتمام فالمنطق السليم يقتضى ذلك فلم يترك الإنسان شيئا يضر العقل أو يعيبه إلا ونهى عنه ولم يترك شيئا ينفعه ويعليه إلا





حرائق فى العراق ومذابح فى فلسطين، ومع ذلك يتهم أعداء الإسلام الشريعة الإسلامية بالقسوة لأنها تقطع يد السارق ورقبة القاتل

وأمر به وبذلك يتضح أن الذين جحدوا النعمة وكفروا بوجود المنعم هم أناس فسدت عقولهم وعميت بصائرهم فلم يستطيعوا أن يستغلوا ما أنعم الله به عليهم فى الوصول إليه ولو أنهم تفكروا وتدبروا ما حولهم بعقولهم لعدلوا عن طريق الإلحاد إلى طريق الرشاد، والله - سبحانه وتعالى - برىء منهم ومن شركهم لأنه وهبهم العقل وبلغهم رسالته ولكنهم اختاروا بفساد منطقهم وعطب عقولهم طريق الشيطان فحق عليهم العذاب، ولذلك فإننا نجد أن كل خطاب فى القرآن الكريم موجه بالأساس إلى أصحاب العقول أو:

﴿ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ فهو خطاب إلى اللب أو العقل الذى هو جوهر الإدراك والفهم والتمييز - قال تعالى -:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾.

[الزمر: ٢١]

أى أن أصحاب العقول من اتبعوا النور والحق الذى أرسله الله - سبحانه وتعالى - ودعا الإسلام إلى التفكر فى آيات كثيرة حيث قال:

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

[البقرة: ٢١٩]

فالذى يتدبر ويتعقل هو العقل والله - سبحانه وتعالى - قد بين لنا فى القرآن وجود فرق شاسع جوهرى بين العاقل الذى يعى ويتفكر أو يتدبر أو يضع الأمور فى نصابها فوصف - وما أجمل هذا الوصف - الأول بالبصير والثانى بالأعمى فقال تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾

[الأنعام: ٥٠]

ووصف فى آيات أخرى ندم الذين لم يستعملوا عقولهم فساقهم إلى الهوى والهلاك.

الخاتمة:

إن ما سبق ذكره يؤكد بداهة الأمر وحسم القضية أن المنهج الإسلامى استخدم العقول الرشيدة لبناء مجتمع إنسانى فاضل يقوده أصحاب العقول السديدة مما يؤكد أن الإسلام دين ترتضيه العقول ويعتنقه أصحابها، ولا يحيد عنه إلا كل سفيه أحمق لم يعمل عقله، أو فسد عقله فهوى به إلى السعير.

* * *

خطبة الجمعة :

تَمْيِيعُ الشَّبَابُ

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، دعا إلى القوة وحذر من الضعف:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، أشهد أن لا إله إلا الله، أراد لعباده النصرة والغلبة والسيادة:

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[2]؟.. وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله، خير من جمع بين قوة الحس وطهارة النفس، فكان إمام المصلحين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه القانتين، وأتباعه المجاهدين:

﴿ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

لايمكن لأمة أن تحيا كريمة عالية، دون أخلاق فاضلة سامية، ومكارم الأخلاق هى عماد الأفراد والشعوب، ولذلك كان من الأهداف الأساسية للنبوات والرسالات دعم

(١) المنافقون: «٨».
(٢) المجادلة: «٢١».
(٣) المجادلة: «٢٢».

هذه الأخلاق، حتى قال محمد سيد الخلق: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[4]. وفى ظلال الأخلاق الفاضلة تندفع الأفراد والجماعات إلى حياة شريفة متماسكة، فيها صحة أبدان وقوة عقول وعلو همم، وفيها اعتزاز بالفضيلة وحرص عليها، وحملة على الرذيلة ونفور منها؛ وقد ابتلينا بمجموعة من الشباب كأن الشيطان الرجيم قد استرقهم حسا ونفسا، فهو يبثهم بين الناس كي يحققوا ما يبغى لهم من خسار وبوار؛ هذه المجموعة تتمثل فى أولئك الرقعاء المائعين أشباه الرجال الذين يتحللون فى أخلاقهم، ويعبرون عن هذا التحلل بالمظاهر التى لاتليق بالرجال، فهم يلبسون الثياب الملونة والسراويل الضيقة، ويضعون السلاسل الذهبية حول أعناقهم، والأساور فى أيديهم، ويتسكعون فى الشوارع، يعبثون ويفجرون ويعتدون على النساء والفتيات ويرددون أقذر الألفاظ، ويمشون مترنحين كأنهم خارجون سكارى من ماخور أو حانة خمور..

ومن المضحك المبكى أن هؤلاء الشبان يصفون الذين ينصحونهم أو يدعونهم إلى الرجولية والحياة المتماسكة. بأنهم من أنصار القديم.. ورحمة الله ورضوانه على كثير مما فقدنا من هذا القديم، فأين عفة هذا القديم وأين جهاد هذا القديم؟ وأين تماسك الأسرة فى القديم؟ وأين صيانة الأعراض فى القديم؟ وأين نشأة التدين والإيمان والقوة التى كانت فى القديم؟.. سلاما سلاما على كثير من ذلك القديم، وسبحان من يحيى العظام وهى رميم.. الحق أننا خسرنا الكثير حين أعلنا الحرب على هذا القديم دون أن نفرق فيه بين فاسد وسليم، وبين ما يصح أن يترك وما يجب أن يصان، وفى حربنا للقديم تركنا ذخائر نفائس.. تركنا الفضيلة لأنها شىء قديم، واستهنا بالعرض لأنه شىء قديم، ونسينا معنى الشرف لأنه شىء قديم، وهزئنا بالقيم الفاضلة، والمبادىء الأخلاقية لأنها شىء قديم، وأصبحت الفضولية والوصولية والإباحية من القيم الجديدة فى العالم الجديد.. وهذا مثل من أمثلة هذه القيم، وهو مثل مخجل - إن كان قد بقى فى الدنيا من يخجل - فقد سئل أحد هؤلاء الشباب المائعين حين تعرض لبعض الفتيات بما لايليق أترضى أن يرتكب شاب مثل هذه الوقاحة مع أختك؟ فأجاب أختى حرة تفعل ما تشاء!.. وهذا مبلغ الغيرة على الحرمات والأعراض إن كان قد بقى مكان للغيرة بين أشباه الرجال..

(٤) كنز العمال، طرفه (٥٢١٧)

ومن الواجب هنا أن ننص على أمر له أهميته وقيمته، وهو أن هؤلاء الشبان المتميعين قد اشترك فى إفسادهم أمران: سوء تربيتهم وإعدادهم من جهة وانتشار التبرج الفاجر بين النساء من جهة أخرى، وليس من السهل على الشاب أن يرى أمامه لحوم النساء عارية فاتنة صارخة، ثم يستمسك بعفته وفضيلته، فإذا كنا نريد الاستقامة فى الإصلاح، فلنؤدب الشباب هؤلاء أولا، ولنعلم العفة والوقار للنساء والبنات ثانيا، وإلا فلا فائدة من البكاء والعويل على الأخلاق والفضيلة، وهؤلاء الرقعاء يقولون: إننا نعاكس الفتاة التى تكشف عن مفاتن جسمها، لأن الكشف عن هذه المفاتن دعوة صريحة ونداء سافر.. وعلى الرغم مما فى هذا من مغالطة أو احتيال للتسويغ يجب على من يريدون الإصلاح أن يعلموا أن انحراف الشبان ذو صلة وثيقة بانحراف النساء، ورحم الله الرافعى إذ يقول: «إنه لو عرضت عليه قضية امرأة متبرجة عاكسها شاب فى الطريق لعاقب هذه المرأة عقوبتين: إحداهما بأنها اعتدت على عفة الشاب، والثانية: بأنها خرقاء كشفت اللحم للهر»..

إن هؤلاء الشبان لم يتربوا فى البيت تربية صالحة، ولم يجدوا فى المدرسة التوجيه الروحى الصادق، ولم يجدوا المرأة فى الشارع على ما ينبغى من التصون أو الوقار، ووجدوا فى المسارح والسينمات والشواطىء والنوادى والمجتمعات الأخرى عوامل الفتنة وجواذب الشر، فسقطوا وتحللوا ورتعوا وكونوا لنا هذا الجيش من المائعين والمتحللين اللذين لايكتفون بفساد نفوسهم بل ينشرون الفساد بين غيرهم كما ينتشر الوباء الخبيث، فما نفع هؤلاء لأمتهم وما جدواها منهم، وهى معرضة لوقوفها موقف الزحف العام فى بعض الأحيان، كى تدفع عدوانا، أو تسترد أوطانا، ماذا يكون موقف المائعين الخانعين الذين يبثون الضعف والهوان؟.. هل يثبتون فى معركة، أو يجيدون حمل سلاح.. إنهم سيكونون معاول الهدم ودعاة الهزيمة بين العصبة النافرة للجهاد والنضال، فإما أن نحسن تربيتهم، وإما أن نبعدهم عن مجموعة الأمة التى نرجيها ليوم نغسل فيه العار لنعيش عيشة الأحرار.. إننا نريد مثلا أن نخرج اليهود من فلسطين لنردها على أهلها الشرعيين، وأن نحرر بقية أوطاننا من أعدائنا، فهل تتحرر أرض فلسطين وغيرها بالأجسام الرخوة والملابس الحريرية والسلاسل الذهبية والمشية المتخاذلة والأخلاق المنحلة والحياة المتحللة؟.. إن فتيات اليهود قد حملن السلاح فى معركة اغتصاب فلسطين،

وحاربن وتعرضن لمتاعب ومشاق، فهل عجز شبابنا عن أن يكونوا مثل فتيات اليهود فى الشعور بالتبعة والنهوض بالواجب؟. لقد ذل من بالت عليه الثعالب!

من واجبنا أن ننقل الشباب إلى حياة القوة والفروسية التى يريدها لهم الإسلام، فإن القرآن الكريم يقول:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٥).

والرسول ﷺ يقول: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»(٦) وقد حث الإسلام أبناءه على ألوان الرياضة والفروسية والفتوة حتى يكونوا فرسانا فى مختلف الميادين، وإن كانوا رهبانا لربهم فى المحاريب، وحتى يحققوا الصورة الرائعة للأمة التى يذكرها القرآن بقوله:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾(٧).

ورضوان الله على الإمام على يوم طالب ابنه بأن يكون فى الميدان صورة للشاب المسلم القوى الفتى فقال له: «يا بنى تزول الجبال ولاتزل، عض على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تد (ثبت) فى الأرض قدمك. ارم ببصرك أقصى القوم وغض بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه». وهل يطيق ذلك إلا فتى تربى تربية مؤمنة تجعله عليما بالفروسية، خبيرا بالفتوة، صبورا عند اللقاء، مقداما فى حومة الهيجاء؟!..

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

إن أولادكم أمانات من الله فى أيديكم، فأحسنوا صيانة هذه الأمانات ورعايتها، وبدلا من أن تجعلوهم يتخذون قدوتهم من مخانيث الغرب وممثلى المسرح والسينما، اجعلوا قدوتهم من أمثال عمرو، وعلى، وأبوعبيدة، وخالد، وأسامة، والمثنى، وطارق، وعمر بن عبدالعزيز فأولئك أعلام الإسلام الذين زانوا الدنيا وسمو لقيمة الحياة، وإنما يصلح أمر هذه الأمة بما صلح به أولها من الإيمان بالله والاعتزاز به، والتطهر فى هذه الحياة، وسبحان من لو شاء لهدانا جميعا إلى سواء السبيل:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(٨)

***

(٥) الأنفال: «٦٠».
(٦) سنن ابن ماجه (٣١/١)
(٧) الفتح: «٢٩».
(٨) المائدة: «٨٨».

انحرافات الشباب

أسبابها ومعالجتها

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

تظهر أسباب انحراف الشباب تدريجيا على حسب نشأته المتدرجة من المنزل، إلى الشارع، إلى المدرسة، إلى المجتمع، ثم إلى وسائل الإعلام.

● أما بالنسبة للمنزل: فترجع أسباب الانحراف منه إلى عدم تمثل الوالدين للقيم الدينية، وعدم تمسكهم بآداب الإسلام قولا وعملا وتطبيقا، وتربية لأبنائهم، والبيت هو أول مدرسة تنمو فيها عواطف الشاب، وميوله وغرائزه، وعلى الأبوين تقع المسئولية الأولى بالنسبة للأبناء، فإذا ما رأى الابن أن الأبوين منصرفان عن التعاليم الإسلامية ويهملان شأنها، ولايعنيان بأخذه بها وتربيته عليها، انطلق من البيت ومعه الميول والنزعات القابلة لأى انحراف بعد، لأنه لم يأخذ الحصانة الأولى من البيت.

● ومن هنا فإنه إذا خرج للشارع فوجد انحرافا ما، أو سلوكا غير صحيح من بعض الشباب الذين يقاربونه فى السن، فإنه لايجد بأسا فى تقليدهم أو السير معهم، ولايشعر فى نفسه بأى امتناع عن سلوك الشر أو أى اعتراض من نفسه، فيسلك ما يسلكون، ويسير فيما يسيرون فيه، بل قد يصادفه فى الشارع أو فى الأماكن العامة مثلا بعض المظاهر المخالفة للفضيلة، فلا يجد فى نفسه إنكارا لها، بل ربما استهوته تلك المخالفات فأشعلت فى نفسه الرغبة فى الشر أكثر.

● وإذا ماذهب بعد ذلك إلى المدرسة التقى بمن فى سنه فيجد منهم نماذج مختلفة، وطباعا متباينة، فيها الخير، وفيها الشر، فإذا ما زحف الشر عليه، فمن المفروض أن فيما يتلقاه من دروس وفيمن يلتقى بهم من أساتذته من قدوة، كل ذلك يكون من

المنتظر منه أن يهذب من سلوكه، وأن يجعله يتخلى عن رذائله، ويتحلى بفضائل جديدة ولكن ضعف التربية وقلة المواد الدينية فى بعض المدارس، وعدم كفايتها للقيام بالدور الهام الذى ينبغى أن يكون موجها ومربيا، كل ذلك لايكوّن من شخصية الشباب النفس الصالحة المهذبة، التى تسير دوما إلى الخير.

● ثم إذا تنقل بعد ذلك فى جوانب المجتمع الأخرى، كالنادى أو السوق أو أى موقع آخر، لم يجد فى تلك المواقع من أسباب الخير شيئا، بقدر ما يرى من أسباب الشر، ففى المعاملة من بيع أو شراء يصادف المخالفات والبعد عن الحقيقة، وفى النادى وفى غير ذلك من الأماكن.

● وإلى جوار ذلك ماتقوم به المدارس الأجنبية فى بعض البلاد الأخرى من دور فعال، وماتقوم به الإرساليات التبشيرية لتشكيك الشباب المسلم فى عقيدته، وأيضا فتح المستشفيات والمستوصفات، ودور التمريض وغير ذلك، وإشاعة الدعاية الكاذبة للثقافة الغربية وإبرازها فى مظهر خلاب.. ومع هذه المظاهر تسير المذاهب الهدامة جنبا إلى جنب لنشر المبادىء الفاسدة، كالوجودية، والماسونية، والبهائية، والقاديانية، وغيرها فى بعض البلاد.

ولا يقتصر الأمر على ما سبق، بل يساعد على كل ذلك «الفراغ» الذى يعيش فيه بعض الشباب، والذى تهيأ لأن يملأ بأى جديد براق أو أى شىء فيه تسلية له.

● هذا بالإضافة إلى ما لحق بالأدب نثراً وشعراً، أوقصة ومسرحية، من البعد عن الآداب الرفيعة، والقيم العالية، وهبوطه وتشويه فكره بالإباحية فى مختلف الأعمال الأدبية، وإشاعة مؤلفات بعض الأدباء الإباحيين فى هذا الصدد، كما هو الحال فى بعض كتاب الأجانب وأصحاب الأقلام المسمومة.

والشيطان وراء أزمة الشباب بالمرصاد، إنه دائب السعى بشتى المظاهر والمحاولات للقضاء على القيم الدينية.

هذا وقد ظهر من تلك الأسباب، ظواهر خطيرة متعددة الأشكال، برزت من بينها النزعة العدوانية على الأنفس والأموال والأعراض. ثم الاستجابة إلى الرغبات اللاإنسانية، من الخيانة والغش والمجاهرة بالمعصية، والانحراف، وعقوق الوالدين، وعقوق الوطن.

● وظاهرة القمار والمخدرات، وأحيانا يصاب بعض الشباب باليأس حين تضيع من يده الحيل، وينتابه الشك، وتطغى عليه الغرائز فى جموح عجيب، يفقده عقله وعقيدته، مما يدعوه أحيانا إلى التخلص من الحياة، والانسحاب منها فى صورة بعيدة عن الدين والإنسانية والتعقل، وذلك فى ظاهرة الانتحار.

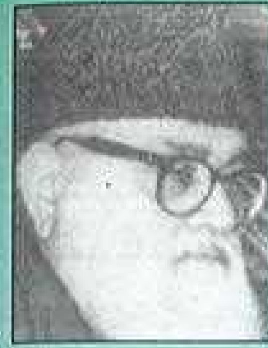
وأحيانا تستهويه المظاهر الكاذبة الذميمة من شباب الغرب، فيحاول تقليدهم، حين يتشبه بالنساء، أو حين تتشبه النساء بالرجال.

وقد لعن رسول الله ﷺ «المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»(1).

وقد يظهر فى لبس ماتلبس المرأة، أو تظهر المرأة بما يلبس الرجل.

وقد لعن رسول الله ﷺ «الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل»(2).

● هذا وللأيديولوجيات الأجنبية، والتبعية الفكرية الأثر الكبير فى تسرب الفكر الأجنبى الدخيل، هذا إلى جانب أن تلك الأيديولوجيات الأجنبية وضعت لمشاكل خاصة لا وجود لها فى مجتمعاتنا الإسلامية، لاسيما وقد دلت التجارب العملية فى بيئاتها على إفلاسها فى علاج ما وضعت له، بل إنها قد أوجدت مشاكل اجتماعية واقتصادية جديدة، هذا وأن بريق تلك الأيديولوجيات بريق خادع لايمثل إلا الطعم، للإغراء بالوقوع فى مخالب الأخطبوط العالمى(3).


أبو الأعلى المودودى

● والإسلام لايعادى العلم، أو التقدم الصناعى، بل إنه دين العلم، ولكن يجب أن يتجه بالعلم إلى مافيه سعادة البشرية وكرامتها وعمارتها، لا إلى مافيه الهدم والدمار، أو ضياع الكرامة الإنسانية.

ويقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى فى رسالته «تحديات العصر الجديد والشباب»:

«ولتلقوا نظرة عابرة إلى هذا العصر الجديد الذى يقال عنه بمنتهى الاعتزاز

(1) رواه البخارى.
(2) رواه أبو داود.
(3) خمس رسائل إلى الشباب والمسلم المعاصر للدكتور محمد البهى دار الفكر ببيروت ص٤٢ وما بعدها.

والمباهاة، إنه عصر التقدم والرقى، إنه عصر الفكر المتنور، ومما يمتاز به هذا العصر هو تقدمه العلمى وهو على كونه امراً جديراً بالتقدير والإجلال، يستغل استغلالا فاحشا فى دمار البشرية، وهلاكها وبوارها وشقائها أكثر من أن يستغل فى سعادتها وصلاحها.

وبواسطة هذا التقدم العلمى، يبتكر اليوم لإبادة الشعوب بأسرها، أخطر مايمكن من الأسلحة والأدوات، ويعد لتنكيل الإنسان وتشويه شخصيته من المعدات ما لامثيل له فى تاريخ الشيطانية، وتكتشف الجاسوسية أساليب لم يبق أمامها أى معنى لحياة الإنسان الخاصة، وتكرس الدراسات لتوليد الإنسان بطريقة يتولد الإنسان بعدها فى معامل العلم بدون اتصال الأب والأم بطريقة فطرية.

وطبعا المتولدون بتلك الطريقة العلمية سوف لاينتمون إلى أسرة من الأسر ولا يميل بعضهم إلى بعض أو إلى غيرهم من بنى الإنسان ميلا فطريا، ولا يرتبطون بماض له التقاليد المتوارثة، أو البذور الممتدة، وسوف تجهز المصانع «الأوادم» من كل لون من الألوان، وكل صورة من الصور، وكل شيمة من الشيم، وكل قابلية من القابليات، حسب مبدأ الطلب والعرض فى الأسواق، وتبيعهم للأشخاص أو الشركات والحكومات، بالمفرد أو بالجملة.

وهكذا يريد تمرد العلماء الملحدين أن يبلغ من التدهور نهايته، ليفتح على البشرية أحدث عصور الاستعباد وأسوأها، ينحط فيه الإنسان إلى درجة الأغنام والأبقار، بل لعل المصانع سوف تعد للأنظمة المناوئة لكرامة الإنسانية فى العالم «أوادم» عند الطلب، يكونون أشد افتراسا من الوحوش الضارية، هذا هو التقدم العلمى الذى يفتخر به غاية الافتخار، ويدعى أنه قد سما بالإنسانية إلى آفاق السماء، مع أنه فى الحقيقة أنه قدر ما رفع الإنسان قدر ما هبط به، وأنه جلب على الإنسان الويل والثبور، أكثر مما وفر له الخير والحبور»(4)]. هـ.

***

(4) تحديات العصر الجديد والشباب للأستاذ ابو الأعلى المودودى ص١٢ ط المكتبة العلمية لاهور - باكستان.

مكانة المرأة فى الإسلام

٢

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

كانت المرأة فى المجتمعات القديمة: الغربية والشرقية، والعربية قبل الإسلام قد حكم عليها بأن تكون مسلوبة الحرية، معدومة المكانة فى كل مايتصل بالحقوق الشرعية، وأن تكون مجرد مملوكة أو قطعة من الأثاث تباع وتشترى بيع السائمة والعقار، بل لايكون لها حق فى الحياة نفسها إذا مات زوجها، أو عند ولادتها طفلة.

وقد جاء الإسلام فرد للمرأة اعتبارها، وحافظ على شخصيتها فيما يتصل بزواجها، فأعطاها حرية التعبير والرأى فى اختيار شريك حياتها، وجعل لها حقا مطلقا فى رفض الزوج الذى يفرضه عليها أهلها فيما لو كانت غير راغبة فيه بسبب معقول مقبول، فقد شكت فتاة إلى الرسول ﷺ أن أباها زوجها من ابن أخيه دون رغبة منها، فقد روى ابن بريدة عن أبيه، قال: «جاءت فتاة إلى النبى ﷺ فقالت: إن أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته، قال: فجعل الأمر إليها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبى، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء»[1]

ففوضها الرسول ﷺ فى شأنها فيما لو أرادت الانفصال عنه.

حق المرأة فى الصداق

كان صداق المرأة قبل الإسلام يعطى لأهلها، فجاء الإسلام فجعل الصداق حق للمرأة دون أهلها، تتصرف فيه كما تشاء، وفى هذا تكريم لها، واعتراف بحقها فى التملك، حيث قال تعالى:

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ﴾

[النساء: ٤]

وقد أشار القرآن الكريم إلى جواز كثرة المهر، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا ﴾

[النساء: ٢٠]

وهو ما استدلت به المرأة التى نازعت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين أراد تحديد المهور، فقالت له: ليس ذلك لك يا عمر، إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول:

﴿ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا ﴾

مما دعا عمر لأن يعود إلى الحق، قائلاً: «امرأة أصابت وأخطأ عمر»[2]

حق المرأة فى الحقوق المدنية والذمة المالية

لم يقف الأمر بالإسلام فى نطاق تكريم المرأة، ورفع شأنها، ومنحها حقوقها الآدمية عند حد معين. فقد أعطى الإسلام المرأة ذمة مالية منفردة خاصة بها، وخولت الشريعة الإسلامية للمرأة الراشدة جميع الحقوق المدنية المتصلة بأملاكها، فقد منحتها كامل حريتها فى أن تدبر شئونها

١- سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب من زوج ابنته وهى كارهة

٢- راجع فتح البارى بشرح صحيح البخارى، كتاب النكاح، باب قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ﴾

بنفسها من مال وأملاك وتجارة وزراعة . . .

وفى هذا النطاق خول لها الإسلام أن تعقد عامة العقود المدنية : من بيع وشراء وإيجار واستئجار وشركة ورهن وهبة ووصية . . . إلى غير ذلك من الشئون الشخصية التى تعرض للمرء فى حياته .

وحق المرأة هذا قد صانه لها القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ﴾

آية ٦ سورة النساء

مساواة المرأة بالرجل فى التكاليف الشرعية والجزاء

لقد بلغ تكريم الإسلام للمرأة أقصى مداه، حين طبق مبدأ المساواة التامة بينها وبين الرجل فى التكاليف الشرعية، وفى الجزاء، وبذلك يكون الإسلام قد حقق للمرأة إنسانيتها، حيث جعلها قرينة للرجل فى الخطاب الدينى لا فرق بينهما، الكل واحد أمام الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى تنفيذ أوامره ونواهيه، وفى المحاسبة على ذلك ثوابا وعقابا . . .

فالإسلام عند فرضه للصلاة، والصيام، والزكاة والحج لم يفرق بين الرجل والمرأة فى تنفيذ هذه الأركان، وجعلهما أمام مسئولية الحساب سواء . . .

كما أن الإسلام فى جميع أوامره ونواهيه العامة : فى العبادات والمعاملات، والأخلاقيات والسلوك . . . لم يفرق بين المرأة والرجل أيضا، فلم يطلب من الرجل الالتزام بالصدق دون المرأة أو العكس، ولم يطلب من المرأة الالتزام بتأدية الأمانة دون الرجل أو العكس، وهكذا فى جميع الأوامر والنواهى العامة . . .

والقرآن الكريم قرن المرأة بالرجل فى آيات التبشير بحسن الجزاء، والحض على فعل الخير، والنهى عن المنكر، يقول الله تعالى :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾

آية ١٩٥ سورة آل عمران

ويقول جل شأنه :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

آية ٩٧ سورة النحل

الأزهر

مساواة المرأة بالرجل فى مقام القصاص

لقد سوى الإسلام تسوية مطلقة بين دم الرجل ودم المرأة، ففى آيات القصاص لم ينص على إعدام قاتل الرجل دون قاتل المرأة، وإنما الاقتصاص يكون من القاتل رجلا كان أو امرأة، وللقتيل رجلا كان أو امرأة، ، ولم يكن الأمر كذلك قبل الإسلام، فقد كان دم المرأة مهدرا فى القصاص، حيث كان قصاص القتل لقاتل الرجل فقط، فجاء الإسلام وسوى بين دم الرجل ودم المرأة . . .

كما سوى الإسلام أيضا بين المرأة والرجل فى مقام القصاص من الجرائم التى يقترفها أى من الجنسين على حد سواء، يقول الله تعالى :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

آية ٣٨ سورة المائدة

ويقول جل شانه :

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

آية ٢ سورة النور

إن من يتأمل قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الروم/ ٢١)

ليعلم - حقا - المكانة التى أرادها الإسلام للمرأة، وما نادى به من حسن معاملتها، وهو ما سنتناوله فى العدد القادم بمشيئة الله تعالى.

«يتبـــع»

***

مختارات شعرية

على قبر أم المؤمنين

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

للشاعر الكبير/ عزيز أباظة(*)

هذا الجلالُ له وهذا الرونقُ ... وهو المسوّى بالصعيد الملصقُ
قبرٌ تراهُ فلا تكادُ .. وربّما ... ضوى الفتى وهو الأعزُّ الأعرقُ
إن لم يرُق للعين فهو مهابة ... تعنو لها نفسٌ ويخشع مفرقُ
جمع الخلائق في سُموّ طرازها ... وفريده، هذا الحفيرُ الضيّقُ(1)
يكفيه من عُليا المنازل أنّه ... يَسنى بأمّ المؤمنين ويَسمقُ(2)
ولقد وقفتُ به وقد وقب(3) الدجى ... فتعاظمتني روعةٌ تتدفّقُ
والنفسُ بالصور الوسام حفيلةٌ ... تُجلى لأمّ المؤمنين وتُمشقُ(4)
والكابرون الخالدون حيالها ... يكسو مضاجعهم جلالٌ مُغدقُ(5)

(*) فقد الشاعر زوجته، فهرع إلى مكة يستروح الصبر، وأنشد هذه القصيدة وهو على قبر السيدة خديجة أم المؤمنين.

(1) الحفير: القبر.

(2) يسنى: يضيء، يسمق: يطول ويعلو.

(3) وقب الدجى: حل الظلام.

(4) الوسام: جمع وسيم وهو الجميل. تمشق هنا بمعنى تصور.

(5) هم عبدالمطلب جد النبي وابوطالب عمه وغيرهم.. وقبورهم في جوارها.

وحراءُ وضّاءُ المتالع والرُّبى ... عالٍ على لحظ العيون مُحلّقُ
مُتفرّدٌ بمهابةٍ وجلالةٍ ... شمّاءُ لا تُشأى ولا هي تُلحقُ(6)
قد كُلّلتْ هاماتُه وشعابُهُ ... بسنى يرفُّ الكونُ فيه ويشرقُ
شهد الزمانُ عليه وحدانيّةً ... غمر الزمانَ ضياؤها المتألّقُ
ورأى الوجودُ على عتيق ترابه ... عبقاً من الرقّ الذي يتذوّقُ(7)
إقرأ . فلم يقرأ . ولكن شعّه ... ديناً هو الفنُّ الجميلُ المونقُ
أرسى على الأخلاق سمحُ أساسه ... العقلُ من إعجازه والمنطقُ
يا أمّ سيّدة العقائل(8) لم يُتح ... لكريمةٍ فضلٌ كفضلك مُعرقُ
قد ثبّت الإسلامُ أنك كهفُه ... يوم النضال . وحصنُه المترفّقُ
أرأيتِه يسعى إليك وقلبُهُ ... مما رأى بحراء عانٍ مُقلقُ
حيرانَ مُضطربَ الخطى مُتجهّماً ... يرنو بحيرته إليك ويرمقُ
هل كان نهبَ الوهم فهو مُكذّبٌ ... أو راءَ عينَ الحقّ فهو مصدّقُ(9)
زمّلتِه وكفكفتِ ثورة نفسه ... وأساه سائحُ عطفك المترقرقُ
ما أمُّهُ أحنى عليه جوانحاً ... لو ملاتُه ولا أبوه أشفقُ(10)
وسكبتِ في أوصاله ثقةً فلا ... وهمٌ يُطلُّ ولا وساوسُ تطرقُ
فمضى بعينك يبلغُ الكونَ الهدى ... ثبتَ الفؤاد، عن الهوى لا ينطقُ
بيمينه التنزيلُ تخلقُ جدّةُ الـ ... دُنيا وغضُّ جديده لا يخلقُ

(6) لا تشأى: لا تتطاول ولا تفضلها منزلة.

(7) العتيق هنا بمعنى الشريف.

(8) فاطمة الزهراء.

(9) راء: رأى.

(10) ملاته: نعمت به.

يطوى الدهور إلى الدهور وهديه   بلله البيان بكل دهر أخلق
أنت التى كفل النبوة حبها   وحنوها وذيادها المستوسق[١١]
آمنت أول مؤمن مستوثق   للـه ذاك المؤمن المستوثق

●●●

فى بيتك استقبلته أغنى الورى   وهو المقل كما عهدت المملق
ليس الغنى مالاً يفاد ويقتنى   إن الغنى خلق يعز ويسمق
زوج يراح بزوجه ويحوطها   بهوى وعاطفة تضىء وتشرق[١٢]
ينمى عقائل مالها ويصونه   طبا بما ينميه أو ما ينفق[١٣]
يهنيك أنك قد ظفرت بواحد   هو فى الوجود الواحد المتفوق
ما فى الورى منذ الخليقة سابق   لكريمه إلا وزوجك أسبق
أو باحث متأمل متعمق   إلا شآه الملهم المتعمق[١٤]
أو معرق متحدر عن معرق   إلا وأحمد ياخديجة أعرق
الكامل المتوقد المتهجد الـ   ـعف الأمين، الصادق، المتصدق
قد عشتما قبل النبوة حقبة   بسنائها جيد الزمان مطوق
كان النبى وإن تأخر بعثه   تزكو النبوة فى حماه وتورق
ودت لو اندفعت له قبل المدى   سباقة تطوى الزمان وتسبق
يا روض أم المؤمنين مطهرا   يهفو له غرب وينزع مشرق

(١١) المجتمع او المتين.
(١٢) يراح: يرتاح ويأنس.
(١٣) الطب: الخبير.
(١٤) شاه: سبقه وبذه.

ذكرتنى «بالربعماية» مضجعا   بخديجة أخرى يرف ويعبق[١٥]
فيها مشابه من خديجة جمة   والقدوة العليا ترام فتلحق[١٦]
فضل وإيثار، وتضحية، وإعتا   ب، ومعروف يصوب فيغدق
وتمسك بالعروة الوثقى على   علم بها وتجمل وترفق
ونبالة مكسوبة، موروثة   أرسى وطائدها نصاب معرق[١٧]

●●●

يا قلب قد لقى الأحبة ما لقوا   إن تسل بعدهمو فمالك موثق
ذهبوا كما ذهبت بشاشة نعمة   ومضوا كما يمضى السنى المتألق
كانوا هواك فما خفقت بغيرهم   مذ أنت لا تدرى لماذا تخفق
آنستها ملء النواظر طفلة   الحسن فى قسماتها والرونق
تختال فى حلل النعيم وتنثنى   وترف فى وشى الشباب وتبرق[١٨]
تجرى الوشاح على بتيل مخطف   كالغصن كاد من النضارة يورق[١٩]
مدت عليك الرفه رقراق الجنى   فإذا حياتك بسمة تتألق
العيش بندى والبشاشة تزدهى   والأنس سكب والمنى تتحقق
والدار حالية الجوانب طلقة   حتى لكادت بالرفاعة تفهق
سعدت بمسعودين يجمع شملهم   حدب، وعاطفة، وحب غيدق

(١٥) الربعماية: بلد المؤلف وبها قبر زوجه.
(١٦) مشابه: جمع شبه.
(١٧) النصاب: الاصل.
(١٨) ترف: تضئ او تهتز.
(١٩) بتيل: نحيل.

دانت لهم نعم الدُّنا فتنعَّمُوا ... ودنا لهم وِرْدُ الهناءة فاستَقَوا[٢٠]

وتآلفت أرواحهم وميولهم ... كالرَّاح بالعذب الفُرات يُصفَّقُ

حتّى إذا أوفى نعيمُهُم على ... غاياته فتملَّئوا وتذوَّقوا

... عصف الزمانُ بركْنهم فتصدَّعوا ... وهَوى الرَّدى بملاذهم فتفرَّقوا

وانجاب أُنسهمو فعينٌ ثرَّةٌ[٢١] ... وجوانحٌ هدْمى، وقلبٌ مُحرَقُ[٢٠]

●●●

أبنىَّ قد حُمَّ القضاء، وحلَّ بى ... وبكم مُلِمٌّ فى الكوارث مُطبِقُ

لم أنسكم باكين صرْعى حولها ... وقُلُوبُكُم من حسْرة تتشقَّقُ

هذى تُفدِّيها، وذاك يضُمُّها ... وأبوكُمو المُلقى هُناك المُصعَقُ

وتنفَّستْ فمضى إلى عليائه ... سِرُّ الحياة الرائعُ المُستغلقُ

فإذا الحياةُ على سُمُوِّ مكانها ... فى مِزْقة من ومْضة تتمزَّقُ[٢٢]

أبنىَّ عُوجلتُم بيُتْمٍ داهم ... واليُتْمُ لا يحْنُو ولا يترفَّقُ

سنعيشُ ما عشنا يلجُّ بنا الجوى ... عانين تُصبحُنا الهُمُومُ وتطرقُ

فى أضلُعى وشعاب نفسى تلتقى ... أشجانكم وأساكُمُو المُتفرِّقُ

فإذا اختلاف الدَّهْر كفكف دمْعكُم ... والدَّهْر يُنْسى والشَّباب الرَّيِّقُ

فأنا الذى لا ينثنى بعْتادهُ ... همٌّ يُؤرِّقُهُ، وبثٌّ مُوبِقُ

الذاكرُ الوافى، الولىُّ على المدى ... والأيِّمُ الباكى الحزينُ المُطرِقُ

---

(٢٠) دانت: ذلت.

(٢١) ثرة: كثيرة البكاء.

(٢٢) مزقة: جزء.

الإسلام وإرادة التغيير

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

يقف الإسلام ضد الانغلاق بكلمة واحدة هى (الحضارة) كما يقف ضد الجمود بكلمة واحدة كذلك هى (إرادة التغيير).

لأن الحضارة الإسلامية بناء كلى يشتمل على نظرة الإسلام الكلية إلى الإنسان والكون والحياة وما بعد الحياة، ومن ثم فإن أية دراسة منهجية فى هذا الصدد ينبغى أن تراعى صميمية هذه العناصر فى تكوين البناء الكلى لهذه الحضارة الإسلامية حتى يكون حكمها قائماً على فقه موضوعى لحقائق النظرية بكل ما تنحنى عليه من عناصر ومفردات.

ولأن التغيير هو مجمل ما يمكن أن نطلقه على الفعل الإسلامى العظيم فى مجالات الاعتقاد والعبادات والمعاملات التى كانت سائدة قبل حلوله على الأرض، وقيادة كل هذه الأنماط من شواطىء التوثين والخرافة والافتيات، إلى شواطىء التوحيد والحكمة والعدالة، فإن أية دراسة منهجية فى هذا الصدد أيضا ينبغى أن تراعى هذا الجانب الصميمى حتى يكون حكمها على الأشياء نابعاً من فهم حقيقى لطبائع هذه الأشياء وليس مجرد إسقاط حكم فوقى على ما لا يدرى من حقائقها الأولية بالجهل أو بالتزوير.

والإسلام بطبيعته لا يهجم على قضية من القضايا قبل إعداد إنسانه المسلم لهذه القضية، وتهيئة هذا الإنسان لكى يكون فى علاقته بنفسه، وعلاقته بالآخرين، وعلاقته بالكون، وعلاقته بالله على مستوى التعادل والاطمئنان وإشعاع مزيد من الخير فى قلب الدائرة التى يعايشها، لأن مجموع هذه العلاقات - على نحو إيجابى - يضع إنسان الإسلام بالضرورة فى قلب حركة الحياة، ويعطيه إمكانية تسديد هذه الحياة إلى غاياتها النبيلة التى تفيض بمطلق الخيرية

الشاملة.

وعلاقة الإنسان بنفسه - من المنظور الإسلامى - علاقة تعلية وتكريم، حتى يمكن لهذه النفس أن تعود سيرتها الأولى، مرآة صافية تنعكس عليها كل المشاعر الفاضلة وكل المعانى الجميلة... ثم هى علاقة تعادلية إذا جاز أن يقال، بمعنى أن الإنسان المسلم يرى نفسه ليس مجرد كمٍ مادىّ كثيف أو مجرد كيف روحى مجرد، ولكنه يراها عالما مائجا بمعانى الغايات الكبيرة والأهداف الجليلة التى يتعانق فيها المادى بالروحى، والحياتى بالماورائى، فهو مطالب على الدوام بإرهافها وشحذ مستوييها، وحين جلجل النبى ﷺ فى أصحابه عقب عودته من إحدى معارك الدعوة الأولى: «قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، مجاهدة العبد هواه»[1] كان يعلن بدء الجولة الداخلية حتى لا يطغى جانب الاهتمامات الخارجية على هذا الداخل فيغيم وتهتز المعادلة التى تقيم الإنسان المسلم السوى على سواء وسط عالم ترجح منه كفة لتشيل منه كفة أخرى بلا حدود!!

وعلاقة الإنسان بالآخرين - من المنظور الإسلامى - علاقة التزام عقائدى، بمعنى أن المسلم يرى فى الآخر بناء إلهيا هو مسئول بالضرورة عنه كونا أو فسادا: «الإنسان بنيان الله فى الأرض ملعون من هدم بنيانه»، والإنسان قد يهدم الآخر بقتله، وقد يهدمه بتجهيله، وقد يهدمه بنوع من اللامبالاة يحاصره فى سجنها الرهيب، وقد يهدم الإنسان نفسه كذلك بإراقة طاقاتها فى غير متجه حقيقى، وهنا يبرز دور الالتزام العقائدى، ويلوح الإنسان المسلم مسئولا عن إشاعة العدل والمعرفة والمبالاة والتوحيد، حتى ولو خاض فى سبيل هذه الغاية حروبا، إن علاقة الإنسان بالآخرين من المنظور الإسلامى ليست سياحة بين الجموع مبتوتة الصلة بهمومهم الذاتية والموضوعية، ولكنها التحام مصيرى بهذه الجموع، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله...

هذا من جهة علاقة المسلم بأخيه الإنسان، ومن جهة أخرى يحرص الإسلام على أن تكون العلاقة بين المسلم والمسلم قائمة على أساس من التعاطف البناء، فحب الآخر شرط الإيمان: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[2].. ونصرة الآخر ضريبة لازمة: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»[3].. ورعاية مشاعر الآخرين قضية واجبة: «إذا دخلتم إلى المريض فنفسوا له فى الأجل»[4].. «لا تقل رأيته يسرق ولكن قل: رأيته يأخذ».

وعلاقة الإنسان بالكون - من المنظور الإسلامى - علاقة جمالية شاملة وهى

(١) كنز العمال، طرفه (١٢٦٦٠).

(٢) سنن الدرامى (٢/٢٩٧) طرفه (٢٧٤٠).

(٣) سنن الترمذى (٤/٥٢٢) طرفه (٢٢٥٥)

(٤) سنن ابن ماجه (١/٤٦٢) طرفه (١٤٣٨).

مؤسسة على بديهية أن الكون هو الإطار المادى الذى يحيا داخله الإنسان وكلما كان هذا الإطار المادى جميلا كان ذلك دليلا على جمال إنسانه الذوقى والعقلى، وليس الجمال هنا قيمة مجردة أو قيمة ضامرة فى ظواهر الأشياء، ولكنه قيمة تبدأ من منطلق الجمال المجرد لتلامس تخوم الجمال فى الطبيعة لتحقق معانى الجمال فى الإنسان، وفى ضوء هذا الفهم أطلق النبى حديثه العظيم «جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا»[5] إن معنى هذه الكلمات ليس مجرد أن الصلاة للمسلم يمكن أن تمارس فى أى مكان يحل فيه وليس المسجد المبنى شرطا، ولكن المعنى الأرحب والأصعب، أن الأرض المخلوقة لله مسجد بالفعل، وينبغى للمسلم أن يحرس جنباتها حراسته لحرمة المسجد المبنى، فلا يجوز أن يعيش فى رحابها فكرٌ ملحد، ولا دعارة جسدية، ولا انتهاك لمعنى السلام والحب، ولا إباحية مادية تقتر هنا وتسرف هناك... إلى آخر هذه المعانى التى يمكن أن تشكل فى النهاية عدوانا على مصطلح (الجمال) الذى هو محور علاقة الإنسان بالكون، أى أن الأرض - بما أنها مسجد - تحتضن كل فعل عليها - كأنه صلاة - !!

وعلاقة الإنسان بالله - من المنظور الإسلامى - هى جماع هذه العلاقات: هى طهر علاقة الإنسان بنفسه، ونبل علاقة الإنسان بالآخرين، وجمال علاقة الإنسان بالكون، إن ذلك كله يعنى تماما صوابية علاقة الإنسان بالله.

وتأسيسا على هذه المقدمات، يتحدد موقف الإسلام ضد الانغلاق فى كلمة (الحضارة) التى هى رؤية إنسان هذه الفلسفة الشمولية للإنسان والكون والحياة وما بعد الحياة.

والحضارة فى المفهوم الإسلامى حضارة ذات شعب متباينة ومتلاقية، هى ذات شعب متباينة لأنها حضارة شاملة تحيط بظواهر الحياة الإنسانية فى جوانبها الروحية والمادية والعلمية.. وهى ذات شعب متلاقية لأنها حضارة متسقة متناسقة تهدف إلى إقامة بناء حضارى متعادل ليعيش الإنسان فيه بلا تخبط وبلا صراع.

وقد ذهب الباحثون عن مكونات الحضارة الإسلامية فى هذه الصدد طرائق متعددة، ولكنهم التقوا جميعا فى النهاية عند تصور عام للقضية يؤكد ربانية هذه الحضارة وإنسانيتها معا.

فبعضهم يرى أن حضارة الإسلام تقوم على أساس من الدعوة إلى الاعتقاد بوجود الله وتوحيده، والدعوة إلى التصديق برسالة النبى ﷺ واتباعه، وأن الأصول المتعلقة بذلك تنحصر فى عديد من الأساسيات هى:

النظر العقلى لتحصيل الإيمان وتقديم

(٥) سنن ابن ماجه (١/١٨٨) طرفه (٥٦٧).

العقل على ظاهر الشرع عند التعارض والبعد عن تكفير الآخرين، وحماية الدعوة لمنع الفتنة ومودة المخالفين فى العقيدة والجمع بين مصالح الدنيا والآخرة[٦].

وبعضهم يرى أن أسس هذه الحضارة الإسلامية تقوم على:

عقيدة التوحيد وثبات سنة الكون والمساواة بين الناس ونظرية الواجب[٧] وبعضهم يرى أن مكونات الحضارة بعامة ثلاثة، وهى:

الإنسان/ والتراب/ والوقت

وأن الحضارة الإسلامية من بين الحضارات تنفرد بطابع خاص يقوم على هذه المكونات الأساسية أيضا ولكنه يضيف إليها كشرط أولى: (المركب الدينى) الذى بدونه لا تكون الحضارة الإسلامية قد استوت على قاعدة فهمها الصوابى[٨].

ولا نريد أن نخوض أكثر من ذلك فى معترك الآراء والاتجاهات التى حاولت أن تؤصل لمفهوم الحضارة الإسلامية، لأن فحوى ما قيل يرجع فى مجمله إلى هذه العناصر السابقة مع إعادة لصوغها مرة، أو تغيير فى ترتيب عناصرها مرة أخرى، ولكننا نريد أن نخطو بالقضية خطوة أخرى، تستفيد من هذه الرؤى، وتؤسس على ضوئها رؤية جديدة أقرب إلى منطق التنظير وواقع الشمول.

ولعلنا لا نجاوز القصد حين نفترض أن مضمون الحضارة الإسلامية يتحدد فى هذين المحورين الأساسين:

محور الحضارة الروحية، ببعديها: الحياتى والغيبى.

ومحور الحضارة المادية، ببعديها: السلوكى والعلمى.

ويتمثل البعد الحياتى للحضارة الروحية، فى علاقة الإنسان المسلم بالعبادات والمعتقدات ومدى فهم هذا الإنسان لهذه العلاقة، فإذا كان صائب الذاكرة أقبل على العبادات والمعتقدات إقبالاً سوياً يضع المعنى داخل الحركة، والقضية ضمن الواقع المعاش، أما إذا كان ملتوى المنطق، أقبل على العبادات والمعتقدات إقبالاً صارفا لها عن سوائها الحقيقى، بحيث تستحيل على يديه إلى مجرد شعارات فارغة من الجدوى والمضمون.

ويتمثل البعد الغيبى للحضارة الروحية، فى علاقة الإنسان المسلم بما وراء الطبيعة من قضايا ووجودات، فهو يؤسس علاقاته فى هذا المجال على أساس من الوعى بحقيقة اقتداره وعجزه معا لأنه مطالب - فى إطار اقتداره العقلى والروحى أن يؤمن بالمحسوس

(٦) انظر: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

(٧) انظر: الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة فى الشرق الأوسط د. محمد حسين هيكل.

(٨) انظر: شروط النهضة ومشكلات الحضارة - لمالك بن نبى.

والمعقول، وهو مطالب كذلك فى إطار عجزه الروحى والعقلى، أن يؤمن بما هو فوق طاقة الحس والعقل، لأن عجز الجناح عن التحليق فى أفق أبعد من الأفق لا يعنى انعدام هذا الأفق ولأن انحصار طاقة الرؤية فى مدى معين لا يعنى خواء ما بعد هذا المدى المحدود من آماد بلا حدود، إن جهد العجز هنا أن يقر بمحدوديته لا أن يرمى كل القضايا اللامحدودة بالعبث والخواء.

أما الحضارة المادية، فيتمثل بعدها السلوكى فى تحريك الإنسان المسلم لمفاهيم إسلامه إلى جانب الفعل المضىء وليس إلى جانب الفعل المدمر، بمعنى أن هذا الإنسان مطالب منذ البدء بتسديد سلوكه الفاضل فى اتجاه صوالح الفرد والجميع، والكون والحياة، وإشعاع نوع من القيمة فى كل شىء حتى تستحيل الأشياء إلى قوى خيرية مطلقة، فالتبادل المادى ينبغى أن يقوم على البر وليس على استغلال الضوائق الخانقة، والإبداع الصناعى ينبغى أن يوجه إلى التعمير لا إلى التدمير، وريادة المجاهيل فى الكون ينبغى أن يقصد بها توسيع رقعة الضوء وليس مجرد توسيع دائرة الاحتياز، وهكذا إلى ما لا ينتهى من مظاهر السلوك البشرى فى ممارسته الفاعلة لدوره على الأرض ودوره فى ممالك التاريخ.

ويتمثل البعد العلمى لهذه الحضارة المادية، فى إطلاق ملكة الخلق والابتكار فى كل فضاءات العلوم الإنسانية والذوقية والكونية: من الحكم إلى التشريع إلى القضاء، إلى الفلسفة إلى اللغة إلى الأدب، إلى الكيمياء، إلى الطب إلى الرياضيات، إلى غير أولئك وهؤلاء من شتى المعارف وألوان العلوم، والإسلام لا يعنى بالعلم هذا الكم المعرفى وحده. ولكنه يعنى به أساسا إطلاق الطاقة الإنسانية من قبضة الجهل والخرافة، والسير بالتاريخ من مراحل العشوائية إلى مراحل الرشد، والوقوف فى ساحة الكون على أرض العطاء وليس على أرض التلقى، وقيادة الحركة الكونية من خلال الفهم وليس على أرض التلقى، وقيادة الحركة الكونية من خلال الفهم وليس من خلال الاعتباط.

وهكذا يتحدد موقف الإسلام ضد الانغلاق فى كلمة واحدة هى الحضارة، ويتحدد كذلك موقف هذه الحضارة من عناصر تكوينها الأساسية فإذا الدائرة متكاملة، وإذا كل قطر من أقطارها يشع وميضه الذاتى على غيره بلا حدود،

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾[٩].

وإذا كان موقف الإسلام ضد الانغلاق قد تحدد فى كلمة واحدة هى: (الحضارة) فإن موقفه ضد الجمود يتحدد كذلك فى كلمة واحدة هى (التغيير).

(٩) البقرة (١٣٨).

وثورة الإسلام حقيقة يعرفها كل من يتأمل طبيعة الحياة فى عالم ما قبل الإسلام، فالعلاقة بين الأرض والسماء كانت مبتوتة تماما أو مغلوطة تماما.

كذلك كانت العلاقات بين الأفراد والطبقات والأجناس والألوان قائمة على أساس من التمايز الفظ واللونية الفادحة، والافتيات الرهيب، كذلك كانت العلاقة بين الإنسان والأطر الحضارية المختلفة هامدة أو سائرة إلى الوراء.

فلما أومض الإسلام فى صحراء هذه الحياة غير مجرى التاريخ فى شعابها وشعاب العالم الكبير، وأقام العلاقة بين الأرض والسماء على أساس من المخلوقية والخالقية، والعلاقة بين الأفراد والجماعات والطبقات والأجناس والألوان على أساس من الأخوة الحميمة الملتزمة، والعلاقة بين الإنسان والأطر الحضارية على أساس من التفاعل والجدل المستمر، وهذا كله يمثل انقلابا فى تاريخ العلاقات على كل مستوى وفى كل اتجاه!!

قاد الإسلام عمله فى مجال العقيدة على الشرك والوثنية، بتأسيس قضية التوحيد فى مواجهة كل الانحراف العقيدى، وخاض فى الطريق إلى هذه الغاية حروبا هائلة ليستنقذ جبين الإنسان من مراغة الانحناء أمام صنم معبود أو وثن مؤله، ولم يخض معاركه فى هذا الصدد بالسيف المجرد وحده ولكنه خاضها بالمنطق العقلانى والمنطق الكونى، فشرك سدنة المادة فى ذهول وارتباك لأنه وضعهم أمام خيار مصيرى بين أن يظلوا فى حصار المادة الكثيفة العاجزة وبين أن يصيروا إلى فضاء التوحيد المثالى النظيف، ووقف القرآن فى هذه المعركة موقفه التاريخى المعجز، يشعل ثورة النور فى ظلام البلادة، وثورة العقل فى خواء الخرافة، وثورة التوحيد فى خرائب التشريك:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٠)

﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾(١١).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾(١٢).

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(١٣).

(١٠) إبراهيم (٣٥، ٣٦).
(١١) الأنبياء (٦٢، ٦٣).
(١٢) الحج (٧٣).
(١٣) الإسراء (٨١).

وقاد الإسلام عمله فى مجال الاجتماع برفض التفاوت على أساس طبقى أو عرقى أو لونى وأتاح لقيمة العمل الإنسانى وحدها أن تكون فيصل هذا التفاوت الذى هو واقع الحياة والأحياء حتى لا يتساوى خامل بمتحرك، أو مبدد بصاحب حكمة، وعمد الإسلام فى هذا الصدد إلى تفتيت الثروات بالميراث والصدقة والزكاة والكفارات والإسهام فى المشروعات العامة، حتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء، وحتى لا يكون الغنى والفقر ضربة لازب لا يريم.

لقد أقر حق الملكية الفردية ولكنه حدد طبيعتها ووسائلها وطرائق إنمائها فى إطار من الإحياء الوجدانى والعدالة الاجتماعية، فإذا كان المال زينة من زينة الحياة الدنيا فإن الله تعالى يقول:

﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾(١٤).

وإذا كان الإنسان مطالب بالعمل الكادح:

﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١٥).

وإذا كان المسلم مأمولا لإثراء حركة الحياة المادية من حوله فإنه مأمول لإثراء حركة الخير وانتشال كل المعانى الجميلة من قبضة الشح والإقتار.

وإذا كان الإنسان بطبيعته الأرضية يود أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار فإنه لابد أن يرتفع إلى تمنى أن تكون له جنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للمتقين، وإذا كان الظلم طبيعة غائرة فى أعماق البشر فإن الله قد حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغى بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون.

وقاد الإسلام عمله فى المجال الحضارى بتأصيل روح المنهج العلمى، فالخرافة مصادرة أولية لمنطق العقل الذى هو راية انتصار الإنسان على كل ما عداه من الكائنات، ولم يضع الإسلام للحركة العلمية حدودا غير حدود الالتزام العقائدى، بمعنى أن العلم - من المنظور الإسلامى - مطالب باقتحام الأرض والسماء وتفجير كل الطاقات والإمكانات، وتشكيل الكون تشكيلا أفضل وأروع، ما دام كل أولئك ملتزما بقضية الخير وإعلاء وضعية الإنسان.. وقد فهم المسلمون هذه المعادلة على وجهها الصوابى توافقا مع منهج الإسلام.

***

(١٤) الكهف (٤٦).
(١٥) التوبة (١٠٥).

مجددون؟ لا .. بل مبددون!

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

١

فى زمان تدعو كل أمة إلى كتابها وإلى مذهبها .. وفى الوقت الذى يتواصى فيه المغرضون بالنيل من ديننا، فى هذا الوقت بالذات، يروعك أن تسمع منكرا من القول وزورا من كتاب محسوبين على الإسلام، بيد أنهم يفتحون عليه النار، ويشنون الغارة. يفاحشون بالقول، ويجاحشون بالمراء، أى أن القذيفة تأتى من منطقة الأمان! ومن قبل كتاب تطير بهم الأهواء هنا وهناك، لا يستقرون على حال من القلق، لا تكمن علتهم فى أنهم لا يعرفون، ولكنهم يعرفون ثم لا يعترفون، يحركهم الغرض، ولا نقول المرض!!

وإذا كان خصوم الإسلام منطقيين مع أنفسهم حين يكرهون الإسلام، بل كل ما ينتمى إلى الدائرة العربية الإسلامية، لأنها دائرة مزهود فيها.

وإذا كانوا هناك يكرهون الأديان جملة، ثم يجسدون تلك الكراهية فى كل ما هو عربى وما هو إسلامى، إذا كانوا يفعلون ذلك، فما هو عذر العربى المسلم الذى يحتطب فى حبلهم مما يحملك على اليقين بأن أعداءنا قد كتب عليهم الجلاء من ديارنا، لكنهم خلفوا من بعدهم آثارهم تدل عليهم، وصحيح أن عدونا لم يبق له جندى واحد يخطر على أرضنا، ولا قلعة مدافعها موجهة إلينا، ولا راية ترفرف فوق رءوسنا. ولكن صحيح أيضا أن هناك من يفضل أن تظل أفكاره فى رءوس أولادنا ومبادئه فى أحزابنا، ومناهجه فى مدارسنا، وقوانينه فى محاكمنا، ويا له من بلاء يجل عن العزاء، وهو ما أشار إليه الشيخ على الطنطاوى بقوله:

«هذا هو الاستعمار الذى يهون معه استعمار الديار؟! إن البذور التى بذرها المستعمر قبل رحيله أنبتت نباتا لم نذق مثل مرارته أيام الاستعمار، وكان ما أبقاه فينا بعد نزوحه أشد علينا مما حمله معه لما جاءنا! فكيف أخرجت أرضنا السم الذى يودى بنا؟! كيف رأينا ممن خرج من أصلابنا من هو أنكى علينا من عدونا».

وفى هذا الضجيج، وهذا الجو الخانق تهجم «الزنابير» على «النحل» تريد التهامه! فى زمان نكد، ومن نكده أن صار الهجوم على الإسلام، تنويرا، بقدر ما كان الدفاع عنه رجعية؟! ومن العجيب أن نسمع عن علماء فى الطبيعة يدخلون فى الإسلام، ثم نسمع عن كتاب مسلمين، يفعلون ما يؤمرون فى مجالات مكرورة للنيل من الإسلام، بل من إخراجه من دائرة البحث إخراجا ليبقى المزاج المتقلب وحده فوق منصة التوجيه، وذلك قول واحد من هؤلاء السطحيين:

«لا أجدنى محتاجا فى نشاطى الدنيوى إلا للقيم والمعايير التى يؤمن بها البشر كافة على اختلاف أديانهم وجنسياتهم.. ولضميرى الذى أرجع إليه وأقبل حكمه»

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

الجاثية / ٢٣

أجل: لقد رضى هؤلاء أن يتخذوا من هواهم إلها، محتكمين فى نفس الوقت إلى ضمير هو محكمة بغير قضاة!

وإذا كان هناك من يستمع إليهم، بل ويسول لهم ما يأفكون، فإن خدام الإسلام لم ييأسوا من نصر قريب.

ولابد من «غرابيل» لولاها لأكل الناس الدقيق رملا!

وإذا كان هناك إعلام يمكر بالليل والنهار يشوش على الناس، فإن النفق المظلم منته حتما بالضياء وبالهواء.

ومهما قالوا أو تقولوا فهم مدحورون غدا أو بعد غد، فلنتسلح باليقين أمام هجمة الظن والتخمين.. وفى وعينا قول القائل:

عجوز يفوح الورد فى وجناتها
أقاتلنى يا للرجال عجوز؟!

من خطبة الوداع قوله ﷺ: «إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا. ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك. مما تحقرون من أعمالكم: فاحذروه على دينكم».

وهكذا يعلن الشيطان المريد إفلاسه.. ثم فشله فى صرف عباد الله عن عقيدتهم، لماذا؟ لأنها بسيطة واضحة، قوية الأثر فى عالم الضمير وعالم الواقع ومن ثم فلا حاجة بهم إلى البديل، فلابديل!

ومهما استفزهم الشيطان بصوته، وأجلب عليهم بخيله ورجله، فما يعدهم إلا غرورا. ولكن الشيطان المريد لم ييأس، ومضى ينفذ خطته فى الإغواء، ناقلا نشاطه من مجال العقيدة إلى مجالات الحياة الأخرى، راضيا بما يظنه البشر هينا وهو عند الله عظيم.

ومن هذه المجالات التى كثف فيها إغواءه: الفقه، فقد شن الغارة على رموز الإسلام، وفى مقدمتهم الفقهاء، وهم الحراس على الشريعة الإسلامية، ومتى سقطت الرموز هوت معها المبادىء، لقد مكروا مكرا كبارا حين كثفوا حملتهم على «الفقهاء» لأنهم حراس الشريعة، وهى مجموعة النظم التى تضبط خطو الأمة حتى

لا تزل قدم بعد ثبوتها، بمعنى أن الفقهاء هم الخصم الحقيقى لهؤلاء الأدعياء الذين يزعمون أن «تراثنا» محنط، ثم يعلنون أنهم يرفضون العودة «المذعورة» إلى هذا التراث كما يرفضون القياس المطلق عليه، داعين إلى فقه جديد! ولن ينتج هذا الفقه الجديد عقول التقليد الجامد. التى لا تعرف سوى تراث الأتباع. الذى انحازت إليه وأقصت غيره من التيارات العقلانية أو العلمية التجريبية أو كما قالوا! يقولون هذا مع أن علم «أصول الفقه» هو: (علم سلوك المسلم) ليحدث التوازن بين تطور الحياة، وثبات الدين، حتى لا ينعزل المسلم، ولا ينعزل الإسلام! وهو ما يعرف بالاجتهاد والذى بدا فى موقف «معاذ» وهو ذاهب إلى اليمن، ليأخذ العقل دوره فى تطبيق كليات الإسلام. من خلال قواعد هى: الإجماع، الاستحسان، المصالح المرسلة.

وذلك دور علم الشريعة التى تنظم حياة المسلم، مما لم ينهض به علم الكلام.

وهذا الفقه يمثل روح الإسلام ويمثل التفكير الإسلامى الأصيل الذى لم يتأثر إلا بالقرآن والسنة.

يقول الدكتور حسن عبدالقادر:

«ولايزال الفقه إلى الآن العامل الأساسى فى الكفاح الفكرى للإسلام ضد الغرب، فإن النهضة الأوروبية الحديثة لا تقف من الإسلام موقفها العدائى من ناحية أمر العقيدة. فعقيدة الإسلام أوضح وأبسط وأقرب إلى قبول العقل من عقيدة الأوروبيين أنفسهم. وإنما هم يقفون منا هذا الموقف السلبى من ناحية حياتنا العلمية وسلوكنا الاجتماعى. وينتقدون فينا التأخر وعدم مسايرتنا للمدنية من ناحية النظم التى نتخذها ونعيش على مقتضاها»(1)

ولما كان الفقه هو هذه النظم، ولما كان الفقهاء هم خط الدفاع الأول فى مواجهة هذه الحملة المغرضة، كان نصيبهم من التجريح أثقل من حيث كانوا ميزان الاعتدال عن طريق نظرتهم المستقبلية والتى تدرس «ما ينبغى أن يكون» انطلاقا من تقويم «ما هو كائن».

وهكذا بدت على السطح فئة متخصصة فى مهاجمة «القمم» ورفض «القيم» ولكن الجو لن يصفو لها، لأنه إذا كان النحل فى فمه العسل، فإن فى ذنبه الشوك يرد به كيد المفترين ويحبط ما يقولون، أو يتقولون.

ماذا يقولون؟

يقول أحدهم: «ليس من المعقول اليوم وقد أصبحت المرأة أستاذة، وقاضية، ووزيرة، أن تقدر شهادتها فى المحاكم بنصف شهادة، على حين تعتبر شهادة الرجل -ولو كان جاهلا طائشا أميا- شهادة كاملة.

ونحن نرى بعد ذلك أن الأحكام الموروثة التى نطبقها على المرأة لم تجعل المرأة أفضل، أو أرقى، أو أعف، أو أسعد مما هى فى البلاد التى ساوت بينها وبين الرجل فى كل شىء».

(1) مجلة الأزهر، جمادى الآخرة ١٤٢١هـ.

ثم يفصح الكاتب عن رغبته قائلا: فعلينا أن نعيد النظر فى فهمنا لما يتعلق بالمرأة من نصوص. ونراجع ما تركه الفقهاء القدماء من تفسيرات وأحكام. لم تعد تتفق الآن وإنسانية الإسلام.

ثم يقول مركزا على قضية «الميراث»: والمرأة لم تكن مسئولة عن نفسها من قبل، فمن الطبيعى أن يكون نصيبها من الميراث نصف نصيب الرجل.

ولم تكن مسئولة غن غيرها من قبل، فمن الطبيعى ألا تكلف بمسئولية، وأن تعتبر شهادتها ناقصة.

لكن هذا الوضع تغير الآن تماما، فمن المنطقى أن تتغير قراءتنا للنصوص الدينية، وفهمها بروحها وغاياتها. لا بحروفها ومعانيها المباشرة.

ويتم ذلك بتجديد الخطاب الدينى، فما هى ملامح هذا الخطاب الدينى الجديد؟!

يقول الكاتب: الخطاب الجديد: فكر وجوهر. والخطاب القديم موصول بالنصوص القديمة وحدها. مقطوع الصلة بالواقع: يخاصم الحياة، ويفرض نفسه عليها. فلا يلبى حاجة من حاجاتها ولا يصدق على حقيقة من حقائقها.

أما الخطاب الجديد، فالحياة بثوابتها ومتغيراتها هى مرجعه الأول.

ثم يقول: إن الخطاب الجديد لا يسقط الزمن من حسابه. وينظر لمقاصد النص. ولا يقيد نفسه بعباراته، ويهتم بالإنسان قبل أن يهتم بأى شىء آخر، إنه باختصار: ثورة جذرية شاملة على الخطاب القديم.

الخطاب القديم إذعان وتسليم: والخطاب الجديد بحث ونقد ومساءلة ومحاكمة.

معنى ما يقولون:

١- إنكار أن تعدل شهادة الرجل شهادة امرأتين بعدما أخذت المرأة زخرفها فصارت قاضية ونائبة ووزيرة.

٢- تطبيق شريعة الإسلام لم يجعل المرأة المسلمة أسعد ولا أفضل من المرأة الغربية.

٣- لم تكن المرأة فى الماضى مسئولة عن نفسها ولا عن غيرها، فكان طبيعيا أن يكون حظها من الميراث نصف الرجل.

لكن الوضع قد تغير الآن تماما.

٤- الأمر الذى يفرض تنحية ما تركه الفقهاء القدماء، لأنه لا يتفق وروح العصر.

٥- ويتم ذلك بخطاب جديد. والذى يعد ثورة يتراجع أمامها الخطاب القديم، لأنه لا يتواصل مع الحياة المتجددة

٦- الخطاب القديم مرتبط بفهم الفقهاء، أما الخطاب الجديد فإن مرجعه الأول هو: الحياة المتغيرة المتجددة.

ثم ماذا يريدون؟

وإذا كان لكلامهم معنى فإن له كذلك مغزى يكشف عن خبيئتهم، وما يبيتونه للإسلام، إنها محاولة لتصفية تراثنا والهروب من سلطانه الآسر إلى العقل الذى

يجب أن يتحرك على الساحة متحررا من كل قيد. هذا العقل الذى يرفض الوصاية عليه وبخاصة وصاية الدين بحلاله وحرامه فيحل ما حرمه الله، ويحرم ما أحله الله.

لقد سرق الغرب آثارنا وهو اليوم يريد - وبرجال منا - يريد سرقة ماضينا، وعرضنا لنصبح أمة بلا رموز بلا تاريخ!

ولأن ذلك الماضى ثابت شامخ كالجبال الرواسى فإنهم لا يقدرون على إلغائه وإنما هم فقط ينادون بقراءته قراءة عصرية.. والمقصود هو: التفلت من هذا الماضى جملة!!

باختصار: إنهم يريدون إسلاما غير ذلك الإسلام الذى أنزله الله تعالى على محمد ﷺ..

يريدونه استسلاما معزولا عن مصدره المقدس ليكون البديل هذا الواقع الآسن الذى يصبح هو المصدر الأساسى للتشريع!

ونقول نحن تحديا وثقة بما عندنا:

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾

[المرسلات: ٣٩]

﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴾

[الطور/ ٤٢]

مناقشة هادئة فى قضايا ساخنة

ولكن هل صحيح ما زعموه مما ألمحنا إليه آنفا؟؟

نقول إجمالا: إن الفقه الإسلامى كان من الاستيعاب والسعة والوفرة بحيث احتوى على أكثر من ألف قاعدة انبثق عنها ملايين من الفروع التى غطت كل حاجات البشر.

أما عن الإجابة التفصيلية عما تقولوا فنقرر أن المرأة الغربية لم تكن أسعد ولا أفضل من المرأة العربية أو المسلمة.

والتاريخ شاهد بأن المرأة الأوروبية فى عصور الانحطاط كانت أسوأ حالا من أختها العربية فى الجاهلية:

ففى اليونان كانوا إذا ولد الطفل من أب شرعى يعرض على أبيه فإن رفعه بين يديه كان ذلك إلحاقا له بأبيه وصار فردا من أفراد الأسرة، وإن لم يرفعه قُتل.

وأما البنت، فقد كان الوالد زاهدا فيها ومصيرها الإعدام.

وفى دولة أجنبية، عوقبت «الراقصة» لا لأنها تفسد أخلاق الرجال، ولكن لأنها تمارس مهنة بدون ترخيص! فحرمت خزينة الدولة من الضريبة؟! ويعنى ذلك أن حفنة من المال أغلى من أخلاق الرجال.

ويا للهوان اللحم الطرى يقدمونه.. للهر الجائع؟!!

شهادة الواقع

لم يكن أمر المرأة الغربية أحسن مما كان فى جاهليتها،

ففى القرن الحادى والعشرين حدث الآتى:

أ- إيطالية تضع وليدها فى درج المكتب ليموت مختنقا.

ب- امرأة يونانية تفضل الكلاب على «ورثتها»، فتشغل نفسها برعاية الكلاب الضالة.

جـ- وعجوز بريطانى يحرم ابنته من ميراثه الذى صار ملكا خالصا للكلاب؟!

وأخيرا.. حدثت الطفرة التى لم تكن متوقعة: فقد قررت الحكومة الفرنسية جعل أولاد «الأخدان» كالأولاد الشرعيين فى الميراث وغيره»!!

ولقد كان «ديموستين خطيب اليونان يقول:

النساء قسمان:

قسم هن الخليلات للعناية براحة الرجل.

وقسم هن الزوجات ليلدن الأولاد الشرعيين؟!

وفى الرومان: كانوا يرون الأنوثة فى حد ذاتها مانعا من الأهلية القانونية مثل الجنون تماما؟!

أما فى الإسلام: فأمر المرأة مبنى على الستر، يقول عز وجل:

﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾

[طه/ ١٢١]

ذكر غواية آدم، ولم يذكر حواء.

ويقول عز وجل:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ﴾

[آل عمران/ ١٤]

فقد ذكر تعلق الرجال بالنساء وطوى تعلق النساء بالرجا ل أما فى الإسلام فمن وصايا الإسلام برعايتها: «لا يفرك مؤمن مؤمنة»: (أى: لا يكره) والمعنى: لا تفركها. دعك القشرة تغطى الخفى من خلقها. ويقول الحديث تعليلا لذلك: إن كره منها خلقا، وإن: للشك فكراهتها غير واردة ابتداء فهى محل شك، وعلى من يوشك أن يطيع نفسه ويكرهها عليه أن يرجئ هذا القرار. ثم هو قرار «الكراهية وليس قرار السخط، لأن السخط لا يتصور بالمرة، مع ملاحظة أن تكرار قوله منها: [إن كره منها خلقا.. رضى منها آخر].

يعنى أن الخلق الذى تكرهه منها قد يكون هو نفسه مصدر الخير بمعنى أن الدواء من مكمن الداء، فقد لا تكون جميلة، وإذن فقد حماك شكلها من «الغيرة» التى تدمر حياتك تدميرا، وفى الوقت الذى يشقى فيه أزواج الجميلات بهن تصير أنت فى بيتك فى مملكتك سعيدا قرير العين حامدا ربك الذى لا يحمد على مكروه سواه!!

وبينما ينهى الإسلام الزوج عن كره زوجته، فإن الزوجة على الجانب الآخر تجد سعادتها فى كسب رضاه حتى قيل: إلا حظية فلا ألية يعنى: إن لم أحظ عند الزوج فلا آلو، فلا أقصر فيما يحظينى عنده بانتهائى إلى ما يهواه.

يتبع

ضرورات النهضة العلمية والتقنية للأمة الإسلامية

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

إن الفاحص المدقق لواقع الأمة الإسلامية الآن لا يجد صعوبة فى تقييم هذا الواقع من مختلف الجوانب: الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية وغيرها، مقارنة بالأحوال المناظرة فى دول العالم المتقدم، وليس هناك من شك فى أن صورة العالم الحالية - كما تبدو لنا - هى فى جانب كبير منها نتاج العلوم والتقنيات التى أفرزتها جهود العلماء والباحثين عبر مختلف العصور، وبخاصة فى المائة سنة الأخيرة التى تسارعت خلالها حركة التقدم العلمى بمعدلات أعلى بكثير مما كانت عليه فى القرون السابقة، وعلى نحو أخص خلال السنوات الأخيرة التى شهدت ازدهار ثورة الاتصال والمعلومات فى عالم ينقسم إلى أغنياء يزدادون غنى وفقراء يزدادون فقرا، وأصبحت فجوة التخلف العلمى والتقنى التى تفصل بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فجوة هائلة تزداد عمقا واتساعا يوما بعد يوم، ويروج البعض لما يقال من أن حالة التخلف التى تعيشها الأمة الإسلامية الآن نتيجة طبيعية لارتباطها بالإسلام.. ونسوا - أو تناسوا - أن الإسلام هو الذى قدم للإنسانية «حضارة إسلامية زاهرة» حققت انتشارا ودواما متلازمين لم تحققهما أى حضارة أخرى طوال التاريخ الإنسانى.

حقائق الواقع ودروس التاريخ

تدلنا تجارب الخبرة الإنسانية وحقائق الواقع المعيش على أن المجتمع القادر على تحقيق التوافق والانسجام بين حركة الحياة الواقعية وبين النسق الفكرى السليم الذى يوجه هذه الحركة، يكون فى الوقت ذاته مجتمعا قادرا على احتضان الفكرة الصائبة واستثمارها حضاريا بما يحقق التقدم والنماء، سواء كانت هذه الفكرة علمية أو تقنية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك مما يتعلق بمختلف مجالات النشاط الإنسانى، وهنا تبرز أهمية المنهج الإسلامى، باعتباره منهجا ربانيا متميزا عن غيره من الأنساق الوضعية التى تتبنى أفكارا ليست من بين القوى الجوهرية المؤثرة فى إعلاء صرح البنيان الحضارى، فإذا بهذه الأفكار تتقادم، ثم تختفى وتموت.

أما الواقع المعيش فهو نسيج متشابك من عوالم متداخلة فيما بينها، تشمل الأشياء والأشخاص والأحداث والأفكار والنظم، وهذه العوالم الخمسة ليست ثابتة، أو ساكنة، أو منعزلة عن بعضها البعض، وإنما هى متفاعلة فيما بينها أخذا وعطاء، فضلا عن أنها دائمة التغير، باعتبار أن هذا من سنن الله فى كونه، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾

(سورة الرحمن: ٢٩)

وأما النسق الفكرى الذى يتعامل مع هذا الواقع بعوالمه الخمسة، ويوجه حركته بأعلى درجة من الكفاءة والتوافق، فينبغى أن يحدد بوضوح هدفا أسمى من العلاقة الكائنة بين الذات، ممثلة فى عالم الأشخاص وما يفرزه لعالمى الأفكار والنظم، وبين الموضوع، ممثلا فى عالم الأشياء وما ينشأ فيه من وقائع أو يحدث فيه من ظواهر «عالم الأحداث»، ويتوقف نجاح نسق فكرى ما على مدى إدراكه لطبيعة الواقع بعوالمه المختلفة، وقدرته على تفسير مكونات هذه العوالم، وتحليل مضامينها ومكوناتها، وفهم علاقاتها البينية، وتحديد الأسلوب الأمثل فى التعامل معها، وصولا إلى معرفة الحقيقة والإفادة منها.

ويتميز المنهج الإسلامى عن كل ما سواه بأنه حدد الهدف الأسمى من العلاقة العضوية بين الذات والموضوع فى الحث نحو معرفة الحقيقة فى أعماق النفس الإنسانية، وفى آفاق الوجود ويأتى مصاحبا لاستيعاب هذه الغاية تحقيق أمانة الاستخلاف فى الأرض بإعمارها وترقية الحياة عليها لما فيه خير الإنسان فى كل زمان ومكان، قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(سورة فصلت: ٥٣)

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يجد أن القرآن الكريم قد رتب العلاقة الصحيحة بين الذات «الإنسان» والموضوع «الواقع الكونى بعوالمه المختلفة»، وصولا إلى الحق المطلق الذى هو فى النهاية غاية كل إنسان عاقل، فقد بدأ

بالكون الذى هو أول ما يبصره الإنسان حين يفتح عينيه، فهو الينبوع الأول للإيمان، وهو المسرح الأول للفكر، والذهول عنه سقوط ذريع، وحجاب عن الله غليظ، وعجز عن إدراك وصايا القرآن الكريم التى تكررت فى عشرات السور لتبصرة العقول بالدلائل الموجودة فى كل شىء تدل على الخالق الواحد - سبحانه وتعالى - وتشرح أوصافه الجليلة، ثم ثنى الترتيب القرآنى المعجز بالإنسان المنوط بعملية التفكير وصياغة النسق الفكرى لقضايا الوجود الكبرى، وبتحقيق أمانة الاستخلاف فى الأرض، وانتهى بقضية الألوهية التى عرفت قديما بالفلسفة الأولى أو العلم الأعلى.

وما دام الإنسان هو محور هذه القضايا الرئيسية، فلابد أن يعرف حقيقة مكانه فى هذا الوجود، وعلاقته بالكون ومن فيه، وعلاقته بخالق الكون والحياة الذى حمله أمانة الاستخلاف بتطبيق أوامره ونواهيه على مسرح الأرض، وهو فى الحقيقة مسرح الواقع الكونى بأكمله، ولعل التعبير بالأرض فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(سورة البقرة: ٣٠)

مبعثه أن الإنسان ألصق بها من غيرها، فيكون الكون بذلك فى مقام الوسيلة التى يحقق بها الإنسان غاية وجوده، وهى غاية الاستخلاف القائم على التوحيد الخالص، باعتباره أول الثوابت الإيمانية التى تمثل نقطة الانطلاق فى التفكير السليم، وحجر الزاوية فى توجيه رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الحياة والفكر والوجود، ومن كانت عقيدته الدينية هذا التوحيد الكامل الخالص فإنه يجد فى نفسه دافعا أقوى مما يجد سواه نحو أن يبحث دائما عن الوحدة التى تؤلف بين الكثرة أيا كان الموضوع، فيبحث عن محور الوحدانية فى عوالم الواقع الكونى بأسره مجتمعا فى وجود واحد «عالم الشهادة»، ويبحث عن محور الوحدانية فى الشخصية الإنسانية «الذات أو عالم الأشخاص» برغم اختلاف الجوانب الكثيرة فى حياة الفرد الواحد، أو المجتمع الواحد، واختلاف العلوم الباحثة فى تلك الجوانب، وقد طالبنا الحق - جل وعلا - بهذا الهدف الأسمى فى أول أمر إلهى أنزله على رسوله الأمين لقراءة آيات الله فى الكتابين: كتاب الواقع الكونى المنظور «عالم الشهادة» والكتاب المسطور «القرآن الكريم» قال تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

(سورة العلق: ١)

وقال سبحانه:

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(سورة يس: ٨٢)

والقرآن الكريم فى تقريره لعقيدة التوحيد على نحو جامع مانع، إنما يدعو إلى

تحرير العقول والقلوب من الشرك بالله، ويحث على تخليصها من أوهام الزيغ والضلال، ومن ثم فإن عقيدة التوحيد الإسلامى هى التى تحفظ إنسانية الإنسان، وتكرمه باخضاعه للخالق الواحد، وهى التى تحرره من سلطان العقائد الوثنية والمذاهب الوضعية البعيدة عن الهدى الإلهى، ليكون جديرا بتحمل مسئوليات الخلافة فى الأرض، ومؤهلا للاهتداء إلى قدرة الخالق من خلال البحث والتأمل فى مظاهر الخلق والكون المحيطة به والواقعة تحت سمعه وبصره، فيقوى يقينه ويزداد إيمانه، ويبلغ من ذلك ما يطمئن إليه عقله وتهدأ به نفسه، وتتحقق به سعادته فى الدنيا ورحمته فى الآخرة.

كبد الحقيقة وحدود الذات

حديثنا عن العلاقة بين الذات والموضوع، أو بين الإنسان والكون، أو بين عالم الأفكار وعالم الأشياء، فى ظل هدف أسمى ينبغى ألا يغفل طبائع الأشياء من جهة، وقدرات الذات المحدودة فى التعامل معها من جهة أخرى، فالإنسان لم يحقق، مثلا، فى عالم الكائنات الحية نفس التقدم الذى حققه فى التعرف على خصائص عالم الجماد.. ذلك أن علوم الفيزياء والفلك والكيمياء تقوم على دراسة التناسق والتماثل والاطراد فى الظواهر الكونية، والتعبير عن سلوكها بقوانين ومعادلات رياضية قابلة للتحقيق والاختبار، ويمكن الكشف تدريجيا من خلال ذلك عن طبائع الأشياء ووضع تصورات لحوادثها فى المستقبل، كما يمكن تطويعها لتطوير أسباب الحياة فى جوانبها المادية والمدنية، فبتعلمنا قوانين الحركة والجاذبية استطعنا أن نحلق فى السماء ونسافر إلى القمر ونرسل عيوننا إلى الكواكب والأجرام السماوية البعيدة.

وبكشفنا عن تركيب الذرة استطعنا أن نفجر طاقتها ونفيد منها فى أغراض عديدة.

لكن علوم الأحياء من نبات وحيوان وإنسان لم تصب مثل هذا التقدم لأن طبيعة البحث فى الكائنات الحية تعتمد على ملاحظة الأشياء فقط، وهى أقل صور العلم شأنا لأنها لا تقدم لنا إلا صورة وصفية يصعب التعامل معها بالمعادلات الرياضية.

فإذا اعتبرنا أرقى الكائنات الحية على الأرض، وهو الإنسان الذى خلقه الله - تعالى - فى أحسن تقويم، نجد من غير الميسور الحصول على طريقة بسيطة لفهمه فى مجموعه، أو فى أجزائه فى وقت واحد، كما لا توجد طريقة لفهم علاقاته بالعالم الخارجى، ونحتاج فى ذلك إلى علوم عديدة.. وبالرغم من توافر نتائج وملاحظات عديدة جمعها العلماء على مر العصور، فإننا لم نستطع سوى أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا»، وقد أصاب «الكسيس كاريل» كبد الحقيقة فى كتابه «الإنسان ذلك المجهول» عندما قال: «وواقع الأمر أن جهلنا مطبق، فأغلب الأسئلة التى

يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشرى تظل بلا جواب، لأن هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنية مازالت غير معروفة.. فنحن لا نعرف حتى الآن الإجابة عن أسئلة كثيرة مثل: كيف تتحد جزيئات المواد الكيميائية لكى تكون المركب والأعضاء المؤقتة للخلية؟ وكيف تنتظم الخلايا فى جماعات من تلقاء أنفسها لتكون الأنسجة والأعضاء؟ وما هى طبيعة تكويننا النفسانى والفسيولوجى؟.. إن معرفتنا بأنفسنا مازالت بدائية فى الغالب».

ضرورة الهدف الأسمى فى النموذج الفكرى الإسلامى

إذا أردنا مثالا يوضح قدرة المجتمع المتوازن فكريا وعمليا على احتضان الفكرة الصائبة واستثمارها حضاريا، نعود إلى عصر الحضارة العربية الإسلامية التى شيدت بنيانها على أساس من المبادىء الإسلامية الهادية، فقد استطاع المجتمع الإسلامى المتوازن فكريا وعمليا أن يلتقط - على سبيل المثال - من أفكار الإغريق فكرة حجر الفلاسفة وإكسير الحياة، وتناولها علماء الحضارة الإسلامية بالبحث والتفنيد بعيدا عن الخرافات والأساطير وحلم تحويل المعادن الرخيصة كالنحاس والرصاص إلى معادن نفيسة كالذهب والفضة.

وكان للطريقة التجريبية الاستقرائية التى اصطنعها علماء المسلمين فى بيئة العلم والعمل أثرها فى دفع حركة التقدم العلمى والتقنى والتخلى تدريجيا عن الأفكار الإغريقية القائمة على التأمل العقلى الخالص والأوهام المعوقة للتفكير العلمى السليم، والشاهد فى ذلك هو استناد النموذج الفكرى للحضارة الإسلامية إلى هدف أسمى، وتناسقه التام مع واقع المجتمع الإسلامى.

وفى غياب الهدف الأسمى لمعرفة الحق والحقيقة يتجمد عالم الأفكار وعالم الأشياء، ويفقد كل منهما فاعليته الحضارية فى الإفادة من الملكات التى منحها الله - تعالى - للإنسان، والثروات التى سخرها الله - تعالى - لخدمته ومنفعته فى هذا الكون، وعندما تختل العلاقة بين الأفكار والأشياء، أو بين الذات والموضوع، أو بين الإنسان والكون، فإن هذه العلاقة لا تثمر مردودا حضاريا فاعلا يحقق ارتقاء الإنسان فكريا وعمليا، وهذه هى السمة الغالبة للأمم فى عصور التخلف والانحطاط، حيث يكون للناس آذان لا يسمعون بها، وعيون لا يبصرون بها، وقلوب لا يبصرون بها، فيعرضون عن تأمل مشاهد الكون وفقه آياته، ويصبح الاتصال بين الإنسان والأشياء اتصالا سطحيا، فهو لا يرى من السماء إلا زرقتها، ومن الأرض إلا غبرتها، وهى حالة تجعله أشبه بالبهائم مصداقا لقوله تعالى:

﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

(سورة الأعراف: ١٧٩)

وهى حالة لا تؤدى مطلقا إلى إثارة الأسئلة عن الأسباب والعلل، ولا تسفر أبدا عن قضايا ومشكلات تتطلب أحكاما وحلولا.. والتقدم العلمى والتقنى لا يتحقق إلا بمثل هذه الأسئلة والمشكلات.

فاهتمام الهمدانى والبيرونى وابن الهيثم، وغيرهم بقضية الجاذبية الأرضية - مثلا - وبحثها على أساس علمى سليم كانت نتيجة طبيعية لبحثهم عن الحكمة، أو الحقيقة التى أمرهم الله - سبحانه وتعالى - بالبحث عنها مستخدمين كل الملكات والأدوات الإدراكية التى منحها الله - تعالى - إياهم ليغوصوا من خلالها إلى أعماق الأشياء، ويتعمقوا معانيها، ويكشفوا أسرارها، ويتعرفوا على نواميسها والقوانين الحاكمة لسلوكها، ويستشعروا فى كل خطوة عظمة الخالق الواحد - سبحانه وتعالى - وعندما غاب هذا الهدف الأسمى فى العلاقة بين الإنسان والكون، حدث الانفصام بين الفكرة والشىء، ولم تعد للمرء سيطرة فاعلة لا على الأفكار ولا على الأشياء، فهو يلم بالأفكار بعض إلمام دون أن يستوعبها، ويمر بظواهر الأشياء دون أن يتصل بكياناتها لكى يستنطقها ويحلل مضامينها.. ومنذ حدث ذلك عند المسلمين أفلت حضارتهم وظهرت شمسها عند أناس غيرهم يعرفون كيف يستنطقون التفاحة قبل أن يفكروا فى التهامها، وعرفوا من خلال ذلك كيف يخلعون على الأفكار وعلى الأشياء فى آن معا قيمتها المعرفية وفاعليتها الحضارية.. لكن هؤلاء بدورهم، بتخليهم عن الهدف الأسمى، إنما يحفرون قبرا لدفن حضارتهم المادية المهددة بالفناء بين لحظة وأخرى.

- يتبع -

***

الرافعي والتاريخ الإسلامي

للدكتور / عبد الحليم عويس

للرافعي جهود مبثوثة في ثنايا كتابه العظيم «وحي القلم»، وغيره؛ تتصل برؤية الرافعي ومنهجيته في معالجة قضايا التاريخ الإسلامي في عصوره المختلفة.

«فـ اليمامتان» التي صدر بها أجزاء وحي القلم الثلاثة، تتصل بموقف من مواقف فتح عمرو بن العاص لمصر؛ اعتمد فيها الرافعي على خبر جاء في تاريخ الواقدي.. ولئن كان الخبر الذي أثبته الرافعي عن الواقدي لا يخلو من مآخذ عند بعض المؤرخين، إلا أن الرافعي اعتمد عليه في استنتاج قصة يؤكد فيها وقوف جيش عمرو بن العاص احتراما ليمامتين جثمتا على فسطاط عمرو؛ فأوقف عمرو الجيش حتى لايروع اليمامتين؛ مستنتجاً من هذه القصة الرائعة؛ التي دار فيها الحوار بين أرمانوسة بنت المقوقس عظيم القبط في مصر، ومارية القبطية وصيفتها. أروع دروس الرحمة والتسامح والإنسانية في الحروب الإسلامية!! وقد ذكر الأستاذ سعيد العريان أن قسيساً في المغرب أسلم بسبب هذه القصة!!

- ومن التاريخ الأموي يلتقط الرافعي ثلاث قصص بالغتي الروعة: أولاها عن ذلك المفتي الأسود، الأعور، الأفطس، الأشل، الأعرج، المفلفل الشعر الذي كان خلفاء بني أمية لا يأتمنون غيره على الفتوى في مواسم الحج وهو عطاء بن أبي رباح؛ الذي ولد سنة ٢٧ هـ، ومات سنة ١١٥ هـ، وهو عند الناس أرضى أهل الدنيا، ومن أزهدهم.

ومن خلال عطاء بن أبي رباح تناول الرافعي بعض القضايا الإسلامية التاريخية الاجتماعية مثل قضية سلامة جارية زهير بن عبدالرحمن مع عبدالرحمن بن أبي عمار الذي يلقبونه بالقس لعبادته ونسكه، والخليفة يزيد بن عبدالملك.

وأما حديث القصة الثانية فهو الحديث المعروف، الذي يتصل بسعيد بن المسيب؛ فقيه أهل المدينة الذي رفض أن يزوج ابنته لولي عهد عبدالملك بن مروان؛ الوليد، وتحمل في ذلك غضب بني أمية، وزوجها لتلميذه الفقير أبي وداعة.

وقد بسط الرافعي القصة بأروع أسلوب في أكثر من عشرين صفحة[١] وقد ختمها بقوله على لسان سعيد بن المسيب: «أف! أف! أتريدون أن أزوج ابنتي من ابن أمير المؤمنين فيخزيها الله على يدي، وأدفعها إلى القصر وهو ذلك المكان الذي جمع كل أقذار النفس ودنس الأيام والليالي».

أزوجها رجلا تعرف من فضيلة نفسها سقوط نفسه، فتكون زوجة جسمه ومطلقة روحه في وقت معا؟

الا كم من قصر هو في معناه مقبرة، ليس فيها من هؤلاء الأغنياء؛ رجالهم ونسائهم إلا جيف؛ يبلي بعضها بعضا![٢].

ومن هذا التاريخ الاجتماعي أيضا قصة زوجة إمام، وتدور حول علاقة الزوجة سيئة الخلق بزوجها الذي يحلم عليها؛ فلا تزداد إلا تماديا!!.

ونحن نلحظ أن هذه القصص تتصل بالحياة الاجتماعية والتربوية التي تكشف عن معدن النفوس الكريمة التي سيطرت عليها قيم الإسلام

فوقفت بقيمها في وجه تقلبات الزمان.

ومن الدولة الطولونية؛ التابعة للعصر العباسي يضع الرافعي يده على قصة تتصل بأحمد بن أيمن؛ كاتب ابن طولون مع مسلم بن عمران؛ التاجر الأديب، ومن هذه القصة يتضح أن المرأة الدميمة تستطيع أن تكون أفضل زوج عندما تصبح ملائكية الأخلاق، ولهذا جاءت القصة تحت عنوان «قبح جميل»[٣].

ومن العصر العباسي المتصل بالدولة الطولونية يرصد الرافعي قصة أبي الحسن بنان الحمال الزاهد الواسطي؛ شيخ الديار المصرية المتوفى سنة ٢١٦ هـ، والذي ذهب في تعنيف أحمد بن طولون، وهو يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر لدرجة طاش معها عقل ابن طولون فأمر بإلقائه إلى الأسد ليبتلعه، واجتمع الناس ليروا هذا المشهد الرهيب؛ لكن الأسد الجائع أقبل على الشيخ يحتك به، ويلحظه، ويشمه؛ كما يصنع الكلب مع صاحبه الذي يأنس به؛ وكان الأسد يعلن أن هذه ليست مصاولة، بين الرجل التقي وبينه، ولكنها مبارزة بين إرادة ابن طولون وإرادة الله.

وبعد أن انصرف الأسد سأل ابن طولون الشيخ: ما الذي كان في قلبك، وفيم كنت تفكر؟؛ فقال الشيخ[٤] لم يكن علي بأس، وإنما كنت أفكر في لعاب الأسد، أهو طاهر أم نجس؟!!.

وأخيراً نشير إلى قصته من العصر المملوكي، تناولها الرافعي بأسلوبه الأدبي الرائع وهي القصة المعروفة، والتي قام فيها سلطان العلماء عز الدين ابن عبدالسلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ببيع أمراء المماليك والوقوف ضدهم، وأخذ فائض أموالهم منهم قبل الدخول في موقعة عين جالوت؛ فكان ذلك من أكبر أسباب النصر، وقد وضع لها الرافعي عنوانا هو: «أمراء للبيع».

- فجزى الله الرافعي الأديب الملتزم عن تاريخ الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(١) وحي القلم - الجزء الأول - ص ١٢٦ - ١٤٨ طبع المكتبة التجارية مصر.
(٢) الرافعي: وحي القلم، ج ١، ص ١٤٧، ١٤٨.
(٣) انظر وحي القلم/ ج ١، ١٦٨ - ١٧٩.
(٤) وحي القلم/ ج ٣، ص ٥٨.

﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر الشريف المقيد برقم ٨٧٦ لسنة ٢٠٠٤م المتضمن مجموعة من الأسئلة بيانها وبيان أجوبتها كالتالى:

● السؤال الأول: من ح. ج. ح بنى سويف:

كثير من الرجال يكتبون كل ثرواتهم لبناتهم حيث لا يوجد ذكور وهم يقصدون حرمان أقاربهم من أموالهم بعد وفاتهم. فهل لهم الحق فى ذلك؟ وماذا تفعل البنات نتيجة ذلك وهن مسلمات صالحات؟.

●● جعل الشرع الشريف توزيع التركة بعد موت المورث ولهذا اشترط الفقهاء فى أيلولة التركة إلى الوارث: تحقق موت المورث وتحقق حياة الوارث وقت موت المورث: واتجاه بعض الرجال أو النساء الذين لم يرزقوا بالابن الذكر ضمن ذرياتهم بكتابة كل ما يملكون لبناتهم بقصد حرمان باقى الورثة من الميراث مع بناتهم حرام شرعاً لأنهم بذلك كأنهم والعياذ بالله تعالى يعترضون على حكم الله عز وجل فى المواريث لأنه وحده الذى قسمها وبينها فى القرآن الكريم فى سورة النساء وبعد ذكر آيتى المواريث من السورة قال:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾

النساء ١٣، ١٤)

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من فر من ميراث وارثه، قطع الله ميراثه من الجنة يوم

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى جمهورية مصر العربية

القيامة» أخرجه ابن ماجة

فليتق الله الرجال الذين يفعلون مثل هذا العمل فإن المرء لا يدرى أين يكون الخير لأن ذلك من الغيب الذى يعلمه الله عز وجل دون غيره قال تعالى:

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾

النمل (٦٥)

وليتركوا كل شىء على ما هو عليه فربما دار عليهم الزمان دورته ويحتاجون إلى هذه الأموال فلا يستطيعون الحصول عليها مرة أخرى، ولا خير ولا فلاح فى غير شرع الله - عز وجل - فشرع الله هو الفلاح والنجاح والسعادة فى الدنيا والآخرة، وعلى البنات اللاتى كتب لهن مثل هذا أن يبادرن بإعطاء باقى الورثة ما كان يستحقه كل واحد منهم لو لم تكتب هذه الأموال والأملاك إليهن وبذلك ينلن أجراً عظيماً من الله تعالى.

● السؤال الثانى: أنا سيدة لم أتزوج ولى: أخت - بنت أخ - ابن أخ من الأب وأملك مبلغاً من المال فى البنك ومنزل وأريد أن أكتب المنزل لبنات أختى التى على قيد الحياة ونصف مبلغ البنك لأنهم هم الذين يقومون برعايتى. هل هذا حرام أحاسب عليه مع العلم بأن أمهم على قيد الحياة وسوف ترث بعد وفاتى. هل بنت أخى المتوفى سوف ترث بعد وفاتى أم لا؟.

●● الأصل فى كتابة التركة كاملة أو أكثر من الثلث قبل الموت على أن تؤول لمن كتبت إليه بعد الموت غير جائز شرعاً، ولكن ما يجوز كتابته والوصية به إلى ما بعد الموت إنما هو الثلث فقط لقول

سيدنا رسول الله ﷺ «الثلث والثلث كثير».

فيجوز للسائلة أن تكتب وصية لأولاد أختها الذين يقومون برعايتها وخدمتها في حدود ثلث ما تملك من المنزل والأموال المودعة بالبنك ولا يجوز بأكثر من هذا ـ أما كون أختها سترث بعد وفاتها من عدمه فهذا أمر موكول إلى علام الغيوب وحده لأنه لا يعلم الآجال إلا هو قال سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

لقمان (٣٤)

فقد تموت الأخت قبل السائلة فلا ترث وعن ميراث بنت أخيها فيها بعد موتها لو بقي الحال على ما هو عليه فنفيد بأن:

بنت الأخ من ذوي الأرحام وهم لا يرثون مع وجود صاحب فرض ولا عاصب. فلا ترث لوجود الأخت وهي من أصحاب الفروض وابن الأخ لأب وهو من العصبات النسبية.

● السؤال الثالث: من أ. ث:

هل العبرة في العقود بالمقاصد والغايات أم بوصف العقد ولفظه لو كانت الأولى «ألا يفتح ذلك باب الفساد في سائر العقود.

●● ذكر الإمام السيوطي في كتابه «الأشباه والنظائر» في قواعد وفروع فقه الشافعية هذه القاعدة في الكتاب الثالث في القواعد المختلف فيها ولا يطلق الترجيح لاختلافه في الفروع فقال: «القاعدة الخامسة» هل العبرة بصيغ العقود أو بمعانيها خلاف والترجيح مختلف في الفروع «ثم ذكر فروعا بترجيح فيها جانب اللفظ وأخرى بترجيح فيها جانب المعنى. فليس كل فرع مترجحا فيه المعنى وليس كل فرع مترجحا فيه اللفظ وإن فعل هذا لا يفتح باب الفساد في سائر العقود. ومن أراد المزيد في هذا فليرجع إلى الكتاب المشار إليه ليجد حاجته ومبتغاه.

● السؤال الرابع: من أ. ن:

ماذا لو اجتمع على رجل دين وزكاة فأيهما يقدم في الإخراج دين الآدمي أم الزكاة.

●● إذا اجتمع على إنسان دين وزكاة فإن الدين يقدم أولا فيعطي لصاحبه لأن نفس المؤمن تحبس بدينه.

كما قال الحبيب المصطفى ﷺ ويخصم الدين من المال فإن بقي بعد الدين النصاب وحال عليه الحول وجب عليه إخراج الزكاة وإلا فلا زكاة عليه إن قل عن النصاب أو لم يحل عليه الحول.

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

(الأحزاب/ ٢٣)

اذكروا هؤلاء الأعلام

للدكتور/ حمدي فتوح والي

كلما عصفت بي زعازع الشك، واستولت على كياني لحظات حزن أليم، عدت إلى تاريخ الأمة، فأجدها قد تعثرت من قبل كثيرا، وأصابتها الضربات الموجعات، لكن وضوح عقيدتها، وصدق ولائها، وعمق انتمائها لدينها، كان ينهضها دائما لتستعيد قوتها، وتستأنف المسير.

واليوم أرى سهام الكفر تصوب إلى جهاز المناعة في جسد الأمة، تستهدف عقيدتها، وتغتال دينها، وتصيب عزتها وكرامتها، حتى لا تجد الأمة ما تستنفره إن دعا الداعي، وجد الجد، ودق النفير.

لقد انكسرت الأمة انكسارة قاسية ـ من قبل أوشكت معها أن تسقط هيبتها، وتضيع هويتها، وتصبح في ذمة التاريخ عندما طغى على الأمة طوفان التتار الكاسح، يجرف أمامه ـ في وحشية مدمرة ساحقة ـ كل مظهر من مظاهر الحياة. وقد بلغت وحشيتهم حدا أذهل العقول وحير الألباب، وبرغم فظاعة ما وقع فقد وجدت الأمة من يستجمع قوتها ويستنفر عقيدتها، ويخاطب فيها رصيدها العظيم من الإيمان واليقين.

وإذا كان الجميع قد أدرك، مأساة السقوط واستنكر بشاعتها فإن القليل من الناس هم الذين أدركوا أن عاصمة الخلافة لم تسقط عشية هجوم التتار عليها، وإنما سقطت يوم بدأت قصور الخلفاء تعج بالموسيقى، وتصدح بالغناء، وتسهر

إلى الصباح على صوت غانية وكأس أثيم لقد بدا الفساد في العاصمة بغداد، في قصور الخلفاء والأمراء حتى أصبح أمرا مألوفا لاينكره أغلب الناس، سواء شاركوا فيه أم لم يشاركوا، لكن بقية الأرض الإسلامية لم تكن متأثرة بهذا الفساد الخلقى في بادىء الأمر، لأنها كانت ماتزال تمارس الإسلام بالجدية التي يقتضيها الإيمان بدين الله.

ثم أخذ الفساد يمتد من العاصمة إلى الأقاليم، وتلك سنة ربانية تجعل الفساد يظهر في الأرض حين يتقاعس الناس عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو ما كان حادثا في المجتمع العباسي:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(١).

وحين لايرجعون يظل الفساد ينتشر ويتواصل حتى يحدث الانهيار(٢)

إن الناس لايذكرون من أحداث التاريخ - غالبا - إلا لحظات الذروة، ذروة الانتصار بقيام دولة أو حضيض الانكسار بسقوط أخرى أما ما سبق لحظة الانتصار من إعداد، وتخطيط، وتدريب، وتدبير، ومابذله العلماء من تربية وتعليم وتأديب وتهذيب، وما قدمه الأدباء والشعراء من إلهاب للمشاعر، وإثارة للوجدان، وشحذ للهمم، وترغيب وترهيب - فإن ذلك كله ينسى أمام وهج اللحظة التي يعلن فيها عن ميلاد دولة وانتصارها أو عن سقوط دولة وانكسارها وكما ينسى الناس عوامل الانتصار، ينسون أيضا عوامل الانهزام فيلقون باللائمة على آخر أفراد اسرة حاكمة أو آخر حاكم في مملكة آخذة في الانحطاط، وينسون أن الدولة أو المملكة أو الأمة، كانت قد وصلت إلى آخر نقطة من الانحلال والتدهور وأن الفساد قد تفاقم والكأس قد طفحت، ولم يبق هناك من يحول بين هذه الدولة وبين نهايتها الأليمة، والتي كان يفرضها قانون السماء، وتقتضيها طبائع الأشياء.

ويوم بدأ الانحراف في مسيرة الدولة الإسلامية في العصر الأموى، تذكر الناس دور الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز الذى جاء فأوقف هذا العبث الشائه، ورد مسيرة الأمة إلى طريقها الصحيح، لكنهم نسوا في غمرة الثناء على الخليفة الزاهد دور أستاذه «رجاء بن حيوة» الذى صنع للأمة عمر بن عبدالعزيز عندما قام على تربيته وتعليمه وتأديبه، ثم مازال بعمه سليمان بن عبدالملك خليفة المسلمين - وكان «رجاء بن حيوة مقربا منه وأثيرا لديه - فحسن له استخلاف عمر بن عبدالعزيز من بعده فكان أيمن عمل عرفته دولة الإسلام وأطيب مشورة بركة على الإسلام والمسلمين (٣)

ويذكر الناس جميعا انتصار المسلمين في

(١) الروم آية ٤١

(٢) واقعنا المعاصر محمد قطب الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧ - دار الشروق

(٣) للاستزادة من أخبار رجاء بن حيوة انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٥ ص٣٣٥ وصفة الصفوة لابن الجوزى جـ١ ص٢١٣ وحلية الأولياء للأصفهانى جـ٥ ص١٧٠

«حطين» ويعترفون بالفضل للمجاهد العظيم «صلاح الدين الأيوبى» لكن القليل من الناس من يذكر فضل سيده ومعلمه «نورالدين محمود» الذى أشربه حب الفروسية، وتعشق الجهاد، والغيرة الشديدة على الإسلام، وأنه هو الذى أرسله على رأس جيش لإنقاذ مصر من عبث الوزيرين «شاور وضرغام» ومن حقد الصليبيين الذى جاءوا بدعوة من أحد الوزيرين الفاسدين.

وإذا كانت الدنيا كلها تذكر بالثناء والفخر بطل الإسلام العظيم «سيف الدين قطز» وتتنسم في شوق لهيف نسمات العزة والإباء في «عين جالوت» فإن القليل من الناس من يعلمون دور العالم المجاهد عزالدين بن عبدالسلام، عندما رأى سفينة الأمة تجنح إلى الغرق، لأن دفتها بيد صبى عابث غرير لايحسن شيئا من أمور نفسه فضلا عن أن يحسن أمور أمة عظيمة مستهدفة في دينها وعقيدتها من التتار فما كان من الإمام الغيور إلا أن دعا إلى اجتماع حضره علماء الأمة وكبار أمرائها، وانتهز فرصة وصول الصاحب «كمال الدين بن العديم» سفيرا من قبل السلطان الناصر ملك دمشق، يستنجد بأهل مصر على التتار، وتقدم رجل بسؤال يذكر فيه أمر هولاكو، واستيلائه على البلاد ووصوله إلى حلب، وأن بيت المال خال من الأموال، والسلطان صغير السن، وأن الوقت محتاج إلى سلطان كبير يخشاه الناس ويدفع العدو.

يقول ابن إياس: «وكان المشار إليه في ذلك المجلس شيخ الإسلام العز بن عبدالسلام» ويقول ابن تغرى بردى: «وأفاضوا في الحديث فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبدالسلام» وكان سيف الدين قطز هو الوصى على الملك الصغير «المنصور على» ابن المعز أيبك فتقدم إليه الإمام ابن عبدالسلام وبايعه سلطانا على المسلمين فبايعه الحاضرون جميعا فكان هذا الموقف العظيم سببا في نصر الإسلام وإعزاز المسلمين، وكسر شوكة الكفر التترى في «عين جالوت».

وإذا كان الناس يذكرون الظاهر بيبرس، ويذكرون شدته على الصليبيين، وتطهيره سواحل الشام من حصونهم وقلاعهم، فإن القليل هم الذين يدركون شدة بطشه وعدم تورعه عن سفك الدماء حتى كتبت عنه الأساطير وقال عنه الإمام الذهبى: «إنه جدير بالملك لولا ما فيه من الظلم» لكن الإمام النووى كان يستشعر أمانة حماية حقوق الناس وأموالهم حتى وإن كان المعتدى عليها هو السلطان الظاهر «بيبرس» ولهذا كثرت مواقف الإمام النووى في مواجهته وكان آخرها هذا الموقف الذى نحس فيه التجرد الكامل لله - عزوجل - يقول الإمام السيوطى «لما خرج السلطان الظاهر بيبرس إلى قتال الصليبيين في الشام، أخذ فتاوى العلماء بأنه يجوز له أخذ مال من الرعية، ليستنصر به على قتال العدو فكتب له فقهاء الشام بذلك، فقال: «هل بقى أحد؟ فقيل: نعم بقى الشيخ «محيى الدين النووى»، فطلبه فحضر، فقال: اكتب خطك مع الفقهاء، فامتنع، فقال: ما سبب امتناعك؟ فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير بندقدار، وليس لك مال، ثم من الله عليك وجعلك ملكا، وسمعت أن عندك ألف مملوك،

كل مملوك له حياصة من ذهب، وعندك مائتا جارية، لكل جارية حق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله، وبقيت مماليكك بالبنود الصوف وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلي أفتيتك بأخذ المال من الرعية فغضب الظاهر من كلامه وقال: «أخرج من بلدى ـ يعنى دمشق ـ فقال: السمع والطاعة وخرج إلى قريته «نوى» فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا، وممن يقتدى به، فأعده إلى دمشق، فرسم برجوعه، فامتنع الشيخ، وقال: «لا أدخلها والظاهر فيها، فمات الظاهر بعد شهر»[٤]

وتاريخنا الإسلامي حافل بمواقف المخلصين الصادقين، الذين يصنعون التاريخ بهذه المواقف العظيمة وستظل أمتنا بحاجة دائمة إلى تذكر أمثال هؤلاء العظماء حتى تبعث في قلوب أبنائها تعشق البطولة والتعرف على مواقف البطولة الحقة، التى وقفها عظماؤنا فصانوا لها شريعتها وحفظوا لها تراثها، وحرسوا لها دينها العظيم.

وإذا كانت الأمة اليوم تعانى مخاضا عسيرا للوصول إلى إعادة الإسلام إلى الأرض منهاجا ودستورا بعد مؤامرة عليه دامت قرنا كاملا أوشكت أن تقضى عليه قضاء مبرما بعد أن نجحت المؤامرات اليهودية والصليبية أن تثخنه بسهامها القاتلة القاسية وأوشكت أن تبلغ منه المقتل بعد أن تمكنت من إسقاط الخلافة، وتغريب الثقافة، وتعطيل الشريعة، وتمييع العقيدة، وإفساد الإعلام والتعليم. إذا كانت المؤامرة قد فشلت أن تقضى على هذه العقيدة فرأينا المقاومة الإسلامية تنبعث ماردا جبارا في مواجهة مؤامرات الكافرين فإننا ينبغى ألا ننسى جهود المخلصين الأخيار، الذين استشعروا أمانة الكلمة وجسامة المسئولية، فقاموا بها عند حاجة الأمة إليهم، ولم يبخلوا على أمتهم بدمائهم وأرواحهم.

ومن منا لايذكر بالإجلال والإكبار جهاد أبناء الأمة طيلة القرن الماضى، الذين أدركوا أن الخطر يستهدف عقيدتها وهويتها، ويتآمر على دينها وشريعتها، وقطعها عن تراثها وأخلاقها فقاموا ينافحون عن الفكرة الإسلامية ويحرسون هوية الأمة من الضياع، ويستميتون من أجل استقلالها في مجالاتها جميعا من أمثال مصطفى كامل وزميل كفاحه محمد فريد ومحمد طلعت حرب في مجال الاقتصاد وفي مجال الفكرة الإسلامية لن تنسى الأمة جهود أبنائها الأبرار جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا وحسن البنا ومحب الدين الخطيب والأمير شكيب أرسلان ومصطفى صادق الرافعى والشيخ محمد الغزالى وعشرات آخرون[٥] ممن أفنوا أعمارهم لخدمة أمتهم وحراسة دينها العظيم.

إننا نعد القيام برد الهجمة الغربية الشرسة وحماية هوية الأمة من الضياع فريضة شرعية وضرورة وطنية، بل إننا نعده أرجى عبادة، وأقدس جهاد يؤديه عقلاء الأمة، في هذا الزمان.

ولقد تابعت باعجاب بالغ وارتياح عظيم

(٤) حسن المحاضرة للسيوطى جـ٢ ص١١٠

(٥) للتعرف على هؤلاء الأعلام الكرام انظر: النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين د محمد رجب البيومى مؤسسة الرسالة



محمد الغزالى — حسن البنا — مصطفى كامل — محمد فريد

الدراسة الجادة والعمل الجسور، الذى قدمه المفكر الفذ والناقد الكبير الدكتور عبدالعزيز حمودة فى حلقاته الثلاث: «المرايا المحدبة، والمرايا المقعرة، والخروج من التيه» كاشفا فى حلقته الأولى مدى عمق الهوة التى تردت فيها الحركة النقدية العربية منذ بداية سبعينيات القرن الماضى عندما خلط بعض المثقفين العرب بين الرغبة فى تحديث العقل العربى بعد الهزيمة العسكرية سنة ١٩٦٧ وبين الحداثة.

وفى الحلقة الثانية وضع ناقدنا الكبير معالم لنظرية نقدية عربية تقوم على الاتصال الكامل بالآخر الثقافى مع التمسك بجذورنا الثقافية رافضا فى قوة وحسم وجسارة ثنائية الانبهار بكل انجازات العقل الغربى والاحتقار لكل انجازات العقل العربى، هذا الانبهار الذى وصل بأصحابه إلى العجز عن إدراك حقيقتين هما:

الاختلافات الأساسية بين حداثة أفرزها واقع حضارى وثقافى غربى، وبين الثقافة العربية بكل عمقها الحضارى والروحى.

والحقيقة الثانية: التى لم يلتفت إليها من انبهروا بالحداثة الغربية، هو خطر الوقوع فى التبعية الثقافية، وهو ماحدث وهو ما كان يخطط له الغرب منذ بدأ نجم اليمين[٦] فى الصعود فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ أواخر السبعينيات ويحذر الرجل أهله وبنى أمته من غول «الثقافة المهيمنة» التى جاءت بدلا من «الثقافة العالمية» التى وعدونا بها، والتى يحاولون فرضها على أمم الأرض جميعا باسم العولمة، تلك الثقافة التى لن تستريح حتى تبتلع ثقافتنا الإسلامية وأصولنا الحضارية ولكننا على يقين من قول ربنا سبحانه:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[٧].

(٦) هم الذين يؤمنون بالمسيحية الأصولية الأمريكية والتى ينتمى إليها غالب القائمين على أمور الحكم فى الولايات المتحدة الأمريكية.

(٧) الصف آية «٨».

الإسلام دين العدالة

للأستاذ / عـادل خفاجـة

لا يحتاج تعريف العدل إلى جهد جاهد فأى إنسان على فطرته يقول: «إن العدل هو أن تعطى كلَّ ذى حق حقه».

وهذا بدوره يستتبع الانتصاف من الظالم بأخذ ما استولى عليه بدون وجه حق

«والعدل قوام المجتمعات الراقية السعيدة، وما تلاشت روح العدل فى أمة إلا وسرت فيها تيارات الضغينة والحقد، واستنفدت طاقتها الحيوية فى التفاخر الداخلى والنزاع الطائفى والحزبى بدل استغلالها فى نواحى الإنتاج والتعمير والنهضة» (1)

والحديث عن العدل فى الإسلام لا يقف عند حد، فمادته مبثوثة فى القرآن الكريم ويكفى أن نشير أن منها قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾

[النحل - ٩٠]

والإسلام يدعو إلى التزام العدل فى الفعل وفى القول أيضا لقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾

[الأنعام - ١٥٢]

أما عن أحاديث رسول الله ﷺ عن العدل فاكثر من أن يتناولها الإحصاء ويكفينا أن نذكر منها قوله ﷺ: «اعدلوا بين أولادكم»(2)

(1) الشيخ أحمد شاهين - مقومات العدالة الاجتماعية فى القرآن. مجلة الأزهر ص٦٦٥ المجلد ٢٠ السنة ١٣٦٨هـ.

(2) بروايات مختلفة فى البخارى، والنسائى، وأبى داود والإمام أحمد فى المسند.

وقوله: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور» (3)

وقوله ﷺ: «ليأتين على القاضى العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين فى تمرة قط»(4)

ولما كانت القاعدة الأساسية التى لا ينطلق العدل إلا منها ولا يرسو إلا عليها هى المساواة؛ فقد اهتم الإسلام بهذه القيمة الإنسانية ونادى بها وحث عليها حتى فاق كل التشريعات السماوية والوضعية فى الحرص على ضرورة إرسائها بين الناس ونبذ كل صور التمييز بينهم.

والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

[الحجرات : ١٣]

وقول الرسول ﷺ فى حجة الوداع: «أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد ألا لافضل لعربى على أعجمى ولا لعجمى على عربى، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»(5).

لقد جاء الإسلام ليقرر أن أصل الخلق من نفس واحدة وذلك فى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾

هكذا كان اهتمام الإسلام بالمساواة التى هى البيئة الصالحة الطيبة ليرسو عليها العدل الذى تزدهر معه الحياة وتتضاعف به سعادة الشعوب والأفراد فهو حقا أساس الملك وأساس الاستقرار والازدهار وقل بعد ذلك ما شئت!!

فبه يشعر كل إنسان أن ثمرة عمله تعود عليه وعلى أبنائه بالخير وأنه فى ظل هذا المجتمع الذى يسوده العدل لن يغمطه أحد حقه.

ولقد تعهد الله سبحانه وتعالى الناس بالهداية على مر العصور يحذرهم أن يضلوا

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾

[فاطر : ٢٤]

(3) مسند الإمام أحمد/ باقى مسند المكثرين

(4) مسند الإمام أحمد/كتاب باقى مسند الأنصار باب/ حديث السيدة عائشة رضى الله عنها.

(5) مسند الإمام أحمد - حديث رقم/٢٢٣٩١

وما كان هدف الأنبياء إلا نشر العدل بين الناس لقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾

[الحديد : ٢٥]

ولعل هناك من يقول: إن هدف الأنبياء إرشاد الناس إلى عبادة ربهم.. نقول: وهل يخرج ذلك من نطاق العدل؟!

أمن العدل أن يخلق الله ويعبد غيره؟!

ولقد حرص الإسلام على إرساء العدل بين الناس، وحضّ على ألا يفارق صورة من صور التشريع أو جانبًا من جوانب الحياة.

وحث أتباعه أن يلتزموا العدل حتى مع أعدائهم ومبغضيهم فقال تعالى:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

[المائدة : ٨]

وما أحسن ما قاله فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي - رحمة الله عليه - في هذا الشأن: «ويبادر القرآن إلى تفهيم المؤمنين أن ذلك حق عليهم في كل حالة، ومع كل إنسان، ولو كانت هناك أسباب عدائية يخشى معها الانصراف عن التزام العدل، فإن العدالة تكليف منوط بذمة المؤمنين، بل وغير المؤمنين وإن لم يتجه إليهم الخطاب»(٦)

والإسلام يحث الفرد أن يلتزم العدل مع نفسه التي بين جنبيه، فلا يجور عليها، ودعاه إلى الاعتدال في كل المطالب البدنية والروحية لقوله ﷺ: «روحوا القلوب ساعة بساعة» [مسند الشهاب ١ / ٣٩٣].

وكما أسلفنا القول؛ فإن الإسلام ينادي بأن ينتظم العدل كل أوجه الحياة؛ فالزوج مطالب بأن يعامل زوجته بالعدل، والأب مطالب كذلك أن يعامل أبناءه بالعدل، وما حديثه ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»(٧) إلا ليؤكد على ضرورة التزام العدل من جانب كل من استرعاه الله أمرًا.

والعدل في الدنيا إنما يستقر بما قام به الدليل وأثبته البرهان؛ لذلك قد يفلت الظالم من العقاب الدنيوي إذا استطاع أن لا يترك خلفه دليل إدانته؛ أو استطاع

(٦) الشيخ عبد اللطيف السبكي: العدل روح الحياة – مجلة الأزهر ص٤٢٧، المجلد ٢٨ السنة ١٣٧٦هـ.

(٧) البخاري/كتاب الجمعة/حديث ٨٨٤.

بمعسول القول أن يوهم القاضي بما يخالف الحقيقة؛ لذلك كان العدل المطلق من الله - تعالى - يوم القيامة حيث يقول عز وجل:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾

[الأنبياء - ٤٧]

فهو سبحانه وتعالى الذي

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾

[سبأ : ٣]

ولم تكن تعاليم الإسلام فلسفات جوفاء يتكلم بها من لا يعرفون للتطبيق طريقًا بل التزمها كل من علم معنى العدل والحق وأنهما من أسماء الله تعالى فنورهما يشع في القلب مباشرة

وإذا أردت أن ترى أعلى صور العدل فعليك أن تطلبها في المسلمين بدءًا من عهد رسول الله ﷺ مارًا بعهود الخلفاء الراشدين منتهيًا بكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فأما رسول الله - ﷺ - فقد كان النموذج الأنصع للعدالة.

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: «كان أسيد بن حضير رجلا صالحا ضاحكا مليحا فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدث القوم ويضحكهم فطعنه رسول الله ﷺ في خاصرته فقال: «أوجعتني قال: اقتص. قال يا رسول الله: إن عليك قميصا ولم يكن عليّ قميص. قال: فرفع رسول الله ﷺ قميصه؛ فاحتضنه ثم جعل يقبل كشحه فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله.... أردتُ هذا» [من كتاب المستدرك على الصحيحين جـ٣/ حديث ٥٢٦٢].

ومما روى أيضًا أن قريشًا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت؛ فقالوا من يكلم رسول الله - ﷺ - ؟ ومن يجترىء عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فكلم رسول الله ﷺ فقال: «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فخطب؛ فقال: «يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» [البخاري/ ٦ / ٢٤٩١].

فضرب بذلك المثل الأنصع للعدل والمساواة بين الشريف والضعيف.

وروى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أثناء تفقده أحوال الرعية رأى رجلاً وامرأة على فاحشة فجمع الناس وخطب فيهم: «ما قولكم أيها الناس فى رجل وامرأة رآهما أمير المؤمنين على فاحشة؟ فرد عليه علىّ بن أبى طالب: يأتى أمير المؤمنين بأربعة شهداء أو يجلد حد القذف شأنه شأن سائر المسلمين؛ ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

[النور: ٤]

ولم يملك أمير المؤمنين إلا أن يمسك عن ذكر أسماء الجناة، حيث أدرك أنه لا يستطيع أن يأتى بباقى نصاب الشهادة وأنه لا فرق فى هذا بينه وبين سائر المسلمين.

ترى فى حساب من نضع هذه المحمدة أنحسبها لعلى بن أبى طالب الذى تكلم بالحق؟!

أم نحسبها لأمير المؤمنين عمر الذى أذعن للحق؟!

وهذا الفاروق عمر - رضى الله عنه - ينتصف لأحد الرعية من الوالى فيقول قولته الشهيرة التى مازالت تدوى فى سمع الدنيا: «متى استعبدتهم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا».

ومما أثر عن عثمان رضى الله عنه - الخليفة الثالث للمؤمنين - أنه اشترى من رجل قطعة أرض بعد أن اتفق على ثمنها، ومضت الأيام ولم يحضر البائع ليتسلم ثمن الأرض فأرسل إليه عثمان - رضى الله عنه - وسأله عن السبب فى إبطائه عن تسلم الثمن؛ فقال الرجل: إنك غبنتنى، واشتريت الأرض رخيصة منى، وكلما قابلنى رجل لامنى على هذا البيع. فقال له عثمان: أنت حر فى الرجوع، وإن شئت أمضيت البيع وقبضت الثمن، وإن شئت رجعت فى البيع وأخذت أرضك؛ فاختر ما تشاء: الأرض أم الثمن.

يعلق فضيلة الشيخ أحمد على منصور على ذلك - وقد بان التسامح من جانب خليفة المؤمنين قائلا: وأيم الله إن هذا منتهى العدالة والتسامح. (٨)

أما على كرم الله وجهه فيقول: «ولكم علىّ من الحق مثل الذى عليكم» ثم يوضح ذلك - كرم الله وجهه -

(٨) راجع مجلة الأزهر المجلد ١٩ ص٧٦ سنة ١٣٦٧هـ.

فيقول: «فليست تصلح الرعية إلا بصالح الولاة ولا تصلح الولاة إلى باستقامة الرعية»

فهل هناك التزام للعدالة وتطبيق أنصع من ذلك؟!

وبعد..

فهذا هو العدل فى الإسلام؛ بل هذا هو الإسلام الذى ترفضه القوى الباغية اليوم ويتهمون معتنقيه بالإرهاب.

لقد أرسى الإسلام مبادىء العدل التى تنضوى تحتها أغلب حقوق الإنسان قبل أن يعرف الغرب أن للإنسان حقوقًا.

ولكن أى حقوق نبحث عنها!!

وأى مقدسات نريد تحريرها وأمامنا عدو لا يؤمن بغير القوة سبيلاً لتحقيق السلام، وقد حاز القوة، تدعمه أكبر دولة فى العالم اليوم وتسانده فى هدم بيوت الآمنين أصحاب الأرض، كما تسانده فى مجازره التى لم ير التاريخ لها مثيلاً.

ولكننا لابد أن نعلم أن «سنة الله فى ملكه منذ أبدع هذا الكون تأبى أن تكون للظلم دولة تدوم، أو حياة تطول، ومهما امتدت بها السنون فهى فى حياة الشعوب لحظات، وسنة الله آتية لا ريب فيها بتقويض معاقل الظلم، وإن كانت صروحا شامخة أو جيوشًا زاخرة»(٩)

ولا يبقى إلا أن يأخذ المسلمون بأسباب النجاح وعلو المكانة والإخلاص فى العمل واضعين نصب أعينهم قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[التوبة: ١٢٠]

هنا فقط يكون من العدل أن يرتقى من أحسن العمل مؤمنًا بالله فوق من أحسن العمل غير مؤمن بالله.

اللهم وفقنا إلى إيمان بك لا يخالطه شك وإلى حسن عمل يرضيك.

***

(٩) الشيخ عبد اللطيف السبكى. المصدر السابق ص ٤٢٥.



الإرهـــاب.. صناعة غير إسلامية

تأليف

الدكتور/ نبيل لوقا بباوى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾

آل عمران ١٩

بهذه الجملة البسيطة فى صياغتها، القصيرة فى كلماتها، المحددة فى مدلولها، الواضحة فى مباشرتها... قدم القرآن الكريم أصلا مهما من أصول الدين الخالص، يقرر: أن ارتباط الإنسان بالله الخالق يستلزم إسلام الإنسان نفسه ـ بكل مقوماتها وتوجهاتها ـ لله الخالق، ويعلن فى الوقت ذاته: حتمية توحد الإنسان فى فكره، ومعتقده، وعواطفه، وينبه إلى: أن اختلاف الإنسان مع أخيه الإنسان ـ على تباين درجات هذا الاختلاف ـ لا يمكن بأى حال أن يكون بسبب الدين، وإنما هو ناشئ عن تأويلات المتأولين وتفسيراتهم للدين... تلك التى يخطئ كثير من الناس فيتوهمون أنها هى دين الله.... لا فرق فى ذلك بين المتأول أو المفسر اليهودى، والمتأول أو المفسر المسيحى، والمتأول أو المفسر المسلم، على ما تصرح به بقية الآية الكريمة فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

(آل عمران: ١٩)

فالحقيقة التى لا يمارى فيها: أن دين الله ـ تعالى ـ الخالص من تدخلات البشر... يشيع السلام بين الناس جميعا، ويكفل لهم الصحة والأمان فى علاقة كل فرد بنفسه، وفى علاقته

بالآخر.. أيا كان هذا الآخر.!

وهذا يعنى: أن ما ينشأ من قلاقل واضطرابات تفقد الناس أمنهم، وتحرمهم السلام... كل هذا لا صلة لدين الله الخالص به، على الرغم من أن أكثر هذه القلاقل والاضطرابات تحدث تحت ستار الدين ـ اليهودى أو النصرانى أو الإسلامى ـ دون خجل أو حياء من مثيرى هذه القلاقل، أو محدثى تلك الاضطرابات؛ فكل ما يطرأ على الناس من مفاسد إنما هو من صنع البشر، أيا كان رداؤهم الذى يرتدونه، على نحو ما يوضحه القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(الروم: ٤١)

ومن العجيب أن الناس الذين يشيعون الفساد فى الأرض بما تكسبه أيديهم من طغيان وتجاوز وعدوان... هؤلاء الناس لا يلتفتون إلى ما يصنعونه هم، ولا ينظرون إلى ما يبذرونه من فتن بين الناس؛ فكل ما يشغلهم هو مقدار الكسب الذى يحرزونه لأنفسهم، ومدى ما يحققونه من نصر لنزواتهم الشيطانية، دون الاهتمام بالتأمل فى حقيقة هذا الكسب، ولا النظر إلى طبيعة ذلك النصر... وأنى لهم ذلك مع استسلامهم لنزوات التجبر والطغيان؟! ولو أنهم وقفوا لحظات يتأملون فى حقيقة هذا وذاك لعرفوا أن ما يتوهمونه كسبا، إن هو إلا خسران مبين.!

ولذلك... نجد القرآن الكريم ـ بعد أن وضح أثر الطغيان ـ يلفت الإنسان إلى سبيل التبصر الواعى، ويقدم العلاج الناجع المخلص من ذلك الفساد وتبعاته، فيقول ـ سبحانه وتعالى ـ:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ (٤٢) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾

(الروم: ٤٢ ـ ٤٣)

ولا ريب فى أن الفساد الذى يظهر بسبب كسب الناس يختلف من زمان لزمان، ومن مكان لمكان... غاية الأمر فى جميع الأحوال: هو ظهور فساد يحرم الناس أمنهم، ويسلبهم سلامهم الفردى والجماعى!

ولعل الناس ـ مع نهايات القرن العشرين، وبدايات القرن الحادى والعشرين ـ يدركون أن أبرز مظاهر الفساد الذى انتزع من الناس أمنهم وسلامهم... إنما هو استخدام أقوى ما وصل إليه الإنسان عن طريق تطوير البحث العلمى فى الاستيلاء على ثروات الآخرين، وإخضاعهم لهيمنة من يملك تلك القوى المستحدثة بما لها من أخطار متشعبة، ونهوض هؤلاء الآخرين ـ على ضعفهم وتخلفهم ـ للتصدى لتلك القوى العدوانية؛ فكان ثمرة هذا العنف القاهر والتصدى له.. أن ظهر ما أطلق عليه «الإرهاب» أطلقه الضعفاء على المغتصبين وأطلقه المغتصبون على المقاومين؛ مستغلين إمكاناتهم المادية، وقدراتهم الدعائية فى تعميم الصورة المفزعة للإرهاب وإلصاقها بالدين الذى ينتمى إليه المقاومون،

مع الحرص على وسم الإسلام والمسلمين بالإرهاب، متجاهلين كل الحقائق الدامغة.

وقد حاول كثير من الكُتّاب والدارسين المعتدلين دفع هذه التهم الباطلة عن الإسلام، وكان من بين هؤلاء الأستاذ الدكتور نبيل لوقا بباوى فى كتابه «الإرهاب صناعة غير إسلامية».

أما الدكتور نبيل فقد سبق التعريف به فى هذا المكان من مجلة «الأزهر»، مع كتابه «انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء»، فهو بسابقته تلك، وبدراسته العلمية التى هيأت له الاتصال بالإسلام عن كثب ـ حيث يُعد دراسته للحصول على درجة الدكتوراة فى الشريعة الإسلامية ـ هو بهذا الاتصال قريب من خصائص الإسلام وتشريعاته، بعيد من احتمال التعصب العقدى.. من كل ما يؤكد حقيقة الترابط بين المسلمين والمسيحيين، بعيداً عن ذلك الزيف المصنوع..

وأما الكتاب فهو من إصدارات دار البباوى للنشر سنة ٢٠٠٢، ويشغل ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط، تضم مقدمة، وخمسة أبواب، وخاتمة.

الإسلام وشراسة المستشرقين

فى المقدمة يسعى الدكتور لتهيئة ذهن القارئ للتعرف على طرف من التشويه المضلل الذى يقدمه كثير من المستشرقين عن الإسلام والمسلمين، متجاوزين معايير البحث العلمى النزيه، ومستسلمين لكل ما تفيض به نفوسهم من حقد على الإسلام وكراهية له.



نبيل لوقا بباوى

فذكر أن هؤلاء المستشرقين ـ حين يتحدثون عن الإسلام يبتعدون تماما عن حقائق الإسلام التى تنبثق من أصوله الثابتة ـ وهى القرآن الكريم، والسُّنة النبوية الشريفة ـ ويلهثون وراء كل رأى متطرف أو شاذ، ليقوموا بالنفخ فيه، وتضخيمه، لكى يلصقوا بالإسلام كل ما يخطر على البال وما لا يخطر من النقائص والعيوب؛ مستغلين تصرفات بعض جماعات العنف المنتمين إلى الإسلام وفتاواهم، ليقرروا: أن الإرهاب الذى يعنى سفك دماء الأبرياء وليد الإسلام.

وذكر أن بعض الباحثين والمفكرين الغربيين روجوا لهذه الفرية، وألبسوها ثوب الحقيقة؛ ليوجهوا بها الساسة هناك، أو ليلبوا حاجة الساسة الباحثين عن أسباب تفسر سعيهم الدءوب للهيمنة على كل أرض إسلامية، كى يحققوا ما هدف إليه أجدادهم منذ بدأت حملاتهم الغازية تحت شعار الصليب، على مدى ثلاثة قرون متواصلة.

ولهذا ـ وغيره ـ ارتكزت أفكارهم على

ربط الإرهاب بالإسلام، دون غيره من الديانات والنظم والجماعات، مُغمضين أعينهم وعقولهم عن الإرهاب المنتشر فى شتى بقاع الأرض، والذى يقوم به منتمون لشتى الديانات والمذاهب؛ من مسيحيين، ويهود، وبوذيين..

والدكتور يختتم مقدمته بإبداء عدة ملاحظات تؤكد أنه ما أراد بكتابه هذا إلا الإصلاح العام، حيث دعا إلى تجاوز الأسلوب المتدنى فى الكتابة عن أديان الآخرين، والحديث عن رموزها؛ متمنيا أن تتفق الحكومات الغربية والعربية على إصدار قانون يمنع التعرض للأديان ورموزها بالتجريح، وأن تنشئ الدول العربية والإسلامية هيئة مستقلة فى إحدى العواصم الأوروبية للدفاع عن الإسلام، وأن تمتد جسور التلاقى بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية سعياً إلى إسعاد البشرية وإشاعة السلام بينهم.

الإرهاب وتحرير الأرض

والدكتور... لكى يميز الإرهاب من مقاومة الغاصب... قدم مبحثا ذكر فيه تعريف القانونيين للإرهاب، وتعريف لجنة الإرهاب الدولى التابعة للأمم المتحدة له؛ مستخلصاً من تلك التعريفات أبرز سمات الإرهاب، حيث يُستخدم العنف دائماً لتحقيق أغراض سياسية غير مشروعة، دون اعتراف بأى دور للنشاط السياسى.

ويومئ الدكتور إلى أن هذه التعريفات ـ على وضوحها ودقتها ـ لم تمنع من الخلط بين العمليات الإرهابية العدوانية والعمليات التحررية؛ إذ ينظر كلٌ إليهما بمنظار ذاتى، فالغاصب يأبى أن يتصدى له صاحب الحق، ويعد تصديه له إرهابا، حتى اختلت المعايير، واضطربت الرؤى، واتسم الموقف الواحد بسمتين متناقضتين تمام التناقض، فما يعد اليوم إرهابا وتجاوزا، يعد غدا وطنية وممارسة شريفة؛ فأعمال الاغتيالات التى مارسها «ديجول» فى أثناء مقاومته الاحتلال الألمانى سنة ١٩٤٠م إلى سنة ١٩٤٥ باسم المقاومة الوطنية المجيدة، كان الألمان يرونها إرهابا يستلزم العقاب.. بل إن «ديجول» نفسه رآها إرهابا كذلك حين صدرت من الجزائريين فى مقاومتهم الاحتلال الفرنسى... وما يدور اليوم فى «أيرلندا الشمالية» من مجازر بشرية بين «البروتستانت» و«الكاثوليك».. هو مقاومة تحريرية، وعنف إرهابى... ومثل هذا وذاك ما نراه على الأرض الفلسطينية فى مواجهة اغتصاب الصهيونيين تلك الأرض.!

وهذا الخلط فى الأحكام... إنما نشأ عن تقييم العمل بمعايير شخصية بحتة، ترى الشىء بعين المنفعة الذاتية، دون تقدير للمعايير المحايدة التى تلتزم بالعدل والمساواة.

ومن هنا... ينطلق الدكتور ـ فى بحثه ـ داعياً إلى الاتفاق الجاد على معايير واضحة محددة، يتميز بها العمل القومى والوطنى من العمل الإرهابى المعتمد على العنف والقهر... وذلك بتحديد صفات العمل

الوطنى وسماته المميزة له عن الاندفاع وراء النزوات النفعية الخاصة، على النحو الذى أوضحه ميثاق الأمم المتحدة، حيث أكد حق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال والحكم العنصرى، والهيمنة الأجنبية فى أن تستخدم كل صور العنف ضد الاحتلال الأجنبى للحصول على استقلالها المشروع... وهذا يعنى: أن أعمال المقاومة المشروعة توجه إلى القوات العسكرية المحتلة أو سلطات الاحتلال المدنية، فلا توجه إلى أى أحد ليس له علاقة بالاحتلال مثل السائحين الأجانب، ولا تقع خارج الأراضى المحتلة إلا فى حالة الضرورة... أما ما يتجاوز هذه القيود فيدخل فى ضمن العنف غير المشروع، كالسطو المسلح على البنوك والمحال التجارية.

الإرهاب والدين

ويلاحظ الدكتور: أن حدة الإرهاب فى العالم زادت منذ أواخر ستينيات القرن العشرين، وأن الإرهابيين استغلوا التطور التكنولوجى فى عنفهم، حتى أصبح ظاهرة عالمية، تنتشر فى كل بقاع العالم، وبين جميع الشعوب من غير استثناء أى ثقافة أو دين؛ فالدافع إليه ـ فى الغالب ـ أغراض سياسية، كما وضح ذلك فى إرهاب الثوار الفرنسيين الذين قاموا بقطع رأس ١٤٠ ألف فرنسى، وفى الإرهاب الصربى الذى أدى إلى اغتيال ولى عهد النمسا، فقاد العالم إلى الحرب العالمية الأولى، وفى الإرهاب الأمريكى بإلقاء القنبلة النووية لأول مرة على «هيروشيما»، و«ناجازاكى» لتأديب اليابانيين، وفيما تفعله جماعة الألوية الحمراء الإيطالية، وفيما صنعه اليهود والمسيحيون فى صبرا وشاتيلا سنة ١٩٨٢، وفى جنين سنة ٢٠٠٢، وفيما يدور من عنف فى أيرلندا بين الكاثوليك والبروتستانت.. من كل ما يقرر أن أحداً لا يستطيع ـ فى أى زمان أو مكان ـ أن ينسب الإرهاب والعنف إلى أى ديانة سماوية؛ أو غير سماوية فالدين المسيحى لا يمكن بأى حال أن يقر أو يقبل ما صنعته أمريكا المسيحية فى هيروشيما وناجازاكى، ولا ما صنعه المسيحيون فى «أوكلاهوما». والدين اليهودى لا يمكن أن يرضى عما صنعه اليهود الصهيونيون فى صبرا وشاتيلا، ولا ما صنعوه فى جنين. والدين الإسلامى.. كذلك لا يمكن أن ينسب إليه تصرفات أسامة بن لادن وأتباعه فى القاعدة أو فى غيرها. والبوذية بريئة تماما مما يوقعه البوذيون بالآمنين فى مترو طوكيو من ترويع وقتل.

أما ما يردده الساسة الأمريكيون والأوروبيون من مزاعم تنسب الإرهاب إلى الدين الإسلامى، فهو مجانب للصواب، كما أنه كيل بمكيالين؛ إذ يلتفتون إلى ما يصدر عن بعض المنتمين إلى الإسلام، ويغمضون عيونهم عما يصدر عن بعض المنتمين للمسيحية، واليهودية والبوذية... وما ذلك منهم عن جهل أو خطأ، ولكنه عن عمد

لتحقيق أهداف سياسية غير مشروعة، بما يجعله منهم لوناً آخر من ألوان الإرهاب... هو أخطر من إرهاب القتل.

ويذكر الدكتور: أن هذا الإرهاب الأمريكى والغربى أفرز ألواناً أخرى من الإرهاب، لا علاقة لها بأى دين سماوى، كمجزرة الحرم الإبراهيمى سنة ١٩٩٤ التى راح ضحيتها نحو أربعمائة فلسطينى بين قتيل وجريح بيد اليهودى المتطرف «باروخ جولد شتاين»، ومثل تفجير المبنى الفيدرالى بالولايات المتحدة الأمريكية بأيد أمريكية مسيحية سنة ١٩٩٥، وأدى إلى مصرع ١٦٦، وإصابة ٣٠٠ شخص، ومثل تفجير مترو الأنفاق بباريس سنة ١٩٩٥، ومذبحة قانا جنوبى لبنان سنة ١٩٩٦ التى قامت بها القوات الإسرائيلية، وأدت إلى مصرع ١٤٧، وإصابة ١٢٠ شخصاً، ومذبحة صبرا وشاتيلا التى اشتركت فيها القوات المسيحية مع القوات الإسرائيلية فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٨٢، وقُتل فيها أكثر من ثلاثمائة فلسطينى بين أطفال وشيوخ ونساء، ومثل ما حدث من حركة «توباك أمارو» فى بيرو سنة ١٩٩٦، وما حدث فى الأقصر تجاه السياح الأجانب، وراح ضحيته ٥٨ قتيلاً، و٢٥ جريحاً من بين السائحين، ولم تعرف إلى الآن هوية الفاعلين. وما حدث فى جنين سنة ٢٠٠٢ من مجازر بشرية على أيدى القوات الإسرائيلية، وما حدث فى مترو الأنفاق فى طوكيو بإطلاق الغاز السام من بعض الجماعات اليابانية، وتفجير مركز التجارة الدولى بأمريكا سنة ٢٠٠١ ونُسب إلى بعض الجماعات الإسلامية دون دليل، مع اتجاه الأدلة لبعض اليهود...

فهذه الأمثلة ـ على تنوعها واختلاف مواقعها ومصادرها ـ أوضح دليل على أن الإرهاب ظاهرة عالمية، وأنه إفراز الميزان الأمريكى والأوروبى الجائر... من كل ما يؤكد أن نسبته إلى أى دين ـ إسلاماً كان أو غير إسلام ـ هو من وسائل التضليل الغربى الاستعمارى التى تحرص على إخفاء هوية تُجار السلاح الأمريكيين الذين يغذُّون كل نشاط إرهابى فى أى مكان..!

السلام.. أصل إسلامى عام

والدكتور نبيل لوقا يواجه المزاعم الغربية التى ترددها الأجهزة الإعلامية، والساسة، والمستشرقون.. ليلصقوا بالإسلام تهمة الإرهاب والعنف بصورهما القبيحة... يواجه الدكتور هذه المزاعم ابتداء، مقرراً: أنها تصدر عن حقد تفيض به صدورهم، مستغلين سلوك بعض المنتمين إلى الإسلام وتفكيرهم، ثم يوضح: أن هذا الحكم إنما يصدر منه عن إدراك واعٍ لحقيقة الإسلام الذى يقوم على قاعدة «تحريم الحرب إلا دفاعاً عن النفس والمال وأرض الإسلام، وإلا دفعاً لظلم بيِّن، أو استرداداً لحق مغتصب»، وهو ما يطلق عليه فى القانون الدولى «حق الدفاع المشروع»، ثم هو يواجه هذه المزاعم بما

يدحضها ويكشف باطلها من آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، مثل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

(البقرة: ٢٠٨)

بما يأمر به من الدخول العام فى السلم، وينبه إلى أن عدم الدخول فى السلم استسلام لقيادة الشيطان، يجب أن يحذر منه كل مسلم، ومثل قوله تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الأنفال: ٦١ - ٦٢)

حيث يأمر بالجنوح للسلم ما دام الآخر يجنح له، دون تردد أو خشية من خداع. ومثل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾

(النساء: ٩٤)

حيث ينهى عن الاستجابة للهوى، والتحايل لقتال الآخر أو لنبذه، فيكفى أن يعلن جنوحه للسلام، حتى تصبح مقاتلته معصية، ولذلك.. اختار أن تشيع تحية أتباعه السلام والرحمة، وهى «السلام عليكم ورحمة الله»، وجعلها أمانا للآخرين، فقال ـ ﷺ ـ: «إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأمانا لأهل ذمتنا»(١).

والدكتور يخلص من هذا.. ليقرر: أن المراد من الجهاد فى الإسلام لا يمت بصلة لما يصدر من عنف عن بعض المنتمين إلى الإسلام فى هذه الأيام لأسباب عديدة.. منها:

إن القتال ليس قاعدة إسلامية، ولكنه استثناء يدعو إليه دفاع عن النفس أو المال أو الأرض، أو دفع الظلم، أو استرداد لحق مغصوب، كما حدث فى موقعة بدر، وموقعة أحد، وغيرها من المواقع التى اضطر إليها المسلمون اضطرارا.

على العكس مما عليه كثير من جماعات العنف التى تجعل الحرب والقتال أصلا إسلاميا، وليس استثناء.

ويقرر ذلك: أن الإسلام ـ فى علاقته مع أهل الكتاب ـ يأمر المسلمين بعدم إيذائهم، ويأمرهم أن يبروا بهم، ولا يقر أى تصرفات تخالف ذلك، على ما يصرح به قوله ـ تعالى ـ:

(١) المعجم الكبير (١٠٩/٨) طرفه (٧٥١٨)

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

(الممتحنة: ٨ - ٩)

ومن هذه القاعدة انطلق الرسول ـ ﷺ ـ حين هاجر إلى المدينة؛ فخير اليهود الموجودين فى المدينة بين الدخول فى الإسلام، أو البقاء على دينهم، ومباشرة عقائدهم الدينية.

وعلى هذا... فإن ما يصدر عن بعض الجماعات المنتمية إلى الإسلام ـ مثل قتل النصارى فى كنيسة أبى قرقاص، وكنيسة الخانكة بلا سبب سوى إحراج الحكومة لدى الرأى العام الخارجى ـ مثل هذا... لا يقره الإسلام، ولا يرضى به.!

وموقف الإسلام من أهل الكتاب لا يختلف عن موقفه من المشركين الذين يربط بينهم وبين المسلمين معاهدة سلام وعدم تعدٍّ؛ فقد أمر المسلمون باستثنائهم، والوفاء بالعهد معهم فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

(التوبة: ٤)

بل أمر المسلمون بضرورة الاستجابة لاستجارة أى مشرك، رغم استمرار بقية المشركين فى محاربة المسلمين، كما يصرح بذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾

(التوبة: ٦)

الأمر الذى يؤكد: أن الإسلام برىء تماما من كل ما يصدر عن جماعات العنف المنتمين إلى الإسلام؛ من قتل للأبرياء، وترويع للآمنين، ونهب لأموالهم ومتاجرهم... إلى غير ذلك.!

الإسلام.. فى أخلاقيات الحرب

ويذكر الدكتور نبيل لوقا: أن الإسلام يحرص على إشاعة السلام فى كل وقت.. حتى حين يضطر المسلمون إلى الحرب، وذلك بما يفرضه على المسلمين من مبادئ سامية، وأخلاق إنسانية، فى جميع الأحوال..

١ ـ ففى حالة الاضطرار إلى الحرب يلزم الإسلام كل مسلم بأن يستجيب لدعوة السلام إذا جنح إليه العدو، وأن لا يهدر دم من أعلن استسلامه.. على ما يقرره قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾

(النساء: ٩٤)

٢ ـ ويلزم المسلمين بألا تطغيهم الحرب، فيسيئوا إلى الأسير، بل إنه ليحضهم على

إحسان معاملة الأسرى، حتى سلك من يحسن إلى الأسرى فى زمرة الأبرار الذين رفع مكانتهم، ووعدهم النعيم المقيم فى قوله ـ جل شأنه ـ:

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾

(الإنسان: ٥ - ٨)

٣- بل إن الإسلام ليفرض على المسلمين أن لا تطغيهم الحرب فيغفلوا القيم الإنسانية المقررة فى تعاملهم مع غير المحاربين؛ من شيوخ، وأطفال ونساء، على ما صرح به الرسول ـ ﷺ ـ فى قوله: «لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلوا»(٢).

٤- ويتضح ميل الإسلام إلى السلام، فى نهيه عن أن يبدأ المسلمون الحرب، كما جاء فى وصيته ـ ﷺ ـ معاذ بن جبل قائد المسلمين إلى اليمن، وذلك قوله: «لا تقاتلوهم حتى تدعوهم، فإن أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدأوكم، فإن بدأوكم فلا تقاتلوهم حتى يَقتل منكم قتيل».

٥- ومع احتدام القتال إذا وقع... فالمسلمون ملزمون بألا تخرجهم الحرب عن إنسانيتهم، فيجب أن لا يمثل بجثة القتيل فى معركة؛ لأن العدو فى نظر الإسلام إنسان لا تخرجه العداوة عن إنسانيته، وكل ما فى الأمر.. أنه اضطر المسلمين إلى محاربته، فأوجب الإسلام أن لا يتجاوزوا حدود محاربته إلى التمثيل به؛ ولذلك كان الرسول ـ ﷺ ـ يأمر بدفن جثث قتلى قريش، ولا يتركها نهباً للسباع.

٦- ينهى الإسلام عن أن يدخل الإسلام مُكْره؛ فيجب تخيير الأعداء بين ثلاث خصال، دون إكراه على خصلة منها، على ما يقرره ـ ﷺ ـ فى قوله: «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام، «فإن هم أبوا فاسألهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وإن هم أبوا فاستعن عليهم بالله وقاتلهم».

والجزية عبارة عن ضريبة يدفعها غير المسلم مقابل حمايته والانتفاع بالخدمات العامة فى الدولة الإسلامية، حتى لا يُجبر غير المسلم على الانضمام إلى القوات الإسلامية التى تدافع عن الإسلام. ولذلك لا يدفع هذه الجزية إلا من يقدر على حمل

(٢) سنن البيهقى الكبرى (٩/ ٩٠) طرفه (١٧٩٣٢).

السلاح، بحيث يعفى منها الرهبان، والأطفال، والمرضى، والنساء، والشيوخ... وهذا هو مضمون المبادئ التى ألزم بها أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ جيش المسلمين بقيادة أسامة بن زيد فى قوله: «لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تُمثلوا، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله.. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له».

٧- ومن يدفع الجزية، ويدخل فى عهد مع الدولة الإسلامية يصبح لهم ما للمسلمين من الحقوق، كما تجلى ذلك فى عهد عمر بن الخطاب، إذ أمر بصرف معاش لأحد اليهود ولعياله من بيت مال المسلمين، شأنه فى ذلك شأن مساكين المسلمين.

٨- وأهم من هذا كله أن الإسلام لم يحاول إفناء أصحاب الديانات الأخرى أثناء الحرب معهم، على خلاف ما واجه به المسيحيون الكاثوليك المسيحيين البروتستانت اعتماداً على تفسير الآية (٣٤) من الإصحاح العاشر من إنجيل متى التى تقول على لسان السيد المسيح: «لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاما، بل سيفاً»، وبناء على التفسير الكاثوليكى لهذه الآية ظهرت نظرية الخلاص التى تقرر: أن خلاص روح الإنسان لا تكون إلا بالإذعان التام لتعاليم الكنيسة الكاثوليكية فقط، والتى استند الكاثوليك إليها فى رمى الآخرين بالهرطقة والإلحاد؛ تمهيداً لتعذيبهم والتنكيل بهم، كما حدث فى سنة ١٥٧٢ حين دعا الكاثوليك البروتستانت ليجتمعوا بهم فى باريس، سعياً إلى التسوية وتقريب وجهات النظر بين الطائفتين، فلما استجاب قادة البروتستانت لهذه الدعوة.. سطا عليهم الكاثوليك ليلاً، وقتلوهم جميعا، وانهالت التهانى على «تشارلز التاسع» ملك فرنسا من بابا الفاتيكان، ومن مختلف ملوك الكاثوليك.

وهذا نفسه هو الذى حدث للمسيحيين الأرثوذكس فى مصر على يد الكاثوليك الرومان بعد مؤتمر «خلقدونيا» سنة ٦٣٢، وبلغت حصيلة القتلى الأرثوذكس فيه أكثر من مليون قتيل، وفى عام ١٠٩٩ كرر المسيحيون الكاثوليك حرب الإبادة فى مدن الشام بعد احتلالهم القدس فيما عرف بالحروب الصليبية.

«يتبع»

من التغريب إلى التجديد

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

كان المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل (١٣٠٥ - ١٣٧٥هـ ١٨٨٨ - ١٩٥٦م) أبرز وأشجع النماذج التى تجسدت فيها ظاهرة العودة عن التغريب والتقليد للنموذج الحضارى الغربى، بعد اكتشاف مغايرته لنموذجنا الحضارى.. وإفلاسه فى أن يكون الطريق لتقدمنا ونهضتنا.. العودة عن هذا الطريق، كاجتهاد خاطئ، إلى تيار الإحياء والتجديد، الذى يقدم للأمة فكرها «الطبيعى» والقادر على إنارة طريقها إلى النهضة والانعتاق من هيمنة الحضارة الغربية.

فلقد تحدث الرجل حديث صدق، وأعلن فى شجاعة عن الملابسات التى اكتنفت آراءه السابقة المتغربة، وعن الأسباب الموضوعية للتحولات الفكرية التى تبنى بها الخيار الحضارى الإسلامى.. صنع ذلك، وهو يحاور أصدقاء الأمس، الذين أصبحوا ناقدين له وغامزين إياه بعد ما حدث لفكره من تحولات.

وإذا نحن شئنا أمثلة من هذه التجربة فى التحول الفكرى من «التغريب» إلى «التجديد»، فإننا نقدم شهادة الرجل، وبنفس عباراته، على التحولات التى حدثت لفكره فى المقولات والقضايا الأساسية التى كان يطرحها ويبشر بها المتغربون، والتى لازالت مطروحة فى ساحة التغريب حتى الآن؟!.

أ- فالرجل قد بدأ حياته متغربا.. وكان موقعه من أحمد لطفى السيد باشا هو موقع التلميذ من الأستاذ.. ولقد مارس النشاط الفكرى المبكر كاتبا فى «الجريدة» - التى أصدرها ورأس تحريرها لطفى السيد - وهى المنبر الذى كان يبشر بالوطنية والقومية، بمعناهما الغربى، فيرى ضرورة استقلال مصر عن محيطها العربى والإسلامى استقلالا سياسيا وحضاريا، على النحو الذى يحررها من الاستعمار الإنجليزى، ويلحقها فى ذات الوقت بالحضارة الغربية.

بدأ هيكل فى هذه المدرسة الفكرية.. فلما حدث له التحول الفكرى - وهو فى العقد

الخامس من عمره - سن النضج الفكرى - كتب ناقدا وناقضا للفكرة القومية، بمعناها ومضمونها الغربى، ومعلنا انتماءه إلى مفهوم الأمة الواحدة، المؤسس على عقيدة التوحيد، التى هى جوهر دين الإسلام.. كتب يقول: «إن الفكرة الإسلامية، المبنية على التوحيد، تخالف ما يدعو إليه عالمنا الحاضر من تقديس القوميات، وتصوير الأمم وحدات متنافسة، يحكم السيف وتحكم أسباب الدمار بينها فيما تتنافس عليه.

ولقد تأثرنا، معشر أمم الشرق، بهذه الفكرة القومية، واندفعنا ننفخ فيها روح القوة، نحسب أنا نستطيع أن نقف بها فى وجه الغرب الذى طغى علينا وأذلنا، وخيل إلينا، فى سذاجتنا، أنا قادرون بها وحدها على أن نعيد مجد آبائنا، وأن نسترد ما غصب الغرب من حريتنا وما أهدر بذلك من كرامتنا الإنسانية.

ولقد أنسانا بريق حضارة الغرب ما تنطوى هذه الفكرة القومية عليه من جرائم فتاكة بالحضارة التى تقوم على أساسها وحدها، وزادنا ما خيم علينا من سُجُف الجهل إمعانا فى هذا النسيان.

على أن التوحيد، الذى أضاء بنوره أرواح آبائنا، قد أورثنا من فضل الله سلامة فى الفطرة هدتنا إلى تصور الخطر فيما يدعو الغرب إليه.

ولذلك لم يكن لنا مفر من العودة إلى تاريخنا نلتمس فيه مقومات الحياة المعنوية لنخرج من جمودنا المذل، ولنتقى الخطر الذى دفعت الفكرة القومية الغرب إليه، فأدامت فيه الخصومة بسبب الحياة المادية التى جعلها الغرب إلهه» [1].

فهو، هنا، يحدد أن تبنيه - هو وأمثاله - للنموذج الغربى فى القومية، إنما كان اجتهادا خاطئا، ظنوا أنه السبيل إلى «أن نعيد مجد آبائنا، وأن نسترد ما غصب الغرب من حريتنا وما أهدر من كرامتنا الإنسانية».. ويعلن أن الذى ساعد على الخطأ فى هذا الاجتهاد، هو «بريق حضارة الغرب» و«السذاجة» التى عليها المتغربون؟!.. ويقول إن التحول الذى حدث له، من التغريب إلى التجديد، إنما أعان عليه تلك «الفطرة» التى رسخها التوحيد الإسلامى فى أرواح أبناء الإسلام.. وأن التماس مشروع إنهاض الأمة من حضارتها وعقيدتها، إنما هو السبيل إلى الخروج من «الجمود المذل» - الذى عليه تيار التقليد والجمود - واتقاء «الخطر الغربى» - الذى يكرسه المتغربون!.

ب- وبالنسبة للعلمانية، التى تفصل الدين عن الدولة، والتى يبشر بها المتغربون - لأنها قسمة أصيلة فى مشروع النهضة الغربية - كان الدكتور هيكل فى سنة

(١) «فى منزل الوحى» ص٢٣ - ٢٦.. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م.

١٩٢٥م رئيس تحرير صحيفة «السياسة» - لسان حال حزب «الأحرار الدستوريين»..، ومن موقعه هذا قاد حملة الدفاع عن كتاب الشيخ على عبدالرازق «الإسلام وأصول الحكم» - ذلك الذى ادعى فيه علمانية الإسلام، وخلوه من أية علاقة بالدولة والحكم والسياسة والتنفيذ - فهو عنده «رسالة روحية» و«يا بعد ما بين السياسة والدين»..، ونبى الإسلام - كما زعم صاحب هذا الكتاب - لم يقم دولة، ولم يرأس حكومة، ولم يؤسس ملكا، وإنما كان، كالخالين من الرسل، مجرد مبلغ لا علاقة له بالتنفيذ!.

كان الدكتور هيكل، فى سنة ١٩٢٥م، قائد حملة الدفاع عن هذه العلمانية.. فلما حدث له التحول الفكرى.. وقدم للناس فى سنة ١٩٣٥م - كتابه «حياة محمد» - نقض فيه مرتكزات العلمانية من الأساس، وأوضح تميز الإسلام عن المسيحية، واختلاف الإنجاز المحمدى فى السياسة والدولة عن عيسى - عليه السلام - وغيره من الرسل الخالين، وضرورة الرؤية المتميزة للمسيرة المتميزة لحضارة الإسلام فى هذا الموضوع.. موضوع العلاقة بين الدين والدولة.. فكتب يقول: «لقد أقام محمد دين الحق، ووضع أساس حضارة هى وحدها الكفيلة بسعادة العالم.

والدين والحضارة اللذان بلغهما محمد للناس، بوحى من ربه، يتزاوجان، حتى لا انفصال بينهما.. وقد خلا تاريخ الإسلام من النزاع بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية أى بين الكنيسة والدولة، فاتجاه ذلك مما ترك هذا النزاع فى تفكير الغرب وفى اتجاه تاريخه..»(٢).


على عبدالرازق

فهو هنا يجعل الحضارة الإسلامية والدين الإسلامى بلاغا إلهيا إلى الرسول، ﷺ، ويؤكد أن النبى، كما أقام الدين، فلقد وضع أساس الحضارة، وأنهما، لذلك، «لا انفصال بينهما».. كما ينبه على تميز التاريخ الإسلامى عن تاريخ الغرب فى العلاقة بين الدين والدولة.. الأمر الذى يجعل من السفاهة الفكرية استعارة حل غربى - هو العلمانية - لمشكلة لم يعرفها الشرق - وهى الكهانة واستبداد الكنيسة بالدولة والسلطة الزمنية.

جـ- ثم يقدم لنا موقفا نقديا متكاملا للمرحلة التى تغرب فكره فيها.. ملابسات هذا التغرب.. وأسباب التحول عنه إلى أحضان حضارة الإسلام.. فيقول: «لقد خُيل إلى زمنا، كما لايزال يُخيل إلى أصحابى، أن

(٢) «حياة محمد» ص٥١٦، ٥١٩.. طبعة القاهرة سنة ١٩٨١م

نقل حياة الغرب العقلية والروحية هو سبيلنا إلى النهوض والتقدم.. فحاولت أن أنقل لأبناء لغتى ثقافة الغرب المعنوية والروحية، لنتخذها جميعا هدى ونبراسا.

ولكننى أدركت، بعد لأى، أننى أضع البذر فى غير منبته، فإذا الأرض تهضمه ثم لا تتمخض عنه، ولا تبعث الحياة.

وما أزال أشارك أصحابى فى أنا مانزال فى حاجة إلى أن ننقل من حياة الغرب العقلية كل ما نستطيع نقله، لكننى أصبحت أخالفهم فى أمر الحياة الروحية، وأرى أن ما فى الغرب منها غير صالح لأن ننقله، فتاريخنا الروحى غير تاريخ الغرب، وثقافتنا الروحية غير ثقافته، خضع الغرب للتفكير الكنسى على ما أقرته «البابوية» المسيحية منذ عهدها الأول، وبقى الشرق بريئا من الخضوع لهذا التفكير.

كيف نستطيع أن ننقل ثقافة الغرب الروحية لننهض بهذا الشرق، وبيننا وبين الغرب فى التاريخ وفى الثقافة الروحية هذا التفاوت العظيم؟!.

لا مفر، إذا من أن نلتمس فى تاريخنا وفى ثقافتنا وفى أعماق قلوبنا وفى أطواء ماضينا هذه الحياة الروحية، نحيى بها ما فتر فى أذهاننا وخمد من قرائحنا وجمد فى قلوبنا.

هذا كلام واضح بيّن ومن عجب أن يخفى على أصحابى، فلا يرونه، وأن يكون خفاؤه سبب تثريبهم علىّ!.

ولكن، لا عجب، فقد خفى هذا الكلام عنى سنوات، كما لايزال خفيا عن كثيرين منهم!..»(٣).

هنا، يقدم الدكتور هيكل وثيقة فى الموضوعية الفكرية، وفى الشجاعة الفكرية جديرة بأن تكون موضوع دراسة ونموذجا للاقتداء.. وهى وثيقة ما نظن أنها فى حاجة إلى تعليق!.

د- ولا ينسى الرجل أن يحدثنا عن تجربة أخرى له، توسطت بين مرحلتى التغريب والتجديد.. فلقد ظن - بعد أن تيقن من استحالة اتخاذ النموذج الغربى مشروعا لنهضتنا - ظن أن «النموذج الفرعونى» القديم - وهو تراث مصرى - قد يكون صالحا للبعث، كمشروع للنهضة المصرية المنشودة.. فبشر - مع آخرين - بالفرعونية.. ثم اكتشف أنها، هى الأخرى وهم من الأوهام، فلقد غدت تاريخا يدرسه المتخصصون، ومتاحف تعين على الدراسات الحضارية والتاريخية للقدماء.. على حين قد انطبع حاضر الأمة وعقلها ووجدانها بطابع جديد، وصيغا صياغة جديدة، قوامها مقومات الإسلام.. فكتب الرجل عن هذا المنعرج من منعرجات رحلته الفكرية يقول:

«.. ولقد انقلبت ألتمس فى تاريخنا البعيد، فى عهد الفراعين، موئلا لوحى هذا العصر،

(٣) «فى منزل الوحى» ص٢٢ - ٢٦.

ينشأ فيه نشأة جديدة، فإذا الزمن وإذا الركود العقلى قد قطعا ما بيننا وبين ذلك العهد من سبب قد يصلح بذرا لنهضة جديدة.

ورؤأت فرأيت أن تاريخنا الإسلامى هو وحده البذر الذى ينبت ويثمر، ففيه حياة تحرك النفوس وتجعلها تهتز وتربو، ولأبناء هذا الجيل فى الشرق نفوس قوية خصبة تنمو فيها الفكرة الصالحة لتؤتى ثمرها بعد حين..»[٤] وهو هنا يتبنى موقف محمد عبده - الذى أشرنا إليه - حول أن الإسلام هو سبيل الإصلاح.

هـ- ولذلك.. خلص الدكتور هيكل، وهو يتحدث عن هذا التحول الفكرى، الذى انتقل به من مواقع «تيار التغريب» - عبر دعاة «النزعة الفرعونية» - إلى مواقع تيار «الإحياء والتجديد».. خلص إلى تقديم مفهوم عميق وموضوعى ومتميز لعلاقة «الأصالة» بـ«المعاصرة».

فإذا كانت «الأصالة» هى المنابع الحضارية والقسمات الثوابت فيها، والمميزة لها.. فإن «المعاصرة» لا تعنى إضافة الحضارة الغربية المعاصرة إلى أصالتنا، ليصبح تاريخنا الحضارى إسلاميا، وواقعنا وحاضرنا الحضارى غربيا.. وإنما المعاصرة.. ومعناها «التعامل مع العصر» - لابد لها من أن تتميز ذات التميز الذى تميزت به «الأصالة»، حتى تكون طبيعية، ومقبولة، ومتسقة مع الأصالة، وحتى تحقق للأمة تميزها وتواصلها الحضارى، فلا تكون أداة للمسخ والنسخ والتشويه، وسبيلا للانقطاع الحضارى، والإلحاق والتبعية لحضارة أخرى؟!.

لقد خلص الدكتور هيكل إلى هذه المعانى لمصطلحات «الأصالة» و«المعاصرة»، وهى التى لاتزال غائبة عن كثيرين؟!.. فكتب يقول: «إن أمة لا يتصل حاضرها بماضيها خليقة أن تضل السبيل، وإن الأمة التى لا ماضى لها لا مستقبل لها.

ومن ثم كانت الهوة التى ازدادت عمقا بين سواد الأمم فى الشرق والدعوة إلى إغفال ماضينا والتوجه وجهة الغرب بكل وجودنا، وكان النفور من جانب السواد عن الأخذ بحياة الغرب المعنوية، مع حرصه على نقل علومه وصناعاته.. والحياة المعنوية هى قوام الوجود الإنسانى للأفراد والشعوب.. لذلك، لم ألبث حين تبينت هذا الأمر، أن دعوت إلى إحياء حضارتنا الشرقية.. فأين هذا من تملق الجمهور أو متابعته التماسا لرضاه.. كما يزعم الذين يغمزون؟!..»[٥].

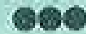
●●●

إنه شاهد صدق.. بل أعظم شواهد الصدق على هذه الظاهرة التى تخلقت فى

(٤) المصدر السابق ص٢٢ - ٢٦.

(٥) المصدر السابق ص٢٢ - ٢٦.

حياتنا الفكرية والثقافية.. ظاهرة تحول أولئك الذين كان تغربهم اجتهادا خاطئا - عندما اكتشفوا خطأهم - وعندما نضجوا فكريا، فأدركوا حقيقة الإسلام، وحضارته، وحقيقة العروة الوثقى بين عقيدة الأمة وحضارتها وبين أى مشروع للنهضة، يرجى منه أن يكون سبيلا للتقدم والنهوض والإحياء.. عند ذلك، حدث لهم هذا التحول العظيم من موقع «التغريب» إلى موقع «الإحياء والتجديد»، تاركين فى معسكر التغريب أولئك الذين اختاروه واعين وعامدين ومتآمرين.. لأنه، بالنسبة لهم، هو البديل للإسلام الذى يكرهون؟!.



ونحن نقول إن هذه التحولات قد مثلت «ظاهرة فكرية»، ولم تقف عند «الحالات الفردية».. لقد غدت تيارا مؤثرا، يتطلع إليه الجمهور الراغب فى التقدم انطلاقا من منابع التراث.. وإلى هذه الحقيقة يشير الدكتور طه حسين - فى بعض كتاباته - بالفرنسية.. التى عرض فيها لدراسة هذه الظاهرة.. فيقول: «لقد نشأت فيما بين سنتى ١٩٣٣ و١٩٤٦م حركة أدبية كاملة ذات طابع دينى..».

ثم يعرض لإسهامات الدكتور محمد حسين هيكل فى هذه الحركة الجديدة - ذات الطابع الدينى - من مثل كتاباته عن «حياة محمد» و«فى منزل الوحى» وكتبه عن «أبوبكر» و«عمر».. وغيرها.. فيؤكد على أن منهج هيكل هنا قد كان منهج مدرسة وتيار الإحياء والتجديد.. وبعبارته: «.. لقد طبق حسين هيكل فى كتابه «حياة محمد» منهج جمال الدين ومحمد عبده..».



جمال الدين الأفغانى



محمد عبده



طه حسين

ويشير إلى جمهور هذا التيار، عندما يتحدث عن الاستقبال الذى لقيه كتاب «حياة محمد».. ودلالة هذا الاستقبال، فيقول: «.. وقد لقى هذا الكتاب نجاحا منقطع النظير فى العالم العربى كله، بين أصحاب الثقافة الرفيعة، وعامة الجمهور على حد سواء، وهو ما أثبت أن الشعوب الإسلامية تطمح بحق إلى الحضارة الحديثة، ولكنها لا ترغب فى ذلك فى التخلى عن التراث!..».

وأخيراً..

تلك هى الملامح الرئيسية للتيارات الفكرية التى تنازعت ثقافتنا العربية وفكرنا الإسلامى المعاصر.. والتى كان تنازعها - ولا يزال - مصدر استنزاف طاقات الفرقاء المختلفين فى الصراع الثقافى والفكرى الداخلى، فلم يستطع طرف الهيمنة وتحقيق السيادة للمشروع الذى يريد.. فكانت النتيجة أن أصبحت قوى الجميع واقفة ومتوقفة عند «السلب» أكثر من «الإيجاب»، وكأنما الناتج هو «الصفر» من هذا الصراع؟!.

● إن تيار التقليد الذى يعتبر عقل الأمة «مملوكا - عثمانيا» - وهو يهيمن على وجدان قطاع عريض من العامة قد انسحب من «الحاضر» إلى «الماضى»، يستفتى «الموتى» فى ما هو جزئى وثانوى من شئون حياة «الأحياء».. ويكتفى، فى الشئون العامة، بإطلاق البخور للسلاطين!، وإسهاماته فى «الدراسات المستقبلية» لا تتعدى التأليف فى «عذاب القبور»؟!.

● وإن تيار التغريب - الذى يعتبر عقل الأمة: «يونانيا - غربيا» - وخاصة بعد تعاظم تيار اليقظة والصحوة الإسلامية - يسفر عن وجهه الحقيقى، مقترباً من خنادق الأعداء، ساعيا إلى صب حاضر الأمة ومستقبلها فى مستنقع التبعية للحضارة الغربية - مكررا - فى ضحالة.. مقولات التغريب التى سبق وتراجع عنها أصحابها فى العقود الأولى من القرن العشرين!.

● أما تيار الإحياء والتجديد - القائل بأن عقل الأمة: عربى إسلامى - والذى يحاصره أهل التقليد وأهل التغريب جميعا - فإنه يحاول صياغة مشروعه الحضارى العربى الإسلامى.. لكن تفرق رموزه، يجعله عاجزا، حتى الآن، عن إحداث التحولات النوعية التى تغير من السكون والركود السائدين فى هذا الميدان!.



ولعل فى:

١- انتظام أعلام الإحياء والتجديد فى مؤسسات فكرية، لها منابرها الثقافية، ومراكزها البحثية.

٢- وفتح قنوات التأثير والتأثر بين «أهل الفكر» - فى تيار الإحياء والتجديد - وبين «أهل الحركة» - فى تيار الصحوة الإسلامية.

٣- وإقامة حوار فكرى منظم، ومرحلى، ومخطط له، بين هذه التيارات الفكرية الثلاثة - أهل التقليد.. وأهل التجديد.. وأهل التغريب - لعل فى إقامة هذا الحوار ما يؤدى إلى إقناع أهل التقليد - أو الكثيرين منهم.. باستحالة صب واقعنا - الحاضر والمستقبل - فى قوالب الماضى.. وإقناع أهل التغريب - وخاصة أصحاب الاجتهاد الخاطئ منهم - باستحالة صب حاضرنا ومستقبلنا فى

قوالب الحضارة الغربية.

وبضرورة اكتشاف «مساحة الوحدة على الأصول»، بين مختلف التيارات، و«مساحة التعددية فى الفروع»، بين هذه التيارات.

وبضرورة التمييز بين «الثوابت» و«المتغيرات» فى تراثنا.. والتمييز فى مواريث الحضارات الأخرى بين «المشترك الإنسانى العام» وبين «الخصوصيات الحضارية».

فبذلك ينمو التيار الوسطى - تيار الإحياء والتجديد - وتجتمع أغلب طاقات وإمكانات العقل العربى والإسلامى على معالم المشروع الحضارى الذى يفجر الإبداع فى حقل الفكر والثقافة، فتتجاوز الأمة أزمة ثقافتها العربية الإسلامية، التى دخلت بها فى المأزق الذى تعيش فيه.

إن للتقدم الحضارى سننه وأسبابه.. وكذلك الحال مع التخلف والتراجع الحضارى.. وإن للنهضة قوانينها وشروطها.. وإن فى طرح القضية - قضية أزمة الفكر الإسلامى المعاصر - فى أبعادها المختلفة، وجوانبها المتعددة.. ومنها مشكلات:

● الموقف من العقل.. وضرورات، ومعانى تحريره.

● والموقف من الموروث الفكرى.. والعلاقة بينه وبين الجديد والتجديد.

● والموقف من الهوية الثقافية.. وعلاقتها بكل من الأصالة والمعاصرة.

● وموقف «الأنا: الحضارى» من «الآخر: الحضارى».

● وهذا الانقسام القائم فى الفكر المسلم حول مرجعية المشروع الحضارى، الذى لابد من صياغته كدليل عمل ينير الطريق إلى النهضة الإسلامية المنشودة.

إن إدارة الحوار حول هذه القضايا والمشكلات، وحول سبل الحل لها والخروج من مأزقها، لهو إسهام طيب.. وخطوة على طريق تنمية الوعى بالذات الإسلامية.. وتنمية الولاء والانتماء للمشروع الإسلامى.. وتحريك الطاقات الإسلامية على درب الإحياء واليقظة والإصلاح، لتعود للإسلام، مرة أخرى، إمامة الدنيا، ولتمارس أمته، بالنسبة لغيرها من الأمم، دور المرشد الأمين، لعل الله أن يبارك المسعى نحو عودة الشهود الحضارى للإسلام والمسلمين فى هذا العالم من جديد.. وصدق الله العظيم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٦).

وعلى الله قصد السبيل.. منه نبتغى العون والسداد والتوفيق.

(٦) البقرة (١٤٣).

الإسلام والثقافة الأفريقية فى حوض النيل

للأستاذ الدكتور/ عبد الله نجيب محمد

ظاهرة الالتقاء الثقافى من الظواهر التى واجهت الحضارات الإنسانية، حيث تتأثر إحداهما بالأخرى أو يتبادلان التأثير والتأثر.

ومن ذلك التقاء الثقافة الإسلامية بالثقافة الأفريقية الأصيلة فى حوض النيل، ويترتب على هذا الالتقاء أنواع أخرى من التغير والصراع.

ونلاحظ منذ البداية أن الثقافة الأفريقية، كانت ثقافة أصيلة، قوية الفاعلية، قادرة على البقاء والاستمرار واستطاعت أن تؤثر تأثيراً قوياً ومتوازياً فى كثير من الأحيان مع الثقافة الإسلامية الوافدة، بحيث طبعتها بطابعها، وخلقت منها ثقافة متميزة ذات خصائص واضحة، أى أنها قامت بعيداً عن الذوبان أو الفناء الكامل فى الثقافة الإسلامية الوافدة وقامت بالتعديل والتوفيق حسب البيئة والظروف المحلية..

كانت الثقافة الإسلامية الوافدة المتفاعلة مع الثقافة الأصلية فى حوض النيل تظهر بمستويات مختلفة فى المنطقة، واستمر التأثير والتأثر فترات زمنية مختلفة، بمعنى أن التأثير كان يتم بالتدرج، كما لم تؤخذ العناصر الثقافية الوافدة كلها، بمعنى أن الثقافة الأفريقية كانت تنتقى ما يلائمها فتقبله، وتنبذ ما لا يلائمها أو تقوم بالتعديل فيه.

والعناصر الثقافية، ليست شيئاً مجرداً، وإنما يحملها الإنسان، وعلى قدر ما يكون هذا الإنسان قدوة على قدر ما تسرع العناصر التى يحملها فى الانتشار والتأثير، كذلك فإن مدى التقارب أو التباعد بين العناصر الوافدة، والعناصر المقيمة، يؤثر بشكل فعال فى عملية القبول والاندماج، فالمجتمع المتغير له ظروفه وأحواله المؤثرة فى خط التغيير تبعاً لاستعداده لقبول التغيير، ومدى تمسكه بموروثاته القديمة، وقدرة العناصر الثقافية الأصيلة على الوفاء بحاجات الناس ومطالبهم الاجتماعية، فالديانات الأفريقية على سبيل المثال مازالت تظهر حيويتها فى كل مكان، على الرغم من الجهود المضنية التى بُذلت لتحويل الأفريقيين إلى المسيحية أو الإسلام، كذلك فإن تنوع الثقافات الأفريقية من مكان إلى مكان، يحمل معه أيضاً تباين المواقف، رفضاً وقبولاً للعنصر الثقافى الجديدة.

وعلى الرغم من ذلك، فإن هناك حقيقة علمية جديرة بالاعتبار، مؤداها أن الثقافة تكتسب بالتعلم، فهى ليست فطرية ولا غريزية ولذلك نراها تختلف من جماعة إلى أخرى، ومن عهد لآخر ضمن المجموعة الواحدة، ومن هذه الحقيقة نستنتج مبدأ ذا أهمية أساسية، وهو أن ما اكتسب بالتعلم «فى شتى صوره» يمكن تعديله بتعليم آخر، وهذا المبدأ الهام يقود إلى مبدأ «عملى» أساسى، وهو «قيمة العمل» المستمر، والمصر على تحقيق الغاية المنشودة، وهى «التغيير».

والحقيقة أن المسرح الأفريقى الراهن يتغير، وفى الوقت نفسه يأخذ طريقه إلى الاستقرار الثقافى «النسبى» وهذه المرحلة بالغة الخطر والأهمية فى مستقبل القارة، بل ومستقبل العالم كله، لأن نتائجها هى أبلغ الدلالة على قوة العناصر التى سيكتب لها البقاء، ومدى أهميتها وقيمتها وهو تحد حقيقى للأساس الحضارى القائم على قيم غربية، وهو فى ذات الوقت اختبار لقيم الحضارة الإسلامية، ومدى قيمتها وقدرتها وملاءمتها لبناء صرح الحضارة الأفريقية الراغبة فى التفرد والتميز والاحتفاظ بشخصية مستقلة.

يواجه الأوروبيون هذه الحقيقة منذ زمن بعيد، وقد خططوا ونسقوا جهودهم، وأعدوا العدة لإحراز النجاح، وإيجاد الطرق والأساليب العلمية لحمل الأفريقيين على تقبل التغيير لصالحهم،

ومن وجهة نظرهم، وليتمكنوا من وضع السياسات الملائمة المرنة باستمرار لتحقيق هذا التغيير، ولعل جلاء هذه الحقيقة بهذا المنظور، يوضح لنا نحن العرب والأفريقيين سرا من أسرار الاهتمام المتزايد بأفريقيا، ويوضح فى ذات الوقت مدى ما قصرنا فيه ونقصر ومدى المسئولية التاريخية التى تقع على عاتقنا الآن.

ولمزيد من التوضيح أقول بجلاء: إننا نحن العرب والمسلمين نرغب أيضا فى توجيه هذا التغيير لصالح الإسلام، وثمة عناصر إيجابية تقوى من قدراتنا أهمها: القوة الذاتية للإسلام وميراثه الحضارى والتاريخى العريق فى أفريقيا ذاتها.. وهناك أيضا عناصر سلبية تضعف من قدراتنا أهمها: الجهل بما يجرى والاستهانة به والتقصير فى مواجهته.

وردود الفعل الحالية فى أفريقيا تجاه هذه المحاولات لا يمكن تفسيرها دون الوقوف على الأنماط الثقافية الأفريقية الحالية، ودون الوقوف أيضا على المشكلات الأساسية التى تواجه الأفريقيين ويهتمون لها.. وبالنسبة لنا يجب أن ندرك أن هناك تشابها بين ثقافات الشعوب الأفريقية عامة وبين الثقافة الإسلامية.

.. ولا جدال أن دراسة الثقافة الأفريقية فى حوض النيل تتطلب الرجوع إلى الماضى القديم، ومصاحبة السكان به عبر القرون إلى حاضر القرن العشرين، ذلك لأن الأفريقى مهما اختلف أصله وموقعه، له تقاليده التى تربطه بماضيه البعيد، ولكى نفهمه حق الفهم، يجب أن نفهم أولاً ثقافته الأصلية، وما فيها من معتقدات وعادات وتقاليد وأفكار، تلك التى صنعت الإنسان الأفريقى، وأثرت فيه ولا تزال تؤثر، بحيث ترسم للناس حاضرهم ومستقبلهم، وتبقى لهم كيانهم وشخصيتهم المميزة.

وحضارة أفريقيا الأصلية، حضارة توصف بأنها حامية، وتاريخ هذه الحضارة القديم هو تاريخ هؤلاء الحاميين وصلاتهم بالمجموعة الأصلية الأخرى، وأعنى بها المجموعة الزنجية النيلية، وكذلك صلاتهم بالمجموعة السامية، حيث اشترك الجميع فى بناء الحضارة الأفريقية، والحقيقة أن الحاميين والساميين فرعان لمجموعة جنسية وثقافية ولغوية واحدة، ولم يحدث التباين بينهما إلا فى عصور حديثة نسبيا، على ما يبينه التماثل الثقافى واللغوى والجسمانى حتى الآن.

ولم يكن النيل شريانا للحياة المادية والزراعية فحسب، بل كان شريانا للأفكار والثقافات التى انتقلت مع مجراه إلى كل مكان تصل إليه، ويشهد التاريخ

ببراعة المصريين وجيرانهم السودانيين فى كافة العلوم والفنون، ويشهد التاريخ أيضا بما وصلوا إليه من رُقى فى الآداب والأخلاق، تلك التى كان لها أكبر الأثر فيما شاع بين سكان الوادى من دماثة فى الخلق، وسماحة فى الطبع ورقة فى السلوك، يقول حكيم ينصح أحد أبنائه (من حوالى ١٩٥٠ ق.م):

لا تطمع فى ذراع من الأرض
ولا تعتد على حدود أرملة
واحرث الحقل لتجد حاجتك
وخذ خبزك من بيدرك
وإن قدحاً من الحب يعطيكه الله خير
من خمسة آلاف تنالها بالعدوان
إن الفقر بين يدى الله
خير من الغنى بين المخازن
والرغيف والقلب فى هناء
خير من الغنى مع الشقاء

وقبل كل الفلاسفة بأكثر من ألفى عام قام «بتاح حتب» حوالى (٢٨٠٠ ق.م) يعلم الناس الحكمة، ويهديهم إلى طريق الحق والعدل وحسن المعاشرة فيقول:

«لا تزه بنفسك لأنك عالم، بل تحدث إلى الجاهل كما تتحدث إلى الحكيم، لأن العلم لا حدود له»....

وها هو «إخناتون» الذى آمن بالإله الواحد، يخاطب ربه بنفس خالطتها عظمته، وملأتها محبته فيقول:

أيها الإله الأوحد الذى لا سلطان لأحد كسلطانه
إن الناس والأنعام كبيرها وصغيرها
وكل من يمشى على قدمين
وكل ما هو فى العُلا ويطير بجناحين
والبلاد الأجنبية من سوريا إلى كوش وأرض مصر
تمدهم أنت جميعا بحاجاتهم
ألا ما أعظم تدبيرك
يا رب الأبدية (١)

التحولات فى المنطقة

ظهر الإسلام فى الجزيرة العربية، ثم حمله العرب إلى خارج الجزيرة، وما لبث أن انتشر فى منطقة الهلال الخصيب بأسرها، واتخذ طريقه إلى إيران، ومنها إلى أواسط آسيا والهند، ثم انحدر إلى شمال أفريقيا حتى المغرب الأقصى، واستدار مع الساحل إلى غرب القارة، ونفذ من الصحراء الكبرى إلى كل المناطق الواقعة على أطرافها الجنوبية ومناطق السافانا.

كان وادى النيل من أهم المراكز التى زحفت منها الدعوة الإسلامية فى اتجاه الجنوب، ثم تأسست مملكة الفونج عام

(١) راجع: «قصة الحضارة» (ول ديورانت) الجزء الثانى من المجلد الأول ص ١٠٠ وما بعدها.

(١٥٠٥) فقضت على مملكة «علوة» نهائيا، وامتد نفوذهم إلى «سنار» وما جاورها جنوبا إلى «فازوغلى» على النيل الأزرق، ونشروا الإسلام فى جبال النوبة وغندكرو ووصلوا إلى جبال تقلى وجنوب كرفان.

وفى القرن السادس عشر، تأسست عدة ممالك إسلامية فى غرب هذه المنطقة وشرقى بحيرة «تشاد» فى «واداى» و«دارفور» و«كردفان» واتخذت لها طابعا إسلاميا خاصا أساسه الثقافة العربية.

وفى عام ١٨٢١ فى عهد محمد على «انحدر المصريون إلى السودان وأسسوا مدينة «الخرطوم» وتوغلوا حتى بحيرة «ألبرت»، وانساح المسلمون فى تلك الأرجاء حتى التقى تيارهم بتيار آخر وافد من المغرب عند بحيرة تشاد، وفى عهد الثورة المهدية فى السودان أرسلت الرسل لنشر الدعوة الإسلامية فى البلاد الواقعة غربا، وقد آتت هذه الجهود ثمارها، حيث انبثقت مجتمعات إسلامية أفريقية فى المنطقة.

توقف انتشار الإسلام عند المناطق الجبلية فى شمال الكاميرون وحوض نهر «شارى» الأوسط وبحر الغزال وأعالى النيل، فلم تنفذ إلى هذه المناطق دعوة الإسلام، فظل السكان على وثنيتهم.

انتصر الإسلام انتصاراً ساحقاً على الرغم من ضعف المسلمين وانهيار قوتهم منذ القرن الثالث عشر، وظلت العقيدة الإسلامية قادرة قاهرة حتى الآن، رغم ما حاق بالمسلمين من هزائم وضربات واضطهاد وتمزيق، خاصة على يد الغربيين الذين حازوا كل مقومات العلم والقوة، ومع ذلك انتهى القرن التاسع عشر بتراجع الاستعمار، وازدهار الإسلام، حتى برزت له دول عديدة فى أفريقيا على رأسها نيجيريا أكبر الدول الأفريقية وأغناها، علاوة على موريتانيا وتشاد والنيجر ومالى والسنغال وغانا وغينيا وأفريقيا الوسطى وكينيا وتنزانيا، علاوة على أقليات ضخمة فى ذلك النطاق العريض من وسط أفريقيا فى أوغندا ومالاوى ورواندا وبوروندى وموزمبيق والكاميرون وغيرها.


محمد على

لقد سرت قوة العقيدة الإسلامية فى هذا الاتجاه بمعزل عن الفتح أو السياسة، وقد فسر ذلك المفسرون، وأرجعوه إلى أسباب عديدة، ولكن السبب الأساسى - فى نظرنا - يرجع إلى كون الإسلام عقيدة شاملة تحيط بالإرادة والشعور والظاهر والباطن، سواء أكان الفرد ناظراً إلى

دنياه، أو ناظراً إلى آخرته، مسالماً أو محارباً، معطياً أو آخذاً(٢)...

والإسلام بذلك لم يفرض على الشعوب الأفريقية فرضا فى ظل حكم أجنبى، إنما حمله قوم من أهل أفريقيا نفسها، سواء أكانوا تجاراً أو معلمين، فليس غريباً أن يلقى قبولاً منهم، فهو فى نظرهم دين أفريقى غير دخيل.

يضاف إلى هذا أن الإسلام عقيدة سمحة بسيطة، ملائمة لكل العصور والبيئات، يتلاءم معها ويتداخل فى كيانها، وقد استطاع أن يخلق فى كل منها طابعاً محلياً يناسب الجماعات المختلفة فى أمزجتها وأذواقها، ويكسب نظمها المحلية شكلاً جديداً يناسب تقاليدها، كذلك فإن العبادة فى الإسلام بسيطة ميسورة، لا ترتبط بمكان ولا برجال محترفين، ولم يكن ديناً فحسب، بل كان ديناً وثقافة، ولذلك ارتبط الإسلام بالعلم، وكان لهذا الارتباط أثر عظيم فى حياة الأفريقيين، فما يكاد المرء يسلم حتى يتعلم القراءة والكتابة، فيرتفع قدره اجتماعياً، وقد أثر فى نفوسهم ارتفاع مستوى المسلمين ثقافياً واجتماعياً، كما أن الإسلام يخلو من التفرقة العنصرية، فهو لا يعترف بحواجز الطبقات أو الجنس أو اللون، ولا يحول بين المسلم والتمتع بكامل حقوقه فى الحياة.

لم تقم دعوة الإسلام على القسر، وإنما قامت على الإقناع، وعلى أكتاف دعاة لا يملكون سوى الإيمان وقدوة السلوك، وهو على ذلك سهل المتناول، لا لبس ولا تعقيد فى مبادئه، سهل التكيف والتطبيق على مختلف الظروف، ووسائل الانتساب إليه أيسر، إذ لا يتطلب الأمر سوى النطق بالشهادتين حتى يصبح المرء فى عداد المسلمين، ومما حبب الإسلام إليهم أيضاً، مظاهره البعيدة عن التكلف، التى تضفى على المسلم وقاراً وجاذبية ساحرة، وتمده بالقوة والحيوية، وترفع من مكانته الاجتماعية.

.. ولما كان الأفريقى جماعياً فى ثقافته وأسلوب حياته، يعتز بانتسابه إلى جماعته وقبيلته، فقد وجد فى جماعة المسلمين وأخوتهم الحارة مدداً جديداً يضاف إلى رصيده، ولا يحرمه من جذوره، فكانت له فى جماعات الصوفية ومجالسها ومنتدياتها عزوة وسلوى بالغة الأثر فى نفسه.

***

---

(٢) راجع: «الإسلام فى القرن العشرين» (عباس محمود العقاد - ص ٢٠ وما بعدها).

عن أى حرية يتحدثون ؟!

للأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

يعتبر المؤرخون عصر «محمد على» نقطة فارقة وحاسمة فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر فقد نجح الشعب المصرى ولأول مرة منذ فترة طويلة فى اختيار حاكم له وفرض هذا الاختيار على السلطان العثمانى الذى لم يجد بداً من قبوله.

وبدأ «محمد على»، وعلى الفور فى اتخاذ إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية حاسمة كان لها تأثيرها ليس على مصر فحسب بل وعلى المنطقة العربية كلها، حيث أصبحت مصر فى عهده دولة مرهوبة الجانب، إذ سيطر تماما على الحجاز والشام والسودان وتحدى سلطة السلطان العثمانى ودحر جيوشه كلها، كما تميز عهده بازدهار ونمو اقتصادى لم تكن مصر قد شهدته منذ أمد بعيد.

فكانت النتيجة أن تكتلت أوروبا بزعامة بريطانيا ضده حيث عملت على تقويض أركان هذه الدولة التى أصبح وجودها حائلاً دون أطماعها وتطلعاتها الاستعمارية فى المنطقة العربية، فعمدت إلى إشعال الثورات ضد حكم محمد على فى الشام، وأنزلت جيوشها على الساحل السورى بحجة دعم السلطان العثمانى وحفظ الأمن والدفاع عن مصالحها الاقتصادية، وسعت إلى تحويل

صراعها مع مصر إلى قضية دولية تشاركها فيها أكثر من دولة حتى لا تبدو أمام العالم كدولة غازية تسعى إلى تحقيق مكاسب خاصة، ونجحت فى النهاية فى وضع حد لتطلعات «محمد على» فى إنشاء دولة عربية كبرى تحت قيادته.

ثم لم تكتف بريطانيا بذلك بل عمدت إلى غزو مصر غزوا اقتصاديا عن طريق إغراقها فى ديون كان لبريطانيا منها نصيب الأسد وخاصة فى عهد الخديو إسماعيل الذى سعى إلى مواصلة تحديث مصر بشكل يضعها فى مصاف الدول الكبرى وكان خطؤه الجسيم هو أنه عمد إلى تحقيق ذلك بقروض من حكومات وبنوك أوروبية وعندما تنبه إلى خطورة الوضع الذى وصلت إليه البلاد وبدأ يفكر فى حل لإنقاذ مصر من خطر التدخل الأجنبى فى شئون البلاد كان الوقت قد فات، بل ونجحت بريطانيا فى إقصائه عن الحكم ونصبت بدلاً منه ابنه توفيق الذى استشرى الفساد فى عهده وبلغ مداه بشكل دفع الجيش المصرى للثورة فلم يجد «توفيق» من ينقذه سوى من نصبوه على حكم مصر، فاستدعى الجيوش البريطانية لإنقاذه من غضب الشعب المصرى وظل الحال فى مصر من سيئ إلى أسوأ.

واتخذت بريطانيا خطوات لتكريس احتلالها لمصر فألغت تبعيتها للحكم التركى فى الحرب العالمية الأولى ونصبت الأمير أحمد فؤاد آخر أنجال الخديو إسماعيل سلطاناً على مصر، وكان أول مرسوم أصدره يقضى بإعفاء من يتطوع فى خدمة الجيوش البريطانية بأى شكل من الخدمة العسكرية فى الجيش المصرى، وقدم العلف مجاناً لدواب الجيوش البريطانية، وتبرع بثلاثة ملايين جنيه من ميزانية مصر لدعم بريطانيا فى الحرب وتعهد بتقديم نصف مليون جنيه آخر وحول المدارس الأميرية إلى مستشفيات لاستقبال جرحى الحرب من الجنود البريطانيين بعد أن اكتظت بهم المستشفيات.

وعن عصر ابنه فاروق فحدث ولا حرج ولعل أبلغ عبارة نصف بها هذا العهد هى تلك المقولة الشهيرة المنسوبة لفضيلة الشيخ عبدالمجيد سليم شيخ الأزهر الأسبق لما طلب دعماً من الحكومة المصرية للأزهر ورفض طلبه لضيق ذات اليد، وكان «فاروق» وقتها يتجول فى دول أوروبا ويتسامع الناس بصولاته وجولاته فى الحانات وعلى موائد القمار فقال قولته الشهيرة: «إسراف هناك وتقتير هنا».

وعندما ثار الجيش المصرى على هذه الأوضاع فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وشرع جمال عبد الناصر ورفاقه من الثوار فى تنفيذ برنامج إصلاح سياسى واقتصادى واجتماعى



واحدة من الخطط الأمريكية لإصلاح الشرق الأوسط

موسع يحقق طموحات وآمال الشعب، تآمرت ضده ثانية نفس قوى الشر التى تآمرت من قبل ضد حكم «محمد على» ولكن هذه المرة لم يسقط «عبد الناصر» لأن الشعب تكتل حوله مدافعاً عن حقه المشروع فى أن يحيا حياة كريمة، ونجح عبدالناصر فى تنفيذ برنامج إصلاح حقيقى، حيث قام بالقضاء على رموز الفساد السياسى ورفع شعار «نأكل مما نزرع ونلبس مما نصنع» وشرع فى تأميم قناة السويس وبناء السد العالى، وشجع الدول العربية الواقعة تحت الاحتلال على مقاومة المحتل والمطالبة بالحرية والديمقراطية فتكالبت ضده أوروبا وأمريكا فكانت مؤامرات ١٩٥٦و١٩٦٧، ولكنه لم يسقط

وتسلم «أنور السادات» الراية ليعيد الأمور إلى نصابها الصحيح بادئاً بتحطيم صلف العدوان الإسرائيلى بانتصار مدو فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وأعاد افتتاح قناة السويس، وأعاد الحياة الحزبية مرة ثانية إلى مصر وبدأ فى تنفيذ إصلاح يحقق طموحات الشعب المصرى ، فكانت النتيجة اغتياله.

ويواصل مبارك المسيرة حيث خطت مصر فى عهده خطوات واسعة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا لإصلاح ما أفسده التآمر الدولى ضد مصر بصفة خاصة والأمة العربية والإسلامية بصفة عامة.



أصبح العراق حرا.. كلب لكل مواطن

واليوم تتحدث الولايات المتحدة عن مشروع الشرق الأوسط الكبير والشرق الأوسط الأوسع، وإصلاحات يجب أن تتم فى دول الشرق الأوسط بعد أن قادت حملة أسمتها معركة تحرير العراق، وهى فى الحقيقة معركة احتلال العراق والاستيلاء على ثرواته وتحويل شعبه إلى عبيد تمارس ضدهم أبشع أنواع السادية فى السجون والمعتقلات، وتعمد الأمريكيون نشر صور هذه الجرائم بغرض ترويع وإرهاب الشعوب العربية بأن هذا سيكون مصير كل من يرفض مشروعات الإصلاح الأمريكية التى تحقق الأمن والرخاء والرفاهية لأمريكا فى المقام الأول وتحمل التعاسة والبؤس والشقاء للأمة، العربية والنموذج الذى تتباهى به أمريكا ماثل فى العراق قتل وسرقة واغتصاب وجرائم يندى لها جبين البشرية، ليس هذا فقط بل أعلنت أن الحكومة العراقية التى جرى إعلانها مؤخراً لن يكون لها الحق فى الاعتراض على أى أعمال عسكرية تقوم بها قوات التحالف فى العراق؟! فعن أى إصلاح يتحدثون، وأى حرية تلك التى لا تتم إلا فوق الجثث وأشلاء الضحايا.

إنهم لا يريدون لنا صلاحا ولا إصلاحا يريدوننا فقط سامعين طيعين ملبين لرغباتهم فى أن نكون عبيد إحسانهم، وهيهات أن نكون :

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران : ١٧٥]

مَاذا يُرِيدُون ؟

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

إن ما يحدث الآن على الساحتين العربية والإسلامية لم يعد أمره خافياً على أحد، حتى أولئك الذين ليس لهم أدنى اهتمام بشئون الحرب والسياسة.. فهى حرب معلنة من قبل الأعداء على الإسلام كدين سماوى، وعلى أهله الذين يعتنقونه.. أقول: معلنة وبأعلى صوت، وبأحدث وسائل الإعلام الغربية، سواء منها ما كان يهودى الطابع والهدف أو ما كان أمريكيهما فهى حرب معلنة تستخدم فيها جميع الوسائل عالية التقنية، وأحدث الأساليب العلمية وأخبثها على وجه الإطلاق.

فبعد أن انكشف الغطاء الأنجلو أمريكي وافتضح أمره.. ذلك الغطاء الذى كان يخفى تحته أنياب الأفاعي القاتلة.. لم يعد هناك مجال لأى من هذه الشعارات الزائفة التى طالما رفعوها باسم: «محاربة الإرهاب تارة.. وتدمير محاور الشر التى تهدد أمن العالم وسلامه تارة أخرى.. وتخليص الشعوب المستعبدة من حكم الاستبداد والظلم تارة ثالثة».. إلخ.

لم نعد نسمع شيئاً من ذلك يتردد على أسماعنا إلا نادرا وبين الفينة والفينة.

لم نعد نسمع إلا صوت البوم، وفحيح الأفاعي الزاحفة علينا من كل صوب وحدب..!

زعمت الولايات المتحدة الأمريكية، وتابعتها بريطانيا على لسان حكامهما، أنهما تحاربان الإرهاب الدولي، وتقضيان على مصادر الخطر فى بغداد.. بعد أن ضربتا

مصدره فى أفغانستان. وقد مضى أكثر من عام على احتلال العراق وأصبح هذا البلد المسكين من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه فى قبضتهما مما أتاح لهم أن يبحثوا بأنفسهم - دون عائق، وبعيداً عن لجان التفتيش الدولية - عما أطلقوا عليه أسلحة الدمار الشامل. بحثوا فى كل مكان حتى نبشوا الأرض من تحت أقدام أهلها، ولم نسمع، ولم يسمع أحد من العالم أنهم عثروا على شيء مما زعموا.. وقد أعلن رئيس لجان التفتيش الدولية، ومدير الوكالة الدولية للطاقة خلو العراق تماماً من أى نوع من هذه الأسلحة المزعومة.. وبلغ الصلف مداه بالولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا إلى درجة الوقاحة، حتى أعلن وزير خارجية أمريكا أن احتلال العراق أمر ضرورى، ولو لم يكن هناك أسلحة دمار شامل..!

وكان ما كان.. ووقعت الكارثة، واحتلت دولة العراق الشقيق، وهدمت المساجد وحرقت المصانع، ودمرت كل أسباب الحياة، ودفن الشيوخ والنساء والأطفال تحت الأنقاض.. وتحققت لهم الخطوة الثانية أو الثالثة بعد فلسطين وأفغانستان على طريق إحكام القبضة على العالم الإسلامى..!

فالعراق الآن محتل وقد سبق أن قلنا: إن العراق ليس هو الهدف الأخير، من هذه الهجمة الشرسة، وإنما هى الأمة بأسرها «أمة الإسلام»، وقد صرح بذلك عقب أحداث الحادى عشر من سبتمبر «جورج بوش» الصغير حينما قال: «نحن الآن فى حرب صليبية جديدة ضد المسلمين» فالها دون وعى، لأنها هى الحقيقة، التى أعلنت عن نفسها فجأة، عندما طفح حقده الأسود هذه الدفقة الشعورية على لسانه[1].

إن أمريكا وبريطانيا اللتين تزعمان أنهما جاءتا بجحافلهما لتحرير العراقين، وتطبيق مبادىء العدالة.. ترتكبان الآن ما يعد بابا خاصا من أبواب الجريمة المنظمة التى لم يسبق لها مثيل، ودونها بكثير، القتل بالرصاص والقنابل والطائرات..!

لقد تناقلت كل وسائل الإعلام العالمية: المقروءة منها والمسموعة والمرئية فى الغرب والشرق حتى تلك التى تواكب المحتل وتصفق له وتباركه.. ما تقشعر لهوله الأبدان مدعوما بالصور..! ولم يسلم من ذلك حتى من كانوا على خلاف حاد مع النظام السابق فى العراق..! فوالله الذى لا إله إلا هو، لم أطق النظر إلى أقل هذه المشاهد شراسة وغلظة وفظاظة مما لا تقبله أبسط الشرائع والقوانين الإنسانية: فهناك الانتهاكات الجنسية الشرسة للشباب والنساء والأطفال والشيوخ.. إلخ. حتى إن بعض وسائل الإعلام، نقلت نداء لإحدى المسلمات اللائى انتهكت أعراضهن داخل سجون «أبوغريب»

(١) اقرأ مجلة الأزهر، عدد جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، يوليو ٢٠٠٣، مقال تحت عنوان (وماذا بعد العراق) لصاحب هذه السطور.

تناشد فيه أفراد المقاومة العراقيين نسف هذا السجن بمن فيه من النساء اللائى يحملن فى بطونهن ثمار هذا الاعتداء الآثم..!

هذه هى أمريكا، وهذه هى بريطانيا بوجهيهما الحقيقى، الذى يعمل على نشر الشذوذ بين أفراد الأمة الإسلامية وأسرها، بعد أن غزتها على أمواج الأثير وعبر محطات الإرسال التليفزيونى، بما تبثه هى وغيرها من عملائها من أفلام الجنس والشذوذ المنتشر فى بلادهم أقول: ها هما يعملان على نشر ذلك كله من خلال السجناء الأبرياء من النساء والرجال المسلمين، الذين جاءتا لحمايتهم من الحكم المستبد المتغطرس.

إن ما تنشره الصحف ووسائل الإعلام العربية والغربية فى هذا الشأن لأكبر بكثير من أن يلاحقه أو يصفه مقال أو عدة مقالات.. فلا تزال الصحف تنشر كل يوم الجديد ولا تزال الفضائيات تكشف النقاب عن الفضائح تلو الفضائح، مما ترتكبه أمريكا وبريطانيا فى حق الشعب العراقى المسكين.. ولا تزال الإدارتان الأمريكية والبريطانية، تلقيان القبض على كل من يقوم بنشر مثل هذه الجرائم على العالم أو تغتاله.. ولايزال المسلسل الأنجلو أمريكى تتوالى حلقاته.. دون خجل أو حياء، ممن يدعون أنهم حماة الحرية وناشرو العدالة والسلام..!

الكارثة الكبرى

غير أن هذا كله يتوارى خجلاً وتواضعاً أمام الكارثة الكبرى، التى لن تمر إلا بعد أن تسيل الدماء أنهاراً على كل بقعة من أرض الإسلام.. فنحن على أبواب المرحلة الأخيرة من المعركة. وأنا أؤكد على أنها المرحلة الأخيرة والفاصلة، لأنها هذه المرة مع «الله» - عز وجل - رب الأرض والسماء، ومع كتابه الأخير، الذى أراد له - سبحانه - أن يكون إلى يوم القيامة «القرآن الكريم».

لقد نشرت جريدة «الأسبوع» فى عددها رقم ٣٧٣ الصادر فى ١٣ من ربيع الأول ١٤٢٥هـ الموافق ٣ من مايو ٢٠٠٤م تحقيقاً عن المشروع الأمريكى الصهيونى تحت عنوان «الفرقان الأمريكى بديلاً عن القرآن». وهو كتاب يهدف إلى التشكيك فى القرآن الكريم ويحمل اسم «الفرقان الحق»، ويتكون هذا الكتاب من اثنى عشر جزءا يحوى الجزء الأول منه سوراً مزيفة بأسماء سور القرآن الكريم. أما بقية الأجزاء فإنها تستهدف تغيير المفاهيم الإسلامية، وتهويد المسلمين وتنصيرهم.

وقبل أن نتحدث عن هذا الكتاب، ونلخص أهدافه - حسبما وردت فى التقرير الصحفى - نود أن نقول: لم يحدث فى التاريخ كله أن اتحدت أهداف الصليبيين واليهود وتعاونت وسائلهما الإعلامية والثقافية والحربية إلا على ضرب الإسلام

وأهله..! وذلك بالرغم من أن فكرة «الصليبية» ذاتها، لا تقوم أساساً إلا على حادثة «صلب المسيح» التى يعتقدونها، والتى هى الأساس الأول والأخير لمزاولة المسيحيين الآن وقبل الآن وبعد الآن لطقوس دياناتهم، وهى لم تحدث إلا على أيدى اليهود، فالعداء بينهما «عقدى» من ألفه إلى يائه، وهى ليست معلومة جديدة أكشف عنها النقاب لأول مرة. وإنما أذكر فقط.. أذكر المسلمين وحكامهم فى كل بقاع الأرض، أن الإسلام والمسلمين فى كل عصر - وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها - هدف مرفوع أمام أعين أعدائه من كل ملة.. وها هى ذى المرحلة الأخيرة قد بدأت بالفعل، حيث إن الهدف النهائى لهذا الكتاب الأسود المسمى «الفرقان الحق» هو ألا يكون هناك مسلم واحد على ظهر الأرض خلال عشرين سنة. هكذا تم التخطيط له، وهكذا رصدت لتنفيذه كل الإمكانات المادية والمعنوية.

وصدق الحق الأعلى:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾

[البقرة: ١٢٠]

فهى حرب دائمة لا هوادة فيها

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾

[البقرة: ٢١٧]

وبما أنهم لن يستطيعوا بمقتضى وعد الله الذى لا يتخلف

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾

[المجادلة: ٢١]

فإن الحرب مستمرة وبكل الرسائل ولن يهدأ لهيبها.. وما احتلال فلسطين والعراق، وما إذلال أفغانستان.. وما تقتيل المسلمين فى الشيشان، وفى البوسنة والهرسك.. وما تذبيح المسلمين فى كوسوفا.. إلا مراحل لإرهاب المسلمين ليتم لأعداء الله ما يريدون بعد ذلك من القضاء على قلعة المسلمين وحصنهم الحصين «القرآن» بأقل خسارة ممكنة يبذلونها فى الأرواح والأموال.. هذا أولاً.

وثانياً: لأقول لهؤلاء الحكام المسلمين الذين لا يزالون يتعاملون مع الإدارة الأمريكية ولا يزالون يستعينونها على إخوانهم المسلمين مع أى بادرة شقاق بين الأخوة. مع أن أمريكا ذاتها هى التى لاتزال تبذر الشوك وأسباب الفرقة بينهم ليتم لها ما تريده باقتتال الأخوة فيما بينهم.. أقول لهؤلاء الحكام: كفانا مهانة ومذلة أمام هذا الصلف اليهودى والغرور الأمريكى.. وحدوا صفوفكم، وجندوا مواردكم لدفع هذا الخطر الداهم، الذى لن يتوقف عند فلسطين والعراق وأفغانستان، أو حتى سوريا التى يتهددونها فى هذه الآونة. فوالله لن يترككم هذا الأخطبوط الأسود فى مواقعكم إلا إذا رفعتم العلم الأمريكى الصهيونى فوق

مساجدكم وعلى رؤوسكم.

نعود إلى هذا الخطر الداهم المتمثل فى هذا الكتاب الأسود الذى أسموه «الفرقان الحق» وما هو بفرقان، وما هو بحق. لكنهم هكذا أسموه، وهكذا شاءت أفكارهم الخبيثة..!

إن كلمة «الفرقان» إنما هى - شاهت وجوههم وقبحهم الله - مقابل صريح لواحد من أبرز أسماء كتاب الله العزيز بعد اسمه الأول «القرآن»، حيث يقول الحق الأعلى فى كتابه الخالد

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

[الفرقان: ١]

وحينما يصفون فرقانهم المكذوب بأنه «الحق» فإنما يؤكدون على أن ما سواه وهو القرآن، ليس بحق - قبحهم الله وأحبط أعمالهم - وهو ما يؤكد على صحة ما تردد كثيراً من أن إدارة الرئيس الأمريكى «جورج بوش» - قبحه الله وأذله - طلبت من إحدى الدول الإسلامية، التى تعنى بطبع المصحف وتوزيعه فى كل أنحاء الأرض، أن تمتنع عن طبعه، حيث إنه فى زعمهم كتاب يدعو إلى الإرهاب، ونبذ السلام بين الشعوب.

فمنذ فترة من الوقت كان الحديث يدور حول سعى «أمريكى - صهيونى» دءوب لتغيير بعض آيات القرآن الكريم، أو ممارسة الضغط لحذفها، وعدم الإشارة إليها. كان الناس لا يصدقون، ومع مضى الأيام بدأت الحقائق تتضح،.. وأخيراً صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب الأسود المسمى «الفرقان الحق»، ومطلوب من الدول العربية والإسلامية أن تعتمده بدلاً من القرآن الكريم.

وقد جاءت التعليمات مباشرة من الرئيس الأمريكى «جورج بوش» الصغير، الذى يقدم نفسه على أنه مبعوث العناية الإلهية، والذى أعلن الحرب الصليبية الجديدة على الإسلام والمسلمين عقب أحداث الحادى عشر من سبتمبر. والهدف من هذا الكتاب المسمى «الفرقان الحق» هو تهويد المسلمين وتنصيرهم.

وقد اقترح اليهود ضرورة أن يكون هناك جزءان على الأقل من الأثنى عشر جزءا من فرقانهم هذا، يتناولان فقط الديانة اليهودية، وجزءان آخران على الأقل للنيل من أفكار ومبادىء الإسلام «الهدامة»، وجزءان للتبشير بالدين الجديد فى العهد الجديد، وجزءان خاصان بالمبادىء المشتركة الأساسية بين كل الأديان السماوية، وجزءان عن مدى التحريف والضلال الذى أصاب كتاب المسلمين.

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب كما قلنا وهو يشتمل على أسماء بعض السور التى تتشابه مع أسماء سور القرآن الكريم. فهناك فاتحة الكتاب، وهناك سورة الأضحى، وسورة الإعجاز، وسورة الروح، وسورة الكافرون.. وغيرها من السور.

ومما جاء فى التحقيق الذى كشف النقاب

عن هذه المؤامرة الخبيثة، أن (نيكولاى الفونس) الخبير المتخصص فى الـ «سى.أى.إيه» يرى أن هدف المشروع ينقسم إلى جزءين رئيسيين:

- أولهما: محاصرة المسلمين فى دولهم وسلبهم حرية التنقل إلى أمريكا والبلدان الأوروبية وذلك فى إطار حصار «الإرهاب الإسلامى» والحد من حرية التكاثر فى العالم الإسلامى عن طريق إقناع المسلمين بالقوة.

- ثانيهما: حتى يتحقق ذلك، لابد أن يحتاط العالم الغربى من وجود المسلمين بين ظهرانيهم، فالبداية يمكن أن تكون من خلال منع أى تزاوج لأى غربية (يهودية أو مسيحية) حتى لا ينتشر الإسلام بينهم.

- وإذا كان الجزء الأول قد صدر بالفعل وهو مبدوء بفاتحة الكتاب، فإن الجزء الثانى الذى لن يصدر إلا بعد التعرف على رد فعل الجزء الأول يبدأ أيضاً بفاتحة الكتاب الثانية، ومطلعها يقول: «الحمد لله رب العالمين الذى هدانا للحق، وإن إيماننا الخالص ينبع من نفسنا البشرية بأنك إله واحد، وأن كل إنسان فى حاجة إلى نورك ومبادئك الواحدة تجسدت فيها البشرية الظاهرة للإخاء والمحبة والتعاون».

- والكتاب ملىء بالأراجيف، التى تستهدف النيل من الإسلام وقرآنه العظيم، وإحلاله محله. فمما يشتمل عليه الجزء الثانى منه سورة (القديس) ومما ورد فيها «أن إله السماء هو رب كل البشر وهو خالق كل البشر، وجميعنا نعبده، ولكن الآخرين [يقصدون المسلمين] قصروا العبادة عليهم فقالوا:

﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾

[الكافرون: ٢، ٣]

فهو تشبيه يضر بالإنسانية ويقسمها إلى طوائف غير متحدة فى المعانى والأهداف وأنماط الحياة. نحن نعيش على كوكب واحد، وكل ما فى هذا الكوكب يخضع للإله العظيم، فالمخطىء يمكن أن يتوب، والذى يحمل النفس المؤمنة أدرك سعادته فى جنة الآخرة، فلنكن معاً طريقاً واحداً نعبد جميعاً ما نحن عابدون من إله عظيم، ولا نقول: لكم طريقكم ولى طريق».

- وهناك أيضاً سورة (الأرض) وهى ضمن الجزء الثانى من فرقانهم المكذوب ومما جاء فيها - وهو على ما يبدو موجه للفلسطينيين -: «أيها البشر، الأرض واسعة عمروها بأيديكم وفكروا بعقولكم، فأرضكم ليست مقدسة، وحدودكم ليست ثابتة، فأجيال تتنقل وتترك الديار، وأجيال تحل وتتمسك بالديار، فلا تجعلوا الأرض أبدا مثاراً لخلافاتكم وعداواتكم، فالعداء يولد البغض والحقد والكراهية، والأرض التى تحمل العداء بين البشر وبعضهم لابد وأن تتأملوا فى أركانها وأجزائها، ستجدون أن الجزء الأكبر تشغله الجبال والصحراء الشاسعة، وهى الأرض التى لا يتحمل الإنسان أن يطأ بقدميه عليها.. الأرض

لله يورثها من يشاء ونحن عليها نعمرها ونموت فلماذا القتال؟ ولماذا الحقد والكراهية، دعونا نعش في هذا العالم بسلام لا اعتداء ولا عدوان، من يمسك التفاحة بيده فهي له ولا يحق للآخر أن يدعي ملكيته لها، ولكن على من يمسك التفاحة أن يعطي من يدعي الملكية جزءاً من تفاحته حتى يأكل الاثنان، وتصبح القسمة المشتركة بينهما».

– ولا يخفى على القارىء الهدف الخبيث من وراء هذه الأفكار الاستعمارية، التي تتطابق مع مزاعم الإسرائيليين وتمهد للرضوخ لها والاقتناع بها.

– وهنا أيضاً سورة «الأسطورة» تقول: «لقد جاء رجل عربي [يقصدون رسول الله – ﷺ] وبيده سيف باتر وأسلحة مضاءة، وهجم على قوم آمنين، فانقادوا لوطأته تحت وطأة السيف والإجبار وعاشوا قروناً طويلة يحملون نفس الأفكار ويجبرون الآخرين على اتباع مبادئهم الضالة [يقصدون أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف لعنهم الله وأخزاهم]، حتى تزايدت أعدادهم، وأصبحوا هم المهدد لأمن وسلامة البشرية، من هذا الكم الهائل من تلك المعتقدات الموروثة خطأ، والتي ما هي إلا تعبير إضافي عن الصراع البشري بين الحضارات الإنسانية.

– إن هذه الحضارة لدول الشرق الأوسط ما هي إلا حضارة الشرق التي لم يعل بنيانها، أو تكتمل حلقات اكتمالها إلا من خلال الاتصال بالآخرين وتحديداً أبناء المسيح وأبناء اليهود»!

وهكذا بلغ بهم الكذب وتزييف التاريخ إلى هذا الحد، والمسلمون في غيبة عن أمرهم وما يحاك ضدهم من مؤامرات باتت تستهدف قرآنهم الكريم. والمؤامرة هذه المرة جادة للغاية في التنفيذ، فقد اجتمع مؤخراً أعوان الشر والشيطان من اليهود والعديد من الملل والأجناس الأخرى ليبدأوا حملة واسعة تحمل عنوان (لا للقرآن.. نعم للفرقان) تمهيداً لمنع طباعة القرآن الكريم، ومنع تدريسه أو بثه عبر وسائل الإعلام ومعاقبة كل من يردد آياته.

ومـــاذا بعـد..؟!

ماذا بعد أن وصلت المعركة إلى هذا الحد، هل نقف مكتوفي الأيدي لنقول: لا قبل لنا بهؤلاء الأعداء؟! هل نظل في أماكننا قاعدين؟ ونحن نقول: (إن للبيت رباً سيمنعه ويحميه)..؟!

ألا يستحق كتاب الله العزيز أن نجند أنفسنا وأبناءنا ومواردنا للدفاع عنه في مواجهة هؤلاء الكذبة الأفاقين؟! ألم نقرأ قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

[الأنفال: ٦٠]

ألا يستحق المسجد الأقصى مسرى رسول الله – ﷺ ومعراجه من حكام العرب والمسلمين وقفة نستعيد بها شرفنا، ونحرر فيها أقصانا، ونذكر أعداءنا بأن أمة محمد لن تموت؟!

إننا لعلى ثقة تامة بأن نصر الله قريب. فها هي ذي المرحلة الفاصلة من المعركة قد بدأت، بعد أن أعلنوا الحرب على الله رب العالمين، وعلى كتابه الأقدس الذي ما من جبار قصده بسوء إلا قصمه الله.. وما أشبه الليلة بالبارحة، لقد أمسك عبدالمطلب بحلقة باب الكعبة المشرفة في مواجهة أبرهة وجيشه وأفياله رافعاً رأسه إلى السماء قائلاً:

لهُمّ إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن محالهم وضلالهم أبدا محالك
فانصر على آل الصليب وعابديه اليومَ آلك
إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر (ما) بدا لك

ولم يكن له حول ولا قوة بمواجهة هذا الجحفل الجرار.

أما نحن الآن فإن لدينا الكثير والكثير مما نستطيع تقديمه فداء لمقدساتنا وعقيدتنا وكتاب الله الذي بين أيدينا معتمدين على الله رب الأرض والسماء الذي يقف من ورائنا ويمدنا بمدد من عنده، وإننا لعلى يقين من أن الله عزت قدرته سينجز لنا وعده

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

[الحج: ٤٠]

فالقرآن باق إلى يوم القيامة إن شاء الله

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

[الحجر: ٩]

ولن تقوم الساعة إلا إذا جاء المسيح – عليه السلام – وقتل الخنزير وكسر الصليب، وإلا إذا قاتل المسلمون اليهود قتالا شديدا حتى يقول الحجر: «يامسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران: ١٧٣ – ١٧٥]

***

الخلفية الدينية للسياسة الإسرائيلية

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

تُعدُّ الصهيونية هي الديانة اليهودية الجديدة التي أرسى دعائمها الحاخام (يهودا القالعي) عام ١٨٩٨ والتي دعت إلى الاعتماد على الذات لتحقيق الوعد الإلهي، وكانت دعوتها هي أحد الأسس الرئيسية التي تقوم عليها الصهيونية السياسية والتي بلورها تيودور هرتزل في كتابة «الدولة اليهودية»، وأصبحت الصهيونية تعني تهجير اليهود إلى أرض فلسطين؛ لتأسيس دولة إسرائيل التي تدين باليهودية، وتتميز بالعنصرية؛ فالصهيونية تأثرت بالأفكار القومية والعنصرية، هذا بالإضافة إلى الأفكار الاشتراكية التي سادت أوروبا.

ومن الثابت على المستوى العلمي أن الحركة الصهيونية منذ البداية استمدت مقوماتها من الديانة اليهودية، حيث شكلت الرباط الجمعي لروح العصبية والتمايز على الأغيار، كما أن اليهود جمعتهم أفكار اختلقوها عما أسموه بـ «وحدة الاضطهاد، وأنهم شعبُ الله المختار، إضافة إلى فكرة العودة إلى أرض الميعاد».

فمنذ نشأة الحركة الصهيونية لعبت القيم والرموز الدينية دوراً في تغذية الأيديولوجية التي تبنتها، فقد قامت هذه الحركة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كردِّ فعل على حال الجاليات اليهودية وأوضاعها في مجتمعات شرق أوروبا، واعتبرت نفسها «حركة تحرير للشعب اليهودي» عن طريق توطينه داخل دولة يهودية أي أن هدف الحركة الصهيونية الأول كان السعي لإنشاء دولة تجمع فيها يهود العالم.

وفي هذا الإطار، ضمت الحركة العديد من الروافد والتيارات الفكرية والسياسية التي تعبر عن الأصول العرقية واللغوية والثقافية للطوائف اليهودية، سواء من غرب أو شرق أوروبا، كما تداخلت فيها العناصر القومية مع تلك الدينية، وضمَّت اتجاهات مختلفة من التيارات العلمانية، والدينية، إلا أن المسار التاريخي لهذه الحركة؛ أدى على تغليب الاتجاهات الأولى عليها، حيث جاء مؤسسو الحركة الصهيونية من بين القيادات العلمانية اليهودية التي نشأت وتبلورت في غرب أوروبا وعلى رأسهم تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤) الذي يُعتبر مثالاً لجيل من القيادات السياسية اليهودية التي انطلقت من الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي الذي كان سائداً في أوروبا الغربية، والذي جعلها تتمرد على التراث الثقافي التقليدي لليهود، والمفاهيم الانعزالية التي خلفها «الجيتو» الذي عاشوا فيها وسط المجتمعات الأخرى.

ومن هنا جاء طرح الصهيونية «الهرتزلية» للدولة اليهودية طرحاً سياسياً لحلِّ «المشكلة اليهودية» في العالم، والتي كانت تعني وفق هذه الأفكار الخروج من أسوار «الجيتو» في الغرب، وسعت الحركة في إطار هذا الطرح بقيادة التيار العلماني إلى تأسيس دولة عصرية تقوم على «القومية اليهودية» ولم يكن الهدف إقامة دولة يهودية بالمعنى الديني، أي تقوم على التعاليم الدينية، وفي كتابه «الدولة اليهودية» الذي صدر عام ١٨٩٦ يقول هرتزل: «لن نسمح بظهور أية نزعات ثيوقراطية لدى سلطاتنا الروحية، وسوف نعمل على إبقاء هذه السلطات داخل المعبد».

وأشار إلى أن اليهود سيكونون أوروبيين، وأن دولة اليهود سوف تخلص أوروبا من مشكلة اليهود كما تخلص اليهود من مشكلتهم، وأن دولتهم ستصبح بمثابة سويسرا صغيرة في الشرق الأوسط.

ولكن على الرغم من هذا الطرح العلماني لمفهوم الدولة لدى الرواد الأوائل للحركة الصهيونية، فإن ذلك لم يكن يعني استبعاد الدين والثقافة اليهودية التقليدية تماماً من هذه الأيديولوجية، فقد اعتبرت الفلسفة الصهيونية الدين أحد الروافد التي تشكل الميراث التقليدي والشخصية اليهودية التقليدية، وسعت تلك الفلسفة إلى استيعاب الاتجاهات والتيارات الدينية بداخلها من خلال الدور المحدد الذي رسمته للعامل الديني وتوظيفه لخدمة أهدافها السياسية خاصة في مجال تشجيع عملية الهجرة إلى فلسطين وتشجيع الاستيطان في بداية تأسيس الدولة دون أن يعني ذلك تغليب هذا العامل على الأساس القومي العلماني الذي بنت عليه حركتها السياسية.

والواقع أن لجوء الأيديولوجية الصهيونية السياسية إلى تبنى بعض الأفكار والرموز الدينية بشكل مبكر كانت تبرره عدة دوافع منها محاولتها ـ شأن أى أيديولوجية ـ اكتساب نوع من المشروعية الدينية التى تحقق من خلالها انتشاراً جماهيرياً واسعاً، وتكون محلَ قبول من كافة التنوعات الاجتماعية والعرقية والحضارية والثقافية ليهود أوروبا، كذلك محاولة استيعاب التيارات والمنظمات السياسية الدينية داخل الحركة الصهيونية، وقد انعكس ذلك فى تحويل أغلب هذه الاتجاهات والتنظيمات إلى أحزاب سياسية صهيونية، أى تعمل من داخل هذه الحركة وتعتبرها منطلقاً رئيسياً لها؛ أسوة بباقى الأحزاب السياسية الرئيسية، ويكون الاختلاف بينها هو فقط فى برامجها السياسية فى إطار الالتزام بأهداف الحركة الصهيونية.

وإذا كانت هذه بعض الدوافع التى حدت بزعماء هذه الحركة للمزج بين القومية والدين، أو تحويل الرموز الدينية إلى رموز قومية، فإن الواقع الأهم هو محاولة ترسيخ وتدعيم فكرة «العودة إلى أرض صهيون» أو أرض إسرائيل والتى تعدَ فى الأساس من التراث الدينى اليهودى، وهو ما حاولت الحركة الصهيونية استغلاله فى سعيها لتأسيس الدولة، وكما هو معروف فإن فكرة «العهد بين الله والشعب بخصوص أرض فلسطين المقدسة» كانت بمثابة الأسطورة التى اجتمعت عليها كافة التيارات والاتجاهات السياسية على اختلاف أصولها العرقية والثقافية ومواقفها الفكرية ومنها أصحاب الصهيونية الاشتراكية، إذ رغم رفض أصحاب هذا التيار للتراث اليهودى الثقافى التقليدى إلا أنهم تبنوا فكرة «العودة إلى صهيون، وهى الفكرة ذات الأصول الدينية فى الأساس.

وفى هذا الإطار اعتبر (بن جوريون) مؤسس الدولة الإسرائيلية، أن مبدأ «أرض فلسطين المقدسة» يمكن توظيفه سياسياً لتحقيق نوع من «الإجماع» بين الطوائف اليهودية المختلفة وتشجيع الهجرة إلى فلسطين لتدعيم تأسيس الدولة وتوسعها.

ولعلَ أبرز مظاهر استغلال الدين اليهودى التى استخدمها الصهيونيون ثلاثية «الشعب المختار»، و«الأرض الموعودة»، و«الميثاق الإلهى»، وهى الثلاثية التى شكلت الأرضية الأيديولوجية للصهيونية والعنصر الذرائعى التبريرى الذى اعتمدت عليه فى تعبئة وحفز اليهود فى إطارها بعد أن تم انتزاع هذه المفاهيم من مضمونها الدينى وإعطائها مضموناً وتعبيرات علمانية تنسجم مع مفردات وتعابير العصر، عصر القوميات، وحق تقرير المصير، وحيث تتحول الجماعات والطوائف الدينية اليهودية إلى «شعب يهودى» أو «أمة بنى إسرائيل» التى «لها الحق فى وطن» هو تحديداً فلسطين باعتبارها «الوطن التاريخى».

ويرى د. سليم الجنيدى[1] أن هناك ثلاثة

(١) شئون عربية، العدد (٩٩) سبتمبر ١٩٩٩م.

اتجاهات تبلورت خلال مرحلة خلق المشروع الصهيونى انطلاقاً من نظرتها لدور الدين اليهودى بالنسبة للصهيونية:

١ ـ اتجاه علمانى مثله فى الأساس حزب «الماباى» العمالى حيث كان الهدف الأساسى خلق دولة يهودية ليس لها أى علاقة بيهود الماضى مجردة من العقيدة والشريعة والطقوس الدينية اليهودية.

٢ ـ اتجاه دينى صهيونى تزعمه حزب «المزراحى» وكانت هذه الفئة من المتدينين فى بداية نشأتها أقلية محاصرة من قبل غالبية القطاع الدينى الأرثوذكسى، ومن قبل القطاع الصهيونى العلمانى على حد سواء.

٣ ـ اتجاه دينى أرثوذكسى معادٍ للصهيونية مثل حزب «أغودات يسرائيل» على مبدأ «حل كل القضايا اليهودية وفقاً لروح التوراة، وقد أوجد لنفسه سلطة مرجعية، لأجل تنظيم حياة الجماعات اليهودية وتوجيهها بعيداً عن المؤسسات الصهيونية.

وبصفة عامة يمكن القول: إن الهدف الأساسى المشترك لجميع الأحزاب الدينية بشقيها الصهيونى والأرثوذكسى المعارض للصهيونية، كان وما يزال: العمل على تطبيق أحكام الشريعة اليهودية على المجتمع بغضَ النظر عن علمانيته.

إذن فإن العلاقة بين الدين والسياسة قد تبلورت بالفعل مع قيام دولة إسرائيلية أو بمعنى آخر بين المتدينين والصهيونيين العلمانيين على إطار من التقاسم الوظيفى والاعتراف المتبادل الذى فرضته عملية التطور الاجتماعى السياسى للتجمع اليهودى الاستيطانى فى فلسطين، فمن جهة قبلت اليهودية بالقيادة السياسية الصهيونية العلمانية وسارت خلفها كأمر واقع، وفى المقابل فإن الصهيونية العلمانية اعترفت للمتدينين بالسيطرة الدينية على مسائل الأحوال الشخصية والتعليم الدينى فى المؤسسات التعليمية والثقافية التابعة فعلاً للأحزاب الدينية.

هذه التسوية التى فرضها الأمر الواقع ـ هى جوهر اتفاق الوضع القائم Status quo الذى أصبح حجر الأساس لتحديد وضعية الدين وقوانين الشريعة والتعليم الدينى فى الدولة اليهودية التى أقامها وتزعمها الصهيونيون العلمانيون، وعلى الصعيد الرسمى فإن عناصر اتفاق الوضع القائم تضمنتها رسالة كان (بن جوريون) قد وجهها إلى زعامة «أغودات يسرائيل» و«المزراحى» عام ١٩٤٧ بصفته رئيساً للوكالة اليهودية وعد فيها بأن تحفظ للدين اليهودى المبادىء التالية:

- تحديد يوم السبت كيوم راحة فى قوانين الدولة.
- تزويد جميع مطابع الدولة بما فيها الجيش بطعام (الكاشير) المحلّل دينيا.
- بذل الجهد لمنع تقسيم «بيت إسرائيل» والذى سيعنى ضمنا ضرورة عدم السماح بالزواج المدنى لليهود.
- وضع الصلاحيات المطلقة فى مجال الزواج والطلاق فى يد مؤسسة القضاء الحاخامى.
- الاعتراف بمنظومة التعليم الدينى المستقل ذاتياً.

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾

[المائدة : ٨٢]

بين خطة شارون ووعد بوش

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد

إن هدف شارون الاستراتيجى منذ الاحتلال الإسرائيلى للضفة الغربية وقطاع غزة هو محاولة تجنب أية عملية سياسية، فهو يدرك أن تورطه فى أية تسوية سياسية للصراع الإسرائيلى الفلسطينى، يعنى العودة إلى حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧، وهذا ما يخشاه رئيس الوزراء الإسرائيلى، الذى يؤمن بأرض إسرائيل الكاملة من النيل إلى الفرات. لذلك فإن شارون يزعم أنه لا يوجد شريك فلسطينى، يمكن أن يشارك بإيجابية فى عملية السلام.

ومن هنا قدم خطته للانسحاب من غزة من جانب واحد إلى الرئيس الأمريكى بوش للحصول على موافقته بقبولها، مقابل ترسيخ الوجود الإسرائيلى فى الضفة الغربية. ولقد أشار «شارون» لأول مرة إلى خطة فك الارتباط مع الفلسطينيين فى كلمته أمام مؤتمر هرتزليا الرابع الذى انعقد فى ١٨ ديسمبر ٢٠٠٣ بقوله: «.. ولكن إذا تبين، بعد شهور، أن الفلسطينيين مستمرون فى عدم الوفاء بتعهداتهم فى خطة «خريطة الطريق» فإن إسرائيل ستبادر إلى اتخاذ خطوة أمنية من جانب واحد، تتمثل فى فك الارتباط مع الفلسطينيين».

وفى ضوء هذه الخطة التى تبناها شارون، ستقوم إسرائيل بإخلاء قطاع غزة من ١٧ مستعمرة قائمة فيه، وإعادة انتشارها من جديد خارج القطاع، وسترابط قوات الجيش الإسرائيلى على

الحدود الخارجية للقطاع من البر، وستسيطر بشكل مطلق على المجال الجوى له، ومواصلة القيام بعمليات عسكرية فى المجال المائى للقطاع، وسيصبح قطاع غزة، منطقة منزوعة السلاح، مع خطوات وقائية باستخدام القوة المسلحة ضد أى تهديد صادر من داخل القطاع وفيما يتعلق بمعبر رفح بين غزة ومصر فسيظل العمل فيه وفقا للترتيبات المعمول بها حاليا، مع اتجاه إسرائيل إلى نقله من موقعه الحالى إلى نقطة «المثلث الحدودى» الواقعة على بعد ٢ كيلو متر إلى الجنوب منه وذلك بالتنسيق مع مصر أما المنطقة الحدودية بين قطاع غزة ومصر والتى تتمثل فى «محور فيلادلفيا» فإن إسرائيل ستواصل فى المرحلة الأولى الاحتفاظ بوجود عسكرى على طول الخط الحدودى الفاصل بين القطاع ومصر، وتوسيع المنطقة التى ستتم فيها النشاطات العسكرية، مع التفكير، لاحقا، فى إمكانية إخلاء هذه المنطقة، إذا ما توافرت شروط معينة، مثل الواقع الأمنى ومدى تعاون مصر فى التوصل إلى اتفاق موثوق، وستكون إسرائيل على استعداد لبحث إمكانية إقامة ميناء بحرى ومطار فى قطاع غزة إذا ما توافرت الظروف لذلك وفى الضفة الغربية سيتم الانسحاب فقط من أربع مستوطنات فى شمال الضفة وهى «غنيم، وكديم، وحوش، وسانور» وبذلك تصبح أغلبية الضفة الغربية تحت السيطرة الإسرائيلية،

وستبقى باقى المستعمرات بدون تفكيك بحجة أنها ضرورية للأمن القومى الإسرائيلى ويلاحظ كثير من المحللين السياسيين أن خطة فك الارتباط، لا تضيف جديدا بالنسبة للفلسطينيين فسيكون قطاع غزة برا وجوا وبحرا فى قبضة إسرائيل كما أن «معبر رفح»، وهو المنفذ الوحيد إلى العالم الخارجى، ستتحكم فيه أيضا إسرائيل والجدير بالذكر أن شارون قد كشف بصراحة تامة عن الأهداف الحقيقية لخطته فى كلمته أمام مؤتمر هرتزليا الرابع فيقول: «إن هدف خطة فك الارتباط هو تحقيق أكبر درجة ممكنة من الأمن لإسرائيل، مع التنسيق الكامل مع الولايات المتحدة الأمريكية، فى أية خطوات أحادية الجانب».

ويضيف شارون فى هذا الصدد قوله: «إن خطة فك الارتباط تشمل إعادة انتشار قوات جيش الدفاع الإسرائيلى فى خطوط أمنية جديدة وإعادة رسم خريطة المستوطنات» كما أكد رئيس الوزراء الإسرائيلى أهمية سيطرة إسرائيل على أغلبية الضفة الغربية فيقول: إنه فى نطاق خطة الانفصال، ستعزز إسرائيل من سيطرتها على أجزاء من أرض إسرائيل لتكون جزءا لا ينفصل من دولة إسرائيلى». وفى هذا السياق يقول المحلل السياسى الإسرائيلى «ناحوم برنياع» حول خطة الانسحاب من غزة: «منذ أن سمعت مستشارة الأمن القومى الأمريكى «كوندوليزا رايس» عن خطة شارون للانسحاب من غزة كان الرد الأول، ارتيابيا فشارون يزمع الانسحاب من غزة فقط حتى يبقى فى أغلبية الضفة الغربية، إنه يريد دفن خطة الطريق وهذا ما اعتقدوه».

وكان الرد الثانى: أنه إذا كانت إسرائيل تريد إخلاء المستوطنات من أجل أمنها، فهذا شأنها ولكن ليس بإمكانها أن تتوقع مقابلا لذلك من الولايات المتحدة». هذا ما قالته «كوندليزا رايس» قبل اجتماع شارون بالرئيس الأمريكى بوش فى البيت الأبيض، لكن الحقيقة هى أن شارون حصل على كثير من الضمانات التى ما كان يحلم بها من خلال الرسالة التى تلقاها من بوش تأييدا لخطته ويضيف «ناحوم برتياع» حديثه حول الدور الذى قام به مدير مكتب شارون فى إقناع الإدارة الأمريكية بخطة شارون لفك الارتباط مع الجانب الفلسطينى فيقول: «إن فايسجلاس»، مدير مكتب شارون، أقنع الإدارة الأمريكية بأن الخطة ستساعد كثيرا فى انتخاب بوش مرة ثانية لأن الانسحاب من غزة سيقوض دعاوى «جون كيرى» المنافس الديمقراطى على الرئاسة الأمريكية بأن سياسة بوش الخارجية مصابة بالجمود، وأن الرئيس بوش سيكون أول رئيس أمريكى تقرر إسرائيل فى عهده الإقدام

على إخلاء مناطق ومستوطنات، كما يذكر هذا المحلل السياسى الإسرائيلى أن «وعد بوش» الذى يتمثل فى رسالة الضمانات إلى شارون، هو بمثابة «وثيقة تأمين» بحق إسرائيل فى الاحتفاظ بالكتل الاستيطانية الأربعة فى الضفة الغربية، وهى: غلاف القدس، ومعالية أدوميم، وجوش عتصيون، واريئيل.

وترى «تسفى ليفنى» وزيرة الاستيعاب الإسرائيلية أن الأمر الأصعب بالنسبة لخطة شارون أن الانسحاب يتم بدون الاتفاق مع الجانب الفلسطينى، كما أن هذه الخطة تشكل نكوصا وتراجعا إسرائيليا من جانب شارون فى التفريط فى أرض إسرائيل. هكذا ينظر الإسرائيليون اليمينيون إلى الأرض الفلسطينية المحتلة بأنها أرض محررة لا يمكن التنازل عنها.

ومن جهة أخرى يذهب المحللون السياسيون الإسرائيليون إلى القول بأنه بدءا من مشروع «آلون» عام ١٩٧٣، و«مشروع إسرائيل جاليلى» عام ١٩٧٤، ومحاولات بيجين إقناع مصر باستعادة السيطرة على قطاع غزة، فى مناورة خادعة، فى صفقة السلام التى أعادت سيناء إلى مصر، وانتهاء بخطة شارون الحالية للانسحاب الأحادى من غزة، كانت إسرائيل بالفعل راغبة فى التخلى عن قطاع غزة إلى الحد الذى جعل رئيس الوزراء الإسرائيلى الراحل «اسحق رابين» يقول: «كم تمنيت أن استيقظ يوما حتى أجد قطاع غزة غارقا فى البحر»، كما يذكر فى هذا الصدد اقتراح «ابراهام كاتد»، نائب وزير الزراعة الإسرائيلى فى حكومة بيجين عام ١٩٧٨ وأحد أعضاء حزب العمل الذى طالب فيه بانسحاب إسرائيلى من القطاع فى إطار اتفاق سلام، مؤكدا بأنه سيتعين الانسحاب من القطاع إن عاجلا أو آجلا، كما صرح بأن وجود الجيش الإسرائيلى وسط شعب معاد تعداده ٧٠٠ ألف نسمة يضعف أمن إسرائيل ولا يعززه. ومن ثم لم يعد السؤال المطروح الآن فى ظل حكومة شارون، هل ينسحب رئيس الوزراء الإسرائيلى من غزة أم لا؟

إنما السؤال الذى يطرحه المحللون السياسيون الإسرائيليون هو: هل يتمكن شارون من التغلب على العقبات التى تحول دون الانسحاب من غزة؟ لقد أثبت شارون فشله فى الحصول على تأييد حزب الليكود لخطته عندما طرحها للاستفتاء داخل حزبه فى الثانى من مايو ٢٠٠٤، فقد جاءت النتيجة عكس ما يريد حيث صوت ٥٩,٥٪ ضد الخطة مقابل موافقة ٣٩,٧٪ من المشاركين فى الاستفتاء وعددهم ٩٩ ألف يمثلون مايزيد قليلا على ٥١٪ من جملة أعضاء الليكود.. وعلى الصعيد الفلسطينى يمكن للمراقب رصد ثلاثة تيارات تتباين تجاه خطة شارون للفصل الأحادى الجانب.

الأول: يذهب إلى أنه لا بديل عن قبول خطة شارون مع محاولة التقليل من أضرارها.

والثاني: يرى أن المقاومة هي الخيار الوحيد أمام الفلسطينيين وهذا التيار يتعزز في الشارع الفلسطيني والعربي يوما بعد يوم برغم ما ينطوي على قدر من المغامرة، وعدم التعامل مع الوضع الراهن بصورة واقعية.

والثالث: يدعو إلى الجمع بين التمسك بعملية السلام والشرعية الدولية، والصمود، والمقاومة المنظمة المدروسة، القادرة على تحقيق الأهداف، وليست المقاومة العشوائية وما يجب التأكيد عليه في هذا الصدد أن شارون في خطته لا يريد أن يكون الانسحاب من قطاع غزة بلا ثمن، فإذا كان الفلسطينيون يرفضون دفع الثمن الذي يريده شارون بإقامة حكم ذاتي إداري في غزة بدلا من دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة في الضفة وقطاع غزة، فلا أقل من السعي للبحث عن بديل له لدى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما دفع شارون إلى إرسال مدير مكتبه «دوف مايسجلاس» برفقة رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي «جيورا إيلاند» إلى البيت الأبيض في واشنطن في محاولة لإقناع الإدارة الأمريكية بمكافأة إسرائيل نظير خطة شارون للانفصال الأحادي عن الفلسطينيين، وفي ختام المفاوضات حول الثمن الواجب أن تدفعه الإدارة الأمريكية لرئيس الوزراء الإسرائيلي وافق الرئيس «بوش» على أن يكون هذا الثمن في شكل تعهد مكتوب عبر رسالة ضمانات، موقعة منه إلى شارون بالموافقة الأمريكية على شرعية الاستيطان اليهودي في الضفة الغربية، باعتبار المستوطنات الإسرائيلية وقائع على الأرض لا يمكن تجاهلها، واقتصار عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى دولة فلسطين المسالمة المزمع إقامتها، وفق الرؤية الأمريكية، وليس إلى إسرائيل، وتغيير حدود إسرائيل، إذ أنه في ظل المراكز السكانية الإسرائيلية في الضفة الغربية، يصعب العودة إلى حدود ١٩٦٧، مع التزام أمريكي بأمن إسرائيل كدولة يهودية، وهو ما يعني حث إسرائيل على ترحيل «عرب إسرائيل» خارج دولة إسرائيل.

ولا شك أن اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بيهودية الدولة الإسرائيلية، من شأنه، إسقاط حق العودة المقرر دوليا لحوالي أربعة ملايين فلسطيني بموجب القرار ١٩٤، وفوق ذلك الموافقة على حق إسرائيل في السيطرة الجوية والبرية والبحرية والمعابر في الضفة وغزة، أي تحويل غزة والضفة الغربية إلى سجن كبير للفلسطينيين، مع مباركة أمريكية لجدار الفصل العنصري الذي يبتلع ما يزيد على ٥٠٪ من مساحة الضفة الغربية، مما يحول دون إقامة دولة فلسطينية متصلة جغرافيا، وهو ما تنص عليه «خريطة الطريق».

كما أكد «بوش» في رسالته إلى شارون، دعوة الفلسطينيين إلى الشروع باختيار قيادة جديدة بدلا من «عرفات» لأنه ليس شريكا صالحا، وتفكيك ما يسميه الرئيس الأمريكي، بالقدرات، والبنية التحتية الإرهابية، واصفاً، بذلك المقاومة الفلسطينية الوطنية للمحتل الغاصب للأرض الفلسطينية، بالإرهاب، ومطالب أيضا الفلسطينيين بإقامة حياة ديمقراطية برلمانية قوية، ومنح الوزراء صلاحيات وسلطات كافية لأداء مهامهم، إن كانوا يريدون دولة لهم. هذا هو الثمن الذي تلقاه رئيس الوزراء الإسرائيلي «شارون» من حليفه الاستراتيجي «بوش»، مزيدا من الضمانات والوعود والتطمينات لتصفية القضية الفلسطينية، كل ذلك مقابل خطته لفك الارتباط مع الفلسطينيين، والتي وصفها المحلل السياسي الأمريكي «جريينواى» في مقاله بصحيفة «بوسطن جلوب» بقوله: «إن ما جاء في خطة فك الارتباط من جانب واحد مع قطاع غزة، يعبر عن جوهر فكر اليمين الإسرائيلي، وأصحاب نظرية «أرض إسرائيل الكاملة» وأنصار «الصهيونية التصحيحية»، التي ترجع إلى «جابوتنسكي» ويرفض أنصار هذه النظرية وعلى رأسهم شارون التنازل عن شبر واحد من «أرض إسرائيل» ووفقا لرؤيتهم فإن قطاع غزة لا يشغل أهمية ومكانة ضمن ما يسمى «أرض إسرائيل» وهو عكس الحال بالنسبة للضفة الغربية ومن ثم فإن فك الارتباط مع القطاع يأتي في إطار خطة لضم الجزء الأكبر من الضفة الغربية وبالتالي فإن خطته لا علاقة لها بالسلام أو التسوية السياسية». وفي هذا المقام يتحدث الدكتور «مصطفى البرغوثي» عن كيف جاءت رسالة الضمانات غطاء لتحفظات شارون على خريطة الطريق التي أفرغها من مضمونها بهذه التحفظات فيقول: «إن رسالة الضمانات الأمريكية تعكس في جوهرها تحفظات حكومة شارون على خريطة الطريق، وتقدم غطاءً لها، لمواصلة سياسة الأمر الواقع على الأرض، واستبدال خريطة الطريق بخريطة «طريق إسرائيلية» ترسم ملامح التسوية النهائية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، وتفصيل «دولة فلسطينية» على مقاس حكم إداري ذاتي ينسجم مع أفكار حزب الليكود الحاكم» وفي الختام يمكن القول أنه على الرغم من تراجع الرئيس الأمريكي «بوش» في حديثه للأهرام في السادس من مايو ٢٠٠٤ عن بعض ما جاء في رسالة الضمانات باعتبار أن أي قضايا تتعلق بالوضع النهائي سيقوم بالتفاوض حولها الإسرائيليون والفلسطينيون، وليس الولايات المتحدة الأمريكية، فإن على الإدارة الأمريكية، أن تبادر بتحويل ما تقوله إلى واقع وتلزم إسرائيل بما جاء في خريطة الطريق، إذا كانت تريد حقا أن يكون للفلسطينيين دولة مستقلة ذات سيادة وقابلة للحياة.

طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ما قيل فى الشيب

قيل للنبى ﷺ : عجل عليك الشيب يا رسول الله. قال : «شيبتنى هود وأخواتها» (يريد سورة هود وأخواتها لما فيهن من الأوامر والنواهى).

وقيل لعبدالملك بن مروان : قد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين.

قال : شيبنى ارتقاء المنابر، وتوقع اللحن.

وقيل لرجل من الشعراء : عجل عليك الشيب.

فقال : وكيف لا يعجل وأنا أعصر قلبى فى عمل لا يرجى ثوابه، ولا يؤمن عقابه.

وقال حبيب الطائى :

غدا الشيب مختطا بفودى خطة
طريق الردى منها إلى النفس ضيع
هو الزور يخفى والمعاشر يحتوى
وذو الألف يبلى والحبيب يرقع
له منظر فى العين أبيض ناصع
ولكنه فى القلب أسود أسفع

وقال محمود الوراق :

بكيت لعزب الأجل
وبعد فوات الأمل
ووافد شيب طرا
بعقب شباب رحل
شباب كان لم يكن
وشيب كان لم يزل

ترحالنا .. وترحاله

حضرت الوفاة أحد الملاحدة فانشد يقول :

لعمرى ما أدرى وقد أذن البلى
بعاجل ترحالى إلى أين ترحالى؟
وأين محل الروح بعد خروجه
عن الهيكل المنحل والجسد البالى؟

فبلغ ذلك أحد الصالحين فقال :

وما علينا من جهله، إذا كان لا يدرى أين ترحاله؟ فنحن ندرى إلى أين ترحالنا وترحاله.

قال - تعالى - :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾

(الانفطار/ ١٣، ١٤)

أكلت الحنظل .. وذقت الصبر

قال حكيم لابنه : يا بنى، أكلت الحنظل، وذقت الصبر، فلم أر شيئا أمر من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك، ولكن اسأل الله - تعالى - من فضله، فمن الذى سأل الله فلم يعطه، أو دعاه فلم يجبه، أو تضرع إليه فلم يكشف ما به؟!

قل ما شئت

قال بعض الملوك لصاحب خيله : قدم لى الفرس الأبيض، فقال له وزيره : أيها الملك لا تقل الفرس الأبيض، فإنه عيب يخل بهيبة الملوك، ولكن قل الفرس الأشهب. فلما حضر الطعام، قال لصاحب السماط قدم الصحن الأشهب، فقال الوزير : قل ما شئت فما لى حيلة فى تقويلك.

حقا

والقلب إن مات لن تنفعه موعظة
كالأرض إن سبخت لن ينفع المطر

ميادين الاختبار

فى المآزق ينكشف لؤم الطباع، وفى الفتن تنكشف أصالة الرأى، وفى الحكم ينكشف زيف الأخلاق، وفى المال تنكشف دعوى الورع، وفى الجاه ينكشف كرم الأصل، وفى الشدة ينكشف صدق الإخوة.

أخى

إذا اجتمعت عليك أعمال كثيرة فابدأ بأحبها إلى الله - عز وجل - وأحمدها عاقبة.

قال الشاعر :

اعمل وأنت من الدنيا على حذر
واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
اعلم بأنك ما قدمت من عمل
محصى عليك وما خلفت موروث

فسد أهل الزمان

قال سفيان الثورى: دخلت على جعفر الصادق فقلت له: يا بن عم رسول الله - ﷺ - ما لى أراك سكنت دارك ولا تخالط الناس؟ فقال: نعم يا ابن سعيد، فى العزلة دعة، وفى الدعة راحة، وما قدر لك يأتيك، يا سفيان فسد أهل الزمان، وتغير الأصدقاء، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد.

شيب فى رأسى

مر رجل أشمط بامرأة بارعة الحسن والجمال، فقال لها: إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه وإلا فأعلمينا، فقالت: كأنك تخطبنى، قال: نعم، قالت: إن فىَّ عيبا، قال وما هو؟ قالت: شيب فى رأسى، فثنى عنان دابته وأدار عنقه مبتعدا، فقالت: على رسلك فلا والله ما بلغت عشرين سنة، ولا رأيت فى رأسى شعرة بيضاء، ولكننى أحببت أن أعلمك أنى أكره منك مثل ما تكره منى.

نصيحة

خل الذنوب صغيرها
وكبيرها فوق التقى
واصنع كماش فوق أر
ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة
إن الجبال من الحصى

كيف تصنع؟

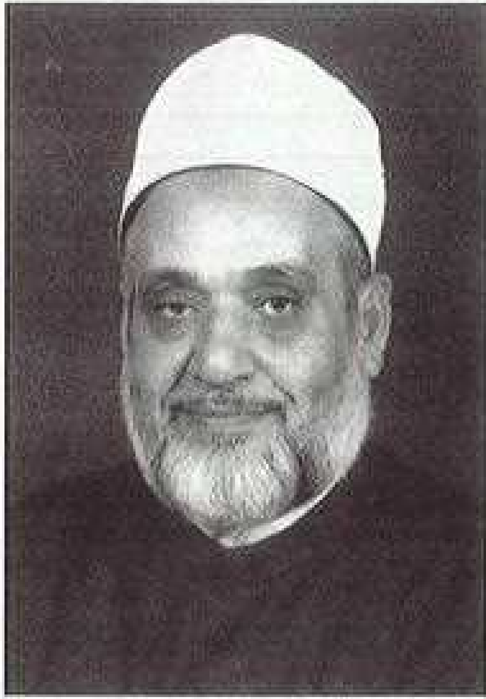
قيل للحسن البصرى: كيف تصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا، حتى تكاد تطير قلوبنا؟

قال: والله لأن تجالس من يخوفك حتى يدركك الأمن، خير من أن تجالس من يؤمنك حتى يدركك الخوف.

دعاء يضيق به إبليس

كان محمد بن واسع - رضى الله عنه - يقول كل يوم بعد صلاة الصبح: اللهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم فآيسهُ منا كما أيسته من رحمتك، وقنطه منا كما قنطته من عفوك، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك، إنك على كل شيء قدير.

تهنئة ودعاء



أصدر الأستاذ الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء القرار رقم «١٢٥أ» لسنة ٢٠٠٤ بتعيين فضيلة الشيخ إبراهيم عطا الفيومى أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف.

وأسرة مجلة الأزهر تتقدم بخالص التهنئة لفضيلة الشيخ إبراهيم عطا الفيومى على الثقة الغالية وتدعو لفضيلته بالتوفيق.

قصة العدد

مفاوضات ساخنة

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي

– ١ –

استمع كسرى عاهل الفرس إلى أنباء انتصار الجيش الإسلامي على جنده في معركة (البويب) وتقدمه السريع نحو عاصمة بلاده فزفر زفرة حارة، ورفع يده إلى رأسه كما هي عادته حين يريد أن يتفرق أصحابه ويخلو بنفسه فقاموا مسرعين، ولكنه استوقف منهم هرمز جاوذيه أحد القادة المشهورين بالمقدرة الحربية وطلب منه أن ينتظر كي يبادله الحديث فيما يغمره من شجون، فوقف هرمز صامتاً لاينطق حتى إذا خلا المكان أذن له يزدجرد بالجلوس فقعد.

بدأ كسرى الحديث في هدوء وهو يحاول أن يكتم ما بنفسه من الشجون.

فقال: ماذا ترى يا هرمز في هذا البلاء الوافد على غير انتظار؟

فقال هرمز: أمامنا عدة جولات سنطحنهم طحناً وسيذوقون عاقبة النكال.

فحدق يزدجرد في وجهه مغضبا وقال:

لا أريد منك مداهنة فالموقف عصيب وقد سقطت حصوننا حصنا وراء حصن أمام هؤلاء البداة.

فرجع هرمز يقول: عندنا الجنود يا مولاى والحرب سجال!

فعض كسرى على شفته وقال: القوم كما بلغني عنهم يرحبون بالموت ويعدونه باباً للجنة فهم أسود بواسل وقومنا لا ترتفع أرواحهم إلى مثل حماسهم المشتعل وحماسة المحارب هي أقوى سبل الانتصار!

فقال هرمز: هو ما تقوله يا سيدى وقد فكرتُ في حل سلمى أخشى أن أعرضه فارمى لديك بالجبن وأنا أبذل روحي فداء العرش المهيب!

فقال كسرى وقد كتم غيظه مصطنعا الهدوء: ما خلوت بك الآن إلا لتشير عليّ بما تراه وأنا أدرك الموقف تمام الإدراك.

فاظهر هرمز الاهتمام وقال: القوم عربٌ جياع ويُخيل إليّ أنهم يحاربون لأجل الزاد والسبيل إلى رجوعهم أن يصطنع مولاى معهم الحلم فيدعو رئيسهم أو من ينوب عنه ويعرض عليه ما يُطمعه في المال والثراء مع جنوده الحفاة العراة، فإذا اطمأنوا إلى ما سيأخذون من مال وحيوان وزاد وكساء ارتاحت نفوسهم وولوا الأدبار!

فسكت كسرى ثم قال في مهل: هي تجربةٌ لابدّ منها وعليك أن تهيىء الموقف على أحسن وجوهه قريبا قريبا ومن الغد!

– ٢ –

جاءت رسل هرمز إلى سعد بن أبي وقاص يطالبونه أن يرسل من جنوده من ينوب عنه أو أن يأتي محترما مصونا للقاء كسرى للمشاورة في أمر قد يعود على الجانبين بالراحة وصون الدماء فأهمل الرسل يوما وخلا بعشيره يتباحثون فيما يردّ به على كسرى فكلهم استجاب لمطلب يزدجرد ووقع الاختيار على النعمان بن مقرن والمغيرة بن زرارة، فسارا مع القوم، وكان الرسل حين ينظرون إلى تقشفهما في الملبس والمأكل والمظهر يتعجبون ويقول قائلهم في سره كيف سيطأ هذان بلاط كسرى وهل يملكان من الشجاعة ما يردان به على صاحب التاج وسيد العرش في مجلسه المهيب! وما هي إلا ساعات حتى كان القوم أمام الإيوان وقد أذن للسفيرين الإسلاميين بالمثول!

وكان المنتظر أن يقابلهما كسرى متلطفاً ولكنه نادى الترجمان وأسر إليه بكلام يترجمه ووجهه يشتعل غضبا وحنقا، فقال الترجمان:

يسألكم جلالة العاهل العظيم: ما الذى جاء بكم إلى بلادنا وأنتم أتباعنا المخلصون، أمن أجل أنا تشاغلنا عنكم بعض الوقت تجترئون على السادة وتجهلون عاقبة الاجتراء!

فنظر النعمان إلى المغيرة وقال له: أنت أم أنا الذى سيتولى الرد؟

فقال المغيرة: بل أنت.

فبدأ النعمان يرد في شجاعة وحمية:

اسمع أيها الملك، إن الله قد رحمنا فأرسل لنا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينهانا عنه ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة فكان العرب فريقين: فريق أجابه وفريق حاربه، ثم أمر أن يُقاوم المخالف حتى استجاب، فالتأم الشمل وعرفنا جميعاً فضل هذا النبى الذى أخرجنا من الظلمات إلى النور حتى إذا استتب الأمر في الجزيرة أمرنا أن نبدأ بمن خلفنا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسّن الحسن وقبح القبيح فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من أمر أشد شراً منه، فإن أبيتم

فالمناجزة أما إذا أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه على أن تحكمونا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن اتقيتمونا بالجزية قبلنا منكم ومنعناكم وإلا قاتلناكم.

فقام كسرى من مقامه فزعاً، وصاح في القوم، أما لولا أن الرسل لا تقتل إذا جاءت في سفارة لأخذت رأسيكما بسيفي هذا لتكونا عبرة لمن أرسلكما إليّ وكأنكم فيما سمعته من أقوالكما تجهلون من نحن ومن أنتم ثم جلس على كرسيه والعرق يسيل من وجهه، وتوجه إلى النعمان وإلى المغيرة قائلاً:

أني لا أعلم في الأرض أمة كان أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ منكم لقد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا غاراتكم ولا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لنا، فإذا كان غرور لحقكم فلا يغرنكم ذلك منا وإن كنتم جائعين فرضنا لكم قوتاً ولباساً وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم وليس لكم غير ذلك ثم سكت.

فقال المغيرة بن زرارة: أيها الملك أنت تخاطب من قدم بالسفارة كطلبك أنت ولم نسع إليك حتى طلبت لقاءنا إذ لم نجد من المروءة أن نهمل دعوة من يريد الاستماع إلى الحق، وكان عليك أن تتكلم كلام الحاكم المسئول حيث لا تأمن أن نرد عليك بأقسى مما تكلمت فيسوء موقفك بين حاشيتك ولكننا سنرد عليك بما يفتح عينيك على الواقع الصريح.

أما ما ذكرت من سوء حالنا وجوعنا وفقرنا فهذا حق وقد كنا في ضلال مبين ثم أرسل الله لنا رسولاً معروفاً في نسبه وحسبه، بيته أحسن بيوتنا وقبيلته خير قبائلنا فقذف الله في قلوبنا تصديقه، وتوجهنا إلى الله الذي أمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر ودعانا إلى نشر الدين في كل مكان ليظهر الله نوره ولو كره الكافرون وقال من تابعكم على ما جئت به فهو منكم ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم فإن شئت أيها الملك فاختر الإسلام وإلا فادفع الجزية التي توجب أمانكم وعلينا حمايتكم، أما إذا أبيت فالسيف بيننا وبينكم.

وهنا قام كسرى من مجلسه مرة ثانية وقال للمغيرة في غضب شديد: أتستقبلني بهذا القول وأنت عبدي.

ثم نظر إلى من حوله من جنوده وصاح: ائتوني بحمل من تراب يحمله هذان على ظهريهما حتى يخرجا من المدائن ثم قولا لصاحبكما أني سأرسل لكم رستم على رأس جيش كثيف حتى يدفنكم جميعاً في خندق القادسية ولن يرجع منكم واحد إلى أهله مدى الدهر.

ولم ينم كسرى ليلته بل ظل مضطرباً يقابل رؤساء الجند واحداً بعد واحد حتى استقر أمره على أن يكون رستم هو قائد الجيش المتجه إلى القادسية وأن يعجل بالسير وقد قال له: إن كل دقيقة تمر قبل أن يأتيني خبر اندحار العرب هي سكين تقطع أمعائي

فافعل جهدك الجاهد مضحياً بالغالي والنفيس، وقد جعلت البريد على كل فرسخ لتأتيني أنباء الانتصار السريع فالبدار البدار.

— ٣ —

خرج رستم خائر النفس متخاذل القوى، وكان معه من كبار القواد الجالنوس والهرمزان والبيرزان، وبهرام بن بهرام جوبين، وكل واحد منهم برأس جيشاً قوامه أربعون ألفاً ومعهم من الآلات الحاصدة والخيول والفيلة والرماح والسيوف ما لا يندرج تحت حصر.

وقد رأى الجالنوس ما نزل برستم من الهم الشاغل فأراد أن يزيل شجونه فقال له: أيها القائد: إن أمجادك في الحروب السابقة لا تنكر وما بلغت هذا المبلغ من القيادة العامة إلا بثقة يزدجرد في مواهبك العسكرية البالغة وقد استعرض جميع القادة من رجاله فوجدك أصلبهم عوداً، وأكبرهم حيلة ونحن معك في كل موقف أمام هؤلاء العرب الذين لم يعهدوا معارك القتال من قبل وإن رزقوا بعض النصر فيما سلف فلأمور عارضة لا تلبث أن تزول فاطرد عنك عوامل اليأس ولا تتلكأ في القتال.

فنظر إليه متحيراً ثم قال: يا جالنوس لا تستهن بعدوك ولا تقل إنهم بداة لا يعرفون أساليب القتال، فلو شهدتهم يوم «البويب» وقد تقدم قائدهم المثنى بن حارثة، فضرب الفيل بسيفه ضربة أطارت خرطومه، ففر مذعوراً ومن ورائه الفيلة وكأنها أغنام ترعى في الصحراء ولو أبصرت أخاه المعنى بن حارثة وقد وقف أمام الجسر الذي سقط في النهر يصد المهاجمين بسيفه ويضرب ذات اليمين وذات الشمال، ولا تستطيع جموعنا الغفيرة أن تسقطه من موقعه وهو كالأسد يزأر فيخيف حتى بنى الجسر وعاد إلى شأنه، ولو رأيت هؤلاء الأبطال فلن تقول أنهم بدو ولكن قل إن نبيهم قد وعدهم جنة الله في الآخرة فأهملوا الحياة الدنيا من حسابهم. وتقدموا يطلبون الموت فوهبت لهم الحياة!

وفي أثناء هذا الحديث تعالى صراخ مرتفع، فظن رستم أن هجوماً إسلامياً قد وقع، ولكنه فوجيء بجموع كثيرة من تجار العجم وأصحاب الدور والمصانع في القرى يصرخون ويستغيثون من جنود الفرس الذين هجموا على الدور والمتاجر، فهتكوا الأعراض، ونهبوا الأموال، وشربوا الخمور فأضاعت عقولهم وجعلتهم يقترفون المحرمات وقد قالوا إن المسلمين الذين احتلوا الأماكن المتقابلة لم يأتوا شيئاً من المحرمات، وحفظوا الأرواح والأموال. وأعلنوا أنهم لن يقاتلوا إلا من وقف أمامهم يريد القتال، فهم أبر وأرحم من جنود فارس!

هنا صاح رستم غاضباً: هذا أول الهزيمة وسينضم القوم للمسلمين، ومعهم الحق، لأن الذين يقترفون المنكرات لا يجدون من يساعدهم على الضلال، ثم صحب قادة الجيش ونزل إلى القرى فأمر باعتقال المعتدين، وأرجع ما نهبوه مما بقي في أيديهم، ورجع حائراً لا يستقر على رأي!

قال الهرمزان. إن كسرى قد استقدم نفراً من المسلمين وناقشهم فلم يخرج بشيء لأنه

كان متكبرا ذا حده، وذا غلظة فى القول فإذا رأى رستم أن يُعيد الكرة مرة ثانية مع آخرين من هؤلاء، فقد يتيسر الأمر ونهتدى إلى حسم القتال؟

وكأن القائد كان يتمنى ذلك من أعماقه فقال للهرمزان: هَيا هَيا، تقدم وابعثْ إلى القوم بمن يرسلونه إلينا وسأكون على أحسن ما يُنتظر من الهدوء والانضباط!

وجاء الرسول إلى سعد بن أبى وقاص فرحّب بمقدمه، وأرسل ربعىّ بن عامر ليتكلم باسمه مع رستم فركبَ فرسا وحمل سيفا غمده فى لفافة من جلد أحمر وكان أكثر العرب شعرا، وله أربع ضفائر كأنهن قرون الوعول، فلما قدم إلى مجلس رستم أخذ يتوكأ على الرمح، ويّضرب بسنه فى البساط الثمين حتى قطعه أو كادَ، ورآه رستم فطلب أن يَجلس جواره، ولكنه جلس على الأرض متعمدا وركز رمحه جواره.

فقال له رستم: لماذا لا تجلس على الكرسى، فقال أنا وما تعودت، وانتظر رستم قليلا ثم سأل ربعيا، ما جاء بكم إلينا.

فقال: إنّ الله أرسل نفراً من عباده إلى نفر آخر من عباده ليُخرجوهم من ضيق الدّنيا إلى سعتها، ومن ظلم المتكبرين إلى تواضع الإسلام! فمن استجاب إلى ديننا قبلناه وكان كأحدنا ورجعنا عنه وتركنا له أرْضه، ومنْ لم يستجب قاتلناه حتى ينجز الله وعده ونحن نخيرك بين ثلاثة، أنْ تختار الإسلام فندعك، أو الجزية فنقبلها منك ونكفَ عنك على أن نكون معك على عدّوك نحميك وننصرك لأنك معاهد، أما الثالثة فالقتال، ولن نبدأ به دُون أن ننذرك.

قال رسُتم: هَذا هو ما سمعه يزدجرد من قبل فهل تعدلون عنه إلى شىء آخر؟

قال ربعىَ: هذا ما سَمعه كسرى، وما تسمعه الآن منى وإذا جاء ثالث من لدن سعد ابن أبى وقاص فلنْ تسمع سواه!

فعَبس رستم وأذن له بالخروج وهنا انفجر غاضبا ليقول لمن معه: لمْ يكن فى الناس أمُة أهون علينا من العرب، ولا أذل ولا أحقر، فما الذى بَدل الحال؟

فأجاب البيرزان. أيُها القائد! لقد تَصرّفتُ بالأمس تصَرفا كتمته عنك وأردت أن أفاجئك به إذا تم الأمر على وجهه المطلوب فقد أرسلت رسولى إلى سعد قائد القوم فقلت له إنّنا نعلم أنه لم يحملكم على غزْونا إلا ما أصابكم من الجهد والبلاء ونكد العيش. وقد رأى كسرى أن يمْنح أميركم كُسْوة وبغلا وألف درْهم وأن يمنح كل جندى من جنودكم حمْلا من التمر وثوبين وعُدة دراهم على أن يكون ذلك عادة سنوية غير مقطوعة! فماذا تقولون؟!

فضحك سعد بن أبى وقاص وقال للرسول: أن المُعْطى هو الله. وليس لكسرى ولا لأتباعه من الأمر شىء وقد شاء الله أن نَخف لهدايتكم، ولنْ نمضى عنكم حتى نحقق ما نريد!

وأخيرا لم تسفر المفاوضات عن شىء، وأصبح القتال مما لاشك فيه، وتهيأ الفريقان لموقعة القادسية ولها حديث آخر بعد حين.

بين الصحف



المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

• فى جريدة الشرق الأوسط اللندنية فى عددها الصادر فى ٢٠٠٤/٥/٣٠ كتب الأستاذ «خالد القشطيني» تحت عنوان: «سياحة السجون الإسرائيلية» فقال:

هذا كتاب طريف أصدره المواطنان الإسرائيليان: شيمون نزبار ورامى هايلبرون فى لندن: دليل مشلن للسجون الإسرائيلية. تصدر شركة مشلن لإطارات السيارات سلسلة من الكتب السياحية. وهذا الكتاب الساخر يسرق اسم السلسلة ليفضح ما تقوم به إسرائيل من انتهاكات وجرائم، وهو ككتاب سياحى يبدأ بسلسلة من الخرائط ترشد المسافر إلى أماكن السجون والمعتقلات ومحلات التعذيب فى إسرائيل مع ذكر ما فيها من مميزات. وفى المقدمة يقول الكاتبان: ربما يجد السائح أن مجرد مشاهدة السجن من الخارج غير كاف. الأفضل أن يرى ما فى داخله. ولا يمكن تحقيق ذلك بدون دخوله كسجين. كيف يمكن للسائح الأجنبى أن يقنع الشاباك بسجنه؟!.. المسألة بسيطة.. كل ما عليه هو أن يلبس ملابس فلسطينى ويظهر كعربى. وهذا يكفى لإيداعه فى السجن.

ينتقل الكتاب بعد ذلك إلى الكُتَيب الذى نشره فى إسرائيل الجندى الإسرائيلى «ليران رون» فيورده بالنص الكامل: كتبت أمس عن قوة الضمير التى أخذت تجتاح العالم. كان من اجتاحهم هذا الجندى البسيط من حرس الحدود الذين يعتبرون من أقسى الإسرائيليين فى معاملة الفلسطينيين. يعترف هذا الجندى الإجبارى بأنه لا يعرف شيئا عن السياسة ولا يعبأ بها، وكل ما كتبه فى هذا الكُتَيب بعنوان: «مرض نقطة التفتيش» يبرر قوله وهو ما يعطى شهاداته قوتها ومصداقيتها».

يروى كيف أن أخته الطبيبة النفسانية اليسارية النزعة حذرته من القسوة مع العرب، لأن ذلك سيوقعه فيما بعد بعلة عذاب الضمير التى تدمره نفسيا دون أن يشعر. نحن طبعا نعرف كيف أن إسرائيل تعتبر فى الصف الأول فى نسبة الانتحار والانهيارات العصبية والأمراض النفسية.

ولكنه لم يعبأ بنصيحتها، فيورد فى مذكراته سلسلة من الشنائع ضد أبسط المواطنين العرب، بمن فيهم شاب متخلف عقليا. يروى كيف يستأنس الجنود باصطياد العرب كما لو كانوا ضربا من الحيوانات الوحشية، ثم

ضربهم وتعذيبهم وإهانتهم حتى ينفجروا بالبكاء أمام أطفالهم.

قرأت صفحات قليلة من هذا السجل قبل أن أضع الكتاب جانباً لأسأل نفسي: أفلا يحملني ذلك لو كنت هناك، أن أشد قنبلة على بطني وأفجر نفسي بين الإسرائيليين؟!..

● وفي عموده اليومي بجريدة «الجمهورية» «خطوط فاصلة» كتب الأستاذ سمير رجب يقول:

تقول الولايات المتحدة الأمريكية إن كلاً من أفغانستان، والعراق قد أصبحتا دولتين حرتين تتمتعان بالديمقراطية التي سيشع ضوءها تدريجياً في شتى مناطق الشرق الأوسط الكبير..!!

طبعاً ما يجرى على أرض الواقع يتنافى جملة، وتفصيلاً مع «الخيال الأمريكي».. إذ يكفي أن يسقط الأفغان، والعراقيون مضرجين في دمائهم كل يوم.. وأن يزج بهم في السجون.. فضلاً عما يمارس ضدهم من تعذيب يشيب له الولدان..!

لا جدال.. أن مثل تلك التصريحات سوف تتردد كثيراً مع اقتراب موعد انعقاد قمة الدول الثماني الصناعية في جورجيا الأمريكية والتي ستبحث موضوع الشرق الأوسط الكبير الذي تزعم أمريكا بأنه كلما ارتفع عدد المحرومين من حقوقهم السياسية والاقتصادية في المنطقة الممتدة من بنجالاديش حتى موريتانيا.. زادت أحداث التطرف، والإرهاب، والجريمة الدولية، والهجرة غير الشرعية..!!

الغريب.. أنه في الوقت الذي يروجون فيه لمشروعهم.. نجدهم يعملون على فرض أسماء بعينها في العراق لشغل مناصب رئيس الجمهورية، ونائبيه، ورئيس الوزراء..!

أي ديمقراطية في ذلك.. بينما التعيينات تتم تحت ضغط، وتخويف، وإرهاب دبابات، وطائرات، وصواريخ الاحتلال..؟؟

المفروض.. أن المبادىء لاتتجزأ.. والديمقراطية لها مقوماتها، وأسسها، ومفاهيمها.. وليس مقبولاً أن يقوموا بتفصيلها حسب هواهم، وبما يتمشى مع رغباتهم، ومصالحهم.

إن ما يجرى في أفغانستان، والعراق يحمل في طياته كل عوامل فشل مشروع الشرق الأوسط الكبير.

● في جريدة «الأهرام» الصادرة في ٢٠٠٤/٦/١ كتب الأستاذ إبراهيم نافع تحت عنوان «حقائق» فقال:

ما حدث في مدينة الخبر شرق السعودية من احتجاز للرهائن وقتل بعضهم، هو جريمة مروعة، أقدم عليها وخطط لها إرهابيون لا دين لهم ولا ضمير.

وتؤكد كل القرائن أن هناك أصابع مريبة تحركهم لتنفيذ مخططات لجعل العرب والمسلمين هدفا دائما للحروب، وإطالة زمن بقاء الإرهاب جاثما على صدور بلادنا، مادامت المبررات موجودة، وتستغلها عصابات تدعي أنها تجاهد بقتلها الأطفال والنساء.. وهكذا تلتقي مصالح دعاة نظريات الحرب الدائمة مع القتلة باسم الدين، وهو منهم برىء، في مفارقة سياسية لم نشهد لها مثيلا من قبل.

فما معنى أن يتعاظم الإرهاب في بلاد الحرمين، في وقت يشهد فيه العرب حربين شرستين في فلسطين والعراق، وما معنى استهداف الأجانب وضرب المصالح الاقتصادية العربية وهي ملك للشعوب؟!.

إن الإجابة عن هذين السؤالين لا تحتاج إلى عناء كبير، فمن الواضح أن الخوارج الجدد يحاولون شغل الدول والحكومات العربية عما يجرى حولها من أحداث سوف تؤثر على حاضر ومستقبل المنطقة.

وما يجرى من أحداث إرهابية يؤكد أنه لا يوجد من هو بعيد عن هذا الخطر، ولكن، مع الأسف، هناك من اعتبروا دعوتنا لعقد مؤتمر دولي حول الإرهاب، وكأنها تلبية لحاجة مصرية، وليست من أجل منع فوضى وحروب المتطرفين في كل مكان..

● ونشرت جريدة «عقيدتي» الصادرة في ٢٠٠٤/٥/١٨ مقالاً مترجماً عن «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية تحت عنوان: «كاتب يهودي يعترف».. جاء فيه:

المسلمون حكموا فلسطين ما يزيد على الألف عام.. ظل اليهودي يحيا خلالها حياته المعتادة ومارس طقوسه الدينية بحرية ودون أن يضايقه أحد.. العبارة السابقة من مقال كتبه الدكتور «يعقوب بن شمش» وهو يهودي الديانة إسرائيلي الجنسية ويعمل في جامعة «شمال كارولينا» في الولايات المتحدة الأمريكية في مجال التاريخ.

والمقال الذي نشرته صحيفة «يديعوت أحرونوت» يعد وثيقة تاريخية أخرى على الإرهاب الصهيوني، فالرجل يقول: «إن اليهود الذين تعرضوا للتشرد في كل فترات التاريخ عرفوا الاستقرار في فلسطين فقط بعدما أصبحت تحت الحكم الإسلامي العربي، فوقتها فقط أصبح اليهودي يستطيع أن يفصح عن دينه دون خوف.. وتوقفت منذ ذلك التاريخ الهجرات اليهودية إلى خارج فلسطين، وعرف اليهودي أخيرا معنى الاستقرار، وهو نفس الوضع الذي شعر به اليهود في الأندلس إبان الحكم الإسلامي هناك.. ويضيف «بن شمش» أنه الآن وبعد أكثر من ثلاثين عاما من الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية فإنه من المخجل أن يشعر العالم كله أن اليهود لا يردون الجميل للمسلمين بمعاملة أقاربهم الفلسطينيين معاملة حسنة والحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم ومقدساتهم، كما فعل آباؤهم مع آبائنا، ولكن العكس هو ما يحدث حاليا. فعلى كل معبر من معابر الجيش الإسرائيلي سوف يجد من يمر من هناك مجموعة من الجنود المدججين بالسلاح لا هم لهم سوى إذلال الفلسطينيين الذين يشاء سوء الحظ أن يضطرهم للعبور من هذا المعبر أو ذاك، ووصلت وحشية جنود المعابر الإسرائيلية إلى حد أن بعض الكُتاب الأوروبيين وصفوا الجيش الإسرائيلي بأنه أكثر نازية من الجيش الألماني نفسه وإن كنا كيهود نناى بأنفسنا أن نفعل بالشعب الفلسطيني ما فعله النازي الألماني بالشعوب التي وقعت تحت نير احتلاله، فإننا في الوقت نفسه لا نستطيع أن ننكر أن ما يبدر من جنود إسرائيل تجاه الفلسطينيين لا يتوافق مع أقل المواثيق والعهود الإنسانية ومن المفروض ألا نفعله، فللفلسطينيين خاصة وللمسلمين عامة دَيْنٌ في رقاب كل اليهود، ويجب أن نرده إليهم ويتمثل رد هذا الدين في الخروج من أرضهم وعدم استمرار احتلالها بالقوات المسلحة.

ويضيف «بن شمش» أن هناك بعض الكُتاب اليهود المتطرفين من أمثال «بندرور يميني» و«جادي طارب» وغيرهما ممن يحاولون تشويه صورة الفلسطينيين الأبرياء وتضليل الرأي العام الإسرائيلي محاولين إبعاد فكرة كون الجيش الإسرائيلي يشبه الجيش النازي في عنفه ضد الفلسطينيين ولكن الحقيقة فإنه مهما فعل الكُتاب المتطرفون فإن الرأي العام الإسرائيلي سيفيق يوما على زيف تلك المزاعم وسيكتشف أيضا أننا الشعب اليهودي الذي تعرض للظلم من النازي الألماني نُعرض شعبا بريئا أعزل لنفس الظلم إذا لم يكن أكثر بكثير مما فعله بنا الألمان.

منْ لا يصدق أن جنودنا يعذبون الفلسطينيين - يقول بن شمش: «عليه فقط أن يتوجه إلى أقرب حاجز عسكري إسرائيلي من تلك الحواجز التي تشق القرى الفلسطينية ويشاهد بنفسه ما يتعرض له الفلسطينيون وقتها سوف يدرك الحقيقة بنفسه.. وسيدرك أيضا أن هناك أشخاصا داخل المنظومة الإعلامية الإسرائيلية يعملون على تضليل الرأي العام الإسرائيلي لحساب اليمين المتطرف الذي يحكم إسرائيل والذي لا هم له سوى توسعة المستوطنات على حساب أراضي الغير التي نحتلها بالقوة العسكرية، ويجب على الشعب الإسرائيلي أن يدرك أن هناك شعبا يعاني للغاية بسبب عمليات الجيش الإسرائيلي ويجب أن تتحرك قلوبنا حزنا وأسى على الأطفال الفلسطينيين الذين يسقطون برصاصات جنودنا.. وكل هذا بسبب الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية.

يجب أن تتوقف سلسلة الاغتيالات الإسرائيلية، ويجب أن نعود جميعا إلى الحوار السلمي ويجب أن نترك الأرض الفلسطينية ونرحب بالحوار بالكلمة وليس بالمدفع حتى نؤكد أننا إذا كنا قد تعرضنا للظلم على يد النازي الألماني فإننا لن نعرض شعبا آخر للظلم على أيدينا!!!!.



أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ
محمد الشرقاوى

افتتاح أكبر مسجد بجمهورية «قباردينا بلغاريا» الروسية

احتفل مسلمو مدينة «نالتشيك» عاصمة جمهورية «قباردينا بلغاريا» الروسية بافتتاح أكبر مسجد بالمدينة بمشاركة نحو خمسة آلاف شخص.

وقد استغرق بناء المسجد نحو العامين وتكلف ٢,٥ مليون دولار وتبلغ مساحته ألفى متر مربع ويتسع لأكثر من (١٢٠٠) مصل.

ويمثل المسلمون فى الجمهورية نحو ٦٧٪ من السكان البالغ عددهم (٧٥٧ ألف نسمة) ويبلغ عدد المساجد بها نحو (٢٨مسجدا).

ومن ناحية أخرى وافقت السلطات الروسية على طلب مجلس المفتين بموسكو لتوسعة مسجد موسكو الكبير لاستيعاب حركة المصلين المتزايدة، حيث يبلغ عدد المسلمين بموسكو نحو (٢ مليون مسلم) بينما يبلغ عدد مسلمى روسيا نحو (٢٠ مليون مسلم).

محاولة صهيونية لمنع إمام المسجد الحرام من دخول كندا

رفضت السلطات الكندية الإذعان للضغوط الصهيونية لمنع دخول الشيخ «عبدالرحمن السديسى» إمام المسجد الحرام إلى الأراضى الكندية لإلقاء عدد من المحاضرات لأبناء الجالية الإسلامية بكندا.

كان عدد من المنظمات الصهيونية من بينها «بناى بريت» و«بنى بريت» قد تقدمت بطلب للبرلمان والحكومة بكندا لمنع الشيخ السديسى من الدخول إلى البلاد بسبب خطبه المعادية للسامية.

يذكر أن الشيخ السديسى يتولى حالياً الإمامة والخطابة فى المسجد الحرام بمكة منذ تسع سنوات ويشارك فى العديد من الملتقيات الفكرية وافتتاح المساجد والمراكز الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم.

استمرار المذابح ضد مسلمى تايلاند

واصلت القوات الحكومية التايلاندية ارتكاب مذابحها ضد المسلمين بجنوب البلاد، حيث بلغ عدد ضحايا مذبحة واحدة نحو (١٣٠) مسلما فى إطار سلسلة المذابح والهجمات المتكررة على مناطق المسلمين منذ أكثر من خمسة أشهر!!

كان الجيش البوذى بتايلاند قد شن هجوماً فى نهاية شهر أبريل الماضى ضد مسجد «باتانى» بجنوب البلاد وقصفه بالصواريخ والغاز المسيل للدموع وراح فى الحادث (٣٠) مسلما تحصنوا بالمسجد!!

قال حزب «الآباء» الإسلامى بماليزيا المجاورة لتايلاند: إن المعارك التى يفتعلها الجيش التايلاندى ضد المسلمين ما هى إلا مذابح مدبرة من الحكومة التايلاندية ضد المسلمين لإجبارهم على ترك البلاد!!.

ومذابح للمسلمين فى نيجيريا

كشف القاضى «عبدالقادر أوريرى» زعيم جماعة «نصرة الإسلام» بنيجيريا عن أبعاد الجرائم والمذابح التى راح ضحيتها أكثر من ألف مسلم على مدى الثلاثة أشهر الأخيرة وبلغت هذه المذابح ذروتها فى قرية «يلوا» بولاية «بلاتو» ـ ٣٥٠ كيلومترا شرق العاصمة أبوجا ـ على أيدى ميليشيات «تاروك» المسيحية المسلحة.

أوضح «أوريرى» أن دعما غربياً تم تقديمه للميليشيات المسيحية لمهاجمة المسلمين ودعم جهود المُنصرين التى يرفضها السكان المسلمون.

.. وتتخذ هذه الميليشيات من إقدام (١٢) ولاية نيجيرية على تطبيق الشريعة الإسلامية ذريعة لارتكاب هذه المذابح؛ برغم أن المسلمين يمثلون غالبية سكان هذه الولايات ويرفضون النشاط التبشيرى فى الولايات الإسلامية.. وكانت الميليشيات المسيحية قد ارتكبت مذبحتها الأخيرة فى قرية «يلوا» وراح ضحيتها نحو (٧٠٠مسلم) ونزح الآلاف من سكان القرية بعد إحراق مساكنهم وتدمير ممتلكاتهم.

يذكر أن نيجيريا تعد من أغنى البلدان الأفريقية ويتجاوز دخلها من البترول (٣٠٠) مليار دولار سنويا.

.. ويبلغ عدد سكان نيجيريا نحو (١٢١ مليون نسمة) ويمثل المسلمون بها ٧٦٪ من السكان والمسيحيون ٢٠٪ والبقية من الوثنيين.

.. وينتمى سكان نيجيريا إلى (٢٥٠) مجموعة عرقية تتحدث (٢٠٠) لغة محلية.

الفاتيكان يرفض السماح لمسلمى أسبانيا بالصلاة بمسجد قرطبة

رفض الفاتيكان السماح لمسلمى أسبانيا بإقامة الصلاة بمسجد قرطبة الذى تحول إلى كاتدرائية بعد سقوط الحكم العربى الإسلامى بالأندلس وقال الأسقف «مايكل فريتجرالد» رئيس مجلس حوار الأديان بالفاتيكان: إن صلاة المسلمين بمسجد قرطبة تمثل قضية شائكة وعلى المسلمين القبول بالتاريخ، حيث تم تحويل المسجد إلى كاتدرائية كاثوليكية.

اتخذ «سباستيان إيبارا» رئيس حركة «مناهضة اللاتسامح» بأسبانيا موقفا معارضا لموقف الفاتيكان «رأس الكنيسة الكاثوليكية» وقال: إن قرار صلاة المسلمين فى مسجد قرطبة من اختصاص أسقف المدينة، وعلى الفاتيكان مراجعة قراره وموقفه وضرورة السماح للمسلمين بالصلاة فى مسجد كاتدرائية قرطبة.

كانت اللجنة الإسلامية بأسبانيا قد تقدمت بطلب إلى أسقف قرطبة لتخصيص مكان فى مسجد الكاتدرائية التاريخى للصلاة وقال الناطق باسم اللجنة الإسلامية الأسبانية: إن المسلمين طرحوا الحق فى الصلاة ليس انطلاقاً من فكرة استرجاع حقوقهم التاريخية وإنما انطلاقا من المساهمة فى الحوار والسلام. خاصة أن من تقدموا بالطلب مسلمون من أصل أسبانى وليسوا من المسلمين المهاجرين.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

السفير اليمنى بالقاهرة:

اليمن فى حاجة ماسة لعلماء الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير عبدالعزيز ناصر الكميم سفير جمهورية اليمن بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف مشيداً بعمق العلاقة الأخوية بين مصر واليمن داعياً المولى - عز وجل - أن يديم على الدولتين نعمة الرخاء والأمان والاطمئنان والسلام وقد شكر سعادة السفير فضيلته على حسن اللقاء وقال: إن سبب الزيارة هو تقديم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف من أخيه السيد رئيس وزراء اليمن وذلك لحضور (مؤتمر الإرشاد) الذى سيعقد باليمن فى الفترة من ٢٠ إلى ٢٤ / ٦ / ٢٠٠٤ مع خالص تحيات معالى السيد رئيس الوزراء لفضيلته والتأكيد على حضور فضيلته لأن حضوره مهم جداً لعلمه الغزير ومكانته العالية الرفيعة ولدور الأزهر العظيم أكبر مؤسسة علمية وتعليمية فى العالم أجمع، وأوضح سعادة السفير بأن اليمن فى حاجة ماسة لعلماء الأزهر الشريف فى مجال الدعوة، وقد قامت اليمن بسياسة تعليمية تتمثل فى دمج البرامج التعليمية، وتعمل اليمن على عودة المدرس المصرى والداعية المصرى والاتجاه للاقتداء بتجربة الأزهر الشريف فى مجال الدعاة والمعاهد الأزهرية التى تعمم على نطاق واسع وأن تشريف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لليمن سيكون فاتحة خير إن شاء الله تعالى، وقد شكر فضيلته سعادة السفير على الدعوة

ووعد بتلبيتها، كما وعد بتلبية كل ما تحتاجه دولة اليمن الشقيق فى المجالات العلمية والتعليمية.

الإمام الأكبر يستقبل وزير العدل الإماراتى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير محمد بن نخيرة الظاهرى وزير العدل والشئون الدينية والأوقاف بدولة الإمارات يرافقه سعادة سفير دولة الإمارات بالقاهرة ووفد على مستوى عال حيث رحب فضيلته بمعالى الوزير والوفد المرافق فى مصر وأزهرها الشريف داعياً المولى - عز وجل - أن يديم على دولة الإمارات المتحدة نعمة الأمان والاستقرار والرخاء، وحمل معالى الوزير تحيات فضيلته لسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والحكومة وشعب الإمارات متمنياً لسموه الصحة والعافية، وقال فضيلته: إن دولة الإمارات فى قلب كل مصرى والعلاقة بين سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك وسمو الشيخ زايد تمتاز بالمحبة والثقة والتعاون على البر والتقوى، كما قدم فضيلته الشكر لدولة الإمارات على ما قامت به من تبرع لبناء ٤٠٠ مسكن فى فلسطين لأبناء الشعب وهى مشاركة فعالة وصادقة، وفى هذه المناسبة ندعو الله - عز وجل - أن يمنح إخواننا فى فلسطين القوة وأن يعينهم على حل مشكلاتهم تجنباً لقتل الأبرياء وهدم المنازل، والسيد الرئيس محمد حسنى مبارك يبذل الجهد الدؤوب ويرحب بكل انسحاب من غزة بالطريقة التى لا تتعارض مع خارطة الطريق كما نتمنى أن تنسحب إسرائيل من جميع المستوطنات.

ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة وقال: إنه حضر ليبلغ تحيات إخوانه فى الإمارات للأزهر الشريف ولشيخه الجليل ولشعب مصر الشقيق، وأن سمو الشيخ زايد يحب مصر رئيساً وحكومة وشعباً وهى محبة من القلب، وقال إنه ليشرفنا أن نستقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بدولة الإمارات العربية المتحدة فى الوقت الذى يحدده فضيلته والذى يراه مناسباً وستكون هذه الزيارة محل ترحيب كبير وسرور عظيم لدولة الإمارات ونحن ننتظرها بكل الود والحب، ودولة الإمارات تقدم الدعم والعون والمساعدة للشعب الفلسطينى، وقد بلغ إجمالى ما تم جمعه من أجل هذا الدعم أكثر من مليون درهم وهى بادرة طيبة من دولة الإمارات تجاه أشقائهم فى فلسطين التى تحتاج منا جميعاً الدعم والمساعدة حتى تتحقق لهم إقامة دولتهم.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يؤكد:

الأزهر فى خدمة الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير عارف أيوب سفير الجمهورية الباكستانية بالقاهرة، رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف وشكره على هذه الزيارة الكريمة، وقال: إن مصر تكن لدولة باكستان الشقيقة كل احترام وتقدير، وعلاقة الأزهر بباكستان علاقة قوية تقوم على التعاون والأخوة الصادقة ونحن نعتبر أن كل خير يأتى لباكستان هو خير لمصر وندعو الله - سبحانه وتعالى - أن يجنب باكستان وكل الشعوب الإسلامية كل سوء، وأن يديم عليها وعلى شقيقاتها من الدول نعمة السلام والرخاء والأمان، ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذا اللقاء وأكد على أن الأزهر الشريف له فى قلوب الباكستانيين كل تقدير حيث إنه الذى يمدنا بالعلم النافع وهو الحصن الذى يحمى ويدافع عن الإسلام والدراسة فيه تمتاز بالوسطية والاعتدال بعيداً عن التعصب وتمنى السفير أن تستمر هذه العلاقة وقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لحضور الاجتماع الثامن لمجلس الأمناء للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد برئاسة رئيس الجمهورية الباكستانية الإسلامية الذى سيعقد فى التاسع من يونيو ٢٠٠٤، وقد أوضح فضيلته أن الأزهر الشريف فى خدمة الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض، والأزهر الشريف يساند التعليم فى باكستان فيرسل العلماء إلى باكستان لتعليم أبناء المسلمين وفى الوقت نفسه لدينا أعداد كبيرة من باكستان يدرسون فى الأزهر الشريف على منح دراسية وبالنسبة للدعوة لحضور هذا الاجتماع فقد أناب فضيلته الأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر للحضور.

الإمام الأكبر:

الاختلاف فيما يقبل الاجتهاد ولا يضر بمصالح الناس أمر عادى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى السيد يوسف بن علوى وزير الخارجية العمانى يرافق معاليه سعادة السفير عبدالله بن حمد سفير عمان بالقاهرة والوفد المرافق، حيث رحب فضيلته بالوفد مشيداً بعمق العلاقة بين البلدين الشقيقين داعياً لجلالة السلطان والحكومة والشعب بالخير واليمن والبركات، وأن الله قد أنعم على البلدين بالمودة القائمة بينهما وتبادل المصالح المشتركة النافعة وقد أرسل الأزهر الشريف إلى دولة عمان ١٧٨ عالماً ومدرساً، وحول الاختلاف فى بعض المسائل الشرعية أو الاختلاف فى الفكر قال فضيلته: إن الاختلاف فى الفكر أو الاختلاف فيما يقبل الاجتهاد ولا يضر بمصالح الناس هو أمر عادى ولا شىء فيه أما الخلاف أو الاختلاف فى أصل من الأصول أو فى أمر معلوم من الدين بالضرورة فهذا أمر لا نقره ولا نوافق عليه، ودائماً أؤكد على أن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله - ﷺ - ويؤدى الأركان ولا ينكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة فهو مسلم، وأزيد على ذلك ويحب أصحاب رسول الله - ﷺ -، أما مسألة التعصب الأعمى لرأى بعينه فهذا ليس من سمات المسلم، وأكد فضيلته على أن الإسلام يصون النفس الإنسانية ويدافع عنها، ويحدث الخلل حينما تفهم الأمور فهماً غير صحيح، والعلماء والحمد لله يبذلون جهداً كبيراً فى توضيح المفاهيم الإسلامية الصحيحة.

ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلته على حسن اللقاء والوقت الذى سمح به فضيلته لهذا اللقاء المثمر مشيداً بدور الأزهر الشريف ووصفه بأنه زهرة الإسلام برسالته الخالدة.

الإمام الأكبر يستقبل سفير أوزباكستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير الدكتور صالح إنعاموف سفير أوزباكستان بالقاهرة والسيد أحمد أعظم رئيس القناة الأولى بتليفزيون أوزباكستان وعضو البرلمان، وقدم السفير شكر وتحيات الرئيس إسلام كريم وحكومته وشعبه لمصر وأزهرها الشريف، وقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف من أخيه رئيس الوزراء ووزير الخارجية لزيارة أوزباكستان فى الوقت الذى يراه ويناسب فضيلته، لأن فضيلته علم من أعلام الإسلام ولديه كلمة مسموعة فى العالم الإسلامى، وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير على هذه الزيارة وحمله تحياته وشكره للسيد رئيس الجمهورية والحكومة وشعب أوزباكستان ووعد بتلبية الدعوة فى الوقت المناسب وتمنى لدولة أوزباكستان الأمان والرخاء والاستقرار، كما أشاد فضيلته بالطلبة الذين يدرسون فى مصر على منح الأزهر الشريف وعددهم ٤٤ طالباً حيث إنهم مجدون فى دراستهم وفى تحصيل العلوم والمعارف حتى يعودوا لبلادهم ليساهموا فى نشر الثقافة الإسلامية فى بلادهم وهذا ليس بغريب على دولة أوزباكستان حيث خرج منها علماء ساهموا إسهاماً عظيماً فى الحضارة الإسلامية.

وقد أشاد السفير بالعلاقات الطيبة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة أوزباكستان، وأن الأزهر الشريف يقف إلى جانب المسلمين ويعلمهم أمور دينهم الحنيف وأنه يكن لمصر بلد الأزهر الشريف كل تقدير واحترام، وقال: إنه يعكف على دراسة اللغة العربية التى تؤدى إلى تعلم الإسلام وفهمه الفهم الصحيح، وطلب السفير من فضيلة الإمام الأكبر زيادة أعداد الطلبة الذين يدرسون فى الأزهر لأننا نعتز بدوره الريادى فى العالم الإسلامى وفى نهاية اللقاء وعد فضيلته بتلبية طلباته وتلبية الدعوة فى الوقت المناسب.

وزير التربية والتعليم الصومالي:

الأزهر هو المرجعية الدينية لتدريس العلوم بوسطية واعتدال

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الدكتور الوزير على حاش محمد سهل وزير التربية والتعليم بجمهورية الصومال يرافقه السيد عبدالقادر معلم إبراهيم مدير المناهج بوزارة التربية والتعليم ومدير معاهد المأمون ومندوب معهد فتح الرحمن، حيث رحب فضيلته بالضيفين فى الأزهر الشريف مشيداً بعمق العلاقات الطيبة بين البلدين، ونحن نتعاون على البر والتقوى، والأزهر يرسل العلماء ليقوموا بالتدريس لأبناء الصومال والبعثة الأزهرية قوامها ٢٦ عالماً ومدرساً يقومون بتدريس المناهج الأزهرية لأبناء الصومال، وفى الأزهر الشريف طلاب من الصومال يدرسون بالمعاهد والكليات الأزهرية، والأزهر لا يدخر وسعاً فى تقديم العون والمساعدة فى المجالات العلمية والتعليمية والثقافية.

ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلته على حسن الاستقبال موضحاً بأن وفد الصومال شارك فى المؤتمر الخاص بالتربية والتعليم فى القاهرة، وأن زيارته للأزهر الشريف لتدعيم العلاقات ولتقديم الشكر لما يبذله الأزهر الشريف تجاه الطلبة والعلماء، مشيرا إلى أن الأزهر الشريف هو المرجعية الدينية لتدريس العلوم بوسطية واعتدال، وطلب زيادة عدد المنح الدراسية لطلاب معهدى المأمون وفتح الرحمن وتوفير الكتب المقررة والمناهج الدراسية الأزهرية للاستعانة بها فى معاهد الصومال الأزهرية، كما طلب تمثيل العلماء وحضورهم فى الدورات التدريبية التى يقيمها الأزهر الشريف لعلماء العالم الإسلامى كل ثلاثة أشهر، وقد رحب فضيلته بهذه الطلبات ووعد بتلبيتها خدمة لأبناء الصومال.

رئيس الجامعة الوطنية بكازاخستان:

الأزهر الشريف وشيخه يحتلون مكاناً عالياً فى قلوب الكازاخستانيين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور طوق محمد صديقوف رئيس الجامعة الوطنية (أباى) بكازاخستان يرافقه سعادة السفير بغداد آمريبف سفير كازاخستان بالقاهرة والوفد المرافق وقد رحب فضيلته بالوفد مشيداً بعمق العلاقة بين مصر رئيساً وحكومة وشعباً، والأزهر الشريف يكن كل محبة وتقدير لكازاخستان ودائماً التعاون بيننا قائم، وقد أرسل الأزهر الشريف ثلاثة من علمائه للتعاون فى إنجاز العمل التنظيمى لنصر السلام، والطلبة الذين يدرسون بالأزهر الشريف من دولة كازاخستان يتلقون علومهم بكل جد ومثابرة وهم مثل يحتذى بهم.

ومن جانبه شكر الدكتور طوق محمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما يقدمه الأزهر لأبناء المسلمين، وقال: إن الأزهر الشريف وشيخه يحتلون مكاناً عالياً فى قلوب الكازاخستانيين جميعاً. وقال: إنه جاء لنقل تحيات فخامة رئيس كازاخستان وتحيات رئيس البرلمان وشكرهما على المشاركة الفعالة فى المؤتمر الأول وخطاب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى هذا المؤتمر الذى ترك انطباعاً إيجابياً لا ينسى، والكازاخستانيين يقدرون دور الأزهر وشيخه الجليل، وكم كنا نتمنى أن تطول زيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حتى يمكن زيارة وتفقد العديد من الأماكن الهامة فى الجنوب وخاصة جامعة نور مبارك، وأكد على أن دعوة فضيلته جاهزة لزيارة كازاخستان مرة ثانية فى الوقت الذى يراه فضيلته مناسباً.

الإمام الأكبر:

نحن ضد العدوان سواء صدر من مسلم أم من غير مسلم

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد الصحفيين والإعلاميين بدول الكومنولث والدول الإسلامية المستقلة وذلك فى إطار التعاون الذى ينظمه معهد الأهرام الإقليمى للصحافة بالمشاركة مع صندوق التعاون الفنى لدول الكومنولث المستقلة حديثا بوزارة الخارجية.

رحب فضيلته بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف وقدم شرحاً مبسطاً عن دور الأزهر الشريف التعليمى فى مراحله المختلفة وحتى الانتهاء من المرحلة الجامعية، وقال: إن الأزهر الشريف يستقبل الطلاب والطالبات من أكثر من مائة دولة يتلقون التعليم الدينى فى الأزهر الشريف فى المعاهد الأزهرية التى تزيد على ستة آلاف معهد والكليات النظرية والعلمية التى تزيد على ثمانين كلية وأجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم وكانت حول دور المسجد ورسالته موضحاً بأنه مكان للعبادة ويعلم الناس أحكام دينهم ويرشدهم إلى الحلال والحرام وتقام فيه الجمع والجماعات والمحاضرات.

وحول سؤال حول من يفجرون أنفسهم، قال فضيلته: إن من يقوم بتفجير نفسه فى العدو الذى جاء ليقتله ويهدم عليه بيته ويخرب أرضه فهذا دفاع عن النفس، ومن يفجر نفسه فى الآمنين فهو عمل محرم فى الإسلام سواء أكان مسلماً أم غير مسلم لأن من يفجر نفسه فى الآمنين من الأطفال والنساء والشيوخ فهو عمل إرهابى سواء صدر من مسلم أو مسيحى أو يهودى أو من غيرهم، وقال: إن التدين فى مصر موجود منذ آلاف السنين ومصر تحترم الدين لأنها تحترم وتنفذ تعاليم الإسلام، ودور الأزهر الشريف هو إظهار الصورة الحقيقية للإسلام لأن الدراسة فيه تقوم على الوسطية

والاعتدال ودراسة جميع المذاهب الفقهية، والأزهر يستقبل أبناء المسلمين من كل مكان من العالم وتنفق الملايين من ميزانيتها على الطلاب والطالبات الذين يحضرون للتعلم بالأزهر الشريف، كما أنه يرسل العلماء إلى معظم دول العالم وفى المراكز الإسلامية فى كثير من الدول لشرح تعاليم الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وسياسة الأزهر تعليمية وتوضيحية، ونحن فى مصر دولة مؤسسات وكل مؤسسة لها تخصصها فالمسائل الدينية من اختصاص الأزهر الشريف والمؤسسات الدينية فى مصر هى: الأزهر الشريف وجامعته ووزارة الأوقاف، ودار الإفتاء المصرية، والمسائل السياسية تخص وزارة الخارجية، والمسائل الزراعية تختص بها وزارة الزراعة وكل مؤسسة تتعاون مع الأخرى لمصلحة الوطن.

وقال فضيلته: إن كل إنسان يعيش فى دولة معينة يجب أن يحترم قوانينها، فكما أننى فى مصر لا أسمح لغيرى أن يتدخل فى قانون بلدى، فأيضاً بالمقابل لا أسمح لنفسى أن أتدخل فى قوانين الآخرين وهذا ما ترتضيه العقول الإنسانية السليمة، ونحن نقول: إن من يمد يده إلينا بالسلام نمد له أيدينا بالسلام، ونبين أن الأديان السماوية كلها تأمر بالتعاون وبالعدل وبالرحمة وبمساعدة المظلوم، ونحن نتعامل مع الآخرين بكل أدب فإما أن نعلمهم أو نتعلم منهم، وفى النواحى الدينية لا نفرض رأينا على أحد، ولكننا فى الوقت نفسه نبين أحكام الإسلام وآدابه وشريعته بكل موضوعية، ونقف ضد أى عدوان سواء صدر من مسلم أم من غير مسلم ونقف مع المظلوم سواء أكان مسلماً أم غير مسلم ونقول كلمة الحق لنصرة المظلوم ولمحاربة الظالم، فنحن ضد العنصرية، ونحن ندعو الله دائماً أن يعم السلام وأن ينتشر الأمن والأمان وأن يكثر عدد العقلاء فى العلم ويقل عدد السفهاء.

وفى نهاية اللقاء شكر الوفد شيخ الأزهر الشريف على هذه الإجابات المفيدة التى تعرف من خلالها على كثير من المعلومات عن الأزهر الشريف الذى يؤدى رسالته منذ أكثر من ألف عام حتى الآن وهو المركز الإسلامى العريق الذى يقدم رسالته السامية لكل العالم.

الإمام الأكبر يتفقد العمل بلجان الامتحانات بالأزهر الشريف

تفقد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لجان امتحانات الشهادات الأزهرية وقد تأكد فضيلته من أن الامتحان جاء من المقرر واطمأن على سير أعمال الامتحانات واستقرار اللجان وأكد على توفير الجو الصحى والنفسى المناسب حتى يؤدى الطلبة والطالبات الامتحان فى جو هادىء، وعدد اللجان هذا العام للشهادات الإعدادية والثانوية والقراءات ١٢٤٨ لجنة، وعدد الطلاب والطالبات الذين تقدموا للامتحان هذا العام ٢٠٠ ألف طالب وطالبة فى الشهادات الأزهرية.

ترقيات


عمر الديب

اصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر القرار رقم (٤٦٩) لسنة ٢٠٠٤ والمتضمن:

الموافقة على قيام فضيلة الشيخ / عمر الديب محمد محمود وكيل قطاع المعاهد لشئون التعليم ورئيس لجنة النظام والمراقبة للشهادة الثانوية الأزهرية للعام الدراسى الحالى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ بعمل وظيفة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية بصفة مؤقتة ولصالح العمل ولحين شغلها بصفة أصلية ممن توافر فيه شروط شغلها طبقا لأحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية.

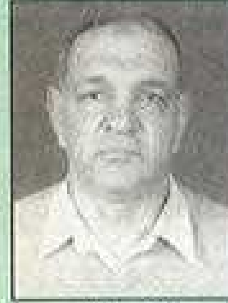
ويسند إلى فضيلة الشيخ / عبدالفتاح على محمد علام مدير عام شئون القرآن بقطاع المعاهد الأزهرية القيام بعمل رئاسة لجنة النظام والمراقبة للشهادة الثانوية الأزهرية للعام الدراسى الحالى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ بدلا من فضيلة الشيخ عمر الديب محمد محمود.


عبدالله المقدم

اصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر القرار رقم (٤٣٩) لسنة ٢٠٠٤، ونص على:

المـادة الأولـى

اعتبارا من تاريخ صدور هذا القرار يعين فى الوظائف القيادية الموضحة قرين اسم كل منهم بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى بلوغ السن القانونية المقرر لترك الخدمة أيهما أقرب وذلك لكل من السادة:


فوزى زيدان

عبدالله محمد عطيه المقدم مدير عام الادارة العامة للتنظيم والادارة.
على حسينى إبراهيم أبوخطاب مدير عام مركز المعلومات والتوثيق.
فوزى عبدالسميع محمد زيدان مدير عام شئون الطلاب الوافدين.
عادل رفاعى على خفاجة مدير عام المجلة.
زكريا اسماعيل السيد إسماعيل مدير عام التوجيه الفنى للتعليم الثانوى.
عزت عبدالرحمن الإمام عيسى مدير عام منطقة الدعوة والإعلام الدينى بالجيزة.
إبراهيم إبراهيم عبده إبراهيم مدير عام منطقة الدعوة والإعلام الدينى بالشرقية.
سعيد عبدالصمد سعد الأبشيهى وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بكفر الشيخ.
حافظ محمد حافظ سليمان وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بأسوان.
أنور عبدالسميع أنور شحاتة مدير عام منطقة الدعوة والإعلام الدينى بالاسماعيلية.
أنور إمام محمد عبدالحليم مدير عام منطقة الدعوة والإعلام الدينى بأسوان.
عبدالرؤوف على رفاعى شيخ معهد قنا الثانوى الأزهرى.


زكريا إسماعيل

المـــادة الثانيـــة


عبدالعزيز السماك


محمد فهمى سند

اعتبارا من تاريخ صدور هذا القرار يعين بطريق النقل السادة الآتية أسماؤهم بعد إلى الوظائف القيادية الموضحة قرين اسم كل منهم بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى بلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما اقرب :

عبداللاه عكاشة إبراهيم اسماعيل مدير عام الإدارة العامة للتحقيقات .

مجدى حسن الانور خليل مدير عام الإدارة العامة للاعلام .

عبدالعزيز صادق محمد السماك مدير عام التعليم النوعى .

عبدالفتاح على محمد علام مدير عام شئون القرآن .

محمد فهمى سند جلهوم مدير عام شئون المناطق .

محمد عبدالوهاب أحمد إبراهيم مدير عام المعامل والوسائل التعليمية .

عبدالله أحمد مسعد العتيلى مدير عام الإدارة العامة للرعاية الاجتماعية .

إكرام كامل حسن حسنين مدير عام الادارة العامة للتغذية .

حسانين أحمد حسانين معتوق وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدينية والعربية بسوهاج .

مختار محمد الراوى محمد أبوبكر وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بالمنيا .

أبو العزم محمود عبدالحميد وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدنية والعربية بالفيوم .

فهمى محمد حسن حته وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدينية والعربية بدمياط .

محمد عبدالمجيد سالم الفقى وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدينية والعربية بالغربية .

السيدإسماعيل سيد أحمد شهاب مدير عام منطقة دعوة وإعلام دينى بالغربية .

محمد محمد محمد حسنين حجازى شيخ معهد القاهرة الثانوى بنين .

صديق عبدالحميد أحمد شيخ معهد سوهاج الثانوى .

عبدالوهاب محمد عطا القط شيخ معهد دمنهور الثانوى بنين .

محمد سيد محمد حسن وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب بالقاهرة .

محمد إبراهيم محمد يوسف وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب بالإسكندرية .

محمد عبداللطيف محمد سكران وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب بكفر الشيخ .

جمال عوض سيد عوض وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب بسوهاج .

محمد مصطفى حسانين عبدالغفار وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب بالمنوفية .

محمد عبدالمنعم محمد عبدالمنعم وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب بالقليوبية .

محمد محمد محمد الطنطاوى وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب بالدقهلية .

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

مجـــرد ســـؤال

أخيراً اعترف صرب البوسنة بمسئوليتهم عن مقتل أكثر من ثمانية آلاف مسلم من مذبحة سربر نيتشا قبل نحو تسع سنوات مضت .

ولكن ما هى الفائدة التى ستعود على مسلمى البوسنة والهرسك من جراء هذا الاعتراف ؟ وما هو العقاب الذى سيناله القتلة ؟

الجواب : لن يستفيد مسلمو البوسنة شيئاً على الإطلاق ، ولن ينال القتلة أى عقاب ! ولماذا ؟

لأن القتلى مسلمون ، والنظام العالمى الجديد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية أعلن الحرب على الإسلام وعلى المسلمين ، وبالتالى فلن يطالب أحد بمعاقبة القتلة ، بل وربما أظهروا القتلى بمظهر الجناة كأن يقال مثلا : إنهم ارهابيون ينبغى قتلهم .

ولكن السؤال الملح هو : إذا كان وحوش الصرب بأسلحتهم المتخلفة قياسا لما تملكه الولايات المتحدة الأمريكية قد قتلوا فى مدينة سربرنيتشا وحدها ثمانية آلاف ، فكم سقط من العراقيين بفعل القصف الوحشى والهمجى الذى مورس ضدهم من قبل القوات الأمريكية فى كل العراق من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها ؟

الولايات المتحدة رفضت الإعلان عن عدد ضحايا الحرب من المدنيين ، ولم ولن تسمح لأى جهة بإجراء دراسة عن


أحدث ضحية لجيش الاحتلال الأمريكي في العراق والصورة لا تحتاج إلى تعليق!!

هذا الموضوع، وأحاطته بكل سرية.

صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية نقلت على لسان مسئولين كبار في الجيش والمخابرات الأمريكية قولهم: إن القوات الأمريكية وجهت ضربات أكبر بكثير وعلى نطاق أوسع مما أعلن عنه في بداية الحرب إلى مخابىء، وأماكن إقامة مسئولين عراقيين، وإن جميع هذه الغارات فشلت تماما في تحقيق أي من أغراضها وأسفرت فقط عن إراقة دماء مدنيين أبرياء.

الولايات المتحدة هدمت مدينة الفالوجة على سكانها بحثا عن مطلوبين يُزعم أنهم وراء مقتل أربعة أمريكيين، فهل من حق أحد، أي أحد أن يطالب برد فعل مساو إزاء أي جريمة قتل ترتكب بحق مسلم واحد؟!

إنه مجرد سؤال

وإلى رسائل القراء

القـــدوة الحســـنة

تحت هذا العنوان كانت كلمة القارئ عبدالتواب أمين ـ السنبلاوين ـ دقهلية قال فيها:

قال ابن أبي سلمة ـ عمر ربيب رسول الله ﷺ، وابن أم سلمة أم المؤمنين ـ قلت لأبي سعيد الخدري:

ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم؟ فقال: يا ابن أخي، كل لله، وأشرب لله، والبس لله، وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف، وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله ﷺ في بيته، كان يحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خدامه، ويشترى الشيء من السوق.. ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده، يصافح الغني والفقير، ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير أو كبير، يجيب إذا دعي، ولا يحقر ما دعي إليه، لين الخلق، جميل المعاشرة، طليق الوجه، شديد في غير عنف، متواضع في غير مذلة، جواد من غير سرف، رقيق القلب.

زادت عائشة ـ رضي الله عنها: «وإنه ﷺ لم يمتلىء قط شبعا، ولم يبث إلى أحد شكوى، وإن كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار والغنى».

فمن طلب التواضع فليقتد به، ومن لم يرض لنفسه بذلك فما أشد جهله، فلقد كان أعظم خلق الله منصبا في الدين والدنيا، فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء به.

إن مـن البيـــان لســحرا

ويقدم القارئ أشرف على من الإسماعيلية قصة «مثل» بعنوان «إن من البيان لسحرا» حيث قال:

ذخر الحديث النبوي الشريف بالعديد من العبارات التي صار يضرب بها الأمثال ومن ذلك قول النبي ﷺ: «إن من البيان لسحرا» وقاله ﷺ حين وفد عليه عمرو بن الأهتم، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، فسأل النبي ﷺ عمرا: من الزبرقان، فقال عمرو:

مطاع في أدنيه، شديد العارضة، مانع لما وراء ظهره.

فقال الزبرقان : يا رسول الله، إنه ليعلم فيّ أكثر من هذا لكنه حسدني.

فقال عمرو : أما والله إنه لزمر المروءة، ضيق العطن، أحمق الوالد، لئيم الخال. والله يا رسول الله ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الأخرى، ولكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلت أقبح ما وجدت.

فقال عليه الصلاة والسلام : «إن من البيان لسحرا .....».

يقول أبو الفضل الميداني : يعنى أن بعض البيان يعمل عمل السحر، ومعنى السحر : إظهار الباطل في صورة الحق. والبيان : اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن....

الشباب

ويرسل القارئ عادل عمرو من البحيرة بجملة مقتطفات جمعها من كتب التراث تخيرنا منها هذه الفقرات:

قالت العرب : عليكم بمشورة الشباب، فإنهم ينتجون رأيا لم ينله طول القدم، ولا استولت عليه رطوبة الهرم.

وقد قال الشاعر :

رأيت العقل لم يكن انتهابا
ولم يُقسم على عدد السنينا
ولو أن السنين تقاسمته
حوى الآباء أنصبة البنينا

وحكى الأصمعي - رحمه الله - قال : قلت لغلام حدث (صغير السن) من أولاد العرب كان يحادثني، فأمتعني بفصاحة وملاحة : أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق؟.

قال : لا والله. قلت : ولم؟ قال : أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تذهب بمالي، ويبقى عليّ حمقي.

فانظر إلى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه، واستنبط بجودة قريحته ما لعله يدق على من هو أكبر منه سنا وأكثر تجربة.

وأحسن من هذا الذكاء والفطنة، ما حكى ابن قتيبة : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مر بصبيان يلعبون، وفيهم عبدالله بن الزبير - رضي الله عنهما - فهربوا منه إلا عبد الله، فقال عمر - رضي الله عنه - : مالك، لم لم تهرب مع أصحابك؟.

فقال : يا أمير المؤمنين، لم أكن على ريبة فأخافك، ولم يكن الطريق ضيقا فأوسع لك.

فانظر ما تضمنه هذا الجواب من الفطنة، وقوة المُنة، وحسن البديهة، كيف نفى عنه اللوم، وأثبت له الحجة، فليس للذكاء غاية، ولا لجودة القريحة نهاية.

سُبل النجاة من النار والفوز بالجنة

أما الأستاذ / محمد عباس محمد عرابي فيقول:

بين الإمام ابن القيم - رحمه الله - أن النجاة من النار والفوز بالجنة لا يكون إلا بأمرين:

الأول :- التوبة مما مضى من إهدار الأوقات وإضاعة الأعمار.

الثاني :- الإصلاح فيما يستقبل وذلك بفعل المأمور وترك المحظور، فاقرأ - رحمك الله - هذه الوصية النافعة والنصيحة الجامعة، وأحكم بعد ذلك أمرك، وابدأ الآن في تطبيقها، ولا تتردد أو تسوف، والله يوفقك إلى كل خير. قال ابن القيم «رحمه الله» :- «هلم إلى الدخول على الله ومجاورته في دار السلام، بلا نصب ولا تعب ولا عناء، بل من أقرب الطرق وأسهلها، وذلك أنك في وقت بين وقتين، وهو في الحقيقة عمرك، وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل.

فالذي مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب، ولا معاناة عمل شاق، وإنما هو عمل قلب.

وتمتنع فيما يستقبل عن الذنوب، وامتناعك ترك وراحة، ليس هو عملا بالجوارح يشق عليك معاناته، وإنما هو عزم ونية جازمة تريح بدنك وقلبك وسرك.

فما مضى تصلحه بالتوبة، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية، وليس في هذين نصب ولا تعب.

ولكن الشأن في عمرك، وهو وقتك الذي بين الوقتين، فإن أضعته، أضعت سعادتك ونجاحك، وإن حفظته مع إصلاح الوقتين اللذين قبله وبعده بما ذكر نجوت وفزت بالراحة واللذة والنعيم وحفظه أشق من إصلاح ما قبله وما بعده، فإن حفظه أن تلزم نفسك بما هو أولى بها وأنفع لها وأعظم تحصيلا لسعادتها، وفي هذا تفاوت الناس أعظم تفاوت.

فهي والله أيامك الخالية التي تجمع فيها الزاد لمعادك، إما إلى الجنة وإما إلى النار، فإن اتخذت إليها سبيلا إلى ربك، بلغت السعادة العظمى والفوز الأكبر في هذه المدة اليسيرة التي لا نسبة لها إلى الأبد، وإن آثرت الشهوات والراحات واللهو واللعب، انقضت عنك بسرعة، وأعقبتك الألم العظيم الدائم، الذي مقاساته ومعاناته أشق وأصعب وأدوم من معاناة الصبر عن محارم الله والصبر على طاعته، ومخالفة الهوى لأجله.

من القراء

الفهرست

كتب القارىء أحمد عبدالحميد من الإسكندرية كلمة عن كتاب «الفهرست» لابن النديم قال فيها:

إن كتاب الفهرست ذخيرة لا تقدر، غرضه أن يحصى جميع الكتب العربية المنقولة من الأمم المختلفة والمؤلفة في جميع أنواع العلوم ويصفها ويبين مترجميها أو مؤلفيها، ويذكر طرفا من تاريخ حياتهم، ويعين تاريخ وفاتهم، فكان الكتاب على هذا النمط أجمع كتاب لأحصاء ما ألف الناس إلى آخر القرن الرابع الهجرى وأشمل وثيقة تبين ما وصل إليه المسلمون في حياتهم العقلية والعلمية في ذلك العصر وأكثر هذه الكتب التي وصفها قد ضاعت بتوالي النكبات المختلفة على المملكة الإسلامية ولاسيما في غزو التتار لبغداد، ولولا كتاب الفهرست لضاعت أسماؤها وأوصافها أيضا كما ضاعت معالمها.

والنظار في كتاب الفهرست يعجب لهذا النشاط العلمي الذى كان في العصر العباسي وكثرة المؤلفين والمترجمين في جميع نواحي العلم كما يعجب بسعة اطلاع ابن النديم وحبه للوقوف على كل شيء حتى في أدق مسائل الأديان المختلفة والمذاهب المتنوعة، يفصل مذهب ماني ومزدك، كما يفصل مذهب أبي حنيفة والشافعي، ويستقصي البحث عن أحوال الصين والهند، كما يستقصي البحث عن الشام والعراق وهو في كل ذلك يقابل أصحاب النحل المختلفة ويسائلهم ويدقق في أخبارهم ثم يدون ما سمع.

لذلك كان الكتاب ـ بحق ـ مرجع كل باحث من مسلمين ومستشرقين.

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق في اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

for others to benefit from. As a result, the Muslim Nation is now suffering deterioration. Has the time not come to regain our conscience and realize that giving great care to education and spreading useful knowledge should take the precedence among the list of demands?

In his speech about the virtues of scholars, Ibnul-Qayyim says, "They are on earth the same as stars in the sky. This is because, through them the confused may be guided. In addition, people's need for them is greater than their need for food and drink, and obeying them is more incumbent than obeying parents, according to the Qur'an. Allah, Exalted and Glorified be He, says:

﴿O you who have believed, obey Allah and obey the Messenger, and the ones endowed with the Command among you.﴾ [An-Nisa' (Women): 59]

Commenting on this verse, Ibn `Abbas (may Allah be pleased with him) said that the phrase 'the ones endowed with the Command among you' refers to the men of knowledge.

Man should apply what he has acquired of knowledge, for knowledge will fade away if not practiced. It is reported that `Ali Ibn Abu Talib, the 4th Rightly-Guided Caliph, said, "Better than words is the one who acts; better than right is the one who says it, and better than knowledge is the one who disseminates it."

Almighty Allah, addressing His Messenger, says:

﴿And say, "Lord, Increase me in knowledge."﴾ [Ta-Ha: 114]

The best thing to conclude our speech with is the invocation used to be uttered by the Messenger of Allah; he says:

"O Allah! Make us benefit from what You has taught us, and let us learn what may benefit us, and increase us in knowledge. All praise be to Allah."

Second: The Economic War

Many people may think that the economical war is known only in the modern ages and with the civilizational progress. This is not true. Let us move back in time to see how people in old ages, whether in Mecca or Medina, used to view the economic war. In addition to the psychological weapon, the disbelievers of Mecca used another effective weapon; namely, the economic war. When their means of convincing the family of the Prophet to hand him over to them failed, they resorted to boycott and broke every kind of relations with them. They did so as a means of exercising pressure on the people of the Prophet to make them let him down and surrender him to his enemies to kill him. In this regard, Allah, Exalted and Glorified be He, says:

❬They are the ones who say, "Do not expend on the ones who are in the presence of the Messenger of Allah until they break away"; and to Allah belong the treasuries of the heavens and the earth, but the hypocrites do not comprehend.❭ [Al-Munafiqun (The Hypocrites): 7]

Third: The Military War

The psychological and economic wars did not achieve the spiteful aims of the disbelievers. We can say the same with regard to the military wars that have started against the Muslims since the coming of the Prophet until now. There are so many incidents that can be mentioned in this context. However, such attempts have not achieved their aims of uprooting Islam.

Indeed, those enemies were able to harm Muslims as individuals and societies, but they could not harm Islam itself and they will never be able to, for Islam is protected by Allah till the Day of Judgment.

الأزهر

*Islam and Knowledge

By: The Dignified Sheikh Ibrahim `Ata Al-Fioumy

The first thing called for by Islam was Knowledge. This can be substantiated by the fact that the first Qur'anic verse revealed to Allah's Messenger involves a command to 'read'; Allah, Exalted and Glorified be He, says:

❬Read: In the Name of your Lord Who created. Created man from clots. Read: And your Lord is The Most Honorable Who taught by the pen, He taught man what he did not know.❭

[Al-`Alaq (The Clot): 1-5]

Knowledge raises man's degree; hence, the Qur'anic verses praising men of knowledge and scholars follow; Allah, Glorified be He, says:

❬Allah will raise in degrees the ones of you who have believed and the ones to whom knowledge has been brought.❭

[Al-Mujadalah (The Dispute):11]

Every one knows that Islam has started by calling people to learn the religious sciences and to seek knowledge in all the affairs of life, including war, politics, economy and sociology. Then Muslims' attention began to extend to the rest of the other fields; that is, the age of translation was followed by the age of writing in every field of knowledge. Consequently, Islam awaked minds and got them out from the darkness of ignorance to the light of knowledge; moreover, it opened the doors wide open for thinking and encouraged people to search and discover. Therefore, the Islamic knowledge symbolized a motive for the Western Renaissance and a factor of its evolution and progress. Unfortunately, Muslims have stopped at that point and neglected what they have achieved and left it

*An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

*The Present Resembles the Past
By: Dr. Abdul-Halim Hifny

By the present, I mean the false campaign according to which Islam's enemies dare to depict Islam as a call for terrorism and that it is the source of violence and bloodshed. So those enemies continue, day and night, to advise each other that there is no way before the world to get rid of its afflictions except through eliminating that religion, Islam. By the past, I mean the malicious attack launched by the enemies of Islam at the time of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him). They prepared all that they could to uproot Islam. This is a broad subject that needs an independent research, but I will summaries the most important measures and methods they resorted to. First of all, we should be aware that war experts does not recognize war as of one kind; they affirm that the military war does not represent but one kind of the so many kinds of wars. Moreover, the military war is not the most dangerous kind of wars, as there are other kinds that exceed it in danger. In addition, the military war is not called a comprehensive war but it is only one aspect of war. That is, the comprehensive war involves three elements and they are as follows:

First: The Psychological War

It is the most dangerous and effective among the kinds of war if utilized well. Its aim is to make the enemy doubt its power, the legality of its stance, its ability to resist. After that, it takes another step; namely, to convince it that the other party is the one that has the right and that it will inevitably win the war. It is known that the psychological war was the means used by the Tartars to invade the Islamic

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

Caliphate. It was also the same method followed by Hitler through which he was able to sweep away most of the European countries in the Modern Age.

Since the emergence of Islam, the psychological war began to practice its influence over it. That war was more dangerous and powerful than what could be imagined. For example, when we listen to the stories of torturing the slaves and the week when they embrace Islam, we should put ourselves in their place to be able to imagine even some of the severe torment, both physically and psychologically, they were afflicted with. This is nothing but an example of the psychological wars launched against Muslims. The disbelievers did not feel satisfied by just tormenting the week and the slaves but they would direct their psychological war to the Prophet himself. Their most harmful psychological weapon was mocking him. This can be witnessed in the statement of Allah, Exalted and Glorified be He, in which He says:

﴾And when they see you, they decidedly take you to themselves for nothing except in mockery, "Is this he whom Allah has sent forth as a Messenger?"﴿

[Al-Furqan (The Criterion): 41]

Can we imagine how much depressed is the spirit of the one who listens, day and night, to the mockery of people? When seeing the Prophet, the disbelievers would call him 'the insane' or 'the magician.' That mockery continued for about thirteen years.

All sociopsychological scientists agree that mockery is the most powerful weapon that can change customs and traditions. Moreover, they agree that its effect is more powerful than that of both religion and law. Hence, we can realize how firm the early Muslims were against the continuous mockery of the disbelievers.

exercise their activities being encouraged by the occupation forces. Such movements were aiming at spreading dissension openly among the youth, including students as well as those of tender minds not knowing the truth behind what was being said. Upon witnessing that, Sheikh Al-Labaan, along with his colleagues, rose to found a religious association, which he called *'Guiding to the Right Path Association.'*

Sheikh Al-Labaan's house at Alexandria became a center for the political struggle, and the movement extended from Alexandria to the neighboring areas. Moreover, the messengers were moving to and from Alexandria; that is, Sheikh Al-Labaan was contacting his partners in struggle, including Mahmoud Abul-`Uyoon, Ali Sorour Az-Zankalouni, Moustafa Al-Qayati and Muhammad Abdul-Latif Diraz. Such persons had lighted the revolution in Cairo from Al-Azhar. Sheikh Al-Labaan's efforts were very threatening to the degree that the occupation forces arrested him on the same day in which the Leader of Nation, Sa`d Zaghloul, was arrested, on 9/3/1919.

Sheikh Abdul-Majeed had a very prominent stance about which *Ustaz* At-Tamawi wrote saying, "A clash took place between a group of Armenians and a group of Egyptians at Alexandria in 1919. The Armenians (being instigated by the ruling authority to cause dissension among sects so that it could practice aggressive suppression under the pretext of restoring peace and security) assaulted the Egyptians. Nevertheless, Sheikh Al-Labaan symbolized a crucial factor of peace as he, representing Egyptians, contacted the leaders of the Armenian Sect, and established a committee comprising the leaders of the two parties under his supervision. The aim of such a committee was to eliminate the causes of dissension. He, along with the scholars of Alexandria, paid a visit to the Armenian Church as a means of returning the visit paid by the leaders of the Armenian sect to his house. As a result, the

fire of dissension was put off. In addition, Sheikh Al-Labaan had a great role in restore harmony and concord between the Alexandrians and the foreigners after a serious discord. That happened when he, along with a group of the elite, visited the consulates of countries at Alexandria, and talked to the journalists affirming that the dissension was not real, so that peace and stability could be restored."

The heat of the Egyptian revolution got intense, so the ruling authority thought to release Sa`d Zaghloul and his fellows. Some weeks before that, Sheikh Al-Labaan had been released. He read in the newspapers supporting the occupation that the revolutionists did not represent the Copts, for they wanted the occupation to stay. Hence, he hurried to hold a meeting at Alexandria including the leaders of the two sects, Muslims and Copts. He suggested to design a big photo to be called 'the flag of unity' on which pictures of the great scholars among the two sects are to be put while embracing each others. Copies of the photo were distributed all over the country so that idea ruined all the malicious plans drawn by the imperialistic newspapers.

When the ship carrying Sa`d Zaghloul and his fellows arrived at Alexandria port, Sheikh Al-Labaan was among the first to receive the Leader of Nation. Sa`d Zaghloul felt the patriotic attitude of Sheikh Al-Labaan, so he nominated him to join the parliament for Abu Mandour's Constituency as a representative of the Egyptian Delegation. That nomination gained the satisfaction of the people of that constituency to the degree that they unanimously voted in his favor. The elections were not so fierce as they are nowadays, for Sheikh Al-Labaan did not establish pavilions to push people to elect him, or gain the votes of people through criticizing his rivals. Rather, he would affirm that personal freedom should be the crucial factor in elections. Would there be people to follow such an example?

One of Al-Azhar Prominent Scholars, The Dignified Sheikh, Abdul-Majeed Al-Labaan, A Man of Religion and a Struggler

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

One of the strangest things that I have ever met is that when a great scholar, who has exerted a lot of efforts for the sake of his country, dies, no one hears about his contributions and efforts devoted to his country. This is despite the fact that such a scholar had sacrificed precious things and spent most of his time for the sake of his country. Such a scholar might have suffered imprisonment or exile.

Abdul-Majeed Al-Labaan was born in the village of Sindioun in 1288 A.H. He descended from a family of noble origin. He joined Al-Azhar after he had memorized the Glorious Qur'an. Due to his ambition of reaching a scientific glory, he got his high degree after which he was appointed in the same place where he used to be a student, i.e., Al-Azhar. During that time, the name of *Ustaz* Muhammad Abdou was well-known, so every fresh graduate of Al-Azhar would seek some of his glory. Sheikh Al-Labaan felt that there was something pushing him to discuss the scientific views in papers and express the educational suggestions in scientific sessions. When the religious issues came to be discussed at the pages of *'Al-Mu'ayid (The Supporter) Newspaper,'* he would hurry to reserve his place among the discussers; he would reject or approve. In addition, Sheikh Abdul-Majeed would argue with the prominent among the writers, including Hifny Nasif and Ali Yusuf. Thus, he enjoyed a high scientific status.

Sheikh Al-Labaan gained a very wide fame in the world of opinion, like Sheikhs Ibrahim Al-Jibaly and Abdullah Diraz who occupied scientific offices at Al-Azhar later. In fact, the name of Sheikh Al-Labaan was well-known when the missionary movements, coming from abroad, began to

hurried to take photos beside the stripped naked Iraqi detainees while pointing to certain parts of their bodies. These are some of the American woman rights, which the callers to freedom and democracy in America wish to transmit to other nations, especially the Muslim ones.

Soon after, the British newspaper, Daily Mirror, published other astonishing, unbelievable photographs on 1/5/2004. These photos show British soldiers tormenting Iraqi detainees in a camp near Basra. In one of these photos, a British soldier, devoid of humanity, is seen committing an act, even animals abstain from committing it; that soldiers is seen urinating on an Iraqi detainee thrown on the ground. Another photo shows a British soldier aiming his gun at the head of a hooded detainee. A third photo shows another British soldier using his gun to hit a very sensitive part of the body of one of the Iraqi prisoners.

All such photos substantiate the fact that the Iraqi detainees have been subjected to sadistic, blatant and wanton criminal abuses. The photos that we all saw stunned every human being on the earth. They were shocking. They showed acts that are despicable, illegal, and immoral; they are against all regulation and standards.

The reality of the occupation forces, who claim that they have come with civilization, progress and democracy, has been revealed to the whole world. They allege that they have come to liberate the world, especially the Islamic Nation. They forgot the fact that Allah has favored it with virtues and honor that can be witnessed in the Islamic principles including the human rights of women. The United States and its blind ally, the United Kingdom, are the ones lacking such sublime principles. They may do themselves good if they follow the way of the Tartar who came to our land as invaders and returned to their homes as rightly-guided Muslims following the right path.

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumadal-Oula, 1425 A. H.



ENGLISH SECTION
July, 2004

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Leave the Land of Islam and Take Your Claimed Civilization, Democracy, Women Rights Away with You

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The reality of the democracy and civilization claimed by the United States and the United Kingdom was unveiled before the whole world. That reality was not revealed by any of the Arab News Channel, such as Aljazeera, Alarabia, or Almanar; rather, it was revealed by the American News Channel, CBS, on its program "60 Minutes II" broadcast on 28/4/2004.

The CBS revealed the practices of abuse at Abu Ghraib prison, on Baghdad's western outskirts. It broadcast images showing Iraqis stripped naked, hooded and being tormented by their U.S. captors. This is despite the fact that those prisoners have not been judged yet, so they are innocent until proven guilty according to the international laws. Those images showed American soldiers, men and women, mistreating the Iraqi detainees. Those soldiers were smiling while standing beside a pyramid of Iraqis piled up on each other; they were stripped naked and sexually humiliated by their guards. In one of those photos, one hooded detainee is seen standing on a box while electric wires are connected to his hands.

In addition, CBS mentions that it has more photos showing a severer abuse practiced against the Iraqi prisoners at Abu Ghraib prison. It is worth mentioning that Abu Ghraib prison is administered by an American woman, namely, Brig. Gen. Janis Karpinski, the commander of the prison. It should be known that there are more than four thousand Iraqis detained by the American occupation forces without charges except being suspected.

The strangest thing about those photos is that the American female soldiers do not feel shy, for they have

الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير

سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

افتتاحية العدد

لا تخف من الموت!

يقسو الموت على الإنسان فيخطفه من بين أهله وذويه ويحمله إلى حفرة دامسة حالكة، لا يسطع فيها نجم ولا يهب بها نسيم، ووراءه أكبادٌ تتقطع حسرة علي فراقه ودُموع تتساقط حُزناً على غربته، وأجسام ترتدى السواد فتثير كامن اللوعة ودفين الوجد.

وقد يُحاولُ كثيرٌ من المرزوئين في أحبائهم وأعزائهم التجلد والتماسك، فيُظهرون الرضا والاستسلام بضع ساعات، ثم تهبّ عليهم الذكريات الموجعة فتطير الأمن وتُمزق الصبر ويصبح الصابر القانع كالهالع الجازع فريسةً في أيدي الحزن يمزق أحشاءه ويُريق دموعه حتى يمن الله عليه بالسلوّ مرة ثانية، فيتماسك ويتجلد إلى حين محدود.

وكنت أسائل نفسي حين أقفُ موقف الملتاع بين الكارثة والكارثة، أ أنا مُحقٌ في هذه اللوعة التى أكابد غصصها وأعاني برحها، أم أن السداد يخونني فى موقفي فأظلّ كاسف البال شارد اللب؟ ومهما تذرعت بالمنطق والحكمة فلن أجد الصواب الحاسم لهذا السؤال المعجز، ومن لي به، والموت في حقيقة أمره بابٌ موصدٌ محكم تعلوه أقفال غلاظ شداد فلا يمكن لإنسان أن يعرف ما وراءه مهما أجهد الفكر وواصل التنقيب.

ولعلّ غموض الموت سببٌ أصيل للحيرة التى يعانيها الإنسان من جرائه، فلو أدرك المرءُ أمره، وما يعقبه من خطوات مستترة خافية، لا نتهى إلى نتيجة معينة، ووقف عند حد لا يقبل التجاوز ووطد العزم على قبوله راضياً أو كارهاً، وهنا تتبدد الحيرة وينتهى

التساؤل، ولكن ذلك لن يكون، فالبابُ موصدٌ تعلوه الأقفال ولا يزال ما وراءه خافياً عن الأفهام.

وهذه الحيرة التى تكتنف كل مفكر في مصيره، متأمل فى عقباه، لن يخلو منها إنسان رُزق نصيباً من المعرفة، سواء أكان مؤمناً عميق اليقين بما لديه من نصوص أم شاكاً يتقلب علي جمر الريب والظن، فالإيمان بالله واليوم الآخر لا يحل المشكلة بحال لأن الذى يعتقد البعث والنشور، يتساءل عمّا قبل البعث من خطوات فلا يظفر بالجواب، وقد يجد أقوالاً متفرقة هنا وهناك فلا يلمسُ فيها النجاة والراحة، بل ربما ضاعفت شكوكه وأثارت كوامنه، ولقد كان مالك بن دينار - رضى الله عنه - راسخ اليقين قوى الإيمان، ومات له أخ شقيق، فجزع عليه جزعاً شديداً، وقال لمن واساه: «والله لن أرتاح حتى أعلم ما هو عليه، ولن أعلم ما هو عليه حتى أصير إليه!» فكأنه لا راحة له طيلة الحياة!.

والإنسان إذا استبدت به الحيرة، ودفعته إلى التفكير فى أمر مبهم غامض، لا يزال ينتقل من رأى إلى رأى ومن مذهب إلى مذهب، حتى إذا اطمأن إلى معتقد راسخ عاودته الشكوك فتركه إلى سواه، وهذا سر التشعب فيما قيل عن حقيقة الموت وما يليه من خطوات، ومن المُسلّم به أن كثيراً من الناس قد فكروا فى مصايرهم وخرجوا بنتائج تقترب وتبتعدُ وتتفرق وتتجمع، ومنها ما يقفُ من الآخر موقف المناقض المباين، وأنت تجد بين هؤلاء من يحذر الموت ويخشاه، وينظر إلى يومه المحتوم خائفاً مذعوراً، كما تجد بينهم من ينشد الموت ويطلبه، بل ربما ركض إليه واثباً، فأشاح عنه وتعذر عليه، ولكل من الفريقين دليله المستمد من ظروف معيشته وواقع حياته - في الغالب - وقد يكونُ من الأوفق أن نسألَ من ينشدون الموت لم تنشدون؟، ولكل وجهة هو موليها.

لقد كان للفكرة القاتمة التى يأخذها الطفل عن الموت منذ نشأته أثرٌ بغيض ينعكس علي نفسه شتى الصور الرهيبة، ويُزيل من مشاعره معانى الاطمئنان والأمن فهو - فى سنيه الأولى - يسمعُ الصراخ الفاجع ويرى الدموع المتقاطرة من أقاربه، وذويه، فيسأل عن سر هذا الفزع، فتطرق سمعه لأول مرة كلمة الموت ممزوجة بالنشيج والبكاء، فيبكي هو الآخر متأثراً بما يرى ويسمع ويتوالى الحمام كعادته بين الناس، فيعيد الطفل

إلي ما عرفه من البكاء والنحيب، فيعلم أن الموت كارثةٌ فادحة، ومصيبة حارة، ويتغلغل هذا الأمر في إدراكه ووجدانه، فيشب كارهاً للموت قبل أن يُدرك حقيقته، وقد دأبنا أن نلقن الطفل في مختلف أدواره التعليمية أنباءً قاسية عن مَلك الموت وما تُعانيه الروح لدى انفصالها النهائي من هم وتبريح، فيتعاظمه الأمر، ويتخيل نفسه وقد أحيط بهذه الكوارث فلا يجد مفرجاً من ضيق هذا إلى الأساطير الخيالية التى تتحول في بعض الأذهان عقائد ثابتة فترسم للذهن الزبانية والمقامع النارية فى صورة رهيبة حالكة، فلا يسعه إلا الفزع من الموت، ذلك الغول الرهيب الذى ينقل الناس فجأة من الجنة إلى النار ولو أننا أعطينا الطفل صورة مقبولة عن الموت وباعدنا بينه وبين من يحتضرون، فلا يشاهد ما يعانيه المريض في مرحلته الأخيرة من ألم وتبريح، لهان الأمر عليه بعض الشيء، ونظر إلي الموت ـ فيما بعد ـ كأمر طبيعى تنتهى إليه الكائنات، ولكن متى يكون ذلك؟.

وليست ملابسات الموت وحدها السبب فى خوف الإنسان وفزعه من القدر المحتوم، بل يضاف إليها أشياء وأشياء، فكل إنسان مهما تجنب الرذيلة، وآثر الفضيلة لابد متعرض فى بعض مراحل حياته إلي ما يغضب ربه من الآثام، والضمير رقيب يقظ غير نائم، فيظل يذكر المرء بما اقترفه، وإن كرّت الأيام عليه، فإذا تصور الإنسان نفسه وقد حان حينه، ودقت ساعته الآزفة مع أنه قد أسلف ما أسلف من ذنوب سيحاسب عليها حسابا منصفا، تأكد من العقاب العادل، وعجز عن حمل التبعة الثقيلة، ومن ثم فهو يبغض الباب القاتم الذى يدفعه إلى الجزاء والحساب، وينظر إلى موعده المحتم نظرة الخائف المتفزع.

ونحن وإن كنا نطمع في عفو الله ونأمل فى الصفح والغفران، لابد لنا من فكرة معقولة لهذا اليوم، تدفع النفس الجازعة إلى أن تتخيل بجانب الصورة الأليمة صورة مطمئنة راضية لمن يعتصم بالأدب والأخلاق، وهنا يكون الموت غير مخوف، إن ألمّ بذوى المروءة والدين، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه كما قيل.

ولن ننسى فى هذا المقام ما يبعثه القبر المظلم الضيق فى النفوس من رهبة وإيحاش. فكثير من الناس تتفتت أكبادهم حسرة حين يتصورون أجسامهم فى حفرة دامسة خانقة

لا يقربها النور والهواء، وكأنى بهؤلاء الجازعين وقد وهموا أن إحساسهم سيصحبهم فى هذه الغياهب الحالكة، فيشعرون بما يشعر به الحى حين يوضع فى صندوق مقفل خانق، ولو كان الأمر كذلك حقيقة لجل الصبر وعظم الخطب.

ولكن أما يتناقص الجسم يوماً بعد يوم؟ أما ترتع فيه الديدان والهوام أسوأ مرتع فى محبسه الرهيب؟ أما يمر عليه يوم ينعدم فيه ويتلاشى وتتحول بقاياه إلى ذرات؟ أين إذن يكون الألم والإحساس؟ وإذا سلمنا منطقياً أن الجسم لا يألم بعد وفاته وانعدامه، فلم لا يندرج عليه هذا الحكم حين ترتع به الديدان والهوام وهو سجين حبيس؟ ولم نخاف الظلمة والضيق، والهامد الراقد لا يشعر بهما بحال؟!

لقد سطر كثير من الكتاب صحائف مفزعة عن القبر وما يتراكم فيه من ظلمات وأهوال، فتركوا أسوأ الأثر فى النفوس، ونغصوا على الناس حياتهم ومعاشهم شر تنغيص، وهل كان الحمام محتاجا إلى ما يريدونه من الإرهاب والتخويف، فجاءوا يضيفون إلى أهواله الحقيقية والمتوهمة أكداساً فوق أكداس!

هذه بعض الهواجس التى يرددها الخائفون الوجلون، وقد حاولنا أن ننقدها بعض الشيء مما يغمرها من المبالغة والتهويل ولن نتمادى معهم فى مخاوفهم المتشعبة، فلدينا الفريق الآخر الذى يرحب بالموت ويرسل فى تمجيده الشوارد السائرة، وأنت تجيل طرفك فيما سطره هؤلاء فتجد سيلاً جارفاً من الحكم والأمثال قد سيق سوقاً فى هذا المضمار فمن قائل: (مقابر من ماتوا منازل راحة) وقائل (إن سئمت الحياة فارجع إلى الأرض) ومن قائل: (ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها) وقائل (فيا موت زر إن الحياة ذميمة) ومن قائل: (وفقت حين تركت الأم دار) وقائل (خضم الحياة بعيد النجاة).

فهل هان على هؤلاء طعم الحياة كما يقولون. وهل يحنون إلى التراب حنيناً خالصا بريئاً؟ وماذا أعجبهم فى المستقبل المجهول وهو مليء بالغرائب والشكوك؟

وجه هذه الأسئلة إلى من يرحبون بالانتحار؟ فلن تظفر من هؤلاء بكلمة صادقة فى حب الموت، فهم غارقون إلى آذانهم فى مخاوفه ومآسيه، ولكنهم يلمسون القسوة الصارمة من الحياة، إذ يتعرضون إلى الفشل المخجل والخسارة الفادحة والناس لا

يرحمونهم فى شىء، بل يلوكون أحاديثهم ويمضغون مآسيهم شامتين فرحين ويدور الفاشل بعينه فلا يرى من يرمقه بالعطف أو يلتمس له العذر فى زلة، وقد يتضاعف وهمه فيظن أن الناس جميعا يتندرون به فى كل مجتمع وناد، فيضيق فى وجهه العيش وتسود فى عينيه آفاق الحياة، ويفزع إلى مصرعه البغيض كارهاً مرغماً، وهو يوطن نفسه على ما ينتظره من شدائد وأهوال.

أعرف ثرياً موسراً رتع فى بحبوحة العيش والنعمة والترف أمداً غير قصير، ثم ضربه الموت بذات الجنب، فكان يتقلب على سريره متأوها صارخا، وقد حاول الأطباء أن يهدئوا من لوعته فما رجعوا عليه بطائل، وفى غفلة من أهله ألقى بنفسه من شرف عال فلفظ بقية أنفاسه، وأعرف عشرات غيره من المعدمين البائسين بهظتهم الحياة بتكاليفها الضرورية، وتضورت بطون أطفالهم جوعاً وحرماناً، فهالهم أن يقعد بهم العدم عن إسعاد أولادهم فخفوا إلى الموت مرغمين وفى صدورهم مراجل من اللوعة تغلى وتحتدم حتى تنفجر انفجاراً يراه الناس انتحاراً فجائياً، وهو فى الواقع بعيد الأمد عميق الجذور! فيا هؤلاء لا تقولوا: إنكم تحبون الموت. ولكن قولوا: إنكم لم تجدوا مفراً من الموت فسعيتم إليه فزعين غير مختارين!

ولكن مالنا نزيد الأمر هولاً فوق هول فنؤكد المخاوف، ونقلق النفوس وأولى بنا أن نعمد إلى شىء من التهدئة والتلطيف! الحق أن الفناء رهيب مهول، وأن من دافعوا عنه يلجأون إلى العقل وحده، فيقنعونه تارة ويدفعهم تارات، أما العاطفة فقد أوصدت منافذها أى إيصاد، فما وصلوا إليها فى قليل أو كثير وأنت تقرأ لهؤلاء فى تمجيد الموت والترحيب به أقوالاً أخذت سمت المنطق فى القياس والاستدلال، فلا تجد شيئاً من قبولك الصريح، وهيهات أن يكون ذلك، واسمع ما يقوله أحد فلاسفة الإسلام على سبيل المثال:

قال ابن مسكويه- ما فحواه: (والإنسان فى أصح تعاريفه حيوان ناطق ميت، فبالموت يبلغ كماله ويصل إلى نضجه، فلم يخاف إذن من الكمال؟ وكلٌّ ينشده ويبتغيه) فهل راقك هذا الكلام؟ قد يتحير عقلك بين الرفض والقبول، إن لم يرفضه بادىء ذى بدء دون نقاش، أما العاطفة فتأباه وتتحاشاه والإنسان ليس عقلاً فقط، ولكنه عقل ووجدان!

لقد مات سقراط وهو يتحدث عن الخلود مرحباً، وجاء بعده مئات من الفلاسفة والحكماء فشغلوا أنفسهم بما شغل به سقراط، فهل اقتنع بمنطقهم إنسان؟ وهل رغب أحد فى الموت ليصل إلى الخلود والبقاء؟ لقد ذهب كلام الفلاسفة أدراج الرياح، وجاءت الأديان فأنقذت الملايين من البشر ومالت بهم إلى عقيدة ثابتة بددت شكوكهم وأغاثتهم من الحيرة والارتياب، حتى أن جاهلياً بدائياً تقلقه وساوسه فيسعى إلى الجمع الحاشد بعكاظ فيوجه إليه هذا السؤال: (ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا هناك فناموا؟) وتمضى الأيام مديدة طويلة فلا يرجع من الراحلين عائد ينبىء بما شاهد، وأنى لغائب أن يعود، وقد قامت دونه الصفائح والسدود؟

ولكن كل هذه الشكوك تتبدد وتتلاشى أمام شىء واحد، هو الإيمان برحمة الله، وسعة عفوه فإذا اعتصم الإنسان بإيمانه قلل من خوفه، وأيقن أن فاطر السموات والأرض قد وسعت رحمته كل شىء. وهنا يبدو الموت مرحلة أولى يليها مرحلة ثانية يحيطها البارىء بعطفه. وغفرانه، وهذا من ناحية ثانية يدفعه إلى سلوك طاهر فى الحياة ليكون جديرا بعفو الله. ونعمة رضاه!

د/ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ الآيات [١٨ : ٢٠]

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال القرطبي: «لما ظهر رسول الله ﷺ بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما للآخر: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان! فلما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة والنعت فقالا له: أنت محمد؟ قال: نعم قالا: وأنت أحمد؟ قال: نعم. قالا: نسألك عن شهادة فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك. فقال لهما رسول الله ﷺ: سلاني». فقالا: أخبرنا عن الأعظم شهادة في كتاب الله. فأنزل الله تعالى -على نبيه ﷺ

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾

فأسلم الرجلان وصدقا برسول الله ﷺ وقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ أى بين وأعلم كما يقول: شهد فلان عند القاضي إذا بين وأعلم لمن الحق أو على من هو قال الزجاج: «الشاهد هو الذى يعلم الشيء ويبينه، فقد دلنا الله على وحدانيته بما خلق وبين»[1].

والمعنى: أخبر الله -تعالى- عباده وأعلمهم بالآيات القرآنية التى أنزلها على نبيه، وبالآيات الكونية التي لا يقدر على خلقها أحد سواه، وبغير ذلك من الأدلة القاطعة التي تشهد بوحدانيته، وأنه لا معبود بحق سواه، وأنه هو المنفرد بالألوهية لجميع الخلائق. وأن الجميع عبيده وفقراء إليه وهو الغنى عن كل ما عداه. وشهد بذلك ﴿ الْمَلَائِكَةُ ﴾ بأن أقروا بأنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد فعبدوه حق العبادة، وأطاعوه حق الطاعة، وشهد بذلك أيضاً ﴿ أُولُو الْعِلْمِ ﴾ بأن اعترفوا له -سبحانه- بالوحدانية، وصدقوا بما جاءهم به الرسول ﷺ وبلغوا ذلك لغيرهم.

قال الزمخشرى: «شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التى لا يقدر عليها غيره، وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسى وغيرهما، بشهادة الشاهد فى البيان والكشف وكذلك إقرار الملائكة وأولى العلم بذلك واحتجاجهم عليه»[2].

وقالوا: وفى هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء، لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء. وقال فى شرف العلم لنبيه- ﷺ:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

[طه ١١٤]

فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله نبيه أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم. وقال ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء» وقال: «العلماء أمناء الله على خلقه». وهذا شرف للعلماء عظيم ومحل لهم فى الدين خطير[3].

والمراد بأولى العلم هنا جميع العلماء الذين سخروا ما أعطاهم الله من معارف فى خدمة عقيدتهم، وفيما ينفعهم وينفع

(١) تفسير القرطبى (٤/٤١) (٢) تفسير الكشاف (١/٤٤٤) (٣) تفسير القرطبى (٤/٤١)

غيرهم، وأخلصوا لله في عبادتهم، وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم.

وقدم - سبحانه - الملائكة على أولى العلم، لأن فيهم من هو واسطة لتوصيل العلم إلى ذويه، لأن علمهم كله ضرورى بخلاف البشر فإن علمهم منه ما هو ضرورى، ومنه ما هو اكتسابى.

وقوله - تعالى: ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ﴾

بيان لكماله - سبحانه - في أفعاله إثر بيان كماله في ذاته. والقسط: العدل. يقال قسط ويقسط قسطاً، وأقسط إقساطاً فهو مقسط إذا عدل ومنه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾

[المائدة ٤٢]

ويطلق القسط على الجور، والفاعل قاسط، ومنه:

﴿ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا ﴾

[الجن ١٥]

أى: مقيما للعدل في تدبير أمر خلقه، وفي أحكامه. وفيما يقسم بينهم من الأرزاق والآجال، وفيما يأمر به وينهى عنه، وفي كل شأن من شئونه.

قال الجمل و﴿ قَآئِمَۢا ﴾ منصوب على أنه حال من الضمير المنفصل الواقع بعد إلا، فتكون الحال أيضاً في حيز الشهادة، فيكون المشهود به أمرين: الوحدانية والقيام بالقسط وهذا أحسن من جعله حالا من الاسم الجليل فاعل شهد، لأن عليه يكون المشهود به الوحدانية فقط والحال ليست في حيز الشهادة[4].

وقوله:

﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾

تكرير للمشهود به للتأكيد والتقرير، وفيه إشارة إلى مزيد الاعتناء بمعرفة أدلته لأن تثبيت المدعى إنما يكون بالدليل، والاعتناء به يقتضى الاعتناء بأدلته.

﴿ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل. أى لا إله في هذا الوجود يستحق العبادة بحق إلا الله ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ الذى لا يمتنع عليه شيء أراده، وينتصر من كل أحد عاقبه أو انتقم منه ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ في تدبيره فلا يدخله خلل.

قال ابن جرير: «وإنما عنى جل ثناؤه - بهذه الآية نفى ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله ﷺ في عيسى من النبوة، وما نسب إليه سائر أهل الشرك: من أن له شريكا، واتخاذهم دونه أربابا، فأخبرهم الله عن نفسه، أنه الخالق كل ما سواه، وأنه رب كل ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربا دونه، وأن ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه. فبدأ - جل

(٤) حاشية الجمل على الجلالين (١/٢٥١)

ثناؤه - بنفسه تعظيماً لنفسه، وتنزيها لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا إليها، كما سن لعباده أن يبدأوا في أمورهم بذكره قبل ذكر غيره مؤدبا خلقه بذلك»[5].

هذا، ومن الآثار التي وردت في فضل هذه الآية ما رواه الإمام أحمد عن الزبير بن العوام قال: سمعت النبي ﷺ وهو بعرفة يقرأ هذه الآية:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ ﴾

إلى آخر الآية. فقال ﷺ: «وأنا على ذلك من الشاهدين يارب» وقال غالب القطان: أتيت الكوفة في تجارة لى فنزلت قريبا من الأعمش فكنت اختلف إليه، فقام في ليلة متهجدا فمر بهذه الآية:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾

فقال: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى وديعة

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾

قالها مراراً - فقلت. لقد سمع فيها شيئاً فسألته في ذلك فقال: حدثنى أبو وائل بن عبدالله قال رسول الله ﷺ: «يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله - تعالى: «عبدى عهد إلىَّ وأنا أحق من وفى العهد أدخلوا عبدى الجنة»[6].

وقوله:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾

جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى. وأصل الدين في اللغة الجزاء والحساب. يقال دنته بما صنع أى جازيته على صنيعه، ومنه قولهم: كما تدين تدان، أى كما تفعل تجازى، وفي الحديث «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» والمراد به هنا ما جاء به النبي ﷺ من عند ربه من عقائد وتكاليف وتشريعات، فيكون بمعنى الملة والشرع.

أى: إن الشريعة المرضية عند الله - تعالى - هى الإسلام، والإسلام في اللغة هو الاستسلام والانقياد يقال: أسلم أى انقاد واستسلم، وأسلم أمره لله، سلمه إليه والمراد به هنا - كما قال ابن جرير: «شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، وهو دين الله الذى شرعه لنفسه وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجزى بالإحسان إلا به»[7] وهو الدين الحنيف الذى جاء به محمد ﷺ.

وقال ابن كثير: وقوله - تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾

إخبار منه تعالى - بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذى سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقى الله تعالى - بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال - تعالى:

﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾

[آل عمران ٨٥]

(٥) تفسير ابن جرير الطبرى (٢/٢١٠) طبعة الحلبى

(٦) تفسير ابن كثير (١/٣٥٤)

(٧) تفسير ابن جرير (٢/٢١٢)

وقال فى هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل عنده فى الإسلام:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٨)

وقوله: ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ظرف العامل فيه لفظ الدين لما تضمنه من معنى الفعل، أى الذى شرع عند الله الإسلام، ويصح أن يكون صفة للدين فيكون متعلقاً بمحذوف أى الكائن أو الثابت عند الله الإسلام. وفى إضافة الدين إلى الله - تعالى - بقوله ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ وباعتبار الإسلام وحده، هو دين الله، كما يدل على ذلك تعريف الطرفين، إشعار بفضل الإسلام، لأن له ذلك الشرف الإضافى إلى خالق هذا الكون ومربيه، فهو دين الله الذى شرعه لخلقه.

ثم بين - سبحانه - أن اختلاف أهل الكتاب فى شأن الدين الحق لم يكن عن جهل منهم بالحقائق وإنما كان سببه البغى والحسد وطلب الدنيا فقال - تعالى:

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾

أى: وما كان خلاف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى فيما جاءهم به الرسول ﷺ إلا من بعد أن علموا بأن ما جاءهم به هو الحق الذى لا باطل معه، فخلافهم لم يكن عن جهل منهم بأن ما جاءهم به هو الحق وإنما كان سببه البغى والحسد والظلم فيما بينهم.

وفى التعبير عنهم بأنهم ﴿ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ زيادة تقبيح لهم؛ فإن الاختلاف بعد إتيان الكتاب أقبح وأفحش، إذ الكتاب ما نزل إلا لهدايتهم، وسعادتهم فإذا تركوا بشاراته وتوجيهاته واتبعوا أهواءهم كان فعلهم هذا أشد قبحا وفحشا.

وقوله:

﴿ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾

زيادة أخرى في تقبيح أفعالهم، فإن الاختلاف بعد مجيء العلم أزيد في القبح والعناد.

والاستثناء من أعم الأحوال أو الأوقات، أى وما اختلفوا فى حال من الأحوال أو فى وقت من الأوقات إلا بعد أن علموا الحق، والعلم بالحق وحده لا يكفى فى الإيمان به، ولكنه يحتاج إلى جانب ذلك إلى قلب مخلص منفتح لطلبه، وكم من أناس يعرفون الحق معرفة تامة ولكنهم يحاربونه ويحاربون أهله، لأنهم يرون أن هذا الحق يتعارض مع أهوائهم وشهواتهم وصدق الله إذ يقول:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة ١٤٦]

فهم قد اختلفوا فى الحق مع علمهم بأنه حق، لأن العلم كالمطر، لا تستفيد منه إلا الأرض الطيبة النقية، وكذلك لا يستفيد من

(٨) تفسير ابن كثير (١/٣٥٤)

العلم إلا أصحاب النفوس الصافية، والقلوب الواعية، والأفئدة المستقيمة.

وقوله ﴿ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ مفعول لأجله، والعامل فيه اختلف أى وما اختلفوا إلا للبغى لا لغيره قال القرطبى: «وفى الكلام تقديم وتأخير، والمعنى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب بغيا بينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم»(٩).

ثم ختم - سبحانه - الآية بهذا التهديد الشديد فقال:

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

أى: ومن يكفر بآيات الله الدالة على وحدانيته - سبحانه - فإن الله محص عليه أعماله فى الدنيا وسيعاقبه بما يستحقه فى الآخرة.

فقوله:

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

قائم مقام جواب الشرط وعلة له، أى: ومن يكفر بآيات الله فإنه - سبحانه - محاسبه ومعاقبه والله سريع الحساب.

وسرعة الحساب تدل على سرعة العقاب، وعلى العلم الكامل والقدرة التامة فهو - سبحانه - لا يحتاج إلى فحص وبحث، لأنه لا تخفى عليه خافية.

ثم لقن الله - تعالى - نبيه ﷺ ما يرد به على أهل الكتاب إذا ما جادلوه أو خاصموه ليحسم الأمر معهم ومع غيرهم من المشركين وليمضى فى طريقه الواضح المستقيم فقال - تعالى:

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾

وقوله: ﴿ حَآجُّوكَ ﴾ من المحاجة وهى أن يتبادل المتجادلان الحجة، بأن يقدم كل واحد حجته ويطلب من الآخر أن يرد عليها أو يقدم الحجة على ما يدعيه ويزعم أنه الحق الذى لا شك فيه.

والمعنى: فإن جادلك - يا محمد - أهل الكتاب ومن لف لفهم بالأقاويل المزورة والمغالطات الباطلة بعد أن قامت الحجج على صدقك. فلا تسر معهم فى لجاجتهم، ولا تلتفت إلى أكاذيبهم، بل قل لهم

﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾

أى أخلصت عبادتى لله وحده، وأطعته وانقدت له، وكذلك من اتبعنى وآمن بى قد أسلم وجهه لله وأخلص له العبادة.

والمراد بالوجه هنا الذات، وعبر بالوجه عن سائر الذات لأنه أشرف أعضاء الشخص، ولأنه هو الذى تكون به المواجهة، وهو مجمع محاسن الجسم فالتعبير به عن الجسم كله تعبير بجزء له شأن خاص وتتم به إرادة الكل.

﴿ وَمَنِ ﴾ فى قوله ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ فى محل رفع عطفا على الضمير المتصل فى ﴿ أَسْلَمْتُ ﴾ أى أسلمت أنا ومن اتبعنى. وجاء العطف على الضمير المرفوع من غير

(٩) تفسير القرطبى (٤/٤٤)

تأكيد لوجود الفاصل بينهما .

وقوله :

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾

عطف على الجملة الشرطية، والمراد بالأميين الذين لا كتاب لهم وهم مشركو العرب.

والاستفهام فى قوله ﴿ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾ للحض على أن يسلموا وجوههم لله، ويتبعوا الرسول ﷺ كما اتبعه المسلمون.

والمعنى: فإن جادلوك فى الدين - يا محمد - بعد أن تبين لكل عاقل صدقك، فقل لهؤلاء المعاندين إنى أسلمت وجهى لله وكذلك أتباعى أسلموا وجوههم لله، وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسلموا تسلموا فقد تبين لكم أنى على حق، ومن شأن العاقل أنه إذا تبين له الحق أن يدخل فيه وأن يترك العناد والمكابرة.

قال صاحب الكشاف: وقوله: ﴿ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾ يعنى أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ويقتضى حصوله لا محالة فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان طريقا إلا سلكته: هل فهمتها لا أم لك. ومنه قوله - تعالى - :

﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾

[المائدة ٩١]

بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر. وفى هذا الاستفهام استقصار - أى عد المخاطب قاصرا - وتعبير بالمعاندة وقلة الإنصاف، لأن المنصف إذا تجلت له الحجة لم يتوقف فى إذعانه للحق(١٠).

ثم بين - سبحانه - ما يترتب على إسلامهم من نتائج، وما يترتب على إعراضهم من شرور تعود عليهم فقال:

﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

أى: فإن أسلموا وجوههم لله وصدقوا بما جاء به محمد ﷺ فقد اهتدوا إلى طريق الحق، لأن هذا الإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله للناس وإن أعرضوا عن هذا الطريق المستقيم، فإن إعراضهم لن يضرك - أيها الرسول الكريم - لأن الذى عليك إنما هو تبليغ الناس ما أمرك الله بتبليغه إياهم. وهو - سبحانه - بصير بخلقه لا تخفى عليه خافية من أقوالهم أو أفعالهم، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه.

وعبر بالماضى فى قوله ﴿ فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾ مبالغة فى الإخبار بوقوع الهدى لهم وقوله:

﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾

قائم مقام جواب الشرط، أى وإن تولوا لا يضرك توليهم شيئا إذ ما عليك إلا البلاغ وقد أديته على أكمل وجه وأبلغه.

(١٠) تفسير الكشاف (٣٤٧/١)

وقوله :

﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

تذييل فيه عزاء للنبى ﷺ عن كفرهم، وإشارة إلى أحوالهم، وإنذار بسوء مصيرهم، لأنه - سبحانه - عليم بنفوس الناس جميعا وسيجازى كل إنسان بما يستحقه، وفيه كذلك وعد للمؤمنين بحسن العاقبة، وجزيل الثواب.

قال ابن كثير: وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته - ﷺ - إلى جميع الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة، وكما دل عليه الكتاب والسنة فى غير ما آية وحديث فمن ذلك قوله - تعالى -:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

[الأعراف / ١٥٨]

وقال - تعالى - :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾

[الفرقان / ١]

وفى الصحيحين وغيرهما مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة أنه - ﷺ - بعث كتبه يدعو إلى الله ملوك الآفاق وطوائف بنى آدم من عربهم وعجمهم. كتابيهم وأميهم امتثالا لأمر الله له بذلك، فعن أبى هريرة عن النبى - ﷺ - أنه قال: «والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار».

وقال - ﷺ -: «بعثت إلى الأحمر والأسود». وقال: «كان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» وعن أنس - رضى الله عنه - أن غلاما يهوديا كان يضع للنبى - ﷺ - وضوءه ويناوله نعليه فمرض. فأتاه النبى - ﷺ - فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه، فقال له النبى - ﷺ -: «يا فلان قل لا إله إلا الله». فنظر إلى أبيه فسكت أبوه فأعاد عليه النبى - ﷺ - القول. فنظر إلى أبيه. فقال له أبوه أطع أبا القاسم. فقال الغلام أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فخرج النبى - ﷺ - وهو يقول: الحمد لله الذى أخرجه بى من النار» رواه البخارى فى الصحيح. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

وبهذا نرى أن الآيات الكريمة قد بينت للناس فى كل زمان ومكان أن دين الإسلام هو الدين الحق الذى ارتضاه الله لعباده وشهد بذلك خالق هذا الكون - عز وجل - وكفى بشهادته شهادة كما شهد بذلك الملائكة المقربون والعلماء المخلصون. كما بينت أن كثيرا من الذين أوتو الكتاب يعلمون هذه الحقيقة ولكنهم يكتمونها ظلما وبغيا، كما بينت - أيضا - أن الذين يدخلون فى هذا الدين يكونون بدخولهم قد اهتدوا إلى الطريق القويم، وأن الذين يعرضون عنه سيعاقبون بما يستحقونه بسبب هذا الإعراض عن الحق المبين.



البخيل والمنفق

فى ميزان الإسلام

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع» متفق عليه.

اللغويات: البخيل: الذى يضن بما عنده ـ المنفق: من يبذل المال فى وجوه الخير، جبتان: مثنى جبه والجبة: ثوب سابغ واسع الكمين مشقوق المقدم يلبس فوق الثياب ويطلق أيضا على الدرع، ويجمع على جبب وجباب ـ وقد قال بعض العلماء عليهما «جنتان» بالنون لا بالباء لأن الدرع لا يسمى جبة بالباء. والجنة: السترة وهى كل ما وقى من سلاح وغيره. والصوم جنة: أى وقاية من الشهوات ثديهما: جمع ثدى ـ إلى تراقيهما: جمع ترقوة وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين. قال بعضهم ولا يكون لغير الإنسان من باقي الحيوان ـ سبغت: امتدت وكملت ـ «أو»: شك من الراوى ـ بنانه: مفاصل الأصبع ـ تعفو: تغطى والمعنى أن الصدقة تستر خطاياه كما يغطى الثوب الذى يجر على الأرض أثر صاحبه إذا مشى بمرور الذيل عليه ـ لزقت: انقبضت ـ يوسعها: أى يريد توسيعها بالبذل فتشح نفسه ولا تطاوعه أى فلا تتسع.

الشرح والبيان: لقد أوتى رسول الله ﷺ جوامع الكلم وخواتيمه فكان فصيح المنطق، سمح البيان، سلس الأسلوب، قوى العبارة، مشرق المعنى، يحس المرء لكلامه حلاوة، ويجد فيه لذة وطلاوة. إذا تحدث ووعظ وأرشد، خفقت له القلوب وأنصتت له الآذان، وخشعت الجوارح، وامتلأت القلوب بجلال العبرة وسمو الموعظة. إلا وإن من أهم إرشاداته التى تصلح القلوب والنفوس وتستل منها نوازع الشح والبخل والأثرة وحب النفس وتدفعها إلى الكرم والسخاء وبذل المال فى وجوه الخير، وفى كل ألوان البر والإحسان ما رواه: أبو هريرة رضى الله عنه من أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع».

فهذا حديث شريف، عظيم الشأن، جليل القدر. قليل فى ألفاظه ومبانيه، كثير فى مقاصده ومعانيه، ضرب فيه النبى ﷺ مثلا للبخيل والمتصدق، فشبههما برجلين أراد كل واحد منهما لبس درع يستتر به من سلاح عدوه فصبها على رأسه ليلبسها.

والدرع: أول ما يقع على الرأس إلى الثديين إلى أن يدخل الإنسان يديه فى كمها، فجعل المنفق كمن لبس درعا سابغه فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه، وجعل البخيل كمثل رجل غلت يداه إلى عنقه، فكلما أراد لبسها اجتمعت فى عنقه فلزقت ترقوته أى تضامت واجتمعت. والمراد أن الجواد الكريم إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه، وتوسعت فى الإنفاق. والبخيل إذا حدثها بها شحت بها فضاق صدره وانقبضت يداه،

وفى هذا وعد للمتصدق بالبركة وستر

العورة والصيانة من البلاء، فإن جبة الحديد لا تعد للستر فقط بل له وللصون من الآفات، الا وإن رب العالمين يقول:

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر / ٩)

وقد ورد في الأثر «أن الصدقة تدفع البلاء».

كما أن فيه وعيدا للبخيل بهتك عورته، وافتضاح أمره، وكونه هدفا لسهام البلاء - أعاذنا الله من كل ذلك - لأن الذي يبخل بما له عن نفسه، فلا ينفقه في سبيل تربيتها، وتهذيب خلقها، وتوفير العزة لها، أو سد حاجتها، وتقديم الطيبات لها:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

(الأعراف / ٣٢)

أو يبخل عن معاونة الفقراء والمساكين والمعوزين، أو يبخل بما له عن الجهاد في سبيل الله، أو عن مصالح الأمة العامة، كبناء المساجد والمدارس والملاجيء والمستشفيات، وإرسال البعثات - ساع في إهلاك نفسه وأمته، بل ساع في خراب الكون، لأن بالمال قيامه وانتظام شئونه، وتذليل صعابه، ويوم القيامة سيكون وبالا عليه، وعذابا ونكالا، قال تعالى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

(آل عمران / ١٨٠)

وقال:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

(التوبة / ٣٤، ٣٥)

فيا من آمنت بالله ربا، وبالاسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، جد بنفسك ومالك في سبيل إعزاز دينك وأمتك. فهذا شأن المؤمن الصادق، الذي يقدم رضوان الله والجنة على رغبات النفس وجواذب الهوى والشهوة. قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾

(الحجرات / ١٥)

ويرشد الى ذلك ما روى أن صهيبا الرومي (رضي الله عنه) الصحابي الجليل لما أراد أن يهاجر من مكة إلى المدينة اعترضته قريش، وحالت دون هجرته، وقالوا له: أتيتنا صعلوكا حقيرا لا مال لك، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، والآن تريد أن

تخرج بنفسك ومالك، لا والله لا يكون ذلك ابدا، فقال لهم صهيب (رضي الله عنه): أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أكنتم تخلون سبيلي؟ قالوا: نعم قال: فإني قد جعلت لكم مالي، فاخلوا سبيله، وبالتالي هاجر الى المدينة، وبلغ رسول الله ﷺ ما فعل صهيب، فقال: (ربح صهيب. ربح صهيب)[1].. وتلك - والله - هي التجارة المنجية مع الله (عز وجل). قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(الصف ١٠ : ١٢)

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وقدوة طيبة، فقد كان لا يبارى في كرمه، ولا يتطاول إليه في جوده، كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. كان يعطي حتى ولو لم يكن عنده شيء، جاءه أعرابي ذات يوم، فسأله شيئا، فقال ﷺ: (ليس عندنا ما نعطكه. ولكن اذهب فابتع علي - أي: اشتر ما تحتاجه على حسابنا - فإذا جاءنا شيء قضيناه عنك - أي: سددنا عنك دينك -)، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (يارسول الله، ما كلفك الله مالا تقدر عليه)، فعرف الغضب في وجهه ﷺ فقام رجل من الأنصار وهم الذين وصفهم الله تعالى بالجود والسخاء والإيثار، فقال:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الحشر : ٩)

فقال: يارسول الله، أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا، فتبسم النبي ﷺ وعرف البشر في وجهه، وقال: بهذا أمرت)[2]

صلى عليك الله يا رحمة للعالمين، ويا أكرم الخلق أجمعين، لقد ضربت بذلك أروع الأمثال في الكرم والسخاء، وعلمت أصحابك، والناس أجمعين كيف يكون البذل والعطاء، وكنت لهم الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة، فجزاك الله خير ما جازى به نبيا عن أمته.

وإذا كنت يارسول الله قد أعطيت، وبذلت الجود في وقت لم يكن لديك فيه من المال شيء، فهذا منتهى الكرم والسخاء. وقد تلقف هذا المعنى الشاعر فانشد:

ليس العطاء من الفضول سماحة
حتى تجود وما لديك قليل

وقد دعا الله عباده المؤمنين إلى التصدق في وجوه الخير، والإنفاق في الطاعات، فقال:

---

(١) ابن عساكر ٦/٤٥٢

(٢) كنز العمال جـ٧ حديث رقم (١٨٦٣٧)

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾

(البقرة/ ٢٤٥)

وقال:

﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾

(التغابن/ ١٧)

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبأ/ ٣٩)

فينبغي على كل مسلم أن يسارع إلى الخيرات ما وسعه ذلك، لأن الكريم السخي محبوب من الله، ومحبوب من الناس، ولذلك ورد في الأثر: «تجاوزوا عن ذنب السخي، فإن الله آخذ بيده إذا عثر. السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، ولجاهل سخي أحب إلى الله من عالم أو عابد بخيل». (٣)

وقد أنشد الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

والكريم مستحق للجنة بمقتضى وعد الله الذي لا يتخلف، قال تعالى:

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(البقرة/ ٢٦١، ٢٦٢)

وقد جاء في الأثر: «الجود من جود الله تعالى، فجودوا يجد الله عليكم، ألا إن السخاء شجرة في الجنة، أغصانها مدلاة في الأرض، فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة، ألا وإن السخاء من الإيمان، والإيمان في الجنة». (٤)

وقد أكد الحق سبحانه ذلك، فقال ـ وهو أصدق القائلين ـ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾

(التوبة/ ١١١)

وقد ورد أنه لما أنزل الله تبارك وتعالى:

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾

(٢٤٥ البقرة)

انقسم الخلق إلى ثلاث فرق: الأولى اليهود، وهم أراذل الناس، حيث قالوا: إن

(٣) الترمذي باب ما جاء في السخاء (١٩٦١)

(٤) إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٩٥

رب محمد محتاج فقير إلينا، ونحن أغنياء، فرد الله عليهم بقوله:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾

(المائدة/ ٦٤)

الثانية لما سمعت تلك الآية آثرت الشح والبخل، وقدست الرغبة في المال فما أنفقت في سبيل الله، ولا فكت أسيرا تكاسلا عن الطاعة، وركونا إلى الدنيا، ونسوا أو تناسوا أن الله تعالى يقول:

﴿ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾

(محمد/ ٣٨)

الثالثة لما سمعت الآية بادرت إلى امتثال أوامر الله، وسارعت إلى رضوانه والجنة كأبي الدحداح (رضي الله عنه)، فإنه لما نزلت الآية الكريمة قال: (فداك أبي وأمي يارسول الله؟ إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟) قال: (نعم: يريد أن يدخلكم الجنة به) قال: (فإني إن أقرضت ربي قرضا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة؟)، قال: (نعم). قال: (فناولني يدك)، فناوله رسول الله ﷺ يده فقال: (إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة، والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضا لله تعالى، قال رسول الله ﷺ: (إجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك). قال: (فأشهدك يارسول الله أني قد جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة) قال: (إذن يجزيك الله به الجنة)، فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح، وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل، فقال: يا أم الدحداح، قد أقرضت ربي (عز وجل) حائطا فيه ستمائة نخلة)، فقالت أم الدحداح: (ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت) ثم أقبلت على صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبي ﷺ: (كم من عذق رداح، ودار فياح لأبي الدحداح). (٥)

فأين إذا مكان البخيل من الكريم؟ أين الثرى من الثريا؟ وأين الأرض من السماء؟ ولقد كان عليه الصلاة والسلام ينصت للسائل، ولا يقطع عليه مسألته، وكان يطالب أصحابه بذلك، فعن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها، ثم ردوا عليه بوقار ولين، أو ببذل يسير، أو رد جميل، فقد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرون صنيعكم فيما خولكم الله تعالى)، وكيف لا؟ وقد قال الله تعالى:

(٥) مجمع الزوائد ٩/ ٣٢٤

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾

(البقرة/ ٢٦٣)

ولم يكن رسول الله ﷺ قوالا فقط، بل كان دائما أبدا يسبق فعله قوله، فعن سهل ابن سعد رضي الله عنه بأن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ ببردة منسوجة، فقالت: نسجتها بيدى لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها، فخرج إلينا وإنها لإزاره، فقال فلان: أكسنيها، ما أحسنها! فقال: (نعم)، فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت. لبسها النبي ﷺ محتاجا إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد سائلا، فقال: والله، ما سألته، لألبسها. إنما سألته لتكون كفنى، قال سهل: فكانت كفنه)[7]

فهل بعد هذا سخاء أو إيثار، أو جود وكرم.. روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (خلق الله جنة عدن بيده، ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها، فقال لها: تكلمى، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال: وعزتى وجلالى لا يجاورنى فيك بخيل). والله تبارك وتعالى يقول:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران/ ١٣٣)

جعلنا الله من أهل الجنة بمنه وكرمه، وأعاذنا من النار بعفوه وصفحه

فهو القائل:

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ (طه/ ٨٢)

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

***

(٧) البخاري، حديث رقم ٦١٩٨

عودة البهاليل للطعن فى السنة النبوية



للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعنى

نُنهى الحديث عن عودة البهاليل إلى الطعن فى السنة النبوية، فى هذا المقال، مع أكبر خطأ ورطوا أنفسهم فيه، وهى شبهة فاضحة لجهلهم إن كانوا حقا لا يعلمون.

وكاشفة عن عنادهم ومكابرتهم إن كانوا يعلمون.

الشبهة التى نقف أمامها الآن تتعلق بالأحاديث النبوية كلها، لا بطائفة منها أرادوا أن ينسفوا بها المصدر التشريعي الثانى فى الإسلام. وهيهات هيهات لما يريدون هذا الخطأ الذى وقعوا فيه هو دعواهم أن القرآن وحده يكفى المسلمين فى تنفيذ أوامر الله، واجتناب نواهيه، وفى الإتيان بما كلفهم الله به من عبادات ومعاملات وأخلاق. دون الاحتياج إلى ما نسب إلى النبى ـ ﷺ ـ من أحاديث مهما كثرت؟

ويقولون إن التحول الخطير فى حياة الأمة، الذى جرها إلى الضلال، هو جعل الأحاديث النبوية من أدلة الأحكام فى الإسلام؟

وأن هذا الجعل هو بدعة البدع، وكان أول من ابتدع هذه البدعة هو الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه؟

لأنه فى كتابه «الرسالة» بعد أن تحدث عن القرآن باعتباره المصدر التشريعى الذى أنزله الله، أردف الحديث عن السنة باعتبارها ـ عنده ـ مصدرا ثانيا للتشريع فى الإسلام ثم نهجت الأمة منهج الشافعى من بعده فوقعت فى الضلال المبين؟

ولهم ـ بعد ذلك ـ استدلال بإحدى الآيات القرآنية لم يفهموا معناها إن كان جهلاً، أو حرفوا معناها إن كانوا فاهمين.

وعلى كلا الاحتمالين فهم الذين وقعوا فى الضلال المبين. وزين لهم الشيطان أعمالهم فخسروا الدنيا والآخرة.

والقول بأن الإمام الشافعى هو أول من جعل السنة

مصدراً تشريعياً قول باطل مردود على قائليه.

وللأسف فإن هؤلاء يدعون أنهم «قرآنيون» وهم بهذا القول، وبغيره، يقيمون أقطع الأدلة على أنهم جهلة بالقرآن، وبالسنة معاً لأن السنة مصدر تشريعى بصريح القرآن فى آيات كثيرة.

منها قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

(النساء ٥٩)

فطاعة الله واجبة فيما أنزل فى كتابه العزيز. وطاعة الرسول واجبة فيما يقول أو يفعل فى مجال التشريع. والآية صريحة فى أن للرسول طاعة خاصة. كما أن لله طاعة خاصة.. فإذا عرضت نازلة وفى كتاب الله حكم فيها وجب اتباعه.

وإذا خلا كتاب الله من النص على حكم واقعة انتقلنا إلى أحاديث رسوله الكريم، وأقضيته وجدنا فيها حكم الموافقة، أمضيناه بلا أدنى تردد.

أما إذا خلا الكتاب العزيز، وخلت السنة النبوية فعلينا أن نجتهد فى البحث عن الحكم بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فنقيس الواقعة المجهولة الحكم على ما يماثلها من الوقائع التى عرف حكمها إما عن طريق القرآن، أو عن طريق السنة، فإذا اتحدت علة الحكم أو تشابهت شبهاً قوياً أعطينا الواقعة الجديدة حكم الواقعة السابقة.

ولذلك عرَّف علماء أصول الفقه القياس عدة تعريفات منها:

«حمل مجهول على معلوم لاشتراكه فى علة حكمه».

فالقياس هو وسيلة الاجتهاد، وكل اجتهاد صحيح لابد فيه من الرجوع إلى سند شرعى أما أولو الأمر منا فطاعتهم غير مستقلة أى ليست منفصلة عن طاعة الله وطاعة رسوله بل هى مشروطة بأن يدعونا إلى ما فيه طاعة لله ورسوله. فإذا دعونا إلى معصية الله ورسوله فلا طاعة لهم علينا.

يقول - ﷺ -: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»[1].

والرسول مستثنى من هذا المبدأ، لأنه مخلوق لقوله تعالى:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾

(النساء / ٨٠)

ولذلك لم يشترط فى وجوب طاعته شرط الدعوة إلى طاعة الله، لأنه معصوم من الدعوة إلى معصية الله - عز وجل.

هذا ما لم يفهمه البهاليل من القرآن، وهم يدعون - جهلاً - أنهم قرآنيون.

(١) الدر المنثور ٢/١٧٧

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾

(الكهف / ٥)

ثم يلزم القرآن الكريم الأمة بأسرها باتباع الرسول فى كل ما يأمر به وينهى عنه، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

(الحشر / ٧)

فهل بعد هذا يُقال إن السنة مقحمة على الشريعة التى يكفينا فيها القرآن وحده، وأن الإمام الشافعى هو صاحب هذه البدعة التى أضلت الأمة عن سواء السبيل.

والسنة بدءاً من حياة الرسول - ﷺ - كانت مصدراً للتشريع بإذن الله تعالى. لأن صلة الرسول بالله فى التبليغ لم تكن محصورة فى القرآن وحده. وما أكثر الوقائع والأحداث التى قضى فيها رسول الله فى حياته الشريفة، لم يرد فيها آية واحدة فى القرآن الكريم. وليس معنى هذا أن الرسول كان يشرع من عند نفسه بل تشريعه بلاغاً عن الله، لأن التشريع أياً كان ليس إلا لله.

أما الرسل فهم مبلغون أمناء عن الله - عز وجل - وقد جمع بعض علماء السلف أعداداً تفوق الحصر من أحاديث رسول الله - ﷺ - التى بينت الكثير من الأحكام الشرعية، فى كتاب من ثلاثة أجزاء، عنوانه.

«التعريف بأسباب ورود الحديث الشريف»

على غرار كتب أسباب نزول سور القرآن وآياته. وهو كتاب يسد فراغاً واسعاً فى علوم الحديث النبوى.

ومن قبل قام الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة - رضى الله عنه - بوضع كتاب «الموطأ» جمع فيه الأحاديث النبوية التى تتعلق بالأحكام الشرعية، ورتبها على حسب أبواب الفقه.

والإمام مالك أسبق زمناً من الإمام الشافعى، الذى يتهمه البهاليل بإقحام السنة النبوية فى مجال التشريع، وهذا فيه دلالة واضحة على جهل هؤلاء البهاليل بكل شىء عن القرآن وعن السنة معاً.

وفى هذه المسألة يتهمون زوراً أن الإمام أبا حنيفة النعمان، وهو أول الأئمة الأربعة الكبار الذين أسسوا المذاهب الفقهية الكبرى:

المذهب الحنفى. المذهب المالكى. المذهب الشافعى. المذهب الحنبلى.

وهى مذاهب أهل السنة اتهموه بأنه كان لا يقيم وزناً للأحاديث النبوية فى مذهبه الفقهى، ويرتبون على ذلك أنه كان لا يرى السنة مصدراً تشريعياً؟

وهذا غير صحيح، والصحيح أن الأحاديث النبوية فى عصر الإمام أبى حنيفة (٨٠ - ١٥٠هـ) لم تكن قد جمعت جمعاً

واسعاً موثقاً. فكان ـ رضى الله عنه ـ لا يتوسع فى تأسيس الأحكام الفقهية على الحديث النبوى، لأنه كان ما يزال فى حاجة إلى التفريق بينه من حيث الصحة والضعف والوضع، لا لأنه ليس مصدراً للتشريع.

يضاف إلى هذا أن الإمام أبا حنيفة كان خصومه الألداء، هم الأمويون والعباسيون لكثرة نقده لهم. ولأنه رفض تولى رياسة القضاء لكل منهم فضاقوا به ذرعاً. ثم روجوا لإشاعة هذه التهمة عنه وكان ينقد الأحكام التى يصدرها قضاتهم علناً. حتى أحكام قاضى القضاة منهم، وهو ابن أبى ليلى. ومن نقده له:

أن امرأة سبت رجلاً وقالت له: يا ابن الزانيين. فرفع الرجل الأمر إلى القضاء فجلدها ابن أبى ليلى ثمانين جلدة عن سب الأب، وثمانين عن سب الأم وجلدها فى المسجد، وهى قائمة فلما بلغ الإمام هذه نقده علناً أمام تلاميذه فقال: أخطأ ابن أبى ليلى فى هذه الواقعة فى ستة مواضع.

الأول: إقامة الحد فى المسجد، والحدود لا تقام فى المساجد.

الثانى: وجلدها وهى قائمة والنساء إنما يقام عليهن الحد وهن قاعدات.

الثالثة: وجلدها حدين على جريمة واحدة والحدود فى مثل هذا لا تتعدد. فمن قذف مائة برىء لا يقام عليه إلا حد واحد لهم جميعاً.

الرابع: جمع بين تنفيذ الحدين فى مجلس واحد، وهذا لا يجوز، بل لابد من التفرقة بينهما فلا يقام الحد الثانى إلا بعد جفاف إثر الجلد من الحد الأول.

الخامس: والمرأة القاذفة مجنونة، وقت قذفت. والجنون يرفع التكليف.

السادس: الذى رفع الدعوى ابن المقذوف وأبوه لم يقم الدعوى وهو حى حاضر. ومن شأن الدعاوى التى يرفعها غير أصحاب الشأن فيها أن ترفض ولا ينظر فيها.

من أجل هذه المواقف الشجاعة من الإمام أبى حنيفة افترى عليه خصومه أنه كان يرفض الاستدلال بالحديث.

وهذه دعوى مرفوضة من خصوم الإمام أبى حنيفة المعاصرين له.

ومرفوضة من هؤلاء البهاليل المعاصرين لنا.

وقد جهلوا جميعاً، أن الإمام أبا حنيفة كان له مسند فى الحديث النبوى، جمع منذ وقت مبكر على تدوين السنة أكثر من خمسمائة حديث وهو مطبوع الآن ومتداول بين أهل العلم ولكن البهاليل لا علم لهم.

وقد تصدى الإمام أبو حنيفة لهذه الفرية فى حياته، ورد عليها ردوداً مفحمة، من هذه الردود قوله:

«كذب ـ والله ـ وافترى علينا من يقول إننا نقدم القياس (أى الرأى) على النص ـ أى الحديث ـ وهل يحتاج بعد النص ـ إذا

صح ـ إلى قياس»[٢].

ومنها: «نحن لا نقيس إلا عند الضرورة الشديدة، وذلك لأننا ننظر فى دليل المسألة من الكتاب والسُنة، أو أقضية الصحابة. فإذا لم نجد دليلاً قسنا، أى اجتهدنا فى البحث عن الحكم، أى نحمل مسكوتاً عنه على منطوق به»[٣].

وكان يقول رضى الله عنه:

«ما جاء عن رسول الله ـ ﷺ ـ فعلى العين والرأس، وما جاء عن أصحابه تخيّرنا منه.

وما جاء عن غيرهم (أى غير الصحابة وهم التابعون) فنحن رجال وهم رجال، ومن المعلوم علم اليقين أن أصول مذهب الإمام أبى حنيفة هى أصول المذاهب الفقهية الأخرى، وهى:

- الكتاب، وهو الأصل الأول.
- السُنة، وهى الأصل الثانى.
- والإجماع، وهو الأصل الثالث.
- والقياس، وهو الأصل الرابع.

هذا، وبعد الإمامين مالك والشافعى صاحبى الموطأ والرسالة، وبعد الإمام أبى حنيفة صاحب المسند، توسع علماء الأمة فى تدوين السُنة وبخاصة أحاديث الأحكام، فكان مسند الإمام أحمد بن حنبل، وهو موسوعة فى الحديث النبوى. وكان صحيح ابن خزيمة فى أحاديث الأحكام، وكان النهاية فى أحاديث الهداية للزيلعى. ثم بلوغ المرام فى أحاديث الأحكام للحافظ ابن حجر ـ رضى الله عنهم أجمعين.

كل هذا غاب عن بهاليل العصر، فزين لهم الشيطان أعمالهم، وصدهم عن السبيل، وهم يحسبون أنهم مهتدون.

وبعضهم، وقليل ما هم، يحترسون، فيقولون إننا نقبل السُنة العملية، ولا نقبل السُنة القولية.

يعنى أنهم يقرون أعمال رسول الله، كصلاته، الصبح ركعتين، والظهر والعصر والعشاء أربعا، والمغرب ثلاثاً أما ما عدا ذلك مما نسب إليه من أقول فلا، مثل قوله ـ ﷺ ـ: «من نام عن صلاة أو نسيها، فليصلها متى ذكرها، لا كفارة لها غير ذلك»[٤].

فهذا وأمثاله غير مقبول عندنا. وهذا لا يدل إلا على الجهل المركب لهؤلاء البهاليل.

لأن كل السنن العملية أصبحت الآن سنناً قولية، تروى كما تروى عامة الأحاديث لأن أحداً الآن لم ير النبى ـ ﷺ ـ وهو يصلى، ولا هو يصوم، ولا وهو يحج ويعتمر، ولا وهو يعتكف أو يزكى. فطريق هذا كله الآن هو الرواية القولية، لا الرؤية العملية.

فعليهم ـ إذن ـ أن يقبلوا القسمين معاً، أو

---

(٢) الميزان للشعرانى (٥٠) وما بعدها.
(٣) المصدر السابق نفسه.
(٤) الشيخان.

يكفروا بهما معاً، أما التفرقة بينهما فلا سبيل إليها عند العقلاء فهل عندهم على هذا من جواب؟

أما الآية التى أشرنا إليها من قبل فى مطلع هذا اللقاء بأن لهم آية استدلوا بها على أن القرآن يكفى الأمة الإسلامية فى العمل بالإسلام دون الاحتياج إلى السُنة النبوية. فهى قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

(العنكبوت: ٥١)

ومن علامات سوء النية عندهم أنهم انتزعوا هذه الاية من مقامها الذى وردت فيه. لكى يوهموا المغفلين من أمثالهم أن الاستدلال بهذه الاية على استبعاد السنة من دائرة التشريع صحيح. وهذا أمر لا يمكن قبوله من عاقل. فتعال نضع هذه الآية فى مقامها الذى وردت فيه لكى نكشف عن سوء النية عندهم. ومقام الآية هو الآتى:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾

(العنكبوت / ٥٠، ٥١)

هذا هو السياق الذى وردت فيه الآية الكريمة، ومعنى الآيتين معاً:

أن المشركين طلبوا أن ينزل الله عليه معجزة تثبت صحة دعواه أنه رسول من عند الله.

فقال الله لرسوله: قل لهم إن شأن المعجزات بيد الله وحده. أما أنا فإنى نذير مبين ومبلغ أمين عن الله تعالى.

ثم وبّخهم الله على جهلهم وتعاميهم عما أيد الله به رسوله من أعظم المعجزات وأخلدها وهو القرآن الكريم، الذى يتلوه عليهم الرسول صباح مساء، إنه معجزة خالدة عظيمة ضخمة تغنى عن كل معجزة سواها فكيف يرون رسولنا نبياً بلا معجزات؟ إن فى القرآن كفاية لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة.

هذا هو المعنى الصحيح لهذه الآية فهو كاف وحده لكل مخلوق عاقل على أن محمداً ـ ﷺ ـ رسول صادق مؤيد بأعظم المعجزات فى الوجود كله لكن هؤلاء البهاليل انتزعوا كفاية القرآن من موضعها فى مجال الإعجاز، ووضعوها فى غير موضعها، وهو كفاية القرآن فى العمل بالإسلام ومن الاحتياج إلى أحاديث رسول الله ﷺ.

أرأيت عزيزى القارىء كيف يحرف هؤلاء البهاليل الكلام عن مواضعه، ليحملوا أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم. والويل لهم مما يصفون.

وبقيت أمام هؤلاء البهاليل عقبات كؤودة لا يملكون أمامها خلاصاً.

أركان الإسلام الأربعة العملية: الصلاة والزكاة والصيام والحج، ومقدمة الصلاة وهو الأذان:

أين نجد فى القرآن تفصيلات الصلاة وأحكامها وهيئاتها وما تشتمل عليه من شروط صحة وشروط وجوب وشروط صحة ووجوب، وعدد ركعات كل فرض منها، وكيفية الدخول فيها والخروج منها؟!

وأين نجد صيغة الأذان الذى يكرر فى اليوم والليلة العديد من المرات فى مشارق الأرض ومغاربها وأين نجد تحديد أنواع المال ومقاديره ونسبة ما فيه من الزكاة.

وأين نجد كيفية الصيام ونهايته وشروط صحته ومفسداته ومبطلاته.

وأين نجد كل مناسك الحج والعمرة وما يجوز فعله للحاج فى حال الإحرام وما يحظر عليه وما يكره فى هذه الأمور ومضاعفاتها لم يرد تفصيلها فى القرآن وإنما فى السنة، التى يقول القرآن فى تحديد عملها مع القرآن:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

(النحل ٤٤)

فالذكر، وهو القرآن منزل من عند الله والتبين هو فعل النبى ـ ﷺ ـ وعن طريق أحاديثه، والمبيِّن، هو الذكر.

إن السُنة هى مفتاح العمل بالقرآن، ولولاها ما اهتدى الناس إلى مراد الله من الأوامر والنواهى وسائر التكاليف من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق.

والإسلام ليس هو القرآن فقط، ولا السُنة فحسب. بل هو القرآن والسُنة معاً، فمن آمن بأحدهما وكفر بالآخر فهو كافر بهما معاً.

***

موضوعية الرسالة ونزاهة الرسول صلى الله عليه وسلم

٢

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

وإذا كنا نرى الكثيرين يميلون دائماً إلى إثبات أن الإسلام قد سبق العلم فى شتى المجالات كلما اكتشف اكتشاف أو اخترع اختراع إلا أن الدين الإسلامى الحنيف - وهو دين الله عز وجل - أجل وأسمى من أن يوضع هو وغيره من ألوان المعرفة فى سياق، أو يقف مع غيره على خط التناسب والتفاضل، وأنا هنا أتجه اتجاه من يقول: إن المؤذن إذا نادى (الله أكبر) فلا يجب أن نردد (الله أكبر من كل كبير) لأن الله - سبحانه وتعالى - أكبر على الإطلاق لا بالنسبة لكبير أو صغير.

ومع هذا فإن سيادة تعبير «الموضوعية» على كثير من الألسن والأقلام فى هذه الأيام جعلتنا نسارع إلى إبراز حكمة الإسلام فى هذا السياق لا لبيان أسبقية الإسلام فى ذلك فقط، ولكن لتعميق معنى الموضوعية التى واكبت المسيرة الإسلامية فى الأقوال والأفعال والحكم على الأشياء، والتى ألمح إليها كتاب الإسلام الخالد والسنة المطهرة فى كثير من المواقف والأحوال حتى تكون نبراساً تربوياً للناس يقتدى به كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أنظر إلى التوجيه الإلهى للعباد فى القرآن الكريم:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[المائدة: ٢]

فالعدل بين الناس لا ينبغى أن يتأثر بالميل النفسى أو الانفعال الذاتى وإلا اختل الميزان - وحاشاه - بين الناس الذين أمرهم ربهم بقوله:

﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾

[الرحمن: ٩]

ذلك الميزان الذى أكده الرحمن - عز وجل - فى سورة تحمل اسمه العظيم

(الرحمن) ولا ينبغى أن ينصرف فكرنا إلى المعنى الضيق للميزان الذى نراه مصطنعا فى البيع والشراء بالأسواق، إنما هو المعنى الواسع للميزان الذى وضعه الحق سبحانه لتحقيق التوازن للخلق مما نعرف ولا نعرف من كائنات يعلمها الخالق سبحانه وتعالى.

ثم تأمل آية كريمة أخرى فى القرآن الكريم - وكله آيات كريمة - تحض على نبذ الأثرة والأنانية التى هو محور الذاتية الفردية يقول سبحانه فى سورة الحشر:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

[الحشر: ٩]

مشيداً - عز وجل - بأخلاق المسلمين من الأنصار فى المدينة المنورة وهم يستقبلون إخوانهم المهاجرين الوافدين إليهم من أم القرى رافعين ألوية الحق إلى أرض الله الواسعة وإلى منطلق الإشعاع الإيمانى، وكيف استقبل أهل المدينة رسول الله - ﷺ - ومن حوله كتائب النور يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم حيث ترفرف ملائكة المحبة العميقة والمودة الوثيقة فى سماء «يثرب»[4] لتبث - بوحى من الله عز وجل - مشاعر المودة والإيثار فى قلوب أهل البلد المستقرين به نحو الوافدين عليهم التاركين دورهم وأموالهم بساحة الشرك آنذاك والفارين بالله إلى الله، والناجين بدين الحق إلى «طيبة»[5] المباركة الفيحاء حيث بدأ النبى - ﷺ - وهو نبى الرحمة والسلام - مسيرة هذه المشاعر الإنسانية المحبة الودود عندما آخى بين المهاجرين والأنصار، فكان لكل مهاجر أخ من الأنصار، وإذا بهذه المشاعر الفياضة والبناءة تجد صداها المبارك فى الأنفس المؤمنة حتى كان الأنصارى يعرض أمواله - بل أزواجه - ليقتسمها مع أخيه المهاجر، وقصة الصحابى الجليل المهاجر عبدالرحمن بن عوف - رضى الله عنه - معروفة عندما شكر لأخيه الأنصارى عرضه السخى النادر قائلا له: (بل دلنى على السوق).

ولست أنسى ذات مساء عندما كنت مستمتعاً بقراءة القرآن الكريم وأنا بين أريج الروضة الشريفة بمسجد رسول الله - ﷺ - وقد أرحت ساعدى على عتبة الحجرة المطهرة مستقبلاً القبلة فى انتظار صلاة العشاء، وعندما وصلت فى التلاوة إلى الآية الشريفة:

﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

[التوبة: ٨٠]

وذلك ضمن حديث الحق سبحانه وتعالى عن المنافقين فى سورة التوبة، عندها وجدت

(٤) الاسم الذى تغير إلى الأبد إلى «المدينة المنورة».

(٥) بفتح الطاء من أسماء المدينة المنورة.

نفسى التفت ببصرى تلقائياً إلى حيث يرقد الحبيب وكأنى أناجيه: «إذا كان المولى سبحانه يعاتبك - وأنت حبيبه المصطفى - بهذه اللهجة الحاسمة فكيف يفعل بنا ونحن معروضون عليه وقد شملتنا الآثام من أم الرأس إلى أخمص القدم؟» ولكنه الخطاب الموضوعى المنزه عن الشوائب الذاتية.. وإذا لم تكن هذه سمة خطاب الحق إلى كافة الخلق - دون تفرقة - فماذا تكون؟ ثم أليس هذا المعنى يواكب أمر الحكيم الخبير إلى رسوله - عليه الصلاة والسلام

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[الحجر: ٩٤]

ومن هنا كان المسار الإلهى والمسار المحمدى مسارا واحداً يأخذ بزمام البشرية جميعاً فى كل زمان ومكان إلى التحلى بالخلق العادل النزيه الذى لا يميز بين ابن البيضاء وابن السوداء إلا بمدى ما يمتاز به أى منهما بصدق الإيمان الذى يفتح أمامه نور البصيرة فى عمارة الكون مع غيره من البشر فى إطار من التقوى البناءة الدافعة إلى الوعى اليقظ بما يريده الحق من الخلق تأسياً - وسع الطاقة - بوصف الصديقة بنت الصديق - رضى الله عنهما - لرسول الله - ﷺ - فى إيجاز معجز مبين (كان خلقه القرآن).

ولذلك فإن موضوعية الرسالة الخاتمة انعكست على الرسول الخاتم خلقاً حازماً وسلوكاً حاسماً فى التبليغ عن ربه - عز وجل - قولاً وعملاً وسلوكا بين الناس.

ومنذ الذى لا يذكر موقفه - عليه السلام - إزاء إقامة حد السرقة على إحدى بنات (الأكابر) ذوى السمعة والسيادة والسلطان آنذاك وهى (فاطمة) سليلة آل مخزوم.. لقد رد - ﷺ - أسامة بن زيد - رضى الله عنه - الذى أراد أن يشفع لها حتى تنجو من قطع يدها قائلاً - عليه السلام - للناس جميعا حتى تقوم الساعة: (إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) إنه - ﷺ - هنا يوجه الحكم العام الذى ينبغى أن يكون دائما نصب الأبصار والبصائر لمن يريد الصلاح للأمة، والفلاح فى الأرض، ثم يشفع عليه السلام ذلك بقسمه المدوى فى أسماع العالمين والذى تهتز له السماوات والأرض (والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها).

وتأمل تكرار الاسم الطاهر (محمد) هنا وكيف يتحول هنا من اسم علم على إنسان إلى ثلاثة معان لكل منها موقعها الرصين ووقعها المتين وصداها المكين.

إنه - عليه السلام - عن طريق الموضوعية الصادقة لا يقف ضد (فاطمة) المخزومية لميل فى النفس أو غرض فى الوجدان وإنما (الموضوع) نفسه وهو السرقة هو الذى يدعو إلى اتخاذ هذا الموقف حتى ولو مع (فاطمة)

بنت محمد وليست (فاطمة) بنت مخزوم ولم يقل - عليه السلام (لو أن فاطمة ابنتى) ولكنه يقول (فاطمة بنت محمد) إشارة إلى وقوفه - عليه السلام - موقف القاضى النزيه البعيد هنا عن مشاعر الأبوة نحو البنوة حتى لو كانت هذه المشاعر النابضة مما طبعت عليه الفطرة البشرية، ولكنها النزاهة المحمدية المبرأة من هوى النفس وميل الوجدان ولاسيما فى مواقف الحق الذى شرعه الرحمن لصالح الإنسان وسلامة العمران.. ألم يقض سبحانه - وهو خالق هذه الآلة البشرية ويعلم طريقة (تشغيلها) وأسلوب تقويمها - ألم يقض - عز وجل - بقوله:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾

[المائدة: ٣٨]

وبعد هذا (أتشفع بأسامة فى حد من حدود الله؟).

ثم منذا الذى تغيب عن ذاكرته المؤمنة، وحافظته الموقنة مواقف النبى - ﷺ - مع الجاحدين المكذبين والمكابرين المنافقين، وكيف كان - ﷺ - يتخلى عن حقه الخاص وإحساسه الذاتى، ويذوب هذا كله فى حق الله وصالح الدعوة وخدمة الدين، لأنه - عليه السلام - يعلم من ربه - عز وجل - أن هذا الدين الحنيف هو العدة الحقيقية التى تعين الإنسان على أداء دوره الذى خلقه الله من أجله وهو خلافة الأرض وعمارة الكون.

ألا تحفظ ذاكرتنا وتضم قلوبنا مواقف محمد - ﷺ - مع بنى قومه وهم - على علمهم بصدقه وأمانته - يناصبونه العداء، ويقابلونه بالإيذاء ثم هو بسماحته الكريمة وأريحيته العظيمة يواجه السيئة بالحسنة ويقاوم الشر بالخير ويقابل النكران بالإحسان فى مثل قوله - ﷺ -: (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون) ومثل قوله - عليه السلام: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

ولنا - بل علينا - أن نتأمل هنا الدرس الإيمانى العظيم من السلوك المحمدى الكريم.. ذلك السلوك النزيه الذى يغلب التمسك بالحق على مشاعر الذات ولو تعلق الأمر بفقد الولد وفلذة الكبد.

فمن المأثور عن الصادق الأمين - ﷺ - أنه عندما كان يودع ولده الغالى إبراهيم شغاف الثرى على مدخل بقيع الغرقد (٦) فى المدينة المنورة إذا بالغيوم تتكشف والشمس تنكسف، وعندئذ شاع بين المشيعين أن هذا قد حدث حزنا على «إبراهيم»، وفى خضم المشاعر الأبوية الحزينة التى زخر بها الكيان المحمدى آنذاك على الوليد الفقيد انتبه قائد دعوة الحق - عليه السلام - ونحى جانباً أحاسيسه الوالهة وواجه الناس ليردهم إلى جادة الصواب (فالشمس والقمر آيتان من آيات

(٦) هو مدفن سكان المدينة المنورة، والغرقد نوع كثيف من الأشجار قطعت بعد وفاة إبراهيم بن محمد - ﷺ -.

الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته).

ترى كم نستفيد من هذا الموقف التربوى المضيء.. لنعود أنفسنا على الصدق مع النفس أولاً حتى يسهل علينا الصدق مع الله، ومع الناس؟!! وحتى يحطم كل منا مرآته الملوثة بالزيف والخداع ليضع مكانها مرآة أخرى قد صقلتها أشعة النور فيرى نفسه فى جلاء لا يشوبه الغش والرياء.

هذا وقد كان من طبائع الأشياء أن يقتدى الصحابة رضوان الله عليهم بقائدهم وقدوتهم - ﷺ - ونحن نذكر هنا مثالاً فى هذه السبيل، وذلك عندما خاصم البعض «عليا» - رضى الله عنه - ووقف «على» وخصمه أمام عمر بن الخطاب الخليفة آنذاك فوجه «عمر» - رضى الله عنه - القول إلى «على»: (قف بجوار خصمك ياأبا الحسن) فتغير وجه «على» - كرم الله وجهه - وعجب عمر لذلك ولكنه استمر فى نظر المظلمة، وبعد انتهاء القضية سأل عمر عليا إن كان قد ضايقه أن يقف بجوار خصمه، ولكن عليا - كرم الله وجهه - أجاب الإجابة التى ينبغى على الناس فى هذا الزمان أن يضعوها نصب أعينهم، أجاب «على» بأن الذى أثر فى نفسه هو مناداة «عمر» له بكنية (ياأبا الحسن) مما قد يلقى فى روع خصمه أنه على مودة مع القاضى وهو أمير المؤمنين مما قد يثير لديه شبهة الشك فى عدالة الحكم! ألا ننظر فى مثل هذا المثال ونردده سوياً

﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

[المطففين: ٢٦]

وكم يحلو لنا ذكر أمثلة أخرى فى هذا الصدد من سيرة السلف العظيم، وذلك على سبيل التذكر والتدبر، وهناك المثال الشهير الذى يتحدث عن الفاروق عمر - رضى الله عنه - عندما أطلق قولته الأثيرة عبر الزمان (أصابت امرأة وأخطأ عمر) ولم تأخذه العزة بالإثم فينتقم لنفسه من امرأة صارحته برأيها أمام الرعية وعلى رؤوس الأشهاد متمثلة بآية من الذكر الحكيم.. وهنا تتجلى موضوعية الموقف مرتين: أولاهما مواجهة المرأة لأمير المؤمنين، والثانية مواجهة أمير المؤمنين لنفسه فى شجاعة نادرة لم تخفها وساوس الأبهة ونوازع السلطان.. وعمر هو من هو الذى يذكر الناس على مر الزمان مأثورته التربوية الرفيعة (رحم الله امرءاً أهدى إلىّ عيوبى) وتأمل كلمة (أهدى) هذه، إنه يعتبر انتقاد الناس له هدية منهم إليه لأنها ستدعم لديه قوة الحق - وهو عمر - وتقيه ما يهابه ويخشاه من عواقب الأبهة والجاه.

وهكذا نرى أن الموضوعية عند عمر مع نفسه ومع الناس قد بلغت درجة جعلته - رضى الله عنه - كياناً موضوعياً لا تشوبه من الذاتية أو الهواجس الخاصة شائبة.

وليس شك فى أن الموضوعية تنبع من الثقة الأمينة والصادقة دون تزيد أو غرور، وهذه الثقة لا تأتى من فراغ، ولا هى من نسج الخيال أو أحلام اليقظة وإنما هى ثقة تستند إلى أسانيد لا ينتابها خلل ولا يشوبها زلل.

ومن ثمة فقد كان من اتساق الأمور أن يأمر الإسلام أتباعه بالإيمان بالرسالات السالفة والكتب الآنفة والأنبياء السابقين دون أن يتوقع انزلاقهم إلى تلك الرسالات الماضية أو فسوقهم عن الرسالة الخاتمة.

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

[البقرة: ١٣٦]

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

[النساء: ١٣٦]

هذه الثقة التى تواكب المسيرة الإسلامية تنبع من يقين الفطرة بالله الواحد - عز وجل - الذى أرسل الرسل وأنزل الكتب، ومن هنا كان توحيد الحق سبحانه هو السند الذى تستند إليه الضمائر الطاهرة والقلوب العامرة بالإيمان بالرسالات السماوية جميعاً إيماناً تصدقه البصيرة بالامتثال، قبل أن يصدقه العقل بالبرهان والاستدلال.

من أجل هذا رأيت أن (قضية الحق والرجال) التى جاءت فى «المنقذ من الضلال» حقيقة تربوية كبرى جدير بالناس أن يعوها حق الوعى وأن يوظفوها بحكمة وأمانة فى توجيه الأجيال الناشئة فكراً وسلوكاً.

ولقد كلف المفكرون الذين يصطنعون ما يعرف بالمنهج العلمى منذ «روجر بيكون» (١٤٨٥م) متجاهلين جهود علماء المسلمين ومفكريهم فى هذا المجال - كلفوا بالموضوعية فى التفكير واعتبروها أبرز سمات هذا التفكير العلمى الذى بدونها لا يستحق أن يكون علمياً بحال من الأحوال، كما أنهم جعلوا سمة الذاتية هى السمة المميزة للفنون والآداب والفلسفة وكل درب معرفى تغلب عليه مشاعر المبدع أو المفكر وأحاسيسه الكامنة باعتبار الفن والأدب تعبيراً عن الذات، والفلسفة تعبيراً عن وجهات النظر الخاصة بكل فيلسوف.

ونحن بهذا لسنا ضد الذاتية على إطلاقها لأن التعبير عن الذات مطلوب فى الإبداعات المختلفة كالكتابة والشعر والفنون وغيرها مما يسهم فى بناء الحضارات أو يدعم هذه الحضارات. ولكننا نرفض الذاتية الطاغية التى تقتحم على الناس حياتهم فى كل شىء حتى تحيلهم إلى دمى تحركهم الأهواء فى مهب الأنواء!!

دفاع مصطفى صادق الرافعــــى عن سيرة الرسول ﷺ

للدكتور / عبد الحليم عويس

ـ على امتداد عقود النصف الأول من القرن العشرين الميلادى كانت الهجمة شرسة على مقومات ديننا وحضارتنا .. فهناك من يريد سلخنا من الإسلام العقيدة، والإسلام الشريعة، والإسلام الحضارة.....!!

ـ فى هذا الوقت ظهر مصطفى صادق الرافعى مزوداً بأسلحة قوية، زوده الله بها ليتمكن من الوقوف فى وجه هذا الزحف الذى يحاول مسخ القديم كله، وضرب الثوابت كلها، ونسف التاريخ العربى والإسلامى.

ومن هنا لجأ الرافعى إلى الوقائع التاريخية، التى تمتلئ بصفحات رائعة، وأخذ يبرزها، وكأنه يكشف لنا بعض جوانب فلسفة التاريخ الإسلامى العظيم وهو ذلك التاريخ الذى يمتزج فيه عمل الدين بالدنيا، ورشح الإيمان على الحياة.

وبينما كان جورجى زيدان يحاول تشويه تاريخ الإسلام من خلال سلسلته المعروفة «روايات تاريخ الإسلام» القائمة على التدليس وتحريف الوقائع، وتفسير التاريخ الإسلامى تفسيرا اقتصاديا، ودنيويا، بعيدا عن الغايات الإيمانية، كان الرافعى من خلال ما أورده فى كتابه «وحى القلم» بخاصة يعيد الأمور إلى نصابها ويكشف الأعماق الإيمانية فى حركة المسلمين فى التاريخ، وكيف أنها كانت هى الدافع الأساسى، والهدف الأسمى، وأن ما أفاء الله به على المسلمين إنما كانت نتيجة لا سبباً، وثمرة لا جذراً، ومنحة ربانية للذين خلصت نياتهم وقدموا أعمالهم خالصة لوجهه تعالى.

وكانت الوسائل عندهم كالغايات، فى شرفها وأبعادها الإنسانية، ولم تكن الغاية عندهم تبرر الوسيلة، فلحروبهم آداب لا يستطيع المحارب المسلم أن يخرج عليها، والكلمة عندهم عهد وميثاق، وجزء من دينهم، والحياة الاجتماعية عندهم تقوم على التراحم، والغايات

الإسلامية، كما طبقها إمام المتقين، صاحب السيرة العطرة، رسول الله محمد ﷺ.

إن الرافعى لا يتحدث عن النبى محمد، ولا عن ظهور الإسلام وفلسفته كما يتحدث أساتذة التاريخ، وكتاب السير، بل يتحدث مازجا بين ظاهرة الوحى والظواهر الكونية الكبرى، واضعاً النبى فى موضعه الصحيح، فمحمد وجد فى الإنسانية ينبوعاً للنور المسمى بالدين، كما تطلع الشمس بأنوارها، فتنفجر ينبوع الضوء المسمى بالنهار، وليس النهار إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها، وليس النبى إنساناً من العظماء، يقرأ تاريخه بالفكر معه المنطق، ومع المنطق الشك، ثم يدرس بكل ذلك على أصول الطبيعة البشرية العامة، ولكنه إنسان نجمى يقرأ بمثل «التلسكوب» فى الدقة، معه العلم، ومع العلم الإيمان، ثم يدرس بكل ذلك على أصول طبيعته النورانية وحدها.

والحياة تنشئ علم التاريخ، ولكن هذه الطريقة فى درس الأنبياء صلوات الله عليهم تجعل التاريخ ينشئ علم الحياة، فإنما النبى إشراق إلهى على الإنسانية، يقومها فى فلكها الأخلاقى، ويجذبها إلى الكمال فى نظام هو بعينه صورة لقانون الجاذبية فى الكواكب.[1]

وينتقل الرافعى من الحديث العام عن ظاهرة النبوة، وعملها فى الحياة، إلى الحديث عن نبى الإسلام، محمد ﷺ وهو يرى أن الإنسانية عندما ظهر محمد، كانت تريد امتداداً غير امتدادها التجارى فى الأرض، وتحتاج إلى معنى، يقود إنسانها غير الحيوان، الذى فيه، وما كان لإنسانية العالم أن تصل إلى ذلك، إلا إذا عاشت فى نبيها الطبيعى، نبى أخلاقها

(١) مصطفى صادق الرافعى: وحى القلم، المكتبة التجارية الكبرى/ مصر/ الجزء الثانى ص٢

الصحيحة، وآدابها العالية، ونظامها الدقيق، وأين تجد هذا المحبوب الأعظم إلا في محمد ودين محمد.. . وعجيب أن يجهل المسلمون حكمة ذكر النبي العظيم خمس مرات في الآذان، كل يوم ينادى باسمه الشريف ملء الجو، ثم حكمة ذكره في كل صلاة من الفريضة والسنة والنافلة، يهمس باسمه الكريم ملء النفس! وهل الحكمة من ذلك إلا الفرض عليهم ألا ينقطعوا من نبيهم ولا يوماً واحداً من التاريخ، ولا جزءاً واحداً من اليوم، فيمتد الزمن مهما امتد والإسلام كأنه على أوله، وكأنه في يومه لا في دهر بعيد، والمسلم كأنه مع نبيه بين يديه، تبعثه روح الرسالة، ويسطع في نفسه إشراق النبوة فيكون دائما في أمره كالمسلم الأول الذى غير وجه الأرض[٢].

ويتتبع الرافعى شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، من جوانبها المختلفة، مازجاً بينها وبين حقيقة الإسلام، ولهذا مزج المسلمون بين كلام الله في كتابه وكلام رسوله كما يتلقون الحكم النافذ المقضى، وحققوا في كماله ـ ﷺ ـ وجودهم النفسي، فكانوا من زخارف الحياة، وباطلها في موضع الحقيقة الذي يرى فيه الشئ لا شئ ورأوا في إرادته ﷺ النقطة الثابتة فيما يتضارب من خيالات النفس فكانوا أكبر علماء الأخلاق على الأرض لا من كتب ولا علم ولا فلسفة، بل من قلب نبيهم وحده.[٣]

ويقف الرافعى عند موت خديجة، زوج النبي ﷺ مع إلمامه بالدور الذى قامت به في فترة المحنة المكية، وكيف أنها كانت قلباً مع قلبه، كما كانت لنفسه كقول «نعم» للكلمة الصادقة التي يقول لها كل الناس «لا»، وبموتها خرج النبى من أيام الاستقرار في أرضه إلى الأيام المتحركة في هجرته، مرة يذهب إلى الطائف فيناله منها ما هو معروف، ومرة يلتقى بالأشراف الوافدين وسفهائهم، فلا يجد منهم إلا معانى الظلم والشر، أو يلتقى بالأشراف الذين يذهب إليهم في رحالهم، عارضا نفسه عليهم، فلا يجد ـ غالباً ـ إلا الصد نفسه.

وهنا تأتى أحداث الإسراء والمعراج، أو حسب تسمية الرافعى «فوق الآدمية»، وهي من خصائص نبينا محمد ـ ﷺ ـ هذا النجم الإنسانى العظيم، وهذا النور المتجسد لهداية العالم في حيرة ظلماته النفسية، فالنبى لا يكون نبيا حتى يكون في إنسانه إنساناً آخر بنواميس تجعله

(٢) مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، مرجع سابق، الجزء الثاني ص:١٠

(٣) الرافعي: وحي القلم: ٢/ ١٤، ١٥

أقرب إلى الملائكة في روحانيتها، وما ينزل إنسانه الظاهر من الإنسان الباطن فيه إلا منزلة من يتلقى ممن يعطى، فذاك الباطن هو للحقائق التى لا تحملها الدنيا، وهذا الظاهر لما يمكن أن يبلغ إليه الكمال في المثل الإنسانى الأعلى، ولولا ذلك الباطن ما استطاع نبي من الأنبياء أن يحمل هموم أمة كاملة، لا تضنيه، ولا تغيره، ولا تعجزه[٤].

ولاشك أن الرافعى كتب ما كتب في الإسراء والمعراج بدافع من إيمانه، وإن كان التسليم بالمعجزات لا يحتاج إلى العلم، فالمعجزة قدرة ربانية عليا تستعصى على قدرة البشر، ويجب أن تقبل كجزء من الإيمان قبل كل شيء، ولئن كان قد ظهر في عصرنا من يفكر في الصعود إلى القمر، ومن يعمل للمخاطبة مع الأفلاك، فذلك شيء خاضع للوسائل والأسباب، وبينه وبين المعجزة ما بين السماء والأرض، ولاسيما وأن المعجزة حصلت في عصر، لا وسائل فيه ولا أسباب ولهذا صح تعليق أستاذنا الدكتور مصطفى الشكعة عندما اختلف مع الرافعى حين حاول أن يقارن بين معجزة الإسراء والمعراج، وبين المنهج العلمي، وما وصل إليه البشر حديثاً[٥].

وتحت عنوان «الإنسانية العليا»، يواصل الرافعى حديثه عن شخصية النبي، فيصفه بأنه كان متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئاً، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان منها، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وكان خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه.

ولو جمعت كل أوصافه ﷺ، ونظمتها بعضها إلى بعض، واعتبرتها بأسرارها العلمية لرأيت منها كونا معنويا دقيقاً قائماً بهذا الإنسان الأعظم[٦].

وهل ينبئك مجموع صفاته ﷺ إلا أنه يعيش معيشة القلب إذا اختلف ما حوله، وفجأته بغتات الوجود، فتجاوز أن يكون منبعاً للحياة إلى أن يكون حافظاً للحياة في منبعها.

وفي النهاية يرى الرافعى أنه: على

(٤) الرافعي: وحي القلم: ج٢ ص٢٢

(٥) د. مصطفى الشكعة: مصطفى صادق الرافعي، كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا، ط٣، ص١٢٦، الدار المصرية اللبنانية عام ١٤١٩هـ. وانظر الرافعي: وحي القلم ٢/ ٢٤

(٦) الرافعي: وحي القلم: ج٢ ص٢٩ ـ ٤٠

هذا النمط يجب أن تفسر كل أوصافه ـ ﷺ ـ فهي بمجموعها طابع إلهي على حياته الشريفة، يثبت للدنيا بكل برهانات العلم والفلسفة: أنه الإنسان الأفضل، وأنه الأقدر، وأنه الأقوى [7].

وحول سمو الفقر في المصلح الاجتماعي الأعظم محمد ﷺ، يقول الرافعي كان النبي ﷺ على ما يصف التاريخ من الفقر والقلة، ولكنه كان بطبيعته فوق الاستغناء، فهو فقير لا يجوز أن يوصف بالفقر، ولا تناله المعاني النفسية التي تعلو بعرض من الدنيا وتنزل بعرض، فما كانت به خلة تحدث هدما في الحياة فيرممها المال.

إن فقره ـ ﷺ ـ كان من أنه يتسع في الكون لا في المال، فهو فقر يعد من معجزاته الكبرى التي لم يتنبه إليها أحدٌ، إلى الآن، وهو خاص به، ومن أين تدبرته رأيته في حقيقته معجزة تواضعت وغيرت اسمها، معجزة فيها الحقائق النفسية والاجتماعية الكبرى، وقد سبقت زمنها بأربعة عشر قرنا، وهي اليوم تثبت بالبرهان معنى قوله ـ ﷺ ـ في نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة».. [8]

وهذا المصلح الاجتماعي الأعظم يلقي فقره اليوم درسا على الدنيا العلمية الفلسفية، لا من كتاب ولا فكر، ولكن بأخلاقه وعمله وسيرته، إذ ليس المصلح من فكر وكتب، ووعظ وخطب، ولكنه الحي العظيم الذي تلتمسه الفكرة العظيمة لتحيا فيه.

ويعلق على هذه الكلمات أستاذنا الدكتور الشكعة بقوله: لكأني بالرافعي يريد أن يغمز بعض المذاهب الاجتماعية المعاصرة، المنبثقة من أفكار مكتوبة، لها بريق يجلب الأنظار، ولكنها عند التطبيق لا تؤتي الثمرة التي أرادت الفكرة أن تتمخض عنها، ذلك أنها أرضية. أما فلسفة محمد وإصلاحه الاجتماعي فمستمدة من السماء.

***

(7) الرافعي: وحي القلم ج٢ ص٤٢ ، ٤٨

(8) تفسير ابن كثير ٣٨١/٥

شخصية المسلم بين الواقع والمتوقع

(١)

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

القارىء المدقق لتاريخ الأمة الإسلامية يستطيع أن يحكم بسهولة على الحقبة التي يعيشها المسلمون حاليا، بأنها حقبة تتميز بالضعف المذهل، والتخاذل المرير، والهوان الذي قلما مرت به الأمة على مدى تاريخها الطويل، فقد ذاقت الأمة مرارات الهزيمة العسكرية مرارا، ولكنها لم تبلغ الحد الذي بلغته الآن من الشعور بالضياع والإحباط والقهر باستثناء مرات قليلة معروفة في تاريخها. وإذا كان جوهر الإسلام ـ ممثلا في نصوصه وثوابته العقائدية والتشريعية ـ لا يتغير وفقا لظروف انتصار أو هزيمة، فإن الشيء الذي تغير لا يتعدى أولئك المسلمين الذين يتبعون هذا الدين فيأخذون منه ويتركون وفق أهوائهم، لا وفق ما أراد الله تعالى منها. وهم في أخذهم وتركهم وفق أهوائهم يتأولون النصوص ويطوعونها؛ ليتخذوا منها سائرا لرغباتهم، وغطاء لنزعاتهم، فإذا ردهم أحد إلى الحق رموه بالمروق والشذوذ والإرهاب وإثارة الفتن. ولنستمع إلى القرآن الكريم وهو يشخص لنا حالة فئة من الناس فيقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ
ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ
اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ
صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا
فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي
أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ
جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ
لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

النساء [٦٠ ـ ٦٥]

ولنسأل أنفسنا الآن: هل لهذه الفئة وجود فى أمة المسلمين اليوم؟، وكم يبلغ عددهم أو نسبتهم؟، ومن المسئول ـ الآن ـ عن إصلاح حالهم بأن يعظهم، ويقول لهم فى أنفسهم قولاً بليغا؟ ثم ما أثر لغة هذه الآيات (يريدون ـ يريد الشيطان ـ إن أردنا ـ فى أنفسهم) فى بناء دلالاتها التشريعية والتربوية؟.

إن تكرار تعبير «فى أنفسهم» مرة عند الأمر بإصلاح أحوالهم، ومرة عند التعقيب على إظهارهم قبول حكم الشرع. فيه دلالة على أن الإسلام يولى النفس الإنسانية اهتماما كبيرا، ويراها ـ فى جميع أحوالها ـ مناط المسئولية، ومصدر السلوك، والأولى بالإصلاح.

وهل الشخصية الإسلامية ـ فردية كانت أو جماعية ـ إلا النفس المسلمة أو مجموعة النفوس؟!، لذلك يحسن بنا، ونحن فى سبيل تناول الشخصية الإسلامية أن نمهد لهذا التناول: لا بالإغراق فى تفاصيل تعريفات لا طائل من ورائها.

ولا بالإسراف فى تحديد مفاهيم كلمة (أبعاد) التى وردت فى العنوان. فذلك ترفٌ أو سرفٌ لا حاجة إليه فيما نعتقد. ولندخل مباشرة إلى «مربط الفرس» كما يقول العرب.

وذلك أن الأمة الإسلامية لا تنطبق عليها فى عصرنا هذا حالة الروم حين هزموا اليونان وانتصروا عليهم واحتلوا أثينا، لكن ثقافة اليونان وعلمهم وحضارتهم بهرت الروم؛ فانكبوا عليها نقلا وهضما وترجمة وتقليدا وتأثرا. حتى صارت آداب روما وفنونها وفلسفتها ونقدها صورة شوهاء من آداب الإغريق وفنونهم وفلسفتهم ونقدهم.

ولم تتحقق فيهم نظرية ابن خلدون الشهيرة: «إن المغلوب مولع دائماً بتقليد الغالب!». فقد قلد الرومان المنتصرون الإغريق المهزومين وعاشوا قرونا ثلاثة أو أكثر وهم على هذه الحال.

والأمة الإسلامية الآن مولعة بتقليد الغرب، ولكنها لم تنتصر عليه انتصاراً عسكرياً كما فعلت الروم، بل انهزمت أمامه هزائم عسكرية متتالية فى كل صقع من أصقاعها حين خضعت للاستعمار سنوات طوال حتى إذا خرج وخلفها: خلفها أمة مهزومة من الداخل، أمة تشعر بالهوان والدونية والانسحاق والتبعية وانعدام الوزن، ونجح الاستعمار فى أن يصنع له فى بلدان المسلمين صنائع من رجال خونة تولوا تكملة رسالة المستعمرين فى الإذلال والقهر النفسى للأمة.

ووقف علماء المسلمين مما يجرى موقف الحائر المحنق المغيظ، وانقسموا إلى ثلاث فرق: فرقة أراحت نفسها بموقف الرفض التام للعصر وكل ما فيه من منكرات مستحدثة، وغرقت فى تراثها فاكتفت به. وفرقة قلبت ظهر المجن لدينها وتراثها وادعت التحضر فطوعت النصوص والأحكام لتوافق هوى المستعمرين وأذنابهم. فوصفت بالاستنارة على حين وصفت سابقتها

بالجمود والتحجر. وفرقة أرادت التوسط فقالت: نأخذ وندع، ونقبل ونرفض، وظلت تكرر ذلك دون أن تبين للناس ما يأخذون وما يتركون، فكان لها من حسن النية ستار غطى عجزها وقصورها.

وإذا أردنا على ذلك دليلاً فلننظر فى تراثنا العلمى المعاصر مما ندرسهُ فى جامعاتنا: أليس كله ذا أصول غربية مادية؟، وهل قامت نظريات علم النفس التى يدرسها طلابنا فى معاهد وكليات التربية على شىء من تراث العرب والمربين المسلمين؟، أم تقوم جميعها على تجارب أجراها علماء الغرب على الكلاب والقطط والفئران والخيل والحمير والبغال، ومنها خرجوا بنظريات التعلم التى يراد لنا أن نطبقها على متعلمى المسلمين؟، وهل نجد للاقتصاد المعاصر جذورا إسلامية تدرس فى جامعاتنا؟، أم نجد لها جذورا فيما قال به «ماركس» من صراع طبقى؟ وما قال به «مالتوس» من خرافات سكانية؟، وهل يدرس طلاب جامعاتنا فى الاجتماع إلا ما قال به «دوركيم وماكس فيبر وسان سيمون وأضرابهم»؟ وجميعهم من الماديين الذين يفسرون الظواهر الاجتماعية تفسيراً مادياً بحتا؟!.

وما نراه فى مجال التربية أشد سوءا، فما زال طلابنا حين يدرسون تاريخ التربية وفلسفتها يتوقفون كثيرا أمام «جان جاك روسو» وكتابه «إميل» الذى اعترف فيه باعترافات بذيئة!!. أليس هذا هو رائد ما يسميه أساتذة جامعاتنا التربويون بالفلسفة الطبيعية؟!.

أقول قولى هذا؛ لأنطلق من «الواقع» فيما سيأتى من كلام عن أبعاد الشخصية الإسلامية المعاصرة: بين الواقع والمأمول. فما قدمته كاف لإبراز واقع الشخصية الإسلامية المعاصرة. ويمكن إجماله فى كلام موجز خلاصته: «أن هذه الشخصية المسلمة المعاصرة تعانى كثيرا من التغييب والتغريب، وقد أسهمت فى ذلك مؤسسات رسمية وغير رسمية؛ فأنتجت على مدى سنوات طوال أنماطا من الشخصية تعانى من هشاشة الالتزام الخلقى، وضعف الانتماء الدينى، والإحباط، والقهر، والشعور باليأس من النصر، والإحساس بالهوان، والضياع فى عصر يتسم بالقوة؛ وهى لا تملك من عناصر تلك القوة شيئا تعتصم به».

فما المخرج إذاً؟:

إن المخرج من هذا الوضع يتمثل فى رأيى: بأن نحاول التعرف إلى أبعاد شخصية المسلم كما رسمها القرآن الكريم لكى تكون تلك الأبعاد منهج حياة، تحاول كل المؤسسات ـ والأفراد ـ غرسه من جديد فى نفوس الجيل القادم من أمة المسلمين، عسى أن يكون غدهم خيرا من أمسهم، وأن يكون مستقبلهم أشد إشراقا من حاضرهم.

أولا الطهارة:

«الطهارة» هي: البعد المفقود في حياة المسلمين في عصرنا هذا، ولا يعنينا هنا أسباب ذلك، فقد أجملناه فيما سبق من عوامل سعت لإبعاد المسلم عن دينه، والطهارة إذا استشعر المسلم أنها سمةٌ لازمةٌ له؛ رأى لها انعكاساً في كل لحظة من لحظات حياته. فكما أن الإسلام طالبه بتطهير الظاهر بقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾

المائدة [٦]

إن جعل التراب هنا بديلاً للماء في التطهير فيه معنى عجيباً، ودلالة عظيمة أشار إليها قوله تعالى: ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ أي: أن التطهير إرادة إلهية، وما دام هذا شأنها فعلى المسلم أن يأتي بها كما أرادها له سبحانه وتعالى، على المسلم أن يأتي بها دون فلسفة أو إعمال فكر ودون موازنة بين تراب وماء، فالتطهير إذن له جانبان: جانب مادي ملموس، وجانب معنوي محسوس غير ملموس يتمثل في الطاعة، وقد اجتمع الجانبان في قوله تعالى:

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾

[المدثر: ٤ / ٥]

فجمع طهارة الثوب مع طهارة السلوك قولاً وعملاً.

أقول: كما أن الإسلام طالب المسلم بطهارة الظاهر: ممثلة في الختان والوضوء والاغتسال والتيمم، وتطهير الثوب، واعتزال النساء في المحيض، والإتيان في موضع الحرث، وتحري طيبات الطعام والشراب؛ فإنه أمره كذلك بطهارة الباطن فنهاه عن الغيبة والنميمة وأكل أموال الناس بالباطل، والكذب، والنفاق، وإساءة استخدام السمع والبصر واليدين والرجلين واللسان. كما نهاه عن البُخل وتحبيذ البخل، وإثارة الفتنة، وغير ذلك من مصادر التلوث النفسي.

كلّ ذلك يمكن أن يتحول إلى سلوك يومي في حياة المسلم حين يعاهد ربه ويعاهد نفسه أن يعيش طاهراً بمعنى الكلمة، فيتمثل ضدها وهو «النجاسة»، وكما يبتعد بأقدامه في أثناء سيره عن كل نجاسة حتى لا تلوث ملابسه، فليحتط لنفسه قبل أن ينجرف في حوار أو حديث مع أحدٍ وليسأل نفسه: هل هذا حديث طاهر أم نجس؟.. وحين يهم بكلمة أو نصيحة أو جواب سؤال.. إلخ فليكن شعاره دائماً: «لأعش طاهراً» في كل لحظة: حينذاك يشعر أنه في معية الله تعالى دائماً، وأن الله تعالى ظهيره ونصيره لأنه يطهر نفسه أولاً بأول وLحكمة ما، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾

البقرة [٢٢٢]

ولم يقل: «الطاهرين» لأن القرآن نزل عربياً بلغة دقيقة حساسة: فكلمة «متطهر» على وزن «متفعل» فيها معنى المشقة والمكابدة والمحاولة المستمرة من الإنسان أن يكون طاهراً. فالمتطهر هو التواب الذي يقوم كلما وقع، ويستغفر كلما أخطأ.

فإذا فعل الإنسان هذا، وعاش بشعار «لأكن طاهراً متطهراً» كان ذلك خير تحقيق لقوله تعالى:

﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾

الزخرف [٤٣]

ثانيا: الاعتدال:

البُعد الثاني في شخصية المسلم ينبغي أن يكون «الاعتدال» أو التوسط بين أيٍ متناقضين. فالمسلم ينتمي إلى أمة جعلها الله تعالى أمة وسطاً، أي أمة معتدلة التوجه، مستقيمة السلوك، ولا تغلو في دينها ولا ترفع منزلة أحدٍ أو تخفضها دون سببٍ من دينٍ أو تشريعٍ. ومن هنا توالت أوامر القرآن الكريم بالاعتدال:

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾

الأعراف [٣١]

﴿ لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾

المائدة [٨٧]

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ
نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

القصص [٧٧]

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾

النحل [١٢٥]

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾

الفرقان [٦٧]

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾

البقرة [٢٦٣]

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾

الإسراء [١١٠]

وإذا قلنا : إن « الاعتدال » أو « التوسط » سمةٌ ملازمة للشخصية المسلمة فلا ينبغى أن تتحول هذه السمة إلى شىء آخر كالإمَّعية أو ذوبان الشخصية بدعوى المرونة حيناً ، وبدعوى المحافظة حيناً آخر . بل يجب أن يكون للاعتدال مفهوم واضح محدد الملامح ، وله جوانب تفصله عن غيره من مفاهيم التبعية أو الاندماج أو التسامح أو ما شابه ذلك .

فالاعتدال الذى نعنيه يُقصد به :

أ) التوسط في الإنفاق بين التقتير والتبذير .

ب) التوسط فى العبادة بين الغلوّ والتفريط .

جـ) التوسط فى التفكير فيما شجر بين السلف من خلافات ، فلا يكفر المسلم مسلماً أفضى إلى ما قدم ، وإنما يكون شأنه مع هؤلاء وأولئك :

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾

الحشر [١٠]

د) إنصاف أهل الحق أينما كان موقعهم : أعداء كانوا أو أصدقاء ، عملاً بقوله تعالى :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
(٨) إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

الممتحنة [٨ ، ٩]

هـ) أن يلازم ، المسلم قول الحق فى كل حال ، شاهداً ، وبائعاً ، ومشترياً ، ومعلماً ، وسمساراً ، فلزوم الحق عليه مدار المعاملات بين المسلمين ، ولو تعوّد المسلمون اتخاذ الإيمان ذريعة للتحايل لوقع الناس فى شرٍ عظيم وفتنة كبرى ، فما نراه الآن من فساد الذمم ، واستحلال أموال الناس بالباطل عن طريق ظلم الإناث فى الميراث ، والتعامل بالشيكات ، والكذب فيها ، والغش التجارى فى الإنتاج ، وفى الإعلانات . . كل ذلك مرده إلى غيبة مفهوم « الاعتدال » من حياة المسلمين .

و) التيسير فى المهور ، حرصاً على إعفاف الشباب المسلم ، فالمغالاة فى طلب الشقق وتأثيثها والمهور الغالية تُصعّب الزواج على الشباب ، فينصرف بعضهم إلى الحرام ، أو يُفتن فى دينه ، والذكور والإناث فى هذا الأمر سواء بسواء ، ولو توسم المسلمون الاعتدال ليسّروا أمور الزواج ولشاعت مفاهيم المودة والرحمة والسكن بين الأسر التى تُبنى دعائمها على تقدير ظروف الطرف الأضعف .

ز) ومن جانب الاعتدال أيضاً ألا يُغرِق القادرون من المسلمين فى ملاذ الحياة ومتعها وينسَوْن الملايين التى لا تجد لقمة العيش إلا بشق الأنفس .

ح) ومما يدخل فى هذا الجانب أيضاً : ألا يترك الآباء أبناءهم يحاربون وحدهم أوقات فراغهم . بل يجب على الآباء أن يرشدوا أبناءهم إلى حقيقة أن المسلم لا ينبغى له أن يشكو مما يشكو منه الغرب من مشكلة « وقت الفراغ » فوقت المسلم مما يُحاسب عليه أمام ربه فلابد له من العمل الجاد ، أو السعى للعمل ، أو الاستمتاع الحلال ، أو التنفل أو الذكر ، أو ما إلى ذلك مما يجعل كل دقيقة فى عُمره ذات ثمرة .

« يتبـــــع »

حسن العشرة بين الزوجين فى الإسلام

(١)

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

بنى الإسلام الحياة الزوجية على المودة والرحمة بين الزوجين، وعلى الحب والتسامح بينهما، وعلى أن يسود التعاون والتفاهم حياتهما، وعلى أن يبذل كل واحد منهما قصارى جهده فى توفير السعادة والهناء للآخر، يقول الله تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الروم آية ٢١)

أى ومن آيات الله الدالة على وحدانية الله وقدرته، وعلى رحمته بالناس - سبحانه وتعالى- أنه خلق للناس (من جنسهم فى البشرية والإنسانية) أزواجا ليسكن بعضهم إلى بعض، ويميل بعضهم إلى بعض، فإن الجنس إلى الجنس أميل، والنوع إلى النوع أكثر ائتلافا وانسجاما، وجعل بينكم يامعشر الأزواج والزوجات مودة ورحمة، ومحبة وألفة لم تكن بينكم قبل ذلك، وإنما حدثت عن طريق الزواج الذى شرعه الله بين الرجال والنساء، والذى وصفه سبحانه وتعالى بهذا الوصف الدقيق فى قوله- عز وجل- :

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ (سورة البقرة آية ١٨٧)

فالزوج والزوجة كلاهما ستر وغطاء للآخر، وفى هذا التعبير القرآنى ما فيه من اللطف والأدب وسمو التصوير لما بين الزوج وزوجته من شدة الاتصال والمودة واستتار كل واحد منهما بصاحبه.

وإذا كان الإسلام قد دعا إلى حسن العشرة بين الناس على وجه عام، لأن الإنسان لايستطيع أن يعيش بمفرده، فضروريات الحياة تحتم عليه أن يخالط غيره، وأن يتعامل ويتداخل مع غيره فى أمور معيشته، فمن باب أولى أن يحض الإسلام على حسن العشرة بين الزوجين، لأن أقرب ما يعاشره الإنسان ويصاحبه ويعامله ويخالطه الزوجة (الزوج) فهما الدائرة الأولى أو الدائرة الصغرى فى الحياة الاجتماعية التى تتم فيها المخالطة والمعاشرة بين الزوجين.

ولذا نجد الإسلام يطلب من كليهما حسن المعاشرة، فطلب من الرجال - بصيغة الأمر - حسن معاشرة النساء، يقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء آية ١٩)

إن كل قوانين البشر، ودساتير المنظمات الدولية الحديثة التى تدعو إلى حقوق الإنسان وحقوق المرأة، وإلى تنظيم العلاقات بين الجميع، هذه القوانين والدساتير تتضاءل وتتصاغر أمام هذا التكريم الإلهي للزوجة الذى أمر الله به المؤمنين فى هذه الآية الكريم :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

فإن المعاشرة بالمعروف تستوجب كل تكريم واحترام للزوجة، وتستوجب كل تقدير ورحمة ورأفة بها، وتستوجب احترام ضعفها وشعورها الرقيق، وتستوجب دوام الألفة والمحبة والمودة بينهما، وتستوجب الاستحضار الدائم للغاية النبيلة والهدف السامى الذى من أجله خلق الله الزوجة للإنسان، وجعل الرجل يعمل دائما فى خدمتها، ويعمل لراحتها.

ولأهمية حسن العشرة بين الزوجين، وتأكيد الإسلام على الالتزام بتنفيذ ذلك، والحرص على تطبيقه، نجد أن كثيرا من علماء المسلمين قد كتبوا فى هذا الموضوع لبيان شرحه، من هؤلاء حجة الإسلام الإمام أبوحامد الغزالى - رحمه الله - الذى أفاض فى تفاصيل بيان حسن العشرة بين الزوجين، وما يجب عليهما عمله لتحقيق حسن العشرة فى جميع مراحل العمر بدءا من الدخول وانتهاء بالفراق إما لانقضاء الأجل أو بالطلاق - لاقدر الله -.

ونظرا لأن ما كتبه الإمام فى هذا الموضوع يعتبر منهاجا ينبغى على كل زوج وزوجة أن يطبقه عمليا فى حياتهما الزوجية حتى يدوم حسن العشرة بينهما حرصت على أن أذكر هنا الآداب التى دونها الإمام حيث يقول[1] - رحمه الله - :

الأدب الأول : الوليمة. وهى مستحبة، قال أنس - رضى الله عنه - : «رأى رسول الله ﷺ على عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه أثر صفرة فقال : «ما هذا»، فقال : تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب «يقصد الصداق»، فقال : «بارك الله لك أولم ولو بشاة»، وأولم رسول الله - ﷺ - على صفية

(١) كتاب : احياء علوم الدين جـ ٢ بتصرف

بتمر وسويق، وقال ـ ﷺ ـ : «طعام أول يوم حق، وطعام الثانى سنة، وطعام الثالث سمعة، ومن سمع سمع الله به»، وتُستحب تهنئته فيقول من دخل على الزوج : «بارك الله لك، وبارك عليك وجمع بينكما فى خير»، ويُستحب إظهار النكاح. قال ـ ﷺ ـ : «فَصلُ ما بين الحلال والحرام الدفُّ والصوت»(٢)، وقال ـ ﷺ ـ : «أعلنوا هذا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف».(٣)

الأدب الثانى : حسن الخلق معهن، واحتمال الأذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن، وآخر ما وصى به رسول الله ـ ﷺ ـ ثلاث كان يتكلم بهم حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه : جعل يقول : «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم لاتكلفوهم ما لا يطيقون، الله الله فى النساء فإنهن عوان فى أيديكم ـ يعنى أسراء ـ أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله»(٤)، وقال ـ ﷺ ـ : «من صبر على سوء خُلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خُلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون».(٥)

واعلم أنه ليس حُسن الخلق معها كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداء برسول الله ـ ﷺ ـ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل، وراجعت امرأة عمر ـ رضى الله عنه ـ فى الكلام، فقال : أتراجعينى «يا لكعاء»، فقالت : إن أزواج رسول الله ـ ﷺ ـ يراجعنه وهو خير منك، فقال عمر : خابت حفصة وخسرت إن راجعته، ثم قال لحفصة : لا تغترى بابنة إبن أبى قحافة فإنها حب رسول الله ـ ﷺ ـ وخوّفها من المراجعة، وكان ـ ﷺ ـ يقول للسيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ : «إنى لأعرف غضبك من رضاك قالت : كيف تعرفه؟ قال : «إذا رضيت قلت لا وإله محمد، وإذا غضبت قلت : لا وإله إبراهيم «قالت : صدقت إنما أهجر اسمك».(٦)

الأدب الثالث : الدعابة، أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة، فهى التى تطيب قلوب النساء، وقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق، فعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله احْمِلْنا على بعير، فقال : «أحملكم على وَلَد الناقة»،

(٢) الترمذى (١٠٨٨)

(٣) الترمذى (١٠٨٩)

(٤) مسند الإمام أحمد ٦/ ٢٩٠، ٣١١، ٣١٥

(٥) العلل المتناهية (١٣٥)

(٦) البخارى (٨/ ٤٩٧)

قالت : وما نصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : «هل تلد الإبل إلا النوق؟»(٧)، وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها كانت مع النبى ـ ﷺ ـ فى سفر قالت : فسابقته فسبقته على رجلى، فلما حَمَلْتُ اللحم سابقته فسبقنى فقال : «هذه بتلك السبقة».(٨)

الأدب الرابع : السياسة، وهى أن لا يتبسط فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها، ويسقط بالكلية هيبته عندها، بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض، قال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبّه الله فى النار، فحق الرجل أن يكون متبوعا لاتابعا، وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء، سمى الزوج سيدا :

﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾

(يوسف/ ٢٥)

فإذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا، ونفس المرأة على مثال نفسك : إن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا، وإن كبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ملكتها، وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج، وكانت المرأة تقول لابنتها : اختبرى زوجك قبل الإقدام والجرأة عليه. انزعى زج رمحه «الحديد الذى فيه» فإن سكت فقطعى اللحم على ترسه، فإن سكت فكسرى العظام بسيفه، فإن سكت فاجعلى الإكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك. وعلى الجملة فبالعدل قامت السماوات والأرض، فكل ما جاوز حده انعكس على ضده، فينبغى أن تسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة، وتتبع الحق فى جميع ذلك لتسلم من شرهن، فإن كيدهن عظيم وشرهن فاش، والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل، ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة.

الأدب الخامس : الاعتدال فى الغيرة. وهو أن لا يتغافل عن مبادىء الأمور التى تخشى غوائلها، ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن، فقد نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن تتبع عورات النساء. وفى لفظ آخر : أن تبغت النساء، وقال ـ ﷺ ـ : «إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله، ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله، فأما الغيرة التى يحبها الله فالغيرة فى الريبة، والغيرة التى يبغضها الله فالغيرة فى غير ريبة، والاختيال الذى يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة، والاختيال الذى يبغضه الله الاختيال فى الباطل»(٩)، لأن غيرة الرجل

(٧) ابن عدى (٣/ ١٠٢٠)

(٨) أبو داود (٢٥٧٨)

(٩) سنن النسائى (٥/ ٧٨)

على أهله من غير ريبة من سوء الظن الذى نهينا عنه، فإن بعض الظن إثم، وقال ـ ﷺ ـ : «إنى لغيور، وما من امرىء لا يغار إلا منكوس القلب»[١٠] ـ هو الديوث ـ، وقال ـ ﷺ ـ لابنته فاطمة- رضى الله عنها : «أى شيء خير للمرأة؟» قالت : أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل، فضمها إليه وقال : «ذرية بعضها من بعض»،[١١] فاستحسن قولها.

الأدب السادس : الاعتدال فى النفقة. فلا ينبغى أن يُقتّر عليهن فى الإنفاق، ولا ينبغى أن يسرف، بل يقتصد. قال تعالى :

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾

(آية ٣١ سورة الأعراف)

وقال تعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾

(آية ٢٩ سورة الإسراء)

وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ «خيركم خيركم لأهله»[١٢]، وقال ـ ﷺ ـ : «دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك. أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك»[١٣]، وينبغى أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك! فهذا أقل درجات الخير، وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح إذن من الزوج، ولا ينبغى أن يستأثر عن أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه، فإن ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف، ولا ينبغى أن يصف عندهم طعاما ليس يريد إطعامهم إياه، وإذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته، فقد قال سفيان- رضى الله عنه : بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة، وأهم ما يجب عليه مراعاته فى الإنفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لأجلها، فإن ذلك جناية عليها لا مراعاة لها.

الأدب السابع : أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب، ويُعلم زوجته أحكام الصلاة والصيام وما يُقضى منها فى الحيض وما لا يقضى، فإنه أمر بأن يقيها النار بقوله تعالى :

﴿ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾

(آية ٦ سورة التحريم)

فيشرح لها أركان الإسلام بما يجعلها تلم بها إلماما يقيها الوقوع فى المخالفة لأحكام الإسلام العامة فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة، ويزيل عن قلبها كل بدعة إن

(١٠) اتحاف السادة المتقين (٥/٣٦٢)
(١١) مجمع الزوائد (٩/٢٠٢)
(١٢) الطبرانى فى الكبير (١٩/٣٦٢)
(١٣) مسند الإمام احمد (٢/٤٧٣)

استمعت إليها ويخوفها فى الله إن تساهلت فى أمر الدين، وهذا أقل ما تراعيه النساء، فإن كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء، وإن قصر علم الرجل ولكن ناب عنها فى السؤال فأخبرها بجواب المفتى فليس لها خروج، فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال، بل عليها ذلك ويعصى الرجل بمنعها.

الأدب الثامن : القسم : فإذا كان له نسوة فينبغى أن يعدل بينهن ولا يميل إلى بعضهن، فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهن، كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ، فإن ظلم امرأة بليلتها قضى لها، فإن القضاء واجب عليه، وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «من كان له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى ـ وفى لفظ ولم يعدل بينهما ـ جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل»[١٤]، وإنما عليه العدل فى العطاء والمبيت وقيل : كان لعلى- رضى الله عنه- أربع نسوة، فكان يشترى لكل واحدة فى كل أربعة أيام لحما بدرهم، وأما فى الحب والوقاع فذلك لايدخل تحت الاختيار:

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾

(آية ١٢٩ سورة النساء)

أى أن تعدلوا فى شهوة القلب وميل النفس، ويتبع ذلك التفاوت فى الوقاع. وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يعدل بينهن فى العطاء والبيتوته فى الليالى ويقول : «اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك»[١٥] يعنى الحب. وقد كانت السيدة عائشة-رضى الله عنها- أحب نسائه إليه، وسائر نسائه كن يعرفن ذلك، وكان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن يقسم بينهن ـ ويقول : «أين أنا غدا؟» ففطنت لذلك ـ زوجة منهن ـ فقالت : إنما يسأل عن يوم عائشة، فقلن : يارسول الله قد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل فى كل ليلة، فقال : «وقد رضيتن بذلك؟» فقلن : نعم. قال : «فحولونى إلى بيت عائشة».[١٦]

«يتبع»

* * *

(١٤) سنن النسائى (٧/٦٣)
(١٥) إتحاف السادة المتقين (٥/٣٦٨)
(١٦) إتحاف السادة المتقين (٥/٣٦٨)

عن التقدم والانتماء فى مشروعنا النهضوى

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

منذ أكثر من مائة عام سنة ١٨٩٦ – توفى عبدالله النديم [١٢٦١-١٣١٣هـ ١٨٤٥-١٨٩٦م]. توفى «منفيا» فى الأستانة بسبب عدائه للاحتلال الإنجليزى لمصر، ودوره فى الثورة العرابية.. وعندما توفى واراه الثرى أستاذه جمال الدين الأفغانى – الذى لحق به بعد عام.

وفى فكر عبدالله النديم، وما كتب عنه من دراسات، نجد «السياسى» قد ظلم «الثقافى» ظلما شديدا.. فالرجل كان واحدا من أبرز مفكرى ومثقفى تيار الجامعة الإسلامية – الذى قاده الأفغانى – لكن دوره المتفرد فى الثورة والسياسة قد لفت الأنظار عن إسهامه الفكرى والثقافى.. حتى أن الكثيرين لا يعرفون أنه واحد من طلائع مثقفينا الذين كتبوا عن «التقدم» وعن «الانتماء».

وعندما يكون موضوع هذه الصفحات عن «الانتماء الثقافى للنديم».. فإن أول ما يجب هو تحرير مضامين المصطلحات..

* فالانتماء: هو الانتساب، الذى يجسد خيوط الولاء التى تشد الإنسان المُنْتَسِب إلى



عبدالله النديم — جمال الدين الأفغانى

ما ينتسب إليه، فيرتبط به، وينجذب إليه، ويُخلص له الولاء والانتماء.

* والثقافى: – نسبة إلى الثقافة – التى هى جماع المهارات التى تثمر عمران النفس الإنسانية وتسهم فى تهذيبها –تثقيفها– وارتقائها على درب المثل والمقاصد والنماذج التى صاغتها وتصوغها العقائد والفلسفات التى يؤمن بها هذا الإنسان.. فهى – الثقافة – مع «المدينة» – التى تمثل عمران «الواقع» – جماع الحضارة والعمران.

* والحديث عن الانتماء والانتساب والولاء الثقافى لعبدالله النديم، لابد وأن يحدد موقع انتمائه الثقافى إزاء:

أ- الوافد الثقافى الغربى – الذى فُتحت أمامه الأبواب، فى عصر النديم، أكثر من ذى قبل.

ب- وإزاء موروثنا الفكرى والثقافى، وتيارات هذا الموروث..

جـ- وموقع النديم – ولاء وانتماء – من دوائر الانتماء الثقافى:

١- الوطنية – التى كانت تمثلها مصر.

٢- والدائرة الشرقية: والتى كانت تستخدم، فى أدبيات ذلك العصر، للدلالة على الدائرة الإسلامية، وما فى أوطانها الشرقية من أجناس وأقوام، ومن ملل وأديان.

٣- والدائرة الجنسية – التى تحدد حدودها الأعراق.

٤- والدائرة العثمانية – الجامعة لأقوام وملل شرقية متعددة.

أين كانت ثقافة النديم من هذه الدوائر والمؤثرات والمرجعيات؟

* ولقد اعتمدت هذه الدراسة واحدا فقط من الآثار الفكرية للنديم كى يكون الديوان الذى نكتشف فيه ومنه انتماءه الثقافى.. وهو مجلة (الأستاذ).

ولم يكن سبب الوقوف عند [الأستاذ]، دون غيرها من صحف النديم وكتبه، بسبب حجم الدراسة – الذي قد يقتضى الاقتصاد غير المخل – فى المصادر.. وإنما كان الاكتفاء بهذا المصدر – مجلة (الأستاذ) – مؤسسا على العديد من الأسباب:

١- فمجلة (الأستاذ) هى آخر الأعمال الفكرية لعبدالله النديم، وفيها تجسد الموقف الأخير الذى انتهت إليه وختمت به رحلته الثقافية، التى حفلت بالمراحل والأطوار والمواقف والآراء..

٢- وفيها تمثلت مرحلة نضجه الفكرى، حتى إنه يسمى أعداد – أجزاء – هذه المجلة – فى آخر مقالاته بآخر أعدادها – يسميها «أجزاء كتاب العبر، وباب المبتدأ والخبر»؟![1]

(١) الأستاذ. العدد الثانى والأربعون. ص١٠٣١.

٣ - وعلى صفحات هذه المجلة تناثرت خلاصات تأملاته فى سنوات اختفائه العشرة.. بل لقد كان نشر هذه المجلة لخلاصات موضوعات المؤلفات العشرين التى كتبها النديم فى فترة اختفائه واحدا من مقاصد إصدار هذه المجلة.. يعلن عن ذلك شقيقه «عبدالفتاح النديم الإدريسى»، وفى العدد الأول من [الأستاذ] فيقول: «والحامل لى على فتح هذه الجريدة[٢]، أنى رأيت شقيقى الفاضل السيد عبدالله افندى النديم، المنشىء الشهير، قد مضى مدة اختفائه مشتغلا بوضع كتب لا تخلو من الفوائد.. فاستأذنته فى نشرها.. ومع كونى اتخذت هذه المؤلفات مادة للجريدة، فإنى وكلت تحرير مطالبها وترتيب رسائلها لقلمه..»[٣].

ففى مجلة (الأستاذ) خلاصة مؤلفات النديم، والآراء التى ختم بها مرحلة جهاده الفكرى بعد حقبة الاختفاء.

٤ - ويزكى هذا الاختيار لهذا المصدر، أيضا، ما تميزت به حقبة صدور (الأستاذ) من بعد عن ملابسات الهياج الفكرى وثقافة الشعارات وصياغات التعبئة الوطنية الحادة، التى تميزت بها - وكان لابد أن تتميز بها - مرحلة الثورة العرابية، ومقالات النديم أثناءها.

٥- كذلك، كانت المواجهة - إبان صدور (الأستاذ) - مع «الآخر الثقافى»، والوافد الفكرى الأوربى، حقيقة قائمة على أرض الواقع الثقافى - وليست مجرد احتمال - فكانت [الأستاذ] ميدانا من ميادين هذه المواجهة مع المنابر الثقافية والفكرية والسياسية التى مثلت «الآخر الثقافى»، فى ذلك التاريخ، وخاصة منبرى [المقتطف] و[المقطم] اللذين تمثلت فيهما حملة التبشير بمذاهب الغرب وبالسياسة الاستعمارية..

ثم إن حجم هذا المصدر - [الأستاذ] - كبير، فصفحاتها تربو على الألف - ١٠٣٢ صفحة - .. الأمر الذى يجعلها - بمادتها الثقافية - وافية كل الوفاء بتحديد معالم الانتماء الثقافى لعبدالله النديم.

٨- ويزيد من أهمية هذا المصدر، مكانته فى ساحة الفكر والثقافة الشرقية - وليس فقط المصرية - فى ذلك التاريخ - فهذه المجلة الأسبوعية، التى لم يزد عمر صدورها على عشرة أشهر[٤]، قد فاق انتشارها كل الصحافة المصرية فى عصرها - جرائد كانت تلك الصحافة أو مجلات - يومية كانت أو أسبوعية أو شهرية ؟!.. فعلى حين كان توزيع [الهلال] - الشهرى - ٧٤٠ نسخة.. و[المقتطف] - الشهرى - ١٣٠٠ نسخة..

(٢) كان عبدالله النديم «محرر الجريدة» وكان شقيقه «مدير الجريدة»

(٣) الأستاذ . العدد الأول ، ص٣

(٤) صدر العدد الأول: الثلاثاء، أول صفر سنة ١٣١٠هـ - ٢٤ من أغسطس ١٨٩٢م ، وصدر عددها الأخير ، الثانى والأربعون . يوم الثلاثاء، ٢٨ من ذى القعدة سنة ١٣١٠هـ ١٣ من يونيو سنة ١٨٩٣م

و[المقطم] - اليومى - ١٤٥٥ نسخة.. و[الأهرام] - اليومى ٢٧٧٥ نسخة.. فإن توزيع مجلة [الأستاذ] قد بلغ ٢٨٤٠ نسخة متفوقا على سائر الصحف المصرية فى ذلك التاريخ!! فهى «ديوان» الانتماء الثقافي للنديم.. وهى أوسع دواوين الانتماء الثقافى - لمجتمعنا - انتشارا فى تلك الحقبة المتميزة من حقب المواجهة بين ثقافتنا وبين الوافد الثقافى الأوربي.. الأمر الذى يرشحها مصدرا وافيا لدراسة موضوع هذه الصفحات.

الانتماء الثقافى.. والتقدم

كانت حياة النديم معركة في سبيل الاستقلال الوطنى والتقدم الحضارى، تعددت فيها الآليات، وتمايزت «نبرات الصوت»، دون أن يغيب المقصد عن هذا المفكر السياسى المناضل فى لحظة من اللحظات.

وفى الحقبة التي صدرت فيها [الأستاذ] - فى ظل حكم الاحتلال الإنجليزى.. وتحكم اللورد كرومر [١٨٤١ - ١٩١٧م] - كان النديم يتحايل، كى يواصل جهاده، بالإعلان عن أنه لن يخوض فى «السياسة»، بمعنى «الإدارة»، «... وأما فن السياسة، من حيث هو، فإنه يدخل في موضوعها العلمى، فإن علم التاريخ والأخلاق والعادات وتدبير الممالك ووحدة الاجتماع العالمى من الفروع السياسية» التى تدخل فى صميم رسالة [الأستاذ][٥].. ومن هذا الباب لم تدع هذه المجلة ميدانا من ميادين المواجهة مع الاستعمار الإنجليزى، ومع الوافد الثقافى الأوربى - الذى قامت له منابر ثقافية وإعلامية رعاها الاحتلال الإنجليزى فى مصر يومئذ - لم تدع [الأستاذ] ميدانا من هذه الميادين إلا وخاضت فيه.. ففى التصدى لسلطة الاحتلال المباشرة، استخدم النديم أسلوب «الرفق» لتحقيق الجلاء، وكتب يقول: «وبالرفق يستخرج الإنسان الحية من وكرها.. وفى الإشارة ما يغنى عن الخبر، فاعتبروا يا أولى الألباب»[٦].. أما فى الفكر والثقافة، فلقد كانت أعداد المجلة صراعات بين الانتماء الثقافى للنديم وأمته وبين الوافد الغربى الذى يبشر به «الأجراء» و«العملاء»!..

ولهذه الملابسات، فإن حديث النديم عن الانتماء الثقافى للأمة، لم يكن لونا من ألوان «الترف الفكرى»، وإنما كان سلاحا لمقاومة الاحتواء الاستعمارى للأمة، وتحقيقا لشرط من شروط التقدم الحقيقى، الذى يخرج الأمة من مأزق «التخلف الموروث» و«الهيمنة الوافدة».

والنديم، الذى كتب دراسة ضافية عن أسباب تأخرنا وأسباب تقدم الغربيين، برغم أن «الخلق واحد» - وجعل عنوانها: «بم

(٥) الأستاذ . العدد الأول . ص٢، ٣

(٦) المصدر السابق . العدد الثاني والعشرون . ص٥٢٨، ٥٢٩

تقدموا وتأخرنا والخلق واحد»(٧).. ولعلها أقدم الدراسات فى هذا الموضوع.. كان مهموما بقضية «التقدم» باحثا عن عوامل التراجع الحضارى، وعن شروط النهضة.. ولقد امتدت بصيرته إلى الجذور التاريخية لتراجعنا الحضارى، ورصد من عوامله الداخلية:

أ- حكم التغلب وسلطان الاستبداد.

ب- وتجزئة السلطة وتشرذم الأقاليم فى ديار الإسلام..

جـ- وتراجع سلطان العلماء وتأثير المؤسسات العلمية والتعليمية.

د- وضيق السلاطين بالحرية الفكرية، وتضييقهم على أرباب الأفكار الحرة وأهل الاجتهاد والتجديد.. وهى أمراض التخلف الداخلى، التى طرأت على حياتنا بعد حقبة ازدهار الحضارة الاسلامية، عندما «جاءت الدولة العربية وأطلقت حرية الأفكار وجمعت العلماء من جميع الجهات، وترجمت كتب الأوائل الحكمية وغيرها، وفتحت بابا أغلقه الجهل قرونا طويلة. ثم انقضى دور الضخامة وتوحيد الكلمة، وجاء وقت المتغلبين، فتجزأت المملكة وتصدى الثائرون لقتل العلماء وإحراق الكتب وهدم المدارس، فانطفأت أنوار العلوم الشرقية، وضيق ملوك الشرق على أرباب الأقلام»(٨).

وأبصر النديم دور التحديات الخارجية، التى جابهت المسيرة الحضارية لأمتنا، ودورها فى تنمية الأمراض الداخلية للتراجع الحضارى، وفى إطالة عمرها، والحيلولة دون الخلاص منها.. وعلى هذه الجبهة رصد تحديات الغزوة التترية والحروب الصليبية.. ودورهما فى استدعاء ودعم سلطات التغلب والاستبداد، وفى تراجع دور العلم وسلطان العلماء.. فبعد أن «انبثت روح العلم فى المسلمين، وظهر منهم علماء الشريعة الغراء، والآليات، والرياضيات، والطبيعيات، وزينوا الدنيا بعلومهم، وملأوها بآدابهم، ومزقوا ثوب الجهالة والضلالة بسيف الدين والعلم. جاءت فتنة التتار، فقهرت سير المسلمين، وأوقفت التقدم العلمى وأعظم منها فتنة الحروب الصليبية، التى غرست العداوة بين الملتين الإسلامية والمسيحية، ولا شت القوة العلمية بالقوة العدوانية، فأخذ العلم فى الانزواء ثم فى التلاشى بموت أهله وإقفال مدارسه وإحراق كتبه ونهبها»(٩)..

وبعد الرصد لأسباب التخلف التاريخى، الداخلى منها والخارجى، نبه النديم على أن التقدم إنما يمثل حركة شاملة للنهوض، لابد

(٧) المصدر السابق. العدد الخامس عشر. ص٢٣٧، ٣٥٢

(٨) المصدر السابق. العدد الخامس عشر. ص٢٤٨

(٩) المصدر السابق. العدد الحادى والثلاثون. ص٧٣٠

فيها من تضافر «الملوك ـ والدول» و«العلماء وأرباب الأقلام والأفكار» و«الأغنياء وجمعيات وشركات التجارة والصناعة والزراعة».

فإذا كان «التأخر إنما جاء من تعميم «الجهالة» بإغضاء الملوك عن وسائل التعليم، والتضييق على أرباب الأقلام والأفكار، وبعد الأغنياء عن الجمعيات، وتقاعدهم عن ضروب التجارة والصناعة والزراعة ورضاهم بالبقاء تحت أسر الشهوات».. فإن التقدم مشروط بإطلاق الملوك حرية الأفكار والمطبوعات، تحت المراقبة، وبذل الأغنياء الذهب فى حياة الصنعة، وتعميم المعارف فى المدن والقرى، ومساعدة العلماء على الرحلة خلف حياة العلم، واجتماع كلمة الملوك والوزراء والأمم على السعى خلف التقدم، وبذلك يمكنهم أن يوقفوا تيار أوربا شيئا فشيئا حتى يضارعوها قوة وعلما..»(١٠)

فلم يكن النديم داعية لمطلق «التقدم» ولا لأى «تقدم».. وإنما هو هنا داعية «للتقدم الذى يوقف تيار أوربا شيئا فشيئا وذلك بمضارعتها قوة وعلما».. ولهذه الحقيقة التى ميزت التقدم الذى دعا إليه النديم، والتى ميزت وتميز الانتماء الثقافى الذى أفاض فى الحديث عنه، جاء حديثه عن ضرورة تحديد «المرجعية والمبدأ» الذى تبنى عليه الأمة أعمالها على درب التقدم. إخراجا لها وخروجا بها من الحيرة التى تعانيها إزاء التعددية فى مرجعيات ومبادىء التقدم والنهوض.. «فرجال الشرق، أخذوا يحاكون أوربا.. وسعوا فى جمع كلمتهم، وعقد الجمعيات لفتح مدارس العلوم والصنائع وتهذيب النفوس وتعميم الآداب، ولكنهم، مع بقائهم على التفرق، وعدم اتخاذ مبدأ يبنون عليه أعمالهم، لا تزال الأيام تقيمهم وتقعدهم، وهم حيارى بين المقعد والمقيم»(١١).

ولم يترك النديم قارئه فى حيرة إزاء الانتماء الثقافى «للمرجعية» والمبدأ الذى زكاه منطلقا للتقدم الذى دعا إليه.. فهو انتماء «للجامعة الشرقية» وثقافتها.. تلك التى رآها إطارا جامعا يضم تحت جامعه الأكبر العديد من دوائر الانتماء الفرعى، التى تتكامل فى بناء نموذج ثقافى شرقى ـ متميز عن النموذج الثقافى الغربى.. الذى صارعه النديم على صفحات مجلة «الأستاذ»..

وقضية «التعددية» فى دوائر الانتماء الثقافى، تبرز فى كتابات النديم عندما يعرفنا بنفسه، فهو «عبدالله النديم، الإدريسى، الحسنى، الأشعرى، الشافعى، الخلوتى، الإسكندرى..»(١٢) ففيه تتعدد

(١٠) المصدر السابق. العدد الخامس عشر. ص ٣٥٢

(١١) المصدر السابق. العدد العشرين. ص٤٦١، ٤٦٢

(١٢) المصدر السابق. العدد الحادى والاربعون. ص٩٩٩

وتتكامل دوائر الانتساب والانتماء إلى الأسرة.. وإلى آل البيت من أبناء الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما - وإلى الأشعرى.. فى علم الكلام وأصول الدين.. وإلى الشافعى - فى فقه الفروع - وإلى الخلوتية فى طرق التصوف، وإلى الاسكندرية فى الميلاد والنشأة..

وفى عناوين مؤلفات النديم تطالعنا هذه الحقيقة.. ففيها كتاب عن «وطنية الشرق».. وكتاب «نحن وأنتم» عن تميز الشرق عن الغرب الأوربى.. وكتب عن التاريخ العربى والتراث الإسلامى.. ومن بين كتبه العشرين عشرة خالصة للإسلاميات[١٣].

أما مجلة «الأستاذ»، التى وصف أعدادها بأنها «أجزاء كتاب العبر، وباب المبتدأ والخبر»[١٤].. والتى كانت منبرا للرابطة الشرقية، فإنه يصفها بأنها «جريدة إسلامية» تجاور «جرائد دينية مسيحية للبروتستانت»، وتصارع «جرائد الأجراء».. المبشرين بالانتماء الثقافى للغرب.. من مثل «المقتطف» و«المقطم»[١٥]!!

وإذا كان النديم قد بدأ حياته الفكرية والثقافية فى صحافة تيار الجامعة الإسلامية، الذى بلوره وقاده جمال الدين الأفغانى.. وختم حياته بصحبة الأفغانى فى الآستانة - حيث شيعه الأفغانى إلى مثواه الأخير - فإنه قد أعلن - فى مجلة (الأستاذ) - عن انتمائه لهذا التيار التجديدى، الذى سعى إلى تجديد دنيا المسلمين بتجديد دين الإسلام.. ففضلا عن إعادته نشر بعض مقالات (العروة الوثقى) - لسان حال ذلك التيار[١٦] - فإن حديثه عن الأفغانى وعن الإمام محمد عبده شاهد على هذا الانتماء..


محمد عبده

فهو يتحدث عن «السيد جمال الدين الأفغانى، الشهير، الغنى عن التعريف، الرجل الذى جرب الأمور، وساح الأقطار، وخالط الأمم، وداخل السياسيين، ودرس التاريخ الحاضر والماضى، وامتد باعه فى العقليات، فأصبح أمة وحده بين ذوى الفضل، الأمر الذى دعا مولانا الخليفة الأعظم لاستدعائه وإدخاله فى لفيف العلماء الخاص بمجلسه العالى، فقد أهلته المعارف والتجارب والمخالطة العامة لمسامرة الملوك

(١٣) المصدر السابق. العدد الثانى والاربعون. ص١٠٢٥، ١٠٢٦
(١٤) المصدر السابق. العدد الثانى والاربعون. ص١٠٣٦
(١٥) المصدر السابق. العدد الرابع والثلاثون. ص٧٩١، ٧٩٢
(١٦) المصدر السابق. العدد الثامن والثلاثون. ص٨٩٧، ٩٠٥

والنظر فى السياسات العالية. وهذا كله من فضل السيد الأعظم حفظه الله - تعالى»[١٧].

فإذا كان السلطان وأمير المؤمنين - عند النديم - هو «الخليفة الأعظم»، فإن «السيد الأعظم» هو جمال الدين الأفغانى؟!.. وهو يكتب ذلك فى ظل الاحتلال الانجليزى، يوم كان الانتساب للأفغانى من كبائر المحرمات!

أما تقدير النديم للإمام محمد عبده - وهو أبرز تلاميذ الأفغانى.. وأعظم مهندسى صرح التجديد الإسلامى فى مدرسة الجامعة الإسلامية - وللكتاب والمفكرين الذين تكونت منهم مدرسة النهوض بالعربية والتجديد لأساليب التحرير بها - فإنه يتجلى من وصف النديم الذى يقول فيه: «... أفضل الفضلاء، وإمام محراب الانشاء، الأستاذ الشيخ محمد عبده، والجهابذة المتفننين، والكتبة المقتدرين: حسن بك حسنى، وابراهيم أفندى على اللقانى، وإبراهيم أفندى الهلباوى، وحسن أفندى الشمسى، وأحمد أفندى سمير، ووفا أفندى محمد، وسعد أفندى زغلول، والطيب الذكر أديب أفندى اسحق، وغيرهم من الفضلاء الذين عرفتهم الأقلام بما أودعوها من أسرار الإنشاء وضروب التحرير»[١٨].

وهى أوصاف شاهدة على موقع فكر أعلام هذه المدرسة من مدارس الإحياء والتجديد الإسلامى فى الانتماء الثقافى لعبدالله النديم.

ففى إطار «الجامعة الإسلامية» - والتى كثيرا ماسميت «الجامعة الشرقية» و«الرابطة الشرقية» - كان الانتماء الثقافى للنديم..

وفى إطار هذا «الجامع الأكبر.. والأول.. والأشمل» رأى النديم تعدد وتكامل دوائر الانتماء الثقافى، إن على مستوى الفرد.. أو الوطن.. أو الجنس.. أو الأمة.. أو دولة الخلافة، التى كانت تجمع، يومئذ العديد من دوائر الانتماء.

***

(١٧) المصدر السابق. العدد السادس والثلاثون. ص٨٦٨، ٨٦٩
(١٨) المصدر السابق. العدد التاسع والثلاثون. ص٩٣٨

مجددون؟ لا.. بل مبــــددون!

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

قضية الميراث

٢

في تشريع الميراث عدل وإنصاف، فما دام الوارثون من يرثون صفات الراحلين، من قبح، وجمال، وضعف، وقوة، فالعدل قاض بأن يأخذوا أموالهم.

عتاب

وقد كان المتوقع من الكاتب لأنه صاحب رأى، ومن صناع الكلمة كان المتوقع أن يدخل إلى الساحة من باب «الرأى» فيتساءل مثلا: لماذا كانت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؟

لكنه دخل من باب «الميراث»، فهل أتت الرياح بما يشتهى السفن؟!

من المظلوم ومن الملوم؟!

إذا مات رجل عن ولدين: ذكر وأنثى.

لهما ثلاثة آلاف دينار مثلا، كان للذكر ألفان ولأخته ألف

يقول عز وجل

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾

[النساء: ١١]

ويهمنا أن نركز النظر فى الآية الكريمة التى تجعل الأنثى مشبها به والذكر مشبها.

وإذن فهى الأصل الذى يقاس عليه.. إنها الطرف الأصيل حيث لم تقل الآية الكريمة للأنثى من نصف الذكر؟!

ثم لنتابع.. محمد رشيد رضا، وهو يفصل القول هنا تفصيلا يهدم الفكرة فى أذهان المغرضين المفترين.

قال رحمه الله: فإذا تزوج هو فإن عليه أن يعطى امرأته مهرا. وأن يعد لها مسكنا. وأن ينفق عليها من ماله: سواء كانت فقيرة أم غنية.. ففى هذه الحالة تكون الألفان له. ولزوجه فيكون نصيبه بالفعل مساويا لنصيب أخته أو أقل منه.

ثم إذا ولد له أولاد يكون عليه نفقتهم وليس على أمهم منها شىء.

وفى هذه الحالة، يكون ماله الموروث دون مال أخته: فإنها إن تزوجت كما هو الغالب- فإنها تأخذ مهرا من زوجها وتكون نفقتها عليه. فيمكنها أن تستغل ما ورثته من أبيها لم تنميه لنفسها وحدها.

فلو لم يكن للوارثين إلا ما يرثونه من أمواتهما لكانت أموال النساء دائما أكثر من أموال الرجال.

ثم إن التشريع الإسلامى لم يضاعف نصيب الرجل أمام نصيب المرأة فى كل الأحوال:

فهناك حالات يتساوى فيها نصيب كل منهما:

مثل: تساوى الأم والأب فى استحقاق سدس التركة إذا كان للميت ولد.

وكذلك الأخ لأم. والأخت لأم.

لكل منهما السدس إذا كان الميت يورث كلا له (أى: لا والد له ولا ولد)

ولو ترك الميت بنتا وأخا فللبنت النصف فرضا وللأخ النصف الباقى تعصيبا.

وكذلك لو ترك الميت بنتين وأخا: فللبنتين الثلثان فرضا لكل واحد منهما الثلث وللأخ الثلث الباقى تعصيبا.

بل هناك حالات يزيد فيها نصيب المرأة على نصيب الرجل.

كما إذا ترك الميت بنتين وأخوين شقيقين فللبنتين الثلثان، لكل واحدة منهما الثلث، وللأخوين الشقيقين الثلث الباقى لكل واحد منهما السدس.

العلة القديمة.. الجديدة

إن الذين يعترضون على أحكام الميراث اليوم.. يضاهئون قول الذين كفروا من قبل:

لما نزلت آية المواريث قال بعض الأعراب: «يا رسول الله، أنعطى الجارية الصغيرة نصف الميراث.. وهى لا تركب الفرس.. ولا تدافع العدو»؟[٢]

وإذ يقول السطحيون ذلك جهلا، فما عذر الذين يحاولون اليوم هدم المعبد على من فيه!

ومنهم ذلك الفتى المغرور. والذى قال: إنما فقه فلان، وفلان، وفلان، فقه محدود،

(٢) رواه الطبرانى فى تفسيره موقوفاً على ابن عباس (٤/٢٧٥).

لم يتجاوز سروال امرأة أى: الحيض والنفاس؟!

ونقول له أولا: لن يضر البحر أمسى زاخرا إن رمى فيه غلام بحجر

وثانيا: لقد كان الحكماء فى الجاهلية أعقل من مثقفى اليوم.

قال أكثم بن صيفى: إن ما جاء به «محمد» ﷺ: لو لم يكن دينا لكان فى عرف الناس حسنا.

شاهد.. من بنى إسرائيل على أهله

يقول جوستاف لوبون: تعد مبادىء المواريث التى نص عليها القرآن بالغة العدل والإنصاف.

ويظهر من مقابلتى بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية: أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات التى يزعم أن المسلمين لا يعاشروهن بالمعروف حقوقا فى الموارث لا نجد مثلها فى قوانيننا.

وهذا رد حاسم على دعواهم بأن وضع المرأة فى الإسلام.. مهين.. وبخاصة فى قضية الميراث التى جعلوا منها «حائط المبكى» والأمر ليس كذلك؟

تجديد الخطاب

وسوف نتفق مع الكاتب على تحكيم «الخطاب الجديد» فى مسألة الميراث.. ولكن هناك نقطة نظام:

لقد انطلق الكاتب فى دعواه التسوية فى الميراث بين الرجل والمرأة.. انطلق من قاعدة المساواة التامة بين الرجل والمرأة فى التكوين والمواهب الإنسانية.

فهل الأمر كذلك.. حتى تسلم له دعواه.

لنستمع إلى الخطاب الجديد على لسان علماء متخصصين.. ينفون هذه التسوية مؤكدين عمق الفروق بين الذكر والأنثى.

إن للرجال زيادة قوة فى النفس والطبع ما ليس للنساء، لأن طبع الرجال غلب عليه الحرارة واليبوسة فيكون فيه قوة وشدة، وطبع النساء غلب عليه الرطوبة والبرودة.. فيكون فيه معنى اللين والضعف. فجعل لهم حق القيام عليهن لذلك.

يقول الدكتور محمد على البار:

ملايين من الخلايا توضح لك الحقيقة الفاصلة بين الجنسين: خلايا الجلد، خلايا الشعر، خلايا الدم.. حتى خلايا المخ.. والعظم: تنبئك بالحقيقة التى يريد بعض الناس اليوم تجاهلها.. بادعاء تماثل الجنسين.

وهم بذلك يصادمون الفطرة التى فطر الله الناس عليها: يصادمون الفطرة فى كل خلية من خلايا الجسم الإنسانى وفى كل ذرة من ذرات تكوينه.

وفى «هرموناته» المختلفة بين الذكورة والأنوثة. وفى تشريحه الجسمانى المختلف: ليس فى الجهاز التناسلى فحسب. بل فى تكوين العظام وهيآتها، وتكوين العضلات والأوتار وشدتها، ثم ترتفع

الفروق من الجسم إلى النفس، ومن الخلية إلى السلوك، ومن العظم.. إلى الفكر.. ومن الجلد إلى المنازع والرغبة والتوجه. (٣)

ولقد استفاضت الدراسات.. فأكدت اختلاف الطفل باختلاف جنسه: ذكرا أو أنثى.. وقالوا فى ذلك: إن جنس الطفل يحدد قدراته واتجاهاته حتى وهو مازال جنينا فى رحم أمه.. خاصة بالنسبة للجهاز العصبى فالوصلات العصبية لدى الصبى تأخذ مسارا مختلفا عن تلك الموجودة لدى الفتاة، وترجع هذه الفروق إلى أن الفص الأيسر فى المخ أقوى عند الصبى.. وبالتالى: تتجه كمية من الدم نحوه.. بينما عند الفتاة: تجد الفص الأيمن يحتاج إلى كميات أكبر من الدماء.. والذى يقوى لديها حاسة الشم والانتباه إلى الروائح والصور والأشكال (٤).

إن الفروق التى بين الرجل والمرأة لا تقتصر فقط على الاختلاف فى هيئة الأعضاء التناسلية ووجود الرحم وعوارض الحمل. بل هى تعود إلى طبيعة أكثر أساسية.

فالتباين بينهما ناتج عن تكوين الأنسجة نفسها وعن تشرب النظام الجسمانى كله بمواد كيماوية معينة تخرج من المبيض.. إن كل خلية من خلايا المرأة تحمل بصمات الأنوثة.

وقد ترتب على ذلك رفض الفقهاء من العلماء أن تتولى المرأة منصبا تنفيذيا وذلك من منظور علمى بحت.



العقاد

يقول العقاد: من الطبيعى أن يكون للمرأة تكوين عاطفى خاص. لا يشبه تكوين الرجل لأن ملازمة الطفل الوليد لا تنتهى بمناولته الثدى وإرضاعه. ولابد من تعهد دائم ومحاولة شعورية تستدعى كثيرا من التناسب بين مزاجها ومزاجه وبين فهمها وفهمه.

ثم يقول: يصعب عليها ما يسهل على الرجل من تحكيم العقل وتغليب الرأى وصلابة العزيمة.

فهما ولا شك مختلفان فى هذا المزاج اختلافا لا سبيل إلى المماراة فيه. (٥)

ويقول الشيخ الشعراوى:

إذا نظرنا إلى جنس انقسم إلى نوعين:

فيجب أن نقول: إنه لم ينقسم إلى نوعين إلا لأداء مهمتين، وإلا لو كانت المهمة واحدة لظل الجنس واحدا. ولم ينقسم إلى نوعين.

(٣) خلق الإنسان بين الطب والقرآن صـ١٢٧.

(٤) الأهرام العدد (٤١٩٣٧) ١/١/٢٠٠١م.

(٥) المرأة فى القرآن صـ١٤.

فانقسامه إلى نوعين. دل على أن كل نوع له خصوصية فى ذاته. والجنس يجمعهما.

وضرب لذلك مثلا بالليل والنهار كنوعين لجنس واحد وهو الزمن، هذا التنوع أدى إلى أن يكون لليل مهمة هى: السكن وأن يكون للنهار مهمة هى: السعى والكدح.

والرجل والمرأة بهذا الشكل نوعان لجنس هو: الإنسان، فكأن هناك أشياء تطلب من كل منهما كإنسان. وبعد ذلك أشياء تطلب من الرجل كرجل ومن المرأة كامرأة، بحيث نستطيع أن نقول: إنهما كنوعين من الجنس لهما مهمات مشتركة كجنس ومهمات مختلفة كنوعين.(٦)

ومن أجل ذلك فرق الإسلام بينهما فى أحكام منها: الميراث. والشهادة.

وفى كتابه «الجنس والأخلاق» أكد د.«أتوفينجر» الطبيب الفيلسوف النمساوى أن ذاكرة المرأة ضعيفة، فإنها لا تستحضر الماضى. كما يستحضره الرجل وقال: «إن التذكر هو التغلب على ما مضى من الزمن واستحضاره فى الذهن، ولا يمكن للمرأة -لأسباب عضوية ونفسية- السيطرة على هذه الموهبة.. لأن حياتها متقطعة. لا تذكر منها إلا اليسير بخلاف الرجل، فإنه يمكنه تتبع سلسلة حياته: حلقة فحلقة.. ولا يغيب عنه جوهرها فى أى وقت من الأوقات] ٦٤-١١٦.



الشعراوى

بل قرر ضعف قوتها العاقلة فقال: «لا يمكن للمرأة التفرقة بين الشعور والتفكير، أى: بين حياتها الوجدانية والعقلية. ولكن الرجل يمكنه فصلهما عن بعضهما فصلا تاما» ٧٦-٨٤.

وقال: «إن النبوغ إحدى مميزات الرجل. ولا يمكن أن تصل إليه المرأة.. مهما بلغت مواهبها.

وصدق الله العظيم:

﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾

[البقرة: ٢٨٢]

وقد يقول البعض: كيف يفضل الرجل على المرأة مع أن هناك أفرادا من النساء كن أذكى من الرجال. ومع تسليمنا بهذه الحقيقة التى يؤيدها الواقع، لكن ذلك لا يلغى حقيقة أن مجموع الرجال أفضل من مجموع النساء لا بسبب الذكورة والأنوثة.. فليستا طرفا فى القضية هنا وإنما مرد ذلك إلى مواهب أخرى لا تهدم أفضلية الرجال.

(٦) القضاء والقدر صـ: ١٢.

ومن هنا يظهر خطأ من قال: فالنوع مؤثر على الفكر والوجدان والاختلاف واجب، ولكن لا فضل لنوع على آخر، لأن لكل خصائصه ومميزاته التى تخصه، وتخص المجتمع من حوله، وأية محاولة لفرض سطوة ذكورية أو نوعية على جنس أو نوع دون الآخر فإنها تفقد الإنسانية وجودها.

لم يلتفت الرجل كثيرا إلى أن فكرة تحرر المرأة هى فى ذاتها تحرر للرجل من مجموعة أفكار قديمة وبالية تجعله يرى فى المرأة انثى.. عليه أن يقتنيها.

أو أن عليه أن يفرض عليها مجموعة قيود شكلية ومظهرية تحد من تقدمها.

كما أن الرجل أصر وساعدته المرأة على أن يسمى ويغذى فى المرأة تلك الذات الأنثوية بأن تهتم بشكلها وجمالها وإبراز مفاتنها علنا.. المهم أن يكون المعيار فى سوق النخاسة الجديد هو: درجة الجمال الشكلى بدعوى أن الجمال هو عنصر الجذب الأوحد.

ومن هنا تطورت عملية التجمل وانتشرت فكرة الحجاب والنقاب كرد فعل مساو لدرجات العرى والإباحية الجسدية للمرأة.

يقولون ذلك.. متجاهلين الواقع وهو أعلى منهم صوتا ذلك الواقع الشاهد بأن ما يهدفون به منطبق على المرأة الغربية:

فالمرأة هناك هى التى تكد وتكدح لتدفع هى المهر والذى قد لا تحصل عليه إلا على جسر من المهانة والعار.

ومع هذه الحقائق الدامغة، لايزال بيننا من يردد صوت سيدة، وقد يكون ذلك «الديناصور» ولكن العقل عقل عصفور، وكان يجب عليه إذا أراد بناء بيته أن يبنيه بالأحجار التى يملكها وهى أحجار كريمة عظيمة!!

الرجولة.. وليست الذكورة

أما عندنا فإن الرجولة -وليست الذكورة- هى التى تخوض معركة العيش خوضا منسجما مع معنى هذه الرجولة، فالمرأة أضعف من الرجل على الكسب، ولها من شواغل الزوجية، وشواغل الأمومة، ما يصرفها عن الكسب الذى لا تقدر عليه.

ويعنى ذلك أيضا أن يكون لها ما يغنيها عن التبذل لو لم يكن لها مال ولا زوج.

وفى الوقت الذى تتباهى مذاهب أخرى بأنها جعلت للمرأة ذمة مالية مستقلة، إلا أنها ذمة مع إيقاف التنفيذ، لأن حقها فى التصرف فى مالها إنما يكون فى حالين:

إذا مات زوجها، أو إذا طلقها.

***

ضرورات النهضة العلمية والتقنية للأمة الإسلامية



للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

المرجعية الإسلامية لإصلاح الفكر وبلوغ الهدف الأسمى

إن تحديد الهدف الأسمى وتحقيقه يتطلبان الانطلاق من منهجية فكرية سليمة. ولا يختلف اثنان على أن الأمة العربية والإسلامية تعانى اليوم أزمة مستحكمة، ليس بسبب نقص فى قدراتها وإمكاناتها البشرية، أو عجز فى مواردها وثرواتها التى حباها الله - تعالى - بها فى البر والبحر والجو، وإنما بسبب افتقادها منظومة فكرية متوازنة تنطلق من مرجعية إسلامية رشيدة توجه إلى حسن التعامل مع هذه الإمكانات والموارد والثروات، وتعين على تشخيص الواقع تشخيصاً سليما لإبصار الأولويات وضبط النسب المختلة على ضوء القراءة الدقيقة المتأنية لمتغيرات العصر المتلاحقة، لتحدد صورة المجتمع الذى نريده فى المستقبل القريب والبعيد نموذجا لتحقيق أمانة الاستخلاف كهدف أسمى لمعرفة الحق والحقيقة.

إن الأزمة الكبرى التى تعانى منها الأمة إنما تكمن فى حالتها الفكرية التى أصابها الجمود والتوقف، وخالطتها الأهواء والانحرافات، وابتعدت عن المرجعية الإيمانية الهادية، وحادت عن الأصول المنهجية الحاكمة، فاختل فيها الميزان، وتراجعت قدرات العطاء والمبادرة، وأصبح هذا كله سبباً رئيسيا يحول دون أى محاولة مخلصة للإصلاح والنهوض الحضارى. ففى غياب المرجعية الإسلامية والهدف الأسمى تنصرف الجهود لمعالجة آثار العطب الفكرى، وتقتصر على إعادة ترميم الإصابات في الأشياء أكثر مما تنشغل بتصويب الأفكار ذاتها، وتغفل ما للمناهج والموازين من أثر كبير فى ضبط الإيقاع واستقامة المسار.. وقد أدى هذا كله إلى تراكم الأعطاب حتى اتسع الخرق على الراقع، وأصبحت الأمة خارج السياق الإسلامى الذى وصانا القرآن الكريم باتباع سبيله فى قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(سورة الأنعام: ١٥٣)

ومما يزيد من تفاقم هذه الأزمة الفكرية التى تعيشها الأمة العربية والإسلامية - غير غياب المرجعية الإسلامية والحيود عن منطلقاتها والتخلى عن أهدافها - أن الذين يتصدون للإصلاح أو يشاركون فى الحوار والتنظير هم فى الأغلب ممن لا يستوعبون طبيعة العلاقة المتبادلة أخذاً وعطاء بين الأفكار والأشياء التى تجسدها وترمز إليها، أو ممن ينكرون أصلا أية علاقة بينهما. وهذه حالة من الطفولة الفكرية لا تتحقق معها أية رؤية أصيلة واضحة، ولا ينجح بها أى جهد أو عمل. ومن أسف أن نجد - إلى جانب هؤلاء - آخرين لا يستطيعون الفكاك والتحرر من أسر أيديولوجياتهم الخاصة، ويتشبثون بنظريات وفلسفات وأنساق فكرية قديمة أو وافدة، سقط بعضها سقوطاً ذريعاً من حركة التاريخ، لأنها خالفت طبيعة الوجود الإنسانى، وانحرفت عن قواعد الناموس الكونى العام.

وهذه السماء والأجواء الملبدة بمختلف صور التلوث الذى أصاب الأمة فى فكرها من شأنها أن تؤثر سلباً فى وضوح الرؤية لاستكشاف معايير التقييم والمراجعة، ومن ثم تضيع معها هباء جهود التصويب والإصلاح، وتضعف صلة المسلمين بالمبدأ والغاية جيلا بعد جيل حتى تموت فيهم كوامن القوة والتضحية والخير والقدرة على التغيير. وأزمة الأمة فى فكرها على هذا النحو ذات أبعاد أخرى متعددة يشارك فيها بصورة رئيسية التعليم والإعلام والتربية، وتتحكم فيها كل الموارد الفكرية والثقافية مجتمعة، ولذا فإن طريق الإصلاح بطبيعته يكون طويلاً وشاقا، ولابد معه من الصبر والحكمة، بعد أن أصبح جدار التخلف سميكا يحتاج إلى جهد جهيد لحث الهمم واستثارة العزائم، خاصة وأن قضايا الإصلاحات الفكرية تستغرق الكثير من الوقت والبحث قبل أن تتبلور الأفكار الناضجة وتأخذ طريقها إلى التحقيق فى عالم الأشياء.

وتنطلق مرجعية الفكر الإسلامى فى الوصول إلى الهدف الأسمى وتحقيق أمانة

الاستخلاف من الإيمان التام بأن الثوابت والمتغيرات الإسلامية يجب أن تكون هي الإطار الذى يحكم كل مناهج النظر فى قضايا الوجود والفكر، والإطار الذى يحدد ضوابط التطبيق الإنسانى لتلك المناهج بما يحقق إرادة الله -سبحانه وتعالى- فى إعمار الأرض وترقية الحياة عليها. فالإسلام يتميز عن كل ما عداه من الشرائع السماوية، أو الفلسفات والمذاهب الوضعية، بخاصية التوازن بين الثبات والتطور، والجمع بينهما فى تناسق مبدع، واضعا كلا منهما فى موضعه الصحيح: الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى من أصول وكليات وأهداف وغايات، والمرونة فيما ينبغى أن يتغير ويتطور من وسائل وأساليب وفروع وجزئيات. ذلك لأن الله -سبحانه وتعالى- قد شرع المنهج الإسلامى للكينونة البشرية كلها، فى جميع أزمانها وأطوارها، ليكون أصلاً ثابتا تتطور هى فى حدوده، وترتقى وتنمو وتتقدم دون أن تحتك بجدران هذا الإطار.

وما ينطبق على المنهج الإلهى الذى أخبر الله -تعالى- به عباده ينسحب كذلك على الصنعة الإلهية فى الكون كله. فحركة الحياة والفكر تستمر وتتسارع داخل إطار ثابت وحول محور ثابت. ومادة الكون فى مجموعها ثابتة، وإن اتخذت أشكالاً مختلفة دائمة التغير والتطور. وجوهر الإنسان واحد، وإن تقدمت معارفه وتضاعفت إمكاناته. فهو يمر بأطوار شتى يرتقى فيها وينحط حسب اقترابه أو ابتعاده من جوهر إنسانيته. ويتميز المجتمع المسلم بأنه مجتمع ثابت متحرك فى آن واحد. إنه أشبه بالنهر الجارى المتدفق الذى لا يقف عن الحركة والتجدد والجريان، ولكن فى مجرى مرسوم، واتجاه معلوم، ولغاية معروفة. والثوابت الإسلامية هى التى تضبط الحركة البشرية والتطورات الحيوية فلا ينفلت زمامها كما وقع لأوروبا عندما أفلتت من عروة العقيدة، كما أن الثوابت الإسلامية هى التى تصون الحياة البشرية، وتضمن مزية تناسقها مع النظام الكونى العام، وتحكم قوانين التطور فلا تتركها على إطلاقها.

يقول الدكتور يوسف القرضاوى فى كتابه «الخصائص العامة للإسلام»: «من أراد أن يعرف نعمة الله على المجتمع المسلم الذى حفظ له الإسلام توازنه بين الثبات والتطور، فلينظر إلى مجتمعات أخرى - كالمجتمعات الغربية اليوم - كيف فتحت الباب على مصراعيه للتطور المطلق فى كل شىء، فلم يبق فى حياتها شىء ثابت تستند إليه، وترتكز عليه، فلا عقيدة، ولا فضيلة، ولا تقاليد، ولا شرائع، ولا أى قيمة من القيم العليا التى ورثتها الإنسانية من كتب السماء، وتعلمتها على أيدى الهداة من رسل الله وورثتهم بحق. وكان ثمرة هذا التطرف اضطراب الحياة كلها: من قلق نفسى، إلى تخبط فكرى، إلى تحلل خلقى، إلى تفسخ

أسرى، إلى تفكك اجتماعى.... إن الإصلاح الحقيقى: أن نتفهم جيدا ما يجب أن يتطور من شئون الحياة، فنبذل جهودنا لتطويره وتحسينه، بمنطق الحكماء الشجعان، لا الأغرار المقلدين. كما نعرف ما يجب أن يبقى ثابتا راسيا، من القيم، والأفكار، والعقائد، والأخلاق، والآداب، والشرائع التى تزول الجبال الشم ولا تزول. بهذا الموقف الحكيم نواجه التطور ونوجهه، فنفوز بالحسنيين، ونربح الدنيا، ولا نخسر الدين، ونظفر برضوان الله، وإعجاب العقلاء من الناس». وهكذا تكون المرجعية الإسلامية هى الأساس المتين لإصلاح الفكر وبلوغ الهدف الأسمى فى مجتمع يعرف كيف يوازن بين المتقابلات بحيث يأخذ كل منها مكانه بالعدل.

ضرورات عملية لتنمية التعليم والبحث العلمى فى المجتمع الإسلامى

يلفت النظر فيما يسمى بالمشروع الإصلاحى للشرق الأوسط الكبير، أو الموسع، الذى تحاول الدول الصناعية الكبرى أن تفرضه على المجتمع العربى والإسلامى، أنه ركز بصورة رئيسية على حتمية نشر الديمقراطية والحريات السياسية والاقتصادية فى الأقطار العربية والإسلامية، بحجة أنها الإصلاحات المطلوبة فى هذه الميادين تحديداً وهى الأكثر ارتباطا بأمن تلك الدول ومصالحها المباشرة. أما قضايا الإصلاح العلمى والتقنى فلا نجد لها وجوداً على خريطة ذلك المشروع. ولا عجب فى ذلك إذا ما علمنا أن حقوق الإنسان التى ينادون بها لم تعُد تشمل حقه فى الحصول على المعلومات المتقدمة Right to know، وخاصة بعد أن تعالت أصوات غربية تنادى بعدم إتاحة المعلومات لعالم الفقراء والمساكين إلا بعد الاقتناع بمبررات الحاجة إليها Need to know، ووضعوا لذلك بالفعل أسلوبا رقابيا محكما على النشر العلمى حتى لا تصل المعلومات- حسب زعمهم - إلى المشكوك فى ولائهم.

ولعل فى هذا التوجه الضاغط من جانب عالم الأغنياء ما يدفع دفعاً حثيثا إلى وضع قضية العلم وتطوير «استراتيجيات» البحث العلمى فى مقدمة أولويات برامج الإصلاح والتنمية المطردة فى العالم العربى والإسلامى، مع توفير كل الإمكانات والظروف اللازمة لإعداد القاعدة العلمية المتميزة، فى إطار التكامل والترابط مع توجهات أساسية أخرى تشمل الارتقاء بنوعية التعليم ومخرجاته فى كافة مراحله بما يتوافق والمعايير العالمية التى يمكن على أساسها القياس والتقويم، بالإضافة إلى توفير المناخ المساند لدخول عصر المعلومات والاتصالات. وهذا يتطلب إتاحة الفرصة أمام علماء الأمة ومفكريها ليسهموا بتقديم رؤاهم وأفكارهم فى رسم وصياغة الإطار النظرى والعملى

«الاستراتيجية» قومية طموحة تلبى حاجيات الأمة لمواجهات تحديات الألفية الثالثة. وبصرف النظر عن كل ما يقال حول الفجوة المعرفية والتقنية بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فإن الأوان لم يفت بعد أمام الأمة الإسلامية لتحقيق نهضة علمية وتقنية زاهرة، إذا ما تخلصت من بعض الأوهام والمفاهيم الخاطئة التى أعاقت هذه النهضة، وانطلقت بقوة وإصرار وفق سياسة علمية وتقنية واضحة المعالم، وبرامج ومشروعات قومية محددة الأهداف، وآليات إدارية وتنفيذية متطورة، فعلى حد قول «تشارلز سنو» C. P. Snow فى محاضرته الشهيرة التى ألقاها فى خمسينيات القرن الماضى بعنوان «الثقافتان»: «ليس هناك من دليل على أن أى بلد أو عرق أفضل من أى بلد أو عرق آخر فى القدرة على تعلم العلوم، ولا مجال لإغفال هذه الحقيقة، فمن الممكن القيام بالثورة العلمية فى الهند وأفريقيا وجنوب شرقى آسيا، وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط، فى غضون خمسين عاما، وليس لدى الإنسان الغربى عذر إذا لم يدرك هذه الحقيقة». ولقد تحققت توقعات «سنو» بالفعل فى بعض المناطق التى ذكرها، والتى أخذت قبل غيرها فى العالم النامى بأسباب تنمية التعليم والبحث العلمى، وعرفت طبيعة التقدم العلمى والتقنى والروافد الضرورية المغذية لذلك. وليس أمام الأمة العربية والإسلامية من سبيل للنهوض والمشاركة فى حضارة العصر بنصيب يتناسب مع تاريخها المجيد إلا أن تؤمن بحتمية هذه النهضة استنادا إلى تفوق علمى وتقنى تفرضه ضرورات أساسية أملتها ظروف العصر وتحدياته، وذلك فى إطار الإلمام الواعى بالإمكانات والقدرات الذاتية والإفادة الكاملة منها، انطلاقا من مرجعية إسلامية رشيدة لا تفصل بين النظرية والتطبيق، فلا يعقل أن تكون الهداية إلى حقائق الوجود مجرد هداية إلى الفكرة الصائبة وحدها، بل لابد أن تتعدى ذلك وتصبح هداية إلى العمل النافع والسلوك القويم، لما فيه خير الإنسان فى كل مكان.

❊❊❊

الحضارة الإسلامية

طبيعتها وسماتها

(١)

للأستاذ الدكتور/ محمد أبو ليلة

يدور هذا المقال حول موضوع الحضارة الإسلامية، طبيعتها وسماتها، وسنركز فيه- بصفة خاصة- على قيمة التسامح، التى تميزت به هذه الحضارة العظيمة، وكانت سر انتشارها وتفوقها، وكما سنرى فإن التسامح الذى جاء به الإسلام، قد نبع من الإسلام وارتبط به، واكتسب قوته منه، ولنبدأ أولا بتعريف بعض المفردات التى على أساسها ينبنى هذا المقال.

الحضارة: معناها ومفهومها

الحضارة مأخوذة من الحضر، الذى هو خلاف البدو، والحاضر خلاف البادى، وفى الحديث: «لا يبع حاضر لباد»[1]، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يعمل ساكن الحضر سمساراً لمن يقيم فى البادية، وجاء بشئ من الأقوات ليبيعه فى المدينة، وذلك حتى لا ترتفع الأسعار وتشق الحياة على الناس.

والحضارة فى اللغة تعنى الإقامة فى الحضر، قال القطامى:

فمن تكن الحضارة أعجبته
فأى رجال بادية ترانا

والحضر والحضرة والحاضرة: خلاف البادية، وهى المدن والقرى والريف، سميت بذلك، لأن أهلها حضروا الأمصار، وسكنوا الديار بدلاً من الحل والترحال طلباً لمساقط المطر ومنابت الكلأ والمرعى التى تتميز بها حياة البدو. ونظرا للاستقرار الذى نعم به أهل الحضر فقد استطاعوا أن يغيروا أساليب حياتهم وأن يبنوا ويعمروا، ويخططوا، ويخترعوا، ويؤلفوا، ويسجلوا مآثرهم عبر

(١) موطأ مالك جـ ٢/ ٦٨٣

الأجيال، حتى تركوا الآثار التى تدل عليهم والحضارة التى تنطق باسمهم. وتطلق الحاضرة ويراد بها الحي العظيم أو القوم، يقال: حاضرة بنى فلان، أى حيهم، والحاضرة بمعنى العاصمة للمدينة الكبيرة أيضا.

والحاضرة طائفة أو جماعة، وحاضرة يعنى مشهودة ومأهولة. ومنها حاضروا المياه، وحضارها: الكائنون عليها قريباً منها، لأنهم يحضرونها دائما.

ومن مشتقات الكلمة على هذا النحو مايفيد ارتباط الحضارة بأماكن الخصب والماء، وبالوعى الإنسانى والاستقرار البشرى، ومن هنا فإن الحضارات القديمة قد نشأت على ضفاف الأنهار وفى أماكن التجمع السكانى المتميز، وأماكن الاستقرار، وقد ورد ذكر الحاضرة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾

«الأعراف: ١٦٣»

الحضارة كذلك تعنى كل ما أنتجه الإنسان وتأثر به من علوم ومعارف وخبرات وفنون وآداب، ومن تراث مادى وروحى، ومن صناعة واختراع وطرق فى التفكير والسلوك، ومن رؤى ومفاهيم ومدركات. الحضارة باختصار هى مجموع أعمال الإنسان فى البيئة أو فى المكان والزمان الذى يعيش فيه ويتأثر به ويؤثر فيه.

ومن إشارات كلمة «حضارة» الحضور والشهادة، الحضور بالذات أو بالعمل والأثر أو التأثير، وهكذا فإن المتحضر أو الحضارى هو ذلك الإنسان الموجود بالفعل، والشاهد والمشهود صاحب الحضرة والوجود، وصاحب الوزن والتأثير فيما حوله وفيمن حوله، كما أن من إشارات كلمة «بداوة» الغياب والبعد عن مصدر القوة، والوعى بالذات والفعل المؤثر فى المحيط العام، ومنها: باد أى زال من الوجود.

الثقافة: معناها ومفهومها

هذه اللفظة مشتقة من ثقف الشئ ثقفاً وثقافاً، بمعنى حذقه ومهر فيه، ومن هذا: قول العرب فى وصف الإنسان المخترع: فلان أو فلانة ثقف لقف، أو ثقفةٌ لقفة، يعنى أنه ضابط لما يعرفه سهل عليه استحضار مايحتاج إليه فهو ذو فطنة وذكاء وحضور بديهة.

وقالت أم حكيم بنت عبدالمطلب فى وصف نفسها: إنى حصان، فما أُكلَم، وثقافٌ فما أعلم. ويقال «ثقف القلم» أى «براه وأعده للكتابة» وإذن فكلمة ثقافة تدور كلها حول التهذيب والعلم والذكاء والفطنة ومن مضامين الكلمة، القدرة على التواصل والتفاعل مع الغير ومع الحدث بوعى واستحضار.

ولابد أن نلفت النظر إلى أن الحضارة فى جوانبها المادية ليست ثقافة، وإنما هى مصدر للبث الثقافى، والتوليد الثقافى، ولكى

توضح هذه النقطة نقول إن الآثار التى تركها قدماء المصريين كالأهرامات والمعابد والموميات، تعتبر حضارة أوجدتها ثقافة معينة نابعة من الدين ومعبرة عنه، كما أنها بأشكالها وإيحاءاتها المختلفة تخلق ثقافة معينة عند المهتمين بها، بل إنها بلا شك تؤثر فيما جاورها من حضارات أو ثقافات، وتتفاعل معها. وامتدادا لهذا التعريف نشير إلى أن مدلول كلمة «ثقافة» والتى يكثر استعمالها هذه الأيام قد تعنى ماتعنيه كلمة «حضارة» غير أن «الثقافة» معناها فى الأصل التهذيب، وضبط الشئ أو السلوك الإنسانى، بحيث يمكن أن يؤدى مايناط به أو يتوقع منه. وقد اتسع مفهوم الثقافة بحيث عاد يحمل معان اجتماعية كثيرة، إلى درجة أن الأنثروبين، وأنصار المرأة قد جعلوا الاختلاف بين الذكر والأنثى اختلافاً ثقافياً، وليس اختلافاً فسيولوجيا.

الثقافة تعنى مجموع الجوانب العلمية والأدبية والروحية والسلوكية لمجتمع ما، واليوم يتكلم استراتيجيو الغرب، وبالذات من الأمريكيين عن سيادة الحضارة أو الثقافة الغربية واحتلالها مكان الصدارة والقلب بالنسبة لسائر الحضارات الموجودة فى العالم والتى يتوقع كاتب استراتيجى مثل هنتنجتون سقوطها جميعاً أمام الحضارة الغربية الطاردة.

ويحاول أصحاب هذه المفاهيم أن يسربوها إلى الفكر العالمى عن طريق الكتابات المنحازة والأفلام والبرامج والمسلسلات، والمشاريع الثقافية الممولة جيداً، وعن طريق مايسمى العولمة، أو بالشرق أوسطية، أو الشرق اوسط الكبير، أو مشروع الإصلاح الأمريكى المصمم للدول العربية والإسلامية خصيصاً.

وبإهمال متعمد للقضايا والمشكلات السياسية والاقتصادية التى ألهت العالم، وبالذات العالم العربى، فقد قدم الغرب تفسيراً عجيباً للإرهاب، إذ أرجعه إلى طبيعة الثقافة الإسلامية والعربية، بل وإلى الإسلام نفسه، وبالتالى فبدلاً من إيجاد حلول مناسبة لمشكلة الإرهاب، أضاف الغرب مشكلات أخرى تخلق مزيداً من الاضطراب والصراع فى المنطقة وفى العالم، متهماً الإسلام بالحض على الإرهاب وكراهية الآخر، وبهذا فإن من أوجب الواجبات أن نصوب هذا الفهم الخاطئ، وتلك الأحكام الظالمة التى لاتخدم البشرية التى يحرص الإسلام على سلامتها وأمنها.

التسامح: معناه ومفهومه

كلمة «تسامح» مشتقة من العربية من سمح سماحة وسماحاً، ومعناها جاد وأعطى عن كرم وسخاء. وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل: «أسمحُوا لعبدى كإسماحه إلى عبيدى»[2] والإسماح لغة فى السماح،

(٢) كنز العمال حديث رقم ٢٩٧٥

والمسامحة بمعنى المساهلة فى التعامل. وقد دعا النبى ﷺ للإنسان السمح: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»[٢].

وفى الكلمة معنى التيسير، والرضا كما أنها تتضمن فى الوقت نفسه القوة أو القدرة على الفعل وضده، فالمتسامح إنما يتسامح عن قوة وقدرة، أما الضعيف فإنما يخنع ويخضع ويستسلم للأمر الواقع دون مقاومة أو مواجهة حقيقية لمن يعتدى عليه، فيحتل أرضه أو يصادر حقه أو ينتهك عرضه ويلوث كرامته، أو يستذله على أى نحو من الأنحاء، وهنا لابد أن نعرف أن كلمة تسامح فى اللغة العربية، وفى الاستعمال النبوى تعنى اتخاذ موقف كريم ونبيل من شخص ما أو من جماعة ما سواء كانوا مخالفين فى الدين أو الجنس أو اللون أو كانوا متفقين فى هذا كله أو فى بعضه.

فالسماحة فى الإسلام، كما رأينا، شئ نابع من القلب، متصل بالأخلاق، وليس شيئاً متكلفاً أو مصطنعاً بحسب مايمليه الموقف مع بقاء الكراهية منه فى القلب، وهذا بخلاف مدلول كلمة «Toleration»، أو «Tolerance» فى الإنجليزية، إذ تعنى هذه الكلمة قبول الآخر، والتسليم للأمر على مضض وكراهية، فعلى سبيل المثال، تقول: إن فلاناً يضايقنى، ولكننى أتسامح معه، أو إننى أكره وجود بعض الغرباء فى بلدى، ولكننى أتسامح فى ذلك فالكلمة بهذا المعنى لاتعكس حقيقة مافى القلب، كما هو الحال مع مدلول الكلمة فى العربية، أعنى التسامح، فالكلمة فى الإنجليزية إذن تعنى لوناً من التحمل لما يكرهه الإنسان لحين تتوفر له فرصة أخرى تساعده على التخلص منه، أو الابتعاد عنه، لذلك ينبغى علينا أن نكون حذرين عند ترجمة كلمة تسامح إلى «Toleration»، أو «Tolerance».

التسامح فى الإسلام أصل تنبثق منه فروع كثيرة، الحرية، والمساواة، والمسئولية، والتعاون مع الآخرين، ورعاية حقوقهم.

بنى المسلمون حضارة عظيمة على أساس القرآن والسنة، ولقد نبعت هذه الحضارة من الإسلام، وتفرعت منه، وانسابت فى كل اتجاه تنشر قيم الحق والخير والجمال، وتدعو إلى تحرير الإنسان من الجهل والخوف ومن العنصرية والاستعلاء، وقد تميزت حضارة المسلمين بربانيتها، وبنسبتها إلى الدين، لاإلى شعب بعينه لذلك فقد اكتسبت من الإسلام عالميته وشموليته وسماحته، كما سنبين فى هذا المقال.

وهنا نقطتان لابد من التنبيه عليهما، الأولى: أن الحضارة الإسلامية بدأت روحية ومعرفية، تركز على تربية الإنسان الذى سيحمل رسالتها، وينطلق بها إلى الآفاق،

(٢) صحيح البخارى جـ ٢/٧٣.

تحقيقا لعالمية الدعوة، وبعد استقرار الدولة الإسلامية فى المدينة وانتشار الإسلام فى الجزيرة العربية، ونظراً لاحتكاك المسلمين بالشعوب غير العربية على أثر الفتوحات الإسلامية، ظهرت العناية بالجوانب المادية فى نطاق الحضارة الإسلامية، وإنشاء الدواوين وتخطيط العمران، وإنشاء المدارس والكليات والمرافق والمستشفيات والمكتبات وبناء السفن ورسم الخرائط، واكتشاف الطرق البرية والبحرية وغير ذلك من مظاهر الحضارة المادية المختلفة.

النقطة الثانية وتتمثل فى عدة أسئلة:

هل توجد بالفعل حضارة إسلامية اليوم؟

وماهى طبيعتها؟

وهل يمكن أن تقوى هذه الحضارة على منافسة الحضارة الغربية السائدة فى هذا العصر؟

والإجابة عن هذه الأسئلة- من وجهة نظرنا- تكمن فى أن الحضارة لاتتمثل فى جوانبها المادية، أو فى قيمها الخاصة فحسب، بل إن الحضارة تقاس أولاً بمدى تغلغلها فى ضمير صانعيها، والمؤمنين بها عبر الأجيال، حتى فى أوقات الضعف الشديدة التى يمر بها أصحاب هذه الحضارة، وتتمثل هذه الجوانب فى مدى ماتحققه حضارة ما من الحضارات من نفع عام، أو تدفعه من ضر عام عن البشرية كلها، وأى حضارة تخلو من القيم الروحية والأخلاقية، وتفتقد عوامل التوازن الداخلى والخارجى فهى حضارة مهترئة، تثور فى داخلها عوامل الانحطاط، وتنشط فى خلاياها جراثيم التحلل والفساد، ويوم أن تعتمد حضارة ما على القوة وحدها، يوم أن تبدأ فى التداعى والسقوط، وربما يظهر هذا جلياً عندما تتوسع هذه الدولة توسعا غير محسوب، أو محسوبا طبقاً لمعايير خاطئة، وذلك بقصد فرض الهيمنة على الغير بطرق قمعية يختفى فيها الحوار، أو يبقى قابعا فى ناحية ما من نواحى الحياة مجرد شكل لامضمون له، ومجرد قعقعة من غير طحين.

الحضارة القوية والقابلة للتجدد هى الحضارة القائمة على الأخلاق والمعتمدة على القيم الروحية والإنسانية العالية، التى لاتزحزحها الأمور العارضة، ولاتثيرها الرغبة فى الانتقام من الآخرين وإذلالهم.

إذا ماتضح هذا نقول انه توجد حضارة إسلامية، لأن الإسلام موجود ولايزال له التأثير الكبير على المسلمين، بل وعلى السياسة العالمية، ولايزال كتاب الحضارة الإسلامية موجوداً، ومؤثراً وهو القرآن الكريم، وحياة المسلمين التى أقامها الإسلام على الكتاب والسنة ومعطيات العقل المسلم ظاهرة واضحة فى طبيعة التركيبة الاجتماعية وفى الثقافة واللغة وفى طرق التفكير وأسلوب العيش.

أما الجانب المادى للحضارة الإسلامية فهو- وإن كان يعتمد على الغرب أو الشرق

المغرب فى كثير من متطلباته- فإن العقلية المسلمة قادرة على استدراك هذا العجز الذى له أسبابه المعقدة، على أنه توجد هناك عقول مسلمة كبيرة ساهمت - ولاتزال تساهم حتى هذه الأيام- فى صنع حضارة الغرب. وقد قدم المسلمون للغرب حضارة كانت هى الأساس الذى بنى عليه حضارته، بل إن الغرب قد أعاد اكتشاف ذاته من خلال العرب والمسلمين.

مميزات الحضارة الإسلامية

الحضارة العربية الإسلامية لها عدة مميزات، فهى تتسم بالاتساع، والشمول، وبالتعددية، والتنوع، والمثالية والواقعية، إلى جانب أنها حضارة ربانية من حيث أنها قائمة على القيم الإسلامية العالمية الثابتة والراسخة، وهى إنسانية لأنها من صنع الإنسان، من صنع أجناس، وأهل أديان، ومذاهب شتى، عملوا جميعا على تشكيلها وإثرائها، وانتفعوا جميعا بخيراتها وثمارها.

ولذلك فإننا نلاحظ أن قيم الإسلام ليست محصورة فى بيئة مكانية أو فى حقبة زمنية معينة، كما ان الحضارة الإسلامية لا تشكل أحكاما ضعيفة، أو زمنية جامدة تنتهى صلاحيتها بعد حين من الدهر.

فإننا إذا ما نظرنا إلى مسألة حقوق الإنسان مثلا، فإننا نجدها محددة تماما فى الإسلام مرتبطة بالعقيدة والشريعة، بمعنى أنه لا يمكن تغييرها أو تجاوزها، وفى هذا ضمان لها من أن تعبث بها أهواء الناس، وقد سبقت الشريعة الإسلامية بالتقنين وثيقة حقوق الإنسان الإسلامية قبل أن تظهر محاولات الغرب فى هذا الاتجاه بنحو أحد عشر قرنا، إذ أن التاريخ الحقيقى لحقوق الإنسان قد بدأ فى أوربا منذ القرن الثامن عشر الميلادى.

وقد جاءت الوثيقة الغربية لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨م نتيجة كفاح مرير، ومع خضوعها لكثير من التغييرات، ومع ذلك فإن حقوق الإنسان من المنظور الغربى لا تزال مطاطة، وغير مطبقة بطريقة موضوعية شاملة، فلا يزال الإنسان فى شتى أنحاء العالم يطحن ويئن وتهضم حقوقه فى كثير من بلدان العالم، كما أن نسبة ٨٥٪ من ثروة العالم تستأثر بها نسبة ٢٠٪ من سكان هذا الكوكب، ولا يزال ملايين من البشر يعيشون تحت خط الفقر، وملايين منهم يموتون بسبب الجوع والمرض، وملايين يقتلون بسبب الحروب الأهلية والنزاعات المسلحة.

ولابد أن نلاحظ أن الإنسان الذى رتب الإسلام له حقوقه وواجباته ينتمى أفراده إلى أصل واحد، ويدينون لخالق واحد، ويعتمدون على هدى إله واحد، هو رب العالمين، ورب المشرق والمغرب وما بينهما.

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾

(البقرة: ١١٥)

ويقول تعالى:

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

(الشورى: ١٥)

ويقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ ﴾

(الحجرات: ١٣)

وفى خطبة الوداع: «... أيها الناس ان ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد. قالوا: نعم فليبلغ الشاهد الغائب..»[٣] ويقول ﷺ «الناس سواسية كأسنان المشط..»[٤] كما يقول ﷺ «ليس لابن السوداء على ابن البيضاء فضل إلا بالتقوى..»[٥].

وقد حث الله تعالى المسلمين على أن يهتموا بالآخرين من غير المسلمين، وأن يتواصلوا معهم، وأن يبروهم ويحسنوا إليهم، وألا يتعصبوا لجنس أو للون أو للغة، بل تكون عصبيتهم للحق وحده. يقول تعالى:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(الممتحنة: ٨)

يقول ﷺ «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية»[٦] وقد شبه النبى ﷺ من يعين قومه أو جماعته على ظلم أحد من الناس ببعير يتردى فى ركيه (بئر) من النار بقوله صلى الله عليه وسلم: «مثل من يعين قومه على الظلم مثل البعير (الجمل) المتردى فى الركى (مفرد: راكية) فهو ينزع بذنبه (أى يجذب من ذنبه)»[٧].

وقد رأينا فى وقتنا الحالى وما سبقه من عصور استعمار وصراع بين القوى، ورأينا كيف تقام التحالفات من أجل ضرب بعض الدول واحتلال أراضيها بالقوة، وكان الأولى أن تكون هذه التحالفات من أجل نصرة المظلوم وصيانة حقوق الشعوب المستضعفة.

يتبع

---

(٣) الترغيب والترهيب ٦١٢/٣
(٤) ابن عدى ١٠٩٩/٥
(٥) اتحاف السادة المتقين ٢٧٥/٨
(٦) سنن ابو داود (٥١٢١)
(٧) أخرجه البيهقى فى سننه بلفظ مختلف ٢٣٤/١٠

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ القُرَّاءِ

«الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين».

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة «الأزهر» ـ المقيد برقم ١٤٦٣ لسنة ٢٠٠٤م المتضمن الأسئلة التالية:

الغيبة والنميمة

● السؤال الأول من السيد/ خالد ـ الإسكندرية:

لى عم شقيق دائماً يغتاب غيره ويمشى بين الناس بالنميمة وعلى الرغم من نصحه دائما لا يرتدع عما فيه من طباع سيئة تغضب الله وتسبب لنا المتاعب. ما هى حدود المعاملة مع عمى من زيارات وكلام وغيرها من صلة رحم وكيفية التقويم لهذا العم، مع العلم بأنه حج حديثاً إلى بيت الله الحرام؟.

●● على المسلم أن لا ييأس من نصح ذوى رحمه وموالاتهم بالموعظة الحسنة ولا يجعل إساءاتهم ومعاصيهم سبباً فى قطع أرحامهم، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال: «يا رسول الله إنَّ لى قرابةً أصلُهم ويقطعونى وأُحسنُ إليهم ويُسيئون إلىَّ وأحلُم عنهم ويجهلون علىَّ. فقال: «لئن كنت كما قلت تُسِفُّهُم المَلَّ ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دُمتَ على ذلك» رواه مسلم. وعلى السائل أن لا يقطع زيارته لعمه ولا كلامه معه وأن لا يمل من نصيحته وتذكيره بعاقبة ما يقترفه من الذنوب وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة عسى الله أن يصلح بذلك حاله.

العطية

● السؤال الثانى من السيد/ أ.ن.ع:

رافقت والدى رحلة حياته باعتبار أنى أكبر أبنائه، وفى ذات يوم صارحنى أبى بأنه يريد أن يكتب لى ثمانية فدادين من مجموع الأرض التى يمتلكها والتى تصل إلى عشرة أفدنة ولكنه حين سأل أحد الشيوخ بالمسجد أجابه بأن ذلك

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور

على جمعة

مفتى جمهورية مصر العربية

حرام مع العلم بأن هذه الثروة تكونت من مجهودى ومجهود أبى وأمى حيث كنا نملك فدانا ونصفاً فى بداية المشوار ونظرا لأننى رافقته هذا المشوار ولم أنل من التعليم مثل إخوتى وأن مجهود أبى قد توقف عندما وصلت ثروتنا إلى فدانين ثم استكملت المشوار منفرداً أعول الأسرة بأكملها وأزيد الثروة حتى وصلت عشرة فدادين وهذا ما يعترف به أبى، لذلك كان يريد أن يكتب لى هذه الأفدنة الثمانية، مع العلم بأننى أعلم بأن أحد أصدقائى قد كتب له والده ثلث ما يملك برغم أن ثروة أبيه قد ورثها عن والده ولم يكن له أى جهد فى إنمائها مثلى بل اقتصر فقط على الإدارة؟.

●● يُسَنُّ للوالد العدل فى عطية أولاده ويُكره له أن يميز بعضهم على بعض، لخبر الصحيحين عن النُعمان بن بشير – رضى الله عنهما – قال: انطلق بى أبى يحملنى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله أشهد أنى قد نحلتُ النُعمان كذا وكذا من مالى. فقال: «أكُلَّ بنيك قد نحلتَ مثل ما نحلتَ النُعمان»؟ قال: لا، قال: «فأشهد على هذا غيرى» ثم قال: «أيسرك أن يكونوا إليك فى البر سواء»؟ قال: بلى. قال: «فلا إذا».

وقد حمل الجمهور ذلك على الاستحباب لقوله: «فأشهد على هذا غيرى»، ولأن الصديق ـ رضى الله عنه ـ فضل عائشة ـ رضى الله عنها ـ على غيرها من أولاده، وفضل عمر ـ رضى الله عنه ـ ابنه عاصما بشىء، وفضل عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ بعض ولده على بعض إلا أن محل هذه الكراهة إنما هو عند الاستواء فى الحاجة أو المصلحة، فإذا خص الأب أحد أولاده دون إخوته لحاجة أو مصلحة معتبرة ارتآها فإن ذلك جائز ولا كراهة فيه، وعلى ذلك يحمل تفضيل الصحابة – رضى الله عنهم – فيما مر.

وبناءً على ما سبق وفى واقعة السؤال فإنه يجوز للأب أن يخص ولده بهذه الهبة دون إخوته؛ نظراً لما يراه من مصلحة تعويضه

ومكافأته على جهده فى عمله معه، وليس فى ذلك شىء من الظلم لإخوته أو المخالفة للشريعة.

يجوز لخال الزوج أن يتزوج زوجته

● السؤال الثالث من السيد / صالح البيطار ـ القاهرة :

هل يجوز لخال الزوج أن يتزوج زوجته وما هى الآية الدالة على ذلك ؟.

●● نعم يجوز، وهذا بإجماع العلماء، والدليل على ذلك أن زوجة ابن الأخت بعد طلاقها أو موت زوجها عنها ليست من المحرمات من النساء المذكورات فى قوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾

(النساء ٢٣ - ٢٤)

فتدخل بذلك فى عموم قوله تعالى بعده :

﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ﴾

(النساء ٢٤)

ولم يأت فى السنة ما يخص زوجة ابن الأخت من هذا العموم.

أموال الزكاة لا تخصص لبناء المساجد

● السؤال الرابع من السيد / أمين جمعة ـ الساعية غرب :

أخرج زكاة مالى كل عام فهل يجوز لى إخراجها قبل تمام الحول للمساهمة فى بناء مسجد ؟.

●● يرى جمهور الفقهاء عدم جواز الصرف من مال الزكاة لإقامة المساجد أو عمارتها، وذلك لأن المساجد ليست من الأصناف المندرجة فى الآية الكريمة :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة ٦٠)

ويرون أن الله - تعالى - قد وصف الزكاة وسماها بالصدقة وهى جزء من المال يعطى للمحتاجين إليه من فقراء المسلمين وليس المسجد من هذا القبيل. وقد ذهبوا فى تفسيرهم لعبارة ﴿ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فى الآية السابقة إلى أن المقصود منها هو الجهاد فى سبيل الله.

وفى واقعة السؤال : فإن أموال الزكاة تكون للأصناف المذكورة فى الآية الكريمة ويقدم ما قدمه الله - تعالى - وليس من بينها بناء المساجد، لأن

الإنسان مقدم على البنيان وبناء الساجد قبل بناء المساجد.

ستر الله

● السؤال الخامس من السيد / على جاد ـ القاهرة :

شربت الخمر فى شبابى وأقلعت عنه. علمت بحد شارب الخمر والآن لا يطبق الحد على شارب الخمر فما العمل وأنا أرتعد خوفاً من جزاء الآخرة ؟.

●● روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : «كُلُّ أُمَّتى مُعافًى إلا المُجاهرين، وإنَّ من المُجاهرة أن يَعمل الرَّجُلُ بالليل عملاً، ثُمَّ يُصبح وقد سَتره الله فيقول : يا فُلان عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستُرُهُ ربُّهُ ويُصبح يكشف ستر الله عنه». فمن أذنب ذنبا وستره الله، فعليه ألا يفضح نفسه، لأن من صفاته - تعالى - ستر القبيح فإظهاره كفر بهذه النعمة واستهانة بستره سبحانه، وعلى صاحب الذنب أن يتوب إلى الله ويستغفره من ذنبه، فإن الله - تعالى - لم يكلف كل من اقترف ذنبا فيه حد أن يسعى لإقامة الحد عليه، بل هو مأمور بالستر على نفسه، والحدود هذه من شأن الإمام أو ولى الأمر، ولذلك لما أصاب ماعز ابن مالك جارية لا تحل له أمره هزَّالٌ أن يأتى النبى ـ ﷺ ـ فأتاه فأقرَّ عنده أربع مرات فأمر النبى ـ ﷺ ـ برجمه وقال لهزال : «لو سترتَهُ بثوبك كان خيراً لك» رواه أبو داود والنسائى.

مواريث

● السؤال السادس من السيد / وحيد محمد :

أختان شقيقتان : واحدة منهما وليكن اسمها (أ) ولها أولاد وبنات والثانية ولتكن (ب) ولها أولاد بنين وبنات. توفيت الأولى وهى (أ) وتركت مبلغا من المال وبعد ١٥ يوما مرضت أختها وهى (ب) وقالت لأولادها : أوصيكم بأنى لا أريد من ميراث أختى شيئاً، ثم توفيت، فهل يحق لأولاد الأخت (ب) أن يطالبوا بحق أمهم فى ميراث أختها أم يلتزموا بالوصية الشفهية ؟.

●● مطالبة الأولاد بحق أمهم فى ميراث أختها فرع ثبوت هذا الحق واستدامته، وقد ثبت هذا الحق بموت الأخت، وتنازل والدتهم عن نصيبها فى ميراثها من أختها معناه أنها وهبته لبقية الورثة، والهبة تصرف قابل للفسخ فإذا صدرت فى مرض الموت ـ وهو المرض الذى انتهى بموت صاحبه ـ فإنها تكون موقوفة على إجازة الورثة ويكون لمن لحقه الضرر منها من دائن ووارث حق إبطالها بقدر نصيبه من التركة، فإن أجازها كان ذلك إقراراً بصحتها والتزاما بنفاذها وإسقاطاً لحقه فيها.

وبناء على ما سبق وفى واقعة السؤال : فإنه يجوز لأولاد الأخت أن يطالبوا بحق أمهم فى ميراث أختها بقدر نصيب كل واحد منهم فيه، ولهم كذلك أن يعملوا بما أوصتهم به أمهم على قدر نصيب كل واحد منهم فيه كذلك.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ابن سينا

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

مشائى يحاول أن يؤصل الحكمة المشرقية

تعريف بابن سينا

هو أبو على الحسن بن عبدالله بن سينا، ويلقب بالشيخ الرئيس، وكانت شهرته على الخصوص فى ميدان الفلسفة والطب. ولد أبوعلى بقرية أفشنه من ضياع بخارى ٣٧٠هـ / ٩٨٠م وتوفى فى همذان ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧م، وكان أبوه من أهل بلخ، وانتقل منها إلى بخارى فى أيام نوح بن منصور السامانى ٣٦٦ هـ وكان من ولاته.

وكان أبوه وأخوه من الإسماعيلية.. وكثيراً ما كانا يتذاكران أمر النفس والعقل وهو يسمعهم، ولاتقبل نفسه قولهم.

وكان قد تعلم القرآن فى بخارى والفتى لما يكمل العاشرة من العمر. واشتغل بالفقه والمنطق والرياضة. ثم رغب فى علم الطب[١].

وبلغ من علمه أن أصبح له مذهب خاص يطلق عليه المذهب السينى.

وله مراسلات بينه وبين البيرونى، يقول فيها، وخاصة فيما جرى بينى وبين الفتى الفاضل أبى على الحسن بن عبدالله بن سينا من المذكرات فى هذا الباب[٢].

(١) راجع تاريخ الفلسفة الإسلامية فى المشرق، د/محمد إبراهيم الفيومى.

(٢) «حوار البيرونى وابن سينا» ص ١٢، تحقيق د/عبدالكريم اليافى.

يقول العروضى السمرقندى:

إن كل من يعترض على ابن سينا فإنه «يخرج نفسه من زمرة أهل العقل، ويسلكها فى مسالك المجانين، ويعرضها فى مجمع أهل العته»[٣].

يقول سارطون فى كتابه (تاريخ العلم): «إنه من أشهر العلماء العالميين».

لقد استعرض جورج طرابيشى - ردا على عابد الجابرى - الآراء حول ما أطلق عليه ابن سينا «منطق المشرقيين»، وكتاب آخر له يحمل نفس الاسم: الحكمة المشرقية، آراء المستشرقين حول الإشكال اللغوى الذى أوقعهم فيه ابن سينا بين «مُشرق» و«مشرق»، حتى بلغ عددها خمسة وعشرين رأياً...

ورأينا بعد قراءة كتاب «نقد نقد العقل العربى» لجورج طرابيشى أن لنا هامشا يقف بجانب «طرابيشى» ويقصى رأى الجابرى بعيداً عن حسمى البحث العلمي النزيه، وما أراه إلا متابعاً لقله من المستشرقين الذين استبدت بهم النزعة العرقية، والحط من شان التراث الإسلامى، برغم أنه حمل عليهم فى كتابه «الاستشراق» وسمى الذين مشوا فى ركابهم عملاء.. فما أخذه على غيره وقع هو نفسه فيه، لأنه لم يحذ حذوهم فقط، إنما جاراهم وحاذاهم حذو القذه بالقذة وزاد بأن حمل على ابن سينا حملة مسعورة شرسة وحمّل عليه وزر انحطاط الشرق.

وما ادعاه عليه الجابرى وأغرقه فيه وأغرق الشرق معه إنما تمخضت عن افتراءات لا يسامحه التاريخ عليها. وهى قضية الإشراق وقضيته فكرة لم تتم، ووليد تمخض عن عسر، فمنطق المشرقيين لم يتم وكتاب حكمة المشرقيين ضاع فى نهب السلطان محمود. من هنا يمكن القول: الأباطيل الاستشراقية المزعومة التى نحلها الجابرى لنفسه وأقام عليها مدينته العقلية التى طرد منها ابن سينا، بنى قوائمها على ثلج مالبث أن ذاب فانهار بنيانها.

من هنا أردت أن أقدم ذلك الهامش إنصافا لابن سينا وتعضيداً للطرابيشى.

ادعاء من غير قضية

افتعل كاتب معاصر، عرف بأنه كاتب مجدد، هو الأستاذ الدكتور محمد عابد الجابرى قضية تجريم ابن سينا فى كتابه «نحن والتراث»، ادعى عليه أنه أخرج الفلسفة من مدينة «العقل البرهانى» إلى قمقم «المنطق الوجدانى» وحمل عليه حملة كثيفة الدخان، لكنها من غير ألسنة ذات لهب تأتى على الأخضر واليابس، فظلت حبيسة فى مكمنها لا تعدو مكانها حتى باتت فى جمرها رماداً وصفها جورج طرابيشى بأنها ذات طابع هُذائى[٤].

(٣) «الرسالة الألواحية» للشيخ الرئيس ابن سينا (ص ٥) من المقدمة. تحقيق وتعليق د/محمد سويسى.

(٤) «مذبحة التراث فى الثقافة العربية المعاصرة» ص ١٠٩، دار الساقى سنة ١٩٩٣.

ونوجز وصفه لابن سينا

● مدشن لمرحلة الجمود والانحطاط:

كان ابن سينا برغم كل ما أضفى على نفسه، وما أضفى عليه من أبهة وجلال المدشن الفعلى لمرحلة الجمود والانحطاط.

إن ابن سينا يبدو من هذه الناحية - وهى أهم من غيرها - لا ذلك الفيلسوف الذى بلغت معه العقلانية الإسلامية أوجها كما يُعتقد، بل ذلك الرجل الذى كرس وعمل على تكريس لا عقلانية صميمة فى الفكر العربى الإسلامى.

● كرس اتجاهاً روحانياً غنوصياً:

لقد كرس ابن سينا بفلسفته المشرقية اتجاهاً روحانياً غنوصياً كان له أبعد الأثر فى رده الفكر العربى الإسلامى وارتداده من عقلانيته المنفتحه.. إلى لا عقلانية ظلاميه قاتلة.

● قتلت العقل والمنطق فى الوعى العربى:

الفلسفة المشرقية السينوية كانت إذن.. فلسفة قتلت العقل والمنطق فى الوعى العربى لقرون طويلة.

إن فلسفة ابن سينا هى فلسفة «التحطيم الذاتى» فعلا.. فلسفة عقل جعل منتهى طموحه تقديم استقالته.

● يتبنى الهرمسية، وعلومها السرية السحرية: إن ابن سينا يتبنى الهرمسية بكاملها، بتصوفها وعلومها السرية السحرية وفلسفته المشرقية تكرس اللامعقول بمختلف ألوانه وأشكاله.. وهو بكل تناقضاته يسجل لحظة انفجار تناقض العقل العربى مع نفسه.

يحدد جورج طرابيشى جسم الجريمة بأنها تقع على محاولة ابن سينا لإيجاد الفلسفة المشرقية، فيقول:

وكما هو واضح من هذه النصوص - كما من عنوان الدراسة التى خص بها الجابرى فكر ابن سينا - فإن «جسم الجريمة» ووسيلة التجريم معا «لإبراز الوجه الظلامى الغنوصى» لابن سينا، هما الفلسفة المشرقية المحملة بشحنة هائلة من اللامعقول - فابن سينا قد «جند نفسه» من خلال فلسفته المشرقية لإضفاء «المشروعية العقلية على مختلف جوانب اللامعقول التى ورثها الإسلام كحضارة وثقافة عن الحضارات والثقافات القديمة». ومن خلال «عملية التخريب الذاتى التى مارسها عقل ابن سينا»، كان هو الصانع الفكرى لعصر الانحطاط، وذلك بقدر ما «ترك فلسفته المشرقية تقدم نفسها كـ «علم» و كـ «معرفة» لأيديولوجيا عصر الانحطاط».

ولعلنا لا نغالى إذا قلنا إننا نجد أنفسنا هنا أمام ما يشبه «محكمة تفتيش» تستهدف أبلسة ابن سينا وإدانته بوصفه «أكبر مكرس للفكر الغيبى الظلامى الخرافى فى الإسلام». وتماما كما فى محاكم التفتيش القروسطية.

فإن التهمة الرئيسية الموجهة إلى صاحب «الفلسفة المشرقية» هى السحر، وهذا بالمعنى الحقيقى للكلمة كما بمعناها الفلسفى المرادف للامعقول بكل مضامينه وتلاوينه، هكذا يقول الجابرى فى ختام مرافعته: «لقد جعل ابن سينا من التنجيم والسحر والعزائم والطلسمات والرقى والتعلق بالموتى وغير ذلك من مظاهر اللامعقول، «علوما» تجد مكانتها «الطبيعية» فى منظومته «العلمية» الفلسفية التى طلاها بطلاء أرسطوطاليسى كاذب وأخطر من ذلك وأكثر تأثيرا فى توجيه الفكر العربى، هذا التوجيه الظلامى الدامس. خلال العصور الوسطى، توظيفه لـ «علوم» اللامعقول فى تأويل الآيات القرآنية التى تتحدث عما وراء الطبيعة تأويلا جنح بها نحو روحانية دامسة أكثر تخلفاً من «الواقعية الساذجة» التى كان عليها العرب حتى قيام الإسلام.. من هنا نستطيع أن نقول: إن الضربة الحقيقية التى أصابت الفلسفة وبالتالى العقلانية فى الإسلام، لم تكن تلك التى تعزى إلى الغزالى بسبب كتابه «تهافت الفلاسفة». بل كانت تلك التى جاءت على يد أكبر فيلسوف فى الإسلام: الشيخ الرئيس ابن سينا، وذلك من خلال مؤلفاته الصغيرة ورسائله الكثيرة العدد الواسعة الانتشار، التى كانت تحمل وتذيع فلسفته المشرقية.. فلسفة قتلت العقل والمنطق فى الوعى العربى لقرون طويلة.. وكرست الرؤية السحرية.. مما جعل الظلامية تعم الفكر الشيعى والفكر السنى معاً.. ومما كان له أبعد الأثر فى رده الفكر العربى الإسلامى، وارتداده عن عقلانيته المتفتحة إلى لا عقلانية ظلامية قاتلة».

ابن سينا يمهد للتأليف فى الحكمة المشرقية والإنصاف

لعل هذه المقدمة كتبت لكتابه «الإنصاف فيما اختلف أهل البحث فيه»، وطوائف عصره هى:

● العاميون من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين، وحتى لايذهب الخاطر بعيداً فيظن أنه يهاجم أرسطو فيقول: «مع اعتراف بفضل أفضل سلفهم أرسطو».

وأما نحن فسهل علينا التفهم، ولايبعد أن يكون قد وقع إلينا من غير جهة اليونانيين علوم هذا الخاطر. راوده فى ريعان الحداثة ودافعه إلى ذلك طموحة إلى تأصيل ثقافة الشرق، ولايبعد أن يكون له عند المشرقيين اسم غيره، لذلك ربما يكون هذا المنطق هو مقدمة الإنصاف وقاعدته، ومادام بين ما اختلف فيه أهل البحث فلابد للاختلاف معيار لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى. لكنه تردد كثيرا فى تأليفه، فمنهم كأنهم الحنابلة فى كتب الحديث، ومنهم الجهال الذين تعصبوا للمشهور من

القول، ومنهم من عكف على الدقة وعمت عيناه عن النظر الفاحص، وربما يعنى من قوله: ولما كانت الصورة هذه والقضية على هذه الجملة أحببنا أن نجمع كتاباً يحتوى على أمهات العلم الحق الذى استنبطه من نظر كثيراً وفكر مليًا، وما جمعنا هذا الكتاب إلا لأنفسنا – أعنى الذين يقومون منا مقام أنفسنا – فالمقدمة وصفت طوائف المشائين فى عصره وإدراك تميزهم الفكرى راح ينهج نهجا جديداً بشر به لكن لم يتم.

يقول: نزعت الهمة بنا إلى أن نجمع كلاماً فيما اختلف أهل البحث فيه، لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة أو إلف، ولانبالى مفارقة تظهر لنا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفا عن غفلة وقلة فهم، ولما سمع منا فى كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم. ولم ينل رحمته سواهم، مع اعتراف منا بفضل أفضل سلفهم (أرسطو) فى تنبه لما نام عنه ذووه وأساتذته.

وفى تميزه أقسام العلوم بعضها عن بعض، وفى ترتيبه العلوم خيراً مما رتبوه، وفى إدراكه الحق فى كثير من الأشياء، وفى تفطنه لأصول صحيحة سرية فى أكثر العلوم، وفى إطلاعه الناس على مابينها فيه السلف وأهل بلاده، وذلك أقصى ما يقدر عليه إنسان يكون أول من مد يديه إلى تمييز مخلوط، وتهذيب مفسد.

ويحق على من بعده أن يلموا شعثه ويرموا ثلما يجدونه فيما بناه، ويفرعوا أصولا أعطاها، فما قدر من بعده على أن يفرغ نفسه عن عهده ما ورثه منه، وذهب عمره فى تفهم ما أحسن فيه والتعصب لبعض ما فرط من تقصيره، فهو مشغول عمره بما سلف، ليس له مهلة يراجع فيها عقله، ولو وجدها ما استحل أن يضع ما قاله الأولون موضع المفتقر إلى مزيد عليه أو إصلاح له أو تنقيح إياه.

وأما نحن فسهل علينا التفهم لما قالوه أول ما اشتغلنا به، ولا يبعد أن يكون قد وقع إلينا من غير جهة اليونانيين علوم، وكان الزمان الذى اشتغلنا فيه بذلك ريعان الحداثة، ووجدنا من توفيق الله ماقصّر علينا بسببه مده التفطن لما أورثوه. ثم قابلنا جميع ذلك بالنمط من العلم الذى يسميه اليونايون (المنطق) – ولايبعد أن يكون له عند المشرقيين اسم غيره – حرفاً حرفاً، فوقفنا على ماتقابل وعلى ما عصى، وطلبنا لكل شىء وجهه، فحق ما حق، وزاف مازاف.

ولما كان المشتغلون بالعلم شديدى الاعتزاء إلى (المشائين) من اليونانيين كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور، فانحزنا إليهم وتعصبنا للمشائين، إذ كانوا أولى فرقهم بالتعصب لهم، وأكملنا ما أرادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا أربهم منه، وأغضضنا عما تخبطوا فيه وجعلنا له وجها ومخرجا ونحن بدخلته شاعرون وعلى ظله واقفون. فإن جاهرنا بمخالفتهم ففى الشىء الذى لم يمكن الصبر عليه، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل فمن جملة ذلك ماكرهنا أن يقف الجهال على مخالفة ماهو عندهم من الشهرة بحيث لايشكون فيه ويشكون فى النهار الواضح. وبعضه قد كان من الدقة بحيث تعمش عنه عيون عقول هؤلاء الذين فى العصر.

فقد بلينا برفقة منهم عارى الفهم كأنهم «خُشُب مسندة» يرون التعمق فى النظر بدعة، ومخالفة المشهور ضلالة، كأنهم الحنابلة فى كتب الحديث، لو وجدنا منهم رشيداً ثبّتناه بما حققنا، فكنا ننفعهم به، وربما تسنى لهما الإيغال فى معناه فعوضونا منفعة استبدوا بالتنفير عنها.

ومن جملة ماضننا بإعلانه – عابرين عليه – حق مغفول عنه يشار إليه فلا يتلقى إلا بالتعصب، فلذلك جرينا فى كثير مما نحن خبراء بجدته مجرى المساعدة دون المحاقة – ولو كان ما انكشف لنا أول ما انصببنا إلى هذا الشأن لم نبد فيه مراجعات منا لأنفسنا، ومعاودات من نظرنا – لما تبينا فيه رأيا ولاختلط علينا الرأى وسرى فى عقائدنا الشك وقلنا لعل وعسى. لكنكم أصحابنا تعلمون حالنا فى أول أمرنا وآخره وطول المدة التى بين حكمنا الأول والثانى. وإذا وجدنا صورتنا هذه فباحرى أن نثق بأكثر ما قضيناه وحكمنا به واستدركناه، ولاسيما فى الأشياء التى هى الأغراض الكبرى والغايات القصوى التى اعتبرناها وتعقبناها مئين من المرات. ولما كانت الصورة هذه والقضية على هذه الجملة أحببنا أن نجمع كتاباً يحتوى على أمهات العلم الحق الذى استنبطه من نظر كثيرا وفكر مليًا، ولم يكن من جودة الحدس بعيداً واجتهد فى التعصب لكثير فيما يخالفه الحق، فوجد لتعصبه وما يقوله وفاقا عند الجماعة غير نفسه، ولا أحق بالإصغاء إليه من التعصب لطائفة إذا أخذ يصدق عليهم، فإنه لاينجيهم من العيوب إلا الصدق.

وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلا لأنفسنا -أعنى الذين يقومون منا مقام أنفسنا- وأما العامة من مزاولى هذا الشأن فقد أعطيناهم فى «كتاب الشفاء» ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم، وسنعطيهم فى «اللواحق» ما يصلح لهم زيادة على ما أخذوه، وعلى كل حال فالاستعانة بالله وحده.

«يتبع»

***

من الواقع المعاصر

عوائقٌ فى طريقِ الدعوةِ

للدكتور/ حمدى فتوح والى

من يتأمل فى سنن الله مع أمم الأرض جميعا، سيرى حقيقة ناصعة باهرة لم يطرأ عليها اختلاف ولم يصبها تبديل أو تغيير وهى أن هلاك الأمم وسقوطها لابد أن يسبقه عتو عن أمر ربها ومخالفة لرسله، وخروج عن شريعته ومنهجه حتى إذا استمرأت باطلها وأنست إليه ورضيت به، عاجلها الله سبحانه بعذاب من عنده أو بيد غيرهم أو بأيديهم مصداق ذلك قول الحق سبحانه:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾

(الطلاق/ ٨، ٩)

إن الله تبارك وتعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب إلا التقوى، وقد أقام كونه على نواميس محكمة وقوانين ثابتة وجعل أكرم الناس لديه، وأقربهم إليه، أكثرهم له طاعة وأعمقهم مودة وأصدقهم حبا، قال تعالى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

(الحجرات/ ١٣)

ولقد رد سبحانه وتعالى على أهل الكتاب من اليهود والنصارى دعواهم التى تبجحوا بها - بهتانا وزورا - عندما قالوا: «نحن أبناء الله وأحباؤه» ولقن نبيه ﷺ كيفية الرد عليهم بقوله:

﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

(المائدة/ ١٨)

ولم يمنعهم ما زعموه من بنوتهم له وقربهم منه من أن يصدر فيهم حكمه القاطع

باللعن والطرد والخروج من رحمته ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

(المائدة/ ١٣، ١٤)

إن الله سبحانه وتعالى يتعامل مع الناس بمقتضى أفعالهم وواقع أمورهم وليس بادعائهم وأمنياتهم، وها نحن اليوم نرى السواد الأعظم من المسلمين يقعون فيما وقع فيه هؤلاء الهلكى من الأمم السابقة التى تمثل اليوم قيادة الأرض، وتمسك بزمامها وتقودها إلى الهلاك والدمار، فكثيرا ما نقرأ قوله تعالى:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الروم/ ٤٧)

وقوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾

(الصافات/ ١٧٣)

وآيات أخرى كثيرة تؤكد النصر للمؤمنين والتمكين للصادقين المخلصين ولا نفطن إلى أننا نمارس مغالطة خطيرة عندما ندرج أنفسنا ضمن هؤلاء الجند الموعودين بالنصر والتمكين دون أن نطالب أنفسنا بمدى تحقق شرط هذه الجندية فينا وانطباق هذا الوعد الكريم علينا، فلقد ضمن الله تبارك وتعالى تحقق النصر والتمكين للمجاهدين الصادقين الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ولم يجعلوا الدنيا أكبر همهم ولا غاية رغبتهم وإنما جعلوها وسيلة إلى إرضاء ربهم وإقامة منهجه فى أرضه، فكانوا ممن عناهم بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت/ ٦٩)

إن من يقرأ قوله تعالى:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(النور/ ٥٥)

إن من يستمع إلى هذا الوعد الكريم وينتظر تحققه من ربه ولا يطلب من نفسه الارتفاع إلى مستوى من يشملهم هذا الوعد الكريم هو إنسان غافل واهم جاهل يحتاج إلى من يوقظه من غفلته

وينهضه من سكرته حتى لا يقع تحت قوله تعالى:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

(الكهف/ ١٠٣، ١٠٤)

إن الله تبارك وتعالى لا يمنح نصره وتمكينه إلا لمن هم أهل لهذا النصر وهذا التمكين ممن أحسنوا العبودية وأخلصوا النية وصدقوا الله تعالى فحسن صدقهم ممن يؤتمنون على شريعة الله فلا يعطلوها وعلى سلطان الله فلا يهان وعلى منهجه فى الأرض فلا يزاحم بمناهج أرضية أو تجارب بشرية.

إن من يركنون إلى فهمهم الإرجائى السلبى الخاطىء لا يقلون خطرا عن المنفلتين من أوامر الله والمخالفين لرسله والمعطلين لشريعته فكلا الفريقين لا تنتصر بهما دعوة ولا يعز بهما منهج ولا يقوم بهما دين فهؤلاء المتكلون على انتسابهم للإسلام وطمعهم فى أن يشملوا بالنصر مع من ينصر من المسلمين واختيارهم لدور المتفرج على العاملين المجاهدين آملين أن يسوى الله بينهم وبين المجاهدين من عباده هم قوم لا يفقهون طبيعة هذا الدين ولا يدركون حقيقة العمل به، بل إنهم يسيئون بفهمهم هذا إليه ويجرئون السفهاء على الطعن فيه، وإسقاط هيبته فالله سبحانه وتعالى قد ربط الهداية وبلوغ القصد بالجهاد فى سبيله، والسعى الخالص لإعلاء كلمته وإقامة منهجه بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

العنكبوت/ ٦٩

ولقد رد المصطفى ﷺ دعوى أقوام اتكلوا على حسن ظنهم بالله، دون رصيد من الجدية والإخلاص فى العمل بقوله صلوات الله عليه: «ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وإن قوما قالوا نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل»(١) إن أصحاب هذا الظن يظلمون أنفسهم كثيرا بهذا الفهم الخاطىء وهذا الجهل الفاضح ويا لسوء موقفهم بين يدى الله سبحانه عندما يأتى الناس بإيمان عميق وعمل دقيق وجهاد متواصل ويأتى هؤلاء بأوهام وأمنيات وظنون لا تغنى عنهم من الله شيئا.

إن الجهد المطلوب مع هذا الصنف من الناس ينحصر فى ضرورة تصحيح الفهم الخاطىء لمعنى الإيمان بالله، وتوضيح

(١) ابن عدى ٦/ ٢٢٩

طبيعة هذا الدين وتعريفهم بمهمتهم التى لها خلقوا ومن أجلها وجدوا، وهذه المهمة هى «تعبيد الناس لله تبارك وتعالى أفرادا وجماعات وذلك بالعمل لإقامة المجتمع الإسلامى الذى يستمد تعاليمه وأحكامه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ»(٢) وهذه المهمة هى سبيل رسول الله ﷺ التى بعث بها وورثها للصالحين من أمته

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(يوسف/ ١٠٨)

وإذا كان تصحيح الفهم لهذا الصنف هو العلاج فإن هناك صنفا آخر فى هذه الأمة لا يجدى معه مجرد التصحيح؛ لأنهم لايؤتون من جهلهم وسوء فهمهم، وإنما من جحودهم وإنكارهم وغلبة أهوائهم وشهواتهم، هذا الصنف هم الدنيويون أو اللادينيون أوهم بالمصطلح الحديث «العلمانيون» وهؤلاء هم رأس البلاء فى هذه الأمة، فمن بينهم خرج كبار رؤوس الشر من تلامذة الاستعمار من المفكرين والمنظرين والساسة والعسكريين وصناع القرار وهم الذين رباهم الاستعمار على عينه وأغدق عليهم الألقاب والأموال، وآلت إليهم المناصب الكبرى وأصبحت الأمة تحكم بطائفة، لا تستشعر للدين هيبة، ولا تفسح له فى حياة الناس مكانا، وشاعت على ألسنة هؤلاء مقولة لا تنتسب لديننا ولا تنتمى إلى عقيدتنا وتراثنا، وهى قولهم: «اعط ما للقيصر لقيصر وما لله لله»، وهكذا أصبح قيصر شريكا لله فى الأرض بل إن المؤسف أن قيصر لم يترك لله شيئا.

وشاعت على ألسنة هؤلاء العلمانيين مقولة أخرى أشد وقاحة وجهلا وهى قولهم: «لادين فى السياسة ولا سياسة فى الدين»، ويعلم الجميع أن المقولة الأولى قد ابتدعها الملك «قسطنطين» امبراطور الروم عندما عرض عليه الدخول فى النصرانية فاشترط أن يكون للبابا السلطان الروحى على أن يظل للامبراطور السلطان الدنيوى، ومن هنا نشأت فكرة الفصل بين الدين والسياسة أو الدين والدولة فهى كما تلاحظ فكرة غريبة شاذة ليست من دين الإسلام فى شىء، أما المقولة الثانية فقد أعلنها الفاجر المرتد «كمال اتاتورك» وجعلها مثالا يحتذى لكل تلامذته فى طول البلاد الإسلامية وعرضها وهى فكرة ابتدعها اليهود وروجوا لانتشارها عن طريق رموزهم الفكرية أمثال كارل ماركس والجلز فى الاقتصاد وداروان فى التطور

(٢) ماذا يعنى انتمائى للإسلام - فتحى يكن صـ ١٠٢.

وعلوم الحياة ودور كايم في الاجتماع وفرويد في نظريات علم النفس وغيرهم في مجالات الحياة المختلفة ولهؤلاء العلمانيين من أبناء أمة الإسلام نقول: «إذا كان الاستعمار الغربي قد استطاع التغرير بكم صغارا عندما كانت مقاليد الأمور كلها بيديه فإنكم اليوم لاعذر لكم بعد أن سقطت الشيوعية الملحدة وكشرت اليهودية عن أنيابها الحاقدة، وافتضح البعد الديني للمسيحية الصهيونية التي يعتنقها سبعة من رؤساء أمريكا السابقين ومنهم الرئيس الحالي جورج بوش».

«وقادة الحركة المسيحية الأصولية يؤمنون بأن لليهود حقا تاريخيا ولاهوتيا وقانونيا في الأرض المسماة إسرائيل وأن الله يتعامل مع الأمم حسبما تتعامل هذه الأمم مع إسرائيل.. وأن الوقوف ضد إسرائيل هو وقوف ضد الله». (٣)

وقد تحدث الرئيس الأمريكي «كارتر» أمام الكنيست الإسرائيلي في مارس سنة ١٩٧٩ فقال: «لقد آمن سبعة رؤساء أمريكيين وجسدوا هذا الإيمان، بأن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل هي أكثر من علاقة خاصة، بل هي علاقة فريدة لأنها متجذرة في ضمير وأخلاق ودين ومعتقدات الشعب الأمريكي نفسه.. لقد شكل إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون طبيعيون ونحن نتقاسم تراث التوراة.. فهل بقي بعد ذلك عذر لأحد ليكرر من خلفهم مقولاتهم المجرمة الفاجرة ويعلن بأنها لادين في السياسة ولا سياسة في الدين، إنني لا أجد ما أقوله لأبناء جلدتنا الساقطين في وحل العلمانية النجس إلا أن أقرأ عليهم قول ربي سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(آل عمران/ ١٠٠-١٠١)

***

(٣) انظر البعد الديني في السياسة الأمريكية - د. يوسف الحسن الطبعة الثانية صـ ٧٥

دوائر العمل في ميزان الإسلام

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

جاء الإسلام بعقيدته وعباداته ومعاملاته وعقوباته، من أجل إحقاق الحق وانتشار العدل والاستقرار بين المجتمعات البشرية، وكانت الرقابة في العهد الأول للإسلام تعتمد على قوة إيمان الناس، وعلى الضمير الديني والوازع الإيماني فلم تعدد ظواهر الرقابة آنئذ، بل كانت محدودة. ولكن في عصرنا الحاضر، لما بَعُد بعض الناس عن الدين وضعف الإيمان وتتعددت صور الانحراف، وتمادى أهلُ الباطل في باطلهم ووظفوا ذكاءهم في الشر، واستعانوا بأهل الحيل والأباطيل ممن لديهم القدرة على قلب الحقائق وتلفيق التهم وجعل المنحرف كأنه صاحب حق يستغيث بالمسئولين، وجعل صاحب الحق أو المسئول كأنه هو المتهم.. لما تمادى أهل الباطل والانحراف على هذا النحو الذي قلبوا فيه الموازين وحاولوا فيه طمس الحقائق وتغطية انحرافهم بأسلوب الابتزاز والمساومة، كانت المجتمعات في أمس الحاجة لظهور أجهزة تتوخى الحق والعدل وتُنصف أصحاب الحق، وتكشف الاعيب محترفي التزوير والضلال فوجدنا أجهزة في الدوائر الحكومية والخاصة تعنى بالتفتيش المالي والإداري، وهي في حقيقة الأمر أجهزة تعين المسئولين وتساعدهم على تصحيح الأوضاع وعدم انتشار الانحراف، وتقضي على الشر في مهده.

والرقابة والمتابعة والإشراف أمورٌ قررها الإسلام منذ العهد الأول حتى إن رسول الله ﷺ كان يتابع بنفسه معاملات الناس ويحذر من الغش والخيانة ويدعو إلى الصدق والأمانة، ولما مرَّ على كومة طعام ألهمه الله- تعالى- أن يدخل يده فيها، فاصابت يده البلل فقال صاحب الكومة قائلاً: «ماهذا ياصاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يارسول الله، قال أفلا جعلته فوقه حتى يراه

الناس ؟! من «غشنا فليس منا».(١)

وعرف نظام «الحسبة» من قديم ومتابعة المعاملات بين الناس ضماناً للحق والعدل والأمانة.

ومع وجود الرقابة والمتابعة والحسبة قديماً إلا أنها لم يكن لها هذا الحجم الكبير الذى نشاهده فى عصرنا الحاضر والسبب فى ذلك يرجع إلى عدة أمور:

أولاً: أن العهد الأول كان أفضل العهود وكان خير القرون، كما قال الرسول ﷺ: «خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(٢) فكانت مخالفات القرون الأولى محدودة، وكانت الانحرافات معدودة وليست كثيرة فلم تكن بحاجة إلى تعدد الأجهزة للمتابعة والمراقبة.

ثانياً: أن أهل العهد الأول والعهود التالية كان إيمانهم أقوى وكان الوازع الإيمانى والضمير الدينى له أكبر الأثر فى كفهم ومنعهم عن الانحراف أو التزوير أو التلفيق بل كان بعضهم إذا وقع فى خطيئة بادر بالاعتراف بها يريد أن ينال العقوبة عليها فى الدنيا قبل الآخرة فكان أحدهم مثل «ماعز» يعترف ويُقر بارتكابه الفاحشة رغم محاولة الرسول ﷺ معه ليرده حتى أقرَّ واعترف فأقيم عليه الحدّ. ومثل «الغامدية» التى اعترفت وأقرّت حتى رُجمت، ولما عاب مسلكها واعترافها أحد الناس قال عليه الصلاة والسلام: «لقد تابت توبة لو قُسِّمت على أهل المدينة لوسعتهم»(٣).

وهكذا نرى أنهم كانوا قديما يراقبون أنفسهم ويتقدمون لأخذ العقوبة فى الدنيا قبل الآخرة، وذلك بسبب قوة إيمانهم وعظمة يقينهم، فما كانوا فى حاجة إلى أجهزة تراقبهم أو إلى من يتابعهم إلا القليل.

ثالثاً: لم تكن حياتهم الأولى متسعة الجوانب متعددة الظواهر كثيرة المشكلات كحال الناس اليوم، بل كانت حياتهم الأولى محدودة. أما الآن فنرى التعقيد أو التعتيم فى بعض أمور الناس وأعمالهم، ونرى ظواهر البعض تُخالف بواطنهم ولا يعلم مافى القلوب إلا علام الغيوب، فاحتاج الوضع الراهن إلى من يتابع أهل الحق ليعينهم وأهل الباطل ليردهم عن باطلهم ويتابع المخطئين ليسدد ويُصوّب لهم وهكذا...

رابعاً: ظهور بعض المدافعين والمحترفين الذين اكتسبوا خبرة فى تلبيس الأمور وتصوير الحق بالباطل والباطل بالحق مما يمكنهم من طمس الحقائق، وظهور طوائف يتصفون باللدد فى الخصومة وشدة الجدل كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم»(٤) والألدّ: هو شديد الجدل.

(١) أخرجه احمد فى مسنده
(٢) أخرجه الترمذى فى سننه
(٣) أخرجه البيهقى ٨/٤، ٢١٨/٨
(٤) أخرجه مسلم (٢٠٥٤)

وبسبب احتراف المدافعين وخبرة البعض فى تصوير الأمور على غير وجهها الصحيح حذّر الرسول ﷺ الناس من محاولة تغطية الحق وإخفائه انتصاراً للنفس وتحويلاً للأمور إلى غير نصابها فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر، وإنه يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق، فأقضى له بذلك، فمن قضيتُ له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها» رواه البخارى.

وإنما قال: «فمن قضيت له بحق مسلم» نظرا إلى لفظ «بعضكم» فإنه خطاب للمؤمنين أو على سبيل التغليب لأن هذا الأمر ليس خاصا بالمسلم بل يشمل أيضا أهل الذمة، أى أن الأمر يشمل المسلم وغير المسلم من أهل الذمة، وفى قول الرسول ﷺ: «فليأخذها أو فليتركها» ليس هذا على سبيل التخيير بل الأمر هنا أمر تهديد، كما فى قول الله- سبحانه وتعالى:

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

الكهف: ٢٩

وبهذه العوامل السابقة تتضح الحاجة إلى ما استحدثته الحياة المعاصرة من أجهزة وإدارات تعمل من أجل المصلحة العامة ولرعاية حقوق الإنسان التكفل له الأمن والاستقرار، ولتحمى المؤسسات وسائر القطاعات ودوائر العمل من أى تربص ممن يحاولون تبرير مواقفهم، وإهالة التراب على غيرهم، ليفلتوا هم أو ليكون غيرهم هو الذى يتحمل أوزارهم وأخطاءهم، فكان لابد من جهات محايدة ومعاونة وعادلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وعلى هذه الأجهزة أن تضع نصب عينيها: «لأن أخطئ فى العفو خير من أن أخطئ فى العقوبة» وأن تبذل أقصى مافى الوسع الإنسانى تحرياً للعدل وطلبا للإنصاف فالظلم ظلمات يوم القيامة، وإذا كان رسول الله ﷺ وهو النبى المعصوم الذى يوحى إليه قال: «إنما أنا بشر...» فما بالنا بسائر البشر.

إن ثقتنا الكبيرة فى مؤسسات العدالة والأمن وقلاع العلم والخير، تدعونا أن نشيد بدورها المنصف لأن ديننا أمرنا أن نقول لمن أحسن أحسنت وأن نضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يصون مصرنا العزيزة من رياح الفتن، وهواة الشر والعدوان. وأنه إذا برز شيء من التهاون أو التجاوز فى فترة أو لدى البعض فإن المجتمع كله بخير، والخير فى هذه الأمة إلى يوم القيامة ولا يليق التشهير بأحد أو التربص من فئة معينة فكلنا فى مركب واحد.. وقدرُ مصر أن تكون حامية للأمن القومى، منافحة للحق والشرعية فى كل زمان وأكبر دليل على ذلك مسيرة قائدها الرئيس مبارك الذى لا يفتأ ينافح عن الحق والشرعية، ويقف إلى جانب الحق والعدل وعلى دربه الواضح سارت الأجهزة المعاونة ولله الحمد نسأل الله- تعالى- أن يمنّ على أمتنا بالنصر والفتح المبين وبالرخاء والأمان والاستقرار، وبالله التوفيق.

يا سامر الحي (١)

للشاعر العربي الكبير بدوي الجبل

يا سامر الحي هل تعنيك شكوانا ** رق الحديد وما رقوا لبلوانا
خل العتاب دموعا لا غناء بها ** وعاتب القوم أشلاء ونيرانا
آمنت بالحقد يذكي من عزائمنا ** وأبعد الله إشفاقا وتحنانا
ويل الشعوب التي لم تسق من دمها ** ثاراتها الحمر أحقادا وأضغانا
ترنح السوط في يمنى معذبها ** ريان من دمها المسفوح سكرانا
تغضي على الذل غفرانا لظالمها ** تأنق الذل حتى صار غفرانا
ثارات يعرب ظمأى في مراقدها ** تجاوزتها سقاة الحي نسيانا
ألا دم يتنزى في سلافتها ** أستغفر الثأر بل جفت حميانا
لا خالد الفتح يغزو الروم منتصرا ** ولا المثنى على رايات شيبانا

* * * ** * * *

أما الشآم فلم تبق الخطوب بها ** روحا أحب من النعمى وريحانا
ألم والليل قد أرخى ذوائبه ** طيف من الشام حيانا فأحيانا
حنا علينا ظماء في مناهلنا ** فأترع الكأس بالذكرى وعاطانا
تنضر الورد والريحان أدمعنا ** وتسكب العطر والصهباء نجوانا
السامر الحلو قد مر الزمان به ** فمزق الشمل سمارا وندمانا

(١) قيلت هذه القصيدة تندد باحتلال فرنسا لسوريا، وهي تصدق الآن على احتلال أمريكا للعراق، وما أشبه الليلة بالبارحة!

قد هان من عهدها ما كنت أحسبه ** هوى الأحبة في بغداد لا هانا
فمن رأى بنت مروان انحنت تعبا ** من السلاسل يرحم بنت مروانا
أحنوا على جرحها الدامي وأمسحه ** عطرا تطيب به الدنيا وإيمانا
أزكى من الطيب ريحانا وغالية ** ما سال من دم قتلانا وجرحانا
هل في الشام وهل في القدس والدة ** لا تشتكي الثكل إعوالا وإرنانا
تلك القبور فلو أني ألم بها ** لم تعد عيناي أحبابا وإخوانا
يعطي الشهيد فلا والله ما شهدت ** عيني كإحسانه في القوم إحسانا
وغاية الجود أن يسقي الثرى دمه ** عند الكفاح ويلقى الله ظمآنا
والحق والسيف من طبع ومن نسب ** كلاهما يتلقى الخطب عريانا

* * * ** * * *

قل للألى استعبدوا الدنيا لسيفهم ** من قسم الناس أحرارا وعبدانا
إني لأشمت بالجبار يصرعه ** طاغ ويرهقه ظلما وطغيانا
لعله تبعث الأحزان رحمته ** فيصبح الوحش في برديه إنسانا
والحزن في النفس نبع لا يمر به ** صاد من النفس إلا عاد ريانا
والخير في الكون لو عريت جوهره ** رأيته أدمعا حرى وأحزانا
سمعت باريس تشكو زهو فاتحها ** هلا تذكرت يا باريس شكوانا(٢)
والخيل في المسجد المحزون جائلة ** على المصلين أشياخا وفتيانا
والآمنين أفاقوا والقصور لظى ** تهوي بها النار بنيانا فبنيانا
رمى بها الظالم الطاغي(٣) مجلجلة ** كالعارض الجون تهدارا وتهتانا
أفدي المخدرة الحسناء روعها ** من الكرى قدر يشتد عجلانا

(٢) سقوط باريس في يد الألمان في الحرب الأخيرة
(٣) الجنرال ساراي يوم ضرب دمشق بالمدافع

تدورُ فى القصرِ عجلى وهى باكيةٌ ** وتسحبُ الطيبَ أذيالاً وأردانا
تُجيلُ والنومُ ظلٌّ فى محاجرِها ** طرفاً تُهدهدُهُ الأحلامُ وسْنانا
فلا ترى غيرَ أنقاضٍ مُبعثرةٍ ** هوينَ فناً وتاريخاً وأزمانا
تلك الفضائحُ قد سمَّيتها ظفراً ** هلاَّ تكافا يومَ الروعِ سيفانا
نُجابهُ الظلمَ سكرانَ الظُّبى أشراً ** ولا سلاحَ لنا إلا سجايانا
إذا انفجرتْ من العُدوانِ باكيةً ** لطالما سُمتنا بغياً وعُدوانا
عشرين عاماً شربنا الكأسَ مُترعةً ** من الأذى فتملَّى صِرفها الآنا
ما للطواغيت فى باريس قد مُسخوا ** على الأرائكِ خُدّاماً وأعوانا
اللهُ أكبرُ هذا الكونُ أجمعُهُ ** للهِ لا لكَ تدبيراً وسُلطانا
ضغينةٌ تتنزّى فى جوانحنا ** ما كانَ أغناكُم عنها وأغنانا

*** ** ***

ما للسفينة لم ترفعْ مراسيَها ** ألمْ تُهيِّئْ لها الأقدارُ رُبّانا
شُقّى العواصفَ والظلماءَ جاريةً ** باسمِ الجزيرةِ مَجْراها ومُرْساها
ضُمّى الأعاريبَ من بدوٍ ومن حَضَرٍ ** إنى لألمحُ خلفَ الغيمِ طُوفانا
يا مَنْ يُدلُّ علينا فى كتائبه ** نظارَ تطّلعُ على الدنيا سرايانا(٤)

***

(٤) يتنبأ الشاعر هنا بالوحدة وبقيام جيش عربى ولقد قامت هذه الجيوش ولكنها لم تستطع أن تحرر فلسطين.

بطل من أبطال الإسلام

للأستاذ / عادل خفاجة

لاشك أن قوة البنيان الجسدى مما يمتدح به الإنسان، والإنسان إذا أعطاه الله بسطة فى الجسم كان مثار اهتمام من حوله.

غير أن بسطة الجسم إن لم يوافقها بسطة فى العلم لم تكن سبيلا لمدح صاحبها، بل ربما كانت سببا فى ذمه ومن ذلك قول حسان ابن ثابت:

لا عيب بالقوم من طول ومن عظم
جسمُ البغال وأحلام العصافير

وإذا كانت الشجاعة عند من أعطى بسطة فى الجسم مما يثير إعجاب الناس، فإن إعجابهم يكون أشد إذا تحلى بالشجاعة من حرم بسطة الجسم هذه.

فما بالنا إذا أتى هذا الأخير بفعل يتراجع عنه الأقوياء!! ألا يستحق أن نسميه بطلا؟!

بطلنا هو ذلك الرجل الذى تحدى جبابرة قريش برغم أنه كان «نحيفا قصيرا تكاد الجلوس توازيه تقتحمه العين ويزدريه أهل الشرك». (١)

ولكنه مع ضآلة جسمه كان مثالا للشجاعة يحتذى، ويكفى أن نقول بيانا لشجاعته أنه هو الذى أسمع قريشا ما تكره!!

إنه عبدالله بن مسعود أحد العشرة المبشرين بالجنة.

فقد ورد عن عروة بن الزبير عن أبيه أنه قال: كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبدالله بن مسعود اجتمع يوما أصحاب رسول الله فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهم؟ فقال عبدالله بن مسعود: أنا. فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه، فقال: دعونى فإن الله سيمنعنى، فغدا عبدالله حتى أتى المقام فى الضحى وقريش فى أنديتها، حتى قام عند المقام فقال رافعا صوته: «بسم الله الرحمن الرحيم. الرحمن علم القرآن»، فاستقبلها فقرأ بها،

(١) إمام.. لفضيلة الشيخ محمود النواوى. مجلة الأزهر المجلد ٢٤ ص٩٥٤، سنة ١٣٧٢هـ. وراجع أيضاً - المعجم الكبير ٩/٨٥ حديث ٨٤٧٧.

فتأملوا فجعلوا يقولون : ما يقول ابن أم عبد ؟ ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا فجعلوا يضربونه فى وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذى خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله قط أهون علىّ منهم الآن ، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غدا ، قالوا : حسبك ، قد أسمعتهم ما يكرهون» . (٢)

ترى من صنع هذا العملاق ؟ وأنى له بهذه الشجاعة وهو منْ كان: قليل المال - نحيل الجسد - أجير القوم يفتقر إلى عشيرة قوية تسانده ؟ !

إن نظرة على بداية حياة هذا الرجل لتنمُ بالكثير وتكشف عن معدنه . . فنحن أمام غلام قصير . . بائن القصر . . فقير . . يرعى الغنم لأحد السادة ، ليكسب قوت يومه .

تلفه البداوة بتقاليدها التى أولها الكرم وإكرام الضيف على وجه الخصوص ! ! ينزل به رجلان أحدهما محمد ﷺ بما يتمتع به من وضاءة وبهاء ظاهرين وحسن النبوة ، فيطلبا شربة لبن وهو مطلب معتاد فى البادية ، فماذا عساه فاعل وهو يرعى غنم ابن أبى معيط ، ولن يعدم واحدة مملوءة الضرع ؟ !

ولنترك الإجابة لابن مسعود ، فقد قال: «كنت غلامًا يافعًا أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط بمكة ، فأتى علىّ رسول الله ﷺ وأبوبكر فقال : يا غلام ، عندك لبن تسقينا ؟ فقلت : إنى مؤتمن ولست بساقيكما . فقال : هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟ فأتيتهما بها . فاعتقلها أبوبكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع فدعا ، فحفل الضرع ، فحلب وشرب هو وأبوبكر . ثم قال للضرع أقلص فقلص فلما كان بعد أتيت رسول الله ﷺ فقلت : علمنى من هذا القول الطيب - يعنى القرآن- فقال رسول الله : إنك غلام معلم ، فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعنى فيها أحد» . (٣)

إن هذا الموقف ليعُدُ اختبارًا لنفس هذا الغلام والمحك الحقيقى الذى يوضح معدنه .

فمنه يتضح تغليبه للأمانة وتقديمه إياها على أعراف المجتمع وتقاليده ، فهو حقًا مؤتمن أمين ، بين جنبيه نفسا تواقة للعلم والمعرفة .

ترى ماذا يكون صاحب هذا المعدن الأصيل إذا اعتنق الإسلام ؟ !

وقد قال ﷺ : «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» . (٤)

إن ظاهر الأمر لم يكن فى حاجة إلى معجزة ، فشربة لبن تغنى عنها شربة ماء ، وأول ما يحفظه أهل الصحراء مكان بئر الماء .

فلمن كانت هذه المعجزة ؟ ! وليس أمام

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل، جـ٢، ص٨٣٧

(٣) مسند الطيالسي ج١/٤٧، حديث ٣٥٢

(٤) صحيح مسلم جـ ٢٠٣١/٤

النبى ﷺ غير الصديق وهذا الغلام ؟ !

إنها النبوة إذن ، وفراسة النبى ، حيث يعلم أين ومتى ولمن تكون المعجزة !

وهل يترك النبى ﷺ هذا المعدن النفيس يضيع فى الصحراء ! !

فالمعجزة موجهة إلى ابن مسعود لتكون له أول دلائل التصديق بالنبى وأول ينابيع العلم ، والتى سينهل منها ولعل فى قوله ﷺ : «إنك غلام معلَّم» ما يفصح عن هذه الفراسة النبوية .

لقد أصبح حقًا من خيار المسلمين ألا يكفى أنه هو سادس ستة ما على وجه الأرض مسلم غيرهم ، فقد قال -رضى الله عنه : «لقد رأيتنى سادس ستة ما على الأرض مسلم غيرنا» . (٥)

لقد نال ابن مسعود شرف مصاحبة رسول الله ، مصاحبة لم يحظ بمثلها غيره ، فقد كان تلميذه وخادمة وأمين سره يدخل عليه حين يحجب الناس ، فعرف من هذه الرفقة ما لم يعرفه غيره وهذا - دائما - حال التلميذ المقرب من أستاذه فإنه بالإضافة إلى معرفة الحكم يعرف أسبابه ، وهو ما لا يتاح للسائل المتعجل .

فقد اختصه النبى بما لم يختص به غيره يقول ابن مسعود : قال لى رسول الله ﷺ : إذنك علىَّ أن ترفع الحجاب وأن تسمع سوادى (٦) حتى أنهاك» . (٧)

«ومن الطبعى أن هذا الاختصاص لرجل مثل ابن مسعود من السابقين الأولين الذين أوتوا حسًا مرهفا ، وذكاء فطريا ، وذهنا خصبا ، وسريرة صافية ، كان له أكبر الفضل فى تميز ابن مسعود من بين إخوانه قادة الفكر الإسلامى الذين خرجتهم المدرسة المحمدية العظمى ، بألوان شتى من الحياة الإسلامية تولدت منها مذاهب وآراء لها فى تاريخ التشريع الإسلامى خطرها ، ولاسيما فيما يتعلق منها بالقرآن الكريم ، دستور الإسلام الأعظم ، حفظًا وأداء وتدوينا ، وفقها فى أحكامه ، وغوصا على حكمه وأسراره» . (٨)

لقد وعى ابن مسعود الكثير عن رسول الله فنال شرف أن يكون أول أربعة ترجع الأمة إليهم فيما يتعلق بالقرآن .

فعن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «خذوا القرآن من أربعة من عبدالله ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة» . (٩)

وهذه شهادة أخرى من رسول الله ﷺ

(٥) صحيح ابن حبان ٥٣٧/١٥

(٦) سوادي: أي سري

(٧) صحيح مسلم جـ٤، ص١٧٠٨، حديث رقم ٢١٦٩.

(٨) صادق عرجون: حياة رجالات الإسلام مجلة الأزهر المجلد الحادي عشر ص٢٨٢.

(٩) سنن الترمذي جـ٥/٦٧٤، حديث رقم ٣٨١٠

لابن مسعود فعنه ﷺ أنه قال: «من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد». [10]

وعن عبدالله (ابن مسعود) قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ علىَّ القرآن، قال: فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إنى أشتهى أن أسمعه من غيرى، فقرأت «النساء»، حتى إذا بلغت:

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾

النساء/ ٤١

رفعت رأسى (أو غمزنى رجل إلى جنبى فرفعت رأسى) فرأيت دموعه تسيل». [11]

لم يكن ابن مسعود فى بداية عهده مجرد قارىء للقرآن لا يدرى معانى ما يقرأ ولكنه كان لا يحفظ قدر عشر آيات إلا وقد علم ما قبلها وعمل بها فقد قال -رضى الله عنه-: «كنا إذا تعلمنا من نبى الله ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلم التى بعدها حتى نعلم ما فيه، فقيل لشريك: من العمل؟ قال: نعم». [12]

لقد أصبح ابن مسعود أحد «الذين حملوا لواء التشريع الإسلامى فى أطراف الأرض، وخلفوا للإنسانية تراثا فكريا خالدا يمدها بما تشاء من قوانين فاضلة، وسياسة عادلة، فى أى زمان أو مكان. وقد كان عبدالله بن مسعود فى هذا ملاذا يرجع إليه أكابر الصحابة فى الفتيا والفقه وأصول الدين». [13] فأحبه الصحابة، وشهدوا، له بما يستحق.

فهذه شهادة حذيفة إذ يقول: «ما أعلم أحدا أقرب سمتا وهديا ودلا برسول الله ﷺ حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد». [14]

وسمع عمر بن الخطاب قول النبى ﷺ فى شأنه: «من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد». فسارع إليه يبشره.

يقول عمر رضى الله عنه: «فادلجت إلى ابن مسعود لأبشره، بما قال رسول الله ﷺ، فلما ضربت الباب سمع صوتى، فقال: ما جاء بك فقلت: جئت أبشرك بما قال رسول الله ﷺ قال سبقك أبوبكر قلت: إن يفعل فإنه سابق بالخيرات، ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنى إليه أبوبكر». [15]

هكذا استطاع ابن مسعود أن يحظى بهذه المنزلة بين الصحابة.

(١٠) مسند الطيالسى جـ١/٤٤، حديث رقم ٣٢٤، وصحيح ابن حبان ج١٥/٥٤٢-٥٤٣ حديث ٧٠٦٦.

(١١) صحيح مسلم ج١/ص٥٥، حديث ٨٠٠.

(١٢) كنز العمال حديث رقم ٤٢١٣.

(١٣) صادق عرجون: حياة رجالات الإسلام، مجلة الأزهر، المجلد الحادى عشر، ص٢٢٠ سنة ١٣٥٩هـ.

(١٤) مسند الإمام أحمد جـ٥، ص٣٩٥ حديث ٢٣٣٩٨.

(١٥) المعجم الكبير جـ ٩، ص٧١، حديث رقم ٨٤٢٤.

ثم يتوجه الرسول ﷺ بما لم يتوج به أحدا قائلا: «لو كنت مؤمرا أحدا من أمتى عن غير مشورة منهم لأمرت عليهم ابن أم عبد». [16]

ترى أى تاج هذا الذى ألبسه النبى ﷺ لابن مسعود!!

إنه:

تاج قد انبعثت منه أشعته

فكاد يخطف من لألائها البصر

إنه تاج افتخار فاق تاج الجوهر، يغبطه عليه الملوك والأمراء.

علم ابن مسعود قدر نفسه من تقدير الرسول له وحب الصحابة إياه، فلم يزده ذلك إلا تواضعا لله وحبا للعلم فنراه يقول: «والذى لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحدا هو أعلم بكتاب الله منى تبلغه الإبل لركبت إليه». [17]

لقد تعملق الرجل علميا، فأى قامة توازيه!!

فهو: سادس ستة لم يكن على الأرض مسلم غيرهم.

وهو: أول أربعة يُرجع إليهم فى أمر القرآن (تلاوة وتفسيرا).

وهو: أحد الذين نزل فيهم قول الحق -تبارك وتعالى-:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

(الأنعام ٥٢)

فهنيئا لابن مسعود شهادة القرآن له، أنه ممن يريدون وجه الله.

ثم هو: أحد عشرة بشرهم النبى بالجنة ومازالت أقدامهم بعد على الأرض.

وبعد

فإن ابن مسعود صاحب المعدن الأصيل.. لم يكن ليذكره التاريخ لولا هذا اللقاء الذى تم مع رسول الله ﷺ يوم «معجزة الضرع»، وما كان التاريخ ليحفظ له كلمة لو لم يدخل الإسلام.

فالإسلام هو الذى أعطى للضعفاء المنسيين فى الصحراء نصيبا من الخلود والعلم والشرف ووضعهم بين أعلام التاريخ.

فهل لنا أن نستمسك بالإسلام حتى يعود لنا ما كنا عليه من شرف وعلم وخلود!!

بدل هذا الاستسلام الخانع حتى أصبحنا أمة تائهة (أو قل نائمة) فى الصحراء!!

***

(١٦) مسند الإمام احمد/جـ١ ص١٠٨، حديث ٨٥٢.

(١٧) صحيح مسلم ج٤/١٩١٢، حديث رقم ٤٧١٦ ـــ

خطبة الجمعة :

عِزّةُ المُؤمِن (١)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصي

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله، له الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحميد:

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ المؤمنون [١١٦]

سبحانك سبحانك، تعطى وتمنع، وترفع وتضع، وإلى الله تصير الأمور. نشهد أن لا إله إلا أنت، تعز من تشاء وتذل من تشاء:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ فاطر [١٠]

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبدك ورسولك، جاءته الدنيا بلذاتها فأباها، وتعلقت عينه بالمكارم فاجتباها، فكان إمام الثابتين وقدوة المترفعين، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وذريته، وحوارييه وصحابته، وأتباعه وجماعته، أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون...

(١) ألقيت فى يوم الجمعة ١٨ من شهر رمضان سنة ١٣٧٠هـ الموافق ٢٢ من يونية سنة ١٩٥١م

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام...

لعل أعجوبة العجائب وأحدوثة الغرائب أن ينزل الحق تبارك وتعالى دينه الإسلام ليكون شرعة العزة والسيادة فى الوجود، وليفتح أمام المسلم طريق الرفعة والعلاء، فلا يذل لغير الله، ولا يخضع جبهته إلا لله، ولا يستعبد نفسه إلا لله، ثم نتطلع فى الوجود يمينا وشمالا فنرى المسلمين هم الأمة التى تضرب كل يوم مثلا فى الذلة والخضوع، وكأنما يريدون أن يقولوا: إننا نحن المسلمين نريد بتصرفاتنا فى الحياة أن نفهم العالمين أننا أول الذين يسيئون إلى الإسلام ويناقضونه، وإن سمينا أنفسنا بالمسلمين...

وإلا فما بالنا نرى شعوب الأرض تتعثر ثم تنهض، وتفتقر ثم تغنى، ويفرض عليها العسف أحيانا ثم تتحرر، وحضرات «العبيد» المسلمين فى عثرات موصولة، وافتقار دائم، وذل لا ينتقل ولا يريم؟!

ولكن إذا عرف السبب بطل العجب كما يقولون... لقد حيل بين المسلمين وبين الإسلام، فما يعرفون منه إلا العنوان وفضول الكلام، وذل المسلم فى نفسه حين أعرض عن ربه، واتخذ له فى دنياه معبودات من المال والشهوة، والطواغيت والشياطين، وقديما قيل: أذل الحرص أعناق الرجال وذلت الأمة المسلمة لأنها تفككت بعد اجتماع، وتحللت بعد اعتصام، واستبد بأمورها من لا يعرف ربها، ولا يؤمن بدينها، ولا يخشى سلطانها، ولا يخاف عقابها، وإذا أصيبت الأمة فى أجرائها حين جعلتهم ولاتها فصاروا أعداءها، فقد ذل العزيز، وتضاعف ذل الذليل، ولن تجدى كثرة العدد، ولا سعة الرقعة، ولا ضخامة المتاع، وصدق الرسول: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»(٢).

أين نحن من الإسلام أيها الناس؟...

فلنعرف جواب هذا السؤال أولا، ولنحدد من الإسلام موقفنا، فإما أن نؤمن به فنقبل عليه ونعمل له، وإما أن نكفر به فنهجره ونصد عنه. إن الإسلام دين لا يجتمع مع الذلة فى مكان، وما جاء به محمد إلا ليغرس فى نفس كل مسلم شجرة الترفع على كل خسة ودناءة، ويشيع فيه الاعتزاز بالله وحده:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾

الطلاق [٣]

والله سبحانه وتعالى يعلمنا الثبات فى الأمر، والعزيمة فى الرشد، والتسامى عن الهوان والحزن فيقول فى كتابه:

(٢) الطبرانى فى الكبير ١٠١/٢

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

آل عمران [١٣٩]

ويصف لنا محمدا وصحبه بأنهم أعزاء فى نفوسهم، أقوياء على أعدائهم، وإن كانوا رحماء فيما بينهم، يتعاطفون برحم الله الذى جمعهم، فيقول:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾

الفتح [٢٩]

وفى آية أخرى يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

المائدة [٥٤]

ثم يقرر أن العزة فى الأرض والسيادة فى الكون ميراث خالص يهبه الله لعباد الله فيقول:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

المنافقون [٨]

وهذا معلم البشرية محمد صلوات الله عليه يعلم المسلم كيف يكون أمة وحده، وكيف يتنزه عن التقليد الأعمى والمتابعة الخرقاء، وكيف يكون عزيزا فى رأيه وفكره ومنهاجه فيقول: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسات، ولكن وطنوا أنفسكم إذا أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم»(٣).

وقديما كان المسلمون فى مختلف العصور الزاهرة أمثلة رائعة للعزة وكرامة النفس وسمو الهمة، يفضلون المنية على الدنية، ويطلبون الصدر أو القبر، ولا يذلون أعناقهم إلا لخالقها، ولا يقدمون أنفسهم إلا لبارئها، وكل منهم يهتف مؤمنا بما يقول:

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

الأنعام [٧٩]

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

الأنعام [١٦٢ - ١٦٣]

وهذا هو الإمام الشافعى رضى الله عنه كان يترجم عن عزة المؤمن وكرامة المسلم حين ينشد:

أمطرى لؤلؤا سماء سرنديب ... وفيضى جبال تكرور تبرا

(٣) مجمع الزوائد ١/ ١٨٠.

أنا إن عشت لست أعدم قوتا ... وإذا مت لست أعدم قبرا

همتى همة الملوك، ونفسى ... نفس حر ترى المذلة كفرا

ولقد أراد أحد الحكماء فى تقشفه وزهده أن يبين عن عزة نفسه وعلو همته وقناعة قلبه، فقال: بينى وبين الملوك يوم واحد، أما أمس فلا يجدون لذته ولا أجد شدته، وأما الغد فإنى وإياهم منه على خطر، فما هو إلا اليوم، فما عسى أن يكون؟.

وقال رجل للحسن بن على وقد كان عزيزا: إن الناس يزعمون أن فيك تيها قال: ليس ذلك بتيه، ولكنها عزة، وتلا قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(المنافقون / ٨)

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام... العزة ميراث المسلم أينما كان وكيفما عاش، لا يفرط فيها لأنها جزء من إيمانه وثقته برحمانه، فحاربوا الترف والبطنة فى أجسامكم ومعدكم، لتصبحوا أعزة فى نفوسكم وأخلاقكم، واكفروا بطواغيت الأرض ولا ترجوهم لتصبحوا أعز منهم، وثقوا بالله ربكم أكثر مما تثقون بما فى أيدى الناس لتصبحوا أغنياء شرفاء، وابنوا حياتكم ومجدكم بأيديكم ونضالكم وعملكم الصالح، لتتحرروا من عبودية الاسترقاق لكذبة السادة، وذل الاصطناع لسفلة الباغين بغير الحق:

﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾

(الشورى / ١٥)

﴿ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(القصص / ٨٨)

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

(المائدة / ٨٨)

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

(النحل / ١٢٨)

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم. سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم.

***

قصة العدد

آخر أبطال غرناطة

للأستاذ الكبير علي الطنطاوي

لم تشهد شمس اليوم الواحد والعشرين من المحرم سنة ٨٩٧ هـ حينما أطلت على غرناطة، تلك المدينةالضاحكة للحياة، الساكنة إلى النعيم، السابحة في جو النغم العذب والعطر الأريج، بل رأت مدينة واجمة حيرى، قد أقفرت من الرجال، إلا قبضة من الأبطال رابطت حيال الأسوار، هي بقية ذلك الجيش الذى دانت له أسبانيا كلها، وأظلت ألويته فرنسا وإيطاليا.. قد وقفت تدافع عن آخر حصن للإسلام في هذا القطر الممرع، تذود عن بيوت الله، ومقابر الأجداد..

ولقد جازت غرناطة أياما سودا عوابس، ورأت مصائب ثقالا متتابعات، ولكنها لم تجد مثل هذه الليلة التى قضتها مسهدة مذعورة، تنظر حواليها فلا تبصر إلا مدنا خضعت للعدو فجاس خلالها واستقر فيها، وقد كانت أرض العروبة، وكانت ديار الإسلام، وأمة استذلت واستعبدت، وقد كانت أعز من النسور وأمنع من العقبان وبقيت هى وحدها تحمي الحمى وتدافع عن الأرض والعرض والدين، وتحمل وحدها أوزار الماضى وما كان فيه من تخاذل وأثرة وانقسام، وتؤدى وحدها الدين، دين الجهاد، الذى كان في أعناق مدن الأندلس كلها والمسلمين أجمعين، فنامت عنه مدن الأندلس، وشغلتها خيالات الإمارة، وألقاب مملكة في غير موضعها..

وجعلت تنظر غرناطة إلى القصر البهى العظيم، وهو آخر هاتيك القصور التى شغل رواؤها الأمراء، وأنستهم سكناها أخلاق صحرائهم الأولى، فكانت مقابر لأمجادهم طفقت تنظر إليه فلا ترى من بناة الحمراء إلا الرجل الضعيف، والمرأة الملتحية التى اسمها أبو عبد الله الصغير -وأمه الشريفة الأبية؛ الرجل الذى خلق في

جسم امرأة: عائشة. فحولت وجهها عن القصر الى جهة السور تسأل: هل عاد موسى؟

ولقد كان «موسى» أمل هذا الشعب وإليه مفزعه، وعليه بعد الله اعتماده. بدا له فى ساعة الخطر كما يبدو النجم الهادى للضال الآيس.

لقد طلع فجأة من الظلام، ظلام الدهماء فإذا هو يلمع فى لحظة واحدة التماع البدر المنير - وكذلك يقذف هذا الشعب العربى بالأبطال كلما حاقت الشدائد وادلهمت الخطوب - وإذا هو أمل أمة، وإذا هو ملء السمع والبصر، وملء السهل والجبل، وإذا هو بطل المعركة المكفهرة دعا إلى القتال شعبا كل من القتال، فلباه علي كلاله، هذا الشعب الذى علمه محمد كيف يلبى كلما دعى إلى التضحية والجهاد، لباه وتشققت أسماله البالية عن أسود غاب، وسباع عرين، ووقف بهؤلاء الأسود في وجه السيل الإسبانى الطامي، وما زال ثابتا، ولكن أسوده قد سقطوا صرعى في ميادين الشرف.

خرج موسى منذ إحدى عشرة ساعة يضرب الضربة الأخيرة ينال بها إحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة، ويرد العدو الذى أبقى عليه حلم المسلمين حتى قوى بضعفهم، واشتد بلينهم، وانتزع منهم الأرض قرية قرية، وبلدا بلدا، حتى أقبل يطردهم من آخر منزل لهم فى الأندلس، من غرناطة.

وعلت غرناطة فترة الجزع، من خوفها على (موسي)، لقد جعلته قائدها، وسلمته الدفة، ليقود السفينة الهائمة علي وجهها وسط الأعاصير والزوابع، إلى الشاطئ الآمن، فإذا عجز موسى عن نجاتها لم ينجها أحد من بعده.. وقد كان موسى آخر خيط من خيوط الرجاء، وآخر شعاعة من هذه الشمس التى سطعت فملأت الأرض نورا وهدى ثم أدركها المغيب، فإذا انقطع هذا الخيط عم ظلام اليأس وانتشر.. وقد كان موسى آخر مقطع من هذا النشيد الذى ألف مطلعه طارق، ثم تولي على نظمه (شعراء...) البطولة عبد الرحمن وعبد الرحمن وعبد الرحمن، الغافقى والداخل والناصر، فحمله الأبطال المساعير إلى الأقاصى والأدانى، وتجاوبت بأصدائه سهول فرنسا، وبطاح إيطاليا، ثم ضعف وتخافت ولم يبق منه إلا هذا المقطع، فإذا انقضى جف النشيد على الشفاه وانقطع ومات...

وقد كان موسي آخر سطر فى سفر الحق والبطولة والمجد، ذلك الذى كتبه العرب المسلمون في ثمانمئة سنة، فمحاه الأسبان في سنوات، ولم يبق إلا هذا السطر، فإذا طمس ذهب السفر وباد..

وقد كان موسى آخر نفس من أنفاس الحياة فى الأندلس المسلمة، فإذا وقف

هذا النفس الواحد، وسكن هذا الدماء الباقى، صارت الأندلس المسلمة أثرا بعد عين، وصارت ذكرى عزيزة فى نفس كل مسلم، وأمانة فى عنقه إلى يوم القيامة.

وانطلقت من أعالى الأسوار أن «لقد عاد موسى» فتقاذفتها الألسن وتناقلتها الآذان، فطارت فى أرجاء المدينة، وسارت فى جوانبها مسير البرق، فبلغت الساحات والدروب، وولجت الدور والمنازل، وأوغلت خلال البيوت والسراديب فلم تلبث أن نفضتها نفضا فالقت بأهليها إلى الأزقة والشوارع، فإذا هى ممتلئة بالناس من كل جنس وسن ومنزلة، وإذا هى تزخر بهذا النهر الإنسانى، الذى يجرى صوب الأسوار، صخابا جياشا مزبدا، يتحدر ويسرع مجنونا، كأنما تدفعه قوة خفية هائلة احتوتها الكلمات الساحرة (المكهربة) الثلاث : «لقد عاد موسى»!

لقد كان يوما من الأيام الغر التى تضيئ الطريق لمن يسلك فجاج التاريخ، وتجيئ فى الليالى كالعبقرى فى الناس، وتصنع العجائب لتكون معجزة فى الزمان، ما شهدت مثله غرناطة، ولا أبصرت منه (إلا قليلا) عين الوجود! إنه يوم أضاع فيه الناس غريزة المحافظة علي الذات، فى غمار غريزة النوع، ونسوا نفوسهم، ليذكروا الدين والوطن، وانبتّوا من الحاضر المقيت، ليعيشوا فى الماضى الفخم، فماج فى سوح غرناطة بحر من الأجسام البشرية حمل أصحابها أرواحهم على أكفهم، وقدموا بين أيديهم دماءهم، التى غضب فيها ميراث ثمانية قرون كلها مجد وعز، ونفوسهم التى عصفت فيها ذكريات ألف معركة منصورة، فمشت فى الأعصاب النار، واستعد كتاب التاريخ ليكتبوا أعجب موقف للشعب إذا هب.

ووصل موسى، ذلك البطل البدرى الذى أخطأ طريقه فى الزمان فلم يات فى سنوات الهجرة الأولى، بل جاء فى أواخر القرن التاسع، ولم يطلع فى الحجاز التى كانت تبتدئ تاريخها المجيد، بل فى الأندلس التى كانت تختم تاريخها.

وكانت تعلوه كآبة، فانصت الشعب واحترم كآبة هذا الرجل الذى لو سبق به الدهر لصنع يرموكا أخرى أو قادسية ثانية، ولكن الله الذى فتح تاريخنا فى الأندلس بموسى، قد ختمه الآن بموسى!

ونظر موسى حوله، فإذا حوله شيوخ قد أراق الكرم على شبابهم بهاءه ونوره، وأطفال كالزهر فتحوا عيونهم على الدنيا فوجدوها غارقة فى بركة من الدم، ونسوة تفتحت الأكمام عن زهراتها، فرأت الطرقات من لم تكن الشمس تراهن صيانة وتعففا، قد برزن يسرن إلى المعركة ويزاحمن الرجال، ولم يكن يخشين على جمالهن، فقد غطت

عاطفة الجهاد على عاطفة الحس، فكان كل رجل أخا فيه لكل امرأة فاحنى رأسه، ورأى الناس فى عينى البطل دمعة تترقرق، وفتح فمه فحبس الناس أنفاسهم.

فإذا هو يعلن النبأ المهول، نبأ تسليم أبى عبد الله الصغير مفاتيح غرناطة!

نبأ بدا صغيرا كما تبدو المصائب، فلم يدر الناس لهول المفاجأة ما أثره هذا وما خطره، ولكن القرون الآتيات درت ما أثر هذا النبأ، ولم تفرغ إلى اليوم من وصف فواجعه وأهواله.

ونظر موسى فإذا الصرح الذى أنفق فى إقامته الدهر الأطول، قد انهار فى دقائق، وإذا هذه الديار التى سقيت بدم الجدود، وامتزجت برفاتهم، وقامت على أيديهم، يسلمها جبان مأفون للعدو المغير، وإذا السادة صاروا خولا، والملوك عبيدا..

وجعل يفكر فى هذه الفتنة التى حوله، فى أكرم زهرات غرناطة وأزكاها، هل يجنبها الموت الحاصد وبردها، إلى حيث وجدت الراحة والدعة، أم يخلصها من حياة كلها ذل وألم، ويسوقها إلى موت شريف؟

وإنه لفى تفكيره وإذا بأطفال غرناطة ينشدون ذلك النشيد الذى لا يعرف من نظمه لهم، فيصغى الناس ويستمع الفلك الدائر:

«لا تبك يا أماه، إنا ذاهبون إلى الجنة.

إن أرض غرناطة لن تضيق عن لحد طفل صغير مات فى سبيل الله.

إن أزهار غرناطة لن تمنع عطرها قبرا لم يمتع صاحبه بعطر الحياة.

إن ينابيع غرناطة لن تحرم ماءها ثرى لحد ما ارتوى صاحبه من مائها.

أنت يا أرض غرناطة أمنا الثانية فضمينا إلى صدرك الدافئ الذى ضم آباءنا الشهداء.

لا تبكى يا أماه بل أضحكى واحفظى لعبنا، سيأتى أخوتنا فيلعبون بها.

فذكريهم بأننا تركناها من أجل هذا الوطن، بل فى سبيل الله.

سنلتقى يا أماه! إنك لن تؤثرى الحياة فى ظلال الأسبان على الموت تحت الراية الحجازية، راية القرآن.

ولن تضيق عنا أرض غرناطة. ما ضاقت أرضنا بشهيد».

ولم يعد يطيق موسى أكثر من ذلك، فلكز فرسه، وانطلق إلى حيث لا يدرى أحد، كما جاء من حيث لم يدر أحد.

وكذلك ذهب آخر أبطال الأندلس، لم يخلف له قبرا فى الأرض، ولا سيرة واضحة فى التاريخ، بل مرّ على الدنيا كأنه حلم بهيج!

رحمة الله على موسى بن أبى الغسان وعلى أولئك الأبطال.

طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«احذر»

من طغيان هذه الكلمات:

«أنا» و«لي» و«عندي» فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها: إبليس، وفرعون، وقارون:

﴿ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ ﴾ لإبليس.

﴿ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ ﴾ لفرعون.

﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ ﴾ لقارون.

«مبدأ المعاصي»

يقول ابن القيم -رحمه الله-: المعاصي مبدؤها خاطرة، فإن لم تدفعها صارت وسوسة، فإن لم تدفعها صارت فكرة، فإن لم تدفعها صارت إرادة، فإن لم تدفعها صارت عزما، فإن لم تدفعها صارت عملا.

«حسن الاعتذار عن الأصحاب»

حكي عن بنت عبدالله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، وكان أجود قريش في زمانه: ما رأيت قوما ألأم من إخوانك. قال طلحة: مه، ولم ذلك؟

قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك.

قال طلحة: هذا والله من كرمهم: يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم.

«أسباب السؤدد»

قال حكيم: أسباب السؤدد سبعة: العقل والحلم والصيانة والصدق والعلم والسخاء وأداء الأمانة، وأضاف غيره إليها الصبر والتواضع والعفاف فتكون عشرة.

وقال رجل للأحنف بن قيس وكان سيد بني حنيفة وهو الذي قيل فيه: إذا غضب الأحنف غضب له مائة ألف سيف لا يسألونه فيم غضب. قال له رجل يوما: بم سودك قومك وما أنت بأشرفهم بيتا، ولا بأصبحهم وجها، ولا بأحسنهم خلقا؟ قال: بخلاف ما فيك يا ابن أخي. قال الرجل: وما ذاك؟ قال الأحنف: بتركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

وقال عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي لبنيه يوما: كلكم يترشح لهذا الأمر ولن يصلح له إلا من كان له سيف مسلول، ومال مبذول، ولسان معسول، وعدل تطمئن إليه القلوب، وأمن تستقر به في مضاجعها الجنوب.

«ما قيل في انتهاز الفرص»

قال سالم الأنباري:

تمتع من الدنيا بساعتك التي
ظفرت بها مالم تعقك العوائق
فما يومك الماضي عليك بعائد
ولا يومك الآتي به أنت واثق

ولكن هذا الأمر الذي يسوغ في نظر سالم الأنباري، لا يسوغ في نظر أبي الطيب المتنبي حيث يقول:

أشد الغم عندي في سرور
تيقن عنه صاحبه انتقالا

وأي سرور لم يشبه هذا اليقين، الصحيح أن الدنيا دار جد وعمل لا دار لهو وكسل.

«أعط سيبويه كسرة»

وقف بعض الفقراء على باب نحوي فقرعه فقال النحوي: من بالباب؟

فقال: سائل.

فقال: ينصرف.

فقال: اسمي «أحمد»

فقال النحوي لغلامه: أعط سيبويه كسرة.

«قالوا...»

لكل جديد لذة، غير أنني
وجدت جديد الموت غير لذيذ

«علو الهمة وشرف النفس»

قال شاعر حكيم:

أمطري لؤلؤا سماء سرنديـ
ـب وفيضي أنهار تبريز تبرا
أنا ما عشت لست أعدم قوتا
وإذا مت لست أعدم قبرا
همتي همة الملوك ونفسي
نفس حر ترى المذلة كفرا

هذا أحسن ما يمكن تصويره شعرا من علو الهمة، وعدم الاستخذاء للذلة، فما دام الإنسان مهما طالت به حياة لا يعدم ما يقيمه من القوت من طريق الكسب، وما دام لو مات فلن يعدم قبرا يؤوى جثمانه، فما الذى يضطره إلى حمل نير الذل، والرضا بالهوان فى سبيل العيش؟

«حد الاعتدال فى الكلام»

قال جعفر بن يحيى: إذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا، وإن كان الإكثار واجبا كان التقصير عجزا.

وقال بعض الحكماء: إذا تم العقل نقص الكلام.

«تعصب الغربيين»

لولا أن التعصب الذميم يغطى على أبصار هؤلاء الغربيين، لوجدوا فى شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- وسيرته ما يأخذ بيدهم إلى الأمن مما يتهاوون فيه من شقاء، ولكن الله لم يرد لهم هذا الخير، ولعله ادخره لأمة أخرى، تكون أبر بالإنسانية، وأحنى على جراحها، وأهدى إلى حل مشكلاتها من هؤلاء المتعصبين المغرورين.

د. مصطفى السباعى

«أنت من الأغنياء»

قال جليس للحسن البصرى -رضى الله عنه-: أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء؟

قال له: هل تغذيت اليوم؟

قال: نعم.

قال: فهل عندك ما تتعشى به؟

قال: نعم

قال: فأنت إذاً من الأغنياء.

«دعاء»

اللهم لا تجعلنا موضع شفقة عبادك، بل اجعلنا موضع شفقتك أنت يا رب، ولا تجعلنا محط الإحسان من خلقك، بل موضع الإحسان منك أنت يا رب، واجعلنا دائما وأبداً بك ومعك وإليك، فلا منجى منك إلا إليك يا رب.

***

مع العارفين

وُهَيب بن الوَرد المكّى

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
الأمين العام للجنة العليا للدعوة

كان سفيان الثورى إذا انتهى من درسه بالمسجد الحرام يقول لتلاميذه: قوموا بنا إلى الطبيب «يقصد وهيب بن الورد».

فكيف وصل وهيب إلى هذه المنزلة؟؟

يحدثنا بشر بن الحارث الحافى فيقول: أربعة رفعهم الله بطيب المطعم. وهيب بن الورد، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن الأسباط، وسالم الخواص.

ذلك بعض ما قيل عن وهيب، فمن هو وهيب بن الورد؟، ولست أميل فيما أكتبه عن هؤلاء العظام أن أبدأ بالحديث عن عصرهم الذى عاشوا فيه ثم استطرد مبينا تأثرهم بعصرهم ومعاصريهم ثم أفيض بالحديث عن نوازعهم النفسية التى حدت بهم إلى هذا المنهج أو ذاك ثم أردف قائلا: إنهم نتاج ذلك كله أو بعضه.

وقد يكون فى هذا القول وهذه النتائج بعض الحق وبعض الجد.

لكنه لا يخلو من افتراضات بلهاء ونتائج مفتعلة مختلقة فتصبح مهمتنا أننا أضفنا صفحات إلى حجم البحث وربما كان هذا هو الهدف من الحديث كله.

أرفض هذا لما ذكرت، وأيضا -وهذا هو المهم المقصود- لأننا نكتب عن قوم هم فى القمة. تشرئب الأعناق فى محاولة دؤوبة للوصول إلى حماهم أو أن ترتاد ساحاتهم النقية. لأن هؤلاء القوم اتخذوا المجاهدة طريقا وترفعوا بالورع عن الشبهات وتدثروا بعزة الدين فحماهم الله من أدران عصرهم ومعاصريهم، فكأنهم انتزعوا مكانتهم وقربهم من الله انتزاعا.

فمن الظلم المبين أن نتنزل بهم إلى مستوى معاصريهم فنزعم أنهم تأثروا بهم، فهم فروا من

الناس ولجأوا إلى الله، والله قد اصطفاهم ليصلح بهم الناس.

فإذا أراد الله بأمة خيرا أنبت فيها هؤلاء الرجال فكما ينبت الله البقل بالحيا. كذلك يحيى الله النفوس والقلوب بهؤلاء السادة العظام.

وتجربة أبى حامد الغزالى ماثلة أمام الأجيال وقد بسطها فى كتابه الفريد «المنقذ من الضلال».

كما أن جل هؤلاء الرجال قد سطر تجربته ومعاناته، لكن المنقذ من الضلال أكثرها شهرة وبسطا ووضوحا.

ونحن فى حاجة ماسة لنعى هذه التجارب ونمارسها. أو قل على وجه الدقة أن تعالج معاناة النقاء للحيلولة دون الهلاك المدمر أو الدمار الماحق الذى يكتنف المجتمع كله ويحاصر الإسلام من كل جانب.

وثمة محاولات مشبوهة دؤوبة تحاول أن تشوه كل شىء فى دنيا المسلمين أو تطمس كل نظيف نبيل عفيف.

فكم حاولوا باسم البحث العلمى الذى دائما يصفونه بالنزاهة أن يقارنوا تجربة أبى حامد الغزالى ومعاناته من أجل الوصول إلى الحقيقة منهجا يعتبر من أقرب المناهج وأصدقها وأنقاها فى المعرفة بالله وأنجع الطرق فى الوصول إلى الله.

حاولوا وما زالوا يجدون فى أن يشبهوها بما يسمونه أدب الاعترافات وبرغم ما فى بعضه من تجارب ناجحة حقا وأساليب أدبية راقية إلا أن أكثرها فيه المضمون والمحتوى والهدف غالبا ما يكون أدب فراش ساقط رخيص.

وهذه المقارنة السمجة بين تجربة الغزالى وبين ما يسمونه بأدب الاعترافات يلقيها مستشرق أو مستغرب - وكلاهما مغرض، ثم يتناولها من بعده زميل أو عميل ويسجلها كأنها حق واقع ويسندها إلى السابق على وجه اليقين، ثم يتوالى الناقلون بعد ذلك ليرددوا المقولة الزائفة وكأنها حق صريح(١).

وبعد فلماذا تركنا وهيبا كل هذا؟

نحن لم نترك وهيبا، ولا نستطيع ذلك، لكن كان لابد من توضيح واجب حتى لا تختلط الأمور.

أما عن وهيب فلابد من الرجوع إلى كلمة بشر بن الحارث التى صدرنا بها الموضوع وهى قوله: «أربعة رفعهم الله بطيب المطعم ثم ذكر أولهم وهيب بن الورد».

ولابد من الحديث عن طيب المطعم وبيان مكانه ومكانته وحتى تعرف ذلك فلابد من أن نذكر لك ما روى عن رسول الله ﷺ أن سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - سأل النبى ﷺ أن يجعله الله مستجاب الدعوة عجبت من السؤال والطلب، فلماذا يطلب سعد ذلك مع علو مكانته التى بشره بها رسول الله ﷺ وأنه من العشرة المبشرين بالجنة، فأى مطمح ومطلب يرجوه سعد فوق ذلك، وأكثر عجبا من السؤال الإجابة حيث إنها لم تكن أمرا بكثير عمل من صلاة أو صيام ولكنها كانت امتناعا أو تحريا أقرب إلى السلب من الإيجاب، حيث أمره ﷺ فقال: «أطب مطعمك يا سعد تكن مستجاب الدعوة» وذلك ما يسميه السلف الصالح «الورع» وهو معنى يكاد يختفى من دنيا الناس ونهج السلف الصالح وما روى عنهم فى هذا الباب كثير عجيب لكنه - دون شك - درجات تمضى صعدا فى معراج الوصول إلى الله، ومن ذلك ما روى عن على بن معبد قال: «كنت

(١) راجع كتاب الدكتور محمد رجب البيومي: رد علي المستشرق جاك بيرك، بتصرف ص ١٩٦، طبعة دار الهلال.

أسكن فى بيت فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأتربه وأجففه، ثم قلت: الحائط ليس لى. فقالت لى نفسى: وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتى».

أخى القارئ الكريم... هل تدرى محتوى ما ذكرت لك فيما روى عن على بن معبد؟

يبدو من الحكاية أنه كان عالما يكتب ويؤلف أو ناسخا ينسخ بالأجر فكتب بمداد سائل وخشى عليه لو تركه أن ينطمس فأراد أن يجففه فلم يجد فى ذلك الزمان إلا بعض تراب جدار المنزل الذى يستأجره، فليس المنزل ملكا له - ومع تفاهة قيمة حفنة التراب التى يمكن أن تحقق له مآربه وتجفف له مداد كتابه، إلا أنه تردد فى أن يفعل، لكنه فعل، فهل عليه من تثريب فى دنيا الناس، لكنه رغم هذا فإنه استشعر خطر هذا عند الله فأورثه ذلك الخوف أمانة يكفى أنه حكى ما حدث حيث لم يره أحد، لكنه قال: فلما نمت فإذا أنا بشخص واقف يقول: سيعلم غدا قدر التراب، ولعل معنى ذلك أن للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين - يعنى أن هناك منزلة من منازل التقوى لا تنال إلا بالورع الأمثل.

ويروى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وصله مسك من البحرين فقال: «وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين. فقالت امرأته عاتكة: أنا أجيد الوزن. فسكت عنها ثم عاد بالقول، فعادت بالجواب، فقال - رضى الله عنه: لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحى بها عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين» أ. هـ.

أوتدرى يا بنى ما الذى جرى بين عمر وزوجته؟ قال: سوف تضعين بعض المسك فى كفة الميزان ثم إذا أردت أن تضعى وزنا آخر زعمت أن فى كفة الميزان بقايا من تراب المسك السابق فأردت زاعمة أنك تريدين مسح كفة الميزان، فيصيب كفك من الميزان مسكا فيكون بذلك قد أصاب عمر وأهله فوق نصيبه من مال المسلمين.

قارن هذا بعبارتنا المألوفة التى نتناقلها كالقانون: «طباخ السم لابد أن يذوقه» أقول متمنيا سائلا الله - سبحانه وتعالى: ليته مات مما ذاق.

إن قصص الورع فى التاريخ الإسلامى للمتصوفة لا تنتهى ويكفى أن تعلم أن سادتنا الصوفية يقولون: إن للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين وما قصة المسك مع سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بالفريدة فى التاريخ.

ويروى أنه كان يوزن بين يدى عمر بن عبدالعزيز مسك فأخذ بأنفه «أى سد أنفه» حتى لا تصبه الرائحة، فقيل له فى ذلك، فقال: وهل ينتفع منه إلا بريحه، والرائد فى هذا هو رسول الله ﷺ فيروى أن سيدنا الحسن بن على - رضى الله عنه - أخذ تمرة من تمر الصدقة - أمام النبى ﷺ وكان صغيرا - فيقال: «أن النبى ﷺ» ضرب على يده وقال: «كخ كخ» فإنها من الصدقة، ولقد تفجرت ينابيع الحكمة فى قلب وهيب بن الورد نتيجة ورعه فنقتطف منها ما يلى: - قال: ياعطاء «إياك أن تطلب حوائجك ممن غلق دونك أبوابه وجعل دونها حجابه وعليك بمن أمرك أن تسأله ووعدك بالإجابة».

وكما أن الورع يفجر ينابيع الحكمة فى القلوب فإنه ييسر الطاعة على الأعضاء.

عن جرير بن حازم عن وهيب قال: «بلغنى أن موسى نبى الله - عليه السلام - قال: يارب أخبرنى عن آية رضاك عن عبدك، فأوحى الله إليه: إذا رأيتنى أهيىء له طاعتى وأصرفه عن معصيتى فذلك آية رضائى».

وإلى حديث آخر مع وهيب بن الورد إن شاء الله.



الإرهاب.. صناعة غير إسلامية

تأليف

الدكتور/ نبيل لوقا بباوى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين



أسلوب الحكمة الذى أمر القرآن الكريم أن يكون إحدى وسائل الدعوة إلى سبيل الحق فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

(النحل: ١٢٥)

هذا الأسلوب يفرض على الداعين إلى سبيل الحق نهجا يتعامل مع الإنسان فى جميع أبعاده العقلية، والروحية، والواقعية، والنفسية، بحيث لا يهمل بُعد لحساب الآخر، ولا يطغى بُعد على بعد آخر؛ فلا يكفى أن يقف الداعية إلى سبيل الحق عند حدود الشرح المبين، الذى يخاطب به الذهن وحده، ولا عند حدود الاستعراض التاريخى الكاشف الذى تخاطب به الذاكرة وحدها، ولا عند حدود الغوص وراء الجذور فى الأعماق الذى يخاطب به العقل وحده، ولا عند حدود النظر المقارن، بما قد يعتمد عليه من استثارة عاطفية... إلى غير ذلك من الأساليب. ولكن على الداعية أن يجمع بين جميع تلك الوسائل ليحقق المقصد النبيل.

الحياة العامة فى ظل الإسلام

والدكتور نبيل لوقا ـ بانفتاحه الواعى ـ لا يكتفى بتلك الموازنة بين الإسلام وغير الإسلام فى الالتزام بالقيم الإنسانية أثناء الحرب، ولكنه يكمل صورة الإسلام بتوضيح موقفه ممن يستظلون بحمايته من ذوى الديانات

الأخرى.

ففى المبحث الأول من الفصل الثالث «الإسلام يقر حرية العقيدة»... يستعرض الدكتور موقف الإسلام من معتقدات الآخرين، منبها إلى أن غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى يسمون «أهل الذمة» تأكيدا على ما يربط المسلمين بهم من عهد واجب الوفاء، وتذكيرا لمن قد يغفل عن ذلك بحق ذوى الديانات الأخرى؛ فكلمة «أهل الذمة» تعبير فقهى تراثى، يعادله حديثا كلمة «المواطنة».

وتأكيدا لهذا الموقف يقرر الإسلام مبدأ «حرية العقيدة»، بمعنى أن كل إنسان حر فى اختياره العقيدة التى يراها؛ فما على الرسول إلا البلاغ، وليس له ولا لغيره إكراه أحد على الإسلام:

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس: ٩٩)

وليس له ولا لغيره أن يتسلط على معتقدات الآخرين:

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية: ٢٢)

أما ما تحاوله بعض جماعات العنف من فرض الإسلام بالقوة ـ أو استخدام العنف فى فرض أفكارهم ـ فليس من الإسلام فى شىء!.

ويوازن الدكتور بين ما تصنعه جماعات العنف اليوم، وبين ما صنعه قادة المسلمين من قبل؛ فيقدم طرفا من عهد الأمان الذى أبرمه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مع غير المسلمين عند فتح بيت المقدس سنة ١٥هـ، وجاء فيه:

«هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء، من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمها، وبريئها، وسائر ملتهم: أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها، ولا من صليبهم، ولا من شىء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا انضار أحد منهم..».

ولم يقف الإسلام بهذه الحقوق عند حد «حرية العقيدة»، ولكنه عمم هذه الحرية لتشمل كل شئون الحياة الخاصة، فقرر إخضاع غير المسلمين فى مسائل الأحوال الشخصية لما تقرره ملتهم ـ إلا إذا رغبوا فى غير ذلك ـ أما الشئون العامة فهم والمسلمون فيها سواسية؛ لأنها أمور مدنية تنظيمية، لا دخل فيها لخصوصية المعتقد.

وهذا النهج الإسلامى... قدم للعالم ـ منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ـ واقعا نموذجيا للإخاء الإنسانى، بمعاملته الراقية، حيث أباح للمسلمين مؤاكلة أهل الكتاب، كما أباح مصاهرتهم، والزواج من نسائهم المحصنات، فلم يجد مانعا من أن تكون ربة بيته، وشريكة

حياته، وأم أولاده غير مسلمة.. كما صرح بذلك القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ﴾

(المائدة: ٥)

وحيث قرر: أن المسلم وغير المسلم يرجع إلى أصل واحد، فلا يتميز ـ فى ظل الإسلام ـ واحد عن الآخر بعرقه، ولا بنسبه، فلا وجود لشعب الله المختار، على هذا النحو الذى تفرضه بعض الأمم قديما وحديثا. ولكن العمل هو الذى يميز إنسانا عن الآخر، كما نص على ذلك قوله - تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء: ١)

وكما بين ما يترتب على توحد أصل الإنسان فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات: ١٣)

وحيث أمر المسلم بأن يسلك فى دعوته إلى الإسلام المسلك الحسن، القائم على الحوار المضىء، والنقاش الحكيم الكاشف، دون مراء أو إكراه، كما نص على ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

(النحل: ١٢٥)

كما نهاه عن مجادلتهم بما يسىء إليهم، أو ينتقص من تفكيرهم، فقال عز وجل:

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

(العنكبوت: ٤٦)

بل إنه ـ كما ترشدنا تلك الآية ـ شفع هذا الأمر بنهى المسلمين أن يفتحوا باب التوحد أمام جميع المواطنين، حيث دعا المسلمين أن يعلنوا صراحة أن أسباب الارتباط بينهم وبين الآخرين قائمة، تعتمد على مشاركتهم الإيمان بالكتب المنزلة، والإيمان بالإله الواحد والطاعة المطلقة له.

وحيث يجعل الإسلام المجتمع الإسلامى كله مسئولاً ـ بالتضامن ـ عن الشريعة وتطبيق أحكامها فى كل الأمور ـ ما يتعلق منها بالمسلمين وما يتعلق بغير المسلمين ـ فإذا قصر بعض الناس أو انحرف، وحدث تعد على حقوق غير المسلمين، فإن المجتمع الإسلامى يكون مسئولاً عن رد الحق إلى صاحبه،

وتصحيح المسار والوقوف بجانب المظلوم، دون تأثر بمعتقدات المظلومين أو دينهم... ومن الأمثلة على ذلك من واقع الحياة الإسلامية: أن الوليد بن عبدالملك أخذ كنيسة يوحنا وضمها إلى المسجد، فلما شكا النصارى إلى عمر بن عبدالعزيز كتب إلى الوالى يأمره برد ما أخذه من النصارى إليهم، فما كان من النصارى إلا أن قبلوا التعويض فى مكان آخر عن طيب نفس.

والإسلام ـ فى تسويته بين المسلمين وغير المسلمين ـ إنما يعلن أن مصدر المسيحية واليهودية هو نفسه مصدر الإسلام، وأن ما يدعيه بعض الساسة والمفكرين الأوروبيين من أن الإسلام هو الخطر القادم الذى يخشى منه على الحضارة الغربية.. هذا الادعاء إن هو إلا محض افتراء، لا أساس له من الصحة، وأنه إنما ينبع من نظرة متعصبة ـ أو جاهلة ضالة ـ لأن الأديان كلها فى حقيقتها أديان تسامح وتعاون ومحبة، كما أنه ادعاء يغفل حضارة الإسلام ودورها فى الحضارة الحديثة، فليس الإسلام هو الذى يصارع الحضارات أو يعاديها ويناهضها، كما يدعى بعض الغربيين بغية فرض الحضارة الغربية القائمة على التفوق العسكرى. والإنهاك المادى الاستهلاكى.

وحيث قرر: أن الدعوة إلى الإسلام ـ كما أوضح آنفا ـ يجب أن تقوم على الحوار العادل، والنهج الحكيم، لا على العنف القاهر، وأن الجهاد لم يفرض على المسلمين لإكراه غير المسلمين على الإسلام، ولكن الجهاد فرض للدفاع عن النفس والمال والعرض، وللدفاع عن العقيدة، كما يقرره قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٠)

فليس من الجهاد.... ما يصدر عن كثيرين من جماعات العنف، وليس من الجهاد... ما يلصقه المستشرقون الغربيون وساسة الغرب بالإسلام.. إنما يريد هؤلاء وأولئك أن يلصقوا بالإسلام ما ينفر منه ويخيف.!.

تحول بعض الإسلاميين إلى العنف

ويشير الدكتور نبيل إلى أن بعض الجماعات الإسلامية تحولت إلى العنف بسبب ما أذاقه نظام الحكم الناصرى فى مصر للجماعات الإسلامية من أقسى ألوان العذاب فى السجون والمعتقلات أملا أن يقضى عليهم، ولم يعمل حسابا لما تخلفه تلك القسوة فى نفوس المعتقلين ونفوس ذويهم من آثار مدمرة، ظهرت فى جيل من أبنائهم يؤمن بأن مثل تلك الأنظمة كافرة، يجب مقاومتها ومقاومة من يتعامل معها ـ من سياح وأجانب ورجال سلطة ـ بكل وسائل العنف، معتمدين فى ذلك على بعض الآراء التراثية والمعاصرة، خصوصا بعد توجه بعض هذه الأنظمة الحاكمة لتطبيع العلاقات مع

دولة إسرائيل المعتدية، غير ملتفتين إلى ما فى ذلك العنف من تجاوز لتعاليم الإسلام.

ويدعم الدكتور نبيل تلك الإشارة بذكر نحو ستة وعشرين عملية إرهابية، نفذتها الجماعات فى مصر والخارج، أو حاولت تنفيذها.

ولا يغفل الدكتور دور مسئولى الأمن داخلياً، والأمريكان خارجيا فى تنمية وإعداد هؤلاء الثائرين المتطرفين من الشباب المسلم لاستغلالهم فى مقاومة الوجود الشيوعى فى بعض البلاد الإسلامية، بعد إعدادهم وتدريبهم، وإمدادهم بأحدث الأسلحة بناء على اتفاقيات سرية بين المخابرات الأمريكية وتجار الحرب والسلاح، كالذى حدث فى أفغانستان، والشيشان، والصومال، والبوسنة، وألبانيا، وجنوب أفريقيا، والسودان، واليمن.

وقد توهم مسئولو الأمن فى البلاد العربية والمخابرات الأمريكية أنهم بذلك يصطادون عصفورين، هما: التخلص من الشيوعيين، والتخلص من تلك الجماعات، ولكنهم فوجئوا بما لم يخطر لهم ببال؛ فبعد تحقق الشق الأول من الهدف، عاد شباب تلك الجماعات بتخطيط أمريكى إلى بلادهم مدربين على أحدث التقنيات الحربية ليواصلوا عملياتهم ضد الاستبداد الأمنى فى داخل البلاد، وضد الوجود الأمريكى الاستعمارى فى أرض الإسلام، وضد التوجه الإسلامى الديمقراطى الذى يمثله الإخوان المسلمون، حتى وصفهم (أيمن الظواهرى) بالكفر، كما وصف كل الدول العربية والإسلامية لاقتناعهم بالنظام الديمقراطى الذى يمنح للبشر حق التشريع، وهذا ـ فى رأيه ـ يعنى تنصيب إله من البشر؛ لأن التشريع لله وحده.


أسامة بن لادن

والدكتور نبيل بهذا يوضح الدور الأمريكى فى تكوين تلك المنظمات الإرهابية، وتغذيتها بالعنف، وإمدادها بالسلاح لتحقيق النصر على السوفييت، ويبين أنهم بعد أن تحقق مأربهم انقلبوا على تلك المنظمات ليتخلصوا منهم، كما تخلصوا من بعض الحكام الذين عاونوهم فى هذا السبيل، مثل ضياء الحق رئيس باكستان، الذى تخلصوا منه بالقتل، ومثل الدكتور عبدالله عزام مفتى الجماعات الإسلامية فى أفغانستان... ولما علم أسامة بن لادن أن الدور عليه أخذ فى تجميع العائدين من الجهاد فى أفغانستان ـ فقوبلوا من حكوماتهم بالاضطهاد والاعتقال ـ ليكون منهم جيشه الإرهابى؛ سعيا لمواجهة من يطاردونهم فى داخل بلادهم وخارجها؛ خصوصا بعد أن اكتشفوا الخدعة الأمريكية، متعاونين مع السلطات الأمنية فى توظيف ثورة بعض الشباب الإسلاميين على ممارسات حكامهم القمعية؛ لتصنع منهم تلك القوة الإرهابية المدمرة، ويكشف فى الوقت نفسه براءة الإسلام تماما من كل ما يصدر عن تلك الجماعات وغيرها، وأن نسبة ممارساتهم الإرهابية إلى الإسلام إنما هو من صنع الأمريكان مبالغة منهم فى التخفى، ومن

صنع الجماعات نفسها؛ أملاً فى كسب عطف جماعة المسلمين عليهم، وتعاونهم معهم.

واقع الإرهابيين يبرىء الإسلام من العنف

والدكتور نبيل يخلص من هذا الاستعراض السلوكى للجماعات الإرهابية المنتسبة للإسلام الذى كشف براءة الإسلام من العنف... يخلص من هذا الاستعراض ليستقرئ أساليب الجماعة الإرهابية، وخصائص تصرفاتهم، ومقاصدهم، فكشف عن اعتمادهم أساسا على مبدأ «ميكافيللى» الذى يجعل من الغاية مبررا لأى وسيلة، حيث يقومون بأى فعل يوصلهم إلى كرسى الحكم، أو يحققون به غايتهم، متسترين بستار الإسلام، وحين يصلون إلى الحكم يتجاهلون ما يتسم به الإسلام من يسر وسماحة، فيواصلون نهج العنف والقهر فى تعاملهم مع الآخرين فى فتاواهم المقيدة للحريات التى يستمدونها من بعض التفاسير والتأويلات الشاذة الغريبة عن الإسلام، مع إلباس تلك الفتاوى ثوب الإسلام؛ ليفرضوا على الناس الهيبة منهم، والخضوع الكامل لهم، وإلا أنزلوا بمعارضيهم أبشع أنواع التنكيل.

والدكتور يرى أن هؤلاء الإرهابيون يتوسلون إلى غاياتهم تلك بإصدار الفتاوى التى يلبسونها ثوب الإسلام ـ والإسلام منها ومن مثلها برىء، كما إنهم يلجأون إلى تمزيق الوحدة الوطنية، وذلك بإشاعة الفرقة بين المسلمين والمسيحيين.

ويرى أنهم ـ مع اقتناعهم بأن المجتمعات التى يعيشون فيها مجتمعات كافرة تستوجب المقاومة يستخدمون أسلوب التقية فى حياتهم؛ فيخفون حقيقة مشاعرهم وأغراضهم، حتى يتمكنوا من السلطة، مستغلين وقوع أى خطأ فى الدولة ليشوهوا صورة الحكام بنسبة هذا الخطأ إليهم.

ويرى الدكتور أن الإرهابيين يخلطون بين أفكارهم وآرائهم، وبين التراث الإسلامى الخالص، مستغلين بعض الفتاوى المرتبطة بمناسبتها، أو أجزاء من فتاوى بعد بترها من سياقها، ويزعمون أن هذا الخليط يمثل الدين الإسلامى، وأن مخالفيهم فى الرأى خارجون على الإسلام، يجب محاربتهم؛ فهم وحدهم المتحدثون باسم الدين، على الرغم من أن الإسلام واضح بيِّن، لا يحتمل أى شبهة من باطل، فقد أوضحه القرآن الكريم والسُّنة النبوية أتم إيضاح، وما عدا ذلك من اجتهادات بشرية تحتمل الخطأ والصواب، وبالتالى... تحتمل الحوار والنقاش.!

ولذلك... يلجأ الإرهابيون إلى طوائف معينة من الناس، يبثون فيهم فكرهم، مستغلين ضعفهم الفكرى، وسطحيتهم الثقافية، وأميتهم الإسلامية... فإذا صادفوا من يتصدى لهم بالنقاش والاعتراض، تحولوا إلى سلاح العنف والقهر ليفرضوا آراءهم.

ويرى الدكتور أن من أبرز ما يُدين هؤلاء الإرهابيين، ويؤكد مجانبتهم الإسلام... هو جنوحهم دائما إلى التطرف الذى لا علاقة له بوسطية الإسلام واعتداله... وجنوحهم دائماً إلى التشدد والتعسير الذى يرفضه ويأباه يسر الإسلام وبساطته؛ ولذلك فهم يرفضون

الآخر، ولا يقبلونه، سواء كان مخالفا لهم في الدين أو موافقا لهم، فما دام يرفض تطرفهم وتفسيرهم فهو مرفوض.. يتردد بين الإلحاد، والزندقة، والكفر والارتداد عن الدين... وهم - كذلك - يرفضون مبدأ الاجتهاد، ويصرون على ادعائهم أن باب الاجتهاد مغلق.

ومن هنا... استباحوا السطو على المحلات التجارية، والبنوك ليحصلوا على المال... واستباحوا حرمات الآخرين - مسيحيين أو مسلمين - بالقتل والاغتيال، وفرضوا على المرأة حظرا يحرمها من حرياتها المعتدلة، ويشوه صورة الإسلام في تقديره المرأة، إذ ينسبون أفعالهم تلك إلى الإسلام.

والدكتور يرى في كثير من سلوكيات هؤلاء الإرهابيين المنتسبين للإسلام ما يؤكد علاقتهم الوطيدة بالمخابرات الأجنبية - خصوصا المخابرات الأمريكية كما يوضحه موقف الأمريكان من الشيخ عمر عبدالرحمن، وتمكينه من دخول أمريكا والإقامة فيها، بالإضافة إلى ما ترصده تلك الجهات المخابراتية من أموال طائلة لمعاونة هؤلاء الإرهابيين.

والدكتور نبيل في استقرائه أساليب الجماعات الإرهابية.. يواصل مسيرته الاستقرائية؛ فيقدم ثلاثا وثمانين حالة من الحالات السلوكية الإرهابية، تكشف كل حالة براءة الإسلام من صنيعهم، وبعدهم الواضح عن الإسلام.. اللهم إلا في نسبة أنفسهم إليه، مؤكدا بما يستشهد به من الآيات القرآنية: أن الإسلام الذي يجري على ألسنة هؤلاء الإرهابيين لا علاقة له بالإسلام الذي يقدمه القرآن الكريم والسُنة النبوية.


صدام حسين

ويرى الدكتور: أن أمريكا لها دور واضح في مساعدة الإرهابيين في كل بلاد الدنيا بالمال والسلاح، والإعداد، والحماية.. إلى غير ذلك؛ بغية خلق نوع من عدم الاستقرار، ولتحقيق ما تريد في تلك البلاد من فرض هيمنتها... كما يقرره ما نراه من معاونتها صدام حسين لمحاربة إيران، ومساعدتها القاعدة وطالبان في أفغانستان لمحاربة الاتحاد السوفييتي... إلى آخر تلك الأدوار الأمريكية في شتى بلاد العالم.

ويرى الدكتور: أن أجهزة الإعلام - مع هذا كله - تصر على أن تطلق على هؤلاء الإرهابيين لقب «الأصوليين» أو «الجماعات الإسلامية»؛ فتنسب أعمالهم إلى الإسلام، والإسلام من تلك الأعمال كلها براء، ولكنها... أمريكا هي التي تدبر، وتصنع، وتؤازر، وتمول... ثم هي التي تستغل وسائل الإعلام في تضليل الرأي العام، وصرف الأنظار عنها، فليس من بين هؤلاء الإرهابيين واحد فقط يمكن أن ينتسب إلى الأصولية الإسلامية الحقة.

الإسلاميون فريسة الضلال والتضليل

ويرى الدكتور نبيل أن عنف الإرهابيين إن هو إلا ثمرة جهلهم بحقائق الإسلام البينة، سواء كان هذا الجهل عن خطأ منهم أو كان عن تضليل مقصود ممن يكيدون للإسلام، متخفين في عباءة الإسلام.

كهؤلاء الذين يطالبون المسيحيين بدفع الجزية، مدَّعين أنها عقوبة مفروضة عليهم، غافلين - أو متغافلين - عن حقيقة الجزية، وهي أنها ضريبة للدفاع عن غير المسلمين من أي اعتداء خارجي، وللانتفاع بالمرافق العامة في الدولة الإسلامية، لأن المسلم يسهم في نفقات المرافق العامة بما يقدمه من زكاة، فلابد أن يقدم غير المسلم ما عرف بالجزية حتى يكون على قدم المساواة في تحمل الأعباء الوطنية، فلا يشعر في نفسه بأنه غريب، ولا بأنه مكره على فعل ما لا يتوافق مع عقيدته.

وكهؤلاء الذين يسيئون تطبيق عقوبة الردة عن الإسلام، فيؤاخذون بالشبهة، دون مراجعة أو استتابة، متجاهلين ما رواه البخاري ومسلم عن رسول الله - ﷺ - من قوله الذي يعني: «إني لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس أو أشق صدورهم» فيقدمون بتلك الإساءة خدمة لأعداء الإسلام، حيث يشوهون حقائقه، ويقدمونه في صورة بعيدة تماماً عن يسره وسماحته.

وكهؤلاء الذين يخطئون في المقصود من حتمية تحكيم الإسلام، وإقامة الحكم على شريعته، الذي يعني الالتزام بما جاء به القرآن الكريم والسُنة النبوية في كل شئون الحياة بما فيها من يتولى الحكم بحيث لا تكون له حصانة ولا خصوصية شخصية، ولكن هؤلاء ينحرفون بذلك فيضفون على الحاكم المنتسب إلى الإسلام من القداسة ما يجعله وريث النبي - ﷺ - ، الذي ينطق بلسان الله - سبحانه وتعالى - فلا يسمحون بمعارضته، ولا بمحاسبته، ولا بمراجعة تصرفاته وأفعاله، لأنه - كما يصرحون - ظلّ الله في الأرض، ومعارضة مثله إن هي إلا معارضة لله في حكمه، ونقد للإسلام في تشريعاته.

وكهؤلاء الذين صنعتهم الحكومات المحلية، متعاونة مع الرغبات الاستعمارية الأمريكية، وجعلت منهم قوة إسلامية مسلحة بأحدث المعدات لمواجهة الشيوعية في أفغانستان وفي داخل البلاد العربية، فلما حققوا ما قصد إليه هؤلاء الحكام - المحليون أو المستعمرون - ضاقوا بهم، وأخذت أجهزة الأمن في مطاردتهم، وإلقاء من تتمكن منهم في السجون والمعتقلات، فكانت تلك المواجهات التي لا صلة للإسلام بها، والتي أثمرت ذلك العنف الإرهابي البغيض.

«يتبع»

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

فرعون الألفية الثالثة

للأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين

في الوقت الذى نصبت فيه الولايات المتحدة الأمريكية من نفسها قيما دوليا على حماية حقوق الإنسان فى العالم وتقوم من آن لآخر بإصدار نشرة تتحدث فيها عن انتهاكات لحقوق الإنسان في مختلف دول العالم، وتقوم بناء على ذلك بالإعلان عن فرض عقوبات على تلك الدول، وهى فى أغلب الأحوال دول إسلامية وعربية.

فى الوقت نفسه استثنت الولايات المتحدة نفسها من الالتزام باحترام حقوق الإنسان مادام هذا الإنسان غير أمريكى وغير أوروبى.

وبتعبير أدق مادام هذا الإنسان من ذوى البشرة البيضاء فمن حقه جميع الحقوق أما غيره من ذوى البشرة السوداء أو السمراء أو الصفراء أو الحمراء أو أى لون آخر فليس لهم أى حق، فهم عبيد للإنسان الأبيض وعليهم طاعته!!

هذا الكلام لا يأتى من فراغ، فمنذ فترة وجيزة كشف الجنرال «جانيس كاربينسكى» المشرفة الأمريكية السابقة على حراسة المعتقلين فى سجن أبوغريب فى بغداد عن أن الجنرال «جيفرى ميلر» المسئول عن المعتقلات الأمريكية فى العراق أمرها بأن تعامل المعتقلين العراقيين وكأنهم كلاب تماما.

وقالت «كاربينسكى» التى كانت تتولى قيادة لواء شرطة عسكرية مكلف بحراسة



اين حريتنا؟ صيحة عراقية

المعتقلين فى سجن أبوغريب: إن ميلر الذى كان مسئولا عن معتقل «جوانتانامو» الأمريكى فى كوبا أبلغها أن السجناء العراقيين مثل الكلاب وأنها إذا سمحت لهم بالتصور فى أى لحظة أنهم يزيدون شيئا عن الكلاب فإنها ستفقد السيطرة عليهم!

وأكدت «كاربينسكى» أن التحقيقات التى كانت تجرى فى سجن أبوغريب تمت تحت إشراف وحدة المخابرات العسكرية.

كلاب.. بل أقل من الكلاب.. هكذا ينظرون لنا جميعا، وليس للعراقيين وحدهم، وبعد هذا يتهموننا نحن بالقسوة والهمجية لأن ديننا يقطع يد السارق، ورأس القاتل، ويجلد الزناة غير المحصنين ويرجمهم حتى الموت إذا كانوا محصنين.

«جيفرى ميللر» كان قائدا لمعسكر «جوانتانامو» أومعسكر الموت الذى استقبل أسرى جماعة طالبان الأفغانية، وكان «ميللر» هو صاحب فكرة وضع كل معتقل فى قفص حديدى مساحة أرضيته متر مربع واحد، وحوائطه عبارة عن قضبان وشبكات حديدية عالية الارتفاع وبدون أسقف، هذه الأقفاص جعلت فى العراء أى تحت السماء مباشرة وعلى كل أسير أن يقضى حاجته

داخل هذا القفص الذى ينام الأسير على أرضه العارية من أى فراش، ولم يسمح ميللر للأسرى سوى بجرعات قليلة من الماء للشرب فقط فغير مسموح لهم لا بالوضوء ولا بالاستحمام، ولا بالتطهر بعد قضاء الحاجة، ولم يكتف ميللر بذلك، بل أطلق الكلاب المتوحشة والمدربة تدريبا جيدا على التوحش لتتجول وسط الأقفاص ليلا لتصيب الأسرى بالرعب فتمنعهم من النوم.

هذا هو حال معتقلى «جوانتانامو» وسيظلون كذلك حتى الموت ولا يعترف الأمريكيون أن ما يتعرض له معتقلوا «جوانتانامو» ينطوى على تعذيب،

حيث إن مذكرة أعدها مكتب الاستشارات القانونية التابع لوزارة العدل الأمريكية أكدت على أن الألم الجسمانى الذى يرقى إلى حد التعذيب يجب أن يعادل شدة الألم المصاحب لإصابة جسمانية خطيرة مثل الفشل العضوى أو العاهة الجسمانية أو الموت، أما ما هو دون ذلك فلا يعدو أن يكون مجرد ألم جسمانى.

بمعنى أنهم استحلوا لأنفسهم تعذيب النفس البشرية التعذيب الذى هو أقل من مستوى الموت أو على الأقل العاهة، فالاعتداء الجنسى مثلا (أى الاغتصاب) لا يسبب عاهة مستديمة ولا يسبب موتا، وبالتالى فهو مصرح به فى قانون حقوق الإنسان من وجهة النظر الأمريكية.

التبول فوق البشر لا يسبب عاهة مستديمة ولا يسبب موتا، وبالتالى فهو مصرح به فى قانون حقوق الإنسان من وجهة النظر الأمريكية.

اغتصاب الأم أمام زوجها وأبنائها، واغتصاب الأب أمام زوجته وأبنائه، واغتصاب الأبناء أمام أمهاتهم وآبائهم وأخواتهم كل هذا لا يوجب الغضب ولا يتنافى مع قانون حقوق الإنسان من وجهة النظر الأمريكية وربما كان على المعذَّبين أن يدفعوا لهم نقودا نظير ما بذلوه معهم من جهد.

وبرغم أن المفروض أن القوانين الأمريكية والدولية تحظر التعذيب بوجه عام إلا أن هذه القوانين ـ وكما قالت المذكرة الحكومية الأمريكية – غير ملزمة للرئيس بوش بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة فيما يخص أوامر استجواب السجناء، وأكدت مذكرة مكتب الاستشارات القانونية بوزارة العدل الأمريكية «أن بعض الأفعال قد تكون قاسية وغير إنسانية ومهينة ولكنها لا تحدث ألما ومعاناة شديدة وبالتالى لا تقع فى إطار حظر التعذيب».

وبالتالى عزيزى المسلم عليك أن تعلم تماما بأنه إذا وطئت قدماك الأراضى الأمريكية فأنت معرض للتبول فوق رأسك، ومعرض أنت وأسرتك للاغتصاب الجنسى العلنى، والذى سيجرى تسجيله على أقراص مدمجة تباع فى الأسواق، وليس من حقك أن تشكو لأن أحدا لم يعذبك بل يجب عليك



هناك من يقول إن إسرائيل واحة الديمقراطية فى الشرق الأوسط.. ولا تعليق!

أن تتقبل ذلك بنفس راضية وصدر رحب فالذى يتبول فوق رأسك بطل أمريكى والذى يغتصبك أمام زوجتك التى انتهك عرضها أمامك وأمام أبنائك وبناتك والذين تعرضوا للاغتصاب أمام عينيك كل هذه الأمور عادية فى القانون والعرف الأمريكى، وعليك أن تحمد الله وتشكره كثيرا أنك خرجت فى النهاية سالما معافى بدون فشل عضوى أو عاهة جسمانية محافظا على حياتك وحياة أفراد أسرتك!!

وعلى استحياء قام كوفى عنان الأمين العام لما يعرف بـ «الجمعية العامة للأمم المتحدة» بتوبيخ الولايات المتحدة لمحاولتها الحصول على استثناء جديد يحمى جنودها من المحاكمة أمام محكمة الجنايات الدولية وطالب مجلس الأمن الدولى – الذى تهيمن عليه الولايات المتحدة – برفض هذا الإجراء.

ونظرا لطبيعة التحالف الوثيق والصداقة الوطيدة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين ربيبتها إسرائيل.. واحة الديمقراطية فى الشرق الأوسط فقد تماثلت أساليبهما تماما إزاء التعامل مع الأسرى العرب المسلمين، حيث وصف أسرى فلسطينيون محتجزون فى قسم العزل المسمى «أيلون» فى سجن الرملة الممارسات التى يتعرضون لها بأنها مثل تلك التى يتعرض لها المعتقلون العراقيون فى سجن أبوغريب.

وكشف الأسرى خلال لقاء معهم مع محامية نادى الأسير أن قوات احتلالية خاصة

مكونة من جنود مقنعين اقتحموا السجن وأجبروا الأسرى على خلع ملابسهم كاملة، ثم قامت مجندة بالتقاط صور لهم. ويُحتجز الأسرى - حسب ما جاء على موقع «المركز الفلسطيني للإعلام» في زنازين صغيرة لا تتجاوز مترين مربعين يوجد فيها فتحة للمرحاض لا تصرف الفضلات، وتملأ الزنزانة الجرذان والزواحف والديدان.

حقا.. إن كل هذه الأمور الرائعة تجعل من إسرائيل واحة للديمقراطية في الشرق الأوسط وفق النموذج الذي طالما تمناه الرئيس الأمريكي (جورج بوش) لنا جميعا ويسعى حثيثا لتطبيقه في العراق ليكون مثالا ينبغي أن يكون عليه الأمر في الأمة العربية تلك الأمة التي أزعج تمسكها بدينها وبعروبتها وبكل قيمها النبيلة فرعون الألفية الثالثة فسعى في الأرض يفتن المؤمنين والمؤمنات بكل ما أوتي من قوة، فويل لجبار الأرض من جبار السماء:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾

(البروج/ ١٢ : ٢٠)

وهكذا.. إسرائيل ترفض الاعتراف بأية التزامات أو مسئولية عما يتعرض له الأسرى العرب في معتقلاتها بدعوى أنهم إرهابيون والولايات المتحدة ترفض الاعتراف بأية



حقوق لمعتقلي «جوانتانامو» أعضاء «طالبان» الذين تمثلت جريمتهم في التصدي للقوات الأمريكية الغازية لبلادهم «أفغانستان» وتدعي أنهم مجرد مرتزقة وإرهابيين لا تنطبق عليهم اتفاقيات جنيف وسائر المعاهدات والمواثيق الدولية التي تنظم وتنص على احترام حقوق أسرى الحرب.. حيث جاء في مذكرة وقع عليها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في ٧ من فبراير سنة ٢٠٠٢م «أن قيم الولايات المتحدة كدولة تدعوا إلى معاملة جميع المعتقلين معاملة إنسانية ولكن دون تطبيق بنود اتفاقية جنيف على الذين لا يستحقون هذه المعاملة من المنتمين للقاعدة وطالبان» حيث أكد الرئيس الأمريكي على أن المعاهدة لا تغطي مقاتلي طالبان المصنفين «مقاتلين خارجين

على القانون» وليسوا أسرى حرب استنادا على ادعاءات أوردتها وزارتا الدفاع والعدل الأمريكيتين وهي الآن تتهم قوات المقاومة العراقية بالانتماء للقاعدة وطالبان كمقدمة لحرمانهم من أية حقوق.

ترى ألا يعد اللواء «عبدالحميد موجوش» قائد القوات الجوية العراقية وأحد كبار ضباط الجيش العراقي الذين رفضوا الفرار من الميدان، رفضوا الوشاية بزملائهم قادة قوات المقاومة العراقية الباسلة، ألا يعد مثل هذا الرجل أسير حرب له كل الحقوق التي نصت عليها المواثيق والمعاهدات الدولية بشأن أسرى الحرب؟!

«اللواء عبدالحميد موجوش» لقي وجه ربه شهيدا بعد أن تم قتله خنقا أثناء استجوابه في معتقل أمريكي بالعراق حيث تم لفه خلال التحقيق معه بحقيبة نوم وجلس فوقه أحد رجال المخابرات الأمريكيين في محاولة لإجباره على الوشاية بزملائه من رجال المقاومة الرافضين للاحتلال الأمريكي المغتصب للأرض والعرض والشرف والكرامة، وظل الرجل صامدا رافضا أن يموت خائنا مؤثرا الموت بشرف على الحياة على أجساد زملائه المقاتلين.

الولايات المتحدة أبدت أسفها لمقتل اللواء «عبدالحميد موجوش» وفي الوقت نفسه ترفض محاكمة القاتل وضربائه من القتلة المنتمين لجيش الاحتلال الأمريكي أمام محاكم دولية وتصر على منحهم

حصانة ضد أية محاكمات مستقبلية لهم.. هكذا بلا خجل ولا حياء، وتصر في الوقت نفسه على تصنيف دول مثل سوريا والسودان وإيران ضمن الدول التي لا تحترم حقوق الإنسان؟! حقا إذا لم تستح فاصنع ما شئت!

رحم الله الشهيد اللواء عبدالحميد موجوش وضربائه من المدافعين عن الدين والأرض والعرض:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(آل عمران/ ١٦٩، ١٧٠)

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾

(إبراهيم/ ٤٢ : ٤٧)

ما عاد يكفينا الغضب

للأستاذ الدكتور / عبد المنعم يونس

هذا العنوان لا يد لي فيه، ولا هو من بنات أفكاري، ولا أعملت فيه جهدا، ولا أمعنت فيه نظرا، وإنما هو عنوان قصيدة للشاعر المبدع فاروق جويدة [1] كتبها إثر تلك الصور التي نشرت علي الملأ جميعه للمعذبين في الأرض من شعب العراق في سجن أبو غريب وقد ذيل الشاعر هذا العنوان بعبارة «إلي صبايا بغداد في سجن أبو غريب»

لا أعتقد أن أحدا من البشر لم يتأثر بما حدث في سجون العراق، وإذا كانت السجون يمكن أن يحدث فيها ما لا يتصوره عقل، لكن لا يمكن أن تصل البشاعة إلي أن يُصوَّر ما يحدث، وأن تتسرب الصور إلي وسائل الإعلام عن عمد، أو غير عمد، وكان الذين يصنعون ذلك يتلذذون بما يصنعون، أو كأن الآدمية قد انتزعت منهم فيرتكبون أبشع الجرائم، بل ويُطْلِعُون العالم كله عليها.

قلت إن هذه الصور تسربت إلي العالم عن عمد، وصورت قبلا عن عمد، وكان الذين صنعوا ذلك أرادوها رسالة إلي العالم جميعه تقول: احذروا أن يحل بكم ما حل بهؤلاء، فجنود أمريكا لا يرحمون، وسجانوهم لا يراعون في البشرية إلاً ولا ذمة، ماتت ضمائرهم، وصُمَّت آذانهم وأصبحوا وحوشا كاسرة يمكن أن تفعل بفريستها ما لم يخطر علي قلب بشر، وفعلا هل يخطر علي قلب بشر أن يرى بشرا يلوط برجل مثله أمام كاميرات التصوير، أو يغتصب أنثى، وآخرون يشاهدون؟ ألم أقل إنهم تحولوا إلي حيوانات كاسرة، بل إن بعض الحيوانات لا تصنع مثل ما صنعوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لقد هزتني هذه القصيدة، ودفعني ذلك العنوان أن أمسك القلم، وأكتب هذه

(1) نشرت هذه القصيدة في جريدة «الأهرام» القاهرية في التاسع من شهر مايو ٢٠٠٤ صفحة رقم ٢٧

الكلمات أسهم بها كما أسهم الشاعر في تحريك الهمم إن كانت هناك همم تتحرك، وفي دفع القارئ إلي التفكير فيما آل إليه أمر أمتنا العربية والإسلامية التي تخلت عن أمجادها، وأبت إلا أن تكون تابعة لا متبوعة، ذليلة لا عزيزة، أمة هانت علي نفسها، فهانت علي عدوها.

لقد قلت في مقال سابق إن أقلام الأمة قد تكسَّرت، فلم نجد ذلك الدور الذي كان يقوم به الشعراء والكتاب عندما يدهمُ الأمة غاصبٌ، أو يحاول أن ينال منها معتد، وقد مثلت لدور الكلمة شاعرةً، أو ناثرةً في مثل تلك الغارات التي كان يقوم بها بعض من تسول له نفسه النيل من أرض أمتنا، أو يريد السيطرة علي أجزاء منها.

فما زالت قصيدة أبي تمام في موقعة عمورية يرنُّ صداها في آذاننا حتي اليوم، عندما لبى المعتصم نداء المرأة المسلمة التي انتُهكت حرمتها في عمُّورية بقوله: عندما قالت المرأة وامعتصماه» لبيك أختاه»

وعلي الرغم من أن المنجمين أوهموا المعتصم أنه لن ينتصر في هذا الوقت، وعليه أن ينتظر وقتا آخر، لكنه لم يستمع إلي هؤلاء المنجمين، وجهز جيشا تحت قيادته إلي عمورية وكان النصر حليفه، وهنا قال أبو تمام رائعته العظيمة:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حدِّه الحدُّ بين الجد واللعب

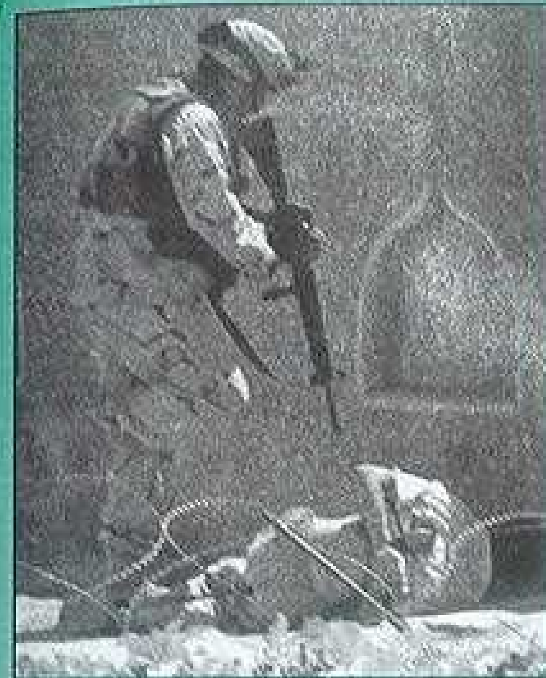


بيض الصفائح لا سود الصحائف
في متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماح لامعةً
بين الخميسين لا في السبعة الشهب

وتاريخ الإسلام مليء بتلك الأحداث التي رصدتها قصائد تدفع قادة المسلمين إلي النهوض لنصرة الإسلام والدفاع عن حمى المسلمين، ولا يمكن لمقال أن ينهض بكل هذه الأحداث، ولا بكل تلك القصائد، لكنني سأقف عند حدثين وقصيدتين قيلتا وذهب صداهما أدراج الرياح: لأن المسلمين ساعتها كانوا مستضعفين، فلم تكن هناك قوة قادرة تستطيع الذود عن نساء المسلمين، وما تعرض له من عدو غاشم انتهك الأعراض، واستولي علي المقدسات.

إحدى هذه القصائد قيلت في رثاء مدينة البصرة، التي كانت تنافس بغداد

حضارة ورقيا وتقدما، لقد كانت عامرة بالمدارس والمساجد، زاخرة بحركة علمية نشطة، لقد ذكر المؤرخون أن مدرسة البصرة في القرن الثالث الهجرى كانت تنافس مدرسة بغداد، لكنها تعرضت للتخريب في ثورة الزنج المشهورة، فقال ابن الرومي رائعته التي يرثي بها حضارة تعرضت للدمار، وعمرانا أتت عليه يد الهمجية المتمثلة في هؤلاء القوم الذين أرادوا القضاء علي كل ما صنعته يد المسلمين في هذه المدينة (٢)



يقول ابن الرومي:

زاد عن مقلتي لذيذ المنام
شغلها عنه بالدموع السجام
أي نوم بعد ما حلّ بالبصرة
من تلكم الهنات العظام
أي نوم من بعد ما انتهك
الزنج جهارا محارم الإسلام
إن هذا من الأمور لأمرٌ
كاد أن لا يقوم في الأوهام

ثم يتلهف ابن الرومي علي مدينة البصرة، وعلي ساكنيها وما نزل بهم من قتل وتشريد فيقول:

كم أغصوا من شارب بشراب
كم أغصوا من طاعم بطعام
كم ضنين بنفسه رام منجىً
فلتقفوا جبينه بالحسام
كم أخ رأي أخاه صريعا
ترب الخدين صرعى كرام
كم أب قد رأى عزيز بنيه
وهو يُعلى بفارس صمصام

هذه صورة ناطقة بذاتها، حافلةٌ بألوان الدماء التي سالت من المسلمين أنهارا مفعمة بحالة الرعب والفزع اللذين أصابا سكان البصرة يوم أن دخلها الزنج منتهكين حرمات الإسلام والمسلمين.

وبعد أن يصور ابن الرومي موقف السبايا، وأنهن يُقسّمن بين الزنج بالسهام بعْدَ أن كن

(٢) أغار الزنج على مدينة البصرة سنة ٢٥٥ هـ واستباحوا فيها الأموال والحرمات.



يمتلكن الإماء والخدم، وينعمن بسكنى الدور والقصور يدفع المسلمين إلي ملاحقة الزنج، وفك أسرى الأسارى والانتقام من هؤلاء الغوغاء الذين لم يراعوا حرمات المساجد، فلم يرحموا شيخا عابدا، ولا عالما متبتلا، ثم يُذكرُ المسلمين بموقفهم من الله يوم القيامة، وماذا يكون جوابهم يوم أن يسالهم مالك الملك عن تقصيرهم، وقعودهم عن نصرة إخوانهم، بل ماذا سيكون موقفهم يوم أن يسالهم رسول الله ﷺ عن التفريط في حرمات الإسلام يقول:

واحيائي منهم إذا ما التقينا
وهم عند حاكم الحكام
اي عذر لنا وأى جواب
حين نُدْعى علي رؤوس الأنام
يا عبادى أما غضبتم لوجهي
ذى الجلال العظيم والإكرام
أخذلتم إخوانكم وقعدتم
عنهم ويحكم قعود اللئام

إن قصيدة ابن الرومي في رثاء البصرة تربو علي الثمانين بيتا، كل بيت يفيض ألما وحسرة علي ما حل بالمسلمين من أهل البصرة، لقد أحاط بهم الزنج من كل جانب، وأتوا إليهم من كل حدب وصوب، وها نحن في أيامنا التي نحياها نجد كأن التاريخ يعيد نفسه وكأن الليلة بنت البارحة، وها هم جنود الأمريكان يحيطون بالبصرة والكوفة وبغداد وكل مدن العراق، لم يراعوا في الرجال أو النساء إنسانية الإنسان، فأخذوا ينتهكون حرمات الجميع، ويسلبون أعراض الجميع علي السواء، وكأنهم برابرة أو همج، لا يعرفون حضارة، ولم تصل إلى جنودهم مدنية، فلا عجب أن يقول فاروق جويدة قصيدته:

من قال إن العار يمحوه الغضب
وأمامنا عرض الصبايا يغتصب

وقبل أن أعرض لقصيدة الشاعر فاروق جويدة أذكر القارىء الكريم بقصيدة أخرى قيلت في حدث شبيه بأحداث اليوم، إنها قصيدة التنُوخيُ التي قيلت في رثاء بغداد عندما خربها التتار.

ففى منتصف القرن السابع الهجرى عرف العالم خطرا داهما قادما من الشرق يأكل الأخضر واليابس إنه خطر تلك الجحافل الهمجية التى سميت بالتتار، والتي انتشر خطرها في الشرق العربى.

لقد أحدث التتار ببغداد أحداثا لا يتصورها عقل، وأتوا جرائم لم تستطع الشياطين إتيانها حتى قيل إن عدد القتلى بلغ ألف ألف، وكانت آخر جمعة خطبها ابن الجوزى قال فيها: «الحمد لله الذى هزم بالموت مشيد الأعمار، وحكم بالفناء على أهل هذه الديار.. إلي أن قال: «اللهم أجرنا فى مصيبتنا التي لم يصب الإسلام وأهله بمثلها، و«إنا لله وإنا إليه راجعون».

ولكن إذا كان التتار قد قتلوا من المسلمين هذا العدد، فإن العسكر الأمريكان ليتهم صنعوا ذلك، وقتلوا من أهل العراق الملايين، ولم يعتدوا علي أعراضهم، ولم ينتهكوا حرماتهم، بل وليتهم انتهكوا الحرمات سرا، أو قاموا بما قاموا به خفية، لكنهم صنعوا بأهل العراق ما لم يصنعه بشر من قبلهم، فهم يتباهون بما صنعوا، إن ما صنعه هؤلاء لم يصنعه التتار فى القرون الوسطى، ولم يصنعه الصليبيون الذين قتلوا فى بيت المقدس الآلاف المؤلفة.

إن المرء ليعجب من هؤلاء؟ هل يعقل أنهم بشر؟ أم هل يعقل أنهم آدميون؟

إن العقل يقول إن هؤلاء الذين صنعوا ذلك بعيدون عن الآدمية، بل إن بعض الحيوانات لا تصنع ما صنعوا.

أعود لقصيدة التنوخي المتوفى سنة اثنين وسبعين وستمائة للهجرة:

لسائل الدمع عن بغداد أخبار
فما وقوفك والأحباب قد ساروا
يا زائرين إلي الزوراء لا تفدوا
فما بذاك الحمى والدار ديَّار

حتى يقول:

وهم يساقون للموت الذى شهدوا
النار يارب نصلاها ولا العار

والقصيدة طويلة تتحدث عن تلك المآسى التي عاناها أهل بغداد من صنع التتارلكن الله - سبحانه وتعالى - شاء أن يقضى عليهم فى مصر فى موقعة عين جالوت التي خاضها جند مصر بقيادة السلطان قطز، فحمي الله بهؤلاء الجند مصر وأهلها، وكانت هذه الموقعة بداية لهزائم متكررة لقيها التتار والصليبيون على يد الظاهر بيبرس وجنده، وإن شاء الله سنرى هزيمة جند الأمريكان عما قريب، لأن الله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

أعود إلي قصيدة شاعرنا فاروق جويدة: «ما عاد يكفينا الغضب» وأرى أن عنوان القصيدة يشكل قطاعا كبيرا من أبياتها، لقد سرى العنوان فى جل القصيدة، فهو صيحة محزنة فى أذن هؤلاء الذين يرون، ويشاهدون ما حل بإخوانهم من العراقيين، ولا يملكون إلا الغضب الذى ما يلبث أن يزول، فقد بدأ الشاعر قصيدته بهذا التساؤل

من قال إن العار يمحوه الغضب
وأمامنا عرضُ الصبايا يُغتصب
صور الصبايا العاريات تفجرتْ
بين العيون نزيف دم من لهب
عار على التاريخ كيف تخونه
همم الرجال، ويستباح لمن سلب

ويستمر الشاعر يُذكر القارئ بما حل بجزء عزيز من وطن العرب والمسلمين، ثم نراه ينتقل إلي تذكير المسلمين بأن حديثهم عن الماضى لا يجديهم شيئا، فهل يجدى العرب أن يتحدثوا عن ماضيهم، وعن حضارتهم، وأنهم كانوا وكانت لهم أمجاد، أو كانوا فى الماضى قوة قادرة يحسب لها ألف حساب:

لا تسألوا الأيام عن ماض ذهب
فالأمس ولىَّ.. والبقاء لمن غلب
ما عاد يجدى أن نقول بأننا
أهلُ المروءة.. والشهامة.. والحسب
ما عاد يجدى أن نقول بأننا
خير الورى دينا.. وأنقاهم نسب
ولتنظروا ماذا يراد لأرضنا
صارت كغانية تضاجع من رغب
حتى رعاع الأرض فوق ترابنا
والكل فى صمت تواطأ.. أو شجب
الناس تسأل: أين كهان العرب
ماتوا.. تلاشوا.. لا نرى غير العجب

ثم يتحدث الشاعر عن أولئك الأمريكان الذين جاءوا إلي بغداد بحجة أنهم يريدون حرية الإنسان التي انتهكت.. وهم طبعا حماة الحريات!! ودعاة حقوق الإنسان!!

وهل يصبرون علي ما صنعه صدام بقومه؟! إنهم لابد أن يخلصوا العراق، وأهله من أيدى الطاغية صدام، إنهم لا رغبة لهم فى بترول العراق، فهم أغنياء بطبعهم!! ألم يصدروا الفائض لديهم إلي الشعوب الأخرى؛ حتي يخففوا عنهم معاناتهم، دعاوى كاذبة وحجج واهية، يدخلون بها على السذج من البشر، وفى الحقيقة أنهم قوم غاصبون، يريدون أن يدين العالم لهم، وأن يسود نظامهم - الذى تخلصوا به من الهنود الحمر - جميع بلاد العالم، إن حكام أمريكا الذين يحكمون الآن هم الصقور الذين يدينون بمبادئ اليهود، والذين يعتقدون أنهم البشر، وأن ما عداهم خدم لهم.. هكذا يدين الأمريكان بذلك يقول الشاعر:

جاءوا إلي بغداد.. قالوا أجدبت
أشجارها.. شاخت.. ومات بها العنبْ
قد زيفوا تاجا رخيصا مبهرا
حُريةُ الإنسان.. أغلى ما أحب
خرجت ثعابينٌ، وفاحت جيفة
عهر قديم فى الحضارة يحتجبْ
وأفاقت الدنيا علي وجه الردى
ونهاية الحلم المضيء المرتقبْ
صلبوا الحضارة فوق نعش شذوذهم
يا ليت شيئا غير هذا قد صُلب

ويستمر الشاعر يذكر العرب بما صنعه دعاة الحضارة، وحماة الحرية ببغداد وأهلها، ويطلب منهم في النهاية أن يعلموا أن التاريخ يسجل ما صنعه هؤلاء الأوغاد، وما قام به العرب من دفاع عن حريتهم وكرامتهم، ويطلب من الجميع أن يقفوا وقفة رجل واحد، حتى أولئك الذين تركوا أوطانهم فرارا من بطش حكامهم يقول:

يا كل عصفور تغرب كارها
ستعود بالأمل البعيد المغترب
هذى الذئاب تبول فوق ترابنا
ونخيلنا المقهور في حزن صلب
موتوا فداء الأرض إن نخيلها
فوق الشواطىء كالأرامل ينتحب
ولتجعلوا سعف النخيل قنابلا
وثمارها الثكلى عناقيد اللهب

ثم يذكر العرب بحركة التاريخ، وأنه يرصد كل شيء، ولن يستمر هذا الذل، وذلك الهوان طويلا، فحركة التاريخ مستمرة، والأيام دول يوم لك ويوم عليك، كما تعلمنا من الماضي، وسيظل وجه الشهيد يدفع الناس دفعا إلي الثورة، وطلب الثأر يقول:

فغدا سيهدأ كل شيء بعدما
يروى لنا التاريخ قصة ما كتب
وعلى المدى يبدو شعاع خافت
ينساب عند الفجر.. يخترق السحب
ويظل يعلو فوق كل سحابة
وجه الشهيد يطل من خلف الشهب
ويصيح فينا: كل أرض حرة
يأبى ثراها أن يلين لمغتصب
ما عاد يكفي أن تثور شعوبنا
غضبا فلن يجدي مع العجز الغضب
لن ترجع الأيام تاريخا ذهب
ومن المهانة أن نقاتل بالخطب
هذى خنادقنا، وتلك خيولنا
عودوا إليها، فالأمان لمن غلب
ما عاد يكفينا الغضب
ما عاد يكفينا الغضب

هكذا ينهي الشاعر فاروق جويدة رائعته التي يستحث بها العرب أن يعودوا إلي ماضيهم المشرف الذي كان فيه العرب يهبون للدفاع عن أمجادهم، وأن يذكرهم بأن السلام لا يمكن أن يكون مع الضعف، وأن الغضب لن يجديهم شيئا، لكن الذي يمكن أن يجعلهم أمة هي القوة التي جاءت في قول:

هذى خنادقنا، وتلك خيولنا
عودوا إليها، فالأمان لمن غلب

هذا وبالله التوفيق

الفلسطيني في السجون الإسرائيلية

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

يعاني المعتقلون الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية ألوانا من العقاب البدني والنفسي، لا يخطر على بال أحد، على يد المحققين ورجال المخابرات والسجانين الإسرائيليين، ولا يعرف على وجه الدقة عدد هؤلاء المعتقلين، بسبب حرص الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على إخفاء الرقم الحقيقي لهم، لاستخدامه كعامل ضغط في أية مفاوضات مع الجانب الفلسطيني، للمساومة والابتزاز، وفرض شروطها في السلام الذي تريده غير أن بعض المعطيات الاحصائية تشير إلى وجود عدد يتراوح ما بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ أسير فلسطيني، موزعين على السجون والمعتقلات ومعسكرات يذكر تقرير لمنظمة العفو الدولية، نشرته جريدة النهار اللبنانية في ٢١ مايو ٢٠٠١، أن قوات الأمن الإسرائيلية عقب انتفاضة الأقصى، قامت بالقبض على ما يزيد على ٢٠٠٠ فلسطيني لأسباب سياسية، واعتقال - ٩٠٠ فلسطيني من عرب إسرائيل بتهمة إلقاء حجارة على عربات الجيش الإسرائيلي وتعرضهم للضرب والركل خلال القبض عليهم، واستمرار احتجاز حوالي ١٦٠٠ فلسطيني من المناطق المحتلة، و٢٩ فلسطينيا من عرب ٤٨ واللافت للنظر قيام حوالي ١٠٠٠ سجين فلسطيني، طوال شهر مايو ٢٠٠١، بتنظيم إضراب عن الطعام، احتجاجا على سوء المعاملة داخل السجون الإسرائيلية، واستخدام الحبس الانفرادي وسوء الرعاية الصحية والحرمان من الزيارات العائلية، وعلى الرغم من قرار محكمة العدل العليا في السادس من سبتمبر



مروان البرغوثي
وحكم بالسجن ١١٢ عاما في السجون الإسرائيلية

١٩٩٩ بعدم جواز استعمال جهاز الأمن العام «الشاباك» أساليب جسدية خلال التحقيق، فإن هذا الجهاز استمر فى استخدام وسائل فى غاية الوحشية أثناء التحقيق مع المعتقلين الفلسطينيين، من ضرب وركل، وتغطية للرأس والوجه، وتعصيب للعينين وتكبيل للأيدى والأقدام، وحرمان البعض من النوم لعدة أيام، وفى هذا السياق يتحدث الأسير الفلسطينى «موسى خورى» وهو رجل أعمال تم اعتقاله والتحقيق معه ست مرات، واحتجازه لمدة واحد وسبعين يوماً فيقول: «قيدت يداى خلف ظهرى، وغطى رأسى بكيس بطاطا، وقيدت ساقاى إلى كرسى صغير جداً، عرض قاعدته ١٠سم وطولها ٢٠سم وظهره ١٠×١٠سم وقائمتاه الأماميتان أقصر من الخلفيتين، لذلك فإنك مضطر للانزلاق فيه للأمام، مع بقاء يديك مقيدتين إلى ظهر الكرس، أما إن أجلست منتصبا فإن ظهر الكرسى ينغرز فى إليتك، واذا انزلقت إلى الأمام تكون مكرها على البقاء معلقا بيديك وهكذا تصبح فى وضع مؤلم جدا، وهم لا يأخذونك إلى بيت الخلاء «لقضاء الحاجة إلا بعد أن تصبح مطالبا بذلك مائة مرة» كما يتحدث «ميخائيل كوبى» أحد كبار الخبراء الاسرائيلين فى عالم التحقيق، وفنون التعذيب، واصفا حال السجين الفلسطينى داخل السجون الاسرائيلية فيقول: حاول أن تتخيل كيف يكون حالك إذا جلست، وعلى رأسك غطاء مدة أربع ساعات، وانت جائع ومتعب، وخائف، ومعزول عن كل شىء، ولا فكرة لديك عما يجرى حولك»، ويضيف هذا المحقق الاسرائيلى الخبير قائلا: «إن إعداد السجين الفلسطينى للتحقيق يعنى تليين عريكته بوضعه فى حال انتظار غير مريحة، كان يكون عاريا فى غرفة باردة، أو مكرها على الوقوف او الجلوس فى وضع غير مريح، ومن الممكن أن يترك السجين مستيقظا عدة أيام قبل التحقيق، ومعزولا، وسىء التغدية، وجعله لا يعرف اين هو، أو فى اى وقت من اليوم هو، وما طول المدة التى مضت على احتجازه، ولأية مدة سيحتجز». ومن هنا فإن «كوبى» يرى أن العزلة والخوف والحرمان التى يكون عليها السجين الفلسطينى أثناء التحقيق قد تجبره على التراجع، والبوح بما لديه من أسرار، ومعلومات يحتفظ بها، حتى يفلت من إسار الحالة السيئة التى يحياها سواء فى السجن أو فى غرف التحقيق.

ومن ناحية أخرى تذهب «جيسكار مونيتل» المديرة التنفيذية لمركز المعلومات الإسرائيلى لحقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة إلى القول: «إن استعمال الإكراه فى التحقيق مع المعتقلين الفلسطينين لم يتوقف تماما برغم حظر المحكمة العليا الإسرائيلية له عام ١٩٩٩، والفارق هو أن المحققين عندما يستخدمون الوسائل العدوانية ضد السجناء الفلسطينين يعرفون انهم يخرقون القانون» ولذلك تحذر «جيسكا مونتيل» من التمادى

فى استعمال هذه الوسائل التى تنتهك حقوق السجين فتقول: «إذا كنت بصفتى محققا اشعر بان لدى الشخص الماثل أمامى معلومات يمكن ان تحول دون وقوع كارثة، فإنى أتصور أننى سأقوم، بما يجب ان أقوم به كى احول دون وقوعها، وفى نفس الوقت، فإن الدولة، فى هذه الحال، ملزمة بإحالتى إلى المحاكمة لانتهاكى القانون»، وتضيف فى تحذيرها قائلة: «ومن ثم يصبح من واجب المحكمة أن تقرر هل كان انتهاكى للقانون تفاديا لتلك الكارثة مسوغا فى العقل، لكن يجب أن يوصف عملى بأنه انتهاك للقانون، ولا يجوز أن يكون معى ترخيص مسبق لإساءة معاملة الناس».

ويصف الأسير الفلسطينى «أحمد جبارة» من حركة فتح، الذى اعتقل عام ١٩٧٦، وأمضى فى سجن عسقلان ٢٧ عاما، حجم الاستهداف الذى يتعرض له المعتقل الفلسطينى، فقد كان ينام على بطانية، ويغطى نفسه ببطانية أخرى، ويستخدم الحذاء وسادة يضع رأسه عليها، أما الأسير الفلسطينى «مؤيد عبدالصمد» فقد تعرض للاعتقال عدة مرات، كان آخرها عام ١٩٨٧، حيث حكم عليه بالسجن مدى الحياة، ويصف العلاقة بين الأسير الفلسطينى وإدارة السجن الإسرائيلى بقوله: «إنها علاقة تهدف من ورائها هذه الإدارة تفتيت الهوية الفلسطينية للأسير، وإعادة تأهيله وفقا للرؤية الإسرائيلية من خلال ما يتعرض له هذا الأسير من قمع، وعزل، وحرمان» وفى هذا السياق يتحدث الأسير الفلسطينى «فراس جرار» الذى اعتقل عام ١٩٩٣، وحكم عليه بالسجن ١٦ عاما بتهمة الانتماء إلى حركة حماس، والقيام بانشطة معادية للاحتلال الإسرائيلى، فيقول: «إن الجانب الإسرائيلى، استطاع استغلال «ورقة الأسرى الفلسطينيين» فى السجون الإسرائيلية جيدا لمساومة المفاوض الفلسطينى، وابتزازه»

ويواصل هذا الأسير قوله: «يتم تصنيف الأسرى على عدة أسس:

الأول الأساس الجغرافى فى مثل أسرى الدوريات، وأسرى ٤٨، وأسرى الضفة الغربية، وأسرى غزة،

والثانى أساس الانتماء السياسى، مثل الحركات الإسلامية، وفصائل مؤيدة لاتفاق أوسلو، وأخرى معارضة له،

والثالث أساس التهمة، فكان لا يفرج عن الذين تسببوا فى قتل أو جرح أى يهودى أو قتل أى عميل إسرائيلى.

وعلى الجانب الآخر يتحدث الأسير الفلسطينى «مؤيد عبدالصمد» حول تحرير الأسرى الفلسطينيين فيقول: «إن قضية الأسرى الحقيقية ليس فقط رعايتهم وأسرهم ماديا ومعنويا، ولكن تحريرهم من معاناة الأسر فى السجون الإسرائيلية» وما يجب التاكيد عليه أنه بعد القبض على المعتقلين

الفلسطينين، يجرى فرزهم فى معسكرات الفرز مثل معسكر قدوميم، وعتصيون، وبيت إيل، والجنونة، فيفرج عن البعض، والبعض الآخر يُحول للتحقيق معه فى أحد مراكز التحقيق مثل المسكوبي وعسقلان، وبتاح تكفا، والجلمة، حيث يتم إما تجديد اعتقاله إداريا، مرة بعد أخرى على يد «قاضى تمديد توقيف» وفى هذه الحالة يمكن أن تصل فترة التمديد إلى ٩٠ يوماً، يمارس خلالها أساليب الضغط الجسدى والنفسى على هذا المعتقل، أو يفرج عن المعتقل بعد التحقيق معه، وقد يقدم إلى المحاكمة، بناء على لائحة اتهام، تقدمها النيابة، وتتضمن العديد من بنود الاتهام المستندة إلى مجموعة من القوانين الانتدابية والأردنية والاسرائيلية. والجدير بالذكر أن الأسرى الفلسطينيين داخل السجون الاسرائيلية يعانون كثيرا من سوء الرعاية الصحية، فتشير الإحصاءات إلى وجود ما يزيد على ٥٠٠ أسير فلسطينى بحاجة إلى رعاية صحية خاصة، منهم حوالى ١٠٠ فلسطينى يحتاجون إلى إجراء عمليات جراحية عاجلة من أجل إنقاذ حياتهم. واللافت للانتباه عدم التزام إدارة السجون الاسرائيلية عادة بتوصيات الأطباء من حيث تحويل الأسرى المرضى إلى المستشفى لتلقى العلاج، ولإجراء الفحوصات اللازمة، وفى حالة نقل المرضى منهم، يتم نقلهم فى سيارات شحن وهم مقيدو الأيدى والأقدام، وفى أوضاع صعبة وقاسية بدلا من نقلهم فى سيارات إسعاف، ناهيك عن عدم اتباع نظام غذائى يراعى فيه حاجة المعتقلين المرضى كما يتعرض بعض الأسرى الفلسطينيين إلى ما يسمى «العزل»، وهو نوع من العقاب النفسى لهم، فيتكون قسم العزل من مجموعة من الغرف التى تتسع لعشرة أو خمسة أسرى والعزل نوعان:

الأول: «عزل العزل» وهو عبارة عن غرفة لا تتسع إلا لشخصين، وبها جردل لقضاء الحاجة.

والثانى: هو الذى يعرف باسم «عزل العزل العزل» ويسمى «السنوك» وهو عبارة عن غرفة لا تتسع إلا لشخص واحد، ومساحتها لا تزيد على مساحة فرشة السجين، التى ينام عليها، بالإضافة إلى جردل، ولا يخرج المعتقل من غرفة العزل إلا «للفورة» أى الساحة العامة للسجن، وهو مقيد اليدين والقدمين بالحديد، ولمدة ساعة واحدة يوميا. وقد يرجع سبب عزل السجين إلى خطبة جمعة اداها، أو كلمة وطنية ألقاها أمام باقى زملائه فى السجن، أو ربما تعود إلى تصرف السجين بشكل لا يرضى إدارة السجن. وفى هذا الإطار يذكر أنه يوجد فى إسرائيل الكثير من السجون التى يشاهد فيها السجين الفلسطينى صورا من الإذلال والمهانة، نذكر منها سجن عسقلان، وبه ٦٠٠ فلسطينى، وسجن نفحة فى صحراء النقب على الحدود المصرية، وبه حوالى ٦٦٠ فلسطينيا، وسجن مجدو، وبه حوالى

١٠٠٠ فلسطينى، وسجن هداديم، وبه ٩٠ فلسطينيا، وسجن تلموند، وبه حوالى ١٠٠ طفل فلسطينى من الأشبال وصغار السن، وسجن عوفر، وبه حوالى ١٠٠٠ فلسطينى، وسجن النقب الصحراوى، ويبعد عن بئر سبع حوالى ٨٠كم، وبه حوالى ١١٠٠ فلسطينى، وسجن الرملة وبه حوالى ٣٠ فلسطينيا، وسجن دونفى ترتسا، وهو سجن للنساء، وبه حوالى ٤٠ فلسطينية، وسجن شطة وبه حوالى ١٣٠ فلسطينيا من منطقة القدس، وسجن الدامون قرب حيفا ويتراوح عدد أسراه ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ فلسطينى كلهم بتهمة دخول إسرائيل بدون تصاريح، كما يوجد فى إسرائيل ما يسمى بمعسكرات التوقيف المؤقت مثل حوادة، وبيت إيل، وعتصيون والجنونة، وبها حوالى ١٠٠ معتقل فلسطينى، وهناك أيضا عدد من مراكز التحقيق فى بتا تكفا، والجلمة والمسكوبية وبها حوالى ١٥٠ فلسطينى رهن التحقيق، بينما يدور النقاش فى أروقة أجهزة الأمن حول إعادة فتح سجنى كفار يونا وعتليت.

ويكفى فى الختام وصف ما يعانيه الفلسطينى فى هذه السجون والمعتقلات الإسرائيلية من شهادة الأسير الفلسطينى «رائد راجح محمود» يروى فيها كيفية اعتقاله وإيداعه سجن النقب الصحراوى منذ ٢٠ / ٦ / ٢٠٠١ فيقول: داهمت قوات خاصة من الوحدة المسماة «دوفدوفان» وهى وحدة مختارة من الجيش الإسرائيلى تسمى «المستعربون» يتنكر أفرادها بزى مدنى وأحيانا بزى نسائى للقيام باعتقالات أو تصفيات جسدية حيث اقتحموا منزلى فى القرية، وبعد تفتيش دقيق وترويع طفلى وزوجتى تم نقلى معصوب العينين مقيد اليدين إلى مركز تحقيق الجلمة فى شمال فلسطين المحتلة ٤٨، حيث جرى استجوابى لمدة ٢٦ يوما بتهمة المشاركة فى انتفاضة الأقصى والانتماء إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومن أجل انتزاع اعترافات منى استخدم المحققون «أسلوب الشبح» بربط اليدين والقدمين، وتعصيب العينين لفترات طويلة قد تمتد أياما، بالإضافة إلى الحرمان من النوم والضغط النفسى والبدنى المستمر وعندما لم تثبت ضدى أية تهمة تم تحويلى إلى الاعتقال الإدارى لمدة ٦ شهور جرى تجديدها ٦ شهور أخرى فور انتهائها ويواصل «رائد» شهادته قائلا: بعد أن غادرت سجن النقب فى ٢٦ / ٦ / ٢٠٠٢ بالإفراج عنى توجهت إلى قريتى وعند أحد الحواجز العسكرية القريبة منها احتجزنى جنود إسرائيليون وأعادونى مرة أخرى إلى السجن لأجد فى انتظارى قرارا بتجديد اعتقالى للمرة الثالثة تلاه اعتقال رابع، وكان التجديد الخامس للاعتقال فى ١٧ / ٤ / ٢٠٠٣، وقد برروا أمر الإفراج عنى بأنه كان خطأ، واللافت للنظر انه حتى كتابة هذه السطور، لايزال الأسير الفلسطينى «رائد راجح» يرسف فى أغلال الأسر، خلف قضبان سجن النقب الصحراوى الإسرائيلى، ينتظر ساعة الخلاص فمتى؟

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقي الدين

المشبوه

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

(العنكبوت / ١٢)

مواطن مصرى، يحمل الجنسية المصرية، وينتمى إلى المجتمع العربى، ويدين بدين الإسلام، أسس مركزا يحمل اسما مستمدا من التراث الإسلامى العربى، فالعلامة عبدالرحمن بن خلدون رمز هام جدا من رموز الحضارة الإسلامية العربية، تلك الحضارة التى ارتبط ظهورها بظهور الإسلام وسيادته على ربوع الأمة العربية والإسلامية كمنهج حياة، فلما بعدنا عن ديننا هُنا على الدنيا، واليوم تسعى فئة ضالة مضلة لخلعنا من ديننا لنصير عبيداً لدواب الأرض وهيهات أن ينجحوا.

عقد المركز «المشبوه» مؤتمرا حضره مندوبون عن جهات أجنبية مثل الولايات المتحدة وإسرائيل خُصص للهجوم على الأمة العربية، وعلى الإسلام كدين سماوى، ووجه دعوة صريحة لاحتلال الدول العربية من قبل قوات غازية على غرار ما حدث فى العراق المنكوب بغزاته المحتلين الغاصبين.

قال رئيس المركز «المشبوه»: «إن العراق نموذج فى التغيير نتطلع إلى تكراره».

هل يتطلع سيادته إلى رؤية قوات المارينز الأمريكية تتجول فى شوارع القاهرة، والإسكندرية، والإسماعيلية وأسوان وسوهاج؟!!.

هل يتطلع سيادته إلى رؤية المواطنين المصريين يُعذبون فى السجون والمعتقلات على غرار ما حدث فى معتقل أبو غريب؟!!.

هل يتطلع سيادته إلى يوم ينتهك فيه عرض المواطن المصرى، وتستباح أرضه وتنتهك حرماته؟!!

بالمناسبة، السيد اياد علاوى رئيس الحكومة العراقية المؤقتة قرر مؤخراً إعلان قانون السلامة الوطنية، وهو قانون يعطى رئيس الحكومة سلطات فرض القيود على حرية التحرك وإصدار أوامر باعتقال المشتبه فيهم وفتح البريد، والتنصت على المكالمات الهاتفية ومنع التجمعات السياسية وحظر المظاهرات والاجتماعات، ووصفت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية هذا القانون بأنه يحمل ملامح التوجهات الاستبدادية التى زعمت إدارة الرئيس الأمريكى جورج بوش أنها تعمل للقضاء عليها فى الشرق الأوسط!!

فهل هذه هى الديمقراطية التى يقولون إنها صارت نموذجا يحتذى به؟!

الاجتماع الأخير للمركز المشبوه ضم عددا من المتحدثين سخروا من الثوابت الدينية الإسلامية مثل عذاب القبر، وعذاب يوم القيامة وكأنهم لم يمُر بهم قول الحق تبارك وتعالى:

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ
﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي
يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ
﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

(الرحمن / ٤١: ٤٥)

سخروا واستهزأوا بـ «الجنة» التى وعد الله بها المتقين من عباده!! فقال أحدهم ساخرا من الفقهاء: «هؤلاء الفقهاء يرغبونا فى الجنة بأن فيها أنهارا من الخمر وكأننا جميعا سُكرية وخمورجية».

ونسى أن الفقهاء لم يعدوا المؤمنين بخمر الجنة، بل هو وعد من الله عز وجل:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾

(محمد / ١٥)

وهذا الوعد يخص فقط المتقين، ولا يخص السكرية والخمورجية أمثال المشبوه وأتباعه.

ولم ينس أحدهم ممن دأبوا على مهاجمة الأزهر الذى كان ولازال سداً منيعاً حائلاً دون ما يريدون من هدم لأركان عقيدة الأمة الإسلامية متصديا للمستهزئين بسيرة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، حيث انتهز هذا المأفون الفرصة مردداً بذاءات سخر فيها من الدين الإسلامى ومن كل متمسك بدينه الذى مر عليه ١٤٢٥ عاماً ولم يعد صالحا للعصر

الذى نحيا فيه؟ هكذا قال هو وضرباؤه غافلا عن قوله عز وجل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾

(آل عمران / ٤)

وفى النهاية دعا «كبيرهم» الشعوب العربية للضغط على حكوماتها للمطالبة بالإصلاح السياسى، ولتحقيق ذلك - كما يقول المشبوه - يجب الدعوة لاستخدام التظاهر والإضراب والعصيان المدنى..!! هكذا يدعو كبيرهم للفوضى ويحرض عليها.

وقال أيضا: إن مصر لن تكون مجتمعا نموذجيا فى المنطقة إلا إذا كان نظامها ديمقراطيا، ومجتمعها مفتوحا وشعبها حرا!! هكذا قال المشبوه فإذا أضفنا إلى ذلك أن «المشبوه» يحمل الجنسية الأمريكية، ويتقاضى لقاء عمالته وخيانته لأمته مليون دولار سنويا، لأدركنا بسهولة أن «المشبوه» وبتوجيه من جهات أجنبية يسعى إلى تجميع حثالة المجتمع من الأفاقين الذين يسميهم قادة رأى ودعاة حرية يشن من خلالهم حربا شعواء على عقيدة الأمة وثقافتها ومؤسساتها الدينية.

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[المنافقون: ٨]

أذكّر هذا «المشبوه» أن الجيش المصرى عندما اجتاح خط بارليف بالأمس القريب محطما نظرية «الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر» كان شعاره على لسان جنوده «الله أكبر».

رعى الله مصر الحرة الأبية المسلمة ورعى رئيسها وحفظه لشعبه سالما ليطهر أرض مصر الطيبة من الجرذان وأسراب الجراد.

أحمد تقى الدين

وإلى رسائل القراء

قطوف من البيان النبوى

من حفظ الله حفظه الله

ويوالينا القارئ عبد اللطيف سيد حسانين» واعظ عام بنى سويف بكلمة جديدة من قطوف البيان النبوى، فتحت عنوان: «من حفظ الله يحفظه» كانت هذه الكلمة التى قال فيها:

عن أبى العباس عبد الله بن العباس - رضى الله عنهما - قال: كنت خلف النبى - ﷺ - يوما فقال لى: «يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

المعنى:- لقد علمنا عبد الله بن العباس فى موقفه هذا مدى اعتنائه بطلب العلم وإقباله عليه وملازمته لرسول الله - ﷺ - ليتعلم منه أمور دينه ودنياه، وكأن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى موقفه التعليمى مع رسول الله - ﷺ - يبين لنا هدف المعلم للبشرية وكأنه يقول له: احفظ الله يا بن عباس تجده معك بالإحاطة والتأييد والإعانة حيثما كنت فتستأنس به وتستغنى به عن خلقه، يا بن عباس إذا سألت سؤالا فاسأله لله ولا تسأل أحدا غيره، لأنه لا قادر ولا متصل غيره فهو أحق أن يقصد، فقد أمر ربنا سبحانه الناس أن يدعوه ويتضرعوا إليه ووعدهم أن يستجيب لهم:

﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

[غافر: ٦٠]

فالدعاء هو العبادة:

﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾

[النساء: ٣٢]

واعلم يا بن عباس أنه ليس هناك قوة تستطيع أن تضرك أو تنفعك إلا بمشيئة الله التى قدرها أزلا فى لوحه المحفوظ.

ابن تيمية .. طفل لم ير مثله

ويتحفنا الأديب «فرج مجاهد عبد الوهاب» شربين - دقهلية بكلمة عن الإمام تقى الدين بن تيمية حيث قال فيها:

هو الإمام تقى الدين أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن مجد الدين أبى البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى الدمشقى شيخ الإسلام.

ولد فى مدينة حران فى سوريا سنة ٦٦٠هـ وهاجر مع والديه إلى دمشق عندما أغار التتار على المدينة وقد سكن فى قلبه وفى نفسه الإحساس بالقهر والمرارة، وزاد ذلك وهو يرى النساء والأطفال وهم يفرون أمام الزحف التتارى وبقى فى أذنيه عويل النساء وصرخات الأطفال، والكل يحمل ما يقدر عليه والقلوب ملأى بالرعب والخوف.

وعزم هذا الطفل الصغير على محاربة هذا الإحساس والعمل على عدم عودته.

كان أبوه مدرسا للفقه الحنبلى وشيخا كبيرا فى المذهب، فاستمع الإمام أحمد إلى دروس أبيه وذاق حلاوة العلم، فدخل الكُتاب وتعهده أبوه بالرعاية والمتابعة فحفظ من الآثار الكثير ثم اندفع فى دراسة علوم اللغة العربية وآدابها وحفظ الأشعار القديمة وفتح له والده خزانة الكتب التى ورثها عن أبيه وكانت تضم بجوار القرآن الكريم التفسير والحديث والسيرة والتصوف والتاريخ وعلوم الفقه والأحياء، والفلسفة والكلام والفلك.

وقد اشتهر الإمام تقى الدين بين أقرانه بالذكاء الخارق وقوة الحفظ حتى أن أحد العلماء الكبار سمع به فجاء إلى دمشق وجلس عند خياط وقال له: سمعت أن فى البلاد صبيا يقال له أحمد بن تيمية وقد جئت لأراه، فقال له الخياط هذا طريق عودته من المكتب وهو لم يعد إلى الآن فانتظر.

فمر صبيان فقال الخياط: هذا الذى معه اللوح الكبير هو أحمد. فناداه الشيخ فجاء إليه فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه ثم قال: يا ولدى امسح هذا حتى أملى عليك شيئا تكتبه ففعل فأملى عليه ثلاثة عشر حديثا من متون الأحاديث ثم قال له: اقرأ هذا. فتامله أحمد مرة بعد كتابته إياه. ثم رفعه إليه، وقال: اسمعه عليك فسمعه؛ فقال الشيخ: يا ولدى امسح هذا فمسحه، فأملى عليه عدة أسانيد اختارها ثم قال له: اقرأ هذا. ففعل كما فى المرة الأولى. فقام إليه الشيخ، وقبله وهو يقول: إن عاش هذا الصبى ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لم ير مثله.

قصة قصيرة

مؤمن

وتحت عنوان «مؤمن» كانت قصة قصيرة أرسلتها القارئة: «شيرين عبد الله رجيب» القاهرة - مدينة نصر:

كان «مؤمن» رجلا غنيا حزينا كئيبا لا يكاد يشعر بالسعادة، يعانى من المرض والأرق، جلس «مؤمن» ذات يوم على شاطئ النيل وهو يسمع صوت الكروان يصيح «الملك لك لك لك يا صاحب الملك» فنادى عليه وساله: أنا رجل غنى وكل أرض القرية ملكى ومع ذلك فأنا حزين ومريض ماذا أفعل لكى أصبح سعيدا؟

قال له الكروان: اذهب وادفع ما عليك من ديون واشتر بعضا من الصبر والرضا وامزجهما بماء طهور واشرب من هذا الدواء كل يوم وستصبح سعيدا ويصح بدنك - وطار الكروان بعيدا مرددا «الملك لك لك يا صاحب الملك» تعجب «مؤمن» من كلام الكروان وسأل نفسه ما هذه الديون التى يتكلم عنها الكروان، إنه غنى وليس عليه ديون لأحد ومن أين يشترى الصبر والرضا؟

وجاء اليوم التالى وهو ينتظر الكروان وعندما أقبل عليه ساله: أين يجد الصبر والرضا؟ وما هى الديون التى يتحدث عنها؟

أجابه الكروان: اذهب واسأل إمام المسجد. وطار فى السماء.

أسرع «مؤمن» إلى الإمام وجلس حزينا كئيبا فلما فرغ الإمام من صلاته ناداه وساله لماذا هو حزين؟

فقص عليه قصته مع الكروان فضحك الإمام وقال له: هل تريد أن تشترى صبرا ورضا؟

فقال له: نعم أيها الرجل الطيب.

فقال له: اذهب وتوضأ بالماء الطهور فإذا استطعت أن تستخدمه خمس مرات فى اليوم دللتك على الصبر والرضا...

ذهب «مؤمن» وتوضأ وصلى الفجر وراء الإمام ثم صلى باقى الفروض كل يوم حتى شعر بتحسن فى صحته واقترب النوم قليلا من فراشه، فذهب إلى إمام المسجد وساله عن الصبر والرضا قائلا: إذا كان الماء الطهور وحده سبب لى هذه الراحة فإنى أطمع فى المزيد!!

ضحك الإمام وقال له: نبدأ بالصبر ونؤخر الرضا، أما الصبر فلن أدلك عليه قبل شهر، فإذا لم تتحمل الماء الطهور فكيف تتحمل الصبر، وهو دواء أقوى، وإذا أهملت فى استخدامه فلن

أدلك على الصبر أبدا.

داوم «مؤمن» على استخدام الماء الطهور وشعر فى نهاية الشهر بتحسن كبير فى صحته وذهب إلى الإمام وقال له: إننى لم أنقطع مرة واحدة عن الصلاة فأين أجد الصبر؟

ضحك الإمام قائلا: اذهب واستلق فى فراشك وستجد الصبر إلى جوارك فى الصباح إن شاء الله.

أسرع «مؤمن» إلى بيته ولم يكد يسمع أذان الفجر حتى انتفض ونظر جانبه فلم يجد شيئا ولكنه لم يهتم وأسرع إلى الصلاة وهو فى طريقه إلى المسجد أدرك أنه وجد الصبر إلى جواره بل فى داخله هو نفسه وشعر بالصبر فى كل شىء فى الوضوء والصلاة.. فلم يتخل عن الصبر حتى إن ابنه مرض وماتت زوجته فاستسلم لقضاء الله صابرا على الشدائد.

وذهب إلى الإمام وسأله: أيها الإمام الطيب أين أجد الرضا؟

ضحك الإمام قائلا: اذهب وستجد الرضا إلى جوارك فى الصباح.

ذهب «مؤمن» ونام بعمق وما كاد يسمع أذان الفجر حتى قام ولم يجد شيئا إلى جواره ولكنه لم يهتم وذهب للصلاة وأدرك أين يجد الرضا فلقد وجده فى الامتثال لقضاء الله والرضا بما قسمه الله له، وبعد ذلك ذهب إلى الإمام وسأله: ما هى الديون التى عليه؟ إنه غنى وليس مدينا لأحد!!

فقال له الإمام: لا يا «مؤمن» إن المال ليس مالك وأنت مدين بكل ما تملك لله لأنك وكيل عنه فى هذه الأموال فأحسن الوكالة وأنفق المال فى الخير وأعط المساكين فإن الزكاة تطهر الأموال.

وأدرك «مؤمن» أن أمواله لن تنقص كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما نقص مال من صدقة» ودعا مؤمن» ربه مخلصا أن يديم عليه نعمتى الصبر والرضا..

وكما قال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

[البقرة: ١٨٦]

سياسة الاستعمار

ويبدى القارىء أحمد كامل من المنيا إعجابه بكتاب للدكتور جمال حمدان: «شخصية مصر» فيتخير منه فقرة رأى أنها تتفق مع ما تمر به الأمة العربية من أحداث جاء فيها:

كانت سياسة الاستعمار البريطانى التقليدية فى المنطقة هى اختلاق زعامات ملفقة مصطنعة ليدقوا إسفينا عميقا بين العرب ويخلقوا محاور متعارضة وأقطابا متنافرة تقطع غائرة فى الوحدة القومية وتتعامد عليها، وينبغى ألا تتحرج علميا فى مناقشة هذه المحاولات التى اعتمد الاستعمار فيها أحيانا على النواحى الدينية أو التاريخية وأحيانا أخرى على النواحى المادية المباشرة وكانت تلك المحاولات تتردد غالبا بين العراق والسعودية. [ص٢٣٧]

رسالة إلى أمريكا

للشاعر الواعد أحمد حمدى والى بمدرسة الهدى والنور بالمنصورة

أفيقى يا أمريكا أفيقى	ولا تلقى بجيشك فى طريقى
ولا يغررك أنا قد صبرنا	على مضض لتمزيق الصديق
وسارع فيكم أرباب جبن	وخان العهد من يدعى صديقى
وأغواكم بنهب ديار قومى	دعى جاد من بين الرقيق
فإنا للبطولة قد خلقنا	ونار الثأر تجرى فى العروق
أنا المظلوم رغم القهر آت	لأشعل فى جماجمكم حريقى
أقلبكم على جمر الليالى	وأطفىء فيكم غيظى وضيقى
وأحيى من موات الصمت أهلى	وأبعث من خلافتهم شروقى
أخلصهم من الإلحاد يطغى	وأهدى الطوق للشعب الغريق
أجرُّ رقابكم وأصون أرضى	ببتار أعيد به حقوقى
ومهما تمكروا فالحق باقٍ	وكيد الكافرين إلى زهوق

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصا من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

بين الصحف



المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

فى جريدة «الأهرام» الصادرة فى ٢٠٠٤/٦/٢٤ كتب الأستاذ مسعود الحناوى تحت عنوان «مبادرة بلير» فقال:

فجأة كشف تونى بلير رئيس الوزراء البريطانى عن مبادرة جديدة لبلاده لتحقيق السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين.. وقال إن بريطانيا تولت زمام المبادرة خلال اجتماعات قادة دول مجموعة الثمانى بولاية جورجيا الأمريكية، وأنه تحدث مطولا مع الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش، الذى وافقه على أهمية التركيز على هذا الموضوع.. خاصة أن الفترة المقبلة ستشهد انشغال الإدارة الأمريكية بشئون الانتخابات حتى شهر نوفمبر المقبل.

ولكن ما يجعلنا نشعر ببعض التفاؤل فى هذا الصدد هو أن إعلان بلير لمبادرته تزامن مع الجهود المخلصة والحثيثة التى تبذلها مصر حاليا، والتى تبلورت فى نشر تفاصيل الخطة المصرية لإحياء عملية السلام.. وجولة المفاوضات التى بدأها الوزير عمر سليمان فى رام الله والقدس وتل أبيب، لوضع اللمسات الأخيرة لدفع عملية السلام.

نتمنى أن تتلاحم كل هذه الجهود كى تخرج من المأزق المأساوى الذى تعيشه المنطقة ويدفع ثمنه إخواننا فى فلسطين دما وأرواحا وشهداء.. لنحقق بعد ذلك سلاما شاملا وعادلا لكل شعوب المنطقة.

وتحت عنوان: «شارون المسالم.. أكذوبة» كانت هذه الكلمة المنشورة بجريدة «الجمهورية» الصادرة فى ٢٠٠٤/٦/٢٨ وجاء فيها:

قدم شارون الدموى، لمن لايزال يحسن به الظن دليلا جديدا على أنه لا توبة لمن استمرأ العدوان، وخاض فى دماء الأبرياء وجعل من القتل والتدمير سياسة ثابتة يحاول بها تحقيق أهدافه غير المشروعة والمخالفة للقانون والأخلاق كما تعارف عليها سائر البشر.

وتثبت الجريمة التى اقترفها شارون الدموى فى نابلس بما لا يدع مجالا للشك، أن هذا السفاح لا يمكن أن يتحول إلى مسالم، لأن طبيعته العدوانية لابد أن تتغلب على الجهود المبذولة لإشراكه فى أى تسوية عادلة، مهما حملت هذه الجهود من مبادرات وإغراءات.

وليعلم شارون الدموى أن اغتيال كوادر المقاومة السبعة فى نابلس لن يضعف المقاومة الفلسطينية الباسلة، ويكفيه الاستماع إلى هتافات ٣٠ ألف فلسطينى شيعوا جنازة الشهداء تدعو للانتقام، وللاستمرار على طريق النضال.

إن شارون الدموى، وأمثاله من السفاحين، لن يقتلوا إرادة الحرية، مهما قتلوا من المناضلين ولن يرغموا الشعوب على الاستسلام، مهما حاصروها بالتحالفات الدنيئة.

وكتب جهاد الخازن فى جريدة «الحياة اللندنية» بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٢٦ تحت عنوان «عيون وآذان»

لو كانت الوقاحة جناية يعاقب عليها القانون لكان نائب وزير الدفاع الأمريكى بول وولفوفيتز يواجه السجن المؤبد فى ولايات أمريكية والإعدام فى ولايات أخرى لأنه قطعا أوقح أهل الأرض.

هذا الرجل الذى كان أول من دعا إلى الحرب على العراق زعم أن العراق يتعاون مع القاعدة على رغم استحالة تعاون صدام حسين وأسامة بن لادن وجاء التقرير الرسمى الأمريكى هذا الشهر ليؤكد عدم وجود علاقة، وسأل المشترعون الأمريكيون وولفوفيتز عن ثبوت عدم وجود علاقة فرد حرفيا «لا احتاج إلى دليل على أن صدام حسين تعاون مع القاعدة هذا يبدو فى مثل إذا ربى رجل روتوايلد «كلابا شرسة» وترك الباب مفتوحا من دون أن يقول للكلاب من تهاجم، فهو ليس عملياتيا على علاقة بذلك الشىء».

هل هذا كلام مسئول يحترم مستمعيه، إذا لم يكن يحترم نفسه.

الكلاب الشرسة الوحيدة التى أعرفها، ونوع روتوايلد من الكلاب أفضل منها هى كلاب إسرائيل فى الإدارة الأمريكية، فهم خططوا للحرب على العراق خدمة لإسرائيل، ولا شىء سيقنعنى بغير ذلك مع ترحيبى بسقوط صدام حسين.

مرة أخرى سأمضى مع نص كلمته وأعلق على أقواله بما تسمح المساحة المتاحة لهذه الزاوية.

هو بدأ بالحديث عن تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة التى ستحقق لملايين العراقيين حلم دولة ذات سيادة مع حكومة تمثيلية، تحمى حقوقهم وتلبى حاجاتهم.

أقول إن الدولة ذات السيادة ستظل حلما حتى تنسحب القوات الأمريكية، وأن تشكيل الحكومة المؤقتة نفسه كان هروبا أمريكيا، بسبب انهيار الوضع الأمنى وخسائر الأمريكيين بعد «نهاية الحرب» التى زادت كثيرا على خسائرهم حتى سقوط صدام.

وولفوفيتز يقول إن تشكيل الحكومة المؤقتة ذروة شراكة استمرت سنة بين شعب العراق وقوات التحالف العاملة فى العراق.

أقول لا شراكة بين الشعب العراقى وقوات الاحتلال، بل مواجهة ساخنة، وأزيد أنه لا يوجد تحالف دولى من أى نوع، بل تواطؤ بريطانى مع الولايات المتحدة أما التحالف المزعوم فهو «تحالف المرتشين» ويضم دولا بحاجة إلى شىء من إدارة بوش، أو قادة صغارا بحاجة إلى دعم محلى من هذه الإدارة.

يضيف نائب وزير الدفاع أنه عاد الأسبوع الماضى بعد أربعة أيام ونصف يوم فى العراق، زار

خلالها الشمال والوسط والغرب والجنوب، والفرق الأمريكية الخمس وقادة الشبان الأمريكيون الشجعان و«ذهل» من «قفزات التقدم» الذى حققوه.

أهنىء وولفوفيتز لأنه لم يتعرض لصاروخ فى فندقه هذه المرة وتعليقى أن هناك أكثر من ٦٠٠ شاب أمريكى شجاع لم يرهم لأنه مسئول مع بقية المحافظين الجدد عن قتلهم فى العراق. وهناك ضحايا كل يوم أكثرهم من العراقيين أحمله أيضاً المسئولية عنهم. أما العمل الهائل والقفزات المذهلة فهى نحو المجهول، بعد أن فتح الأمريكيون العراق أمام كل الإرهابيين فى العالم، وبالتأكيد أمام كل من له قضية ضد الولايات المتحدة ويبحث عن أرض يواجهها فيها.

ويزيد وولفوفيتز أنهم (أى الجنود الأمريكيين الشبان الشجعان) جعلوا الولايات المتحدة والعالم أكثر أمنا بمساعدة العراقيين على زرع بذور حكومة مسالمة تمثيلية فى قلب الشرق الأوسط..».

أقول بأوضح عبارة ممكنة وبإصرار: إن هذا غير صحيح، فالإرهاب زاد منذ الحرب الأمريكية عليه، فى العالم كله، وفى العراق تحديداً، والعراق لن ينعم بحكومة تمثل شعبه قبل أن تنسحب قوات الاحتلال منه.

وشكر وولفوفيتز بعد ذلك الكونجرس وأعضاء اللجنة لتخصيص ٢٥ بليون دولار إضافية فى الموازنة لإكمال المهمة فى العراق وأفغانستان. وهذا يؤكد التزام أمريكا «بمواصلة الكفاح ضد الطغيان والبربرية حتى النهاية».

أراه يؤكد النية، نية المحافظين الجدد، على متابعة سياسة إمبريالية جديدة، تحت غطاء مكافحة الإرهاب، فى حرب زادت منه، لتوفير عذر للتوجه العسكرى حول الإدارة يغطى كل مخططات الهيمنة.

وفى جريدة «الأخبار» الصادرة بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣٠ كتب الأستاذ عماد عمر كلمة تحت عنوان «تركة ملغومة» قال فيها:

العراق أصبح حرا.. مفاجأة تريد إدارة بوش الآن أن يصدقها العالم والناخبون الأمريكيون كأنها أكملت مهمتها فى العراق. لكن الحقيقة أن المهمة الوحيدة التى أكملتها إدارة بوش هى الإطاحة بنظام صدام حسين ولم يتحقق بعد ذلك على مدى ١٤ شهرا من الاحتلال سوى التمزق للشعب العراقى لدرجة جعلت بعض مساعدى بوش أنفسهم يشكون فى فرص نجاح العلاج.

وما فعلته إدارة بوش فى حقيقة الأمر هو محاولة للانسحاب من الصورة وإخراج قضية العراق قدر الإمكان من حملة انتخابات الرئاسة الأمريكية مع تزايد اقتناع الأمريكيين بخطأ قرار الحرب فى ظل الخسائر المتزايدة بشريا واقتصاديا فضلا عن اعتراف وزارة الخارجية الأمريكية نفسها بأن حوادث الإرهاب زادت خلال العام الذى شهد حرب العراق رغم أن هذا التقرير يستثنى خسائر هجمات المقاومة العراقية والتى تعتبرها واشنطن إرهابا.

ويصعب أن يرى العالم الصورة كما تراها أمريكا بينما تنشر فى كل ضاحية فى بغداد مشاهد الدمار وينتشر فى أرجاء العراق ١٦٠ ألف جندى أجنبى يمثلون ألغاما فى طريق الحكومة العراقية الجديدة.

وقد ورثت الحكومة تركة ثقيلة ملغومة بداية من مشاكل توفير أبسط مقومات الحياة لرجل الشارع حتى تحدى القضاء على العنف واحتواء الخلافات المذهبية والطائفية بين فئات الشعب. وفى ظل افتقاد الحكومة شرعية الانتخابات فمن الممكن أن تنفجر التركة الملغومة فى أى وقت.

إن تسليم السلطة فى العراق لا يعنى إكمال مهمة بقدر ما هى مجرد فرصة لبداية جديدة سواء للعراق أو للرئيس الأمريكى.



للأستاذ

محمد الشرقاوى

حتى مقابر المسلمين لم تنج من التخريب

تعرضت مقابر المسلمين فى مدينة «مرسيليا» الفرنسية للتخريب من قبل مجموعات متطرفة يرجح أن تكون منتمية إلى النازيين الجدد.

وقام المتطرفون بتحطيم شواهد عدد من القبور ورسموا الصليب المعقوف «شعار النازيين» على ممرات المقابر!

وقد أبلغ المسلمون فى المنطقة السلطات الفرنسية لملاحقة الجناة ووقف الأعمال العدائية ضد المسلمين الذين يبلغ عددهم نحو خمسة ملايين مواطن من بين سكان البلاد وأصدر «جان كلود جودين» رئيس بلدية «مرسيليا» بيانا عَبَّر فيه عن أسفه لما حدث، وقال إنه يأمل أن تؤدى تحقيقات الشرطة إلى التعرف على المسئولين عن هذه الأعمال المخزية والهمجية ومعاقبتهم بشدة.

افتتاح أول محطة تليفزيونية إسلامية بأمريكا

يبدأ الشهر القادم الإرسال التليفزيونى الأول لمحطة إسلامية تبث من «منهاتن» بنيويورك.

وسوف تتوجه برسالتها إلى نحو «عشرة ملايين» مسلم فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، كما تخاطب غير المسلمين لتصحيح الصورة المغلوطة عن الإسلام وهى تستهدف الجيلين الثانى والثالث من المهاجرين المسلمين ومعتنقى الإسلامى حديثاً

وستعتمد المحطة فى خطابها للغرب على مفاهيمه الثقافية لتفهم الفكر الإسلامى وثقافته، وقال المدير التنفيذى للمحطة إن القناة التى ستبث باللغة الإنجليزية ستقدم برامج إخبارية ووثائقية ودينية واجتماعية عن حياة المسلمين، وستعمل

على توضيح وجهة نظر المسلمين للرأى العام الأمريكى كما ستلقى الضوء على إسهامات المسلمين بأمريكا خاصة فى مجالات العلوم والفنون والآداب والمال والأعمال.

فى هولندا التضييق على المدارس الإسلامية

فرضت الحكومة الهولندية عدة قرارات جديدة على المدارس الإسلامية للتضييق عليها خاصة تلك المدارس حديثة الإنشاء. وتضمنت القرارات قصر إدارة المدارس الإسلامية علي الهولنديين وأن يكون أعضاء مجلس إدارة المؤسسة التى ترغب فى إنشاء أية مدرسة إسلامية من الهولنديين، وأن يتم تدريس مواد الدين الإسلامى انطلاقاً من الفكر الهولندى وإلزام المدارس الإسلامية بتدريس الثقافة والعادات والتقاليد الهولندية إضافة إلى القيام بحملات تفتيش مفاجئة على المدارس الإسلامية من قبل السلطات الهولندية مع اشتراط عدم قبول التلاميذ بهذه المدارس إلا بنسبة ٨٠٪ من قدرتها الاستيعابية.

ومن جانبها أكدت المؤسسات التعليمية الإسلامية أنها لا تعارض أن يشارك فى إدارتها هولنديون ولكن بنسب معينة.

فيما أبدت اعتراضها على بقية الإجراءات، مطالبة بفتح حوار مع الحكومة الهولندية قبل البدء فى تنفيذ هذه الإجراءات.

مهاجمة مركز إسلامى فى فلوريدا

أفاد مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية «كير» قيام بعض الأمريكيين بهجوم على مركز إسلامى فى مدينة «تامبا» بولاية فلوريدا الأمريكية، وهشموا خلاله بعض نوافذه وكما ذكر المجلس فقد كتب المعتدون علي جدرانه عبارة «القتل لكل المسلمين» كما أن الاعتداء استهدف المركز التعليمى للجالية فى منطقة .. لوتز - بتامبا مما تسبب فى إحداث حالة من الذعر لدى المترددين على المركز.

جدير بالذكر أن هذه ليست الحادثة الأولى من نوعها حيث تعرضت العديد من المراكز الإسلامية على امتداد الولايات المتحدة الأمريكية لاعتداء، من هذه الحوادث تعرض مسجد بولاية تكساس الأمريكية لاعتداء عنصرى قام خلاله المعتدون بطلاء المسجد التابع للمركز الإسلامى بمدينة «لوبوك» بعبارات مسيئة ضد المسلمين والعرب مثل: «عبيد الرمال» كما قاموا بتحطيم بعض النوافذ وبنزع وتمزيق بعض محتويات المسجد ويشير «إبراهيم هويد» المتحدث باسم كير إلى حادثة أخرى تعرض فيها مسجد بمدينة «هيوستن» بولاية تكساس لحريق متعمد خلال شهر فبراير الماضى. ويعتقد «هويد» أن خطاب بعض القيادات السياسية والدينية المعادى للإسلام هو أحد العوامل التى تدفع بالمعادين للإسلام إلى التصرف بناءً على رؤاهم المتحيزة.

إصدارات مجمع البحوث الإسلامية

قامت الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية بإصدار الجزء الأول من كتاب (التحفة النقية فى الفتاوى الفقهية) لفضيلة الأستاذ الدكتور محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف. وصرح الأستاذ فؤاد الشريف مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات بأن الإدارة ستوالى إصدار الأجزاء الأخرى من الكتاب تباعاً إن شاء الله تعالى حتى تعم الفائدة المرجوة من الكتاب.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الرئيس اليمنى علي عبدالله صالح يستقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

توجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إلى دولة اليمن الشقيق لحضور مؤتمر (الإرشاد) الذى عقدته وزارة الأوقاف والإرشاد فى صنعاء تحت رعاية فخامة الرئيس على عبدالله صالح رئيس جمهورية اليمن وذلك بدعوة موجهة من السيد عبدالقادر عبدالرحمن باجمال رئيس الوزراء اليمنى وقد شارك فضيلته فى أعمال المؤتمر ببحث بعنوان (الخطاب الدينى وكيف يكون؟) ودارت محاور موضوعات المؤتمر حول منهجية الخطاب الدعوى وآفاقه ـ ووحدة الأمة ودور الخطاب الدعوى فى مواجهة التحديات، ودور الاجتهاد فى تجديد التشريع ـ ومنهجية الوسطية فى الخطاب الدعوى، والمؤسسات الإرشادية، بين الواقع والطموح.

وقد أكد فضيلته على ضرورة أن يقوم الخطاب الدينى على أسس الترغيب والترهيب والالتزام بالمنهج القويم وأن يتسم بالاعتدال والوسطية لأن شريعة الإسلام قامت على ذلك، وأن يكون مستمداً من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وأن يشتمل على آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بما فيها من أحكام جلية وآداب رفيعة يؤدى الالتزام بها إلى السعادة فى الدنيا والآخرة، وأن يكون مواكباً للأحداث الجارية، ومتأثراً بها ومؤيداً لما هو حق منها، وأن يتسم بالصدق مع النفس ومع الخالق ومع الناس وأن يقوم على أساس حقائق ثابتة وليس على الخرافات حتى يقبله العقلاء ويكون له أثره النافع. وأوضح فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر بمشاركة واسعة من الدول والمنظمات الإسلامية، أن شريعة الإسلام شريعة العدل والرحمة حتى مع العدو. ولذلك فالإسلام برئ من تشويه الأجساد وقتل الأبرياء، وطالب المسلمين بالالتزام بآداب

الحروب وأن يدافعوا عن الحق والدين والشرف بأسلوب يتم عن فهم سليم للشريعة الإسلامية .

وقد استقبل الرئيس اليمنى على عبدالله صالح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وأشاد بدور الأزهر الشريف فى خدمة الإسلام وبمنهجه الوسطى المعتدل .

مجمع البحوث يعد دراسة لمضمون الاتفاقية الدولية للقضاء على التمييز ضد المرأة

ناقش مجلس مجمع البحوث الاسلامية برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إعداد دراسة مستفيضة لمضمون الاتفاقية الدولية للقضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة ، الموقعة فى عام ١٩٨٠ والمصدق عليها فى نفس العام ، والتحفظات التى أبديت على بعض مواد هذه الاتفاقية ، قرر المجلس الإبقاء على كل ما ورد بقرار السيد رئيس الجمهورية رقم ٤٣٤ لسنة ١٩٨١ من تحفظات على الاتفاقية الدولية للقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة ، حيث أرسل المجلس القومى للمرأة هذه الدراسة لأخذ رأى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فيها من الناحية الدينية .

الإمام الأكبر يستقبل سفير مصر فى أذربيجان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / يوسف الشرقاوى سفير مصر الجديد فى أذربيجان وذلك بمناسبة توليه العمل كسفير لمصر فى دولة أذربيجان حيث رحب فضيلته بسيادته متمنيا له التوفيق فى عمله الجديد ، وقدم فضيلته شرحاً مبسطاً لدور الأزهر التعليمى لأبناء المسلمين فى مصر وفى خارج مصر مؤكدا على أن الأزهر الشريف يستقبل أبناء المسلمين من دول العالم المختلفة لتلقى علوم الدين الإسلامى وذلك على منح من الأزهر الشريف ، كما أن الأزهر يرسل العلماء والمدرسين لكثير من دول العالم لتعليم أبناء المسلمين وشرح تعاليم الإسلام السمحة وقد شكر سعادة السفير فضيلته على سعة صدره والشرح الوافى لدور الأزهر الشريف فى العالم الإسلامى ، وقد أوصاه فضيلته بعد سفره أن يتم اختيار الطلاب الذين يحضرون للتعلم بمصر بعناية فائقة حتى يتم الاستفادة من حضورهم .

كما التقى فضيلة وكيل الأزهر الشريف الدكتور محمود إمبابى بالسيد السفير ودار الحديث حول البروتوكولات التى تتبع فى شأن التعاون العلمى بين الأزهر الشريف والدول التى تريد مثل هذا التعاون وكيفية تطبيق مناهج الأزهر الشريف فى تلك الدول .

ومن جانبه أبدى السفير رغبته فى أنه بعد سفره سيسعى فى إنشاء معهد أزهرى فى أذربيجان على غرار معاهد الأزهر الشريف ويطبق فيه مناهج وكتب الأزهر الشريف طبقا للاتفاقيات المنظمة لذلك .

الإمـــام الأكبـــر:

الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى تقديم العون والمساعدة لأبناء المسلمين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / عبدالرحمن صلاح نائب مساعد وزير الخارجية لشئون أمريكا الشمالية وتناول الحديث تفعيل دور الأزهر الشريف لدى المجتمع المسلم والمراكز والجمعيات الإسلامية فى أمريكا الشمالية وسان فرنسيسكو فى مجال التعلم والمنح الدراسية ، من خلال البروتوكولات الثقافية المنظمة لذلك ، كذا إيفاد العلماء المتخصصين من الأزهر الشريف الذين يجيدون اللغة الإنجليزية لتوضيح صورة الإسلام ، كذا إرسال الكتب الدينية التى توضح صحيح الإسلام ، وقد أبدى الضيف رغبة فى أن يقوم فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بجولة فى أمريكا الشمالية لتفقد الجاليات الاسلامية وعقد اللقاءات والمحاضرات ، وقال إنه سيتم التنسيق لتلك الزيارة بالطرق الدبلوماسية من الجهات المعنية وعن طريق السفارة المصرية فى أمريكا .

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة لأبناء المسلمين أى فى مكان من العالم وإنه على استعداد لتلبية أية طلبات من خلال القنوات الدبلوماسية وعلى استعداد لتلبية الدعوة فى الوقت المناسب .

العراق يطلب من الأزهر استقبال أبنائه للدراسة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الشيخ جمال عبد الكريم الدبان نائب الأمين العام للجنة الفتوى لأهل السنة بالعراق والسادة أعضاء أمانة لجنة الفتوى ، داعيا لهم بدوام السداد والتوفيق ، وأن يرزق الله الأمة الإسلامية وعلى رأسها العراق نعمة السلام والأمان والرخاء ، موضحا بأن مثل هذه اللقاءات تزيد من المحبة والإخاء الإنسانى ، وقال : إننا كمسلمين مطالبون بتوضيح المسائل التى تتعلق بالأصول الفقهية ، وهذه لا خلاف عليها ، كما أننا مطالبون بأن نحترم أصحاب رسول الله ﷺ وأن ندافع عنهم ونتصدى لكل من يسىء إليهم بأى لون من ألوان الإساءة ، والأزهر الشريف شقيق لأهل العراق ، وعلى استعداد لامدادكم بالكتب ، والأزهر الشريف لا يكتم العلم بل ينشره للناس جميعا ولا يتأخر عن تقديم العون والمساعدة للمسلمين فى أى مكان ، ومن جانبه شكر رئيس الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على مواقفه الإيجابية تجاه قضايا المسلمين فى كل مكان وطلب أن يستقبل الأزهر الشريف أبناء العراق للدراسة به وطلب منهج الأزهر والكتب الدراسية ، وقد وعد فضيلته بتلبية طلباتهم .

سفير البوسنة يطلب توقيع بروتوكول علمى مع الأزهر

كما استقبل فضيلته سعادة السفير محمد نصرت سفير مصر فى سرايفو حيث دار الحديث حول معادلة شهادات طلبة سرايفو مع الأزهر الشريف لدخول الطلاب جامعة الأزهر الشريف، كذا توقيع بروتوكول علمي وثقافي بين البوسنة والأزهر الشريف، وقد أوضح السفير بأن مسلمي البوسنة والمشيخة الاسلامية تكن للأزهر الشريف كل تقدير واحترام لوسطيته واعتداله فى مناهجه ودراسته، وقد أكد الدكتور محمود إمبابي وكيل الأزهر الشريف أن الأزهر يستقبل أبناء المسلمين من أكثر من مائة دولة من دول العالم وأنه يقف إلى جانب أبناء المسلمين ويستقبلهم لتلقى العلوم الشرعية والدينية، وقال: ستذلل أية عقبة وستوفر المنح الدراسية لأبناء البوسنة.

وفى نهاية اللقاء شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل النائب الأول لرئيس المحكمة العليا بأفغانستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد المستشار قضاوات يوه فضل أحمد معنوى النائب الأول لرئيس المحكمة العليا بأفغانستان يرافقه المستشار مدحت بسيونى نائب رئيس محكمة العدل بوزارة العدل فى مصر، رحب فضيلته بالضيف فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بالتعاون بين البلدين فى مجال التعليم وقال: إن الأزهر الشريف يستقبل أبناء افغانستان للدراسة بالأزهر الشريف ويعودون لبلادهم لنقل ما تعلموه من سماحة واعتدال لأبناء بلادهم، كما أن الأزهر الشريف على استعداد لتقديم المنح الدراسية والكتب الدينية والمناهج الدراسية وعلى استعداد لكل تعاون مع دولة افغانستان الشقيقة.

ومن جانبه شكر سعادة المستشار فضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال مؤكدا بأنه جاء ليشرف بتلك المقابلة وليقدم شكره للأزهر الشريف ولشيخه الجليل، مشيدا بحضور الأزهر الشريف ومكانته العالمية مؤكدا على أن انتشار العلوم الدينية مرهون بعلماء الأزهر الشريف، ونحن نعتبر أن تقدم الأزهر ليس تقدما لمصر وحدها وإنما هو تقدم للعالم الإسلامى كله.

الإمام الأكبر يستقبل مستشار رئيس جمهورية بوركينا فاسو

كما استقبل فضيلته الدكتور / أبوبكر دكورى مستشار رئيس الجمهورية للشئون الإسلامية ببوركينا فاسو والسيدة / برنادت إدرابو الملحق الثقافى بالسفارة بالقاهرة، وقال الضيف إن زيارته للأزهر الشريف تأتى من منطلق العرفان للأزهر لما يقدمه لأبناء بوركينا

فاسو، من عون ومساعدة ومنح دراسية وعلماء يعملون بالمراكز الإسلامية وبالمعاهد الدينية، وقال: إن نسبة المسلمين ٥٥٪ من عدد السكان البالغ عددهم ١٢ مليون نسمة مؤكداً على أنهم يضاعفون جهودهم لنشر اللغة العربية حتى يفهم المسلمون. دينهم الإسلامى فهماً صحيحاً وسليماً.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الأزهر الشريف دائماً فى خدمة المسلمين ويقدم كل عون ومساعدة، ويوجد ٢٢٦ طالباً من أبناء بوركينا فاسو يدرسون بالمراحل التعليمية المختلفة فى الأزهر وجامعته العريقة. وقال: إن العلاقات بين البلدين تسير فى طريقها الصحيح وتزداد عمقاً يوماً بعد يوم فى مختلف المجالات.

الإمام الأكبر يستقبل السفير الأمريكي بالقاهرة

كما استقبل فضيلته السفير الأمريكى بالقاهرة ديفيد ولش حيث رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف مشيراً إلى أن الاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون الصادق الواضح، وواجبنا كرجال دين أن نقول كلمة الحق، والأديان السماوية تأمرنا بهذا والعقول الإنسانية السليمة تحتم علينا ذلك، نحن نحارب العدوان على الآمنين ليس اليوم ولكن من عشرات السنين، وكل دولة فيها العقلاء وفيها غير العقلاء، وكل ما نرجوه أن يزيد عدد العقلاء، وفيما يختص بتسليم السلطة للعراقيين أوضح فضيلته أن تسليم السلطة فى ٣٠ / ٦ أمر طيب لتولى الحكومة العراقية حكم العراق، وتتولى شئون البلاد وتسير أمورها وقد أيد السيد السفير هذا الرأى مشيرا إلى أن الحكومة الأمريكية جادة فى تسليم السلطة للحكومة العراقية ورئيسها الجديد، وبالنسبة لفلسطين قال السفير إن الولايات المتحدة الأمريكية مطمئنة لوجود مصر فى عملية استرجاع الأمن الفلسطينى ليس فى غزة فقط ولكن الأمن بصفة عامة وهذه أول خطوة نحو عودة المفاوضات مرة أخرى، والولايات المتحدة الأمريكية لا تحبذ الحلول العسكرية وتريد أن يكون الانسحاب من غزة بداية للانسحاب من جميع المناطق المحتلة، وهذا لن يتم إلا عن طريق جهد مكثف خاصة من مصر.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أن مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك تبذل قصارى جهدها فى هذا المجال.

وأكد السيد السفير أن أمريكا تؤيد هذا الجهد، والهدف المنشود أكبر بكثير من غزة ألا وهو

طريق المفاوضات لإعطاء الأمل فى السلام.

وأكد فضيلة شيخ الأزهر الشريف بأننا نؤيد كل ما يعود على إخواننا فى فلسطين من هدوء وأمان وحصولهم على حقوقهم المشروعة حتى تقوم لهم دولتهم المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، لأن الفلسطينيين الآن فى وضع مؤلم اقتصادياً ونفسياً وفى كل الجوانب.

الإمام الأكبر يرأس اجتماع المجلس الأعلي للآباء والمعلمين بالأزهر

رأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين وبحضور السادة أصحاب الفضيلة رؤساء المناطق الأزهرية بالجمهورية حيث تم مناقشة خطط الأنشطة والخدمات الطلابية للمجلس الأعلى للآباء والمعلمين للعام المالى ٢٠٠٤-٢٠٠٥ فى مجال المسابقات والاحتفالات والمؤتمرات وبلغت قيمتها ٣٠٠ ثلاثمائة ألف جنيه، وقد أثنى فضيلته على مجهودات السادة رؤساء المناطق والعاملين معهم لنجاح أعمال الامتحانات هذا العام مؤكدا على ضرورة إشراف رؤساء المناطق بأنفسهم على مراكز التصحيح وتوفير الأمن والأمان لها.

وبخصوص القبول بالمعاهد الأزهرية يطبق ما كان متبعاً فى العام الماضى، وبالنسبة لتحويل الطلاب من الأزهر إلى التربية والتعليم والعكس فيكون طبقاً للضوابط المقررة فى هذا الشأن.

حضر الاجتماع فضيلة الدكتور محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر الديب رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة وكلاء القطاع ورئيس الإدارة المركزية للامتحانات بالأزهر الشريف.

اعتماد نتيجة الشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الابتدائية الأزهرية للعام الدراسى ١٤٢٤ / ١٤٢٥هـ ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤م على مستوى الجمهورية بنوعيها مبصر وكفيف وكانت نسبة النجاح ٦٦,٥٢٪.

كما اعتمد فضيلته نتيجة امتحان الدور الأول للشهادة الإعدادية الأزهرية على مستوى الجمهورية بنوعيها مبصر وكفيف وكانت نسبة النجاح ٦١,١١٪.

واعتمد فضيلته أيضاً نتيجة امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية بقسميها العلمى والأدبى على مستوى الجمهورية وكانت نسبة النجاح ٥٣,٤٪.

such people, such as language, literature, manners, inclination and religion; many famous men are said to be Arabs, French and Turkish while, in fact, they descend from different origins. This is because such men have become a part of the people among whom they live; they speak in the same tongue, think with the same mind and feel with the same heart.

Hence, on what bases do those individuals argue? However, if they search into themselves about the source of thought, feelings and inspiration, they will see the Arab soul shining as a religion in their hearts, a literature in their blood, a language on their tongues, and a dignity in their feelings. We do not want to enter into ceaseless argumentation with them, as arguing with them will not bring about any fruitages.

Those individuals should always realize that the soul blown into the mummy of Pharaoh is an extension of the soul of `Amr Ibnul-`As[1], and that the melodies of the Nile are played on the lyre of Imru'ul Qays[2]. Moreover, they have to realize that the moral heritage of the Arabs still nurtures minds and feeds the whole world. Such a heritage should be the cause of feeling pride, as it is more viable and beneficial for people than gold and monuments.

We should bear in our minds that nations excel each other with what each has introduced to humanity of good. Moreover, deeds differ according to what they render of benefits. In addition, we have to realize that our modern culture has been based on Islam in its soul, and foreign and Arab literature in its literature, and pure European minds in its science.

---

[1] The great Arab Muslim leader who was granted victory to Egypt.
[2] The greatest Arab poet at the pre-Islamic times.

Stating such facts in the Islamic Creed represents the foundation on which a human cultural model (i.e., Islam) has been established.

The Islamic Culture as a Model:

Islam emerged from the Arab Peninsula as a new source of guidance, reformation and light. That cultural source overflowed until it became like a vehement sea full of vigor and life. Before the end of one century after the death of Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), Islam extended from the Atlantic Ocean (West) to China (East) and from Khuwarizm Sea (North) to the origins of the River Nile (South); these were the inhabited area at that time.

The Muslim Arabs were the first to possess vast knowledge about seas and oceans; that is, the Islamic trading fleet was traveling periodically across the Atlantic Ocean from Spain Coast in the North to the Indian Ocean. Their merchandise reached Korea, Japan and Philippines. Moreover, their trade reached, by land, the lands of North Africa and the Iberian Peninsula.

Furthermore, the early Muslims knew about diving, so they extracted jewels and practiced mining searching for the treasures of the land. In addition, they holed canals and built roads, dams and bridges. They also developed the systems of agriculture and irrigation, art of construction, navigation, pasturing, maps as well as their prominent achievements in the basic and applied sciences.

These are but some of the features of the original picture of the Islamic cultural model, which is unique in both its spiritual and material aspects. The fair amongst the historians and orientalists have testified to this. One of them said, "Muslims have raised the flag of wisdom exhorted by the Qur'an. They served science and knowledge, revived the sciences of the predecessors, taught philosophy, medicine, astronomy and construction in its matchless form. That enabled us, the westerners, to realize such a scientific renaissance. Hence, we should not stop mourning whenever we remember the day on which Granada fell."

*Pharaohs or Arabs

By: The Honourable *Ustaz* Ahmad Hassan Az-Zayat

Almighty Allah says:

﴿And indeed the warnings already came (also) to the household of Fir`awn; they cried lies to Our signs, all of them; so We took them (away) with the taking of an Ever-Mighty, Supreme-Determiner.﴾ **[Al-Qamar (The Moon): 41-42]**

May Allah forgive those individual journalists causing storms without wind and launching wars without soldiers! They have raised a question: "Are we Pharaohs or Arabs?" Yes, they said so and introduced many arguments as if they were gods disposing the affairs of souls and desires; they would say, "Be Pharaohs, and they are!" or "Be Arabs, and they are!" Two or three of those affirming the idea that we are the descendants of the Pharaohs have become well known, so they were able to publish their views and arguments, and support them with discussions.

Our brothers in Iraq and Ash-Sham (Levant; Syria, Jordan, Lebanon and Palestine) have thought that it is no kidding matter and that the idea is, in fact, a creed, that three men represent the nation, and that Egypt has taken minarets of mosques as obelisks, mosques and churches as temples, and scientists as clergymen.

Wait my people, do not give predominance of arguments over the truth. Origins and descents are vulnerable to time and nature; they change over centuries and environments to the degree that distinguishing between them becomes beyond science and knowledge. For example, if we say that so-and-so is an Arab, a French or a Turkish, we only refer to the cultural and social characteristics of such people, such as language, literature, manners,

*An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

*The Islamic Culture as a Model

By: Dr. Ahmad Fuad Pasha

The Messenger and the Message:

Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was born in the tribe of Quraysh at Mecca in the Year of the Elephant[1]. He was born to poor parents, and he grew as an orphan, as his father `Abdullah Ibn `Abdul-Mutalib died before his birth, and his mother, Amnah Bint Wahb, died while he was six years old. His grandfather, `Abdul-Mutalib, took care of him, and then his uncle, Abu Talib, received him under his guardianship. Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) worked as a shepherd and he traveled with the trading caravans. His honesty and good manners spread among people. Lady Khadijah Bint Khuwailid was very pleased to take him as a husband while he was twenty-five years old and she was forty years old widow.

Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) used to go to the Cave of Hira' to isolate himself for the aim of worshipping Allah, as he was following the religion of Ibrahim (Abraham), for many of the Arabs would follow that religion after they had realized the degradation of paganism, and abstained from embracing Judaism or Christianity. Allah has made mention of this in the Noble Qur'an as He says:

﴿Ibrahim was in no way a Jew, neither a Nazarene; but he was an unswervingly (upright) Muslim; and he was in no way one of the associators.﴾ [Al-Imran (The Household of Imran): 67]

When Muhammad reached his forty, the Revelation (Gabriel) was sent down to him while he was observing worship at the Cave of Hira'. The Revelation gave him glad tidings that he would be the Messenger of Allah to people to take them out of darkness into light, call them to abandon paganism and superstitions, guide them to worshipping Allah Alone associating

* An Article Published (In Arabic) At Al-Azhar Magazine.

[1] The Year of the Elephant is the year in which the Abyssinian ruler, Abraha, attacked the Kaaba; however, he and his people failed to destroy it, as Allah sent against them flights of birds striking them with stones of baked clay, then Allah made them like an empty field of stalks and straw.

no one with Him, make them believe in Allah, His Angels, Books, Messengers, and the Last Day, and reform the human community and enhance it up to the level of an honorable life.

The cultural message of Islam, according to the first verses revealed of the Qur'an, demands us to believe in monotheism as the starting point toward the sound thought and righteous deed. Allah, Exalted be He, says:

﴿Read: In the Name of your Lord Who created, created man from clots. Read: And your Lord is The Most Honorable; Who taught by the pen, He taught man what he did not know.﴾

[Al-`Alaq (The Clot): 1-5]

This is a clear statement that the sound belief in this true religion of Islam must be based on reason, knowledge and thought. That is, man, out of his nature, is not convinced of what is conveyed to him through his senses or received through his feelings; rather, he applies his mind to everything and exerts his efforts to realize the reality of such matters. When calling people to believe in the Oneness of Allah and liberating minds and hearts of polytheism, Islam, in fact, is giving back humanity to man so as to become a successor in the earth and realize the might of Allah through contemplation and research in the creation and universe so that his certitude and faith become stronger, and thus become more adherent to the teachings and principles of Islam.

Allah identifies the content of the Divine Message revealed to Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) in His saying:

﴿O you Population of the Book, Our Messenger has already come up to you, making evident to you many things you have been concealing of the Book, and he is clement about many things. A light has already come up to you from Allah, and an evident Book. Whereby Allah guides whomsoever closely follows His Divine satisfaction in the ways of peace, and brings them out of darkness(es) into the light by His permission, and He guides them to a straight path.﴾ [Al-Ma'idah (The Table): 15-16]

distinction over his mates. That is why the Grand Sheikh of Al-Azhar chose him to get the Scholar's Degree[1] and he asked him to prepare a thesis on the principles of sciences and assigned for him a topic in the Principles of Jurisprudence to be discussed in that thesis. Moreover, Sheikh Muhammad Makhlouf was asked to deliver a lecture on that topic before a committee led by the Grand Sheikh and consisting of the prominent Sheikhs of Al-Azhar including the two dignified scholars, Ahmad Al-Rifa`ey and Selim Al-Beshry. Thereupon, Sheikh Muhammad Makhlouf dedicated his time and efforts to prepare the thesis as well as the lecture. After doing so, he stood before the committee at the house of the Grand Sheikh of Al-Azhar, Al-Imbaby, on the specified date; the discussion and the lecture took several hours ended by getting the Scholar's Degree with distinction in the month of Sha`ban, 1305 A.H. (1887 A.D.)

Soon, Sheikh Muhammad Makhlouf was authorized to teach at Al-Azhar in all the disciplines of knowledge without specifying a certain branch or book. There, his star began to luster more and more; that is, he began to teach students different sciences. At that time, education was of standardized nature the same as that being applied nowadays in the American and European universities; study would include research, verification and analysis, so as to let the science faculties and capabilities grow and develop, and nurture souls with the ability to absorb information in all fields of knowledge.

The great Sheikh, Muhammad Makhlouf, was very concerned and interested in teaching various sciences; thus, many of the prime students of Al-Azhar graduated at his hands at that time.

Furthermore, Sheikh Muhammad Makhlouf was well known for his great efforts and hard work in every matter

[1] The Scholar's Degree is one of the highest scientific degrees granted by Al -Azhar. Its name in Arabic is "Al-Âlemeyyah".

the efforts of reformation at Al-Azhar were directed to establish a comprehensive library in accordance with the modern system and arrangements followed in the public libraries, Sheikh Muhammad Makhlouf was chosen to be in charge of the library during the term of the Grand Sheikh of Al-Azhar Hassounah An-Nawawy. Therefore, he exerted massive efforts which resulted in an important scientific library based on modern system and coordination; it was full of publications and records encompassing the modern sciences along with the ancient ones. Additionally, he started setting a modern index that was completed by those who came after him.

Following that, Sheikh Muhammad Makhlouf was appointed as the first inspector of Al-Azhar and the religious institutes; a post none occupied before him. Then he was nominated to be one of the board of directors of Al-Azhar, which included the prominent amongst scholars such as Imam Muhammad `Abdou.

During his life, Sheikh Muhammad Makhlouf assumed many posts, which he dedicated to serve people through disseminating knowledge among them. He spent his entire life serving science, religion and Al-Azhar through spreading the Islamic culture, as well as calling for good, and spiritual and moral values through his lessons, lectures and writings.

Sheikh Muhammad Makhlouf's compilations amount to more than thirty-seven compilations. As for his social life, he had many friends including Imam Muhammad `Abdou, Leader of the Nation, Sa`d Zaghloul, who wrote in his will that Sheikh Muhammad Makhlouf must be present during washing his body after his death; and the Sheikh fulfilled the will. Furthermore, Khedive `Abbas Helmy II of Egypt loved and respected Sheikh Muhammad Makhlouf and would apply whatever he advised regarding Al-Azhar's affairs and other matters. Sheikh Muhammad Makhlouf died in the month of Muharam, 1355 A.H. (1936 A.D.); may Allah have mercy on him and reward him for the good deeds he did.

Sheikh Muhammad Hasanyn Makhlouf
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

He is the great Imam and Sheikh Muhammad Hasanyn Makhlouf, the `Adawy, the Maliki, and the Azhari. We can say that he is still living among us through his knowledge, ideas, compilations and Azhari reforms. Moreover, he is the Father of Sheikh Hasanyn Makhlouf, the former *Mufti*[1] of Egypt. He was born in the country of Banu `Addy, Assuit, where people are said to descend from Banu `Addy, the tribe of `Umar Ibnul-Khattab (may Allah be pleased with him).

In that country enjoying noble origin and good environment, the *Usuli*[2], verifier, *Faqih*[3] Muhammad Hasanyn Makhlouf was born on 5 Ramadan, 1277 A.H. (1860 A.D.) He grew among his family, consisting of members well known for their vast knowledge, noble roots and gratitude, and from whom prominent scholars descended such as his son, Sheikh Hasanyn Makhlouf who studied at Al-Azhar then returned to his people to disseminate knowledge among them.

In his country, Sheikh Muhammad Makhlouf memorized the Qur'an and studied the basic sciences. Then, he moved to Al-Azhar University seeking knowledge. He was an attentive student of sharp intelligence. Moreover, he learned at the hands of eminent Sheikhs, including Ahmad Al-Rifa`ey, the Grand Sheikh of Al-Azhar at that time; Sheikh Muhammad Al-Imbaby, the author of numerous books in all different fields of knowledge; Sheikh Muhammad Al-Rouby Al-Fioumy; and many other celebrated Sheikhs. His study at Al-Azhar extended for twelve years through which he achieved excellence and

[1] A *Mufti*: A Muslim scholar who provides *Fatwas* (legal opinions) in response to a layman's question on a point of Islamic law. For his opinion to be valid, the *Mufti* must be a *Mujtahid*—that is, a jurist qualified to attempt a reasoned or deduced solution for unprecedented legal problems.
[2] *Usuli*: A Muslim scholar well-versed in the study of the principles of the Islamic *Shari`ah* (Law)
[3] *Faqih*: A Muslim scholar well-versed in the study of the Islamic Jurisprudence.

would welcome their interference; however, the magic reversed against the magician. In other words, the Muslim Shiites, whom the USA thought to welcome its presence in Iraq, have stood against its troops. Instead of apologizing and stopping their attack and returning from where they came, statements are heard that the US occupation forces will stay in Iraq to an unspecified term. In addition, Italy, one of America's allies, has declared that its troops will stay in Iraq up till 2005.

What is happening today in Iraq and Palestine, at the hands of Sharon supported by America, shows what the US occupation bears of evils. If Muslims, all over the world, feel depressed and desperate, they should always remember the words of Allah in which He says:

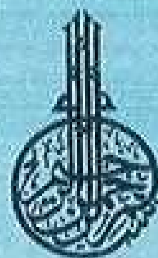
﴿And do not despair of relief from Allah; surely none despairs of relief from Allah except the disbelieving people.﴾

[Yusuf (Joseph):87]

Muslims, peoples and governments, think that they have lost their way and all hopes, and that there is no escape from the brutal aggression of the enemies. I say to them, "There is a cure for the disease which you think incurable; namely, the unity among the Islamic countries." The great man, Najmud-Din Arbkan, put in our hands the key to open the gate for such a unity when he, fearing none of the consequences, called for establishing the Islamic Coalition of the Eight. Urged by the deteriorating conditions of Muslims, President Mubarak, the initiatives hero, may call for holding an exceptional meeting for the eight Islamic countries to discuss only one term in the agenda, namely the establishment of a unity or union among the eight countries.

Imagine, Dear brother, how happy you will be when you get up one day and read in the newspaper the headline announcing 'Islamic Unity among Egypt, Turkey, Iran, Pakistan, Malaysia, Nigeria, Bangladesh and Indonesia.' Publishing such news will change matters in favor of the Islamic Nation. I am sure that the Islamic Conference countries will follow.

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumadal-Akhira 1425 A. H.



ENGLISH SECTION
August. 2004

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Time Has Come for an Islamic Unity

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

We have witnessed America exercising authority over the Islamic countries one after the other. It has undoubtedly shown its ill intentions toward Syria and started a smear campaign against Iran. It has also begun to enter into argumentations, reflecting different views, with Egypt from time to time. However, it has not achieved what it has expected and planned for regarding the quick success in muffling voices and restraining souls. Definitely, this matter has a negative effect on its future plans toward the whole area. The unexpected Iraqi resistance has succeeded in pulling away the American arrogance and aggression from advancing towards other Islamic countries.

The false slogans of ensuring freedom and democracy have been prevailing over any rejections of the American military actions in Iraq. As soon as the scandals of Abu Graib prison have come to the surface, it has become evident how false the claims of freedom, democracy and civilization are. Instead, the mottos of humanity, justice and human rights have become defaced, and the cruelty and hideousness of the American occupation have become apparent. The American occupation forces have crossed thousands of miles from their home to the lands of the Muslims whom the USA calls 'barbarians, cruel, ignorant, and uncivilized.' Nevertheless, the whole world has come to see the American practices claimed to be the source of civilization and humanity. Such practices include committing massacres against the Iraqi civilians and driving Iraqis to concentration camps where the American forces abuse the detainees. The US occupation forces also attack the innocent civilians, demolish houses, steal properties, encroach upon honors, and use destructive weapons to kill the weak, women, elderly, and children.

The occupation forces based their causes behind attacking Iraq on their expectation that the majority of Muslim Shiites

الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

● ● ●

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

نائب رئيس التحرير

سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقي الدين

الاشتراك السنوي

داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

رجب ١٤٢٥هـ - سبتمبر ٢٠٠٤م - الجزء السابع - السنة السابعة والسبعون

افتتاحية العدد

من أخلاق الإسلام

الصراحة دون مواراة

كان عصر النبوة على قصر مداه - إذا قيس بما تلاه من العصور - حافلاً بشتى المواقف الصالحة للاحتذاء، وكان الله - عز وجل - أراد به أن يكون مجال العبرة للمسلمين في شتى الأحقاب وملتمس الهداية للحائرين، يسيرون على ضوئه ويعيشون إلى ناره وهذا بعض ما يفهم من قول رسول الله ﷺ: «خير القرون قرنى»، لذلك كان من تيسير الله - عز وجل - أن تشع العظمة منه على الناس بأنوارها الباهرة فما من موقف لصحابى كريم إلا وهو مجال طيب لتأمل المهتدين، أما رسول الله أشرف الخلق، فناهيك بمواقفه.

لقد تحدث الأخلاقيون عن ضرورة الصدق، وعدّوه شرطاً هاماً لصلاح المجتمع وهبّوا يكتبون الصفحات في ضرورته، ثم حلا لهم أن يضربوا الأمثلة من واقع التاريخ ولكل في ذلك وجهة يهدف إليها.

ولكن رجال الأخلاق من أبناء الإسلام لا يجدون في مجال الاستشهاد أعظم تأثيراً ولا أقوى نفاذاً من عهد النبوة الكريم، لأن رجاله - رضى الله عنهم - قد شاهدوا مشرق الوحي ونعموا بصاحب الرسالة، فرأوا الصدق المجسد إنساناً يتكلم، ورجلاً يعمل ونبياً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فكان هذا القرب القريب من رسول الله قوة نفسية ترتفع بأرواحهم، وتسمو بمعاملاتهم، حتى صار الواحد منهم كتاباً

مفتوحاً ناصحاً يقرأ فيفيد..

لقد سجلت كُتب العصر سيرة بلال - رضى الله عنه - بما ذاع واشتهر لدى الناس، بحيث أصبحت حياة هذا الإنسان الكريم مما تستحيل على النسيان، ولن أشير هنا إلى صبره واحتماله، وما لاقى من الأذى في سبيل الله مما ينبئ عن إيمان قوى تتزلزل الراسيات ويستقر، فكل ذلك مستفيض مشتهر، ولكنى أنقل شيئاً من حديث لا أظن الكثيرين ممن درسوا سيرة بلال قد ألموا به، وهو على وجازته مما يبعث القدوة ويدعو إلى التقدير.

فقد روت كتب التاريخ فقالت: «خطب بلال - رضى الله عنه - لأخيه خالد بن رباح امرأة من بنى حسل من قريش، فقال بلال وهو يقدم نفسه وأخاه لمن يريد مصاهرتهم: نحن من عرفتم يا قوم! كنا عبدين فأعتقنا الله، وكنا ضالين فهدانا الله، وكنا فقيرين فأغنانا الله!.. وأنا أخطب إلى خالد أخى فلانة منكم، وهى ذات حسب ودين ومروءة، فإن تنكحوه فالحمد لله، وإن تردوه فالله أكبر».

سمع القوم وسكتوا قليلاً ثم أقبل بعضهم على بعض يقولون «هو بلال» وليس مثله من يُدفع، ثم أجمعوا على قبول الخاطب، فخرج بلال وأخوه وقد قضيا وطرهما، ولكن خالداً قد وجد لحديث أخيه بعض الألم فقال له: «يغفر الله لك يا بلال، ألا ذكرت سوابقنا وشواهدنا مع رسول الله ﷺ» فصاح بلال: «مه يا خالد، صدقنا فنفعنا صدق الحديث».

فى هذه الأسطر القليلة ما يشير إلى اختلاف وجهتى النظر بين بلال وأخيه خالد، فقد كان من رأى الخاطب الراغب أن يتحدث أخوه للقوم عن مآثرهما فى الإسلام من سبق للدين الجديد، وجهاد فى سبيل الله، وإحراز لثقة نبى الإسلام، فذلك مما يرتفع به قطعاً على كثير من السادة! وهذا ما يوحى به الموقف فى رأى خالد، إذ إن المقام مقام قبول أو رفض، ولن يتيسر القبول إلا بالتحدث عن مآثر السبق ومواقف الجهاد، وموضع الحظوة من رسول الله!.. وذلك مسلك ينتهجه الخاطبون فى معرض التفاضل والموازنة.. ثم إن بلالاً - رضى الله عنه - لو وافق رغبة أخيه وسلك المسلك الذى يريده فى اتجاه الحديث ما خالف الواقع الوضئ فى شئ، فتاريخه عامر بالتضحية، ملئ بالنضال، فعلام يترك هذه المحاسن الباهرة؟ وكيف يميل بالحديث إلى جانب متواضع، لا يثقل كفة الميزان ثقلاً يميل بأخيه إلى الرجحان...؟

ولكن بلالاً - رضى الله عنه - كان أبعد نظراً وأصوب اتجاهاً من أخيه، فهو يعلم أن المصاهرة تقتضى المكاشفة الصريحة والصدق الصحيح، والحديث عن جهاده فى الإسلام لا يمحو تاريخه من الرق فى ذاكرة الناس، فقد يكون فيمن يتقدم إلى الخطبة لديهم من بنى الحسل من لاتزال نعرة الجاهلية تعصف برأسه.

فيرى تقدير الناس على غير ما هدى إليه الإسلام، ثم إنه - لا شكّ - يعرف أن جهاده فى سبيل الله ليس من الخفاء بحيث يتحدث به، فهو مشتهر ذائع، فلا بدّ إذن أن يواجه الموقف من أعسر أبوابه لينتظر ما سيكون.

وقد كان الصحابى الجليل لبقاً فى قوله: «وإن تردوه فالله أكبر»، إذ أنه عرض فى هذه العبارة الدقيقة الموجزة رأى الإسلام الذى يدينون به، ومعناه الصريح: إنكم إن ترفعتم علينا ورأيتم أنفسكم أكبر وأعظم من أخى، فالله عز وجل أكبر منكم ومن كل كبير، فإياكم والكبرياء وهذا بعض ما جعل بنى الحسل يتلاحظون متسائلين عند سماع هذا الكلام، ثم يقبل بعضهم على بعض وهم يقولون: هو بلال وليس مثله من يدفع...!

فانظر إلى أثر الإسلام فى إزالة الفوارق الجاهلية وتعميم الأخوة الإسلامية فى دين صار أبناؤه سواسية كأسنان المشط، تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم إذ لا فضل لعربى على عجمى إلا بتقوى الله؛ ولك أن تسأل أكان بلال - لولا الإسلام - ممن يجرؤ على أن يتقدم إلى حرة قرشية فيخطبها لأخيه مهما أعتق وتحرر، أما والله لو جرؤ على ذلك فى مجتمع جاهلى لبرقت أسنة وسالت دماء..!

ولنا أن نقف عند قول خالد لأخيه: يغفر الله لك، ألا ذكرت سوابقنا وشواهدنا؟ فإن طلب المغفرة يصوّر ما يراه خالد من نشاز أخيه فى هذا الموقف، حيث سكت عن الفضائل اللائحة فلم يشر إليها فى شئ، وقد أدرك بلال - رضى الله عنه - ما يعتمل فى نفس صاحبه، فقال مُسكتا إياه: مه، صدقت فأنكحك الصدق، لأن الصحابى الجليل - رضى الله عنه - يرى الخير كل الخير فى هذا الخلق النبيل حتى لو لم يتحقق ما ينشده من تزويج، فقد يكون هذا خيرا لا يدريه، إذ كثيرا ما تمنى الإنسان الشئ دون أن يفطن إلى ما سيجلبه عليه من شرور، وقد رأى بلال بعد خروجه أنه صدق فنفعه الصدق وحده، وفى هذا اعتبار..

هذا موقف من مواقف الصراحة نقرنُه بموقف آخر لعربى صريح، وقد كان يرى الصدق من خصائص الرجولة التى لا تفارقها بحال، فهو يتفرس فى وجه صاحبه ليسمع منه وقد ظهرت من ملامحه دلائل تنطق بالصدق، وإذ ذاك لا مجال لمناقشته حتى فى أدق المسائل وأحرج المواقف. إذ لا يناقش إلا كاذب محتال، أما العربى الأصيل فصادق يقوم بأعباء الرجولة الحق، حين يتخذ الصدق سمة لا تفارق وخاصية لا تزول، ويزيد هذا الموقف بهاء وروعة، وجميل عظة أنه مع رسول الله، وهو الصادق الأمين.

ننقل عن صحيحى البخارى ومسلم مثالاً فذا لهذا الاعتقاد الحاسم فى حتمية الصدق إذ لا معدى منه فى الحديث، وهو مثال رائع يتضح فى موقف أعرابى صادق من سعد بن بكر وفد على رسول الله ﷺ فسأله واستمع إليه، ثم أعلن إسلامه غير ناكص، إذ وثق بصاحبه وثوق من يعتقد أن الصدق طبيعة الرجل القائد، فما عنه محيد.

لقد أخذت كتب رسول الله ﷺ فى السنة التاسعة منذ الهجرة تتطاير إلى أكثر الأصقاع العربية فى شبة الجزيرة لتدعو الناس إلى كلمة الله، وقد جاء خبرها إلى ضمامة بن ثعلبة أحد سادات بنى سعد بن بكر، ففكر وتأمل، ثم رأى أن يرحل بنفسه إلى المدينة المنورة ليقف شخصياً على خبر الدعوة الجديدة ويرى صاحبها الكريم، فاقتعد راحلته ومضى بها وحده يصل الليل بالنهار حتى أناخ بباب المسجد النبوى الشريف، فعقل بعيره ونظر إلى جماعة من المسلمين يتحدثون، فتقدم إليهم دون تلكؤ وصاح فى قوة: يا قوم، أيكم محمد رسول الله؟

فنهض أحد الصحابة وأشار إلى سيد المجلس، وكان ﷺ يجلس متكئاً ووجهه يتلألأ كالقمر، فدنا منه ضمامة بن ثعلبة، وسأل فى اهتمام: أأنت ابن عبدالمطلب؟

فرد الرسول بالإيجاب..

فاندفع ضمامة يقول: إنى سائلك فمشدّد عليك فى المسألة فلا تجد علىّ فى نفسك..

فقال رسول الله مبتسماً: سل ما بدا لك..

فقال ضمامة: أسألك بربك ورب من قبلك: آلله أرسلك للناس كلهم؟

قال رسول الله: اللهم نعم..

فقال ضمامة: أسألك بربك ورب من قبلك: آلله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟

قال رسول الله: اللهم نعم..

فقال ضمامة: أنشدك بالله - تعالى - آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على الفقراء؟

فقال رسول الله: اللهم نعم..

فصاح ضمامة: لقد آمنت بما جئت به، وأنا ضمامة بن ثعلبة أخو سعد ابن بكر..

نقرأ هذا الحوار فى كتب السنة المطهرة فنقف على شئ كبير فى مغزاه.. فضمامة قد اعتقد أن الصدق حتم مفروض على كل إنسان ينتسب للكمال، وقد جاءته أنباء الدعوة المحمدية فى باديته البعيدة، فالم بأحوالها حائراً غير متيقن، ثم رأى أن يخبر الأمر بنفسه فلا يصغى لأحد حتى يقابل الرسول ويناقش ويسمع ويرى ثم يصدر الحكم فاسرع بالرحلة إلى المدينة وهو فى طريقه المديد لا ينى يفكر فى أمر هذا الدين الجديد، إذ صار شغله الشاغل، وهمه الوحيد، وكانت فى الأعرابى السعدى فراسة حصيفة فاخذ يتأمل وجه رسول الله ليأخذ من مظهره الواضح ما ينبئ عن مخبره الشريف، حتى إذا امتلأت عيناه من نوره، تقدم يسأله عن ربه راصداً ملامحه، متأملاً قسماته، متابعاً إجاباته.. وقد أخذ من ذلك كله ما تيقن به صدق رسول الله، فهو إذن نبى إذ لا يمكن لمثله أن يكذب على الناس، وأولى به ثم أولى ألا يكذب على الله وكان لابد أن يعلن إسلامه حين اقتنع فبسط يده ليبايع، ثم تولى..

إن العناصر الممتازة التى تصورها ضمامة فى كل إنسان يرتفع بصفاته إلى مستوى الأحرار قد قربت المسافة وشيكاً بينه وبين الإسلام، فقد رأى بفراسته الصادقة أن محمداً ﷺ ممن يقدسون الصدق فلا يكذبون، والأمانة فلا يخونون، وجاء إسلامه نتيجة حاسمة لتقديره التام لتبعات الرجل الحق، والقائد المثل.

وليت شعرى إذا انتشر مبدأ ضمامة - وهو فى صميمه مبدأ الإسلام - فحرص الناس على الصدق وعدوه رأس الفضائل وتجنبوا الكذب وعدوه أس الرذائل، أقول: إذا انتشر مبدأ ضمامة.. أما تتحقق المدنية الفاضلة فى المجتمع البشرى فنحيا جميعاً فى

سعادة ونور لا كما نحيا الآن فى تعاسة وظلام، ونعيش بين ملائكة مطهرين لا كما نعيش بين ذئاب وضباع...؟!

وتسألنى عما تم بعد رحيل ضمامة إلى قومه، لقد روى الطبرى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه جمع أعيان قبيلته، فحمد الله وأثنى عليه ومدح رسوله وعظمه وحبذ الإسلام وفضح اللات والعزى، فما أمسى فى قبيلته رجل أو امرأة إلا أسلم حتى قال ابن عباس: ما سمعنا بوافد كان أفضل من ضمامة بن ثعلبة.

هذا هو ضمامة، وذاك هو بلال، فما أشد حاجتنا اليوم إلى من يقتفى أثرهما فى أمانة القول وصدق الحديث، ولهما بعد فى تاريخ المسلمين أشباه وأمثال.

د./ محمد رجب البيومى

تنويه

سقط من افتتاحية العدد الماضى: «لاتخف من الموت» عبارة نصححها فيما يلى:

«الإيمان بالله عند بعض المرتابين لايحل المشكلة بحال»

فوجب التنبيه

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

الآيات: ٢١ - ٢٥

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد وصف هؤلاء المارقين بصفات ينفر منها كل عاقل. وصفهم أولا بأنهم:

﴿ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾

أى لا يكتفون بالكفر بالله - تعالى -، بل يكفرون بالآيات المثبتة لوحدانيته، وبالرسل الذين جاءوهم بالهدى والحق.

ووصفهم ثانيا بقوله:

﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾

وقتل النبيين بغير حق فعل معروف عن اليهود، فهم الذين قتلوا زكريا - عليه السلام - لأنه حاول أن يخلص ابنه يحيى - عليه السلام - من القتل، وقتلوا يحيى لأنه لم يوافقهم فى أهوائهم وحاولوا قتل عيسى - عليه السلام - ولكن الله - تعالى - نجاه من مكرهم، وقتلوا غيرهم من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام[1].

فإن قيل إن اليهود ما قتلوا كل الأنبياء، فلم أخبر القرآن عنهم أنهم يقتلون النبيين ولم يقل يقتلون بعض النبيين؟.

فالجواب أنهم بقتلهم لبعض النبيين فقد استهانوا بمقام النبوة، ومن استهان بمقام النبوة بقتله لبعض الأنبياء فكأنه قد قتل الأنبياء جميعاً، ونظير هذا قوله - تعالى -:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

[المائدة / ٣٢]

وقيد القتل بأنه ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ مع أن قتل الأنبياء لا يكون بحق أبدا، للتصريح بموضع الاستنكار، لأن موضع الاستنكار هو اعتداؤهم على الحق بقتلهم الأنبياء، وللإشارة إلى أنهم لتوغلهم فى الظلم والعدوان قد صاروا أعداء للحق لا يألفونه ولا تميل إليه نفوسهم، وللتسجيل عليهم أن هذا القتل للأنبياء كان مخالفا لما فى شريعتهم فإنها قد نهتهم عن قتلهم، بل عن مخالفتهم. فهذا القيد من باب الاحتجاج عليهم بما نهت عنه شريعتهم لتخليد مذمتهم فى كل زمان ومكان.

وقال - سبحانه - ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ بصيغة التنكير، لعموم النفى، بحيث يتناول الحق الثابت، والحق المزعوم، أى أنهم لم يكونوا معذورين بأى لون من ألوان العذر فى هذا الاعتداء فقد أقدموا على ما أقدموا عليه وهم يعلمون أنهم على الباطل، فكان فعلهم هذا إجراما فى بواعثه وفى حقيقته، وأفظع أنواع الإجرام فى موضوعه.

وقوله ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ فى موضع الحال

(١) راجع كتابنا: «بنو إسرائيل فى الكتاب والسنة [جـ٢ ص٤٤]

المؤكدة لمضمون جملة ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ ﴾ إذ لا يكون قتل النبيين إلا كذلك.

ووصفهم ثالثا بأنهم

﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ﴾

والقسط: العدل. يقال: قسط يقسط، ويقسط قسطا، وأقسط إقساطا إذا عدل.

أى: لا يكتفون بقتل النبيين الذين جاءوا لهدايتهم وسعادتهم، وإنما يقتلون مع ذلك الذين يأمرونهم بالعدل من مرشديهم ونصحائهم.

وفى قوله ﴿ مِنَ النَّاسِ ﴾ إشارة إلى أنهم ليسوا بأنبياء، بل من الناس غير المبعوثين.

وفى قرنهم بالأنبياء، وإثبات أن الاعتداء عليهم قرين الاعتداء على الأنبياء، إشارة إلى بيان علو منزلتهم، وأنهم ورثتهم الذين يدعون بدعوتهم.

وعبر عن جرائمهم بصيغة الفعل المضارع - يكفرون ويقتلون لاستحضار صورة أفعالهم الشنيعة فى أذهان المخاطبين، ولإفادة أن أفعالهم هذه متجددة كلما استطاعوا إليها سبيلا، وللإشعار بأن اليهود المعاصرين للنبى - ﷺ - كانوا راضين بفعل آبائهم وأسلافهم، ولقد حاول اليهود فى العهد النبوى أن يقتلوا النبى - ﷺ - ولكن الله - تعالى - نجاه من شرورهم.

هذا، وقد وردت آثار متعددة تصرح بأن اليهود قد دأبوا على قتل الأنبياء والمصلحين، ومن ذلك ما جاء عن أبى عبيدة بن الجراح أنه قال: قلت يا رسول الله: أى الناس أشد عذابا يوم القيامة؟. فقال رسول الله - ﷺ -: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبيا، أو قتل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قرأ رسول الله - ﷺ -:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

ثم قال: يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار فى ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلا منهم فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعاً من آخر النهار فى ذلك اليوم»(2).

هذه بعض جرائمهم فماذا كانت نتيجتها؟. كانت نتيجتها العذاب الأليم الذى أخبرهم الله به فى قوله:

﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

والجملة الكريمة خبر إن، وجاز دخول الفاء على خبرها لتضمن اسمها وهو ﴿ الَّذِينَ ﴾ معنى الشرط فى العموم.

(2) تفسير ابن كثير ٦/٣٥٥

وحقيقة التبشير: الإخبار بما يظهر سرور المخبر - بفتح الباء - على بشرة وجهه، وهو هنا مستعمل فى ضد حقيقته على سبيل التهكم بهم، وذلك لأن هؤلاء المعتدين مع أنهم كفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءه وأولياءه، وفعلوا ما فعلوا من منكرات، مع كل ذلك زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، فساق لهم القرآن ما يخبرهم به على سبيل الاستهزاء بعقولهم أن بشارتهم التى يرتقبونها بسبب كفرهم ودعواهم الباطلة هى: العذاب الأليم.

واستعمال اللفظ فى ضده عند علماء البيان من باب الاستعارة التهكمية، لأن تشبيه الشىء بضده لا يروج فى عقل العقلاء إلا على معنى التهكم والاستهزاء.

ثم أخبر - سبحانه - بفساد أعمالهم فى الدنيا والآخرة فقال:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾

والحبوط - كمايقول الراغب - من الحبط، وهو أن تكثر الدابة الأكل حتى تنتفخ بطنها، وقد يؤدى إلى موتها.

والمراد بحبوط أعمالهم إزالة آثارها النافعة من ثواب فى الآخرة وحياة طيبة فى الدنيا، لأنهم عملوا ما عملوا وهم لا يرجون لله وقارا.

وجىء باسم الإشارة فى صدر الآية، لتمييز أصحاب تلك الأفعال القبيحة أكمل تمييز، وللتنبيه على أنهم أحقاء بما سيخبر به عنهم بعد اسم الإشارة.

وكانت الإشارة للبعيد، للإيذان ببعدهم عن الطريق القويم، والخلق المستقيم، وقوله: ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ مبتدأ والموصول وصلته خبره.

أى: أولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة، وسقطت عن حيز الاعتبار، وخلت عن الثمرة التى كانوا يؤملونها من ورائها، بسبب إشراكهم بالله واعتدائهم على حرماته.

وقوله:

﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾

نفى لكل ما كانوا يتوهمونه من أسباب النصر، وقد أكد هذا النفى بمن الزائدة.

أى ليس لهم من أحد ينصرهم من بأس الله وعقابه، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، لأنهم بسبب كفرهم وأفعالهم القبيحة صاروا مستحقين للعقاب، وليس هناك من يدفعه عنهم.

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد وصفهم بصفات ثلاث: بالكفر وقتل الأنبياء وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس.

وتوعدهم - أيضاً - بثلاثة أنواع من العقوبات: بالعذاب الأليم، وحبوط أعمالهم فى الدنيا والآخرة، وانتفاء من ينصرهم أو يدافع عنهم.

وبذلك نرى الآيتين الكريمتين تسوقان أشد ألوان التهديد والوعيد لهؤلاء المعتدين، بسبب كفرهم وأعمالهم القبيحة.

وبعد أن وصف القرآن هؤلاء المعاندين بالكفر وقتل الأنبياء والمصلحين وبيّن سوء مصيرهم، أتبع ذلك ببيان رذيلة من أفحش رذائلهم وهى أنهم يدعون إلى التحاكم إلى الكتاب الذى يزعمون أنهم يؤمنون به، فيمتنعون عن ذلك غرورا وعنادا، استمع إلى القرآن وهو يصور أحوالهم السيئة فيقول:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

أورد بعض المفسرين روايات فى سبب نزول هذه الآيات:

منها، ما رواه البخارى عن عبدالله بن عمر أن اليهود جاءوا إلى النبى - ﷺ - برجل منهم وامرأة قد زنيا. فقال لهم: «كيف تفعلون بمن زنى منكم»؟. قالوا: نفحمهما - أى نجعل على وجوههما الفحم تنكيلاً بهما، ونضربهما. فقال: «ألا تجدون فى التوراة الرجم»؟. فقالوا: لا نجد فيها شيئاً. فقال لهم عبدالله بن سلام: كذبتم. فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين. فوضع مدراسها - الذى يدرسها منهم - كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم فنزع يده عن الرجم. فقال ما هذه؟. - أى أن عبدالله بن سلام رفع يد القارئ عن آية الرجم وقال له ما هذه - فلما رأى اليهود ذلك قالوا: هى آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد»[٣].

وقال ابن عباس: دخل رسول الله - ﷺ - بيت المدراس على جماعة من يهود - أى دخل عليهم فى المكان الذى يتدارسون فيه علومهم - فدعاهم إلى الله. فقال له بعضهم: على أى دين أنت يا محمد؟. فقال: «إنى على ملة إبراهيم ودينه». فقالوا: فإن إبراهيم كان يهوديا، فقال النبى - ﷺ - «فهلموا إلى التوراة هى بيننا وبينكم»؛ فأبوا عليه فأنزل الله هذه الآيات.

وذكر النقاش أنها نزلت لأن جماعة من اليهود أنكروا نبوة محمد - ﷺ - فقال لهم: «هلموا إلى التوراة ففيها صفتى «فأبوا»[٤].

قال ابن جرير ما ملخصه: وأولى الأقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب أن يقال: إن الله - تعالى - قد أخبر عن طائفة من اليهود المعاصرين للنبى - ﷺ - أنهم دعوا إلى التوراة للتحاكم إليها فى بعض ما تنازعوا فيه مع رسول الله - ﷺ - فأبوا. ويجوز أن يكون هذا

(٣) صحيح البخارى، كتاب التفسير (٦/٤٧)

(٤) تفسير القرطبى (٤/٥٠)

التنازع فى أمر نبوته، أو فى أمر إبراهيم ودينه، أو فى حد من الحدود فإن كل ذلك مما نازعوا فيه رسول الله - ﷺ -[٥].

وكان ابن جرير - رحمه الله - يريد أن يقول: إن الآيات الكريمة تتسع لكل ما تنازعوا فيه مع رسول الله - ﷺ - فلما دعاهم إلى أن يُحكم التوراة بينه وبينهم فى شأن هذا التنازع أبوا وأعرضوا وهو رأى حسن.

والاستفهام فى قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ للتعجيب من شأنهم ومن سوء صنيعهم، حيث دعوا إلى كتابهم ليحكم بينهم فامتنعوا عن ذلك لأنهم كانوا - كما يقول الألوسى: «إذا عضتهم الحجة فروا إلى الضجة وأعرضوا عن المحجة» ثم قال:

و﴿ مِّنَ ﴾ إما للتبعيض وإما للبيان، ومعنى «نصيب» هو الكتاب أو نصيباً منه، لأن الوصول إلى كُنْه كلامه - سبحانه - متعذر «فإن جعل بياناً كان المراد إنزال الكتاب عليهم. وإن جعل تبعيضاً كان المراد هدايتهم إلى فهم ما فيه، وعلى التقديرين اللام فى ﴿ الْكِتَابِ ﴾ للعهد والمراد به التوراة»[٦].

والمعنى: قد علمت أيها العاقل حال أولئك الأحبار من اليهود الذين أعطوا قسطاً من معرفة كتابهم والذين دعاهم رسول الله - ﷺ - إلى التحاكم إلى التوراة التى هى كتابهم فيما حدث بينهم وبينه من نزاع فأبوا أن يستجيبوا لدعوته، وأعرضوا عنها كما هو شأنهم ودأبهم فى الإعراض عن الحق والصواب.

وعرف المتحدث عنهم - وهم أحبار اليهود - بطريق الموصولية، لأن فى الصلة ما يزيد التعجيب من حالهم، لأن كونهم على علم من الكتاب قليل أو كثير من شأنه أن يصدهم عما أخبر به عنهم لو كانوا يعقلون.

وجملة:

﴿ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾

مستأنفة مبينة لمحل التعجب، أو حال من:

﴿ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾

والمراد بكتاب الله: التوراة، لأن سبب النزول يؤيد ذلك، ولأن التعجيب من حالهم يكون أشد إذا كان إعراضهم إنما هو عن كتابهم. وقيل المراد به القرآن.

وقوله:

﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

معطوف على قوله ﴿ يُدْعَوْنَ ﴾ وجاء العطف بـ «ثم» للإشعار بالفارق الشاسع بين ما قاموا به من إعراض عن الحق، وبين ما كان يجب عليهم أن يفعلوه. فإن علمهم بالكتاب كان يقتضى أن يتبعوه وأن يعملوا بأحكامه، ولكنهم أبوا ذلك لفساد نفوسهم.

وقوله: ﴿ مِّنْهُمْ ﴾ جار ومجرور متعلق

(٥) تفسير ابن جرير (٣/٢٦٨)

(٦) تفسير الألوسى (٣/١١٠)

بمحذوف صفة لفريق.

وإنما قال ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ ليخرج القلة التي أسلمت من علماء اليهود كعبدالله بن سلام، وهذا من إنصاف القرآن في أحكامه، واحتراسه في سوق الحقائق، فهو لا يلقى الأحكام على الجميع جزافا، وإنما يحدد هذه الأحكام بحيث يدين المتهم، ويبرئ ساحة البرىء.

وقوله ﴿ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ حال من فريق، أي ثم يتولى فريق منهم عن سماع الحق، والانقياد لأحكامه، وينفر منها نفورا شديدا. والحال أنهم قوم ديدنهم الإعراض والانصراف عن الحق.

ثم بيّن - سبحانه - الأسباب التي صرفتهم عن الحق فقال:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾

واسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يعود إلى المذكور من توليهم وإعراضهم عن مجلس النبي - ﷺ - وعن سماعهم للحق الذي جاء به.

والمس: اتصال أحد الشيئين بالآخر على وجه الإحساس والإصابة، والمراد من النار: نار الآخرة.

والمراد من معدودات: المحصورات القليلات يُقال شيء معدود: أي قليل وشيء غير معدود أي كثير. فهم يزعمون أن النار لن تمسهم إلا مدة يسيرة قد تكون سبعة أيام، وقد تكون أربعين يوما، وبعدها يخرجون إلى الجنة.

عن ابن عباس - رضي الله عنهما قال: إن اليهود كانوا يقولون إن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما في النار، وإنما هي سبعة أيام. وفي رواية عنه أنه قال في قوله - تعالى -

﴿ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾

ذلك أعداء الله لليهود، قالوا: لن يدخلنا الله النار إلا تحلة القسم، الأيام التي أصبنا فيها العجل أربعين يوما، فإذا انقضت عنا تلك الأيام انقطع عنا العذاب والقسم[7].

أي ذلك التولي والإعراض عن الحق الذي صدر عن كثير من أحبار اليهود وعوامهم سببه أنهم سهلوا على أنفسهم أمر العقاب، وتوهموا أنهم لن يعذبوا عذابا طويلا، بل النار ستمسهم أياما قليلة ثم بعد ذلك يخرجون منها، لأنهم أبناء الله وأحباؤه، ولأن آباءهم سيشفعون لهم في زعمهم.

ثم قال - تعالى:

﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

وقوله ﴿ وَغَرَّهُمْ ﴾ من الغرور، وهو كل ما يغر الإنسان ويخدعه من مال أو جاه أو شهوة أو غير ذلك من الأشياء التي تغر الإنسان وتخدعه وتجعله غافلا عن اتباع الحق.

والمعنى: أنهم سهلوا على أنفسهم الخطوب، ولم يبالوا بالمعاصي والذنوب، وأنهم طمعوا في غير مطمع، وأصاب موضع المغرة والغفلة منهم في دينهم ما كانوا يفترونه من أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات.

---

(7) تفسير ابن كثير (1/128)

والغرور أكبر شيء يبعد الإنسان عن حسن الاستعداد لما يجب عليه نحو دينه ودنياه.

ثم حكى القرآن ما سيكون عليه حالهم من عذاب وحسرة بأسلوب مؤثر فقال:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

فالاستفهام هنا للاستعظام والتهويل والرد على مزاعمهم الباطلة.

وكيف في موضع نصب على الحال، والعامل فيه محذوف، أي فكيف تكون حالهم، أو كيف يصنعون؟. ويجوز أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف. أي: فكيف حالهم.

قال الفخر الرازي: أما قوله:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾

فالمعنى أنه لما حكى عنهم اغترارهم بما هم عليه من الجهل بيّن أنه سيجيء يوم يزول فيه ذلك الجهل، وينكشف فيه ذلك الغرور فقال:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ ﴾

وفي الكلام حذف، والتقدير: فكيف صورتهم وحالهم، ويحذف الحال كثيراً مع كيف، لدلالتها عليه تقول كنت أكرمه وهو لم يزرني، فكيف لو، زارني، أي كيف حاله إذا زارني. واعلم أن هذا الحذف يوجب مزيداً من البلاغة لما فيه من تحريك النفس على استحضار كل نوع من أنواع الكرامة في قول القائل: «لو زارني، وكل نوع من أنواع العذاب في هذه الآية»[8].

والمعنى: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم لجزاء يوم لا ريب في مجيئه وحصوله، واضمحلت عنهم تلك الزخارف التي ادعوها في الدنيا:

﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾

من خير أو شر ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

بل يجازى كل إنسان على حسب عمله، لاشك أنهم في هذا اليوم الهائل الشديد سيفاجأون بذهاب غرورهم، وبفساد تصورهم، وأنهم سيقعون في العذاب الأليم الذي لا حيلة لهم في دفعه، ولا مخلص لهم من ذوقه:

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[الشعراء / 88، 89]

قال الزمخشري: «روى أن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود، فيفضحهم الله على رءوس الأشهاد، ثم يأمر بهم إلى النار»[9]. وبذلك تكون هذه الآيات الكريمة قد وبخت أحبار اليهود الذين يعرضون عن الحق توبيخاً شديدا، وأبطلت أكاذيبهم وغرورهم، وردت عليهم بما يفضحهم ويخزيهم، وصورت حالهم يوم القيامة تصويرا مؤثرا هائلا تهتز له القلوب، وترتجف منه الأفئدة ويحمل العقلاء على التزود من التقوى والعمل الصالح حتى يفوزوا برضا الله.

---

(8) تفسير الفخر الرازي (7/234)

(9) تفسير الكشاف (1/349)



الإسراء توحيد لمقدسات الأمة وأقطارها

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه». (رواه الشيخان)

التعريف بالراوى: هو الصحابى الجليل أبوعبدالله جابر بن عبدالله الأنصارى الخزرجى السلمى، شهد العقبة مع أبيه وخاله، وكان أبوه يومئذ أحد النقباء، وكان جابر من أصغر الصحابة سنا، وكان من ساداتهم وفضلائهم المتحفين بحب رسول الله ﷺ، روى عنه أنه لم يتخلف - بعد بدر وأحد - عن رسول الله ﷺ فى غزوة قط.. توفى - رضى الله عنه - بالمدينة بعد أن كف بصره سنة ثلاث وسبعين بعد الهجرة، وهو ابن أربع وتسعين سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان والى المدينة، وجابر - رضى الله عنه - آخر الصحابة موتا بالمدينة.

المفردات اللغوية

الحجر: حجر إسماعيل - عليه السلام.

جلى الله لى بيت المقدس: كشفه وأظهره.

فطفقت أخبرهم: جعلت أخبرهم.

عن آياته: علاماته وأماراته.

الشرح والبيان

هذا حديث عظيم الشأن، جليل القدر، يوضح - بجلاء - إيمان الرسول ﷺ بربه، وثقته فى نصره، وأنه معه فى كل وقت وحال، يمده بالعون والتأييد والتثبيت مما يزيده إيمانا بربه الذى أرسله، وكلفه دعوة الخلق إلى التوحيد، فقابلوه بالاستهزاء والسخرية كعادة الأقوام من قبلهم:

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾
(يس ٣٠)

ولما استمروا فى طغيانهم وعنادهم، ويئس رسول الله ﷺ من إيمان قريش بدعوته وتصديقهم بنبوته ورسالته لجأ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، فدعاهم إلى الإيمان، وسألهم أن ينصروه على قومه، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك! وقال الآخر: أما وجد الله أحدا يرسله غيرك؟! وقال الثالث: والله لا أكلمك كلمة أبدا! إن كان الله قد أرسلك كما تقول فأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، وإن كنت تكذب فما ينبغى لى أن أكلمك!!

ثم أغروا به سفهاءهم وصبيانهم وعبيدهم يسبونه ويضحكون منه.. ولما هم بالانصراف والعودة قال له رفيق رحلته إلى الطائف زيد بن حارثة - رضى الله عنه -: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ «يعنى قريشا»، فقال: يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه، ثم انتهى إلى مكة، فأرسل رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدى يقول له: أدخل فى جوارك؟، فقال: نعم، ودعا بنيه وقومه، فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت فإنى قد أجرت محمدا، فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة، حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدى على راحلته، فنادى: يا معشر قريش، إنى قد أجرت محمدا، فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه، وصلى ركعتين كعادته حينما يعود من سفر، وانصرف إلى بيته، ومطعم بن عدى وولده محدقون به بالسلاح، وهكذا قيض الله - عز وجل - لنبيه من ينصره على عدوه منهم، وظلوا حوله حتى دخل بيته، وأمن على نفسه:

﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾
(يوسف ٩٠)

عند ذلك عرف رسول الله ﷺ أن الأزمة قد انفرجت، وأن بشائر النصر قد هلت، وفى هذا الجو الربانى الخالص، المشحون بالأمل والرجاء، يمد الله يده إلى عبده، ويضمه إليه، يسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى،

ليريه من آياته ما يبدد عنه سحائب الجو الأرضى الخانق، ويمسح عنه متاعب الماضى، ويضىء له المستقبل بنصرة الحق، وبلوغه غاية ما يريده الله له، وكلما دار الفلك دورته، وجاء شهر رجب عاما بعد عام تحركت فى نفوس المسلمين معالم تلك الذكرى التى لا يغيب جلالها عن القلوب، ولا يجف مدادها عن الأذهان:

ذكرى تعود وكنت فيها أسعد
بتمثل الأقصى وفيه محمد
والأنبياء به تحف، ولم يغب
عن ليلة الإسراء منهم سيد
وكأننى أصغى إليهم مجدوا
ربى وأننى بعد ذلك أحمد
سبحان من أسرى به ليلا إلى
مهد الرسالات التى لا تجحد!
لتعيش فى أعناقنا أرض الهدى
حرما تطيب به النفوس وتسعد

هذا ولقد سجل القرآن الكريم هذه الذكرى، قال تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء ١)

فهذه الآية تبشر رسول الله ﷺ والمسلمين، وتعلن للدنيا فى كل حين أن بيت المقدس أصبح مسجداً للمسلمين، ومن أجل ذلك جمع الحق سبحانه فى تلك الليلة - الأنبياء والمرسلين، فصلى بهم - عليه الصلاة والسلام - إماما، وبذلك تقررت مسجدية بيت المقدس، وقد كان معروفًا ببيت المقدس، كما كان خرابا مهجورا لا يصلى فيه أحد، فعاد إلى قدسه وطهره:

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه
والرسل فى المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت بهم التفوا بسيدهم
كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر
ومن يفز بحبيب الله يأتمم

كذلك تشير الآية الكريمة إلى أن الإسراء من المسجد الحرام بمكة إلى هذا المكان المقدس بفلسطين - إعلان بأن ملكية هذه الأماكن ستؤول حتما للمسلمين، ويالها من بشارة طيبة بأرض طيبة مباركة نصت الآية الكريمة على بركتها، كما نصت بذلك آيات أخرى، نذكر منها قوله - تعالى - فى شأن إبراهيم - عليه السلام -:

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾

(الأنبياء ٧١)

وقوله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾

(سبا ١٨)

وقوله:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾

(البقرة ٥٨)

والقرية: المدينة المقدسة، وبيت المقدس، وهى مهبط النبوات، ومحط رحال المرسلين، ومحمد ﷺ هو وارث الأنبياء، والأمة الإسلامية من بعده هى الأمينة على هذه المقدسات، قال عطاء الخراسانى: «المسجد الأقصى بنته الأنبياء، وعمرته الأنبياء، والله ما فيه موضع شبر إلا وقد سجد فيه نبى».

ثم إن المسجد الأقصى هو أقدم مسجد بعد المسجد الحرام، روى مسلم عن أبى ذر الغفارى - رضى الله عنه - قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض، قال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أى؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة، ثم الأرض لك مسجدا، فحيثما أدركتك الصلاة فصل».

كما أن المسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها، روى الإمامان البخارى ومسلم - رحمهما الله - عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى».. والمعنى: لا يطلب السفر إلى مسجد من المساجد لأجل الصلاة فيه إلا لهذه الثلاثة، كما أنه لا يخفى على أحد أن الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والنبوى بألف صلاة، والأقصى بخمسمائة صلاة كما نصت الأحاديث النبوية الشريفة، فقد روى البيهقى عن جابر - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «صلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وصلاة فى مسجدى ألف صلاة، وصلاة فى بيت المقدس خمسمائة صلاة».

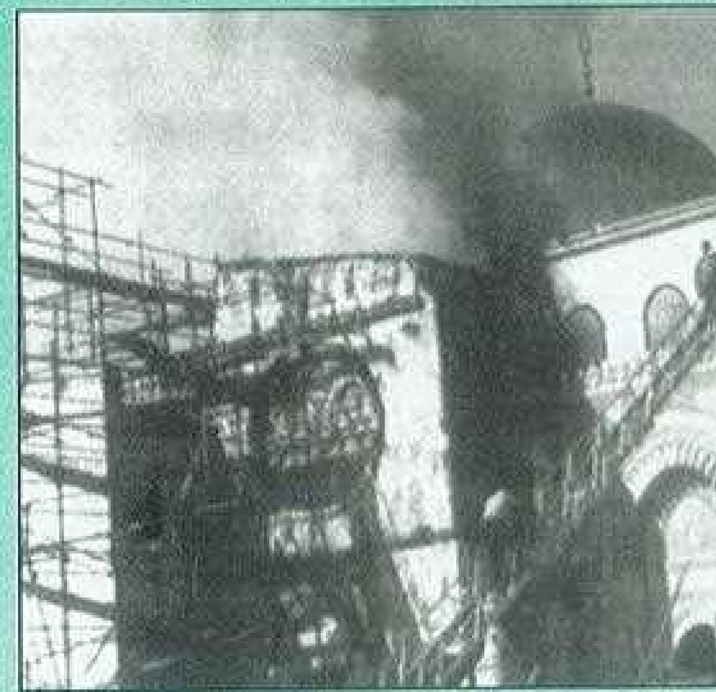
وقد بنى المسجد الأقصى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - بعد أن جدد إبراهيم - عليه السلام - بناء المسجد الحرام بأربعين سنة، ثم جدد بناء المسجد الأقصى سليمان - عليه السلام.

وقد كان المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى، وقد صلى إليها الرسول ﷺ والمسلمون نحو ستة عشر شهرا من الزمان، ومن هنا تتجلى حكمة ربط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام فى الآية، وأن ذلك يدل دلالة قاطعة على وحدة المقدسات الإسلامية، والبلاد الإسلامية، والأمة الإسلامية، وأن الخطر الذى يهدد المسجد الأقصى فى القدس يهدد المسجد الحرام فى مكة.

والواقع يشهد أن إسرائيل والصهيونية العالمية لا تغفل لحظة واحدة عن العمل لتحقيق حلمها فى تكوين دولة تمتد حدودها من النيل إلى الفرات، وهى لا تفتأ تسعى جاهدة لتهويد القدس، والتاريخ يشهد، والوقائع تؤكد.

تجلى ذلك واضحًا يوم أن أشعل اليهود النار فى المسجد الأقصى تحت سمع العالم وبصره، غير آبهين بما تتركه هذه الجريمة الشنعاء من أثر سيىء فى نفوس المسلمين، للعدوان على قبلتهم الأولى، ومسرى نبيهم ﷺ، وموضع إمامته للأنبياء والمرسلين، خاصة وأن النيران قد أتت على منبر المسجد، وهو خسارة تاريخية حضارية لا تعوض، إذ يرجع تاريخ إنشائه إلى عصر البطل القائد صلاح الدين الأيوبى، وقد صنع فى الشام، وعرف بمنبر الحسين، وراحت إسرائيل يومها تدعى أنها قادرة على حماية المقدسات، وتحمل

مسئوليتها أمام العالم فى حين أنها كانت تتخبط فى أقوالها، فمرة تنسب الحريق إلى المس الكهربى، وأخرى إلى المتطرفين من العرب، وأخيرا تلصق التهمة بشاب استرالى.



يوم ان اشعل اليهود النار فى المسجد الاقصى

ومما يؤكد أن الصهيونية هى التى اقترفت هذا الجرم - قيامهم بالتنقيب عن هيكل سليمان، وشروعهم فى الحفر تحت المسجد الأقصى، بحجة البحث العلمى عن الآثار، وهى - بلاشك - حجة واهية تحمل فى طياتها رغبة الصهيونية فى الهدم والتوسع، ولو كان ذلك على حساب مقدسات الأديان.

ولاتزال الصهيونية تمضى فى تنفيذ خطتها لتهويد القدس، بهدم البيوت الفلسطينية، وتشريد الفلسطينيين، وتدمير البنية التحتية لهم، والقتل الجماعى، والقضاء على قادة حماس وزعمائها واحدا تلو الآخر، الشيخ أحمد ياسين، ثم الدكتور عبدالعزيز الرنتيسى - رحمهما الله - ضاربين بالمحافل الدولية، وقرارات هيئة الأمم المتحدة عرض الحائط، وكم أعلنها قادتها فى تبجح منقطع النظير: لا لوقف الاستيطان، لا للأرض مقابل السلام، لا للحكم الذاتى.

لكن حادثة الإسراء تؤكد أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، وشاهدنا على ذلك أنه بعد حادث الإسراء خرج رسول الله ﷺ إلى قريش فى فناء الكعبة فلقى أبا جهل عمرو بن هشام، فإذ به يقول لمحمد ﷺ: هل من خبر جديد؟ فيقول النبى ﷺ: نعم، قد ذهبت الليلة إلى بيت المقدس ورجعت، فاعتقد اللعين أن أحداً لن يصدق هذا الخبر، وكيف لا؟ وهم يعرفون أن المسافة تحتاج إلى أربعين يومًا، لا إلى ليلة أو بعض ليلة، فانتهزها فرصة، وقال: هل أدعو قومك لتخبرهم بذلك؟ فأجابه إلى ذلك، فنادى فى قريش: هلموا فإن محمدا يحدثكم خبره الذى يتلاشى معه كل شأن له سبق، فحدثهم، فكانوا بين مصفق، وواضع يده على رأسه تعجبًا وإنكارا.. وإذا برسول الله ﷺ يتحدى كل من أراد تكذيبه والسخرية من

خبره، وسعى رجال إلى أبى بكر - رضى الله عنه - فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: «فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق». قالوا: فتصدقه فى أن يأتى الشام فى ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح؟! قال: «نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء!» فسمى الصديق، وكان منهم من سافر إلى بيت المقدس فطلبوا إليه وصفه، عندها كشف الله - عز وجل - له بيت المقدس، فأخذوا يسألونه عنه، وعن أبوابه ونوافذه، وسواريه ومحاريبه، وهنا أجاب رسول الله ﷺ، عن هذه الأسئلة، فقالوا: أما النعت فقد أصاب.

وهكذا ثبت الله نبيه حين التبس عليه الوصف، وأوشك أن تضطرب عنده الإجابة لما عمدوا إلى الأسئلة التعجيزية.

وهكذا لم تختر العناية الإلهية هذا المكان المقدس بالذات ليكون مسرى نبيه ﷺ جزافا، ولم يحدث ذلك اعتباطًا، بل اختارته، ليزداد المسلمون له تكريمًا، ولينزلوه من نفوسهم منزلة الإجلال والتقديس، وليدافعوا عنه بالمهج والأرواح كلما حاول معتد أن يدنس أرضه الطاهرة أو قدسه المبارك، ولعل هذا هو الذى دفع المسلمين الأوائل فى عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى رفع راية الإسلام على المسجد الأقصى وإقليمه، وقد امتد هذا الشعور من الأجداد إلى قلوب الأبناء والأحفاد، فاندفعوا يذودون عن المسجد



الشيخ احمد ياسين — عبدالعزيز الرنتيسى

الأقصى وحماه كلما ثارت عليه قوى البغى والعدوان والطغيان من تتار وصليبيين وصهاينة، وقد أنشد الشاعر:

مهما تمادى المجرمون وخانوا
لابد يومًا يهزم الشيطان
المسجد الأقصى سيبقى مسجدا
دهر الدهور ويمحق العدوان
القدس بيت الله فى عليائه
من رام كيدا كاده الرحمن

فعلى المسلمين عامة، والعرب خاصة أن يوحدوا صفهم، وأن يحشدوا طاقاتهم لتحقيق ذلك، ففلسطين عربية إسلامية ما بقى فى المسلمين نفس يتردد، والقدس مركز إسلامى عزيز مقدس يحافظ المسلمون عليه حفاظهم على إيمانهم وعقيدتهم، فقد أخرج الطبرانى عن أبى أمامة - رضى الله عنه - مرفوعا: «لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، قيل: فأين هم يا رسول الله؟ قال: ببيت المقدس، أو بأكناف بيت المقدس».

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

الإسراء و المعراج

للأستاذ/ عادل خفاجة

حينما يشتد الظلام وتمتد ساعات الليل يؤذن بميلاد فجر جديد، إنها سُنّة الله التى لا تتخلف وكان المشيئة الإلهية تنبهنا إلى أنه إذا اشتدت الكروب وتزايدت وبلغت القلوب الحناجر، فليس بين ذلك الحين وفرج الله الأكيد سوى سويعات، تمر على المتشككين دهورا فيسقطوا فى الطريق، وتمر على المؤمنين بقدر الله مر السحاب.

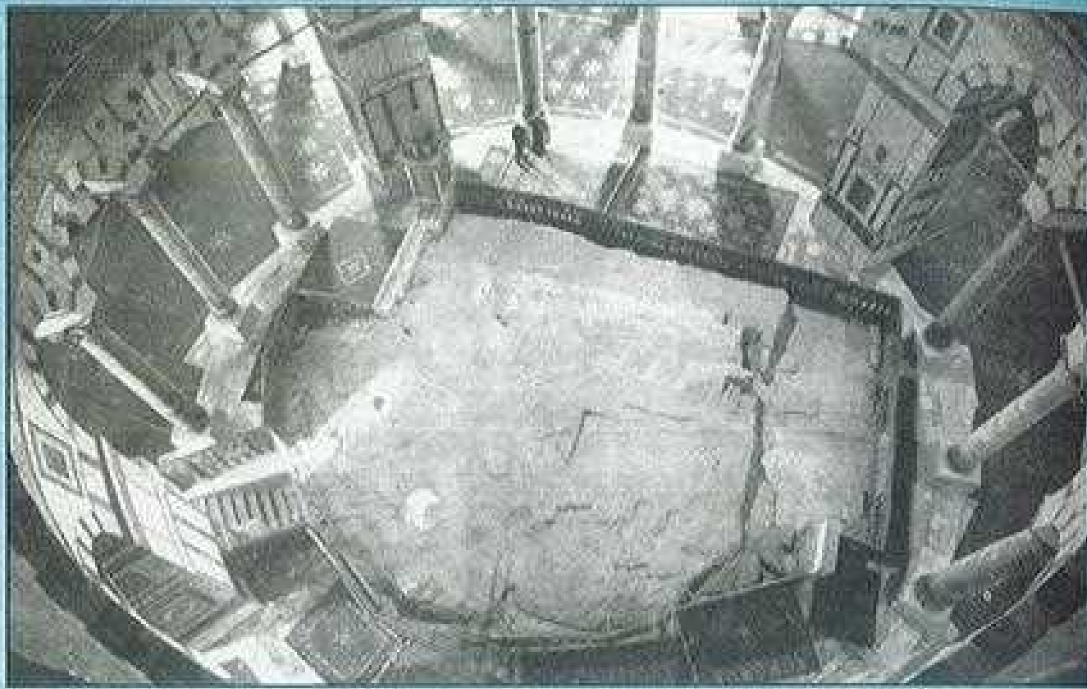
هكذا كان حال النبى - ﷺ - بعد أن حمل أعباء الدعوة.. حال الواثق الذى يعلم أن فرج الله آت.

فهؤلاء قومه يرفضونه ويرمونه بالجنون وكيف يؤمنون به.. وقد جاء بغير وما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم!!.

لم يفقد رسول الله ﷺ صبره أو إصراره على المضى قدما حتى يبلغ رسالات ربه، بل كان يفرط فى الحزن على كفر قومه حتى نهاه رب العزة حيث قال سبحانه:

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾

فاطر (٨)



الصخرة المباركة التي عرج منها برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء

وقال:

﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾

الشعراء (٣)

كان رسول الله ﷺ يحاول جاهدا إخراج الكفار من الظلمات إلى النور وهم على عنادهم مصرون على البقاء فى الظلمات التى يظنونها النور لطول بقائهم فيها، أو لعنادهم الذى جبلوا عليه.

وبرغم ذلك فقد لاحظت قريش أن بعضا من أبنائها يتحولون إلى الدين الجديد ويدعون دين آبائهم وأنه يجب أن يجابه هذا الأمر بحسم فكانت المقاطعة الظالمة للرسول ومن معه فى شعب بنى هاشم والتى استمرت ثلاث سنين عجاف حتى جاءت مبادرة هشام ابن عمرو لما ساءه حال المسلمين وأراد فك الحصار وأيده فى ذلك زهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى وأبى البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود، نجحت المبادرة وخرج المسلمون من الشعب وبخروج المسلمين من الشعب يكون قد انقضى عشر سنين قضاها المسلمون فى أسوأ حال.. بين الاضطهاد الدائم ثم الحصار.

وما أن خرج المسلمون من الشعب حتى فجع النبى - ﷺ - بموت زوجه السيدة خديجة ثم بوفاة عمه أبى طالب.

وقد حزن النبى - ﷺ - لذلك حزنا شديدا.

واشتد أذى قريش للنبى - ﷺ - بعد أن فقد النصير فقد روى عن عبدالله بن مسعود قال: بينما رسول الله - ﷺ -

يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبى - ﷺ - وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت لى منعة طرحته عن ظهر رسول الله - ﷺ ...»[1]

لقد بات واضحا أن قبائل قريش ترفض نداء الإيمان، وأصبح على النبى أن يفكر فى دعوة قوم آخرين لعله يجد قلوبا أكثر صفاء وعقولا أكثر تفتحا فيمم وجهه إلى الطائف التى تبعد نحو خمسين ميلا عن مكة قطعها سيرا على الأقدام يصاحبه زيد بن حارثة فلما عرض عليهم الإسلام أغلظوا له فى الرد وأغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة فما كان منه - ﷺ - إلا هذا الدعاء الذى يتقطر رضا بقضاء الله، وينم عن رغبة لديه أكيدة أن يُخرج اللهُ من أصلابهم من يؤمن بالله.

ولنتأمل هذا الدعاء الخاشع الذى توجه به إلى ربه: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدوٍ ملكته أمرى إن لم يكن بك علىَّ غضبٌ فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل علىَّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»[2].

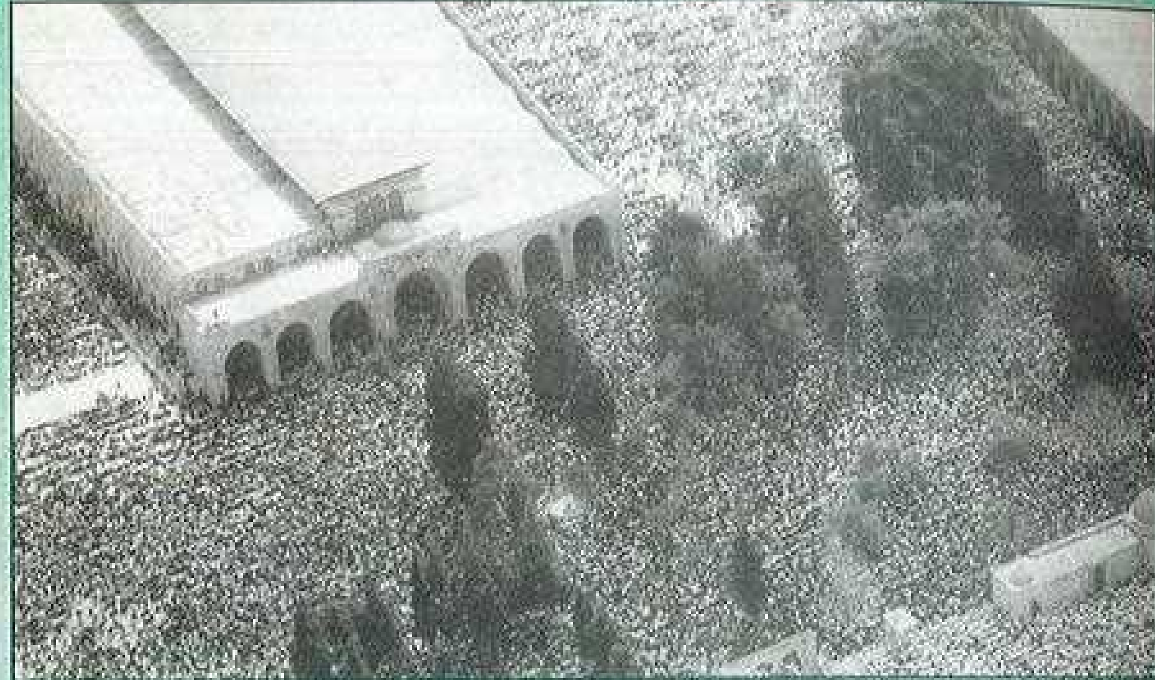
ولنتأمل هذا القول فى دعائه - ﷺ - «إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى» فرسول الله يخشى أن ينزل الله به غضبه وهو الذى لم يألو جهدا فى تبليغ رسالة ربه فلم هذا الخوف!! هنا تداركته عناية ربه وأشرق عليه نور لا يضاهيه نور إنه النور الإلهى، نور الخالق سبحانه وتعالى.. فكانت رحلة الإسراء والمعراج.

يقول الرسول الكريم: «لما كانت ليلة أسرى بى وأصبحت بمكة فظعت بأمرى وعرفت أن الناس مكذبى فقعد رسول الله - ﷺ - معتزلا حزينا فمر أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزىء: هل كان من شىء؟ قال: نعم، قال: وما هو؟ قال: إنى أسرى بى الليلة، قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا قال: نعم، فلم يُرِدْ أن يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه، قال: أتحدث قومك ما حدثتنى إن دعوتهم إليك قال: نعم.

قال: هيا يا معشر بني كعب بن لؤى هلم

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير حديث رقم ٣٣٤٩.

(٢) السيرة النبوية جـ٢ ص٢٦٨



المسجد الاقصى وقت ان كان عامرا بالمصلين

المجالس، فجاءوا حتى جلسوا إليهما فقال له: حدث قومك ما حدثتنى، قال رسول الله - ﷺ -: إنى أسرى بى الليلة، قالوا: إلى أين قال: إلى بيت المقدس، قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا، قال: نعم، قال: فبين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب زعم وقالوا: أتستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ قال: وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد قال - رسول الله ﷺ -: فذهبت أنعت لهم فمازلت أنعت لهم وأنعت حتى التبس علىَّ بعض النعت فجىء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو دار عقال فنعته وأنا أنظر إليه فقال القوم: أما النعت فوالله قد أصاب»[3].

ولقد ورد فى شأن الإسراء أحاديث كثيرة منها ما يوضح أن الرسول - ﷺ - وصف الكثير من الأشياء التى رآها فى طريق عودته وحدث عن أشياء حدثت فى القوافل.

فلما عادت تلك القوافل أجابوا بما قال به رسول الله ﷺ ولكن الكفار تعنتوا ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ.

ومعجزة الإسراء والمعراج قصد بها النبى فى المقام الأول «فلم يكن حادث الإسراء إلا نوعا من أنواع التكريم، ووسيلة من وسائل التثبيت تجلى به - سبحانه وتعالى - على نبيه الذى أرسله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وليقرع قلوبهم

(٣) مصنف ابن ابى شيبة جـ٦/٣١٢، جـ٧/٣٣٤.

بكلمة التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية وليحول العالم من مجرى المادة التى تطغى على سعادة الإنسان إلى مجرى الروح التى تنهض به إلى الأفق الأعلى من مستوى الإنسانية»[٤].

ولقد تساءل الكثيرون هل كان الإسراء يقظة أم مناما، وإذا كان يقظة فهل كان بالجسم أم بالروح؟!.

والإجابة تأتينا من قول النبى ﷺ: «لما كانت ليلة أسرى بى وأصبحت بمكة فظعت بأمرى، وعرفت أن الناس مكذبى» فهل يكذب الناس حكاية عن رؤيا منامية أو إسراء بالروح فقط؟.

لقد كان الإسراء بالجسم والروح ويشهد لذلك ـ أيضا ـ قوله تعالى:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾

الإسراء (١)

ولفظ العبد إنما يطلق على الجسم والروح معا والعرب أهل فصاحة وبلاغة وهم يعلمون ولا شك أن قوله - ﷺ -: «أسرى بى» أن الفاعل هو الله ولكنهم تعنتوا، وقد أفادوا الإسلام بتعنتهم هذا.

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمة الله عليه -: «إن الكافرين بتعنتهم أمام رسول الله - ﷺ - قد خدمونا خدمة كبيرة تبينت لنا بعد ذلك، وهنا نقول: لو كانت رؤيا منامية لما ناقش فيها أحد لأن أى واحد يقص عليك رؤية يدل ذلك على أن قانون المرائى فوق قانون المادة واليقظة وبما أنهم قد ناقشوا فى هذه المسألة ووقفوا هذه الوقفة، فهم إذا قد أدركوا أنها يقظة وبالجسم والروح معا»[٥].

***

لعل معجزة الإسراء والمعراج أصبحت أكثر استيعابا لعقول أهل هذا القرن لما لمسوه من تقدم علمى مذهل لم يتمتع به الأقدمون.

لقد أنكر المنكرون الأقدمون أن يقطع الرسول الكريم هذه الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى جزء من الليل لأنهم كانوا يضربون أكباد الإبل إليها شهرا فلم يكن بمقدورهم السفر بغير الإبل والجياد!!.

أما أهل هذا القرن فبمقدورهم أن يركبوا طائرات ذات سرعات تفوق سرعة الصوت.

وأنكر القدماء المعراج، وعرف أهل هذا القرن أن الصعود لطبقات الجو العليا له قواعده، ومحاذيره، وأعدوا له العدة، وعرجوا إلى طبقات الجو العليا بعد أن تزودوا بأردية خاصة تناسب ما سيلاقون من ضغوط جوية. فهل المعراج إلى السموات العلا برسول الله أمر عزيز على خالق الأرض والسموات؟!

إننا نسمع ونصدق مادام القائل العلم والعلماء.

(٤) فضيلة الشيخ محمود شلتوت: مجلة الأزهر المجلد السابع سنة ١٣٥٥ ص٤٧٢.

(٥) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: الإسراء والمعراج - مجلة الأزهر - المجلد ٧٢ سنة ١٤٢٠هـ - ملحق عدد رجب ص٢٢.

«ولا غرو فالجهل حليف الإنسان والضعف لازم من لوازم البشرية وقصور العلم من صفاتها الذاتية وأعراضها اللازمة وكل من لم يصدق إلا بما وصل إليه عقله وبلغته حدود علمه، فليس مؤمنا بالرسول على الحقيقة، وإنما هو مؤمن بعقله لا بالرسول»[٦] إننا بحق فى حاجة إلى أن نصدق ما جاء عن الله لأن الله هو القائل وأن نصدق دون الرجوع إلى قياس عقلى مادام قد ثبتت النسبة إلى الله تعالى.

إن مناسبة الإسراء تأخذنا إلى أرض الإسراء حيث صلى الرسول - ﷺ - بالأنبياء أجمعين فى المسجد الأقصى الذى يقع الآن أسيرا فى أيدى اليهود.

لقد كانت رحلة الإسراء والمعراج تثبيتا لرسول الله بعد طول عناء، وبعد أن اشتد الظلم وقويت دولته فهل لنا فى ذلك اعتبار؟!.

إن الأزمة اشتدت على أمتنا الإسلامية فها هى الأمم تتكالب عليها من كل جانب ولابد أن نستنفد كل ما أوتينا من أسباب النصر ذلك أن «الإنسان الذى يمده الله - سبحانه وتعالى - بالأسباب عليه أن يستعمل هذه الأسباب وأن يجتهد وسعه فى أن يستخدمها فى الوصول إلى أغراضه، وحين يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ومعه الأسباب يرد الله سبحانه وتعالى رجاءه لأنه لاتزال معه الأسباب»[٧].

فإذا ما استنفدنا هذه الأسباب وأولها لم الشمل والتمسك والاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه عملا وقولا والبعد عن كل ما من شأنه التفريق بين عناصر الأمة - عندها فقط نستطيع أن نقول:

لبيك يا وطن الجهاد ومرحبا
لبيك من داع أهاب وثوبا
لبيك إذ بلغ البلاء وإذ أبى
جدُّ الزمان وصرفه أن نلعبا
من ذا يرى دمه أعزَّ مكانة
من أن يخضَّب من فلسطين الربى
كبرت حين عفا الوفاء وما عفا
فى أرضها أثر البراق ولا خبا
إنى أرى المعراج عند جلاله
وأرى النبى وصحبه والموكبا
وطن يعذب فى الجحيم وأمة
أعزز[٨] علينا أن تصاب وتنكبا

وعندها - أيضا - نثق بأن الفجر الجديد آت يبعثه الله نصرا لعباده غير القانطين الذين نصروا الله بالأخذ بالأسباب والعمل بالسنة والكتاب.

(٦) فضيلة الشيخ يوسف الدجوى - مجلة الأزهر - المجلد الخامس سنة ١٣٥٢هـ ص٥٩٢.

(٧) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: الإسراء والمعراج - مجلة الأزهر - المجلد ٧٢ سنة ١٤٢٠ - ملحق رجب ص١١.

(٨) يقال اعزز علىَّ بما اصاب فلاناً: اى اعظم علىَّ ولا يقال: اعززت «راجع العين مادة عز» والابيات من قصيدة للشاعر الكبير احمد محرم.

الحضارة الإسلامية
طبيعتها وسماتها

(٢)

للأستاذ الدكتور/ محمد أبو ليلة

حضارة الإسلام، حضارة للإنسان أيا كان، تتسع لحاجاته وطموحاته وتؤمنه على حياته، وتضمن له حقوقه، يقول تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

(المائدة: ٢)

وهذا نداء عام لكل أفراد الجنس البشرى، مسلمين وغير مسلمين، يقول تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾

(النساء ١٣٥)

وقوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(المائدة ٨)

وقوله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾

(الرحمن: ٩)

وقوله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

(النساء: ٥٨)

وقوله:

﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾

(البقرة: ١٣٩)

وقوله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

وقد كرم الله تعالى الإنسان باعتبار الإنسانية قبل أن يكرمه باعتبار الدين، يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

(الإسراء: ٧٠)

وينهى الله تعالى الجميع عن إشاعة الفساد فى الأرض:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(الأعراف: ٥٦)

وعندما قالت الملائكة لله عز وجل - بعد أن أعلمهم بخلق آدم -:

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾

(أى يفسد فى الارض ويملؤها بالجور والظلم والاعتداء على حياة الآخرين)

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾

(البقرة ٣٠: ٣١)

وهذا يعنى أن من آدم - عليه السلام - سيكون البار والفاجر، والمفسد والمصلح، بحسب الأعمال، لا بحسب الخلق وطبيعة المخلوق.

الحضارة الإسلامية فى صميمها ثمرة من ثمار التسامح والتآخى بين البشر، ولذلك فقد كان كل إنسان يعيش فى العالم الإسلامى يجد نفسه فى هذه الحضارة، ويحقق ذاته وعبقريته فى إثرائها، وفى التفاعل معها أخذا وعطاء. لم يحرق المسلمون كتب الغير أو دور عبادتهم أو مدارسهم، وعلى النقيض من ذلك فبعد خروج المسلمين من غرناطة بقليل ١٤٩٩م أحرق الأسبان حوالى مائة ألف كتاب عربى فى حفل دينى احتشد له الناس، ولم ينج من هذا الحريق إلا ثلاثمائة كتاب كانت فى الطب.(1)

وتتجلى حقائق التسامح فى الحضارة الإسلامية فى آيات القرآن الكريم، وكذلك فى أعمال النبى ﷺ وسيرته وأقواله ووصاياه. وقد جاء رسول الله ﷺ رحمة للعالمين

(١) عبدالله عنان- دولة الإسلام فى الأندلس- مكتبة الأسرة- ٨/ ٤٢٠.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء: ١٠٧)

وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة..»[٢].

الرحمة هى روح الحضارة الإسلامية، والتسامح ينبثق من الرحمة. من آيات التسامح:

﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾

(الحجر: ٨٥)

﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

(الزخرف: ٨٩)

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(الأعراف: ١٩٩)

﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾

(الشورى: ٢٣)

﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٠)

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(الأعراف: ٨٥)

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾

(العنكبوت: ٤٦)

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾

(آل عمران: ٦٤)

﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾

(الممتحنة: ٨)

ولقد ترك لنا فقهاء الإسلام هذه القاعدة الفذة فى شان غير المسلمين «أمرنا بتركهم وما يدينون»، وفى شان المعاملات قولهم: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، وبناء على هذا الأصل فإن غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى قد منحوا الحرية والأمان فى أن يمارسوا شعائر دينهم، ويتعلموها ويعلموها أبناء دينهم، بل إن لغير المسلم الحق فى أن يدافع عن عقيدته إذا تعرضت لهجوم من قبل أحد من المسلمين.

والإسلام يحث على الإيمان بالله، ويعتبر الكفر به تعالى أو الشك فيه حيرة وضلالة، ولذلك فإنه من الأفضل للإنسان أن يكون له دين يتمسك به، ويركن إليه عند الشدة ويعتصم به ضد القلق والتوتر وسائر الأمراض النفسية والعقلية المفضية إلى الهلاك والمخالفة لمقتضى الفطرة التى فطر الله الناس عليها، فإن الدين يربى فى الإنسان الضمير والوازع الأخلاقى، مما يعود بالمصلحة

(٢) مصنف ابن ابى شيبة ج ١١/ ٥٠٤.

على الفرد وعلى الأمة الإنسانية بأسرها. يقول ابن حزم فى كتابه، «الأخلاق والسير» - الذى ترجمناه إلى اللغة الانجليزية، ونشر بلندن عام ١٩٩٠ -: «ثق بالمتدين، ولو كان على غير دينك، ولا تثق بغير المتدين ولو كان على دينك».

ومن كتبه ﷺ فى المعاهدات، ما كتبه لليهود فى المدينة: «لكم ذمة الله وذمة رسوله على أنفسكم ودينكم وأموالكم، ورقيقكم. وكل ما ملكت أيمانكم، لا يطأ أرضكم جيش.. ومن سافر منكم فهو في أمان الله ورسوله وأمان المسلمين لا إكراه في الدين وهذا كتاب محمد رسول ﷺ لبنى ضمرة (من قبائل العرب) بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصر على من رامهم (قصدهم بسوء) ما بل بحر صوفة، وأن النبى ﷺ إذا دعاهم إلى النصرة أجابوه، عليهم ذمة الله ورسوله ،ولهم النصر من بر منهم واتقى».

وقد تجلى خلق السماحة الإسلامية الجامع فى جميع أفعال رسول الله ﷺ فى السلم وفى الحرب، فقد عفا عمن ظلمه، وأمر المسلمين بذلك وأبرم عن قوة معاهدة صلح مع مشركى مكة، عرفت بصلح الحديبية، وقد كانت سببا فى انتصار الإسلام وانتشاره، حتى إن الله - تعالى - سمى صلح الحديبية «فتحا مبينا»، وأبرم الرسول ﷺ كذلك صلحا كذلك مع يهود المدينة للحفاظ على حرياتهم، كما عقد معاهدات صلح مع القبائل وذلك حقنا للدماء، وتأمينا للحدود بين الدولة الإسلامية وجيرانها من غير المسلمين،

ومن أكرم مواقفه ﷺ مع أعدائه، موقفه ﷺ من أهل مكة بعد ما دخلها، وصار الحاكم عليها، وقال لأعدائه الألداء الأشداء: «اذهبوا فأنتم الطلقاء، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم»، وحتى عندما أبيح للمسلمين أن يقاتلوا دفاعا عن أنفسهم، قال الله تعالى لهم:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾

(الحج: ٣٩: ٤١)

فهذا التعليل للحرب الدفاعية يبين إلى أى حد كانت سماحة الإسلام.

ويقول تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٠)

ويقول:

﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة: ١٩٤)

وحتى فى أثناء الحرب، فقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الذرية والمرأة والشيخ العاجز، والزارع فى مزرعته، والعابد فى صومعته، والمسالم الذى لا يحمل سلاحا، كما أمر ﷺ بعدم حرق الأشجار أو تخفيف مياه الشرب، أو تسميمها، والعبث بالمقدسات ومرافق الحياة، يقول تعالى:

﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾

(النساء: ٩٠)

ويأمر الإسلام بحسن معاملة الأسرى، والبر بهم، وعدم التمثيل بجثث الضحايا منهم، يقول تعالى:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾

(الإنسان: ٨)

ويقول ﷺ: «استوصوا بالأسير خيرا»، ولقد أوصى رسول الله ﷺ بأسرى بدر خيرا فعاشوا فى كنف المسلمين، وكأنهم فى ضيافة لا فى إسار.

ويحث ـ الله تعالى ـ المسلمين على الاحتفاظ بالعهود والعقود، والالتزام بمعاهدات السلام والأمان لضمان توفير الأمن والسلام للعالم وتطوير سبل الحياة بما ينفع الناس فى الأرض يقول تعالى:

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾

(التوبة: ١١١)

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

(النحل: ٩١)

وفى الآية نفسها ما يدل على أن فى نقض العهد نقضا لنسيج الحياة، وتقويضا لبناء المجتمع كله.

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(النحل: ٩٢)

ولذلك يدعو الله ـ تعالى ـ إلى الدخول فى السلم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

(البقرة: ٢٠٨)

فالسلم أمان وحياة، والحرب من عمل الشيطان وغرور الإنسان، وبالحرب يقضى الإنسان بيده على ما بناه بيده، ويحول حياته إلى دمار.

ولسماحة الإسلام، فإن المسلمين قد فتحوا أبواب بلادهم للاجئين السياسيين. والمضطهدين المستأمنين، حتى ولو كان المستأمن من بلد بينه وبين المسلمين حرب، فإن له الحق أن يلجأ

إلى ديار المسلمين، ويأمن فيها، ومن حقه على الدولة الإسلامية أن تنفق عليه، وتشمله برعايتها حتى أنه لو حمل معه مالا، فإنها لا تفرض عليه فيه ضريبة، حتى لا ينفد ماله فيقع صاحبه فى الضيق والحرج والمنهى عنهما. يقول تعالى:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾

(التوبة: ٦)

وقد تفسر الآية على أن سماع المشرك لكلام الله ـ تعالى ـ يعنى أن يدخل فى إطار المجتمع المسلم ومحيطه ويطمئن على نفسه، مما يهيئه لسماع ما يتحدث به المجتمع المؤمن عن أخلاق الإسلام وأحكامه، ويرى كيف يتعامل المسلمون فيما بينهم من منطلق هذا الدين القويم، فيرق قلبه للإسلام فيسلم، أو على الأقل يكف شره عن المسلمين. وقد جعل الإسلام نصيبا من مال الزكاة لتأليف القلب، واستلال الأحقاد المفضية إلى الخيانة والمنازعة،

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة: ٦٠)

وما ذلك إلا لأن الإسلام يسعى إلى تأليف القلوب، وتقوية العلاقات الإنسانية بين الناس سعيا إلى تحقيق الاستقرار فى المجتمعات الإنسانية.

يقول الإمام السرخسى فى السير: «أموالهم صارت مضمونة بحكم الأمان، فلا يمكن أخذها بحكم الإباحة، يضاف إلى ذلك أن هذا الحق الذى أعطاه المستأمن فى هذا لا يسقط حتى ولو حمل السلاح فيما بعد على المسلمين.

وقد قرر الفقهاء أن من حق المستأمن أن يدخل دار الإسلام ويخرج منها بحسب حاجته، دون أن يبطل أمانه، وأنه إن مات المستأمن ردت أمواله إلى ورثته، وعلى الدولة الإسلامية أن ترسلها إلى ورثته حيث كانوا دون إخلال بأى شىء منها. بل لقد قال بعض الفقهاء: إنه إذا طلبت دولة المستأمن التى جاء منها رده إليها، فإنه من الواجب على الدولة الإسلامية ألا تسلمه لها حفاظا على حياته، حتى لو اضطرها ذلك الموقف أنه تخوض حربا معها بسبب ذلك، وذلك لأن من مبادىء الإسلام العامة دفع الظلم عن الإنسان وحماية المظلوم.

ومما أكده الإسلام فى معاملة المعاهدين من أهل الذمة، ودار العهد ما جاء فى قوله ﷺ: «لعلكم تقاتلون قوما، فتظهروا عليهم، فيتقوكم بأموالهم دون أنفسهم وأبنائهم، وتصالحوهم على ذلك، فلا تصيبوا منهم

شيئا بعد ذلك »[٣].

وتتجلى قيمة العدل فى الشريعة الإسلامية فى نظرتها إلى الغير بعين الرحمة، واعتبار المصلحة، فقد قرر فقهاء المسلمين- والإمام السرخسى مثال على ذلك- إذ يقول فى المبسوط: إذا طلب ملك الذمة على أنه يترك يحكم أهل مملكته بما شاء، من قتل أو صلب أو غيره مما لا يصلح فى دار الإسلام، لم يُجب إلى ذلك، لأن التقرير على الظلم مع إمكان المنع حرام، ولأن الذمى من يلتزم أحكام الإسلام فيما يرجع إلى المعاملات، فشرطه بخلاف موجب عقد الذمة باطل، فإن أعطى الصلح والذمة على هذا بطل من شروطه ما لا يصلح فى الإسلام، لقوله ﷺ: «كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل»[٤].

جاء عن النبى ﷺ: «من قتل رجلا من أهل الذمة، لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من سبعين عاما»[٥]، وقال ﷺ «من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»[٦]. وروى أبو يوسف فى كتاب الخراج أن عمر -رضى الله عنه- مر على قوم قد أقيموا فى الشمس فى بعض أرض الشام، فقال ما شأن هؤلاء؟ فقيل: انهم أقيموا فى الجزية. فكره ذلك، وقال: «هم وما يعتذرون به». قالوا: يقولون: لا نجد؟ قال: «دعوهم، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون»، ثم أمر بهم فخلوا سبيلهم.

وقد روى مسلم عن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط، وقد أقيموا فى الشمس، وصب على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا: قيل: «يعذبون فى الخراج» وفى رواية: «حبسوا فى الجزية» فقال هشام: أشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا»[٧] فدخل على الأمير، فحدثه فأمر بهم فخلوا.

وقد كان الخلفاء يتابعون بأنفسهم أوضاع أهل الذمة، فقد أوصى بهم عمر وهو فى فراش الموت، يعانى ألم الطعنة فى صدره- جاء في كتاب الخراج ليحيى بن آدم-: «أوصى الخليفة عمر من بعده بأهل الذمة خيرا، وأن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم». وقال أبو يوسف: «وحدث أن مر عمر -رضى الله عنه- بباب قوم، وعليه سائل يسأل، وكان شيخا ضرير البصر، فضرب عمر عضده، وقال له: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجاك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية، والحاجة والسن. فأخذ عمر

(٣) يحيى بن آدم. الخراج. السلفية. ص٧٤

(٤) مسند الإمام أحمد ٦/٢١٣

(٥) مسند الإمام أحمد ٤/٣٧

(٦) القرطبى ٨/١١٥

(٧) صحيح الإمام مسلم كتاب البر والصلاة ص ١١٧، ١١٨، ١١٩

بيده، وذهب به إلى منزله، وأعطاه مما وجده، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، وقال له: انظر هذا وضرباءه، فوالله إنا أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾

(التوبة: ٦٠)

وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ثم وضع الجزية عنه.[٨]

والجهاد في الإسلام إنما شرع للوقاية لا للإذاية، أو العدوان على حق الغير، وتعاليم الشريعة الإسلامية كلها تستوجب حماية الضعاف وحقن الدماء، ورد عدوان المعتدين، وتجنب القتال بالفعل؛ لذلك أمر الله- تعالى- بإعداد العدة لتوفير هيبة الدولة:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾

(الأنفال: ٦٠)

ويأمرهم كذلك بالحذر:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾

[النساء: ٧١]

وباختصار فإن الحضارة الإسلامية تتميز بالتسامح مع الإنسان، أيا كان دينه، أو جنسه، أو لغته، أو طبقته. فالناس فى ظل الحضارة الإسلامية سواء فى الحقوق والواجبات، لا يتمايزون إلا بالتقوى- وهى عمل باطنى فردى- وبالعمل الصالح، وهو عمل ظاهرى واقعى يخص الفرد والجماعة معاً.

تتميز كذلك الحضارة الإسلامية بالتعددية، والتعادلية، وبالتنوع، مع شيوع الروحانية فى كل مجال من مجالاتها، العلوم، والآدب، والفنون، والسلوكيات، ولقد انضوى تحت لواء الإسلام العرب والفرس، والتركمان، والديلم، والأكراد، والمغول، والتتار، وغيرهم من أصول الشعوب وفروعها.

الحضارة الإسلامية حضارة عالمية جمعت منذ البداية بين عناصر بشرية كثيرة، وأعراق متنوعة، تجاوزت الدين واللغة والحدود الجغرافية. وقد اعترفت الشريعة الإسلامية بالآخر، وأدمجته فيها مع تركه حرا فى الحفاظ على خصوصياته. وكان مبدؤها فى ذلك ما عبر عنه القرآن:

(٨) انظر: كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام. الغزالى ص٢٨- ٢٩، ص١٨٦- ١٨٧

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾

[يونس: ٩٩ : ١٠٩]

سمات الحضارة الإسلامية

الحضارة الإسلامية حضارة مفتوحة على السماء وعلى الأرض، وعلى الإنسانية، تستقبل وترسل، وتتبع وتتبع، وتأخذ وتعطى؛ ولأنها تقوم على أساس عقيدة الإله الواحد الخالق للكل وعلى أساس وحدة الجنس البشرى، فإنها لا تخاصم جنسا ما من البشر أو تعاديه لمجرد الاختلاف، ولا تستبعد شيئا نافعا كذلك، سواء فى الماضى أو فى الحاضر أو المستقبل؛ ولأنها حضارة اصطفائية فإنها تبحث عن قيم الجمال والحق والعدل وعن الأعمال الصالحة فى مجال الماديات أو الروحانيات سواء فى الماضى أو فى الحاضر فى الذهن أو فى الواقع، وتتبناها ثم تعرضها ضمن برنامجها ومشروعها دون أدنى حساسية أو شعور بالحرج، أو الدونية يقول تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

[الحج: ٧٨]

وعلى سبيل المثال فإن القديم الصالح لا ينبغى أن ينبذ أو يطرد لمجرد أنه قديم، كما أن الجديد الحادث لا ينبغى أن يقبل أو يفرض لمجرد أنه جديد، يقول الله تعالى:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾

[الأنعام: ٩٠]

ويقول تعالى:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾

[هود: ١١٢]

ويقول تعالى:

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[النحل: ٤٣]

الحضارة الإسلامية حضارة التامت فيها المكونات المادية والمكونات الروحانية، وامتزج فيها الثابت بالمتغير بنسب متوازنة ومنسجمة، فلم تطغ فيها الروحانية على الرغم من أنها انطلقت من الدين؛ وعلى العكس من الديانات الأخرى، كالمسيحية مثلا، فإن حكام المسلمين قد اضطهدوا من كانوا يعادون الفلسفة والفكر الإنسانى، والخليفة المأمون مثال على ذلك. ولذلك فإن الإسلام لا يشكل ظاهرة تدرس من خلال النصوص فحسب، أو من خلال المعابد والتراتيل، بل إنه دين جعل لنفسه واقعا ملموسا ومحسا، وارتبط بواقع الحياة المتغير والمتطور؛ وهذا من أسرار سرعة انتشار الإسلام قويا ومؤثرا إلى اليوم وإلى قيام الساعة.

الحضارة الإسلامية حضارة ثنائية من حيث التطبيق والغاية، فهي تضم العمل للدنيا والعمل للآخرة معا بلا تضاد أو تناقض أو إفراط أو تفريط؛ يقول تعالى:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

[القصص: ٧٧]

وهى حضارة وسطية لا تذهب إلى أى من طرفي الإفراط أو التفريط يقول تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

[الأعراف: ٣١]

ويقول:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾

[الإسراء: ٢٩]

ويقول تعالي:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾

[البقرة: ١٤٣]

وللإمام علي ـ كرم الله وجهه: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

***

ضرورات النهضة العلميـــــــة والتقنية للأمة الإسلامية

٣

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

١ - الضرورة الإيمانية

يأتى فى مقدمة الضرورات اللازمة لنهضة الأمة الإسلامية - بعد تنقية عالم الأفكار - تعميق الإيمان بأهمية العلم فى حياتنا باعتباره فريضة واجبة الأداء، والأخذ به بُنيةً ومنهجا وأسلوب حياة، انطلاقا من تعاليم الإسلام الحنيف - إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - الذى حث على طلب العلم من المهد إلى اللحد، وجعل الحكمة ضالة المؤمن، فهو أحق بها أنى وجدها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فرض الكفاية فى العلم وسيلة لتحقيق مقصد «حفظ العقل» الذى لايقتصر على مصلحة الفرد، بل يمتد لمصلحة الجماعة. ففى الأول يتحقق اكتساب المعارف والمهارات اللازمة لعمارة الأرض وكسب الرزق فى نواحى التخصص المهنى والحرفى، وفى الثانى تعمل الأمة على الوصول إلى الاكتفاء الذاتى فى كل مجالات الحياة الضرورية والحاجية والتحسينية، وتنطلق الطاقات بهذا الدافع الدينى، فمن الناس من تقف إمكاناته الذهنية عند حق معين، ومنهم من تسمح إمكاناته بالرقى فى مدارج العلم والاجتهاد الإبداعى فى شتى المجالات. ونقطة البداية فى تحقيق هذا المقصد الإسلامى فى وضع الأمة الحاضر يقتضى مراجعة أساسية لنظام التعليم لحسن الإفادة من تنوع مواهب الناس وقدراتهم بحيث تكفى مخرجات التعليم للوفاء باحتياجات التنمية الشاملة والمستديمة وقد تنبه أبو إسحاق الشاطبى فى «الموافقات» إلى صياغة هذه الفكر صياغة شرعية تربوية إذ يقول: «إن مواهب الناس مختلفة، وقدراتهم فى الأمور متباينة ومتفاوتة، فهذا قد تهيأ للعلم، وهذا للإدارة والرئاسة، وذلك للصناعة أو الزراعة، وهذا للصراع، والواجب أن يربى كل امرىء على ماتهيأ له، حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه أو مال إليه»، ويقول: «وبذلك يتربى لكل فعل هو فرض كفاية قوم، لأنه سير أولا فى طريق مشترك، فحيث وقف السائر وعجز عن السير فقد وقف فى مرتبة محتاج إليها فى الجملة، وإن كانت به

قوة زاد فى السير إلى أن يصل إلى أقصى الغايات فى المفروضات الكفائية، وبذلك تستقيم أصول الدنيا وأعمال الآخرة».

وإذا كان علماء الدين يصنفون العلوم الكونية، النظرية والتجريبية والتقنية، ضمن الفروض الكفائية التى يحتاجها المسلمون، فليست الكفاية أن يوجد فقط من يعرف هذه العلوم، بل فى وجود العدد الكافى لتلبية الاحتياجات اللازمة، والتخصصات العلمية والتقنية المختلفة ضرورية لكل مجتمع، والإخلال بأحدها يؤدى إلى الإخلال بالواجب الأعظم، وهو عبادة الله - تعالى - حق عبادته وإعلاء كلمته فى الأرض.

وهكذا نجد أن الواجبات الكفائية، ومن بينها تعليم العلوم والتفوق فى البحث العلمى والتقنى النافع، تتطلب من الدولة أن توفر المؤهلين الأكفاء للنهوض بهذه الواجبات كأحسن مايكون الأداء، بحيث يستمر تحقيق المصلحة العامة على أسس ثابتة. وفرض الكفاية يأخذ هذه التسمية قبل أن يختار العدد المناسب من أهل الاختصاص ويتحدد الجهد المطلوب. أما بعد الاختيار والتحديد فإنه يتحول إلى فرض عين، وعلى من كلف به أن يستفرغ الوسع لإتمامه، وإذا لم يوجد من يقوم به على النحو المطلوب، فإن التبعة عامة والمسئولية شاملة لكل أفراد الأمة. وإذا عجزت الأمة الإسلامية عن توفير كل الإمكانات التى سخرها الله - تعالى - فى الكون لإعزاز الإسلام والمسلمين، فإنها تكون قد قصرت فى أداء الأمانة أيما تقصير، والأمة التى تعطل أداء فريضة إسلامية واجبة هى أمة تلقى بأيديها إلى التهلكة.

ومن يتدبر القرآن الكريم يجده زاخراً بالكثير من الآيات الموقظة للفكر من غفلته، والمحرر للإنسان من ربقة تقليده وجموده، والداعية إلى التفوق فى العلوم المعنية بدراسة الظواهر الكونية للإفادة منها فى تطوير حياة البشر إلى الأفضل دائما، والرافعة من شأن العلم والعقل باعتبارهما الأساس فى فهم العلاقة الصحيحة التى تصل الإنسان بخالقه، وتربطه ببنى جنسه، وبالكون الذى يعيش فيه.

وقد فطن المسلمون الأوائل إلى حقيقة الدعوة القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بطلب العلم النافع وإمعان النظر فى ملكوت السموات والأرض، واندفع علماء الحضارة الإسلامية إلى أداء فريضة البحث العلمى كأحسن مايكون الأداء. وقدموا الأنموذج والمثل فى الأخذ بمنهج النظر العميق فى مختلف مجالات العلوم، وشيدوا حضارة زاهرة ظلت لأكثر من ثمانية قرون تشع على العالم ثقافة ومدنية، وتقدم للفكر البشرى رصيداً هائلا من كتب وأبحاث واكتشافات وتقنيات تشكل اللبنات الأساسية فى صرح الحضارة الإنسانية، ولولاها لتأخر سير المدنية إلى ماشاء الله.

ويجب أن يستقر فى النفوس والضمائر أن اجتياز حالة التخلف العلمى والتقنى التى تعيشها الأمة العربية والإسلامية حاليا يجب أن يصبح هدفاً عزيزاً على الأمة بأكملها، تستثار لأجله الهمم، وتستحث العزائم. وهذا يتطلب بطبيعة الحال رعاية مالية سخية من القادرين، دولا وأفراداً ومؤسسات، خاصة وأن التعليم والبحث العلمى أصبحا صناعة ثقيلة ومكلفة تنفق عليها الدول المتقدمة بسخاء وبذخ.

٢ - الضرورة الأمنية

يُعدّ «الأمْن» من أهم مطالب الحياة، بل إن أهم مطالب الحياة لاتتحقق إلا بتوافر الأمن باعتباره ضرورة لكل جهد بشرى، فردى أو جماعى، يستهدف تحقيق مصالح الشعوب. ومن لطائف لغتنا العربية وثقافتنا الإسلامية أن «الأمن» و«الإيمان» من جذر لغوى واحد هو «أمن» ولايخفى مافى ذلك من دلالات وإيحاءات. ويقصد بالأمن فى اللغة: زوال الخوف. وقد عرّف الجرجانى فى «التعريفات» الأمن بأنه «عدم توقع مكروه فى الزمان الآتى». وأشار القرآن الكريم إلى الأمن فى سياق امتنان الله -سبحانه وتعالى- على قريش بأنه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، فأجدر بهم أن يكونوا شاكرين لهاتين النعمتين من نعم الله، عابدين إياه، وهو صاحب البيت الذى أكرمهم بإقامته فى أرضهم. قال تعالى: «فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» (سورة قريش: ٤). ويشعر الإنسان بالأمن إذا كان مطمئنا على نفسه، وعلى صحته، وعلى عمله، وعلى مستقبله، وعلى أولاده، وعلى ماله.

ويؤيد هذا ماجاء في الحديث النبوى الشريف: «من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (رواه الترمذى وابن ماجه) وهذه هى جوامع الكلم التى يندرج تحتها كل ماتعارفنا عليه من أمن صناعى وأمن غذائى وأمن بيئى، وغيرها من مختلف صور الأمن القومى الشامل بجوانبه المادية والمعنوية.

وكل هذه المجالات تحتاج إلى توفير الإمكانات المادية والكفاءات العلمية والفنية عن طريق التنمية الحقيقية للتعليم وتطوير البحث العلمى.

ولما كانت مراكز البحوث العلمية والتقنيات المتقدمة، قد تدخلت خلال السنوات الأخيرة فى رسم وتوجيه «الاستراتيجيات» المتعلقة بكل صور الأمن وعناصره، وأصبحنا فى الغزو والتهديد عن بعد بتخريب النفوس والعقول، بات ضروريا أن نفطن إلى أهمية التعليم والبحث العلمى لتلبية احتياجات الأمة وضمان أمنها القومى الشامل المعتمد على التفوق فى علوم وتقنيات حاكمة فى العلاقات السيادية بين الدول، وموجّهة لحركة الحياة مستقبلا. ومن بين هذه العلوم والتقنيات الحاكمة تخصصات نوعية فى مجالات الطاقة والفضاء والبيولوجيا والمعلومات والاتصالات والمواد الجديدة وغيرها. وهذه كلها من علوم العصر التى لاغنى لباحث أو دولة عن التعمق فيها ومتابعة مستجداتها. فتحقيق الأمن الصحى مثلا يتمثل فى اكتشاف الأمراض وتوفير الغذاء والدواء، وتحقيق الأمن البيئى يتم بالتحكم فى العلاقة بين طموح الإنسان تقنيا وصناعيا، وتأثير ذلك على توازن البيئة من حوله وحسن استثمار مواردها. وتحقيق الأمن الاقتصادى يتطلب رفع مستوى المعيشة والارتقاء بحياة الفرد وزيادة معدلات تنمية المجتمع.

٣ - ضرورات معرفية وحضارية

هناك حاجة عقلية ملحّة تدفع الإنسان دفعاً إلى تحصيل المعرفة والتماس الحقيقة فى كل مظهر من مظاهر الوجود. ولقد تحول هذا الشعور لدى صفوة العلماء والمفكرين إلى عاصفة حب قوية تعدل الحياة نفسها، وقد تفضلها. ولايمكن أن نجد مفهوما مقنعا للحقيقة إلا فى إطار الثقافة الإسلامية، فالحق اسم من أسماء الله الحسنى، والله -جل وعلا- هو مصدر كل مانراه فى هذه الدنيا من حق أو حقيقة لأنه هو الذى خلق بالحق، وهو الذى يقضى بالحق ويهدى به. ويتسم البحث عن الحقيقة فى نظرية المعرفة الإسلامية بتحديد مركز الإنسان من العالم الذى يعيش فيه. ويشير القرآن الكريم فى آيات كثيرة إلى أن الإنسان هو خليفة الله فى الأرض، وهو الذى حمل الأمانة بعد أن عرضها الله - تعالى- على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وهو الذى سخر له الله - تعالى - مافى السماوات وما فى الأرض. كما يشير القرآن الكريم فى آيات أخرى إلى الوجه الآخر من حقيقة الإنسان وحدوده، ويظهره على أن الكون أكبر منه، وعلى أن مركز الثقل فى بحثه عن الحقيقة لايوجد فى عقله ونفسه فقط، بل يوجد أيضا فى الكون من حوله. كذلك يشير القرآن الكريم إلى الأصل الترابى للإنسان وتسويته من مادة قبل أن ينفخ الله - تعالى - فيه من روحه.

ومعنى هذا كله أن الصورة الحقيقية للإنسان كما أرادها الله -سبحانه وتعالى- هى ارتباطه بالعالم، لا ليمثل فيه جزءا منه فقط، بل ليرتبط بتاريخه أيضا، ويكون أهلا للبحث عن الحقيقة وحمل الأمانة. وبهذا يكون الإنسان سيدا فى الكون وليس سيدا له، فالسيد هو الله- سبحانه وتعالى- قال رسول الله ﷺ: «السيد الله تبارك وتعالى» (رواه أحمد وأبو داود والنسائى) لأن الكون بكل مافيه يسبح بحمده ويسجد له. قال تعالى:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

(سورة الإسراء: ٤٤)

وقال سبحانه:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾

(سورة الحج: ١٨)

ومن ثم فإن تحصيل العلم عن طريق التعليم والبحث العلمي وفق النموذج المعرفى الإسلامى تظهر قيمته من حصيلة مردودة للمجتمع، وهذه الحصيلة تتوقف بطبيعة الحال على درجة استيعاب الإنسان لعلوم عصره، وحسن استخدامه لها وفق مقومات ثقافته ومنهج تفكيره الذى يحدد له مايجوز له فعله بالمعلومات التى جمعها والقوانين العلمية التى توصل إليها والتقنيات التى اكتشفها.

وأخيرا، هناك الضرورة الحضارية لنهضة الأمة علميا وتقنيا بتنمية التعليم والبحث العلمى، وهى ضرورة يفرضها الوضع المتردى الذى يصنف فيه أبناؤها ظلما كمتخلفين ينتمون إلى دول متخلفة (أونامية) بالرغم من امتلاكهم لكل الإمكانات والثروات التى تؤهلهم لتحقيق التقدم والخروج من مستنقع التبعية والتخلف الذى تسربلوا فيه زمنا طويلا.

أليست هذه الضرورات مجتمعة كافية لشحذ الهمم نحو البدء فى إصلاح جذرى عنيف لأنظمة التعليم والبحث العلمى فى البلدان العربية الإسلامية من أجل أن تتحقق نهضة الأمة التى تنتسب إلى الإسلام اسما فتكون بحق خير أمة أخرجت للناس؟!

أهم المراجع

١ - د. يوسف القرضاوى، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٢ - سيد قطب، خصائص التصور الإسلامى ومقوماته، دار الشروق ١٩٨٧م

٣ - د. جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة، دار الفكر، دمشق سوريا، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

٤ - طه جابر العلوانى، إصلاح الفكر الإسلامى بين القدرات والعقبات - ورقة عمل - المعهد العالمى للفكر الإسلامى، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٢هـ/١٩٩١م

٥ - د. أحمد فؤاد باشا، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية، القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

٦ - د. أحمد فؤاد باشا دراسات إسلامية فى الفكر العلمى، دار الهداية، القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

٧- د. أحمد فؤاد باشا، الإسلام والعولمة، كتاب الجمهورية ، القاهرة ٢٠٠٠م

٨ - دونالد هيل، العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية، ترجمة: د. أحمد فؤاد باشا عالم المعرفة (رقم ٣٠٥)، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى، الكويت ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

الرافعى ودفاعه عن تراث المسلمين

للدكتور/ عبد الحليم عويس

وقف الرافعى فى النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة (العشرين للميلاد) فى وجه الحملات التغريبية التى تحاول الانقضاض على تراثنا وتاريخنا وحضارتنا.

وفى تحليله وعرضه للنهضة العلمية الإسلامية في شتى فروعها عبر التاريخ، يعزو مصطفى صادق الرافعي هذه النهضة إلى (القرآن الكريم)، مؤكدا أن القرآن الكريم كان سبب العلوم الإسلامية، ومرجعها كلها، وأنه ما من علم إلا وقد نظر أهله فى القرآن الكريم، وأخذوا منه مادة علمهم، أو مادة الحياة له، معللا ذلك بأن سطوة الناس فى الأجيال الأولى من العامة وأشباه العامة - كانت شديدة على أهل العلوم النظرية، إلا أن يجعلوا بينها وبين القرآن نسبا [١].

وكما تكلم المفسرون فى القرآن، وتكلم الأصوليون، وتكلم البلاغيون، فكذلك تلمحت طائفة ما في القرآن من قصص القرون السالفة والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم، ودونوا وقائعم، حتى ذكروا بدء الدنيا، وأول الأشياء، وسموا ذلك بالتاريخ والقصص [٢].

ويذكر الرافعي أن النهضة العلمية كانت قائمة بأكثر العلوم الإسلامية فى عهد بنى أمية، حتى استهد أبو جعفر المنصور، ثم الرشيد من بعده للنهضة العباسية الكبرى التى نشأت من جمع كلمة أهل الفقه والحديث بعد انشقاقهم زمنا، وافتراق الكلمة بينهم - ومن إقبال الناس على الطلب والاستيعاب، فكان ذلك تهيئة لانشقاق علوم الفلسفة والكلام وما إليها، وظهور أهلها وانحياز السنة عنها جانبا، ثم اجتماعها على مناظرتها [٣].

(١) الرافعى: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٢٢ طبع مصر

(٢) الرافعى: إعجاز القرآن، ص ١٢٨

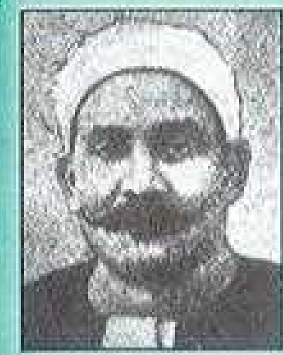
(٣) الرافعى: إعجاز القرآن، ص ١٢٠

وبالنسبة لجهود الرافعي في تاريخه لمسيرة الأدب العربي، فإننا نتفق مع أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي في أن جهود الرافعي في التاريخ للأدب العربي، تعدل جهد محمود سامي البارودي في بعث الشعر المعاصر، حين أنقذ البارودي هذا الشعر من هوة الركاكة والسطحية، وتنسيق المحسنات، وارتفع به إلى مستوى الشعر العباسي، حيث عارض الفحول من السابقين ولم يكد يختلف عنهم في إبداعه الرائع.

ولئن جاءنا اليوم من يقول لنا: إن الرافعي في كتابه «تاريخ آداب العرب»، قد خرج عن حدود هذا التاريخ إلى بحوث أخرى، ثم يقرنه بباحث أتى بعده بستين عاما، فإن ردنا عليه أن هذا هو غبن جائر متعمد مقصود، لأن المسألة بهذا الفارق الزمني، من الوضوح بحيث لا تتحمل اللجاج (٤).

على أن بعض الذين يضيقون بالكتاب الآن، إنما يضيقون به لأسلوبه البياني، فالرافعي في كتابته جاحظي في أسلوبه، يهتم بالديباجة العربية، اهتماما يرتفع بقارئه، ولا يحاول أن يهبط إلى مستوى الأسلوب الصحافي العام.

وفي رأينا أن هذا لا يحسب على الرافعي، فهذا أسلوبه الذي تميز به في كل كتاباته، ما يتصل منها بتاريخ السيرة أو التاريخ العام أو تاريخ العلوم، فضلا عن تاريخ الأدب، وكما كان للرافعي أسلوبه، كذلك كان لعباس العقاد أسلوبه، ولأحمد حسن الزيات أسلوبه، ولمصطفى لطفي المنفلوطي أسلوبه، وكلهم حاولوا أن يعيدوا للبيان العربي رونقه وعظمته في وجه العجمة الزاحفة، والأسلوب الصحافي الضعيف.



المنفلوطي



شكيب أرسلان

وأخيرا

ها هو (مصطفى صادق الرافعي) يعتمد ضمن كتابه (تحت راية القرآن) مقالة لأمير البيان شكيب أرسلان (حول التاريخ لا يكون بالافتراض) لأنها توافق رأيه في معالجة قضايا التاريخ.. يقول أرسلان فيها: ولع بعض الأدباء باتهام التاريخ الإسلامي الذي لدينا، وسلوك

(٤) محمد رجب البيومي: تاريخ الأدب للرافعي، دراسة من مجلة الأدب الإسلامي العدد ١٢، رجب ١٤١٧ هـ.

طريقة في التعليل لم يسلكها الأولون، ارتيادا لوجوه جديدة، وأسبابا للحوادث لم تكن معروفة، بحيث يقال إنهم كشفوا حقائق تاريخية لم يعرفها غيرهم، أو عرفوا أسرارا أعماها التاريخ الديني أو عمتها السياسة وأهواؤها على الجمهور، ويسمون ذلك تمحيصا وتحقيقا، ويظنون أن التمحيص والتحقيق هما مجرد المخالفة والخروج عما عليه الرأي العام. ولكننا نعرف التاريخ بالأدلة العقلية والنقلية، وملاحظة ما سبق وما لحق واستنباط النتائج من المقدمات، ولا نعرفه تخرصات، وافتراضات، وأبنية على غير أساس، فإن كان هذا هو التمحيص التاريخي، الذي يتوخى بعض العصريين أن يقلد به الإفرنج، فلا كان هذا التمحيص الذي هو عبارة عن قلب الحقائق لأجل الإتيان بالبدع، ويجل علماء الإفرنج عن أن يكون تمحيصهم من هذا النمط، وقد خلط منهم من خلط في معرض التمحيص ولكن نبه المدققون منهم على أنهم خلطوا.

فعندما يقوم واحد فيذهب إلى أن تاريخ حرب اليمامة محاط بالغموض، وأن مقاتلة أبي بكر لأهل الردة لم تكن من أجل إقامة الدين، بل من أجل تأسيس الملك، وما أشبه ذلك من التوجيهات التي لم يقم عليها أدنى دليل، نعلم أنه حاول أن ينهج مناهج الممحصين فظن التمحيص مجرد الخروج عن الاجماع ولو كان الإجماع صحيحا، فلم يصب المرمى.

وفي النهاية يلتقي أرسلان والرافعي في توجيه هذا النداء إلى هؤلاء المتجرئين على التاريخ، قائلين لهم:

«يا إخواننا.. إن التاريخ لا يكون بالظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا (...) فإن كنتم مع هذا تصرون على المخالفة لأجل المخالفة، فليس هذا مما يزيد الثقة بعلمكم، بل هو مما ينقصها، وبدلا من أن يضع العلم على قواعد اليقين، يضعه على قواعد، أوهى من بيت العنكبوت (٥).

ولعل في هذه اللفظات الوجيزة ما يلقي الضوء على أسلوب الرافعي ومنهجيته في معالجة قضايا التاريخ الإسلامي.. بجوانبه المختلفة، في وجه غارات كانت تريد اقتلاع كل الجذور، والإتيان على القواعد وتحويل الأمة إلى مسخ مشوه، لا يمت إلى عقيدته أو ثقافته أو تاريخه بصلة.. فجزى الله الرافعي خير الجزاء.. ولله عاقبة الأمور.

***

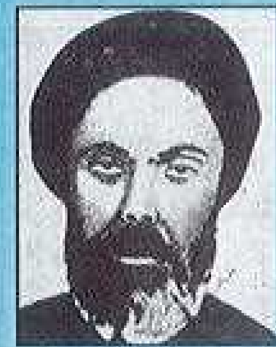
(٥) مصطفى صادق الرافعي: تحت راية القرآن المكتبة التجارية، القاهرة، الطبعة الخامسة، عام ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م - ص ٨٧، ٨٨.

مكانة اللغة فى مقومات النهضة الحضارية

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

فى الانتماء الثقافى، ومقومات النهضة عند عبدالله النديم (١٢٦١-١٣١٣هـ ١٨٤٥- ١٨٩٦م) نجد اللغة العربية تحتل ذات المرتبة التى يحتلها «الدين».. وذلك لما بينهما من علاقات.. «فاللسان العربى- (عنده)- هو لسان الدين، وترجمان الوطن.. واللغة العربية مرتبطة بالدين ارتباط الروح بالجسد، وإذا فقدت الأمة لغتها فقد فقدت الدين والتاريخ الوطنى»..[1]

وإذا كان النديم قد رأى فى «الدين» و«الجنسية» و«الوطنية» ثوابت الهوية الحضارية التى لا يجوز المساس بها- حتى ولو اقتضت «المنافع» هذا المساس- فلقد رأى اللغة العربية ثابتا من هذه الثوابت لأنها «لسان الدين» و«ترجمان الوطن» و«عنوان الجامع للجنسية» الحافظ له، فالمحافظة على اللغة محافظة على الجنسية، بل وعلى الملك وما يشتمل عليه، ولهذا لا تميل أى دولة لنقل التعاليم من لغتها إلى لغة أخرى مهما مست الحاجة إليها، ولا تعطى شهادة لتلميذ أدى الامتحان فى جميع العلوم، بغير لغته مهما كان تمكنه من اللغة الأجنبية عن لغته، وبهذه الوسيلة حفظت مقاصد الدول، وامتازت كل أمة بخصائصها التى حفظتها لها لغتها»[2].. فاللغة هى الوعاء الحافظ للخصائص التى تمتاز بها الأمة عن الأمم الأخرى.. وهى فى حال لغتنا العربية، تزيد لأنها هى لسان الإسلام، الجامع الأكبر لكل مقومات الانتماء الحضارى.


عبدالله النديم

ولأن هذه هى مكانة العربية من ثوابت الهوية الحضارية، فلقد تكالبت عليها التحديات.. وكان النديم واحدا من الذين تصدوا لهذه التحديات.. «فلغتنا الشريفة» التى يتكلم بها الآن (١٣١٠هـ- ١٨٩٢م)

(١) الأستاذ العدد الخامس والعشرون ص٥٩٢، والعدد الثامن ص١٧٩.

(٢) المصدر السابق العدد التاسع ص٢٠٤.

أكثر من مائة مليون من الناس، يسعى كثير من الناس- المحبين للغاتهم أو لذاتهم- فى إماتة هذه اللغة، وتحويل هذه الألسنة عن التكلم بها إلى التكلم بغيرها، لنفقد بفقدها المجد والشرف معا»[3].

وفى مقدمة التحديات اللغوية للعربية، التى تصدى لها قلم النديم:

١- تحدى اللغة التركية، فى الولايات العربية التى حكمها العثمانيون.

٢- وتحدى اللغات الأوروبية الزاحفة على الشرق العربى، فى ركاب الاستعمار ومدارس التنصير.

٣- وتحدى اللغة العامية، التى يتوسل بها الاستعمار وعملاؤه من الأجراء سبيلا لإزاحة العربية من ثوابت الهوية الحضارية، تمهيدا لإزاحة الإسلام والقرآن والتراث، لتفقد الأمة عوامل استعصائها على التبعية والذوبان فى حضارة الغزاة.

ينبه النديم على دور تتريك أجهزة الإدارة بالولايات العربية العثمانية فى تقهقر اللغة العربية.. فلقد «كان استعمال اللغة التركية فى المخابرات الرسمية من أسباب تقهقر اللغة العربية.. ولولا وجود الأزهر بمصر لعدمت اللغة العربية فى تلك الفترة التى حكمت فيها الدولة العثمانية البلاد العربية»[4].

ويشيد بتجربة مصر الحديثة التى تعربت إدارتها.. وبدور الأزهر ومكانة القرآن فى استعادة العربية لعافيتها فى هذه التجربة المصرية.. «فلما تركت الأقلام التركية وصارت المحررات الرسمية كلها عربية، تقدمت اللغة تقدما غريبا، ونبغ ألوف من المتعلمين فى الأزهر والمدارس.. وكان لتقدم أهل الأزهر على أهل المدارس فى الإنشاء سبب واحد هو حفظ الأزهريين للقرآن الكريم فى الصغر، فذهن الواحد منهم محشو بمادة البلاغة وقاموس الفصاحة وأبدع أسلوب إنشائى»[5].

(٣) المصدر السابق العدد الثامن ص١٦٩.

(٤) المصدر السابق العدد الثامن ص١٧٦.

(٥) المصدر السابق العدد الثامن ص١٧٧، ١٧٨.

ولذلك فهو يدعو إلى تعريب إدارات الدولة العثمانية في الولايات العربية، وذلك «بتعليم أفراد من أبناء الترك والكرد والجركس باللغة العربية ليكونوا مؤهلين لولاية الأقضية والولايات العربية في الشام والعراق واليمن والحجاز.. فحياة اللغة العربية في بني الترك خصوصا وفي بني العرب عموما حياة للدولة من طريق معنوي»[٦].

أما تحدى اللغات الأوروبية للغتنا العربية، فلقد نبه النديم على مسالكه المتعددة، ومنها تهجين العربية بالكلمات الأجنبية.. وجعل هذه اللغات الأجنبية هي لغة التعليم في بلادنا.. والدونية التي تجعلنا نتعلم لغات الأجانب لنتخاطب وإياهم بها في بلادنا بدلا من أن نجعلهم يتعلمون لغتنا كضرورة من ضرورات تعاملهم معنا في أوطاننا مع جعل تعلمنا للغات الأجنبية سبيلا لترجمة مالدى الآخرين من علوم نحتاج إليها.

يعرض النديم لهذه التحديات اللغوية، فيقول: ولا يرجع باللغة القهقرى إلا أمران:

الأول: كثرة استراق الكلمات الأجنبية واستعمالها في مخاطباتنا الكتابية والخطابية.. والثاني: نقل التدريس من اللغة العربية إلى أية لغة أجنبية، فمتى حصل هذا في أية أمة فقد فقدت لغتها وتبعها الدين والتاريخ الوطني، فإن اللغة مرتبطة بالدين ارتباط الروح بالجسد.. فيجب توحيد التعليم، لئلا يطلع الأبناء لاهم مصريون ولا أجانب، ويكونون من هذا الامتزاج العجيب لغة جديدة لاقاعدة لها ولا ضابط، ويعز على الآتي بعدنا أن يعرف دينه أو كتابه لاحتياجه إلى مترجم يترجم له العربية إذ ذاك..[٧]!

أما تصدى النديم لتحدى العامية للفصحى - والتي يسميها اللغة الصحيحة - فلقد يبدو غريبا على الذين اشتهر لديهم النديم «كأدباتي» ناظم بالعامية تفوق في هذا الفن على أساطينه ومحترفيه.. لذلك أن الرجل كان يتوسل.. في الصحف التي يصدرها بفصول مكتوبة بالعامية اللغة الدارجة إلى الذين لايقدرون على مطالعة الفصحى أو فهمها ولا يرغبون في القراءة بها، وذلك ارتقاء بهم بواسطة السماع نحو القراءة بالفصحى وفهمها وبلوغا إلى حيث نستغني عن العامية كل الاستغناء.. وهو يفصح عن منهجه هذا، وعن مقصده وهو يتحدث عن موقف مجلته (الأستاذ) من هذا الأمر فيقول: «إنها تشتمل على فصل قصير باللغة الدارجة لنحول به العامي الجاهل من كراهة سماع الكتب إلى محبتها فينجر به الأمر إلى سماع الكلام الصحيح، وهناك لا يلزم كتابة غيرالصحيح.. فاللغة الصحيحة هي الحية لاستعمالها بين الخاص والعام من عقلاء الأمة، واللغة الدارجة هي الميتة لعدم

(٦) المصدر السابق العدد الثامن ص١٨٢.

(٧) المصدر السابق العدد الثامن ص١٧٨، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣.

استعمالها في غير الضرورات التي يقتضيها الحيوان بلا لغة..»[٨].

ولأن هذا هو موقف النديم مع الفصحى الصحيحة الحية لا مع العامية - الدارجة الميتة - كان صراعه ضد دعاة إحلال العامية محل الفصحى موقفا ثابتا على مرحياته الفكرية والصحفية.. ففي يونيو سنة ١٨٨١م كتب في جريدته (التنكيت والتبكيت) مقالا اتخذ له عنوانا ذا دلالة عميقة في الدفاع عن العربية، والتنبيه علي مكانتها في ثوابت الهوية الحضارية.. وهو عنوان «إضاعة اللغة تسليم للذات»!..

ويومئذ دارت معركة فكرية بين حراس العربية - النديم، ومعه أحمد أفندى سمير وإبراهيم أفندى الهلباوى، وبين واحد من خريجى التنصير والتغريب هو أمين شميل (١٢٤٣-١٣١٥هـ - ١٨٢٨-١٨٩٧م) الذى استوطن مصر مع شقيقه شبلى شميل (١٢٧٦-١٣٣٥هـ - ١٨٦٠-١٩١٧م) منخرطين في تيار التبشير بالحضارة الغربية بديلا للحضارة الإسلامية من خلال المنابر الثقافية والإعلامية كالمقتطف.. والمقطم.. وجريدة الحقوق التى أصدرها أمين شميل.

وفى تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادى ومرحلة إصدار النديم لمجلة «الأستاذ» تجدد جهاده دفاعا عن الفصحى الصحيحة الحية ضد دعاة العامية الدارجة الميتة بمناسبة تزعم المهندس الإنجليزى المستر «وليم ويلكوكس» (١٨٥٢-١٩٣٢) الدعوة إلى استبدال المصريين العامية بالفصحى.. وعن هذه المعارك اللغوية يحدثنا النديم فيقول: لقد سبق وكتبنا في العدد الثانى من جريدة (التنكيت والتبكيت) فصلا تحت عنوان «إضاعة اللغة تسليم للذات» فعارضنا فيه الفاضل الكاتب أمين أفندى شميل برسالة تبادل الجدال معه بسببها أحمد أفندى سمير وإبراهيم أفندى الهلباوى، والآن رأينا دعوة المستر وليم ويلكوكس التى مؤداها أن المصريين لا توجد فيهم قوة الاختراع ولا مانع لهم إلا اللغة الصحيحة وأنه إذا تحولت الأفكار وحتمت استعمال اللغة الدارجة فى المخاطبات والتأليف العلمية والتدريس أمكن المصريون أن يخترعوا.. فرجعنا إلى رسالة أمين افندى شميل، وقلنا: ما أشبه الليلة بالبارحة!..»

ثم كشف النديم عن المقاصد الحقيقية من وراء الدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى - لغة القرآن الكريم - إنها قطع صلة الأمة بالقرآن مصدر عقيدتها وشريعتها وصبغة حضارتها «فالعربية بها نزل القرآن الشريف الذى هو الآية الكبرى والحجة العظمى لنا معاشر المسلمين، فهو الداعى لحياة اللغة العربية الصحيحة وهو المقصود لكل محارب للغة

(٨) المصدر السابق العدد العشرون ص٤٦٨، ٤٧١.

ساع فى إماتتها.. وماذا نصنع بكتبنا التى تجل عن الحصر، إذا تكلمنا باللغة الميتة العامية؟ أنحرقها؟ أم نترجمها بالكلام الفارغ؟ ولماذا لم تكتب الإنكليز كتبهم العلمية وجرائدهم باللغة الدارجة عندهم تعميما للفائدة التى تريد أن تعممها فى مصر؟! وهل ترى أن المصريين إذا قرؤا القرآن باللغة العامية عند استعمالها ونسيان غيرها، أيرضى عنهم المسلمون؟ أم يعدونهم منهم؟! وهم يعتقدون أن تغيير حرف منه أو تقديمه على ماقبله كفر مخرج للفاعل من الدين؟!..»(٩)

فالدعوة إلى العامية: معاداة للقرآن وسلخ للأمة عن دينها وقطيعة معرفية مع تراثها وتاريخها وهويتها الحضارية وعزل لمصر عن الجسد الإسلامى الكبير!..

ومقصد آخر من مقاصد الداعين إلى العامية- من الإنجليز والأجراء الساعين إلى إحلال الحضارة الغربية محل الحضارة الإسلامية- هو تأبيد التبعية للاستعمار فى بلادنا.. ذلك أن تميزنا اللغوى هو دافع من دوافع حركتنا للتحرر من الاستعمار.. «وكم من أمم خضعت لأمم أعظم منها قوة وأشد منها بطشا، وبقيت محافظة على لغتها فبعثتها إلى الاستقلال وعزة الملك كالترك والفرس واليونان وأسبانيا ورومانيا والبرتغال والبلغار ولو تركوا لغتهم واستعملوا اللغة الحاكمة لماتت وتجنسوا بالجنسية المتغلبة..»(١٠)

وإذا كانت هذه الأمم قد اعتصمت بلغتها كجامع جنسى (قومى) فإن العربية بالنسبة لأمتنا هى أكبر وأعظم من الجامع الجنسى والقومى.. فالتهاون فيها «ينسينا القرآن الذى لو ترجم بأفصح لغة أجنبية لجاء عبارة عن حكاية يقتدر على إنشائها أى كاتب ولضاعت بلاغته العربية.. فبقاء العربية الفصحى هو بقاء الدين والجنس معا.. وحاجتنا الدينية إلى لغتنا أشد من حاجة الأمم غير المسلمة إلى لغاتها فإن الإنجيل لما ترجم تناولوه كما تناولوا الأصل، والقرآن لو ترجم بلغة أخرى لعجزت الترجمة عن أداء مفهومه ومنطوقه..»(١١)

وفى التصدى لمزاعم عجز العربية عن أن تكون لغة العلم الحديث لم يقف النديم فى دحض هذه المزاعم عند الاستشهاد بالتاريخ الذى نهضت فيه بلغة العلم القديم وإنما استشهد أيضا بتجربة مصر الحديثة على عهد محمد على باشا (١١٨٤-١٢٦٥هـ- ١٧٧٠-١٨٤٩م) والحقبة السابقة على فرض

(٩) المصدر السابق العدد العشرون ص٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٦.

(١٠) المصدر السابق العدد العشرون ص٤٦٩.

(١١) المصدر السابق العدد العشرون ص٤٧٠، ٤٧١.

اللغات الأجنبية على مدارس مصر (سنة١٨٩٢م) بقوة الاحتلال.. «فهذه المدارس المصرية قرئت فيها العلوم القديمة والحديثة، الأصلية والمترجمة ولم يفتها شىء مما كتب فى أوروبا ولم تتغير كيفية التدريس من اللغة العربية إلى اللغة الفرنساوية أو الانكليزية في بعض العلوم إلا في هذه السنة (سنة١٨٩٢م).. وما هو الموجب لتعليم مثل التاريخ والطب والهندسة والجغرافية باللغات الأجنبية والمتعلم سيستخدم بين من لا يعرفون كلمة أجنبية وهم فلاحو مصر وعوامها والكتب العربية فى هذه الفنون توجد أحمالا فى المخازن فأى ضرورة تلجئنا لتركها وشراء غيرها بلغة أخرى؟!.. إن نقل التعليم من لغة البلاد إلى لغة أجنبية هو نقل للتلميذ من الجنسية والدين معا»!..

ثم تنبأ النديم باندحار كل هذه الدعوات التى تمثل تحديات دينية وقومية للعربية فقال: «إننا نعلم علم اليقين أنه لو ظهر ألف داع، بل مئات الوف من دعاة أوروبا لاستعمال لغة تميت لغة القرآن ماوجدوا آذانا سامعة..»(١٢).

ولم يكن النديم داعية للجهل باللغات الأجنبية وإنما كان داعية لإتقان العربية كى نستطيع أن ننتفع بما نتعلم من لغات أجنبية فى الترجمة التى تطلعنا على ما نحتاجه مما لدى الآخرين «فالغرض إنما هو تعريب اللغة الأجنبية بعبارة عربية وعكسه -(أى الترجمة من العربية إلى غيرها)- حتى نجتلب المنافع وتتبادل الفكر، ولاريب أن العاجز عن اللغة العربية لايقدر على ذلك، اللهم إلا بعبارة منسوخة المعنى خالية من الثمرة»(١٣).. «ولو فرضنا وتعلمنا اللغات الأجنبية وتكلمنا بها عند الحاجة إليها، لوجب علينا أن نحافظ على لغتنا العربية ونستعملها فى معاملاتنا الخاصة بنا وبين أبنائنا وأهلينا وفى كتب ديننا وعلومنا الأصلية والفرعية لبقاء الدين والجنس ببقائها..»(١٤).

ولم يقف جهاد النديم فى سبيل العربية عند التصدى للتحديات المهددة لوجودها- التركية.. والعامية.. واللغات الأجنبية الغربية- وإنما مد آفاق هذا الجهاد ليشمل الدعوة إلى النهوض بلغة القرآن الكريم، وذلك لتفى باحتياجات النهضة الحديثة وتكون قادرة على منازلة التحديات اللغوية والانتصار عليها.. فهو يحتفى بتأسيس «مجتمع اللغة

(١٢) المصدر السابق العدد العشرون ص٤٧٣، ٤٧٥.

(١٣) المصدر السابق العدد الخامس والعشرون ص٥٩٤.

(١٤) المصدر السابق العدد العشرون ص٤٧٦.

العربية بمصر» (١٣١٠هـ-١٨٩٣م)- برئاسة السيد توفيق البكرى- (١٢٨٧-١٣٥١هـ-١٨٧٠-١٩٣٢م) الذى سبق ودعا إلى إنشائه المرحوم عبدالله باشا فكرى (١٢٥١-١٣٠٦هـ-١٨٣٤-١٨٨٩م) ويشير إلى سابق دعوته هو إلى إنشائه (١٢٩٨هـ-١٨٨١م) بمقاله الذى نشره فى (التنكيت والتبكيت) تحت عنوان: «إضاعة اللغة تسليم للذات»[١٥].

ويسهم النديم- إسهام العالم الخبير- بتقديم المقترحات الفنية والتنظيمية إلى «مجتمع اللغة العربية» الوليد.. فهو يقترح له تنظيما شاملا لمختلف التخصصات بحيث يكون «المجتمع- (المجمع)- عاما فى كل ما يتعلق بالفنون العربية.. قسم مختص بالمواد اللغوية.. وقسم لعلوم الآليات.. وقسم للتاريخ وتقويم البلدان.. وقسم للترجمة.. وقسم للرياضيات».. كما يقترح النديم على «مجلس النظار»- (مجلس الوزراء)- اعتماد «مجتمع اللغة العربية» كجمعية لغوية «وإلزام مدرسى اللغة العربية فى المدارس وغيرها بالنقل عنها.. ثم تتناقل الجرائد المحلية كلماتها وتكررها بالمناسبات لتكون- (وسائل الإعلام)- فى مقام مدرسين يعلمون القراء من فوائدها، وبهذه الطريقة تتداول الكلمات المقابلة للكلمات الأجنبية، فتزاحمها العربية مزاحمة تضيق نطاقها..».



توفيق البكرى — عبدالله باشا فكرى

كما يقترح النديم على الحكومة اعتماد هذا «المجمع اللغوى» مرجعية فكرية للدولة «تحيل عليه النظر فى المؤلفات الجديدة ليقرر منها الموافق لنشره ويمنع ما يضر بالأخلاق والدين والسياسة..».

ويتوجه إلى «المجتمع اللغوى» برجاء وطنى «وهو أن يبعد عن الدخول فى السياسات.. وأن يحفظ الوصلة بينه وبين الأزهر المنير، بعدم تعرضه لشىء مما هو من خصائص الجامع وسماحة شيخه، وبهذا يمكنه أن يستعين بأشياخه فى كثير من مواضيعه العلمية، فإن أساسه مبنى على العلوم الأزهرية، وأعضاؤه يكون معظمهم من الأزهريين الذين يقدرون على التصرف فى العبارات بالاستنباط أو القياس»[١٦].

هكذا دافع النديم عن العربية لغة القرآن وجامعة الجنس وثابت هوية الأمة الحضارية، وامتد دفاعه عنها عبر مسيرته الفكرية.. منذ أن رفع- فى صحيفته الأولى- شعار: «إضاعة اللغة تسليم للذات».. وحتى المقالات الضافية التى دافع بها عنها فى مجلة (الأستاذ).

---

(١٥) المصدر السابق العدد التاسع والعشرون ص٦٧٣.

(١٦) المصدر السابق العدد التاسع والعشرون ص٦٨١، ٦٧٥، ٦٨٥.

حسن العشرة بين الزوجين فى الإسلام

(٢)

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

أوضحنا فى العدد الماضى أن الإسلام بنى الحياة الزوجية على المودة والرحمة والحب والتسامح وقدمنا عددا من الآداب الكفيلة ببناء الأسرة على الأسس الإسلامية نستكملها فيما يلى:

الأدب التاسع: التاديب فى النشوز. فإذا وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما: فإن كان من جانبهما جميعا، أو من جانب الرجل فيختار حكمان: أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما، يقول الله تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ
بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن
يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾

(آية ٣٥ سورة النساء)

وجاء رجل وامرأة إلى سيدنا على -كرم الله وجهه- ومع كل واحد منهما فئة من الناس فأمرهم علىّ فبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها، ثم قال للحكمين: تدريان ما عليكما؟ إن رأيتما أن تجمعا فافعلا، وإن رأيتما التفريق فافعلا. قالت المرأة: رضيت بكتاب الله بما علىّ فيه وما لى. وقال الرجل: أما الفرقة فلا، فقال علىّ -كرم الله وجهه- كذبت والله حتى تقر بما أقرت به ـ فالمرأة اعترفت بأنها ستقبل رأى الحكمين، وأما الرجل فأظهر أنه لايقبل الفرقة إذا رآها الحكمان فأنبه على -كرم الله وجهه- وأفهمه أن التحكيم لايصلح إلا إذا نزل الزوجان على رأيهما ـ وفيه أن الحكمين بيدهما الرجعة والفرقة بعوض أو لا.

وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء، فله أن يؤدبها ويحملها على الطاعة، وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة، ولكن ينبغى أن يتدرج فى تاديبها: وهو أن يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف، فإن لم ينجح ولاها ظهره فى المضجع أو انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو فى البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال، فإن لم ينجح ذلك فيها ضربها ضربا غير مبرح

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾

(آية ٣٤ سورة النساء)

قد قيل لرسول الله ـ ﷺ ـ : ما حق المرأة على الرجل؟ قال : «يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يقبح الوجه، ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح، ولا يهجرها إلا في المبيت»[1] وله أن يغضب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر.

الأدب العاشر : في آداب الجماع.

يستحب أن يبدأ المباشرة بالبسملة والدعاء بقوله : اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبي. وقال ـ ﷺ ـ : «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا. فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان»[2]، ويستحب التلطف بالكلام قبل المباشرة، وأن يجتهد في أن تقضي وطرها كما يقضي هو وطره حتى لايحدث تنافر بينهما، ولا يأتيها في المحيض ولا بعد انقضائه وقبل الغسل، فهو محرم بنص الكتاب :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

(آية ٢٢٢ سورة البقرة)

وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأتى، وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها، وليس عليه اجتنابها.

الأدب الحادي عشر : في آداب الولادة.

وهي خمسة :

الأول : أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى، فإنه لا يدري الخيرة له في أيهما، بل الثواب فيهن أجزل، فعن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة»[3]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن، فقال رجل : وثنتان يا رسول الله؟ قال : وثنتان، فقال رجل : أو واحدة؟ قال : وواحدة».[4]

الثاني : أن يؤذن في أذن المولود، روى عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : «من ولد له مولود

(١) صحيح ابن حبان (١٢٨٦)

(٢) صحيح البخاري (٤/١٥٧)

(٣) الطبراني في الكبير (١٠/٤١٠)

(٤) صحيح ابن حبان (٢٠٤٤)

فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان»[5]، ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه : لا إله إلا الله. ليكون أول حديثه، والختان في اليوم السابع ورد به خبر.

الثالث : أن تسميه اسما حسنا، فذلك من حق الولد، فعن أبي وهب الجشمي قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله : عبدالله وعبدالرحمن، وأصدقها : حارث وهمام، وأقبحها حرب ومُرّة»[6]، قال ـ ﷺ ـ : «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»[7]، ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله، فقد أبدل رسول الله ـ ﷺ ـ اسم العاص بعبدالله، وكان اسم زينب بره فقال ـ ﷺ ـ : «تزكي نفسها»[8] فسماها زينب.

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يشكو عقوق ابنه، فأحضر -رضي الله عنه- ابن الرجل وأنبه على عقوقه لأبيه.

فقال الابن : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟

قال عمر : بلى.

قال الابن : فما هي يا أمير المؤمنين؟

قال عمر : أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب (القرآن).

قال الابن : يا أمير المؤمنين إنه لم يفعل شيئا من ذلك. أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني : جعلا «جعرانا»، ولم يعلمني من الكتاب حرفا واحدا.

فالتفت أمير المؤمنين إلى الرجل وقال له : أجئت إليّ تشكو عقوق ابنك؟ وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك!!

الرابع : العقيقة. عن الذكر بشاتين، وعن الأنثى بشاة، وروت السيدة عائشة -رضي الله عنها- أن الرسول ـ ﷺ ـ أمر في الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين، وفي الجارية بشاة[9]، وروى أنه عق عن الحسن بشاة[10]، وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة، ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهبا أو فضة، فقد ورد فيه خبر : «أنه ﷺ أمر فاطمة -رضي الله عنها- يوم سابع حُسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة».[11]

الخامس : أن يُحنكه بتمرة أو حلاوة عند ولادته، فعن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله

(٥) مجمع الزوائد للهيثمي (٤/٥٩)

(٦) أبو داود (٤٩٥٠)

(٧) مسند الإمام أحمد (٥/١٩٤)

(٨) إتحاف السادة المتقين (٥/٢٨٩)

(٩) مسند الإمام أحمد (٦/٤٢٢)

(١٠) مسند ابن أبي شيبة (٨/٤٧)

(١١) السنن الكبرى للبيهقي (٩/٣٠٤)

عنها- أنها حملت بعبدالله بن الزبير بمكة قالت : فخرجت وأنا متم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت رسول الله ﷺ فوضعته فى حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بالتمرة ثم دعا له وبارك عليه، وكان أول مولود ولد فى الإسلام، ففرحوا به فرحا شديدا لأنهم قيل لهم : إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم. (١٢)

الأدب الثانى عشر : فى الطلاق، وليعلم أنه مباح، ولكنه أبغض المباحات إلى الله تعالى، وإنما يكون مباحا إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل، ولا يباح إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبه، قال تعالى :

﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾

(آية ٣٤ سورة النساء)

وإن كرهها أبوه فليطلقها.

قال ابن عمر -رضى الله عنهما- كان تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرهها ويأمرنى بطلاقها، فراجعت رسول الله ﷺ فقال : «يا ابن عمر طلق امرأتك» (١٣) فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم، ولكن والد مثل عمر يكرهها - لا لغرض فاسد.

ثم ليراع الزوج فى الطلاق أربعة أمور :

الأول : أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه، فإن الطلاق فى الحيض أو الطهر الذى جامع فيه بدعى حرام وإن كان واقعا، فإن فعل ذلك فليراجعها.

الثانى : أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع الثلاث، لأن الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود، ويستفيد بها الرجعة إن ندم فى العدة، وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة، أما إذا طلق ثلاثا فربما ندم فيحتاج إلى أن يزوجها إلى محلل وإلى الصبر مدة، وعقد المحلل منهى عنه، ويكون هو الساعى فيه، ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه، وفى الطلقة الواحدة كفاية فى المقصود من غير محذور، ولست أقول الجمع «جمع الثلاث طلقات» حرام لكنه مكروه بهذه المعانى.

الثالث : أن يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف، وتطييب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق، قال تعالى :

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾

(آية ٢٣٦ سورة البقرة)

الرابع : أن لا يفشى سرها لا فى

(١٢) الإصابة فى تمييز الصحابة (٦/٨٤)

(١٣) إتحاف السادة المتقين (٥/٣٩٢)

الطلاق ولا عند النكاح، فقد ورد فى إفشاء سر النساء وعيد عظيم، قال رسول الله ﷺ : «إن أعظم الخيانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم يفشى سرها» (١٤)، ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأته، فقيل له : ما الذى يريبك فيها؟ فقال : العاقل لا يهتك ستر امرأته، فلما طلقها قيل له : لم طلقتها؟ فقال : مالى ولامرأة غيرى.

هذا بيان ما على الزوج والزوجة من حسن العشرة بينهما، فهل هناك أعظم من الإسلام فى الدعوة إلى حسن العشرة بين الزوجين، وفى حرص الإسلام على إقامة حياة زوجية بينهما تسودها الألفة والمحبة والمودة والسكينة؟ وهل هناك تكريم للمرأة أكبر وأبلغ من التكريم الذى نالته فى رحاب الإسلام؟ وهل هناك حقوق فى المساواة بينها وبين الرجل حرمت منها؟

لقد منح الإسلام عقد الزواج مزيدا من العناية والرعاية، وأعطى هذا الرباط من الحقوق والواجبات ما يضمن لكل طرف من طرفيه «الزوج والزوجة» العيش فى سعادة وهناء، وكفل للزوجة أن تكون فى منزلة ومكانة تشعر فيها بإنسانيتها وتحس فيها بآدميتها، فقال رسول الله ﷺ : «إن أحق ما وفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج». (١٥)

ومن ثم فليس يجوز لرجل بنى بامرأة أن يغتال درهما من حقها، أو يستخف بالرباط الذى جمعه بها. ففى الحديث الشريف «أيما رجل تزوج امرأة - على ما قل من المهر أو كثر - ليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها، خدعها، فمات ولم يؤد إليها حقها، لقى الله يوم القيامة وهو زان!!، وأيما رجل استدان دينا، لا يريد أن يؤدى إلى صاحبه حقه، خدعه حتى أخذ ماله، فمات ولم يؤد إليه دينه، لقى الله وهو سارق» (١٦)

***

(١٤) صحيح مسلم (١٠٦٠)

(١٥) الطبرانى فى الكبير (١٧/٢٧٤)

(١٦) أخرجه الطبرانى

مجددون؟
لا .. بل مبددون!

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

٣

مع الدكتور الغمراوى

تذكرنا هذه الهجمة الشرسة على تراثنا .. بما رد به المرحوم الدكتور محمد الغمراوى فى كتابه «النقد التحليلى» ما زعمه أنصار الجديد: [وما نضعه موضع الشك: فلن نبنى عليه طبعا، ولن نستشهد أو ننتفع به بحال، فهو مبدأ يطوى ماضى اللغة طيا. ويضرب على علم المتقدمين كله طلسما من الشك يحول دون انتفاع الناس به. ولابد للناس بعد ذلك من أن يصبروا على غير لغة أو أدب أو تاريخ. حتى يقوم المذهب الجديد فينشىء لهم نظاما جديدا] النقد التحليلى / ١٠٢

ثم قال: إن العلم الذى يكتب باسمه لا يمكن أن يكون بعض مبادئه معطلا لبعض:

فهو لا يمكن أن يقر مبدأ يسمح لشخص ما أن يهدم أو يعطل فى دقائق ما بنته الأجيال فى طوال القرون، العلم كما يتحرز فى البناء يتحرز كل التحرز فى الهدم، وكما يبنى يحافظ على ما يبنى، وكما يصون جهود الحاضر والمقبل من الأجيال أن تضيع يصون جهود الماضى أن تضيع بشكل جزاف لا مسوغ له.

وليس معقولا أن يفرح العلم بالحقيقة الواحدة يظفر بها بعد الجهاد القليل أو الكثير ثم يعرض كل ما يجمع للتضييع أو التعطيل بتقرر مبدأ الشك الحر كما يسمونه.

فإذا كانت هذه الحقيقة صادرة عن الوحى الأعلى فإن الأمر عندئذ لا يحتمل الصبر.

فما يزال بيننا مشوشون، أو مشوهون:

ولقد عاد منهم نفر إلى الحق بعدما تبين.

ومنهم: «منصور فهمى» الذى حصل على الدكتوراة من جامعة «السوربون» عن وضع المرأة فى التقاليد الإسلامية، وشاء الله له أن يختم حياته بالدفاع عن الإسلام.. بعدما هاجمه فى مستهل حياته.

الذين يريدون الاستئثار بالتشريع

ولقد علم الحق سبحانه وتعالى أن بعض الكتاب سوف يمارون فى أحكام الميراث لحدد سبحانه وتعالى الأنصباء.. ولم يجعل المرأة تعيش تحت رحمة أحد!

هؤلاء الكتاب الذين أراد الله خذيهم حين كذبوا على الله لما قالوا: يقول الفقهاء إن للذكر مثل حظ الأنثيين.

مع أن الحكم بأن للذكر مثل حظ الأنثيين ليس حكم الفقهاء، وإنما هو حكم الذى لا معقب لحكمه وهو الله عز وجل والذى يقول:

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾

ولاحظ ما يلى: إن الذكر مشبه «كما أشرنا من قبل» والأنثى مشبه به، فكأنما الأنثى هى الأصل.. والذكر مقيس بها فكأنما هى الأصيلة وهو الدخيل.

قضية القوامة

يقول واحد من المتسرعين ولا نقول الحاقدين: لماذا تكون المرأة دائما هى فى الأسفل والرجل فى القمة مهما كان ناشذا ومعرضا، وهاجرا معاشرة زوجته، ومتسلطا عليها بالإهانة والضرب. والهجر فى مضجع الزوجية متى خاف منها نشوذا؟!


رشيد رضا

أما هى إذا خافت منه نشوذا وإعراضا يفرض عليها الصلح وهى صاغرة؟

فأين هذا من دعوى المودة والحب بينهما؟! (١).

والسائل يلمح إلى حق القوامة الذى يرفضه ناعيا على الإسلام ما ظنه ظلما للمرأة فما هى حدود القوامة؟!

ونعتقد أننا لا نقول جديدا.. إذا قررنا: أنها لما كانت الحياة الزوجية حياة اجتماعية كان لابد من رئيس يحسم مادة الاختلاف بين أفراد هذه المؤسسة الاجتماعية ولابد أن يكون هو الرجل ولم تكن هذه الرياسة أو هذه القوامة من فراغ، وإنما لها مسوغاتها: فهو أعلم بالمصلحة، وأقدر على تحقيقها.

يقول الشيخ رشيد رضا فى كتابه: «حقوق النساء» ٤٦-٤٧

فهو أكبر دماغا وأوسع عقلا.. وأقوى

(١) من رسالة للشيخ الشعراوى من قارئ، مجهول موتور

عضلا وأعظم استعدادا للعلوم وأقدر على مختلف الأعمال. بل هو يؤدى وظيفته من حكمة الزوجية وهى: النسل، فإفراغ مادته بإرادته واختياره فى عامة أحواله. والمرأة ليس لها قدرة على مثل هذا.. وإنما تنشأ فيها «بويضات» النسل فى أوقات مخصوصة لا إرادة لها فيها، والحيوان المنوى الذى يلقح هذه البويضات هو الذى يسعى إليها فى مكانها من مدخل الرحم إلى مستقره فيلقحها، وليست هى التى تسعى إليه بل تنتظره انتظارا، فمنه الحصول والفعل، وعليها القبول والانفعال.

إن الحركة والنمو من خاصيته لا منها، فكذلك يسعى الرجل ويكدح، وينقل ما يكسبه إلى المرأة فى الدار. فتتصرف فيه بما تقتضيه حاجة الأسرة.

وهذا ما أجمعت عليه إجابات النساء فى الغرب.. عما يطرح عليهن من أسئلة عن أفضل الأزواج.

عقبى المخالفين

وقد كان الواقع خير شاهد على نجاح الشريعة الإسلامية فى صياغة مجتمع متساند لا متعاند، كل من الزوجين فيه ملتزم بالشرع وما لم يرد فيه نص، فالشورى فى الوقت الذى تمردت فيه المرأة الغربية سيراً مع أوهام المساواة فنازعت الرجل فى بعض الشئون ثم انتزعت منه حقه فى إنجاز هذه المهمات فكان ما كان من خلل وفساد يشهد به الواقع الذى هو أعلى صوتا من فلسفة كاذبة خاطئة تتنكر للفطرة السليمة.

ومع ذلك: فقد كانت لها شخصية مرموقة محترمة وفى معنى حديث عن عائشة رضى الله عنها: «إن كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز، وقد أجمع المسلمون على صحة إجارة المرأة، إذا أمنت أحدا من الأعداء المحاربين نفذ ذلك».

وفى الحديث: «إن المرأة لتأخذ للقوم».

وبهذا يتحدد معنى «القوامة» الذى لا يسلب المرأة حقها فى أداء دورها المرموق.

ذلك بأن القوامة تعنى: الرياسة التى يتصرف فيها المرءوس بإرادته واختياره. وليست هى أن يكون المرءوس مقهورا مسلوب الإرادة لا يعمل عملا إلا ما يوجهه إليه رئيسه، فإن كون الشخص قيما على آخر هو عبارة عن إرشاده، والمراقبة عليه فى تنفيذ ما يرشده إليه.

وكما أنه لا يضير «اليد» إذا قيل: إن الرأس أفضل منها، فكذلك لا يضير المرأة إذا قيل إن الرجل أفضل منها بما يملك من العقل والقدرة. والحزم فى اتخاذ القرار وحتى إذا تقرر الضرب فإنه لا يكون بسوط يطعم من لحمها. ويشرب من دمها! ولكنه الضرب الذى لا يكسر عظما والذى يتجنب الوجه وبالسواك أو حزمة من العشب الطرى!! لتظل جميلة صالحة لآخر لو حدث الطلاق.

ويحسن الإسلام الظن بالمرأة فيتوقع

طاعتها وذلك ما يشير إليه قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ ﴾ [النساء/ ٣٤]

يقول العقاد:

ليست إباحة الضرب عامة، بل لمن يستأهل ذلك، وأرقى جيوش العالم تعترف بالضرب كوسيلة للتهذيب. ولو كان مخلا بالكرامة لما أباحته. كما أن هجر المرأة ليس عقابا جسديا، وإلا كان عقابا للرجل أيضا، إنه عقوبة نفسية، فأبلغ العقوبات هى التى تمس كيان الإنسان. وعندما يعرض الرجل عنها فقد أهانها وحطم كبرياء إغرائها، وفتنتها التى هى سلاحها فى هذه الحياة. إن جمالها عوض عن القوة والكمال وهى تشعر أنها بجانبه لا حول لها. وهو بجانبها: مالك أمره.. فتشعر بمنتهى ضعفها وقوته وهذا غاية التأديب، لأن أبلغ العقوبة التى تبطل العصيان، أن يحس العاصى غاية ضعفه، وغاية قوة من يعصيه.

إلا أن فى الرجولة ثباتا، وفى العاطفة تغيرا، والمنطق قاض بأن يقود الثابت المتغير.

ثم يكون النسل، وبالنسل تتجدد الحياة.

أما بعد فهل أهمل الإسلام العقل.. الذى يتباكون اليوم عليه؟

أبدا، إن للعقل دوره الفاعل كما يقول علماؤنا، فهو يثبت حقائق الدين أولا وأنها من عند الله، ثم وبعد أن يقوم بهذا الدور الخطير فإنه يخرج من قضية الإثبات ليصبح تابعا لهذا الدين، الذى يبدأ يتلقى عنه، بمعنى أنه لايزال موجودا، يفلسف أحكام الدين، ويمهدلاستقرارها تمهيدا. أو كما قال علماؤنا.



العقاد

ومن فلسفة العقل المسلم هنا ما قرره العقلاء فى قضية الشهادة: إن الله عز وجل يقول:

﴿ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾

[البقرة: ٢٨٢]

يقول العقلاء: إنها فى الواقع العملى: امرأة واحدة، ولكن تقف من ورائها امرأة أخرى تذكرها إذا نسيت!!

يا دعاة الحداثة، نقول لكم ما قاله العقاد: إيه يا دعاة الحداثة والخلاعة؟!!، أعشتم نفوسنا!! أعشى الله نفوسكم الضئيلة! لا هوادة بعد اليوم، السوط.. فى اليد.

وجلودكم.. لمثل هذا السوط خلقت، وسنفرغ لكم أيها الثقلان!!

***

ابن سينا

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

مشائى يحاول أن يؤصل الحكمة المشرقية

ابن طفيل ونسبة القول بالأسرار المشرقية إلى ابن سينا

أطلق ابن سينا مصطلحا عنوانا لكتابين لم يستعمله أحد من الفلاسفة قبله هما: «منطق المشرقيين». والثانى: «الحكمة المشرقية».. وهما معا غير موجودين نالتهما يد العفاء.

أما الأول فكما عرّفه ابن سينا بقوله:

«وبعد، فقد نزعت الهمة بنا إلى أن نجمع كلاما فيما اختلف أهل البحث فيه، لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة أو إلف، ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفا عن غفلة وقلة فهم، ولما سمع منا فى كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين، الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم، ولم ينل رحمته سواهم، مع اعتراف منا بفضل أفضل سلفهم».

أشارت مقدمة «منطق المشرقيين» التى بقيت إلى تمكن ابن سينا من دراسة المشائية إلى الحد الذى أهله أن يصنف أعضاء المدرسة المشائية الذين عاصرهم: فمنهم: المشائون العاميون، ومنهم المتفلسفة المشغوفون بالمشائين ومنهم متعلمو كتب اليونانيين عن قلة فهم.. وتصنيفهم لدارسى الفلسفة اليونانية حفز همته إلى أن يجمع كلاما فيما اختلف أهل البحث فيه(١). والذى أراه أن هذه مقدمة ربما كانت لكتاب: «الإنصاف» المفقود لأن موضوعه فيما اختلف أهل البحث فيه.

(١) «مقدمة منطق المشرقيين». الناشر محب الدين الخطيب.

وأما الثانى فيقول عنه ابن سينا: فقد فقد كله أو بعضه فى نهب السلطان مسعود بن السلطان محمود الغزنوى لمدينة أصبهان سنة ٤٢٥هـ كما حكى الجوزجانى، ولم يبق منها غير جزازات، آثار نطقها معضلة لغوية اصطنعها الاستشراق اصطناعا، فهل هى مشرقية أو بفتح الميم: «مشرقية»، وبين ضم الميم وفتحها دخل الاستشراق دائرة مغلقة.

لقد نشأ الإشكال، أول ما نشأ، كصعوبة لغوية اعترضت سبيل أوائل المستشرقين. ومعلوم أن قصة ابن طفيل الفلسفية المعنونة «حى بن يقظان» قصة ذاع صيتها وانتشرت فى أوروبا انتشارا واسعا، فترجمت إلى اللاتينية والإنجليزية والألمانية والهولندية.

١- بوكوك يؤول لفظ مشرق:

أسرار الحكمة المشرقية

يؤول بوكوك «مشرق» بمعنى الشرق، أى إحياء التراث الشرقى، الهندى وغيره فى الثلاثين سنة الأخيرة من القرن السابع عشر وطوال القرن الثامن عشر(٢). والحال، أن ابن طفيل كان افتتح قصته بالقول: «سألت أيها الأخ الكريم، الصفى الحميم - منحك الله البقاء الأبدى وأسعدك السعد السرمدى - أن أبث إليك ما أمكننى بثه من أسرار الحكمة المشرقية التى ذكرها الشيخ الإمام الرئيس أبوعلى بن سينا. فاعلم أن من أراد الحق الذى لا جمجمة فيه فعليه بطلبها والجد فى اقتنائها(٣). وقد اختار بوكوك الابن (١٦٤٨ - ١٧٢٧) مترجم القصة إلى اللاتينية، أن يترجم لفظ «مشرقية» بمعنى «شرقية» (ORIENTALI) تقديرا منه بأنها تحيل إلى فلسفة الهند.. وقد قال بصدد ذلك: «من الصعب علينا أن نحدد الغرض الذى قصده (ابن سينا) فى هذا الكتاب. ولكن يظهر أنه بحث فيه فلسفة الشرقيين أى الهنود، وقارنها بتعاليم المشائين. والذى يجعلنا نفترض هذا الفرض هو أن أبا الريحان البيرونى، وكان معاصرا له، دخل بلاد الهند ودرس فلسفتها من جهة، ومن جهة أخرى علم الفلسفة اليونانية بشهادة أبى الفرج(٤).

والذى أراه أن «بوكوك الابن» لم يتحر فهم النص الذى قدم به ابن طفيل قصته الإشراقية لأنه ضمنه ما يفيد معنى الإشراق.. لا الشرق فى قوله (أن أبث إليك ما أمكننى بثه من أسرار الحكمة المشرقية... إلخ...)،

(٢) كولو الفونسو نلينو: «محاولة المسلمين إيجاد فلسفة شرقية» فى «التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية»، ترجمة عبدالرحمن بدوى، طبعة وكالة المطبوعات الكويتية ودار القلم اللبنانية المصورة ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٣) «حى بن يقظان» لابن سينا وابن طفيل والسهروردى. تحقيق أحمد أمين، دار المعارف - الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٦٦، ص ٥٢.

(٤) التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، مصدر سابق.

فلفظ «أسرار» يعنى الإشراق وليس التراث الشرقى الهندى أو غيره.

ثم قوله: فاعلم أن من أراد الحق.. فعليه بطلبها والجد فى اقتنائها ثم أكد ما ذهب إليه من أنه يعنى «أسرار الحكمة».

عودة الضمائر عليها.. فعليه بطلبها.. والجد فى اقتنائها.. لذلك كان الأوفق عندى صرف «المشرقية» إلى الإشراقية، لكنه فتح الباب واسعاً أمام تكلف التأويل، وسهولة تفسيره.

٢- القائلون بالتأويل الإشراقى

بعد مرور قرن كامل من الزمن - مستشرق ألمانى هو إ. توك. فى أطروحة له صادرة عام ١٨٢٦ تحت عنوان: «مذهب التثليث النظرى فى العصور المتأخرة فى الشرق»، نفى التفسير الشرقى الهندى لفلسفة ابن سينا الموسومة بالمشرقية وأكد على أنها لا يمكن أن تعنى شيئا آخر سوى «حكمة الإشراق» التى قال فيها بعض المتصوفة المسلمين بالتواصل مع الأفلاطونية المحدثة، وبالإحالة إلى ما كان الإغريق أنفسهم يسمونه «الحكمة الكلدانية».

وفى عام ١٨٣٥ تدخل المستشرق أ. ب. بوزى - تدخلاً بدا فى حينه حاسما - ليؤيد التأويل «الإشراقى» للفلسفة المشرقية بالاستشهاد بالفقرة المتعلقة بـ «حكمة الإشراق» من كتاب حاجى خليفة «كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون» الذى لم يكن قد طبع بعد(٥). وسرعان ما أصبح القول بأن الفلسفة المشرقية هى حكمة الإشراق، نوعاً من الحقائق المسلم بها من الجميع عند الباحثين».

وبعد نحو ربع قرن تدخل المستشرق الكبير «ص. مونك» فى كتابه «أمشاج من الفلسفة اليهودية والعربية» ليؤيد المرادفة بين حكمة الإشراق والفلسفة المشرقية وليلاحظ فى الوقت نفسه علاقة اشتقاقية مباشرة بين الشرق والمشرق والإشراق، وليقيم تمييزا ما بين الفلسفة اليونانية بطبعتها المشائية و«المذاهب الشرقية» التى خالطتها من خلال مدرسة الإسكندرية الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة.

وكان تطور جديد عندما أقدم المستشرق الفرنسى «دى سلان» سنة ١٨٦٨ على ترجمة مقدمة ابن خلدون إلى الفرنسية، فابن خلدون، الذى يتحدث عن ابن سينا بدون أن يأتى بذكر الفلسفة المشرقية المعزوة إليه، يتحدث بالمقابل فى الفصل المخصص لعلم الإلهيات عن عميد علماء الكلام المتأخرين فخرالدين الرازى وكتابه المسمى: «المباحث المشرقية»، والحال، أن «دى سلان» عندما ترجم عنوان هذا الكتاب قال:

(٥) نقد نقد العقل العربى ص ١٥. جورج طرابيش.

(Mebaheth Mochrikiya)، أى أنه قرأ مشرقية على أنها مُشرقية.

٣- التأويل بالروحانية

وفى وقت لاحق تصدى المستشرق الهولندى «راينهارت دوزى» لهذا التأويل الاشتقاقى، ورفض فى كتابه «ملحق المعاجم العربية» المطبوع سنة ١٨٨١ فى ليدن قراءة «دى سلان»، وإن وافقه المرادفة بين «المشرقية» و«الإشراقية».

ويبدو أن المستشرق الفرنسى «دارنبور» أراد التخلص من هذا الإشكال اللفظى، فعمد فى فهرسه للمخطوطات العربية بالأسكوريال (باريس ١٨٨٤) إلى ترجمة لفظ «مشرقى» و«إشراقى» على حد سواء بـ «روحانى» (Spiritualiste) وهكذا سُمى كتاب الفخر الرازى بـ «المباحث الروحانية»، وسمى قصته «حى بن يقظان»، بالإحالة إلى ما جاء فى مقدمة ابن طفيل، «أسرار الحكمة الروحانية».

٤- التأويل بثنائية ابن سينا

وجد فى شخص المستشرق البلجيكى أ. ف. مهرن من يعممه ليطلقه على جملة المؤلفات الصغيرة والرسائل الصوفية المنسوبة إلى ابن سينا عندما نشرها فى أربع كراسات صدرت بليدن فى ١٨٨٩ - ١٨٩٩، بنصها العربى، مع تحليل لمضمونها بالفرنسية، تحت عنوان عام هو: «رسائل فى أسرار الحكمة المشرقية».

وقد ذهب إلى هذا المذهب المستشرق المجرى الكبير «غولدزيهر» عندما نشر فى عام ١٩٠٩ دراسة عن «الفلسفة الإسلامية واليهودية»، ميّز فيها بين كتب ابن سينا الأرسطوطاليسية، ورسائله الصوفية التى يحتمل أن تكون جزءاً من الحكمة المشرقية «أى الشرقية»، وهى التى يشير إليها باعتبارها تكملة لفلسفته.

٥- التأويل: بالترادف بين مشرق واشراقى

وفى الوقت نفسه، أعاد المستشرقون الفرنسيون فى مطلع القرن إحياء قراءة «دى سلان» للفظة «مُشرقية»، وهذا ما فعله «كارادى فو» فى كتابه عن ابن سينا الصادر عام ١٩٠٠؛ حيث أصر على المرادفة بين «مُشرق» و«إشراقى» وبالتالى على شجب المرادفة بين «مشرقية» و«شرقية». وقد قال إن خطأ قراءة «مشرقية» بفتح الميم بمعنى «شرقية» يرجع إلى «بعض تلاميذ ابن سينا الذين أرادوا أن ينحرفوا بمذهبه فى اتجاه الوثنية الكلدانية أو الصوفية الهندية». وفى مقال لاحق له ظهر عام ١٩٠٢ تحت عنوان: «حكمة الإشراق عند (السهروردى) المقتول»، لخص النتائج التى أوصله إليها بحثه بقوله: «لقد قلنا إن فلسفة ابن سينا، وعلى وجه التخصيص ميتافيزيقاه وتصوفه، لا

تختلف مطلقاً عن مذهب الإشراق، اللهم إلا في التسمية فحسب. وعلى هذا النحو يستطيع المرء أن يفسر ما نسب إليه من أن هذا الرجل العظيم كان في جوهره من أنصار حكمة الإشراق، من دون أن يكون المرء في حاجة إلى الالتجاء إلى الفرض المؤلم، فرض عدم الإخلاص لمذهبه.

٦- التأويل بالإشراقية والشرقية

ومع أن المستشرق الفرنسي «ليون جوتييه» قرأ «مشرقية» بفتح الميم في كتابه عن «الفلسفة المسلمة» الصادر عام ١٩٠٠، إلا أنه تراجع عن موقفه وقرأها بدوره بضم الميم (Mochriqiyya) في كتابه عن «ابن طفيل، حياته ومؤلفاته» الصادر عام ١٩٠٩، مرادفا بينها وبين «إشراقية» (Illuminative)، ومقترحاً في الوقت نفسه إطلاق صفة «المشرقية» بفتح الميم، وبمعنى «الشرقية» على الصوفية الفارسية والهندية حصراً من دون «حكمة الإشراق» التي تظل بطبيعتها الفلسفية أقرب إلى الأفلاطونية المحدثة الغربية.

٧- التأويل بالمنهج العرفاني

يرى «ماكس هورتون»: أن الحكمة المُشرقية التي حاول إيجادها أو إظهارها «لكي يطبع فلسفة أرسطو ذات الطابع الوثني بطابع إسلامي» ترمي إذن إلى طابع وجداني ذوقي.

وفي نظرنا أن محاولة ابن سينا لا يهدف من ورائها الخروج على المشائية، إنما يهدف ربط الإشراقية بالمشائية، أي ربط المنطق الوجداني بالمنطق البرهاني مادامت الحقيقة يتجاذبانها.

ثم نأخذ عليه قوله: لكي يطبع فلسفة أرسطو بطابع إسلامي. وكأنه رادف بين إسلامي وإشراقي، وذلك بعيد عن الصواب، وفي النهاية فسر الحكمة بأنها مشرقية، إي إشراق.

وفي عام ١٩١٢، انتصر المستشرق الألماني ماكس هورتن بدوره في كتابه عن «علم الكلام النظري والوضعي في الإسلام» لقراءة «مُشرقية» بضم الميم، معتمدا على الحجج التي قدمها المستشرق بريم، لكي يثبت جواز مثل هذه القراءة من الناحية الفيلولوجية.

وقد تأول الحكمة المشرقية على أنها محاولة من ابن سينا، الذى كان عميق العاطفة الدينية في رأيه، لكي «يطبع فلسفة أرسطو ذات الطابع الوثني بطابع إسلامي». وفي تعليق له على هامش ترجمته الموجزة عام ١٩١٣ لكتاب ابن رشد «تهافت التهافت»، يقول: «هذه الفلسفة المُشرقية ترمي إذاً إلى معرفة الله عن طريق الوجدان والذوق، في مقابل الفلسفة الدقيقة التي تستخدم البرهان وتسير على منهج استدلالي، فهي تقول إن الحقيقة شيء «يشرق» للعقل، فهي

مُشرقة». وعلى هذا النحو يُشرق الله الصوفي، فهو مُشرق. ومن يستخدم هذا اللفظ للدلالة على مذهبه «مُشرقي» أي شرقي، أو فيلسوف الإشراق في مقابل الفيلسوف الذي يستخدم طريق البرهان».

ولم يلبث المستشرق الإسباني الكبير «آسين بلاثيوس» أن انتصر هو الآخر لقراءة «مُشرقية» بضم الميم، وذلك في كتابه الصادر في مدريد عام ١٩١٤ عن «ابن مسرة وفلسفته: نشأة الفلسفة الإسبانية الإسلامية».

٨- التأويل بالأفلاطونية المحدثة والتراث الباطني

أما كليمان هيوارد فيرى أنها «مشرقية» وأنها نزعة أفلاطونية محدثة وهي عين الفلسفة المشرقية التي أشار إليها في مؤلفه المفقود «الفلسفة المُشرقية» وكان لها طابع سري - وكان يشير إلى التراث الباطني الإسماعيلي - وبعده بسنتين وصف المستشرق الفرنسي كليمان هيوارد في مادة «حكمة» في «دائرة المعارف الإسلامية» حكمة الإشراق بأنها نزعة أفلاطونية محدثة، وهي عينها «الفلسفة المُشرقية» التي كانت موجودة أيام ابن سينا الذي كتب مؤلفاً عنوانه «الحكمة المُشرقية»، وكان لها حين ذاك طابع سري فقدته منذ ذلك الحين.

٩- مشرق ابن سينا .. مشرق السهروردي

أما ديبور فإنه يفرق بين: الإشراقيين، أتباع حكمة الإشراق أو الحكمة المشرقية، أما مشرقية فمعناها شرقية، يطلق هذا اللفظ على وجه التخصيص للدلالة على تلاميذ السهروردي، والذي يبدو لنا من تفسير ديبور أن فيه تعسفاً، أولا تكلف التفسير التاريخي حين خص الإشراقية بحكمة الإشراق السينائية وخص مشرقية بتلاميذ السهروردي، وهذا تكلف فيه عسر التأويل.

وفي «دائرة المعارف الإسلامية» أيضاً، ولكن في مادة «إشراقيون» هذه المرة أكد المؤرخ المميز للفلسفة الإسلامية «ت. دي. بور» أن الإشراقيين هم أتباع حكمة الإشراق أو الحكمة المشرقية (أما مشرقية فمعناها = شرقية) ويطلق هذا اللفظ على وجه التخصيص للدلالة على تلاميذ السهروردي. ولكن الاسم والمذهب أقدم عهداً».

١٠- نللينو: تحديد مفاهيم مُشرق

وفي عام ١٩٢٥، تدخل الإيطالي ك. أ. نللينو - «زعيم المستشرقين المعاصرين» كما يسميه ع. بدوي - ليحسم الجدل الدائر في اثنين من نقاط تقاطعه. ففي مقال بعنوان «حكمة ابن سينا الشرقية أو الإشراقية» - وهو عينه الذي ترجمه بدوي بعنوان: «محاولة المسلمين إيجاد فلسفة شرقية» -

تصدى نلينو للإجابة عن سؤالين:

هل فلسفة ابن سينا «الضائعة» مَشرقية أم مُشرقية؟.

وهل هذه الفلسفة المشرقية شرقية أم إشراقية؟.

وفيما يتعلق بالسؤال الأول، كان سهلاً على نلينو أن يثبت أن قراءة «مُشرقية» بضم الميم قراءة غالطة، لأنها تتنافى مع الطبيعة الفيلولوجية للغة العربية التي تأبى زيادة ياء النسبة إلى آخر اسم الفاعل إلا إذا كان علماً كما في قولنا: «مستظهري» نسبة إلى الخليفة المستظهر أو «قادري» نسبة إلى الخليفة القادر، أو إلا إذا كان دالاً على انتماء جمعي كما في قولنا «معتزلي» أو «باطني» والحال أنه لم توجد في التاريخ المعلوم فرقة أو طائفة عرفت باسم المُشرقة ليُنسب إليها «المُشرقي» بصيغة المفرد.

ولكن لئن أسقط نلينو بسهولة هذه القراءة الشاذة، فقد كان أصعب عليه بما لا يُقاس أن يخرق شبه الإجماع المنعقد في أوساط الاستشراق ليؤكد أن فلسفة ابن سينا «الصوفية» لا تمت بصلة إلى حكمة الإشراق، فعنده أن حكمة الإشراق كما تمثلت في مذهب السهروردي المقتول، «تختلف اختلافاً جوهرياً عن فلسفة الفارابي وابن سينا.» وصحيح أن الأفلاطونية المحدثة تعتبر من قبل بعض الدارسين قاسماً مشتركاً بين تلك الحكمة وهذه الفلسفة، ولكن هذه الأفلاطونية المحدثة الواضحة الأثر في هذه كما في تلك، ليست هي نفسها واحدة. فعلى العكس من فلسفة الفارابي وابن سينا فإن «حكمة الإشراق لا تستقيها من ينابيعها الصافية لدى رؤساء المدرسة الأفلاطونية المحدثة الإسكندرانيين، وإنما تأخذها من ميتافيزيقا النور المتأخرة التي هي خليط من التقاليد الغنوصية القديمة والعلوم المستوردة، والتي حافظ عليها ونماها صابئة حران حتى بعد غزو المسلمين لبلاد فارس».

أضف إلى ذلك أن هذه الميتافيزيقا الغنوصية النورية قد خلطت من قبل السهروردي بعناصر ذات طابع إيراني خالص مأخوذة من الديانة الزرادشتية «وعلى هذا النحو أصبح هرمس وأغاذيمون وأسقليبوس وفيثاغورث، وغيرهم من الشخصيات التي تعتبر حجة في كتب العلوم المستوردة، الرؤساء المزعومين لحكمة الإشراق، هم وجاماسب وبزرجمهر وغيرهما من الحكماء الخرافيين في فارس القديمة والاختلاف بينها وبين أفكار ابن سينا المنشورة والمستورة واضح وضوحاً كبيراً إلى درجة أن عمى الباحثين الكبار في هذا الصدد لابد من أن يكون راجعاً إلى تأثير الأفكار القديمة القائلة باتفاق حكمة ابن سينا المشرقية المجهولة مع حكمة الإشراق».

ولم يكتف نلينو بنسف الجسور بين حكمة الإشراق والفلسفة المشرقية، بل حاول أن يخطو خطوة إيجابية إلى الأمام عندما اقترح في نهاية مقاله بعد الاستشهاد بنص طويل لابن سينا يعرف باسم منطق المشرقيين تأويل حكمة ابن سينا الضائعة أو المستورة على أنها لا تعدو أن تكون محاولة للتحلل من قيود المشائية اليونانية، ولتقديم مساهمة شخصية متمايزة عن الموروث الأرسطي، أو حتى لمعارضته بـ «طرق المشرقيين» من موقع منطقي وفلسفي صرف وبدون سقوط في أية «مذاهب صوفية مستورة». ولكن نظراً إلى ضياع مخطوطة «الحكمة المشرقية»، فإن نلينو يمتنع عن تقديم تحليل مضموني لطبيعة القراءة الاختلافية التي تؤكد أن ابن سينا قد حاولها في كتابه الضائع، ولكنه يتكهن بأنه «من المحتمل كثيراً أن يكون اختلاف الحكمة المشرقية عن كتب ابن سينا الأخرى ذات الطابع المشائي، اختلافاً في طريقة العرض وتوزيع المواد أكثر من أن يكون اختلافاً في المضمون والجوهر»، الشيء الذي يعني - إذا صح - أن ابن سينا بقي، حتى وهو يحاول تخطي المشائية، مشائياً.

لقد خيل على هذا النحو لنلينو أنه حسم النقاش وأغلق ملف قضية الحكمة المشرقية.

يقول جورج طرابيشي: ولا شك في أن مقالة نلينو أسهمت إلى حد غير قليلٍ في عقلنة الجدل الذي كان لا يزال دائراً إلى حينه في أوساط المستشرقين حول تلك القضية. ولكنها لم تغلق، وما كان لها أن تغلق الملف مادامت لم تجب عن سؤال جوهري: لماذا سمى ابن سينا فلسفته المشرقية هذا الاسم؟. وإذا لم تكن هذه الفلسفة إشراقية، فما معنى أن تكون مشرقية؟. ولا سيما أن نلينو أبقى هو نفسه الباب مفتوحاً أمام قراءتين: مُشرِقية بكسر الراء، ومشرَقية بفتحها!!.

كذلك فإن الحل العقلاني الذي اقترحه لقضية الحكمة المشرقية قد تسبب هو نفسه على ما يبدو، من قبيل رد الفعل، في اندياح موجة جديدة من اللاعقلانية في الأوساط الاستشراقية في التعاطي مع «أسرار الحكمة المشرقية» إذ أن نسف الجسور ما بين الفلسفة المشرقية وحكمة الإشراق قد استثار تصميماً على إعادة بنائها، ولو عن طريق ركوب مركب الغُلو الذي لا يضبطه ضابط معرفي أو منهجي.

❊❊❊

غزوة أحد

للشاعر الكبير الأستاذ/ عزيز أباظة

لئن ملأ العين مرأى أحد ** فقد هاجت النفس ذكرى أحد
وقفنا به ساعة في الضحى ** فلله أي شعور أجد [1]
رجعت بذاكرتي القهقرى ** إلى ساعة في حواشي الأبد
أمر القرون، وأطوى السنين ** مئات على الدهر مما نعد
تخيلتهم قبل أن ينفروا ** وجيش قريش دنا فاستعد
تجمع من خيرهم محتدا ** وأشرفهم والدا أو ولد
وأخبرهم بفنون القتال ** وأجمعهم للنهى والسدد [2]
وأكثرهم جلدا في النضال ** وخير عتاد النضال الجلد
أتوا حاقدين وشر العداء ** عداء الولي إذا ما حقد [3]
تطالعهم «بدر» ما أصبحوا ** وما روحوا، بالجوى والكمد
فراق الأحبة أن يصبروا ** له، ويقولوا: المنايا رصد [4]
فما صبرهم وهوان الزمان ** يعاورهم، وشنار الأبد [5]
تصدى لأربابهم ساحر ** تحدى فنادى بحرب أحد
وأزعجهم شاعر لم يزل ** يطالعهم بالوصايا الجدد

١- أجد: أثار. ٢- السدد: السداد. ٣- الولي: القريب الصديق.
٤- رصد: مترقبة أو واثبة. ٥- الشنار: العار.

وقد علم الله، ما صدهم ** عن الحق غير الهوى والحسد
تخيلتهم في فناء الرسول ** أحاط به جمعهم وانعقد
وللرأي مصطرع بينهم ** فمنه السديد، ومنه الأسد
وقال النبي وقالوا له ** فلما رأوا رأيهم لم يحد
وقد يخطئ الفصل جمع الرجال ** ويحسنه الملهم المنفرد
أراد ليشرع شورى الأمور ** ويرسي وطائدها والعمد
طراز من الحكم يفني الزمان ** ويبقى منار الهدى والرشد
تضيء على جانبيه الحياة ** ويفشو السلام، ويضفو الرغد

*** ** ***

وأفضوا إلى أحد فابتغى ** لو اسطاع يسعى إليهم أحد
كثير إذا قدروا بالصيال ** قليل إذا قدروا بالعدد [6]
تخيلته قد تراءى الهدى ** ورف عليه السنى والصيد [7]
ومن حوله الخمس من صحبه ** أعدوا ليوم الجهاد العدد [8]
عقائدهم قبل أسيافهم ** وأيمانهم قبل ضافي الزرد
ومن حشد الروح يوم النضال ** فقد حشد النصر فيما حشد
وقيل النزال فشب القتال ** فما شهد الناس يوما أشد
وسال على الجبل الدارعون ** وسال على جانبيه الجسد [9]
فلم يزحم الجو غير الغبار ** ولم يملأ الأرض غير الزود [10]
كماة تضج؛ وغيد تعج ** وبدن تند وخيل تخد [11]

٦- الصيال: القوة على الحرب والمهاجمة.
٧- رف: أضاء. الصيد: التعالي والاعتداد بالنفس.. وهي أوصاف كان يحبها صلى الله عليه وسلم عند الحرب.
٨- الخمس: المخمسون. ٩- الجسد: الدم
١٠- الزؤد: الفزع.
١١- تعج: تصيح، والإشارة هنا إلى النساء اللاتي كن يشجعن المحاربين ومنهم: «هند بنت عتبة» زوج أبي سفيان «وأم حكيم بنت الحارث بن هشام» وغيرهما. البدن: النوق القوية. تند: تهدر. تخد: تعدو وتسرع.

وقد فتح الله للمسلمين ** بنصر ولكنه لم يكد
فليت الرماة أطاعوا الرسول ** إذن لاستوى نصرهم واطرد
ولكنها نزوة تركب الطبا ** ع وإن خلص المعتقد
مضوا فتصدى لهم «خالد» ** فجاذبهم يومهم فاسترد (١٢)
فأوقع فيهم. ومن لم يثب ** لفرصته ذهبت لم تعد

*** ** ***

تمثلت تحت لواء النبى ** فتى ساور المجد ثم اقتعد
سليل البهاليل من هاشم ** وفارسهم والفتى المفتقد (١٣)
إذا أسد الله هز الحسام ** فكل كمى طعام الأسد
رماه على غرة خاتل ** وبالختل يؤتى الشجاع النجد (١٤)
تصيده العبد من خلفه ** ولو جىء من قبل لم يصد
ولما سما صعدا للسماء ** ولم يبق فى الأرض غير الجسد
مشت فوجت صدره وانثنت ** وفى فمها أنفه والكبد (١٥)
فقل للكريمة أم الملوك ** وبنت بناة العلا من معد
مثالك يا هند فى المحصنات ** قليل وفى السروات الخرد (١٦)
غضبت لأهلك فى الهالكين ** فجرت، وأى غضوب قصد (١٧)
لعلك حين نهلت الدماء ** وخلت الغليل اشتفى وابترد
بكيت لأروع عف الإزار ** عف الأسنة عف اللدد (١٨)

١٢- يومهم: نصرهم
١٣- البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لكل خير والفتى المقصود هو «حمزة بن عبدالمطلب»
١٤- الشجاع النجد: الباسل الماضى لما يعجز عنه غيره.
١٥- وَجَتْ: شقت بسكين، والإشارة لحادثة هند بنت عتبة
١٦- السروات: ذات المروءة والشرف، والخرد: جمع خريدة وهى الحيية.
١٧- قصد: عدل
١٨- اللدد: الخصومة.

قليل الشكاة إذا الدهر ناب ** كثير البكاء إذا ما سجد

*** ** ***

أسيت لجيش كريم العتاد ** محض الضريبة والمعتقد
تفرع بالنصر صدر النهار ** فلم يمس إلا بشمل بدد (١٩)
وقيل انثنوا بالرسول الأمين ** وقيل قضى وهو شاكى اللبد
لحا الله عتبة فى الآثمين ** وحرقه باللظى المتقد
بأى يد شج سر الوجود ** ونور الخلود، وهدى الأبد
رماه فأدمى الجبين الوضىء ** وثنى بأخرى فحال الزرد
تلقت على العرش تلك الجراح ** وعز على الله ذاك الجسد (٢٠)
لئن نكب الجيش فى يومه ** فقد عاد ملء الدنا صبح غد

*** ** ***

سلام عليك حبيب الرسول ** وسادن مسجده ذى العمد (٢١)
حراء لمكة والأخشبان ** وقاء وأنت لهذا البلد (٢٢)
هضابك أسنى هضاب تقوم ** وسفحك أقدس سفح قعد
وبين يديك كتاب الزمان ** يشع الهدى، ويقيم الأود (٢٣)
موارد حافلة باليقين ** وبالحكم تمنحها من ورد (٢٤)
وداعا فقد آن يوم المآب ** إلى أفرخ قد براها الكبد (٢٥)
أصابهم الدهر فى كهفهم ** وما وهب الدهر إلا استرد
لئن غدت، لم يعدموا آسيا ** وحسبهمو الله إن لم أعد

١٩- بدد: مبدد متفرق.
٢٠- الجسد: الدم
٢١- يشير الشاعر بهذا إلى الحديث الشريف عن أحد «هذا جبل يحبنا ونحبه».. والسادن: القائم بالخدمة والحجابة
٢٢- الأخشبان: جبلا مكة وهما: أبو قبيس والأحمر
٢٣- الأود: الاعوجاج.
٢٤- الحكم: العظة والتجربة.
٢٥- الكبد: الحزن والألم.

خطبة الجمعة :

المسلم بين الغنى والفقر

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله خلق الخلق وأجرى الرزق، وهو أفضل الواهبين وخير الشاكرين، سبحانه أبدع الكون وزانه بنعمه وآياته، وحشده بخيراته، ليسعد به من شاء من السعداء، ويغيظ به من حرم من الأشقياء، والله عنده حسن الثواب؛ نشهد أن لا إله إلا أنت، تريد بعبادك التيسير ولا تريد بهم التعسير، وتدعوهم إلى البناء والتعمير، إن الله بالناس لرءوف رحيم، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدك ورسولك، جاهد من أجلك وأجل عبادك. فأحيا الموات وجمع الشتات، وأخرج البشرية من كهوف التأخر والانحطاط إلى مدارج الرقى والكمال، فصلواتك اللهم وسلامك عليه، وعلى آله وأحبابه، وعشيرته وأصحابه، وأتباعه العاملين بكتابه، أولئك تتلقاهم الملائكة عند باب الفردوس المقيم هاتفين:

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد/ ٢٤]

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

لا يزال بين المسلمين مع الأسف قوم عميت أبصارهم وضلت أفكارهم ولكنهم علت بحكم الصدف أقدارهم، وانتشرت بين الدهماء أخطارهم، وهؤلاء الشراذم يذيعون بين الحين والحين، دعوات أثيمة يصبغونها بصبغة دينية، يوهمون بها المسلمين أن الدين لا يريدهم إلا فقراء صاغرين، كسالى زاهدين، ويحرضهم على العزوف عن الاكتساب والامتلاك والادخار وجمع المال، ويقولون ضالين: إن الله إذا أعطى الدنيا لأحد حرمه من الآخرة، لأن الله لا يمكن أن يجمع النعيم للإنسان هنا وهناك، وتلك فرية تنسب إلى الإسلام وهو منها برىء، إذ لا يعقل أن يدعو هذا الدين العظيم الخالد إلى العزوف عن الحياة والخمول فيها والفرار منها، وهو الذى جاء ليقول للإنسان: إنك خليفة الله فى أرضه، وقد سخر لكم أيها الناس ما فى السموات وما فى الأرض نعمة منه وفضلاً، واستعمركم فى الكون لتكونوا رؤساء وأقطاباً، لا لتكونوا عالة أو ذباباً، ولتستخدموا ما استطعتم من مظاهر وأسباب فى تجميل الحياة وتنظيم المجتمع... والإسلام هو الذى يحرض على العمل والنشاط، والكسب من وجوه حله وطيبه، وفى القرآن الكريم آيات كثار تتحدث عن ذلك بوضوح وجلاء والرسول صلوات الله عليه هو الذى يقول: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»(١) ويقول: «كاد الفقر أن يكون كفراً»(٢)، ويقول عبدالرحمن بن عوف: «ياحبذا المال أصون به عرضى، وأتقرب به إلى ربى». ومن وصايا لقمان لابنه: يا بنى، استغن بالكسب الحلال فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته ثلاث خصال: رقة فى دينه، وضعف فى عقله، ووهاء فى مروءته، وأعظم من هذا استخفاف الناس به!...

وإذن فلا يدعو المسلمين إلى الذل والمسكنة والافتقار، والإعراض عن مناعم الكون وطيبات الحياة إلا أحد اثنين: إما جاهل بالإسلام الحنيف يحسبه رهبانية مبتدعة، أو تصوفاً محرفاً، أو تبتلاً مسرفاً، وإما مخادع ماكر له فى تلك الدعوة مآرب خبيثة أخرى، فهو يريد أن تظلوا فقراء حتى ينفرد هو وحده بالثراء، وكل منهما مظنون الرأى، مطعون النصيحة، خبيث الغاية، من حقكم إن لم يكن من واجبكم أن تقابلوه بالإعراض والاستهزاء...

لعل متسرعاً سيجادل قائلاً: كيف تقول هذا وفى الإسلام نصوص كثيرة فى القرآن والسنة تحبب فى الافتقار، والتخفف من زينة الحياة وعدم الشغف بها والتفرغ لجمع حطامها؟.. فنجيب بأن تلك النصوص إنما قامت لظروف خاصة، ولتعالج عللاً طارئة، ولتصلح أوضاعاً مختلفة، كأن يشيع الترف والسرف، أو تشغل الحياة المرء عن العبادة، أو يتخذ المال من صاحبه عبداً له يكنزه ويقدسه؛ والإسلام يريد ممن يحببه فى الفقر أن يفتقر عن قوة واقتدار، لا عن

---

(١) الإمام أحمد ٤ : ١٩٧

(٢) إتحاف السادة المتقين ٨/ ٥٢ ، ١٤٢

عجز ومذلة، بمعنى أن المسلم يجب أن يرفض الفقر الذليل المهين إذا فرض عليه، أو أناخ بكلكله فوق صدره، و أن يسعى جاهدا لإزالة سيته عن نفسه الأبية الكريمة، بأن يكسب، ويجمع، ثم ينفق ويفرق، ولو ادى به ذلك إلى أن يأتى على أغلب ما عنده، لأن هذا سيدعوه إلى معاودة الكسب من جديد، وهكذا دواليك، وذلك هو معنى الحياة التى تسمو بمن فيها من الأحياء... وإذا كان الحق سبحانه قد اختار لرسوله الأكرم ﷺ أن يكون قليل المال، ليس فى ثروة كسرى وقيصر، فما كان ذلك عن إهانة أو مهانة، إذ كان الرسول كسابا قادراً على الاستثمار والربح، ولقد عرضت عليه الجبال لتكون بين يديه ذهباً وفضة فأباها، وفضل أن يعيش مسكيناً، وأن يموت مسكيناً، وأن يحشر فى زمرة المساكين، وإنما حدث ذلك بصفة خاصة لتطييب خاطر المحرومين الذين انقطعت بهم الأسباب أولاً، ولإزالة الشبهة عن مقام النبوة الخالصة لله ثانياً، فلا توصف بأنها ملك أو إمارة، ولأن الرسول مثل أعلى لا ينطبق حاله على العامة ثالثاً، وحسبنا أن الرسول الذى أراد له ربه وحده أن يكون قليل المال، هو نفسه الذى كان يحرض صحابته على الاكتساب والربح، حتى غدا منهم رجال لهم أموال تلفت الأبصار، وتسير الأحاديث بشأنها فى البقاع والأمصار، ولم يمنعهم غناهم أن يكونوا المثل السامى فى الهداية والإيمان!.

وإذاً فمن الواجب علينا إذا أصابنا الفقر لعامل من العوامل أن نرضى به كقضاء كتبه الله علينا، وأن نحاول التخلص منه أيضاً كما نتخلص من محنة سيقت إلينا، لتشحذ منا الهمم أو تحلو العزائم، فقد أثر: لو كان الفقر رجلا لقتلته، ولقد كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يصبح الفقر ويمسيه باللعنة، ويسميه «كفراً»... فإذا نجحنا فى التخلص من الفقر وكسبنا الكثير المعجب فلنأخذ فى إنفاقه بحكمة وتعقل على أنفسنا وأهلينا وأقاربنا، وإخوان لنا فى الوطن والإنسانية، ولنبذل من موفوره الغزير بذل من لا يخاف من ذى العرش إقلالا، فإذا حدث لفرد منا تحت ضغط ظروف قاهرة أن عجز عن إزالة فقره، فليصبر عليه صبر الرجال، لا يذل به ولا يخنع له، بل يتطلع فى أمل ورجاء إلى تبدل الحال وتغير المآل.

ولعله من واجبنا أن نذكر الذين بأيديهم أعنة الخلائق هنا وهناك، بأنه ليس كالفقر فى تقويض البناء وتشويه الرواء ونشر الداء، فإن الفقر فى الغالب رذيلة مجرمة، تسخر بكل فضيلة ومكرمة، والفقير يستبيح تحت نير الحاجة وضغط الحرمان أن يسرف ويغش

ويختلس، ويتجر بالعرض وغير ذلك من الموبقات؛ ومراجعة يسيرة لقوائم الجرائم المسبة تكفى لتعريفنا أن الفقر هو القائد الأعظم لكتائب الجريمة والإفساد، ومن أمثلة العرب: «لا تنم بجوار جائع فيأكلك»، أما يوم نبذل الجهود، نوحد الجهود، للقضاء على الفقر، بالتكافل بين الطبقات و تنظيم الإحسان والصدقات، وجمع المفروض من الزكوات، وإنشاء الشعبى من المصانع والمعامل والشركات، والقضاء على الجشع والطمع فى مترفى الأسر والعائلات، فسنصل إلى عهد مجيد، ونبنى دعائم الحياة على أساس وطيد؛ فلم نعف النفس عن ضلالها إلا بالمال، ولم نبنى مرافق الأمة إلا بالمال، ولم نعد الجيوش إلا بالمال، ولم نعمر الكون إلا بالمال؟ فاجمعوا المال أيها الرجال، اجمعوه من حلال وأنفقوه بلا إضلال، واكتسبوا به المحامد وكريم الفعال!..

يا أتباع محمد عليه السلام...

انطلقوا يا أبناء الإسلام فى رحاب الكون ساعين كاسبين، طاهرين طيبين ولا تدعوا منبع استثمار مباح دون أن تستنفدوا ما فيه من خيرات، فالكون قد خلق لكم أنتم، وإلا فستظلون أذلاء ما دمتم فقراء، بين أغنياء من مواطنين ودخلاء، وسيظل المتخمون فيكم بلا حق يتخذون منكم عبيداً أرقاء وخدما أذلاء، فتخسرون دنياكم وتصلون فيها نار الحرمان، وتخسرون دينكم بإعراضكم عن صوت الرحمن،

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

[المائدة/ ٨٨]

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

[النحل/ ١٢٨]

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم سلوا ربكم التوفيق يستجب لكم.

***

نظرات تاريخية

الروح الإسلامى باعث التحرير

للدكتور/ حمدى فتوح والى

يدرك الغرب الصليبى عن يقين أن التحدى الحقيقى الذى لا يمكن له تجاوزه، ولا يفكر يوما فى اقتحامه أو المزايدة عليه، هو التحدى الإسلامى، فلقد جرب الغرب على مدى تاريخه القديم والوسيط والحديث من خلال مواجهاته الشرسة مع الشرق الإسلامى - أن العقيدة الإسلامية هى العقبة الكؤود، وأنها العنصر الوحيد الذى إذا دخل معركة فلابد أن يحسمها لصالحه، مهما كانت طبيعة القوى المناوئة للإسلام عدة وعتادا، يشهد بذلك كبار مفكرى الغرب ومؤرخيهم.

يقول المستشرق الكندى ولفرد كانتول سميث متحدثا عن الفتح الإسلامى لأوروبا بمناسبة فتح القسطنطينية: «لقد كان الهجوم مباشرا فى كلا الميدانين الحربى والعقدى، وكان قويا جدا، فقد فقدت المسيحية دفعة واحدة أجمل مقاطعات الإمبراطورية الرومانية (١) لتتسلمها منها القوة الجديدة وكانت فى خطر من ضياع الإمبراطورية بكاملها، وعلى الرغم من أن القسطنطينية لم تقع تماما فى يد الجيوش العربية كما وقعت مصر وسوريا، فقد استمر الضغط عليها فترة طويلة وفى موجة التوسع الثانية وقعت القسطنطينية بالفعل سنة ١٤٥٣ وفى قلب أوروبا المفزعة ذاتها أحاط الحصار «بفيينا» سنة ١٥٢٩ بينما ظل الزحف الذى بدا عنيدا لا يلين مستمرا فى طريقه.

ويؤكد هذا المستشرق على نوع من القوة كان له أثر فى تلك المواجهات أخطر من أثر الجيوش العسكرية، والمواجهات الحربية وهو القوة المعنوية أو التفوق العقدى والروحى فيقول: «كان الهجوم الإسلامى موجها إلى عالم النظريات كما هو موجه إلى عالم الواقع، وقد عملت العقيدة الجديدة بإصرار على إنكار المبدأ الرئيسى للعقيدة المسيحية، التى كانت بالنسبة لأوروبا العقيدة السامية التى أخذت فى بطء تبنى حضارتها حولها.

وكان التهديد الإسلامى موجها بقوة، وكان ناجحا ومكتسحا فى نصف العالم المسيحى تقريبا، والإسلام هو القوة الإيجابية الوحيدة التى

(١) يقصد القسطنطينية.

انتزعت أناسا دخلوا فى الدين الجديد وآمنوا به بعشرات الملايين (٢).

ومن منطلق هذا الفهم لطبيعة الإسلام، وإدراك المستشرقين لسر قوته، جاءت خطط المحتل الغاصب واعية وهادئة ومدروسة، فاجتهدوا لإخراج العقيدة الإسلامية من ميدان الصراع، تمهيدا يتيح لهم القضاء عليها قضاء مبرما بانتزاعها من أعماق النفوس وحنايا القلوب.

قرأنا عن الحملة الفرنسية، أنها كانت فتحا عظيما لمصر، وأنها هى بداية الانفتاح المصرى على العالم المتحضر، وبداية الخروج من الظلمات إلى النور، وما تزال كتب التاريخ والأدب تذكر طلاب الشهادة الإعدادية والثانوية بدور الحملة الفرنسية فى بعث الحضارة وازدهار الأدب، بل إن مفكرينا ومؤرخينا راق لهم أن يؤرخوا بها لبداية العصر الحديث ونهاية عصور الانحطاط الأدبى، وأصبح شيئا مألوفا وطبيعيا، أن ترى فى اختبارات الشهادة الإعدادية سؤالا يقال فيه: اذكر فوائد الحملة الفرنسية على مصر؟ أو يقال فى مادة الأدب تحدث عن أثر الحملة الفرنسية فى بعث النهضة الأدبية فى مصر؟ ولا يذكر فى المنهج ولو مرة واحدة أنها كانت حملة صليبية استهدفت قلب العالم العربى والإسلامى ومركز إشعاع الحركة الدينية والثقافية متمثلة فى مصر، بثقلها الحضارى وأزهرها العريق لتنصيب الشريعة فى مقتل وتقتل فى الأمة العفة والحياء وتنشر بين رجالها ونسائها ألوان الخلاعة والمجون، وتبعث فى الأمة نعرتها الفرعونية وتهدم الإسلام وتغيب معالمه عن الوجود لقد تطوع المستغفلون فقالوا: إن الحملة الفرنسية جاءت لتقطع الطريق بين بريطانيا ومستعمراتها فى الهند، بسبب التنافس بين الدولتين.

ونحن نتساءل: إذا كان هذا هو الهدف من هذه الحملة فما العلاقة بين قطع الطريق، وبين إصرار نابليون على تنحية الشريعة الإسلامية فى مصر وإحلال القوانين الوضعية محلها؟

- وما العلاقة بين قطع الطريق الإمبراطورى وبين البعثة العلمية التى تنقب عن آثار الفراعنة فى مصر؟

إن هذه العلاقة يوضحها أحد المستشرقين فى كتاب «الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته» بقوله: «إننا فى كل بلد إسلامى دخلناه، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات» (٣).

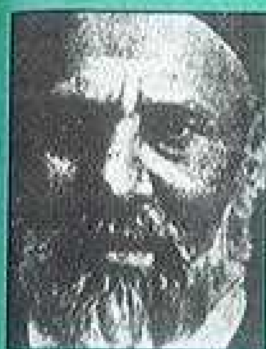
- وما العلاقة بين قطع الطريق على انجلترا وبين استقدام سفن محملة «بالبغايا والنساء الساقطات» اللواتى تحدث عنهم الجبرتى بقوله: «هؤلاء الساقطات اللواتى جاء بهن نابليون، يسرن فى شوارع القاهرة حاسرت متخلعات ينشرن الفتنة وينشرن الفاحشة، ويغرين بعض النساء المسلمات بتقليدهن».

(٢) ولفرد كانتول سميث نقلا عن كتاب: واقعنا المعاصر/محمد قطب دار الشروق ص ١٧٥

(٣) انظر: Near East :Culture and Sacity Edited by T.cuyler young

ثم ما العلاقة بين هدف الحملة بقطع الطريق الإمبراطورى وبين هذا النداء الخطر الذى أذاعه نابليون غداة احتلاله لمصر ليهود العالم كى يعودوا إلى وطن آبائهم ليستوطنوه فى فلسطين[4].

وبجانب ما سبق كله فإننا نتساءل ما علاقة هذا الهدف الذى يردده المغفلون وبين ضرب الأزهر بالمدافع من فوق جبل المقطم، وبين اتخاذه اصطبلا للخيل إمعانا فى إهانته وتدنيسه لكى يشفى غليل صدره، ويطفئ لهيب حقده على الإسلام والمسلمين، إن هذا كله يغيب ويسجل مكانه لأبنائنا وناشئتنا هذا الهراء السخيف الذى يطفئ جذوة الإيمان ويميع قضية العقيدة، ويغيب عن الأذهان حقيقة الصراع الذى أثمر تبعية وذلا وإهانة وعمالة بل بلغ الأمر بهؤلاء المغفلين أن يقولوا: «كانت الحملة الفرنسية فتحا عظيما»، وإذا تركنا قضية الحملة الفرنسية الصليبية ونظرنا إلى ما كتب عن ثورة عرابى لن نراها أسعد حالا من الحملة الفرنسية، إذ لم تنج من السرقة والتضليل والتزييف وتصوير عرابى على أنه شخص متمرد ثائر كما نسمع عن جيفارا وكاسترو ولومومبا وغيرهم من الثوار الذين لا تربطنا بثورتهم أدنى وشيجة من وشائج العقيدة أو الدين وقد نحس تجاههم شعورا بالإعجاب بوطنيتهم وشجاعتهم، أما عرابى فلم يحظ فى بلاده وتاريخها بشئ من ذلك لأن القائمين على التاريخ الحديث هم تلامذة «دنلوب» الذين أخلصوا الولاء لأسيادهم من المستعمرين ولم يجدوا حرجا فى إهالة التراب على هذه الثورة، وعلى دور الإسلام والأزهر فى بعثها وقيادتها متناسين أن الإسلام


احمد عرابى

هو موقد هذه المقاومة وباسط أوليتها ومضرم مشاعرها، بل إنهم تناسوا أن أحمد عرابى كان أزهريا يستمد ثقافته العامة وحكمه على الأمور من تعليمه الدينى ونسوا أيضا أن الشعار الذى رفعه والحوار الذى أجراه فى مواجهة الخديو والمعتمد البريطانى كان حوارا إيمانيا عميقا استوحاه من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لبعض ولاته: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»، فقد كان قول عرابى فى مواجهة طغيان الملك المستبد الظالم: «لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا أو عقارا، وإنا لن نورث أو نستعبد بعد اليوم».

لقد قامت الثورة العرابية بدوافع إسلامية وقادها علماء الأزهر، ودافعوا عنها وحوكموا من أجلها وهم الذين سارعوا فكذبوا الخليفة المضلل، وأصدروا فتوى بأن عرابى على حق، وأن العمل معه جهاد، تكذيبا للفتوى التى أصدرها الخليفة بإيعاز من الإنجليز بأن عرابى متمرد وعاص وخارج لا تجوز مساندته[5].

(٤) انظر موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٤٣ نشر مؤسسة الأهرام سنة ١٩٧٩ مادة «الصهاينة المسيحيون».

وكما زور التاريخ وغيبت حقائقه ووقع التآمر على دور الإسلام فى هاتين الثورتين، فإن تزوير ثورة ١٩١٩م كانت مثالا صارخا للتآمر على الإسلام ودوره فى صناعة الأحداث وصيانة العقيدة وحراسة الأوطان والأديان.

يقول الشيخ محمد الغزالى: «اشتعلت نيران الثورة ضد الاحتلال الإنجليزى سنة ١٩١٩، وجاء هذا الغليان المحلى بعد أن أفلح الاستعمار العالمى فى تقطيع الأمة الإسلامية الكبيرة سبعين قطعة لكل قطعة منها لواء مخطط، وجنسية مقررة وتاريخ خاص!! ولكن المسلمين حيث كانوا أبوا أن يفهموا الوطنية على أنها عبادة التراب، أو يفهموا القومية على أنها التعصب لجنس.

لقد واجهوا الأمر الواقع بتغليب منطق الإيمان وروح الأخوة وأفهموا مواطنيهم من أتباع الديانات الأخرى أنهم مرعيو الذمام محفوظو العهود والمصالح حتى لا ينخدعوا بالدس الأجنبى.

ولم تشذ ثورة سنة ١٩١٩ عن سابقاتها، فكان الأزهر وفروعه فى الأقاليم حطبها الجزل، وكان الجهاد فى سبيل الله حاديها المسموع، وكان الأمل فى جنة الرضوان عزاء الشباب الذى صارع الغزاة حتى الموت..!

إن نداء الدين لم تضعفه المنسيات ولا الملهيات التى صنعها الاستعمار بدهاء وأناة خلال عشرات السنين.

ويختم الشيخ محمد الغزالى كلامه بقوله: «إن محاولات الكيد للإسلام لم تنته، وأحسبها لن تنتهى ولعل أسوأها الآن إبراز التاريخ السابق والتاريخ اللاحق، أو القريب والبعيد، فى صورة مافوكة الملامح مزورة


محمد الغزالى

القسمات، توهم الناظر أنه ليس وراء حركات المقاومة الوطنية دين دافع ولا عقيدة موروثة ورأيى -الكلام للشيخ الغزالى- أن ذلك يحدث لخدمة أعداء العرب والإسلام فإن عزل الدين عن روح المقاومة، فى الوقت الذى يمتزج الدين فيه بطلائع الهجوم ليس إلا توهينا للمدافعين، وتثبيطا لهممهم، وحرمانا لهم من أمضى أسلحتهم»[6].

إن إخراج الدين من قضية الصراع بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم لا يعنى إلا شيئا واحدا هو أن تتقدم الأمة إلى ميدان الصراع بغير سلاحها الرادع ودرعها الواقى وحصنها الحصين.

إن مصلحة الوطن والأمة تقتضى إعدادها جهاديا وعسكريا وهذا لا يتأتى إلا بدفق الإيمان فى القلوب ووصل هذه القلوب بمدد الله القوى، الذى يحيى مواتها، ويجدد إيمانها ويجمع شاردها ويلم شعثها، ويجعلها بحق خير أمة أخرجت للناس. فهل نحن فاعلون؟!!

(٥) حصاد الغرور للشيخ محمد الغزالى ص ١٤٦

(٦) حصاد الغرور ص ١٤٧ وص ١٤٨

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر ـ المقيد برقم ١٦٦٤ لسنة ٢٠٠٤م المتضمن الأسئلة الآتية:

● السؤال الأول : أقطن إحدى القرى التابعة لمدينة السنبلاوين وأغلب سكان القرية يحصلون على احتياجاتهم من المياه عن طريق الطلمبات من المياه الجوفية ، ومع كثرة السكان ولجوء الكثير إلى الصرف داخل الأرض شعرنا فى الفترة الأخيرة بتغير رائحة المياه مما يشير إلى حدوث رشح من مياه الصرف إلى المياه الجوفية . لذلك فإننا نستخدم هذه المياه فى غسل الملابس ونقوم بشراء ما يكفى حاجتنا للشراب والطعام.

والسؤال : هل هذه المياه تصلح للوضوء؟ مع العلم أن الماء لم يتغير طعمه أو لونه.

●● الجواب : اتفق الفقهاء على أن جميع أنواع الماء المطلق بما فى ذلك المياه الجوفية طاهرة فى نفسها مطهرة لغيرها ، وأن كل ما يغير الماء مما لا ينفك عنه غالبا فإنه لا يسلبه صفة الطهورية ، وأن الماء الذى غيرت النجاسة إما طعمه أو لونه أو ريحه فإنه لا يجوز التطهر به ، لحديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : أنه قيل لرسول الله ﷺ أنتوضأ من بئر بُضاعة ، وهى بئر يطرح فيها الحيض ولحم الكلاب والنتن؟! فقال رسول الله ﷺ : «الماء طهور لا ينجسه شىء» رواه أحمد وأبوداود والترمذى وحسنه والنسائى وصححه أحمد بن معين ، زاد البيهقى وغيره : «إلا إن تغير ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيه» وهى إن كانت زيادة ضعيفة إلا أن الإجماع منعقد على صحة معناها.

وعلى ذلك فالأصل فى المياه الجوفية الطهورية وكما ثبت هذا الأصل بيقين فإنه

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى جمهورية مصر العربية

لا يندفع إلا بيقين ، إذ قد يكون هذا التغير فى الرائحة تغيرا بطول المكث وأصل المنبع أو تغيرا بالمجاورة ، ولا يرتفع وصف الطهورية عن الماء إلا إذا تيقنا أن هذا التغير فى شىء من أوصافه ناتج عن مخالطته للنجاسة ، وإلا فليس كل طهور مستطابا ، كما أن الماء إذا كان صالحا لتطهير الملابس فإنه صالح للوضوء أيضا.

● السؤال الثانى : أضع العطور ومستحضرات التجميل فى بيتى فإذا خرجت إلى الشارع أو العمل تكون رائحة العطور مازالت عالقة بى فما حكم الدين فى ذلك مع العلم أنى لا أتزين إلا لزوجى؟

●● الجواب : مادامت المرأة لم تتعطر وتتزين إلا لزوجها فإنها لا تدخل بذلك فى الوعيد الذى أشار إليه النبى ﷺ فى قوله : «أيما امرأة استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهى زانية» رواه أبوداود والترمذى والنسائى واللفظ له عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، وإنما وُصفت بذلك تنفيرا لها من هذا الفعل إذا تعطرت بقصد أن يشم ريحها غير زوجها ، فإذا تغير القصد تغير الحكم ، لكن عليها أن تعمل على الحد من زينتها وعطرها فيما كان مثيرا للفتنة لافتا للنظر لحديث : «لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل» رواه ابن خزيمة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وهو محمول على نفى الكمال لا على نفى الصحة ، ومفهومه أن ما كان من ذلك غير مثير للفتنة أو لافت للنظر فلا بأس به.

● السؤال الثالث : هل يجوز إجبار زوجتى على ترك عملها مع العلم بأنى ميسور الحال ولا أحتاج أى شىء من راتبها وأنا وأولادى فى احتياج لوجودها فى البيت أكثر من عملها؟

●● الجواب : من المقرر شرعا أن الزوجة

لا يجوز لها العمل إلا بإذن زوجها، فإن خرجت وعملت بدون إذنه الصريح أو الضمنى كانت عاصية؛ لأن الحقوق الزوجية متقابلة إذ عليه الإنفاق وعليها الاحتباس فى منزل الزوجية، وقد قال الله تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَالصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾

(النساء ٣٤)

ولا يقدح هذا فى الحق المقرر للمرأة فى العمل المشروع وأن لها شخصيتها وذمتها المالية متى كانت بالغة عاقلة، لأن المشروعية لا تنافى المنع، إذ من المقرر شرعا أن للزوج أن يمنع زوجته من صلاة النوافل وصومها مع أنها عبادة مشروعة.

والإذن الصريح يتمثل فى أن يُعلِم الزوج زوجته به، والإذن الضمنى أن تعمل دون اعتراض منه أو يتزوجها عالما بعملها.

وكما أن الزوج هو الذى له حق الإذن فى عمل الزوجة خارج البيت، فإن الفقهاء جعلوا له كذلك حق إلغاء هذا الإذن ومنع الزوجة من الاستمرار فى العمل، إلا أن القانون قيد هذا الحق للزوج وجعل من إذن الزوج للزوجة بالعمل خارج المنزل إذنا ملزما للزوج يدوم بدوام العلاقة الزوجية بينهما حقا مكفولا لها، فإذا طلب منها بعد ذلك الامتناع عن العمل فلم تمتثل فإنها لا تعد ناشزا ولا تسقط نفقتها لأنه رضى بهذه الصورة من الاحتباس وأسقط حقه فيما زاد عليها، إلا إن كان عملها هذا منافيا لمصلحة أسرتها أو مشوبا بإساءة استعمال هذا الحق - حيث نصت الفقرة الخامسة من المادة الأولى من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠م (المعدلة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥م) على أنه: «لا يعتبر سببا لسقوط نفقة الزوجة خروجها من مسكن الزوجية ـ دون إذن زوجها ـ فى الأحوال التى يباح فيها ذلك بحكم الشرع مما ورد به نص أو جرى به عرف أو قضت به ضرورة، ولا خروجها للعمل المشروع ما لم يظهر أن استعمالها لهذا الحق المشروط مشوب بإساءة استعمال الحق أو مناف لمصلحة الأسرة وطلب منها الزوج الامتناع عنه». أ.هـ.

ومن المعلوم أن حكم الحاكم يرفع الخلاف وأن لولى الأمر تقييد المباح، وله أن يتخير فى الأمور الاجتهادية ما يراه محققا للمصلحة، والعمل بذلك حينئذ واجب والخروج عنه حرام لأنه من قبيل الافتيات على الإمام.

وبناء على ذلك وفى واقعة السؤال: فإن عمل الزوجة خارج بيتها بدون إذن زوجها فى الجملة لا يجوز شرعا، لكنها إن عملت بإذنه فليس له أن يجبرها على ترك عملها إذا كان قد أذن لها فيه صراحة أو ضمنا مادام هذا العمل مباحا ولم يكن منافيا لمصلحة أسرتها أو مشوبا بإساءة استعمالها لهذا الحق وذلك بناء على أن إذنه السابق لها بالعمل خارج البيت إسقاط لحقه فى احتباسها أثناء مدة عملها، وذلك ملزم له على ما سبق بيانه، بناء على ما استقرت عليه المحاكم الشرعية.

● **تنبيه:** حدث خطأ مطبعى فى العدد السابق حيث زيدت واو العطف بين البدل والمبدل منه فى قول السائل «أولاد بنات» فصارت العبارة: «أولاد وبنات»، وهذا خطأ جوهرى تتغير معه الفتوى تماما، إذ لا حق للأخت الشقيقة أصلا فى ميراث أختها مع وجود الأبناء الذكور لأختها المتوفاة، وإنما ترث الأخت من أختها إذا كان أولاد أختها المتوفاة بنات فقط فتجعل عصبة معهن للقاعدة المعروفة «الأخوات مع البنات عصبات»، والولد فى اللغة يطلق على الذكر والأنثى جميعا كما قال تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾

(النساء ١١)

والمقصود من سؤال السائل أن هؤلاء الأولاد بنات فقط، ولأجل ذلك جرى التنويه، والله أعلم

ونعيد نشر الفتوى تعميماً للفائدة

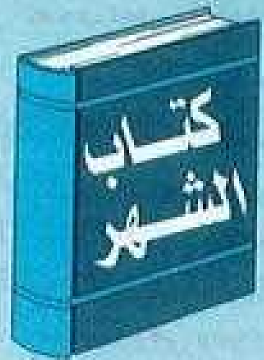
● السؤال من السيد/ وحيد محمد:

أختان شقيقتان: واحدة منهما وليكن اسمها (أ) ولها أولاد بنات والثانية ولتكن (ب) ولها أولاد بنين وبنات. توفيت الأولى وهى (أ) وتركت مبلغاً من المال وبعد ١٥ يوماً مرضت أختها وهى (ب) وقالت لأولادها: أوصيكم بأنى لا أريد من ميراث أختى شيئاً، ثم توفيت، فهل يحق لأولاد الأخت (ب) أن يطالبوا بحق أمهم فى ميراث أختها أم يلتزموا بالوصية الشفهية؟.

●● مطالبة الأولاد بحق أمهم فى ميراث أختها فرع ثبوت هذا الحق واستدامته، وقد ثبت هذا الحق بموت الأخت، وتنازل والدتهم عن نصيبها فى ميراثها من أختها معناه أنها وهبته لبقية الورثة، والهبة تصرف قابل للفسخ فإذا صدرت فى مرض الموت ـ وهو المرض الذى انتهى بموت صاحبه ـ فإنها تكون موقوفة على إجازة الورثة ويكون لمن لحقه الضرر منها من دائن ووارث حق إبطالها بقدر نصيبه من التركة، فإن أجازها كان ذلك إقرارا بصحتها والتزاماً بنفاذها وإسقاطاً لحقه فيها.

وبناءً على ما سبق وفى واقعة السؤال: فإنه يجوز لأولاد الأخت أن يطالبوا بحق أمهم فى ميراث أختها بقدر نصيب كل واحد منهم فيه، ولهم كذلك أن يعملوا بما أوصتهم به أمهم على قدر نصيب كل واحد منهم فيه كذلك.

والله سبحانه وتعالى أعلم



الإرهـاب.. صناعة غير إسلامية

تأليف

الدكتور/ نبيل لوقا بباوى

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

٣



د. نبيل لوقا بباوى

إن ما يجرى اليوم فى العالم ليؤكد صدق مقولة «التاريخ يعيد نفسه»؛ فكما تسترت أوروبا بستار الصليب لتغزو البلاد الإسلامية منذ نحو عشرة قرون، فجمعت الجيوش من قُطّاع الطُرق والمرتزقة فى شتى الأنحاء الأوروبية، يقودها ملوك أوروبا، ويدعمها رجال الدين الأوروبيون؛ طمعاً فى الاستيلاء على خيرات الشرق الإسلامى، وأملاً فى وقف المد الإسلامى، وتطلعاً إلى التوسع الاستعمارى... أقول: كما تسترت أوروبا بستار الصليب والمسيحية لتلك الأهداف... تسترت أمريكا وحلفاؤها من الدول الأوروبية فى العصر الحديث بستار الإنسانية الضائعة بالعنف والإرهاب الإسلامى، مطلقة صيحاتها الإعلامية المضللة، التى تلصق الإرهاب بالإسلام؛ مستغلة أفعال بعض من أعدتهم من الجماعات المنتمية إلى الإسلام لمقاومة الشيوعية، متجاهلة الفرق بين ما ينسب إلى الإسلام وما يصدر من بعض المنتمين إليه، قاصدة بذلك الإساءة إلى الإسلام لوقف مده الذى أصبح يفزعهم من جهة.. والاستيلاء على منابع النفط فى الأرض الإسلامية من جهة أخرى، وخلق الإمبراطورية الأمريكية المحققة للعولمة من جهة ثالثة.

فى ميزان الإسلام

والدكتور نبيل - إذ يرى الواقع الأمريكى فى هيئته المضللة - ينطلق فى الباب الرابع من كتابه «نماذج من الإرهاب لا تقرها الأديان»، كاشفاً كذب نسبة الإرهاب إلى الأديان فى عمومها؛ إذ الأديان جميعها تحرص على إشاعة السلام بين الناس جميعهم، دون تمييز عنصرى أو عرقى.

ويبدأ الدكتور منطلقه هذا مع ما أذيع أنه إرهاب إسلامى؛ فيقدم نماذج لمن تصدر عنهم الأفعال الإرهابية من المنتمين إلى الإسلام، ليعرف بهم من خلال نشأتهم وعلاقتهم بأجهزة المخابرات الأمريكية؛ فيستعرض - فى سبيل ذلك - تنظيم القاعدة، ومجازره البشرية استعراضاً مفصلاً، يقرر من خلاله: أن اعتراف أسامة بن لادن بارتكاب تنظيم القاعدة أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م قد شوه صورة الإسلام، خصوصاً أن الكثيرين فى أمريكا وأوروبا لا يعرفون عن الإسلام إلا أنه أسامة بن لادن، وجماعة طالبان، كما أن هذا الحادث نبه العالم إلى وجوب محاربة هذا الإرهاب الذى يمثله الإسلام والمسلمون، على الرغم من براءة الإسلام الواضحة من ذلك الحادث وأمثاله.

ويضيف الدكتور إلى ذلك تشككه فى حقيقة بن لادن الذى تزعُم أمريكا ومخابراتها أنه هارب، على الرغم من إمكاناتها الواسعة التى تؤكد كذب هذا الزعم الأمريكى بفرار أسامة بن لادن، خصوصاً أن دور أمريكا فى إعداد بن لادن ومساعدتها له مقرر ثابت، لا خلاف حوله.

والدكتور - بذلك التشكك - يشير إلى أن تأثير أمريكا على تحرك أسامة بن لادن أقوى وأوضح من تأثير الإسلام على تحركه؛ لأن الإسلام لا يقر قتل النفس، التى حرم الله قتلها، ولا يقبل ترويع الآمنين، ويرفض كل عمل تخريبى أيا كان موقعه، كما يرفض السرقة بكل ألوانها، سواء سرقة الأفراد وسرقة البنوك؛ ولا صلة للجهاد الإسلامى بأى فعل من هذه الأفعال التى تنسب زوراً إلى الإسلام، من سلوك الجماعات الإسلامية فى مصر، وفى ليبيا، وفى الجزائر، وتونس، وسورية، والسعودية، وإندونيسيا، وسريلانكا، وغيرها من الجماعات التى تعتمد على العنف فى تحركاتها وتعاملاتها، والتى تنتسب إلى الإسلام... على الرغم من أن صريح الإسلام لا يقر أى تصرف يقوم على العنف أو القهر والإرهاب.

ولأن تقارير المخابرات الأمريكية تنسب إلى أسامة بن لادن إنشاء القنوات التى تربط بين كل شبكات الإرهاب فى العالم.... لهذا خص الدكتور نبيل أسامة باستعراض مفصل نسبياً لتاريخ حياته، مبرزاً - فى أثناء ذلك - علاقته الوطيدة بالمخابرات الأمريكية والمخابرات الباكستانية، ومنبهاً إلى فكرة المخابرات الأمريكية الشيطانية الدنيئة للتخلص من خطر المجاهدين الأفغان والعرب

المتنصرين ـ بعد أن حققوا لها ما أرادته ـ والتى تعتمد على الإيعاز لهم بالهجوم على جلال أباد والحكومة بالمدفعية الثقيلة، لإحداث مجزرة بشرية بين المجاهدين الأفغان بعضهم مع بعض، بقصد الوقيعة بينهم... تلك التى دفعت أسامة بن لادن لمعاداة أمريكا.

واستطرد الدكتور فى حديثه عن أسامة بن لادن، فقدم وصفاً تفصيليا لأفغانستان، وطبيعة أرضها، وتدين سكانها، وأحوالهم الاجتماعية، متدرجاً من ذلك.. للحديث عن أسباب نشوء طالبان، واستيلائهم على الحكم بمساعدة الإمدادات الباكستانية، والتزامهم نهج العنف والتشدد الذى يبرأ منه الإسلام.

وقدم وصفاً تفصيلياً لما حدث بعد تحول أسامة بن لادن من التحالف مع أمريكا إلى معاداتها، وما نشب بينهما من صراع، تمثل فى الادعاء الأمريكى: أنه يمتلك بعض الرءوس النووية، وتمثل فى تتبع أسامة بن لادن للوجود الأمريكى فى البلاد العربية، معلناً الجهاد ضد القوات الأمريكية، والمدنيين الأمريكيين فى كل مكان، سعياً لطرد الأمريكان من الدول العربية والإسلامية، زاعماً أن العقيدة الإسلامية ترفض إقامة غير المسلمين فى الدول الإسلامية، بادئاً بمقاتلتهم فى الصومال سنة ١٩٩٢م، ثم فى السعودية، وفى كينيا، وتنزانيا، والفلبين، وصولاً إلى مذبحة الأقصر سنة ١٩٩٧م لضرب السياحة فى مصر التى كانت أكبر حدث يشوه صورة الإسلام، ثم انتهاء بحادث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م الذى زلزل الحياة فى أمريكا.

وختم الدكتور نبيل هذا الاستطراد بتساؤل عما إذا كان الإسلام يقر مثل هذه المجازر والأفعال، ليجيب قائلاً:

إن الإسلام لا يبيح القتال إلا فى حالة الدفاع عن النفس، والمال، والعرض، والعقيدة، والأرض، وليس قتل رجال الدين أياً كان دينهم، كما حاول هؤلاء أن يغتالوا «بابا» الفاتيكان أثناء زيارته للفلبين سنة ١٩٩٥.. فأين هذا السلوك من عفو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن كُفّار مكة الذين آذوه، وطردوه من مكة... بعد أن تحقق للمسلمين النصر، حيث قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطُلقاء»؟!..

فى ميزان الإنجيل والتوراة

ويواصل الدكتور نبيل انطلاقته مع نماذج للإرهاب المنسوب للمسيحية بسبب صدوره من مسيحيين، فيستعرض تاريخ تدوين الأناجيل، ومَن قاموا بتدوينها، وأبرز ما تقدمه هذه الأناجيل فى مجال العقيدة والسلوك؛ من إيمان بالله الواحد، وإيمان بالبعث والحساب، وكثير من الغيبيات المقدسة التى لا تخضع للعلم البشرى، ولا للمنطق العقلى، وإيمان بمعجزات السيد المسيح، ودعوة إلى المساواة والمحبة

والتسامح، ومحاربة للخداع والرياء والنفاق.

ويجعل الدكتور من هذا الاستعراض ميزاناً يُقوِّم به أعمال العنف بين المسيحيين البروتستانت والمسيحيين الكاثوليك، وأعمال العنف التى ارتكبها المسيحيون الكاثوليك مع الأقباط الأرثوذكس فى مصر سنة ٦٤٠م، قبل دخول الإسلام فيها؛ مصرحاً أن الإنجيل لادخل له بأى تصرف من تلك التصرفات، على الرغم من أن بعض «البابوات» قد باركوا كثيراً منها، بل وقادوها، كما كان فى محاكم التفتيش، وكما حدث من «فرسان الصليب» حين تم حصار مدينة «بزيه»، وقام فرسان الصليب بقتل وذبح أكثر من عشرين ألف شخص ما بين رضع ونساء وشيوخ رغم احتمائهم فى كنيسة القديسة مريم المجدلية... فأين هذا من قول السيد المسيح: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم»؟.

وكما حدث فى مدينة «أوكلاهوما سيتى» بأمريكا ـ وقد شاهدنا وقائعه البشعة فى التليفزيونات العالم، ونقلته وكالات الأنباء ـ فى أول أبريل سنة ١٩٩٥، حيث دُمِّر مبنى فدراليا، به من المؤسسات الحكومية ما يضم حوالى خمسمائة موظف، كانوا موجودين فى المبنى، خلاف عشرين طفلاً كانوا فى دار الحضانة. وتبين أن ذلك كان من تدبير وتنفيذ شخصين أمريكيين كانا مجندين بالقوات المسلحة الأمريكية، هما: «ماكفاى، وتيرنيكولز»، وأنهما ينتميان إلى تنظيم متطرف يتبنى أفكار النازيين الجدد... وقد راح ضحية هذا الحادث ١٦٨ قتيلاً، وأكثر من ٥٠٠ مصاب.

ويذكر الدكتور: أن الديانة اليهودية ـ كذلك ـ ديانة سماوية، تدعو إلى الإيمان بالله الواحد، وقد جاءت شريعتها من الله على يد موسى ـ عليه السلام ـ، ولكن اليهود الصهيونيين ارتكبوا كثيراً من الفظائع الإرهابية ليستولوا على الأرض الفلسطينية، ويتخذوها وطناً لهم بعد طرد أهلها الأصليين منها... وفى سبيلهم إلى ذلك دمروا مدناً فلسطينية ولبنانية سنة ١٩٤٨، وفتكت العصابات الصهيونية بمئات الآلاف من سكان فلسطين، وشردت مَن بقى منهم على قيد الحياة. وفى سنة ١٩٦٨ قامت بالعدوان على مطار بيروت الدولى، ودمرت منشآته وعدداً كبيراً من الطائرات المدنية، وضاعفت هذا العدوان سنة ١٩٧٠، وسنة ١٩٧٢، ثم إلى هذا وذاك قامت سنة ١٩٧٨ بعدة مذابح جماعية، منها مذبحة العباسة التى راح ضحيتها ٨١ لبنانياً، ومذبحة الخيام التى ذهب ضحيتها ٣١ مواطناً، ومذبحة كونين وكان ضحيتها ٢٩ مواطناً أغلبهم من الأولاد والأطفال.. أما الجرحى والمعاقين فقد بلغوا نحو ثلاثة آلاف شخص، وبلغ عدد المهجرين من مناطق الاجتياح سنة ١٩٧٨ ٢٦٠ ألف

مهجر من ١٥٠ قرية، وتجاوز عدد المنازل المدمرة سبعة آلاف منزل، بالإضافة إلى خمسة عشر ألف منزل أصيبت بأضرار بالغة.... وتكرر العدوان على لبنان سنة ١٩٨٢، وراح ضحيته ١٩٠٨٥ قتيلاً، و ٣١٩١٥ جريحاً، أغلبهم من الأطفال والشيوخ والنساء.

وفى سنة ١٩٨٢ تعاون اليهود الصهيونيون مع الميليشيات المسيحية اللبنانية للفتك بسكان مخيمى «صابرا وشاتيلا» فى بيروت الغربية، فأوقعوا أكبر مجزرة بشرية إرهابية عرفها العالم فى تاريخ البشرية... وتم الإعداد لها بأسلوب حيوانى، بل إن ما حدث فى هذين المخيمين ليصعب على حيوانات الغابة أن ترتكب مثله... حتى لقد أدانت هذه المجازر المنظمات الدولية، بما فيها مجلس الأمن.

وفى ميزان التعاليم البوذية

والدكتور نبيل يسلك النهج ذاته فى تقويم الأعمال الإرهابية الصادرة عن المنتمين إلى الديانات غير السماوية؛ فيقدم - فى عجالة - أبرز تعاليم البوذية التى دعا إليها شخص يدعى «جوتاما» الذى أطلق عليه فيما بعد «بوذا» قبل الميلاد بنحو خمسمائة عام فى شمال البنغال، وتقوم على الإيمان بأن الإنسان فى حياته يجب أن تكون كل أعماله صالحة ليلقى جزاءه على الأرض خيراً، ولذلك تُلزم أتباعها بمحاور ثمانية هى:

١- الإصرار على الحق والصدق.

٢- سُمو الرغبات، كالرغبة فى خدمة الناس، والرغبة فى إقامة العدل... إلخ.

٣- نظافة اللسان، بحيث لا يؤذى الآخرين.

٤- صواب السلوك، بأن ترضى للآخرين ما ترضاه لنفسك.

٥- نظافة الارتزاق.

٦- دوام العمل لمنفعة الآخرين.

٧- توقى الانزلاق إلى الشهوات، أو البحث عن المجد الذاتى.

٨- الحرص على النهج الحسن فى الحوار، والبعد عن الغرور الأحمق.

فالبوذية - مع أنها ديانة غير سماوية - ديانة خُلُق وسلوك، ترفض العنف الإرهابى، وترفض قتل الأبرياء وترويعهم.

ويرى الدكتور أن ممَّن يُفترضُ فيهم أنهم يلتزمون بهذه التعاليم... تلك الجماعة اليابانية المتطرفة التى تسمى «آدم شيرى كيو» أى الحقيقة المطلقة، والتى بدأ نشاطها سنة ١٩٨٧، وعلى رأسها المدعو «شوكو أساهارا»، وقد بلغ أتباعها عشرة آلاف يابانى فى اليابان، وثلاثين ألف روسى فى روسيا، وتمتلك معامل كيميائية، وطائرة هليوكوبتر» روسية، ومجموعة مطاعم وشركات كمبيوتر.

ومع أن أعضاء هذه الجماعة ينتمون إلى البوذية... عانت اليابان من عنفهم وإرهابهم فى سنة ١٩٩٥، حيث تعرضت اليابان لحادث إرهابى يُعد الأول من نوعه فى العالم، فقد نشروا فى محطات مترو الأنفاق الذى يحتشد فيه الملايين غاز «السارين» السام الذى تكفى مادة قليلة منه لشل الجهاز العصبى فى الإنسان، وفقدان القدرة على التنفس، وتوقف القلب؛ فلقى ستة أشخاص مصرعهم، وأصيب الآلاف بحالات غثيان وسعال وصداع، وسيطرت على الركاب حالات من الفزع والرعب، اضطرت معها السلطات إلى نقل المصابين إلى المستشفيات، وإغلاق ستة وعشرين محطة مترو أنفاق للقيام بعملية الإنقاذ.

وقد اعترف زعماء هذه الجماعة بأن زعيمهم «شوكو أساهارا» هو الذى أمرهم بتصنيع غاز «السارين» السام وإطلاقه فى محطات مترو الأنفاق، وأنهم كانوا يعتزمون شن هجوم آخر بالقنابل السامة على مقار البوليس والمناطق المزدحمة بالمارة، وأنهم كانوا يخططون لإغراق «طوكيو» بأكملها بالغازات السامة، وشن حرب «بيولوجية»...

ويخلص الدكتور نبيل من ذلك كله إلى تقرير: أن الدين السماوى وغير السماوى يرفض الإرهاب، وأن من يباشرون الإرهاب، إن هم إلا طوائف متطرفة، قد تنتمى إلى دين، وقد لا تنتمى إلى دين... وليس مقصوراً على مَن ينتمون إلى الإسلام وحدهم؛ فليس الإرهاب إسلامياً، ولامسيحياً، ولا يهودياً، ولا بوذياً.. وليس الإرهابيون ممَّن ينتمون إلى الإسلام فحسب، فالإرهابيون كما قد يكونون مسلمين، قد يكونون مسيحيين، وقد يكونون يهوداً، وقد يكونون بوذيين... من كل ما يقرر أن الإرهاب صناعة غير إسلامية.

مقاومة الإرهاب بين الخطأ والصواب

وفى الباب الخامس «استراتيجية مكافحة الإرهاب الدولى» يُجمل الدكتور تصوره للإرهاب فى قوله: «الإرهاب الذى ظهر فى نهاية القرن العشرين لم يعد مقصوراً على ما يصدر من المنظمات العنصرية والدينية المتطرفة التى ترتدى ثوب الدين، بل ظهر نوع جديد من الإرهاب هو إرهاب الدولة، مثل إرهاب الدولة الإسرائيلية فى مواجهة الفلسطينيين واللبنانيين، ومثل إرهاب الدولة بأجهزتها المتخصصة، على نحو ما يفعله رجال المخابرات الإسرائيلية «الموساد»، والمخابرات الأمريكية، والروسية.

ويخلص الدكتور من هذا الإجمال ليقرر أن مكافحة الإرهاب يجب أن تشمل كل أنواع الإرهاب، لا أن تَغمض الأعين عن إرهاب الدولة - فى شتى صوره - وتركز على إرهاب المنظمات.

وينطلق الدكتور من هذا التقرير ليستعرض من الواقع توجهات من يزعمون أنهم يكافحون الإرهاب، فيسلك فى رصده وجهتين اثنتين فى مكافحة الإرهاب، لكل وجهة خصوصيتها:

١ـ ويخص الوجهة الأولى لاستعراض مكافحة الإرهاب قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١، حيث كان العالم الغربى والأمريكى يرى أن الإرهاب ظاهرة محلية تصدر عن التنظيمات الإسلامية المتطرفة، إلى أن حدثت عدة وقائع فى أمريكا، مثل حادث ولاية «أوريجون» فى سبتمبر سنة ١٩٨٤، الذى استخدم فيه بعض المسيحيين المتطرفين الأمريكان ميكروب «السالمونيلا» المسبب للنزلات المعوية والتيفود لتلويث بوفيه السلطات المفتوح فى أكثر من عشرة مطاعم بمدينة «داليس»، مما تسبب فى إصابة ٧٥١ شخصاً بنزلات معوية حادة، ومثل حادث «أوكلاهوما سيتى» الذى وقع فى أول أبريل سنة ١٩٩٥، والذى نبه المجتمع الأمريكى إلى أن الإرهاب ليس ظاهرة إسلامية، كما تروجه حكوماتهم. ولكن تلك الحكومات ظلت تروج لمزاعمها السابقة التى تحصر الإرهاب فى الإسلام والإسلاميين لحاجات فى نفوسها.

وكانت مقاومة الإرهاب تتم بمجهودات محلية فى كل دولة تعانى من الإرهاب، بدون أى تعاون دولى؛ فسنت كل دولة من القوانين ما يمكنها من مقاومة الأعمال الإرهابية وفق ظروفها الخاصة.

وقد ذكر الدكتور تفصيلاً نسبياً لما اتخذته بعض الدول فى ذلك الصدد من قوانين، منبهاً إلى ما تتسم به تلك القوانين من خصوصيات تنبع من الرؤية الخاصة لكل دولة، مما أفرز قوانين متباينة فى درجة الشدة والعنف.

٢ـ ويخص الدكتور الوجهة الثانية لاستعراض مكافحة الإرهاب بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١ التى جعلت العالم الغربى والأمريكى يدرك أن الإرهاب ظاهرة عالمية وليست محلية، وجعلته يستنهض جميع الدول للتعاون على مكافحة الإرهاب.

ومن هنا... اختلف العالم فى كيفية مكافحة الإرهاب دولياً؛ فكانت هناك وجهتان؛ إحداهما تدعو إلى أن تكون مكافحة الإرهاب من خلال منظمة الأمم المتحدة وتحت مظلتها، بينما تدعو الوجهة الثانية إلى أن تكون مكافحة الإرهاب من خلال قيادة أمريكا وحلفائها.

والوجهة الأولى تنبثق من أن الإرهاب ليس وليد منطقة معينة، ولا يرتبط بفكر معين، ولا بدين معين، ولكنه قد يرتدى أى ثوب من هذه الثياب ليحصل على تعاطف المواطنين، الأمر الذى يفرض على العالم أن يواجه الإرهاب من خلال ميثاق الأمم المتحدة، وتحت إشراف مجلس الأمن، حتى لا تتحول مكافحة الإرهاب إلى إرهاب آخر أشد ضراوة وعنفاً لتحقيق مكاسب شخصية، خصوصاً بعد ما تأكد الجميع أن جرائم الإرهاب أصبحت جريمة دولية منظمة، ذات أهداف غير مشروعة، تهدد الأمن الدولى، وتهدم قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان فى العالم،

وإذ قد تأكد للجميع أن بعض الجهات الحكومية، والقوى الرسمية فى دول كثيرة تدعم هذا الإرهاب، وتتخذه سلاحا تقاوم به خصومها، حيث تستثمره بواسطة أجهزة المخابرات لتحقيق أهدافها، والتنكيل بمن يخرج على طاعتها.

لذلك... خلصت تلك الوجهة إلى إيجاد إطار دولى متحد، يهدف إلى التعاون الدولى، بناء على إعداد اتفاقية دولية تحدد تعريفاً دقيقاً للمقصود بالإرهاب، حتى تتميز مقاومة المحتل من الإرهاب.

والوجهة الثانية تنبثق من قاعدة أن الإرهاب، مقصور على كل ما يتعارض مع مصلحتها الخاصة، فأصحاب تلك الوجهة هم الذين يحددون الأعمال الإرهابية، ويوجبون أن تقوم مكافحة الإرهاب وفق رؤيتهم الخاصة، الأمر الذى يستلزم تحول مكافحة الإرهاب إلى حرب مصلحية توسعية، تفقد المصداقية والجدية، وتصيب القائمين بها بالعجز الحتمى عن النجاح فيها أو تحقيق أدنى درجات السلام والأمان الدولى؛ لتجاوزهم ميثاق الأمم المتحدة الذى ينيط حفظ السلام والأمن الدوليين بمجلس الأمن.

أمنيات من واقع المسلمين

وانطلاقاً من واقع المسلمين وحقيقة الإسلام التى كشفت إفك ما يلصقه الإعلام الصهيونى الأمريكى بالإسلام من إرهاب وعنف... انطلاقاً من هذا وذاك، تتولد فى نفس الدكتور نبيل أمنيتان يرى فى تحققهما إمكانية إحقاق الحق، ودحر تلك المزاعم الكاذبة؛ فيختم بها دراسته تلك ـ بعد أن تأكد لديه أن الإرهاب ليس صناعة إسلامية ـ تقديراً منه أن هاتين الأمنيتين كفيلتا بالتصدى الجاد لتوضيح حقيقة الإسلام التى يحرص الغربيون بقيادة الأمريكان على تشويهها، والزعم الباطل أنه مصدر الإرهاب والتخلف.

١ـ فيتمنى ـ أولاً ـ أن تنشىء الدول العربية والإسلامية هيئة إسلامية مستقلة فى إحدى العواصم الأوروبية، يكون غرضها الأساسى الدفاع عن الإسلام، بمختلف الوسائل الإعلامية، وتتبُّع كل افتراء على الإسلام لتفنيده والتصدى له فى كل مكان، بحيث لا تخضع تلك الهيئة لأى دولة، حتى لا يتسرب هدفها إلى الدهاليز السياسية.

٢ـ ويتمنى ـ ثانياً ـ أن تنشىء جميع وزارات الأوقاف ـ فى الدول العربية والإسلامية ـ موقعاً على «الإنترنت» الخاص بها لتوضيح صحيح الإسلام فى الكتاب والسُّنة، بعيداً عن فتاوى ضيقى الأفق وآرائهم الخاصة، ولملاحقة أفكار بعض المستشرقين التى يبعثهم إليها التعصب، أو الغرض السياسى الاستعمارى، أو الجهل.

وهاتان الأمنيتان الغاليتان إن هما ـ فى الحقيقة ـ إلا نصيحة صادرة من عقل واع بصير، وقلب خالص من شوائب التعصب البغيض، ليت القائمين على أمر المسلمين يستمعون إليها بعقل قريب من عقل

الدكتور، ويقلب في نقاء وطهر قلبه، حتى يحق الله الحق بهم.

وبعد... فالكتاب يعالج مضموناً عصرياً، انبثق من قضية صنعها الإعلام الأمريكي الصهيوني والغربي الاستعماري، وبذل كل جهده لينفخ فيها روح الحياة، ليجعل منها واقعاً يمثل الإسلام والمسلمين، قاصداً من وراء ذلك تشويه الإسلام حتى يأمن على عامة الأمريكيين والغربيين من الدخول في الإسلام أفواجاً، بعد أن رأوا الإقبال المتنامي منهم على اعتناق الإسلام، وبعد أن قام من بينهم من نبه إلى ذلك مقدراً أنه خطر يتهدد المجتمع الأمريكي والأوروبي، خصوصاً بعد أن تحلل الاتحاد السوفييتي، ورأوا أن خطر الزحف الشيوعي قد زال أو هو في طريقه إلى الزوال.

فالدكتور نبيل يقدم بكتابه هذا إجابة شافية واضحة، ورداً صريحاً حاسماً على ما يدور في الساحة من تساؤلات، وتضطرب بها أفئدة الكثيرين إزاء تلك الأكاذيب التي اختلقها الصهيونيون والغربيون الاستعماريون، دون الوصول إلى بصيص نور يهدي.

والكتاب -إلى ذلك- يكشف عن أمانة الدكتور، ومصداقيته، وحياديته التي سما بها عن سطوة التعصب الأعمى، وتجاوز بها ضلال التيه الذي تنشره أكاذيب السياسيين، والمغرضين، والواقعين فريسة الجهل وضيق الأفق.

بيد أن تحمسه لموضوعه -مع إعلانه الصريح عن تمسكه بمسيحيته الأرثوذكسية- دفعه إلى تكرار بعض المباحث والأفكار، فما جاء في آخر الكتاب من تمنيات سبق ذكرها في مقدمة الكتاب، كذلك ص٥٢ إلى ص٥٤. وما تحدث به عن الإرهابيين وأهدافهم في ص٦٠ وما بعدها، كرره في ص١٥٢ وما بعدها.

كما أن هذا التحمس اتجاه إلى استقاء معلوماته من مصادر متناقضة، فأوقعه في بعض التناقض، خصوصاً في حديثه عن مصادر تمويل الإرهابيين؛ فتارة يذكر أنها تعتمد على التمويل الأمريكي عن طريق مخابراتها، وتارة يذكر أنها تعتمد على التمويل الإيراني.

أضف إلى هذا وذاك... ما نراه من خلط بين «الدكتاتورية» وطاعة الحاكم، دون تفريق بين طاعة الحاكم التي تدخل في ضمن الاستبداد الدكتاتوري، وطاعة الحاكم التي يفرضها النظام الدستوري الديمقراطي. وما نراه من أخطاء إملائية ونحوية تنتشر في شتى صفحات الكتاب.

ونرى أن هذا التحمس وراء تكراره ما تضمنته تقارير الأجهزة المخابراتية في وصفها الجماعات الإرهابية التي أرسلت أحكامها إرسالاً مطلقاً دون تمحيص.

ولا ريب في أن تلك الملاحظات وغيرها لا تقدح في قيمة الكتاب، ولا تنتقص من جدية الدكتور ومصداقيته وحياديته، ولا تؤثر في التزامه المنهج العلمي الذي أقام عليه دراسته.

والله من وراء القصد.

ورثة قوم لوط عليه السلام

للأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴾

[النمل/٥٤: ٥٨]

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآيات الكريمة:

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط -عليه السلام- أنه أنذر قومه نقمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي إتيان الذكور دون الإناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال:

﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾

أي يرى بعضكم بعضاً وتأتون في ناديكم المنكر:

﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾

أي لا تعرفون شيئاً لا طبعاً ولا شرعاً كما قال في الآية الأخرى.

﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾

[الشعراء/ ١٦٥، ١٦٦]

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾

أي يتحرجون من فعل ما تفعلونه ومن إقراركم على صنيعكم فأخرجوهم من بين أظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا على ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها، قال الله تعالى:

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾

أى من الهالكين مع قومها لأنها كانت ردءاً لهم على دينهم وعلى طريقتهم فى رضاها بأفعالهم القبيحة فكانت تدل قومها على ضيفان لوط ليأتوا إليهم لا أنها كانت تفعل الفواحش.

وقوله تعالى:

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾

أى حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد ولهذا قال:

﴿ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾

أى الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الإنذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهموا بإخراجه من بينهم.

وبعد مضى كل هذه القرون المتتالية ظهر لقوم لوط ورثة، صارت لهم يد مؤثرة فى السياسة الأمريكية، فمؤخرا تناقلت وكالات الأنباء العالمية خبراً مفاده أن الرئيس الأمريكى «جورج بوش» بات مهدداً بخسارة الانتخابات الأمريكية.. ليس بسبب الجرائم التى ارتكبها جيش الاحتلال الأمريكى فى العراق وأفغانستان.. وإنما لأن «الشواذ».. الذين يمثلون ثقلاً انتخابياً هاماً فى المجتمع الأمريكى - قرروا التكتل ضده فى الانتخابات، حيث أعرب «الشواذ» عن غضبهم من سياسة الرئيس بوش، بسبب تقدمه باقتراح لمجلس الشيوخ الأمريكى لتعديل الدستور الذى يسمح حالياً بزواج المثليين، أو الشواذ جنسيا، ولكن «خمسين» عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ صوتوا ضد مشروع بوش فى حين أيده (٤٨) عضواً فقط.

بمعنى أن ممثلين لأكثر من نصف الشعب الأمريكى صوتوا لصالح الشذوذ الجنسى!!

وبعد ذلك يحدثوننا عن القيم الأمريكية وعن الديمقراطية التى تريد الولايات المتحدة تطبيقها فى الدول الإسلامية لأنها غير راضية عن الممارسات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية فى هذه الدول وترغب فى أن تتمتع شعوبها بديمقراطية بلا حدود.. وهى بالتأكيد ديمقراطية لا تعارض الشذوذ الجنسى، وتسمح بالإباحية ولا تعاقب مرتكبيها، وتعتبر ما يقومون به من شذوذ وإباحية علنية سلوكاً شخصياً ينبغى احترامه والحيلولة دون التصدى له، لأن التصدى له نوع من أنواع القهر والكبت المؤدى إلى انهيار العمل الديمقراطى.. هكذا يقولون..

فإذا قامت دول مثل: مصر وسوريا والسودان والسعودية وإيران وباكستان وأفغانستان باتخاذ إجراءات ضد كل من تسول له نفسه خدش قيم المجتمع وأخلاقياته وضرب أى بؤر للفساد والانحلال الخلقى كان الاتهام الأمريكى الجاهز وهو: «إهدار حقوق الإنسان»..

لماذا؟

الجواب لأن قيم المجتمع الأمريكى تختلف اختلافاً جذرياً عن قيم المجتمع المسلم.

- فى الولايات المتحدة إذا بلغت الابنة السن القانونى فمن حقها أن تغادر بيت أبويها وأن تفعل ما يحلو لها تصادق هذا.. وتعاشر هذا وغير ذلك من الأمور التى تحرمها الشريعة الإسلامية عندنا وتعاقب عليها.

- فى الولايات المتحدة من حق الزوجة أن يكون لها صديق تقضى معه إجازة تنسى فيها التزاماتها الزوجية وتتحرر منها تماماً. والزوج يعلم ذلك وهو لا يعارض لأنه يتمتع بنفس الأمر فله صديقة يقضى معها إجازة ينسى فيها التزاماته الزوجية ويتحرر منها تماماً.. والشريعة الإسلامية عندنا تحرم ذلك وتعاقب عليه، وكذلك الأمر فى الشرائع السماوية الأخرى.

- فى الولايات المتحدة من حق الرجل أن يتزوج رجلاً مثله، ومن حق الأنثى أن تتزوج أنثى مثلها أما عندنا فهذه جريمة تحرمها الشريعة الإسلامية، وغيرها من الشرائع السماوية.

فهذه الأمور - وهى على سبيل المثال لا الحصر - لا تنفرد الشريعة الإسلامية بتحريمها، وإنما تحرمها كل الشرائع السماوية.. ولكن المشكلة أن المجتمع الإسلامى مجتمع متمسك بدينه ويطبقه فى حياته اليومية، بينما المجتمع الأمريكى ليس كذلك، فلا يمكن لمجتمع وافق مجلس نوابه على إباحة الشذوذ أن يكون مجتمعاً متديناً.. وبالتالى فليس من حق هذا المجتمع المرحب بالشذوذ أن يعطينا دروساً فى ممارسة الديمقراطية، وأن يتهمنا بالإرهاب وإهدار حقوق الإنسان.. وغير ذلك من تلك الشعارات الجوفاء الفارغة من أى مضمون أو معنى.. وإذا كان هناك من يحب الشذوذ ويدعمه ويرعاه ويباركه فعليه ألا يفرض ذلك على غيره، وأن يحتفظ بموبقاته لنفسه، أما نحن فلن نعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما نعبد لكم دينكم ولنا ديننا.

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا (٤٥) ﴾

[فاطر/ ٤٤:٤٥]

حرب الإعلام الإسرائيلى

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

يسعى الإعلام الإسرائيلى، منذ اغتصاب فلسطين العربية إلى توظيف كل وسائله المقروءة، والمسموعة، والمرئية، وتسخيرها لخدمة أهداف المشروع الصهيونى، بالتأكيد على أن فلسطين أرض يهودية محررة، وليست أرضا فلسطينية محتلة، وأن إسرائيل الحالية هى تكرار لإسرائيل القديمة، وأن تاريخ فلسطين يبدأ بمملكة داود، فى القرن العاشر قبل الميلاد، وينتهى بإسرائيل الجديدة التى تمثل بعثا لإسرائيل القديمة، وإحياء لها، وفى سياق هذه المزاعم الإسرائيلية الباطلة، والدعاوى الصهيونية الزائفة، يخاطب رئيس الوزراء الاسرائيلى الأسبق «بيجين» الكنيست، أثناء زيارة الرئيس «السادات» لإسرائيل عام ١٩٧٧ بقوله: «نحن لم نستول على أى أرض أجنبية، لقد عدنا إلى وطننا، إن العلاقة بين شعبنا وهذه الأرض هى علاقة أزلية، نشأت منذ فجر التاريخ، ولم تنفصم عراها فى أى وقت من الأوقات ففى هذه الأرض أقام أجدادنا حضارتنا، وعليها تنبأ أنبياؤنا، وعندما نزحنا منها تحت وطأة القوة المستخدمة ضدنا، وابتعدنا عن بلادنا، لم ننس هذه الأرض ولو ليوم واحد».

وفى هذا الصدد يعلق الكاتب الفلسطينى «زكريا محمد» على المزاعم الإسرائيلية بقوله: «لقد وجد الفلسطينى نفسه إزاء هذه الدعاوى الزائفة فجأة من دون تاريخ، ومن دون ماض، وصار مجرد ضيفا على هذا التاريخ وإذا كان تاريخ إسرائيل القديم يبدو كلحظة فى التاريخ الفلسطينى الطويل، فقد جرى التركيز على هذه اللحظة من جانب جهاز الدعاية الإسرائيلية، باعتبارها جوهر هذا التاريخ، فكل ما قبلها باطل، فقد ابتلعت لحظة قيام إسرائيل فى عام ١٩٤٨ كل اللحظات السابقة التى يجسدها التاريخ الفلسطينى الضارب بجذوره فى فلسطين منذ عهدها

الأول.

وهكذا يركز الإعلام الصهيونى والإسرائيلى على إسكات التاريخ الفلسطينى، وقطع أية علاقة عربية وفلسطينية به وفى هذا المقام يضيف «زكريا محمد»، قوله: «وهذا ما أورث الفلسطينيين شعورا بأن تاريخهم «اغتصب» لقد تم اغتصاب الماضى أيضا، لا الحاضر فقط وفى ضوء ذلك التزييف الصهيونى للحقائق، وتشويه التاريخ، فإن الإعلام الإسرائيلى يتسم بسمتين:

الأولى أنه دعاية منظمة ومخططة ذات أهداف استراتيجية واضحة، فهى تسبق الأحداث وتواكبها ولا تأتى فى أعقابها، فينتقى هذا الإعلام لكل حدث ما يلائمه من الأساليب والمضامين، وما يتلاءم والجمهور الذى يخاطبه والمرحلة التاريخية التى يقع فيها.

والثانية أنه دعاية تركز على تكرار مجموعة من القضايا والدعاوى الباطلة، التى يتم الإلحاح عليها لترسيخها فى الأذهان، وتثبيتها فى ذاكرة الإنسان، حتى تصبح وكأنها حقائق يجب التسليم بها، خاصة عندما تطرق مسامعه عبر المذياع، وتتجسد أمامه صورا يراها على شاشة التليفزيون ويقرأها بعينيه مكتوبة فى صحيفة أو مجلة، تلاحقه فى البيت، وفى العمل، وتلح عليه حتى عندما يذهب لسريره لينام. ومن هنا لا يجد المرء مفرا أمام هذا الحصار الإعلامى إلا الانصياع، والاستسلام إزاء الإلحاح المستمر والمتكرر لهذه الدعاية الصهيونية، أو على الأقل التأثر بهذه المغالطات، وهو تأثير سرعان ما يتحول إلى قبول بها، ثم اعتناقها، والتشيع لها، والاستعداد للدفاع عنها. فهذه هى نقطة القوة الأساسية فى الدعاية الإسرائيلية من تكرارها لمصطلحات وعبارات زائفة ومقولات باطلة، وإلحاحها، وملاحقتها للرأى العام لترسيخها فى عقله ووجدانه ومن هنا يسعى الإعلام الإسرائيلى إلى تسريب العديد من هذه المصطلحات فى دعايته ضد العرب والمسلمين، فنجده يروج لفكرة «الأصولية الإسلامية» لإيهام العالم أن التطرف هو أصل الإسلام، وجوهر تعاليمه. ومن الملاحظ أن الإعلام الغربى، والأمريكى على وجه الخصوص وقع أسيرا لهذه الفكرة حتى ضاعت المسافة بين الأصول الإسلامية التى تؤكد على أنه

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾

[البقرة/ ٢٥٦]

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

[الكافرون/ ٦]

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

[الكهف/ ٢٩]

وبين حركات التطرف السياسى التى تلغى الآخر، وتستبيح دمه، وتسئ إلى هذه الأصول الإسلامية التى تحدد بدقة قواعد سلوك الاختلاف مع الآخر.

والهدف من ترديد الدعاية الصهيونية لهذا المصطلح واضح وهو تشويه صورة الإسلام وتجريده من سماحته وتكريمه للإنسان بغض النظر عن إيمانه أو كفره وفى هذا السياق يردد الإعلام الصهيونى والإسرائيلى مصطلح «الإرهاب الإسلامى» الذى تراه إسرائيل أنه يقوم على أساسين:

الأول مبدأ الجهاد الإسلامى، باعتباره «إرهابا» فهو يربط جوهر الإسلام بالتطرف وهى مغالطة تسئ إليه، إذ إن الجهاد للدفاع عن النفس وليس للعدوان على الآخرين.

والثانى ركن الزكاة باعتباره تمويلا للإرهاب الإسلامى وهى مغالطة حيث إن الزكاة لها مصارف ثمانية، ليس من بينها تمويل الإرهاب أو العنف أو الاعتداء على حقوق الغير وقد صاحب مصطلح «الإرهاب الإسلامى» مصطلحات أخرى جديدة، زخر بها قاموس الإعلام الصهيونى تجعل من «العمليات الاستشهادية» فى الأرض المحتلة «عمليات انتحارية» ومن عمليات «المقاومة الفلسطينية» للمحتل الإسرائيلى «إرهابا» أما ما تقوم به إسرائيل من قتل واغتيال وتدمير للمنازل، واعتقال لرجال المقاومة، وحصار للمدن والقرى فهو دفاع عن النفس كما دأبت الآلة الإعلامية الإسرائيلية على تصوير إسرائيل وأمريكا كشركاء فى الاستهداف بالإرهاب من جهة، وشركاء فى محاربة الإرهاب من جهة أخرى.

والجدير بالذكر فى هذا الصدد أن الدعاية الإسرائيلية تركز على استخدام مصطلح «الصراع العربى الإسرائيلى» بدلا من مصطلح «القضية الفلسطينية» لإيهام العالم أن ثمة طرفين متصارعين هما «العرب والإسرائيليون»، لكل منهما حق فى فلسطين، وأن صراعهما يدور حول هذا الحق، بينما نجد مصطلح «القضية الفلسطينية» يشير بوضوح إلى أن ثمة قضية واحدة لصاحب حق واحد، وهو الشعب الفلسطينى، ويضع إسرائيل فى موضع من لا يملك حقا فى الأساس إذ إن القضية برمتها هى قضية شعب اغتصب وطنه، وشرد من أرضه، وانتهكت حقوقه، واستبيحت مقدساته أما مصطلح «الصراع العربى الإسرائيلى» والذى يلح الإعلام الإسرائيلى على ترديده فإنه يعتبر الصراع بين الطرفين يدور فى المقام الأول حول تسوية الحدود، وليس حق الوجود، واللافت للنظر أن إسرائيل من خلال إعلامها تصر على استخدام مصطلحات «أرض إسرائيل» بدلا من اسم «فلسطين» لتوحى للعالم أن فلسطين ليست أرضا فلسطينية، بل هى

أرض إسرائيلية، وأنها ملك لليهود، وليس للفلسطينيين حق فيها كما تردد أبواق الدعاية فى إسرائيل مصطلح «يهوذا والسامرة» بديلا عن استخدام مصطلح «الضفة الغربية» للإيحاء أنه كان يوجد مملكتان فى الضفة الغربية بعد وفاة سليمان - عليه السلام - إحداهما فى جنوب الضفة وهى مملكة يهوذا، والأخرى فى شمالها وهى مملكة إسرائيل، متناسية أن هاتين المملكتين لم تدوما إلا ثمانين عاما، وهى فى عمر الأمم تبدو قصيرة فقد ظل العرب المسلمون فى الأندلس حوالى ثمانمائة عاما ومع ذلك لم يطالبوا بأى حق تاريخى فيها، وفوق ذلك كانت كل مملكة من الصغر بحيث وصفها بعض المؤرخين بأنها مملكة مدينة ومن ناحية أخرى يستخدم الإعلام الصهيونى، منذ أواخر القرن التاسع عشر، مصطلح «الشرق الأوسط» بدلا من عبارة «الوطن العربى» الذى يؤكد عروبة هذا الوطن من المحيط إلى الخليج، وما إسرائيل إلا جسم غريب عن الوطن العربى ولقد بزغ فى الأوساط الإعلامية الصهيونية والغربية والأمريكية على وجه الخصوص مصطلح «الشرق الأوسط الكبير» الذى يضم إسرائيل وتركيا وأفغانستان وباكستان وإيران إلى جانب الدول العربية، حيث تلعب فيه إسرائيل دور الهيمنة وحراسة المصالح الأمريكية، وقيادة هذه المنطقة، كما يقوم هذا المصطلح على فكرة أن إسرائيل جزء لا يتجزأ من جغرافيته، وأن وجودها هو وجود طبيعى يتوجب على العرب القبول به وتحرص وسائل الإعلام الإسرائيلية على ترديد عبارة «جيش الدفاع الإسرائيلى» بديلا عن عبارة «الجيش الإسرائيلى» لتوهم العالم أن إسرائيل - دائما - فى حالة دفاع عن النفس ضد محيط عربى معادٍ، يسعى إلى القضاء عليها. كما لم ينس العالم ما روجته الدعاية الصهيونية لمصطلح «أن العرب يريدون إلقاء اليهود فى البحر» وكان ذلك للتمهيد لعدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧، وهو مصطلح اخترعه الصهاينة لتبرير هذا العدوان الإسرائيلى على أراضى ثلاث دول، ولإظهار إسرائيل بموقف الحمل الوديع الذى يريد العرب التهامه، ولكسب عطف الرأى العام، وتأييده.

والحقيقة التى لا يمكن إنكارها، تاريخياً أن العرب كانوا ولا يزالوا يصفون اليهود من أبناء فلسطين بأنهم «إخواننا، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا» لقد فرق العرب بين اليهود كأصحاب دين، وبين الصهاينة كدعاة لإقامة دولة يهودية فى فلسطين، تنتزع شعبا من وطنه وأرضه، وتشريده فى صورة لم ير التاريخ لها مثيلا، واللافت للانتباه أن إسرائيل شنت «حربا إليكترونية» مستمرة عقب انتفاضة الأقصى على مواقع فلسطينية فى شبكة الانترنت، بإرسال «فايروس» يقوم بمسح صور الشهداء

الفلسطينيين التى تدين أعمال إسرائيل العدوانية، كما قامت بعض شبكات التليفزيون الكندية التى يهيمن عليها الإعلام الصهيونى بعرض صورة الشهيد «محمد الدرة» مع إلباسه طاقية المتدينين اليهود وصوروه كيهودى، يحتمى بجسد أبيه، بينما يغتاله الفلسطينيون عمدا وهكذا يقوم الإعلام الإسرائيلى بتلبيس الحق بالباطل، وتصوير الضحية جلادا، والقتيل قاتلا لتضليل الرأى العام، وقلب الحقائق وطمسها وفى هذا الإطار يصور الإعلام الإسرائيلى «إسرائيل» بأنها «ضحية للعنف الفلسطينى» فيقول الدكتور «إدوارد سعيد» رحمه الله، عقب انتفاضة الأقصى: «إن الصورة العامة للإعلام الإسرائيلى والغربى والأمريكى تسلط الضوء على أن إسرائيل محاطة بأشخاص عنيفين يهاجمونها بالحجارة، وأن الصواريخ والدبابات الإسرائيلية تستخدم لحماية المواطنين الإسرائيليين من العنف الفلسطينى».

لقد أحرز الإعلامى الصهيونى نجاحا كبيرا فى تصوير «النضال الفلسطينى» لدى الرأى العام الأمريكى، خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ بأنه «أعمال عنف» لا تختلف عن الإرهاب الذى تحاربه الإدارة الأمريكية لتأمين المواطن الأمريكى، محاولا وصف الفلسطينيين الشبان، حاملى البنادق، والأطفال الملفوفين بالأحزمة الناسفة بالعنف والإرهاب وفى تصعيد للحرب الإعلامية والصهيونية ضد كل ما هو عربى وفلسطينى أصدرت إسرائيل «شريطا» يبين كيفية قيام الفلسطينيين بتدريب أبنائهم على ممارسة العنف، فالشريط فى بعض مقاطعه يجسد صورة الأطفال الفلسطينيين وهم يقاتلون بالحجر والمقلاع، بينما يركز فى مقاطع أخرى منه على عرض صورة الأطفال الإسرائيليين المسالمين وهم يلعبون فى براءة، ويصاحب هذا المشهد البرئ، انسياب موسيقى حزينة لإيهام العالم أن هؤلاء الأطفال الإسرائيليين الأبرياء لا يعيشون بسلام بسبب «العنف الفلسطينى» المتمثل فى الحجر والمقلاع، والعمليات الاستشهادية التى يسميها هذا الإعلام المضلل «العمليات الارهابية أو الانتحارية».

وما يجب لفت الأنظار إليه أن الحملة الدعائية الشرسة التى يشنها هذا الإعلام لم ينج منها الرئيس الفلسطينى عرفات، فقد واصلت هذه الأبواق الصهيونية ترديد مقولة: إن «عرفات لم يخلع زيه العسكرى» للإيحاء بأن الرئيس الفلسطينى لايزال القائد الثورى، الذى يستنفر شعبه للاعتداء على الشعب اليهودى المسالم. والهدف من وراء هذه الحملة الدعائية واضح، وهو تشويه صورة القيادة السياسية الفلسطينية، والتشكيك فى صلاحية الرئيس عرفات

كشريك فى عملية صنع السلام، وقد نجح هذا الإعلام إلى حد كبير فى تكرار مقولة: «إن عرفات شريك غير صالح» من خلال وسائله المتعددة حتى بات العالم يصدق هذه المقولة. وامتدادا للحرب الإعلامية الصهيونية فإن إسرائيل استغلت قانون «جيسو» الفرنسى الصادر عام ١٩٩٠، والذى يسمح بمقاضاة المتهمين «بمعاداة اليهود» أو ما يعرف باسم «معاداة السامية» فى كبت حرية التعبير، وخنق حرية الرأى لكل من يتجرأ على انتقاد السلوك الإسرائيلى، فقد مثل أمام القضاء الفرنسى عدد من المفكرين والكتاب والأدباء العرب والغربيين، بتهمة التحريض على «معاداة اليهود»، نذكر منهم نقيب الصحفيين الأسبق «إبراهيم نافع» والمفكر الفرنسى «روجيه جارودى» كما لم تسلم «هيلارى كلينتون» قرينة الرئيس الأمريكى السابق من هذه التهمة، حينما صرحت، فى إحدى المناسبات، بأن الفلسطينيين يستحقون دولة لهم بجوار إسرائيل، وطالت هذه التهمة أيضا الفنان «محمد صبحى» على مسلسله «فارس بلا جواد» عندما ذكر، بطريقة عابرة، «بروتوكولات حكماء صهيون»، وكذلك الفنان «أحمد السقا» عن فيلمه «مافيا» الذى تدور أحداثه حول إحباط محاولة إرهابية صهيونية لاغتيال بابا الفاتيكان خلال زيارته لمصر.



إبراهيم نافع — جارودى

وفى الختام يمكن القول: إن الحرب الإعلامية الإسرائيلية - ضد كل ما هو عربى بصفة عامة، وفلسطينى بصفة خاصة من خلال العديد من المصطلحات والمقولات الزائفة التى يسعى هذا الإعلام إلى ترسيخها فى وجدان العالم، ودسها فى لغتنا العربية ليعتاد الكتاب والسياسيون على استخدامها لخدمة المشروع الصهيونى فى فلسطين - تستهدف بصفة خاصة تشويه الصورة القومية العربية، ومحو الهوية الفلسطينية، وتكريس الاحتلال الإسرائيلى بتصفية القضية الفلسطينية، وتهويد التاريخ والأرض، واغتيال الحاضر الفلسطينى المناضل لذلك فإنه من الضرورى وضع استراتيجية عربية للإعلام قابلة للتطبيق، تملك القدرة على مخاطبة الآخر، بلغته التى يفهمها حتى يمكن مواجهة الدعاوى الصهيونية الكاذبة التى برع الإعلام الإسرائيلى فى ترويجها.

من حديث القرآن الكريم عن اليهود:

عبدة العجل

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

قال تعالى فى سورة الأعراف:

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾

(الآيات من ١٤٨: ١٥٤)

وردت هذه الآيات البينات فى سورة الأعراف، ضمن مرحلة كبيرة من السورة المباركة تتحدث عن نبى الله موسى - عليه السلام - مع قومه، وما عاناه فى هدايتهم: سواء ما لاقاه من فرعون وملئه؟ حتى أهلكهم الله بالغرق.. أو ما لاقاه ممن آمن معه بعد خروجهم من مصر، وعبورهم إلى أرض سيناء، حيث تكررت مرات عصيانهم لموسى، وخروجهم على تعاليمه التى بلّغهم إياها عن رب العزة - سبحانه وتعالى - وقد ذكرت سورة الأعراف جانباً كبيراً من هذه الأحداث الكثيرة المتلاحقة بلغت آياتها فى هذه السورة، تسعاً وستين آية، بدءاً من الآية رقم ١٠٣ وحتى الآية رقم ١٧١، وقد اشتملت هذه الآيات البينات على كثير من أخلاق اليهود، التى حكاها رب العزة - سبحانه وتعالى - وهو أعلم بهم وبطبائعهم - التى لا تزال تلاحقهم فى كل عصر وفى كل مكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..!! وكل يوم يمر فى أيامنا التى نعيشها، تصدق الأحداث ما سبق أن حكاه القرآن عنهم: من الغدر والخيانة، ونقض العهود والمواثيق، وبث روح الفرقة والشقاق بين الأمم، والتنكر لكل معروف قُدِّم إليهم.

وفى هذه الآيات التى ذكرناها فى مفتتح هذا المقال، يذكر الله - سبحانه وتعالى - لنبيه محمد - ﷺ - ولأمته من ورائه إلى يوم القيامة، ما كان من أمر عبادة هؤلاء اليهود للعجل، بعد أن أنجاهم الله من كيد فرعون وقومه، وبعد أن طلبوا من موسى عقب خروجهم من مصر أن يجعل لهم إلها يعبدونه، ويرونه رأى العين.. وكان مبررهم الوحيد فى هذا الطلب العجيب، أنهم رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم، حتى وبخهم موسى - عليه السلام - وعنفهم أشد التعنيف قال - تعالى - فى شأن هذه الحادثة:

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

[الاعراف/ ١٣٨-١٤٠]

نقدم هذه القصة العجيبة لما هو موضوع هذا المقال، وهو عبادتهم العجل.. لنُذكّر القارئ أن هؤلاء القوم، قد فسدت طباعهم، وتحجرت قلوبهم، وتلاشت من عقولهم معايير العقيدة الصحيحة، التى تقوم على عبادة الله الواحد الأحد، والتى من المفترض فيهم أن يكونوا قد تعلموها، وأن تكون هى قد تغلغلت فى نفوسهم، عقب أن أنجاهم الله بهذه المعجزة الباهرة، وأغرق آل فرعون حين عملت المياه عملها العجيب على الجانبين: جانب المؤمنين لتنجيهم من فرعون وقومه، وجانب الكافرين لتغرقهم وتجعلهم عبرة لمن يعتبر على مر التاريخ، ولذا كان هذا التعقيب البليغ، الذى جاء فى معرض التوبيخ لهم:

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾

[الأعراف / ١٤١]

إن قصة عبادتهم العجل وغيرها لهى أدلة واضحة تؤكد على أن هذه الطبيعة الإسرائيلية، لاتزال وسوف تظل هكذا مرتكسة منتكسة، لم تنس عصور الذل، ولم تتجاوز مشاعر الهوان الذى لاقته على يد فرعون وقومه.. «إنها العدوى، تصيب الأرواح كما تصيب الأبدان؛ ولكنها لا تصيبها حتى يكون لديها الاستعداد والتهيؤ والقابلية. وطبيعة بنى إسرائيل - كما عرضها القرآن الكريم عرضاً صادقاً دقيقاً أميناً فى شتى المناسبات - طبيعة مخلخلة العزيمة، ضعيفة الروح، ما تكاد تهتدى حتى تضل، وما تكاد ترتفع حتى تنحط، وماتكاد تمضى فى الطريق المستقيم حتى ترتكس وتنتكس.. ذلك إلى غلظ فى الكبد، وتصلب عن الحق، وقساوة فى الحس والشعور»[1].

فما أن ردهم موسى عن طلب الإله الوثن؛ حتى عادوا فى أقرب فرصة لعبادة العجل، الذى صنعه لهم «السامرىّ» منتهزاً غياب موسى - كليم الله - فى ميقات ربه الذى واعده إياه، وذلك بالرغم من وجود هارون أخيه على رأسهم باعتباره قيماً عليهم، حارساً لعقيدتهم من أن تزيغ أو تضل..!!

فما قصة هذا العجل؟. وماذا وراء هذه الردة الغريبة التى ارتدوها عن دينهم من أسباب؟. ومن الذى أضلهم هذه الإضلالة البعيدة، وخرج بهم عما أدبهم به موسى وهارون - عليهما السلام -؟. وكيف انتهت هذه الحلقة من حياة اليهود؟. وما دلالتها؟!.. هذا وغيره هو ما سنحاول الإجابة عنه من خلال هذه الآيات، مستعينين ببعض الآيات الأخرى التى وردت فى شأن هذه القصة ذاتها فى بعض السور الأخرى، مُفصِّلة بعض ما أُجمل فى الآيات التى معنا هنا..

ذكر الله - عز وجل - قبل هذه الآيات، قصة المواعدة التى واعدها موسى؛ ليخرج إلى طور سيناء ويناجى ربه؛ حتى يعطيه الألواح وفيها الهدى والنور لبنى إسرائيل. وخرج موسى من بين قومه متعجلاً لقاء ربه ابتغاء رضوانه وهدايته، تاركاً أخاه هارون على رأسهم، وكان الميقات لمدة ثلاثين ليلة، إلا أن الله - عزت حكمته - وتعالت إرادته زاد هذه المدة عشر ليالٍ أخر، ليصير الميقات أربعين ليلة. قال - تعالى -:

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

[الأعراف / ١٤٢]

ومضى لميقات ربه.. وتلقى منه الوحى،

(١) سيد قطب «فى ظلال القرآن ص١٣٦٦».

وكان مما أخبره به ربه - تعالى - العليم بخلقه، أن قومه قد شقوا من بعده عصا الطاعة، وضلوا السبيل بعد أن أغراهم «السامرىّ» وصنع لهم من الذهب عجلاً جسداً له خوار. قال - عز - من قائل:

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾

[طه / ٨٣ - ٨٥]

فمن هو السامرى؟. وما حقيقة العجل الذى صنعه للإسرائيليين؟.

لم يحدد لنا القرآن الكريم اسمه ولكنه اكتفى بنسبته إلى البلد التى خرج منها، أما اسمه الحقيقى فقد اختلفوا فى تحديده، ولذا لن نخوض فى هذا الأمر، حيث إنه لا يفيد القضية التى نحن بصددها. ويكفى أن تعرف أن السامرى هذا كان رجلاً ماهراً فى صناعة التماثيل، عليماً باتجاهات الريح، وكان يتميز بالذكاء والمخادعة، وسعة الحيلة، وانتهاز الفرص.

أما البلد التى نسب إليها فهى ليست «سامرة»، حيث إن هذه المدينة لم يتم بناؤها إلا بعد موسى بنحو ثلاث وعشرين وخمسمائة سنة، ولكنه منسوب إلى «شامر» بالشين.. ويغلب أن تكون الشين التى فى العبرية يقابلها السين فى العربية؛ ولذا ذكرت هذه النسبة فى القرآن بالسين «السامرىّ»[2] والله أعلم.

صنع السامرىّ عجلاً من مجموع الذهب، الذى أخذته نساء بنى إسرائيل من النساء المصريات على سبيل العارية، التى سيرددنها بعد أن يتزيّنّ بها فى عيدهن.. غير أنهن أخذنها وخرجن من مصر، مع بقية من آمن بموسى مطاردين من فرعون وقومه.. جمع السامرى منهن هذا الذهب الكثير بحجة أنه يعد أوزاراً من زينة القوم، وليس لنساء بنى إسرائيل الحق فى امتلاكها، وقذفوها فى حفرة مملؤة بالنار، وتم صهرها، وصنع منها السامرى هذا العجل، وجعله مجوف البطن.. ووضعه بحيث يدخل الريح من دبره ويخرج من فيه، فيحدث صوتا يشبه صوت العجل..!! وقال لهم: هذا إلهكم وإله موسى، غير أن موسى نسيه هنا. وساعده فى إتمام هذه الفرية، أن موسى غاب فى ميقات ربه أكثر من المدة التى كانت مقررة من قبل وهى الثلاثون يوماً: حيث زعم السامرى أن هذا النسيان كان سبباً فى أن غاب موسى عن الموعد المضروب، الذى هو مدة الثلاثين يوما[2] سقط اليهود فى هذه الهوة العميقة من الضلال المبين،، فكانوا كلما مرت الريح من جوف العجل، وأحدثت هذا الخوار، فرحوا به فرحاً شديداً، حتى خالطت محبته بشاشة قلوبهم، وكأنهم شربوه شرباً..!! وهو

(٢) اقرأ هذا التحقيق مفصلا فى كتاب «قصص الأنبياء» للمرحوم الشيخ: عبدالوهاب النجار ص٢٢٣، ٢٢٤ ط. البابى الحلبى.

(٢) هذا هو ما نطمئن إليه من الروايات فى شأن حقيقة العجل، وهو مايتفق وأخلاق اليهود، الذين يحرصون دائماً وفى كل عصر ومصر على امتلاك المال، والذهب هو أنفس أنواع المال.

ما يفهم من قوله تعالى:

﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾

[البقرة / ٩٣]

نصحهم هارون كثيراً وحاول أن يردهم إلى جادة الطريق، وعبادة الله الواحد الأحد، ولكنهم أبوا وأغلظوا له القول، وسدروا في غيهم. قال الله - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ۝ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾

[طه / ٩٠ / ٩١]

عاد موسى - عليه السلام - من ميقات ربه، والغيظ يتفجر منه، والحزن يملأه بسبب ردة قومه وعبادتهم العجل، وأخذ يعنفهم تعنيفاً شديداً ويبين لهم ما ينتظرهم من سوء العاقبة، فندموا، وبدا الندم في أقوالهم وأفعالهم.. ثم تابوا وأنابوا إلى الله - عز وجل - قال - تعالى -:

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[الأعراف / ١٤٩]

وظن موسى - عليه السلام - أن أخاه هارون، قد قصر في نصحهم، ولم يقم بواجبه نحو هؤلاء القوم، ليردهم عن هذا الضلال، ونتيجة لهذه الأحداث التي لم يكن يتوقعها من قومه، وما ظنه في أخيه هارون اشتد به الغضب وطارت بلبه الثورة - وكان شديد الشكيمة قوي البنية، إذا غضب لا يقوم لغضبه شيء - فألقى بالألواح من يده، حتى قال بعض المفسرين إنها تكسرت من شدة ما دفعها موسى إلى الأرض. وأخذ برأس أخيه هارون ولحيته يجره إليه حتى كاد يهلكه، ومن هنا اضطر هارون إلى أن يثير في أخيه ما استتر من الرحمة والعطف، فذكره بالرحم التي تجمعهما، والأخوة الصادقة التي لابد من أن تدفع بموسى بعيداً عن إيذاء أخيه، وذكر له هارون أنه قام بواجب الدعوة إلى الله، ولم يتوان في نصح قومه، غير أنهم أصروا على البقاء في الضلال والاستمرار في عبادة العجل، حتى كادوا يقتلونه:

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

[الأعراف / ١٥٠]

وهنا رق قلب موسى لأخيه وهدأت ثائرته، وتوجه إلى - الله تعالى - أن يرحمه وأخاه هارون، وألا يؤاخذهما بما فعله السفهاء من قومه:

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

[الأعراف / ١٥١]

وهدأت نفسه، وانتقل إلى ما يسمى في عصرنا «بالتصرف الإيجابي» حيال هذا الموقف الغريب، ليضع الأمور في نصابها الصحيح ويعاقب كل فريق بما كسبت يداه. فبم عاقب السامري على إضلاله قومه؟. وماذا فعل بالعجل المصنوع من الذهب.؟ وبم جازى بني إسرائيل على انسياقهم وراء السامري؟..

أولاً: حينما سأل السامريَّ عن فعلته هذه، زعم في تبجح وغرور: أنه يعرف مالا يعرفه غيره من قوم موسى وأن نفسه الأمارة بالسوء هي التي ساقته إلى ذلك، ولم يكن منه إلا أن استجاب لها:

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾

[طه / ٩٦]

إذ هو يطلب الزعامة والرياسة، التي تجمع الناس من حوله، فكان عاقبته في الدنيا أن دعا عليه موسى بألا يطيق جلده مسَّ أحد من الناس، ماساً كان هو أو ممسوساً؛ مما يدفع به إلى أن يعتزل الحياة والناس ويعيش بعيداً في الخلاء. هذا في الدنيا أما في الآخرة، فأمره متروك لما سيلقاه أمام الله مما لا يعلمه إلا مالك هذا اليوم ولن يخلف الله وعده:

﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ﴾

[طه / ٩٧]

ثانياً: أما نهاية العجل، فقد حكاها الحق - تبارك وتعالى - في بقية الآية تنكيلاً بالسامري وعابديه معاً. حيث أحرقه وذراه في البحر، حيث لا يتبقى له من أثر:

﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾

[طه ٩٧]

ثالثاً: أما عبدة العجل، الذين انحرفوا عن جادة الصواب. عند غياب نبي الله موسى - عليه السلام - عنهم، واستجابوا لهذا السامريّ اللعين، فقد دمغهم الله بغضبه الشديد في الدنيا وتلك سُنة الله التي يجريها على كل من يفتري عليه - سبحانه - الكذب، وينسب لغيره ما هو خاص به تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾

[الأعراف / ١٥٢]

وهذا وعد مؤكد لامحيد عنه، ولامفر من وقوعه كما أخبر الله. يقول صاحب الظلال في معرض تعليقه على هذه الآية الكريمة..

«هو جزاء متكرر، كلما تكررت جريمة الافتراء على الله من بني إسرائيل، ومن غير بني إسرائيل».

«وعد الله صادق لا محالة وقد كتب على الذين اتخذوا العجل الغضب والذلة وكان آخر ماكتب الله عليهم أن يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب. فإذا بدا في فترة من فترات

التاريخ[٤] أنهم يطغون في الأرض ويستعلون بنفوذهم.. وأنهم يملكون سلطان المال، وسلطان أجهزة الإعلام، وأنهم يقيمون الأوضاع الحاكمة التي تنفذ لهم ما يريدون[٥] وأنهم يستذلون بعض عباد الله ويطردونهم من أرضهم في وحشية، والدول الضالة تساندهم وتؤيدهم.. فليس هذا بناقض لوعيد الله لهم، ولا لما كتبه عليهم.. فهم بصفاتهم هذه وأفعالهم يختزنون النقمة في قلوب البشر ويهيئون الرصيد الذي يدمرهم من السخط والغضب.. إنما هم يستطيلون على الناس في فلسطين.. لأن الناس لم يعد لهم دين! ولم يعودوا مسلمين!.. إنهم يتفرقون ويتجمعون تحت رايات قومية أو جنسية، و لا يتجمعون تحت راية العقيدة الإسلامية! .. وهم من ثم يخيبون ويفشلون وتأكلهم إسرائيل.

غير أن هذه الحال لن تدوم! إنها فترة الغيبوبة عن السلاح الوحيد، والمنهج الوحيد والراية الوحيدة، التي غلبوا بها ألف عام، والتي بها يغلبون، وبغيرها يُغلبون! إنها فترة الغيبوبة بحكم السموم التي بثتها اليهودية والصليبية في كيان الأمة «الإسلامية ولكن هذا كله لن يدوم.. ستجيء الصحوة من هذه الغيبوبة.. وسيفيء أخلاف المسلمين إلى سلاح أسلافهم المسلمين.. ومن يدري، فقد تصحو البشرية كلها يوماً على طغيان اليهود، لتحقق وعيد الله لهم، وتردهم إلى الذلة التي كتبها الله عليهم.. فإن لم تصح البشرية فسيصحو أخلاف المسلمين.. هذا عندنا يقين..»[٦] ونحن مع الشهيد على يقين من تحقق وعد الله -عز وجل-:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الأعراف/١٦٧]

وبعد هذه الوقفة القصيرة، نعود إلى قصة عبادتهم العجل.. وما عاقبهم به الله سبحانه وتعالى.. فقد استمرت اللعنة تلاحقهم في كل مكان إلى أن شاء الله أن يتوب على من يشاء منهم فأخبرهم على لسان موسى -عليه السلام- أن من شروط التوبة التي يقبلها الله منهم أن يقتل من لم يعبد العجل هؤلاء الذين عبدوه:

(٤) أقول: كتلك التي تعيشها منطقتنا العربية الآن.

(٥) رحم الله صاحب الظلال والله لكأنه كان ينظر من خلال الغيب، ومن وراء هذه العقود التي تفصلنا عنه إلى مايحدث الآن، ولو كان حيا في زماننا هذا ورأى أن يكتب في هذه القضية، ماكتب حرفاً واحداً أكثر مما كتب في هذه السطور.. لكن ماذا نقول؟ إنه الإيمان بالله تعالى، الذي يعمر القلوب، وإنها للمعايشة التامة لكتاب الله عز وجل، تلك المعايشة التي تتفتح أمامها أستار الغيب وتتكشف أمامها أسرار المستقبل وكأنها أحداث تجري أمام الأعين، وليس للمرء في الحديث عنها إلا أنه يصفها!!

(٦) سيد قطب «في ظلال القرآن».

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

[البقرة/ ٥٤]

جاء في كتاب (قصص الأنبياء) لابن كثير: «يقال إنهم أصبحوا يوماً وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف، وألقى الله عليهم ضبابا حتى لا يعرف القريب قريبه ولا النسيب نسيبه، ثم مالوا على عابديه فقتلوهم وحصدوهم فيقال إنهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين ألفا»[٧].

وتستمر القاعدة الإلهية الرحيمة في طريقها حتى تبلغ أقصاها، حيث قال بعد ذلك:

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الأعراف/ ١٥٣]

وهنا آن لموسى -عليه السلام- أن تهدأ ثائرته، ويسكت عنه الغضب الذي أخذ منه كل مأخذ، فأخذ الألواح التي كان قد ألقاها إبان ثورته فإذا فيها الهداية والرحمة للذين هم لربهم يرهبون وفي عبادته يخلصون..!!

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾

[الأعراف/ ١٥٤]

ولم يبق إلا أن يختار موسى من بين هؤلاء المهتدين الذين هم لربهم يرهبون سبعين رجلا، وهم صفوة بني إسرائيل ليخرج بهم مرة أخرى لميقات ربه، قال الله -تعالى-:

﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ﴾

[الأعراف/ ١٥٥]

وكان هذا الاختيار عقب قبول الله توبة التائبين ليذهب بهم موسى لميقات ربه، وهو غير الميقات الذي طلب فيه موسى أن يرى ربه على الأصح من أقوال المفسرين، وهو ما رجحه الأستاذ الدكتور محمد بكر إسماعيل.. ولذلك موضوع آخر نرجئ الحديث فيه إلى مقال آخر إن شاء الله تعالى.

***

(٧) ص ٢٨٤.

قصة العدد

مَعبَدُ الشَّمسِ

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحديدي

- ١ -

كان السيرح بن ذى جدن ملك اليمن يفضل أن يتنزه ليلاً فى بعض حدائق صنعاء ذات الروض الناضر والدوح الباسق وله بالحديقة مجلس خاص ينفرد فيه بنفسه مفكراً فى شئون المملكة ومتطلبات الجمهور ثم يرجع قبيل الفجر إلى قصره لينام سويعات قليلة حتى يشرق الصباح فيبرح مضجعه إلى قصر الحكم كما اعتاد.

وفى إحدى الليالى كان يهم بالرجوع إلى القصر بعد مجلسه فى الحديقة الزاهرة ففوجىء برئيس حرسه الغادر يقود كوكبة من الأشرار وينقضون عليه بالخناجر تمزيقا ثم يذهبون إلى قصر الحكم عند طلوع الفجر فيعلنون مصرع الملك ويجاهرون بأن رئيس الحرس قد أصبح ملك البلاد وارتاعت صنعاء لما سمعت ولكن الملك الجديد قد جمع أعوانه وجعلهم جواسيس له وأباح لهم أن يقطعوا رقاب من يهم بالاعتراض، فكمم الأفواه، ومن سوء خلقه أنه سار فى الناس سيرة ظالمة فكان يقتل البرىء لأسباب ملفقة حتى أصبحت صنعاء تغلى كالقدر وتتوق للخلاص فى أقرب وقت، أما زوج الملك السيرح وابنتها بلقيس فقد تركتا قصر الحكم واعتزلتا فى بيت متواضع وهما يتوقعان الشر فى كل آن ويبحثان عن الخلاص بمعجزة تأتى من السماء وكان الأيام كانت تسير فى تحقيق رغبتهما فقد جلس الملك الغادر مع صحبه وحاشيته ذات مساء فتحدث أحدهم بأن ابنة الملك السيرح فتاة رائعة الجمال ولا يوجد مثيل لها فى حسناوات صنعاء وأن الملك جدير بها ولا تستطيع أن ترفض مثله زوجاً وإلا فالعاقبة وخيمة بالنسبة لها ولأمها دون جدال.

وقد تعجل الملك فبعث إلى بلقيس من يعلن رغبة الملك فى الاقتران بها وفوجئت بأن قاتل أبيها يريدها زوجة له فغضبت غضبا شديدا وجلست مع أمها يتبادلان الرأى وكانت الأم ذات حنكة ومهارة فقالت لبلقيس: لقد سهل الله لنا سبيل الانتقام يا بنيتى وحانت الفرصة التى كنا ننشدها منذ مصرع أبيك!

فتطلعت بلقيس متسائلة وكيف يكون ذلك؟

فقالت الأم: إن صنعاء تغلى غضباً على هذا الفاجر ولأبيك أنصار مستعدون للوقوف معك حتى يتأكدوا من مصرع هذا الفاجر وسأتصل بهم لأدبر الأمر بإحكام، فوافقى على الاقتران بهذا الوغد وسيلقى مصرعه بيديك ليلة الزفاف.

وبعد أيام كان القصر الملكى يتأهب لاستقبال بنت السيرح ملكة للبلاد بعد أن تصبح زوجة الحاكم وقد كانت مظاهر الاحتفال على أبدع ما يتصور بينما والدة بلقيس قد أكملت الخطة وواعدت أنصار زوجها القتيل أن يكونوا متأهبين لسماع خبر جليل ليلة الزفاف وعليهم أن يحتشدوا قبيل الفجر حول القصر ارتقابا للساعة الموعودة. ساعة الخلاص.

ثم حان موعد اللقاء، وجلس الملك مع عروسه فى قاعة العرس يحتفلان بالمناسبة السعيدة وبلقيس تبدى له من علامات الحب والإخلاص ما خدعه وجعله يعتقد أنها تحت قبضة يده وأن هواه قد ملك عليها أمرها فلم تعد تفكر إلا فى حبه ثم انتهى الحفل وخرجت معه حتى إذا اختليا معاً طلبا أطايب الطعام فأكلا ثم جعلت تقدم له الخمر وتوهمه أنها تشرب معه كأسا بعد كأس حتى خارت قواه ولم يعد يفيق أو يدرك ما حوله وهنا أخرجت من صدرها خنجرا مسموما وأخذت تطعنه عدة طعنات وهو فى سكره لا يقدر على الصراخ وقد نزف الدم منه فملأ المكان وصاح صيحة مرعبة كانت آخر ما نطق وهنا عجلت بلقيس فاجتثت رأسه وكان الفجر قد قرب فتقدمت إلى الشرفة ورمت بالرأس حيث احتشدت الجموع بتدبير محكم! واحتفل أعوان بلقيس وأصدقاء والدها الفقيد ردهات القصر وأعلنوا عودة الحكم إلى بيت «ذى جدن» وأن الملكة قد أصبحت بلقيس وفى اليوم التالى ذهبت بلقيس فى حرسها الملكى إلى معبد الشمس بصنعاء وسجدت للشمس شاكرة نجاحها فى ارتداد العرش إليها واندحار القاتل الظالم ومر على رأسها هدهد غريب وشاهدها مع قومها يسجدون للشمس من دون الله فرجع مسرعاً إلى سليمان ليعلمه بما كان.

-٢-

كان الهدهد يطير فى جو السماء متجها إلى بيت المقدس فرآه العقاب فلحق به وصاح منذرا: أيها الهدهد لقد سأل عنك نبى الله سليمان وقال: مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذاباً شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين، إن نبى الله كان فى مقدمة جيشه بالصحراء وقد عطش عطشاً شديدا فاستدعاك لتنقر الأرض وتعلم المكان الذى يتدفق فيه الماء فلما لم يجدك هددك بالوعيد فانظر ماذا ترى!

ولم تمض لحظات حتى كان الهدهد بين يدى سليمان وقد سجد خاشعا ثم قال فى أدب: يا نبى الله لم أتأخر عنك لاعبا ولكني كنت أطير فى مملكة سبأ فوجدت حشدا من الناس فى معبد صنعاء وعلمت أن امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ولكن جميع هؤلاء يعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله الذى يخرج الخبأ من السماء والأرض فحزنت حزنا شديدا لمن يشركون بفاطر السماوات ومكثت أتحرى أمورهم حتى علمت جيدا أنهم فى حاجة إلى هداية من السماء وأن نبى الله هو الذى سيهديهم إلى الصراط المستقيم فأحطت بكل دقيقة من أمورهم وجئت لأخبرك بما كان.

نظر سليمان متعجبا وقال فى هدوء: سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين، اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون!

كانت بلقيس فى مخدعها بين النوم واليقظة فوجدت جدار الحجرة ينشق فجاة ويفد منه طائر يحمل رسالة يضعها بين يديها ثم يخرج سريعا فينطبق الجدار ويتوارى الشق ويرجع كما كان فتقرأ الرسالة فإذا بها: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وائتونى مسلمين).

فحارت بلقيس ماذا تصنع إن من أرسل الرسالة لابد أن يكون ملكا كبيرا تطيعه الطير وتأتمر بأمره ثم تطيعه الجدران فتنشق وتلتئم كما أراد، مثل هذا لن يعجزه جند من البشر.

وما طلع الصباح حتى جمعت مستشاريها وأظهرت من الاهتمام ما يجدر بهذا الموقف ثم قالت: يا أيها الملا أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون،

فصاح الملأ: نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك، فانظرى ماذا تأمرين،

فهزت بلقيس رأسها متحيرة وقالت: مهما كنا أهل قوة فلن نقدر على منازلة جبار يتحكم فى الطير والكون ويأمر الجدار أن ينشق فيطيع ثم إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها

أذلة وكذلك يفعلون.

نظر القوم دهشين وتساءلوا: وماذا يكون الحل أيتها الملكة الحكيمة؟،

فأطرقت هنيهة ثم قالت: إني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون، قالت ذلك وهى تشك فى جدوى هذه الهدية لأن الذى يسيطر على الريح والطير والجماد لا ترضيه هدية من ذهب أو فضة لأن عنده من المال ما تتضاءل دونه الهدايا مهما جلت وعظمت فى المقدار ولكنها أرادت أن تجرب فحسب فقد ينتهى الأمر دون صدام،

ووقع ما توقعته بلقيس، فقد فوجئت بالهدهد يشق الجدار ومعه رسالة سليمان الحكيم يقول فيها: أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون،

ثم استدعت رئيس السفراء ممن قابلوا سليمان فسألتهم عم شاهدوه فى أرض بيت المقدس من ملك سليمان فقالوا لها: ما ظنك بمن يحكم الجن والإنس والحيوان والجماد ومن لديه بساط الريح يحمله إلى أى مكان فى العالم؟! وقد سخرت له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، ولقد قال سليمان فى قوة: ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها هنا اجتمع مجلس الشورى مرة ثانية ليتدبر الأمر على ضوء ما جد من رد سليمان وانتهى الرأى إلى أن تذهب بلقيس إلى هذا الحاكم راغبة في معاهدة للصلح ولن يخذلها وقد جاءت مع رؤساء دولتها طائعة مسلمة وهكذا تقرر السفر دون تأخير.

-٣-

علم سليمان بما كان إذ كانت له رسل من الجن تسمع ما دار من نقاش وما انتهى القوم إليه من رأى وكان مما بلغه من أنباء بلقيس أنها كانت خائفة على عرشها الفخم المتوج بالذهب وسلاسل الفضة والذى يرسل أشعة من لآلئه تغنى عن ضياء الشمس فأمرت أن توضع الأقفال الحديدية المتينة على الحجرة وأن يقف عشرات الحراس على الباب كى لا يقتحم الحجرة مقتحم وهى فى رحلتها إلى سليمان ثم احتطات فأبلغت رئيس الحراس أن يغير الحراس كل ليلة وأن يكون الحرس ممن لا يتعارفون قبل أن يلزموا الحراسة ليكون جهلهم بحقائق أنفسهم مانعا من التفكير فى رأى جماعى قد يؤدى إلى سرقة بعض ما يحتويه العرش من زمرد وزبرجد وياقوت.

علم سليمان بذلك فأراد أن يدهش بلقيس بما لم تكن تتوقع فقال لقومه: أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين؟

فقال عفريت من الجن: أنا آتيك به

قبل أن تقوم من مقامك؟

فقال سليمان: هذا شئ بطيء، فقال وزيره آصف: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك.

ونظر سليمان إلى العرش أمامه قبل أن يقلب جفنه، فقال في ضراعة وابتهال: هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم.

وجاءت بلقيس فوجدت العرش أمامها فلم تصدق أنه نقل إلى بيت المقدس وقد وقف الحراس أمام الحجرة يمنعون كل طارق.

وابتسم سليمان وسألها: أهكذا عرشك؟

فترددت ثم قالت: كأنه هو.

بعد هذه المعجزة الخارقة التى لمستها بلقيس لمسا لا تكذيب بعده دخلت مع سليمان إلى قاعة الحكم فوجدت صرحا متماوجا يتألق بالنور وكان الماء يتدفق لشدة ائتلاق الضوء وانتشاره في مرأى العين رائحا غاديا فحسبته لجة ماء، لا نور ضياء وكشفت عن ساقها مخافة أن يبتل ثوبها الملكى بالماء فضحك سليمان وقال: لا ماء هنا، إنه صرح ممرد من قوارير.

فأغمضت عينيها في حيرة وقالت في دهشة: لا أدرى بماذا أجيب.

وبعد أن انتهت المقابلة الأولى وذهبت إلى حجرتها المعدة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت استراحت إلى اليوم التالى، وعرض عليها سليمان أن تصحبه في رحلة جوية على بساط الريح فسألت حائرة: ما بساط الريح هذا؟

فقال: ستركبين وتعلمين. واعتلت الضيفة البساط مع المضيف الكريم فجعل يقطع الكون في سرعة الريح التى غدوها في اليوم الواحد شهر ورواحها شهر، وقد مر بها على الجن وهم يصنعون لسليمان ما شاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات كما مر على المقرنين في الأصفاد من مردة الشياطين وعلى المدن العامرة بالآثار الخالبة المبهرة وكلها من صناعات المردة والعماليق حتى إذا امتلأت من هذه المشاهد أراد سليمان أن يهديها إلى عبادة الله وحده.

فسألها: لماذا تعبدون الشمس؟

قالت: لأنها مصدر النور ومبعث الحياة.

فقال سليمان: لماذا لا تعبدون القمر وهو مثل الشمس مصدر النور والحياة؟

فسكتت ولم ترد.

فقال سليمان: لماذا لا تعبدون المطر وهو الذى ينبت الزرع ويحيى الضرع؟

فسكتت ولم ترد.

فقال سليمان: لماذا لا تعبدون الأرض وهى التى تخرج كل شيء من الثمرات؟

فسكتت ولم ترد.

فقال سليمان: لماذا لا تعبدون الهواء وبدونه يختنق الانسان؟

فسكتت ولم ترد.

فقال سليمان: ألا ترين أن الأجدر بالعبادة خالق الشمس والقمر والأرض والهواء فهو رب العالمين،

فنظرت بلقيس كالمأخوذة ثم قالت: رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

-٤-

رجع الموكب مودعا من سليمان بأسمى مظاهر الود والتقدير وأخذت بلقيس تفكر فيما رأت وما سمعت في هذه الرحلة وقد اعتزمت أمرا لا محيد عنه حين تلتقى بحاشيتها ورجالها في صنعاء!

ولم تكد تصل إلى مقر العرش حتى جمعت القوم وأخذت تردد أسئلة سليمان وكأنها حفظتها حفظا دون أن تنسى حرفا واحدا، وتطلعت إلى وجوه القوم وأخذت تسأل: لماذا نعبد الشمس وحدها؟ لماذا لا نعبد القمر؟ لماذا لا نعبد المطر لماذا لا نعبد الهواء؟ لماذا لا نعبد الأرض؟ حتى إذا صمت القوم قالت: لماذا لا نعبد خالق الشمس والقمر والمطر والهواء والأرض؟ أليس هو الأجدر بالعبادة؟ فتفكر القوم وقال أعظمهم مكانة: نعم خالق الكون أجدر بالعبادة،

فابتسمت وقالت فرحة: من اليوم ليس لدينا معبد للشمس ولكن لدينا معبد للرحمن الرحيم.

***

معالجة قضايا البيئة في الإسلام

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

لقد حث الإسلام على المحافظة على البيئة، فنهى عن كل مافيه ضرر، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «لا ضرر ولا ضرار»[1] وجعل من شعب الإيمان إماطة الأذى عن الطريق حيث قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة» وفي رواية أخرى: «بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».[2]

ويحافظ الإسلام على الطرقات كجزء هام من البيئة، فينهى عن تكلف الجلوس فيها، لما يترتب على ذلك من تضييق الطرق، وبعض الأذى، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: «إياكم والجلوس في الطرقات» فقالوا يارسول الله مالنا بد منها إنها مجالسنا نتحدث فيها، فقال عليه الصلاة والسلام: «فإذا أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وماحق الطريق يارسول الله؟ قال: «غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».[3]

فنرى أن الرسول ﷺ جعل كف الأذى من حقوق الطريق التي يجب أن تصان وأن يلتزم بها الناس.

وحذر الإسلام من إهلاك الحرث والنسل ونهى على من يفعل ذلك حيث قال الله تعالى:

﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴾

سورة البقرة (٢٠٥)

وقال تعالى:

﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾

سورة الأعراف (٨٥)

ووضح القرآن الكريم أن الله تعالى سخر لنا مافي السموات ومافي الأرض وأسبغ علينا نعمه التي يجب علينا أن نحافظ عليها فقال سبحانه:

(١) مسند الإمام أحمد ٣١٣/١ (٢) البخاري ٩/١

(٣) صحيح الإمام مسلم باب اللباس ١١٤ - مسلم كتاب الإيمان ٥٧، ٥٨

﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾

سورة لقمان (٢٠)

ووضح سبحانه أن من نعمه علينا في بيئتنا أن سخر البحر ومافيه لنا حيث قال سبحانه وتعالى:

﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾

سورة النحل (١٤)

ومن دعوة الإسلام للحفاظ على البيئة:

● دعوته للنظافة، وتنظيف الطرقات والأفنية والدور فقال صلوات الله وسلامه عليه:

«إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود» رواه الترمذي.

● ويوضح عليه الصلاة والسلام ثواب الحفاظ على نظافة البيئة، وإبعاد الأذى عنها، فيكافئ الله من أدى عملا في هذا المجال ولو كان يسيرا مثل تنحية غصن الشوك عن الطريق فيكون ذلك سببا لجزاء الله لصاحبه وغفران الله له، حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له» رواه البخاري ومسلم: بل إن الله تعالى يكافئ من رفع الأذى من طريق الناس بالجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين» رواه مسلم.

● ومن دعوة الإسلام للحفاظ على البيئة من أي تلوث نهي رسول الله ﷺ عن الملاعن كما سماها في الحديث: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل» رواه أبو داود وابن ماجه.

● وكما حذر الإسلام من الإيذاء المادي حذر من الإيذاء السمعي والتلوث السمعي قال الله تعالى:

﴿ واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾

سورة لقمان (١٩)

● كما نهى رسول الله ﷺ عن البول في الماء الراكد، حفاظا على نقاء الماء ونظافته، وعدم تلوثه فقال صلوات الله وسلامه عليه: «لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل فيه» رواه البخاري.

● وهكذا نرى أن الإسلام دعا إلى مافيه الحفاظ على صحة الإنسان وحياته وسخر له مافي الحياة وكرمه قال الله تعالى:

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾

سورة الأسراء (٧٠)

وسخر للإنسان مافي السموات ومافي الأرض، وهي نعم لا تعد ولا تحصى:

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض﴾

سورة لقمان (٢٠)

● وتتضح أسباب تلوث البيئة فى عديد من الظواهر منها

ـ قيام المصانع وماتفرزه من مخلفات وعوادم

ـ وسوء استخدام بعض المواد من المخصبات والمبيدات كاستخدامها بكثرة والأفراط فيها

ـ واستخدام الطاقة النووية فى كثير من المواقع والمصانع وعوادم السيارات وما أكثرها وماأكثر ماتفرز من وسائل النقل منها.

● وتظهر أشكال التلوث فيما يأتى:

١ ـ التلوث الهوائى وهذا له أثره على الإنسان والحيوان والنبات والمناخ.

٢ ـ التلوث المائى بما يختلط به من نفط أو مخلفات المصانع أو نفايات المدن.

٣ ـ التلوث الأرضى بما يضاف إليها من مخصبات ومبيدات حشرية.

٤ ـ التلوث السمعى بالضوضاء وله مخاطره على الإنسان فى ضعف السمع ويؤثر على الأعصاب.

٥ ـ التفجير النووى، وهو أخطر مايصيب البيئة العالمية لأنه يؤثر فى الجو والبحر والبر وينقل الهواء والماء التلوث من بلد إلى آخر ومن دولة إلى أخرى.

وواضح أن التلوث مشكلة محلية وعالمية، وأنه ينتقل بالهواء وبالماء عن طريق التيارات المائية أى أن أسباب التلوث العالمى تظهر من خلال مايأتى:

١ ـ نقل التلوث عن طريق الرياح من بلد إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى.

٢ ـ نقل التلوث عن طريق التيارات المائية من موقع إلى آخر.

٣ ـ نقل التلوث عن طريق التجارة العالمية والدولية كما يحدث فى نقل بعض المواد الغذائية الملوثة من مناطق منتجة إلى أخرى مستهلكة والطريق إلى علاج التلوث تتلخص فيما يأتى:

١ ـ ألا تنشأ المصانع داخل المناطق السكنية

٢ ـ الاستكثار من زراعة الأنواع المقاومة لأضرار بعض الغازات

٣ ـ تعديل تصميم بعض وسائل النقل

٤ ـ الاستكثار من مساحة الأراضى الزراعية والخضراء

٥ ـ التشريعات القانونية التى تلزم الناس وأصحاب المصانع والمؤسسات بمكافحة التلوث

٦ ـ وأهم طريق العلاج هو غرس الضمير الدينى الذى يجعل من الإنسان رقيباً على نفسه وعلى عمله وذلك بتوضيح جرائم التلوث ومايترتب عليه من أضرار، وماعلى من يحدثه من أوزار فإن مراعاة الإنسان لمثل ذلك دينياً له أكبر الأثر وأهم كثيراً من القوانين التى يتحايل عليها ويمكنه الإفلات منها أما الوازع الدينى النابع من قلبه الخائف من ربه فسيكون له أكبر الأثر.

سيّدى الشيخ !

للأستاذ / السيد الصديق حافظ

شيخى تغالب من يرثيك أدمعه ! ... هل صرت يا شيخ جثماناً نشيعه ؟!
للقبر تحمله الأعناق خاشعة ... وفى التراب نواريه ونودعه ؟!
قد ضم صدرك آى الذكر واحتضنت ... حروفه الطاهرات البيض أضلعه !
لما رفاتك إلا الطهر نحمله ... والذكر يعليه والآيات ترفعه !
محفظى سور القرآن فى صغرى ... نبراس علمك يهدينى فأتبعه !
تلك العصا حية كانت تساورنى ... فتطرد النوم عن ليلى وتمنعه !
حتى أعود إلى «الماضى» فأحفظه ... واللوح حفظاً وفى حلمى أسمعه !
كالماء يجرى فلا النسيان يحبسه ... ولا الشرود عن المجرى يفزعه !
من يطلب العلم يصبر نفسه أبداً ... على تكاليفه صبراً يشجعه !
الشر بالجهل لا ينفك مرتبطاً ... وكل خير فإن العلم مرجعه !
يا سيدى الشيخ قد أوليتنا نعماً ... لا أنكر الدهر فضلاً كنت تصنعه !
لولاه كنا بأرض التيه سائمة ... داعى الجهالة يدعوها فتتبعه !
قد كان حزمك خيراً لى وها أنذا ... لولا صنيعك ضاع العمر أجمعه !
لله ثم لك الشكران عن أدب ... لبست تاجاً به ما كنت أخلعه !
يا نور قربتنا فى ليل ظلمتنا ... يا أفضل الناس بالذكر الذى معه !
يا أشهر الناس بالترتيل معرفة ... رجع كما كنت فى الدنيا ترجعه !
فى جنة الخلد مثواه ومنزله ... دار الكرامة بالأخيار تجمعه !

(١) شيخى ومحفظى القرآن الكريم المرحوم بإذن الله فضيلة الشيخ عبدالله الحفناوى، أحد الحفّاظ الذين كان يحترمهم فضيلة الشيخ رزق خليل حبة شيخ المقارئ المصرية ـ رحمه الله ـ وقد اشتهر عنه الشدة والحزم والغيرة على القرآن الكريم وعدم التهاون مع المقصرين فى حفظه.

طرائف .. ومواقف

للشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« فقه أهل البيت « رضوان الله عليهم »

أصيب المتوكل بمرض، فنذر إن شفاه الله أن يتصدق بمال كثير، فلما برىء سأل العلماء عن مقدار مايتصدق به، فاختلفوا فى ذلك فقال محمد الباقر: إن نويت الدينار فتصدق بثمانين ألفا أو الدرهم فكذلك. فسئل عن الدليل، فقال: قوله - تعالى:

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾

(التوبة/ ٢٥)

فعدوا وقائع الرسول - ﷺ - فوجدوها ثمانين.

« البلاغة فى الإيجاز »

● قال رجل لعمرو بن العاص: والله لا تفرغن لك! قال: هنالك وقعت فى الشغل. فقال له الرجل: كأنك تهددنى، والله لئن قلت لى كلمة لأقولن لك عشرا! فقال له عمرو: وأنت والله لئن قلت لى عشرا لم أقل لك واحدة!

● وقال رجل لأبى بكر - رضى الله عنه: والله لأسبنك سبا يدخل القبر معك! فقال الصديق: معك يدخل لامعى.

● وقيل لعمرو بن عبيد: لقد وقع فيك اليوم أبوأيوب السجستانى حتى رحمناك. فقال عمرو: إياه فارحموا.

● وقيل لابن السماك الأسدى أيام معاوية: كيف تركت الناس؟ قال: تركتهم بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهى.

● ولقى الحسين بن على - رضوان الله عليهما - الفرزدق فى مسيره إلى العراق، فسأله عن الناس، فقال: القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر فى السماء.

« نصيحة »

قالت جارية من العرب لبنات عم لها:

السعيدة التى يتزوجها ابن عمها فيمهرها بتيسين وكلبين وعيرين، فينب (1) التيسان، وينبح الكلبان، وينهق العيران، والشقية التى يتزوجها الحضرى؛ فيطعمها الخمير، ويلبسها الحرير، ويحملها ليلة الزفاف على عود؛ (تعنى إكافا أو سرجا).

« أريد أن أساهرك الليلة »

مرض أبوعمرو بن العلاء فدخل عليه رجل من أصحابه، فقال له: أريد أن أساهرك الليلة، قال له: أنت معافى وأنا مبتلى، فالعافية لاتدعك أن تسهر، والبلاء لايدعنى أن أنام.

وأسأل الله أن يهب لأهل العافية الشكر، ولأهل البلاء الصبر.

« الوجوه مرايا القلوب »

قال أرسطو أمير الفلسفة: وجهك مرآة قلبك، فإنه يظهر على الوجوه ما تضمر القلوب.

وقد أولع الشعراء بنظم هذا المعنى فقال بعضهم:

إن العيون لتبدى فى نواظرها
ما فى القلوب من البغضاء والإحن

وقال غيره:

تريك أعينهم ما فى صدورهم
إن الصدور يؤدى سرها النظر

وقال آخر:

عيناك قد دلتا عينى منك على
أشياء لولاهما ماكنت أدريها
تظل فى نفسك البغضاء كامنة
والقلب يضمرها والعين تبديها
والعين تعرف من عينى محدثها
إن كان من حزبها أو من أعاديها

وقال زهير بن أبى سلمى:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم

« بين متصدق وسائل »

مر أديب كبير بشيخ يتكفف الناس على قارعة الطريق، فوقف ليعطيه شيئا ثم أخذ يبحث فى جيوبه عن حافظة نقوده، فلم يجدها لقد نسيها فى الحلة التى استبدلها، وكان السائل المسكين لايزال باسطا يده فما كان من الأديب الكبير إلا أن وضع يده فى يد السائل وصافحه بشدة، فتهلل وجه السائل وقال له: أشكرك: هذه أيضا صدقة.

(1) نب التيس: صاح عند الهياج

« أنت والدق سواء »

دق رجل الباب على الجاحظ

فقال الجاحظ : من أنت ؟

فقال الرجل : أنا

فقال الجاحظ : أنت والدق سواء

« حقاً »

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه
والمرء يصلحه الجليس الصالح

حسن الاعتذار عن الأصحاب

حكى عن بنت عبدالله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى وكان أجود قريش فى زمانه : ما رأيت قوما الأم من إخوانك !

قال طلحة : مه ، ولم ذلك ؟

قالت : أراهم إذا أيسرت لزموك ، وإذا أعسرت تركوك .

قال طلحة : هذا والله من كرمهم : يأتوننا فى حال القوة بنا عليهم ، ويتركوننا فى حال الضعف بنا عنهم .

« دعاء »

اللهم ألهمنى علما أفقه به أوامرك ونواهيك ، وارزقنى فهما أعلم به كيف أناجيك ، يا أرحم الراحمين .

« مامنعك أن تجلس على الوسادة ؟ »

دخل الأحنف بن قيس على معاوية فأشار إليه إلى وسادة فلم يجلس عليها ، فقال له : مامنعك يا أحنف أن تجلس على الوسادة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن فيما أوصى به قيس بن عاصم ولده : أن قال لا تسع للسلطان حتى يملك ، ولا تقطعه حتى ينساك ، ولا تجلس له على فراش ولا وسادة ، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين .

« مسكين ابن آدم »

قال بعض الحكماء : مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً .

● ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الدنيا لفاز بهما جميعاً .

● ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا .

« أى مواد التجميل تستعملين ؟ »

سئلت عجوز يفيض وجهها بشرا وجمالا : أى مواد التجميل تستعملين ؟

فقالت : استخدم لشفتى الحق ، ولصوتى الذكر ، ولعينى غض البصر ، وليدى الإحسان ، ولقوامى الاستقامة ، ولقلبى حب الله ، ولعقلى الحكمة ، ولنفسى الطاعة ، ولهواى الإيمان .

من البيان التربوى فى الذكر الحكيم

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

يقع فى روع الكثيرين أن مجال التربية قاصر على تنشئة الأجيال فى الأعمار المبكرة فى البيت والمراحل الدراسية الأولى ، وهذا المعنى الضيق هو الذى أدى بنا إلى أن نهمل تربية الكبار الذين شبوا عن الطوق - كما يقال - متوهمين أنهم قد عبروا مراحل التربية التى كانوا يخضعون لها وهم صغار ويكفيهم أن يربوا صغارهم دون أن يعيشوا هم فى إطار التربية والتوجيه .

وفات هؤلاء أن الإنسان السوىّ متكامل الشخصية هو الذى تتناوله العمليات التربوية منذ تخلقه جنيناً فى بطن أمه حتى تحتويه الأرض حين يقضى الله أمراً كان مفعولاً كما يقول شاعرنا على الجارم (نأكل الأرض ثم تأكلنا الأرض) .

وإذا كان يقال إن « التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر » فلا ينبغى أن يغيب عنا هنا الحديث عن (التعليم) الذى يحتاج إلى الذهن الغض والعقل الصافى الذى لم يزدحم بتجارب الحياة وخبرات الزمان - وهذا لاشك غير عملية (التربية) التى لا تتناول العقل فقط بل تمتد أيضا إلى كافة جوانب الشخصية . وهكذا نرى التربية مرتبطة بالشخصية على مدى الحياة .

ولعل هذا هو الذى ألقى فى روع البعض أن يربطوا بين التربية وبين التعليم فيما قبل المرحلة العالية من التعليم حيث يكتفون بعد ذلك بكلمة « التعليم » وكأن التربية عملية منقطعة يبطل مفعولها بعد المراحل الأولى من العمر .

ولما كان لنا فى رسول الله - ﷺ - أسوة حسنة فإننا ينبغى أن نتأمل حياة صحابته - ﷺ - الذين تربوا على يديه الكريمتين بما تلقاه من ربه - عز وجل - تربيةً تشمل كل جوانب الشخصية فكان عليه السلام يبين لهم كيف يرعون (الجانب الجسمى) طهارة وعناية وطباً وعلاجاً فى مثل قوله - ﷺ - (إن لبدنك عليك حقاً)[1] وكيف يعنون

(١) البخارى ٣/٢٠٥ .

بالجانب العقلي حيث يغني عن البيان هنا ذكر ما زخرت به الآيات القرآنية الحكيمة بخطاب العقل في مثل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(آل عمران: ١٩٠)

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الرعد: ٣)

﴿ أَفَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(الطلاق: ١٠)

وفي مثل قوله - ﷺ - (اطلبوا العلم ولو في الصين)[٢] وهكذا.

كما رباهم - ﷺ - على الاهتمام بالجانب الوجداني وهو جانب الانفعال والعاطفة في مثل قوله - ﷺ -: (لا تغضب.. لا تغضب)[٣] ومثل: (لا يتم إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٤] ومثل (لا يتم إيمان أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه)[٥]. ومن جوانب الشخصية التي عني بها - ﷺ - في تربية أصحابه الجانب الاجتماعي الذي يشير إلى العلاقات الاجتماعية بين بعضهم البعض، ولا ننسى في هذا الجانب ما قام به - ﷺ - من إجراء الصلح بين الأوس والخزرج وما قام به - ﷺ - من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكذلك ما كان يضرب لهم من مثل في علاقاته بأهل بيته وزوجاته أمهات المؤمنين - رضي الله - عنهن، وغير ذلك من الدروس التربوية التي تبين أن التربية لا تقتصر على سن معينة لكنها تمتد إلى نهاية العمر كما فعل النبي - ﷺ - مع أصحابه وذلك تأثراً بتربية المولى سبحانه له، وتأديبه له - ﷺ - حيث يقول: (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[٦] فلا غرو أن ينقل عليه السلام التربية الربانية له لتصبح تربية محمدية لذويه وأصحابه وأتباعه إلى أن تقوم الساعة دون توقف عند سن معينة.

والإنسان الذي يظن أنه أصبح مشبعاً بالتربية إنسان واهم، وهذا الظن وحده ينطق بحاجته - التي لم تزل - إلى التربية، وما أشبه هذا بالمرء الذي يظل عالماً فإذا ظن أنه علم فقد جهل.

وفي هذا المجال نسوق بعض الخواطر عن تربية الحق سبحانه لأنبيائه حتى منذ أن كانوا غيباً من الغيب وذلك عن طريق إحاطتهم بالابتلاءات الكثيرة والخبرات المريرة حتى يشتد عودهم وتقوى عزائمهم وتمزج إرداتهم بإيمانهم فيصبحوا مؤهلين

---

(٢) تاريخ بغداد ٩/٣٦٤.

(٣) البخاري ٨/٣٥.

(٤) النسائي ٨، ١١٥، ١٢٥.

(٥) مسند الإمام أحمد ٤/٢٣٣، ٣٣٦.

(٦) كشف الخفا ١/٧٢

إلاهيا - لمواجهة البشر الذين يبدو أن كثيراً منهم توارثوا (جينات) قابيل فجبلوا على الإفساد في الأرض ومواجهة الهدى بالعصيان والإيمان بالكفران، فكان لابد أن يكون هداتهم ورسلهم ذوي استعدادات خاصة، وقدرات نادرة، يتحملون بها أعباء الدعوة بما يتمتعون به من احتمال بين مرونة ونضال، وسلام ونحال، وهكذا.

ألم يقل الله - عز وجل - لموسى عليه السلام

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾

(طه: ٣٩)

﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾

(طه: ٤١)

ثم ألم يقل المولى سبحانه لمحمد - ﷺ -:

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

ثم يوحي إليه خطوات الدعوة الناجحة:

﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)

ثم ألم يقل سبحانه على لسان لقمان وهو يعظ ولده ليعدُه لأن يكون داعية للتوحيد والسلوك القويم بين قومه:

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

(لقمان: ١٧)

ولنا أن نتأمل هنا آية

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

لندرك أن لقمان يعد ولده لشدائد المهمة التي سيقدم عليها، ومن هنا جاءت الجملة الكريمة:

﴿ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾

في القرآن الكريم:

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾

(الأحقاف: ٣٥)

وكان هذا ومثله هاديا لنا إلى السير عبر تربية الحق لرسله عليهم وعلى نبينا الهادي الصلاة والسلام.

ولقد قامت هذه التربية الإلهية للأنبياء على ثلاث دعائم هي: إبتلاء الحق للأنبياء، ثم دعاء الأنبياء وابتهالهم لله سبحانه وتعالى، ثم استجابة المولى عز وجل لهم حتى يتحقق النصر بكلمة الحق على المشركين فتتم كلمة ربك صدقاً وعدلاً.

وإذا كان الأمر كذلك فإن أمامنا مفهومين ينبغي إيضاحهما في هذا السياق هما: مفهوم «الدعاء»، ومفهوم «الاستجابة»، فقد علمنا ديننا المبين - من

خلال قول الله – عز وجل :

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾

(الرحمن : ٣ ، ٤)

كما علمنا النبى – ﷺ – من خلال الشروح الإيضاحية والصور البيانية التى تجلت فى الأحاديث الشريفة لتربية الأمة – الا تتكلم بالكلمة إلا إذا وعينا معناها، وفهمنا فحواها، واستوعبنا مغزاها، وألا نسمح لأية كلمة أن تقتحم علينا عقولنا إلا إذا كانت مبينة المعنى، جلية المبنى، واضحة المفهوم، وبهذا يسهل التفاهم بين البشر، ليعى الناس بعضهم عن بعض حتى تقوم الحياة البشرية على التفاهم المشترك، وبالتالى التعاون المتبادل، والعمل المفيد، مما يحقق التكاتف والتآلف بين الجميع على عمران الأرض وصلاحها دون الإفساد فيها أو الإخلال بميزانها حيث يتجلى صوت الحق :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾

(الرحمن : ٧ ، ٨)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾

(إبراهيم : ٤)

ومن هذا المنطلق أردنا أن نتفق بادىء بدء على هذين المفهومين : الدعاء، والاستجابة حتى نسير على درب هذا الموضوع على سواء.

فأما الدعاء فإنه فى معناه البسيط هو (الطلب من الأدنى إلى الأعلى)، وأما الاستجابة فإنها ذكر الجواب إذ فى بعض الأقوال أن دخول (الألف والسين والتاء) على أصل الفعل يجعله يفيد ذكر الشىء أو طلب الشىء.. وعلى سبيل المثال نجد كلمة (استفسار) تفيد طلب التفسير، ولفظ (استجواب) تفيد طلب الإجابة، وقول (استثمار) يفيد طلب الثمرة، كما أن كلمة (استدلال) تفيد ذكر الدليل أو طلب الدليل.

وعلى سبيل المثال أيضا أنه إذا سأل سائل : ما الدليل على أن (المسلمين موحّدون)، كان دليلنا على ذلك هو : طالما أن (المؤمنين موحدون)، وطالما أن (المسلمين مؤمنون) فلابد أن يكون (المسلمون موحدين) وهذا هو الدليل الذى سأل عنه السائل وأجاب به المجيب.

وبهذا يكون معنى الاستجابة أيضاً من جانب المولى – عز وجل – هو ذكر الجواب، وذكر الجواب من لدن القادر العليم الذى يقول للشىء كن فيكون هو ذكر عملى، واستجابة فعلية تتعالى على استجابات البشر بعضهم البعض :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

(الصافات : ١٥٩)

وروعة الإعجاز القرآنى فى تجلٍّ سرمدى دائم... ومن صور هذا التجلى أن عبارة القرآن فى الرد على زكريا عليه السلام تختلف عن عبارة القرآن فى الرد على مريم

البتول وإن بدا الأمر فى ظاهره كما لو كانت المعجزتان الخاصتان بكل منهما فى الإنجاب متشابهتين.

فمن نافلة القول أن نقرأ على الأسماع – فى تأمل متطلع إلى المعرفة والإمتاع – قول الذكر الحكيم بشأن زكريا ومريم.. – إذ من المعروف أن مريم قد نمت وترعرعت فى كنف زوج خالتها زكريا عليه السلام :

﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾

(آل عمران : ٣٧)

وهى بيوت ربانية البناية، إلهية العناية، ملائكية الرعاية لأنها

﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾

(آل عمران : ٣٤)

يقول القرآن الكريم :

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٧)

(آل عمران : ٣٧)

وكان زكريا عليه السلام يتمنى ولدا، وبعد موقف مريم أصبح التمنى أقرب إلى الرجاء وأصبحت الأمنية الصامتة تنطلق بالدعاء :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾

(آل عمران : ٣٨)

وفى هذا السياق يتحدث القرآن فى آية أخرى قائلا :

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ (٨)

(الأنبياء : ٩٠)

وكأننا بزكريا عليه السلام يريد أن يستمتع بتأكيد البشرى الإلهية له وأن يتلذذ بوحى الله إليه وهو يبشره :

﴿ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ ﴾

(مريم : ٧)

لم يسبقه أحد بهذا الاسم فهو معجزة فى

(٧) أى دون أن يكون فى حساب المرزوق رزق الرازق، ويرى بعض العلماء أن زكريا كان يجد عند مريم طعام الصيف فى الشتاء، وطعام الشتاء فى الصيف مما حرك وأثار دهشته فلما أجابته مريم بهذا الجواب الإيمانى الصادق الواثق توجه زكريا إلى ربه سبحانه أملا أن يتفضل عليه بمثل ما تفضل به على مريم من طلاقة القدرة المنزهة عن الرتابة والتكرار.

(٨) ولنا أن نتأمل هنا الإعجاز القرآنى فى ترتيب هذه الكلمات فلقد كان السياق العادى يقتضى أن يكون (إصلاح الزوجة) أولاً ثم ذكر الابن بعد ذلك، ولكنه القرآن المعجز العظيم الذى يؤكد أن قدرة الخلاق العظيم على خلق الولد من أبوين مسنين أمر مفروغ منه وسابق فى علمه تعالى ثم يترتب على هذه القدرة السابقة الأزلية أبداً والأبدية سرمداً التبشير بيحيى ثم الإخبار بعد ذلك بإصلاح الزوجة بعد ذلك وإعدادها – وهى العاقر العقيم – وجعلها مهيأة للإنجاب – ونحن إذا كلفنا بترتيب الأحداث وفق مقولاتنا العقلية فإن هذا يتسق مع إيماننا المطلق بأن هذا الترتيب يتماشى مع قدرة الله – عز وجل – حيث لا أحداث ولا زمن مع الحقيقة المطلقة (كن فيكون).

الخلق ومعجزة في الاسم ف:

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾

(آل عمران: ٤٠)

ويذكرنا هذا بقول العلماء عن موسى عليه السلام عندما أطال في الحديث عن (العصا) مع الله - عز وجل - حبا في المكوث بالمعية الإلهية:

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾

(طه: ١٧، ١٨)

إلا أن في حالة زكريا عليه السلام نرى أنه يستمتع بالمعية الإلهية وبالبشرى الإلهية في آن فما أمتع وأسعد.

ويلفتنا في هذا المجال الفرق بين حديث القرآن إلى زكريا وبين حديثه إلى مريم إذ أن الرد القرآني على مريم عندما عبرت عن دهشتها المفاجئة بل وجلها من التجربة وهي تستمع إلى بشرى الحق لها بمولد المسيح عليه السلام دون أن يقربها زوج.

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(آل عمران: ٤٥، ٤٦)

فماذا كان الرد الإلهي عليها عندما انتابتها الدهشة وأخذتها المفاجأة؟؟

﴿ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾

(آل عمران: ٤٧)

فتأمل التعبير الذي لا يأتي إلا من لدن حكيم عليم فهو يقول لزكريا:

﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾

(آل عمران: ٤٠)

بينما يقول لمريم

﴿ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾

(آل عمران: ٤٧)

وشتان بين الفعل والخلق.

فالخلق إيجاد من عدم وقد وافق هذا موقف مريم التي حملت بولدها دون السبب الطبيعي المعروف وهو المعاشرة الزوجية فهو خلق معجز بلا سبب مطروق.

بينما في موقف زكريا لايذكر القرآن (الخلق) ولكنه يذكر (الجعل) ذلك لأن (يحيى) لم يولد بلا سبب وإنما ولد بسبب وهو وجود والدين يمكن أن يجتمعا على معاشرة زوجية طبيعية وإن كانت هذه المعاشرة في حاجة إلى تدخل رباني وإصلاح إلاهي لتتم المعجزة.

كذلك تتجلى استجابة المولى سبحانه لعباده المخلصين إذا ضاقت الأمور

واستحكمت حلقاتها إلا من كوة نورانية تضيء للعبد المؤمن طريق ربه فيستغيث حيث لا غياث إلا به سبحانه فيستجيب المولى برحمته مصداقا لوعده لخلقه عز وجل:

﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾

(الأنعام: ٥٤)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

(غافر: ٦٠)

وهكذا دائماً علاقة العبد بالرب وعلاقة المؤمن بالله: ذكر وعطاء، وسؤال وإجابة وتلق ورحمة.. يفرح الرب بصدق العبودية. ويفرح العبد بتجلي الربوبية وبين ذل العبد المتطلع إلى رحاب العزيز الجبار، وكبرياء الرب المتجلي بكبريائه الرحيم على عباده الأخيار يتذوق المؤمن حلاوة الإيمان سعياً في الدنيا وجزاء في الآخرة..

ومن ثمة كان الله عز وجل أقرب إلى عبده من حبل الوريد يطمئنه إذا خاف، ويرقبه إذا أخطأ، ويقبله إذا آب.. ويستجيب له إذا دعاه، فهو الحي القيوم الذي لايشغله إلا خلقه وكم هو جدير بهم ألا ينشغلوا إلا به عز وجل.

ثم لا نتأمل حديث القرآن الكريم عن أيوب عليه السلام الذي أصابه النصب والعذاب فظل يعاني من شدة المرض وآلام الداء، وحسبك أن تعلم أنه أصيب في جلده الذي هو مجال الإحساس باللمس في الكائن الحي ومن هنا كان عذاب الجلد يوم القيامة أشد العذاب:

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

(النساء: ٥٦)

ذلكم أيوب الذي ضرب المثل للبشرية جميعا على مر الزمان في الصبر العظيم والاستسلام المطلق لقضاء الله الجليل حتى إنه في دعائه لربه تعالى كان يعبر بصدق عن مكنون قلبه ومخزون مشاعره فتحلى بالأدب الجم مع الذات العلية في نجواه- لا شكواه- حين ينسب مابه من ضر إلى الشيطان الرجيم منزها الذات الإلهية عن أن تصيبه بالمرض العضال

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (٩)

(ص: ٤١، ٤٢)

ولعلنا ندرك هنا كيف سار أيوب مع ربه سار مسار إبراهيم عليهما السلام في أدبه مع ربه حول المرض حين يقول إبراهيم

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

(الشعراء: ٨٠)

(٩) وهكذا نتعلم من حكمة الحق أن مرض الجلد يعالج بشراب يشفي باطن الجسم وغسول يشفي ظاهره ولله سبحانه المثل الأعلى.

فلم ينسب الإصابة بالمرض لله عز وجل.

ولا يغيب عنا فى هذا المجال قول الجن فى حديثهم حول القرآن والإسلام حين يقول بعضهم لبعض

﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (الجن: ١٠)

فعندما تحدثوا عن الشر بنوا فعل الإرادة للمجهول أما عندما تحدثوا عن الرشد والخير تراهم قد نسبوه إلى الله سبحانه وتعالى.

ثم يتجلى المولى عز وجل فى موقف آخر من مواقف القرآن الكريم حيث لا ينتظر أن يدعوه الناس ولكن يستحث المضطرين إلى الدعاء الصادق والابتهال المخلص إليه سبحانه حيث لامفر منه إلا إليه عز وجل:

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ (النمل: ٦٢)

ألم يضرب الحق سبحانه لهذا مثلا بيونس عليه السلام حيث أبق(١٠) إلى الفلك وأراد الله سبحانه أن يجعله مثلاً للتجلى الإلهى والعفو الربانى فقال سبحانه:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٧)

وكما أوحى الله سبحانه إلى الحوت أن يلتقم يونس عليه السلام ويحتويه فى أحشائه سالما بغير سوء، أوحى إليه كذلك أن يلفظه على الشاطىء ليخرج من الظلمات إلى النور. وهى إشارة إلى انتقال يونس من ظلمة التولى والإدبار إلى نور المآب والاعتذار حيث حظيرة العفو الإلهى الرحب بعد الاعتراف بالذنب والإقرار به

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء ٨٧)

و(فاء التعقيب) التى تحمل رحمة الله إلى الخلق والتى نراها كثيراً فى الآيات التى تقول ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ قد توالت فى مواقف كثيرة من الذكر الحكيم مضيئة بالبشرى الإلهية إلى عباد الرحمن الذين ينسبهم المولى إلى رحابه عندما يناديهم:

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣)

ولم يقل سبحانه (يا أيها العباد) أو (يا أيها المؤمنون) أو غير ذلك وإنما قال (يا عبادى) فلله ما أكرم وأعظم، وأجل وأحكم.

وتأمل (فاء التعقيب) هذه فى تدبر عميق وتفهم دقيق عندما تحدث القرآن عن موقف نوح عليه السلام من قومه الذين لبث فيهم ألف سنة

(١٠) أبق العبد: هرب من سيده فهو آبق.

إلا خمسين عاما ولم تزدهم دعوته الهادية إلا عتوا وكبرا، وعنادا وشططا، فلما ضاق بهم توجه إلى ربه فى ابتهال لاهف وضيق شديد:

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (القمر/ ١٠: ١٢)

وهكذا فاض الطوفان حسما إلهيا حاسما، وقضاء ربانيا مبرما على اللدد الأحمق المتغطرس الذى طال على مدى مايقرب من ألف عام، والذى قابل به العتاة الطغاة دعوة الهداية والرحمة والحق التى جاء بها نوح عليه السلام من لدن أرحم الراحمين.

والقرآن الكريم لا يسوق هذه الأمثال وهذا القصص على سبيل التحاكى والتسلى - وحاشاه- ولكنه يرويه للعبرة والاعتبار، والتذكر والإدكار، ونهجا مثاليا للتربية والاختبار.

وبعد، فكم تضيق الصدور فى زحام الحياة المعاصرة بما فيها من مواقف يعجز الكثيرون عن مواجهتها، ومشكلات يصعب على الناس معالجتها، وفتن تنوء الإرادة البشرية تحت وطأتها.

وهنا ينبغى - أمام هذا كله- أن يبذل المسلمون وسعهم ويستحثوا طاقاتهم ويستثيروا هممهم فى سبيل الأخذ بأشرف الوسائل إلى أشرف الغايات سعيا للحياة النقية والعيش الكريم فى إطار أخلاقى فاضل يتيح للناشئة النامية مناخا للتربية التى يرتضيها الله ورسوله اتساقا مع رسالة الإنسان فى عمارة الأرض.

وإنا لنبتهل إلى السميع المجيب سبحانه أن يمدنا بمدد من عنده لكى نستطيع أن نبصر أجيالنا الناشئة بحكمة المولى عز وجل فى تربية رسله المكرمين وأنبيائه المصطفين، وكيف أثمرت هذه التربية الإلهية - بفضل الحق سبحانه- مثلاً عليا من البشر يتقون الله حق تقاته ويجعلون حبه فى قلوبهم ورهبته فى وجدانهم وتعاليمه فى عقولهم وسلوكهم، وكتابه فى صدورهم.. إيمانهم عمل، ودعاؤهم أمل، يعرفون تماما طريقهم إلى الله، ورسالتهم فى الحياة حتى دانت لهم الدنيا بأسرها وهرولت خلفهم حضارات خلاقة، وثقافات بناءة تعرف قيمة الإنسان.

وهنا نكون قد حاولنا الإفادة من الأسلوب التربوى الربانى الذى أعد الحق به أصحاب الرسالات ورواد الهدى ودعاة اليقين.

***

شخصية المسلم بين الواقع والمتوقع

(٢)

للأستاذ الدكتور / مصطفى رجب

ثالثا: التوبة وتجديدها

من أهم الأبعاد التى تحدد شخصية المسلم وتمنح هذه الشخصية تميزاً ملحوظا: «التوبة» بوصفها علاجا إلهيا لمظاهر انحراف السلوك الإنسانى. وإذا كانت الشخصية الإسلامية المعاصرة تعانى من القلق والتوتر والاكتئاب والإحباط، فمرجع ذلك - دون ريب - هو غياب هذا البعد المهم من أبعاد الشخصية. ذلك أن الإنسان بحكم طبيعته خطاء، فإذا لم يدرك حقيقة التوبة، ويجعلها منهج حياة؛ فإنه سيعانى من وخز الضمير، وتأنيب الذات، ولوم النفس، وبتزايد هذه المشاعر؛ ينشأ الإحباط، ويستشرى التشاؤم، ويرتفع الإحساس بالإثم والمخالفة.

والمسلم المتفقه فى دينه، المتدبر لكتاب الله، يلحظ أن وراء الآيات المنذرة بالعقاب، تأتى غالباً آيات الاستثناء لمن يتوب. يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

النساء (١٤٥ : ١٤٦)

بل إن الله تعالى ادخر للتائبين أجراً عظيما، وإكراما كبيراً، وذلك حين وعدهم بتبديل سيئاتهم حسنات، فقد ذكر سبحانه أنواعا من الذنوب، وتوعد عليها بمضاعفة العذاب فى نار جهنم والخلود فيها، ثم استثنى التائبين، فقال تعالى:

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

الفرقان (٦٨ ، ٧٠)

ومما يؤسف له أن هناك أنواعاً من الكتابات، تشيع بين المسلمين فى العصر الحاضر، ذات أهداف نبيلة فى التنفير من الذنوب والدعوة إلى الصلاح، ولكن منهجها فى التضخيم والمبالغة يزرع فى النفوس الشك فى قبول التوبة، ويرفع كل صغيرة إلى كبيرة، مما ييئس المذنبين ويحبطهم، وهذا عكس مقصود الشارع الحكيم، الذى يأمر بالدعوة إلى الله بالحكمة لا الغلظة، وبالتبشير لا التنفير.

وإذا كان تجديد التوبة نوعاً من التطهر المستمر، فإنه - من خلال آلياته المعروفة وأهمها الاستغفار - مجلبة للرضا النفسى، وسعة الرزق، كما شهدت بذلك آيات القرآن الكريم:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾

نوح (١٠ ، ١٢)

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾

هود (٣)

والتوبة مأوى حصين يلجأ إليه الإنسان إذا أخطأ فراراً من قسوة وخز الضمير، حتى لا يتحول هذا الوخز إلى طاقة تدميرية تفتك بصاحبها، كما أنه ملجأ يهرع إليه الإنسان من مكر الشيطان الذى يتربص به آناء الليل وأطراف النهار.

والتوبة تكون من الصغائر والكبائر معاً، ولا يجوز لعالم أو كاتب أو خطيب أن يضيف إلى شرع الله ما يوافق هوى نفسه، فيجعل الصغيرة كبيرة أو العكس بغير دليل شرعى صحيح. فقد جعل الله تعالى مجرد اجتناب الكبائر سبباً كافيا لتكفير الصغائر، وذلك لما يلزم لاجتناب الكبائر من عظيم المكابدة مع الشيطان والنفس. وقد ذكر الله تعالى فى كتابه المجيد قصص قوم من التائبين كآدم عليه السلام ونوح عليه السلام وغيرهما من الأنبياء، والثلاثة الذين خلفوا وغيرهم ليكون فى هذا القصص دافع لمن فترت عزائمهم، وخارت إرادتهم؛ حتى يثوبوا إلى رشدهم، ويتوبوا إلى ربهم.

ويا ليت الوعاظ والخطباء والمربين والعلماء يتركون التنفير والتشديد والتخويف، ويستبدلوا بذلك كله أنواعاً من قصص التائبين كما وردت فى القرآن الكريم، وما صح منها فى السنة كحديث أبى هريرة المتفق عليه عمن قتل تسعاً وتسعين نفساً من بنى

إسرائيل، ثم أراد أن يتوب. فإن هذا القصص يفعل فعل الدواء الناجع فى النفوس الحائرة والقلوب الحائرة.. يثبتها ويقوى عزمها، ويجدد إيمانها ويمنحها الطاقة لاستئناف مسيرتها الإيمانية.

وينعكس أثر هذا البُعد فى شخصية المسلم فى سلوكه تجاه أبنائه وأهل بيته وجيرانه وأقاربه وزملائه فيكون رفيقاً بهم، صفوحاً عن زلاتهم إذا اعترفوا بها. كاظماً لغيظه، حليماً. لأنه كما يطلب من الله المغفرة لنفسه، عليه أن يقبل عذر من يعتذر إليه.

رابعاً: الإيجابية

الصفة الأهم فى تميز شخصية المسلم عن غيرها هى: الإيجابية، فالمسلم الحق إيجابى بطبعه، لا ينتظر ثواباً ولا عقاباً يحفز سلوكه إلا من خالقه تبارك وتعالى، أما غير المسلمين فغالباً ما تكون دوافع سلوكهم نابعة إما من حاجات بيولوجية، أو استجابة لتشريعات بشرية يخضعون لها. ومن ثم فإن حركتهم فى الحياة تبدو كأنها «آلية» لا روح فيها، ولا إقدام فيها على خير، ولا إحجام فيها عن شر إلا بمقدار ما يكون وراء ذلك من منفعة أو دفع مضرة.

وقد قلد أكثر المسلمين فى عصرنا هذا، غيرهم، فركنوا إلى الراحة، وآثروا سلامة الأبدان والأنفس والأموال، وانغمسوا فى الملذات، فانماعت شخصياتهم، وضاعت قيمة (الإيجابية) من ملامحهم مع الأسف الشديد، وهى القيمة التى لولاها لما حقق أسلافهم ما حققوا من رقى وإبداع وإصلاح وفتوح.

وإيثار السلامة، بوصفه نقيضاً للإيجابية يورث النفس خمولاً وكسلاً وخوراً وجبناً، ومن مظاهره:

١- ترك الجهاد وتخذيل المجاهدين فى سبيل الله.

٢- كنز الأموال.

٣- التمتع بالملذات.

٤- القعود عن نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف.

٥- ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٦- كتمان العلم النافع.

٧- الاعتماد على الدولة.

٨- ترك السعى فى الأرض لطلب الرزق.

ونظرة إلى حادث سيارة يصاب فيه أحد المشاة، فيظل ينزف على مرأى ومسمع من الكثيرين، وما نشر عن حوادث اغتصاب وهتك عرض علنى فى الأماكن العامة.. وغير ذلك يدل دلالة صريحة على غياب (الإيجابية) من حياة أكثر الناس، أو غياب (المروءة)

و(الشهامة) بوصفهما من جوانب الإيجابية.

وقد نعى القرآن الكريم على فئات من الناس أخلدت إلى الراحة ورأت فى الحركة سبيلاً للأذى ومن هذه الفئات:

أ) المتقاعسون عن الجهاد:

إن الجهاد فى سبيل الله هو السبيل الوحيد لنصرة الدين وإعلاء كلمة التوحيد، وقد تقاعس قوم عن الجهاد فسجل القرآن الكريم مواقفهم مقرونة بلومهم وتوبيخهم، فقال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(التوبة: ١٦)

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

التوبة (١٩، ٢٠)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾

التوبة (٣٨)

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

التوبة (٤٢)

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾

التوبة (٤٦)

ب) الذين يكتمون العلم:

وهناك فئة من الناس رزقها الله تعالى بعلم نافع، ولكنها تقاعست عن نشره، أو كتمت ما تعلم أنه الحق، ففتحت بذلك باباً للجهّال لكى يتصدوا لتعليم الناس وتثقيفهم، وهم فى الحقيقة يزيّفون ويزوّرون ويضلّلون - عن قصد حيناً وعن غير قصد حيناً - وتفتح لهم وسائل الإعلام نوافذها فيفتن الناس بكلامهم المنمق، وحديثهم المزوّق. وأولئك هم الأئمة المضلون الذين حذّر منهم رسول الله ﷺ.

يحدث هذا، نرى طوائف من أهل العلم الفضلاء يقعدون عن نشر ما عندهم إيثاراً للسلامة، وتجنباً للفتنة، وقد ذمّ القرآن الكريم من يفعل ذلك، فقال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

البقرة (١٥٩-١٦٠)

وقال سبحانه:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾

آل عمران (١٨٧)

جـ) القاعدون عن السعي:

من جهل بعض الناس بثواب السعي والضرب في الأرض، يظن بعضهم أن هذا عمل دنيوي بحت، في حين أنه مطلب شرعي، حثت عليه الشريعة الإسلامية، الغراء. وقد سمى القرآن الكريم من يفعل ذلك تسمية توبيخ بأنهم ظالمون أنفسهم، وأولئك الناس ستتوفاهم الملائكة وهي توبخهم: فيم كنتم؟ ولم رضيتم بهذا القعود الذليل عن طلب العيش الكريم والرزق الحلال؟. فيجيبون: بأنهم كانوا مستضعفين في الأرض!!، مع أن أرض الله واسعة، وقد أمروا أن يهاجروا فيها ويبتغوا من رزق الله ولا يركنوا إلى الراحة والاعتذار بأنهم مستضعفون. فقد سخر الله لهم الأرض ليستعمروها، والبحار ليجوبوها ويستخرجوا منها لحما طريا وحلية يلبسونها، وسخر لهم الخيل والبغال والحمير وغيرها من الحيوانات؛ لينتفعوا بها قدر ما يتاح لهم الانتفاع. لأن المسلم الحق إيجابي لا يعرف للسكون فائدة، ويرى في الحركة تنفيذاً للمشيئة الإلهية:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

الأنعام (١٦٢)

فكيف يرضى المسلم أن تكون حياته رخيصة ذليلة ساكنة؟!.

وإذا كانت قوانين البشر قد صعبت أمر حركة الناس من بلد إلى بلد، فما تزال في البلد الواحد آفاق من الرزق مفتوحة، وفرص للعمل متاحة، كل ما في الأمر أن الناس قد آثروا الراحة، واستمرأوا السكون، وألفوا الدعة، وعودوا حواسهم الكسل، فلا العقول تعمل، ولا الحواس تتحرك إلا في نطاق حركة يومية مكرورة تخلو من الحافز وتستريح إلى الاسترخاء والخمول والرضا بالقليل. وقد نعى القرآن الكريم على طائفة من البشر هذه حالها. فقال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾

الأعراف (١٧٩)

وما أكثر آيات القرآن الكريم التي تأمر المسلمين أن يسيروا في الأرض وأن يبتغوا عند الله الرزق، ولكن أنى لهم ذلك وأمامهم الشاشات البيضاء تكبلهم أمامها ليل نهار! فكأنهم معوقون لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا؟!!.

د) الذين يكنزون أموالهم:

تكره الشريعة الإسلامية الغراء كنز الأموال، وترى فيه جريمة اجتماعية كبرى وتتوعد صاحبها بالعذاب الأليم يوم القيامة، فيقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

التوبة (٣٤-٣٥)

وذلك لأن الإنسان إذا استهواه جمع المال وتكديسه، فرط في مبادئه ودينه وقيمه، وصار كالحيوان الذي يأكل ولا يعرف حداً لشبع، فكنز الأموال غاية السلبية، ومنتهى الانغلاق على الذات، ولا تقدم عليه نفوس المؤمنين؛ لأنها نفوس مطهرة بحب الإنفاق في وجوه الخير، والذي ينفق ماله ثاني اثنين [illegible] بعد صاحب العلم الذي ينشر علمه لينتفع به الناس.

هـ) الاعتماد على الدولة:

منذ تفككت عرى ارتباط المسلم بدينه مع تعقد الحياة الحديثة، ومنذ أنشئت «الدولة» كنظام مؤسسي ييسر حياة الناس، استبدل كثير من الناس بمفهوم التوكل على الله، مفهوم (الاتكال على الدولة). فأصبح المسلم ينتظر من الدولة أن تطعمه وتسقيه وتكسوه وتشفيه وتعلمه وترفه عنه. وقد أدى هذا (التواكل / الاتكال) لأطراح مفهوم التوكل على الله واتخاذ أسباب الحياة، والضرب في الأرض، ومكابدة مرارة البحث عن الحلال. وأنا شخصياً لا أستطيع أن أفهم: كيف يبقى خريج المدرسة المتوسطة أو الجامعة سنين طوالاً يمد يده إلى أسرته ويأخذ مصروفاً ينفقه على انتظار «الدولة» على المقاهي حتى تقبل عليه الوظيفة وهو ساه لاه لا يكد ولا يكدح؟!. وفي المقابل أعرف عشرات من الشباب تركوا شهاداتهم وراء ظهورهم وسعوا في الأرض طلباً للرزق من أي باب حلال. فأصابوا خيراً كثيرا بتوكلهم على الله وسعيهم.

خامسا: إصلاح أحوال الأسرة المسلمة:

إن الأسرة المسلمة هي مناط التربية، ومؤسستها الأولى، وهي تتعرض في الواقع المعاصر إلى ضغوط لا قبل لها بها: رسمية وغير رسمية. ويكفي أن نقرأ وثائق مؤتمرات الأمم المتحدة الخاصة بالسكان والتنمية، وبخاصة مؤتمر القاهرة ١٩٩٤، ومؤتمر بكين ١٩٩٨، لنرى إلى أي حد تسعى المؤسسات الدولية إلى إشاعة الفواحش، وتحطيم كل القيم الإسلامية التي تستهدف تحصين الشخصية الإسلامية ضد الانحلال والانحراف. والمأمول أن يسعى المسلمون إلى إصلاح أحوال الأسرة، ويحوطوها بالرعاية والعناية المركزة ضد الهجمات التي تتستر بالتمدن والتحضر. فتعود القوامة للرجال، وتعود للأمهات هيبة مسئولياتهن التربوية. وتعود روح المودة لتسربل العلاقات بين الإخوة والأخوات، وتعود صلة الرحم فتلطف جهامة الحياة المعاصرة وتخفف جفافها. ونظرة إلى

آيات القرآن الكريم تفتح أمام المسلمين آفاق حقيقة العلاقات الأسرية كما أرادها الإسلام. ولنقرأ قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾

التحريم (٦)

﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ ﴾

الأنعام (١٥١)

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ النساء (٣٤)

وتبقى هناك أبعاد أخرى في الشخصية الإسلامية تجدر دراستها مثل:

٦ـ حسن استثمار الوقت.

٧ـ الوعي بالتاريخ.

٨ـ الولاء والبراء.

٩ـ أهمية التمسك باللغة العربية والحفاظ عليها.

وكل تلك الأبعاد التسعة حرية بأن يهتم بها الباحثون المسلمون وبديروا تحليلها والنظر في أهميتها، كما أنها جديرة بأن تتخذ منها المنظمات والهيئات الإسلامية المعاصرة دساتير تستنهض بها الهمم لمواجهة الغزوات التبشيرية الجديدة المسماة بالعولمة.

والله من وراء القصد.

* * *

مع العارفين

وُهَيْبُ بنُ الوَرْدِ المكّى



لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

الأمين العام للجنة العليا للدعوة

أورد ابن الجوزى في كتابه «صفة الصفوة» تعريفا لوهيب.. قال فيه: مولى بن مخزوم يكنى أبا أمية وقيل أبا عثمان وكان اسمه عبدالوهاب فصغر فقيل «وُهَيْب».

وأورد ذكره ضمن من ذكرهم من الطبقة الثالثة من أهل مكة ثم قال: وقد أدرك جماعة من التابعين منهم عطاء بن رباح ومنصور بن زاذان وأبان بن عياش مات في سنة ثلاث وخمسين ومائة رحمه الله، ما أن فرغت من ذلك حتى أقبل على صاحبى قائلا في لهجة عتاب تفيض بالأسى وتقطر بالحزن اسمح لى أن أقول لك لقد سئمت وسئمت الأمة منهج الصوفية أحبابك الذى أنت به هائم متيم.

قلت لصاحبى: عفا الله عنك!! لماذا سئمت الأمة منهج الصوفية؟ وكيف حكمت على أن الأمة سئمته؟؟ قال: أما عن سبب السآمة والملل الذى أصابنى وأصاب الأمة فهو في الواقع أسبابا وليس سببا واحدا.

أولها: أن أكثرهم الآن مدعون.. زائفون.. مزيفون.. غائبون.. مغيبون.. وأن الصادقين منهم - إن وجدوا - منعزلون يعيشون - لا أقول في أبراج عاجية - ولكن يعيشون إن شئت الدقة مرتزقة يتبعون لبقا.. حاذقا.. ماهرا.. في أساليب التلاعب بعبارات القوم يصدق عليهم قول الشاعر:

أما الخيام فإنها كخيامهم
وأرى نساء الحى غير نسائهم

عاجلت صاحبى مقاطعا.. لا أقول إن بعض ما قلته ادعاء ظالما بل إن جله حق أو قل كله، والنادر القليل منهم.. الشاذ إنما هو يثبت القاعدة ولا ينفيها.

تلك القاعدة التى تقول «إن لكل قاعدة

شواذ»، فهؤلاء الصادقون – إن وجدوا – يشترون قاعدة فشل التصوف وخواءه.

ثم واصلت حديثى قائلا: ليس هدفى من الحديث عن العارفين هو مجرد التسلية بسرد حكايات عجيبة غريبة عن أحوالهم.. لكن هدفى يرتكز أساسا فى أننى مؤمن بأن طريق القوم الصعب هو طريق الخلاص الحقيقى للأمة الإسلامية الآن من المأزق الذى سقطت فيه أو قل هو السبيل الوحيد للنجاة من الشرك الذى دُبّر لها بإحكام من قبل أعدائها ووقعت فيه، وذلك أننى مؤمن بأن ما يطلق عليه الحداثة.. حققت إنجازات ضخمة فى شكل تقدم مادى مذهل ولكن برغم التقدم المادى المذهل وبسببه أمكن للتناقضات أن تنكشف وتظهر وتفضح السعار المستغل والظلم الغربى الذى كان محصورا داخل حدود الأقطار.. فأمكن لكل هذه المساوىء أن تنكشف وتظهر بفضل التقدم المذهل فى دنيا الاتصالات ولقد أمكن لأهل الجنوب خاصة فى بلاد المستعمرات السابقة فى العالم الإسلامى فى أفريقيا وآسيا على وجه الخصوص.. كان لابد أن يدركوا أن أهل الشمال صنعوا تقدمهم المادى على حساب استنزاف ثرواتهم وتأكد لهم أن أهل الغرب ينظرون إلى بلادهم بوصفها مجرد أسواق لمنتجات الشمال يقتصر دورها على أن تمده بالمواد الخام والأيدى العاملة الرخيصة.

كما ينبغى أن نعى جيدا أن دول الغرب لديها أدواتها المتعددة لخدمة أهدافها وسياساتها البشعة المستبدة، وكثير من هذه الأدوات يؤدى دوره من وراء ستار أو قناع.. وتعبير «تجديد الخطاب الدينى»... و.. «رفض التشدد».. و«لجنة الحريات الدينية الأمريكية».. التى زارت مصر مؤخرا كلها نماذج للتدخل الفج والمكر الخبيث الساعى فى نفس الاتجاه الذى يستهدف هدم المقومات الدينية وتفريغ الإسلام من محتواه.. كما يجب علينا أن نعى أن الحداثة الغربية العلمانية ما عادت تؤمن بالله ولا تدين بدين غير الاستبداد والسيطرة وأننا أصبحنا فى مأزق خطير أمام القوة الغاشمة للغرب الظالم المستبد.

فكيف نواجه ذلك؟

أولا: لابد أن نؤمن بأن موازين النصر فى الإسلام ليست فى الكثرة المغيبة.. فالإسلام لا يهتم بالكم.. ولكنه يهتم بالنوع وهذا سر اهتمامى بالتصوف وأساسه.. حيث إن هذه الجودة المنشودة والنقاء المرجو لا يكون إلا عن طريق التصوف الحقيقى الفاعل حيث إن الكثرة لا قيمة لها مادامت غير فاعلة أو مهمشة وذلك يتمثل ويتضح فى قوله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾

التوبة/ ٢٥

وتتمثل أيضا فى قوله تعالى:

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

البقرة/ ٢٤٩

ويتمثل أيضا فى حديث رسول الله ﷺ الذى يفيض بالألم وينضح بالحسرة ويصور حال المسلمين أبلغ تصوير حيث يقول ﷺ «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها»[1].

ليهال الصحابة هذا التكالب المدمر من الأمم الطامعة فتسارع إلى أذهانهم مقياس الكثرة والقلة فتساءلوا قائلين «أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟» فأجابهم ﷺ.. بأن مقياس النصر فى الإسلام ليس بالقلة والكثرة وإنما بالنوع والجودة وأن القلة الفاعلة خير من كثرة لا قيمة لها وقال ﷺ: «لا بل أنتم كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل»[2] وغثاء السيل إن كنت لا تعرفه هو ما يطفو على سطح الماء الهادر المندفع من زبد وعشب يابس لا يملك من أمره شيئا إنما تسيره الأمواج حيث تسير.

ويتزامن مع هذا المنهج – منهج النوع والكم – قوله ﷺ فى موقف آخر وإن بدا مغايرا ومخالفا فى الظاهر إلا أنه يؤكد وحدة الإسلام فى أقواله وأفعاله.. يقول ﷺ «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا»[3]..

بادرنى صاحبى مقاطعا بلهجة حادة.. مالك تخلط الأمور؟؟ إن هذا الحديث ورد فى الصدقة يعطيها الرجل للفقير من الفقراء فلماذا أتيت به هنا؟ وجئت به تستشهد به فى غير مجاله؟ قلت لصاحبى داعيا له بجزاك الله عنى خيرا..

لقد هيأت لى فرصة وأتحت لى مجالا كنت أريده وأتحيّنه!! فأنتم مزقتم الدين.. فبعد أن كان كلا شاملا الحياة والناس يستوى فيه المسجد والشارع سلوكا وقيما ويحدوه الورع والعفاف والطهر سواء بسواء فى السوق وفى المكتب!! وذكرتنى بعهود الظلام فى أوروبا حيث استبداد الكنيسة مما جعل أكثر مثقفينا – للأسف الشديد – ينادون عن عمد جاهل، أو خداع مضلل بفصل المسجد عن الشارع وهذا خطأ وخطيئة فالإسلام لا يعرف انفصام الشخصية – أو مرض الشيزوفرينيا كما يسمونه – إن المسلم هو.. هو فى طهره وعفافه، وصلته بربه، وصدقه مع الله والناس فى المسجد كما الشارع والسوق.

ثم تعالى معى وأجبنى أين ومتى؟؟ قال النبى ﷺ حديثه المشهور، المعروف، المتداول «من غشنا فليس منا»؟[4] هل قاله فى المسجد؟ أو فى المحراب؟ أو على المنبر؟ كلنا يعرف وسوف نُسأل غدا يوم العرض.. يوم لا ينفع مال ولا بنون.. أن رسول الله ﷺ قاله فى السوق لما كان يمارس رقابته على التجار، أليس كذلك؟.. ولم يكن قولا.. بل فعلا فقد أدخل يده الشريفة فى كومة الغلال باحثا أو كاشفا لخداع الدنيا مبينا كيف يكون الصدق وكيف تكون الأمانة!! فلما وجد البلل أصاب يده الشريفة وسمع زيف الإجابة وتدنس الضمير وكذب العمل لما أجاب الرجل فقال «لقد أصابته السماء» يعنى أن البلل

(١)، (٢) راجع الإمام أحمد جـ٥/ ٢٧٨، مسند أبى داود حديث رقم ٤٢٩٧.

(٣) صحيح مسلم باب الزكاة حديث رقم ٦٥

(٤) مسلم باب الإيمان حديث رقم ١٦٤.

ليس بفعله هو.. فقال ﷺ قولته المشهورة الدامغة لكل زيف وخداع «هلا جعلته فى أعلاه» يعنى لماذا لم تجعل البلل ظاهرا حتى يراه المشترى فإن شاء أخذ وإن شاء ترك.. ثم قال ﷺ قولته المشهورة وقانونه السماوى «من غشنا فليس منا» لقد قلت لك إن الدين كل لا يتجزأ ودعنى أسألك عن التاجر الذى فعل هذا!! هل هو يوقن بـ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾

الذاريات / ٥٨

أعتقد أنه لو لم يتسرب الريب إلى قلبه لما فعل فعلته وبنفس المنهج القبيح ذلك الذى يبنى دارا للأيتام من احتكار دنىء لأقوات الناس، أو قل يشيد مسجدا - إن فعل - هل ينفعه ذلك وإن تكاثر فيه المصلون؟؟.

قلت لك أو رويت لك وحدثتك بقول رسولنا الكريم ﷺ «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» وفى ذات الحديث «إنه إذا تصدق أحدكم بشق تمرة - نصف تمرة - من كسب طيب» يا سبحان الله.. يا لروعة القول ودقة الميزان وطيب وعظيم الجزاء!! نصف تمرة؟!.. نعم نصف تمرة.. يا سبحان الله أنصف تمرة لها قيمة فى الإسلام؟! نعم شريطة أن تكون من كسب طيب يعنى من كسب حلال بلا غش أو احتكار.. إن القيمة الكبرى للكسب الطيب والرزق الحلال فإن الله سبحانه وتعالى يتقبلها بيمينه»، وليس ذلك وكفى بل بعد ذلك وفوقه «يربيها كما يربى أحدكم فلوه حتى تصير مثل جبل أحد».

ألم أقل لك إن الإسلام كل لا يتجزأ؟؟ المسجد والشارع والمنزل والمكتب والسوق.. فهل تذكر كلمة بشر الحافى فى أول حديثنا السابق: أربعة رفعهم الله بطيب المطعم وذكر منهم وهيبا وهل أدركت الصلة الوثيقة بين المسجد والشارع والسوق والمنزل؟ وأن كل ذلك أسباب ترفع مكانة الصبر عند الله فيكون طيبا للقلوب كما كان سفيان الثورى يقول بعد انتهاء درسه فى المسجد مشيرا إلى وهيب «قوموا بنا إلى الطبيب».

قال صاحبى: زدنى فأنا أحس أننا قسمنا الإسلام وقطعناه وفصمنا عراه فلم يعد بعد ذلك كلا شاملا تحيا به الأمم.

قلت: دعنى أعيد عليك كلمات قالها وهيب بن الورد أنهى به لقاءنا اليوم على وعد منى بأن أزيدك فى لقاء قادم.. قال وهيب بن الورد: «لو أن علماءنا - عفا الله عنا وعنهم - نصحوا الله فى عباده فقالوا يا عباد الله اسمعوا ما نخبركم «به» عن نبيكم ﷺ وصالح سلفكم من الزهد فى الدنيا فاعملوا به، ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفسلة «أى التافهة فهم لو فعلوا ذلك» كانوا قد نصحوا الله فى عباده.. ولكنهم يأبون إلا أن يجروا عباد الله إلى فتنتهم وما هم فيه.

وفى النهاية قد تسألنى.. لماذا لا نجد طعما للعبادة أقول لك: قيل لوهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعص الله؟ قال: لا ولا من هم بمعصية.

وإلى لقاء آخر إن شاء الله.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

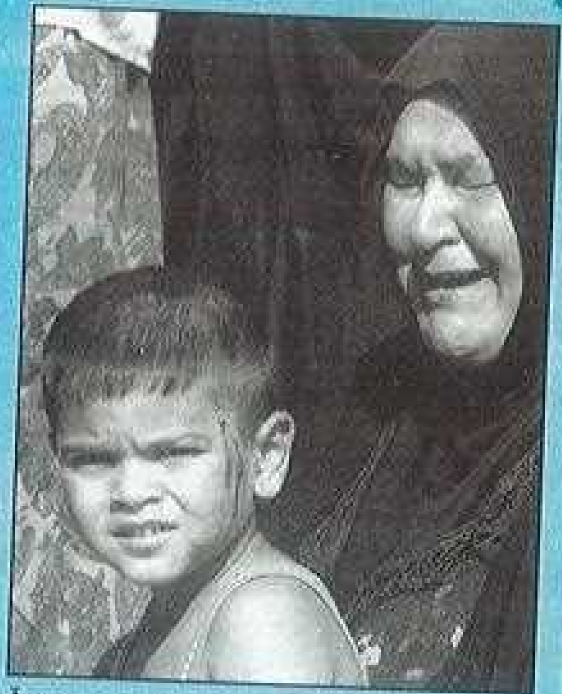
محمد السيد تقى الدين

شائعات

عندما بدأ الحديث فى العراق عن أعمال القمع والقهر التى تمارسها سلطات الاحتلال الأمريكى ضد المعتقلين العراقيين خرجت تصريحات المسئولين الأمريكيين تكذب تلك الأحاديث وتصفها بالشائعات المغرضة التى يروج لها الإرهابيون، وبقايا نظام صدام حسين.. ولما تكشفت الحقيقة وظهرت صور التعذيب أعربت المصادر الأمريكية العليا عن صدمتها واستيائها من هذا السلوك المشين واكتفت بتوبيخ المتورطين فيه وعزل عدد من الضباط كانوا قد اقتربوا بالفعل من سن التقاعد، وعقدت بعض جلسات المحاكمات لتهدئة الرأى العام العالمى.

واليوم بدأت شائعات أخرى تطل برأسها عن اعتقال عدد يتراوح بين ألف وألفى طفل عراقى ذكور وإناث تحت سن الخامسة عشر، مصدر الشائعات هذه المرة المنظمات الدولية للإغاثة وحقوق الإنسان، والصليب الأحمر الدولى.

الشائعات تقول: إن عدداً من هؤلاء الأطفال يتم عرضهم بصورة منتظمة على مبشرين لإقناعهم بتغيير ديانتهم وتغيير أسمائهم بما يتفق مع تغيير ديانتهم وصناعة تاريخ جديد لهم يقوم على أن هؤلاء الأطفال ليسوا مسلمين وأن أسرهم تعرضت للتنكيل بهم لهذا السبب، وأن الولايات المتحدة ستتعهد بحمايتهم داخل الأراضى العراقية على اعتبار أنهم أقلية دينية تعانى من اضطهاد عرقى.





ديمقراطية بوش:

جرح لكل طفل

ودموع متواصلة

وتقول الشائعات أيضاً : إن من رفض من الأطفال الاستجابة لهذا المخطط جرى نقلهم إلى مراكز ترفيه خاصة بالجيش الأمريكى فى العراق، والترفيه لن يكون لصالح الأطفال.. وكل لبيب بالإشارة يفهم !!

ومؤخراً تقدمت مؤسسة «الأطفال» ضحايا الحرب» بطلب إلى لجنة المؤسسات الخيرية للسماح لها بفتح مكتب لها فى العراق لرصد انتهاكات حقوق الإنسان هناك ولتقديم المشورة إلى المعتقلين ولتدريب جماعات حقوق الإنسان ولتقديم المساعدات الطبية لضحايا الحرب من الأطفال !!

إنها شائعات.. مجرد شائعات..

وما أصدق قول البارى عز وجل :

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر : ٤٧]

وإلى رسائل القراء

من أعلام التراث الإسلامى

شمس الدين السخاوى

وعن الإمام شمس الدين السخاوى كانت تلك الكلمة التي بعث بها القارئ الأديب: «فرج مجاهد عبد الوهاب» شربين دقهلية:

هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر شمس الدين أبو الخير السخاوى ولد فى القاهرة بحارة بهاء الدين قرب باب الفتوح فى ربيع الأول سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٨م ويرجع أصل العائلة إلى مدينة سخا بكفر الشيخ وكانت تتبع محافظة الغربية فى وقته وكانت أسرته تسكن بجوار منزل ابن حجر العسقلانى الذى كان له الأثر الأكبر فى حياته وعندما توفى سافر إلى دمياط ودرس على يد شيوخه، ثم سافر لأداء فريضة الحج وهناك درس على يد شيوخ مكة والمدينة ثم عاد إلى الإسكندرية وقرأ بها حينا وزار عواصم الوجه البحرى ثم سافر إلى الشام وزار فلسطين وبيت المقدس والخليل ونابلس ثم دمشق وحمص وحماة واستقر فى حلب، كل ذلك وهو يقرأ على أعلام وعلماء هذه البلاد، ولما عاد إلى القاهرة عكف على التدريس ولا سيما تدريس الحديث كما قام بالتدريس فى معظم مدارس القاهرة مثل مدرسة صرغتمش، والمدرسة الظاهرية والبرقوقية، والفاضلية، وغيرها من المدارس. ثم درس حينا بمكة المكرمة وقرأ بالمسجد الحرام بعضا من تصانيفه وتصانيف غيره، ولما عاد إلى القاهرة تبوأ منصب الزعامة الذى كان يشغله أستاذه ابن حجر العسقلانى، ومن مؤلفاته «التبر المسبوك فى ذيل السلوك» الذى وضعه كذيل لكتاب تقى الدين المقريزى وتناول فيه تاريخ دولة المماليك المصرية حتى سنة ٨٤٤هـ، كما تناول فى كتابه الذى ألفه بناء على رغبة الداودار يشبك بن مهدى وزير السلطان الظاهر خشقدم «تاريخ مصر الإسلامية» تاريخ مصر من سنة ٨٤٥هـ إلى سنة ٨٥٧هـ؛ كما ألف أيضا كتاباً يعد ذيلا على كتاب ابن حجر العسقلانى «رفع الإصر عن قضاة مصر» تناول فيه تراجم القضاة المصريين حتى عصره عنوانه «ذيل رفع الإصر».

إلا أن أهم مؤلفات شمس الدين السخاوى هو مؤلفه الضخم «الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع»، وهو كتاب يضم تراجم أعيان عصره فى البلاد الإسلامية المختلفة، ومن مؤلفاته أيضا كتاب «الشافى فى وفيات الأمم» وهو من كتب التراجم أيضا و«القول التام فى الرمى بالسهام» وكتاب «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ»، وقد توفى شمس الدين السخاوى فى سنة ٩٠٢هـ ١٤٩٧م

رسالة إلى شباب الأمة الإسلامية

وكتب القارئ الدكتور محمد محمد العطار - كفر الشيخ - كلمة جعل عنوانها: «رسالة إلي شباب الأمة الإسلامية» قال فيها:

قال تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ
بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ
وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

[الأنفال : ٦٠]

الشباب هم عصب الحياة وعماد نهضة الأمم ومستقبلها فى كل الميادين، وأساس رقيها وتقدمها، والشباب هو الأساس الذى تبدأ منه حركة الإصلاح، فإذا صلح الشباب صلحت الأمة، وإذا فسد الشباب أصاب الفساد الأمة، ولقد عنى الإسلام بالشباب، ووجه إلى تربيتهم على أساس الإيمان بالله ومراقبته وطاعته، وطاعة رسوله، وتزكية نفوسهم بالعلم، وتوفير القدوة الصالحة، وإبعاد صور الفساد من طريقهم، فالشباب هم قوة الإسلام، ولقد تناول الإسلام مشاكل الشباب جميعا، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم «اضمنوا لى ستا أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأدوا إذا أئتمنتم، وأوفوا إذا وعدتم، وغضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفوا أيديكم».

واليوم انحرف غير قليل من الشباب عن الجادة، فاهتموا بكل ما هو جديد من التقاليع والموضات فى الملابس وقصات الشعر فاتجهوا إلى الأمركة.. فعاش الشباب فى مجتمعاتهم غرباء عن مجتمعهم.. يقولون ويسمعون ويفعلون ويتعاملون بما لا يتفق مع ثقافتنا العربية الأصيلة.

فشباب أمتنا الإسلامية مستهدف والشباب تائه وضائع ويجب أن يعد الشباب على الثقة بالله وبأنفسهم، وهذه هى إسرائيل التى تملك السلاح والصواريخ والدبابات تهزها مجموعة من الأطفال والشباب سلاحهم بعد الإيمان بالله هو الحجارة، ولذلك يجب أن يعود الشباب على الصبر والإيمان بنصر الله والشهادة فى سبيله.

إن النصر فى الحروب لا يكون بكثرة العدد ووفرة السلاح، وإنما يكون بقوة الإيمان، والفرح بالاستشهاد والرغبة فى ثواب الله وجنته.

أيها الشباب إن ميدانكم الأول أنفسكم، فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر، وإن أخفقتم فى جهادكم معها كنتم عما سواها أعجز؛ فجربوا الكفاح معها أولا، واعلموا أن الأمة كلها تنتظر جيلا من الشباب يتسم بالعفة والطهر والخلق القوى الفاضل.

ستة وثلاثون عاما على حريق المسجد الأقصى

وعن مأساة المسجد الأقصى كانت رسالة القارئ الخضرى عبدالمنعم على السيد - محافظة الشرقية:

فى يوم الثامن من شهر جمادى الآخرة لعام ١٤٢٥هـ مرت الذكرى الحزينة السادسة والثلاثون على حريق المسجد الأقصى، واليوم تمر علينا ذكرى الإسراء والمعراج ولازال الأقصى، أسيرا مكبلا فى يد الأعداء.

يوم الخميس فى الثامن من جمادى الآخرة ١٣٨٩هـ الموافق ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، أحرقت إسرائيل المسجد الأقصى وقد دمر الحريق القسم الجنوبى الشرقى منه، كما أتى على المنبر، وقد ادعت العصابات الصهيونية أن ماسا كهربائيا سبب الحادث، ثم تراجعت وزعمت أن شابا إسرائيليا أوقد النار فى المسجد، وبهذه المؤامرة الصهيونية، اتضحت نوايا العدوان فى محو الآثار الإسلامية، والعدوان على المقدسات الدينية الإسلامية لتقيم على أنقاضها هيكل سليمان. لتستمر المؤامرة الكبرى ضد الإسلام والاستخفاف بالمسلمين، فالعدوان على المقدسات بدأ قبل الحريق بسنوات عدة عندما أعلن مجرم الحرب «ديفيد بن جوريون» بكل وقاحة «أنه لامعنى لإسرائيل من دون القدس ولا معنى للقدس من دون المسجد الأقصى» من أجل ذلك لم يكن مفاجأة ما حدث من إقدام إسرائيل على جريمة «حريق المسجد الأقصى» أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

أن إسرائيل تستهدف من قديم الزمان الاستيلاء الكامل على المسجد الأقصى بحجة البحث عن هيكل سليمان، حتى دفعها ذلك إلى إجراء كثير من الحفريات حول المسجد، وفى مساحات واسعة محيطة به امتدت إلى آلاف الأمتار، ومن المؤسف إن إشعال النار فى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، لم يكن مفاجاة، وأن العرب والمسلمين لم يؤخذوا على حين غرة حين أقدمت إسرائيل على حرق المسجد الأقصى، ولن يؤخذوا كذلك على حين غرة إذا ما فعلت إسرائيل لاقدر الله بمقدساتهم أكثر من ذلك - فإن نوايا الصهيونية الأثيمة تجاه المقدسات فى المدينة المقدسة «القدس» وضد المسجد الأقصى بالذات ومخططهم لإزالته من الوجود وإقامة هيكل سليمان على أنقاضه أمر معلوم ومكتوب ومطبوع قبل أن يكون لإسرائيل وجود فى أرض العرب والمسلمين، والدليل على ذلك:

الحادث الماساوى المفجع الذى أصاب المسلمين فى أقدس مقدساتهم حين أقدم الصهاينة على إحراق المسجد الأقصى كل ما حدث أن كثيرا من الصحف والمجلات العربية والإسلامية خرجت صفحتها محللة بالسواد بعد الحادث وردود الفعل السيئة فى البيانات والتصريحات والنداءات والبرقيات المعبرة عن مبلغ الألم الذى عصر النفوس، وعن شدة اللهب الذى يغلى فى الصدور، وعن الدم الذى نزفته القلوب أسى وحسرة.

وانتهى الدور عند كلمات التنديد والاستنكار ومضت ست وثلاثون سنة ومازالت التصريحات والنداءات والبرقيات مستمرة.

منارة الأزهر

تصدر عن معهد بنين شطورة الإعدادي الثانوي

٢٢ مادة طبية في السهاك

التعليم بشطورة

وتلقت المجلة العدد الثانى من مجلة «منارة الأزهر» الصادرة عن معهد شطورة الإعدادى الثانوى الأزهرى بنين محافظة سوهاج وهى مجلة تتميز بأنها طلابية فى المقام الأول حيث برأس تحريرها الطالب حسام الدين أحمد شاكر عبدالحليم، ويحرر طلاب المعهد معظم مادتها، وهذا هو ما يجعلها مجلة متميزة من حيث كونها عملا تربويا فى المقام الأول، فما أجمل أن يعهد أساتذة المعهد وشيوخه الأجلاء لأحد طلاب المعهد بمهمة رياسة تحريرها تحت إشرافهم وتوجيههم، كما تميزت المجلة بكثرة محرريها من طلبة المعهد فقد أفسح أساتذة المعهد وشيوخه المجال لأبنائهم ليغرسوا فيهم القدرة على التعبير بالكلمة والرأى عما يختلج فى نفوسهم.. ونأمل أن يكون فى معاهدنا العديد من مثل معهد شطورة ونشاطاته المتميزة.

قطـــــوف

ومن تراثنا العربى كانت جملة قطوف بعث بها القارئ «شفيق مرعى» معهد فتيات شبراهور الثانوى ومما جاء فيها:

جوار لا يباع ولا يشترى

أراد ابن أبى الجهم أن يبيع داره فأعطاه المشترى فيها مائة ألف درهم فقال البائع للمشترى: وبكم تشترى جوار سعيد بن العاص؟؟

قال المشترى: مارأيت جواراً يباع فرجع بن أبى الجهم عن البيع وقال: لا أدع جوار رجل يحب معاونتى، إن غبت سأل عنى، وإن رآنى رحب بى، وإن سألته أعطانى، وإن لم أسأله ابتدأنى بالعطاء.

فلما بلغ ذلك سعيداً بعث إليه بالثمن وأبقاه فى داره.

فهل هناك فى عالمنا اليوم مثل هذا الجوار؟؟

رجل ثقيل وحمل ثقيل

سئل حكيم ما بال الرجل الثقيل أثقل على الطبع من الحمل الثقيل؟ فقال: لأن الحمل الثقيل يقع عبؤه على الروح والجسد معاً أما الرجل الثقيل فتنفرد الروح بحمله.

دعاء له

قالت امرأة لرجل أحسن إليها أذل الله كل عدو لك إلا نفسك، وجعل نعمته عليك هبة لك لا عارية عندك وأعاذك الله من بطر الغنى وذل الفقر وفرغك الله لما خلقك له ولا شغلك بما تكفل به لك.

عطاء لا يريده أحد

قال رجل لأحمد بن خالد الوزير: لقد أعطيت مالم يعطه رسول الله ﷺ قال: وكيف ذلك يا أحمق؟ قال: لأن الله - تعالى - يقول لنبيه: ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك﴾ وأنت فظ غليظ، ونحن لا نبرح من حولك.

بين الصحف



المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

فتوى محكمة العدل الدولية

تحت عنوان: «فتوى محكمة العدل الدولية» كتب الدكتور محمود سليمان فى جريدة «الأهرم» الصادرة فى ٢٠٠٤/٧/١٨ قال:

●● تجاوز منطوق الرأى الاستشارى لمحكمة العدل الدولية التوقعات فى إجابته عن السؤال الذى تلقته من الجمعية العامة للأمم المتحدة ونصه: «ما هى الآثار القانونية المترتبة على تشييد إسرائيل -سلطة الاحتلال- الجدار فى الأراضى الفلسطينية المحتلة بما فى ذلك القدس ومحيطها، وفقا لتقرير الأمين العام، وفى ضوء أحكام القانون الدولى ومبادئه واتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ وقرار مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة فى هذا الشأن؟

تجاوز التوقعات من حيث إقراره بالحقوق الفلسطينية المشروعة، وتأكيده على وضع إسرائيل كدولة احتلال بكل ما ترتبه هذه الرؤية القانونية من أعلى جهة قضاء دولية من آثار، وتتلخص رد المحكمة أو إجابتها عن سؤال الجمعية العامة فيما يلى:

● إن لديها الولاية القضائية لبحث مسألة شرعية الجدار خلافا لادعاءات إسرائيل والولايات المتحدة وبعض الدول التى دعمت الموقف الإسرائيلى الزاعم بأن المحكمة لاتملك تلك الصلاحية.

● إن المحكمة ترى أن بناء إسرائيل (قوة الاحتلال) الجدار على أرض فلسطينية محتلة يخالف أحكام القانون الدولى.

● إن مسار الجدار والنظام الملحق به ينتهك بشكل خطير حقوق الفلسطينيين المقيمين فى الأراضى التى تحتلها إسرائيل.

● إن الانتهاكات لا يمكن تبريرها بضرورات الأمن القومى أو المتطلبات العسكرية وأن حق إسرائيل فى حماية مواطنيها يجب أن يلتزم بالحدود التى ينص عليها القانون الدولى.

● إن إسرائيل ببنائها الجدار انتهكت القانون الدولى الإنسانى وقانون حقوق الإنسان لمساسها بحقوق الفلسطينيين وحريتهم فى التنقل والعمل والصحة والتعليم.

● على إسرائيل تنفيذ التزاماتها باحترام حق تقرير المصير للفلسطينيين واحترام حرية الوصول للأماكن المقدسة فى إشارة إلى توغل مسار الجدار فى القدس الشرقية.

● اقتناع المحكمة بأن الجدار يفرض على الأرض أمرا واقعا يستبق مسألة ترسيم الحدود المستقبلية بين إسرائيل والدولة الفلسطينية.

● اعتبار المستعمرات التي ضمتها إسرائيل إلى أراضيها بإقامة الجدار، غير قانونية وتتعارض مع التزاماتها بموجب اتفاقية جنيف الرابعة.

● دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن لبحث اتخاذ إجراءات إضافية لإنهاء الوضع غير الشرعي الناجم عن بناء الجدار.

وقد تحفظ القاضي الهولندي على فقرة «الفتوى» التي تدعو دول العالم للعمل ضد إقامة الجدار والامتناع عن تقديم أي عون لإسرائيل في إقامته.

وبدا واضحا أن منطوق الفتوى القوي والمباشر قد أطاش صواب المسئولين في إسرائيل فتلاحقت التصريحات منددة ورافضة.

وتحت الضغوط المتزايدة بين المرشحين لانتخابات الرئاسة الأمريكية سارع البيت الأبيض إلى التنديد بالفتوى معلنا أن المحكمة ليست بالمحفل المناسب لبحث مسألة الجدار.

ولحق به وزير الخارجية معلنا أن بلاده عارضت منذ البداية طرح مسألة الجدار على المحكمة، وأن الجدار نجح في الحد من الهجمات الفلسطينية داخل إسرائيل، وأن مسألة الجدار يجب أن تكون محل مفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وأن فتوى المحكمة في غير محلها! ونزل المرشح الديمقراطي للانتخابات لساحة المزايدة على أصوات اليهود فعلق على الفتوى بأنها مخيبة للآمال، مدافعا عن حق إسرائيل في بناء الجدار للدفاع عن نفسها، منتقدا محكمة العدل الدولية ومشككا في صلاحيتها لنظر القضية.

يأتي هذا الموقف الأمريكي المتنكر للعدالة والحق والشرعية الدولية بعد أيام من اعتماد الكونجرس الأمريكي قانونا بمضمون تعهدات بوش لشارون والتي أهدر فيها الحقوق الفلسطينية المشروعة والتي سبق للأمم المتحدة أن أقرتها من خلال قرارات الجمعية العامة (١٨١ - التقسيم) ١٩٤ (حقوق الفلسطينيين في العودة والتعويض) ٢٤٢، ٣٣٨ بعدم الاعتراف باكتساب الأراضي بالقوة والغزو، واتفاقية جنيف الرابعة التي تؤكد على عدم مساس سلطة الاحتلال بأي من حقوق الشعب تحت الاحتلال.

والمفارقة أن فتوى محكمة العدل الدولية حرصت على التأكيد على كل تلك الحقوق والمواثيق وعلى ضرورة الالتزام بها، واتخذتها مرجعا لفتواها وللتنديد بواقع الاحتلال والتذكرة بحقوق الفلسطينيين وعدم استباق حقهم في تقرير المصير بفرض حدود مسبقة.

بل ذهبت لأبعد من ذلك حين طالبت المجتمع الدولي بالعمل ضد إقامة الجدار والامتناع عن تقديم العون لإسرائيل في إقامته ثم دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن لبحث اتخاذ إجراءات إضافية لإنهاء الوضع غير الشرعي الناجم عن بناء الجدار.

ورغم أن الفتوى تمثل رأيا استشاريا وليست حكما ملزما إلا أنها تتمتع بثقل معنوي، إذ تصدر من أعلى سلطة قضائية دولية تجمع خمسة عشر قاضيا يمثلون كل الأنظمة القانونية على مستوى العالم.

ويبقى أن يتبناها مجلس الأمن في قرار يصدر تحت الفصل السابع من الميثاق والخاص بالتدابير التي تستلزم استخدام القوة.

وهم معاداة السامية

وفي جريدة «الأهرام» الصادرة في ٢٠٠٤/٧/٢١ كتب الأستاذ أحمد بهجت تحت عنوان: «وهم معاداة السامية» قال:

وجه أرييل شارون رئيس وزراء إسرائيل نداء إلى يهود فرنسا طالبهم فيه بمغادرة بلادهم فورا والانتقال إلى إسرائيل للإقامة بها، بعد أن تصاعد تيار معاداة السامية على حد تعبيره. توقفت أمام الخبر، وملأتني الدهشة.

لم نقرأ في التاريخ عن دعوة توجه إلى شعب لكي يترك أرضه وجنسيته ويهاجر إلى أرض أخرى وجنسية أخرى.

أما أسباب الهجرة التي طرحها شارون فهي معاداة السامية، وهذا الكارت الجديد القديم الذي تستخدمه إسرائيل من زمن يشبه الكارت الأحمر في مباريات الكرة، إنه يعني انقلابا في الملعب وطرد لاعب.

ويثور هنا سؤال: لماذا تعتبر إسرائيل أن أي نقد يوجه إليها هو معاداة للسامية؟ وهي معاداة حلها الوحيد هو الهجرة إلى إسرائيل.

لقد أدلى شارون بتصريحاته خلال لقاء عام مع ممثلين لجمعيات يهودية أمريكية قال:

فرض على جميع اليهود أن يأتوا إلى إسرائيل.

والواضح من عبارته أنه يقصد جميع اليهود في العالم، وللعلم هذا حلم إسرائيلي نشأ مع قيام الدولة وربما قبلها.

بعد هذا التعميم عاد شارون إلى التخصيص فقال:

إن المسألة ضرورية جدا بالنسبة إلى يهود فرنسا الذين يجب أن يتحركوا فورا.

بعد هذه العبارة حذر شارون من حركة جامحة لمعاداة السامية تنتشر في فرنسا، واعترف أن الحكومة الفرنسية اتخذت إجراءات ضد أعمال معادية للسامية ومعادية مناهضة لليهود، واعتبر أن مجرد وجود ١٠٪ من سكان فرنسا من المسلمين يهيىء لشكل جديد من معاداة السامية.

هذا رأي شارون.. فماذا عن رأي الحاخام اليهودي الفرنسي؟ لقد قال عكس ما قاله شارون، قال: إن الوضع في فرنسا لا يدعو إلى الرحيل، ومن جهة أخرى لأن المسألة غير مطروحة أساسا.

والواضح أن شارون يطمع في جمع يهود العالم في فلسطين بعد نجاحه في إبادة الشعب الفلسطيني كله لتهيئة المكان للقادمين الجدد.

الخطايا والمرض النفسي

ونشرت جريدة «الأخبار» في ٢٠٠٤/٧/٢٣ مقالا عن «لوس انجلوس تايمز» و«واشنطن بوست» كتبه «ناثانيل فيك» بعنوان «خطايا الجنود الأمريكيين في العراق تحولهم إلى مرضى نفسيين» قال:

مختبئا وراء مدفعه الرشاش، سأل العريف جوزيف هول بنبرة تعلوها الجدية السؤال التالي لمرافقيه في العربة العسكرية التي تجوب شوارع مدينة النجف العراقية:

هل حقا قتلت ذلك الرجل أمس؟

هول كانت تبدو على وجهه آثار الذهول المشوب بالحسرة واستدرك قائلا: لقد رأيت الدماء تنزف من ساقه، أريد فقط التأكد هل فارق ذلك الشخص الحياة أم مازال يتنفس؟

كان الصمت هو العنوان الذي ارتسم على جميع الوجوه داخل العربة. بعد لحظات أخذ الرقيب جوشوا دوبيس يهذي ببعض الكلمات وبدا وكأنه أحس بمرارة ما يشعر به زميله هو. قال دوبيس «أشعر بأنني مشوش» ثم تساءل كيف يكون الشعور تجاه القتل وسفك دماء المدنيين؟ أضاف: لن أنسى قط تلك اللحظة التي قتلت فيها شخصا لأول مرة.

كلمات العريف هول ودوبيس جددت المشاعر المدفونة بداخل باقي الجنود في العربة والتي تدور حول القتل الذي يشاهدونه كل يوم وفي معظم الأحيان يكونون سببا فيه، فقال مجند آخر شعر للمرة الأولى أن مشاعره يشاركه فيها آخرون وأنه لا تقتصر عليه فقط «أتحدث أنا وزملائي عن القتل وسفك الدماء كل يوم وكل لحظة وهو أمر لم أعتده من قبل في حياتي..» وأضاف: إنني لست فخورا بذلك بل وأحاول تغيير دفة المناقشات اليومية بيني وبين باقي زملائي في الوحدة ولكن دون جدوى: وبنبرة كلها يأس وقلق قال: أشعر بخوف شديد كيف سيكون حالي عندما أعود إلى بيتي وأسرتي.

ما قاله هؤلاء الجنود وهم من أفراد الفرقة الثانية المدرعة التي تخدم في العراق للشهر الرابع عشر يعكس الحالة السيئة التي وصلت إليها معنويات الجنود الأمريكيين هناك، خاصة مع تزايد الهجمات التي تشنها المقاومة العراقية، وردود أفعال القوات الأمريكية على ذلك والتي غالبا ما تأتي عنيفة قوية وبلا رحمة.

يقول بعض المحللين النفسيين التابعين للجيش الأمريكى إن حديث الجنود المستمر حول الموت لا شك يجعلهم أكثر قابلية لمواجهة الصدمات النفسية الناجمة عن المعارك المستمرة التى تخلف وراءها العشرات من القتلى، ويشيرون إلى أن اللحظات الأولى للقتال فقط هى التى غالبا ما تكون صعبة على الجنود الذين سرعان ما تصبح مشاهد القتل وسفك الدماء مألوفة لهم.

على الجانب الآخر يقول بعض الخبراء فى الصحة النفسية إن الجنود الأمريكيين فى العراق سيصبحون أكثر عرضة للإصابة بأزمات نفسية لأنهم لم يتلقوا إعدادا نفسيا مناسبا قبل الحرب ويدللون على ذلك بالقول: إن إحصائيات عديدة أشارت إلى تزايد نسب الجنود الذين يقدمون على الانتحار أو يكونون سببا فى اشتعال المعارك العائلية والعنف المنزلى عقب عودتهم من مناطق العمليات العسكرية.. عدة جهات مسئولة عن رعاية الجنود الذين يصابون بأزمات نفسية وعقلية بعد عودتهم مباشرة من الحروب اتهمت الجيش الأمريكى بالتركيز على تعليم الجنود كيفية الضغط على الزناد والقتل دون تهيئتهم نفسيا للدخول فى المعارك، وضربت تلك الجهات عدة أمثلة تبين مدى الحالة الهيستيرية التى تصيب الجنود عند شعورهم باقتراب خطر ما وهو سلوك تولد بداخل الجنود بسبب أن القتل أصبح سلوكا آليا ناتجا عن استراتيجيات التدريب فى الجيش الأمريكى.

مؤامرة على السودان

وتحت عنوان «مؤامرة على السودان» كتب سيد عبدالعاطى فى جريدة «الوفد» فى ٢٠٠٤/٧/٢٥ يقول:

فى أبريل الماضى أمضيت أسبوعًا كاملا فى دارفور، تنقلت خلاله فى ولايات دارفور الثلاثة «الشمالية والجنوبية والغربية»، وتجولت داخل معسكرات النازحين فى الأحراش البعيدة عن المدن، وحققت فيما نسب زورا إلى الحكومة السودانية من أنها ارتكبت عمليات إبادة جماعية وتطهيرا عرقيا ضد سكان دارفور، وخاصة القبائل التى تنتمى إلى أصول أفريقية.

والحقيقة أوجزها فى رأى قاله لى والى شمال دارفور عثمان يوسف كبر، وهو من قبيلة البرتى إحدى القبائل الزنجية، أى من قبيلة أفريقية وليست عربية.. قال:

- دارفور مشهورة منذ حوالى ١٠ سنوات بعمليات النهب المسلح على أيدى عصابات تنتمى إلى عدة قبائل، وبسبب التصحر والجفاف الذى ضرب السودان منذ عام ١٩٨٤، وازدياد حالات الفقر والجوع والجهل أصبح هؤلاء يمارسون أعمال السلب والنهب، يهاجمون القرى ويستولون على ماشيتها وأغنامها ثم يقومون بحرق بيوتها المصنوعة من القش.. لكن أخطر ما فى القضية، أن بسبب الجفاف الذى ضرب السودان وتحديدا فى دارفور حدث الكثير من الاحتكاكات بين الرعاة، وهم من القبائل العربية، والمزارعين ملاك الأراضى وهم من القبائل الأفريقية، وأدت هذه النزاعات إلى أن القبائل أصبحت تمتلك السلاح، ثم قامت بتشكيل ميليشيات مسلحة للدفاع عن القبيلة.

والغريب فى الأمر أن هذه الميليشيات انقلبت فيما بعد على القبائل التى تنتمى إليها، وشكلوا جيشا كبيرا غير منظم وقطنوا جبل مرة الوعر، ومنه بدأوا يمارسون الهجوم المسلحة على القرى، ثم بدأوا التمرد.

إذن القضية لا علاقة لها بالتطهير العرقى أو الإبادة الجماعية، لكنه يمكن القول: إنها قضية انفلات أمنى.. فبسبب ضعف الأجهزة الأمنية فى السودان، أصبح الجنجاويد قوة تفوق قوة الشرطة السودانية، بل ويعجز الجيش السودانى المنهك فى حرب الجنوب على مواجهتها.

ومن ثم فإن قرار الكونجرس بفرض عقوبات على السودان، ومحاولة التدخل العسكرى، يكشف عن مؤامرة أمريكية بريطانية ضد السودان، لالتهام ثرواتها وخاصة البترول!!



للأستاذ
محمد الشرقاوى

مسلمو البوسنة يحيون ذكرى «مأساة سريبرنيتشا»

أحيا الآلاف من مسلمى البوسنة الذكرى التاسعة لمأساة «سريبرنيتشا» التى ارتكب فيها الصرب مجزرة بشعة ضد مسلمى المدينة فى عام ١٩٩٥ وقد شهدت الذكرى التاسعة للمجزرة دفن رفات (٣٣٨) شخصا ممن تم التعرف على هوياتهم وذلك فى مقبرة «بوتوكارى» بالمدينة والتى تضم رفات نحو (٩٨٩) شخصا ممن سبق التعرف عليهم من ضحايا المجزرة.

ومن ناحية أخرى فهناك نحو (٥ آلاف) كيسا تضم عظاما لضحايا المجزرة بانتظار التعرف على رفاتهم.

وجاء إحياء الذكرى التاسعة للمجزرة هذا العام فى أعقاب اعتراف صرب البوسنة للمرة الأولى الشهر الماضى بارتكاب المجزرة عام ١٩٩٥م.

دور مهم لمسلمى كندا فى الانتخابات البرلمانية

نجح مسلمو كندا فى القيام بدور مهم وفاعل فى نتائج الانتخابات البرلمانية التى جرت نهاية يونيو الماضى، حيث كان لمشاركتهم المنظمة فى عملية التصويت صدى واسع ساهم فى فوز الحزب الليبرالى الكندى.

شارك نحو ٨٠٪ من مسلمى كندا المؤهلين للإدلاء بأصواتهم فى الانتخابات وكان ٧١٪ منهم لصالح الليبراليين و٢٣٪ لصالح الحزب الديمقراطى الجديد، وقد فاز الحزب الليبرالى بـ١٣٥ مقعدا.

ويذكر أن عدد المسلمين بكندا يصل إلى نحو ٧٠٠ ألف شخص.

توحيد جهود الدعوة الإسلامية فى روسيا

أعلنت أربعة مراكز ومؤسسات إسلامية بروسيا عن إنشاء منظمة إسلامية مشتركة لتوحيد جهود الدعوة الإسلامية تحمل اسم «المنظمة القومية للمسلمين الروس».

وأوضح «جريجوري مافروف» المسئول الإعلامي أن قرار إنشاء المنظمة جاء للقيام بعمل موحد من أجل نشر الإسلام بروسيا وقد تم اختيار «أناتولي ستيستكو» رئيسا للمنظمة الجديدة.

و«تاراس ثيرنيكو» نائبا لرئيس المنظمة، مشيرا إلى أن المنظمة تهدف أيضا إلى التسجيل التاريخي للثقافة الروسية الإسلامية.

ويذكر أن المراكز الإسلامية الأربعة التى شاركت فى تأسيس المنظمة الوليدة هى «مركز الدعوة الإسلامية»، «اتحاد مسلمى روسيا»، «مركز ذو القرنين»، «المركز الثقافى لمسلمى روسيا».

الفاتيكان يطالب باكستان بإلغاء القوانين الإسلامية

زعمت نشرة اللجنة الدولية للعدالة والسلام التابعة للفاتيكان أن المسيحيين فى باكستان يتعرضون لاضطهاد وقمع للحريات بصفة يومية.

وادعى تقرير للجنة خصص هذا العام لأوضاع الأقلية المسيحية فى باكستان أن المشكلات التى يعانى منها المسيحيون وغيرهم من الأقليات الدينية الأخرى هى فى مجملها بسبب القوانين الإسلامية.

وقدمت اللجنة اقتراحات إلى الحكومة الباكستانية من بينها إلغاء القوانين الاسلامية التى لا تتماشى مع نظم حياة المسيحيين مثل قوانين العمل والأسرة وطالبت اللجنة بضرورة إنشاء لجنة دائمة ومستقلة عن الحكومة تدرس أوضاع الأقليات وما يصلح لهم وما لا يصلح.

فى إيطاليا رفض تخصيص فصول للطلاب المسلمين

رفضت وزارة التعليم الإيطالية تخصيص خمسة فصول دراسية لأبناء الجالية الإسلامية بـ«ميلانو» بعد أن أعلنت عنها ثلاث مدارس حكومية بالمدينة فى مراحل التعليم الأساسى ابتداء من العام الدراسى القادم. وجاء الرفض بحجة أنها تتعارض مع الدستور.

وقال رئيس المركز الإسلامى إن الرفض يعد بمثابة خلق مناخ حرب دينية.

وكانت أحزاب الائتلاف الحكومى قد شنت هجوما حادا على المسئول عن الإدارة التعليمية بإقليم «لومبارديا» الذى تتبعه مدينة «ميلانو» ووصفت قراره بإنشاء هذه الفصول بأنه يمثل عنصرية جديدة تعمل على عدم الانسجام العرقى والدينى داخل شريحة المجتمع المدرسى والحوار بين الأديان.

حزب بريطانى يعترف بعدائه للإسلام!

اعترف عدد من أعضاء «الحزب البريطانى» اليمينى المتطرف بارتكاب اعتداءات ضد المسلمين فى بريطانيا نظرا لعدائهم الشديد للإسلام ووصف أعضاء الحزب الإسلام بأنه دين كراهية!

وعرض برنامج إذاعة وتليفزيون هيئة الإذاعة البريطانية (بى. بى. سى) لقطات تم تصويرها سرا فى بلدة «كيلى الشمالية» لزعيم الحزب القومى «نيك جريفين» وهو يتحدث بشكل مسىء عن القرآن الكريم وقال: «انتشر هذا الدين الكريه الخبيث على يد حفنة من المجانين حتى أصبح يجتاح بلدا تلو الآخر»!

وعرض البرنامج فى لقطات أخرى أحد أعضاء الحزب وهو يبدى رغبته فى نسف مساجد باستخدام قاذفة صواريخ وحصد المصلين بالرشاشات.

قال عضو آخر بالحزب إنه قام بوضع فضلات كلب فى صندوق بريد متجر يملكه آسيوى مسلم.

كما تحدث آخر عن قيامه بضرب رجل مسلم وقال: «كان إحساسا رائعا وأنا أركله»!!

تدمير آلاف المخطوطات الإسلامية بكشمير

فقد التراث الإنسانى والإسلامى آلافا من المخطوطات الإسلامية النادرة التى تم تدميرها فى حادث احتراق أقدم مدرسة إسلامية بكشمير وتضمنت المخطوطات المدمرة نصوصا إسلامية نادرة ونسخا من القرآن الكريم وذلك فى الحريق الذى دبره عدد من الجماعات الهندية المتطرفة.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يكرم حفظة القرآن الكريم

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف أقيم حفل تكريم الطلاب والطالبات الفائزين فى مسابقة حفظ القرآن الكريم للعام ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤م على مستوى مناطق الجمهورية وذلك بمركز مؤتمرات الأزهر الشريف بمدينة نصر يوم الأحد الموافق ٢٥ / ٧ / ٢٠٠٤م.

قام فضيلة الإمام الأكبر بإلقاء كلمة أوضح فيها أننا نلتقى من أجل خدمة ديننا وأبنائنا موضحا أن رسالة الأزهر هى الوعاء الأمين الصادق لحفظ شريعة الإسلام وبيان أحكامه وأن الإسلام دين يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام وأن شريعة الإسلام تدعو إلى مكارم الأخلاق ونشر الخير بين الناس والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان وتبين للناس أن يحقوا الحق ويدحروا الباطل، فالإسلام مع الأمان والسلام والكرامة الإنسانية.

كما أشاد فضيلة الإمام الأكبر بدور السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك الذى لا يقصر فى أى طلب يطلبه الأزهر الشريف وأن المبالغ التى يقدمها الأزهر لحفظة القرآن الكريم هى من ميزانية الدولة.

ثم قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع الجوائز المالية على بعض الفائزين البالغ عددهم ٩٨٥٢ طالبا وطالبة كذا: ٩٠٥ لحفظى المكاتب، ولعدد ٣٥٦٢ لطلاب المكاتب» ـ وقد بلغت ميزانية الجوائز ١٥,٣٤٩,٦٠٠ جنيه طبقاً للآتى:ـ

المستوى الأول ـ للحافظ لثلاثين جزءاً:

١ ـ ودرجاتهم من ٩٥ـ١٠٠ لعدد ٥٤١ طالباً يحصل الطالب على ١٨٠٠ جنيه.

٢ ـ ودرجاتهم من ٩٠ـ٩٤ لعدد ٨٨٦ طالباً يحصل الطالب على ١٧٠٠ جنيه.

٣ـ ودرجاتهم من ٨٠ـ٨٩ لعدد ٧٦٨ طالباً يحصل الطالب على ١٥٠٠ جنيه.
٤ـ ودرجاتهم من ٧٠ـ٧٩ لعدد ١٦٧ طالباً يحصل الطالب على ١٤٠٠ جنيه.

المستوى الثاني ـ للحافظ لخمسة وعشرين جزءاً:

١ـ ودرجاتهم من ٩٥ـ١٠٠ لعدد ١٧٥ طالباً يحصل الطالب على ١٦٠٠ جنيه.
٢ـ ودرجاتهم من ٩٠ـ٩٤ لعدد ٥٥٣ طالباً يحصل الطالب على ١٥٠٠ جنيه.
٣ـ ودرجاتهم من ٨٠ـ٨٩ لعدد ٧٤٠ طالباً يحصل الطالب على ١٣٠٠ جنيه.
٤ـ ودرجاتهم من ٧٠ـ٧٩ لعدد ٢٣٧ طالباً يحصل الطالب على ١٢٠٠ جنيه.

المستوى الثالث ـ للحافظ لثمانية عشر جزءاً:

١ـ ودرجاتهم من ٩٥ـ١٠٠ لعدد ٧٢٢ طالباً يحصل الطالب على ١٤٠٠ جنيه.
٢ـ ودرجاتهم من ٩٠ـ٩٤ لعدد ٢٢٥٧ طالباً يحصل الطالب على ١٢٥٠ جنيه.
٣ـ ودرجاتهم من ٨٠ـ٨٩ لعدد٢٢١٦ طالباً يحصل الطالب على ١١٠٠ جنيه.
٤ـ ودرجاتهم من ٧٠ـ٧٩ لعدد ٥٩٠ طالباً يحصل الطالب على ١٠٠٠ جنيه.

●● كما يحصل المحفظون طبقاً لمستويات التحفيظ الحاصل عليها الطلبة الذين تم تحفيظهم كالتالي:

١ـ من ٩٥ـ١٠٠ لعدد ٥٥٠ طالباً ـ قيمة الجائزة ١٠٠٠ جنيه عن كل طالب.
٢ـ من ٩٠ـ٩٤ لعدد ١٤٧٦ طالباً ـ قيمة الجائزة ٧٠٠ جنيه عن كل طالب.
٣ـ من ٨٠ـ٨٩ لعدد ١٢٣٩ طالباً ـ قيمة الجائزة ٤٥٠ جنيه عن كل طالب.
٤ـ من ٧٠ـ٧٩ لعدد ٢٩٧ طالباً ـ قيمة الجائزة ٤٠٠ جنيه عن كل طالب.

وحضر الحفل الدكتور/ محمود حمدى زقزوق ـ وزير الأوقاف، والدكتور/ محمود عاشور ـ وكيل الأزهر الشريف ـ والدكتور/ أحمد الطيب ـ رئيس جامعة الأزهر ـ والدكتور/ أحمد عمر هاشم ـ رئيس جامعة الأزهر الشريف السابق وعضو مجمع البحوث الإسلامية، والسادة أصحاب الفضيلة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية والسادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر والأوقاف ـ والسادة السفراء المعتمدين فى مصر.

ويشهد حفل ختام الدورة الخامسة والستين للأئمة والوعاظ الوافدين

● شهد فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل ختام الدورة الخامسة والستين للائمة والوعاظ الوافدين من العالم الاسلامى وعددهم ١٩ عالما من دول: الجزائر، السودان، ماليزيا، أندونيسيا، تشاد، غانا، وذلك بعد أن أتموا الدورة التدريبية لمدة

ثلاثة أشهر والتى بدأت فى ١/٥/٢٠٠٤ تلقوا خلالها العلوم والمعارف فى الفقه واللغة والتدريب على الفتوى، على أيدى علماء الأزهر الشريف وقال فضيلته: إن الأزهر الشريف يرحب بكم وقد حضرتم لتتعلموا ولتناقشوا مع أساتذتكم العلم النافع ويستمع بعضنا إلى بعض لأمور الدين ونتحاور فى المسائل الدينية والمعاملات، وحين تعودون إلى بلادكم تعلمون الناس وترشدونهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وتبينون للناس وجه الاسلام السمح الذى يأمر أتباعه بأن يبنوا ولا يهدموا، ويعمروا ولا يخربوا، ويصلحوا ولا يفسدوا، وعليكم أن تعملوا من أجل خدمة دينكم وأوطانكم، تدافعون عن الحق، وتقفون فى وجه الباطل، وتنشرون محاسن الإسلام فوظيفتنا أن نبين للناس الحق وندعو إليه، ونحذر الناس من الباطل ونجتنبه، ونكون قدوة طيبة فى سلوكنا وكل أعمالنا، ونوضح بأن الإسلام ينهى نهياً قاطعاً عن الإرهاب الذى هو عدوان على الأنفس والأموال والأعراض وأن نكون قدوة فى مكارم الأخلاق، وإحقاق الحق وإبطال الباطل، ودعا لهم بالتوفيق والسداد وأن يذكروا مصر وأزهرها الشريف بكل خير وأن يكون هناك تواصل بينهم وبين العلماء، وقام فضيلته بتوزيع الجوائز والشهادات عليهم ومنح كل واحد منهم مكتبة إسلامية تعينه على أداء عمله، ثم قام فضيلته بافتتاح الدورة رقم ٦٦ لمدة ثلاثة أشهر اعتباراً من ١/٨/٢٠٠٤ ويحضر هذه الدورة ٢٠ إماماً وواعظاً من دول الجزائر، السودان، زنزبار، باكستان، غانا، هونج كونج، الصين، حضر الحفل فضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر الشريف، وفضيلة الأمين العام للجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف والسادة سفراء الدول المشارك أبناءها فى هذه الدورات.

ويعتمد نتيجة الدور الثانى للشهادة الابتدائية الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الشهادة الابتدائية الأزهرية للدور الثانى للعام الدراسي ١٤٢٤/١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٣/٢٠٠٤م حيث تقدم لامتحان الدور الثانى ٣٣٨٤٦ طالبا وطالبة حضر الامتحان ٣٢٥٦٩ طالباً وطالبة، نجح منهم ٢٥٦٧٢ طالبا وطالبة وكانت نسبة النجاح ٧٨,٨٣٪ وكانت نسبة النجاح فى الدور الأول ٦٦,٥٣٪ وبذلك تصبح النسبة المئوية للنجاح فى الدورين الأول والثانى معا ٩٢,٣٥٪ شهد اعتماد النتيجة فضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة أصحاب الفضيلة القائمين على أعمال الكنترول.

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر

فضيلة الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية أفغانستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير / عبدالله عبدالله وزير خارجية أفغانستان يرافقه سعادة سفير أفغانستان فى القاهرة والوفد المرافق، حيث رحب فضيلته بالضيف والمرافقين فى مصر وأزهرها الشريف، مؤكدا على أن صلة الأزهر الشريف بدولة أفغانستان صلة قديمة ومستمرة، ،الأزهر يستقبل الطلاب من دولة أفغانستان ليتعلموا فيه العلم النافع وعددهم ٢٥٠ طالبا يدرسون على منح من الأزهر وتم تخصيص ٢٠ منحة دراسية للعام الدراسى ٢٠٠٤/٢٠٠٥، وأوضح بأن الدراسة في الأزهر تمتاز باليسر والوضوح والسماحة والبعد عن التعصب الأعمى والعصبية المقيتة وقدم فضيلته شرحا موجزا لمراحل التعليم فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة والأزهر يستقبل الطلاب من العالم الإسلامى وغيره لأكثر من مائة دولة والأزهر الشريف يفخر ويسعد بهؤلاء الطلاب جميعا وحينما ينتهون من دراستهم يعودون إلى بلادهم يؤدون واجبهم نحو نشر هذا العلم لأبناء بلادهم، وأكد فضيلته على أهمية تعلم اللغة العربية وذلك لأنها تؤدى إلى حفظ القرآن الكريم وفهم معانيه وقال فضيلته نحن نكن لدولة أفغانستان كل حب وتقدير، ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة وعبر عن اعتزازه وفخره بوجوده فى الأزهر الشريف تلك المؤسسة الدينية العالمية، واعتبر زيارته للأزهر الشريف فرصة تاريخية، مشيدا بحديث فضيلة شيخ الأزهر الذى يدعو إلى التعاون والاعتدال لمصلحة الوطن والمواطن.

ويستقبل وفدا من دولة تونس

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتورة / خديجة معلى من دولة تونس - منسق البرنامج الإقليمى (برنامج الإيدز فى الدول العربية) يرافقها الدكتور / إيهاب الخراط دكتور الطب النفسى وخبير الإيدز بالأمم المتحدة، حيث أعرب فضيلته أن هذه مهمة تخدم الإنسانية، موضحا بأن مرض الإيدز انتشر انتشارا واسعا فى كثير من الدول، ومكافحة هذا المرض لون من الجهاد لصالح الإنسانية، وقال إن من أسباب انتشار هذا المرض اللعين هو ارتكاب الفواحش التى تتنافى مع العفاف والطهارة ومكارم الأخلاق ونستطيع أن نقاومه بالنصيحة كل فى مجال تخصصه، فرجل الدين يدعو إلى التمسك بالطهارة والعفاف، والأطباء يوضحون ويحذرون من خطورة هذا المرض، وكذا الاجتماعيون يؤدون واجبهم كل فى مجال تخصصه، ونحن نشجع آراء العقلاء الذين يتكاتفون لعقد اللقاءات لمواجهة هذا المرض ونحن على استعداد للتعاون معكم، ومن جانبها أوضحت الدكتورة عن سعادتها بهذا اللقاء وقالت إنها جاءت لتأخذ رأى الدين تجاه هذا المرض وقالت أنه سيتم عقد اجتماع

بالقاهرة فى المدة من ٦، ٧، ٨ من شهر ديسمبر ٢٠٠٤ ويحضره ممثلون من ٢٣ دولة، ويمثل فيه رجال الدين الإسلامى والمسيحى، وقالت أنها كممثلة للمؤسسة الإقليمية بمركز التجارة العالمى بالقاهرة تشعر من منطلق مسئوليتها بالخطر الداهم على الإنسان من هذا المرض، وأنه لشرف عظيم أن يتواجد الأزهر الشريف ممثلا فى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف.

كما يستقبل رئيس طائفة الأرمن بمصر والسودان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نيافة المطران كريكور أغسطينس كوسا مطران رئيس طائفة الأرمن بمصر والسودان والوفد المرافق، وقد رحب فضيلته بالضيف متمنيا له إقامة طيبة فى مصر موضحا بأن التعاون أمر مهم ومطلوب والتعاون يولد التعاون والمحبة تولد المحبة والسماحة تولد السماحة وبذلك يعم الخير الذى ينفع الجميع، وأقول دائما أن الاختلاف فى العقائد لايمنع من التعاون، والعقائد لاتباع ولا تشترى ولكل إنسان عقيدته، والذى يحاسب على العقائد هو الله عز وجل، فنحن نتعاون من أجل الوقوف إلى جانب المظلوم، ونقدم الخير للمحتاجين واليتامى والفقراء، كل هذا ينشر الأمان والرخاء، والأديان السماوية تحرم الإساءة إلى الناس، والإسلام يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام، وندعو الله أن يديم علينا نعمة التوفيق والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وقال المطران لقد جئت لزيارة الأزهر الشريف وشيخه الجليل لأ تعرف وأسترشد بتوجيهات فضيلة شيخ الأزهر الشريف رئيس أكبر مؤسسة دينية فى العالم لها وزنها وثقلها وشهرتها، وقال إننا نتعاون من أجل التسامح والمحبة وكل المعانى التى قالها فضيلة الشيخ الجليل وقال أيضا إنه تسلم زمام الطائفة فى مايو ٢٠٠٤ وأنه كان نائب مطران سوريا وعضو فى المجالس للحوار الإسلامى المسيحى حضر اللقاء فضيلة الدكتور محمود امبابى وكيل الأزهر الشريف.

ويستقبل قنصل عام مصر فى نيويورك

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / شريف الخولى بمناسبة توليه العمل كقنصل عام لمصر فى نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، رحب فضيلته بالضيف ودار الحوار حول دور علماء الأزهر الشريف فى إبراز وإظهار صورة الإسلام الصحيحة، وقال فضيلة شيخ الأزهر الشريف إننا نرسل العلماء لكثير من الدول ومنها أمريكا وذلك لتبصير المسلمين بأمور دينهم ولتوضيح صحيح الإسلام، كما نرسل الكتب الدينية للدول الراغبة فى ذلك بالتنسيق مع السفارات المعنية، كما أن الأزهر الشريف يستقبل أبناء المسلمين من البنين والبنات من شتى بقاع الأرض لتلقى العلوم والمعارف على منح من الأزهر الشريف، وقال فضيلته إن العلماء الذين يرسلهم الأزهر إلى الخارج بوضوح ويبينوا صورة الإسلام

الصحيحة والوجه السمح للإسلام أمام من يشوهون صورة الإسلام، وهو واجب الأزهر الشريف أمام الهجمة الشرسة على الاسلام، وأقول دائما ان من يريد أن يتعرف على الإسلام عليه أن يعرفه من المتخصصين والأزهر الشريف بعلمائه مستعد لذلك وعلينا أن نكون حكماء ونساعد فى حدود العقل والمنطق بكل أمانة وصدق وشجاعة، ومن جانبه شكر سعادة السفير لهذا اللقاء وقال إنه جاء من أجل مزيد من المعرفة والنصح والاسترشاد من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأمر الذى يساعده على أداء مهامه بما يواكب عمله كقنصل عام فى نيويورك حضر اللقاء فضيلة د. محمود امبابى وكيل الأزهر.

ويستقبل رئيس مجلس الوزراء العراقى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى السيد/ إياد علاوى رئيس مجلس الوزراء العراقى والوفد المرافق رحب فضيلته بالمضيف ومرافقيه فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بعمق العلاقة بين الشعبين مؤكدا على أن مصر رئيسا وحكومة وشعبا تقف معكم وتساندكم بكل قوة لأن للعراق منزلة بين الأمة العربية كمنزلة الرأس من الجسد، ونحن نحب شعب العراق وندعو له دائما أن يجتاز هذه المحنة، وسيبقى العراق منارة للعالم الإسلامى والعربى، ومنذ أن أوجد الله هذا الكون والصراع قائم بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، وأن كل أمة فيها العقلاء وغير العقلاء، ندعو الله أن يزيد من عدد العقلاء.

وقد شكر السيد رئيس الوزراء فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة مؤكدا بأنهم جاءوا للاستئناس بنصائح فضيلته، ونحن والشعب العراقى فى حاجة لدعائكم ومؤازرتكم، وأتمنى أن يمارس الأزهر الشريف دوره فى العراق، من حيث إمدادنا بالعلماء والكتب لتعزيز الاسلام، لأن هناك قوة تحاول الفتك بالعراق، وتحاول استغلال الموقف لصالحها، ودور الأزهر الشريف مهم بالنسبة لنا لتنوير الشعب العراقى ولذلك فنحن نحتاج إلى علماء يبصرون الناس بصحيح الدين ونحتاج إلى الكتب ونحتاج إلى قراء للقرآن الكريم، وأوضح أن الأوضاع فى العراق أصبحت الآن فى تحسن ملحوظ، وقال إنه تدارس بعض الموضوعات فى لقائه مع السيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك والمسئولين فى مصر، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتلبية كل ما يطلبه السيد رئيس الوزراء من الأزهر الشريف داعيا المولى عز وجل أن يديم علينا جميعا نعمة الأمن والأمان والاستقرار، وقدم فضيلته المصحف الشريف وكتاب الأزهر فى ألف عام هدية للضيف حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة رئيس جامعة الأزهر الشريف ولفيف من علماء الأزهر الشريف.

ويستقبل سفير مصر فى كازاخستان

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / عبدالموجود الحبشى سفير مصر فى كازاخستان بمناسبة تسلمه العمل كسفير لمصر فى كازاخستان، ودار الحوار حول دور علماء الأزهر الشريف فى المراكز الإسلامية وإظهار صورة الإسلام الصحيحة وتبصير المسلمين بأمور دينهم، والمساعدات التى يقدمها الأزهر من كتب ومناهج وعلماء متخصصين ويتم ذلك بالتنسيق مع الخارجية المصرية ومع السفراء بتلك الدول كما أوضح فضيلته بأن الأزهر الشريف يستقبل أبناء كازاخستان للدراسة بالأزهر الشريف على منح من الأزهر وعلى استعداد لإرسال الكتب الدينية باللغات المختلفة والعلماء لدولة كازاخستان.

ويستقبل سفير مصر باستراليا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / محمد توفيق سفير مصر الجديد باستراليا ودار الحديث حول دور علماء الأزهر الشريف الذين يرسلهم الأزهر الشريف فى شهر رمضان المبارك وذلك لتبصير المسلمين بأمور دينهم وتوضيح الصورة السمحة الصحيحة للاسلام، وقال السفير لقد حضرت لمقابلة فضيلة شيخ الأزهر الشريف للاستئناس بآرائه والاستفادة من علمه وخبرته قبل سفره ورغب فى أن يرسل الأزهر الكتب الدينية المختلفة والعلماء لحاجة المسلمين إليهم.

ويستقبل سفير مصر لدى الفاتيكان

● استقبل فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفيرة/ نيفين سميكة مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية العامة والدينية وذلك بمناسبة توليها العمل كسفير لمصر فى دولة الفاتيكان، رحب فضيلته بالسفيرة ودار الحديث حول دور علماء الأزهر الشريف فى الدول التى يذهبون إليها فبعض هذه الدول بها معاهد أزهرية على غرار المعاهد الموجودة فى مصر وتدرس نفس المناهج الدراسية والكتب ويقوم الأزهر الشريف بإرسال العلماء والمدرسين كذا الكتب الدراسية والمناهج كما يرسل امتحان الشهادات فى نهاية العام، أيضا يستقبل الطلاب الذين يرغبون فى الدراسة فى الأزهر الشريف على منح من الأزهر ويقيمون فى مدن البعوث الإسلامية بالقاهرة، والاسكندرية وتقدم لهم كل الخدمات المختلفة ويتعلمون فى معهد البحوث، وقالت السفيرة إنها جاءت لمقابلة فضيلة الامام الأكبر من أجل المعرفة والنصح والاسترشاد الأمر الذى يساعدها فى أداء عملها بما يواكب عملها كسفيرة بالفاتيكان كما تم استعراض الدور الحيوى للمبعوثين المصريين للخارج تجاه توضيح سماحة الإسلام وتصحيح الصورة التى يفهمها الغرب وغيره وهو عبء ملقى على عاتق علماء الأزهر الشريف.. حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر الشريف.

them, under the pretext that they are necessary for the Israeli national security.

Sharon's office manager was able to convince the American Administration that Sharon's plan will be of much help in reelecting Bush again. This is because, the withdrawal from Gaza Strip will refute the claims of the democratic rival, John Kerry, that Bush's foreign policy is frozen. Moreover, he convinced Bush that he will be the first American president during his post Israel takes actions of withdrawing from settlements.

Concerning the Palestinian party, any political observer can witness three different trends towards Sharon's plan of one-side disengagement. The first trend indicates that there is no other alternative but to accept and approve of Sharon's plan and try to minimize its negative aspects. The second one involves that the Palestinian resistance is the only choice before the Palestinians; such a trend is widespread among Palestinians and Arabs and it increases everyday though it implies risk and unrealistic way of handling the current situations. The third trend calls for sticking to both the peace process and international legality on one side and the organized resistance that can achieve targets on the other side.

We should throw some light on an important point in this regard, namely Sharon, through his plan, does not want to withdraw from Gaza Strip in return for nothing. He thought that when the Palestinians refused to pay the price by establishing only an administrative self-autonomy in Gaza instead of establishing an independent Palestinian nation with full self-autonomy over the West bank and Gaza Strip, he should search for another alternative offered by the USA. Therefore, he sent his office manager and the head of Israel national security to the White House in Washington to persuade the American Administration to reward Israel for Sharon's for his unilateral action of disengagement.

At the end of negotiations on the reward or the price that the USA should pay the Israeli Prime Minister, the American President, Bush, agreed that the price should take the form of a written promise involving a series of guarantees involving America' approval of the legality of the Jewish occupation of the West Bank, considering the Israeli settlements as facts that cannot be disregarded. That series of guarantees also involves that the boundaries of Israel shall be changed, for it is difficult to return to the boundaries stated in 1967. Moreover, America shall be responsible for Israel's security as a Jewish country, which means moving the Arabs who live in Israel outside Israel.

Undoubtedly, the American confession and approval of the legality of the Israeli state means, in fact, invalidating the right to return internationally decided for about four million Palestinians in accordance with the decree No. 194. In addition, such approval of the Israeli occupation means accepting Israel's claimed right of exercising its control over air, land, sea and passageways of Gaza Strip and the West Bank. That means turning Gaza and the West Bank into a big prison for the Palestinians. Furthermore, Bush affirmed in his series of guarantees to Sharon that the Palestinian people should begin electing a new leadership instead of Arafat for he is not the right counterpart (who can serve their interests).

In conclusion, it can be said that despite the fact that Bush has taken back some of what has been mentioned in the series of guarantees in his declarations to Al-Ahram Newspaper, May 2004 – on the basis that any issues relating to the final situation between the Israelis and the Palestinians are to be discussed by both the Palestinian and the Israeli parties, and not the USA – the American Administration should translate its words into actions and obligate Israel to stick to the peace process.

﴾And none knows the hosts of your Lord except He.﴿
[Al-Muddaththir (Shrouded): 31]

Here the word 'hosts' reminds us of the army which symbolizes power; hence, the features of power were surrounding Allah's Messenger from the right and the left.

After that, the Prophet, filled with Allah's Favor and guarded by His Might and Guidance, returned to Mecca while firm and quiet due to the great signs he saw. When he wanted to tell people about what he saw in the heavens, his cousin, Umm Hani', tried to prevent him from doing so for fear that the disbelievers might harm him. She asked him not to go saying, "O Allah's Prophet, do not tell people about that event lest they may harm you." However, he swore by Allah that he would tell them, because that was the truth; and what is after the truth but falsehood. Thus, he fearlessly told the disbelievers about his sacred journey that remained as a miracle for all mankind.

These are the features and indications of power seen in the journey of Al-Isra' and Al-Mi`raj so as to be in confirmation of the truth of Allah's Words in which He says:

﴾And might belongs to Allah, and to His Messenger, and to the believers, but the hypocrites do not know﴿
[Al-Munafiqun (The Hypocrites): 8]

O followers of Prophet Muhammad, you should not limit your vision to just feeling astonishment with regard to the sublimity of the miracle, but you should derive from such an event all the meanings of uprightness to implant them in your life so that you may use them as weapons against your enemy tomorrow, and thus you will be of the winners.

﴾And prepare for them whatever power and whatever garrisoned horses you can, to (spread) awe thereby into (the hearts) of the enemy of Allah and your enemy, and others, apart from them that you do not know; Allah knows them. And whatsoever you expend in the way of Allah shall be repaid you in full; and you will not be do any injustice.﴿ [Al-Anfal (The Spoils): 60]

Sharon's Plot and Bush's Promise*

By: *Ustaz* Salah Abdur-Rehim Muhammad

Allah, Exalted be He, says:

﴾Indeed you will definitely find the most serious of mankind in enmity to (the ones) who have believed are the Jews and the ones who have associated.﴿ [Al-Ma'idah (The Table): 82]

The manifest strategic target of Sharon, since the Israeli occupation of the West Bank and Gaza Strip, implies his trial to avoid any political negotiation. He realizes well that any political settlement to the Israeli-Palestinian conflict means returning to the borders of the 4th of June 1967; and this is what the Israeli Prime Minister fears very much. Sharon believes in the Jewish Theory; namely, the entire land of Israel extending from the Nile to the Euphrates. Therefore, Sharon claims that there is no Palestinian counterpart that can positively contribute to the peace process.

Consequently, Sharon, from one side, has submitted his plan of withdrawing from Gaza to the American president, Bush, to approve of it in return for solidifying the Israeli existence in the West Bank. According to such a plan adopted by Sharon, Israel will move 17 settlements from Gaza Strip, and re-establish them outside Gaza. Not only that but the Israeli troops shall stay around the external borders of Gaza from land, and will have full control over air and continue the military operations in water. Moreover, Gaza Strip shall be a disarmament zone, along with protective procedures permitting Israel to use force against any threats coming from inside the Strip. As for the West Bank, withdrawal will take place from only four settlements, thus the majority of the land of the West Bank will be under the Israeli control. With regard to the other remaining settlements, Israel shall not take any action of removing

* An article published (in Arabic) at Al Azhar magazine.

* Indications of Power in Al-Isra' and Al-Mi`raj
By: Dr. Ahmad Ash-Sharabasy

Nowadays, we are witnessing one of the great events, namely Al-Isra' and Al-Mi`raj. It is an event that involves numerous lessons and admonitions for all people. Those of consideration should take from such an event what may suit them in their current circumstances and fulfill their needs in reforming their conditions. Now, we are living in a period that requires us to be strong in all aspects of our life, firm in our faith, well-established in our homes, and strong in our manners and spirits, so that we can achieve for ourselves the saying of Allah in which He says:

﴾Muhammad is the Messenger of Allah, and (the ones) who are with him are strict against the steadfast disbelievers, merciful among themselves.﴿ [Al-Fath (The Conquest): 29]

Power, in the event of Al-Isra' and Al-Mi`raj, has many laudable indications and aspects directed by the Might of Allah Who has depicted the glory of His Might and the greatness of His Favor, conferred upon His Messenger in Al-Isra' Miracle, saying:

﴾Hymned be He, Who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further [i.e., Remotest] Mosque, around which We have blessed, that We might show him (some) of Our signs. Surely He is the One Who is The Ever-Hearing, The Ever-Beholding.﴿ (Al-Isra' (The Night Journey): 1]

Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) was armoring himself with the power in his heart and the purity in his breast; Angel Gabriel came to him to fill his heart with faith, wisdom, light and mercy. The procession of the sacred journey was ready to set off. That procession was characterized by solemnity and fairness; that is, Gabriel represented the companion and Michael represented the driver; both are two of the prominent among

* An article published (in Arabic) at Al Azhar magazine.

angels. The means of transportation, Al-Boraq, was a symbol of swiftness and ability of crossing distances in no time.

It is mentioned in the book of the *Sirah* (the history of the life of the Prophet) that "Al-Boraq is white in color, and in its thighs there are two wings. When it jumps, its hoof reaches the horizon, so its speed is faster than that of light." It took but few moments and the Prophet, the master of mankind, reached Jerusalem and Al-Aqsa (Remotest) Mosque so as to receive the inheritances of prophecy and the flags of the heavenly messages, for he is the Seal of prophets and there will be no prophet after him. There, Allah, the Almighty, bestowed His favor and blessing upon him by giving him the keys of leadership. Allah made prophets and messengers gather together to pledge allegiance to the Prophet and take him as their Imam (i.e., leader in prayer) to lead them in a congregational prayer. Allah, Exalted and Glorified be He, says:

﴾And your Lord creates whatsoever He decides and He chooses.﴿ [Al-Qasas (The Narrative): 68]

Then the journey set off to cross space, visit heavens, and ascend to the highest places. The Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) was freed from the earthly human perception and risen to the highest part of the horizon; the Prophet continued to rise and rise till he transcended the ranks of all the prophets and reached a degree which no one but him was able to reach it. In this regard, Allah, the Ever-High, says:

﴾As that which envelops did envelop the Lote-tree. In no way did (his) beholding swerve, and in no way was it inordinate. Indeed he has already seen of the signs of his Lord, the greatest.﴿ [An-Najm (The Star): 16-18]

In his sacred journey of Al-Isra' and Al-Mi`raj, the Prophet saw uncountable multitudes of angels and he made mention of their huge numbers by quoting the Words of his Lord in which He says:

were revealing his aims of searching for a reformatory means to enhance the Arabic language in the near future. Whoever read those prominent writings tackling the world of the Arabic literature expected that he would extend his research in the literary field; however, *Sheikh* Muhammad AS-Sadiq Arjoun moved to another different field, namely, the Islamic history. How did he move to tackle another different field, though the early signs were not giving the least indication on such a radical change?

Sheikh Muhammad AS-Sadiq Arjoun was lecturing us the subject of "Interpretation of the Qur'an" and I had the chance to talk to him several times about his scientific production, so I came to know the secret behind moving to analyze and study the prominent figures in the early time of Islam. He told me that he had read a book entitled "Leaders of Thought" by Dr. Taha Hussein, and he found that the writer would ascribe the intellectual development to the Greek culture and disregard the other cultures, including the Egyptian culture. Consequently, Dr. Taha Hussein was seriously discussed about his opinion, but he did not give any attention to answer his opponents. *Sheikh* Muhammad AS-Sadiq Arjoun said, "I found the discussion revolving far away from the Islamic circle; that is, no one referred to the course of the cultural boat, east and west, that reached the safe shore of the Islamic thought, which, in return, had its powerful influence on the history of the human thought. I said to myself, 'There is a binding necessity calling me to shed light on the leaders of Islam and their impact on liberating the human thought. If Dr. Taha Hussein, in his book 'Leaders of Thought,' considered the celebrated Roman ruler, Julius Caesar, as one of the leaders of the human thought, the same as Socrates, Plato and Aristotle, then why should we not consider Umar Ibnul-Khattab as one of the greatest leaders of the human thought? That is because Umar Ibnul-Khattab applied the *Shari`ah* (Islamic

Law) as a wise *mujtahid*[1], and expressed his opinions in leading the nation, reforming society and achieving the principles of brotherhood, freedom and equality in a way transcending the Greek philosophers. The main reason behind that is that those philosophers had said speeches and stated rules, then their intellectual roles ended in compilations, but Umar Ibnul-Khattab, on the other hand, had adhered to the principles of *Shari`ah* as a knowledgeable *mujtahid* and thinker. Moreover, he had other companions who shared him his opinions and practice; they were all excellent examples of the leaders of the Islamic thought who graduated from the school of Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). For those reasons, I moved to study the great men of the early times of the Islamic history, and wrote successive articles entitled 'Leaders of Thought in the Islamic History' starting with Umar Ibnul-Khattab."

The most prominent historical work among the works of *Sheikh* Muhammad AS-Sadiq Arjoun is his compilation of the Prophetic *Sirah* (i.e., the history of the life of the Prophet). His compilation comprises four volumes consisting of two thousand and seven hundred pages. He dedicated more than ten years of his life to study all that his hands could reach of the books written on Allah's Messenger. Further, *Sheikh* Muhammad AS-Sadiq Arjoun had a great undeniable work in the field of the Qur'anic interpretation; that is, he interpreted the *Suras* (Qur'anic Chapters) of Al-An'am (Cattle), Ar-Rum (The Romans), AS-Sajdah (Prostration), At-Tawbah (Repentance) and Luqman (The Sage) on TV series outside Egypt.

These are but a brief reference to the efforts of *Sheikh* Muhammad AS-Sadiq Arjoun in the various fields of the Islamic culture.

[1] Mujtahid: A jurist qualified to attempt a reasoned or deduced solution for unprecedented legal problems.

Isra' and Al-Mi`raj transcends the other miraculous acts of the other messengers. Moreover, it implies that Allah is the Creator of causes, time and universal signs, and that He is the One Able to violate them. If every one should have firm belief in the infinite Might of Allah, one's faith in Allah's Might would increase. Allah, the Creator of the heavens and the earth, says:

﴾And He knows whatsoever is in the land and the sea, and in no way does a leaf fall down, except that He knows it and not a grain in the darkness(es) of the earth, not a thing fresh or dry, except that it is in an evident Book.﴿ [Al-An`am (Cattle): 59]

It is stated that the Prophet led the other prophets in a congregational prayer at Jerusalem Mosque; this indicates that the prophets' messages had finished their part, and there is no other message left for humanity but the Sealing Message, namely, Islam. Hence, humankind should accept and approve of it instead of fighting it by some powers plotting to eliminate it and distort Islam's image by inventing falsehoods and lies. They should know that Islam is the cure for all illnesses; one should listen to the Words of Allah in which He says:

﴾And if the population of the towns had believed and been pious, We indeed would have opened upon them blessings from the heaven and the earth.﴿ [Al`Araf (The Battlements): 96]

It goes without saying that the advanced astronautics that has enabled man to land on the moon, examine other planets and know things believed to be impossible for previous nations, may make it possible for minds to perceive the idea of Al-Mi`raj and believe in it. True are the Words of Allah, Exalted be He, in which He says:

﴾We shall soon show them Our signs in the horizons and in themselves till it is evident to them that it is the Truth. And does it not suffice as to your Lord that He is The Ever-Present Witness over everything?﴿ [Fussilat (Expounded): 53]

Dignified Sheikh Muhammad AS-Sadiq Arjoun
The Respectable Historian
The Former Dean of *Usulud-Din* Faculty

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

Sheikh Muhammad AS-Sadiq Arjoun studied at Al-Azhar and got Al-`Alamiyah (the Scholar's Degree) in 1929. After that, he was appointed as a lecturer at Al-Azhar, a professor at various faculties, then a Sheikh at many religious institutes. He was also appointed as the head of the Azhari education, then as the dean of *Usulud-Din* Faculty. During all the roles he played in his life, he represented a distinguished character, starting as a student till becoming a head.

The variety of the scientific cultural aspects of *Sheikh* Muhammad AS-Sadiq Arjoun derives its source from the books of heritage, the lectures delivered at Al-Azhar and the social and political problems of his age and which drove him to participate with his opinions in whatever he read and heard. All such matters and conditions obligated him to follow a leading attitude in his thinking and a human one in his behavior; an attitude of a jealous Muslim who enjoys struggling to let the true opinion prevail and penetrates into the most complicated dilemmas fearlessly.

Sheikh Muhammad AS-Sadiq Arjoun graduated from a specialization related to the study of rhetoric and literature, so he directed his thought to the literary studies alone. Al-Azhar Magazine was the pulpit from which he disseminated his literary ideas about the important questions that were occupying the minds of so many writers at that time.

Sheikh Muhammad AS-Sadiq Arjoun continued in his literary writings at Al-Azhar Magazine. His writings were tackling the Arab literature and its methodologies and syllabuses studied at Al-Azhar and universities. His writings

AL-AZHAR MAGAZINE
Rajab, 1425 A. H.



ENGLISH SECTION
September, 2004

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."
(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

Al-Isra' and Al-Mi`raj are a Divine Miracle[1]

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

With the coming of the month of Rajab, we remember the miracle of Al-Isra' and Al-Mi`raj; the miracle solely destined to Prophet Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). Prophet Muhammad was made to take that journey while at the beginning of his fifties as a means of relieving his sadness for the death of his uncle followed by the death of his wife, Lady Khadijah (may Allah be pleased with her), just after his uncle by only three days. Both his uncle and his wife were of great support to him.

It is known that the people of Qurayash were fearing and respecting the Prophet's uncle, Abu Talib, and they would not dare to cause harm to the Prophet lest they should provoke Abu Talib's anger. Lady Khadijah, on the other hand, was of much support to the Prophet at the times of hardships; the Prophet felt so sad when she died, so that year was called "the year of sadness." Therefore, Allah, the Almighty, made His Prophet take the sacred journey of Al-Isra' and Al-Mi`raj so as to let him see some of the Greatest Signs to relieve his pain. In this regard, Allah, Exalted and Glorified be He, says:

﴿Hymned be He, Who made His bondman to set forth by night from the Inviolable Mosque to the Further [i.e., Remotest] Mosque, around which We have blessed, that We might show him (some) of Our signs. Surely He is the One Who is The Ever-Hearing, The Ever-Beholding.﴾ [Al-Isra' (The Night Journey): 1]

That divine journey pointed out to the Prophet that he was beloved by Allah, for He had selected no one but him to take that miraculous journey. That journey was to exhort the Prophet to continue in his mission while being confident in Allah's Might and to overcome the obstacles facing him. It is worth mentioning to indicate that the divine journey of Al-

[1] Al-Isra' (Night Journey): The miraculous journey which Prophet Muhammad made by night from Mecca to Jerusalem. Al-Mi`raj (Ascension): It is the miraculous ascension of the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) from Jerusalem to the Heavens.

الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

● ● ●

رئيس التحرير
ا.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م.نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

شعبان ١٤٢٥هـ - أكتوبر ٢٠٠٤م - الجزء الثامن - السنة السادسة والسبعون

افتتاحية العدد

ركيزة الإلحاد تتصدع

يحس الملحد ـ أيا كان نوعه ـ بتعاظم كبير في نفسه، فهو في رأيه الخاص مفكر دقيق، له وجهة نظره المستقلة، وأفقه الواسع المترامي، وليس من المعقول أن يندرج مع الجماعة في رأى، لأنه رزق من ثقوب الفكر، وعمق النظر ما جعله ذا امتياز خاص على الناس، هذا هو اعتقاده في نفسه، وقد يزيد هذا الاعتقاد رسوخاً حين يمتد بنظره إلى نفر من العامة لم يرزقوا التضلع في علم من العلوم، فيشرئب إلى مباهاة مريضة تستمد أصولها الهشة من مرض نفسى يشيع في كيانه، ولقصوره الفكرى يغفل أن يقيس نفسه بكبار العلماء من المؤمنين الذين درسوا المسائل العلمية دراسة جادة، واطمأنوا من الإيمان إلى صخرة ثابتة لاتزلزلها العواصف، وهم بحمد الله كثيرون في كل زمان، ولكن صاحبنا يعمى عمن هو فوقه بأميال وأبعاد، ليتطاول على نفر من العامة أو من طلاب المدارس على الأكثر باذراً شكوكه الواهية ومستعيناً بنفر من ذوى انحرافه ممن رزقوا التطاول المغرور في غير ميدان ويحسبون أنهم على شئ!.

ولقد ساعدت بعض المترجمات العلمية التى ورثها هذا القرن عن ماضيه السابق فيما سلف من القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر حين راجت الدعوة إلى المذهب المادى، على رواج نظرية التطور ففتنت أوساط المتعلمين ممن لم يمضوا في البحث على سنن مستقيمة، وطارت بهم إلى آفاق مظلمة لا تشع ببارقة من اهتداء حتى شاء الله أن يشرق الصباح بحقيقته الناصعة طارداً فلول الظلام، فينهض نفر من ثقات الباحثين، ليمزقوا هذه الشكوك فإذا الباطل سراب، وإذا الحق ماء.

الملحد ـ ولك أن تسميه المادى أو الدهرى أو الطبيعى لا يؤمن إلا بما يحس ويرى فحسب لذلك جهر بالإلحاد مستنداً إلى قدرته المحدودة، وصادف من استماع من قصرت به مواهبه عن رؤية الحق الصريح ما دفعه إلى الغلو ولكنه عرض نفسه إلى صدام جبار قام به نفر من الشجعان تسلحوا بأدلة علمية سطت فوق رقاب الشكوك فجعلتها أباديد، وإذا كنا في العالم العربى

لانزال نجد ذيولاً لهؤلاء الذين صرعهم المنطق الحاسم ببرهانه الصريح فإننا نتقدم بنقاش هادئ يلقى الضوء على كثير من الشبهات ليسفر الحق في ألقه البهيج.

يقول الأستاذ كامل فلا مريون ـ في بعض مباحثه الجادة ـ بتصرف كبير يتخلله تبسيط مبين:

إذا كان الإنسان المادى يعتقد أنه لا يوجد في العالم إلا حقيقة واحدة، وهى الأشياء الخارجية التى ترى وتلمس وتخضع للحواس، وكل ما عداها لا وجود له! فالإنسان بناء على ذلك جسم حى موحد، وليست الروح إذن شيئاً خارج الجسم أو داخله لأنها لا ترى ولا تلمس، إذا كان الإنسان المادى يرى ذلك فإننا نستدل بالبدهيات على فساد هذا الرأى فنقول: إن الحواس خادعة وأنها لا تبرز الشئ في أحيان كثيرة على حقيقته! هذه هى الشمس، أيوجد شئ أوضح منها أمام العين، إنها هى السطح اللماع الذى يدور من الشرق إلى الغرب فوق رؤوسنا، وقد دل على حقيقته هذه آلاف السنين ترى الضوء ينتقل معها من مكان إلى مكان! هكذا ترى الحواس وتعتقد! ولكن هل تدور الشمس حقيقة، وتنتقل من مكان إلى مكان، إن العلم الثابت الذى يؤمن به الماديون يؤكد أن الأرض هى التى تدور، وأن الشمس تقف دون دوران، وإذا كانت الشمس في مرأى العين سطحاً مستوياً فإنها في الواقع كرة! وإذا لم يكن لدينا أوضح من الشمس، وقد اختلفت حقيقتها في مرأى العين عن حقيقة وجودها الواقعى؟ فكيف لا نصدق غير ماتراه العين، وتؤذن به الحواس؟

وإذا كنا لا نرى الروح فليس معنى ذلك أن الجسم كيان واحد، ولكن معناه أن الرؤية وحدها ليست دليل الإثبات، ولكل إنسان تفكير يقود حركته الجسمية ويحركها أنى شاء، والإرادة وليدة هذا التفكير، وبهذه الروح يستشعر الطفل الصغير معنى الرحمة حين يرى أمه تحنو عليه فيبتسم ضاحكاً، ويستشعر معنى الغضب حين يلمس قسوة توجه إليه من أجنبى فينفجر صارخاً، فالإرادة وحدها تكفى لإثبات وجود العالم الروحانى، وهو عالم يختلف تماماً عن العالم المحسوس، هذه الإرادة ليست خاصة بالإنسان وحده بل تتعداه إلى الحيوان فهو ينطلق أنى شاء، ويجرى ويقف متى أراد ويعانى عقبات يتغلب عليها عن طريق التفكير، فالحيوان حين يصعد إلى شجرة يبحث عن الطريقة الميسرة، وحين تبعد الثمرة عن متناوله، يدور ويقفز حتى يصل إليها، وذلك دليل على وجود روح مستقل له، أما أن الذبذبات الخفية هى التى تسير الإنسان كما يرى الماديون فهراء لاوزن له، إذ لو كانت هذه الذبذبات بديلاً عن الإرادة الإنسانية لتساوى البطل والجبان في النزال لأن الذبذبات الحسية ذات مستوى واحد، ولكن الفارق بين الحجم والمتقدم هو فارق الروح، ومن العجيب أن يكون ذو الجسم المتلئ الضخم جباناً في بعض الأحيان كما يكون النحيل الهزيل مقداماً جريئاً، ولو كانت قوة الذبذبة هى

الدافع إلى الهجوم لاطرد الأمر على سنن واحد وأصبح كل سمين مقداما وكل هزيل هيابة محجما، ولكن الكتلة المادية لا وزن لها، إن الوزن الحقيقى للإرادة الحاسمة وهى وليدة الروح دون مراء.

وإذا كان لنا معتصم حاسم فى هذه القضية فإننا نجده فى التخدير الجسمى لأن المادة المخدرة تؤثر فى الروح ولا تؤثر فى الجسم إذ يتفتت الجسم قطعا قطعا بمبضع الجراح دون أن يحس المريض ألما، لأن التخدير يتخذ سبيله إلى الروح فيدفعها إلى غيبوبة لا تحس معها شيئا، فهى إذن شىء مستقل عن الجسم تماما، والروح من أمر الله فهى غير معلومة بذاتها، لكنها ناهضة بآثارها، وعلى الاعتقاد بازدواجية الروح والجسم، يتم البعث الأخروى حين يقوم الناس لرب العالمين بعد أن تتصل الروح بكيانها الفقيد كحالتها الأولى حين هبطت عليه من المحل الأرفع لأول مرة، إذ تنشق أنفاس الحياة! بل إن أغرب ما سجله المشاهدون فى عمليات التخدير هو أن الروح عند تخديرها لا تكف كثيرا - عن التفكير - فتظل فى عالمها المنفرد تحلم بآمالها، وتخاف من مزعجاتها، والجسم يمزق تمزيقا دون أن تشعر بأدنى ألم، ولو فرض ووقع خطأ ما من طبيب التخدير وانتبه الجريح فجأة لا ستقبل الوعى بصراخ حاد لقسوة ما يرهق جسمه من العناء! وأعود فأقول لقسوة ما يرهق جسمه وحده لأن الروح كانت بمنأى بعيد.

وإذا ثبت أن الروح مع الجسم شيئان مختلفان، فإننا نتساءل هل وجد هذا الكيان البشرى هكذا دون موجد؟ أيعقل أن يتألف الجسم بأجهزته المختلفة من هضمية وتناسلية وتنفسية على وفق هذا النظام الرتيب الدقيق اعتباطا دون أن تكون وراء تأليفه قدرة «قادرة» مدبرة، لندع الإنسان ولننظر إلى اختلاف تركيب الحيوان لنجد الحيوانات المجترة ذات أسنان تقبل الهرس فقط لتمضى المواد إلى أوعيتها على حالة تصلح للاجترار ثانية حينما تبدأ عملية الهضم، وقد دبرت لها أمعاء خاصة تخالف أمعاء الحيوانات الأخرى غير المجترة لتتمكن من امتصاص المواد الغذائية على نحو يتلاءم مع طبيعتها التكوينية، فهل جاء هذا الخلاف فى تركيب الحيوان المجتر وغير المجتر اعتباطا دون تدبير قادر حكيم، كذلك إذا تركنا الحيوان إلى الطائر فإننا نجد تركيب الطائر الجارح من الطيور المفترسة يخالف تركيب غير الجوارح مما لا يأكل اللحم، الطائر الجارح أوتى - عظاما خفيفة مع قوة فى صلابتها، كما أوتى أجنحة واسعة وريشا قويا يسمح له بقوة الطيران وقوة السقوط الفورى على الفريسة، وله منقار دقيق حاد يصلح لتمزيق اللحم، وباصرتان قويتان نافذتان يرى بهما غذاءه على مدى بعيد، ومنه ما يرى فى حلك الظلام كأنه فى نهار ذى ضياء، فإذا نظر الإنسان إلى تركيب النسر كطائر مفترس وتركيب الحمامة كطائر مفترس بفتح الراء أفلا يجد أن القدرة الحكيمة قد يسرت لكل شىء أسبابه! فكيف ينشأ هذا التدبير المحكم دون مدبر، ونقول إن المصادفة وحدها هى التى أبدعت تركيب الحيوان والإنسان

والطائر على أبدع مثال يتاح!! وكأن المصادفة شىء عاقل!!.

وحتى النباتات نفسها! نشاهد فى اختلاف تركيبها ما يدل على الحكمة البالغة إذ سلح كل نبات بما يضمن بقاءه وما يضمن انتفاع آكله فى وقت واحد، وقد وقف علماء التشريح النباتى دهشين أمام ما يرون من المعجزات الباهرة، يقول أحد هؤلاء الأفذاذ:

هناك نباتات لا يمكن إخصابها إلا بواسطة الحشرات، لذلك أبدع الخالق المقتدر فى تركيب زهورها بحيث إن الفراشة أو النحلة إذا سقطت على زهرة منها لا يمكنها أن تدلى بخرطومها إلى باطنها دون أن تتحمل بشىء من طلع أعضاء الذكورة فإذا انتقلت منها إلى زهرة أخرى تحتوى على أعضاء الأنوثة تم التلقيح حين تسقط الخرطوم على مكانه، وقد أودعت هذه الأزهار مادة حلوة عسلية تستلذها الحشرات وتتطلبها بنهم شديد لتتم رسالتها التناسلية، أفيستطيع عاقل أن يقف على ذلك بتدبيره الدقيق وإحكامه البالغ ثم يقول إن ذلك كله قد جاء على سبيل المصادفة دون تدبير؟

إن الاستئناس بقضايا العلم التجريبى قد زعزع الإلحاد، وداهمه فى موضع قوته مداهمة عصفت به، إذ كيف يتسلح الملحد بسلاح العلم ظاهرا وادعاء ثم يواجهه العلم بسلاحه الحقيقى فيصيبه فى أمنع معقل، ثم نرى بعد ذلك عصائب الملحدين يهرفون بما لا يعرفون!

إن الإحصائات الدقيقة فى أكثر أماكن الإلحاد تثبت عن جزم أكيد أن الملحد نصف متعلم فقط أو أقل من النصف، فإذا واصل تعليمه المحايد وأكمل طريقه فى عالم البحث المنصف فإن إلحاده يذوب تلقائيا بروعة ما يرى من الأدلة الحاسمة، والبراهين الناطقة، وإذا وجدنا - بعد ذلك - نفرا من ذوى الإلحاد قد أصروا على إلحادهم فلأنهم لا يزالون فى وسط الطريق، وعليهم أن يكملوا مسيرة البحث الهادف والنظر العلمى لينظروا تصديق قول الله عز وجل:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾

فصلت / ٥٣

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ
مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ
مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ
فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ
وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) ﴾

الآيتان ٢٦، ٢٧

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال القرطبي: قال ابن عباس وأنس بن مالك: «لما فتح رسول الله -ﷺ- مكة، وعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات! من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك، ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم. فأنزل الله هذه الآية.(1)

والأمر بقوله ﴿ قُلِ ﴾ للنبي -ﷺ- ولكل من يتأتى له الخطاب من المؤمنين.

وكلمة ﴿ اللَّهُمَّ ﴾ يرى الخليل وسيبويه أن أصلها يا الله فلما استعملت دون حرف النداء الذى هو «يا» جعلوا هذه الميم المشددة التى فى آخرها عوضا عن حرف النداء، وهذا التعويض من خصائص الاسم الجليل، كما اختص بجواز الجمع فيه بين «يا» و«ال» وبقطع همزته، ودخول تاء القسم عليه.

والمعنى: قل أيها المخاطب على سبيل التعظيم لربك، والشكر له، والتوكل عليه والضراعة إليه، قل: يا الله يا مالك الملك أنت وحدك صاحب السلطان المطلق فى هذا الوجود، بحيث تتصرف فيه كما تشاء، إيجادا وإعداما، وإحياء وإماتة، وتعذيبا وإثابة، من غير أن ينازعك فى ذلك أى منازع.

فكان فى هذه الجملة الكريمة:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾

دعاءين خاشعين:

أما الدعاء الأول فهو بلفظ الجلالة المعبر عنه بقوله: ﴿ اللَّهُمَّ ﴾ أى يا الله، وفى هذا النداء كل معانى العبودية والتنزيه والتقديس والخضوع.

وأما الدعاء الثانى فهو المعبر عنه بقوله ﴿ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾ أى يا مالك الملك، وفى هذا النداء كل معانى الإحساس بالربوبية، والضعف أمام قدرة الله وسلطانه.

فقوله ﴿ مَالِكَ ﴾ منصوب بحرف النداء المحذوف. كما فى قوله:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

الزمر / ٤٦

أى يا فاطر السموات والأرض.

ثم فصل -سبحانه- بعض مظاهر خلقه التى تدل على أنه هو مالك الملك على الحقيقة فقال -تعالى-:

﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ
وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾

(1) تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٥٢.

أى أنت وحدك الذى تعطى الملك من تشاء إعطاءه من عبادك، وتنزعه ممن تشاء، نزعه منهم، فأنت المتصرف فى شئون خلقك لا راد لقضائك ولا معقب لحكمك.

وعبر بالإيتاء الذى هو مجرد الإعطاء دون التمليك المؤذن بثبوت المالكية، للتنبيه على أن المالكية على الحقيقة إنما هى مخصصة بالله رب العالمين، أما ما يعطيه لغيره من ملك فهو عارية مستردة، وهو شىء زائل لا يدوم.

والتعبير عن إزالة الملك بقوله:

﴿ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾

يشعر بأنه -سبحانه- فى قدرته أن يسلب هذا العطاء من أى مخلوق مهما بلغت سعة ملكه، ومهما اشتدت قوته، وذلك لأن لفظ النزع يدل على أن المنزوع منه الشىء كان متمسكا به، فسلبه الله منه بمقتضى قدرته وحكمته.

والمراد بالملك هنا السلطان، وقيل النبوة، وقيل غير ذلك.

قال الفخر الرازى: وقوله:

﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾

محمول على جميع أنواع الملك فيدخل فيه ملك النبوة، وملك العقل، والصحة، والأخلاق الحسنة، وملك النفاذ والقدرة، وملك المحبة، وملك الأموال، وذلك لأن اللفظ عام فالتخصيص من غير دليل لا يجوز»[2].

ومفعول المشيئة فى الجملتين محذوف أى: تؤتى الملك من تشاء إيتاءه وتنزعه ممن تشاء نزعه منه.

أما الأمر الثانى الذى يدل على أنه -سبحانه- هو مالك الملك على الحقيقة فهو قوله:

﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾

العزة -كما يقول الراغب- حالة مانعة للإنسان من أن يغلب، من قولهم: أرض عزاز: أى صلبة، وتعزز اللحم: اشتد وعز كأنه حصل فى عزاز يصعب الوصول إليه.. والعزيز الذى يقهر ولا يغلب.

وتذل، من الذل، وهو ما كان عن قهر، يقال: ذل يذل ذلا إذا قهر وغلب[2] والعزة صفة نفسية يحس بها المؤمن الصادق فى إيمانه، لأنه يشعر دائما بأنه عبدالله وحده، وليس عبدا

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ٨ ص٧ طبعة عبدالرحمن محمد.

(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهانى ص١٨١، ٢٣٢.

لأحد سواه، قال -تعالى-:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

المنافقون: ٨

فالمؤمنون الصادقون أعزاء ولو كانوا فى المال والجاه فقراء. أما الكافرون فهم أذلاء، لأنهم خضعوا لغير الله الواحد القهار.

والمعنى: أنت يا الله يا مالك الملك، أنت وحدك الذى تؤتى الملك لمن تشاء أن تؤتيه له، وتنزعه ممن تريد نزعه منه، وأنت وحدك الذى تعز من تشاء إعزازه بالنصر والتوفيق، وتذل من تشاء إذلاله بالهزيمة والخذلان، ثم ختم -سبحانه- الآية بهذا التسليم المطلق من المؤمنين لذاته فقال -تعالى-:

﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

أى أنت وحدك الذى تملك الخير كله، وتتصرف فيه حسب إرادتك ومشيئتك، لأنك على كل شىء قدير.

وأل فى الخير للاستغراق الشامل، إذ كل خير فهو بيده -سبحانه- وقدرته، وتقديم الجار والمجرور ﴿ بِيَدِكَ ﴾ لإفادة الاختصاص، أى بيدك وحدك على

الحقيقة لا بيد غيرك، وجملة «إنك على كل شىء قدير» تعليلية.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: «كيف قال ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ فذكر الخير دون الشر؟ قلت: لأن الكلام إنما وقع فى الخير الذى يسوقه إلى المؤمنين وهو الذى أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير، تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك، ولأن أفعال الله -تعالى- من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه»[1].

ثم ذكر -سبحانه- مظهرا حسيا من مظاهر قدرته الباهرة فقال:

﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾

الولوج فى الأصل: الدخول، والإيلاج الإدخال. يقال: ولج فلان منزله إذا دخله، فهو يلجه ولجا ولوجا. وأولجته أنا إذا أدخلته، ثم استعير لزيادة زمان النهار فى الليل وعكسه بحسب المطالع والمغارب.

أى أنت يا الله يا مالك الملك. أنت الذى بقدرتك تدخل طائفة من الليل فى النهار فيقصر الليل ويزيد النهار وتدخل طائفة من النهار فى الليل فيقصر النهار ويزيد الليل، وأنت وحدك

(١) راجع تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٥٠

الذى بقدرتك أن تجعلهما متعاقبين بأن تأتى بالليل رويدا رويدا فى أعقاب النهار، وتأتى بالنهار شيئا فشيئا فى أعقاب الليل. وفى كل ذلك دليل على سعة قدرتك، وواسع رحمتك، وتذكير واعتبار لأولى الألباب.

ثم ذكر -سبحانه- مظهرا حسيا آخر من مظاهر قدرته فقال:

﴿ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾

قال الفخر الرازى: ذكر المفسرون فيه وجوها.

أحدهما: يخرج المؤمن من الكافر كإبراهيم من آزر والكافر من المؤمن مثل كنعان من نوح.

والثانى: يخرج الحيوان -وهو حى- من النطفة -وهى ميتة-، والدجاجة -وهى حية- من البيضة أو العكس.

والثالث: يخرج السنبلة من الحبة وبالعكس والنخلة من النواة وبالعكس؛ ثم قال: والكلمة محتملة للكل: أما الكفر والإيمان فقال -تعالى-:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾

[الأنعام/ ١٢٢]

يريد كان كافرا فهديناه، فجعل الكفر موتا والإيمان حياة، وسمى إخراج النبات من الأرض إحياء وجعل ما قبل ذلك ميتة فقال:

﴿ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

الحديد - ١٧

وقال:

﴿ فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾

(فاطر/ ٩)

وقال:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[5]

البقرة: ٢٨

وفى الحق: إن المتدبر فى هذا الكون وما يعترى سكانه من موت وحياة ليشهد ويذعن بأن لهذا الكون خالقا قادرا هو الله الواحد القهار.

ثم ختم -سبحانه- مظاهر قدرته ورحمته بقوله:

﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

والرزق -كما يقول الراغب- يقال للعطاء الجارى تارة دنيويا كان أو أخرويا، وللنصيب

(٥) تفسير الفخر الرازى جـ ٨ ص ١٠، بتصرف يسير.

تارة، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة أخرى يقال: أعطى السلطان رزق الجند، ورزقت علما، قال -تعالى-:

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾

المنافقون/ ١٠

أى: من المال والجاه والعلم»[6].

أى أنت يا الله يا مالك الملك، أنت وحدك الذى ترزق من تشاء أن ترزقه بغير حساب، أى رزقا واسعا عظيما لأنك أنت صاحب الجود والكرم، ولأنك ليس معك شريك فيحاسبك، بل أنت المعطى بدون حساب، وبدون محاسبة من تعطيه، ولأن خزائن ملكك لا ينقصها العطاء مهما كثر.

ومن كانت هذه صفاته، وتلك بعض مظاهر قدرته: من إيتاء الملك لمن يشاء ونزعه ممن يشاء وإيلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل، وإخراج الحى من الميت والميت من الحى، كان من حقه أن يفرد بالعبادة والخضوع

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

الأعراف: ٥٤

قال ابن كثير: روى الطبرانى عن ابن عباس عن النبى -ﷺ- أنه قال: «اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى هذه الآية:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[7]

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين قد وصفتا الخالق -عز وجل- بما هو أهله، من قدرة تامة وسلطان نافذ، ورحمة واسعة، وهذا الوصف من شأنه أن يحمل كل عاقل على إخلاص العبادة له -سبحانه- وعلى الاستجابة لكل ما أمر به أو نهى عنه رغبة فى ثوابه، ورهبة من عقابه.

***

(٦) مفردات القرآن للراغب الأصفهانى ص ١٩٤.

(٧) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٣٢.



من فضائل شهر شعبان

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

عن أسامة بن زيد قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم فى شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى ربِّ العالمين فأحبُّ أن يرفع عملى وأنا صائم». أخرجه النسائىّ وأبو داود، وصححه ابن خزيمة.

التعريف براوى الحديث:

هو أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله - ﷺ -، وهو حبه، وابن حبه؛ لقوله - ﷺ -: «إن أسامة لأحبّ الناس إلىّ، (أو من أحب الناس إلىّ)، وإنى لأرجو أن يكون من صالحيكم، فاستوصوا به خيراً»(1).. وقد ورد فى كتاب «أسد الغابة» أنّ عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فرض لابنه عبد الله ألفين من العطاء، ولأسامة خمسة آلاف، فقال له فى ذلك عبد الله، فقال عمر: فضلته لأنه كان أحب إلى رسول الله - ﷺ - منك، وكان أبوه أحب إليه من أبيك.. وأمه هى بركة الحبشية أم أيمن، مولاة رسول الله - ﷺ -، وحاضنته، فأيمن أخو أسامة لأمه، وأمَّر - ﷺ - أسامة على جيش فيه عمر بن الخطاب، وأمره بالمسير إلى الشام، فلما اشتد المرض بالنبىّ - ﷺ - أوصى أن يسير جيش أسامة، فساروا بعد موته.

روى له عن رسول الله - ﷺ - مائة وثمانية وعشرون حديثاً، أخرج له منها فى الصحيحين سبعة عشر حديثاً، اتفقا منها على خمسة عشر، وانفرد البخارىّ بحديثين.. توفى - رضى الله عنه - فى سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة ثمان، وقيل سنة تسع وخمسين - رضى الله عنه وعن والديه -.

معانى بعض الكلمات:

لم أرك تصوم من شهر من الشهور: لم أعلم أنك تصوم صيام استحباب وتطوع.. ما تصوم من شعبان: أى بالقدر الذى تصومه من شعبان.

ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، أى: أنه شهر يغفل الناس عن صيامه تطوعاً، لوقوعه بين شهرين عظيمين؛ شهر رجب «الشهر الحرام»، وشهر رمضان «شهر الصيام والقيام والقرآن»، حتى أنّ بعض الناس يفضلون صيام شهر رجب على صيام شهر شعبان، لأن رجب شهر الله الحرام، وهم يخطئون فى ذلك.

وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى ربّ العالمين فأحبّ أن يرفع عملى وأنا صائم ويفيدنا ذلك أن النبىّ - ﷺ - كان حريصاً على أن يرفع عمله إلى ربه وهو فى حالة من الطاعة والعبادة والصيام، وكان حاله - ﷺ - كما أنشد الشاعر:

أنت فى دار شتات
فتأهب لشتاتك
واجعل الدنيا كيوم
صمته عن شهواتك
وليكن فطرك عند
الله فى يوم وفاتك

الشرح والبيان:

إنّ الغاية التى من أجلها خلق الله الإنسان، واستخلفه فى الأرض، وسخر الكون كله له -

(1) تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ٢/٢٩٦

هى عبادة الله وحده، قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[الذاريات - ٥٦]

وثمرة العبادة الطاعة لله - عز وجل -، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، قال تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[النساء : ١٣]

هذا ولقد اختار الحق - سبحانه - من كلّ جنس أطيبه وأطهره وأزكاه، ونسبه إلى نفسه واختصه، وارتضاه، فهو - سبحانه - طيّب لا يحبّ إلا الطيّب، ولا يقبل من القول والعمل إلا ما كان طيّبا، فوجب على العبد أن يتخيّر الطيّب من الأقوال والأعمال والأخلاق، وهى ما اجتمع على حسنها الفطر السليمة، مع الشرائع النبوية العظيمة، وزكتها العقول الصحيحة، فاتفق على حسنها العقل والشرع والفطرة.

وإنّ أسمى الأعمال الطيّبة هى عبادة الله وحده، والإخلاص له فى السّر والعلن، وإيثار رضاه وطاعته، وطاعته ماثلة فى طاعتنا للرسول الكريم - ﷺ -:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾

[النساء : ٨٠]

وحبّه ماثل فى حبّنا له:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾

[آل عمران : ٣١]

ومن ثمّ كان ضرورياً أن يعرف الناس الرسول الكريم - ﷺ - فى كلّ أموره، حتى يقتدوا به:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

[الأحزاب : ٢١]

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

[الحشر : ٧]

إذا لا يعرف الطيّب من الخبيث، ولا الحلال من الحرام - إلاّ من جهة رسول الله - ﷺ - ولا ينال العبد رضا الله إلا من جهة رسول الله فمعرفة هديه طريق النجاح، والإلمام بسيرته والتمسك بسُنته سفينة النجاة.

ومن هديه - ﷺ - أنه كان يصوم من شهر شعبان أكثر ما يصوم من غيره فى غير شهر رمضان؛ لماله من قدسية وميزات تميز بها على غيره من الشهور؛ لذلك خلعت يد الكريم الوهّاب على شهر شعبان حلّة فضل جعلته أثيراً بين الشهور، ومن هذه الميزات حديث أسامة بن زيد - رضى الله عنهما -... وقد كشف رواة الحديث فى معرض صيام رسول الله - ﷺ - شعبان سراً آخر، وهو أنه تنسخ فيه الآجال، قالت عائشة - رضى الله عنها - «كان أكثر صيام رسول الله - ﷺ - فى شعبان، فقلت: يا رسول الله، أرى أكثر صيامك فى شعبان، قال: «إنّ هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت من يقبض، فأنا لا أحبّ أن ينسخ اسمى إلا وأنا صائم»،. ويؤيده حديث عائشة أيضا عند أبى يعلى: «إن الله يكتب كل نفس ميتة تلك السنة، فأحبّ أن يأتينى أجلى وأنا صائم»[٢].

ولا يدلّ على حرص النبى - ﷺ - على الإكثار من صيام التطوّع فى شهر شعبان - ما رواه البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: «كان رسول الله - ﷺ - يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله - ﷺ - استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه فى شعبان».

وكذا ما رواه بسنده أن عائشة - رضى الله عنها - حدثت أبا سلمة - رضى الله عنه - قالت: «لم يكن النبىّ - ﷺ - يصوم شهراً أكثر من شعبان، وكان يصوم شعبان كله، وكان يقول: خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وأحبُّ الصلاة إلى النبى - ﷺ - ما دووم عليه وإن قلّتْ، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها».

من هذه الأحاديث الشريفة وغيرها يتضح لنا ما كان يسدله رسول الله - ﷺ - من ضروب التكريم والتعظيم لهذا الشهر الكريم إلى جوار صيام قد يستغرق معظم الشهر إن لم يكن كله، وهو - ﷺ - أعظم من يزن - بميزان حكمته - أقدار الشهور، ويكشف - بنور بصيرته - الأمور، كما كان - ﷺ - يكثر فيه من الصلاة والصدقة وقراءة القرآن، وسائر أنواع العبادات والطاعات.. وقد اقتدى به - ﷺ - أصحابه - رضوان الله عليهم -، فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: «كان المسلمون إذا دخل شعبان أقبلوا على المصاحف فقرءوها، وأخرجوا زكاة أموالهم تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان».

والمأمول دائماً أبداً أن يعبدوا الله على صواب فى كلّ زمان ومكان، وأن تكون العبادة خالصة لله، وأن يُقبل المسلمون على الاتصال بالله فى كلّ مناسبة، فهو ربُهم وهم عباده، ومن اتصل بالله وصله الله، ومن رغب عنه فلن يضرّ الله شيئا، والله ولىّ المؤمنين.

هذا وشهر شعبان حافل بالأمجاد الإسلامية، والأحداث ذات الأهمّية، وفى مقدمتها تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وقد وقع ذلك على أرجح الأقوال - فى منتصف شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة، وقصّة تحويل القبلة تتصل اتصالاً وثيقاً بأصول الإسلام ومبادئه، وتشير إلى سياسة الإسلام الحكيمة فى قيادة الأمم، وسياسة الشعوب، ودعوتها الجميع إلى الاقتناع بهذا الدين، والإيمان به.. فقد

(٢) فتح البارى ٤/٢١٥.

- أن وجهه فى صلاته إلى بيت المقدس بمن معه من المسلمين ؛ لأن المسلمين إذا اتجهوا فترة من الزمن إلى المسجد الأقصى الذى يتجه إليه اليهود والنصارى كان هذا متفرعا عن الأصل الكبير الذى ينتسب إليه المسلمون والكتابيون جميعاً، وهو إبراهيم - عليه السلام - فهو والد إسماعيل - عليه السلام - جد العرب، كما أنه والد إسحاق - عليه السلام - جد بنى إسرائيل جميعا، فكان مما اختص الله به رسوله محمدا - ﷺ - وأمته أن الله جمع له بين القبلتين، ولعل السبب فى تحويل القبلة يرجع إلى أن رسول الله - ﷺ - كان يكثر الابتهال والدعاء إلى الله تعالى راجيا أن يوجهه إلى الكعبة المشرفة التى هى قبلة أبيه إبراهيم - عليه السلام - فأجيب إلى ذلك، ووجهه الله إلى البيت الحرام، القبلة التى يهواها ويرضاها ؛ لأن التوجه إليها أدعى إلى إيمان العرب، ودخولهم فى الدين الجديد؛ لأنها رمز مجدهم، ومناط عزهم وفخرهم، وفى هذا يقول رب العالمين - سبحانه -:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

[البقرة: ١٤٤]

وتتجلى فى هذه الآية حكمة تحويل القبلة فالمسلمون حين توجهوا إلى المسجد الأقصى

فرضت الصلاة بمكة المكرمة ليلة الإسراء والمعراج، وأمر الله - عز وجل - نبيه أن يتجه إلى بيت المقدس فى صلاته، وظل الحال على ذلك حتى بعد أن هاجر إلى المدينة بستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وقد كان أنبياء بنى إسرائيل يصلون إليه، وكانت صخرة المسجد الأقصى المعروفة قبلتهم، وهذا التوجه إلى بيت المقدس أيضا سياسة إسلامية رشيدة تحقق مبدأ إسلامياً عظيماً ؛ إذ الإسلام يفرض على أتباعه أن يؤمنوا بكل رسول سبق، وأن يصدقوا كل كتاب نزل، قال تعالى:

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

[البقرة: ٢٨٥]

فالأنبياء جميعاً بناة صرح واحد، ورسول الله محمد - ﷺ - هو واضع لبنة الإكمال والإتمام لصرح الرسالات السماوية، وفى هذا المعنى يقول - عليه الصلاة والسلام -: «مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فى زاوية، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون: لولا موضع اللبنة ! فأنا اللبنة، وجئت فختمت الأنبياء»[٢].

وكان من توفيق الله لرسوله الكريم - ﷺ

(٢) مسلم ص ١٧٩٠ حديث رقم ٢٢٨٧

قبلة اليهود والنصارى بالمدينة إنما كان ذلك بمثابة دعوة منهم لأهل الكتاب ليشاركوا فى هذا الميراث الروحى الذى هو قسمة بينهم جميعا، فلما أبوا أن يفيئوا إلى الإسلام، ويشاركوا فى هذه الوراثة تحول المسلمون إلى الكعبة المشرفة ؛ لأن الذى بناها إبراهيم - عليه السلام - ؛ وهم ورثته من بعده، ورثوا عهد الله وفضله ؛ ورثوا النبوة والرسالة، فمن حقهم أن يرثوا البيت الذى بناه، وأن يتخذوه قبلة لهم.

وقد ورد فى قصة تحويل القبلة أن النبى - ﷺ - ذهب يزور أم بشر بن البداء بن معرور ؛ ليعزيها فى وفاة ابنها بشر، فصنعت له طعاما، وكان وقت الظهر قد حان، فصلى - عليه الصلاة والسلام - بمن حضر من أصحابه ركعتين، ثم أمر باستقبال الكعبة فى ركوع الثالثة، فاستداروا إلى الكعبة ؛ بأن تحول الإمام من مكانه إلى المؤخرة، ثم تحول الرجال حتى صاروا خلفه، وتحولت النساء حتى صرن خلف الرجال، ومن ثم سمى هذا المسجد «مسجد القبلتين»، فخرج رجل هو عباد بن بشر ممن كان قد صلى مع النبى - ﷺ - فمر على أهل مسجد وهم راكعون فى صلاة العصر، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبى - ﷺ - قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وأما أهل قباء فلم يبلغهم خبر التحويل إلا فى صلاة الفجر فى اليوم التالى، فاستداروا إلى الكعبة..

وحين علم اليهود بأمر التحويل دفعتهم السفاهة فى الرأى، والسطحية فى الحكم إلى أن يقولوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، ولو كان نبيا لصلى إلى قبلتهم، كما دفعهم ذلك إلى التساؤل: «ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها»؟!.

أما المنافقون فقالوا: ما يدرى محمد - ﷺ - أين يتوجه، إن كانت الأولى حقاً فقد تركها، وإن كانت الثانية هى الحق فقد كان على باطل... فكانت عملية التحويل محنة امتحن الله بها عباده ؛ ليرى من يتبع الرسول - ﷺ - منهم ممن ينقلب على عقبيه، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾

[البقرة: ١٤٢، ١٤٣]

أى: صلاتكم إلى بيت المقدس.

أما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، لكن المسلمين قالوا: سمعنا وأطعنا، كل من عند ربنا، فالجهات كلها، والأزمنة كلها، والأمكنة كلها مخلوقة مملوكة لله - سبحانه - فكل مكان أراده مصلى، وكل متجه أمر بالتوجه إليه قبلة:

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[البقرة / ١٤٢]

كما احتفظ تاريخ الإسلام لشهر شعبان بأنّ فيه تزوج رسول الله - ﷺ - من جويرية بنت الحارث - رضى الله عنها -، فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة - عليها الرضوان - قالت: لما قسم - ﷺ - سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية فى سهم لثابت بن قيس أو لابن عمٍّ له، فكاتبته على نفسها، فأتت رسول الله - ﷺ - تستعينه فى كتابتها، قالت: فوالله ما هو أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيّد قومه، وقد أصابنى من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس الشماس - أو لابن عمٍّ له - فكاتبته على نفسى، فجئتك أستعينك على كتابتى.

قال: «فهل لك فى خير من ذلك؟»، قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضى عنك كتابك وأتزوجك؛ قالت: نعم يا رسول الله، قد فعلت.

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن الرسول - ﷺ - قد تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله - ﷺ -: فأرسلوا ما بأيديهم، قالت عائشة: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها، وجاء الحارث بن أبى ضرار بعد الواقعة - بفداء ابنته إلى المدينة، فدعا النبىَّ - ﷺ - إلى الإسلام، فأسلم.

ولقد كان زواج رسول الله - ﷺ - من جويرية بنت الحارث له أبعاده، وتحققت تلك الأبعاد بإسلام قومها، فقد كان زواجه منها من أهدافه الأمل فى إسلام قومها، وبذلك يكثر سواد المسلمين، ويعزّ الإسلام، وقد تحقق هذا الأمل، حيث أسلمت القبيلة كلها بإسلام جويرية، وإسلام أبيها الحارث، وعاد هذا الزواج على المسلمين بالبركة والقوة، والدعم المادىّ والأدبىّ، كما أصبحت به جويرية بنت الحارث زوجة لسيد المرسلين، وأما للمؤمنين تحبّ الله ورسوله، وتحبّ الخير للمسلمين.

وأخيراً... فإن شعبان وربّ شعبان يطلب إلينا أن نكون من المتفقهين فى ديننا المتحققين من صحة عباداتنا، فقد قال - عليه الصلاة والسلام -: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين، ويلهمه رشده»[٤].

وفقنا الله جميعاً للعمل بقول نبيه والاقتداء بفعله، والتمسك بسنته، وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه آمين

(٤) موطأ مالك ٢/ ٩٠٠.

خطبة الجمعة:

شعبان وتحويل القبلة[١]

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل. هو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، أشهد أن لا إله إلا الله، كل شىء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، خير من تعبد وتهجد، وأفضل من استجاب وأناب، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الأعراف: ١٢٨

[illegible] اتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

[illegible] أجمل أن نعود إلى الحديث عن شهر شعبان، فذكرياته كثيرة وعبره غزيرة، ومن أكبر ذكرياته وأخلدها تحويل القبلة فيه من بيت المقدس إلى الكعبة الحرام، فقد وقع ذلك يوم الاثنين نصف شعبان، بعد نحو سنتين من الهجرة، وقد يسارع متعجل فيقول: إن الإسلام دين التوحيد والتجريد، فلماذا شرع الاتجاه فى الصلاة إلى بناء كالكعبة أو المسجد الأقصى؟ وهل معنى ذلك تعظيم ينطوى على معنى العبادة لهذا البناء أو ذلك؟. والجواب عن ذلك أن الله جل جلاله هو المعبود وحده وهو المقصود [illegible] سواه بكل عبادة أو تقديس:

(١) [illegible] سنة ١٩٧٨م.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾

الأنعام ١٦٢ : ١٦٣

والاتجاه إلى الكعبة ليس تعظيما عباديا لها على الإطلاق، وإنما هو وسيلة لجمع صفوف الملايين من المصلين على وجهة حسية واحدة، ليكون من ورائها جمع على وجهة اعتقادية واحدة، فالقبلة فى الأرض ما هى إلا رمز تلتقى عنده الأبصار لترتقى من حوله العقول والبصائر، موحدة ممجدة لله جل جلاله، الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير، وتزداد إيمانا بالله الذى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير. وإذا كنا نؤمن بأن الله تعالى يقول:

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

البقرة: ١١٥

فيجب علينا أن نتذكر أنه لو اتجه كل مسلم فى صلاته إلى جهة يريدها ويهواها لظهر المسلمون فى صورة المتفرقين والمختلفين، ويا له من موقف مضحك أو مؤسف حين تقام صلاة جمعة أو جماعة مثلا، فنرى كل شىء فيها وقد ولى وجهه إلى ناحية يرتضيها، والله جل جلاله يريد عباده هؤلاء وجهة واحدة، وبدأ واحدة، وخطة واحدة، وهو الذى قال لهم:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

آل عمران: ١٠٣

ورسوله هو الذى قال لهم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(٢) تخريج.

كما أن عماد الصلاة هو حضور القلب فيها، وهذا الحضور القلبى لا يتيسر إلا مع السكون وقطع الحركة، حتى لا يشغل الإنسان شاغل حسى، وهذا السكون لا يتحقق إلا إذا ظل الإنسان فى صلاته مستقبلا لجهة معينة واحدة، ومن أجل هذا لم يرخص الإسلام للإنسان الحركة التى تخرجه عن معنى السكون والخشوع فى الصلاة والإقبال على الله، وكان الحق جل جلاله يقول لكل مسلم مصل قانت: أنت عبدى، والكعبة بيتى، والصلاة تحيتى، فاتجه نحو بيتى، وأظهر عبوديتك لعظمتى، واتجه بقلبك ومشاعرك إلى توحيدى وتمجيدى، فأنا الذى خلقت فأوسعت، وأنا الذى اخترت وخصصت، وأنا الذى حددت الوجهة وعينت، فأطعنى بمادتك وجسك، ثم تجرد لى فى قلبك ونفسك، فأنا الذى أقول:

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

طه: ١٤

والقول

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾

البقرة: ٢٣٨

وهكذا أمر الله عز وجل نبيه بالاتجاه إلى بيت المقدس فى الصلاة، ليكون ذلك اختبارا وتمحيصا:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾

البقرة: ١٤٣

وما كاد محمد عليه الصلوات والتسليمات والبركات والرحمات، ما كاد يؤمر بهذا حتى خضع وخشع، واستجاب وأناب، مع أنه كان يحب فى نفسه أن يكون توجهه إلى الكعبة، فعندها وطنه وسكنه، ولديها ما لديها من ذكريات ونجويات، ولكن الله جل جلاله هو الذى أمر فيجب أن يطاع، وما خطر ببال رسول الله يوما أو لحظة أن يعصى خالقه، أو يخالف عن إرادته، ومع ذلك كان ينظر فى السماء هنا وهناك، وكأنه يتجه إلى بديع السموات والأرض يكاد يفرج عن حاجة فى نفسه ولكنه لا يستطيع إظهارها؛ لأن مشيئة الله فوق الجميع، وما تشاءون إلا أن يشاء الله، وقد صور القرآن الكريم هذه الحالة خير تصوير حين قال:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

البقرة: ١٤٤

وتمت إرادة الحكيم العليم، وتحولت القبلة إلى الكعبة فى مكة المكرمة لتكون وجهة النبى فى صلاته، ووجهة جميع المسلمين على مر الدهور والعصور، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهناك أكثر من حكمة أو سبب لهذا الاختيار، فالكعبة فى وسط العالم، وكأنها مركز الدائرة منه، حتى قيل إن الكعبة سرة الأرض، وكانت هذه إشارة إلى التوسط المحقق للعدل، ولعل هذا هو بعض السر فى أن الله تعالى قد قال وهو يتحدث عن تحويل القبلة إلى الكعبة:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

البقرة: ١٤٣

والكعبة هى التى بناها إبراهيم مع ولده إسماعيل، وإبراهيم هو أبو الأنبياء وخليل الرحمن وولده جد نبينا محمد عليه وعليهما أفضل الصلاة والسلام، وبناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة كان ميلاد أمة العرب وقيام مجمع العرب، فقد كانت الكعبة أولا، ثم توالى من حولها البنيان والعمران فتكونت الأمة التى حملت مشعل الإيمان، والكعبة كان إلى جوارها مولد صفى

الله ونجيه، وحبيبه وخيرته من خلقه محمد عليه الصلاة والسلام، ففى الاتجاه إلى هذا الموطن عند الصلاة تذكر لمولد الهدى والنور الذى أرسله ربه رحمة للعالمين، وما بكثير على فضل الله الواسع أن يكرم نبيه بما يشاء، وأن يحقق له ما يرضاه، وقد أشار قرآنه جل جلاله إلى أنه قد حقق لنبيه ما يرضاه فى الدنيا حيث قال له:

﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾

(البقرة/ ١٤٤)

وإلى أنه سيحقق له ما يرضاه فى الآخرة حيث قال له:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾

الضحى: ٥

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

لله الأمر من قبل ومن بعد، وقد شاءت إرادته، واقتضت حكمته أن يجمع أمة الإسلام وأمة الإيمان على قبلة واحدة:

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

البقرة: ١٥٠

وهذا الجمع لا يراد منه المظهر الحسى فقط، بل يراد منه ما هو أجل وأعظم، وهو تلاقى النفوس والهمم والعزائم على طريق الحق وكلمة الصدق:

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾

البقرة: ١٣٨

واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

***

واجب الأمة فى معترك الحياة

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن واجب أمتنا الإسلامية، أن يسعى بذمتهم أدناهم وأن يكونوا يدا على من سواهم من الأعداء الذين يسيمون الأقليات سوء العذاب، والذين يعيشون اليوم فى التكتلات الكبرى، والكيانات الهائلة.. وكان على أمتنا أن تستجيب للدعوة الإلهية لهم بأن يعتصموا بحبل الله جميعا وألا يتفرقوا، وبأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

لقد أمر الله - تعالى - بالاعتصام بدينه وكتابه وعهده ونهى عن التفرق بعد الأمر بالاعتصام، ليوضح أنهم إن حققوا اجتماعهم وتوحدوا بكتاب الله وعهده فهم فى أمان من التنازع والفرقة، وهم فى أمان من التنازع والفتن ما ظهر منها وما بطن، أما إذا لم يعتصموا بحبل الله أو تهاونوا فى أمر دينهم فسيختلفون ويتفرقون

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

(آل عمران/ ١٠٣)

وحذر من التفرق ومن سببه وهو التنازع فقال سبحانه

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

(الأنفال/ ٤٦)

ووجه القرآن الكريم الأمة الإسلامية إلى التعاون فى إطار ما حدده الله تعالى وهو إطار البر والتقوى

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

(المائدة/ ٢)

وإنما نهى عن التعاون على الإثم والعدوان بعد أن أمر بالتعاون على البر والتقوى، لأن نعرة العصبية كانت تحرك بعض النفوس ومازلنا للتعاون على الإثم والعدوان، فكانوا فى جاهليتهم لهم أحلافهم فى الباطل، وكانت أخلاق الحق نادرة فيهم، ومن أجل هذا حدد القرآن الكريم إطار التعاون بأن يكون على البر والتقوى.

وكما حدد الإسلام إطار تعاون الأمة، فإنه وضح ماهية هذا التعاون ومضمونه، فجعله شعبتين، أو مجالين:

الأول: المجال المادى: الذى يتم التعاون فيه ماديا وحسيا بإغاثة الملهوف، وتفريج كربة المكروب، وإطعام الجائع وتأمين الخائف وإنشاء المصالح العامة والخيرية فى الأمة وبالتواصل بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب، وبالتكامل الاقتصادى، ومد يد العون والمساعدة وبالإيثار الذى ضرب الأنصار به أروع الأمثلة مع إخوانهم المهاجرين

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

(الحشر/٩)

ووضح الرسول ﷺ أن الجزاء من جنس العمل عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه»[1] ففى هذا البيان النبوى إيضاح للجزاء المترتب على بذل الخير للغير، وأن الله يكافىء عليه من جنسه فى الدنيا وفى الآخرة.

وفى بيان صنائع المعروف، التى تقى مصارع السوء ما استدلت به السيدة خديجة - رضى الله عنها - على أن الله لا يخزى رسوله ﷺ حين قالت: «كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق».

الثانى: المجال المعنوى وهو نوعان:

- نوع يتعلق بالتوجيه والتعليم والتربية وهذا الواجب يقوم بها الأكفاء من العلماء كل فى مجال تخصصه مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل/٤٣)

ويتصدى القائمون بهذا الواجب إلى رد الشبهات التى يثيرها أعداء الإسلام، أو سماسرة الغزو الثقافى الذين يحاولون النيل من الإسلام أو تحريف الكلم عن مواضعه أو إنكار سنة سيد الخلق عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.. وقد قيض الله - تعالى - رجالا أمناء، وعلماء ثقات نافحوا عن الإسلام وما يزالون ينافحون، ودافعوا عن السنة النبوية المطهرة، إنهم عدول هذا الدين وعدول علم الحديث النبوى ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

وإلى جانب هذا الفريق القائم بالدعوة والإرشاد والتعليم والتوجيه والدفاع عن الدين وعن السنة النبوية المطهرة إلى جانب هذا يقوم النوع الثانى: الذى يستقل هذا الهدى الربانى والتوجيه الإلهى والنبوى الذى جاء العلماء، فيقومون برعايته، ويعلمه وتعليمه ونشره بين الخلائق أجمعين، وفى هؤلاء وأولئك يصدق الحديث الشريف الذى دعا فيه رسول الله ﷺ بالنضرة ونور الوجه لمن سمع مقالته فوعاها وقام بتبليغها ونشرها، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع» يقول سفيان - رضى الله عنه: ما من أهل الحديث أحد إلا وفى وجهه نضرة بفضل دعوة الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

إن واجب أمتنا فى معترك الحياة أن تتوحد وأن تتعاون إيجابيا بالتواصل والتكامل وأن تتعاون على درء الأخطار وتحديات الأعداء والأشرار، الذين يحاولون النيل من أشرف تراث فى الوجود.

لقد عجزوا عن تحريف القرآن الكريم، لأن الله - سبحانه وتعالى - قد تكفل بحفظه كما قال سبحانه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر/٩)

فلجأوا إلى محاولة إنكار السنة وبيان عدم الحاجة إليها، وهى محاولة يائسة لن ينالوا من ورائها إلا خيبة الأمل والخسران المبين.

فإن الله - تعالى - الذى تكفل بحفظ القرآن تكفل أيضا بحفظ الصحيح من الحديث ليكون بيانا للقرآن الكريم.

وفى سبيل ذلك نهض العلماء الأجلاء، والأئمة الفضلاء فحفظوه ونشروه، وبلغوه إلى كل الناس فى كل الأرض قال الله - تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾

(القيامة/ ١٧، ١٨)

وإن حفظ المبين وهو القرآن الكريم يستلزم حفظ البيان المتمثل فى السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام.

إن واجب الأمة أن تحرص على تراثها وعلى تلك الثوابت التى تمثل مجدها ودينها وحضارتها وأغلى ما تملكه، ومحاولة تجريح هذا التراث أو زعزعة الثقة به أو التشكيك فيه محاولة وراءها ما وراءها من الدفع المادى الظالم، وحرب الكلام والنشر فى العديد من الوسائل التى لا تراقب ربها، ولا يهمها أن هى عكرت صفو أمتنا، فإنها بهذا السلوك تحارب الله ورسوله، لأن طاعة الرسول ﷺ هى طاعة الله تعالى قال الحق جل شأنه:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾

(النساء/ ٨٠)

(١) أخرجه أبو داود

المجتمع الإسلامى تعبير عن قيم الإسلام الإنسانية

للدكتور/ عبد الحليم عويس

● المجتمع الإسلامى هو المحاولة البشرية لتطبيق الإسلام على الأرض، فى حدود ما يطيقه البشر.

- وتطبيق الإسلام يمتد عبر كل المساحات، من الفرد رجلا كان أو امرأة، إلى الأسرة، إلى المؤسسات إلى الدولة والأمة كلها..

● ولا توجد فى التصور الإسلامى حواجز حقيقية بين الفرد والمجتمع، فإن الفرد يحس بأنه مسئول مسئولية مباشرة عن المجتمع، والمجتمع أيضا يحس بأن عمده الأساسية وأركانه الطبيعية هم هؤلاء الأفراد المسلمون، وكذلك الأمر فى مجموع الأمة!!

لقد انتمى الفرد المسلم إلى هذا المجتمع بإرادته، ولقد انتسب إليه روحا وفكرا ومشاعر قبل أن ينتمى إليه جسدا.. أو عضوا عاملا، والرابطة الأولى بالتالى فى المجتمع الإسلامى هى العقيدة المشتركة.. وما ينبثق عن هذه العقيدة من تصورات ونظم وقوانين اجتماعية واقتصادية وسياسية وهذه الرابطة الأولى - التى ارتضاها المسلم طواعية - تذيب الفواصل بينه وبين المجتمع، وتشعره بولاء ومسئولية حقيقية تجاهه، وتجاه ما يتعرض له المجتمع الإسلامى كله من مشكلات وتحديات، بل وتجعله يشعر ويتعامل - بنوع من التوازنية والانتماء مع المجتمع، فى مستوياته المختلفة، بل والانتماء للأمة المسلمة كلها.

والسبب الأكبر الذى نكب المجتمعات البشرية، وكثف مشكلاتها فى الجوانب المختلفة هو أنها نشأت كمجتمعات «اصطناعية» أو تلقائية وليست مجتمعات طبيعية قائمة على الاختيار الفردى والتوافق الفكرى والعقدى.

ومن هنا تظهر فى أحشائها بين الحين والحين أمراض متنوعة، مرة اجتماعية، ومرة اقتصادية، ومرة سياسية، ومرة حضارية شاملة تهدد بناءها كله، وتعرضها للتحلل والضياع.

وعند دراستنا لطبيعة المنهج الإلهى فى علاج المسألة الاجتماعية، يجب أن نستحضر فى أذهاننا أن المنهج الإلهى كل لا يتجزأ، وأن علاج أى عضو فى الجسم لا يعنى أن بقية الأعضاء بمنأى عن التأثر بقضية هذا العضو والتأثير فيها، وأن هذا العضو الذى نسميه الجانب الاجتماعى هو - بدوره - جزء من الأجزاء يتعامل مع بقية الأجزاء بتوازنية ووسطية وترابط.

وفى ظل الوعى بهذه الحقيقة نستطيع أن نستنتج أن طبيعة المنهج الإلهى فى علاج البناء الاجتماعى ترتكز على الحقائق التالية:

أولا: أن الخصائص التى تتميز بها الشريعة الإسلامية، بل التصور الإسلامى كله، تصدق على نظرة الإسلام للبناء الاجتماعى:

● فإذا كان الإسلام دين سهولة وتدرج ووسطية وتوازن بين أنشطة الحياة المتعددة وجوانبها؛ فإن هذه السمات تتجلى أيضا فى نظرة الإسلام للبناء الاجتماعى أسلوبا وغاية.

● وإذا كان الإسلام دينا ربانيا صادرا عن قوة منزهة عن كل شرك، وليس نظرية إنسانية جزئية أو ترقيعية؛ فإن هذه الحقيقة الدينية ستتجلى أيضا فى علاج الإسلام للبناء الاجتماعى؛ حين لا يقتصر العلاج الإسلامى على القوانين الجافة أو السلوك الظاهرى، وإنما يتعدى ذلك إلى تحريك عواطف الرحمة والحب والأخوة والإنسانية، وخشية الله ورضاه؛ وصولا إلى تحقيق مجتمع العدالة الاجتماعية الواقعية، وليست العدالة النظرية المزيفة، وكل ذلك وفاقا للوسطية والعدل والتوازنية والتكاملية.

● وإذا كان الإسلام يجمع بين الثبات والتطور، ويرسم لكل منهما إطاره، ويجمع بين المثالية التى ينبغى أن ترنو إليها البشرية دائما، والواقعية التى يسير عليها الناس غالبا، ويجمع أيضا بين الدنيا - أى الوجود المحدود - والآخرة - أى الوجود الممتد، ويخاطب الإنسان «بالعبادات» من داخله، وينظم وجوده «بالمعاملات» من خارجه.

- إذا كان الإسلام فى أسلوبه وتشريعاته كلها يجمع هذه الخصائص بنوع من الوسطية والتوازنية والتكاملية التى يعجز أى مذهب بشرى عن إحداث التوفيق والانسجام والتعاون بينها، فإن هذه الخصائص تتجلى - أيضا وبالضرورة - فى علاجه للبناء الاجتماعى.

ثانيا: إن الإسلام لا ينظر إلى هذا البناء الاجتماعي كقضية ذات طابع مادى فقط؛ فالإنسان فى نظر الإسلام لا ينحصر فى دائرة الوجود المادى أو الاقتصادى - كما يقول الماديون الجدليون - وإنما هو كائن إنسانى روحى؛ إلى جانب ما فيه من جوانب مادية.

- فالحرية الإنسانية مثلا فى نظر الإسلام لا تقل أهمية عن الجانب الاقتصادى.

- وقتل حرية الإنسان فى مقابل توفير الخبز والملبس له انتكاسة حيوانية وردة إنسانية، وهبوط بالمستوى الذى وضع الله الإنسان فيه «وهو ما فعله الشيوعيون والماديون بعامة»!!

وعلى أساس تحقيق الكفاية لكل جوانب الإنسان من مادية وعضوية ترتكز المبادىء الإسلامية فى علاج البناء الاجتماعى.

ثالثا: والإسلام كدين إلهى لا يعترف بالنزعات العنصرية أو القومية أو الطبقية أو ما سوى ذلك من نزعات الصراع والتناقض؛ بل يقيم تشريعاته على أساس الركنين الفطريين التاليين:

١- وحدة الأصل: فالبشر جميعا ينتسبون إلى أب واحد، وأم واحدة وإن اختلفوا جنسا ولونا ووطنا، ولا ينبغى أن يكون اختلافهم هذا حائلا دون أخذهم حقوقهم الإنسانية المشروعة [1] قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾

(الحجرات: ١٣)

٢- وحدة العقيدة: وهى التوحيد الخالص الذى جاء به النبيون جميعا

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾

(آل عمران: ١٩)

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾

(آل عمران: ٨٥)

فهذا هو أساس العقيدة الذى لا يتبدل، أما التشريع الذى ينظم حياة الجماعة فهو الذى يتطور فى الرسالات الإلهية.. حتى إذا جاء الإسلام فى صورته النهائية كان قد احتضن الفكرة الأساسية فى دين الله الواحد، واستبقى الصالح من المبادىء والتشريعات والنظم فى الرسالات السابقة، وأكمل الناقص منها وأتمه [2].

لكن وسطية الإسلام - مع ذلك - تجعل تشريعاته كلها.. اجتماعية أو اقتصادية أو روحية.. تتوازن وتتكامل وفاقا لوسطية

(١) انظر عمر عودة الخطيب: «لمحات فى الثقافة الإسلامية» بتصرف، طبع لبنان، ص٢٣٦، وانظر «العدالة الاجتماعية فى الإسلام» للأستاذ قطب، ص٩٨، ط٧، مصر.

(٢) عمر عودة الخطيب: لمحات فى الثقافة الإسلامية، ص٢٢٨ بتصرف.

جامعة تحقق الإشباع لكل جانب على حدة ولكل الجوانب مجتمعة، وهى - من هذا المنطلق الوسطى التوازنى التكاملى - لا تلغى الوطنية أو القومية، فهما من الحقائق الموضوعية المعاشة، لكنها تمزجهما فى الولاء الأكبر والحسبة الأعظم، وهى الإسلام.

الصياغة الإنسانية للمجتمع

الوسطية والتوازنية تعنيان - ضمنا - الاعتراف بالجوانب الإنسانية كلها فى تآخ وتكامل، ولهذا كان من أبرز خصائص المنهج الإلهى فى علاج القضايا الاجتماعية والاقتصادية أنه لا يقيم البناء الاجتماعى، أو السياسة الاقتصادية على أساس «الصراع» أو التناقض بين الأفراد أو الطبقات.

إنه قبل أن يضع القوانين، وبعد أن يرسى أساس الربوبية - يقيم دعامات أخرى إنسانية تشيع بين الناس أواصر الرحمة، والحب، والتسامح، والفضل، والتعاون، ومراقبة الضمير، وخشية الله؛ إلى غير ذلك من المعانى الكريمة.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تؤكد هذه المعانى أكثر من أن تحصر.. وأبرز معالم الصياغة الإنسانية للمجتمع فى المنهج الإلهى تتلخص فى:

١- إيمان الإسلام بنظافة الفطرة الإنسانية، وبأنها لم تولد آثمة أو خاطئة؛ وإنما ولدت كريمة طيبة تنزع إلى المثالية، وما يلحقها من عيوب إنما هو حصاد تأثرها بأوضاع غير كريمة فى المجتمع، والإسلام يعتمد فى تشريعاته على هذا الرصيد الكريم للفطرة، ويحاول تحريك الإنسان بالإرادة الذاتية من داخله قبل أن يقوده بسلاسل القانون ومن خارجه.. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد: ١١)

وقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

(العنكبوت: ٦٩)

٢- إشباع الإسلام لكل جوانب الإنسان - بالطرق الحلال - وتصعيد كل غرائزه وليس كبتها أو حرمانها بالرهابية المبتدعة أو الزهد الكاذب... «فالإسلام ليس عقيدة صوفية ولا هو فلسفة، ولكنه منهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التى سنها الله لخلقه، وما عمله الأسمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية فى الحياة الإنسانية»[2].

٣- إعطاء الإسلام كل ذى حق حقه، فى توازن، وبلا إفراط أو تفريط، فللرجل حقه كإنسان، وللمرأة حقها، وللابن حقه، وللأب حقه، وللضعيف حقه، وللمريض حقه، وللعاجز حقه، وللفقراء والمساكين

(٢) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق، طبع بيروت، ص٢٢.

واليتامى والمعوقين وأشباههم من المعوزين حقوق. قال تعالى:

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾

(البلد: ١٢ - ١٧)

- إن الفرد فى المجتمع الإسلامى، يتمتع بحقوق عامة؛ إنطلاقا من واقع كينونته الإنسانية، وليست مجرد حقوق مرتبطة بظروف موقوتة، تزول بزوالها:

- ومن البديهى أن إعطاء كل ذى حق حقه، بلا تفريط أو إفراط، وأن توازنية العلاقة بين الأفراد جميعا ذكورا وإناثا، حكاما ومحكومين، إنما تعنى فى النهاية إقامة «وسطية» تقوم على توزيع النسب، ومراعاة التكاملية الشاملة، وتلتزم بالعدل المطلق!!

- فليس من حق المجتمع الإسلامى أن يستحل ثروات الأفراد أو يستبد بها.. فالظلم ظلم، والتسلط الظالم مرفوض فى منطلق العدالة الاجتماعية الإسلامية. كما أنه - على المستوى الإنسانى - ليس من حق الأمة الإسلامية أن تستحل ثروات الأمم الأخرى!! بل إن العكس هو المفروض على الأمة الإسلامية.. فهذه الأمة الوسط الشهيدة على الناس مكلفة بإقرار العدل والحق فى الأرض كلها - وما الهدف الأسمى من الجهاد إلا إقرار العدل والحق، وإعلان الحرب الدائمة على الطغاة والمتألهين؛ الذين يستذلون الشعوب ويقيمون السدود فى وجه الحق والإيمان. والقرآن يقول:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾

(البقرة: ٢٥١)

ويقول:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة: ١٤٣)

ويقول:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران: ١٠٤)

والعدل فى منطق الإسلام - كما أشرنا - عدل مطلق [٤]... ينساب فى كل أركان المجتمع والكيان الإنسانى.. فى داخل النفس، وفى الأسرة، وبين أفراد المجتمع وبين الرجل والمرأة، والأب والابن.. ومع الصديق والعدو... وبين المجتمع الإسلامى وغيره من المجتمعات.. وهو عدل فى الحكم وفى الاقتصاد، وفى النظم الاجتماعية، وفى

(٤) انظر فصل العدالة من كتاب «معالم الثقافة الإسلامية» للدكتور/عبد الكريم عثمان

الحروب، وفى سائر العلاقات الاجتماعية وشئون الحياة.

وكل ذلك تشيع فيه روح الوسطية التى هى ميزان العدل التى تبتعد بالفرد أو المجتمع عن الإفراط والتفريط.

ولعل أن أكبر - بل وأعمق - الخصائص الإنسانية فى المنهج الإسلامى الاجتماعى تتمثل فى بعديه الأساسيين وهما: الربانية والإنسانية، أنه منهج وسطى توازنى شامل. وهذا يعنى أصالته وتفرده؛ على أساس أنه ليس رد فعل أو علاجا لمرحلة تاريخية ذات خلل طارئ فى علاقة الفرد بالمجتمع.

- فهو أصيل فى وسطيته وخصائصه؛ لأنه لم يكن مجرد علاج أو رد فعل لخلل طارئ، وإنما هو توجيه شمولى لعلاج الكيان الاجتماعى كله، كما أسلفنا.

وهو أصيل فى وسطيته لأنه لم يكن مجرد ترقيع جزئى انفعالى، كالمذاهب الشيوعية والاشتراكية، أو تلفيق مذهبى مبتور، كدعاوى الجمع بين الاشتراكية والديمقراطية،، أو نظرة مسطحة لكيان الإنسان، وحركة التاريخ البشرى وقوانين مسيرته.

وهو أصيل - كذلك - فى وسطيته وتوازنيته؛ لأنه يقدم حلولا مستقلة للمشكلات الإنسانية؛ يستمدها من تصوره الخاص، ومن منهجه الذاتى، ومن أسسه الأصيلة، ومن وسائله المتميزة.

وهو أصيل - كذلك - فى وسطيته وتوازنيته - من جهة أخرى - لأنه يرتكز على دعائم أصيلة فى أعماق الإنسان، ويهدف إلى غايات إنسانية نبيلة، لا تخدم مصلحة طبقة أو فرد؛ إنما تخدم المجتمع كله.. والإنسانية كلها.

ومن أكبر دلائل أصالة المنهج الإسلامى فى تشكيله للبناء الاجتماعى أنه منهاج ربانى إنسانى شامل... لأن كل جزئياته تنطلق من منبع واحد، وهو الوحى الكريم، وتتجه كلها إلى غاية واحدة هى العبادة.. أى رضا الله، فليس فى التصور الإسلامى نشاط إنسانى لا ينطبق عليه معنى العبادة، أو لا يطلب فيه تحقيق هذا الوصف [٥].

ولأنه منهج مستوف لكل نواحي الحياة، ومؤهل لعلاج كل أمراض النفس والمجتمع، ولأن وسائله كذلك فطرية، فهو - كذلك - لا يهدم الفطرة أو يصطدم بها، ولا يلجأ للوسيلة السيئة من أجل غاية بزعم أنها شريفة.. ولا يضحى بملايين الناس، زاعما أنه يريد إقرار العدالة الاجتماعية على أشلائهم... ولا يهدر حقوق الآدميين تحت شعار كاذب يرفعه، مهما كانت قيمة هذا الشعار..!!

(٥) سيد قطب: خصائص التصور الإسلامى ١٢٩ - طبع مصر.

الهويــة الإسلامية وتأصيل تراثنا التربوى

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

منذ عصر المأمون الذى وصل المسلمين بأصولهم التنويرية منذ ظهور الإسلام فأثبتوا بحق أنهم أصحاب جذور حضارية أصيلة بدأت مع بلاغ محمد ﷺ عن ربه عز وجل، منذ ذلك العصر المأمونى المضىء بالتأليف والترجمة والنشر والمسلمون يتطلعون فى لهف وتشوق بعثا حضاريا جديدا يعينهم على استئناف دورهم الخلاق الذى وضعه المولى عز وجل على كواهلهم حين حملهم مسئولية:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران/ ١١٠]

والعالم اليوم فى أمس الحاجة إلى يقظة المسلمين مما فرض عليهم - وفى غفلة منهم - المتربصون بهم الدوائر منذ ظهور الإسلام، والذين «احسنوا» سرقة التراث الإسلامى، وأجادوا استثماره، وتمادوا فى ادعاء ملكيته وحاولوا - ويحاولون - حجب هذا التراث عن المسلمين، مبدعيه الأصليين، الذين تلقوا أصوله المتينة وروافده المكينة من لدن العزيز الحكيم.

وأصبح هؤلاء الأدعياء اليوم يطلقون الشائعات - المستندة إلى الزيف والتزوير بأنهم - هم!! - بناة حضارة المسلمين.. وقد ملكوا لبث هذه الشائعات والدعاوى اللسان السليط، والحنجرة الزاعقة، والعملة الصعبة، وأصدقاء السوء، وشركاء المصلحة.

قالوا: إن مكتشف الدورة الدموية هو «هارفى» وليس «ابن النفيس»، وقالوا إن مبتكر علم الاجتماع هو «أوجست كونت»، و«دوركايم» وليس «ابن خلدون»، وقالوا: إن مكتشف التحليل النفسى هو «سيجموند فرويد» وليس «ابن سينا»، وقالوا إن مؤسس علم «الهندسة التحليلية» هو «ديكارت» وليس «الخوارزمى»[١].



(١) الهندسة التحليلية فرع من فروع الرياضيات يقوم على الربط بين الهندسة (الكم المتصل) والجبر (الكم المنفصل).

ثم ألم يأت هؤلاء أن «علم الكيمياء» هو علم عربى أصيل حتى أطلق عليه المتصفون فى الغرب، وقليل ما هم، «صنعة جابر» يقصدون أن مؤسس علم الكيمياء هو «جابر بن حيان»..!!

ولقد ادعوا أن فلاسفة المسلمين من أمثال «الفارابى» و«ابن سينا» و«ابن رشد» هم مجرد تراجمة للفلسفة اليونانية، ولا يزيد دورهم عن نقل فلسفة «سقراط» و«أفلاطون» و«أرسطو» إلى العربية، ويضيق المجال - ولا يتسع المقال - بالرد على هذه الدعاوى الصبيانية التى يعرف أهلها قبل غيرهم أنهم كاذبون ومفترون، فبالرغم من أن فلاسفة المسلمين قد ترجموا عن اليونانية والفارسية وغيرهما - بتوجيه من الحق الذى كلفهم بالمعرفة والبحث - إلا أنهم كانوا خلاقين فى إضافة إبداعاتهم العقلية إلى فكر اليونان وغيرهم، وذلك بما يتفق مع نقاء العقيدة الإسلامية المطهرة ولا يتنافى مع دعوة الحق فى اصطناع العقل الذى ميز به بنو آدم للبحث عن الحقيقة والاهتداء إلى التعرف على آيات الله سبحانه وتعالى.

ومثال ذلك ما ادعاه «أرسطو» حول فكرة «الحركة»[٢] من أن كل شىء يتحرك له محرك يحركه، وهذا المحرك له أيضا محرك يحركه وهكذا إلى أن نصل إلى محرك يحرك ولا يتحرك، ويسميه «المحرك الأول» وإلى هنا والأمر مقبول، إلا أن «أرسطو» خرج بعد ذلك عن المقبول والمعقول جميعا حين قال: «إن هذا المحرك الأول لم يخلق العالم ولم يعتن به» وهذا هو الخروج والشطط.

وعندما أسند أمر التفلسف «لصاحب الرئاستين» الفيلسوف (الشامل) «ابن سينا» أراد أن يسوق برهانا على وجود الله عز وجل حتى يدعو به غير المؤمنين بوجود الإله الواحد ولاسيما بعد أن اتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية، وضمت إلى الإسلام أقواما تتعدد عباداتهم وتتنوع عقائدهم، فماذا قال ابن سينا فى هذا الدليل؟ رفض دعوى أرسطو قائلا[٣]: إن للكون محركا يحرك ولا يتحرك فعلا وهو «المحرك الأول» الذى خلق العالم وشمله بعنايته لأنه حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم - كما رد الفلاسفة المسلمون زعم أرسطو أن «الإله أو المحرك الأول يدرك الكليات فقط دون الجزئيات» موقنين تمام اليقين بأن الله سبحانه

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾

(غافر: ١٩)

وصدق الله العظيم الذى يتجلى بذاته المقدسة على لسان لقمان لابنه وهو يعظه

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾

(لقمان: ١٦)

(٢) الحركة فى الفلسفة تعنى التغير.

(٣) الكلام هنا لابن سينا.

وهكذا لم يأخذ ابن سينا وغيره من المسلمين الفكر اليونانى على عواهنه ولكنهم سلطوا عليه الأضواء الإسلامية الباهرة التى تقيم منه المعوج وتزيل عنه الشوائب وترده إلى المنهج العقلى القويم.

وقال المرجفون غير تلك الدعاوى الشيء الكثير، وكادوا يسيرون مسار أسلافهم من الفجار الكفرة الذين قالوا: إنهم يستطيعون الإتيان بمثل «قرآن محمد»!!! فتبا لهم ولأسلافهم

﴿ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

(التوبة: ٣٠)

فأين نحن الآن من هذا وذاك؟؟

حضرتُ محاضرة لأستاذ جليل بكلية الطب يعزو علاج كثير من الأمراض المعروفة الآن إلى أساطين الطب من قدماء المصريين وذلك مثل عملية المياه البيضاء، والمياه الزرقاء فى العين، ومثل تقويم العظام، بل مثل العملية القيصرية فى الولادة، وغير ذلك من العمليات الجراحية، وتركيب الأدوية، وتقديم نصائح الوقاية التى هى خير من العلاج، ولما فتح باب المناقشة تعليقاً على تلك المحاضرة القيمة قمتُ ـ كمعلم قديم ـ لأسأل سؤالاً واحداً وهو: «هل يعرف طلبة كليات الطب هذه المعلومات (التراثية) المرتبطة بعبقرية أجدادهم؟ فإن لم يكونوا يعرفونها لكى يطبقوها مهنياً فعلى الأقل ليستشعروا الولاء والانتماء لوطنهم العريق»

فأجاب الأستاذ ـ وبصراحة ـ «مع الأسف لا يحدث هذا لأنه لا توجد مادة مقررة على طلاب كليات الطب تعينهم على التعرف على ذلك، وبالتالى لا يعرف هؤلاء الطلاب جهود أجدادهم من العرب المسلمين فى مجال الطب، وهم من هم فى هذا المجال».

وقس على ذلك عدم دراية الأبناء المتخصصين بتراث أجدادهم فى الصيدلة والهندسة، وعلم الضوء، وغير هذا وذاك مما اختفى وراء الضباب المصطنع الذى يستر حقائق الأمور.

وهذا كله وغيره يدعونا إلى أن نبذل ما نستطيع من جهد إيمانى صادق لنبحث عن أصالة التراث الذى خلفه لنا المسلمون الباحثون والمدققون والمكتشفون والمخترعون جميعاً، ولا ينبغى لنا أن نترك الأمور تأخذ مسارها على هوى الآخرين الذين يعملون على صهر العالم كله بحضاراته وثقافاته فى بوتقة واحدة ليستحيل سبيكة جامدة، الناس فيها آذان صماء وأعين عمياء وصدور جوفاء، وعقول معطلة شوهاء، حيث تختفى الهويات وأولها ـ بأمانيهم ـ هوية المسلمين وتتوارى الكيانات خلف آفاق المجهول الغامض الحالك بالظلام.

ولعل هذا هو ما حدا بنا هنا إلى اختيار مجال التراث التربوى فى الإسلام لأن التربية هى التى تبنى الأجيال وتنشىء الأمم، و«تحفظ الهوية»، وتدعم الانتماء، وهى أساس بناء الإنسان وبالتالى بناء المجتمعات، فإذا حسنت

عملية التربية أنشأت بشراً أسوياء لا ينحرفون ولا ينجرفون، يعرفون تماماً ما عليهم قبل أن يعرفوا ما لهم فالذى يؤدى واجبه نحو غيره يأتيه حقه ساعيا إليه ما دام الجميع على درب الحق والواجب ملتزمين.

ولقد ربى الإسلام بنيه على هذا المبدأ الأخلاقى الفريد فكان أحدهم يسعى لأداء ما عليه لغيره من ماديات ومعنويات، وأبسط ما يقال فى هذا أن المسلم عندما كان يدعو الداعى إلى الجهاد كان يسارع أولاً لأداء ما عليه من واجب مقدس قبل أن يحصل على حقه من الشهادة أو النصر، وتلك هى الفدائية الحقة، والفدائية بهذا المعنى تنسحب أيضاً على خضم الحياة مثلما نراها فى معامع الحرب، فإذا كانت الفدائية فى القتال هى الجود بالروح فهى فى ميدان الحياة اليومية نضال مع النفس حتى تسود القيم العليا التى حض عليها الإسلام، وهذا هو ما أسماه الصادق الأمين ﷺ بالجهاد الأكبر الذى فاق جهاد الأسياف والحراب والنبال.

ومن أبرز رواد التراث التربوى عند المسلمين نختار رائدين متميزين، ولعل اختيارنا لهما يرجع إلى ما زخر به تراث كل منهما من تفصيل وتحليل، وتبويب وتأصيل ورغم أنهما من الأسماء التراثية المطروقة إلا أنهما دائماً معاصران يعيشان فى بؤرة كل عصر جيلاً بعد جيل ولاسيما فى مجال الإبداع والأصالة فى محيط التربية وعلم النفس، وهما حجة الإسلام أبوحامد الغزالى وعبدالرحمن بن خلدون.

أما حجة الإسلام الإمام أبوحامد الغزالى (١٠٥٩م-١١١١م) فإننا نعرف له نظراته الصائبة فى هذا الباب عند المسلمين إذ اهتم بتكوين العادات الحسنة عند الناشئة لما لها من الأثر الواضح فى تكوين الأخلاق الفاضلة وبالتالى نبذ العادات السيئة التى تشين صاحبها وتسىء إليه وإلى من حوله كما اهتم كثيرا بتأثير القدوة على الجيل الناشىء، وكذلك مراعاة الاستعدادات الشخصية عند التلاميذ (٤)، كما أنه وضع كثيراً من القواعد التى تهدى إلى معاملتهم المعاملة الإيجابية الهادفة، ولم ينس الغزالى أهم المحاور التربوية وهو (المعلم) فأهتم بإبراز واجباته وما ينبغى عليه من اختيار طرق التدريس المناسبة لموضوع التدريس ومستوى تلاميذه، وقد أكد الغزالى ذلك فى كتاب (إحياء علوم الدين) وفى الرسالة التى بعث بها إلى أحد تلاميذه وهى المسماة برسالة (أيها الولد).

ففى كتاب إحياء علوم الدين نراه قد خصص فصلاً كاملاً عن (آداب المتعلم والمعلم) حيث يقرر (أن العلم عبادة القلب وصلاة السر) ومن ثمة فهو يدعو إلى التفرغ لطلب العلم وتحلى المتعلم بالتواضع وحسن

(٤) وهو ما يسمى اليوم بالفروق الفردية.

الإصغاء كما ينبغى فى رأيه ألا يخوض المتعلم فى فن ما حتى يستوفى الفن الذى قبله (فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضروريا، وبعضها طريق إلى بعض) (٥).

أما مسئولية المعلم عند الغزالى فأولها (الشفقة على المتعلمين وأن يعاملهم معاملة أبنائه وألا يطلب على إفادة العلم أجراً، ولا يقصد به جزاء وشكرا).

ثم ينتقل إلى ما يجب أن يتقنه المعلم فى مجال التعليم ولاسيما معاملته التلاميذ، ومراعاة مداركهم وما يستتبع ذلك من تنويع فى الدروس، وكل هذا فى إطار ما يجب على المعلم أن يختص به من سمات (شخصية ومهنية) ليصبح قدوة طيبة لتلاميذه جديرة بأن تحتذى.

ثم يخصص (حجة الإسلام) فصلاً آخر عن (آفات العلم) وهو يحض من يشتغل بالعلم على ألا يخالف فعله قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

(الصف: ٢-٣)

وأن يقتصد فى مطعمه ومشربه وملبسه.

وفى رسالة (الغزالى) (أيها الولد) يجيب عن بعض المسائل التى سأله إياها أحد تلاميذه، وهى رسالة متأخرة تاريخياً عن كتابه (إحياء علوم الدين).

وتبدأ الرسالة بمقدمة مستفيضة فى العلم والعمل والتصوف ثم يتحدث بعد ذلك عن واجبات المتعلم، وفوائد العلم وصفات المربى وكيف أن التربية هى (إخراج الأخلاق السيئة وغرس الأخلاق الحسنة).

ومن واجبات المتعلم عند الغزالى هنا أن يأخذ نفسه ببعض الآداب التى منها (ألا يجادل معلمه، وأن يرعى حقه فى سلوكه معه، وأن يحترز عن أصحاب السوء ثم تنتهى الرسالة بذكر طائفة من النصائح الشيقة والفعالة للمتعلمين.

وفى مجال (تأصيل الفكر التربوى عند المسلمين) يبرز أمامنا العلامة المؤرخ والفيلسوف والرحالة والوزير ومؤسس علم العمران «الاجتماع الآن» عبدالرحمن بن خلدون.

عبدالرحمن بن خلدون (١٣٣٢م-١٤٠٦م)

لقد كان لابن خلدون فى مجال التربية وعلم النفس التربوى بحوث عميقة تنم عن فهمه التام لدقائق هذا المجال الحيوى فى بناء شخصية الفرد وعمران المجتمع حتى إننا لنرى فى كثير من أفكاره جهداً سباقاً على ما نعرفه اليوم فى ميدان التربية والتعليم فهو إلى جانب شرحه لآرائه النظرية فى ذلك ونقده لما هو سائد فى عصره من سلبيات تربوية وتعليمية ـ نجده يعنى بما يعرف اليوم

(٥) وهذا ما يعرف حديثاً (بتكامل العلوم).

بالتربية العملية وهو حقل التدريب الميدانى لإعداد المعلم التربوى الناجح فنراه يتحدث عن اختيار طريقة التدريس، ومراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ واستخدام (وسائل الإيضاح) والتدرج فى عرض الدرس من البسيط إلى المركب، وهكذا.

بل لقد عنى ابن خلدون بكيفية توظيف المجال التربوى فى الحياة العملية والمهنية، ولم يغفل العلامة ابن خلدون الحديث عن معوقات التحصيل وكيف أنها ترجع إلى تعدد الطرق والخلط بينها مما يعجز معه المعلم عن استيعابها واستخدامها، كما أن من هذه المعوقات عدم الإعداد الكافى للمعلم سواء من الناحية العلمية أو الشخصية أو المهنية.

وقد حرص ابن خلدون على إبراز علاقة التربية والتعليم بحركة المجتمع سلباً وإيجابا لأن التربية والتعليم يمثلان الجهاز العصبى فى المسيرة العمرانية، ومن هنا كانت أول آية قد أوحى بها إلى النبى ﷺ هى آية (القراءة) التى بدأ بها سورة (العلق) ثم توالت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التى تحض على التربية والتعليم وتجعلهما أساساً لتكوين شخصية المسلم المتكاملة.

ويحضرنا فى موضوعنا هذا مفكر مسلم معروف، ورائد علم من رواد وأعلام التربية عند المسلمين، وهو ـ وإن كان قد تأخر زمانه كثيراً عن زمان من ذكرنا الآن إلا أنه قد سار فى نفس المسار التربوى الذى يقوم على الأصالة والإبداع، والأصالة عنده هى أنه لم يسبق إلى المنهاج الذى انتهجه فى تربية الناشئين، والإبداع لديه هو فى كونه قد خلق أسلوبا تربويا جديداً يستنبط من حياته الشخصية، ومسيرته العملية، وسيرته الذاتية، ذلكم «على مبارك» المعلم والمهندس والمصلح والوزير.

على مبارك باشا (١٨٢٣-١٨٩٣م)

لقد استمد على مبارك خطته الدراسية فى التربية والتعليم من المواقف التى مر بها، أو مرّت به منذ أن كان طفلاً يحيا حياة معيشية قاسية، ومنذ أن بدأ خطواته الصغيرة فى كتاب قريته «برنبال» حيث قسوة (سيدنا) وابتزاز (العريف) مما دفعه إلى الهرب من هذا الكتّاب ليلقى به ـ قسرا ـ فى المدارس متنقلاً من مدرسة إلى أخرى بين معلم (عَبْد) يصنع بتلاميذه ما تصنعه به صروف الليالى وظروف الأيام، وبين معلم يعامل تلاميذه الصغار كما لو كانوا نماذج مكررة لا تفاوت بينهم ولا فروق، ثم هو ـ مع هذا وذاك ـ لا يجد بيده كتابا يسترجع فيه الدروس، ولا «كراسة» يسجل بها ما يتلقى من معلومات أو مذكرات، ولا يستشعر فى معلمه ما يشجعه، ويغريه على استمرار الانتظام فى الدراسة.

وناهيك ـ مع هذا كله ـ بمشكلة المشكلات عند الطفل على مبارك، وهى «علم الرياضيات» التى هى أقرب إلى

الطلاسم، وأشبه بالأحجيات.

واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن قيض الله للصبى «على» مدرساً فرنسياً يجيد العربية، كما يجيد التدريس بها ولاسيما فى «الرياضيات».

وفتح الرجل أمام تلاميذه مغاليق الرياضيات بأسلوبه الشيق وطريقته السلسة الجذابة مما أحال العسر إلى يسر، حتى أحب الناشئ «علىّ» علم الرياضيات حباً جماً جعله يتهيأ للتقدم إلى مدرسة «المهندسخانة» التى كان مقرها آنذاك «قصر العينى» (٦) وسبحان من جعل عدو الرياضيات بالأمس عاشقاً لها اليوم حتى ذُللت له تذليلاً فصار مهندساً ناجحاً مرموقاً، وركناً ركيناً للنهضة العلمية والعمرانية فى مصر فهو بانى القناطر الخيرية، والخطوط الحديدية، وغيرها من المعالم الحضارية آنذاك.

وعندما حُمل على مبارك رسالة التربية والتعليم فى مصر حين أصبح «ناظراً للمعارف» استعاد مسيرته التعليمية المريرة والمليئة بالتجارب والخبرات، ولكنه استعادها على شكل خطة ميدانية للتعليم يستفيد منها الناشئة والمعلمون جميعاً.

ونظر الرجل فإذا بعناصر العملية التعليمية تتمحور حول: التلميذ، والمعلم، والكتاب، والطريقة، فأصدر (لائحة رجب) المشهورة التى تعتبر بحق (لائحة تنفيذية) لما فى فكر على مبارك من طموحات يستشفها من آلامه وآماله منذ أن كان طفلاً غريراً وصبيا صغيراً لم يافعاً مستنيراً.

أما التلميذ فلا ينبغى أن يُرغم على التعليم قبل السن الملائمة لذلك والتى تتفق مع نموه الجسمى والعقلى والوجدانى، وأما المعلم فلابد أن يكون تربوياً «صناع» وليس مجرد لسان يرغى بلا هدف أو خطة أو ضمير، أو «يهرف بما لا يعرف كما يقال».

وأما الكتاب فيجب أن يوفره أولو الأمر للمتعلمين حتى يكون خطة مدروسة وهادفة للمنهج الدراسى الذى ينبع أساساً من حاجات المجتمع وأهدافه.

وأما الطريقة فإن على المعلم أن يختار الطريقة المناسبة لطبيعة الدرس ومستوى التلاميذ على أن يعتمد على تشويق التلاميذ وجذب اهتمامهم لموضوع الدرس حتى يُحيوه فهماً ولا يقتلوه صَمّاً.

وهكذا انطلق «ناظر المعارف» إلى استرجاع خبرات حياته التعليمية ليحولها إلى خطط فى التربية والتعليم فُعنى ببناء «دار العلوم» لتكون «دائرة معارف بشرية» تختلف العلوم والمعارف.

(٦) عندها أدرك على مبارك أن المعلم له الأثر الأكبر فى توجيه التلاميذ وتشكيل شخصياتهم.

كما كان له الفضل فى تأسيس المطبعة العربية وهى «مصنع الكتاب» المدرسى وغيره، ولعنايته بالكتاب واقتناعه به منذ نعومة أظفاره نراه يهتم بتشييد الصرح المعمارى الكبير الذى يتوسط ميدان باب الخلق بالقاهرة وهو مبنى «دار الكتب».

وهكذا اتسقت جهود على باشا مبارك فى مجال التربية والتعليم مع مواقف حياته الأولى بما جمعت من تجارب وخبرات، وهو فى هذا يختلف كثيراً عن غيره من رصفاء التربية آنذاك والذين لم تنعكس حياتهم على أفكارهم التربوية ولكنهم استمدوا هذه الأفكار من انبهارهم بما شاهدوه فى عالم ما وراء البحر المتوسط وعادوا مبشرين بما انبهروا به وتفاعلوا معه، ومن هنا جاءت أصالة فكر على مبارك المبدع الخلاق الذى «نظر» جزئيات حياته منذ طفولته فى مبادئ تربوية كلية نبتت من الأرض لتناسب نمو أبنائها.

وبعد: فإن هذه بعض الأمثلة من التراث التربوى لدى المسلمين، وهو ما ينبغى أن تعطيه الكتب الدراسية والعامة، وغيرها من وسائل الذيوع والانتشار القدر اللائق من العناية والاهتمام حتى تتصل وتتواصل حلقات الأجيال دعماً للهوية الإسلامية التى هى الوسام السماوى على صدر كل مسلم يعى تماما معنى قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

[العنكبوت/ ٩]

***

شبهات زائفة حول موقف الإسلام من المرأة

لفضيلة الشيخ / فوزي الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

أشرت في مقال سابق إلى أن أعداء الإسلام لم يتركوا شبهة - من وجهة نظرهم - يظنون في تقديرهم أنهم يطعنون بها الإسلام إلا وأثاروها، وللأسف فإن بعض من ينتسبون إلى الإسلام جاروهم في ادعاءاتهم فرددوها، وكان الأولى بهم أن يتريثوا ويسألوا أهل الذكر فيما يقولون ويدعون، كي يعرفوا الحقيقة .... من هذه الشبهات:

شهادة المرأة نصف شهادة الرجل: هناك شبهة زائفة تثار حول موقف الإسلام من شهادة المرأة.. التي يقول مثيروها: إن الإسلام قد جعل المرأة نصف إنسان، وذلك عندما جعل شهادتها نصف شهادة الرجل، مستدلين على ذلك بآية سورة البقرة ٢٨٢:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

ومصدر الشبهة(١) التي حسب مثيروها أن الإسلام قد انتقص من أهلية المرأة، بجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل:

﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾

هو الخلط بين «الشهادة» وبين «الإشهاد» الذي تتحدث عنه هذه الآية الكريمة.. فالشهادة التي يعتمد عليها القضاء في اكتشاف العدل المؤسس على البينة، واستخلاصه من ثنايا دعاوى الخصوم، لا تتخذ من الذكورة أو الأنوثة معيارا لصدقها أو كذبها، ومن ثم قبولها أو رفضها.. وإنما معيارها تحقق اطمئنان القاضي لصدق الشهادة بصرف النظر عن جنس الشاهد، ذكرا كان أو أنثى، وبصرف النظر عن عدد الشهود.. فللقاضي إذا اطمأن ضميره إلى ظهور البينة أن يعتمد شهادة رجلين، أو امرأتين، أو رجل وامرأة، أو رجل وامرأتين، أو امرأة ورجلين، أو رجل واحد أو امرأة واحدة.. ولا أثر للذكورة أو الأنوثة في الشهادة التي يحكم القضاء بناء على ما تقدمه له من بينات..

أما آية سورة البقرة، والتي قالت:

﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾

فإنها تتحدث عن أمر آخر غير «الشهادة» أمام القضاء.. تتحدث عن «الإشهاد» الذي يقوم به صاحب الدين للاستيثاق من الحفاظ على دينه، وليس عن «الشهادة التي يعتمد عليها القاضي في حكمه بين المتنازعين».. فهذه - الآية - موجهة لصاحب الحق - الدَّين - وليس إلى القاضي الحاكم في النزاع.. بل إن هذه الآية لا تتوجه إلى كل صاحب حق - دين - ولا تشترط ما اشترطت من مستويات الإشهاد وعدد الشهود في كل حالات الدَّين.. وإنما توجهت بالنصح والإرشاد - فقط النصح والإرشاد - إلى دائن خاص، وفي حالات خاصة من الديون، لها ملابسات خاصة نصت عليها الآية.. فهو دين إلى أجل مسمى.. ولابد من كتابته.. ولابد من عدالة الكاتب. ويحرم امتناع الكاتب عن الكتابة.. ولابد من إملاء الذي عليه الحق.. وإن لم يستطع فليملل وليه بالعدل.. والإشهاد لابد أن يكون من رجلين من المؤمنين.. أو رجل وامرأتين من المؤمنين.. وأن يكون الشهود ممن ترضى عنهم الجماعة.. ولا يصح امتناع الشهود عن الشهادة.. وليست هذه الشروط بمطلوبة في التجارة الحاضرة ولا في المبايعات.

ثم إن الآية ترى في هذا المستوى من الإشهاد الوضع الأقسط والأقوم وذلك لا ينفي المستوى الأدنى من القسط.

---

(١) د/ محمد عمارة في كتاب: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين.

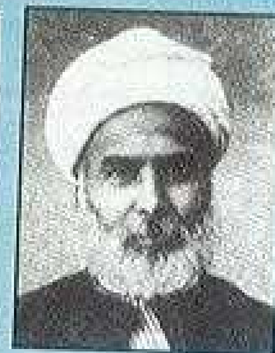
ولقد فقه هذه الحقيقة - حقيقة أن هذه الآية إنما تتحدث عن «الإشهاد» فى دين خاص، وليس عن الشهادة . . وإنها نصيحة وإرشاد لصاحب الدَّين - ذى المواصفات والملابسات الخاصة - وليست تشريعا موجها إلى القاضى - الحاكم - فى المنازعات . . فقه ذلك العلماء المجتهدون ومن هؤلاء العلماء الفقهاء الذين فقهوا هذه الحقيقة، وفصلوا القول فيها : شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذة العلامة ابن القيم - من القدماء - والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، والإمام الشيخ محمود شلتوت - من المعاصرين - .

وساكتفى هنا بالاشارة إلى بعض ما قاله شيخنا فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت فى هذا الشأن بعد أن شرح هذا الموضوع شرحا وافيا، وبعد أن استعرض أقوال الأئمة السابقين فيه .

يقول وما لنا نذهب بعيداً، وقد نص القرآن على أن المرأة كالرجل - سواء بسواء - فى شهادات اللعان، وهو ما شرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجه وليس له على ما يقول شهود

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

[النور/ ٦ :٩]


محمد عبده


محمود شلتوت

أربع شهادات من الرجل، يعقبها استمطار لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ويقابلها ويبطل عملها، أربع شهادات من المرأة يعقبها استمطار غضب الله عليها إن كان من الصادقين . . فهذه عدالة الإسلام فى توزيع الحقوق العامة بين الرجل والمرأة، وهى عدالة تحقق أنهما فى الإنسانية سواء . .

فإنصاف المرأة، وكمال واكتمال أهليتها هو موقف الإسلام، الذى نزل به الروح الأمين على قلب الصادق الأمين . . وهو موقف كل تيارات الاجتهاد الإسلامى على امتداد تاريخ الإسلام .

ومن أراد المزيد من المعلومات والتفاصيل، والاستدلالات عن هذا الموضوع فليرجع إلى :

١- كتاب ابن القيم (الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية) تحقيق محمد جميل غازى طبعة القاهرة ١٩٧٧م .

٢- كتاب : (إعلام الموقعين عن رب العالمين) جـ١ طبعة بيروت ١٩٧٣ .

٣- كتاب : (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ٤ دراسة وتحقيق أ . د . محمد عمارة طبعة القاهرة ١٩٩٣م .

٤- كتاب : (الإسلام عقيدة وشريعة) للإمام الشيخ محمود شلتوت . طبعة القاهرة ١٩٨٠م .

تعدد الزوجات فى الإسلام

يسرع بعض الناس فيتهم الإسلام بأنه انتقص من قدر المرأة، أو أهدر كرامتها حين أباح للرجل الزواج باكثر من زوجة، وكان على هؤلاء أن يتروروا قبل توجيه هذا الاتهام، وأن يفكروا بتأن وفهم جيد فى معنى الآية الكريمة التى أباحت هذا التعدد وهى :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾

[النساء/ ٣]

والمعنى [١] الذى سار عليه كثير من المفسرين فى تفسير هذه الآية و - بعد تفسير السيدة عائشة رضى الله عنها لمعناها هو: وإن علمتم أيها الأولياء على النساء اليتامى أنكم لن تعدلوا فيهن إذا تزوجتم بهن - بأن تسيئوا إليهن فى العشرة، أو بأن تنقصوا عن إعطائهن الصداق المناسب لهن - إذا علمتم ذلك فانكحوا غيرهن من النساء الحلائل اللاتى تميل إليهن نفوسكم ولا تظلموا هؤلاء اليتامى بنكاحهن دون أن تعطوهن حقوقهن، فإن الله سبحانه وتعالى قد وسع عليكم على نكاح غيرهن .

والأمر فى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَانكِحُوا ﴾ للإباحة كما فى قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾، وإن كان الإسلام قد أباح التعدد وحدد غايته بأربع بحيث لا يجوز الزيادة عليهن، إلا أنه سبحانه وتعالى قد قيد هذه الإباحة بالعدل بينهن فيما يستطيع الإنسان العدل فيه بحسب طاقته البشرية، بأن يعدل بينهن فى النفقة والكسوة والمعاشرة الزوجية، فإن عجز عن ذلك لم يبح له التعدد وللإمام محمد عبده كلام حسن فى هذا المعنى، فقد قال - رحمه الله - .

قد أباحت الشريعة الإسلامية للرجل الاقتران بأربع من النسوة إن علم من نفسه القدرة على العدل بينهن، وإلا فلا يجوز الاقتران بغير واحدة قال تعالى :

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾

فإن الرجل إذا لم يستطع إعطاء كل منهن حقها اختل نظام المنزل، وساءت معيشة العائلة إذ العماد القويم لتدبير المنزل هو بقاء الاتحاد والتآلف بين أفراد العائلة .

وقد كان النبى ﷺ ، والخلفاء الراشدون،

١- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى، المجلد الثالث.

والعلماء الصالحون من كل قرن إلى هذا العهد يجمعون بين النسوة مع المحافظة على حدود الله فى العدل بينهن. فكان ﷺ وأصحابه والصالحون من أمته لا يأتون حجرة إحدى الزوجات فى نوبة الأخرى إلا بإذنها.

وقد قال رسول الله ﷺ: «من كان له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل»(٣). وكان ﷺ يعتذر عن ميله القلبى بقوله: «اللهم هذا - أى العدل فى البيات والعطاء - جهدى فيما أملك، ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك - يعنى الميل القلبى». وكان يقرع بينهن إذا أراد سفرا(٤).

ثم قال فى نهاية حديثه: فعلى العقلاء أن يتبصروا قبل طلب التعدد فى الزوجات فيما يجب عليهم شرعا من العدل وحفظ الألفة بين الأولاد، وحفظ النساء، من الغوائل التى تؤدى بهن إلى الأعمال التى لا تليق بمسلمة.(٥).

هذا، وقد ذكر العلماء حكما كثيرة لمشروعية تعدد الزوجات، ومن هذه الحكم أن فى التعدد وسيلة إلى تكثير عدد الأمة بازدياد عدد المواليد فيها ولا شك أن كثيرا من الأمم الإسلامية التى اتسعت أرضها، وتعددت موارد الثروة فيها، فى حاجة إلى تكثير عدد أفرادها حتى تنتفع بما حباها الله من خيرات، وتستطيع الدفاع عن نفسها إذا ما طمع فيها الطامعون، واعتدى عليها المعتدون.

ومنها أن التعدد يعين على كفالة النساء وحفظهن وصيانتهن من الوقوع فى الفاحشة، لا سيما فى أعقاب الحروب التى - عادة - تقضى على الكثيرين من الرجال، ويصبح عدد النساء أكبر بكثير من عدد الرجال. ومنها أن الشريعة الإسلامية قد حرمت الزنا تحريما قاطعا، وعاقبت مرتكبه بأقسى أنواع العقوبات وأزجرها، بسبب ما يجر إليه من فساد فى الأخلاق والأنساب ونظام الأسر، فناسب أن توسع على الناس فى تعدد النساء لمن كان من الرجال ميالا للتعدد، مستطيعا لتكاليفه ومطالبه. ومنها قصد الابتعاد عن الطلاق، فإن المرأة قد لا تكون قادرة على القيام بالمطالب الزوجية التى تحتمها حياتها مع زوجها بسبب مرضها أو عجزها أو عقمها أو غير ذلك من الأسباب، فيلجأ زوجها إلى الزواج بأخرى غيرها مع بقاء الزوجة الأولى فى عصمته بدل أن يطلقها فتفقد حياتها الزوجية، وقد تكون هى فى حاجة إلى هذا الزوج الذى يقوم برعايتها وحمايتها والقيام بشأنها.

والخلاصة أن الله سبحانه وتعالى قد علم أن مصلحة الرجال والنساء قد تستدعى تعدد

---

٣ - سنن البيهقى ٧/٢٩٧

٤- تفسير المنار ص٤، ص٣٤٦ وما بعدها «بتصرف وتلخيص».

٥- إسلام بلا مذاهب، للأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة.

الزوجات - بل قد توجبه فى بعض الحالات - فأباح لهم هذا التعدد، وحدد غايته بأربع بحيث لا يجوز الزيادة عليهن، وقيد سبحانه وتعالى هذه الإباحة بالعدل بينهن فيما يستطيع الإنسان العدل فيه بحسب طاقته البشرية، فإن علم الإنسان من نفسه عدم القدرة على العدل بينهن لم يبح له التعدد.

ولو أن المسلمين ساروا على حسب ما شرع الله لهم لسعدوا فى دنياهم وفى آخرتهم، لأن الله سبحانه وتعالى ما شرع لهم إلا ما فيه منفعتهم وسعادتهم.

خاتمة

ولقد جعل الإسلام من المرأة كائنا مكرما، حفظ لها حقوقها قبل الرجال، ومنحها حرية كاملة فى ولايتها على ممتلكاتها وأموالها، ويسر لها حق الاختيار والرفض فى الزواج، وحق الصداق عند الطلاق، وضمن لها حقها المشروع فى الميراث، وأكرمها الرسول عليه الصلاة والسلام بأمر ربه فجعل الجنة تحت أقدام الأمهات، وأخيرا فإن أعظم الحقوق الشرعية التى كسبتها المرأة من القرآن الكريم لأول مرة - حسب تعبير الأستاذ العقاد - أنه رفع عنها لعنة الخطيئة الأبدية ووصمة الجسد المرذول.

كان من الطبيعى والأمر كذلك أن يلتمع للمرأة المسلمة نجم، وأن يرتفع لها شأن، وأن يعظم لها أمر، وأن تسمو لها مكانة، وأن تبرز لها شخصية فتفتى المسلمين فى أمور دينهم كما فعلت السيدة عائشة وبعض أمهات المؤمنين - رضى الله عنهن - وتجابه الخلفاء، ويعلو رأيها أحيانا على رأيهم، كما فعلت امرأة مسلمة مع أعظم خلفاء المسلمين فقال: «أصابت امرأة وأخطأ عمر»، وخاضت المعارك الحربية قولا وعملا فى سبيل المبدأ.. وأنشدت الشعر تثير به الهمم وتدفعها إلى الحروب.. لقد أخذ الإسلام بيد المرأة وكرمها وزكاها ومنحها كل ما هى أهل له كنصف للبشرية، وكأم وأخت وزوجة وابنة وعمة وخالة... فإذا حدثت بعد ذلك نكسة فليس الإسلام هو الذى نكسها، ولكن الأوضاع الاجتماعية، والانفلات عن الجادة، واستحداث التقاليد من رجعية جامدة أو انطلاقية منحرفة... كل ذلك وليس الإسلام مسئول عن الردة وملوم عن النكسة.. وإنما المسلمون أنفسهم المسئولون عن عدم تنفيذ شرع الله والالتزام بأحكامه.

***



المرأة العربية من حياة الفنادق .. إلى جهاد الخنادق

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

دخلت أسماء بنت عميس على «حفصة» زوج النبي -ﷺ- زائرة. وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه. فدخل عمر على حفصة و«أسماء» عندها.

فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟

فقالت: أسماء بنت عميس.

فقال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟!

فقالت أسماء: نعم.

فقال عمر: سبقناكم بالهجرة: فنحن أحق برسول الله -ﷺ- منكم.

فغضبت.

وقالت: كلا يا عمر! كلا والله!! كنتم مع رسول الله -ﷺ- يطعم جائعكم. ويعظ جاهلكم. وكنا فى دار -أو أرض- البُعد.. البُغضاء.. بالحبشة؛ وذلك.. فى ذات الله -عز وجل- وفى رسول الله -ﷺ- وايم الله: لا أطعم طعاما. ولا أشرب شرابا. حتى أذكر ما قلت لرسول الله -ﷺ-. وأسأله: والله لا أكذب. ولا أزيد على ذلك.

فلما جاء النبى -ﷺ- قالت: «يا نبى الله: إن «عمر» قال: كذا وكذا. فقال رسول الله -ﷺ-: «فما قلت له؟»

قالت: قلت له كذا وكذا.

فقال رسول الله -ﷺ- ليس بأحق بى منكم..

وله ولأصحابه هجرة واحدة. ولكم يا أهل السفينة هجرتان».

قالت: فلقد رأيت «أبا موسى» وأصحاب السفينة يأتونى أرسالا. ليسألونى عن هذا الحديث. ما من الدنيا شىء هم أفرح به. ولا أعظم فى أنفسهم مما قال رسول الله -ﷺ- لهم. [... راجع صفة الصفوة ٢/٦٢]

تمهيد

سيرة «أسماء بنت عميس» سيرة غنية عميقة الدلائل.. تجعل منها مجلى للاجتهادات. والاتجاهات.. والتى تنبه الدارسين إلى مزيد من البحث والتنقيب وراء مواهب المرأة المسلمة.. التى يجب أن تكون فى نقطة الضوء؛ تبصرة وذكرى.. وكشفا إلى أى حد كان الإسلام نعمة عظمى -حين قضى على جريمة «وأد البنات»، والذى كان من ثمراته بقاء مثل هذه المرأة المؤمنة عينا ثرية بالأفكار والقيم.. مؤكدة قدرة الإسلام على صنع هذا الطراز الفريد.. والذى نرمى به وجوه من يفترون على المرأة الكذب.. والتى -لولا الإسلام- لدفنت فى التراب وحرمت الحياة من بركاتها.. ولكن الإسلام يحيى «الموءودة» لتشهد أن (من لم تكن تراها الشمس تعانى اليوم شظف العيش جاعلة من حياتها: أملنا وإليها مفزعنا.. ومن خصائصها أرضا صلبة تقف عليها اليوم مؤمنات صابرات.. تشد من سواعدهن بأجنحة من الصبر والوفاء.. تحلق بها فى السموات العلا. كما يحلق النسر هناك

عند الشمس.. شاهدة أننا بالإيمان الأقوى.. وأننا أبدا لن نموت. مهما بدا العدو قويا:

فإنه ما قوى العدو.. إلا يوم أن ضعفنا

وما اشتد ساعده إلا بتراخى الإرادة فينا) ا.هـ

دلالة إسلامها المبكر

كانت من مدرسة خديجة -رضى الله عنها- والتى آمنت به حين كذبه الناس.. فكان إسلامها فى فترة العسرة دليل إخلاصها: وذلك بعض ما يشير إليه قوله -تعالى-:

﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾

(الحديد: ١٠)

وقوله -تعالى-:

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ ﴾

(الأنفال/ ٢٦)

ويعنى ذلك أنه كانت لأسماء -رضى الله عنها-:

كانت لها بصيرة كاشفة.. استوعبت حقائق الإسلام.. وقد كان يومئذ فى مكة رجال من أعيانها.. ولكنها سبقتهم جميعا إلى اكتشاف جوهر الإسلام.

ثم كانت لها إرادة ماضية على أحر من الشوك. شاهدة باستعدادها للتضحية فى سبيل عقيدة تؤمن بها فى أحرج الظروف إلى جانب دلالة ذلك على أنها كانت نضيجة الرأى محكمته.

الطيبات للطيبين

وإذ يقول الحق -تعالى-:

﴿وَالطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾

النور/ ٢٦

فقد كانت «أسماء» هي الطيبة.. وكان «جعفر بن أبي طالب» -رضي الله عنه- هو الطيب الذي كانت زوجا له.. والأرواح جنود مجندة: ما تعارف منها ائتلف.. وقد تعارفا على هذا القاسم المشترك الأعظم.. وهو: الشجاعة في الحق.

أما عن شجاعتها.. فقد علمناها من موقفها هذا الذي نعلق عليه.. حين عارضت عمر -رضي الله عنه-..

ثم تحملت مسئولية الشكوى إلى رسول الله -ﷺ- فتحدثت باسم أخواتها من المهاجرات والمهاجرين.. بعدما كان زوجها «جعفر» -رضي الله عنه- هو «المتحدث الرسمي» أمام النجاشي.. وباسم المهاجرين جميعا.

وهكذا: يلتقي السالب.. بالموجب.. فيتكاملان.. ثم يضيء المصباح.. أو يطلع الصباح.

العروسان من الدار إلى النار!

ولكن القدر الأعلى كان قد عد للعروسين امتحانا عسيرا بل أعد لهما عقبة.. وعليهما أن يقتحما.. فقد صدرت أوامر الرسول -ﷺ- بالهجرة إلى الحبشة.. فماذا فعل العروسان: جعفر.. وأسماء؟ لك أن تتصور سلاسل المصابيح تضيء الطريق.. والأغصان الخضر.. تيجانا تزين البيوت.. كل أولئك يتوارى: المصابيح.. ينطفيء بريقها والأغصان الخضر.. يعتريها الذبول.. ومن الأفراح.. إلى الكفاح: عبر الصحراء.. وفي مسالك هي في الواقع شعاب الموت!

ولكن ذلك يهون كله في سبيل العقيدة.

ثم لا بأس من الاغتراب.. في صحبة الأحباب.

وكان عليها أن تغالب نزعة أخرى تناوشها.. جاعلة من الهجرة أمرا صعبا.

فهي تغادر مكة، مهبط الوحي، ومنزل النبوة: البلد الحر: الذي لا يحكمه أجنبي بلد الأمان والإيمان ولكنها النفوس الكبيرة. تدفع راضية تكاليف العقيدة

العود الحميد ومسلسل التضحية

وعادت أسماء -رضي الله عنها- في صحبة زوجها من الحبشة إلى مكة.. وكان من حقها أن تستريح وأن تأخذ نفسا طويلا

بعد هذا الاغتراب الذي استمر خمسة عشر عاما: جاءت أما.. بعد أن دخلتها عروسا.

ولكن القدر الأعلى لم يمهلها فقد كلف زوجها بالتوجه إلى «مؤتة».. ليكون واحدا من قوادها العظام.. ثم استشهد جعفر -رضي الله عنه- وابتلعت المجاهدة أحزانها، وتفرغت لتربية أولادها.. وفاء لزوجها الراحل الكريم.. حتى صار ولدها عبدالله بن جعفر -رضي الله عنه- صار راوية يأخذ عن أمه!

من تدبير الأقدار

ولقد كان من تدبير الأقدار أن تموت أم

رومان، زوج أبي بكر -رضي الله عنه- ثم ينتهي الأمر بزواجه من أسماء!

وفي الليلة الظلماء.. يجيء الفرج ملتمعا التماع البدر في كبد السماء!

جزاء الصابرين

لقد صبرت «أسماء» فنالت جزاء الصابرين، لكن «أسماء» -رضي الله عنها- لم تتوقف الزمان تستعطفه.. باكية من ذكرى حبيب ومنزله.. ولكنها تجمده.. تحديا.. واستخفافا بتصاريفه.

ثم جاء زواجها من أبي بكر -رضي الله عنه- جزاء مذخورا.. يؤكد أنه لا بأس على المرأة أن تتزوج بعد وفاة العائل.. وأنه لا أصل لما يدعيه الناس اليوم حين يسكتون في أعماقهم صراخ الغريزة متجملين.. رافضين الزواج أنفة.. بل نفاقا!

الجهاد المبرور

وخلال ذلك كله كان لها دورها المرموق على مختلف الأصعدة العلمية والاجتماعية.. والخلقية.

أما نشاطها العلمي: فقد روت ستين حديثا عن النبي -ﷺ- وروى عنها «أبوموسى الأشعري» وابنها عبدالله بن جعفر ثم عمر بن الخطاب، والذي كان يسألها عن تفسير المنام.. ثم قدر لها «تفرغها» للعلم.. ففرض لها ألف درهم.

ويعني ذلك: أنها كانت مصدرا من مصادر المعرفة.. ممن انتقلت حقائق الإسلام منها.. إلينا.

وتصور كيف صار منزلها مقصد وفود الصحابة الكرام.. والذين جاءوا يسألونها عما حفظت من حديث رسول الله -ﷺ-.

أما عن دورها الاجتماعي، فقد كان لها رأيها الحكيم فيما يهم المجتمع.. حتى قيل إنها أول من أشار «بالنعش»: نعش المرأة.. حين جاءت من أرض الحبشة.. بعدما رأت النصارى يصنعونه هناك.

إن تقدمها في السن لم يقلل من حركتها.

وهكذا الإنسان، كلما تقدم إلى جهة «الشمال» كلما أحس بلسعة البرد.. وإذن.. فلابد من مضاعفة الحركة.. مغالبة لهذا البرد الوافد!!

أسماء في الخالدين

يقول المجربون: كلما ازداد استعدادك للعطاء.. ازداد بالضرورة ما تحصل عليه، ولم يكن الذي عند أسماء -رضي الله عنها- لم يكن مجرد استعداد للعطاء.. بل كانت معطية فعلا: كانت من الذين يعطون.. ولا يأخذون إلا القليل.. وإذا غابوا عن الدنيا راحلين.. فإن الحياة تفقد بهم شريانها..

نهاية حياة

ولما جاءها نعي ولدها «محمد بن أبي بكر» بمصر.. حزنت عليه حزنا شديدا.. انحدر إلى قلبها فدمره.. فماتت.. لقد رحلت عن الحياة بجسدها.. أما روحها.. أما سيرتها.. فمازالت تعطر الحياة..

وسلام على أسماء.. في الخالدين

الأمة الإسلامية والدور الغائب

للدكتور / حمدى فتوح والى

لأننا أمة أوتيت معجزة القول وفصاحة اللسان، فإن كلا منا عن أمجادنا، وعظمة تراثنا، صار يملأ الدنيا من حولنا، وكأننا عندما نتكلم عن مآثر آبائنا، وعظمة أجدادنا، نحس بنشوة من أدى الواجب، واستشعر الراحة بالفراغ منه. وهو نوع من الخداع العقلى أورثنا هذا الواقع الأليم من الهشاشة والضحالة والدونية والهوان، وجر علينا سخرية الأمم من حولنا، حين ادركوا أن آخر عبقريتنا كلام وآية عظمتنا كلام، ولباب حضارتنا كلام.

ولعل مشغلتنا بالكلام وإجادتنا أساليبه، جاءت عن فهم خاطىء لمعجزة القرآن الكبرى، والتى تحدى الله بها العرب، وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، عندما كانت الفصاحة هى عدة العرب وعتادهم وفخرهم ورمز هيبتهم وقبل أن يصير حالهم إلى ما صار إليه اليوم، حتى ليعجز كثير من أدبائهم وغالب خطبائهم عن إقامة عدة جمل لا يلحن فيها لحناً فاحشاً، يؤذى به ذوقك، ويجرح به حسك، ويتركك حائراً عاجزاً عن فهم ما يريد.

فإذا رأينا من يختار من أسلحة القرآن اليوم سلاح الإعجاز البيانى ليعادل به سدنة العلم الحديث، ممن سبحوا فى الفضاء وغاصوا فى الماء، وبهروا العالم بقوانين الرياضيات، وأعاجيب الكيمياء، فإن هؤلاء يصنفون فى نظر أهل هذا الزمان بأنهم يعانون حالة من الغياب العقلى ونوعاً من الجمود الفكرى والتخلف الثقافى والدعوى.

ولا يظن أحد أننا نقلل من شان الإعجاز البيانى لكتاب الله فهو الإعجاز الخالد التالد، ولكننا نلفت الأنظار إلى طبيعة المرحلة، وحاجة الميدان، واختيار الأولويات تبعاً لفقه العصر واحتياجات الزمان، وحتى الإعجاز البيانى لم يعد واضح الدلالة لدى كثير من الناس. فإعجاز القرآن لم يكن فقط فى دقة ألفاظه وإحكام جمله، وبراعة تراكيبه، وروعة دلالاته، وصدق معانيه، وإنما كان قبل ذلك وبعده فى عظمة ما يحويه من منهج قويم، وتصور سليم، وإصلاح شامل، وتشريع كامل، وإحاطة بجميع شئون الحياة فهو معجز بما أخبر عن السابقين، ومعجز بما تنبأ به عن اللاحقين ومعجز بما قدم من تشريع وتقنين، ومعجز بسبقه للعلماء والباحثين من علماء الفلك والأرض والأجنة، وقوانين الطرد والجذب وغيرها من القوانين.

وهو بجانب ذلك كله معجز بما قدم من تقويم للنفوس، وتربية للأبدان، وتهذيب للمشاعر، وتنقية للضمائر، وتكوين للأمم وتكريم للإنسان. فهلا انشغلنا بإعجازه الفريد فى معالجة تلك الجوانب جميعا، وأخلصنا الجهود فى رصدها، وبيان مجازها، وتقديمها للناس، قياما بحق الله علينا، وأداء للأمانة التى حملناها عن نبينا ﷺ، وتنفيذاً للميثاق الذى أخذه الله على العلماء من هذه الأمة

﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾

آل عمران: ١٨٧

وإنما يريد الله من أنفسنا صدق الهمة، وحسن الطاعة، وجميل الاستجابة لقول الله سبحانه:

﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾

البقرة: ٦٣

إننا نعتب على أمم الأرض، التى حرمت الهداية والإيمان، تقصيرها فى البحث عن الإسلام، وتنقيبها عن أسراره، والاسترشاد بهديه، والانتفاع بمعانيه، بينما لا نعتب على أمتنا نسيانها لرسالتها، وجهلها لمكانتها، وخيانتها لأمانتها، وهوانها على الناس.

وهل هناك نسيان أكبر من هجر كتابها، وتعطيل حدودها، ونبذ شريعتها، وإفساد عقيدتها، وتشويه تراثها وملاحقة دعاتها فى لدد ظاهر وعداء مستميت؟!

إن الله سبحانه وتعالى قد حدد لهذه الأمة مهمتها التى لها خلقت ومن أجلها وجدت، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾

آل عمران: ١٠٤

فهل دعت الأمة هذه الرسالة، وأدت تلك الأمانة على الوجه الذى يريده ربنا ويرضاه؟

وهل كان المراد بأداء تلك الرسالة، أن نتبارى فى ميادين الأقوال، وأن نملأ الساحات والمجالس بالمراء والجدال، وأن نحشد من النظريات والشواهد والبراهين ما يدل على أننا كنا خير أمة أخرجت للناس،

بينما واقعنا خير شاهد على تخلفنا وعجزنا وتبعيتنا وقهرنا، بما يجعلنا فتنة لأهل الأرض أجمعين ونحن الذين حذرنا الله من ذلك بقوله:

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

الممتحنة: ٥

لقد أصبح واقع أمتنا المزرى، أخطر عائق أمام من يريد الهداية والدخول فى الإسلام، فبعد أن يقرأ عن الإسلام فيمتلىء إعجابا بمبادئه، وثقة بمنهجه، ويقينا بتشريعه وهديه يكفى أن يقوم هذا المهتدى بزيارة واحدة إلى أية دولة من الدول المنتسبة للإسلام لتكون تلك الزيارة كافية لعودته إلى كفره، ونكوصه على عقبيه.

إن الله سبحانه وتعالى عندما اختارنا للخيرية، وانتدبنا للقيادة بين لنا طبيعة المهمة التى لها خلقنا، ومن أجلها وجدنا، وأعلمنا -سبحانه وتعالى- أنها تقوم على عمل دائب، وجهاد موصول. وجعل الهداية ثمرة من ثمرات هذا الجهاد فقال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

العنكبوت: ٦٩



الشيخ محمد الغزالى

وهذا يقتضى أن تقدم الأمة من نفسها مثالا يحتذى، وأسوة حسنة، وترجمة عملية لما تريد أن تدعو الأمم الأخرى إليه. يقول الشيخ محمد الغزالى:

«إن الوظيفة الأولى لدولة الإسلام أن تُرى الأمم الأخرى آفاق الخير الذى تدعو إليه مشرقة فى حياتها هى!

فى أخلاقها وتقاليدها وعباداتها ومعاملاتها، وآدابها وفنونها وملاهيها وأسواقها وقراها ومدنها. أى فى جميع أنشطتها التى تكشف عن أعمالها وآمالها..»[1].

إن الأمة التى تملك منهجا كمنهجنا، ورسالة كرسالتنا، ورصيدا من التجربة الناجحة كرصيدنا، أمة غير معذورة إذا هى غابت عن قيادة البشرية، وعجزت عن الخروج للناس.

إن خروج أمتنا للناس أول مرة، كان خروجا بطوق النجاة لفريق أوشك على الغرق، ومريض أشفى على الهلاك بعد أن استبد بالأرض شياطينها، وامتلك زمامها أشرارها من الرومان عبدة الشهوات والمجوس عبدة النار وبعد أن ضرب الفساد

(١) (الطريق من هنا). الشيخ/ محمد الغزالى. دار البشير. الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧ ص٨٢.

أطنابه فأصاب حياة الناس بالشلل التام. يصور ذلك العلامة الشيخ أبو الحسن الندوى فيقول:

«استحوذت على الناس فى الدولتين الفارسية والرومية حياة الترف والبذخ، وطمى عليهم بحر المدنية المصطنعة والحياة الزائفة، وغرقوا فيه إلى أذقانهم. فكان ملوك فارس والروم، وأمراء الدولتين سادرين فى غفلتهم، ولا همَّ لهم إلا اللذة، والتهام الحياة..»[2].

وبينما كان هذا حال الفرس والروم، كان حال العرب أشد مهانة وإسفافا، وأظهر جهالة وضلالا «فقد انغمست الأمة فى الوثنية وعبادة الأصنام بأبشع أشكالها، فكان لكل قبيلة أو ناحية أو مدينة صنم خاص، بل كان لكل بيت صنم مخصوص، ومن لم يقدر على صناعة صنم فى داره نصب حجرا أمام الحرم ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها الأنصاب»[3].

وما أشبه الليلة بالبارحة، وما أدق الشبه بين حال أمم الأرض فى جاهليتها الأولى وبين حالتها اليوم، والفارق الوحيد، هو أن الجاهلية الأولى وجدت لها أمة فتية ذات عقيدة قوية، ورسالة خالدة، ومنهج قويم، فانطلقت بهذا المنهج وتلك الرسالة إلى أهل الأرض، فأصلحت فسادهم، وقومت



الشيخ ابو الحسن الندوى

اعوجاجهم، ووضعت أمام أعينهم معالم الطريق. فبماذا تخرج أمتنا على الناس اليوم؟! وما الذى تملكه أمتنا ولا يملكه الغرب، ولا يستطيع العيش بدونه، ولا تستقيم حياته إلا به؟ إن الشىء الذى يحتاج إليه الغرب ولا يملكه، ويتشوق إليه ولا يجده، هو الإحساس بالأمان. والاطمئنان، والراحة والهدوء أمان النفس، واطمئنان القلب وهدوء الأعصاب، وراحة الضمير.

إنه يريد أن يستعيد توازنه الروحى، ويقينه الإيمانى وهدوءه النفسى، فلا يجد شيئا من ذلك ميسرا أمامه، فلا يملك إلا أن يسلم نفسه لدوامة الحياة المادية تصرعه بآلاتها، وتطحنه بأنيابها.

ولقد أجاد المفكر الإسلامى، أبو الأعلى المودودى وصف تلك الحالة بقوله:

«إن البذرة الخبيثة التى ألقيت فى تربة أوربا فى نهضتها الثانية لم تأت عليها قرون حتى نبتت منها دوحة خبيثة، ثمارها حلوة ولكنها سامة، أزهارها جميلة ولكنها شائكة، فروعها مخضرة ولكنها تنفث

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - أبوالحسن الندوى - مكتبة السنة ص٢٢٢.
(٣) المرجع السابق ص٢٢٢.

سما لا يرى، ولكنه يسمم دم النوع البشرى.. إن أهل الغرب الذين غرسوا هذه الشجرة الخبيثة قد مقتوها، وأصبحوا يتذمرون منها، لأنها خلقت فى كل ناحية من نواحى حياتهم مشاكل وعقدا، لا يسعون لحلها إلا وظهرت مشاكل جديدة، ولا يفصلون فرعا من فروعها إلا وتطلع فروع كثيرة ذات شوك. فهم فى معالجة أدوائهم، وإصلاح شئونهم كمعالج الداء بالداء، وناقش الشوكة بالشوكة، فلا ينتهى شر إلا إلي شر، ولا فساد إلا إلى فساد أكبر منه، ولا تزال هذه الشجرة تثمر لهم شرورا ومصائب، حتى صارت الحياة الغربية جسدا مقروحا يشكو من كل جزء أوجاعا وآلاما، وأعيا الداء الأطباء، واتسع الخرق على الراقع، ومنهم جماعة قليلة من العقلاء، أدركوا أن أصل حضارتهم فاسد، ولكنهم لما نشأوا قرونا في ظل هذه الشجرة، وبأثمارها نبت لحمهم ونشز عظمهم، وكلت أذهانهم عن أن يعتقدوا أصلا آخر غير هذا الأصل، يستطيع أن يخرج فروعا وأوراقا صالحة سليمة، وكلا الفريقين فى النتيجة سواء. إنهم يتطلبون شيئا يعالج سقمهم ويريحهم من كربهم ولكنهم لا يعلمونه»[٤].

فهل تعى أمة الإسلام مهمتها؟ وهل تدرك رسالتها؟

وهل آن الأوان لتتقدم لهذه البشرية المنكودة لتأسو جراحها، وتروى ظماها، وتضع عنها إصرها والأغلال التى كانت عليها، وتعيد للغرب الأحمق الجاهل معنى الأمن النفسى، واليقين الروحى، وتمنحه التوازن الإيجابى بين إنسان الروح الذى قتلوه، وإنسان الجسد الذى دللوه وعبدوه.

هذا ما تنتظره أمم الأرض من أمة الإسلام اليوم فهل نحن فاعلون؟!

***



(٤) المرجع السابق.



الإسلام فى الإعلام الأمريكى

للأستاذ الدكتور/ عبد الله نجيب

الصورة العامة للإعلام الأمريكى وفلسفته، تقوم على مبدأ التدفق الحر للمعلومات، ويدهش المرء عندما يرى ضخامة الإعلام الأمريكى، وضخامة الدور الذى يقوم به في تقديم المعلومات، فى محاولة لبناء ثقافة معرفية وسلوكية وسياسية تستهدف ذاكرة العالم كله، وتؤثر فيها بطرق علمية وفنية مدروسة ومتسقة بأكبر قدر من العناية والتركيز.

ثمة أكثر من (١٧٠٠) جريدة يومية، وآلاف من النشرات الأسبوعية، و(٩٠) محطة إذاعية، و(١٠٠) محطة إذاعة مرئية، و(٧) مراكز إنتاجية رئيسية و(٢٥٠٠) دار لنشر الكتب، فضلا عن التفوق الأمريكى فى صناعة الأشرطة والموسيقى، وحيازتها لسوق خارجية ضخمة فى ظل انتشار الإذاعات المرئية، والأقمار الصناعية والقنوات الفضائية وشبكات المعلومات المختلفة.

ومع اعترافنا بدور الإعلام الأمريكى فى التنوير وتقديم المعلومات بقدر كبير من الفنية والجرأة، إلا أن هذا الإعلام أكثر براعة فى التضليل وتغييب الوعى تحقيقا لأهداف سياسية واقتصادية وثقافية خاصة.

يقدم الإعلام الأمريكى معلومات غير صحيحة عن كثير من القضايا المحلية والعالمية، ومنها تغطيته غير النزيهة والمغرضة للصراع العربى الإسرائيلى، وقضايا العرب والمسلمين، وتشويه صورتهم فى العالم، وتشويه الإسلام ذاته والافتئات عليه بكل السبل والوسائل.

وإذا حاولنا تحليل أسباب هذا الخلل، فإننا ندرك لأول وهلة أن ذلك يرجع إلى تركيبة هذا النظام الإعلامى، وطبيعة ارتباطه بشبكة من الاحتكارات فى المجال العسكرى والمجال الاتصالى، وارتباطه بمصالح نخب معينة فى المجتمع الأمريكى على رأسها أصحاب الأموال ورجال السياسة.

هذا بالطبع يؤدى إلى القضاء على مبدأ الاستقلالية وحرية تدفق المعلومات وعدم حيادية المادة الإعلامية طالما أنها سلعة تباع وتشترى، وتوظف لتحقيق أهداف أفراد ومؤسسات مثل مجمعات صناعة السلاح الأمريكية «جنرال إليكتريك» التى تملك أضخم شبكة إذاعية مرئية هى «أ. ب. سى» علاوة على شبكة «سى. بى. إس» و«آى. بى. سى».

تقتضى المصالح الشخصية أحيانا نوعاً من الاحتكار الإعلامى، الذى يقتضى أحيانا إخفاء بعض الحقائق والمعلومات، أو حتى تزييفها أو التجهيل بها والتعتيم عليها، أو الانتقاء منها طالما أنها تتعارض مع ما يسمى «بمصالح أمريكا» و«الأمن القومى الأمريكى» أو تحقق نوعا من الكسب وتحقيق المنافع الاقتصادية.

وتتبنى وسائل الإعلام الأمريكية - فى هذا المضمار - اتجاهات وآراء جهات معينة، المثال الصارخ على ذلك هو اللوبى الصهيونى الموجود بصورة واضحة فى المؤسسات الإعلامية الأمريكية، علاوة على امتلاك للمال وسلطانه الذى لا يقاوم[1].

ومن المؤسف أن التغطية الخبرية لوسائل الإعلام الأمريكية تجاه قضايا العرب والمسلمين، تتأثر بشكل واضح بدور اللوبى الصهيونى، القادر على التأثير الفاعل فى تقرير مضمون الخبر واتجاهه، من ذلك على سبيل المثال قيام اليهود المساهمين فى شركة «تايم وورنر» المالكة لشبكة «سى. إن. إن» الفضائية الأمريكية ببيع أسهمهم فيها احتجاجا على تغطيتها المرئية لأحداث الانتفاضة الفلسطينية، مما أدى إلى تغيير الشبكة لطريقتها فى تغطية أحداث الانتفاضة بما يحقق أهداف ورؤية اليهود لها، كما أوقفت الشبكة بث تقارير مراسليها فى قطاع غزة.

ووفقا لمعايير اللوبى الصهيونى، تبدو إسرائيل مدافعة عن أمنها ضد ما تسميه عنف

(١) نسبة اليهود فى الولايات المتحدة لا تتجاوز ٢٪ إلا انهم يشكلون ٢٥٪ من مسئولى الجهاز الإعلامى، ونسبة ٥٩٪ من العاملين فى القنوات المرئية، ويساهمون فى الشركات الإعلامية بنسبة عالية.

الإرهابيين الفلسطينيين ويصبح العربى المسلم شريرا ومتخلفا وقاتلا وإرهابيا.

عمدت الصهيونية إلى ترسيخ صورة سلبية للإسلام شبيهة بصورة الشيوعية فيما مضى، وأصبح الإسلام فى وسائل الإعلام الأمريكية هو الخطر القادم على المجتمع الدولى والحضارة الغربية، ويشير «جاك شاهين» إلى أن منتجى هوليود يستخدمون ستارا خلفيا يمثل بلاد المسلمين، يظهر فيه ممثلون إسرائيليون وأمريكيون فى دور نساء محجبات بملابس سوداء، ورجال فى ملابس رثة وإرهابيون شرسون وراقصات ومسلحون وحكام مستبدون أشرار.

ودأبت وسائل الإعلام الأمريكية على صياغة مفردات مبنية على إسقاطات عن الإسلام والمسلمين مثل: العدوانية -الوحشية - التعصب - اللاعقلانية - الرجعية - معاداة المرأة، ويتم تقديم كل ذلك بوصفه وثيق الصلة بالإسلام وثقافته، وأنها لا تنفصم عن الإسلام بحال من الأحوال.

ودأبت وسائل الإعلام الأمريكية - فى مرحلة لاحقة على ترسيخ فكرة الخوف من الإسلام ونشر الفزع من المسلمين على حد قول «راينهارد شولتسة» أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية فى جامعة «هامبورج».

هكذا تصور وسائل الإعلام الأمريكية أخطارا وتهديدات ذات طبيعة اجتماعية أو سياسية أو عسكرية أو ثقافية، وبناء العداء للإسلام على خوف عام من المسلمين. فبلادهم - على حد زعمهم - لا تتمتع بالاستقرار وفيها الكثير من القلاقل والحروب العرقية والأهلية والقبلية وفيها العنف والأمراض والأوبئة والآفات الأخرى التى لا يمكن حصرها، والتى تدفع المسلمين إلى الهجرة الشرعية وغير الشرعية إلى الولايات المتحدة والدول الغربية، مما يمثل تهديدا متزايدا لقيم الغرب وحضارته.

وفى نظرنا أن إحدى فرضيات الخوف من الإسلام تتمثل فى عدم الاطمئنان لدى الأمريكيين واليهود لمكاسبهم ومنجزاتهم السياسية والاقتصادية، التى تبدو الآن موضع شك متزايد، يتضح ذلك من خلال شيوع مقولات مثل: التشرد الجديد -مجتمع الثلثين الـ ٦٠٪» فقر كبار السن... إلخ فالخوف من الفقر، وعدم الاطمئنان الحضارى والثقافى عنصران أساسيان ومؤثران فى سلوك اليهود الأمريكيين، وإذا أضفنا إلى ذلك قدرة الثقافة الإسلامية على المنافسة كما اعترف بذلك كثير من مفكريهم وفلاسفتهم[2]، فإننا ندرك سببا من أسباب هذا الفزع، فالخوف من الإسلام هو المعادل الأيدلوجى للخوف من المستقبل، وينتشر فى الولايات المتحدة والغرب فزع من غزو خارجى على يد من يسمونهم الأصوليين الإسلاميين أو سكان

(٢) أما العقائد الأخرى فهى بعيدة جغرافيا وهامشية ثقافيا.

الجنوب الجياع الهاربين من صراعات عالم الجنوب كما يزعم «فوزكر ماتيسى»[٣]

لقد ظل المسلمون لزمن طويل خصوما للغربيين، وظل بينهما صراع ثقافى عميق، وكان الأتراك المسلمون منذ أقل من ٤٠٠ عام يهددون قلب أوروبا والهوية الغربية، واحتفظت المجتمعات الغربية من مئات السنين بمسلمات ومقولات وأحكام مسبقة عن الإسلام، انتقلت من جيل إلى جيل وانتقلت من المهاجرين إلى العالم الجديد، وأصبحت كامنة فى اللاشعور الجمعى، ويعمد الساسة وأصحاب المصالح الخاصة إلى استخدام هذه الرواسب التاريخية وإعادة استثارتها واستثمارها كلما اقتضت الضرورة السياسية لذلك، كما حدث فى حرب أفغانستان وحرب الخليج الثانية.

ومن الملاحظ ازدياد توظيف فكرة «العداء الإسلامى» فى السياسة الداخلية لكثير من البلدان الغربية، وليس من قبيل الصدفة أن يعمد السياسى النمساوى اليمينى المتطرف «يورج هايدر» فى الفترة الأخيرة إلى إثارة الذعر وبعث الماضى من خلال أحاديثه ورواياته.

يقول «فرنتس نوشلر» كلمة حق ردا على تلك المزاعم، يقول: «إننى لا أخشى الخطر الجديد الذى يصنعه الغرب بيديه، بل أخشى ردود الفعل الناجمة عن صناعته فى مجتمعنا، فتشير مخاوفى من سياسة مناهضة اللاجئين التى تدور رحاها أمام أعيننا، أكثر من خوفى من الأصولية الإسلامية أو من تزايد أعداد اللاجئين وأرى أن فكرة العداء للإسلام أو الجنوب عموما تربى العنصرية وتشجع على إقامة بناء أوروبى منعزل بالإضافة إلى أنه يدعم الآراء التمييزية لذلك أعتقد أن إنسانية أوروبا معرضة للخطر، وليس أمنها العسكرى ولا رفاهيتها».

من كل ذلك يتبين أن الإسلام لا يظهر أمام الرأى العام الغربى عامة والأمريكى خاصة كنظام عقائدى ثقافى متكافىء ينبغى الإقرار به والتعامل معه، وبحث أوجه التباين والتشابه، بل إن السعى موجه الآن نحو صياغة الإسلام كعدو مما يوفر عكازا تتكىء عليه الثقافة الغربية الأمريكية التى لا تثق فى منجزاتها وقيمها.

وصفوة القول: إن العداء المتزايد للإسلام يعكس سوء فهم قائم على أسس غير علمية وأخرى مقصودة تنم عن كراهية وعداء سافر وسيبقى الغرب طويلا ومعه الولايات المتحدة أسرى الخوف المرضى مما يسمونه بالتهديد القادم من الجنوب، وتحديدا من العالم الإسلامى.

ويمكن إبراز اتجاهات الإعلام الأمريكى فى هذا الصدد على النحو التالى:

١- الربط بين الإسلام والإرهاب، الذى هو

(٣) فى مقال له عن: (العدو الجديد - عالم الجنوب).

من وجهة نظرهم نتيجة لتعاليم الإسلام وقيمه.

٢- الإسلام كعقيدة وشريعة وسلوك خطر حقيقى على المجتمعات المتحضرة والحضارة الإنسانية بوجه عام.

٣- العربى والمسلم أشرار وأعداء ومتخلفون ويجب التنفير منهم واحتقارهم.

ومع كل ذلك، فعلى الوجه الآخر نلاحظ:

أولا: تنامى عدد الداخلين فى الإسلام فى كل بلاد العالم، ففى استراليا زاد عدد المسلمين خلال العقد الأخير إلى ٤٥٠ ألف مسلم بنسبة ٦١٪ من السنوات الخمس قبل هذا العقد وزاد عدد المسلمين فى السويد وبلجيكا وهولندا ومالطة وسويسرا وروسيا، برغم كل أنواع الدعاية السوداء عن الإسلام والمسلمين[٤]

ثانيا: ازدادت أعداد الجمعيات الإسلامية فى عدد من دول أوروبا منها: فرنسا وألمانيا والسويد، وفى كل الدول الأفريقية وعلى رأسها بنين وأثيوبيا والنيجر وغانا وناميبيا ورواندا وبوروندى وتوجو.

ثالثا: ازداد التعرف على الإسلام حيث شهد العقد الأخير أكثر من ٣٠ مؤتمرا للحوار بين الأديان وقامت المنظمات الإسلامية وعلى رأسها المجلس الإسلامى فى ألمانيا بإعداد برامج للتعريف بالإسلام وأعلن المنسق العام لاستراتيجية العمل الثقافى فى الغرب «صلاح الجعفراوى» أن هناك زيادة ملحوظة فى وعى كثير من الغربيين بالإسلام، وزيادة الاهتمام بالتقاليد الإسلامية.

وتدل الاستطلاعات على أن الأمريكيين أنفسهم صاروا أكثر معرفة بالإسلام «صحيفة لوس أنجيلوس تايمز» حيث أقام مركز الحوار العربى فى واشنطن ندوة حول أسلوب العمل ضد التمييز، وتحت شعار «كسر الحواجز» افتتح فى رودس فى اليونان معرض فنى لمسلمين من ٢١ دولة إسلامية، بهدف المساهمة فى الحوار بين الغرب والإسلام، وقام المؤتمر العالمى حول «المسلمون والنصارى فى أوروبا» فى «سراييفو» بالبوسنة بفتح أبواب حوار موسع لفهم الإسلام، وفتح مسلمو سويسرا أبواب الحوار حيث أقامت المؤسسة الإسلامية فى جنيف مشروعا بعنوان «حتمية الحوار» فى ٢٤ يونية ٢٠٠٤ وقامت ندوات للحوار الإسلامى المسيحى فى ٢٥ مدينة فرنسية نسقها جان بيير باكيه، واستضاف البرلمان الأوروبى بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والمركز الإسلامى الأوروبى ندوة عن المسلمين فى أوروبا وغير ذلك الكثير[٥].

(٤) شبكة إسلام اون لاين نت.

(٥) راجع إسلام اون لاين نت.

إسرائيل والدور المصرى فى غزة

للأستاذ / صلاح عبد الرحيم محمد

إذا كانت خطة شارون المعدلة للانسحاب المنفرد من غزة، وأربع مستعمرات شمال الضفة الغربية، سوف تكتمل مراحلها الأربعة بنهاية ٢٠٠٥، فإن مصر الحريصة على استقرار المنطقة ترى ضرورة أن يكون ذلك الانسحاب جزءا من خريطة الطريق التى تبنتها الرباعية الدولية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، بهدف إقامة دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل، تعيشان فى سلام، وتشمل هذه الخطة أربع مراحل:

الأولى: إخلاء مستعمرات نتساريم، وموراج، ورافياح يام فى قطاع غزة.

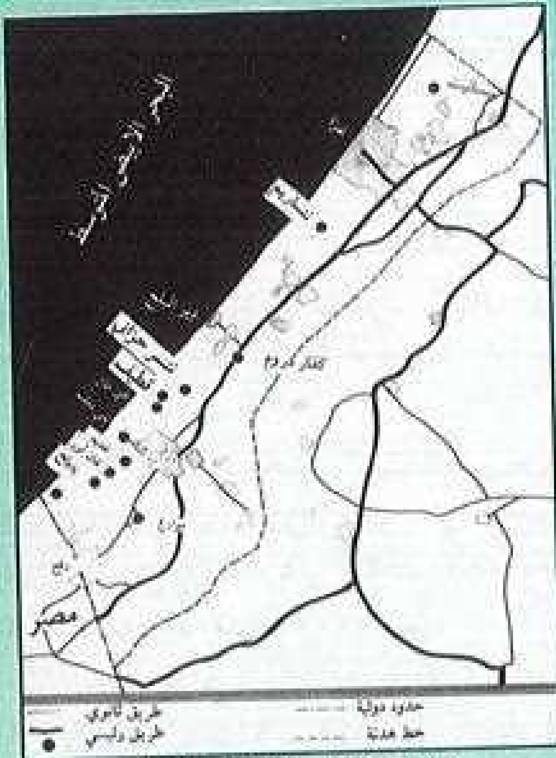
والثانية: إخلاء مستعمرات كاديم، وجانيم، وسانور، وجومس فى الضفة الغربية.

والثالثة: إخلاء مستعمرات جوش قطيف، وكفار داروم فى قطاع غزة.

والرابعة: إخلاء مستعمرات إيلى سيناى، ونيسانيت، ودوجيت فى قطاع غزة.

غير أن اللافت للنظر أن هذه الخطة الجديدة تنص على قيام الحكومة الإسرائيلية بالتصديق على كل مرحلة من مراحلها الأربعة، كل على حدة قبل تنفيذها، مع سيطرة إسرائيل على «محور فيلادلفيا» ذلك الشريط الممتد مئات الأمتار على الحدود بين مصر وغزة، والذى تريد إسرائيل من مصر قيامها بدور حراسته لمنع تهريب السلاح إلى غزة، فقد كتب المحلل السياسى الإسرائيلى «زئيف شيف» بجريدة هاأرتس فى ٣/٣/٢٠٠٤ يقول: «إن شارون متحير هل يطلب من المصريين أن يؤدوا دورا فاعلا فى المنطقة وأن يمنعوا تهريب السلاح عبر «محور فيلادلفيا» الذى يعبر الحدود بين سيناء والقطاع أم لا؟» ويضيف زئيف شيف قوله: «إن شارون ينتظر أن تتولى مصر دور إغلاق هذا المحور فى إطار خطة فك الارتباط وإنه من الخطأ أن تعتبر إسرائيل أن دور مصر فى النزاع الإسرائيلى الفلسطينى هو مجرد «دور الحارس» الذى ينبغى عليه الإمساك بمهربى السلاح إذ أن دور مصر كزعيمة للعالم العربى أكبر من ذلك، فلقد بذلت مصر فى العامين الماضيين جهودا كبيرة من أجل وقف إطلاق النار بين الجانبين»، وفى هذا السياق يتساءل هذا المحلل الإسرائيلى قائلا: لماذا لا تُنشر قوة دولية فى قطاع غزة، تكون مصر جزءا منها، فإن من حق مصر أن تطالب برفع الحصار المفروض على ميناء غزة ومطارها، ويشير الكاتب الإسرائيلى «جاى تيجور» إلى ضرورة إخلاء محور فيلادلفيا فيقول: «إن شارون يريد إخلاء محور فيلادلفيا، فإذا لم يتم إخلاؤه، فلن يحدث انفصال فعلى عن الفلسطينيين فى قطاع غزة».

وفى إطار الدور المصرى الريادى فى هذا الصدد كتب «عوزى بنزيمان» عن زيارة اللواء «عمر سليمان» لإسرائيل فيقول: «إن عمر سليمان أطلع الإسرائيليين أثناء لقائه بهم فى الثالث والعشرين من يونيو ٢٠٠٤ على اقتراح مصر لمرابطة قوة دولية فى القطاع، لكن شارون حذر وزراءه من الميل والجرى وراء ما يقترحه المصريون من «تدويل النزاع»، وقيام مصر بدور «الوسيط» بين إسرائيل والفلسطينيين» وهكذا تصر حكومة شارون على رفض المطالب المصرية بوجود قوة دولية فى قطاع غزة، حتى تواصل إسرائيل عدوانها على



المستوطنات الإسرائيلية فى قطاع غزة

الشعب الفلسطينى، كما يكشف شارون، بنفسه عن نواياه الحقيقية فى عدم قبوله للوساطة المصرية بين الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى، لتخوفه من انحياز مصر للحق الفلسطينى، وهذه هى طبيعة إسرائيل فى تشككها فى نزاهة الدور المصرى طالما لا يصب فى خانة الصالح الإسرائيلى، ويضيف هذا المحلل السياسى الإسرائيلى الحديث عن توسيع «محور فيلادلفيا» بهدم عشرات المنازل الفلسطينية فى مقالة بجريدة هاآرتس فى ٢١/٥/٢٠٠٤ فيقول: «إذا كان شارون يريد إعطاء المسئولية عن «محور فيلادلفيا» لأطراف دولية، ومن بينها

مصر فلماذا كلف الجيش الإسرائيلى بتوسيع هذا المحور بهدم منازل الفلسطينيين؟ وهل توجد حاجة ماسة لتوسيع محور فيلادلفيا؟ ومن جانب آخر يتحدث المحلل الإسرائيلى «آرى شبيط» عن الانسحاب من غزة إلى جريدة هاآرتس فى ٨/٤/٢٠٠٤ فيقول: «هناك بديلان حول الانسحاب من غزة:

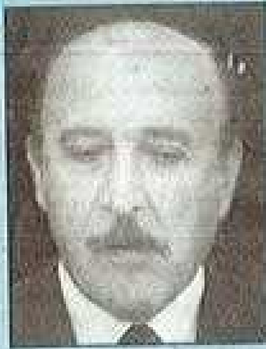
الأول: هو الانسحاب الإسرائيلى من قطاع غزة، وإعماره، وانفتاحه على العالم العربى، مع الإبقاء على قضية الضفة الغربية مفتوحة مدة عام أو عامين.

والبديل الثانى: هو بديل «إيهود باراك» اى الانسحاب التام من قطاع غزة، وأيضا الانسحاب إلى خط الجدار الفاصل فى الضفة الغربية، مع إخلاء كافة المستوطنات خارج هذا الجدار».

ويستمر «آرى شبيط» فى حديثه كاشفا النوايا الحقيقية للقيادة السياسية الإسرائيلية يمينية كانت أو يسارية لابتلاع الضفة الغربية، وضمها لإسرائيل فيقول: «إن كل بديل من هذين البديلين يحتوى على عدد من المخاطرفكلاهما يرسم خط حدود واضح بين الإسرائيليين والفلسطينيين» كما كشف المحلل الإسرائيلى «سيفر بلوتسكر» النقاب عن حقيقة الوضع الفلسطينى بعد الانسحاب الزائف من غزة فيقول فى مقالة بجريدة «يديعوت أحرونوت» فى ٢٠/٤/٢٠٠٤: «إن الانسحاب من غزة دون الانفصال عنه سيؤدى بالصراع الإسرائيلى الفلسطينى إلى مفترق الطرق إذ ستتحول غزة، بعد إخلاء المستوطنات إلى «جيتو فلسطينى» ضخم يحاصر فى داخله نحومليون ونصف مواطن فلسطينى يحرمون من السيادة الحقيقية، بسبب بقاء المعابر الحدودية للقطاع، وموانيه البحرية والجوية تحت الهيمنة الإسرائيلية، وهو يعنى أيضا أن الانسحاب ما هو إلا إعادة انتشار للقوات المحتلة لذلك فإن جهودا مصرية تبذل من أجل وضع هذه البدائل الحيوية، فى حالة الانسحاب الإسرائيلى من غزة تحت الإدارة الفلسطينية أو على الأقل تحت الإشراف الدولى حتى يمكن بناء الثقة بين الاسرائيليين والفلسطينيين من جهة، وتعزيز السيادة الفلسطينية على الأرض المحررة من جهة أخرى، ومن اللافت للانتباه أن شارون يريد أن يحتفظ بنصف الضفة الغربية نظير انسحابه المشكوك فيه من قطاع غزة فيقول «ألوف بن» فى مقاله بجريدة هاآرتس بتاريخ ٥/٢/٢٠٠٤ «إن شارون مستعد الآن لإخلاء غزة مقابل موافقة أمريكية بسيطرة إسرائيل على جزء كبير من الضفة الغربية، لذلك أصدر توجيهاته إلى مستشار الأمن القومى «جيورا أيلاند» برسم «خط أمنى» تستطيع إسرائيل الحفاظ عليه لعدة سنوات إلى أن يظهر شريك فلسطينى «صالح»، ويحتفظ

المحلل الإسرائيلى قوله: «إن شارون بانسحابه من غزة يحاول اقتفاء أثر «مناحم بيجين» بتنازله عن سيناء من أجل البقاء فى الضفة الغربية، و«إيهود باراك» بخروجه من لبنان لتكريس البقاء فى الجولان، و«شيمون بيريز» الذى آمن «بغزة أولا» ورفض الحل فى الضفة والقدس».

ومن ناحية أخرى يشكك «يورى أفنيرى» زعيم كتلة السلام الآن فى إسرائيل فى نوايا شارون حول جدية الانسحاب من غزة فيقول: «لو أن شارون يريد حقا الانسحاب من غزة لفعل ذلك على الفور، وبدون ضجة ولقام بتحديد موعد زمنى للانسحاب وأرفقه بخطة فك الارتباط، وأدرج فيه إزالة محور فيلادلفيا، غير أن «يورى أفنيرى» عاد مرة أخرى ورجح أن شارون سيضطر إلى إخلاء قطاع غزة، فيقول: «إن إسرائيل ستترك غزة مثلما تركت الشريط الأمنى فى جنوب لبنان، فالتماثل بين الاثنين بارز للعيان، وفى إطار الدور المصرى المتوقع فى غزة كشف المحلل السياسى الإسرائيلى «زئيف شيف» فى جريدة هاآرتس بتاريخ ١٦/٦/٢٠٠٤ يقول: «إن الدور المصرى فى غزة ينحصر فى تقديم العون للقوات الأمنية الفلسطينية، بتدريبهم وإعادة تأهيلهم والمطالبة برفع الحصار المفروض عن قطاع غزة، وإعادة فتح المطار الفلسطينى فى «الدهانية»، وفتح المعبر الحدودى بين القطاع والضفة الغربية، وفوق ذلك سيطلب المصريون من إسرائيل عدم الرد عسكريا على أية عمليات فلسطينية عنيفة، أثناء تواجدهم هناك»، وفى هذا الشأن يوضح «يو آف شتيرن» شروط مصر لإرسال خبرائها الأمنيين إلى غزة فيقول: «إن مصر تطالب إسرائيل بوقف عملياتها العسكرية فى القطاع كشرط لدخول خبرائها الأمنيين إليه، وإن كانت إسرائيل تعترض على ذلك، غير أنه فى نهاية المطاف، يمكن التوصل إلى صيغة للتعاون مع مصر، نظرا لتطابق المصالح بين الطرفين خاصة أن مصر يهمها فى المقام الأول استقرار الأوضاع والهدوء فى غزة»، أما فيما يتعلق بالخطة التى عرضتها مصر بشأن الانسحاب المتوقع من غزة، فيتحدث المحلل السياسى الإسرائيلى «يو آف شتيرن» قائلا: «إن زيارة عمر سليمان لإسرائيل ورام الله يوم ٢١/٤/٢٠٠٤ هى جزء من خطة مصرية أوسع تهدف إلى استئناف المفاوضات السياسية بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية برعاية دولية ومصرية».


اللواء/ عمر سليمان

وحسب هذه الخطة سيتم بناء ميناء

جديد فى غزة، وسيعاد فتح «مطار الدهانية» وتشغيله، وسيفتح معبر آمن بين غزة والضفة، وتشكيل قوة متعددة الجنسيات تتسلم المسئولية الأمنية فى الميناء والمطار، وتعمل إلى جانب قوات الأمن الفلسطينية، حتى لا تتذرع إسرائيل بحجة غياب السيطرة الأمنية فى هذه الأماكن الحساسة، وفى هذا السياق تؤكد مصر على ضرورة مشاركة الرئيس الفلسطينى «عرفات» فى أية مفاوضات بين الطرفين، فيقول «يو آف شتيرن»: «إن مصر معنية فى الأساس بأن يكون الفلسطينيون شركاء فى عملية السلام مع إسرائيل وأن الشريك الفلسطينى الفاعل «ياسر عرفات» سيعود بعد أن استبعد واختفى طوال أربع سنوات» كما ينسب هذا الكاتب الإسرائيلى إلى اللواء عمر سليمان قوله: «إن من الواجب أن يشعر الفلسطينيون بنتائج ملموسة، وإلا يكون الانسحاب الإسرائيلى «مناورة» تهدف إلى تحويل القطاع إلى «سجن معزول» عن العالم» وفى هذا الإطار يذهب بعض المحللين السياسيين المصريين إلى القول إن المقاومة الفلسطينية هى التى أرغمت شارون على تقديم خطته للانسحاب المنفرد من غزة، وأن حجة إسرائيل بعدم وجود شريك فلسطينى صالح هى حجة داحضة تماما ويتساءل هذا الفريق لماذا لا يتم تدريب كوادر الشرطة الفلسطينية فى المعاهد المصرية بدلا من إرسال عناصر أمنية مصرية ربما تتعرض لمواجهات عنيفة من الجانب الفلسطينى، المقاوم للاحتلال أو من الجانب الإسرائيلى المناهض لهذه المقاومة الوطنية؟ ويرى هذا الفريق أيضا أن إرسال هذه العناصر الأمنية المصرية يختزل دور مصر فى «مهمة أمنية» فقط وهو ما يثير الريبة والشكوك فى جدواها أهى لحماية إسرائيل من المقاومة الفلسطينية أم لحماية الفلسطينيين من العدوان الإسرائيلى، خاصة إن إسرائيل حريصة على الا تترك حدود قطاع غزة بيد الفلسطينيين والمصريين؟ كما أن عملية الانسحاب ستكون على مراحل بعد مصادقة الحكومة الإسرائيلية على كل مرحلة على حدة قبل تنفيذها، مما قد يعرقل عملية الانسحاب أو يعمل على تجميدها.

ويعتقد البعض الآخر أن الانسحاب لن يكون كاملا بسبب بقاء بعض المستعمرات الإسرائيلية بدون إخلاء بالإضافة إلى استمرار السيطرة الإسرائيلية على مداخل ومخارج قطاع غزة برا وبحرا وجوا.

والجدير بالذكر أن شارون مازال يسعى إلى تقليص الدور المصرى فى المهمة الأمنية فقط حيث أفصح عن ذلك بقوله «إن حكومته لن تبلغ مصر بأى موقف رسمى يتعلق بمستقبل تطبيق خطة الانسحاب المنفرد من غزة إلا بعد اطلاع إسرائيل على جهود مصر الأمنية فى مكافحة عملية تهريب الأسلحة إلى قطاع غزة» وبذلك يتبين أن إسرائيل تريد أن تحصر دور مصر فى الدور الأمنى فقط، لتوفير درع يحمى قواتها من المقاومة الفلسطينية، ويبدو فى الأفق أن إسرائيل فى عهد شارون بصدد السعى الدائب إلى محاولة إقناع الفلسطينيين أو إجبارهم بحكم احتلالها للأرض الفلسطينية على قبول إقامة «دولة مستقلة فى غزة» مقابل التنازل عن معظم الضفة الغربية بما فيها القدس. فيُذكر فى هذا الشأن أن ثمة «مخططا إسرائيليا» من صنع الأكاديمى الإسرائيلى «يوشع بن أريبه» الأستاذ بالجامعة العبرية بالقدس، واللواء احتياط «جيورا إيلاند» مستشار الأمن القومى الإسرائيلى يتمحور حول مطالبة مصر بتقديم شريط أرضى مواز لحدود غزة يضم نحو ٦٠٠ كيلو متر مربع من الأراضى المصرية حتى العريش، عاصمة سيناء الشمالية، لتوفير مساحة جغرافية تسمح بإقامة دولة فلسطينية تستوعب كلا من لاجئى فلسطين التاريخية، وسكان غزة الفلسطينيين وقيام إسرائيل بتعويض مصر بمساحة قدرها ٢٠٠ كيلو متر مربع من أراضى صحراء النقب قبالة «منطقة الكونتلا» المصرية فى سيناء مما يسمح لمصر بممرات أرضية تربطها بالأردن والسعودية لتنمية النشاط التجارى والاقتصادى بين الدول الثلاث مع تعهد من جانب إسرائيل بمطالبة الولايات المتحدة والدول الأوروبية والصناعية بدعم هذا المخطط وتمويله بتخصيص ٢٠ مليار دولار لبناء هياكل «الدولة الفلسطينية فى غزة الموسعة» وحسب هذا «المخطط الصهيونى» الذى يجرى ترويجه سياسياً، خصوصاً فى الولايات المتحدة الأمريكية مقر المنظمات اليهودية والصهيونية، والذى ربما يُطرح على العالم العربى، فجاة غداً أو بعد غد والضغط بقبوله كرها - فإن إسرائيل تريد إسدال الستار على القضية الفلسطينية برمتها، بما فيها ابتلاع الضفة والقدس، وتذويب قضية اللاجئين الفلسطينيين، ولكن هذا ما ترفضه مصر، ولا تقبل به فلن تفرط فى حبة رمل من أرض سيناء، وتصر على تحرير الضفة والقطاع، وأن مصر حينما عرضت مبادرتها بإرسال خبراء أمنيين من جانبها لتدريب قوات الأمن الفلسطينية فى غزة اشترطت الربط بين قطاع غزة والضفة، وشمولية الانسحاب منهما، وأن يكون الانسحاب من غزة جزءاً من خريطة الطريق، وبذلك فإن مصر تثبت بما لا يدع مجالاً للشك حرصها على التوصل إلى تسوية سياسية عادلة للقضية الفلسطينية، بإقامة دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية والقطاع.

موكب الأبطال (*)

للشاعر الكبير الأستاذ على محمود طه

أقْدِمْ فداكَ حديدُها ولهيبُها ** واغنمْ مجادتَها فأنتَ ربيبُها(1)
مجدُ الفتوحِ الغُرِّ أنتَ وريثُهُ ** والحربُ أنتَ على المدى موهوبُها(2)
ما الحربُ إلا ما شرعْتَ وما رأتْ ** أممٌ تذودُ عن الحقوقِ شعوبُها(3)
نادتْ فهبَّ على النداءِ ضريجُها ** يمشي، ويقتحمُ السعيرَ خضيبُها(4)
شرفُ المحاربِ أنْ يخفَّ سلاحُهُ ** إنْ جارتِ الهيجاءُ وهو حريبُها(5)
ليجيرَ شعباً أو يحررَ أمةً ** لا تستباحُ ولا يُضامُ نجيبُها(6)
النصرُ أنْ تلقى الطغاةَ بطعنةٍ ** نجلاءَ لم يُصبِ الطغاةَ ضريبُها(7)
فخذِ العدوَّ المستخفَّ بضربةٍ ** إنْ لم تُمتْهُ، غداً تُميتهُ ندوبُها(8)
والمجدُ أنْ تحمي وراءكَ قريةً ** ضاعتْ مسالكُها وضاقَ رحيبُها(9)
جُنَّ الحديدُ بأرضِها وسمائِها ** فجري وطارَ تصيبُهُ ويُصيبُها

* قيلت في جيش مصر الباسل بعد معركة «الفالوجة»، وعسى أن يتم الله نصره.

(1) مجادتها: فخرها، ربيبها: ولدها.
(2) الفتوح الغر: الحروب الزاهرة من قبل.
(3) شرعت: سننت تذود: تدفع.
(4) ضريجها: الملطخ بالدم ومثله الخضيب.
(5) جارت ظلمت، الهيجاء: الحرب، حريبها: مصاب فيها ليثأر لنفسه.
(6) يضام: يذل، نجيبها: ولدها الباسل.
(7) ضريبها: مثيلها.
(8) ندوبها: جروحها.
(9) يريد بالقرية «الفلوجة» وكانت محاصرة من عدة جهات حتى تم لها الإنقاذ.

ـدت يدُ الفولاذ حولَ نطاقِها ** حلقاً تصيحُ النارُ كيفَ أذيبُها
بالروحِ والإيمانِ أنتَ قهرتَها ** بأساً فلانَ علي يديكَ صليبُها(10)
حتى إذا أعيا العدوَّ جلادُها ** ووهتْ جحافلُهُ وطاشَ وثوبُها(11)
ـمحتْ علي كتفيهِ، والتفتْ علي ** ساقيهِ، وانسدتْ عليهِ دروبُها(12)
ر...ـتْ لهُ منها ضراغمُ غابةٍ ** كلُّ الردي أخلابُها ونيوبُها(13)
ـذفتْ بهِ عنها وغودرَ جيشُهُ ** بدداً تعقّبُهُ الحتوفُ وحوبُها(14)
ـنا تعافُ البيدُ شربَ دمائِها ** ويعفُّ كاسرُها ويأنفُ ذيبُها(15)
ـرفاً كماةَ النيلِ أيُّ بطولةٍ ** راعَ الكماةَ فنونُها وضروبُها(16)
وبـ...ـوالفَ لكمْ تشيدُ بذكرِها ** دولٌ وراءَ النارِ قامَ رقيبُها(17)
و...ملاحمُ الأبطالِ في «فلوجةٍ» ** قصصُ الكفاحِ غريبُها وعجيبُها(18)
هو...ـيرُ ما غنّي بها طروادةً ** وكمثلِها ما ألهمتْهُ حروبُها(19)

* * *

حربوا الحصارَ علي الكماةِ فجاءهمْ ** فطنُ الشجاعةِ في الحروبِ أريبُها(20)
ـمرّسٌ بطباعِها متفرّسٌ ** في روعِها يقظُ الخطا مرهوبُها(21)
ـادِ أحمُّ كأنما احترقتْ بهِ ** حربٌ من الميلادِ كانَ شبوبُها(22)

(10) صليبها: متينها
(11) أعيا: أعجز، جلادها: منازلتها، وهت: ضعفت، جحافله: جيوشه.
(12) دروبها: طرقها
(13) ضراغم: أساد، كلّ: أعجز، أخلاب: جمع خلب وهو الظفر.
(14) غودر: ترك، تعقبه: تتعقبه بحذف التاء الأولى، الحوب: الذنب.
(15) تعاف: تكره، يعف: يترفع ومثله يأنف، الكاسر: الوحش.
(16) راع: أعجب وحير، ضروبها: أنواعها.
(17) يريد بالدول التي وراء النار ورقبائها مراسلي الصحف ووكالات الأنباء العالمية.
(18) فلوجة: القرية الفلسطينية المحاصرة في حرب سنة ١٩٤٨.
(19) هو...: هو هوميروس الشاعر اليوناني الشهير وقد أنشأ ملحمة شعرية في حرب طروادة تسمى بالإلياذة.
(20) فطن: ذكي، أريب: عاقل.
(21) متمرس: مجرب، متفرس: كمتفرس، روعها: هولها، مرهوبها: مخيفها.
(22) أحم: أسود وكان قائد المعركة المصري أسود اللون ويعرف بالضبع الأسود، شبوبها: توهجها.

فنما وشبَّ عليه من يحمومها ** أدمٌ زهاه من السمات مهيبُها(٢٣)

طلعت به «أفريقيا» وتطلّعتْ ** آجامُها وجبالُها وسهوبُها(٢٤)

يُزري بما نصب الدهاةُ لصيده ** ويُضلُّ أشراكَ الردى ويخيّبها(٢٥)

مازال مصطرعاً يصولُ ودونه ** بيداءُ يغشاها اللظى ويجوبُها(٢٦)

ساقَ الطغاةُ لها فرائسَ فتنةٍ ** حمراءَ ينفخُ في الجحيم ربيبُها(٢٧)

عرضتْ مآتمَها بهم وتقدّمتْ ** أممٌ تمورُ على الرمال ذنوبُها(٢٨)

حتى رأته كوى السماء فتفتّحتْ ** وتلألأتْ بسنا السلام ثقوبُها(٢٩)

ومشى الكميُّ أشمَّ بين رجاله ** أبطالِ حربٍ لا يقرُّ سليبُها(٣٠)

لن يستذلَّ ثرى عليه دماؤهم ** سالتْ، لقد روّى الحياةَ صبيبُها(٣١)

* * * ** * * *

يا أيها الأبطالُ مصرُ إليكمُ ** بالغار يستبقُ الشبيبةَ شيبُها(٣٢)

وعقائلٌ خلف الخدور هواتفٌ ** كالطير أذّن بالصباح هبوبُها(٣٣)

ينثرن بالريحان فوق رؤوسكم ** طاقاتِ وردٍ ليس يذهبُ طيبُها

وهفتْ غمائمُ في السماء تظلّكم ** ويرفُّ مصعدُها لكم ومصيبُها(٣٤)

شهداؤكم ودّوا هناك لو أنهم ** قدِموا بألويةٍ يروعُ خضيبُها(٣٥)

طلعوا بنور الفجر فوق مآذنٍ ** تدعو ورحمنُ السماء يجيبُها(٣٦)

---

(٢٣) يحموم: دخان، أدم: جلد، السمات: الصفات.

(٢٤) أفريقيا: القارة المعروفة عند الأوروبيين بالقارة السوداء، سهوبها: طرقها.

(٢٥) يضل: يجعلها تخطئ هدفها فتخيب.

(٢٦) مصطرعاً: يصارع وينازل، يجوبها: يقطعها.

(٢٧) فرائس: جمع فريسة، الفتنة الحمراء: المراد الحرب المشتعلة، ربيبها: أصحابها.

(٢٨) تمور: تضطرب وتجيش.

(٢٩) الكوى: جمع كوة وهي المنفذ، الثقوب: الفتوق.

(٣٠) أشم: مرتفع الرأس أبيّ، لا يقر: لا يهدأ.

(٣١) روّى الحياة: سقاها وأنعشها، الصبيب: الدافق.

(٣٢) الغار: إكليل النصر، يستبق: يسابق.

(٣٣) عقائل: سيدات، الخدر: المنزل، هبوبها: طيرانها.

(٣٤) المصعد: المرتفع إلى الأعلى، المصيب: النازل منه، من الصعد والصبب.

(٣٥) ألوية: جمع لواء، خضيبها: الملون بالدم.

(٣٦) يجيبها: يحقق لها دعاءها.



البكباشي أحمد عبد العزيز واليوزباشي كمال الدين حسين والملازم أول حمدي واصف أبطال الجيش المصري في حرب فلسطين

هاتوا حديثَ الحرب كيف تطامنتْ ** لكمُ مفازعُها وهان عصيبُها(٣٧)

في قريةٍ محصورةٍ كسفينةٍ ** في لجّةٍ هاجتْ وماجَ غضوبُها(٣٨)

لم تدرِ فيها الريحُ أين قرارُها ** والشمسُ أين شروقُها وغروبُها

كم حدّثوا عنها وقالوا في غدٍ ** للقاع تهوي إذ يحينُ رسوبُها(٣٩)

[illegible] والدنيا عيونُ أحبّةٍ ** السهدُ والألمُ المُمضُّ حبيبُها(٤٠)

ترعى النهارَ وتنتفي غسقَ الدجى ** هذا يُطمئنُها وذاك يريبُها(٤١)

أحماةَ الشرقِ كم بجهادكم ** تشدو العصورُ بعيدُها وقريبُها

لِمَ لا أُغنّيكم قوافيَ التي ** غنّي بملحمة الحياة طروبُها(٤٢)

من سرِّ نبوغكمُ وحيُ جديدِها ** منكم، ومنّي في البيان غريبُها(٤٣)

---

(٣٧) تطامنت: خضعت، مفازعها: أهوالها، عصيبها: شديدها.

(٣٨) [illegible] جاش واضطرب، والمراد بالغضوب عاصف الموج.

(٣٩) رسوبها: سقوطها.

(٤٠) السهد: السهر، الممض: المؤلم.

(٤١) [illegible] غسق: ظلام.

(٤٢) أغنيكم: أنظم القصائد في مديحكم.

(٤٣) [illegible] من معانيها وفي الأصل بدل كلمة غريبها: رتيبها، وهو تصحيف واضح اجتهدنا في تصويبه.



جارودى يقاضى الصهيونية الإسرائيلية

تأليف
رجاء جارودى

ترجمة
رانيا بو نصيف - بيار ريشا

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين



مزاعم كثيرة لا صلة لها بالحقيقة، تلك التى يمتلئ بها تاريخ بنى إسرائيل منذ حاول بعض أبناء إسرائيل «إسحاق» عليه السلام استثمار انتمائهم إلى حفيد إبراهيم عليه السلام فى تحقيق أى كسب مادى يستهوى أفئدتهم، ضاربين بالمبادئ والقيم التى ورثوها عن آبائهم عرض الحائط، مضحين فى سبيل ذلك بكل شىء حتى لو كان هذا الشىء هو التربص بمصلحيهم وأنبيائهم لتشويه حقيقتهم، ونسبة الفساد إليهم، أو محاولة قتلهم والتخلص منهم وتحريف ما جاءوهم به من كتب الله تعالى ورسالاته.. على نحو ما وصفهم القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(آل عمران: ٧٨)

ولقد كان ذلك المسلك منهم سبباً لضرب الذلة والمسكنة عليهم، وكسبهم غضب الله.. على ما ينبه إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾

(آل عمران: ١١٢)

حتى رأينا فيهم بذرة الشجرة التى أثمرت «ميكيافيللى» بمبدأه القائم على تبرير الغاية لكل وسيلة، والتى أثمرت أخيراً أولئك «البرجماتيين» الذين تذخر بهم اليوم الحياة فى أمريكا وكثير من الدول الأوروبية. والتى أثمرت أولئك «الصهيونيين» الذين اتخذوا من اليهودية ستاراً يتخفون وراءه، ودرعاً يتقون به من معارضيهم، على الرغم من تبرؤ قادتهم وزعمائهم من اليهودية، وعدم التزامهم بأى من مبادئها وقيمها التى شرعها الله - تعالى - لمعتنقيها، كما هو حال «تيودور هرتزل» حامل لواء الصهيونية فى العصر الحديث، والساعى - باسم اليهودية - لاغتصاب فلسطين لتكون وطناً يضم كل من يعتنق فكره، ليكون مركزاً للاستعمار الغربى والأمريكى كى يحقق ما سعى إليه الصليبيون منذ القرن العاشر الميلادى.!

فليس غريباً أن تنهج تلك الثمار - فى العصر الحديث - نهج بذرتها الأولى منذ البداية؛ من تشويه معارضيهم، وتلفيق التهم لهم، ونسبة الفساد إليهم، والإيقاع بهم فى مهاوى الفتن والابتلاء، والسعى الدائب للخلاص منهم.. إن لم ينجحوا فى استمالتهم وشرائهم بالمال أو بالنساء، أو بالمناصب، أو بهذا وذاك.

وكان من بين فرائسهم المفكر والفيلسوف الفرنسى «روجيه جارودى» الذى فاء أخيراً إلى الإسلام، بعد أن تقلبت به الأفكار بين مختلف المذاهب؛ من وجودية، وشيوعية، وعلمانية، فتسمى بعد إسلامه «رجاء جارودى»، ونهض يبشر بالإسلام بين الأوروبيين خصوصاً الفرنسيين، ويدحض - فى ثنايا ذلك - مزاعم الصهيونيين وافتراءاتهم.

فقدم دراسته العلمية القيمة التى ضمنها كتابه «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»، والتى تكشف فساد زعمهم: أن النازى بمعاداته السامية خصهم بالقهر والقتل بالمحرقة؛ لكى يحملوا أخلافه من الألمان وزر هذا المسلك فى المطالبة الدائبة بالتعويض المادى والمعنوى على مدى أكثر من خمسين عاماً، ولكى يجعلوا من معاداة السامية - ويقصرون الساميين على اليهود فحسب - سلاحاً يغمد فى صدر كل من تسول له

نفسه نقد فعل من أفعالهم، أو حتى مناقشة أى رأى ينسب إليهم... حيث تعلو الأصوات من كل صوب تستثير المشاعر، لإنقاذ اليهود من هذا الذى يعاود صنيع النازى مع اليهود.

وكان «رجاء جارودى» هذا أحد من استفزوا العالم الأوروبى والأمريكى ضده، ولاحقوه بكل الوسائل، حتى اضطرت «فرنسا» إلى سنّ قانون جديد ـ هو قانون غيسو (Gayssot) يمكن بواسطته ملاحقة «جارودى» ومحاكمته، وعلى الرغم من مجافاة هذا القانون وتلك المحاكمة لحقوق الإنسان، وما يجب أن يتوفر لكل إنسان من حرية التعبير، وإبداء الرأى.

ومع كل هذا ـ تحت سطوة الضغط الصهيونى الابتزازى ـ تمت محاكمته وفق هذا القانون، وأدين بحجة أنه قدح أفرادا وجماعات بسبب انتمائهم الدينى، وأنه قلل من فداحة جرائم «هتلر» النازى، تواطؤاً منه معه فى معاداته للسامية.!

ولكن جارودى استأنف الحكم، وقدم لمحكمة الاستئناف مذكرة موثقة، تكشف ما شاب الحكم من بطلان، نشأ عن الضلال والزيف الصهيونى الذى وقع القضاة فريسته... فكان هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم: «جارودى يقاضى الصهيونية الإسرائيلية».

أما الكتاب فقد ترجمه إلى العربية «رانيا بونصيف، وبيار ريشا» وقام بطبعه ونشره دار «عويدات للنشر والطباعة ـ بيروت ـ لبنان» ويشغل اثنتين وأربعين ومائة صفحة من القطع المتوسط، ويضم مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة.

وأما «رجاء جارودى» فقد سبق التعريف الموجز به، ويكفى أن نعرف أنه أحد قادة الفكر الفرنسيين فى العصر الحديث، وأنه وظف عقله وعلمه وتجاربه فى التفكير المتدبر الذى قاده إلى اعتناق الإسلام، بعد أن تكشفت له حقائقه التى تميز بها عن جهد المخلوقين فيما قدموه من أفكار ومذاهب.

صهيونيون، لا يهود

وجارودى ـ لأنه مواطن فرنسى غيور ـ يقصر مقدمته على تصوير ذعره مما تهوى إليه فرنسا بانسياقها وراء الإعلام الصهيونى المضلل، مطفئة مشاعل النور التى ميزتها من بين بلاد العالم، والتى سمت بها إلى قمم التحضر فى العصر الحديث؛ فالمفكر الفرنسى مخلص لأمته، معتز بما وفرته للبشرية من ضمانات تحمى حرية الفرد والجماعة فى التعبير والمعتقد دون أى تناقضات، وتتيح أسباب الحوار الجاد للجميع، وتفتح جميع الميادين لتتسع للرأى والرأى الآخر.

ويدلف من ذلك إلى الفصل الأول

«الصهيونية ضد اليهودية»؛ فيقدم ما أثر من آراء أهم الشخصيات اليهودية فى العالم، وهم: «أينشتاين»، و«مارتن بوبر»، «ويهودا ماغنيس» مؤسس الجامعة العبرية فى القدس، والبروفيسور «لايبوفيتز» المشرف على الموسوعة اليهودية، «وبرنار لازار» كبير مؤرخى العداء للسامية، «وآنسا آرندت».

أما «أينشتاين» فكان يقرر أن جوهر الطبيعة اليهودية يتنافى وفكرة دولة يهودية ذات حدود، وجيش، ومشروع سلطة زمنية، مهما كان المشروع متواضعاً. وكان يخشى الأضرار الداخلية التى ستتعرض لها اليهودية بحجة نمو قومية ملزمة.

و«مارتن بوبر» ـ فى كتابه: إسرائيل والعالم سنة ١٩٤٨ ـ قال: «ما شعرت به قبل ستين عاماً عندما دخلت فى الحركة الصهيونية... هو تماماً ما أشعر به اليوم، كنت آمل وقتئذ ألا تتبع هذه القومية طريق الآخرين، فتبدأ بأمل كبير، ثم تروح وتتدهور حتى تصبح أنانية مقدسة، وتتجرأ على طريقة موسولينى ـ على أن تنصب نفسها «أنا مقدسة»، كأن الأنانية الجماعية تستطيع أن تكون أكثر قدسية من الأنانية الفردية، عندما عدنا إلى فلسطين طرح علينا سؤال قاطع: بأى صفة ترغبون فى المجىء إلى هنا: صديق. أخ. فرد من رابطة شعوب الشرق الأدنى، أو ممثل للاستعمار والإمبريالية؟!».

و«يهودا ماغنيس» ـ وكان رئيساً للجامعة العبرية فى القدس منذ سنة ١٩٢٦ ـ ألقى فى بداية العام الدراسى سنة ١٩٤٦ كلمة افتتاح جاء فيها: «ينطق الصوت اليهودى الجديد بلغة البنادق. هذه هى توراة أرض إسرائيل الجديدة، لقد أخضع العالم لجنون القوة الجسدية، والسماء تحمينا بعملنا على إخضاع اليهودية الآن وشعب إسرائيل إلى هذا الجنون».

ثم يعلق جارودى قائلاً: تأخرت كثيراً حتى وعيت التعارض المطلق بين الصهيونية واليهودية؛ فهذه عقيدة سياسية ولدت مع «تيودور هرتزل» ـ وهو أحد قوميى القرن التاسع عشر الأوروبيين ـ وجاهر بها ملحدون آخرون، مثل «بن جوريون»، و«جولدا مائير»، وجميع مؤسسى الصهيونية.

«ولم أتنبه إلا لاحقاً إلى ما قام به الصهيونيون من تحويل ما جاء فى أسفار التوراة إلى أساطير، ثم إلى تاريخ يستخدم التبرير سياسة قومية عنصرية، وتوسع استعمارى، حيث جعلوا وعد إبراهيم بتحالف الرب والإنسان مع كل عائلات الأرض... جعلوا هذا وعداً بأرض وفقاً للطقس العشائرى لكل آلهة كنعان، وحولوا ما جاء فى سفر النزوح من النموذج الكونى لكل أنواع التحرير...

إلى القدرة المعجزة لرب الجيوش ورب الثأر فى الدعوة إلى قتل السكان الأصليين.

ولقد وضح هذا فيما كتبه «مناحين باراش» فى صحيفة «يديعوت أحرونوت» سنة ١٩٧٤، حيث قال: لا مكان على هذه الأرض ـ يعنى الأرض التى وعد الرب بها إبراهيم ـ لشعوب غير شعب إسرائيل؛ فعلينا إبعاد كل من يعيش عليها. إنها حرب مقدسة، فرضها الكتاب المقدس.

وهكذا دخلت الصهيونية فى الحق المشترك لكل القوميات باستخدامها الدين لتبرير السياسة، كما سادت منذ الحروب الصليبية مقولة: «الفرنسيون يكملون صنيعة الرب»، وكما سادت بين جنود بسمارك وهتلر مقولة: «الرب معنا نحن» لتبرير الانتصار بقوة الحديد والنار. وكما سادت مقولة: «لدينا رسالة حضارة مقدسة» بين منشئو التمييز العنصرى؛ فالقومية الصهيونية الإسرائيلية لا تشذ عن هذه القاعدة؛ انطلاقاً من ادعاء موجهيها الملحدين: أن هذه الأرض لهم أعطاهم إياها إله لا يؤمنون به.

ولقد أوضح «ناتان واينستوك» هذا التناقض فى كتابه «الصهيونية فى مواجهة إسرائيل» سنة ١٩٦٩ بقوله: «متى ألغيتم مفاهيم «الشعب المختار»، و«الأرض الموعودة» ينهار الكيان الصهيونى؛ لذلك تستمد الأحزاب الدينية قوتها ـ بشكل متناقض ـ من تواطؤ الصهيونيين اللاأدريين الذين ينكرون قيمة العقل وقدرته على المعرفة، فإدراج التعليم الدينى إلزامياً فى المناهج الدراسية لم يكن بضغط من الأحزاب الطائفية، بل من حزب «ماباى» الاجتماعى الديمقراطى، وبتحريض من «بن جوريون» نفسه.

هرتزل والسامية

ويذكر جارودى: أن «تيودور هرتزل، الأب المؤسس للصهيونية خير مثال على انحطاط الأسطورة إلى تاريخ مزيف فى خدمة القومية؛ فهرتزل نفسه فى مذكراته يصرح بأنه قال لحاخام لندن وحاخام باريس: إنه لا يخضع لأى دافع دينى فى مشروعه. وزاد الأمر إيضاحا فيما كتبه إلى «سيسيل رودز» قائلا: «أما لماذا أتوجه إليكم فلأنها قضية تتعلق بالاستعمار، أطلب إليكم منح المشروع الصهيونى ثقل سلطتكم».

فمشروع هرتزل لا صلة له بالدين، وإنما هو البحث عن أرض تحقق له انطلاقاته التجارية المستقبلية، على ما يقرره ما جاء فى مذكراته من أنه لا يبغى فلسطين لذاتها ولا لمكانتها الدينية، حيث يقول: «أستطيع أن أقول لكم كل

شىء عن «الأرض الموعودة» إلا مكانها. علينا مراعاة عوامل طبيعية كثيرة؛ فمن أجل تجارتنا العالمية فى المستقبل علينا التمركز على شاطئ البحر، ومن أجل زراعتنا الممكنة علينا الإفادة من مساحات مترامية. والقرار سيتخذه مجلس الإدارة لدينا.

وعندما أسس هرتزل هذه الحركة اصطدم بمعارضة الأكثرية الساحقة من اليهود والحاخامات، مما اضطره إلى تخصيص القسم الأكبر فى الجزء الأول من يومياته للرد على تصاريح الحاخامات.

واستمرت هذه المعارضة فى صور مختلفة، لعل من أبرزها: ما ذكره الحاخام «هيرش» فى صحيفة «الواشنطن بوست» فى ٣/١٠/١٩٧٨ فى قوله: «الصهيونية مناهضة تماماً لليهودية؛ فالصهيونية تريد تحديد الشعب اليهودى بكيان قومى... وهذه هرطقة».

وهرتزل استثنى الإيمان اليهودى، وعدّه عنصراً غريباً عن مشروعه الصهيونى؛ فالعداء للسامية عنده حليف موضوعى، حتى إنه قال: «مناهضو السامية سيكونون أفضل حلفائنا».

وهرتزل ـ لتحقيق مشروعه هذا ـ استغل تنافس القوى الاستعمارية، وعمل على ابتزاز قادتها فى معاونته على إنجاح مشروعه مقابل معاونتهم على التخلص من اليهود المقيمين فى بلادهم.

ولقد أفاد «هتلر» من هذا النهج؛ فبواسطة تعاضد عدائه للسامية مع الصهيونية، نجح فى إفراغ ألمانيا من يهودها على حساب ألمان من اليهود، طاردهم هتلر لأنهم أرادوا البقاء فى ألمانيا، وفرض احترام دينهم وثقافتهم على الآخرين.

اصطناع تهمة معاداة السامية

ويذكر جارودى: أنه اتهم بالتقليل من فداحة الجرائم النازية بسبب نهجه التاريخى الذى يقوم على ربط الجرائم النازية بالتاريخ العام، وليس بالتاريخ اليهودى على وجه الخصوص، كما يريد الصهيونيون.

ويشير إلى أن هذا الاتهام يوجه إلى كل من سلك مسلكه، فخرج عن الإرادة الصهيونية؛ فقد وجهت هذه التهمة إلى «برنار لازار»، ثم إلى «آنا آرندت» عندما تحدثت عن «ابتذال الشر»، فكل من يستبدل تعبير «اضطهاد المواطنين اليهود دمويا ووحشياً» بعبارة «عداء هتلر للسامية» يكون معادياً للسامية.

يذكر جارودى: أنه اتهم بالتقليل من فداحة الجرائم النازية، على الرغم من أنه لم ينفك ـ فى كتبه ـ عن شجب تلك المجزرة الكارثة التى ارتكبها النازيون، مصرحاً: بأن أية كذبة لا تخفى بشاعة

تلك الجرائم التى أثمرت عشرات الآلاف من الضحايا من اليهود والسلافيين؛ فلا يمكن - بأى حال - التقليل من عذاب الضحايا التى يعجز اللسان عن وصفها، حيث كان اليهود هدف «هتلر» المفضل بسبب نظريته العنصرية القائمة على تفوق العرق الآرى.

ويذكر: أنه اقترف جريمة لا تغتفر فى نظر الصهيونيين لأنه حلل تلك المجزرة فى إطار التاريخ العام الذى تضمن عدة مجازر مشابهة مثل ما كان مع «هنود أمريكا»، و«العبيد فى أفريقيا»، و«فيتنام»، و«أفغانستان»، و«العراق» إلى غير ذلك.

فقد رأى الصهيونيون أن ذلك التحليل المُعمَّم يتعارض مع إرادتهم أن يجعلوا من تلك الكارثة حدثاً دينياً خارجاً عن التاريخ؛ إذ يريد هؤلاء الصهيونيون أن يجعلوا الجريمة التى ارتكبها النازيون ضد اليهود جريمة فريدة، لا سابقة لها؛ لأن الرب اختار اليهود شعباً فريداً فوق الإنسانية وقوانينها وتاريخها.

ولقد استغل الصهيونيون - للترويج لرؤيتهم تلك - كل الوسائل القديرة؛ من سياسية، ومالية، وإعلامية، لتذكير العالم دائماً بمأساتهم، وإشعار الآخرين بالذنب الذى يستباح به فرض التعويض السنوى الدائم لصالح إسرائيل، على ما قرره الحاخام «موشى سنوحين» فى كتابه «انحطاط اليهود»، وذلك قوله: «عزيمة الشعوب اليوم محبطة بمفاهيم العرق الأسمى، والشعوب المختارة، والأراضى الموعودة... إلى غير ذلك من الادعاءات التى تستثمرها اليوم قوى قومية عدوانية، ولا أخلاقية، ضد الشعوب الأضعف... لذلك أقول للإسرائيليين: عودوا إلى إله آبائكم، إلى اليهودية التنبؤية، وتخلوا عن نظام «النابالم»، عودوا إلى الحدود التى أعطتكم إياها الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ على حساب العرب المعوزين، وعيشوا حياة بناءة لا مدمرة».

وعلى ما قرره «البروفيسور إسرائيل شاحاك» - من الجامعة العبرية فى القدس - فى كتابه: «عنصرية دولة إسرائيل»، حيث يقول: «الحكومة الصهيونية تستخدم الدين اليهودى لأهداف سياسية.».

ويعلق جارودى على ذلك بقوله: «وأنا أظهرت أن أصل الصهيونية السياسية لا علاقة له باليهودية التى يستعملها الصهيونيون قناعاً»، وهو نفسه الذى قرره «البروفيسور كيمر لينج» - من جامعة القدس العبرية فى قوله فى صحيفة «ها آرتس ٢٧/١٢/١٩٩٦» -: «هذا النظام ليس يهودياً ولا ديمقراطياً».

الأزهر



العنصرية الصهيونية وطرد الفلسطينيين

ويذكر جارودى: أن محاولة طرد الفلسطينيين من أرضهم كانت إحدى ثمار فكرتهم العنصرية التى زعموا أن نجاحهم فيها مؤكد؛ فروجوا: «أن الفلسطينيين رحلوا طوعاً»، لكن محفوظات الوثائق التاريخية كشفت أن الفلسطينيين ما تركوا أرضهم إلا قهراً، بناء على الأوامر الموجهة للجنود الإسرائيليين بأن يطردوا بقوة السلاح أهالى القرى الأصليين، بأساليب تُذَكِّر بأساليب فرق الهجوم النازية عند قتلها السكان المدنيين، وما وقع فى «دير ياسين» خير شاهد على كذب هذا الزعم.

ولما أدركوا انكشاف هذه الأكذوبة، لجأوا إلى اختراع أكذوبة أخرى يبررون بها الاستيلاء على أرض فلسطين؛ فلجأوا إلى ادعاء أن فلسطين «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، حتى إن «جولدامائير» صرحت - فى الصنداى تايمز ١٥/٦/١٩٦٩ - قائلة: «لا وجود للشعب الفلسطينى. نحن لم نسلبه أرضه ولا طردناه، هو أصلاً غير موجود.».

ولدعم هذه الأكذوبة، وإثبات أن فلسطين كانت صحراء خالية من

السكان، عمدوا إلى تجريف مئات القرى بيوتها وأسوارها وقبورها، تحت ستار ما أعلنته «جولدا مائير»: أن «هذه البلاد موجودة إنجازاً لوعد قطعه الرب نفسه، ومن السخف محاسبته على شرعيته.».

وأكذوبة ثالثة يذكرها جارودى ـ من بين الأكاذيب الكثيرة ـ تلك التى تضمنها تصريح الجنرال «موشى ديان» فى «الجيروزاليم» بوست فى ١٦/٧/١٩٨٧ ـ وجاء فيه: «إذا كنا نملك الكتاب المقدس، ونعتبر أننا شعب الكتاب المقدس، علينا امتلاك الأراضى المذكورة فى الكتاب.» والتى قدمها فى وصفه أفعال الإسرائيليين لاجتياح «الجولان»، حيث يقول: «كنا نرسل جراراً يحرث أرضاً لا منفعة لها فى منطقة منزوعة السلاح، وكنا نعرف أن الجنود السوريين يقنصون فى اتجاهها. وإن لم يفعلوا كنا نأمر الجرار بالتوغل أكثر إلى أن نستفزهم فيطلقون النار، وعندها نستخدم المدافع، ثم الطيران.».

ويصرح جارودى بأن ذكره تلك الأمثلة إنما يقرر بها حقيقة الأفعال الصهيونية، وينزع عن القادة الصهيونيين الإسرائيليين أقنعتهم التى يتخفون وراءها، ولا علاقة لها بذم الشعب الإسرائيلى، ولا الإيمان اليهودى، كما هو حالى عندما أشجب تصرفات جماعة طالبان؛ إذ لا يعنى هذا أننى أذم الشعب الأفغانى أو أعاديه.

ومن هنا... يحرص جارودى على ذكر نصوص كتبها القادة الصهيونيون الإسرائيليون، أو صرحوا بها شفاهة... تقرر كذبهم ونفاقهم المُضلِّل الذى لا صلة له باليهودية ولا بالسامية. مثل ما نقلته «يديعون أحرونوت» عن «يورام باربورات» من قوله لتحقيق الهدف المنشود: «واجب القادة الإسرائيليين أن يشرحوا للرأى العام بوضوح وجرأة حقائق ينسيها مرور الوقت، فى مقدمتها: أن لا صهيونية ولا استيطان، ولا دولة يهودية من دون إبعاد العرب، واستملاك أراضيهم.» وفقاً للمبدأ الأساسى الذى وضعه «الحاخام كوهين» فى كتابه «التلمود» سنة ١٩٨٦ الذى يقول: «بإمكان سكان العالم أن يتوزعوا بين إسرائيل والأمم الأخرى. إسرائيل هى الشعب المختار. هذه عقيدة أساسية.» إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التى أوردها، والتى تنطلق من هذه العقيدة الأساسية.

ويخلص جارودى من هذا إلى أن القادة الصهيونيين اصطنعوا مبدأ «كل نقد للسياسة الإسرائيلية هو عداء للسَّامية»، وروجوا لهذا المبدأ حتى أصبح سلاحاً إرهابياً يشهر فى وجه كل من يبغى الحقيقة ويترسمها، وفاتهم أنهم بهذا المبدأ يجعلون النبى «ميخا» الأصل فى العداء للسامية، حيث يقول: «اسمعوا هذا يا رؤساء آل يعقوب وحكام إسرائيل الذين يمقتون العدل، ويعوجون كل استقامة، الذين يبنون صهيون بالدماء، وأورشليم بالإثم. إنما رؤساؤها يحكمون بالرشوة، وكهنتها يُعلِّمون بالأجرة، وأنبياؤها يتخذون العرافة بالفضة، ويعتمدون على الرب قائلين: الرب فى وسطنا فلا يحل بنا شرٌّ، لذلك ستحرث صهيون بسببكم كحقل، وتصير أورشليم رُجُماً، وجبل البيت غاباً أشعث.» (ميخا: ٣/٩ـ١٢)، كما يجعلون غيره من المفكرين والكُتَّاب اليهود ـ مثل: «تيو كلاين» الرئيس السابق للمجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية فى فرنسا ـ مع النبى «ميخا» فى معاداتهم للسامية؛ لأنهم يتكلمون بهذه اللغة النبيلة الصافية التى تكلم بها النبى «ميخا».

وفى حسم صريح يجزم جارودى: أن الغش الذى يقدم على الخلط بين الصهيونية واليهودية، ويقدمها فى مزاج واحد تحت اسم الصهيونية هو الذى يقود إلى ذلك، على ما صرح به الحاخام «آيزنبرج» فى قوله: «إن نقد الصهيونية يعنى الانزلاق نحو العداء للسامية، فليس من يهودية معقولة من دون صهيونية.».

وهو فى تصريحه هذا لا يلقى بالاً إلى ما يعنيه ذلك من أن اليهودية بدأت فقط مع مؤتمر «بال».

ومن هنا... جاء نقد البروفيسور «إسرائيل شاحاك» الذى يقول فيه: «غالبية شعبنا فقدت ربها، وأحلت مكانه وثناً معبوداً، تماماً كما العجل الذهب فى الصحراء، واسم وثنهم الحديث «دولة إسرائيل».

يتبع

***

الجامعة الشرقية والمواجهة الحضارية مع الغرب

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

تحدد الثقافة، التى تصوغ الوعى للإنسان - فردا أو شعبا أو أمة - حدود دائرة المحيط التى يمنحها الولاء ويخصها بالانتماء.. فهناك ثقافات تقف بانتماء صاحبها عند حدود القبيلة، وأخرى لا تجعل صاحبها يتجاوز جغرافية الوطن، وثالثة تقصر الانتماء والولاء على الجنس - بالمعنى العرقى والسلالى -.. ومن الثقافات ما تجعل الدائرة الحضارية هى محيط الانتماء.. ومنها ثقافات أممية طمحت إلى حصر الانتماء فى طبقة من الطبقات الاجتماعية على امتداد الإنسانية.. أو إلغاء ما عدا الدائرة الإنسانية من دوائر الولاء والانتماء..



عبدالله النديم

وفى كتابات عبد الله النديم [١٢٦١ - ١٣١٣هـ - ١٨٤٥ - ١٨٩٦م] تركيز واضح على أن دائرة انتمائه الثقافى هى الدائرة الشرقية - بالمعنى الحضارى، الذى يجعل تميزها نابعا من مقابلتها للحضارة الغربية، التى كانت تقتحم أبواب الشرق وحياة أهله فى ذلك التاريخ -.. وفى هذه الكتابات أيضا ما يؤكد على اشتمال هذه الدائرة الشرقية - كجامع حضارى أكبر - على العديد من دوائر الانتماء الفرعية، التى لا تناقض بينها وبين، هذا الانتماء إلى الدائرة الحضارية الشرقية..

والأمر الذى يؤكد أن «الشرق» فى هذه الثقافة لم يكن معنى جغرافيا فحسب، وإنما كان دائرة حضارية، هو استخدام هذا المصطلح - «الشرق» - فى أدبيات التيار الفكرى الذى انتمى إليه النديم كمرادف لمصطلح «الإسلام»، فالحضارة الشرقية، والجامعة الشرقية، والرابطة الشرقية، والنهضة الشرقية، والشعوب الشرقية.. إلخ.. كان المعنى بها حضارة الإسلام وجامعته ورابطته ونهضة شعوبه، التى تضم مللا وأقواما هى جزء أصيل وعضوى من حضارة الإسلام- وإن ميزتها لغات أو معتقدات روحية لا تمثل بدائل لهذه الطوائف عن السمات الجامعة لحضارة الإسلام..

ولقد أشارت مجلة «العروة الوثقى» لسان حال تيار «الجامعة الإسلامية» - وهى تتحدث عن منهج هذا التيار وأهدافه - إلى هذه الحقيقة - حقيقة استخدام مصطلح «الجامعة الشرقية» بمعنى «الجامعة الإسلامية» عندما قالت إنها «ستأتى فى خدمة الشرقيين على ما فى الإمكان.. وتأتى فى فصولها على أهم ما له أثر فى أحوال الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا».. ثم أردفت قائلة: «ولا يظن أحد من الناس أن جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر أحيانا، ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم فى أوطانهم.. فليس هذا من شأننا، ولا مما نميل إليه، ولا يبيحه ديننا، ولاتسمح به شريعتنا.. وقد نخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب فى الأقطار التى عذر بها الأجنبيون..» (١)

فالجامعة الشرقية هى جامعة الأغلبية المسلمة، التى تتعرض لغزو الحضارة الغربية.. ووصفها بالإسلامية -الجامعة الإسلامية - لا يغاير وصفها بالشرقية بحال من الأحوال..

و«الجامعة الشرقية» فى ثقافة عبد الله النديم، تضم أوطانا عدة، وأجناسا متعددة.. لكن متاخمة أوطانها بعضها لبعض جعلتها «فى حكم الوطن الواحد»، وغلبة التدين بالإسلام على شعوبها قد أصبح رباطا جامعا كاد أن يذيب فواصل الأجناس وحواجزها، ومكانة العربية - التى هى لسان الدين والتراث - قد جعلتها رباطا جامعا تعلو مكانته على غيرها من اللغات الشرقية.. وكانت الدولة العثمانية -الجامعة لأغلب أقاليم الشرق يومئذ - هى الأخرى عامل توحيد فى هذه الجامعة الشرقية.. وذلك فضلا عن التناقض الحضارى والخطر السياسى اللذين مثلتهما الغزوة الغربية، مما

(١) جمال الدين الأفغانى [الأعمال الكاملة] ج٢ ص٣٤٤، ٣٤٩ دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٨١م.

جعل الجامعة الشرقية - فى ثقافة النديم - «السد المحكم بين الشرق وبين المتهيئين للوثبة على الشرقيين»:-

«فالجامعة الشرقية» إذا، هى دائرة انتماء ثقافى وحضارى، أوسع من الدائرة العربية - القومية - وأعم من الرابطة العثمانية - الإدارية والسياسية -.. فهى دائرة حضارية، تقف فى مواجهة الحضارة الغربية الواثبة - بالاستعمار - على الشرق والشرقية والشرقيين.

ولقد كان لاستخدام النديم مصطلح «الشرقية» أكثر من مصطلح «الإسلامية» سببا موضوعيا فى الظرف السياسى الذى عاش فيه.. فتهمة «التعصب الدينى» كانت - كما سيأتى - فى مقدمة الاتهامات الموجهة إلى الحركة الوطنية المصرية، وإلى النديم على وجه الخصوص.. الأمر الذى جعل استخدام مصطلح «الجامعة الشرقية» أكثر شيوعا فى الأبيات التى أبدعها..

فهو عندما يتحدث عن الروابط التى تربط المصريين بأهل المشرق - الشام - وبالعرب عموما يخلص - بعد تعداد هذه الروابط - إلى أنهم جميعا جزء من الجامعة الشرقية، فيقول: إن» بين المصريين والشاميين والعرب رابطة: اللغة والسلطة فى الكل - [أى السلطة العثمانية الجامعة] - والدين فى معظمهم، والجنس فى أغلبهم، والمتاخمة التى تصيِّر المجموع فى حكم الوطن الواحد.. وهم محتاجون إلى الجامعة الشرقية.. سدا محكما بين الشرق وبين المتهيئين للوثبة عليهم»[٢].

وهذه الجامعة الشرقية هى جامعة للأجناس والقوميات الإسلامية من المغرب الأقصى إلى الشرق الأقصى، «ولا برء لأهلها من الخبل والهُلاس إلا بمعرفة التركى حق العربى وفضله، واعتراف العربى بمجد التركى وسيادته، واتفاق السورى مع المصرى، وائتلاف الهندى باليمنى، واتحاد العراقى بالفارسى، وارتباط التونسى بالمراكشى، وتوجيه نظر المجموع وهمته إلى ما يسمى شرقا لا ما يسمى جنسا، فإن حاجتنا إلى توحيد الكلمة حاجة الأعمى إلى من يقطع به الصحراء»![٣].

والنديم يتحدث عن دور الإسلام فى تكوين «مستعرب» أوسع دائرة من «الجنس العربى» الذى كان قبل التدين بالإسلام، فالتدين بالإسلام قد أقام جوامع «وحدة الدين» و«الوطن» و«الجامعة السياسية والإدارية» - الدولة - فامتزجت أجناس متعددة، بفعل هذه «الجوامع الإسلامية» لتلد الأمة العربية على امتداد هذا الأفق الجديد والمديد.. «فعند مجىء الدين الإسلامى وانتشاره فى أفريقيا وآسيا وبعض أوروبا، امتزج العربى بالفرس والشاميين والمصريين

(٢) الأستاذ: العدد الثامن عشر.. ص٤٢٠.

(٣) المصدر السابق العدد الثامن عشر.. ص٤٦٣.

والترك والقوط وبعض الطليانيين والإفرنج والسودان والحبشة والهنديين والويغور وغيرهم، وألف بين قلوبهم، فتوحدت كلمتهم، وصاهر بعضهم بعضا بجامعة الدين، فنتج جنس يجنح إلى الأصول بعرق التوليد، ميال للجامعة بوحدة الدين والوطن والتابعية، وبكرور الزمان استقل هذا الجنس وصار مستعربا يخالف أصوله، وقد غلبت عليه المخالطة الوطنية..»[٤].

وكانت مدارس التبشير الكنسية الغربية، ومعها سلطات الاحتلال الاستعمارية، قد أخذت فى الدعوة إلى «جامعة عربية» منبتة الصلة بالجامعة الإسلامية، وذلك لاستبعاد دائرة الانتماء الجامعة لشعوب الشرق - وهى دائرة الإسلام - وعندما يرسل أحد قراء مجلة «الأستاذ» - وهو مسيحى سورى يقيم فى مدينة «بطرسبورج» - إلى النديم رسالة يمتدح سير المجلة على «الخطة الوطنية العربية»، يعلق النديم على هذه الرسالة رافضا ومصححا، فيؤكد أن سياسة «الأستاذ» هى «حفظ الوحدة الشرقية.. لا الجامعة العربية وحدها» فيقول: «ولو قال هذا الفاضل إننا ننادى بحفظ الوحدة الشرقية، من عرب وعجم وترك وجركس وكرد وأرمن وغيرهم، على اختلاف الدين، لأصاب الغرض، فإننا ننادى بها، لا بالجامعة العربية وحدها»[٥].. فالجامعة العربية ليست نهاية دائرة الانتماء، وإنما هى واحدة من دوائر الانتماء التى تضمها الجامعة الشرقية..

بل لقد وضع النديم دعاة فصل أجناس الجامعة الشرقية فى معسكر «الأجراء للأجنبى»، حتى وإن ربطتهم بنا الأنساب والقرابات.. «فإذا رأيت مصريا أو سوريا أو تركيا أو هنديا أو فارسيا أو مغربيا يوقع النفرة بينك وبين جنس شرقى، كأن تكون مصريا وترى شرقيا ينفرك من السورى أو التركى، فاعلم أنه أجير يشتغل لغيره.. وأنه أجنبى وإن اتصل بك نسبا وقرابة..»[٦].

وكانت الدولة العثمانية أعظم دول الشرق، والجامع الأكبر فى إطار الجامعة الشرقية، والسياج الذى يتعلق به الشرقيون اتقاء للخطر الاستعمارى الزاحف على ديار الإسلام.. ومن هنا كان تأييد تيار الجامعة الشرقية للدولة العثمانية، مع المناداة بإصلاح خللها، والسعى إلى تجديد طاقاتها.. كان ذلك موقفا ثابتا لهذا التيار.. والنديم يفصح عن سياسة مجلته، فيقول: «لقد نادى الأستاذ بالجامعة العثمانية والعصبية الشرقية[٧].. وتخليد مجد الدولة

(٤) المصدر السابق العدد الثلاثون.. ص٧٠٦، ٧٠٧.

(٥) المصدر السابق العدد الحادى والأربعون.. ص١٠٠٤، ١٠٠٥.

(٦) المصدر السابق العدد السادس عشر.. ص٣٦١، ٣٦٢.

(٧) المصدر السابق العدد التاسع والثلاثون.. ص٩٣٢.

العلية، التى هى مرجع الكلمة الإسلامية، وإن توزع المسلمون فى أقطار متباعدة ووجد بعضهم تحت سلطة دولة أخرى، فإنهم جميعا يحترمون مقام الخلافة العظمى، ويعترفون أن السلطة الأجنبية عارض.. لا يحل رابطة عقدها توحيد الدين فيهم..»(8).

فدولة الخلافة العثمانية، قد ظلت حتى فى لحظات الضعف، التى مكنت الاستعمار من اقتطاع العديد من الأقاليم الإسلامية، ظلت «الحجة القانونية» ضد شرعية الاستعمار لهذه الأقاليم الإسلامية، والأمل الذى يتعلق به تيار الجامعة الإسلامية لجمع كلمة الشرق فى مواجهةالاستعمار..

ولذلك اقترن تأييد تيار الجامعة الإسلامية للرابطة العثمانية وخلافتها، دائما وأبدا، بالدعوة إلى إصلاح هذه الدولة وتجديد شبابها.. وعلى درب الأفغانى ومحمد عبده - وكل أعلام هذا التيار - يسير النديم - الذى صاغ الدعوة إلى إصلاح الدولة العثمانية شعرا، توجه به إلى السلطان عبد الحميد الثانى [١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ - ١٨٤٢ - ١٩١٨م] قال فيه:

«نبرىء منك الذات عن ظلم أمة
ولكن حواليك القليل به غدر

فسُنْ التساوى واحتكم واعف واصطبر
تر الجثث الموتى يحركها النشر



الأفغانى

فعندك من أهل السياسة سادة
طبيعتهم حزم وحليتهم حذر

وقد تفعل الأقلام ما لم تصل له
مدافع فى الهيجاء يصحبها النصر

فربِّ الأهالى يا إمام بحكمة
وعلمهُم علما يطيب به الشكر

وعَمِّر بلادا بانتشار معارف
وإصلاح أرض لا يرى أهلها الضر

ولاتعط شبرا للأجانب واحتفظ
فما بعد ذا إلا التنازع والكر

وأوقف مسير الإلتزام لفتية
تراهم رعايا والجميع لهم مكر

وبث رجال العلم فى كل قرية
لتعليم دين عنده يقف الظفر

ووحد ضروب الحكم بين رعية
يؤلفها التوحيد ما بقى الدهر

(8) المصدر السابق العدد الرابع والثلاثون.. ص٧٧٨، ٧٧٩.

وأبعد جميع الأدعياء فإنهم
يسيرون فى طرق يُسرّ بها الغير»(9)

فالرابطة العثمانية - التى دعا النديم إلى إصلاحها، وتجديد شبابها - هى دائرة من دوائر الانتماء السياسى والإدارى، فى إطار الجامعة الحضارية الشرقية، التى ضمت وتضم أجناسا وأوطانا ربطت بينها حضارة الإسلام..

وكذلك الجامع الوطنى، ورابطة الوحدة الوطنية.. هى واحدة من دوائر الانتماء الفرعية التى تضمها الجامعة الشرقية.. ففى الوطن، تتوطن الجماعة الوطنية، التى قد تمايز بينها الأصول العرقية والجنسية، والملل الدينية، لكن تجمعها الرابطة الوطنية.. ولقد دعا النديم إلى وطنية تجمع بين التعددية الدينية فى الشعائر العبادية والشرائع الدينية، وبين وحدة الدولة والقضاء والقانون الإسلامى، الذى مثل ويمثل جامعا وطنيا وحضاريا لسائر الملل فى ديار الإسلام على مر التاريخ.. «فحفظ الوحدة الوطنية فى الأجناس القاطنة فيما يسمى وطنا إنما يكون بتوحيد القضاء والمعاملة، وتمكين الطوائف من إجراء عاداتهم فى مجامعهم ومعابدهم وأعيادهم، كل بما هو حق فى معتقده، جميل فى عادته، بلا حجر ولا تضييق...»(10) فالقانون الشرعى الإسلامى هو بالنسبة إلى كل الذين استظلوا بالدولة الإسلامية - «من المسيحيين والموسويين والمجوس» - جامع وطنى.. «فعلى اختلاف مذاهبهم وأجناسهم، شملهم القانون الإسلامى العادل، وحكم بأنهم مثلنا فى الحقوق الوطنية، لهم مالنا وعليهم ما علينا.. فتوحدت الجامعة الوطنية بالقانون الشرعى، الذى يعد ناقضه عاصيا لله - تعالى - ورسوله ﷺ، ومع اتصال الحروب مع الدولة الإسلامية والدول المسيحية، لم يجن أحد على مستوطن أو وطنى، ولو كان من الأمة المحاربة، حفظا للجامعة الوطنية التى قررت حرمتها النصوص الشرعية.. فالقواعد الإسلامية تقضى على الآخذين بها بوجوب المحافظة على الوطنى والمستوطن ومعاملته معاملة المثيل»(11).

ولقد أفاض النديم فى الحديث عن الوطنية المصرية.. وهو قد برأ «الوطنية المصرية» من النزعات العرقية والجنسية، فالمصريون هم الذين استوطنوا مصر بصرف النظر عن أصولهم العرقية».. فنحن معاشر المصريين نفتخر بين الأمم بهذه الجامعة التى لا تنحل عقدتها ولا يبدد نظامها، ونعنى بالمصريين كل وطنى من العرب والترك والجركس، أما العرب فإنهم ساكنوا الأقباط من مبدأ الفتح الإسلامى إلى الآن فتوغلوا فى الوطنية إلى أمد بعيد، وأما الترك فإنهم وإن تأخروا عن

(9) المصدر السابق العدد الرابع والعشرون.. ص٥٦٦.

(10) المصدر السابق العدد الثانى.. ص٢٥.

(11) المصدر السابق العدد الرابع.. ص٧٣، ٧٤، ٧٧.

العرب فى الاستيطان ولكنهم هجروا بلادهم، وتعاقبوا الإقامة والدا عن والد حتى نسوا بلادهم فلو عاد أحدهم إليها لكان أجنبيا فيها، لطول العهد، وأما الجركسى، فإن من ولد منهم فى مصر فحكمه حكم العرب والترك، ومن ولد فى غيرها فقد جاءها صغيرا دون سن التمييز فى الغالب، وربما لا يعرف اسم بلده. فهم مصريون حقيقيون، والأقسام الثلاثة تجمعهم الرابطة الدينية قبل الجامعة الوطنية، فاعتبارنا الأجناس الثلاثة مع الأقباط مصريين اعتبار صحيح حجته المشاهدة والعيان... »[12].

وكما جمعت الوطنية المصرية كل الذين استوطنوا مصر، بصرف النظر عن أصولهم الجنسية، كذلك جمعت هذه الوطنية بين مسيحييها والأغلبية المسلمة فيها.. «فمصر التى نحن فيها: بلاد إسلامية، مختلطة بقليل من الأقباط الذين تجذبهم الجنسية إلى كثير ممن تولدوا ممن أسلم من سابقيهم وتدفعهم الوطنية إلى التلاصق بالمجموع بجاذبية الوطنية والألفة وأصول المعاشرة التى قامت مقام اتحاد الجنسين.. فهم إخوان الوطنية.. فمصر مخصوصة بجامعة وطنية لم يسمع بمثلها فى الأقطار، والأمة الإسلامية مع الطائفة القبطية كأهل بيت يتعاونون على المعاش، ويتعاورون الأعمال، ويتقاسمون النظر فى شئون البلاد، ويتعاضدون على حفظ الوطن من طوارئ العدوان..»[13].

فالوحدة الجنسية جامعة للأكثرية المسلمة - التى تولدت من أصلاب المصريين الذين اعتنقوا الإسلام - مع القليل من الأقباط - الذين بقوا على مسيحيتهم - .. وهؤلاء المسيحيون الأقباط تجمعهم بكل الجماعة المسلمة فى مصر - فضلا عن الجنسية - رابطة الوطنية - النابعة من اتخاذ مصر وطنا للجميع - ورابطة الألفة وأصول المعاشرة التى «قامت مقام الوحدة فى الأصول الجنسية والعرقية»..

ولأن العبث بالوحدة الوطنية لمصر والمصريين، كان هدفا من أهداف الاستعمار الإنجليزى وصحافة «الأجراء والعملاء» التى نازلتها مجلة «الأستاذ» وتصدى لها النديم.. فلقد سعى الرجل إلى تحصين هذه الوحدة الوطنية المصرية من هذا العبث لتظل متفردة «لم يسمع بمثلها فى البلاد».. ولتحقيق هذا القصد الوطنى النبيل دعا عبد الله النديم إلى إقامة «جمعية مصرية» متميزة عن الجمعيات الخيرية - الإسلامية والقبطية - تكون مهمتها الحفاظ على الوحدة الوطنية «تنمية أو تصريفا» وذلك «بالبحث فى الوطن وخصائصه وواجباته وضروريات حياته».. فكتب يقول: «ولكننا نحب أن تزداد

---

(12) المصدر السابق العدد الرابع. ص78، 79.

(13) المصدر السابق العدد الثلاثون. ص711، والعدد الحادى والثلاثون. ص749، والعدد الرابع. ص75.

علاقات الوطنية بعقد جمعية مصرية، موضوعها: البحث فى الوطن وخصائصه وواجباته وضروريات حياته، ولا تخرج فى هذا كله عن الأدبيات، والمحافظة على ما بين المصريين وغيرهم من روابط المحبة فقد رأينا كل جنس له جمعيات وطنية، ونحن لا جمعية لنا تبحث فى الوطنية، فإن الجمعية الخيرية الإسلامية والجمعية القبطية لا تعلق لكل منهما بما نحن فى صدده، فإنهما جمعيتا إعانة وتربية أيتام، ولا يشك عاقل فى أن تكوين جمعية من الفريقين يفيدهما فوائد جمة، ويحول بينهما وبين النزعات الأجنبية.. نريد جمعية تحفظ النظام الوطنى بمساعيها الأدبية وما يترتب عليها من تطهير البواطن وتوحيد الكلمة»[14].

كتب النديم ذلك قبل نحو عقدين من النجاح الجزئى الذى أحرزه الاستعمار وعملاؤه فى العبث بوحدة الوطنية المصرية.. وهو العبث الذى تصدى له وطرق مخططاته عقلاء المسلمين والمسيحيين.. أولئك الذين دعا النديم إلى إقامة «جمعية مصرية» تضمهم «للبحث» فى الوطن وخصائصه وواجباته وضروريات حياته.. والحفاظ على النظام الوطنى والحيلولة بين النزعات الأجنبية وبين فرقاء الجامعة الوطنية المصرية»!.. وهى دعوة لا زالت تنتظر التحقيق والتطبيق؟!..

هكذا تبدت دوائر الانتماء فى ثقافة النديم: جامعة شرقية، تميزها الحضارة الإسلامية، تقوم بالنسبة لأجناس الشرق ومِلَله وأوطانه «سدا محكما بين الشرق وبين المتهيئين للوثبة عليهم».. بعبارة النديم - .. وهى جامع أكبر يحتضن الجوامع الفرعية، التى تتآزر وتتساند فى إطار هذا الجامع الكبير.

***

---

(14) المصدر السابق العدد الثامن عشر. ص419، 420.

المؤثرات الإسلامية فى الثقافة الغربية

للأستاذ الدكتور/
أحمد فؤاد باشا

ظهور الاستشراق وفئات المستشرقين


مصطفى عبدالرازق

لقد ظهر فى الغرب علماء وفلاسفة ومفكرون ومؤرخون اهتموا بدراسة الشرق بعامة: لغاته وآدابه وأديانه وحضاراته، وأولى كثير منهم اهتماما خاصا بدراسة الإسلام وحضارته منذ القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)، ولقد تنوعت ميادين الدراسات الاستشراقية، مثلما تعددت اتجاهات المستشرقين وتباينت مواقفهم من الإسلام. واعتبروا تعلم لغات المسلمين بعامة، واللغة العربية بخاصة، ضرورة لا غنى عنها لاستكمال دراساتهم من جهة ولنجاح محاولاتهم التبشيرية من جهة أخرى. فنجد منهم من توفر على موضوع معين فى العقيدة، أو التاريخ، أو اللغة والأدب، أو التراجم والسير، أو التصوف، أو العلوم، وقضى العمر كله فى البحث والاستقصاء لاستيفاء شتى جوانبه. وقد أشار الشيخ مصطفى عبدالرازق فى كتابه «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية» إلى الإعجاب بصبرهم ونشاطهم وسعة اطلاعهم وحسن طريقتهم، ومعرفتهم الجيدة بكل ما ينشر فى مجال اهتمامهم.

ومن آسف أن نجد الغالبية العظمى من جماعات المستشرقين قد صوّروا العلاقة بين الإسلام والمسيحية على أنها صراع دينى بحت، وقدموا صورة شائهة للإسلام والمسلمين من خلال ضباب كثيف من الخرافات والأساطير، ولاتزال آثار هذا الاتجاه باقية حتى الآن بما تحمله كتاباتهم عن الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخا وحضارة. وقد غذى هذا الاتجاه المستشرقون اليهود الذين استطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصرا أساسيا فى إطار الحركة الاستشراقية الأوروبية المسيحية، فدخلوا الميدان مستخفين تحت رداء العلم بوصفهم الأوروبى لا بوصفهم اليهودى حتى لا يعزلوا أنفسهم، كما وجدوا

فى الصهيونية بابا آخر يفرضون منه سيطرتهم على العرب والمسلمين، ويحققون أهدافهم فى النيل من الإسلام، وهى أهداف تلتقى مع أهداف غالبية المستشرقين المسيحيين.

ويشير المرحوم الأستاذ الدكتور محمد البهى فى كتابه «الفكر الإسلامى الحديث» إلى ملاحظة لتفسير بعض الباحثين ظاهرة إقبال اليهود على الاستشراق، وتتلخص هذه الملاحظة فى أنهم أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية تتمثل فى محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك فى قيمه بإثبات فضل اليهودية عليه بزعم أنها -فى نظرهم- مصدر الإسلام الأول، ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولا، ثم دولة ثانيا. ويرى الدكتور البهى أن وجهة النظر هذه تعززها الظروف العامة والظواهر المترادفة فى كتابات هؤلاء المستشرقين، على الرغم من أنها لا تعتمد على مصدر مكتوب يؤيدها. ويرى الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق فى كتابه «الإسلام والغرب» أننا لسنا فى حاجة إلى دليل لإثبات كراهية اليهود للإسلام، وذلك لأن هذه الكراهية قد ظهرت واضحة كالشمس منذ ظهور الإسلام وقد أكد القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾

(سورة المائدة: ٨٢)


محمود حمدى زقزوق

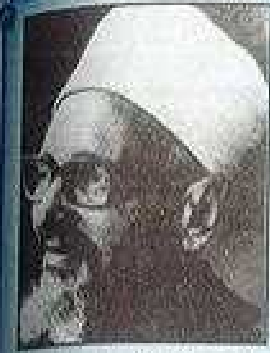
وقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا للإسلام والمسلمين، ووجدوا فى مجال الاستشراق بابا ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام والمسلمين.

وفى مقابل هذا الاتجاه اللاهوتى -الصهيونى- المتطرف، الذى غذته تيارات الصراع بين العالمين الإسلامى والمسيحى فى صقلية والأندلس ودفعت إليه مبكرا الحروب الصليبية بصفة خاصة يوجد اتجاه آخر أقرب نسبيا إلى العلمية والموضوعية، ينظر إلى الإسلام على اعتبار أنه مهد العلوم الطبيعية والطب والفلسفة، ويهتم بجمع المخطوطات العربية بشتى السبل، ويعمل على حفظها وصيانتها من التلف، ويعتنى بها عناية فائقة، ويقوم بفهرستها فهرسة نافعة تصف المخطوط وصفا دقيقا، على نحو ما فعل «دافيد كنج David King» منذ سنوات عندما قام بفهرسة مقتنيات دار الكتب المصرية من المخطوطات العربية والفارسية والتركية المتعلقة بعلوم الفلك والرياضيات والميكانيكا والبصريات، كذلك قام بعض المستشرقين بنشر الكثير من أمهات كتب التراث الإسلامى، وقد عرفنا -نحن العرب والمسلمين- الكثير من هذا التراث محققا

ومطبوعا على أيديهم. ولم يقتصر الأمر على نشر النصوص العربية والتعليق عليها، بل قاموا أيضا بترجمة مئات الكتب العربية الإسلامية إلى مختلف اللغات الأوروبية، كما ترجمت معانى القرآن الكريم ترجمات عديدة إلى عدة لغات أجنبية.

من ناحية أخرى، بعد أجيال من تطور المؤسسة الاستشراقية، ظهرت البعثات العلمية والتبشيرية للكشف عن ثروات الأمة العربية والإسلامية، والتعرف عن قرب على طبيعة الأرض وأهلها، وكان الدافع التجارى «النفعى» والأطماع السياسية فى مقدمة الأسباب التى حفزت نشاط تلك البعثات، إلى جانب توسيع حدود الكنيسة ونشر الدعوة إلى الديانة المسيحية. على سبيل المثال، لعبت البعثات الطبية دورا مهما فى التعرف على الواقع الصحى للعالم العربى واكتشاف أنواع الأمراض المتوطنة أو الوافدة، وقدمت لأوروبا ـ من خلال تقارير مفصلة ـ معلومات أفادت الشركات المبكرة فى تصنيع أنواع من الدواء وتسويقها إلى المناطق العربية، وكانت هذه البعثات مزودة بأمهر الرسامين الذين جسدوا بفنهم مظاهر الحياة العربية بكل نبضاتها.

ومهما يكن من أمر هذه الاتجاهات الاستشراقية، فإن ما يجمع بينها جميعا أنها أسهمت فى لفت أنظار البعض إلى البحث عن الحقيقة ناصعة جلية، ودفعت غريزة حب الاستطلاع لديهم، أو روح الإعجاب بالإسلام



عبدالحليم محمود

وتعاليمه، إلى دراسته والوقوف على ما احتواه من نصوص وتقاليد، وما أنجزه من علوم وآداب وفنون ومدنية، بعد أن أعاد إلى الأوروبيين تراثهم الذى كاد يضيع وينسى فى عصور الظلمات الأوروبية.

وأدى هذا كله إلى ظهور مفكرين منصفين ـ لا غربيين فحسب، بل عالميين أيضا ـ أحبوا الإسلام على هدى وبصيرة، ودافعوا عنه وناصروه، ولا ندرى ماذا أسروا فى نفوسهم، كما ظهر فريق آخر أعلن إسلامه فى غير لبس ولا مراءاة، وجابه الرأى العام فى بيئته بعقيدته، ثم أخذ يدعو إليها مكرسا وقته وجهده لنشرها.

فهذا هو «اللورد هيدلى» يقول: «فكرت وصليت أربعين سنة، كى أصل إلى حل صحيح. ويجب علىّ أن أعترف أيضا أن زيارتى للشرق ملأتنى احتراما عظيما للدين المحمدى السلس الذى يجعل الإنسان يعبد الله حقيقة طول مدة الحياة، لا فى أيام الآحاد فقط»، ويقول أيضا: «إننى أعتقد أن هناك آلافا من الرجال، والنساء أيضا، مسلمون قلبا، ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشيء عن التغيير، تآمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم».

فضل الثقافة الإسلامية على أوروبا

كتب الإمام الأكبر عبدالحليم محمود فى كتابه «أوروبا والإسلام» نص التقرير الذى قدمه لإحدى الجامعات المصرية للتعريف بالشيخ عبدالواحد يحيى، أو الصوفى «رينيه جينو» الذى يدوّى اسمه فى أوروبا وأمريكا، ويعرفه كل هؤلاء الذين يتصلون بالدراسات الفلسفية والدينية، وقد جاء فيه: «رينيه جينو: من الشخصيات التى أخذت مكانها فى التاريخ، يضعه المسلمون بجوار الإمام الغزالى وأمثاله، ويضعه غير المسلمين بجوار أفلوطين، صاحب الأفلاطونية الحديثة، وأمثاله». وقد كان إسلام رينيه جينو ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من ذوى البصائر الطاهرة، فاقتدوا به واعتنقوا الإسلام، وكوّنوا جماعات مؤمنة مخلصة تعبد الله على يقين فى معاقل الكاثوليكية فى الغرب، ومؤلفاته كثيرة مشهورة، من بينها كتاب «أزمة العالم الحديث» بين فيه الانحراف الذى تسير فيه أوروبا الآن، والضلال المبين الذى أعمى الغرب عن سواء السبيل، أما كتابه «الشرق والغرب»، فقد أوضح فيه أصالة الشرق فى الحضارة، وسموه فى التفكير، وإنسانيته التى لا تقاس بها مادية الغرب وفساده وامتصاصه للدماء وعدوانه الذى لا يقف عند حد، وظلمه المؤسس على المادية والاستغلال.

ولقد كتب الشيخ عبدالواحد مقالاً مستفيضاً بعنوان «أثر الثقافة الإسلامية فى الغرب»، بين فيه فضل الثقافة الإسلامية على أوروبا، موضحاً أن كثيراً من الغربيين لم يدركوا قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية، أو يفقهوا حقيقة ما أخذوه عن الحضارة العربية فى القرون الماضية، بل ربما لم يدركوا منها شيئا مطلقا، وذلك لأن الحقائق التى تلقى إليهم حقائق مشوهة، حظها من الصحة قليل، فإنها تبالغ كل المبالغة فى الحطّ من شأن الثقافة الإسلامية والتقليل من قدر المدنية العربية، كلما أتاحت الظروف لأصحابها ذلك.

ويلاحظ الشيخ عبدالواحد أن دراسة التاريخ فى المعاهد الغربية لا توضح هذا التأثير. بل إن الحقائق تناولتها يد التحوير والتحريف قصداً فى كثير من الحوادث عظيمة الشأن جليلة الخطر. ويضرب مثالاً على ذلك بما هو شائع معروف من أن أسبانيا ظلت تحت الحكم الإسلامى عدة قرون، على حين لا يذكر التاريخ الغربى قط أن صقلية والجزء الجنوبى الحالى لفرنسا كانا تحت الحكم الإسلامى أيضا.

وربما عزا البعض هذا الإهمال من المؤرخين إلى تعصبهم الدينى، ولكن ما هى حجة المؤرخين المعاصرين ـ وغالبهم لا دينى «علمانى» ـ فى موافقتهم أسلافهم فى قلب الحقائق؟ لهذا ينبغى أن تدرك مقدار زهو الغربيين وكبريائهم، مما منعهم عن إدراك الحقائق الصحيحة، ومقدار ما هم مدينون به

للشرق. والأغرب من ذلك كله أنه بينما يعتبر الأوروبيون أنفسهم الورثة المباشرين للمدنية اليونانية القديمة، فإن الحق يدحض زعمهم هذا: إذ أن الواقع المعروف من التاريخ نفسه، يثبت لنا أن علوم اليونان وفلسفتهم لم تنتقل إلى الأوروبيين إلا بواسطة المسلمين، وبعبارة أخرى، لم تصل المخلفات العقلية لليونانيين إلى الغرب إلا بعد أن درسها الشرق. ولولا علماء الإسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم زمنا طويلا، بل ربما لم يدركوها كلية.

ويمضى الشيخ عبدالواحد فى مقاله قائلا: «أما عن العلوم فمن السهل أن نفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية. فأما عن الأولى فإنا نعلم علم اليقين أنها انتقلت بكلياتها وجزئياتها إلى أوروبا عن طريق الحضارة الإسلامية مصبوغة بالصبغة الإسلامية تماما. فالكيمياء احتفظت دائما باسمها العربى الذى يرجع أصله إلى مصر القديمة، والذى كان له معنى من أعمق المعانى التى لم يعرفها الكيميائيون الحديثون حقيقة. ولنضرب مثلا آخر، ذلك علم الفلك، فإن أكثر اصطلاحاته الخاصة لاتزال محتفظة فى كل اللغات الأوروبية بأصلها العربى، كما أن كثيرا من النجوم لايزال علماء الفلك فى كل الأمم يطلقون عليها أسماءها العربية.. أما من ناحية الاختراعات - وهى تابعة للعلوم الطبيعية - فقد انتقلت أيضا بنفس الطريق، أى بواسطة المسلمين. ولاتزال قصة الساعة المائية التى أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الإمبراطور «شارلمان» عالقة بالأذهان ثابتة الوقائع.. وإذا انتقلنا من بحث العلوم إلى بحث الفنون، فإننا نلاحظ أن كثيرا من المعانى التى جادت بها قرائح الكتاب والشعراء المسلمين فى الأدب والشعر قد أخذت واستعملت فى الأدب الغربى. بل أكثر من هذا فإن بعض كتاب الغرب وشعرائه قد قلدوا تمام التقليد بعض كتاب المسلمين وشعرائهم.. وكذلك نلاحظ أثر الثقافة الإسلامية واضحا كل الوضوح فى فن البناء، وذلك فى العصر الوسطى: فمن ذلك شكل القوس المعقود الذى صار متميزا بنفسه حتى صار يدل على طريقة خاصة للبناء كان يستعمل فيها، وقد كان مصدره فن البناء الإسلامى».

ويختتم الشيخ مقاله المطول بقوله: «هذا جزء من كل من أثر الثقافة الإسلامية فى الغرب. ولكن الغربيين لا يريدون أن يعترفوا به فى وضوح لأنهم لا يريدون أن يعترفوا بفضل الشرق عليهم. ولكن الزمن كفيل بتبيان الحقائق التى يريدون إخفاءها».

***

خَطِيبُ إنطاكيَّة

للأستاذ الدكتور/ عبدالحليم حفنى

وهذا نموذج يضربه القرآن الكريم مثلا للداعية الذى يبغى وجه الله ولا يخشى فى الحق لومة لائم، ولا ترهبه أية عواقب، لأنه يحمل شعار المجاهدين، وهو أنه مصر على إحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة فى سبيل الله، وعناصر هذا الموضوع يمكن إيجازها فيما يلى:

المناسبة:

انطاكية إحدى مدن الشام القديمة وهى باقية حتى اليوم(1) وقد أرسل إليها المسيح - عليه السلام - رسولين من أتباعه الحواريين ليبلغا رسالة الله إلى أهل المدينة، فلم يفلحا فى إقناعهم بأنهما رسولان من عند رسول الله المسيح، ولا فى إقناعهم بصدق رسول الله نفسه، فأرسل المسيح رسولا ثالثا ليعزز به موقف الرسولين، ودار بين الثلاثة وأهل المدينة حوار طويل، اعتمد فيه أهل المدينة - كما كان يفعل أغلب البشر حتى اليوم - على عدم إنكار وجود الله ذاته، وإنما ينكرون رسالاته وشرائعه، فيستوون فى الكفر مع من ينكر وجود الله، لأن الكفر ليس فيه درجات، وانتهى موقف أهل المدينة إلى تصميمهم على قتل الرسل الثلاثة.

التعريف بالخطيب:

كشأن القرآن فى أنه يقدم تعريفا بمن يدور حوله الحديث، ومهما يبلغ إيجاز هذا التعريف فإنه يكون موفيا بالغرض، وقد وردت روايات لا تعتمد على دليل حول اسمه وصفته لا تضيف إلى الموضوع جديدا ذا قيمة كبيرة، ولكن الذى يعنينا هو ما توحيه ألفاظ النص وإيحاءاته، وهى:

﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ ﴾

(سورة يس/ ٢٠)

ومن هذه الألفاظ ﴿رَجُلٞ﴾ وأيضا ﴿يَسۡعَىٰ﴾ وكذلك ﴿أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ فأما الوصف بالرجولة فإن القرآن يأتى به للدلالة على

(1) وهى فى سوريا على نهر العاصى.

القوة والعزيمة، وليس لمجرد التفريق بين المذكر والمؤنث، فالقرآن يشير إلى أن من أبرز صفات هذا الخطيب القوة والصلابة التى دفعته إلى مواجهة موقف ليس وراءه أو أمامه إلا الموت، لأن الهدف حينئذ ليس الحرص على الحياة، وإنما هو تبليغ الدعوة إلى الله فى أنصع صورة، ومن الألفاظ تعبير ﴿ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ ﴾ وأولى دلالات هذا أن هذه الخطبة لم تقل مصادفة، كأن نتصور أن هذا الخطيب كان مثلاً يمر فى الطريق فوجد تحامل أهل المدينة على الرسل الثلاثة، فوقف وألقى فيهم هذه الخطبة، بل جاء من مقره فى أقصى أطراف المدينة حين سمع بموقف أهل المدينة من الرسل، وكان فيما يروى صانع التماثيل التى يعبدونها ويقدسونها، أى أنه فنان وصاحب ذوق ودقة وحُسن عرض لما تبدعه حاسته الفنية، وواضح فى الاستنتاج أن الرسل مروا به قبل أن يدخلوا المدينة، وعرضوا عليه دعوتهم، فشرح الله صدره للإيمان، وهداه فكره الواسع إلى اليقين والاقتناع، ثم تتبع أخبار الرسل، فعرف تكذيب أهل المدينة لهم ثم تصميمهم على قتلهم، فجاء من مقامه فى أقصى المدينة، ليصوغ دعوة الرسل فى أسلوبه الفنى، ودقته فى ترتيب المعانى، وإبراز ما يتخيله مما يدور فى نفوس أهل المدينة حينئذ، وروعته فى جمال عرض معانيه بالصورة التى ينبغى أن تبهر كل سامع كما تضمنت خطبته هذه، ومن دلالات تعبير «أقصى المدينة» أنه قبل تكاثر السكان وتزاحمهم كان الذين يسكنون فى أطراف المدن وضواحيها هم الخاصة الذين لايريدون أن يغمرهم زحام المدينة فيميزون أنفسهم بالسكن فى الأطراف والضواحى، أى أن هذا الخطيب كان من خاصة المدينة، وليس من عامتها، ومن الألفاظ «يسعى» والسعى فى أغلب استعمالاته لايقصد به المشى، وإنما يقصد به العمل، والقرآن حافل بهذا كقوله -تعالى-

﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾

(سورة النازعات/ ٣٥)

وكذلك هنا، فلا يقصد بداهة أن هذا الخطيب جاء من أقصى المدينة ماشيا، وإنما الواضح أنه جاء من مقره فى أقصى المدينة عازما على عمل شىء عظيم، وكان هذا الشىء العظيم هو هذه الخطبة التى بلغت من شأنها أن ينوه بها خالق السموات والأرض فى كتابه الكريم.

عناصر الخطبة:

لقد كانت الخطبة بالغة الدقة فى التقسيم والترتيب المنطقى، ولذلك استحقت أن تحتل القمة فى منهج الدعوة هى وخطبة مؤمن آل فرعون[٢]، وكانت هذه العناصر

(٢) راجع سورة غافر/ ٢٨ - ٤٥

كما يلى:

أولا: التمهيد: وقد بدأه بمحاولة استمالة السامعين وكسب عواطفهم، وهو جانب فى غاية الأهمية لنجاح أى خطيب، ولو أنه جابههم بالواقع وهو أنهم أعداؤه فى الموقف الدينى الذى تعالجه الخطبة لنفروا منه ولما وجدت خطبته أى منفذ إلى نفوسهم وعقولهم، ولكنه يستميلهم بقوله: ﴿ يَٰقَوْمِ ﴾ يعنى أنكم عشيرتى وأهلى، فلابد أن تتوقعوا إخلاصى لكم وصدقى معكم، وهذا من شأنه أن يفتح نفوسهم للاستماع إليه، بصرف النظر عن أن يؤمنوا أو يرفضوا دعوته، فإن هدف كل الأنبياء والدعاه ليس أن يجعلوا الناس مؤمنين، بل أن يوصلوا إليهم دعوة الله واضحة لتكون حجة عليهم أمام الله، وهذا المعنى يتكرر كثيرا فى القرآن بأساليب مختلفة. ثم ينتقل الخطيب إلى التعريف بالرسل الثلاثة الذين يدور الصراع بين أهل المدينة وبينهم، وهذا التعريف يعتمد على ثلاثة عناصر.

أ- هؤلاء الرسل ليست لهم مصلحة شخصية فيما يدعون إليه، والمصلحة الشخصية دائما هى المحرك والدافع إلى أى سلوك، حتى إن المحققين حين يكون الجانى مجهولا يجعلون الخيط الذى يوصلهم إليه هو البحث عن صاحب المصلحة فى ارتكاب هذه الجريمة، ولكن هؤلاء الرسل ليست لهم أية مصلحة شخصية وراء دعوتهم، بل هم مجرد رسل فكان تعبير الخطيب

﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

ب- من طبيعة البشر ألا يبذل المرء جهدا إلا إذا كان له مقابل يستفيده، وحتى المؤمنون، وإن لم يكن لهم أجر فى الدنيا فهم ينتظرون أجرهم فى الآخرة، ولكن أهل المدينة لا يفقهون ذلك، والرسل يريدونهم أن يفقهوه، والطريق إلى فهمه أن يسأل أهل المدينة أنفسهم لماذا يبذل هؤلاء الرسل هذا الجهد ويضحون هذه التضحية؟

وسينتهون حينئذ إلى صدق الرسل فيقول لهم الخطيب:

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾

(سورة يس/ ٢١)

جـ- قد تفترضون أن بعض الناس قد يدعو إلى هدف، أو يطلب مطلبا ليس له فيه كسب مادى أو محسوس، ولكن له من ورائه هدف غير محسوس أو غير مباشر مثل أن يكون سيدا أو زعيما، وهؤلاء تتميز دعواتهم دائما بالاعتماد على ما يدور حول أشخاصهم، ولكن هؤلاء لا يدعون إلا إلى الله وحده لا شريك له. وإذن فهم مجردون من الهوى الشخصى الذى يدفع دائما إلى الضلال عن الحق فهم مهتدون

﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(سورة يس / ٢٠ / ٢١)

هدف الخطبة:

وهدف الخطبة هو الدعوة إلى الإيمان بالله، ولكن براعة الخطيب تصوغ هذا الهدف فى أسلوب خطابى بالغ التأثير فى كل نفس يهيئها الله للإيمان، فصاغ الهدف فى العناصر الآتية:

١ - قد تتساءلون عن موقفى أنا من دعوة هؤلاء الرسل، وقد توجهون إلىّ سؤالا هو: وهل آمنت أنت بما يقولون؟ وجوابى هو أن أسالكم أيضا: وكيف لا أعبد الإله الذى خلقنى والذى إليه مصيرى؟ فهو القادر على الخلق وحده، ومن ثم فله الحمد وله الشكر من كل المخلوقات وأنا منهم، ثم إنى أيقنت أن مصيرى ومصير كل المخلوقين إليه بعد الموت ليحاسب كلا على ما قدم فى هذه الحياة، فكيف لا أخافه ولا أخاف على نفسى؟ وكذلك ينبغى أن يكون موقفكم أنتم.

٢- الإنسان قد يلجأ إلى جهة أو شخص قوى ليحميه من مصادر الخوف، وقد يسوغ له أن يترك هذا الشخص ليلجأ إلى من هو أقوى وأقدر على حمايته، والإله الذى آمنت به هو الذى بيده كل شىء فى الكون، وليس بيد غيره شىء، بينما الآلهة التى تعبدونها أنتم توقنون بأنها لا تضر ولا تنفع، فضلا عن أن تكون حماية وسندا، فكيف أترك الإله الذى يحمينى والذى يغضب إن آمنت بغيره، لأعبد آلهة لا تملك أن تحمينى من غضبه، بل لا تملك أن تشفع لى عنده؟

﴿ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾

(سورة يس / ٢٣)

إن هذا لا يفعله إلا من يحمل سفاهة بينة، وحماقة شديدة

﴿ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(سورة يس / ٢٤)

وأسلوب القرآن كعادته حافل باللفتات البليغة التى تستحوذ على الألباب فمثلا فى تعبير

﴿ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

كان سياق الموافقة يقتضى وإليه أرجع، ولكنه يريد أن يحذرهم من أن مصيرهم ومرجعهم إلى الله فينبغى أن يهيئوا أنفسهم لذلك بالإيمان، ومنها تعبير

﴿ إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ ﴾

فقد كان ظاهر السياق يقتضى إن يردن الله بضر، ولكنه يريد أن ينزه الله عن أن يريد الضرر، لأنه رحمن، وكثير غير ذلك.

٣- يقول الخطيب ضمنا: وحيث لا

أرضى لنفسى السفاهة أو الضلال عن الحق فإنى أعلن للجميع ليسمعونى

﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾

(سورة يس / ٢٥)

فهذا هو الهدى الذى يجب أن أعتنقه والزمه وأضحى فى سبيله، ومن اللفتات البلاغية أيضاً أن السياق يقتضى أن يقول «إنى آمنت بربى»، ولكنه يقول ﴿ بِرَبِّكُمْ ﴾ لينبههم إلى أن الإله الذى آمنت به ليس ربى ورب المرسلين وحدنا وإنما هو أيضاً ربكم ورب كل شىء فكيف لا تؤمنون به؟

الجـــزاء:

والله -سبحانه- يكافىء الأبطال الذين يقدمون الأرواح فى سبيله، أو يستعدون لتقديمها صادقين، كما كافأ إبراهيم -عليه السلام- على استعداده لذبح ابنه الوحيد بيده بأن نجا هذا الابن من الذبح، وكما كافأ خطيب آل فرعون على استعداده للموت دفاعا عن موسى -عليه السلام- ودعوته متحديا فرعون وجبروته، بأن نجاه من بطش فرعون

﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾

(سورة غافر / ٤٥)

وخطيب أنطاكية الذى نحن معه، قتله أهل أنطاكية، فكافأه الله فور موته مكافأة قد تكون أعظم من أية مكافأة فى الدنيا، حيث أدخله الله الجنة حياً يرزق من ثمراتها كشأن الشهداء

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

(سورة آل عمران / ١٦٩)

وكذلك خطيب أنطاكية

﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾

(سورة يس / ٢٦-٢٧)

***

الزمان والمكان فى قصة سليمان عليه السلام

لفضيلة الشيخ/ صديق بكر عيطة

جاءت القصة في القرآن لتتمم غرض الهداية والإرشاد الذى هو الهدف العام من هذا الكتاب الأقدس، وهداية القصة إنما هي من قبيل ضرب المثل الحى، الذي يبلغ بالقاريء ما أراد الله له أن يبلغ، من تثبيت العقيدة، وشد أزر النبى ﷺ وبيان أن جوهر الرسالات واحد، وإن اختلفت الأزمان والأماكن.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾
(آل عمران / ٤٤)

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾
(الأنعام / ١١)

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾
(هود / ١٠٠، ١٠١)

إلى غير ذلك من الآيات البينات، التي تؤكد علي الهدف من ورود القصة القرآنية، فالهدف الأول من القصة القرآنية، إنما هو هدف دينى، ومع ذلك كان الفن طريقا من الطرق التي سلكتها القصة لتحقيق هذا الهدف، والوصول بالقاريء إلي الغاية منها. فلم تكتف القصة في القرآن بسرد الأحداث وحكايتها بعيدا عن التصوير، الذي يستحضر الحدث أمام القاريء ويطلعه عليه كما لو كان قد انتقل من مقعد القاريء إلي مقعد المشاهد المتابع لتطورات الأحداث وتداعياتها. فالسرد والتصوير في بناء القصة، هما معا الطريق لإبراز الأحداث. والتركيز علي مواطن العبرة فيها.

«فإذا كان السرد في القصة ـ كما قال الدكتور السعيد الورقى [1] ـ يوفر بعدها الزماني. فإن التصوير هو الذي يوفر البعد المكانى لها، وهما البعدان الأساسيان في البناء التقليدى للقصة».

وقصة سليمان - عليه السلام - مثل واضح من أمثلة التكامل الرائع بين عنصري السرد والتصوير: السرد، بما يوفره من البعد الزماني للحدث، والتصوير، بما يوفره من البعد المكاني له، غير أن الزمان والمكان هنا، لم يذكرا صراحة، لأنه لم يتعلق بهما غرض أصيل من أغراض هذه القصة المباركة. والقصة القرآنية ليست تاريخا، وإنما هي عظات وعبر، ونصح وتوجيه، ولذا لم يذكر الزمان أو المكان فيها إلا إذا تعلق بهما، أو بأحدهما غرض من أغراضها، وبالقدر الذي يدعو إليه المقام، وعلي النحو الذي تتطلبه المعجزة. ولنضرب لذلك أمثلة:

- فمن القصص القرآني، الذي ذكر فيه الزمان والمكان صراحة، قصة أصحاب الكهف: فمما يتعلق بالمكان ماجاء في قوله تعالى:

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾
(الكهف / ١٦)

- وعن الزمان، جاء قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾
(الكهف / ١٩)

وفي موطن آخر من القصة ذاتها، يقول تعالى:

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾
(الكهف / ٢٥، ٢٦)

وقد ذكر كل منهما صراحة هنا، لأن المعجزة كانت تتعلق بهما، حيث انقلب حال

(١) اقرأ كتاب «القصة والفنون الجملية» ص٧٨.

الكهف، الغليظ.. الضيق.. المظلم.. المخيف، ليصير لهؤلاء الفتية كالأم الرؤوم، التي تحنو علي وليدها لينام في هدوء واستقرار، وذلك بعد أن نشر الله لهم فيه من رحمته، وهيأ لهم من أمرهم مرفقا، حتي يناموا هذا الدهر الطويل...

وأما الزمان، فإن المعجزة تتعلق به أيضا وبدرجة أكبر، حيث كان في حق هؤلاء الفتية:

﴿ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾

(الكهف/ ١٩)

ولا زيادة... أما في حق أهل المدينة، فكان:

﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾

(الكهف/ ٢٥)

لتتم المعجزة الكبري، وبالقدر الذي أراده الله، وعلي الوجه الذي شاءه سبحانه [٢].

– ومن هذا القبيل أيضا، قصة الرجل، الذي مر علي قرية وهي خاوية علي عروشها: فقد ذكرت القصة كلا من المكان والزمان، وبالقدر الذي تتم به مشاهدة القدرة الإلهية، حيث تطلق يدها في مظاهر الكون، والإنسان نفسه جزء منها، فإذا كل من الزمان والمكان طوع أمرها: يطول الزمان في حق هذا حتي يصير مائة عام، ويقصر في حق هذا حتي لا يتجاوز يوما أو بعض يوم، والأمر في المكان شبيه بهذا.

اقرأ قول الله سبحانه:

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(البقرة/ ٢٥٩)

فالمكان بيده، والزمان بيده، يطلق أولهما أني شاء، ويقيده أني شاء، ويميت الحياة في ثانيهما أني شاء، وينشرها أني شاء!! ولا راد لمشيئته سبحانه!!

– ومن القصص القرآني، الذي ذكر فيه المكان فقط، قصة الرجلين اللذين جعل الله لأحدهما جنتين، وقد ذكرت قصتهما في سورة الكهف، في قوله تعالى:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾

(الكهف/ ٣٢: ٣٤)

ولأن العبرة هنا تتعلق بالمكان، وهو الجنتان، وما أصابهما من دمار شامل، أتي علي كل ما فيهما، بعد أن كانتا تشتملان علي نعم الله الوفيرة، حيث إن صاحبهما لم يقابل هذه النعم بما تستحق من الشكر، وإنما اتخذها سببا من أسباب التطاول علي أخيه المؤمن

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾

(الكهف/ ٤٢)

أما قصة سليمان ـ عليه السلام ـ فإن الزمان والمكان، لم يرد لهما ذكر صريح فيها إلا في القليل، وعلي الوجه الذي سنفصله بعد إن شاء الله، حيث تواريا خلف السرد والتصوير كما أسلفنا، وذلك علي النحو التالي: فمثلا، يقرأ القاريء قوله تعالى:

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

(النمل/ ١٧، ١٨)

فيري أن هناك حشرا وتجمعا، لجيش كبير، تعددت أجناس أفراده ولغاتهم، وأن هناك فرقا وكتائب، لكل كتيبة رئيس «وازع» يقوم علي تنظيمها، ووضع كل فرد في الصف الذي يجب أن يكون فيه.. وهذا وذاك لا يكون إلا إذا تصور القائد المكان الواسع الذي اعتادت الجيوش أن تتجمع في مثله، ليستعرض القائد الأعلى فيه قوته، ويرى ما إذا كانوا علي استعداد تام لمواجهة العدو...

وبعد أن يستعرض القائد جنده، ومعداتهم القتالية علي اختلاف أنواعها وأحجامها، حسبما نيط بكل منها من مهام قتالية، يبدأ الجيش في التحرك.. وتحرك جيش سليمان، حتي وصل إلي وادي النمل، وهو بالطبع لا يقصده، وإنما شاءت إرادة الله أن يكون في طريقه الطويل لتتم معجزة النملة.. وبالطبع تكون وجهة الجيش سرا غير معلوم، فلم تذكر الآيات شيئا عنها. ثم اقرأ قوله تعالى:

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾

(النمل/ ٢٠، ٢١)

مرة ثانية، نري أنفسنا أمام مشهد من المشاهد، التي لا يمكن أن تمر بخاطر القاريء، دون أن يكون هناك مكان «ما» قد احتواها.

فها نحن أولاء، نرى القائد بين جنوده في الطريق، الذي رسمه لحركة جيشه الكبير، وفجأة نراه يقوم بعملية تفتيش بين أفراد قوته التي تعددت أجناسها، ليكتشف أن أحد هؤلاء الجند غائب وبدون إذن ويكرر البحث عنه مرة بعد أخرى، فلم يجده، ليعلن بعد ذلك غضبته الشديدة عليه، ويتوعده بالعذاب الشديد، أو الذبح، أو أن يأتيه بحجة قاطعة ترفع عنه هذا العقاب...!! إذن، نحن أمام مشهد لا يمكن

(٢) اقرأ لكاتب المقال، «قصة أصحاب الكهف، دراسة فنية تحليلية» من سلسلة، الإعجاز الفني في القرآن الكريم.

تصويره أو تصوره إلا من خلال مكان تدور فيه آلة التصوير يمينا وشمالا، وأعلي وأسفل، حتي يمكن القائد من البحث بين فصائل هذا الجيش الكبير وكتائبه عن الجندي الغائب...!!

وحينما يعود الهدهد، يقف بين يدى القائد الأعلى، ليحكي له عن أسباب غيبته هذه، وتطول الوقفة ليفصل له القول في هذا، ويتفلسف بين يديه:

﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾

«النمل/ ٢٥، ٢٦»

ويبلغ الحوار بين الجندى وقائده نهاية ذرعه، حتى يؤجل الأخير البت في عقاب الجندى، ليعرف حقيقة هذا النبأ الذى حمله إليه بعد غيبته. وهذا المشهد أيضا لا يمكن تصوره إلا من خلال ميدان عام يستوعب جند سليمان ـ عليه السلام ـ لتكون حجة الهدهد ماثلة أمام الملأ وليكون الجميع على علم تام بما سيؤل إليه أمر هذا الجندى.

وفجاة، نري أنفسنا فى مسرح آخر للأحداث، في مملكة سبأ حيث نرى الملكة تقرأ رسالة سليمان عليه السلام، وليست هذه الملكة بمفردها وإنما معها حاشيتها، ومجلس مشورتها، الذي لا تقطع أمرا من أمور الدولة إلا بعد الرجوع إليه.. هذا المجلس فيه الرأى والرأى الآخر، ولن يكون ذلك إلا من خلال «قاعة» مناسبة لجلال الملك، وعظمة السلطان.

ثم نعود مرة ثانية لمسرح الأحداث السابق، في بلاد الشام حيث سليمان وجنوده، وهو بينهم يستعرض قوتهم وعتادهم، ليدخل عليه رسل الملكة يحملون إليه الهدايا، ثم يدور عقب ذلك حوار طويل تعقبه أحداث كبيرة تقع بين يدى سليمان عليه السلام.. ووسط جنوده، تنتهى بأن تعلن الملكة إسلامها مع سليمان لله رب العالمين.

فالأحداث هنا، تقوم بدور كبير فى تقدير حجم المكان الذى تدور فيه: سواء في ذلك ما دار في فلسطين بين يدى سليمان وفي بلاطه.. أو ما دار في بلاد اليمن في بلاط بلقيس، وبين رجالات عرشها. هذا فيما يتعلق بالمكان.

وإذا أردنا أن نستعرض الزمان من خلال الأحداث، ومن خلال السرد، فسنجده يترقرق بين ثنايا كل لفتة، وكل حدث كبر أو صغر، من أحداث القصة، شأنه في ذلك شأن المكان، فهو ملازم للحدث، إذ لا حدث إلا بزمن لأنه وعاؤه... وإذا جاز لنا أن نتصور الزمن بدون حدث، فلن يجوز لنا أن نتصور حدثا «ما» بدون زمن، إذ لا حدث إلا وهو مستغرق لوقت «ما» طال أو قصر، حتى يمكن أن يقع فيه سواء صرح به السرد القصصى أم لم يصرح، ويفهم من تطور الأحداث، أو كان مضمرا في النفس من خلال فجوة فنية، إذ إن

فى تغطيته دليلا على وجوده.

مثلا.

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾

(النمل/ ٢٢)

هنا وقت «ما»... زمن.. وإن كان غير بعيد، إلا أنه مصرح به في السرد القصصي هنا، ولم ينظر إلي ما وقع فيه من حدث، لأنه لا يؤثر في تحقيق الهدف الذى سيقت من أجله القصة، ولكن الزمن «هنا» وفي هذه اللقطة له مدلوله المرحلى. وهو أن الهدهد عاد من غيبته على عجل بالرغم من طول السفر، وهو ما يوحي بأنه جندى يعرف واجبه.

كما أن هناك الأحداث الكثيرة، التى تتضمن أزمانا تقع فيها، دون أن يصرح السرد القصصى بها:

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ ﴾

(النمل/ ١٧)

مما يستلزم وقتا طويلا يتم فيه حشر الجنود، ووضعهم في صفوف منتظمة، وليقوم كل وازع على فرقته التى تكفل بها.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ﴾

(النمل/ ١٨)

ولفظة «حتى» هذه توحي بطول الطريق، قبل أن يصلوا إلي وادى النمل، وما تلا ذلك من أحداث المشهد.

وهناك أحداث تفقد سليمان الطير، وما تلاها من تداعيات، ولا مناص ـ لكى تحدث ـ من مرور الزمن الذي يستوعبها وغير ذلك الكثير والكثير من هذا النوع من الزمن في الحدث المصرح به، وإن لم يصرح بالزمن نفسه. وهو أكثر أنواع الزمن في هذه القصة المباركة...

أما عند الانتقال من المشهد الثانى إلي المشهد الثالث، فهناك فجوة زمنية، وإن تجاهلها السرد القصصي تجاهلا فنيا فقط، لأنها في ضميره كما أنها في ضمير المشاهد نفسه، وتجاهلها «هنا» يوحي بالسرعة الفائقة، التى تم بها نقل هذه الرسالة من أرض فلسطين إلي بلاد اليمن. قال تعالى:

﴿ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾

«النمل/ ٢٨»

ورد ذلك علي لسان سليمان للهدهد في بلاد الشام.. لنفجأ بالكتاب في يد بلقيس ملكة سبأ في جنوب الجزيرة العربية:

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾

«النمل/ ٢٩»

وليس بين المشهدين إلا ان يسدل الستار ويرفع!!

وهناك نوع رابع من الزمن، تضمنته

هذه القصة، وهو الزمن الذي حاول سليمان أن يسبقه ويتغلب عليه، وهو الزمن الذي تستغرقه الملكة في الانتقال من جنوب الجزيرة، حتي تمثل بين يديه في بلاد الشام، وقد أفلح في ذلك عندما اختصره إلي «غمضة عين» بفضل ما آتاه الله من علم اختص به أحد أتباعه.

﴿ قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (٣٨) قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (٣٩) قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ﴾

(النمل / ٣٨ : ٤٠)

وهذا الزمن الحقيقي الذى قطعته الملكة في طريقها، والذى يقدر بالأسابيع أو الشهور، موجود في ضمير سليمان ـ عليه السلام ـ وإلا لما حاول أن يسبقه ويتغلب عليه، كما أنه موجود فى ضمير حاشيته، وإلا لما كان هذا التسابق العجيب بين بني الجن بما آتاهم الله من قوة خارقة، وبني الإنس ممثلين في الرجل، الذي عنده علم من الكتاب لينتصر الثاني في نهاية المشهد.

إذن، فالزمن متغلغل في ثنايا القصة، وعلى أصعدة مختلفة مما يؤكد وجوده فيها، كأحد عناصرها التي تسهم في تكوينها.

ونحن في تحليلنا هذا لكل من الزمان والمكان، كعنصرين من عناصر بناء القصة المباركة، لا نعني أن هناك حدا فاصلا بينهما، وإنما هى محاولات للرصد والدراسة من جانبنا فقط، إذ لا يمكن أن نتصور حدثا «ما» قل أو كثر إلا من خلال زمان ومكان يحتويانه ويتعانقان فيما بينهما، ليؤدى كل منهما دوره في ترابط الأحداث، حتي تصل القصة إلي نهايتها المنشودة.

***

قصة العدد

رجل فى التيه (*)

للدكتور / نجيب الكيلانى

انطوى فى مخبئه حزيناً ساخطاً، يستشعر عجزاً لم يتعذب بمثله طول حياته، قلبه يفيض بأشتات من الحقد لاشبيه لها، وأحلامه تجوس خلال أشلاء ودماء وثارات حرى لاتهدأ، لكن مقدرته هشة تافهة، لاتكاد تلمسها يد الواقع، حتى تتحول إلى رماد.. أهذا هو المآل ياه «وحشى بن حرب»، يأسطورة مكة والمدينة «ياقاتل حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول ﷺ» أهذه هى النهاية ياموجج ثورة الحقد، ويامنتزع الحرية من براثن «جبير» سيدك القديم!؟

وتلفت وحشى حواليه، المخبأ الصغير ضيق كصدره اللاهث، والضوء فيه شاحب لاينبض بغير العناء والتعاسة والمستقبل المجهول، وتدخل امرأة سمراء ذات فتنة وإثارة، لكنها تبدو خابية النظرات، شاحبة الوجه، مضطربة الحركات، ثم وضعت أمامه إناء به ماء، دون أن تنطق، رماها بنظرات قلقة وقال: «ماالأخبار؟؟».

ردت فى اقتضاب: «أنت تعرف..»

قال مغالطاً نفسه، متناسياً الحقيقة المرة التى تصفعه: «أنا لاأعرف شيئاً».

رمته بنظرة ساخرة وقالت: «انتصر محمد بن عبدالله.. احتلت جيوشه أنحاء مكة.. استسلم له كل شئ.. خرج كبراء مكة وسادتها إليه يطلبون الصفح والغفران.. أتريد أن تسمع شيئاً آخر؟».

هز رأسه ووجهه الشاحب وهدر: «تكلمى...».

- «أنزل الأصنام من عليائها، داسها تحت أقدامه، صوت المسلمين يتردد فى الآفاق.. لاإلا إلا الله وحده.... صدق وعده.. ونصر عبده.. وأعز جنده..».

(*) مجلة الوعي الإسلامي - شعبان ١٣٩٠هـ

حك أنفه غاضباً، ودفع إناء الماء بقدمه، وصاح: «ألا يقاومه أحد الآن؟؟».

- «المقاومون لاوجود لهم الآن.. هم واحد من اثنين إما هارب خارج مكة.. أو لاجئ إلى مختبأ..»

احتد قائلاً: «أنا لست جباناً».

- «لم أقل ذلك..»

- «وأنا لم ولن أستسلم».

- «هذا شأنك..»

- «أتسخرين منى يا امرأة؟!»

- «إنك ياوحشى بن حرب، تتوهم أشياء لم أقلها..»

- «لكنى أقرأ ماوراء كلماتك.. أفهم مايجول فى خاطرك..»

وسادت فترة صمت، كان «وحشى بن حرب» يفكر أثناءها.. تذكر أيام أن كان عبداً متمرداً بارعاً فى استعمال الحربة، أيام كان يحلم بالحرية، واستعداده لكى يضحى فى سبيلها بأى شئ، وتذكر الفرصة الذهبية التى أتاحتها له الأقدار، يوم أن أتاه سيده «جبير»، وعرض عليه أن يهبه العتق مقابل قتل حمزة.. وحمزة فارس المسلمين، وبطل «بدر» ومجندل الأبطال والسادة من مكة فى المعركة الخالدة.. هذا يوم لاينساه «وحشى» وأخيراً بكر فى الخروج يوم «أحد» وأخذ يتخفى، ويتحين الفرصة حتى واتته فقذف بحربته، وقتل «حمزة» غيلة.. كان لقتله رنة أسى فى صفوف المسلمين، وأطلق فرحة غامرة بين المشركين..

ونال وحشى الحرية.. والمال.. والهدايا.. والشهرة.. وفقد كل أمل فى لقاء محمد ورجاله.. انصرف فكره وقلبه عن الدعوة الجديدة، لم يكن أمامه بعد ذلك سوى أن يعادى محمداً.. ويحاربه.. ويرفع راية الحقد والكراهية ضد الدين الجديد.. وتتالت المعارك.. حتى جاء اليوم الذى لاينسى.. محمد فى آلاف الرجال، يتوسط كتيبته الخضراء، ويدخل مكة فوق ناقته «القصواء».

رفع وحشى وجهه وقال: «هل أسلم أبوسفيان حقاً؟!».

ضحكت المرأة فى مرارة وقالت: «وزوجه هند.. هى الأخرى أسلمت..».

هز وحشى قبضته فى دهشة وقال: «آكلة الأكباد؟؟ تلك التى أهدر محمد دمها؟؟ كيف؟؟ إن الأمر يبدو لى وكأنه حلم سخيف لامعنى له..».

ثم استطرد قائلاً: «وعكرمة بن أبى جهل؟؟».

- «حاول الفرار إلى اليمن» وذهبت زوجه إلى الرسول تستأمنه، فعفا عنه، أدركوه قبل أن يركب السفينة، فعاد، ثم اعتنق دين محمد..».

زمجر وحشى غاضباً وقال: «تعساً لك ياعكرمة، تنكرت لدم أبيك، وخنت مابيننا من عهود ومواثيق..».

اقتربت المرأة من وحشى، وربتت على كتفه فى رقة وقالت: «لقد مات عصر.. وولد عصر جديد.. ألا تدرك ذلك ياوحشى؟؟».

صاح: «الحمقى وحدهم هم الذين يستسلمون عند أول صدمة.. لم يولد عصر، وإنما تغيرت الوجوه والأسماء..».

هتفت مغتاظة: «أنت تخدع نفسك، وتزيف الحقائق..».

- «أنا أبعد نظراً منكم جميعاً.. وأفهم مايخفى على البلهاء والسذج من سادات مكة وأساطينها.. قبائل «هوازن» كلها سوف تخرج لمحمد ولن تتركه حتى تقضى عليه.. «ثقيف» يحصنونها ورجالها فى «الطائف» لسوف تتصدى لزحفه.. أشتات فى أنحاء بلاد العرب سينهكون قوى محمد، ويستنزفون عدته..»

ويبدو أن «وحشى» قد نجح فى إقناع نفسه، فانتعش قلبه، وفاضت الطمأنينة على ملامح وجهه الأسود، ومد يده محاولاً مداعبة المرأة الغانية التى اتخذها عشيقة له ردحاً من الزمن، لكنها ردته فى عنف لم يألفه، ورفضت الاستجابة لكل محاولاته، وخيل إليه أنها تصفعه بكلماتها حينما قالت: «لسوف أذهب إلى محمد».

- «لتخبريه عنى؟؟»

- «بل لأشهد أن لا إله إلا الله، وأنه رسول الله».

قهقه وحشى، حتى كاد يستلقى على قفاه، واحتقن وجهه، حتى كاد يتفجر منه الدم وقال: «أو تظنينه يفتح بابه للداعرات؟؟».

- «لقد قال محمد إن الإسلام يجب ماقبله..

- «لكنك لن تستطيعى أن تنسى الكؤوس.. والرجال.. وليالى الغناء والمتعة..»

رفعت رأسها فى تحد قائلة: «كانت مكة كلها تنضح بالعار.. كنت أبيع المتعة الحرام.. وكان الناس يشترون.. كلنا سواء فى الإثم.. وكان الناس يظلمون.. والظلم عار.. وكان السادة يقتلون.. والقتل عار.. للعار مئات الأوجه.. ولقد أسلموا برغم ذلك.. ومحمد لن يغلق بابه فى وجه أحد يأتيه تائباً مسلماً..».

جذبها من كمها فى عنف، ثم أقعدها إلى جواره، وأظهر لها اعتراضه الشديد وعول على أن يمنعها بالقوة من الخروج، وكان واضحاً لها أنه يتصرف كطفل مشاكس، فإن الأمر لن يخفى طويلاً، وستطوله أيدى المسلمين، وهو مهدور الدم، وانتظرت حتى سكن غضبه، وعاد إليه قليل من الهدوء وقالت: «أما أن تسلم، أو تخرج من مكة تحت جنح الظلام.. اختر أيهما شئت ياوحشى، كن عاقلاً، ولا تتصرف بحماقة وإلا أضعت كل شئ..».

فكر فى كلماتها، إنها برغم إيجازها قد بلورت الموقف، وحددت أبعاده، لقد كانت تتكلم كفيلسوفة، تتخذ لها موقفاً لاتردد فيه ولا تخوف، وهو الفارس.. الحر.. الذى نال حريته بحربته، قاتل حمزة.. صاحب الاسم الطنان.. لايعرف كيف يمضى فى الطريق.. أوليس هذا سخرية ما بعدها سخرية؟؟ لقد كان يظن أن العبودية ألعن ما فى الوجود، أما الآن فهو يشعر أنه أتعس من أى عبد على ظهر الأرض.. المجد والحرية لم تشفعا له، لم تستطيعا

أن تبللا قلبه المشتعل بقطرات من أمن وسعادة.. لم تستطيعا أن تنقذا ضميره من براثن العذاب والتمزق والاضطراب.. وتمتم وقد طأطأ رأسه فى حسرة:

- «إننى أتعس إنسان..»

- «لأنك أنانى.. تفكر وأنت غارق فى بحر من الكبرياء الزائفة.. وتخاف الجزاء العادل..»

سدد إليها نظرات تائهة وقال: «وماذا أفعل؟؟».

- «ابحث عن الحق والباطل.. ثم اختر طريق الخير...».

ابتسم فى حزن وقال: «الذين يتهددهم الموت لايفكرون فى حق أو باطل..».

- «فيم يفكرون إذن»

- «فى النجاة..»

- «العودة الى الحق هى طوق النجاة»

- «وإذا قتلونى، فأية نجاة أنال إذن»

- «الموت لامعنى له هنا..»

- «لم أصل بعد لهذه المرحلة من السذاجة..»

- «لئن مت مسلماً ياوحشى فإن هذا عين المنى..»

هب واقفاً، ورماها بنظرة شزراء وقال:

- «حياتى أهم ما فى الوجود.. حياتى فوق المبدأ.. اننى لاأثق فى شئ بهذه الدنيا على الإطلاق.. لا أحب أحداً.. ولسوف أخرج من مكة، وانطلق فى أرض الله الواسعة، لاأخضع.. متحللاً من كل قيد.. وأنا واثق من أننى سأجد أعداء محمد.. وسأمضى فى ركبهم.. فإن انتصرت نلت ما أريد وإن هزمت.. فسأواصل رحلة الهروب حتى آخر العمر..»

غمغمت المرأة:

- «إنك ترمى بنفسك فى تيه لاقرار له..»

ومضت الأيام والشهور، وانهزمت هوازن، وفتحت الطائف أبوابها لنور الحق، فأسلمت «ثقيف»، وتسابقت القبائل لاعتناق الدعوة الإلهية، وتسلل «وحشى بن حرب» إلى المدينة، ووقف قبالة رسول الله، ونطق الشهادتين، فقبله الرسول، لكنه ﷺ دقق فيه النظر، ثم قال فى حزن، وقد تذكر مأساة الشهيد حمزة بن عبدالمطلب وقال:

- «أأنت وحشى؟»

- «نعم..»

- «أرو لى كيف قتلت حمزة؟»

وما أن انتهى من قصته الدامية، حتى أطرق الرسول قائلاً:

- «غيب وجهك عنى..»

تلك الكلمة التى ظلت تطارد وحشى طول حياته، وتبعث فى نفسه الأسى والعذاب، وتثير لديه كامن الندم، وتغرق ليله بالدموع، ولم يشعر وحشى بشئ من الراحة والرضى إلا بعد أن شارك فى حرب المرتدين وقتل «مسيلمة الكذاب»، ويومها قال فى تأثر:

- «بحربتى هذه قتلت أشرف الناس حمزة ابن عبدالمطلب، وأكذب الناس مسيلمة الكذاب..»

ما يقال عن الإسلام:

حتى أسماء الله الحسنى جعلوها مطاعن فى الإسلام

(١)

للأستاذ الدكتور/ عبدالعظيم المطعنى

من يتابع حملات التشكيك التى تثار الآن - وبعد أحداث عام ٢٠٠١م - بصفة خاصة، ضد الإسلام، يدرك أن خصوم الإسلام فقدوا صوابهم إن كان لهم صواب من قبل، لأنهم يوجهون التهم للإسلام جزافا، وبلا أية ضوابط فكل ما يخطر لهم على بال، أو يقع لهم من أوهام يسارعون ويصوغون منه طعونا وعيوبا يلصقونها بالإسلام، غير مبالين ما تلقاه هذه الأوهام من سخرية واستنكار لأن الإسلام بقوته التى لا تغلب فى موازين العقل والعلم والواقع، ملأهم رعبا، وحملهم على البطش والعشوائية فى ما يقولون وما يفعلون.

من علامات هذا البطش، وتلك الشعوائية أنهم عمدوا إلى أسماء الله الحسنى فى الإسلام وهى تسعة وتسعون اسماً.. واتخذوها منافذ للطعن فى الإسلام، وكونه ليس من عند الله.. وهذا لا يقول به عاقل عنده مثقال ذرة من عقل، أو حتى مجرد إدراك.

قد يقع القارىء فى حيرة من أمره، وهو يعرف أسماء الله الحسنى فى الإسلام، ويعرف منزلتها فى مقام العقيدة والتوحيد، وما ينبغى لله من أوصاف: الجلال والكمال وأسماء الله الحسنى التى سمى الله بها ذاته العلية هى التى تثبت لله هذه الأوصاف، لأنه هو العلى العظيم.

يقع القارىء فعلاً فى حيرة، كيف تكون هذه الأسماء طعونا فى الإسلام، دين التوحيد الخالص، ودين التنزيه الخالص.

قد تزداد حيرته، بل يزداد تعجبه حين نكشف كيف حاولوا جعل هذه الأسماء عيوبا تزهد فى الإسلام وتدعوا إلى الازدراء به،

والاحتقار واستبعاده عن دائرة الاعتقاد الصحيح.

قبل أن نتصدى لبيان ذلك نشير إلى مسألة أسماء الله الحسنى، والتشنيع على الإسلام بسببها كان لها وجود من السبعينيات قبل أحداث ٢٠٠١م بما يقرب من أربعين سنة وذلك فى كتاب كانت قد أصدرته كنيسة القديسة دميانه بالهرم، عنوانه كما جاء على الغلاف.. «استحالة تحريف الكتاب المقدس»[1]

فقد أثار مؤلف الكتاب القمص مرقس عزيز خليل، ومعاونوه مسألة أسماء الله الحسنى للتدليل على نفى التثليث عندهم الآب والابن والروح القدس، لأن المسلمين عندهم ما يماثل هذا التثليث وهو: «بسم الله/ الرحمن/ الرحيم.. ولم يعتبروا أنفسهم مثلثين فعلام يصفون عقيدة النصارى بالتثليث، فى نفس الوقت الذى يتهمون فيه النصارى بأنهم مثلثون غير موحدين.

أما بعد أحداث ٢٠٠١ فقد تعددت الرسائل التى اتخذت من أسماء الله الحسنى طعونا فى الإسلام.. وبالغت فى اتهام المسلمين بالإشراك بالله كماً وكيفاً.

وذلك من خلال الإذاعات الأجنبية وبعض القنوات الفضائية، وفى النشرات التى يبثونها على شبكات الإنجيل، وفى بضع المؤلفات، كان من آخرها ما صدر عن الإدارة الأمريكية وهو ما يسمى: «الفرقان الجديد»

والإسم الذى يجب أن يطلق عليه هو: «البهتان الأمريكى الجديد» لأنهم زعموا أنه مما نزل عليهم بعد أحداث عام ٢٠٠١م.

جعل هذا البهتان الأمريكى الجديد طعونا فى عقيدة الإسلام وقيمه ومبادئه، ومنها «أسماء الله الحسنى»؟! وصلة أسماء الله الحسنى ـ عندهم ـ بالطعن فى ذات شقين:

الأول: انها ـ عندهم ـ مظهر من مظاهر الشرك وتعدد الآلهة فى العقيدة الإسلامية؟ وكان هذا الادعاء سابقا عن إعلان الحملة الصليبية التى أعلنها الرئيس الأمريكى بوش عقب الكوراث التى حلت بأمريكا عام ٢٠٠١م.

ثم زاد ضراوة وانتشاراً فى الحروب الكلامية التى يشنها الغرب الصليبى الآن بقيادة «بوش» والصهيونية العالمية.

الثانى: أن أسماء الله الحسنى فى الإسلام ما يصف الله ـ سبحانه ـ بالإرهاب؟! وهذا ـ كما ترى ـ تطور أملاه عليهم الواقع الذى يعانون منه: حيث يحسبون كل صيحة عليهم.. والرعب الذى ملأ قلوبهم والوهم والفزع الذى يصبحون فيه ويعيشون فيه حتى لينطبق عليهم قول الشاعر

إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونه
وصدق ما يعتاده من توهم

١. هذا الكتاب صدرت طبعته السادسة الآن ويقدم بتوزيعه مجانا على الشباب المسلم ى بعض الجامعات وخارجها أشخاص مجهولون ويقع فى اكثر من ستمائة صفحة من القطع الكبير رقم ايداع فى دارالكتب المصرية.

أمريكا من أكثر المجتمعات التى ساء فعلها فساءت ظنونها.. وهذا مرض نفسى قاتل لا فكاك منه.

نعود إلى ما ذكره كتاب «استحالة تحريف الكتاب المقدس» من التنظير بين عبارتى:

«الله الرحمن الرحيم» الإسلامية.

و«الآب، والابن، والروح القدس» النصرانية، نحلل العبارتين ونتبين من التحليل هل هما سواء كما ادعوا؟

أم بينهما فرق جذرى عظيم، كما هو الواقع عند العقلاء.

العبارة الإسلامية «بسم الله الرحمن الرحيم» عبارة عن موصوف هو «الله» وصفتين لذلك الموصوف هما: الرحمن ـ الرحيم والوصف مهما كان ليس ذاتا مستقلة لها وجود منفصل عن وجود الموصوف وذاته لأن الوصف هو: ما قام بالموصوف مهما كان واحدا ذلك الوصف أو متعددا هذا هو حكم العقل، وحكم العلم، حتى لو كان الموصوف موصوفا بمائة وصف فثمرة البرتقالة الناضجة هى فى نفسها ذات واحدة لا أكثر.

ووصفها بأنها «صفراء» وهو معنى قائم بها غير مفصول عنها، وهذا الوصف إذا ألحقت به هاتين الصفتين.

«مستديرة الشكل صغيرة الحجم» لا يجعل الموصوف متعدداً فى ذاته، بل هو واحد دائما.

وحتى لو قلت: ثمرة البرتقالة صفراء مستديرة الشكل حلوة المذاق، واصفا لها بهذه الأوصاف الثلاثة: صفراء، مستديرة، حلوة المذاق.

ظل الموصوف واحدا فى جميع الحالات لا يتعدد لأن الأوصاف أعراض لا تقوم بذاتها وإنما تقوم بمحل هو «الموصوف» وعبارة «بسم الله الرحمن الرحيم» من هذا القبيل وصفان هم: الرحمن، الرحيم، قاما بموصوف واحد، هو «الله» عز وجل.

أما العبارة «الآب والابن، والروح القدس» النصرانية فهى – قطعا – من تعدد الذوات لا من تعدد الصفات.

فالآب ذات لها وجود مستقل خارج الذهن والابن ذات لها وجود منفصل عن الآب خارج الذهن.

والروح القدس ذات لها وجود مستقل ومنفصل خارج الذهن، عن كل من «الآب» و«الابن» فقياس هذه العبارة على عبادة «الله الرحمن الرحيم» باطل من كل الوجوه وهذا القياس لا يفيد النصارى فى ما ادعوه بأنهم ان كانوا مثلثين كان المسلمون مثلثين مثلهم.

أو ان كان المسلمون موحدين كان النصارى موحدين مثلهم؟!

كما لا يفيدهم قياس هذا التثليث على قرص الشمس وضوئها وحرارتها. وقد ذهبوا فعلا إلى هذا القياس، وقالوا: ان الشمس مع هذا واحدة لا يفيدهم لأن ضوء الشمس وحرارتها وصفان للشمس قائمان قياماً واقعياً بها، وليسا منفصلين عنها، هذا حكم العقل

والعلم والواقع.

هذا ما كتبوه منذ أربعين سنة أما الآن فقد جاء فى ما أسموه «الفرقان الحق» وهو كما يدل عليه الواقع.

«البهتان الأمريكى الجديد» فقد جاء فيه: «إن الذين ضلوا من عبادنا، أشركوا بنا شركة عظيمة، حسونا تسعة وتسعين شريكا أسماء وصفات متنافرة للإنس والجن ما أنزلنا بها من سلطان»؟!

يلاحظ القارىء على هذا الأسلوب - مع ركاكته - أنه حسب ما يزعمه كاتبوه وحى نزل عليهم بعد كوارث سبتمبر ٢٠٠١ يعنى أنه كلام الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا، ومرادهم من:

«الذين ضلوا» المسلمون؟

ومن التسعة والتسعين شريكا أسماء الله الحسنى؟!

وزعموا أن أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين أسماء وصفات للجن والإنس وأن الله ما أنزل بها على المسلمين من سلطان؟!

من أجل هذا الافتراء على الله عز وجل ونسبة هذا «الهزيان» إليه فإن إطلاق وصف البهتان عليه هو الحرى به وإن كان هذا الكلام لا يصدر عن عاقل ولا عن مجنون وإنما يصدر عن واحد من اثنين:

إما أناس موتورين من الإسلام ضاقت به صدورهم، فجاء هذا الكلام؟؟؟

وإما أناس لعبت بهم سمادير الخمر فجاء هذا الكلام لوثة مخمور.

ولا عجب فإنهم حرفوا وبدلوا وضيعوا من قبل ما أوحى إلى رسلهم.. فهم لهم أقدام راسخة فى العبث وإضاعة الأمانات كأسلافهم. تواصوا به لاحق عن سابق.

وهيهات هيهات لما أرادو فالعقيدة الإسلامية بلغت فى التوحيد الغاية التى لا مزيد عليها، فهى العقيدة الكاملة التى لا تقبل كمالاً غير الكمال الذى هى عليه وليس على وجه الأرض الآن عقيدة غيرها سمت بالتوحيد سموها أو قاربت عشر معاشرها.

فنحن - المسلمين - لا نؤمن إلا بالله الواحد الأحد، الذى لا والد له ولا ولد، وليس له كفوا أحد.

وليس له فى الإسلام اسم وحيد هو «الله» وحده لا شريك له، واحد فى ذاته، لا اثنان ولا ثلاثة وواحد فى صفاته وواحد فى أفعاله.

وكما قال الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه»: «لن يهبط دين وعقيدته فى الله عالية ولن يعلو دين وعقيدته فى الله هابطة» وعقيدة الإسلام كما تقدم فى الله بلغت أقصى درجات العلو وهى والإسلام معها غير قابلة للهبوط.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ فصلت: ٦

«يتبع»

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]

العز بن عبد السلام

للأستاذ/ عادل خفاجة

تحفظ لنا ذاكرة التاريخ كثيرا من المواقف الفذة لأبطالنا المسلمين.

وإذا كنا نعتبر من يبدأ خطوات الإصلاح بطلا فإن من يقتفى أثره لايقل عنه بطولة.

والعز بن عبد السلام من هؤلاء الأبطال الذين حفظ لهم التاريخ الكثير من مواقف البطولة.

إنه الإمام العلامة: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن المشهور بالعز بن عبد السلام، ولد سنة ٥٧٧هـ وتوفى بمصر عام ٦٦٠هـ.

وإذا تفحصنا مواقف العز نجد فيها مواقف بطولة لم يسبقه إليها أحد ونجد مواقف أخرى اقتفى فيها العز نهج أبطال سبقوه.

وهو - فى كل - بطلٌ فذ تشرئب أعناق الأمة ترقبا لظهور نجم مثله.

وإذا اقتربنا من سلطان العلماء نلاحظ بوضوح تأثره بقول الرسول ﷺ: «لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بحق رآه أو عرفه»(١).

وأول ما يتبادر إلى الذهن من قوله ﷺ «مخافة الناس» إنما هو مخافة النقد ومايجر إليه.

(١) صحيح ابن حبان ص ١/ ٥١١

لقد علم ابن عبدالسلام أن بعض المماليك مازالوا على حال الرق، وأنه يجب أن يباعوا ويوضع ثمنهم فى بيت مال المسلمين فكان هذا النداء: أمراء للبيع - أمراء للبيع.. ذلك النداء الذى لم يسمع التاريخ مثيله أطلقه العز بن عبدالسلام.. ومن لها غير العز حيث ينادى ببيع الأمراء من المماليك الذين لم يعتقوا ومن بينهم نائب السلطنة!! وكان لابد من مخاطبة السلطان فى هذا الشأن.. ولابد من توقع الشر من نائب السلطنة.

ولم يتردد العز لحظة ولم تخالط هذه الشجاعة إلا التواضع لله فهذا ابنه «عبداللطيف» يقول له: «لقد خفت عليك خوفاً شديداً فصاح به أبوه: لا تقل ذلك يابنى فأبوك أهون من أن يقتل فى سبيل الله»(٢).

فهل توقفت شجاعته عند حد بيع الأمرا؟!

الحق أنه لم يكن يبتغى نصراً شخصياً إنما كان همه نصرة الحق، وأمام نصرة الحق يستوى الناس كبيرهم وصغيرهم فى عين من باع الدنيا وأراد رضا الله وهو ما دفعه لمواجهة السلطان «وقد أخذ [السلطان] زينته، والدنيا حوله تأتمر بأمره.. هنا يلتفت الشيخ إلى السلطان ويصيح به: يا أيوب.. ما حجتك عند الله إذا قال لك ألم أبوئك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟ فاندهش الملك وقال: هل حصل ذلك؟

فقال الشيخ: نعم. حانة فلان وحانة فلان! فقال السلطان: هذا من زمان أبى وماصنعت شيئا. فقال الشيخ: ماهذا، أأنت من الذين يقولون:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾

[الزخرف ٢٢].

فرسم السلطان أمراً بإغلاق الحانات فوراً»(٣).

«إن الذى يبحث مواقف الشيخ ليعجب بقوة الإيمان الخارقة التى سيطرت عليه، فخلقت منه أسداً غضوباً يفر أمامه الحكام، فما يزأر العز على منبره حتى يرتجف الباطل، ويتزعزع الضلال، وتقوم الحرب العارمة بين الحق وخصومه ويخرج الشيخ من الحومة مؤزر النصر عالى الرأس»(٤).

لقد دفعت هذه المواقف الفذة تلميذه «ابن دقيق العيد» ان يطلق عليه سلطان العلماء، ويذهب الدكتور رجب البيومى إلى أبعد من ذلك حيث يقول: «الحق أن العز بن عبدالسلام لم يكن سلطان العلماء وحدهم، فقد كان سلطان الدولة بمن فيها من ملوك وأمراء»(٥).

ولقد صدق فيه قول الشاعر:

(٢) رجب البيومى: علماء فى وجه الطغيان جـ ٢ ملحق مجلة الأزهر لشهر صفر ١٤٢٣هـ.

(٣) ا. د. محمد رجب البيومى. المرجع السابق ص ٢٦.

(٤) ا. د. محمد رجب البيومى. المرجع السابق ص ٢٢

(٥) ا. د. محمد رجب البيومى. المرجع السابق ص ٢١.

كانوا أجلَّ من الملوك جلالةً
وأعزَّ سلطاناً وأفخم مظهراً

أما فضيلة الشيخ العمارى، فقد رأى أنه «كان يحمل بين جنبيه نفساً لاتعترف بالعظمة إلا لخالقها وكأنه كان يضع رأسه على كفه لا يبالى من اختطفها، وبذلك هان عليه كل شىء فى سبيل دينه»(٦).

لقد عرف العز كيف ينتصر للحق أينما كان وهو هذه المرة ينتصر للحق من نفسه لقد كان العز فقيهاً لايبارى، عالما قد امتلأ علما مما دعا الإمام عبدالعظيم المنذرى صاحب كتاب «الترغيب والترهيب» أن يقول: لقد كنت أفتى ولم يكن الإمام العز موجوداً، أما الآن فإن منصب الإفتاء متعين عليه»(٧).

وهذا يوضح لنا مكانة العز عند الناس وعند العلماء، ومن خلال الموقف التالى نعرف مدى تمسكه بحديث الرسول ﷺ «لايمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بحق إذا رآه أو عرفه»(٨).

لقد أخطأ ذات يوم فى فتوى فأمر منادياً يطوف بالمدينة ويقول: من أفتاه العز بكذا فليعلم أنه مخطىء»(٩).

ولعله - فى نفس الوقت - ترددت فى سمعه كلمات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعرى: «ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت نفسك وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق. فإن الحق لايبطله شىء، واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل»(١٠).

وفى غارة التتار وتوقع غشيانهم مصر كان العز بن عبدالسلام فى مصر، وكان التتار هم أصحاب القوة التى يخشى بأسها. وفى مثل هذه الأحوال فإننا نسمع من يقول: «انج سعد فقد هلك سعيد»، وبدأت معاول الخوف تفت فى عزم أهل مصر. فماذا فعل العز؟ لقد ألهب العز بن عبدالسلام حماس المصريين وذكرهم بوعد الله الذى لايخلف وعده: ان النصر حليفهم ان هم حملوا على أعدائهم، لم يقف العز عن حد الوعظ والتذكير بوعد الله بل كان فى أوائل من رافق الجيش! حتى كان نصر الله المؤزر فمن آرائه أن «المخاطرة بالنفوس مشروعة فى إعزاز الدين ولذلك يجوز للبطل من المسلمين أن ينغمر فى صفوف المشركين؛ وكذلك المخاطرة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونصرة الدين بالحجج، والبراهين مشروعة؛ فمن خشى

(٦) الشيخ على حسين العمارى مجلة الأزهر المجلد الحادى والعشرون ص ٢٢٧

(٧) طبقات الشافعية الكبرى ٨/٢١١.

(٨) صحيح ابن حبان ١/٥١١.

(٩) ا. د. محمد رجب البيومى. مرجع سابق ص ٢١

(١٠) من كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبى موسى الأشعرى. راجع فى ذلك سنن الدارقطنى ٤/٢٠٦.

على نفسه سقط عنه الوجوب، وبقي الاستحباب ومن قال بأن التغرير بالنفوس لايجوز فقد بعد عن الحق ونأى عن الصواب»(١١).

أضف إلى ذلك أن ما كان يميز ابن عبدالسلام عن غيره من العلماء أنه كان يعيش هموم الناس ومشاكلهم، ويحاول إيجاد الحلول لها. فعندما «اكتسح التتار بلاد الشام وولوا وجوههم نحو مصر المحروسة، ذاعت الذوائع عن قوتهم الخارقة ووحشيتهم الكاسرة وملأت القلوب بالوجل والخوف واستأنف العز جهاده. فدعا إلى محاربة أعداء الاسلام واجتمع العلماء بالأمراء والقواد والأعيان واخذوا يتشاورون فيما يصنعون. فرأى الأمراء أن تجمع الأموال من الرعية ليستعين بها الجيش في نضاله الرهيب ووافق الحاضرون على الاقتراح كأمر مسلّم به لايقبل الاعتراض، ولكن صيحة الشيخ تعلو بكلمة الحق فيقول: لكم أن تفرضوا الضرائب على الرعية كما تريدون، إذا لم يبق في بيت المال شيء وإذا باع المماليك جواهرهم النفيسة وادواتهم المذهبة وذخائرهم الثمينة، ولم يبق لهم شيء غير ما للعامة، فيتساوى الجميع وتفرض الضرائب على الرؤوس، وقد أذعن الجميع لأمر الشيخ»(١٢).

والعز بن عبدالسلام لم يتراجع عن الدفاع عن الدين في مسألة بعيدة عن الفقه، ولو أعرض ما لامه إنسان فالبلاغة ميدان غيره إلا أنه بروح الجندي لم يترك الميدان مادام في وسعه أن يدافع عن دين الله بقدر ما يستطيع لذلك فقد انبرى للتاليف في البلاغة فكتب كتابه المسمى «الإشارة في الإيجاز في بعض أنواع المجاز» وذلك لإنكار بعض جهلة الصوفية وجود المجاز في القرآن الكريم وهي قضية قديمة وشبهتهم ان المجاز أخو الكذب، فدفع شبهتهم وأوضح أن «المجاز أبلغ من الحقيقة»، وأوضح الفرق بين المجاز والكذب لضرورة وجود القرينة الصارفة عن المعنى الأصلي في المجاز وأخذ «يتتبع القرآن آية آية، ويذكر مايكون في الآى من حذف، ومايترتب على ذلك من مجاز وربما عمد إلى المجاز وحده فاستخرجه من الآية ويعرض كثيراً للمسائل البلاغية غير المجازية وقد تحدث عن كل ألوان المجاز فذكر المجاز المرسل وعلاقاته، والمجاز العقلي وعلاقاته وتحدث عن الاستعارة الخ(١٣).

وقد تميّز العز عن غيره في كتاباته في البلاغة والمجاز

(١١) الشيخ على محمد حسن العمارى. مجلة الأزهر المجلد الحادى والعشرون سنة ١٣٦٩/ ١٩٥٠ ص ٢٢٦.

(١٢) أ.د. محمد رجب البيومى. علماء فى وجه الطغيان ملحق مجلة الأزهر جـ ٢ صفر ١٤٢٢ هـ ص ٢٨.

(١٣) الشيخ على حسن العمارى - مجلة الأزهر المجلد الحادى والعشرون ص ٢٦١، ص ٣٦٢.

وكان يحلل الأبيات ويتحدث عن مناسباتها وقائليها غير مقتصر على القواعد الفنية للبلاغة(١٤).

لم يضعف سلطان العلماء ولا لانت عزيمته، وما اهتز ميزان العدل والحق في يده، حتى في لحظة الوفاة أصعب اللحظات التي يواجهها كل إنسان. فيقال« انه لما مرض مرض الوفاة أرسل السلطان إليه وقال: عين مناصبك لمن تريد من أولادك فقال: مافيهم من يصلح! وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضي تاج الدين ففوضت اليه»(١٥).

ولعله - أيضا - قد تذكر قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في نفس هذا الموقف حيث قال: بحسب آل الخطاب أن يحاسب منهم رجل واحد عن أمة محمد - ﷺ - ولوددت أني نجوت من هذا الأمر كفافاً لا لي ولا علي.

ليس ببعيد أن بطلا مثل العز يقتفي أثر بطل مثل ابن الخطاب فالبطولة ليست في الميدان فحسب، بل هي في الرأى أندر وأهم.

وهو في ذلك متمسك بسنة أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أوصى النبي باتباعهم.

إننا نتذكر العز بن عبدالسلام لأنه «في الليلة الظلماء يفتقد البدر» وإن أمتنا تمر بظروف لاتخفى على أحد، فإذا كان التتار قد هاجموا مصر أيام العز بن عبدالسلام فإن تتار اليوم «الأمريكان والانجليز» قد اجتاحوا العراق وليست العراق بغيتهم الوحيدة بل هي دولة تتلوها الأخرى ولم تستطع الدول العربية أن تلملم شتاتها حتى دخل تتار هذا القرن قصور العراق.. وإذا كان الظلام منذ اجتياح العراق يزداد ظلمة فإن الأمل مازال موجودا.

اللهم أعز الإسلام

واشف صدور قوم مؤمنين

***

(١٤) أ.د. محمد رجب البيومى. علماء فى وجه الطغيان ص ٣٢

(١٥) الشيخ على العمارى، المرجع السابق ص ٢٢٨.

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشني

أ/ عبد الموجود أمين

معا.. للمستقبل

معارك النجف.. البداية.. احذروا الفتنة الكبرى!!

تحت هذا العنوان كتب على هاشم/ فى الجمهورية الصادرة ٢٠٠٤/٨/٢٦ يقول:

ليس من مصلحة بوش وحملته الانتخابية أن تهدأ الأوضاع في العالم عموماً والدول العربية والإسلامية وفي مقدمتها العراق وفلسطين والسودان وأفغانستان وإيران وسوريا بصفة خاصة.. فالقضاء على كل ما يسمى بالإرهاب أول وأهم ورقة يراهن عليها بوش للبقاء بالبيت البيضاوى. ولذلك بوش يتفنن بمعاونة عصابته اليمينية المتطرفة فى إشعال المعارك ونار الفتن والصراعات والحروب الأهلية حتى يثبت للجميع سلامة موقفه وصواب قراره بالحرب على العراق،

ورغم أن بوش أخطأ.. ومازال يخطيء.. فإن الشعب الأمريكى دفع الثمن غالياً.. ومازال يسدد فاتورة الحرب الظالمة وما يثير الدهشة والغيظ معاً ذلك الموقف السلبى الذى لم نر له مثيلاً على مدى التاريخ الطويل ووقوف العالم بمنظماته وجمعياته الأهلية والمدنية والإنسانية موقف المتفرج إزاء ما يحدث من جرائم حرب وحشية ليل نهار فى العراق.. وفلسطين على يد التحالف الأمريكى – الصهيونى.. وبأدوات عربية عبر حكومة علاوى المؤقتة.. والطابور الخامس فى فلسطين.. أما ما يدعو للحسرة حقا فهو الموقف المتخاذل للعرب والمسلمين تجاه ما يجرى فى مدينتى النجف الأشرف والفلوجة.. والاعتداء الآثم على مراقد الصحابة الكرام وإهانة المقدسات الدينية وترويع وقتل المدنيين الأبرياء!!

لقد كشفت الأحداث الأخيرة فى النجف الأشرف وسائر مدن العراق الوجه القبيح لحكومة علاوى العميلة.. وتساءل الجميع: ما الفرق بين علاوى وصدام؟!! وذهب البعض للقول بأن علاوى «صنيعة الأمريكان ودميتهم» أكثر ديكتاتورية وأشد ظلما وفساداً.. أكثر من ذلك ما رأيناه من مؤامرات خسيسة لتصفية التيار الصدرى وتكسير عظام الزعيم الشيعى الشاب مقتدى الصدر.. وللأسف تشارك فى هذه المؤامرة الدنيئة قوى وأحزاب كبيرة داخل العراق.. وتناسوا أن تطاحنهم مع بعضهم البعض إنما يخدم فى المقام الأول مصالح أمريكا.. فإذا ما نجح الغزاة اليوم فى تصفية التيار الشيعى.. فالدور غداً على السنة وبعد غد الأكراد وباقى تيارات المقاومة العراقية.. وأتمنى أن يفطن زعماء العراق وعلى رأسهم المرجع الأعلى آية الله السيستانى لكل ما يحاك بالعراق والأمة من مكائد.. وأن يفوتوا الفرصة على أعدائنا وننجو من تلك الفتنة الكبرى!!

ويختتم الكاتب مقاله بقوله:

أما الكارثة الكبرى – وهى فى رأيى سابقة خطيرة – فهى تحيز الأمم المتحدة وأمينها العام أنان للاحتلال الأجنبى.. ومباركته لجرائم الحرب البشعة بحق الفلسطينيين والعراقيين وتدنيس المقدسات الدينية.. مع أن الدنيا قامت وانتفضت غضبا فى وجه حركة طالبان عندما قررت هدم تمثال بوذا وانطلقت شرارة الحرب على أفغانستان وإن كانت أتوقع أن يحدث كل ذلك من أنان بعد أن ضغطت عليه أمريكا وهددته بفتح ملف الفساد فى الأمم المتحدة «النفط مقابل الغذاء» وتورط ابنه وعدد كبير من موظفى الأمم المتحدة فى هذه الفضيحة.

بعد إنتهاء أزمة النجف

مقتدى الصدر.. الفائز الأكبر!

ونشرت جريدة الأخبار مقالاً لـ (راجيف تشاندر اسكيران) عن (لوس انجلوس تايمز) و(واشنطن بوست)

عندما تعالت النداءات والأوامر عبر مكبرات الصوت من فوق ضريح الإمام على بمدينة النجف المحتدمة الصراع، بمطالبة أنصار الصدر بإلقاء أسلحتهم، والإذعان لمبادرة المرجع الشيعى آيه الله العظمى على السيستانى.. ذهب سعد مسلم إلى زعيمه الصدر، وقدم فروض الولاء والطاعة، وهو الشعار الذى رفعه كل أنصاره، فهل حقا ستنجح مبادرة السيستانى في وقف حمام الدم والمواجهات المستمرة بين أنصار الصدر وقوات الاحتلال والشرطة العراقية؟ أم أن قبول الصدر لهذه المبادرة هو مجرد هدنة أو مناورة سياسية جديدة لميليشيا جيش المهدى التابعة للصدر؟ بعد أكثر من ثلاثة أسابيع من الصراعات الدموية بمدينة النجف فى وجه قوات الاحتلال وقوات الأمن العراقية، أعلن أعضاء ميليشيا جيش المهدى ببساطة قبولهم لمبادرة السيستانى وأوامر زعيمهم، حيث خلعوا الزى العسكرى الأسود لميليشا جيش المهدى، وذابوا فى آلاف الشيعة الذين هرولوا إلى النجف بأمر من السيستانى ثم خرجوا من المدينة.

ومع احترامى الشديد لهؤلاء الذين يعولون كثيرا على هذه المبادرة، فإن الأمور لا يجب أن تأخذ بهذه البساطة، صحيح ان أنصار الصدر استجابوا دون تردد لأوامره، وحدث هدوء نسبى بالمدينة، ولكن

هذا لا يعني أن المشكلة انفرجت .. حيث يقول مسلم ٣١ عاما لو طلب منا الصدر العودة مرة أخرى إلى القتال، ولو احتاجنا في أي وقت، وسوف نحمل أسلحتنا مرة أخرى، فكلنا في طاعته.

ومن ناحية أخرى ربما يعد الموقف الحالي للصدر وأنصاره بمثابة فرصة لإعادة تنظيم صفوفه، وتأجيج الصراع مرة أخرى، فقد أصبح أنصار الصدر طلقاء وتم العفو عنهم، وسمح لهم بالعودة إلى مدنهم، علاوة على أن بيان للحكومة العراقية المؤقتة أعلن أن الصدر حر مثل أي مواطن عراقي، يفعل ما يريد، ومن جانبه يقول دبلوماسي عربي على علاقة بالحكومة العراقية: «مقتدى الصدر هو الفائز الأكبر في كل ما حدث فالاتفاق يسمح له ولأنصاره بالتحرك بحرية، وتنظيم صفوفهم لمعارك أخرى».

وجزء كبير من هذه المشكلة أن الحكومة العراقية، بدلا من أن تهتم بتوفير اعتمادات مالية وبرامج تأهيل وظيفي وحياة أفضل لعناصر جيش المهدي التي تريد حلها، لم تبال تماما باحتياجات هؤلاء إلى العمل والتعليم، وضرورة دمجهم في مناحي الحياة المختلفة، حتى جهود قوات الاحتلال في حل الجماعات المسلحة، عبر برامج التدريب وتخصيص رواتب لهم لم تنطبق على ميليشيا جيش المهدي، حيث رفض الصدر التوقيع على أي اتفاق مع سلطة التحالف لحل الميليشيا التابعة له، في الوقت الذي توجه في الدعم المادي لبعض الجماعات المسلحة، مثل جماعات البشمرجة، وكتائب بدر الشيعية الموالية للولايات المتحدة.

ويقول جمال بن عمر المستشار السياسي للحكومة العراقية المؤقتة: «لا يمكن أن نتوقع تخلي هؤلاء الشبان عن الميليشيا، دون توفير برامج فاعلة تمنحهم الفرصة في العيش الكريم، وتحسين أوضاعهم المعيشية فهم شباب بلا وظائف ولا مستقبل ولذلك فإن السبب الذي جعلهم يلتحقون بهذه الميليشيا مازال موجودا».

وعلى الجانب الآخر يشير المسئولون بالحكومة العراقية إلى مشكلة أخرى فطبيعة ميليشيا الصدر تجعل من المستحيل تقديم دعم مادي لأعضائها وتحسين أوضاعهم، فمعظم المشاركين هم من المتطوعين الذين يحملون السلاح إذا تم استدعاؤهم من قبل الصدر.

وما يزيد الأمر صعوبة، أنه من غير الواضح، هل سيتم تسليم الأسلحة للحكومة، وبالتالي تجريد الميليشيا تماما من الأسلحة حيث يقول هاتف حسين وهو أحد أنصار الصدر: «لن نسلم أسلحتنا للشرطة العراقية».

وما يثير الشكوك حول تراجع الصدر وأنصاره عن سياسته الحالية. هو فشل محاولات التوصل إلى حل سلمي في السابق. فقد سبق أن عقدت هدنة بين الصدر وقوات الاحتلال في يونيه الماضي بعد شهرين من المواجهات الشرطة، ولكن لم تجد تلك المحاولات صدى، وتفجر الصراع من جديد.

وعلى الجانب الآخر يرى عدد من المحللين أن خسائر الصدر انحسرت في سقوط عدد من القتلى؛ حيث كانت مبادرة السيستاني بمثابة طوق نجاة للصدر، بعد أن ضيقت قوات الاحتلال والقوات العراقية الخناق على ميليشيا جيش المهدي.

إسرائيل تكذب ولا تتجمل

ونشرت جريدة السياسي كلمة للكاتب فرج مجاهد عبد الوهاب بعنوان: «إسرائيل تكذب ولا تتجمل»

أفرجت إسرائيل في إبريل الماضي عن موردخاي فعنونو كاشف أسرار ترسانة إسرائيل النووية بعد ١٨ عاما قضاها في السجن.

ومنذ أيام زار إسرائيل محمد البرادعي مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية في محاولة - ولو صورية - لدفع إسرائيل للكشف عن أسرارها النووية في إطار محاولات إخلاء منطقة الشرق الأوسط من الأسلحة النووية، وكان البرادعي قد أعرب في بداية زيارته عن أمله في إقناع حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي إرئيل شارون بالتوقيع على بعض المعاهدات مع الوكالة الذرية، علما بأن إسرائيل ليست عضوا في معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية.

وهذه هي الزيارة الأولى التي يقوم بها البرادعي لإسرائيل منذ أن تولى منصبه، ويعتقد أن إسرائيل تملك ما بين ١٠٠ و ٢٠٠ رأس نووي وقنابل تكتيكية إلا أنها ترفض تأكيد أو نفي هذه المعلومات، وكان البرادعي قد حث إسرائيل في ديسمبر الماضي على التخلي عن أسلحتها النووية المزعومة، ومع وصول مدير الوكالة الذرية قال رئيس الوزراء الإسرائيلي «لا أعرف ما الذي سيأتي ليراه البرادعي»، وأضاف: يتعين على إسرائيل إبقاء كل عناصر القوة الضرورية للدفاع عن نفسها. وقال شارون: إن السياسة النووية - الغامضة لبلاده ناجحة وسوف تستمر، ونقلت الإذاعة الإسرائيلية عنه قوله بأن الحكومة الإسرائيلية لا تنوي تغيير سياستها القائمة على الاستعراض و«لا معلومات».

وتصنف إسرائيل - حسب التقارير الاستراتيجية العسكرية العالمية - أن ترتيبها الخامس في قائمة الدول الحائزة للمفاعلات النووية وأنها تنفق خمسة مليارات دولار سنويا لإقامة منظومات تكنولوجية للتوجيه الدقيق للرؤوس النووية ومجابهة التهديدات الصاروخية.

ويتزامن وصول البرادعي مع تأييد المحكمة الإسرائيلية قرار الحكومة حظر دخول الصحفي البريطاني بيترهاونام إلى إسرائيل باعتباره خطرا على الأمن القومي بسبب علاقته مع كاشف أسرار إسرائيل النووية فعنونو، وكان قد تم التحقيق مع الصحفي أثناء وجوده في إسرائيل من قبل الشين بيت بسبب ترتيبه مقابلة تليفزيونية مع الفني السابق في ديمونة، وقالت الداخلية الإسرائيلية إنه قد يتصرف بشكل قد يكشف معلومات مهمة وحساسة من شأنها الإضرار بالأمن القومي.

يذكر أن إسرائيل قد سعت لتجميل وجهها القبيح مؤخرا بإطلاق موقع لها على الإنترنت ولكن الزائر لهذا الموقع يكتشف ضحالة ما يقدم فيه من معلومات بل يقدم إسرائيل في صورة دولة متقدمة في الأبحاث النووية السلمية التي تعمل لصالح البيئة، حتى إنها نشرت صورا لمفاعل ديمونة وهو محاط بالزهور الصفراء والحمراء ومساحات كبيرة من الخضرة والنخيل! إن إسرائيل بزهورها ونخيلها تحاول خداع العالم.. إنها في الحقيقة تكذب ولا تتجمل.

﴿ فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

● السؤال الأول: أنا رجل مستور الحال ويضطرني عملي إلى الرجوع متأخرا بعد الإفطار إلى منزلي. فهل يحق لي الإفطار على إحدى موائد الرحمن التي تقدم أصلا للفقراء؟

●● الجواب: طالما أن الذي أعد هذه الموائد قد خصصها للفقراء - كما جاء في السؤال - فإنه لا يجوز لمن لم يكن فقيرا أن يأكل منها، لأن شرط الواقف كنص الشارع أما إن كانت هذه الموائد معدة لتفطير الصائم بغض النظر عن كونه فقيرا أو غنيا كما هو الحاصل عند الاكتفاء بتقديمها للناس دون إشارة إلى اختصاصها بفقير أو غيره فإنه يجوز لأي صائم أن يفطر منها لأن السكوت عن التقييد يقتضي الإطلاق.

● السؤال الثاني: اعتدى مجموعة من الذئاب البشرية على إحدى قريباتي وقد حاولت الانتحار أكثر من مرة ولأني كنت أحبها عرضت على والدها الزواج منها لأنها ليس لها ذنب فيما جرى لها وبعد الدخول بها علمت بحملها في الشهر الثالث. فهل يحق لي معاشرتها معاشرة الأزواج أو الانتظار حتى تضع حملها؟ وهل أكتب الطفل القادم باسمي وإن كتب باسمي هل يحق لي أن أورثه؟

●● الجواب: من شرائط صحة عقد النكاح المتفق عليها عند فقهاء المسلمين: أن تكون المرأة المراد العقد عليها محلا صالحا للنكاح، خالية من الموانع الشرعية، فلا تكون زوجة أو معتدة لرجل غير الذي تقدم للعقد عليها، فإذا طلقت المرأة أو توفي عنها زوجها وهي حامل فلا يحل لها الزواج بآخر إلا بانقضاء العدة: بوضع الحمل إن كانت حاملا، أو بالحيض ثلاثا إن كانت غير حامل وممن يحضن، أو بمضي ثلاثة أشهر إن كانت ممن لم يحضن.

أما إن كان الحمل من غير نكاح شرعي ففي صحة العقد عليها قولان: أحدهما بطلانه، وهو مذهب مالك وأحمد، والقول الثاني: صحته وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي ومحمد بن الحسن، لأن المنع من نكاح الحامل إنما هو لحرمة ماء الوطء، ولا حرمة لماء الزنا لأنه هدر بدليل أنه لا يثبت به النسب لقول النبي ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» متفق عليه، ولكن لا يدخل بها إلا بعد

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

وضع الحمل لعموم حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة»، وحديث رويفع بن ثابت الأنصاري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره» رواهما أبوداود والترمذي. وبناء على ذلك فعلى السائل أن يمتنع عن وطء امرأته حتى تضع حملها الذي حملت به من غيره.

أما كتابة الطفل باسم الزوج فهو عين التبني المنهي عنه شرعا في قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ (الأحزاب ٤ - ٥)

فإن خالف ونسبه إليه فلا توارث بينهما لأن تغيير الأسماء لا يغير الحقائق، والحمل حمل المرأة تحمله حتى تضعه، وترضعه حتى يستغني عن إرضاعها بالغذاء، وهو منسوب إليها يحمل اسمها واسم أسرتها لأنه ولد نتيجة علاقة غير الزواج.

● السؤال الثالث: ما حكم الشرع في السيدات اللاتي تجاوزن سن الشباب وقمن بإجراء عمليات تجميل في الوجه ليظهرن أصغر من أعمارهن؟

●● الجواب: أمرنا الله سبحانه بعدم تغيير خلقه بصورة تنبيء عن الاعتراض على قضائه وقدره، وجعل هذا من فعل الشيطان، فقال تعالى:

﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ (النساء ١١٩)

وقال رسول الله ﷺ: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله» متفق عليه من حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه، واللعن لا يكون إلا لكبيرة. ومن القواعد المقررة في الشرع الشريف أن الضرر يزال لقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» رواه أحمد وابن ماجة والحاكم وحسنه الإمام النووي، وعليه فإن تغيير شكل جلد الوجه بعمليات الشد حرام إلا إذا لزم به إزالة ضرر محقق.

والله سبحانه وتعالى أعلم

القصد والاعتدال

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

كم هو جميل ومريح أن يأوى المرء إلى واحة الإسلام التى تلفظ الحرام وترسخ الحلال وتزداد الصورة وضاءة وسطوعا عندما تقارنها بصور أخرى امتلأت بالعنت والمشقة وساعتها تدرك من أيسر طريق المعنى الجميل الذى يشبه طيرا يرفرف بأجنحة من الرحمة والشفقة على كل مسلم بل على كل إنسان وأنت تقرأ قول الله- عز وجل:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(التوبة: ١٢٨)

ولربما يكون لهذه الكلمات صدى أكبر وتأثير أشد عمقا إذا قدمنا صورة أخرى لبعض من استحبوا العمى على الهدى ونصبوا من أنفسهم أوثانا تعبد من دون الله فشقوا وأشقوا وضلوا وأضلوا وحرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله فناصبوا الفطرة العداء فاسمع معى إلى ما جرى لأحد أتباع بوذا لتدرك ما حوى الإسلام من جمال يأسر الألباب وما انطوت عليه تخاريف البشر من أمور تهدم النفوس السوية فقد انضم أحدهم إلى معبد فى مرتفعات التبت وآلى على نفسه الالتزام بالصمت التام وهو أحد شروط عبادتهم لكن سمح له أن ينطق كلمتين اثنتين فقط فى كل عام وهو كما ترى أمر مستقذر لا يستند إلى عقل رشيد أو منطق سديد. وبعد مرور اثنى عشر شهرا عصيبة من الصمت المطبق المحض الذى صاحبه أكل الأرز المسلوق والتغطى ببطانية رثة مهلهلة ليلا وقضاء أربع عشرة ساعة فى عمل مجهد فى الحقل اتجه المسكين إلى رئيس المعبد محددا طلباته فى كلمتين اثنتين ليس إلا وقال: (بطاطين أكثر). ومرت سنة ثانية بكل ما غصت به من مكدرات ومنغصات كابدها الذى ظلم نفسه وعاند فطرة الإنسان واقتصرت أمانيه فى كلمتين فقال: (طعام أكثر).. وواصل ظلم نفسه للسنة الثالثة وهو يأكل من الطعام ما اشتهت نفسه ويأخذ من الراحة والنوم قسطا كبيرا طالما اشتاقه وتمناه لكنه ظل حبيس ساعات العمل الطوال فى الشمس المحرقة وقد تصبب عرقا وكمدا. والتقى برئيسه ولم يجرؤ على تخطى الكلمتين المسموح بهما فقال لرئيسه (إنى ذاهب) فما كان من ذلك المفترى على الله إلا أن صب على الرجل جام غضبه فى عبارة أوضحت له دون أدنى لبس أنه على الرغم مما تكبد من عناء وقاسى من آلام برغم ذلك كله لم يفعل شيئا أى شىء. وقال لتابعه: (إنك لم تفلح فى شىء منذ قدمت المعبد سوى الشكوى الدائمة والضجر).

أما كان أهون عليه وأرفق به وبأمثاله لو اتبع الدين الحنيف، الدين القيم فطرة الله التى فطر الناس عليها. ولندخل معا بستان الإسلام الزاهى وجنته الفينانة وروضته الزاهرة ولا أستطيع فى هذه العجالة أن أحيط بكل ما ذخر به الإسلام من مظاهر اليسر والسهولة والانسجام المطلق مع الفطرة السليمة السوية ولذا فإليك منها زهرات يانعة زينت جيد الزمان لهؤلاء الثلاثة الذين أخذ كل منهم على نفسه عهدا بتحريم ما أحل الله لعباده لتوهمهم أن ذلك تقرب إلى الله. قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدا وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فوجههم - ﷺ - قائلاً: «والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى». وهو رد على من يحرمون ما أحل الله بمبررات تتعارض مع طبيعة البشر التى جبلت على عدم الاقتصار على فعل واحد بعينه يلزمه فاعله طول العمر فالإنسان يصلى وينام ويصوم ويفطر ولا يترهبن وإنما يتزوج ويعمر الحياة فالمسلمون رهبان الليل وفرسان النهار، وعن أنس- رضى الله عنه- قال: «دخل النبى ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال ما هذا الحبل قالوا: «هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به فقال: حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد». فهل أنت واجد دينا ورسولاً يحنو على أتباعه ويرفق بهم كل هذا الرفق.

وتتضح الصورة أكثر حينما نتذكر قصة حنظلة بن الربيع الذى صارح أبا بكر بأمر توهمه نفاقاً وأنه ببساطة يريد أن يكون على نفس الصورة التى يكون عليها عندما يصف لهم - ﷺ - الجنة والنار حتى كأنهم يرونها رأى العين لكن ذلك الصحابى لا يستطيع فيخشى على نفسه ما يظنه نفاقا حينما يمارس حياته اليومية من تعامل مع الزوجة والولد وقضاء لشتى شئونه فيطلق - ﷺ - ويمحو ذلك الوهم من نفس الصحابى قائلا له: «والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندى فى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة (قالها ثلاثا)» رواه سلمى. وهو تأكيد على أن معايشة الأولاد والزوجة ومزاولة شئون الدنيا فى وسطية وقصد أمر تقره الفطرة. ونختم بما حدث على أيام رسول الله - ﷺ - وهو يذكرنا من طرف خفى بما انحرف إليه الضالون المضللون وأنه أولى بكل إنسان أن يرحم نفسه فما كان الرفق فى شىء إلا زانه فعن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: «بينما النبى - ﷺ - يخطب إذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبى - ﷺ - مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه». ولو عقل ذلك المتنطع لما شق على نفسه فماذا سيستفيد الله من وقوفه الدائم على قدميه وما يجديه أن يتلظى بحر الشمس. وصحيح أن الصمت أحيانا أفضل من الكلام لكن ماضر أن يكون الكلام أمراً بمعروف أو نهيا عن منكر أو إصلاحاً أو تعليماً أو غير ذلك ولا يظنن أحد أن الإسلام يربى أتباعه على اللين والنعومة لكنه يريد للمعادلة أن يتوازن طرفاها فتخرج للدنيا من يكسب بالفطرة السليمة السوية كلاً من الدنيا والآخرة.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

عفواً مهاتير

«إن اليهود يحكمون العالم بالوكالة»

«إن اليهود ليسوا مخلوقات فوق مستوى النقد، ومن حق المسلمين التعبير عن غضبهم واستيائهم من اليهود، والواقع أننا نتعامل مع أناس معادين للإسلام، والتفوه بأية كلمة ضد هؤلاء يلصق بنا تهمة معاداة السامية».

«من الواضح أن هناك خطراً يواجهنا، لكن الأمة الإسلامية عددها كبير جداً، لدينا حوالى ١,٣ مليار مسلم فى العالم، أما اليهود فعددهم قليل جداً!! الشىء الوحيد هو أنهم يستطيعون أن يعملوا معاً بينما المسلمون يختلف موقفهم من شخص إلى آخر، وبرغم ذلك فإنه من الصعب جداً قمع ١,٣ مليار شخص فى العالم، نحن كثيرون جداً، وهم سيحاولون أن يقمعونا، لكننى أعتقد أنه لو تعاون المسلمون مع بعضهم، أو حتى تعاون عدد صغير منهم فإننا سنستطيع محاربة المتحالفين ضدنا.

من حقنا كمسلمين الدفاع عن أنفسنا بل ومن حقنا أن نخيف أعداءنا. لكن الشىء المهم ألا يكون المسلمون أو رد فعلهم منطلقاً من شعورهم بالغضب فيقومون بقتل الناس، هذا ليس جيداً، علينا أن نخطط لما يجب أن نفعله، لدينا بعض القوة والثروات يجب أن نستغلها».

جملة تصريحات صدرت على مدار ما يقرب من عام كامل لرئيس وزراء ماليزيا السابق «مهاتير محمد»

رجل زهد فى كرسى الحكم وتركه عندما رأى أنه لم يعد لديه جديد يقدمه حتى يستمر رئيساً لوزراء ماليزيا.

الأيام تمر لتثبت صدق كلام «مهاتير محمد».

أجل اليهود يحكمون العالم بالوكالة:

فها هى الولايات المتحدة الأمريكية تجتاح العراق بجيوشها وتمهد لاجتياح لبنان وسوريا وتصدر تصريحات التهديد والوعيد ضد إيران والسودان كل هذا بقيادة إسرائيل.

ولكن.. عفواً مهاتير.. يبدو أن اليهود بدأوا يعدون العدة لاستلام مقاليد الحكم فى العالم.

فهناك فى عالمنا العربى من بدأ بتقديم فروض الولاء والطاعة:

فى العراق يتم الآن دراسة تعويض يهود العراق عن أملاكهم المزعومة أو إعادتها إليهم.


مهاتير

دولة عربية أخرى تطوعت من تلقاء نفسها وأعلنت استعدادها لتعويض اليهود عن أملاك وأموال مزعومة لهم.

أى أننا نحن الذين تطوعنا بفتح باب المناقشة فى هذا الأمر كسباً لود اليهود ونسينا قول المولى عز وجل:

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾

[التوبة - ٨٢]

ترى كيف سنتصرف إذا طالب اليهود بحق العودة إلى المدينة المنورة بحجة أن لهم حقوقاً تاريخية فيها!!

رحم الله التضامن العربى ولا أراكم الله مكروهاً فى عزيز لديكم.

وإلى رسائل القراء

شيوخ الأزهر

القارئ عماد بلرماح من الجزائر الشقيق أرسل يطلب معرفة أسماء المشايخ الأجلاء الذين تولوا مشيخة الأزهر، ونجيب القارئ الفاضل على رسالته فنقول: شيوخ الأزهر على الترتيب هم:

١- الإمام محمد عبدالله الخراشي.

٢- الإمام إبراهيم بن محمد البرماوي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١١٠١هـ.

٣- الشيخ محمد النشرتي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١١٠٦هـ.

٤- الإمام عبدالباقي القليني، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١١٢٠هـ.

٥- الشيخ محمد شنن، وتولى مشيخة الأزهر

٦- الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١١٣٣هـ.

٧- الإمام عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١١٣٧هـ.

٨- الشيخ محمد بن سالم الحفني، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١١٧١هـ.

٩- الشيخ عبدالرءوف بن محمد السجيني، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١١٨١هـ.

١٠- الشيخ أحمد بن عبدالمنعم بن صيام الدمنهوري، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١١٨٢هـ.

١١- الإمام أحمد بن موسى العروسي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١١٩٢هـ.

١٢- الشيخ عبدالله الشرقاوي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢١٨هـ.

١٣- الإمام محمد بن على بن منصور الشنواني، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٢٧هـ.

١٤- الإمام محمد بن أحمد بن موسى بن داود العروسي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٣٣هـ.

١٥- الإمام أحمد زين على بن أحمد الدمهوجي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦هـ.

١٦- الشيخ حسن بن محمد بن العطار، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦هـ.

١٧- الإمام حسن بن درويش القويسني، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٥٠هـ.

١٨- الشيخ أحمد بن عبدالجواد السفطي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٥٤هـ.

١٩- الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٦٣هـ.

٢٠- الشيخ مصطفى بن محمد بن أحمد بن موسى بن داود العروسي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٨١هـ.

٢١- الشيخ محمد المهدى العباسي الحنفي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٨٧هـ.

٢٢- الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن حسين الانباني، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٩٩هـ.

٢٣- الشيخ حسونة بن عبدالله النواوي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٣١٣هـ، وتولاها مرة ثانية سنة ١٣٢٤هـ.

٢٤- الشيخ عبدالرحمن القطب النواوي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٣١٧هـ.

٢٥- الشيخ سليم بن أبي فراج البشرى وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٣١٧ هـ، وتولاها مرة ثانية سنة ١٣٢٧هـ.

٢٦- الإمام على بن محمد البلاوي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٣٢٠هـ.

٢٧- الإمام عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الشربيني، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٣٢٣هـ.

٢٨- الشيخ محمد أبوالفضل الجيزاوي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٣٣٥هـ.

٢٩- الشيخ محمد بن مصطفى بن محمد المراغي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٢٨م.

٣٠- الشيخ محمد الأحمدى إبراهيم الظواهري، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٢٩م.

٣١- الشيخ مصطفى بن أحمد بن محمد بن عبدالرازق، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٤٥م.

٣٢- الشيخ محمد مأمون الشناوي، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٤٨م.

٣٣- الشيخ عبدالمجيد سليم، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٥٠م، وتولاها مرة ثانية سنة ١٩٥٢م.

٣٤- الشيخ إبراهيم حمروش، وتولى مشيخة



الشيخ سليم البشرى — الشيخ إبراهيم حمروش

الأزهر سنة ١٩٥١م.

٣٥- الشيخ محمد الخضر حسين، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٣٧١هـ.

٣٦- الشيخ عبدالرحمن تاج، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٥٤م.

٣٧- الشيخ محمود شلتوت وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٥٨م.

٣٨- الشيخ حسن مصطفى مأمون، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٦٤م.

٣٩- الإمام الأكبر الدكتور محمد محمد الفحام، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٦٩م.

٤٠- الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٧٣م.

٤١- الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد عبدالرحمن بيصار، وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٧٩م.

٤٢- الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٨٢م.

٤٣- الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى وتولى مشيخة الأزهر سنة ١٩٩٦.

من رواد الفكر الإسلامي:

محمد إقبال

ويشارك الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب بكلمة عن العلامة «محمد إقبال» قال:

وُلد في بسيالكوت في إقليم البنجاب عام ١٨٧٣ ميلادية بالهند وبدأ تعليمه في أحد المكاتب، ثم في مدرسة البعثة الاسكتلندية، تعلم الفارسية والعربية والتحق بكلية الحكومة بلاهور، واتصل بالمستشرق توماس أرنولد أحد أساتذتها ومنها حصل على شهادته النهائية والتحق بالكلية الشرقية كمحاضر ثم بكلية الحكومة بلاهور.

وكان يشكو من ضعف بصره، مما حال بينه وبين وظائف الحكومة، ومما دفعه إلى مجال العمل في حقل الفكر الإسلامي وأبدع ذلك التراث الرائع.

رحل إلى أوروبا عام ١٩٠٥م حيث التحق بجامعة كمبردج، ثم جامعة هايدلبرج بألمانيا ثم جامعة ميونخ حيث حصل على الدكتوراة بعد أن قدم رسالته القيمة التي جعل عنوانها «تطور الفكرة العقلية في إيران» وقد أحب الأدب منذ صغره حبا طاغيا ملك عليه حياته، وكان شاعرا فيلسوفا وعضوا في المجلس التشريعي في البنجاب لمدة ثلاث سنوات ورئيسا لحزب العصبية الإسلامية لجميع الهند، والعضو العامل في مؤتمر الله أباد التاريخي حيث نادى لأول مرة بانفصال المسلمين عن الهندوكيين ووجوب تأسيس دولة خاصة بهم.

يقول: «إنني لا أرهب الموت، أنا مسلم استقبل الجنة راضيا مسرورا، أريد أن أقول لكم: ما علامة المؤمن. إنها بسمة على شفته عند الأجل المحتوم» تلك هي روح فلسفة محمد إقبال التي صورها في قوله:

«إنها فلسفة القوة والقائمة على نمو الفرد الفكري والخلقي والروحي، آمن بحرية الفكر والعقل والروح وقال إن الحياة بدون حرية لا تستحق أن تُحيا، كما آمن أن تجديد الإسلام لا يمكن أن يتم ما لم يعزز المسلمون قواهم الفكرية والخلقية ويرتفعوا بنفوسهم إلى أسمى مستوى.

توفي في ٢١ من أبريل عام ١٩٣٨.

أبو تراب

القارئ فتحي عبدالمرضي عبدالصادق محمد - قرية سدود - مركز منوف - محافظة المنوفية كتب رسالة مطولة معلقا على ملحق مجلة الأزهر «أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخليفة المثالي» لفضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون ـ رحمه الله ـ حيث احتوت على ما اعتبره نقائص» في الكتاب، ونكتفي بالرد على أهم ما ورد بها لضيق المساحة حيث قال:

«... وجدت شيخنا الفاضل يتحدث عن سيدنا علي - كرم الله وجهه - بقوله: «أبوتراب» فما معنى هذا الكلام، وهل يصح هذا الكلام في الحديث عن أصحاب رسول الله ﷺ.

نقول للقارئ الفاضل: إن «أبا تراب» كُنية اشتهر بها سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأسوق إليك قصة هذه التسمية كما وردت في كتب الصحاح:

عن سهل بن سعد أن رجلا جاءه فقال هذا فلان أمير من أمراء المدينة يدعوك لتسب عليا على المنبر قال: أقول ماذا؟ قال: تقول له «أبوتراب» فضحك سهل فقال والله ما سماه إياه إلا رسول الله ﷺ ما كان لعلي اسم أحب إليه منه، دخل عليٌ على فاطمة ثم خرج فأتى رسول الله ﷺ فاطمة. فقال: أين ابن عمك؟ قالت: هو ذا مضطجع في المسجد فخرج النبي ﷺ فوجد رداءه قد سقط عن ظهره فجعل رسول الله ﷺ يمسح التراب عن ظهره ويقول اجلس أبا تراب، والله ما كان اسم أحب إليه منه ما سماه إياه إلا رسول الله ﷺ.

صحيح بن حبان حديث ٦٩٢٥ حـ١٥ / ٣٦٨، وأخرجه أيضا مسلم في صحيحه حـ٤ / ١٨٧٥ حديث رقم ٢٤٠٩، والبخاري في صحيحه ٣ / ١٣٥٨ حديث رقم ٣٥٠٠ المعجم الكبير للطبراني ٦ / ١٦٨ حديث رقم ٥٨٧٩، الأحاد والمثاني حـ١ / ١٥١ حديث ١٨٣، سنن البيهقي الكبرى حـ٢ / ٤٤٦ حديث ٤١٣٧.

أما بالنسبة لكل ما ذكرته في رسالتك المطولة فأنصحك - إن أردت إجابة شافية - بالرجوع إلى كتب الحديث المعتبرة، وكذلك إلى مصادر التاريخ الإسلامي الأصيلة مثل: تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير.

وأنصحك بأن تعيد القراءة بروية وفهم وألا تأخذ بظاهر العبارات التي أوردتها في خطابك والتي تسرعت في فهمها مثل كنية الإمام علي بن أبي طالب «أو تراب»، والتي بالغت في استهجانها، غفر الله لنا ولك.

مساجد لها تاريخ

جامع الرفاعي

وكتب الأستاذ/ بشير على أبوطالب من القاهرة كلمة عن جامع الرفاعي قال فيها:

مسجد الرفاعى الحالى كان يشغل جزءا من أرضه مسجد قديم يرجع إلى العصر الفاطمى عرف باسم مسجد الذخيرة قال عنه المقريزى: «يقع مسجد الذخيرة تحت قلعة الجبل بأول الرميلة تجاه مدرسة السلطان حسن بن محمد ابن قلاوون. أنشاه ذخيرة الملك جعفر متولى الشرطة ومتولى الحسبة سنة ست عشرة وخمسمائة»، ويضيف المقريزى: «وقد عرف هذا المسجد أيضاً باسم (لابالله) وذلك لأن ذخيرة الملك جعفر كان يقبض الناس من الطريق ويعسفهم فيحلفون ويقولون (لابالله) فيقيدهم ويستعملهم فيه بغير أجرة، ولم يعمل فيه منذ إنشائه إلا صانع مكره أو فاعل مقيد وكتب عليه هذا البيت المشهور:

بنى مسجدا لله من غير حلة
وكان بحمد الله غير موفق

وجاء فى الخطط التوفيقية، أنه كان يشغل جزءا آخر من مسجد الرفاعى زاوية كانت تعرف باسم الزاوية البيضاء أو الزاوية الرفاعية، كان بها عدة أضرحة منها ضريح سيدى على أبى الشباك وسيدى يحيى الأنصارى والسيد حسين الشيخونى شيخ سجادة الرفاعية سابقا، وكان يرد لزيارة سيدى على أبى الشباك (حفيد الإمام الرفاعى) هذا خلق كثير من مصر وغيرها وخصوصا المصابين بالأمراض العصبية المعروفة عند العامة (بالرياح الطبيعية) وفى سنة ست وثمانين ومائتين وألف هجرية اشترت السيدة خوشيار والدة الخديوى إسماعيل أرض مسجد الذخيرة والأماكن الواقعة بجوار زاوية الرفاعى من الجهات الأربع فشملت حوش بردق المعروف بحوش الحدادين والحمام الذى كان هناك. ويقول على مبارك: «ولكنه لم يعرف باسم السيدة خوشيار بل بقى باسم الرفاعى نسبة إلى زاوية الرفاعى، وأمرت أن يعمل ضريح لسيدى على أبى الشباك الرفاعى وسيدى يحيى الأنصارى ومدافن لها ولمن يموت من ذريتها.

ويتكون تخطيط مسجد الرفاعى من مربع تبلغ مساحته ١٧٦٧ متراً به صفان من

الدعائم بأركانها الأربعة أعمدة ملتصقة وتقسم الدعائم المسجد إلى ثلاثة أروقة، أقيم على عقود الرواق الأوسط وفى وسط المسجد رقبة بها نوافذ تعلوها قبة كبيرة وفى وسط الجدار الشرقى يوجد محراب كبير يكتنفه من جانبيه عمودان من الرخام أحدهما أبيض والآخر أخضر داكن، وحلى باطن المحراب وكذا تواشيحه بفسيفساء من الرخام الدقيق والصدف، ويعلوه شريط من الكتابة بالخط الثلث الجميل:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾

[البقرة/ ١٤٤]

وفوق الكتابة ثلاثة صفوف من المقرنصات المذهبة وقد كسيت جدران المسجد جميعها وكذا الدعائم بالرخام، أما الأعمدة فكلها من الرخام المستورد من تركيا وإيطاليا والمانيا وبلجيكا، والجزء الأكبر منه مقطوع من محاجر بنى سويف وخاصة الأخضر منه. وبالمسجد منبر وكرسى للمصحف مصنوعان من خشب الساج الهندى بطريقة الخرط والحشوات المجمعة المطعمة بالعاج والصدف والأبنوس.

وللمسجد ثلاثة أبواب رئيسية منها واحد فى الجهة الشرقية يؤدى إلى ردهة مستعرضة يتوسطها إيوان يؤدى إلى ضريح الشيخ على أبى الشباك الرفاعى وعلى الجانب الشمالى من الردهة ومن المسجد كله يوجد مقابر ذرية خوشيار، وفى الجهة الجنوبية من المسجد يوجد البابان الآخران وبينهما ضريح الشيخ يحيى الأنصارى والأبواب الثلاثة معلقة إذ يصعد إليها بمجموعة من الدرجات وبالمسجد مجموعة كبيرة ونادرة من المشكاوات الزجاجية ومن الثريات المعدنية المكفتة بالذهب والفضة، وقد استغرق بناء هذا المسجد ثلاثة وأربعين عاما. فقد بدأ إنشاؤه سنة ١٢٨٦هجرية وانتهى سنة ١٣٢٩هجرية والسبب فى ذلك يرجع إلى وفاة السيدة خوشيار فتوقف العمل به فترة طويلة ثم استؤنف مرة ثانية، وقد بلغت تكاليف بناء هذا المسجد (١٣٢٥٠٠) جنيه بالإضافة إلى ثمن السجاد والأبسطة وكذا الثريات المعدنية وأجور الأيدى العاملة المصرية.

***

نعتذر للسادة القراء لعدم نشر رسائلهم كاملة، وذلك حرصاً من المجلة على أن يشارك أكبر عدد ممكن من القراء. ونود أن نشير إلى أن للمجلة الحق فى اختصار الرسائل وتنقيحها بما يتلاءم وسياسة النشر لديها. كما نقدم اعتذارنا للسادة الذين لم تسمح الظروف بنشر رسائلهم ونواصل نشرها تباعا بمشيئة الله تعالى.

طرائف .. ومواقف

للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« لا فائدة من العلم إذا لم يصحب بالعمل »

قال أبو الدرداء - رضى الله عنه - : ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات.

وقال الشاعر :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما
إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا
فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها
وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقيل - : إذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق.

وقال الحسن - رضي الله عنه - : تعلموا ما شئتم أن تعلموا، فو الله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية.

وإن العالم الذى لا يعمل بعلمه كالمريض الذى يصف الدواء لغيره، ولا يمكنه أن يداوى نفسه، وينطبق عليه قول الله - تعالى - :

﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

(الأنبياء / ١٨)

« قاسط .. عادل »

روى عن سعيد بن جبير - رحمه الله - أن الحجاج بن يوسف الثقفى قال لسعيد حين أراد قتله : ما تقول فىّ؟ قال سعيد : قاسط عادل، فقال القوم : ما أحسن ما قال، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج : يا جهلة، إنه سمانى ظالما مشركا، وتلا لهم قوله - تعالى - :

﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾

(الجن / ١٥)

وقوله - عز شأنه :

﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾

(الأنعام / ١)

« يا ليتها كانت القاضية »

مرض أحد النحويين، فزاره أحد أقاربه من الأعراب، فسأله عما يشكو منه؟

فقال النحوى : حمى جاسية، نارها حامية، منها الأعضاء واهية، والعظام بالية.

فقال له الأعرابى : لا شفاك الله بعافية، يا ليتها كانت القاضية.

« فى وجوب التحفظ »

قال بعض الحكماء : من عرض نفسه للتهم فلا يأمن من إساءة الظن.

وقال الشاعر :

ومن دعا الناس إلى ذمه
ذموه بالحق وبالباطل
مقالة السوء إلى أهلها
أسرع من منحدر سائل

« حقيقة »

حكى الأصمعى، قال : مر أعرابى سائلا فقلت له : كيف حالك؟

قال : أسأل الناس إلحافا فيعطونى كرها، فلا يؤجرون على ما يعطونى، ولا يبارك لى فيما آخذ.

« الكريم .. والبخيل »

إن الكريم ليخفى عنك عسرته
حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل
زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرمت أن تعطى القليل ولم
تقدر على سعة لم يظهر الجود
أبرق بخير ترجى للنوال فما
ترجى الثمار إذا لم يورق العود
بث النوال ولا تمنعك قلته
فكل ما سد فقرا فهو محمود

« أحسن الله عزاءكم »

عاد بعضهم مريضا فلما خرج قال لأهله : أحسن الله عزاءكم! فقالوا : إنه لم يمت، قال : قد عرفت ولكنى شيخ كبير لا أستطيع النهوض فى كل وقت، وأخاف أن يموت فأعجز عن المجىء لأعزيكم به.

البلاغة فى الإيجاز

قال نقدة الكلام : خير الكلام ما لم يحتج بعده إلى كلام :

وقد وصف حسان بن ثابت، عبد الله بن عباس من هذه الناحية فقال :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل
بملتقطات لا ترى بينها فضلا

كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع
لذى إربة فى القول جدا ولا هزلا

ومن الأقوال الوجيزة الدالة على المعانى الكثيرة ما قاله الفرزدق للحسين بن على رضى الله عنهما فى مسيره إلى العراق، وقد سأله عن الناس: القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر فى السماء.

إنها لا ترثنى

قيل لأعرابى: عندك مال وليس لك إلا والدة عجوز، إن مت ورثت مالك وأفسدته، فقال: إنها لا ترثنى قيل وكيف؟ قال: لأن أبى طلقها قبل أن يموت.

قضاء حوائج الناس

سأل إبراهيم السندى رجلا من وجوه أهل الكوفة لا يستريح قلبه، ولا تسكن حركته فى قضاء حوائج الناس، وإدخال السرور على قلوب الضعفاء فقال: أخبرنى عن الحالة التى خففت عنك النَّصب، وهونت عليك التعب فى القيام بحوائج الناس، ما هى؟

فقال: ما طربت من صوت قط، طربى من ثناء حسن، ومن شكر حر لمنعم حر، ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر.

فقال له: لله أبوك لقد حشيت كرما.

بلاغة أعرابى

قيل: لقى الحجاج أعرابيا فقال له: ما بيدك؟ فقال: عصاى أركزها لصلاتى، وأعدها لعداتى، وأسوق بها دابتى، وأقوى بها على سفرى، وأعتمد عليها فى مشيتى ليتسع خطوى، وأثب بها على النهر(1)، وتؤمننى العثر(2)، وألقى عليها كسائى فيقينى الحر، ويجنبنى القر(3)، وتدنى إلى ما بعد عنى وهى محمل سفرتى وعلاقة أدواتى، أقرع بها الأبواب، وألقى بها عقور الكلاب، وتنوب عن الرمح فى الطعان، وعن السيف فى منازلة الأقران، ورثتها عن أبى، وسأورثها ابنى من بعدى، وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى، فبهت الحجاج وانصرف.

دعاء

اللهم إنى أعوذ بنور قدسك، وعظمة طهارتك، وبركة جلالك، من كل آفة وعاهة، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير.

***

(1) النهر: تحفيز الدابة على السير بالضرب. (2) العثر: الزلل. (3) القر: البرد.



أنباء العالم الإسلامى

للأستاذ
محمد الشرقاوى

تعذيب أطفال العراق

كشف التليفزيون الألمانى النقاب عن قيام قوات الاحتلال فى العراق باحتجاز وتعذيب أكثر من مائة طفل عراقى داخل سجن «أبو غريب» من أجل استخدامهم كوسيلة للضغط على آبائهم المحتجزين فى نفس السجن وذلك كى يعترف الآباء بعلاقاتهم بالمقاومة العراقية ويقدموا كل المعلومات التى يمتلكونها عن تنظيمات المقاومة وأعضائها.

وأكدت جماعات حقوقية غربية صحة ما جاء فى التليفزيون الألمانى وأكدت أن وسائل التعذيب التى تعرض لها الأطفال العراقيون تخالف كل الأعراف والمواثيق الإنسانية الدولية حيث يقوم جنود الاحتلال بوضع الأغلال الحديدية الثقيلة فى أيدى هؤلاء الأطفال ويتم سكب الماء الساخن على أجسادهم كما يتم سحبهم على البلاط وحرمانهم من النوم لفترات طويلة.

ويتزامن الكشف عن هذه المعلومات مع إعلان جيش الاحتلال عن تعاقده مع شركة - سى إن سى أى - الأمريكية المتخصصة بالتحقيق مع الأسرى المحتجزين من قبل القوات الأمريكية فى أفغانستان كى تقوم بأداء الدور نفسه فى العراق وهى الشركة التى سبق لعناصر منها التورط فى عمليات التعذيب ضد الأسرى الأفغان والأسرى العرب فى معسكرات جوانتانامو. وأوضح مسئولون أمريكيون أن نقل مسئولية التحقيق إلى تلك الشركة يسمح لها بالعمل فى مجال الاستجواب وتنفيذ عمليات استخباراتية من أجل الحصول على المعلومات التى تريدها القيادة العسكرية. من ناحية أخرى نشرت صحيفة التايمز البريطانية تقريرا أكدت فيه أن العديد

من منظمات حقوق الإنسان العالمية أقاموا دعوى مدنية ضد تلك الشركة أمام إحدى المحاكم الفيدرالية الأمريكية اتهموها بالتآمر مع مسئولين أمريكيين لتعذيب الأطفال والنساء العراقيين لاستخدامهم كوسيلة ضغط لإجبار عناصر المقاومة العراقية على تسليم أنفسهم والتوقف عن شن العمليات القتالية ضد الأهداف العسكرية الأمريكية.

تايلاند تعترف باستخدام العنف ضد المسلمين

اعترفت تايلاند على لسان رئيس وزرائها «تاكسين شيناوترا» بأن جنود بلاده استخدموا القوة المفرطة في وقت سابق من هذا العام ضد المسلمين بجنوب البلاد مما أدى إلى مقتل «٣٢» منهم داخل أحد المساجد!

جاءت تصريحات رئيس الوزراء التايلاندي بعد إعلان تقرير لجنة مستقلة كشفت فيه عن قيام قوات الجيش التايلاندي باقتحام المسجد وإطلاق النار على من فيه رغم أنهم لم يكونوا مسلحين.

ويذكر أن المسلمين في تايلاند يبلغ عددهم نحو «٣,٥» مليون من أصل عدد السكان البالغ «٦٢» مليون نسمة ويعيش المسلمون في القطاع الجنوبي من البلاد.

ومن ناحية أخرى أعلنت الحكومة التايلاندية عن اعتزامها بناء جدران أمنية على أجزاء من حدودها مع ماليزيا في محاولة لمنع من تصفهم بالإسلاميين من الفرار إليها بعد تنفيذهم هجمات ضد القوات التايلاندية!!

حكومة «زيورخ» ترفض اقتراحا بحظر الحجاب في المدارس

رفضت حكومة مقاطعة «زيورخ» السويسرية اقتراحا تقدم به نائبان في البرلمان لسن قانون يحظر على الطالبات المسلمات ارتداء الحجاب في المدارس.

وقد عبرت شخصيات سويسرية مسلمة عن ارتياحها لرفض الحكومة لهذا الاقتراح حيث ردت الحكومة على مطلب النائبين أنه لا يوجد أي داع يتطلب سن مثل هذا القانون.

مسئول أمريكي يتهم المحافظين الجدد واليهود بالإساءة للإسلام

اتهم الدكتور «بيتر بيكهوتول» مدير معهد الشرق الأدنى وأفريقيا للشئون الأجنبية التابع لوزارة الخارجية الأمريكية المحافظين الجدد واليهود بمحاولة تشويه صورة الإسلام في أمريكا والإساءة إليه بالادعاء بأن كل مسلم إرهابي معربا عن أسفه لمساندة بعض وسائل الإعلام الأمريكية لذلك الادعاء الخاطئ.

وأكد في حديث صحفي أن هناك فئات كبيرة من المثقفين الأمريكيين لا يرون ذلك التوجه الخاطئ نحو الإسلام خصوصاً بعد إجراء بحوث عن الإسلام عن طريق شبكة الإنترنت أوضحت صورته الحقيقية السمحة.

ونوه بيتر بالدور الذي يمكن ان تلعبه الجالية الإسلامية والعربية في أمريكا والتي يبلغ تعدادها حوالي ثلاثة ملايين نسمة.

وأضاف أنه من الملاحظ أن هناك اقبالا من الشباب الأمريكي الراغب في الالتحاق بالسلك الدبلوماسي على تعلم اللغة العربية وكذلك التعرف على الثقافة الإسلامية وذلك من خلال التقدم للدراسة في المعهد.

لعبة أمريكية تحرض على قتل العراقيين

أثارت لعبة أسمها «اقتلوا العراقيين» تنتشر في ولاية «نيو جيرسي» الأمريكية غضب جماعات عربية أمريكية وأقر مسئول محلي أنه تلقى شكاوى كثيرة بشأن تلك اللعبة التي تمارس في الهواء الطلق عن طريق إطلاق المتنافسين كرات من الطلاء على أناس يرتدون ثيابا تشبه ثياب العرب وطلبت جماعات عربية حظر تلك اللعبة التي تتخذ من قتل العرب وسيلة للاستمتاع بالوقت.

ماليزيا تسمح للشرطيات بارتداء الحجاب

صرح «نوح عمر» نائب وزير الامن الداخلي بماليزيا أن البرلمان الماليزي صدق على مشروع قانون يسمح للشرطيات المسلمات بارتداء الحجاب ويأتي هذا التوسع في القانون بعد أن كان يسمح بارتداء الحجاب للشرطيات اللاتي يعملن في المحكمة الشرعية فقط، وبهذا يصبح في إمكان الشرطيات العاملات خارج المحكمة الشرعية ارتداء الحجاب أيضا وأكد «نوح عمر» أن قرار البرلمان لن يعوق الشرطيات عن أداء عملهن كحاميات لأمن الوطن خاصة أن هناك هيئات أخرى كإدارة الجمارك وإدارة السجون سمحتا للموظفات بارتداء الحجاب وهذا الأمر لم يمنعهن من تادية عملهن على أكمل وجه.

الإعجاز العلمي للقرآن الكريم

أعلنت لجنة وقف الأستاذ الدكتور المستشار/ محمد شوقي الفنجري بالاشتراك مع بنك فيصل الإسلامي المصري ولجنة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية عن المسابقة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والتي تنظمها اللجنة تحت عنوان «الحقائق العلمية المعاصرة في ضوء القرآن الكريم» وجوائزها ثماني عشرة جائزة مالية تمنح لأصحاب البحوث الفائزة على النحو التالي:

- خمسة عشر ألف جنيه للفائز الأول.
- عشرة آلاف جنيه للفائز الثاني.
- خمسة آلاف جنيه للفائز الثالث

كما تمنح خمس جوائز تشجيعية بواقع ألفي جنيه لكل فائز

- عشر جوائز أخرى قيمة كل منها ألف جنيه لكل فائز.

على أن تكون الأبحاث مكتوبة بإحدى اللغات الثلاث العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية كل في مجال تخصصه، على ألا يقل البحث عن مائة وخمسين صفحة ولا يزيد على ثلاثمائة صفحة مصحوبا بملخص من عشر صفحات ومعه السيرة الذاتية للباحث، على أن تصل الأبحاث الى لجنة الإعجاز العلمي بالدور الرابع بمبنى مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر في موعد أقصاه آخر ديسمبر ٢٠٠٤م.

وستعلن لجنة التحكيم البحوث الفائزة بالمسابقة، وسيتم توزيع الجوائز في حفل كبير يقام لهذا الغرض.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يدين اختطاف الصحفيين

أدان فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اختطاف الصحفيين الفرنسيين العاملين بصحيفة لوفيجارو وراديو فرنسا الدولى واصفاً هذا العمل بأنه يتنافى مع كل قواعد الدين الإسلامى الحنيف الذى يتسم بالسماحة ويحترم الروح الإنسانية وحياة الأبرياء، وقال: لا يجوز خطف المدنيين الذين وفدوا إلى بلاد المسلمين بطريقة رسمية ويؤدون عملهم ولم يخرجوا عن قوانين الدولة التى يعملون بها.

الإمام الأكبر يستقبل سفير الصومال بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير عبد الله حسن سفير الصومال بالقاهرة يرافقه السيد / محمد على جيدى رئيس هيئة القرن الأفريقى بالصومال والسيد المهندس / عبد السلام إسماعيل المستشار الهندسى حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف مشيدا بالصلة القديمة بين مصر ودولة الصومال الشقيقة، وقال إن أبناء الصومال يحضرون إلى مصر للدراسة بالأزهر الشريف على منح من الأزهر الشريف وتبلغ أعدادهم حوالى ٢٦٠ طالبا وهناك أعداد أخرى على غير منح ويبلغ عددهم ١٢٠٠ طالب يدرسون بالأزهر الشريف وهؤلاء بعد تخرجهم وعودتهم إلى بلادهم يعتبرون سفراء للأزهر الشريف، ينقلون ما تعلموه من علوم دينية وعربية لأهليهم وذويهم، والدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بالسماحة والوسطية والاعتدال ويرسل الأزهر الشريف علماءه للصومال ليقوموا بالتدريس لأبنائهم بمعهد قرضوا بالصومال ويبلغ عددهم ٢٦ عالما يؤدون واجبهم على أكمل وجه، والأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم كل عون لما تطلبه دولة الصومال الشقيقة من كتب ومناهج دراسية، ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر على ما يقدمه الأزهر الشريف للصومال مشيدا بدور مصر العظيم نحو أشقائها، وبدور الأزهر الشريف وشيخه وعلمائه، وقال: إن العلماء الذين تخرجوا فى الأزهر الشريف يحتلون المراكز القيادية بالصومال وطلب سعادة السفير توفير بعض المدرسين فى بعض التخصصات وخاصة محفظى القرآن الكريم للتدريس بمعهد هرجيسا بشمال الصومال؛ وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتلبية طلباته.

ويستقبل وفد قضاة البحرين

●● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد القضاة من مملكة البحرين برئاسة الشيخ حميد المبارك يرافقهم المستشار أيمن شاش من وزارة العدل المصرية، حيث رحب فضيلته بالسادة القضاة فى مصر وأزهرها الشريف موضحا بأن الإسلام دين يقوم على العدل والإنصاف وإعطاء كل ذى حق حقه بصرف النظر عن اللون أو الجنس أو العقيدة، والقرآن الكريم يبين لنا أن القضاة هم الذين يقيمون العدل بين الناس، وأن العدل أساس الملك وهو واجب دينى يبين حقوق الناس فى المعاملات.

وتأتى تلك الزيارة فى إطار تعزيز التعاون بين الأزهر الشريف ومملكة البحرين فى مجال الاستفادة من خبرات الأزهر الشريف شيخه وعلمائه فى مسائل الفتوى والأحكام الشرعية فى القضاء، وقدم فضيلته شرحا مبسطا لبعض المسائل وأبدى استعداد الأزهر الشريف لإمداد مملكة البحرين بالكتب والمراجع المتخصصة فى هذا الشأن، ومن جانبه شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حسن اللقاء والحفاوة مشيدا بدور الأزهر الشريف ومؤكدا على أن التعاون سيكون مثمرا وبناء مع الأزهر الشريف ذلك الصرح الشامخ بعلمه وعلمائه.

ويستقبل سفير مصر بجمهورية مالى

●● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة الدكتور مصطفى عبد الحميد الجندى سفير مصر الجديد بجمهورية مالى حيث رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف وأكد على أن الأزهر الشريف على استعداد لمعاونة السفير فى مهمته الجديدة وعلى استعداد أيضا لتلبية ما يحتاج إليه وأوضح أن للأزهر علماء موفدين إلى

دولة مالى وعددهم ٢٦ عالما يقومون بالتدريس فى المعاهد الأزهرية والمراكز الإسلامية بدولة مالى، وطلبة مالى الذين يدرسون بالأزهر الشريف على منح عددهم ٣٠٥ طلاب فى المعاهد والجامعات، والأزهر يرسل المناهج والكتب الدراسية لدولة مالى وقد شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وقال: إننى جئت لأستفيد وأتلقى المزيد من المعلومات ودور الأزهر الشريف دوركبير فى دول أفريقيا وآسيا وكل دول العالم وهو قبلة طلبة العلم والعلماء فى كل مكان.

الإمام الأكبر يؤكد:

الإرهاب نكبة دينية ودنيوية

●● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير/ صالح إنعاموف سفير أوزبكستان بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالضيف، وقد أبلغ سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف تحيات فخامة الرئيس/ إسلام كريموف رئيس جمهورية أوزبكستان لشيخ الأزهر ولعلماء الأزهر الشريف مشيدا بزيارة فضيلته الأخيرة لأوزبكستان والتى كان لها أعظم الأثر فى نفوس وقلوب شعب أوزبكستان وكانت لها آثار إيجابية فعالة لدى الرئيس والحكومة وقال إن رئيس وحكومة وشعب أوزباكستان يتطلعون لزيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف القادمة فى الوقت القريب الذى يحدده فضيلته، وقدم الدعوة لفضيلته لحضور حفل استقبال بمناسبة الذكرى السنوية الثالثة عشر لاستقلال أوزبكستان، ومن جانبه شكر فضيلته سعادة السفير على دعوته لحضور حفل الاستقلال ووعد بتلبيتها وأعرب عن خالص تهنئته لشعب أوزبكستان الشقيق ولفخامة الرئيس بمناسبة العيد القومى لدولة أوزباكستان داعيا المولى - عز وجل - أن يديم على حكومة وشعب أوزباكستان نعمة الأمان والسلام والرخاء والاطمئنان، مشيدا بتاريخ أوزبكستان فى خدمة الإسلام والمسلمين وقال إن علماء أوزبكستان خدموا الدعوة الإسلامية خدمة جليلة، كما وجه فضيلته النصح لشعب أوزبكستان فى محاربة الإرهاب، واصفا إياه بأنه نكبة دينية ودنيوية، موضحا بأن الإرهاب هو الإفساد فى الأرض وقتل الأبرياء وتخريب المساكن وإتلاف الزرع، والمصانع، وتدمير كل ما من شأنه أن ينفع الدولة، والدولة التى يكثر فيها عدد العقلاء الذين يبنون ولا يخربون، يصلحون ولا يفسدون، هى دولة قوية يسودها الأمن والأمان والاستقرار والهدوء، والإسلام ينبذ الإرهاب ويقاومه، لأن الإسلام دين السلام والأمان، يحافظ على مشاعر الأفراد والجماعات، والإسلام دائما يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام.

الإمام الأكبر يستقبل سفير الجزائر بالقاهرة

●● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير الدكتور/ سليمان الشيخ سفير جمهورية الجزائر الديمقراطية بالقاهرة وذلك بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده فى القاهرة، رحب فضيلته بسعادة السفير متمنيا له التوفيق دائما، وقال: إنه خير من يمثل بلاده فى مصر وإن التعاون واللقاءات كانت مثمرة وبناءة، والأزهر الشريف يستقبل علماء الجزائر الذين يحضرون دورات تدريبية كل ثلاثة أشهر، كما يستقبل الطلاب الجزائريين الذى يدرسون فى الأزهر الشريف، وقال فضيلته إن الأزهر الشريف على استعداد لما تطلبه دولة الجزائر الشقيقة، وعلى استعداد لاستقبال سعادة السفير فى أى وقت وأن مصر هى بلده الثانى، ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حسن اللقاء مشيرا إلى أن العلاقة مع الأزهر الشريف يسودها الود والتفاهم، وقدم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر ولعلماء الأزهر على ما يقدمونه لأبناء الجزائر بما يعود عليهم بالنفع معربا عن أن حكومة وشعب الجزائر يسعدهم حضور فضيلة الإمام الأكبر الاحتفال بمرور خمسين عاما على ثورة الجزائر، وأعرب شيخ الأزهر الشريف عن سعادته بذلك متمنيا لرئيس الحكومة وشعب الجزائر كل التوفيق والسداد والاستقرار والأمن والتقدم والازدهار.

الإمام الأكبر يلتقى بمبعوثى الأزهر الشريف

●● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف بمركز مؤتمرات الأزهر بمدينة نصر بالسادة علماء الأزهر الشريف المبعوثين لخمسين دولة من دول العالم وعددهم ٣٦٤ مبعوثا على نفقة الأزهر الشريف، وتم إرسالهم بناء على رغبة الدول فى تزويدها بعلماء الأزهر الشريف لتعليم أبناء هذه الدول اللغة العربية التى هى لغة القرآن الكريم لكي يفهموا القرآن الكريم وأيضا لتعليمهم العلوم الشرعية، والأزهر الشريف قد أرسل عددا من العلماء للمراكز الإسلامية فى الدول الأوربية والأمريكية وهم من خريجى اللغات والترجمة بالأزهر والعاملين بالمعاهد الأزهرية وقام فضيلته بتوجيه النصح والإرشاد من خلال لقاء مفتوح أجاب فيه عن أسئلتهم واستفساراتهم وأكد على أن يكونوا قدوة طيبة يحتذى بها لغيرهم فى سلوكهم وتصرفاتهم، وأن يحافظوا على قراءة القرآن الكريم وفهمه وعلى دراسة السنة النبوية المطهرة وأن يفهموا ما يؤخذ من الحديث الشريف، وأن يذاكروا الأحكام الشرعية حتى يستطيعوا الإجابة الصحيحة، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

المخيم العالمى العاشر للتضامن الإسلامى

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمركز مؤتمرات الأزهر بمدينة نصر فعاليات المخيم العالمى العاشر للتضامن الإسلامى الذى تنظمه الندوة العالمية لشباب العالم الإسلامى بعنوان (الدور الريادى للشباب فى مسيرة الإصلاح والبناء) ويقام المخيم فى مدينة بورسعيد لمدة أسبوع ويشارك فيه أكثر من ٥٠٠ شاب من ٥٥ دولة إسلامية، ويشرف على هذا المخيم الدكتور حمدى المرسى مدير مكتب الندوة بالقاهرة وقال: إن الهدف من إقامته هو تكريس دور الشباب فى الإصلاح والتنمية الشاملة من خلال الأنشطة الثقافية والفكرية للمخيم، وستقام بالمخيم خمس ندوات تناقش المفاهيم الخاطئة عند الشباب وخطرها على مستقبل الأمة، ودور القيم والأخلاق فى استقرار المجتمعات، والخطاب التربوى ودوره فى تشكيل البنيان الفكرى لدى الشباب، والأساليب العلمية فى تحريك طاقة الشباب نحو التنمية، ومنهجية الإصلاح فى ظل الظروف الراهنة وقال إنه سيحاضر الطلاب كبار العلماء والمتخصصون فى الأزهر والعالم الإسلامى.

وتحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قائلاً: إن الشباب فى كل أمة هم عمادها والقرآن الكريم أثنى على الشباب فى مواطن متعددة، وأوصى الشباب بإخلاص الدعوة إلى حفظ القرآن الكريم ولكونهم طلبة علم فعليهم فهم المعانى الإجمالية للقرآن الكريم وحفظ وفهم الأحاديث النبوية الشريفة.

وقال: إن طالب العلم الحافظ للقرآن الكريم وللسنة النبوية المطهرة هو الذى يفهم الإسلام فهماً صحيحاً وسليماً، وهو الذى يوضح حقائق الإسلام بعيداً عن الغلو والتطرف، وهو الذى يفهم توجيهات القرآن الكريم وأوامره ونواهيه.

وقال: إن من يفهم اللغة العربية فهماً سليماً يتذوق القرآن الكريم ويشعر بحلاوته فى قلبه، فدراسة اللغة العربية - لغة القرآن - تجعل الإنسان - يفهم الإسلام فهماً سليماً، والعقل السليم والقلب الطاهر والبعد عن التطرف وتحجر الفكر يجعل الإنسان متحلياً بمكارم الأخلاق وهذه دعوة الرسل فجميعهم دعوا للصدق والعفاف والطهارة ونحن جميعاً نقتدى بهم، وأساس كل هذا إخلاص العبادة لله - عز وجل.

وتحدث سعادة السفير أحمد عبدالحليم سفير جمهورية السودان الشقيقة عن وحدة الصف العربى والوقوف أمام التحديات الإعلامية التى تشوه الصورة الحقيقية فى السودان مشيداً بدور مصر فى مساندة السودان واستنكر ما تقوم به إسرائيل تجاه دولة فلسطين وقال: إن ما يحدث فى العراق هو الإرهاب بعينه، ودعا المجتمع الإسلامى والعربى بأن يتمسك بعقيدته لأن العدو يسعى لتفتيت هذه العقيدة.

وتحدث الدكتور محمد عبدالعال وكيل وزارة الشباب نائباً عن وزير الشباب بمصر حيث أوضح فى كلمته أهمية هذه الندوة داعياً الشباب لمواجهة التحديات بالتمسك بعقيدة الإسلام وبتحمل المسئولية والتصدى للبرامج التى تبث عبر الإعلام الغربى لتشويه صورة العرب والمسلمين، وعلى الشباب التمسك بالوسطية والاعتدال والذى نادى به فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف.

وتحدث السيد غازى فخرى المستشار الثقافى لدولة فلسطين وأشاد بدور مصر الفاعل تجاه القضية الفلسطينية والشعب الفلسطينى.

وأشاد الدكتور حمدى المرسى مدير مكتب الندوة بالقاهرة الذى قدم للحفل بدور الأزهر فى توضيح المفاهيم الإسلامية التى نستنير بها فى خطانا مؤكداً على حكمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالتمسك بعقيدتنا الإسلامية ولغتنا العربية لفهم أمور ديننا التى تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن المغالاة، وعدم مجاراة وسائل الإعلام الغربية التى تهدف إلى تشويه صورة المسلمين والعرب، وأن مثل هذه اللقاءات إنما هى لتوحيد الكلمة وجمع الصف وفهم الحقائق من منابعها الأصلية، وأشار إلى أن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة لا يدخر وسعاً فى عقد اللقاءات والندوات لتوعية الشباب بأمور الدين الصحيحة.

حضر الافتتاح فضيلة الدكتور محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف والدكتور فاضل سليمان مدير مكتب الندوة بواشنطن، وسفير نيجيريا بالقاهرة والمستشار الثقافى لجهورية جزر القمر، ولفيف من علماء وقيادات الأزهر الشريف وطلاب وطالبات من مدينة البعوث الإسلامية.

تكريم أوائل الشهادات الأزهرية

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الحفل السنوى لتكريم أوائل الشهادات الأزهرية والجائزة الكبرى لأنشطة رعاية الطلاب للعام الدراسى ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ حيث تم تكريم عدد ١٠٤ طلاب من أول الشهادات الابتدائية والإعدادية والثانوية الأزهرية والقراءات والبعوث الإسلامية وبلغت نسبة الجوائز (٢٠٥٠٠) جنيه، كما تم تكريم رؤساء المناطق الأزهرية الفائزة فى مشروع الجائزة الكبرى.

ففى المجموعة الأولى فازت منطقة الغربية بدرع الجائزة الكبرى لحصولها على المركز الأول، وفازت منطقة الدقهلية بكأس المركز الثانى، وفازت منطقة البحيرة بالمركز الثالث، وفى المجموعة الثانية فازت منطقة الجيزة بدرع المركز الأول، ومنطقة المنوفية بكأس المركز الثانى، وحصلت منطقة كفر الشيخ على كأس المركز الثالث وفى المجموعة الثالثة فازت منطقة الإسماعيلية بدرع الجائزة الكبرى، ومنطقة الوادى الجديد على كأس المركز الثانى، ومنطقة

شمال سيناء على كأس المركز الثالث، ومنطقة السويس الأزهرية على كأس المركز الرابع، كما تم تكريم مناطق (سوهاج وأسيوط والقليوبية والقاهرة والإسكندرية) لحصولهم على مراكز مختلفة فى الأنشطة المتنوعة، وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف كلمة هنأ فيها المكرمين فى حفظ القرآن الكريم من البنين والبنات وأوائل الشهادات الأزهرية داعياً لهم بدوام التقدم والتفوق وأنهم قد نالوا هذا التكريم بجهدهم ومثابرتهم على الدرس واجتهادهم طوال الأعوام السابقة، وتمنى لهم مستقبلاً زاهراً لينالوا المراكز المتقدمة دائماً، وليصلوا إلى ما يتمنونه فى مستقبل حياتهم خدمة لدينهم وأمتهم، مؤكداً على أن رسالة الأزهر الشريف هى خدمة شريعة الإسلام وبيان ما فيها من محاسن وطلب منهم أن يحافظوا على تفوقهم فى دراستهم فى الجامعة كل حسب تخصصه.

حضر الحفل فضيلة الأستاذ الدكتور محمود امبابى وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ عمر الديب رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والأستاذ فاروق عويس رئيس الإدارة المركزية لرعاية الطلاب والسادة علماء الأزهر الشريف وقياداته.

الإمام الأكبر يتابع استعدادات المعاهد الأزهرية للعام الدراسى الجديد

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالسادة رؤساء المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية وذلك للوقوف على استعدادات المناطق الأزهرية لبدء العام الدراسى الجديد، وأكد فضيلته على تجهيز المقار التعليمية لاستقبال العام الدراسى الجديد من حيث توفير الأثاث والمقاعد والأدوات والوسائل التعليمية والمتطلبات الخاصة بالعملية التعليمية كاملة وتوزيع العمالة بجميع فئاتها على المعاهد المحتاجة مع مراعاة سد العجز ومراعاة ظروف العاملين وقربهم من محل إقامتهم بقدر الامكان، وتنشيط تجربة المصحف المعلم وخاصة لطلاب الصف الأول والثانى والثالث الابتدائى حتى يتعلموا النطق الصحيح، وإعداد المحفظين إعداداً جيداً، إلى غير ذلك من التوجيهات التى تضمن حسن سير العملية الدراسية منذ أول يوم فى الدراسة وأكد على تسليم الكتب جميعها للطلاب فى الفصل الدراسى الأول.

حضر الاجتماع فضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر الشريف وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة وكلاء القطاع والمسئولين عن العملية التعليمية.

اعتماد نتيجة الدور الثانى للشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الدور الثانى للشهادة الإعدادية والثانوية الأزهرية وشهادة القراءات بأنواعها وشهادة ثانوية معهد غزة الدينى ودبلوم المعلمين للعام الدراسى ١٤٢٤ / ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤م على مستوى الجمهورية وقد بلغت النسبة المئوية العامة للنجاح فى الشهادة الإعدادية للدور الثانى ٨٢,٨٪ وبذلك تكون النسبة العامة للنجاح فى الدورين معاً ٩٣,٣٪، وبلغت النسبة المئوية للنجاح بالثانوية الأزهرية للدور الثانى ٨٤,٥٪ وبذلك تكون النسبة العامة للنجاح فى الدورين معاً للقسمين العلمى والأدبى ٩٢,٨٪، وبلغت نسبة النجاح لعالية القراءات فى الدور الثانى ٧٦,٤٪ وبذلك تصبح النسبة العامة للنجاح فى الدورين معاً ٨٩,١٪، وبلغت النسبة العامة للنجاح فى شهادة التجويد فى الدور الثانى ٧٤,٣٪ والنسبة العامة للنجاح في الدورين معاً ٨٧,٥٪، وبلغت النسبة المئوية، للنجاح فى الدور الثانى لشهادة التخصص ٧٨,٤٪ والنسبة العامة للنجاح فى الدورين معاً ٩٢,٤٪، وكانت نسبة النجاح فى الدور الثانى لدبلوم المعلمين ١٠٠٪ ونتيجة الدورين معاً ١٠٠٪، ونسبة النجاح لثانوية معهد غزة فى الدور الثانى ١٠٠٪ والنسبة المئوية للنجاح فى الدورين معاً ١٠٠٪.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كلمة هنأ فيها الناجحين والمتفوقين وحثهم على مزيد من الجهد والمثابرة فى دراستهم الجامعية حتى يصلوا بتفوقهم ونجاحهم إلى ما يريدون، وشكر للقائمين علي أعمال الامتحانات ما بذلوه من جهد طيب لإظهار النتيجة بصورة طيبة ومشرفة.

شهد اعتماد النتيجة فضيلة وكيل الأزهر الشريف وفضيلة رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر الشريف والسادة أصحاب الفضيلة رؤساء الكنترولات والقائمين على أعمال الامتحانات.

كما اعتمد فضيلته نتيجة امتحان الدور الثانى للشهادة الإعدادية والثانوية لمعاهد البعوث الإسلامية، وكانت نتيجة الشهادة الإعدادية لمعاهد البعوث للدور الثانى ٦٨٪ والنسبة العامة للنجاح فى الدور الأول ٤١٪ وبذلك تصبح نتيجة الدورين معاً ٧٢٪، والنسبة العامة للدور الثانى للشهادة الثانوية للبعوث الإسلامية ٧٨٪ وكانت نسبة النجاح فى الدور الأول ٦٠,٨٪ وبذلك تصبح النسبة المئوية العامة للنجاح فى الدورين معاً ٨٣٪.

حضر اعتماد النتيجة فضيلة الدكتور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

reciting some of those words of Muhammad (i.e., the Prophet).' At once, they began to beat him in the face and he continued reciting the Qur'an. After that, he left to his companions and his face was bleeding. They said to him, 'That is what we have been afraid of.' He said, 'In no time have the disbelievers of no account to me than they are to me now. If you will, I will do the same tomorrow.' They said, 'That is enough, you have made them hear what they hate most.' "

I wonder who made that fearless man! From where did he acquired that courage despite being poor, lacking physical strength, hired by others, and having no strong clan to protect and support him! When we look back at the beginning of the life of that man we find ourselves before a very short and poor boy who used to shepherd sheep for one of the masters to earn his living. He was brought up in a nomadic life surrounded by its well-known traditions including generosity and hospitality. Ibn Mas`ud, himself, said, "I was a young boy herding sheep belonging to `Uqbah Ibn Abi Mu`ayat at Mecca. One day, Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) and Abu Bakr came to me and said, 'O young boy, do you have any milk to let us drink?' I said, 'I'm entrusted with those sheep and I cannot let you drink from their milk.' The Messenger said, 'Do you have a young female sheep that no male sheep has approached yet?' I brought one, and Abu Bakr seized it and the Messenger touched its udder and invoked Allah. Soon after, the udder of the young female sheep became full with milk, so he milked it and drank and let Abu Bakr drink. Then, the Messenger told the udder to return to its first state and it returned."

Such a situation reveals the true essence of that man, for he gave precedence to the property he was entrusted with over the customs and traditions of his society. He is indeed a trustworthy man bearing a heart craving for knowledge. I ask myself what will be the case if that man embraces Islam? In this connection, we may quote the words of the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) in which he says, "People are like mines of gold and silver; those who

were good in *Jahiliya* (i.e., the Pre-Islamic Period of Ignorance) are good In Islam, when they have an understanding."

That miracle (of milking the sheep) was directed to Ibn Mas`ud so as to be the first proof leading him to believe in the Prophet as well as to be the first source of knowledge from which he would absorb. Indeed, Ibn Mas`ud became one of the most honorable among the believers. He gained the honor of accompanying the Prophet in a manner that no one had; that is, Ibn Mas`ud was his pupil, servant and keeper of secrets. From that accompaniment, Ibn Mas`ud knew and learnt from the Prophet more than any one did; namely, in addition to knowing the ruling of a certain issue, he would know the details and underlying reasons.

Once, the Prophet asked Ibn Mas`ud to recite to him (the Qur'an). Ibn Mas`ud said, "Should I recite it to you while it has been revealed unto you? The Prophet said, "I love to hear it from someone else." So Ibn Mas`ud recited to him from the beginning of Surat of An-Nisa'a (i.e., Women) up to the verse that reads, ﴿*How then shall it be when We cause to come from every nation a witness, and cause you to come as a witness against these?*﴾[An-Nisa`a(Women):41] Here, Ibn Mas`ud turned his head to the Prophet and saw him weeping on listening to it.

In this regard, Ibn Mas`ud was not just a reciter of the Qur'an, who does not know the meaning of what he recites, but he used not to memorize the amount of ten verses except after knowing the meaning of those preceding them and working according to them. Further, Ibn Mas`ud became one of those who carried the flag of the Islamic legislation as well as those who left behind a lasting cultural heritage providing humans of whatever they need of good laws and equal policy any time and anywhere. He symbolized a resort to whom the prominent among the Prophet's Companions go seeking legal opinions, *Fiqh* (i.e., Islamic Jurisprudence) and principles of religion.

prophets are viewed as a divine brightness shinning over humanity letting it restore its right, ethical orbit and attracting it towards perfection in a system similar to that of planets' gravity.

Then, Ar-Rafi`y moves from talking about the prophetic phenomenon in general to talking about the Prophet of Islam, Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him). In his book "*Wahyul-Qalam,*" Ar-Rafi`y says, "It will be very strange if Muslims do not realize the wisdom behind mentioning the name of the Prophet five times in the *Adhan* (i.e., Prayer Call) everyday, and mentioning his name in every obligatory and supererogatory prayer! The wisdom behind this is that Muslims should not be kept away from their Prophet not for a single day or even a part of it. As a result, no matter how much time will pass, for Islam will always be in its prime, and Muslims today will be as if they were the early Muslims living with their Prophet surrounded by the brightness of his Message"

Under the heading '*The Superhuman,*' Ar-Rafi`y goes on talking about the Prophet's character describing him as restless man of long silence for he would not talk except when there was a necessity; moreover, he was the most considerate and respectful person on earth. Furthermore, the Prophet was a man of continuous worries and thinking, and he would honor the blessings even if they were little. In addition, he would not feel angry for a worldly matter, but he would not rest until injustice be eliminated and justice be restored. If you combine all his attributes and join them as a whole, you will see a matchless human and moral being.

*Abdullah Ibn Mas`ud, One of the Heroes of Islam

By: The Dignified *Ustaz* `Adel Refaey Khafaga

Undoubtedly, the physical stoutness is an admirable and sight-attracting feature. However, if such stoutness is not accompanied by worthy knowledge and behavior it will be an abominable feature. If courage is something praiseworthy for those who are well-built, it will be more praiseworthy for those who do not have such stoutness. Not to mention if a man not enjoying such a feature does something the brave refrains from doing it; will he not deserve to be called a hero?

Our hero who challenged the tyrants of the disbelievers of Quraysh, despite his being short and thin, was Abdullah Ibn Mas`ud, one of the ten Companions given glad tidings to enter the Paradise. He was an exemplary model of bravery; it is enough to say that he was the one who let the disbelievers of Quraysh hear what they hated most; `Urwah Ibnuz-Zubayr reported from his father(May Allah be pleased with both of them) saying, "The first person to recite the Qur'an in public at Mecca was Abdullah Ibn Mas`ud. One day, some of the Prophet's Companions gathered and said, 'By Allah, Quraysh has never listened to the Qur'an, is there any one who can make them listen to it?' Abdullah said, 'I can.' They said to him, 'We fear that they may harm you, we need someone of a strong family that can protect him if the disbelievers want to harm him.' He said, 'Let me go and Allah will protect me.' Then he went to the Ka`bah and raised his voice saying, 'In the Name of Allah, the All Merciful, the Ever-Merciful.' Then he continued reciting the Qur'an. Some of the disbelievers of Quraysh asked, 'What does Ibn Umm `Abd (i.e., the son of the mother of the slave; they meant Abdullah) recite? Others told them, 'He is

*An Article published (in Arabic) at Al-Azhar Magazine.

*Mustafa Sadiq Ar-Rafi`y Defending the Prophet's *Sirah*[1]
By: Dr. Abdul-Halim `Uways

Along the first half of the twentieth century, the attack was very furious on our religious principles as well as our culture. There are certain powers wishing to separate us from Islam as a Creed, Islam as a *Shari`ah* (i.e., Law), and Islam as a culture. During that time, Mustafa Sadiq Ar-Rafi`y appeared equipped with powerful arms which Allah supported him with so as to be able to stand in the face of those powers trying to efface all the original, eliminate all the stated facts, and erase the Arab and Islamic history.

Hence, Ar-Rafi`y resorted to the historical events filled with great pages. He began to shed light on them as if he was revealing to us some aspects of the philosophy of the matchless Islamic history in which the religion is related to life not separate from it.

While Jorjy Zidan was trying to distort the history of Islam through his series entitled *"Narrations from the Islamic History"* in which he resorted to deceit and distortion of facts, and interpreted the Islamic history in economical and worldly aspects disregarding the religious aims, Ar-Rafi`y, through his book entitled "*Wahyul-Qalam*" (i.e., Revelation of the Pen), was restoring matters and facts to its real place and throwing light on the deep religious aspects in the Muslims' movement throughout history. Ar-Rafi`y was stressing the fact that religion was the basic motive and the sublime goal, and that which Allah granted to Muslims was a result for their deeds not a reason, a fruit not a root, and a divine bestowal to those of sincere intentions seeking nothing but Allah's satisfaction.

---

* An Article Published in Arabic at Al-Azhar Magazine.

[1] *Sirah*: A term used by *Faqihs* (i.e., Muslim jurists) to refer to the Prophet's biography.

Moreover, Ar-Rafi`y stated that Muslims' means, at that era, were the same as their goals with regard to honor and humane dimensions; that is, the end did not justify the means. That is because there were manners and rules the Muslim *Mujahid* (i.e., a Muslim fighting in Allah's Cause) should respect, his word was a covenant and part of his religion, and his social life was based on showing kindness as well as realizing the humane goals as applied by the leader of the righteous, Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him).

In his answer to such aggressive attack on the Prophet's *Sirah,* Ar-Rafi`y does not talk about the Prophet Muhammad or the advent of Islam and its philosophy as a professor of history or a writer of autobiographies. Rather, he talks combining the phenomenon of the Revelation and the great cosmic phenomena and putting the image of Muhammad (may the blessings and peace of Allah be upon him) in its right position and esteem. The Prophet created in humanity a source of light known as 'Religion,' the same as a sun that repels darkness turning it into light known as 'daylight.' That 'daylight' is nothing but the awakening of life so that works can be achieved, and 'religion' is nothing but the awakening of the soul so that virtues can be realized.

Furthermore, Ar-Rafi`y draws our attention to a very important issue; namely, any prophet is not one of the great men whose history is to be read using logic and doubt, then be studied according to his human natures, but the prophet is a 'superhuman' whose history is to be read using a 'telescope' for accuracy, as well as applying knowledge of belief, then be studied according to his divine nature alone.

Naturally, life produces history, but this is not the case with regard to the study of the prophets' lives; may the peace of Allah be upon them all. This is due to the fact that their history produces life. More precisely, the

would not upset her father for he was believing that the girl should stay at home learn the Qur'an, *Hadith* and the stories of the Prophets and the righteous people.

Before the young girl moved to Cairo, she was writing articles to "The Female's Renaissance Magazine" issued by the lady Labiba Ahmed. Those articles received great welcome and they were issued successively without knowing that the author who wrote them was a seventeen-years old girl, and that such pure and strong style must have been for a well experienced professor. Lady Labiba was very surprised when a young girl came to her holding an article in her hand, so the lady told the girl, "O daughter, there is still a-long way before you to be a writer. Many girls like you have come to me and I read what they wrote, but it was not so good." `Aishah smiled shyly and said, "I am `Aishah Abdur-Rahman that wrote many articles before in your magazine." The lady could not believe her eyes and hugged the girl and said in happiness, "O dear, I need you here and I have always been asking about you. From now on you are number one in the magazine; you will be in charge of the editorial section and the distribution of the magazine. I might let you write the editorial in my name when I am away from Cairo."

Bint Ush-Shati' did not stop at writing articles at the Renaissance Magazine, but she used to write daily articles at *Al-Balagh* (i.e., Declaration) and *Kawkab Ash-Sharq* (i.e., Star of the East) magazines. They represented a platform from which she could launch her ideas and social views. Then, she started writing at *Al-Ahram Newspaper* where her articles occupied the first page. She would write about the countryside, peasants, ignorance, poverty and disease. Such writings made her a woman of a methodology well known for its social reformation. All these things took place before she joined university.

One of the greatest tokens of `Aishah's prominence took place in year 1936 when the government announced a competition about how to socially enhance the peasants. More than one hundred and sixty persons participated in that competition, and the judges were from among the most prominent men of thought in Egypt. The first research to get the first award in the competition was that of *Bint Ush-Shati'*, as she applied a scientific method witnessing the birth of a scientist and a researcher not a poet and a writer. That is, she prefaced her research with an introduction about the social reform in Egypt indicating the old roots planted at the times of Pharaohs, then she moved to tackle what took place at the era of Muhammad Ali and those who succeeded him. This was to give an introduction to shed light on the deterioration of peasants as well as the aspects of such a deterioration. She elaborated on setting a realistic program to reach the desired reformation. She also threw light on the heavy responsibility of the landlords, compared what Mussolini did in Italy, and drew examples to what happened in France. She concluded her research by affirming that the peasant's enhancement is an enhancement to the landlord himself; that is when the landlord helps the peasant, he is in fact helping himself.

Bint Ush-Shati' did all that before she joined university. Should not I say that she knew her literary and social path before absorbing the knowledge and experience of her university professors. I do not deny the role that the university played in her life, but we should note that the university received an already formed character. There. She got her Master and PhD degrees with distinction under the supervision of the renewed professor Taha Hussein.

This is but a brief description of the life of such a great female reformist that we should follow her footsteps.

facing Jerusalem so they turned their faces towards the Ka`bah (at Mecca).

Moreover, the month of Sha`ban of the fourth year of Hejira witnessed the victory of Muslims over the disbelievers at the Battle of Badr Al-Akhirah (the late one). That is, the month of Sha`ban was corresponding to the date which Abu Sufyan[1] Ibn Harb set, at the end of the battle of *Uhud*, for meeting Muslims. When that month came, Quraysh was suffering drought, so the disbelievers were not able to attend the market of Badr (and meet Muslims there), which was held every year for trade and would continue for eight days. Abu Sufyan wanted to save the disbelievers' face by claiming that Muslims feared to come at the stated time. So, he sent his agents spreading news in Medina that Abu Sufyan prepared legions that Muslims could not defeat. That was, in fact, a kind of psychological war. Nevertheless, the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) did not pay any attention to such malicious rumours and took one thousand and five hundred Muslims heading for Badr. Upon arriving there, they could not see anyone, and thus there was no one in the market but Muslims, so their trade flourished. Consequently, all the people realized that Abu Sufyan was the one who did not honour his word and feared meeting Muslims in another battle.

In addition, amongst the favours and blessings of the month of Sha`ban is what is mentioned about the fifteenth night of it, as well as the reason why the Prophet would single it out with great worship as a way of showing its favours. There are many prophetic *hadiths* stating the favours and blessings of such a night, and calling Muslims to show obedience to Allah and observe fast seeking Allah's mercy, forgiveness and satisfaction. Therefore, the best the Muslim can do at such a blessed night is to perform prayer, recite Qur'an, invoke Allah asking for His forgiveness, as well as observe fasting.

[1] Abu Sufyan accepted Islam in 8 A.H.

A Great Example of the Muslim Cultured Women, Dr. `Aishah Bint Ush-Shati'[1]

By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

`Aishah Abdur-Rahman grew in Damietta in a house overlooking the Nile. Her father was a Sufi, so he exhorted her to memorize the Qur'an and read the books of *Hadith* (Prophetic Traditions) and Sufi *zikrs* (or dirges) while she was still young.

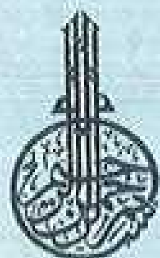
Moreover, `Aishah's father used to take her with him to the religious institute so that she would be able to see his colleagues discussing *Fiqh* (i.e., Islamic Jurisprudence), and thus she became attracted to what she heard and wished to have part in such discussions. Her father felt her strong wish so he exerted his effort to culture her in the matters of religion. However, he stood against her wish to join the college of female teachers, but she won the battle due to her strong will and ambition to reach a scientific peak. Due to her love for knowledge and education, she managed to get the secondary stage certificate from home. Nevertheless, her hopes and ambitions motivated her to prepare herself to join the Faculty of Arts. Before joining the faculty, she was working in the Girls' College in an administrative office so as to secure a provision for herself and thus be able to guarantee a quiet life. That is because her father did not want to let her go to Cairo by herself, so she thought to disburden him from her expenses. When her father realized that his daughter joined a job, he felt that his daughter knew her way well, so he let her decide for her future.

Moreover, before joining the Faculty of Arts, `Aishah's name began to appear in papers, as she used to write successive articles all signed in the title "*Bint Ush-Shati'* (i.e., Daughter of the Beach). She chose that name so that she

[1] `Aishah *Bint Ash-Shati'* (Daughter of the Beach): The word "*Shati'* " literally means the beach, and she was so-called for she grew near the beach of Damietta (Demiatt).

AL-AZHAR MAGAZINE

Sha`ban, 1425 A. H.



ENGLISH SECTION

October, 2004

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

The Favours of the Month of Sha`ban

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

The month of Sha`ban is distinguished by many favours. If we go back in history, we will find that Sha`ban was the month in which the *Qiblah* (i.e., prayer direction) was turned from Jerusalem to the Inviolable Mosque in Mecca. Before that, Muslims used to direct their prayer towards Jerusalem for about sixteen or seventeen months as stated in the Two *Sahihs*[1] on the authority of Al-Baraa' Ibn `Azib (may Allah be pleased with him). That" turning of the *Qiblah* took place in the month of Sha`ban of the second year of Hejira in response to the Prophet's invocation". In this regard, Allah, Exalted and Glorified be He, says:

﴿We have already seen the turning about of your face to the heaven; so We will indeed definitely turn you towards a Qiblah that shall satisfy you. So turn your face towards the Inviolable Mosque; and wherever you are, then turn your faces towards it...﴾ [Al-Baqarah (The Cow): 144]

Upon witnessing that, the Jews and hypocrites began to show their discontent, as depicted in the Noble Qur'an, for they said:

﴿What has turned them away from their Qiblah which they had been (facing)?﴾ And the answer came in the same verse in which Allah says:

﴿Say, "To Allah (belong) the East and West; He guides whomsoever He decides to a straight path.﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 142]

Once, while the people were offering the *Fajr* (Dawn) Prayer at the Mosque of Qeba', a man came to them and said, "A Qur'an has been revealed to Allah's Messenger tonight, and He has been ordered to pray facing the Ka`bah. So turn your faces towards the Ka`bah." Those people were

---

[1] The Two Authentic Books of *Hadith* Compiled by Al-Bukhari and Muslim.

الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

● ● ●

رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير
سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير
عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير
أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

● داخل مصر	١٨ جنيها مصريا
● الدول العربية	٥٠ دولارا أمريكيا
● أوربا وأمريكا	٨٥ دولارا أمريكيا
● اليابان وشرق آسيا	١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء - القاهرة
☎ ٥٧٨٦١.. - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م. نصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩

افتتاحية العدد

شهر القرآن

شغل القرآن فراغي

لى صديق هو منى بمثابة الأستاذ، إذ أخذت دروسا من العلم على يده فى عهد الدراسة الثانوية وكان واضح التفكير، يُفهم طلابه العويص الغامض من مسائل العلم فى عبارة سهلة، لأنه يفهم معنى ما يقوله، فينقله إلى السامع واضحا ساطعا لا يحجب معناه شىء من الغموض، وتلك ميزة كبيرة نفتقدها فى كثير ممن ينقلون عبارات الكتب المقررة كما هى، فإذا طلبت شرحا لغامضها أعادوا العبارة كما قالوها ولا يزيدون.

زرت هذا الصديق الأستاذ فى راحته الهادئة بعد السبعين، فرأيته ضجرا بفراغه الممتد وقد شكا إلىّ أنه لا يستطيع القراءة لضعف ألم ببصره، وقد أورثه ذلك ضيقا فى الصدر، وعبوسا فى المرأى، فحاولت أن أهوّن عليه ببعض ما أسعفنى من عبارات السلوى، ولكن واقعه الجهم كان أقوى من أن يُبدد بملاطفة لا تأتى بالحل المريح.

ومرت خمس سنوات، لم يتح لى أن أزور بلدته فأسعد بلقائه، ثم طرأ ما دفعنى إلى زيارة قريته، فرأيت من واجبى أن أنهض للقائه، وقد قررت فى نفسى أن الزيارة ستكون غير مريحة، لأن الشكوى لابد أن ستكرر، ومرور الأيام مما يزيد الفراغ اتساعا، فلابد أن أسمع لحديثه الممل، وعلىّ أن أتصبر، وأن أتكلف ما يهون الواقع.

ولكن المفاجأة كل المفاجأة قد كانت على غير ما أتوقع، فقد رأيت الأستاذ باسم الثغر، هادىء النفس، أقبل علىّ فى شوق وأسعدنى بحديث طلى ممتع، عرفت منه أن الشقاء قد تبدد، وأن الفراغ لم يعد فراغا، فقد امتلأ وقته بأحسن ما كان يرجوه.

قال محدثى: لقد منّ الله علىّ بكتاب الله، أسمعه فى الإذاعة سماعا متصلا، فكانت الآيات الكريمة حين تُكرر على سمعى تضيف إلىّ معانٍ جديدة لم أكن أعهدها من قبل، فاشتدت رغبتى فى مواصلة السماع على شوق، ثم صرت ناقدا كثير الملاحظة لما أسمع، فجعلت أسجل انتقاداتى فى عناصر أمليها على ولدى، وأحاول أن أوجهها إلى من يهمهم الأمر، فأتلقى الإجابة، أو أجد الإهمال، ولكنى مطمئن لما أصنع، فمثلا، أجد قارئا جيد الصوت، حسن الترتيل، ولكنه لا يهتم بالوقوف بالصحيحة، فأسأل عن عنوانه وأكتب إليه موضحا له، أن المصحف الحكومى يضع علامات للوقوف الجائزة، والوقوف الواجبة، والوقوف الممتنعة، فليست مراعاة ذلك مما يستدعى علما بالنحو، وإلماما بالمعنى، إذ ليس ذلك بميسور لكل من يقرأ كتاب الله، وإنما يتيسر ذلك لعالم دارس، ألم بقواعد العربية فى علومها المختلفة، طالبا بالأزهر، أو مريدا لشيخ عالم يقوم مقام عالم الأزهر، وكثير من الناس لم يحضروا دروس العربية فى معهد ولكنهم قرأوا مبادىء العلم على أستاذ مخلص حتى إذا عرفوا عنه مقدمات ما يقرءون، واصلوا القراءة مستقلين فبلغوا كثيرا مما يريدون، وإذن فعلى القارىء أن يراعى الوقوف مقتديا برموز المصحف الشريف، وكان على المشرفين على الإذاعة أن يلزموا كل قارىء بالوقف الصحيح، ولعلهم يفعلون ذلك، ويند عن ملاحظتهم ما يقع فيه القارئون من هنات! وقد جاءنى خطاب من قارىء فاضل بعثت إليه بملاحظاتى، يقول: إن فقيه المكتب، ومدرس التجويد من بعده، قد أفهماه أن الوقوف على رءوس الآيات وإن لم ينته المعنى لا غبار عليه، وهو يلتزم ذلك، ففيم الاعتراض؟ فأفهمته فى خطاب تالٍ أن هذا غير الأولى، ومن المقرئين من يتحاشونه إذا أدى إلى انقطاع المراد، كما أوضحت له أن المصحف الحكومى المعروف بمصحف الملك فؤاد، كان فى طبعته الأولى يلتزم الوقوف على رءوس الآيات تبعا لهذا الرأى، فلما جاءت الطبعة الثانية تحاشت ذلك، وأعلنت فى خاتمة المصحف أنها خالفت المصحف الأول فى أكثر من ثمانمائة من مواضع الوقوف، وهذه الكثرة الهائلة لم تأت إلا من اختلاف وجهات النظر بين من يقولون بالوقوف على رءوس الآيات بصرف النظر عن انقطاع المعنى، ومن يقولون بالوصل حتى يتم المعنى، وهو ما أرجح والتزم به.

سعدت بحديث أستاذى وقلت له: لقد نفحك كتاب الله بأذكى عطره حين وجهك هذه الوجهة النافعة فاهتديت وهديت.

فابتسم الرجل وقال: لا تعجل علىّ فلدى ما أقوله فقد تخالفنى، فأسعد بوجهة نظرك.

قلت: يا سيدى، ومتى كان لى رأى معك، وعلى يدك تعلمت؟

فأشار بيده ملاطفا، وقال: مهلا، فليس فى العلم كبير.

فقلت : هيا .

فقال الأستاذ : لاحظت أن كثيرا من القراء ، لا يبدءون القراءة بمعنى مستقل عما قبله ، ثم لا يختمونها بما يفيد انتهاء المعنى المردد ، وقد جرهم إلى بعض الخطأ التزامهم بالتقسيم الشائع ، فمثلا يبدأ القارىء بقوله ـ تعالى :

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ (الكهف / ٧٩)

أو بقوله تعالى :

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾ (النمل / ٥٦)

أو قوله :

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الروم / ٣١)

ويستمر فى القراءة وفق التقسيم المتداول ، وهو لا يخضع لتمام المعنى ، فينتهى عند آخر الربع أو الجزء ، والذى يحفظ القرآن لا يقع فى حيرة مما يسمع بدءا وخاتمة ، ولكن الذين لا يحفظون كثيرون وفيهم من يصغى لتعبير ويفهم ، فماذا يكون من أمره ، إذا فوجىء بمعنى يتصل بما قبله ، ثم غمض عليه السياق فلم يستفد بما يقال ، ثم ماذا يكون من أمره إذا انقطع الكلام فجاة دون أن ينتهي القول إلى خاتمة مفيدة ! لقد عنانى ذلك فكتبت للإذاعة القرآنية منبها ، وكتبت لنفر من القراء داعيا إلى مراعاة المعنى بدءا وخاتمة ، وتلقيت ردا من بعض دون بعض ، ولكنى استرحت كثيرا لأنى أسهم فى فائدة السامعين قدر ما استطيع .

ثم قال صاحبى : أنت تعلم أنى كنت مدرسا للتفسير فى المعاهد الثانوية ، ولكنى أعترف صادقا أنى أسمع بعض آيات الكتاب فاجدنى فى حاجة إلى تبيين معناها ، فأنادى ولدى ليقرأ على بعض الأقوال من كتب التفسير ، وهى قراءة لا تنتهى بانتهاء القارىء ، إذ يمضى ولدى لشانه ، وأظل أفكر فيما سمعت ويطول الحديث بينى وبين نفسى فى قبول المعنى أو الاعتراض عليه ، واضطر إلى مراجعة كتب أخرى ، فانتظر اليوم القابل ، حين يعود ولدى من عمله وهو محب لمجالستى ، شغوف بقراءة ما أطلب قراءته ، وذلك من فضل الله ويمنه ، فأرجو منه أن يحضر مراجع أخرى ، ويبدأ قارئا ، وأنصت سامعا ، فإذا انتهى من شانه ، خلوت إلى نفسى فوازنت بين الآراء المختلفة ، وحاولت استرجاع كل ما سمعت ، ولا أكتم عنك إنى أسعد حين

أجدنى أرجح رأيا على رأى بادلة تلوح لى ، ولو كان لى نشاطى الجسمى كعهدى أيام التدريس لدونت كل ما جال بخاطرى ، وجعلته مقالات يقرؤها الناس ! ولكنى سعيد بخواطرى الصامتة ، وأقول صامتة لأنها تظل حبيسة بين صدرى ولا يسمعها أحد .

كان الشيخ الكبير يتحدث فى قوه متماسكة ، وله تسلسل مطرد فى القول كانما أعد الموضوع إعدادا مع أن زيارتى كانت مفاجئة ، فحمدت الله إذ رأيت منه ما طمأننى عليه ، ولاحظت أنه يريد أن يكمل الحديث ، فشجعته على القول صادقا لا مجاملا ، وأصغيت لأجده يقول :

اخبرك يا أخى عن هواية جديدة ملكت علىَّ تفكيرى فى عزلتى المطمئنة ، هذه الهواية ، هى جمع أشرطة التسجيل القرآنى ، لأنى وجدت لكل قارئ مذاقا خاصا به ، فقارىء يفسر القرآن حين يقرأ ، إذ تلمس فى صوته تجسيم المعنى بإيحائه ، وكأنه حين يقرأ يفسر ويصور فى آن واحد ، وقارىء يهتم بقواعد التجويد قبل كل شىء ، فهو يظهر ويدغم ويجوف ويرقق ويمد ويقتضب وفق القواعد المقررة فكأنه يلقى عليك درسا قد ألممت به من قبل ونسيته ، وقارىء يملكه الخشوع فكأنه يبكى ، وهذا الذى استعيد قراءاته مرارا ، لأنه يصدر عن قلب خاشع ، ونفس والهة ، وجوار هؤلاء قراء أضيق بهم ذرعا ، لأسباب أنت أدرى بها !

قلت وأى أسباب تلك ؟

فنظر الأستاذ إلىّ ، وقال ، لدى عدد كبير من مسجلات هؤلاء ، وأكثرهم لا يذيعون فى المحافل الرسمية ، وإنما تملأ لهم الأشرطة وتوزع دون رقيب ، تسمع لأحدهم فتجده لا يلتزم بالنهج القرآنى فى ترتيبه المتواصل ، بل يقرأ من سورة كريمة بضع آيات ، ثم ينتقل إلى آيات أخرى لا رابط بينها وبين ما قرأ من قبل ، ولا يكتفى بهذا القفز الشاذ ، بل ينتقل إلى موضع ثالث وفق ما تحسب أن صوته يستجيب لكلماته ، وهكذا تستمع لمثل هذا القارىء ، وقد سجل ما يقرأ ، فلا تجد حكمة واضحة فى هذا التلاعب الكريه ، وهذا لا يرضينى ، بل يشير إلى رعونة واستخفاف .

وقارىء ثان يسجل شريطا تسمعه فتجده يجمع بعض ما يسمع من قراءات تختلف عن قراءة حفص التى يقرأ بها ، ولو كان يلتزم بقراءة واحدة لقلنا إنه بسبيل أن يعرض لونا جديدا يستحسنه الدارسون لكتاب الله ، ولكنه يلتقط كلمة من هنا ، وكلمة من هناك ، ويعيد ويكرر فيما التقط دون موجب ، وهو بذلك يحدث بلبلة لدى العامة الذين ألفوا القراءة المشتهرة ، ويتحيرون فيما يسمعون ، وتعدد القراءات فى مجلس واحد ، لا يجوز إلا إذا قصد به التعليم ، ويكون شيخ الحلقة عالما دارسا بالقراءة المختارة ليكون موضع الإرشاد والتصحيح ! أما الذى أعجب له فهو صيحات الاستحسان المتكررة التى ينشدها بعض القارئين ويجمعون لها فى

المحافل من يؤجرون عليها ، فلا يكاد القارىء يقف على كلمة حتى تتعالى الأصوات المنكرة ، وكأننا فى محفل طرب ، أو مجلس غناء بإحدى الملاهى ، وهكذا يضيع الخشوع ، ويفقد الحفل اتزانه ، لقد سمعت مرة من يقرأ قول الله ـ عز وجل ـ

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾

(الأنعام/ ٩٣)

فماذا رأيت ؟ ! رأيت وسمعت ضجة هائلة عند كل مقطع من الآية الكريمة :

﴿ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ ﴾

﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾

والموقف موقف حسرة وخشوع ، والهول الراجف عند الاحتضار يحبس الأنفاس ، ولكن كتاب الله فى واد ، وهؤلاء مع القارىء فى واد آخر .

قلت : هذه نقدات صائبة ، والأولى أن تذاع وتعلن !

فقال : كل العلماء يعرفون هذه النقدات ، وقد دعوا إلى اجتنابها دعوات متكررة ، ولكن التسجيل الفردى يستمر دون رقيب ، والباعة حريصون على نوع يرضى العامة فيكثرون من استيراده وتصديره ، ولابد من موقف . .

ثم هدأ الرجل الكبير شيئا ، وتابع حديثه يقول :

تحدثت عن ساعات الاستماع ، ولم أحدثك عن ساعات الفراغ بعد الاستماع !

قلت : وماذا فى ساعات الفراغ هذه ؟

قال صاحبى : لقد شعرت بإحساس جديد حول كتاب الله لم أحسه من قبل ، لقد كنت فى صدر شبابى أقرأ كتاب الله فأتفهم معانيه ، قدر الطاقة عند القراءة ، وإذا احتجت إلى إيضاح معنى رجعت إلى المصدر سريعا ، ففهمت ماغمض ثم تركت القرآن إلى غيره ، ولكنى الآن ما أكاد أفرغ من استماع نصٍّ قرآنى ، حتى أخلو إلى نفسى فاستعيد ما سمعت ، فتغمرنى مشاعر قوية لا عهد لى بها ، وتنبثق فى نفسى خواطر شريفة تجعلنى أحس بعض المعانى التى لم أقف عليها من قبل واستعيد الصوت بذاكرتى فيُحْدِثُ لى ارتياحا هادئا ، وكأنى لا أزال أسمع ، وقد أقف عند الآية الواحدة وقوفا مستطردا يقذف بى إلى طوفان من الأحاسيس ، لقد استمعت مرة إلى سورة الجن من ابتدائها إلى انتهائها ، ثم خلوت إلى نفسى استعيد ما سمعت فكانت المعانى

الشريفة تملأ نفسى ووقفت عند قول الله ـ عز وجل ـ فى السورة الكريمة :

﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾

(الجن / ٢٢)

فكأنى لم أحفظ هذه الآية من قبل ، إذ اندفعت فى تساؤل حائر حول مضمون هذه الآية الكريمة ، ومدلولها الصريح ، إن رسول الله ﷺ ، وهو «أفضل الخلق وأكرمهم لدى ربه ، وقد بذل فى نشر الإسلام جهد الجبابرة صابرا على الإيذاء البالغ ، والحروب المتكررة ، والمؤامرات المرهقة ، هذا النبى المجاهد يأمره الله أن يقول لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا فماذا نصنع نحن ولم نبذل شيئا فى خدمة الإسلام ، وقد أمنا على أنفسنا ، وكأننا ضمنا جنة الخلد ، ووثقنا من النجاة يوم العذاب ، أليس هذا مما يحير !

أدركنى الوجل فسكت ، ورأى صاحبى ماغمرنى من الإحساس الطارىء ، فمد يده إلى شريط اختاره لأسمع ما به من العظات ، فتلا القارىء قول الله من سورة الزمر

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾

(الزمر / ٢١ : ٢٣)

فكانت الآية الكريمة ختام المجلس الشريف .

أيها الذين يبحثون عن ملء الوقت فيما يفيد ، دونكم كتاب الله ، دونكم ما يغمركم من مشاعر التقوى والإيمان دونكم سعادة الدنيا والآخرة لو كنتم تعلمون !

د . / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى:

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

«الآية: ٢٨»

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

أورد المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات:

منها أن جماعة من اليهود كانوا يصادقون جماعة من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة ابن المنذر، وعبدالله بن جبير، وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر من الأنصار: اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا ملازمتهم ومباطنتهم لئلا يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم وملازمتهم، فأنزل الله - تعالى - هذه الآية»(1).

وقوله ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ جمع ولى، والولاء والتوالى - كما يقول الراغب: أن يحصل شيئان فصاعداً حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد.

والولاية - بكسر الواو - النصرة والولاية - بفتحها - تولى الأمر، وقيل هما بمعنى واحد(2).

و﴿ لَا ﴾ ناهية. والفعل ﴿ يَتَّخِذِ ﴾ مجزوم بها، وهو متعد لمفعولين:

أولهما: ﴿ الْكَافِرِينَ ﴾.

وثانيهما: ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾.

والمعنى: لا يحل للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء ونصراء، بل عليهم أن يراعوا ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين، وأن يقدموها على ما بينهم وبين الكفار من قرابة أو صداقة أو غير ذلك من ألوان الصلات لأن في تقديم مصلحة الكافرين على مصلحة المؤمنين تقديما للكفر على الإيمان ومن شأن المؤمن الصادق في إيمانه أن لا يصدر منه ذلك.

وقد ورد مثل هذا النهي في كثير من الآيات ومن ذلك قوله - تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾

«الممتحنة: ١»

وقوله - تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾

«المائدة: ٥١»

قال الآلوسي: وقوله: ﴿ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ حال من الفاعل، أي متجاوزين المؤمنين إلى الكافرين استقلالا أو اشتراكا، ولا مفهوم لهذا الظرف إما لأنه ورد في قوم

(1) تفسير الآلوسي جـ٣ ص١٢٠.

(2) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص٥٣٣.

باعيانهم والوا الكفار دون المؤمنين فهو لبيان الواقع. أو لأن ذكره للإشارة إلى أن الحقيق بالموالاة هم المؤمنون، وفي موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفار» (٣).

قالوا: والموالاة الممنوعة هي التي يكون فيها خذلان للدين أو إيذاء لأهله أو إضاعة لمصالحهم، وأما ما عدا ذلك كالتجارة وغيرها من ضروب المعاملات الدنيوية فلا تدخل في ذلك النهي، لأنها ليست معاملة فيها أذى للإسلام والمسلمين» (٤).

وكرر - سبحانه - لفظ ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بأداة التعريف أل للإشارة إلى أن الثاني هو عين الأول، وفي ذلك إشعار بأن المؤمنين الذين يتخذون الكافرين أولياء ونصراء، يتركون أنفسهم ويهملونها ويتخذون من عدوهم نهاية لها.

ثم قال - تعالى -

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾

أى: ومن يتخذ الكافرين أولياء وأنصارا من دون المؤمنين، فإنه في هذه الحالة يكون بعيدا عن ولايته لله، ومنسلخا منها رأسا وليس بينه وبين الله صلة تذكر.

فاسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعود على الاتخاذ المفهوم من الفعل يتخذ.

والتنوين في ﴿شَىْءٍ﴾ للتحقير أى ليس في شيء يصح أن يطلق عليه اسم الولاية، لأن موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان كما قال الشاعر:

تود عدوى ثم تزعم أنني
صديقك ليس النوك عنك بعازب (٥)

و﴿وَمَن﴾ شرطية، و﴿يَفْعَلْ﴾ فعل الشرط، وجوابه ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ واسم ليس ضمير يعود على ﴿مَن﴾ وقوله: ﴿فِى شَىْءٍ﴾ خبرها. أى فليس الموالى في شيء كائن من الله - تعالى - والجملة معترضة بين المستثنى والمستثنى منه.

وقال - سبحانه - ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ ولم يقل «فليس من ولاية الله» للإشعار بأن من اختار مناصرة المشركين وموالاتهم فقد ترك ذات الله - تعالى - وكان مؤثرا لقوة الكفار على قوة العزيز الجبار، فهو في هذه الحالة يعاند الله نفسه، ثم استثنى - سبحانه

(٣) تفسير الألوسى جـ٣ ص١٢٠

(٤) تفسير المنار جـ٣ ص٢٧٨

(٥) النوك: الحمق. والعازب: البعيد.

- من أحوال النهى حال التقية فقال:

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾

وقوله: ﴿تَتَّقُوا۟﴾ من الاتقاء بمعنى تجنب المكروه، وعدى بمن لتضمينه معنى تخافوا و﴿تُقَىٰةً﴾ مصدر تقيته - كرميته - بمعنى اتقيته ووزنه فعلة ويجمع على تقى: كرطبة ورطب. وأصل تقاة: وقية من الوقاية. فأبدلت الواو المضمومة تاء والياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها.

والاستثناء مفرغ من عموم الأحوال، والتقدير: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكافرين أولياء في أى حال من الأحوال إلا في حال اتقائكم منهم أى إلا أن تخافوا منهم مخافة. أو إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه من الضرر في النفس أو المال أو العرض.

كان يكون الكفار غالبين ظاهرين. أو كنتم في قوم كفار فيرخص لكم في مداراتهم باللسان، على ألا تنطوى قلوبكم على شيء من مودتهم، بل تداورونهم وأنتم لهم كارهون. وألا تعملوا ما هو محرم كشرب الخمر، أو اطلاعهم على عورات المسلمين أو الانحياز إليهم في مجافاة بعض المسلمين، وإذن فلا رخصة إلا في المداراة باللسان. ثم ختم - سبحانه - الآية بهذا التهديد الشديد حيث قال - تعالى -:

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾

والتحذير: هو التخويف لأجل الحذر واليقظة، من أن يقع الإنسان في قول أو عمل منهى عنه.

و﴿نَفْسَهُۥ﴾: منصوب على نزع الخافض. و﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع والمآب.

أى: ويحذركم الله - تعالى - من نفسه أى من عقابه وانتقامه، وإليه - سبحانه - مرجعكم ومصيركم فيحاسبكم على أعمالكم.

وقوله:

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾

فيه ما فيه من التهديد والتخويف من موالاة الكافرين، لأن التحذير من ذات الله، يقتضى الخوف ووقوع الرهبة في النفس من الذات العلية، وذلك كما يقال: - ولله المثل الأعلى - احذر الأسد، فإن هذا القائل يريد أن ذات الأسد في كل أحوالها موهوبة، ولأن كلمة «نفس» تقال لتأكيد التعبير عن الذات. أى أن التحذير قد جاءكم من الله - تعالى - لا من غيره فعليكم أن تمتثلوا أمره، فإن إليه وحده المآل والانتهاء

أمر العباد. وسيجازيهم على أعمالهم بما يستحقون فاحذروا التعرض لعقابه، وقوله:

﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾

تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه. هذا، ولبعض العلماء كلام طويل عن التقية - وهى أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن مخافة الأذى الشديد - فقد قال الآلوسى ما ملخصه: «وفى الآية دليل على مشروعية التقية، وعرفوها بالمحافظة على النفس أو العرض من شر الأعداء.

والعدو قسمان:

الأول: من كانت عداوته مبنية على اختلاف الدين كالكافر والمسلم.

والثانى: من كانت عداوته مبنية على أغراض دنيوية كالمال والمتاع والإمارة، ومن هنا صارت التقية قسمين:

أما القسم الأول فالحكم الشرعى فيه أن كل مؤمن وقع فى محل لا يمكن له فيه أن يظهر دينه لتعرض المخالفين له بالعداوة فإنه يجب عليه أن يهاجر من ذلك المكان إلى مكان يستطيع فيه أن يظهر دينه، إلا إذا كان ممن لهم عذر شرعى كالنساء والصبيان والعجزة فقد قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) ﴾

«النساء: ٩٧: ٩٩»

وإذا كان التخويف بالقتل ونحوه جاز له المكث والموافقة لهم ظاهرا بقدر الضرورة مع السعى فى حيلة للخروج والفرار بدينه.

والموافقة لهم حينئذ رخصة، وإظهار ما فى قلبه عزيمة فلو مات مات شهيدا بدليل ما روى من أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبى ﷺ فقال لأحدهما: «أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، نعم، نعم فقال له: أتشهد أنى رسول الله؟ قال: نعم. ثم دعا الثانى فقال له أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال نعم. فقال له: أتشهد أنى رسول الله؟ قال إنى أصم، قالها ثلاثا، فضرب عنقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أما هذا المقتول فقد مضى على صدقه ويقينه فهنيئا له. وأما الآخر فقد قبل رخصة الله فلا تبعة عليه».

وأما القسم الثانى وهو من كانت عداوته بسبب المال والإمارة وما إلى ذلك، فقد اختلف فى وجوب هجرة صاحبه، فقال

بعضهم تجب لأن الله قد نهى عن إضاعة المال. وقال آخرون لا تجب، لأنها لمصلحة دنيوية ولا يعود على من تركها نقصان فى الدين.

وعد قوم من باب التقية الجائزة مداراة الكفار والفسقة والظلمة وإلانة الكلام لهم والتبسم فى وجوههم لكف أذاهم وصيانة العرض منهم - بشرط أن لا تكون هذه المداراة مخالفة لأصول الدين وتعاليمه - فإن كانت مخالفة لذلك فلا تجوز.

روى البخارى عن عائشة قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ وأنا عنده فقال رسول الله ﷺ بئس أخو العشيرة، ثم أذن له فألان له القول، فقلت يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له القول؟ فقال: «يا عائشة إن من شر الناس من يتركه الناس اتقاء فحشه».

إلى غير ذلك من الأحاديث. لكن لا تنبغى المداراة إلى حيث يخدش الدين، ويرتكب المنكر، وتسىء الظنون»[٦].

ثم بين - سبحانه - أنه عليم بالظواهر والبواطن، وأمر بأن يكثروا من العمل الصالح الذى ينفعهم يوم القيامة، وأن يلتزموا طاعة الله ورسوله لكى يسعدوا فى دينهم ودنياهم، وأن يراقبوا الله - تعالى - فى أقوالهم وأعمالهم لأنه - سبحانه - لا تخفى عليه خافية.

***

(٦) تفسير الآلوسى بتصرف وتلخيص جـ٣ ص١٢١



معذرة إنى صائم

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومى
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه، أنه قال، قال رسول الله (ﷺ): «قال الله، كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به، والصيام جنّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل، إنى امرؤ صائم.. والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح، وإذا لقى ربه فرح بصومه».

التعريف بالراوى:

هو عبدالرحمن بن صخر (رضى الله عنه)، وسبب تكنيته ما حكاه، قال: كنت أحمل يوماً هرّة فى كمى، فرآنى النبى (ﷺ) فقال: ما هذه؟ فقلت: هرة، فقال: يا أبا هريرة.

أسلم (رضى الله عنه) عام خيبر، وشهدها مع رسول الله (ﷺ)، ثم لازمه ملازمة تامة، رغبة فى العلم، راضيا بشبع بطنه، وكان يدور معه حيث دار، ومن ثم كان أحفظ الصحابة، وقيل: إنه طلب من رسول الله (ﷺ) أن يدعو له بقوة الحفظ، فدعا له، وقد شهد له (ﷺ) أنه حريص على العلم والحديث، وكان ملازماً لسكنى المدينة، وبها توفى سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين من الهجرة عن ثمان وسبعين سنة، ودفن بالبقيع، رضى الله عنه.

اللغويات: جُنّة أى: وقاية وستر، أى: من النار، أو مما يؤذيه من الشهوات.

يرفث (بالضم والكسر، ويجوز فى ماضيه التثليث)، والرَّفث هو الكلام الفاحش، ويطلق أيضاً على الجماع ومقدماتها، وعلى ذكره مع النساء أو مطلقاً.

يصخب (بالصاد وبالسين) من الصخب، وهو الخصام والصياح.

خُلوف المراد تغيّر رائحة فم الصائم بسبب الصيام.

الشرح والبيان:

لقد سطعت أنوار هذا الشهر الكريم، شهر رمضان المعظم، أعاده الله علينا، وعلى الأمة الإسلامية بالخير واليمن والبركات ـ فى العام الثانى للهجرة النبوية المباركة، وتتابعت نفحاته حين أنزل الله قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

البقرة ١٨٣

وقد أوضحت الآية الكريمة بجلاء أن الله (سبحانه، جلّت حكمته، وعظمت قدرته) فرض الصيام على الأمة الإسلامية كما فرضه على الأمم السابقة من لدن آدم (عليه السلام)؛ فقد أثبت التاريخ أن آدم (عليه السلام) صام بعد قبول الله توبته، وأنّ نوحاً (عليه السلام) صام بعد حادث الطوفان، وأن موسى (عليه السلام) صام بعد مواعدة ربه.

كذلك أوضحت الآية الكريمة الحكمة التى من أجلها فرض الله (عز وجل) الصوم على جميع الأمم، وهى إعداد الصائمين، وتهيئتهم للتقوى التى تجنبهم الوقوع فى المحرمات، وتحول بينهم وبين النار، وغضب الجبار، وتدفعهم ـ فى الوقت نفسه ـ إلى التسابق إلى فعل الخيرات، والتنافس فى عمل البر وصنوف الطاعات، وترفعهم إلى مصاف الأبرار،

والملائكة الأخيار. وتضمن لهم سعادة الدنيا، ونعيم الآخرة، والنجاة من النار، والفوز بالجنة. قال تعالى:

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾

النبأ ٣١-٣٦

وقال:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

آخر سورة القمر

وهكذا نتبيّن أن الله (عزّ وجلّ) فرض الصيام شهراً في العام؛ لما له من فوائد عظيمة، ومنافع كثيرة، وآثار حسنة تعود على الصائم في الدنيا والآخرة؛ إذ ليس الصوم قيداً على الحريّات كما يتوهم البعض، أو تضييقاً على العباد كما يتصور آخرون، أو عملاً شاقاً يتنافى مع الحكمة والمصلحة كما يرى أصحاب النظر القاصر، بل في الصوم صلاح البدن؛ لأنه يريح المعدة، وينقيها من الرواسب والفضلات الضارة، وكثيراً ما نصح الأطباء المرضى بالجوع؛ لإنقاص الوزن من ناحية، ولتعود إليهم الصحّة والعافية من ناحية أخرى، وكيف لا؟! وكثير من الأمراض كالسكّر والأملاح والشلل وما إليها - نسأل الله الستر والعافية - قد تنشأ من الإسراف في الطعام والشراب، ومن ثمّ نهى الله (عزّ وجلّ) عن الإسراف، فقال:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

الأعراف ٣١

حتى وإن كان الإسراف في الحلال الطيّب المباح.

والصوم وقاية وعلاج للأمراض، وقديماً قيل: المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء «والحمْية: الإقلال من الطعام ونحوه مما يضرّ»؛ ولذلك حصر رسول الله (ﷺ) عوامل الحفاظ على الصحة في جملة من جوامع كلمه (ﷺ) فقال: «بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه».

ومما يؤكد ذلك ما نشاهده في حياتنا اليومية في تعاملنا مع الجمادات، فالسيارات وآلات الإنتاج ومعدات المصانع وما إليها لابد لها من أيام راحة تزيّت فيها وتشحّم، ويغيّر التالف، ويصلّح المعيب، وينفض عنها الغبار؛ لتستعيد قوتها وقدرتها على الإنتاج. فإذا كان هذا شأن المعدات والآلات، وهي تصنع من الحديد والصلب وأقوى المعادن وأمتنها فما بالنا بالمعدة، وهي من لحم ودم، فسبحانك من إله خالق عظيم، ومشرّع حكيم خبير،

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

الملك ١٤

هذا ولا يقتصر نفع الصوم على الأبدان؛ إذ فيه صلاح الأرواح أيضا وعلاج النفوس؛ إذ الصوم يضبط النفس، ويطفىء شهوتها، والنفس أمّارة بالسوء، توّاقة إلى الشرّ، تحمل الإنسان على الطغيان، وتدفعه إلى العصيان، وتقوده إلي الضلال، وتدفعه إلى الهلاك والخسران، ولقد جرت العادة بأنها إذا شبعت طغت وتمرّدت، وعصت وسعت وراء شهواتها، لكنها إذا جاعت أطاعت ربها، وخضعت لتعاليم دينها، وامتنعت عن شهواتها، وفي هذا المعنى أنشد الشاعر:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على
حبّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ولعل هذا ما نلمحه في نصيحته (ﷺ) للشباب حيث قال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» أي: وقاية. وما ذلك إلا لأنّ الصوم يكسر من شهوة الشباب حتى لا تطغى عليه الشهوة، فينصرف إلى الزنا والفاحشة ومن ثمّ نتبيّن أنّ الصوم قهر لعدوّ الله، وعدوّ الإنسان وهو الشيطان؛ لأنّ وسيلته إلى القلوب هي الشهوات، وهي تقوى بكثرة المأكولات، وتنوع المشروبات، ففي الصوم إذاً قمع للشيطان بسدّ مسالكه، وتضييق مجاريه، قال (ﷺ): «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش»[1].

هذا مفهوم الصوم، وتلك هي أخلاق الصائمين، ولكنّ كثيراً من سفهاء الأحلام، وضعاف العقول، ممن لم يهذبهم الإسلام، ولم تستنر بصائرهم بآدابه، ممن جهلوا أخلاق الصائمين يقلبون حقيقته، ويشعرون معانيه، فإذا انفعل أحدهم بالغيظ، أو تملكه الغضب فأساء الأدب، وانتهك حرمة الشهر الكريم - قال: معذرة: إنّي صائم.. وإذا نُسب إليه تأخير أو إهمال أو تقصير تبجح وقال: معذرة؛ إنّي صائم، بل إنه قد يضرب ولده أو امرأته، وقد يؤذي جاره أو صديقه أو زميله في العمل، ولا يتورع إذا عوتب في ذلك أن يقول: معذرة؛ إنّي صائم، والصيام - والله - بريء من كل ذلك، فالصيام يخلق النفس الكريمة، والروح الشفيفة، والأخلاق الفاضلة، فالصائم ملاك طيّب يمشي على هذه الأرض، ينشر الخير والبر، فلا ترتفع يده إلا بالضراعة والدعاء، ولا تمتدّ إلاّ بالإحسان والعطاء، ولا ينطق إلا

(١) اتحاف السادة المتقين جـ ٤ / ١٩٤، جـ ٧ / ٣٨٩.

بالصواب والصدق، ولا يتعامل إلا بالتي هي أحسن.

فلا عجب والحال هذا أن يخبر الحق (سبحانه) عباده في هذا الحديث الشريف أنه يتولى بنفسه الأجر والجزاء للصائمين، وإذا أخبر الكريم بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى ذلك عظم الجزاء، وسعة العطاء، وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أيضاً قال: قال رسول الله (ﷺ): (قال الله «عز وجل»: كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله (تعالى): إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان؛ فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولَخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك).

فالصيام يحمل الصائم على أن يستحضر عظمة ربّه، ورقابة خالقه، وبالتالي لا يجرؤ على مخالفته، ولا يدخر وسعاً في تقديم ما يرضيه، ولا يحب أن يراه ربه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، وينبغي أن يكون المسلم هكذا، في حياته كلها، يعبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه. ومن ثَمّ ارتفعت منزلة الصيام؛ لأنه سرّ خفيّ بين المرء وربّه؛ حيث يستطيع الصائم أن يغلق عليه بابه، ويتناول في نهار رمضان ما يحلو له، ولكنه يمتنع عن ذلك، استحضاراً لعظمة ربه، وسلطان خالقه الذي فرض عليه الصيام، ويعجبني ما قاله أحد الحكماء: مسكين ابن آدم؛ لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً، ولو رغب في الجنّة كما يرغب في الدنيا لفاز بهما جميعاً، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف الناس في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً.

فالصائم يفرض عليه صيامه أن يكون عفّ اللسان، طاهر القلب، نظيف الضمير، يحبّ ولا يكره، ينصح ولا يغشّ، ينفع ولا يضرّ، يحسن ولا يسيء، يقابل الجهل بالحلم، والإساءة بالإحسان، يعفو عمن ظلمه، ويقول: إني صائم، وليس هذا عن ضعف، وإنما عن إيمان وحلم، واستجابة للرسول الكريم (ﷺ) الذي أمرنا بذلك، وقد قال (ﷺ): «من أحيا سنّتي فقد أحبني، ومن أحبّني كان معي في الجنّة»(٢).

فلم يكن عجباً والحال هذا أن يقول رسول الله (ﷺ) عمن يملك نفسه عند الغضب حال صيامه: «والذي نفس محمد بيده لَخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»، كما قال: «للصائم فرحتان يفرحهما» أي يفرح

(٢) سنن الترمذي ٢٦٧٨.

بهما لزوال جوعه وعطشه؛ حيث أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبعيّ، وهو السابق للفهم، وقيل: إن فرحه بفطره إنما هو من حيث إنه تمام صومه، وخاتمة عبادته، وتخفيف من ربه، ومعونة على مستقبل صومه، وعلى كلٍّ فالفرح يختلف باختلاف أحوال الناس ومقاماتهم، فمنهم من يكون فرحه مباحاً، وهو الطبعيّ، ومنهم من يكون مستحباً، وهو من يكون سببه شيئاً مما ذكر، هذه هي الفرحة الأولى.

أما الفرحة الثانية فهي الماثلة في قوله (ﷺ): «وإذا لقي ربه فرح بصومه»، أي: بجزائه وثوابه، وقيل: الفرح الذي عند لقاء ربه إما لسروره بلقاء ربه، وإما لسروره بثواب ربه ويكفي الصيام شرفاً أنه يغفر ما تقدّم من الذنوب، ففي الحديث الشريف عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبيّ (ﷺ): «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه».

ويكفي الصائمين جلالةً ومهابة أن الصيام يفتح لهم باباً خاصاً في الجنّة لا يفتح لغيرهم، فقد روى الإمام البخاريّ عن سهل (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال:

«إن في الجنة باباً يُقال له: الريّان. يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يُقال أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد».

فطوبى لمن صام رمضان، وطوبى لمن قام رمضان، وطوبى لمن قام ليلة القدر، وطوبى لمن عرف حدود رمضان، وتحفظ مما ينبغي أن يتحفّظ فيه، وطوبى لمن ختم صيامه بإخراج زكاة الفطر؛ لتكون طهرة له مما عسى أن يكون قد وقع فيه من اللغو والرفث والفاحش من الكلام؛ لينال الثواب العظيم، والأجر العميم الذي أعده الله للصائمين.

وفقنا الله (عز وجلّ) لصيامه وقيامه؛ إنه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

***

استقبال شهر رمضان

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

كان رسول الله ﷺ يستقبل شهر رمضان، بالبشر والترحاب وكان المسلمون يفرحون لمقدم الشهر الكريم ويتنافسون فى الطاعات وفى سائر العبادات والمروءات..

والحرص رسول الله ﷺ على اغتنام هذا الشهر الكريم، وحبه لأمته كان ينبههم إلى أهميته، ويدعوهم إلى المحافظة على صيام نهاره، وقيام ليله، وإلى المواساة والتكافل فيما بينهم وينبههم إلى ماينبغى عليهم أن يحرصوا عليه..

عن سلمان رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيامه تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة وشهرٌ يزاد فى رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء.

قالوا: يارسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم؟ فقال رسول الله ﷺ: يعطى الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة، أو على شربة ماء، أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما..

فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا اله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غناء بكم عنهما: «فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار، ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة».

رواه ابن خزيمة فى صحيحه وقال: صح الخبر.

أما الخصلة الأولى التى دعانا إليها رسول الله ﷺ فهى: الإكثار من شهادة أن لا إله إلا الله، ذلك لأن شهر رمضان هو شهر التوحيد وشهر الدعوة الإسلامية، وهو الشهر الذى صافح الوحى فيه قلب رسول الله ﷺ فى غار حراء بأولى قطرات الوحى الإلهى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

(العلق / ١)

ودعوتنا إلى الإكثار فيه من شهادة التوحيد تعنى العناية بتوثيق الصلة بالله تعالى والاعتصام بحبل الله، وكثرة ذكر الله سبحانه فكما جاء فى الحديث: «ذاكر الله فى رمضان مغفور له وسائل الله فيه لا يخيب»[1]..

والحكمة الأساسية من الصيام هى تقوى الله تعالى، قال سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة / ١٨٣)

وهى استعداد واجتهاد، وذكر كرب العباد، قال أبى بن كعب رضى الله عنه ـ لمن سأله عن التقوى ـ: «أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى: قال: فما عملت؟ شمرت واجتهدت، قال: «فذلك التقوى» قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب / ٤١)

وفى الحديث القدسي: «من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»[2].

وفى الحديث القدسى أيضا: «أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتا يمشى أتيته هرولة» رواه البخارى ومسلم.

وذكر الله بقول: لا إله إلا الله يسمى «التهليل» فهى كلمة التوحيد وتسمى كلمة الإخلاص وكلمة التقوى، والكلمة الطيبة، والعروة الوثقى، ودعوة الحق.

وقال عليه الصلاة والسلام: «خير ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير» رواه الترمذى.

وأما الخصلة الثانية: فهى «الاستغفار» وهو طلب المغفرة من الله تعالى بالتوبة إليه، عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: فى كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(آل عمران / ١٣٥)

(١) مجمع الزوائد للهيثمى جـ ٣ / ١٤٣

(٢) سنن الترمذى برقم ٢٩٢٦

وقوله عز وجل:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾

(النساء/ ١١٠)

وقال ﷺ: «من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه الله من حيث لا يحتسب».

وقال سبحانه في بيان فضل الاستغفار:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

(نوح/ ١٠: ١٣)

وأما الخصلتان اللتان لا غناء بنا عنهما، فهما: أن نسأل الله الجنة وأن نستعيذ به من النار، وقد قال الله تعالى - في سياق آيات الصيام -:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

البقرة (١٨٦)

وقال سبحانه:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

(الأنفال ٣٣)

وفي استقبال شهر رمضان يستقبل المسلمون رحمات الله تعالى حيث تتفتح لهم الجنات.. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين». رواه مسلم.

ولابد أن يعرف المسلمون قيمة هذا الموسم الروحي الذي يغفر الله فيه الذنوب، ويرفع العبد درجات عنده سبحانه وتعالى.

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احضروا المنبر، فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة، قال: آمين، فلما نزل، قلنا: إن جبريل عليه السلام عرض لي فقال: بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له، قلت آمين، فلما رقيت الثانية قال: بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين، فلما رقيت الثالثة قال بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قلت آمين» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد لقد اصطفى رب العزة سبحانه وتعالى شهر رمضان من بين شهور السنة، كما اصطفى بعض الأمكنة على بعض، فجعل أفئدة من الناس تهوى إليها، وجعل سبحانه وتعالى أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة حيث قال سبحانه:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾

(سورة آل عمران ٩٦: ٩٧)

كما اصطفى سبحانه وتعالى لقيادة الأمم رسلاً مبشرين ومنذرين واصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس، وفضل بعض الرسل على بعض:

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

(البقرة/ ٢٥٣)

وفضل بعض الناس على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، فقال جل شأنه:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ ﴾

(الأنعام/ ١٦٥)

كذلك اصطفى الله تعالى شهر رمضان على سائر الشهور وفضله على غيره، حيث صرح باسمه في القرآن الكريم دون غيره من سائر شهور السنة، حيث قال سبحانه:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

(البقرة/ ١٨٥)

فهو الشهر الذي اختصه بنزول أجل نعمة إلهية فيه، ألا وهي نعمة نزول القرآن الكريم، وهو الشهر الذي اختصه الله تعالى بعبادة الصيام وجعل صيامه فريضة من الفرائض، وركناً من أركان الإسلام.

ويستقبل المسلمون شهر رمضان وهم يتذكرون به ماحباه الله تعالى به، من نزول الوحي الإلهي فيه، وإسعاد البشرية بإخراجها من الظلمات إلى النور، وإعلان نور الهداية السماوية، ونشر الحق والخير والسعادة والعلم والمعرفة منذ صافح الوحي قلب رسول الله ﷺ بأول آيات الوحي الإلهي:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾

(العلق/ ١: ٥)

ولرمضان إيحاءاته في أول نصر حققه الله تعالى للمسلمين في غزوة بدر الكبرى ولشهر رمضان خصوصية بليلة القدر التي جعلها الله خيراً من ألف شهر.

إنها إيحاءات تثير في النفوس معاني الحب والسرور والانشراح والحبور، باستقبال هذا الشهر، وتدعو رواد الخير، ومن يرجو الله والدار الآخرة أن يقبل، وتدعو العصاة أن يتوبوا إلى ربهم، فهو شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار.

***



لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى
الأمين العام للجنة العليا للدعوة

لظروف خاصة لاينبغى أن أشغل القارئ بها عقدت العزم على أداء العمرة وزيارة الحبيب ﷺ، وشاء الله أن يكون التوجه إلى المدينة المنورة - على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام - ولم يدر بخلدى أن أكتب مقالاً فى شهر رمضان ١٤٢٥ حيث إن الوقت كان ضيقا والمشاغل جمة والقلب مثقل بهموم الأمة الممزقة المشتتة.. وفى المدينة المنورة - أدام الله نورها - كان لابد وأنت فى شهر شعبان أن تزور مسجد بنى حارثة «مسجد القبلتين» ثم تذكر قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾

سورة البقرة آية ١٤٢

.. أكثر المفسرين قالوا إن المراد بالسفهاء هم اليهود لأنهم لم يفهموا أمر الله - سبحانه وتعالى - من تحقيق رغبة نبيه ﷺ فى التوجه إلى البيت الحرام ولقد أورد الله - سبحانه وتعالى - ذكر هذه الرغبة وتحقيقها وإجابتها حيث قال:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾

(البقرة/ ١٤٤)

ثم أردف هذه الاستجابة منه - سبحانه وتعالى - بأمر المؤمنين جميعا بأن يتوجهوا إلى البيت الحرام حيث ما كانوا فقال:

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

ثم بين سبحانه وتعالى أن الواجب على العبد أن يمتثل لأمر الله سبحانه وتعالى بالتوجه حيث يريد سبحانه وتعالى وليس له أن يشكك فى الأمر كله أو يسخر من هذا التحول، يصف الله أهل الكتاب بأنهم رغم تأكدهم بأن هذا أمر الله - سبحانه وتعالى - إلا أنهم أشاعوا التشكك والسخرية ونسبوا الأمر إلى أراجيف تخيلوها، يعبر القرآن الكريم عن هذا وأنهم يعلمون أن هذا التوجه بأمر الله ولا عبرة بما يقولونه ظاهرا.. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾

(البقرة/ ١٤٤)

ويقول للنبى ﷺ فى موضع «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» فإنهم معاندون لن يستجيبوا لك فقد ملك الحقد قلوبهم وبدا الحسد على الدعوة وعلى الرسول منذ البعثة النبوية.

ولقد صور الله - تعالى - هذا الحقد والحسد منذ بدأت الدعوة لما نزلت الرسالة على النبى العربى وبعد أن كانوا يتوعدون مشركى أهل المدينة بأنه سوف يُبعث نبى فى آخر الزمان يتبعونه ويقاتلون المشركين من أهل المدينة ويغلبونهم فلما جاء النبى من بنى إسماعيل من العرب نكصوا على أعقابهم وتنكروا لما قالوه حقداً وحسداً منهم وهذا دأبهم حتى اليوم.. يقول الله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾

﴿سورة البقرة ٨٩ - ٩٠﴾

وكان لابد من أن تعامل هذه الآيات مع قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾

﴿سورة البقرة ١٣﴾

فهل السفهاء هم اليهود أم إنهم المنافقون الذين يشتركون مع اليهود فى الخداع والمكر.. ثم تأمل قوله تعالى بعد أن بين من أول سورة البقرة حتى آية رقم «٥» طائفة المؤمنين. وبين طائفة الكافرين فى الآية «٦، ٧» من نفس السورة يقول الله - تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(البقرة/ ٦، ٧)

ثم أورد الحديث عن المنافقين الذين يظهرون مالا يبطنونه فقال:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾

(البقرة/ ٨، ٩)

هكذا يصور القرآن عملهم وأهدافهم لكنه فى الواقع كما أخبر الله:

﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

﴿البقرة/ ٩﴾

ثم يحلل القرآن الكريم بأن هذا راجع إلى مرض فى قلوبهم لقول الله تعالى:

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾

﴿البقرة/ ١٠﴾

وأن المسألة مدارها على القلوب وكما أخبر النبى ﷺ: ألا أن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب، فالقلب هو بيت الداء إن فسد وهو وعاء المعرفة والحكمة والإيمان إن صلح. نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يصلح فساد قلوبنا جميعا ونتأمل هذا الوصف من الله - سبحانه وتعالى - للمنافقين الذين يبطنون مالا يظهرون لأن فى قلوبهم مرض.

وتمضى حوارات القرآن الكريم وسورة البقرة حتى نصل إلى الآية «١١٣» وهى تهم يوجهها اليهود والنصارى بعضهم لبعض يقول الله - تعالى:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾

﴿البقرة/ ١١٣﴾

ثم أنهى هذا الحوار والقذائف المتبادلة بين الفريقين بآية «١١٨» التى فيها ملمح جميل يقول الله - تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

﴿البقرة/ ١١٨﴾

تامل معى كيف أن الله يقول:

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾

المتبادر إلى الذهن والذى يمضى على السياق أن يقول تشابهت أقوالهم لكن الله - سبحانه وتعالى - قال: ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ وماذلك إلا لأن القلب عليه مدار الصلاح أو الفساد فالعبرة بما تنطوى عليه الضمائر فهل بين قوله تعالى:

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾

﴿البقرة/ ١٠﴾

وبين هذه القلوب بعضها وبعض علة ورابطة.. «فى قلوبهم مرض».. صدق الله حيث يقول:

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾

﴿آية ١ سورة هود﴾

ولابد أن نتذكر ونتأمل ونحن مقدمون على شهر رمضان الآيات الأولى من سورة البقرة قال تعالى:

﴿ الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة ١: ٢)

أولاً: إن الكتاب هدى للمتقين وأن آية الصوم بينت الحكمة فى فرض الصوم فقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة/ ١٨٣)

والكتاب أى القرآن.. هدى للمتقين والصوم إذن وسيلة يوصلنا إلى التقوى والله - سبحانه وتعالى - يخاطب المؤمنين ويأمرهم بالصوم ليصلوا إلى التقوى فكان التقوى درجة أعلى من الإيمان هل هى الإحسان الذى ورد ذكره فى حديث جبريل عليه السلام الذى رواه عمر بن الخطاب حيث جبريل يسأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان؟

ثانياً: أن بنى حارثة كانوا يصلون صلاة رباعية فاخبرهم أحد الصحابة بأن قال: أشهد أن رسول الله ﷺ صلى بنا متوجها إلى البيت الحرام فتوجهوا أثناء ركوعهم إلى القبلة الجديدة «البيت الحرام» فلما أخبر النبى ﷺ بذلك قال يمتدح هؤلاء الناس «أولئك قوم يؤمنون بالغيب» فهم إذن حصلوا درجة التقوى التى نسعى إليها من خلال الصوم، فعليك أيها المسلم أن تعد نفسك وتؤهلها بالمراقبة واليقين حتى تجلو مرآة قلبك ولابد أن تتابع نفسك يوما بعد يوم، هل اقتربت من الله - سبحانه وتعالى - وازددت إيمانا ويقيناً وتقوى أم أنك على حالك، وأخطر مايسلب العبادة مفهومها وهدفها أن تتحول إلى عادة يمارسها الإنسان بآلية تراعى أشكالها الظاهرة فقط ولذلك يقول النبى ﷺ فيمن يصوم ولا يقربه الصوم إلى الله ولايحصل على أية درجة من التقوى.. يقول النبى ﷺ «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر». [سنن ابن ماجه جـ ١ / ٥٣٩ برقم ١٦٩٠].

ثالثا: أخذ الفقهاء من استجابة بنى حارثة لمن أخبرهم بأن القبلة حولت واستجابتهم له فورا ولم يخطىء النبى ﷺ فعلهم أخذ الفقهاء من هذا العمل بخبر الواحد وله شواهد كثير فى التاريخ والسنة النبوية *.

ومن المشاهد التى كان لها فى نفسى مذاق خاص زيارة أسد الله حمزة بن عبدالمطلب، ومصعب بن عمير، وعبدالله بن جحش وشهداء أحد، حيث أوصى النبى ﷺ بزيارتهم مما يوجب علينا مراجعة ودراسة وعرض التاريخ الإسلامى والسيرة النبوية حيث إن ما يعانيه الاسلام فى جهل الجاهلين من أعدائه وبعض أتباعه راجع بالدرجة الأولى إلى أننا لم نقدم التاريخ الإسلامى أو الدين الإسلامى كله كنموذج يحتذى وإنما عرضنا السيرة غزوات وسيوفا وقتالا ونسينا رسول الله ﷺ معلما ومرشدا ونبيا وداعيا وقاضيا ومفتيا وزوجا وصديقا وأخا..

أين هذه المواقف المشرقة التى تفيض رحمة وإنسانية تسع العالم كله لولا تعصب المتعصبين وجهل الجاهلين والله يوفقنا لصيام رمضان وقيامه إيمانا واحتسابا ويتقبله منا ويتوب علينا أنه هو التواب الرحيم، وإلى لقاء آخر إن شاء الله.



في شهر رمضان

أين نحن من القرآن؟

للدكتور / حمدي فتوح والي

إذا كانت قرائن الأحوال، وشواهد الأحداث، وبواعث الحروب بين الشرق والغرب ونتائجها، تؤكد بوضوح ظاهر أن الغرب يمارس ضد الشرق الإسلامي حرب إبادة، ويكن له بركانا من الحقد الأسود، والتدمير الرهيب، فإن ذلك أمر لا يلام عليه الغرب ولا ينكره عليه مسلم صادق الإيمان عميق اليقين، لأن الغرب ينسجم في اتجاهه هذا مع المهمة التي أخذها على نفسه منذ بزغ فجر الإسلام وانتشر نوره، وهي مهمة الكيد القاتل للإسلام.. واستجماع العزيمة كاملة لتدميره وإبادة أهله.

وهو ما أعلمنا الله به بقوله:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾

البقرة: ١٢٠

والمتتبع لتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، يلاحظ حقدا مريرا، يملأ صدور الغرب حتى درجة الجنون، يصاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام، إلى أبعد نقطة في النفسية الأوروبية، هذا الحقد وهذا الخوف لا شأن لنا بهما إن كانا مجرد إحساس نفسي شخصي، أما إذا كانا من أهم العوامل التي تبلور مواقف الحضارة الغربية من الشعوب الإسلامية، سياسيا واقتصاديا، وحتى هذه الساعة فإن موقفنا يتغير بشكل حاسم» [1].

إن إصرار الغرب الحاقد على مواقفه تلك، وعدم التحرج من إظهارها وإعلانها، والتحدي السافر لكل ما هو إسلامي وعربي، لم يقع منا موقع المفاجأة، ولم يحرك فينا أدنى شعور بالدهشة أو الاستغراب، بل إن محاولات الإنكار والتخفي، ومحاولة ترويج مبادئه وتنفيذ خططه عن طريق وسطاء أو عملاء يختارهم من بلادنا ومن أهل ملتنا، حتى لا يلفت أنظارنا إلى خططه، أو يهيج شعور الإيمان فينا، فننتفض في وجهه ونزلزل الأرض من تحت قدميه، تلك المحاولات كانت هي المستغربة والمدهشة.

لقد حرص الغرب بشقيه الأمريكي والأوروبي حرصا شديدا على عدم إظهار عداوته أو كشف خططه على مدى مئات السنين، حتى وإن اقتضى الأمر أن يعلن رئيس دولتهم إسلامه، كما حدث مع نابليون في مصر، لأنه كان يدرك عن يقين، أن رصيد الإسلام المدخور في صدور هذه الأمة إذا ثار لا يقاوم ولا يصادم، لأن الفطرة يومها كانت نقية، والعقائد كانت قوية، والسواعد كانت فتية، ولأن علماء الأمة وعوامها لم ينخدعوا بدعوى العلمانية وعزل الدين عن طبيعة الصراع، تلك الدعوى الخبيثة التي روج لها اليهود، وأقنعوا بها بعض أبناء جلدتنا ممن انهزموا أمامهم، وسارعوا فيهم، وألقوا قيادهم بأيديهم، آملين أن ينالوا رضاهم، وجعلوا من أنفسهم خدما للمستعمر حتى يحققوا عن طريقه بغيتهم في حكم البلاد وإذلال العباد، ولأن الأمة لم تنخدع بهذه الدعوى، دعوى العلمانية، ظلت ثابتة راسخة شامخة، يخشى بأسها ويتقى غضبها.

إن المحاولات التي بذلها الغرب على مدى ثلاثة قرون كانت مرصودة وموجهة لعزل القرآن عن ميدان المعركة، فاجتهدوا للوصول إلى تحقيق هذا الهدف بكل وسيلة ممكنة، لقد أدركوا خطورة القرآن وأثره البارز في حياة المسلمين فحاولوا الطعن فيه أو التشكيك في آياته، أو تحريف بعض كلماته، لكن حفظة كتاب الله، وغيرة العلماء المخلصين لم تمكنهم من ذلك، فقد أعد الله لهذا الكتاب العظيم سياجا حاميا من مكر الماكرين، وتدبير الحاقدين، ومحاولات الكافرين فاتجه مكرهم وكيدهم إلى عزل الناس عنه، أو عزله هو عن حياة الناس، ولا يظن القارئ أن عملية العزل تعني تغييبه وإخفاءه فهم يدركون أن ذلك يحفز الأمة إلى زيادة الحرص عليه، والإقبال على حفظه وتجويده، لكن عملية العزل اتجهت إلى الحيلولة بين هديه ومنهجه، وبين حياة الناس، ليتحول القرآن بعظمته وجلاله وخطورته، إلى أداة كسب، أو وسيلة تبرك، أو تعويذة من الحسد، إمعانا في إهانة القرآن وتهميش دوره، وإبطال أثره.

وأصبح من المألوف المقبول أن تفتتح إذاعة من إذاعات المسلمين بل وغير المسلمين فتجدها تبدأ بثها بالقرآن على سبيل التبرك ثم يعقب القرآن مباشرة، أغنية خليعة، أو رقصة ماجنة أو صورة فاضحة، لتؤكد في حس السامع والمشاهد أن القرآن شيء وما

(١) جلال العالم - قادة الغرب يقولون - الطبعة التاسعة - دار السلام.

يمارسه الناس فى حياتهم شىء آخر، وأنه لا علاقة بين القرآن وبين ما يقع من الحلال أو الحرام، وبكثرة وقوع هذا الأمر تحول إلى شىء مألوف ومعتاد، وانصرفت أذهان الناس عن استقبال الآيات لتكون منهج حكم أو مصدر تشريع، أو وسيلة توجيه، أو تربية أو تقويم، ليقتصر دورها فى حس العوام والمثقفين على جانب الطرب بصوت القارىء، أو الوجاهة بقراءته فى سرادق ضخم، وعن طريق مطرب «قارىء» مشهور، ليبتلع هذا القارىء المحترف عشرات الآلاف من الجنيهات التى هى كل ما تركه المتوفى لصغاره الأيتام، وليحكم عليهم بالموت بعد أبيهم جوعا وفقرا ولا بأس بذلك فى نظر أعمامهم الجاهلين أو ذوى قرباهم ماداموا هم قد حققوا لأنفسهم الوجاهة، وأحاديث المقاهى على ألسنة الفارغين والجاهلين.

إن المؤامرة على القرآن للحيلولة بينه وبين حياة المسلمين كانت أخطر معركة كسبها الكافر الصليبى واليهودى بمكره وحيلته ولم يتعجل الخطوات ولم يستكثر الثمن، ولم يستبطىء النتائج لأنه يدرك تماما أنه بطىء لكنه أكيد المفعول.

وإذا كانت السذاجة والغفلة قد بلغت من المسلمين - حكاما ومحكومين - حدا جعلهم لا يدركون حقيقة القرآن وعظمة القرآن، وأثره فى حياة الأمة فإننى أردهم إلى كلمة رئيس وزراء بريطانيا الأسبق «جلادستون» التى قالها أمام مجلس العموم البريطانى، هذا المجلس الذى اجتمع ليقف على نتائج عمل الجيوش البريطانية فى بلاد الإسلام ولكى يطمئن إلى نفاذ الخطط ونجاحها فجاء رئيس الوزراء ليقدم تقريره فى أخطر معركة تقودها بريطانيا باسم «الغرب الصليبى» فوقف يقول: «مادام هذا القرآن موجودا فى أيدى المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان»[2].

إن الله سبحانه وتعالى الذى أنزل القرآن قد لفت أنظار الأمة إلى خطورة أثره، ودلهم على كيفية التعامل به مع الناس فقال يخاطب نبيه ﷺ:

﴿ طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾

طه: ١-٣

وخاطب الأمة كلها بأن تحسن التلقى، وترتفع بهمتها إلى مستوى التشريف بقوله:

﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾

البقرة: ٦٣

وأعلم نبيه - ﷺ - بأن أعظم الجهاد هو الجهاد بالقرآن وأمره بأن يعتصم بهذا الكتاب ويتمايز بمنهجه عن الكافرين بقوله:

(٢) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد ص٢٩.

﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾

الفرقان ٥٢

وأعلمه بالغاية التى من أجلها نزل القرآن، وهى قوله تعالى:

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

إبراهيم: ١

ودله على مكانة القرآن وأثره فى حياة الأمة بقوله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾

الشورى: ٥٢، ٥٣

وحتى تعلم الأمة فضل الله عليها بهذا الكتاب فقد خاطبها ربها بقوله:

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

الأنبياء: ١٠

وتأمل معى أخى القارىء هذا الاستفهام التعجبى الاستنكارى الذى يختم الله به الآية بقوله: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

إننى أحس أن الأمة اليوم تعانى غيابا عقليا وروحيا فاضحا حتى احتاجت أن تخاطب بهذا التقريع الشديد، الذى افترض فيها غياب العقل، وغشية العيش.

ولا أجد ما يتناسب مع جلال القرآن وشهر القرآن إلا أن أذكر أمة الإسلام بالغائب العزيز الذى غاب بغيابه عزنا وفخرنا، وغابت بغيابه مكانتنا بين الأمم فصار حالنا كقول القائل:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم
ولا يستأذنون وهم شهود

فأجد لزاما علىَّ وعلى كل من ابتلاه الله بالقدرة على إيقاظ الأمة وتنبيهها وحسن هدايتها إلى سبيل ربها، أن أذكر أمتى قول خالقها سبحانه يخاطب نبينا محمدا - ﷺ -:

﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٣ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾

الزخرف: ٤٣، ٤٤

إننى أشعر بحالة من الرهبة تصل إلى حد الرعب، وأنا أقرأ ختام الآيتين ﴿ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ ويزداد رعبى ورهبتى عندما أدرك عظمة من يتوعد والذى سيتولى السؤال وهو الخالق الجبار سبحانه وتعالى، وهل تدرون ما معنى أن نُسأل هذا ما يفسره حديث عائشة رضى الله عنها عندما قالت: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول فى بعض صلاته: «اللهم حاسبنى حسابا يسيرا».. فلما انصرف قلت: يا رسول الله،

ما الحساب اليسير؟ قال أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه، من نوقش الحساب عذب» وفى رواية «من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك»(٣).

إن الأمة التى أعطيت القرآن، وألهمت فقهه وأسراره، وهديت إلى عظمة ما فيه من تشريع وتقنين، أمة غير معذورة، إذا هى تركته فضلت، أو أهملت تشريعه فافترس القوى فيها الضعيف، وحرمت نوره وروحه فغاب عن حياتها نداوة الإيمان وبرد اليقين

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

التوبة: ٦٧

إننى أشفق على أمتى التى هجرت القرآن دستورا وضيعته شريعة وأخلاقا من قول ربى سبحانه:

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾

الصافات: ٢٤

وأستحضر حالة الرعب والهول، وحالة الألم والحزن عندما أسمع نبينا محمدا - ﷺ - يشكو إلى ربه حال أمته فى قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾

الفرقان: ٣٠

يقول ابن كثير فى بيان المقصود بالهجر فى الآية: «ترك الإيمان به وترك تصديقه: من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه: من هجرانه، وترك العمل به، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من هجران»(٤).

وقد تعجب إذا قلت لك إن غالب أبناء الأمة واقعون فى جريمة هجر القرآن، بصورة أو بأخرى، حتى وهم يقرؤونه ويتنافسون فى ختمه فى رمضان، ويظنون ذلك غاية ما ينبغى فعله لخدمة القرآن وإعطائه حقه، وذلك راجع إلى جهلهم بالغاية التى من أجلها نزل القرآن، وهو أنه كتاب هداية وتشريع وبيان، نزل إلى الأرض ليحكم ويهدى ويشفى ويخرج الناس من الظلمات إلى النور، فإذا اكتفى بعض المتدينين بكثرة القراءة والمنافسة فى عدد مرات ختمه فى رمضان أو فى غير رمضان، فإنهم بذلك لا يزيدون عما تفعله إذاعاتنا من الاكتفاء بقراءته ثم البدء مباشرة فى مخالفته ومناقضته، ولا يعنى ذلك أنى أقلل من شأن القراءة، فأجر القراءة معلوم غير مجهول لكننى أريد أن أعلم القارئ أن القراءة وسيلة إلى الفهم، والفهم وسيلة إلى التطبيق والتنفيذ، أما من يكتفى من القرآن بقراءته فقط ويحسب بتلك القراءة أنه أدى عبادة

(٣) رواه الإمام أحمد بإسناده عن عبدالله بن الزبير عن عائشة، وهو صحيح على شرط مسلم.

(٤) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣١٧.

وإعذار إلى الله، فإنى لا أجد له مثالا إلا بالمريض الذى ذهب إلى الطبيب، فشخص له داءه وكتب له دواءه، وبدلا من أن يذهب المريض ليتعاطى الدواء طبقا لوصف الطبيب، رأيناه يكتفى بقراءة التذكرة وحفظها عن ظهر قلب دون أن يتعاطى شيئا منها، أترى هذا الفعل وحده كاف ليكون سببا فى الشفاء؟ وألست معى فى أن هذا الفعل لا يليق بالعقلاء؟.

لقد علمنا أصحاب رسول الله - ﷺ - كيف تكون الجدية مع القرآن فقد روى عن أبى عبدالرحمن السلمى أنه قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى - ﷺ - عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا»(٥).

إننى أهيب بأبناء أمتى حكاما ومحكومين - إن كانوا جادين فى إخراج الأمة من حالة الغثائية والوهن - أن يعودوا بالقرآن إلى الناس منهاجا لحياتهم، ودستورا لتشريعهم، ومرجعا لأخلاقهم، ومعيارا دقيقا لحلالهم وحرامهم، ونبعا صافيا لوجدانهم وقيمهم وآدابهم وسلوكهم:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

المائدة: ١٥، ١٦

***

(٥) أخرجه عبدالرازق عن معمر عن عطاء بن السائب وأخرجه ابن جرير فى مقدمة تفسيره وصححه أحمد شاكر.

رمضان في ذاكرة الشعر

للأستاذ الدكتور/ عبد المنعم يونس

ذهبت أستطلع المعاجم لأقف على كلمة (رمضان) فوجدت أن الرازى فى مختار الصحاح قال: إنه مأخوذ من الرمض: شدة دفع الشمس علي الرمل وغيره، والأرض رمضاء، وقد رمض يومنا اشتد حره، ورمضت قدمه -أيضا- من الرمضاء أى احترقت، وفي الحديث «صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحى»[١] وارمضته الرمضاء: أحرقته، وشهر رمضان: قيل إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر، فسمي بذلك.

وأما المفسرون فقد وقفوا عند أمرين: الأول هل يجوز أن نقول رمضان دون ذكر كلمة الشهر؟ قال بعضهم: إن شهر رمضان يعنى شهر الله فلا يجوز أن نقول: جاء الله، وذهب الله، لكن ذلك القول مردود عليه بما روى عن رسول الله ﷺ: «أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه»[٢] وفى حديث آخر قال: «إذا جا[ء] رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبوا[ب] النار، وصفدت الشياطين»[٣].

الأمر الثاني: أن الفخر الرازى وقف عن[د] اشتقاق كلمة رمضان، فقال: «ثم اختلفوا [في] اشتقاقه علي وجوه، الأول ما نقل عن الخلي[ل] أنه من الرمضاء بسكون الميم، وهو قطر يأ[تي] قبل الخريف يطهر وجه الأرض عن الغبار، والمعنى فيه أنه كما يغسل ذلك المطر وج[ه] الأرض ويطهرها فكذلك شهر رمضان يغس[ل] أبدان هذه الأمة من الذنوب، ويطهر قلوبهم. الثاني: أنه مأخوذ من الرمض وهو حـ[ـر] الحجارة من شدة الشمس، والاسم الرمضا[ء] فسمي هذا الشهر بهذا الاسم لارتماضهم [في] هذا الشهر من حر الجوع، أو مقاساة شدته.

ونحن نقول: إنه كلما دار الزمن دورته وأتانا شهر رمضان تاقت نفوسنا إلى تلك النفحات الربانية، والتجليات الإلهية نحاو[ل] الحياة معها، والخروج -ولو إلى وقت قصير- من ذلك الخضم الدنيوى الذى نحيا فيه إن طوعا، وإن كرها.

إن الإنسان بحاجة إلى الخروج من تلك المعاناة التى يعانيها في حياته اليومية والتى تفرضها عليه ظروفه الحياتية، أو تمليها عليه مطالبه التى لا تكاد تنتهي، ومن هنا جاء شهر رمضان لينتزع الإنسان من وهدة هذه المعاناة التي قد تسبب له فى أحيان كثيرة بعض ألوان الاكتئاب التى يعاني منها كثير من بنى الإنسان فى حياتنا المعاصرة، وليجعله يعيش نهاره صائما عن كل ما من شأنه إبعاده عن الله سبحانه وتعالى، ويعيش ليله قائما يجعله يسبح في ملكوت علوى مع ملائكة الله سبحانه وتعالى.

وإذا كان الصيام والقيام لهما دورهما الرائد فى تهذيب النفس، وقسرها على منهج يبعدها عن ملذاتها وشهواتها، فإن هناك وسائل أخرى جديرة باللجوء إليها، والعكوف عليها زمنا قصيرا، أو طويلا، حسب ما يتهيأ للإنسان من وقت، تتمثل هذه الوسائل فى الحياة مع القرآن الكريم تلاوة وتدبرا، فرمضان هو شهر القرآن:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾

[البقرة: ١٨٥]

وهناك الحياة مع تلك الأحداث العظيمة التى حدثت فى شهر رمضان، والتى كان لها دورها في مسيرة الدعوة الإسلامية يأتى على رأسها حدث نزول القرآن الكريم فى رمضان قبل الهجرة بثلاثة عشر عاما، «ففى الرابع والعشرين من هذا الشهر الكريم -على الأرجح- سعد هذا الكوكب الأرضى بأروع لحظة من لحظات حياته، وشهد أعظم حادث وقع على ظهره، فكان هذا الحادث فرقانا فى تاريخ البشرية كلها، وإيذانا بمولد عام جديد»[٤].

وتوالت الأحداث فى هذا الشهر الكريم انتصار يتلوه انتصار: بدر، وفتح مكة، وعين جالوت، والعاشر من رمضان، وغيرها، وغيرها من الانتصارات العسكرية، وهناك انتصارات داخل النفس البشرية، تلك التي تحول بينها وبين ما تمليه عليها رغباتها، وملذاتها، ثم ذاك التجلى من الله سبحانه وتعالى على عباده الصائمين في ليلة القدر.

هذه الباقة من الأحداث ترصدها قيثارة الشعراء، على مر الليالى، وتوالى العصور، لذا فقد أردت أن أقف مع الشعر الذى قيل فى رمضان من شعرائنا المعاصرين، لأضع أمام قارئ مجلة الأزهر الغراء جانبا مما صاغته أفئدة هؤلاء الشعراء حول رمضان، وحول النفحات الربانية، والفيوضات العلوية التى تجلى بها الله سبحانه وتعالى على الأمة الإسلامية.

---

(١) مسند الإمام احمد ج ٤ / ٣٦٦

(٢) سنن النسائى جـ ٤ / ١٢٩

(٣) صحيح البخارى جـ ٣ / ٢٢

(٤) د. عبدالرحمن رأفت الباشا: حدث في رمضان ص ٧ ط دار الأدب الإسلامي.

إننى أجد بين يدى زخما هائلا من الشعر لا يتسع المقام لرصده، لكننى أنتقى منه بعض تلك الفيوضات التى أفاض الله بها على شعراء الدعوة الإسلامية الذين تفردوا بالحديث عن تلك النفحات الربانية، وأجدنى مضطرا أن أبدأ برصد تلك الملامح التى رصدها الشاعر علال الفاسى[٥] عن ليلة القدر، تلك الليلة التى نزل فيها القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، قال تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾

سورة القدر – آية : ١

يقول علال الفاسى فى ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم:

يا ليلة القدر التى شرفت به
وسمت على ألف الشهور تنزلا
فيك الحضارة كلها قد جُمِعتْ
وبك الهنا للعالمين تأثلا
إنا لنحيى فيك ميلاد السنا
والمجد والعرفان يوم تأصلا
إنا لنحيى فيك إيمان الورى
بالله والإنسان يوم تحملا
إنا لنحيى لحظة الأنس السعيدة
فى حراء وسرها المتنقلا
ذكرى نزول الوحى فى أرجائه
ومحمدٌ يصغى لما قد أنزلا
وإذا بدنيانا حراء كلها
وكان جبريلا يردد ما تلا
وكأننا من حول أحمد خشّعٌ
جمع الزمان به فيا ما أجملا

إن الشاعر هنا يقف أمام ذلك الحدث العظيم الذى شرفت به الدنيا، وسعد به العالم، إنه نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ -وقد كان فى رمضان- لقد أصبحت الدنيا كلها حراء، وجبريل يردد ما تلاه على رسول الله ﷺ من قرآن، ومحمد ﷺ، يصغى له، ويقرأ ما تردد على سمعه:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾

[العلق ١-٥]

ثم بعد أن يُحيى الشاعر هذه الليلة بذلك التأكيد: «إنا لنحيى فيك ميلاد السنا، إنا لنحيى فيك إيمان الورى، إنا لنحيى لحظة الأنس»، يلمس الشاعر أمرا آخر يحدث فى رمضان من أمة محمد ﷺ التى تجتمع فى رمضان تتلو كتاب الله، وكأن جبريل قائم بينها، يردد معها، وكأنها تجلس حول رسول الله ﷺ خاشعة لما تنزل عليه، وكأن الزمان

(٥) علال الفاسى شاعر مغربى نشأ فى مدينة فاس ١٩١٠م – ١٩٧٤م، والنص مأخوذ من كتاب شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث ص ٣٢.

قد جمع بينها، وكأنه يقول إن أمة محمد ما دامت تجتمع حول كتاب الله، فكأنها تجتمع حول من نزل عليه هذا الكتاب، إنه رسولها محمد ﷺ.

أما الشاعرة/ علية الجمار[٦] فإنها تبدأ قصيدتها بعنوان «رمضان» بقولها:

شهر الهدى والتقى والنور والقرآن
شهر به أنعم المولى على الإنسان
شهر الصيام إذا ما جاء يمطرنا
غيث السماح، وبرد الصفح والغفران
والصوم يشفع للإنسان فى غده
يوم الحساب إذا ما حلق الميزان
أيامه أيكة بالظل وارفة
أغصانها البر والإيثار والإحسان
الروح فى نوره ترقى محلقة
فى عالم الطهر والتوحيد والإيمان
أنسامه من رياض الخلد عاطرة
تندى بها نفحات من رضا الرحمن
يأيها الشهر أقبل كن لنا أملا
فى النور والعفو والرضوان يا رمضان [٧]

إن الشاعرة هنا لمست ما يقوم الصيام به من تهذيب للنفوس وترقيق للقلوب، فهو شهر الهدى والتقى والنور والقرآن، وكل هذه آيات تشهد للصوم بالأثر الذى يحدثه لدى الصائمين، ثم إن للصوم دورا آخر يتمثل فيما يتجلى به الله سبحانه وتعالى على الصائمين من غفران ذنوبهم، لأن الصوم لله، وهو يجزى به مصداقاً للحديث القدسى (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به، يترك طعامه وشرابه من أجلى، الصوم لى وأنا أجزى به)[٨].

والصوم له رسالة أخرى، فهو شهر البر والإيثار والإحسان، وقد يقتدى الصائمون فى ذلك برسول الله ﷺ، الذى كان كما يقول عبدالله بن عباس أجود الناس، وكان أجود ما يكون فى رمضان عندما ينزل عليه جبريل، فكان أجود من الريح المرسلة.

أما الشاعر محمد عبدالقادر الفقى [٩] فيلمس عن طريق شعر التفعيلة كثيرا من النفحات الرمضانية فى أسلوب رصين، وأداة راقية، ولغة تأخذ بالألباب، يقول:

تدور المواقيت، تقبل، يخفق فى القلب نور هلالك.

(٦) علية الجمار شاعرة معاصرة من شعراء رابطة الأدب الإسلامى، ولدت فى مدينة طنطا، وكانت تعمل بدرجة مستشار فى قسم التحقيقات بإذاعة جمهورية مصر العربية، وقد أسهمت فى كثير من الأعمال الخيرية الإسلامية، ليس فى مصر وحدها، وظلت كذلك حتى وافتها منيتها فى ربيع سنة ٢٠٠٢م رحمها الله رحمة واسعة.

(٧) ديوان «على أعتاب الرضا» للشاعرة علية الجمار ص٤١ ط ١٩٩٢م

(٨) مسند الإمام أحمد جـ ٢ / ٢٧٣

(٩) الشاعر المهندس محمد عبدالقادر الفقى ولد فى شبين الكوم ١٩٥٣ وهو من شعراء رابطة الأدب الإسلامى العالمية وله إسهامات كثيرة فى مجال الشعر والنقد متعه الله بالصحة والعافية.

تغمرنا بالضياء المبارك

تزدان أفئدة المؤمنين، فتشرق بالفرح السندسى

هو الشهر فيه الملائك فى الأفق تهبط تدنو تظللنا بالدعاء،

ويأتلق الكون بالذكر، والأرض بالطهر

رضوان يشرع أبواب جنات عدن

وريانها يستحث خطى الصائمين إليه

ويهتف فيهم: «هلموا»

إن الشاعر فى هذا الجزء من القصيدة يلمس مجىء شهر رمضان، إن الناس يتطلعون إلى هلاك رمضان الذى يهل عليهم فتغمر المسلمين الصائمين أنوار هلاله، إن الملائكة تنزل فيه تظلل الصائمين بالدعاء لهم بالغفران، إن الكون كله يأتلق بالذكر، وإن الأرض تنعم بالطهر، وإن رضوان يهىء الجنة لهؤلاء الصائمين، وهو يصور أن الجنة كالسفينة لها قائد، ريانها يستحث الصائمين إليه، ويهتف فيهم «أقبلوا أيها الصائمون، إن لكم بابا خاصا بكم، لا يدخل منه غيركم، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ: (إن فى الجنة بابا يسمى الريان لا يدخل منه إلا الصائمون، فإذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه أحد غيرهم)[10].

ويستمر الشاعر فى ذكر ما يقوم به المسلمون فى رمضان من طهر وفضل، وجود وإحسان، حتى يختم قصيدته بذكر بعض الانتصارات العظيمة التى قام بها المسلمون فى رمضان، ويمهد لذلك بذكر موقف الشياطين فى رمضان، وكأن ذلك إيذان بتغلب الإنسان على عدو الله وعدوه، إن الإنسان إن صنع ذلك إنطلق إلى النصر، يقول:

كيف تداح فى أصغريه، وقد صفدت فى السلاسل أزلامها

والطواغيت باءت بخسرانها والجحيم

تجىء.. ولله ملك السموات والأرض

تفتح أبوابنا للشذا العبقرى

تعيد إلينا نهرات عز، وأنهار فخر

فبدر تعانق حطين. مكة للفتح مزدانة

وجبريل فى ليلة القدر ينزل بالذكر هديا يضىء المكان

الزمان، الوجود[11]

أما الشاعر عبداللطيف الجوهرى[12] فقد قال فى قصيدة بعنوان «شهر الجمال والجلال»:

شهر يفيض على الحياة جلالا

ويزين أرجاء الفضاء جمالا

فضل من الرحمن حين قدومه

فإذا النفوس زكية تتعالى

ويروم كل الخلق عذب لقائه

فترى المحبة بينهم أفعالا

(١٠) صحيح البخارى جـ ٣ / ٣٢

(١١) ديوان «ردُّوها علىَّ» للشاعر محمد عبدالقادر الفقى ص٦٢، طبع بمعرفة «البرق» للطباعة

(١٢) الشاعر عبداللطيف الجوهرى من شعراء الإسكندرية وهو عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية وله مؤلفات عدة.

يتسابقون لنيل أسباب التقى

كل يرجى أنعما وكمالا

شهر يجود به الكريم تحية

قد بدد الآلام والإملالا

بالذكر بالقرآن يتلى آيه

وبهديه دك الجنود جبالا

الله أكبر زاد كل مجاهد

فتح الحصون منيعة ومحالا

يستشرفا ريح الشهادة إنها

أمل يلوح تبرجا وجلالا

بسعيه من قام يرقى سعيه

قد فاز بالتقوى وغير حالا[13]

إن الشاعر يأخذ من شهر رمضان حديثا عن تلك الألوان الجمالية التى يضفيها الصيام على المسلمين، فالنفوس فيه زكية طاهرة نقية بعيدة عن اقتراف الآثام، تتعالى على الدنايا، لأنها تنشد رضوان ربها سبحانه وتعالى، حتى إذا صعدت إلى خالقها غمرها بنوره، وعمها بفضله، وفتح لها باب غفرانه.

ولا يفوت الشاعر أن يحدثنا عن مجالس الذكر والقرآن فى شهر رمضان، ذلك الكتاب الذى بهديه انطلق المجاهدون ينشرون كلمة الله، ويزلزلون حصون الأعداء، وكانت «الله أكبر» زاد كل مجاهد عند فتح الحصون، وهو فى هذا يستشرف ريح الشهادة حتى ينال ذلك الفضل الذى أعده الله للمجاهدين والشهداء، فهم أحياء عند ربهم يرزقون.

ولا يفوت الشاعر السكندرى عبداللطيف الجوهرى أن يودع شهر رمضان ببكائية رائعة تدل على مدى الأثر الذى يتركه فينا هذا الشهر الكريم، إنه يقول:

رمضان ولى مسرعا بهلاله

ودموعنا تنهل فى أعقابه

تبكى نداه، وإنعام الكريم به

ولياليا للآئذين ببابه

حتى يقول:

ووداعنا لحبيبنا عهد الوفا

يبقى لنا فيض المنى بصفائه

ومداعبا أحلامنا لرجوعه

دوما أريجاً عاطرا بلقائه

إن الشعر ليقف دائما مع تلك النفحات الربانية التى تقبل علينا مع شهر رمضان، ذلك الشهر الذى تعم أنواره الكون كله، فيحس الصائمون أنهم أشبه بملائكة الله سبحانه وتعالى الذين

﴿ لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم/ ٦)

إن الشعر هو فن الأمة الراقى الذى يسجل أفراحها وأتراحها، والذى هو بحق ديوان العرب حتى قال عنه الرسول ﷺ: (إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة)[14].

(١٣) بدأ تشرق الشمس للشاعر عبداللطيف الجوهرى ص٥٢ نشر مكتبة الآداب.

(١٤) سنن أبى داود جـ ٥ / ٢٧٧، ٢٧٨ برقم ٥٠١١.

مع مفكرينا وأدبائنا الأعلام فى شهر الصيام

للأستاذ الدكتور
محمد فتحى بيومى


احمد شوقى

لرمضان نفحات علوية وأجواء روحية، تؤثر على كيان الإنسان وفكره ووجدانه وعواطفه، ويبلغ التأثير مداه عند أرباب الفكر وحملة الأقلام، من الأدباء والكتاب والشعراء، فنراه يلهم الكثيرين منهم ويحفزهم على الإبداع والفكر والإنتاج، مما يؤدى إلى رواج الفكر والثقافة وازدهارهما بوجه عام، خلال شهر الصيام. وقبل إقامة «معرض القاهرة الدولى للكتاب» كان رمضان، من كل عام، فرصتنا الذهبية لشراء الكتب بأسعار مناسبة، من معارض الكتب التى كانت تقام فيه، وقراءتها فى أيامه ولياليه، التى لم يكن قد لوثها بعد «التليفزيون» المجنون، و«الدش» الطائش المأفون!

وهناك كم هائل من الكتب والمقالات والأشعار والأفكار، التى دارت كلها حول الصيام وشهر رمضان مما يمكن أن نطلق عليه «الأدب الرمضانى» إن جاز هذا التعبير، وسنحاول فى هذه العجالة أن نقلب فى بعض أوراق هذا الأدب.

من نافلة القول أن نؤكد على عبقرية أحمد شوقى الشعرية، فقد كان شاعرا مفلقا، ينطبق عليه قول القائل فى سلفه العظيم المتنبى، من أنه «ملأ الدنيا وشغل الناس»، بيد أن لشوقى أيضا قطعا نثرية لا تقل فى براعة سبكها، وحسن صياغتها عن عيون شعره، فضلا عما تضمنته من تعبيرات سامية، وأفكار عميقة، غير مطروقة، كما «اشتملت على معانى شتى الصور، وأغراض مختلفة الخبر، جليلة الخطر»[1]، وقد ضمنها كتابه النثرى الوحيد «أسواق الذهب». وتمشيا مع الأجواء الروحية

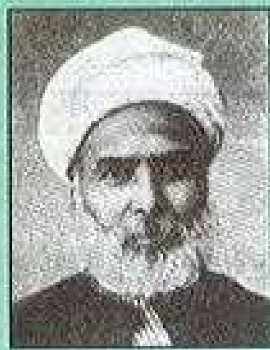
(١) احمد شوقى (١٩٧٠) اسواق الذهب. المكتبة التجارية الكبرى بمصر. ص٥.

لشهر الصيام، نجتزىء من هذا الكتاب قطعة أدبية بلغت الغاية فى البيان، وهى بعنوان: «الصوم»، وعنه يقول شوقى:

«حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع. لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، ويكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وحرم المترف أسباب المتع، عرف الحرمان كيف يقع، والجوع كيف ألمه إذا لذع»[2].

ومن عمق هذه القطعة وصدقها، وحسن سبكها، كان الخطباء -لا يزالون- يستشهدون بها، على أعواد المنابر، كلما أهل علينا رمضان، حتى حفظناها، عن ظهر قلب، ونحن أطفال صغار، وكنا نحسبها- وقتذاك- من مأثور القول مما ينبغى أن يردد فى هذه المناسبة كلما تحين، ذلك أن الخطيب لم يكن عادة يشير إلى قائلها- رحمه الله.

أما الأستاذ الإمام محمد عبده -رحمه الله- فيبين، فى قطعة قصيرة دالة، بعض النواحى التربوية التى يؤصلها رمضان فى نفس المسلم من المراقبة والضمير اليقظ والصبر وضبط النفس، وكلها ضرورى لتمام الإيمان بالله- تعالى- وتعظيمه مما ينعكس على نزاهة المسلم فى الدنيا وسعادته فى الآخرة، كل ذلك فى أسلوب أدبى رفيع، وعبارة تتميز بالسلاسة والوضوح والإيجاز برغم ما تنطوى عليه من معان عميقة، يقول الإمام: «إن أمر الصيام موكول إلى نفس الصائم لا رقيب عليه فيه إلا الله -تعالى- وهو سر بين العبد وربه ولا يشرف عليه أحد غيره -سبحانه وتعالى- فإذا ترك الإنسان شهواته ولذاته التى تعرض له فى عامة الأوقات لمجرد الامتثال لأمر ربه، والخضوع لإرشاد دينه مدة شهر كامل فى السنة، ملاحظا عند عروض كل رغبة له من رغائب النفس أنه لولا اطلاع الله- تعالى- عليه ومراقبته لما صبر عن تناولها وهو فى أشد الشوق إليها، لا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله- تعالى، والحياء منه -سبحانه وتعالى -أن يراه حيث نهاه، وفى هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله -تعالى- والاستغراق فى تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لضبط النفس، ونزاهتها فى الدنيا، ولسعادتها فى الآخرة»[3].


محمد عبده

(٢) المصدر السابق، ص٨٩.

(٣) وردت هذه الكلمة للأستاذ الإمام فى مقال للأستاذ محمود الهجرسى بعنوان: رمضان. منبر الإسلام، ٢٧ (٩)، ١١٣-١١٥.

وهذا أديب العربية والإسلام الأستاذ مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله- يخص فريضة الصيام بمقال ضاف في الجزء الثاني من كتابه الشهير «وحي القلم» بعنوان: «شهر للثورة.. فلسفة الصيام»(٤)، وقد اجتزأنا منه جزءا يدور حول قيمة المساواة التي يضفيها هذا الشهر الكريم على من يصومونه من عامة المسلمين وخاصتهم، وفيه يشير الرافعي إلى ما يحققه هذا الشهر من الاشتراكية الصحيحة. وقد كتب هذا المقال في رمضان من عام ١٣٥٣هـ الموافق لسنة ١٩٣٤م، على ما أوضحه الأستاذ محمد سعيد العريان في كتابه «حياة الرافعي» في الفصل المعنون: «عود على بدء».

يقول الرافعي: «يضطرب الاشتراكيون في أوروبا وقد عجزوا عجز من يحاول تغيير الإنسان بزيادة ونقص في أعصابه، ولايزال مذهبهم في الدنيا مذهب كتب ورسائل، ولو أنهم تدبروا حكمة الصوم في الإسلام، لرأوا هذا الشهر نظاما عمليا من أقوى وأبدع الأنظمة الاشتراكية الصحيحة: فهذا الصوم فقر إجباري تفرضه الشريعة على الناس فرضا ليتساوى الجميع في بواطنهم، سواء منهم من ملك المليون من الدنانير، ومن ملك القرش الواحد، ومن لم يملك شيئا، كما يتساوى الناس جميعا في ذهاب كبريائهم الإنسانية بالصلاة التي يفرضها الإسلام على كل مسلم، وفي ذهاب تفاوتهم الاجتماعي بالحج الذي يفرضه على من استطاع.

فقر إجباري يراد به إشعار النفس الإنسانية بطريقة عملية واضحة كل الوضوح، أن الحياة الصحيحة وراء الحياة لا فيها، وأنها إنما تكون على أتمها حين يتساوى الناس في الشعور لا حين يختلفون، وحين يتعاطفون بإحساس الألم الواحد لا حين يتنازعون بإحساس الأهواء المتعددة. ثم يقول الرافعي: «لو حققت رأيت الناس لا يختلفون في الإنسانية بعقولهم، ولا بأنسابهم، ولا بمراتبهم، ولا بما ملكوا، وإنما يختلفون ببطونهم وأحكام هذه البطون على العقل والعاطفة، فمن البطن نكبة الإنسانية، وهو العقل العملي على الأرض، وإذا اختلف البطن والدماغ في ضرورة مد البطن مده من قوى الهضم فلم يبق ولم يذر.

«ومن هنا يتناوله الصوم بالتهذيب والتأديب والتدريب، ويجعل الناس فيه سواء: ليس لجميعهم إلا شعور واحد وحس واحد وطبيعة واحدة، ويحكم الأمر فيحول بين هذا البطن وبين المادة، ويبالغ في أحكامه فيمسك حواشيه العصبية في الجسم كله يمنعها تغذيتها ولذتها حتى

(٤) مصطفى صادق الرافعي (ب.ت). وحي القلم. الجزء الثاني. دار الكتاب الحديث. القاهرة ص٦٦-٧٢.

لقمة من دخينة(٥)».

ويذكرنا مقال الرافعي بمقال للأستاذ أحمد حسن الزيات -رحمه الله- يدور تقريبا حول نفس الفكرة، من أن صوم رمضان يشيع جوا من المساواة والمشاركة في الشعور والوجدان، يولده الاشتراك في أداء هذه الفريضة. وتبدو في هذه القطعة التي اجتزأناها- على قصرها -بعض خصائص الأسلوب الرفيع للأستاذ الزيات من ازدواج الجمل التي يضفي عليه لونا من الموسيقى، والسجع التلقائي غير المستكره، والتناص، إلى غير ذلك مما يتميز به أسلوبه الندي، وقد جعل عنوان مقاله ذاك: «صوم رمضان اشتراكية روحية»، وبرغم الموجة الدعائية التي سادت تلك الفترة إلا أن الزيات قد تناول الموضوع برؤية مختلفة تماما عما كان يروج له البعض، بطريقة مزرية، لما كان يسمى وقتها بـ«الاشتراكية العربية». وقد نشر المقال في عدد رمضان من مجلة الأزهر لعام ١٣٨١هـ (١٩٦٢)، التي كان يرأس تحريرها الزيات نفسه في ذلك الوقت.

يقول الأستاذ الزيات: «وإذا تدبرت الأركان التي بنى عليها الدين والأحكام التي جاء بها الشرع، تجلت لك من مطاويها ومراميها تلك الاشتراكية التي تؤلف القلوب بألفة الروح، وتجمع الشعوب بجمعة الحب، وتفرض على الواجد معونة الفاقد، وتوجب على الجميع نصرة الواحد، وتجعل من المسلمين جميعا جسما واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما قال الرسول الأعظم. خذ مثالا واحدا من ألف: صوم رمضان. أليس هذا الشهر المبارك مظهر الاشتراك الروحي بين المسلمين في جميع أقطار الأرض؟ يصومون في وقت واحد، ويفطرون في وقت واحد، ويكادون يتفقون على طعام واحد. ثم ينصرفون على اللذات الحسية والنفسية، ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع إلى الله، فيغضوا أبصارهم عن المنكر، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش، ويصموا آذانهم عن اللغو، ويغلوا أيدهم عن الأذى، ويصدوا أهواءهم عن السوء، ثم يسمتون جميعا صائمون ومفطرون سمت الصالحين فيتقون الشبهة، ويصنعون المعروف، ويتقلدون تقاليد رمضان، ثم يشاركون المساكين في طعامهم تكافلا ورحمة، ويؤتون الفقراء من أموالهم تعاطفا وصدقة، ويولمون الولائم لإخوانهم تواصلا ومودة، ويشعرون أن أجسادهم المتفرقة المختلفة يسري فيها روح واحد يصدر عنه هذا الوجود المتحد وهذا الشعور المشترك».

أما أديبنا الكبير الدكتور زكي مبارك -رحمه الله- فقد كتب في مجلة «الرسالة»(٦) بعنوان «هلال شعبان وهلال رمضان»- مما

(٥) الدخينة كلمة وضعها الرافعي للسيجارة، وجمعها دخائن.

(٦) مجلة الرسالة، العدد: ٤٨١، سبتمبر ١٩٤٢.

كان ينشره فى بابه الشهير «الحديث ذو شجون»، ثم وضمنت كتابه الذى نشر بعد وفاته بذات العنوان- وهو هنا يقارن بين هلال شعبان وهلال رمضان، ويؤكد على ضرورة الرؤية الشرعية للهلال لتحديد مطالع الشهور، ولا يفوته التعليق على تحديد أول رمضان اعتمادا على الحساب الفلكى بطريقته الساخرة والمقبولة فى نفس الوقت، حيث يقول: «فى الأشعار التى تقص أخبار الزناتى خليفة وأبى زيد الهلالى يوصف الوجه الجميل بأنه كهلال شعبان، وقد التفت إلي هذا المعني مرات كثيرة فرأيت هلال شعبان يبدو في غاية الإشراق، بصورة تميزه عن باقى الشهور، وتجعله شعبان بلا جدال، فهل يتفضل الفلكيون بتعليل هذه الظاهرة الطبيعية، وقد أدركت الجماهير آثارها منذ أزمان، ودونوها فى أشعارهم الشعبية بدون تفكير فى علتها الأساسية.

أما هلال رمضان فهو فى أغلب أحواله نحيل وينبنى على نحو له أن تراه عيون، ويغم على عيون بحيث يجوز أن يصوم المصريون فى يوم الأحد، ويصوم العراقيون فى يوم الاثنين، والتونسيون فى يوم الثلاثاء كالذى وقع منذ بضع سنين.

فما الحكمة فى نحول هلال رمضان؟

إن راعينا الحساب الذى يجريه الفلكيون فالهلال يولد فى وقت واحد، بلا تفريق بين هذا القطر أو ذاك، وإن راعينا «الرؤية» فهى تختلف فى القطر الواحد وقد صمنا مرة ثم أفطرنا ثم صمنا وكان لذلك حديث بين الشيخ سليم البشرى والسلطان حسين وهذا شاهد على نحول هلال رمضان.

وفى حل هذه المشكلة رأى قوم أن نعتمد على الحساب لا على الرؤية لنتقى شر الخلاف حول بداية الصوم، وهو فى بعض مظاهره من المضحكات. ولكن الحساب فى هذه السنة كان محرجا، فهو يقول بأن هلال رمضان يمكث دقيقة واحدة بعد الغروب ثم يغيب؟

أمن أجل دقيقة واحدة نقطع ما بين الفجر والمغرب صائمين بدون تكليف من الشرع الشريف؟ لا، الرؤية هى الأساس، وهى أيضا الشاهد على أن الإسلام يبنى قواعده على أصول لا تحتمل الشك والافتراء، أصول يستوى فى إدراكها العوام والخواص، وهنا تظهر الحكمة الحقيقية لاشتراط الرؤية فى ثبوت هلال رمضان(٧).

وتذكرنا وجهة نظر الدكتور زكى مبارك هذه، حول وجوب الرؤية الشرعية لهلال رمضان بما ارتآه الأستاذ الرافعى قبل ذلك بسنوات، فى مقاله المشار إليه آنفا حيث يقول: وفى ترائى الهلال ووجوب الصوم لرؤيته معنى دقيق آخر،

(٧) د.زكى مبارك (١٩٨٠) الحديث ذو شجون. الهيئة المصرية للكتاب. ص٢٠٨-٢٠٩.

وهو -مع إثبات رؤية الهلال وإعلانها- إثبات الإرادة وإعلانها، كأنما انبعث أول الشعاع السماوى فى التنبيه الإنسانى العام لفروض الرحمة والإنسانية والبر(٨).

أما مسك الختام، فى هذا المقام فزهرة يانعة من بستان أستاذنا متعدد الجوانب والمواهب والاهتمامات الدكتور محمد رجب البيومى، فهو شاعر مجيد، وكاتب موسوعى من طراز فريد، ومؤرخ للأدب، ومفكر مهموم بقضايا بلده وأمته، وهو إلى جانب كل ذلك أستاذ جامعى له مدرسته وتلاميذه، ثم إنه الآن يتحمل مسئولية هامة فى العمل العام لها ثقلها ووزنها وهى رئاسته لتحرير مجلتنا الغراء العريقة «الأزهر»، والحق أنها فى عهده قد انتقلت نقلة نوعية يمكن أن تسميها بلغة «البيولوجيا» طفرة هائلة، فنشتم منها الآن عبق «رسالة» الزيات وعبير «ثقافة» أحمد أمين، مع احتفاظها بطابعها الإسلامى الرصين- أطال الله فى عمر أستاذنا، ونفعنا بغزير علمه.

يغوص الدكتور البيومى، فى مقالة له بعنوان: «حيوانات تصوم كالإنسان»، إلى المعنى العميق الكامن وراء مقولة «الإسلام دين الفطرة»، فى بحث حول الصيام، ليس فقط كفريضة على الإنسان ولكن أيضا كظاهرة فى عالم الحيوان، مما يقدم دليلا ملحوظا على أن الصوم من متطلبات الكائن الحى حيوانا كان أو إنسانا. ويسوق جملة من الحقائق العلمية، يصوغها فى أسلوب بيانى وعلمى واضح، فيقدم بذلك نموذجا للكتابة العلمية، كما يبرهن على أن اللغة العربية- التى تهاجم الآن فى عقر دارها -تتسع، بطلاقة وسهولة ويسر، للأفكار العلمية العميقة والحديثة، دون أن تتخلى عن فصاحتها وبيانها وحسن سبكها.

يقول الدكتور البيومى: الإسلام دين الفطرة.. وليست الفطرة هنا مقصورة على ما تتجه إليه النفوس بطبيعتها من الأخلاق والعادات والسلوك بل تتعدى ذلك إلى التكوين الجسمى للكائن الحى، حيث راعى الإسلام فى فرائضه ما يناسب وظائف الأعضاء ويعود عليها بالصحة والنشاط، ثم يقول: «ونحن فى باب الحديث عن دين الفطرة فى الصوم نترك هنا جانب الصحة الجسمية للإنسان حيث أسهب فى توضيحه المسهبون لنتحدث عن صوم الحيوان إذ نرى فيه دليلا على أن الصوم من متطلبات الكائن الحى حيوانا كان أو إنسانا، فهو أحد عوامل بقائه حين يأذن الله لحياته أن تطول فيمده بالنشاط

(٨) المصدر السابق رقم ٤، ص٦٩.

ويسلحه بالقوة، ثم هو أيضا بعض عوامل الفناء فى خاتمة الحياة، فالصوم من هذه الناحية أمر طبيعى يوائم التركيب العضوى لكل حى يتنفس ! ومن صلاحه الدائم ألا ينفر من شىء ترحب به طبيعته وتصطفيه».

ثم يفند مغالطات بعض بنى الإنسان بالرجوع إلى بعض الحقائق فى عالم الحيوان، ذلك الذى لا يكذب ولا يتجمل، فهو مفطور على الصدق فى كل آن. يقول الدكتور: «وقد كان الإنسان يرى أنه يقوم بمجهود شاق يتطلب الصبر الدائب حتى يصوم ممتثلا أمر ربه، ولولا ما يسيطر على مشاعره من خوف العقاب، إذا تلكأ فى أداء الفريضة الدينية لأفطر فى غير مبالاة بل إن كثيرا من المسلمين لا يمتثلون الأمر الدينى ولا يحفلون بمحاسبة اليوم الآخر، فتراهم يفطرون فى شهر الصيام هازئين غير مبالين، ولو علموا أن هناك من فصائل الحيوان أنواعا تقدم على الصوم راضية مطمئنة دون أن تفطن إلى فكرة الثواب أو العقاب ودون أن تجد فى الليل وقتا كافيا للتعويض والازدراء بل تقطع الشهور العديد صابرة ممسكة، ولو علموا ذلك لهان عليهم ما يجدونه فى رمضان من ظما مبرح وجوع مؤلم قاس ولقد مضى الوقت الذى اعتبرت فيه الحيوانات آلات مجردة من كل روية كما زعم ديكارت، وأثبت العلم الحديث أن الحيوان يتمتع بما للإنسان من عواطف وأحاسيس حتى جزم العلامة الفزيولوجى الأستاذ «كاتروفاج» بان الإنسان لا يكاد يختلف عن الحيوان إلا فى خاصة التدين، وإذا كان فى رأسه بعض المبالغة فإنه بلا شك ينبىء عن مدى التشابه القريب بين هذين النوعين من المخلوقات ومما لا شك فيه أن الحيوان يحس بلذع الجوع بل يعلم بما يؤدى إليه من عاقبة وخيمة، وقد لوحظ أن أنواعا كثيرة من الحيوانات والطيور كالخيول والكلاب والحمام والقردة تمتنع عن الطعام امتناعا تاما لوفاة عزيز لديها من بنى الحيوان أو الإنسان، وتظل كذلك حتى يدركها الموت منتحرة انتحارا مؤلما، ومع علمها بمغبة الصوم فإنها تقبل عليه مرتاحة راضية، وكأنها تحاول أن تبارى الإنسان فيما يأتى ويدع من الأفعال، وكم يكون غريبا أن تتغلب عليه فى مضمار الصوم العجيب»[9].

والمقال طويل وهام، وحسبنا هنا ما اجتزأناه فى هذا السياق لضيق المساحة، ونحيل القارىء المستزيد إلى مصدره بقائمة المراجع. وإذا كانت المساحة قد ضاقت لديوان النثر، فلنا مع الشعر لقاء آخر إن شاء الله تعالى، وكل عام وأنتم بخير.

(٩) د.محمد رجب البيومى (١٩٨٤). قضايا إسلامية: مناقشات وردود. دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة. مصر. ص١٤٩-١٥٢.

من فوائد الصيام

للأستاذ/ عادل خفاجة

إن من يحاول استقراء مفردات الحياة من حوله، يجد الصوم وسيلة هامة فى حياة كثير من الكائنات للحفاظ على الحياة.

فدودة القز تلتهم الأكل بشراهة ثم تصوم عن الطعام من أجل استكمال دورة حياتها.

وهى فى ذلك ليست مختارة، إنما تفعل ما هداها الله إليه من الصوم والكمون داخل شرنقة ثم الخروج منها فى طور آخر لتضع البيض الذى تخرج منه يرقات لتعيد دورة الحياة.

ولا يشذ عن ذلك إلا دودة أصابها المرض فليس أمامها إلا الموت.

ومن أمثلة صوم الكائنات حولنا ذلك الطور الذى تدخله بعض الكائنات مثل الضفادع وبعض أنواع السمك وهو ما يطلق عليه البيات الشتوى، حيث تضطر إليه هذه الكائنات حفاظاً على حياتها من ظروف بيئية صعبة تودى بحياتها.

ثم هذه الأشجار وقد أتى عليها الخريف فتسقط أوراقها، وتقف العصارة الغذائية عن السريان أليست هى الأخرى فى فترة صيام؟!

فهذه الكائنات جميعها صائمة وهى لا تفعل ذلك عن إرادة واختيار بل تفعله لأن الله هداها السبيل ويسره لها.

ولنتأمل قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾

[النحل: ٦٨، ٦٩]

أما الإنسان فقد ميزه الله - تعالى - بنعمة العقل والاختيار.

قال تعالى:

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

[الإنسان: ٣]

والإنسان بالقياس العقلى يرى أن فى الطعام إبقاء على حياته وبدون الطعام يعرض نفسه للهلاك.. بل هو فى سباق دائم مع نفسه فى محاولة اختيار أفضل وأجود أنواع الأطعمة التى تقيه الأمراض وتعطيه الصحة،

وكم تزداد سعادته إذا علم أن هذا الطعام أو ذاك يزيد حيويته ويحفظ عليه نشاطه، بل يدفعه جموح عقله إلى البحث عن طعام يهبه الحياة الأبدية!! وهو ما نراه في بعض الروايات الخيالية فالإنسان الذى يفضل السير وراء عقله، لا يود أن يخرج عن مألوف عاداته، وبخاصة إذا كان يعيش فى رغد من العيش يتناول طعامه فى أوقات متقاربة ومحددة أملاً فى الحفاظ على أعضائه فى أفضل حال.

وهو يعلم بالقياس العقلى أن تغيير المألوف يتبعه تغيير النتائج.

ولأن الله تعالى يعلم حدود العقل، وحصيلة الإنسان القليلة من العلم، فهو سبحانه وتعالى القائل:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[الإسراء: ٨٥]

فلم يشأ سبحانه وتعالى أن يترك الإنسان يتخبط فيما يمليه عليه عقله المحدود فيقوده إلى الهاوية وإلى الإضرار بنفسه من حيث يريد صلاحها فأرشده جل شأنه إلى ضرورة الصوم.

فأما من آمن بالله فقد هدى إلى الصراط المستقيم، فصام عن قناعة لأنه يعلم أن الله غنى عن العالمين وأن كل ما يأمر اللهُ به إنما مداره مصلحة العباد، وأنه جل شأنه لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين.

وأما من ضلَّ فلا يرى من الصوم غير الحرمان فيتساءل عن السبب فى فرض هذا الحرمان، لا يرى له حكمة ولا فائدة مهما كانت فوائده بازغة ساطعة كالشمس.

ولقد كتب الله على الأمة الإسلامية الصيام كما كتبه على الأمم من قبلها ومن يتأمل النص القرآنى فى فرض الصيام يجد أن علته تحصيل التقوى وهى فائدة أى فائدة.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[البقرة: ١٨٣]

كما يجد فى السنة المطهرة ما ينفى تماما أن يكون الهدف من الصوم الحرمان أو المنع من الطعام والشراب فهذا حديثه ﷺ يقول: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجةُ فى أن يدع طعامه وشرابه»(١)

أى أن الهدف من وراء الصوم ترك قول الزور والعمل به، وهذا يؤدى إلى تقوى الله ويقول ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»(٢).

(١) البخارى / كتاب الصوم/ باب من لم يدع قول الزور.

(٢) سنن ابن ماجة/ كتاب الصيام/ ما جاء فى الغيبة.

وترك قول الزور والعمل به وترك الفحشاء والمنكر من الفعل والقول إنما يكون خوفاً من الله، وهل التقوى إلا الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل بالأعمال الصالحة والصبر على الشدائد؟!

والصوم يدرب المسلم ويعلمه الأخذ بهذا كله فالامتناع عن الأكل والشرب والشهوة لأجل الله فى هذا الوقت المخصوص إنما أساسه الخوف من الله فليس فى طاقة أحد مراقبة الصائم وإنما الرقيب هو الله.

فمن كان صومه مخافة الله كان ذلك برهاناً على إيمانه بالله والتسليم له سبحانه وتعالى فيتعلم من صومه كيف يكون الإخلاص فى العمل ومن كان اعتقاده أن الله يراقبه ويعلم ما يعلن وما يخفى أكسبه اعتقاده الحرص على العمل الصالح أملاً فى حسن الثواب.

فإذا خرج الإنسان من صومه وقد ازداد خوفه من الله فقد أثمر الصوم فى قلبه التقوى ويكون قد جنى ثمرة الصوم.

وللصوم ثمرته فى الدنيا حيث يخرج الصائم أخف وزناً وأكثر نشاطاً، أخف وزناً لما فقده من شحوم زائدة تضر أكثر مما تفيد، وأكثر نشاطاً بعد أن اعتاد على أداء صلوات أكثر كقيام الليل والتهجد.

وأما ثمرته فى الآخر فيكفى قول الحق تبارك وتعالى: «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلا الصيام هو لى وأنا أجزى به». (٣)

فقد أضافه المولى جل وعلا إلى ذاته العلية ليؤكد على عظم فضل الصوم وليكون ذلك دفعاً للعباد وحثاً لهم وتشجيعاً على الصوم فإنه سبحانه وتعالى يتولى بنفسه جزاء الصائمين وهو ما يدل على أن الجزاء سيأتى على قدر المنعم ويكفى دليلاً على ذلك أن يكون فى الجنة باب خاص لا يدخله إلا الصائمين ففى الحديث الشريف «إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة يقال أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد» (٤).

«وهذا واضح فى أن جزاء الصوم لا يقف عند حد وثوابه يتجاوز معايير الحساب والتقدير، فإنه من أعظم دلائل الاخلاص وأقوى مظاهر الجلد والصبر (٥) وقد قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[الزمر: ١٠]

ويقول رسول الله ﷺ: «والذى نفس

(٣) مسند الإمام أحمد/ باقى مسند المكثرين/ حديث ١٠١٣٦.

(٤) صحيح البخارى/ الصوم/ باب الريان للصائمين/حديث ١٧٦٢.

(٥) الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق: صوم رمضان/الافتتاحية عدد رمضان ١٣٧٦هـ.

محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (٦).

وخلوف فم الصائم هو ما يكون من تغير رائحة الفم من أثر الصوم وترك الأكل.

«وهذا من أقوى الشواهد على فضل الصوم وما له من الآثار الطيبة وحميد العاقبة، حتى إن ما يستكره عادة وطبيعة من تغير رائحة الفم هو عند الله أطيب وأفضل وأحسن عاقبة للصائم مما يستطيبه الناس من رائحة المسك» (٧)

والصوم من أفضل العبادات، ويكفى أنه يمنح المؤمن فرحتين: فرحة فى الدنيا وفرحة فى الآخرة.

لقول النبي ﷺ: للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه. (٨)

ففرحته عند فطره أن الله وفقه حتى أتم صومه، فانتهى عما نهاه الله عنه ثم هو يأكل حيث أمره الله.

ففرحته أن الله يجده حيث أمره، ويفتقده حيث نهاه.

«والصوم خير مرب للإنسان على فضائل الصراحة والإخلاص فى العمل، وعلى الجد والحزم وقوة العزم وهذه الفضائل هى معدن الخير كله، وأصل المحامد جميعها فإن من يضبط نفسه ويمسكها طوال النهار عما اعتادته من الأكل والشرب وعما تشتهيه من المتاع الذى أحله الله فى غير أوقات الصوم، امتثالاً لأمر الله فإنه من غير شك يكون قويا على منعها عن الحرام» (٩).

والصيام يعلم الصائم مداومة قراءة القرآن الكريم وقيام الليل والدعاء عند الإفطار ومواصلة ذكر الله فى كافة الأوقات والصبر وضبط النفس والجود والابتعاد عن الشح والطاعة والإخلاص.

ويلزم الصائم أن يتخلق بجميل الصفات وأن يظهر عليه فضل وأثر الصيام فعليه أن يعلم أن الصوم يشمل صوم الجوارح وعليه أن يلتزم الوقار والسكينة.

فإن شتمه أحد فليقل «إنى صائم» كما علمنا رسول الله ﷺ فلا يكون يوم صومه ويوم فطره سواء.

والمتأمل للأيام التى يستحب صيامها وتلك التى جاء النهى عن صومها يعلم وسطية الإسلام وحرصه على عدم تطرف متبعيه.

فصيام يوم عرفة مندوب لقول النبى ﷺ وقد سئل عن صيام يوم عرفة ـ: أحتسب

(٦) البخارى/الصوم/باب هل يقول إنى صائم إذا شتم.

(٧) الشيخ عبد الرحمن تاج: صوم رمضان/الفتاحية عدد رمضان ١٣٧٦هـ.

(٨) البخارى الموضع السابق.

(٩) عبد الرحمن تاج الموضع السابق.

على الله ان يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده» (١٠)

«وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه أفطر يوم عرفة وصح عنه أن صيامه يكفر سنتين. (١١)

فـفطر يوم عرفة للحاج أولى حتى لا يضعف عن الدعاء والذكر لما فى صوم ذلك اليوم من جمع لمشقة الصوم إلى مشقة الحج.

فالإسلام دين يبحث عن التيسير وينأى بمعتنقيه عن المشقة الزائدة لذلك نجده صلى الله عليه وسلم ينهى عن الوصال فى الصوم وهو ان يجمع الصائم يومين أو أكثر دون أن يفطر، كما نهى ﷺ عن صوم الدهر وهو أن يصوم الإنسان العام كله فقال ﷺ «لا صام من صام الأبد» (١٢)

ومن يسر التشريع الإسلامي ما ورد عن رسول الله ﷺ فى شأن الصوم فى السفر، «فقد تظاهرت الأخبار عنه ﷺ انه سئل عن الصوم فى السفر فكان يقول: «إن شئت فصم، وان شئت فأفطر» (١٣).

وجمهور المسلمين على هذا، فهو رخصة لا عزيمة». (١٤)

فإذا علمنا ان هناك أناس يتعبهم الإفطار فى السفر كما أنه يوجد من يتعبهم الصوم فى السفر، علمنا حكمة ويسر هذا الدين الحنيف.

«وليس المراد باليسر ما كان سهلاً على الإطلاق فإنه لا يوجد تكليف لا مشقة فيه، سواء كان التكليف عزيمة أم رخصة، بل المراد منه ما لا يكون فيه جهد مقلق للنفس مشوش عليها، ومشقة تخرج عن العادة المستمرة» (١٥)

ولعل ذلك يبدو أكثر وضوحاً فى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

[البقرة: ١٨٥]

وفقنا الله جميعاً إلى صوم مقبول وعمل متقبل انه ربنا نعم المولى ونعم المجيب.

***

(١٠) رواه مسلم/ الصيام/ حديث رقم ١٩٧٦.

(١١) تعليقات الحافظ ابن قيم الجوزية/ على حديث «ان الناس تماروا عندها يوم عرفة فى صوم رسول الله» ـ حديث رقم ٢٠٨٥

(١٢) متفق عليه

(١٣) البخارى/ كتاب الصوم/ الصوم فى للسفر والافطار حديث ١٨٠٧

(١٤) فضيلة الشيخ المراغي: الدروس الدينية ـ مجلة الأزهر المجلد التاسع ص ٦٥٤

(١٥) فضيلة الشيخ المراغي: الدروس الدينية. المرجع السابق ص ٦٥٩

يوم (١٧) رمضان

يَومُ بَدْر

للشاعر الكبير الأستاذ ابراهيم محمد نجا
من كبار أساتذة التربية والتعليم

سوف تبقى على مدى الأيام ** شرعة الخير.. شرعة الإسلام
أنت بعث من البلى، وشفاء ** لصدور مليئة بالسقام
وهدى يمحق الضلال، ونور ** سرمدى يشق قلب الظلام
وصعود إلى العُلا، وسمو ** عن حياة الشرور والآثام

**

يارعاك التاريخ يايوم بدر ** أنت فى الدهر غرة الأيام
أنت معنى الكفاح فى الحقْ، لا فى ** باطل موهوه بالأوهام
أنت بدر وافى الظلام، فولتْ ** من سناه كتائب الإظلام
إنما أنت يقظة بعد نوم ** وصفاء فى الأفق بعد قتام
إنما أنت قوة بعد ضعف ** وحياة من بعد موت زؤام
إنما أنت عودة النور والآ ** مال، بعد الظلام والآلام
فيك أصغى الزمان، والتفت الده ** رإلى ساحة الوغى والصدام
حيث جند الضلال قد جاء يبغى ** نصرة الشرك بالقنا والسهام
والنبى الكريم بين صحاب ** كل فرد كالصارم الصمصام

لم يروا فى الحياة إلا حطاما ** فاشتروا دينهم بهذا الحطام
كبُروا ثم أرقلوا بقلوب ** ونفوس إلى الحمام ظوامى
وتلاقى الجمعان أى تلاقٍ ** أرأيت الأسود فى الآجام؟
فتعالى الغبار، وانعقد العثـ ** ـير فوق الرءوس مثل الغمام
لو رأيت السيوف تلمع فيه ** خلْت نارا تطايرت فى قتام
وأمد الله النبى بجيش ** من جنود مسوّمين كرام
لم ير المشركون غير سيوف ** تتهاوى بالهام بعد الهام
عن يمين وعن شمال ضراب ** وطعان من خلفهم والأمام
ففريق على الرمال صريع ** وفريق تساق كالأغنام
وفرق مشردون حيارى ** فى فجاج الصحراء مثل النعام
قنعوا بالهوان والذل عقبى ** ورضوا بالنكوص والإحجام
هدُ ركن الضلال، وانصدع الشر ** ك، وباءت فلوله بانهزام
واستفاض الرشادُ وانقشع البغـ ** ـى، ودالت عبادة الأصنام
واستقام الإسلام حصنا قويا ** ثابت الركن، مستقر الدعام
ومضى يفتح الممالك باسم اللـ ** ـه، لا باسم سلطة وانتقام
أينما سار فالحياة رخاء ** فى سلام، وعزة فى وئام

**

يالقومى مما أرى فى زمان ** حائر الخطو ما له من زمام
لا أرى فيه للهدى من سبيل ** لا، ولا للرشاد من أعلام
قد بغى أهله كآساد ضوار ** هيجتها الرعود فى الآكام
وأحالوا الحياة حربا ضروسا ** طال فيها تناحر الأقوام
تلك حرب الضلال... سيان فيها ** -لو علمنا- مهاجم ومحام
أرهقتنا إلا بارك الله فى جنـ ** ـد، ولا قادة، ولا حكام

نحن لم نشعل الضرام... لعمري ** كيف نكوى بنار هذا الضرام؟
زعموها قد أطفئت، ولظاها ** لم يزل يستكن تحت الحطام!
قد أضرت بنا سنون عجاف ** صيرتنا خطوبها كالحطام
قلق دائم، وهم مقيم ** وغلاء فى ملبس وطعام
قد شكونا لهم بقلب حزين ** وبكينا لهم بجفن دام
وانتظرنا، فما أفادت شكاة ** لا، ولا أجدت الدموع الهوامى
ورجونا الغيث الكثير، ولكن ** قد رجوناه من سحاب جهام
ورأينا الأحكام تترى، ولكن ** أين تنفيذ هذه الأحكام
تلك فوضى قد أحدثوها، ولكن ** ألبسوها زورا لبوس النظام
ضاق صدرى بما أحس، ولكن ** فى فمى الماء يا أولى الأفهام

**

يالقومى! لقد تغير قومى ** ورماهم زمانهم باصطلام
غيروا قوة بضعف! وعزاً ** بهوان! وصحة بسقام
واستعزوا بغيرهم، فقضى «الغير» علیهم بالعسف والإرغام
ورماهم من شره بدواه ** قاتلات... شلت يمين الرامى
فأقاموا على الهوان، وساروا ** فى طريق الحياة كالأيتام
ونسوا مجدهم، وكان حياة ** وضياء، بعد الردى والظلام
أين مجد الإسلام ضخما عريضا؟ ** أين بنيانه المتين السامى؟
لا تقولوا مضى إلى غير رجعى ** لا، ولا تسمعوا لقول النيام
وأعيدوا ذكراه فى كل يوم ** فقليل ذكراه فى كل عام
واستعيدوه مثلما كان صرحا ** محكم الخلق أيما إحكام
ودعوا اليأس والتعلل بالوهـ ** ـم، ولا تركنوا إلى الأحلام
أتريدون عزكم بالتمنى؟! ** أتريدون مجدكم بالكلام؟!

تعست أمة تحاول بالقو ** ل بلوغ المنى، ونيل المرام
إنما منطق الضعيف ضعيف ** وكلام القوى حد الحسام
فاتركوا الضعف، وارفعوا الذل عنكم ** واهجروا الآن مضجع النوام
واعملوا، إنما الحياة كفاح ** وجهاد فى ساحة الأيام
وامسحوا عنكم الفتور، وبثوا ** فى النفوس الرقى، وفى الأجسام
انزعوا اليأس، حطموا الخوف، هبوا ** هبة الأسد روعت فى الموامى
واهزؤوا بالخطوب إن عبس الدهـ ** ـر، ولا تعبؤوا بكيد الخصام
واحملوا مشعل الهداة، وسيروا ** فى طريق الحياة نحو الأمام
وليكن حكمكم بما حكم اللـ ** ـه، ودستوركم هدى الإسلام

**

سوف نبنى صرح السلام مكينا ** مستقرا... والويل للهدام
سوف نحمى الأخلاق من نزوة الشر ** (م) وبغى الهوى، وجهل الطغام
ونعيد الحياة روضا جميلا ** يتغنى بزهره البسام
لثمر يانع، ودوح ندى ** وارف الظل، ريق الأنسام
ونضم القلوب بعد انفصام ** ونلم الصفوف بعد انقسام
ونعيد المجد القديم كما كا ** ن، وأنف الطغيان تحت الرغام
ولنا الدين غاية وطريق ** وإمام... أنعم به من إمام
ولنا الله... ناصر ومعين ** وهو نعم النصير، نعم الحامى

***

﴿ فَسْئَلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين

اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر- المقيد برقم ٢١٠٧ لسنة ٢٠٠٤م المتضمن لبعض الأسئلة وهى:

لا صيام عن العاجز
والصلاة لا يجوز قضاؤها عن الميت

من (أ.ش.ت):

● توفى والدى وله من العمر خمسة وثمانون عاما وخلال السنوات الخمس الأخيرة لم يستطع أبى الصوم والصلاة. فهل نتطوع أنا وأخواتى بصيام السنوات الخمس بدلاً منه وكذلك الصلاة؟

●● الجواب:

شرع الله -تبارك وتعالى- الصيام وجعله فرضا وركنا من أركان الدين الحنيف قال -تبارك وتعالى-:

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

[البقرة ١٨٥]

ورخص الحق -تبارك وتعالى- لأصحاب الأعذار فى الفطر حتى إذا انتهت أعذارهم فعليهم القضاء قال -سبحانه وتعالى-:

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾

[البقرة ١٨٥]

وقال عن الشيخ الكبير الذى لا يطيق الصيام:

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
على جمعة
مفتى جمهورية مصر العربية

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾

[البقرة ١٨٤]

وهذه الآية محكمة كما قال ابن عباس -رضى الله عنهما- وهى فى حق الكبير الذى لا يطيق الصيام فعليه الفدية، وقد روى عنه أنه قال: «رخص للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه» [رواه البيهقى والحاكم وصححاه].

وقد اتفق الفقهاء على أن الشيخ الكبير إذا تكلف الصوم فصام فى رمضان فلا فدية عليه، واتفقوا كذلك على أن الشيخ الكبير الذى يجهده الصوم ويشق عليه مشقة شديدة أن يفطر فى رمضان، فإذا أفطر فعليه فدية وجوبا عند الحنفية والحنابلة والأصح عند الشافعية، لقول الله -تبارك وتعالى-:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

[الحج: ٧٨]

وقوله -عز وجل-:

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾

[البقرة ١٨٤]

وقال سيدنا أبوهريرة -رضى الله تعالى عنه-: «من أدركه الكبر فلم يستطع صيام رمضان فعليه لكل يوم مد من قمح».

وذهب المالكية ومكحول وأبوثور وربيعة وابن المنذر وهو مقابل الأصح عند الشافعية إلى أنه لا تجب عليه الفدية لأنه سقط عنه فرض الصوم لعجزه فلم تجب عليه كالصبى والمجنون وكالمريض الذى ترك الصيام لمرض اتصل به الموت، إلا أن المالكية يرون أنه يندب له إعطاء الفدية.

● وعلى ضوء ما سبق: فإن الشيخ الكبير الذى ترك الصيام فى السنوات الخمس الأخيرة من عمره لعجزه وعدم

قدرته على الصوم ليس لأوليائه أن يصوموا عنه بل يجب عليهم أن يخرجوا عن الأيام التى ترك صيامها فدية عن كل يوم بمقدار ما يطعم المسكين وجبتين ويجوز إخراجها نقدا فهو أنفع للفقير والمسكين وقيمتها ما يساوى سبعة جنيهات عن كل يوم.

أما بالنسبة للصلاة فلا يجوز قضاؤها عن الميت لأنه لا عذر فى تركها مطلقا ولأنها عبادة بدنية لا تقبل الإنابة فى أدائها.

***

أهل الجنة وأهل النار

من القارئ (م. ن)

● قال الله -تعالى-:

﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾

[الأعراف ٤٤]

وفى آية أخرى:

﴿ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴾

[الأنبياء ١٠٠]

فكيف يتحدث أهل الجنة مع أهل النار وهم لا يسمعون فى الآية الثانية؟

●● الجواب:

القرآن الكريم كتاب الله المحكم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما قال -تعالى-:

﴿ وإنه لكتاب عزيز (٤١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾

[فصلت: ٤١ - ٤٢]

وقال تعالى:

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾

[النساء: ٨٢]

وإثبات السماع لأهل النار فى موضع ونفيه عنهم فى موضع آخر محمول على اختلاف الأحوال التى يمر بها أهل النار، فتارة يحشرون صما كما يحشرون عميا زيادة فى عذابهم كما قال -تعالى-:

﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ﴾

[الإسراء: ٩٧]

وتارة يسمعهم الله -تعالى- نداء أهل الجنة ويمكنهم من إجابتهم، وتارة يجعلون فى توابيت من نار، والتوابيت فى توابيت أخر -كما قال ابن مسعود -رضى الله عنه- فلذلك لا يسمعون شيئا.

وهو محمول أيضا على أنهم لا يسمعون ما ينفعهم وإنما يسمعون أصوات المعذبين أو كلام من يتولى تعذيبهم من الملائكة، هذا إن حمل الضمير فى قوله:

﴿ وهم لا يسمعون ﴾ (الأنفال / ٢١)

على أهل النار، أما إن كان راجعا إلى المعبودين -على ما قاله أبو مسلم الأصفهانى- فلا إشكال ويكون المراد أنهم لا يسمعون صراخهم وشكواهم سماع إغاثة ونصرة -على حد قول القائل: «سمع الله لمن حمده» أى أجاب الله دعاءه -كما وصفهم الله -تعالى- بذلك فى الدنيا فى قوله -تعالى-:

﴿ ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون (٥) وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾

[الأحقاف: ٥ - ٦]

***

صلاة الغائب

● أرجو الإفادة عن رأى الدين والفقه الإسلامى الصحيح عن صلاة الغائب، وهل يجوز أن تقام عقب صلاة الجمعة دائما بجماهير المصلين؟

●● **الجواب:** صلاة الغائب هى الصلاة على ميت غائب عن المكان الذى يصلى عليه فيه وجاء فى صحيحى البخارى ومسلم عن جابر -رضى الله عنه- أن النبى ﷺ صلى على أصحمة النجاشى فكبر عليه أربعا وفى لفظ قال: «توفى اليوم رجل صالح من الحبش فهلموا فصلوا عليه» فصففنا خلفه، فصلى رسول الله ﷺ ونحن صفوف، [متفق عليه] إلى غير ذلك من الأحاديث التى تدل على مشروعية الصلاة على الغائب عن البلد، قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى: «وبذلك قال الشافعى وأحمد وجمهور السلف حتى قال ابن حزم: لم يأت عن أحد من الصحابة منعه، وقال الإمام الشافعى -رضى الله عنه-: الصلاة على الميت دعاء له فكيف لا يدعى له وهو غائب أو فى القبر» اهـ. ومذهب الحنفية والمالكية وحكاه فى البحر عن العترة أنها لا تشرع الصلاة على الغائب مطلقا. قال الحافظ فى الفتح: «وعن بعض أهل العلم: إنما يجوز ذلك فى اليوم الذى يموت فيه أو ما قرب منه لا إذا طالت المدة حكاه ابن عبدالبر، وقال ابن حبان: إنما يجوز ذلك لمن كان فى جهة القبلة، قال المحب الطبرى: لم أر ذلك لغيره» [اهـ].

وعلى ضوء ما تقدم فإنه تجوز صلاة الغائب فى أى وقت جماعة وفرادى، سواء كانت صلاتها عقب صلاة الجمعة أو غيرها دائمة كانت أو غير دائمة.

***

كاتب وكتاب

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر السابق ورئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف العديد من المقالات التى تناول فيها الرد على أباطيل المبطلين وأراجيف المرجفين ضد الإسلام الحنيف، فكانت ردوده من موقعه خير مرجع للمفكرين ولأبنائنا الشباب الذين تنقصهم مثل هذه المعلومات فى صورتها الموثقة.

وكعادة كبار الكتاب جاءت استجابة فضيلة الشيخ لرغبات القراء لجمع هذه المقالات فى كتاب، ولما كانت المقالات التى كتبها فضيلته من الوفرة بمكان فقد قام فضيلته بجمع ما اتفقت له وحدة موضوعية وجعل منها الجزء الأول من هذا الكتاب القيم بعنوان «روح وريحان». يقع الكتاب فى ثلاثمائة وخمسين صفحة من القطع الكبير، طبع دار السعادة.

وقد حظى الكتاب بتقديم رائع لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى، نقدمه للقارىء بياناً لما احتواه الكتاب من فكر جيد طيب ومفيد.

قدِّر للأستاذ الكبير الشيخ / فوزى فاضل الزفزاف أن يقوم بزيارة كثير من دول العالم شرقية وغربية، لأن طبيعة عمله فى الأزهر جُلَّ مدة خدمته ومسئوليته عن نشاط الأزهر الإسلامى والثقافى الخارجى، ثم رئاسته للجنة الحوار بين الأديان السماوية بعد ذلك، فرضت عليه أن يلم بشئون المجتمع الإسلامى فى العالم، وأن يحاور كثيراً من شباب الأوروبيين، مسلمين وغير مسلمين، فى أكثر ما يبدونه من آراء تتعلق بتعاليم الإسلام وشريعته، وأن يقف على مدى إلمامهم بالصحيح الموثوق به من مبادىء هذا الدين الحنيف، وقد هاله أن يعرف أن أكثر مبادىء وتعاليم الدين الإسلامى مجهولة لدى الجمهرة من هؤلاء، بل إن أراجيف كثيرة نسبت إلى الإسلام افتراء وبغياً، ونشرت فى كتب تبشيرية تحرف الكلم عن مواضعه، وهى لدى الشباب الأوروبى معلومات صحيحة مسلمة، لأنهم لا يعرفون وجه الحق فيما يقرءون ويسجلون، ولهم عذرهم إذا خفى عليهم الصواب وغابت عنهم الحقيقة لأنهم لم يقرءوا إلا ذلك، ولم يجدوا من يدلهم إلى الصواب والحقيقة.

وليس الأمر قاصراً على الشباب الأوروبى وحده، بل إن فى شباب المسلمين عرباً وغير غير عرب ممن لم يقرءوا شيئا ذا بال عن مبادىء الإسلام وتعاليمه، واستمعوا إلى الأراجيف الباطلة عنه دون أن يقدروا على دحضها، وتلك المأساة حقا.

إن المجلات الإسلامية والصحف الدينيه بمصر والعالم العربى، لم تقصر فى إيضاح الحقائق، بل نشرت من المقالات والخطب والأحاديث ما يكفى لإقناع من يريد الاهتداء إلى الحق، غير أن اختلاط الأوراق الصحيح منها والسقيم قد حال دون الاهتداء إلى الصراط المستقيم، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الاستجابة إلى صحف الإغراء - وما أكثرها - قد صرفت بعض الغافلين عن الاهتمام بما يقال عن حقائق الدين الإسلامى وتعاليمه وآدابه وأخلاقه ومنهجه فى التربية والسلوك والدعوة.

لذلك رأى فضيلة الأستاذ فوزى الزفزاف أن يقدم للشبيبة وللكبار فصولا ميسرة عن مبادئ الإسلام، وتاريخه، وتعاليمه، وأحكامه، وسير رجاله وأعلامه.. وجعل ينشرها تباعاً فى الصحف والمجلات الإسلامية وفى طليعتها «صوت الأزهر»، ومجلة «الأزهر»، ومجلة «منبر الإسلام» فصادفت قبول القراء، ونزلت من نفوسهم منزلاً كبيراً، وطالب كثير من قارئيها أن تجمع فى كتاب خاص لتكون سهلة الحصول بالاطلاع عليها، وقد قرأت كثيراً من هذه الفصول عند صدورها قبل أن يستجيب المؤلف إلى جمعها، فشاهدت من وضوح الفكرة، وإصابة الهدف، وسهولة الأسلوب، وموالاة البحث الدائب. ما جعلنى أرتاح إليها كل الارتياح. وإذا كانت شواغل الحياة قد صرفت القراء عن متابعة الفصول الجادة، وألهتهم إلهاء يكاد يكون تاما عن دراسة العلم، وقراءة أمهات كتب التراث الإسلامى، فقد وفِّق المؤلف فى أن يتحدث فى مطلع كتابه عن فضل العلم

والعلماء فى أكثر من عشر مقالات أيدها بالدليل نقلاً وعملاً، وبالشواهد من تاريخ العلماء، وكيف كانوا أحرص الناس على تلقى العلم وعلى إذاعته فى المساجد والمحافل العامة، ثم كيف جزاهم الله أحسن الجزاء فى الدنيا فبلغوا من رفعة المنزلة وتقدير العامة ما لم يبلغه أعالى القوم من الحكام والوزراء.. حتى كانت مجالسهم معمورة بذوى الفضل من العقلاء، وكان الناس يحوطونهم فى سيرهم بالتبجيل والإجلال، لأنهم هداة الأنام، ومصابيح الظلام...

هذا عن العامة أما عن الخاصة فقد كتب الأستاذ الزفزاف عدة مقالات جيدة تحت عنوان: «منزلة العلماء عند الخلفاء والأمراء» أوضح فيها هذه المكانة الرفيعة التى حظى بها القوم حيث كانوا كما يقول أمير الشعراء أحمد شوقى عن علماء الأزهر الشريف:

كانوا أجلَّ من الملوك جلالة
وأعز سلطانا وأبهى مظهراً
من كل بحر فى الشريعة زاخر
ويريكه الخلق العظيم غضنفراً

وإذا كان مما لاحظه الأستاذ الزفزاف فى حواره مع الشباب والكبار فى الغرب جهلهم الشديد بحرية الفكر فى الإسلام، واعتقادهم الخاطئ بأن المسلمين لا يرحبون باستعمال الفكر والنظر، فإن ذلك قد دعاه إلى كتابة مقالات هامة وقيمة عن دعوة الإسلام إلى النظر والتفكير فى ملكوت الله، وما أبدع الخالق فى إنشاء الكون، فأتى بالأدلة من الكتاب والسنة، ومن أقوال زعماء الفكر الإسلامى منذ أشرق نور الإسلام على الناس إلى اليوم، أقول: قد أوضح الأستاذ فى هذه الفصول بما يقضى على الافتراء الكاذب الذى أرجف به الخصوم بغياً وعدواناً، وهم يكنون فى أطوائهم الدفينة أنهم يفترون الكذب آثمين.


فوزى الزفزاف

وقد سبق هذه الفصول حديث شائق عن الحكمة فى مقالين فكان ذلك تمهيداً طيباً للحديث عن النظر والتفكير فى خلق الله، وليس بعد ذلك ما يدعو إلى ترديد الافتراءات المنحرفة بعد أن وضح اليقين.

وإذا كانت تربية النشء الإسلامى من أهم أهداف المؤلف الداعية فقد اختار لهذه التربية ناحيتين هامتين:

أما الناحية الأولى: فإحياء الضمير المسلم بتوجيهه إلى مراقبة الأعمال، والحذر من عقاب الله، لذلك خص الحديث عن الخوف من الله تعالى ـ وثمرته فى الحياة بخمس مقالات تفيض بالنصوص الشافية من كتاب الله وسنة رسوله، كما أعقب ذلك بحديث عن الموت وما يتبعه من ثواب وعقاب!! فإذا اتخذ القارئ من هذين البابين موضع العبرة البالغة فإنه سيحاذر كل الحذر أن يقارف ما يغضب الله، وسيجتهد أن

يكون تصور الموت نصب عينيه، فهو من هذه الخواطر فى حرز واق من الآثام، وتلك منزلة لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم...

أما الناحية الثانية: من عوامل التربية الإسلامية: فهى دراسة التاريخ الإسلامى فى أزهى عصوره منذ أشرق نوره الساطع على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وقد اختار المؤلف من صفحات هذا التاريخ ما يمتع ويشبع، فتحدث عن بعض الخوالد من مواقف رسول الله ﷺ مثل: عفوه صلى الله عليه وسلم عن كفار قريش بعد أن نابذوه العداء، وعفوه عمن تآمر عليه وأراد اغتياله فطاش سهمه، ومثل زهده البالغ فى طيبات الحياة مع أنها طوع يديه وملك يمينه.. أما صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اختار منهم بعض من أخلصوا لله فرضى عنهم ورضوا عنه مثل: عمر بن الخطاب الذى خصه بأكثر من مقال، ومثل سلمان الفارسى وبلال بن رباح؛ وإذا كان عمر بن عبدالعزيز يعد خامس الخلفاء الراشدين عند قوم فقد خصه بحديث يكشف عن معدنه الأصيل، وفى حياة هؤلاء تربية خلقية تعطى المثال الواقعى صريحاً دون غموض.

كما يتصل بذلك ما تحدث به المؤلف عن اختيار السلطان لأهل عمله، وعن الخوف من الولاية، وعن ورع الولاة والرفق بالرعية، والحرص على إقامة العدل، وأداء الأمانة.. وتلك دروس خلقية تعطى مضمونها الصريح لمن ألقى السمع وهو شهيد.

ولابد من الإشادة بما سطره المؤلف عن ركائز الحكم الإسلامى التى ينهض بها مؤدياً رسالته فى إسعاد البشرية ومن هذه الركائز: الحرية، والمساواة، والشورى، والعدالة، والرجوع إلى الأمة فى إختيار من يصلح لتولى أمور الرعية.

وتلك أمور شغلت الباحثين ولازالت تشغلهم فى كثير مما يكتبون. وقد أحسن المؤلف بسطها فى وضوح وسهولة لتصل إلى القارىء بعيداً عن مصطلحات الفقهاء ومداخلات القانونيين، وهى من القوة بحيث تفرض نفسها دون لجاج.

على أنى لم أحظ بجميع ما فى الكتاب من أبواب، بل اكتفيت بالإشارة إلى بعض دون بعض، وعلى القارىء أن يستقصى جميع الأبواب ليخرج بثمرة دانية القطوف دون إرهاق.

وقبل أن أختم الكتاب أشير إلى ما كتبه المؤلف تحت عنوان: ((الوحدة الإسلامية ضرورة حتمية)) فى مقالين. لأن هذا الموضوع يحدد العلاج الحاسم لتشرذم العالم الإسلامى اليوم، وتفكك أوصاله على نحو يدعو للأسف والالتياع، وهو موضوع يجب أن يتناوله أصحاب الأقلام فى إصرار وتكرار، لأن هذه الوحدة هى طوق النجاة فى زمن اجتمع فيه الأعداء ـ وتناسوا أحقادهم وضغائنهم فيما بينهم ـ ليحاربوا الإسلام معتدين.. والله غالب على أمره، وسينصر من ينصره إذا خلصت النيات وتم الاتحاد.





جارودى يقاضى الصهيونية الإسرائيلية

تأليف
رجاء جارودى

ترجمة
رانيا بو نصيف - بيار ريشا

عرض وتحليل ونقد
الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عوضين

(٢)

«رمتنى بدائها وانسلت» هذا المثل العربى الذى يكشف تغلغل الوقاحة وانتشارها فى أخلاقيات بعض بنى البشر وسلوكياتهم، تغلغلاً وانتشاراً يبدو فى ارتكاب الجريمة وإلصاقها بمن هم أجرم به.... هذا المثل يكشف فى تواضع مدى ما وصلت إليه وقاحة الصهيونيين الإسرائيليين؛ حيث أسسوا حياتهم ووجودهم على أن يرتكبوا أبشع الجرائم، وأشنع الموبقات فى حق الآخر، وهم يملأون الدنيا صراخاً وعويلاً، يستنجدون كل من حولهم، رجاء إنقاذهم مما أوقعه بهم هذا الآخر من جرائم وموبقات.

وهذه الحقيقة الدامغة التى تكاد تتوارى خلف صراخهم المتواصل لم يسلم منها واحد ممن عارض تعصبهم وعنصريتهم ونهجهم فى الحياة.

ولقد كان موقفهم الأخير من المفكر الفرنسى «رجاء جارودى» أحد الأدلة البارزة على ذلك؛ إذ أزعجهم ما تضمنه كتابه

«الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» من حقائق تفضحهم أمام الرأى العام العالمى.. خصوصاً أنه صادر عن واحد من رواد الفكر المعاصر فى فرنسا.

فلم يكن أمامهم إلا أن يسخروا إمكاناتهم المادية والإعلامية فى شن حملة حربية تقلب السحر على الساحر، وتشوش على «جارودى»، بل وتقوده إلى ساحة القضاء، مبالغة فى الحيطة والحذر، وثقة من هؤلاء الصهيونيين فى عملائهم المنبثين فى كل موقع، واطمئناناً إلى أن باستطاعتهم سن القوانين التى يحاكم بها أمثال «جارودى»، ويرهبون بها، كى لا يقدم أحد على ما أقدم عليه «جارودى».

ولكن «جارودى» أبى أن يستسلم أمام محاولاتهم تلك، على الرغم من عنفها الظاهرى؛ لأن أمانة الفكر فى اعتقاده يهون فى سبيلها ما هو أقسى من ذلك، ولأنه مؤمن أن قوة بطشهم التى يتدرعون بها قائمة على الوهم والخداع، وأنها مع الصمود لا تعيش طويلاً.

ولذلك... لجأ «جارودى» إلى القضاء نفسه ليفضح دناءة المؤامرة التى وقع فى حبائلها قضاة المرحلة الأولى، فاستأنف الحكم، وقدم دفاعه الحاسم هذا إلى محكمة الاستئناف، محاولاً فيه إزالة الغيوم التى حجبت الحقيقة عن قضاة المحكمة الأولى، مقرراً أن كل ما ألصق به من التهم لا أساس له من الصحة، وأن أبرز ما اتهم به من عنصرية ومعاداة للسامية لا يوصم به إلا قادتهم ومفكروهم.!

تعاون الصهيونيين مع هتلر

ومن الأمثلة الدامغة على عنصرية هؤلاء الصهيونيين ما ذكره «جارودى» من أن العنصرية الصهيونية لم تقف بالقادة الصهيونيين عند حد العمل الدائب على طرد الفلسطينيين من أرضهم، بل إن هذه العنصرية دفعت بالقادة الصهيونيين إلى التعاون مع النازيين ـ الذين يضرب بهم المثل فى العنصرية ـ حتى لقد رحب بعض هؤلاء القادة الصهيونيين بوصول «هتلر» إلى السلطة، وابتهجوا لانتصاره على العدو المشترك، وهو القوى الإمبريالية.

ولقد استجاب القادة الهتلريون لذلك التعاون؛ فكتب مُنظِّر النازية الرئيسى «ألفريد روزنبرج» سنة ١٩٣٧: «يجب دعم الصهيونية بقوة كى يتم سنوياً نقل يهود ألمان إلى فلسطين».

وعند وصول «هتلر» إلى السلطة كان فى صفوفه يهود ألمان انضووا إلى الصهيونية المركزية، يشكلون ٥٪ من يهود ألمانيا، وانضم الباقون إلى جمعية الألمان اليهود، ممن كانوا ينوون البقاء ألماناً، ويحاربون لفرض احترام ديانتهم.

ولكن النازيين حسموا اختيارهم سريعاً، وقرروا التعاون مع الصهيونيين، مشجعين السياسة الفاشية الهتلرية للتطهير العرقى،

بإفراغ ألمانيا من اليهود..!

ومن هنا... بدأ اضطهاد اليهود الذين كانوا يريدون البقاء ألمانا ضمن احترام ديانتهم.

ويرصد «جارودى» أربعة مظاهر لهذا التعاون الصهيونى النازى العرقى.. هى:

١- فانطلاقاً من مبدأ العرق وقعت الوكالة اليهودية مع وزير الاقتصاد الألمانى اتفاق ترحيل المهاجرين اليهود من ألمانيا النازية إلى فلسطين؛ فتخلص النازيون بهذا من اليهود، وحصلوا على حليف صهيونى لكسر المقاطعة الاقتصادية المضادة للفاشية... ووجد اليهود فى فلسطين هذا الاتفاق ملائماً، حتى كتب القائد الصهيونى «موشى بيلينسون» إلى «بيرت كاتزنلسون» مدير صحيفة «دافار»: «الطرق معبدة بمال أوفر من حلمنا يوماً فى تاريخ مؤسستنا الصهيونية... إنها مناسبة للبناء والازدهار، كما لم نفعل يوماً، وكما لن نفعل أبداً».

وفى المقابل الألمانى... أشارت نشرة من القائد النازى «بولوشوانتشى» فى ٢٨/٢/١٩٣٤ موجهة لجميع بعثات الرايخ الدبلوماسية... إلى أن الأهداف التى اتخذتها هذه الفئة ـ يعنى اليهود الذين يؤيدون تجمع إخوتهم بالدين فى قلب مركز قومى، وفى طليعتها الصهيونيون ـ هى أقرب الأهداف إلى السياسة الألمانية تجاه اليهود.

٢- وانطلاقاً من مبدأ العرق... قامت المجالس اليهودية على عهد «هتلر» بدور خطير تحت مراقبة النازيين، حيث كانت تسلم أعداداً كبيرة من اليد العاملة التى يطلبها المحتل. وفى فرنسا لعب الاتحاد العام للإسرائيليين دور المجالس اليهودية، فكان يكتب بطاقات اليهود الفرنسيين ـ خصوصاً الأجانب ـ لحساب مفوضية الشئون اليهودية والسلطات الألمانية، وكان يفصل بين اليهود الفرنسيين والأجانب فى لغة تمييزهم، يعتمدها من دعاهم أحلافهم: «النازيين الجدد».

وقد أكد «ماروس»، و«باكستون» ـ فى كتابهما «فيشى واليهود»: «تعبير بعض الشخصيات فى فرنسا عن عدائها لوجود يهود أجانب بينهم باعتبارهم مسئولين عن الفتنة المضادة للألمان».

وهذا عضو السلطة التنفيذية فى الوكالة اليهودية «إسحاق جرينبوم» فى ١٨/١/١٩٤٣ يعلن ـ فى كتابه «أيام الدمار» ـ أن: «الصهيونية تأتى قبل كل شىء... سيقولون إننى معاد للسامية، ولا أريد إنقاذ المنفيين، وليس لى قلب يهودى حنون. فليقولوا ما يشاءون، ولن أفرض على الوكالة اليهودية تخصيص ٣٠٠ ألف، ولا ١٠٠ ألف ليرة استرلينية لمساعدة اليهودية الأوروبية، وكل من يفرض ذلك هو معاد للصهيونية».

ولقد استمر هذا التعاون بين الصهيونيين

الأزهر

وهتلر حتى نهاية الحرب، حيث اقترح «أيخمان» على المبعوث الصهيونى «رودلف كاستنر» مبادلة مليون يهودى مقابل عشرة آلاف شاحنة تستخدم حصرياً على الجبهة الروسية، وقد دعم «بن جوريون» و«موشى شاريت» هذا العرض.

ولم يكتف جارودى ـ فى استدلاله على تآزر المجالس اليهودية مع النازيين ـ عند ذلك الحد، ولكنه أضاف إليه الكثير من الأدلة القاطعة على وجود هذا التعاون الإجرامى.

٣- وانطلاقاً كذلك ـ من مبدأ «العرق» التزمت اللجان والمجالس اليهودية بالانتقاء فى تنظيم الهجرة إلى فلسطين، على ما قرره النائب العام «حاييم كوهين» للقضاة أثناء محاكمة «أيخمان» فى القدس، حيث قال: «إذا لم يتفق ذلك مع فلسفتكم يمكنكم انتقاد «كاستنر»... لقد كان دائماً من تقليدنا الصهيونى اختيار نخبة لتنظيم الهجرة إلى فلسطين. ولم يفعل «كاستنر» سوى ذلك»... قال النائب العام ذلك متذرعاً بعقيدة ثابتة فى الحركة الصهيونية، تقرر: أن الهدف ليس إنقاذ اليهود، بل بناء دولة قوية.

وجاء ذلك فى مذكرة لجنة الإنقاذ فى الوكالة اليهودية سنة ١٩٤٣: «هل علينا مساعدة كل من يحتاج... أياً تكن خصائص كل منهم؟. أم نأخذ فى الاعتبار الطابع القومى الصهيونى؛ فننقذ أولاً من يفيدون أرض إسرائيل واليهودية؟!».

«قد يكون من الإجرام طرح السؤال بهذا الشكل، ولكن... إذا وجدنا بين خمسين ألفاً عشرة آلاف يستطيعون المساهمة فى بناء البلد وإحياء القومية، أو إنقاذ مليون يهودى سيشكلون لنا حملاً غير مجد، فلننقذ عشرة آلاف برغم نداءات المليون الذين نرفض تسلمهم»... «إن عملية إنسانية بحتة كإنقاذ اليهود الألمان ـ تؤذى الأهداف الصهيونية... نتحرك لصالح اليهود الألمان ما داموا يشكلون فائدة لنا، ويأتون مع أموالهم.. واللاجئون الواصلون حالياً لا يحملون هذه الفائدة لكونهم يصلون وأيديهم فارغة، ولا يملكون ما يقدمونه إلى مجالس يهود فلسطين، ولديهم ما لدى قسم كبير من اليهود الألمان من بعد تام، وأحياناً عداء لأرض إسرائيل، وسلوك تحقيرى تجاه كل ما هو يهودى وعبرى...».

ويعتذر «جارودى» عن طول النصوص التى استشهد بها بأنه اضطر إلى ذلك ليظهر الفرق بين «الديانة اليهودية» التى يحترمها وبين «الصهيونية» التى يحاربها؛ لأنها سياسة قومية استعمارية.. وبأن هذه النصوص تظهر غش من يرفعون اليوم جثث ضحايا لم يريدوا إنقاذهم، ويملأون الدنيا بالبكاء عليهم.

ثم يقول: فى كل هذا... أين إذاً القدح الذى صدر منى ضد القادة الصهيونيين، وأنا لم أذكر إلا نعوتهم التى اعتزوا هم أنفسهم بها... إلا إذا اعتبرنا أن فضح الأعمال

الثالثة من باب القدح.

٤ - وانطلاقاً أيضاً من باب «العرق».. . لم يلتزم الصهيونيون بالتخلى عن ضحاياهم فحسب، بل كانوا كذلك يحتقرونهم، على ما يصوره قول «ليا جولدبرج» عن هؤلاء الضحايا: «هؤلاء الأشخاص بشعون، فقراء معنويا، مريبون، ويصعب حبهم.»، وقول «بن جوريون»: «إن اضطهاد اليهود فى بلدان كان يسيطر عليها «هتلر» ثم لأنهم لم يسمعوا فى الوقت المناسب نداءه إياهم باللجوء إلى فلسطين.»، وقول «فرايدنسون» عنهم - فى كتابه «طريق الرماد»: «بدلاً من أن يساقوا إلى الذبح كالخراف، لماذا لم يقاوموا؟!».

وبعد حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧ تبدلت فجأة تصرفات القادة الصهيونيين، وتحول احتقار ضحايا «الدياسبورا» إلى عكسه، مع المبالغة نفسها.

ويقرر «جارودى»: أن تضخيم ما لاقاه اليهود من تعذيب، وقصر ذلك على اليهود.. جعلهم يتحدثون كأن عذاب الآخرين غير موجود، وجعل نزعة الصهيونية تنقلب كلياً حتى أصبحت «كاريكاتورية»، كما جاء فى قول «إيلى ويزل»: لماذا علينا التفكير خجلين بالهلوكوست؟. لماذا لا نستعيده كفصل عظيم من تاريخنا الأبدى؟!. اليوم... كل شىء يدور فى فلك تجربة «الهلوكوست»، فلماذا نواجه الأمر بغموض؟!. على التربويين والفلاسفة اليهود إعادة فتح الواقعة كمصدر فخر، واستعادتها فى تاريخنا.

التناقض بين الصهيونية وسياستها الإرهابية

ويقرر جارودى: أن النتيجة الثالثة للعنصرية الصهيونية تتمثل فى موقفها من الدين اليهودى، حتى إن «بن جوريون» الذى يعتبر الدين اليهودى كارثة الشعب التاريخية... هو نفسه الذى أقام سنة ١٩٤٨ تسوية مع اليهود التقليديين. وبينما كان يفضل فصل الدين عن الدولة، نراه هو نفسه الذى فرض التعليم الدينى فى المدارس، ووافق أن تأتى قوانين الزواج والطلاق والدفن... من التلمود.

ويقرر: أن تقديس المجزرة «الهلوكوست» جعلها حجة أساسية لخلق دولة إسرائيل وسياستها؛ لأن الرب أراد ذلك، ثم لأنه جعل «هتلر» الأداة لمعاقبة شعبه، والتكفير عنه...

ويقرر: أن هذا التقديس للمجزرة هو الذى يبرر لإسرائيل اتخاذها مكاناً فوق كل قانون بشرى، وخاصة مقررات الأمم المتحدة وأحكامها.. كما وضح ذلك من إعلان «بن جوريون»: أن قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين سنة ١٩٤٨ قرار باطل ولا مفعول شرعيا له، كما يبرر ادعاء إسرائيل أن قوانينها متفوقة على قوانين كل الشعوب الأخرى.

وانطلاقاً من هذا التفوق المزيف... باتت جميع الوسائل مبررة؛ فأرض فلسطين طُرد



مدرسة حضانة فى غزة لم تسلم من صواريخ النازية الصهيونية

منها سكانها الأصليون بالحديد والنار لإتمام الوعد المقدس. ومن يشكك فى هذا الوعد يستحق الموت على يد قاتل ذى حق مقدس، حيث تولى «ناتان فريدمان بيلين» اغتيال «الكونت برنادوت» ممثل الأمم المتحدة فى اليوم التالى لتقديمه تقريراً وصف فيه: «النهب الصهيونى الفاحش ودمار القرى الفلسطينية، وخَلُص إلى ضرورة عودة اللاجئين العرب أصحاب هذه الأرض منذ قرون، ولما حوكم القاتل حُكِم عليه بالسجن خمس سنوات، ثم أُعفى عنه، وانتخب نائباً فى الكنيست سنة ١٩٦٠.

وقد لقى المصير نفسه «اللورد موين» وزير الدولة البريطانى؛ لأنه أعلن فى ٩/٦/١٩٤٢ أن اليهود الحاليين منحدرين من العبريين القدماء، وليس لهم مطلب شرعى على الأرض المقدسة، فاغتاله فى القاهرة فى ٦/١١/١٩٤٤ عضوان من منظمة إرهابية برئاسة إسحاق شامير.

ولما حاول «إسحاق رابين» إرساء السلام، والاتفاق مع الفلسطينيين... اغتاله قاتلٌ «ذو حق مقدس» يزوره اليوم فى السجن

متشددون بالزهور والهدايا . . . إلى غير ذلك من الأحداث التى تقرر أن القتل أصبح ممارسة مقدسة فى السياسة الإسرائيلية المتدرعة بأمن المستوطنات والدولة ، حيث استباحت اغتيال أى فلسطينى يتجرأ على الدعوة إلى تحرير فلسطين ، بحجة أن المقاومة عمل إرهابى ، يبرر قتل آلاف الفلسطينيين وإصابة أضعافهم ، كما يؤكده اغتيالات قادة منظمة التحرير الفلسطينية التى تجاوزت الإحصاء . . .

تماماً . . كما كان يفعل «هتلر» فى مواجهة المقاومة الوطنية ، وكان وسيلته إلى ذلك «ميليشيا بيتار المسلحة» التى مازالت تواصل نشاطها حتى اليوم فى فرنسا .

ولقد انهالت على المخرجة «رونيت وايس بيركوفيتز» التهديدات بالقتل لمناصرتها العرب ، كما انهالت علىَّ مثل تلك التهديدات غداة صدور كتابى الذى قُدمت إلى المحاكمة بسببه .

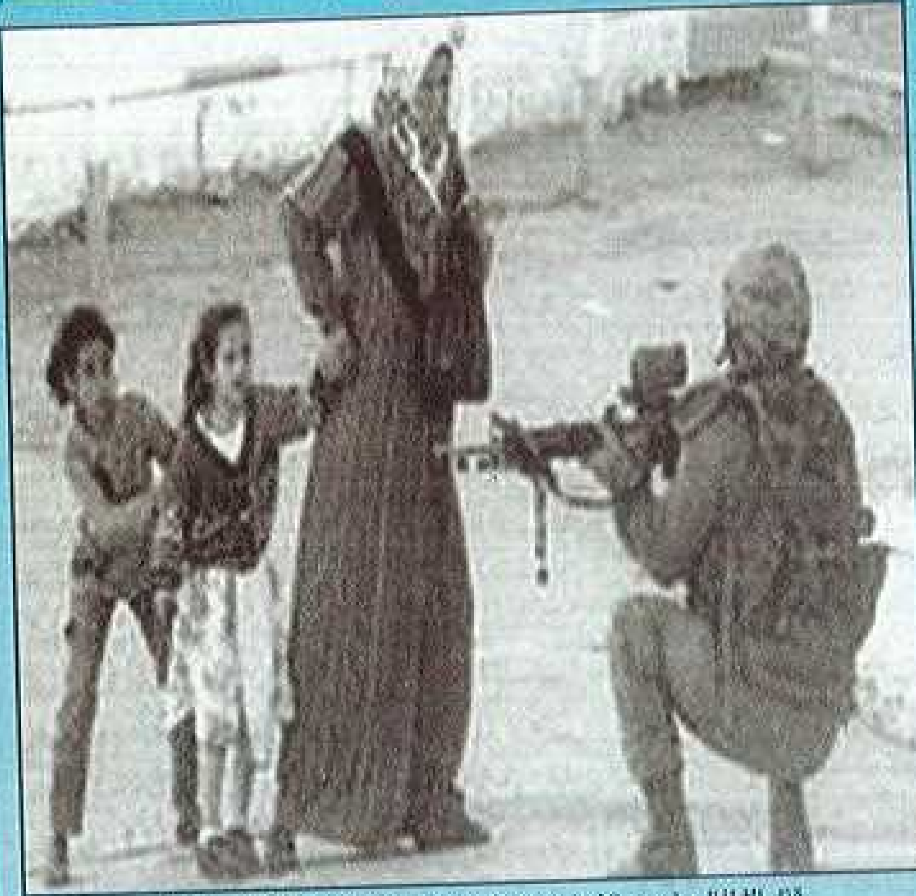
أما ادعاء الحفاظ على أمن الحدود ، فهو ادعاء مهين لكل عاقل ؛ لصدوره من بلد يحتل حدود كل جيرانه ؛ فى لبنان كما فى الجولان . . .

وهنا . . . يتساءل «جارودى» : «أيمكن أن يكون فضح مثل تلك السياسة القاتلة قدحاً فى هؤلاء الساسة ؟! . ثم يجيب : لا يمكن أن يكون وصف تلك السياسة بحقيقتها قدحاً . . . إلا إذا كان الاعتراض على مثلها قدحاً . !

أسطورية الأسس الصهيونية ليست بدعا جاروديا

وجارودى فى سبيله إلى تفنيد ما أثار الصهيونيين عليه ، يذكر أن الذى أغضبهم منه ـ وهو حكمه على الأسس الصهيونية بأنها أسطورية لا أصل لها ـ قد سبقه إلى مثله كثير من المفكرين والدارسين اليهود وغير اليهود ؛ مثل البروفيسور «زيف شترنهل» أستاذ العلوم السياسية فى جامعة القدس العبرية ، وصاحب كتاب «الأساطير المؤسسة للقومية الإسرائيلية» سنة ١٩٩٧ ، والذى كتب فى «لوموند ديبلوماتيك» مايو سنة ١٩٩٨ : «لم تنتشر كاليوم إعادة طرح أساطيرنا المؤسسة» . وقبل ذلك . . . ذكر «الحاخام إلمر برجر» رئيس المجلس الأمريكى لليهودية ، خلال محاضرة ألقاها فى جامعة ليدن ، وصدرت فى نيويورك فى ٢٠ / ٣ / ١٩٦٨ بعنوان «النبوءة الصهيونية ودولة إسرائيل» ، قدم لها «أرنولد توينبى» : «إن أرض صهيون لا تكون إلا إذا عمَّتْ فيها شريعة الرب ، وهذا لا لنقول إن كل شريعة تأتى من صهيون هى مقدسة .» ، وخلُص من ذلك إلى : أن «دولة إسرائيل الحالية ـ بسبب مفهومها التوتاليتارى الذى يجعل الدولة هى كل شىء ـ لا يحق لها ادعاء تحقيق الزمن المسيحانى» .

وهو بهذا يستعيد كلمات النبى إرميا ضد الملك الذى لم يحترم عهد الميثاق . . . وهى : «هكذا . . تقولون لصدقيا : هكذا قال الرب



قتل الأطفال وترويع النساء والمستضعفين احد ثوابت النازية الصهيونية

إله إسرائيل : «ها أنذا أرد آلات الحرب التى بأيديكم والتى بها تحاربون ملك بابل والكلدانيين المضيقين عليكم من خارج السور ، وأجمعهم فى وسط هذه المدينة ، وأحاربكم أنا بيد مبسوطة وذراع قوية ، وبغضب ، وحنق ، وسُخط عظيم» (إرميا : ٢١ / ٤-٥) .

وأضاف الحاخام برجر : «النقطة الأهم أن إسرائيل ليست فوق القوانين بحجة أنها تتصرف كأداة لقانون رب الإنسان الأعلى» .

وهذا يقرر : أن كل الأساطير التى اصطنعها القادة الصهيونيون الإسرائيليون لتبرير سياستهم واغتصاباتهم تخفى الحقائق التاريخية واللاهوتية بتنظيم فكرى معدٍّ إعلامياً .

١ - وفى مقدمة تلك الأساطير المؤسسة . . أسطورة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» ـ والتى منها استمدت «جولدا مائير» قولها : «إن الفلسطينيين غير موجودين ، وإن الصهيونيين وصلوا إلى صحراء ـ هذه الأسطورة إن هى إلا كذبة فاضحة ، لم تستطع مائير مواجهتها ، ولا تجاهل شهادة الصهيونى الكبير «آشر جينسبرج» حين قال : «اعتدنا الاعتقاد فى الخارج : أن أرض إسرائيل شبه صحراوية من دون زراعة ، ويمكن كل من يريد أخذ أراضٍ أن يأتى إلى هنا ، ويأخذ قدر ما

يبتغى. ولكننا لم نجد شيئاً من هذا؛ فعلى امتداد البلاد يصعب أن نجد حقولاً غير مزروعة».

٢- والأسطورة الثانية التى تزعم: أن رحيل الفلسطينيين الأصليين عن أرضهم كان طوعياً. فقد أظهر «بينى موريس» عند فتحه الوثائق: أن هذا الرحيل كان عن مطاردة قسرية، دامية للسكان، وأكد مندوب الصليب الأحمر «جاك دورنييه»: أن الأسطورة ـ بل الكذبة ـ التى خلقها بن جوريون عاشت نصف قرن على تضليل شائعات الإعلام الصهيونى، حتى كشف حقيقتها «بينى موريس» عند فتحه الوثائق، وجرؤ على قولها فى كتابه الذى نشرته جامعة كمبردج سنة ١٩٨٧، مما سبب له فى إسرائيل طرده من منصبه فى الجامعة.

وجاء فى يوميات «جوزيف ويتز» مدير الصندوق الوطنى اليهودى: «أنه فى سنة ١٩٤٧ أمر بطرد أكبر عدد من العرب من مناطقنا.. وأرسلتُ لائحة بالقرى العربية التى أرى وجوب تنظيفها من أجل تجانس المناطق اليهودية».

وقد عزز الصهيونيون هذه الأكذوبة باختراع أكذوبة «الخوف من إبادة العرب إياهم»، فقد اختُرعتْ وضُخمتْ لتبرير ضم أراضٍ عربية جديدة على ما قرره الجنرال «عازرا وايزمان» فى قوله: «لم يكن هناك أى خطر إبادة»، وما صرح به الجنرال (Matityahu Peled) فى قوله: «نظرية خطر الإبادة الجماعية المعلق فوق رءوسنا فى يونية سنة ١٩٦٧، وأن إسرائيل تحارب من أجل البقاء، كانت خدعة ولدت ونمت بعد الحرب... إلى غير ذلك من النصوص الصريحة والكثيرة.

٣- والأسطورة الثالثة من الأساطير المؤسسة أسطورة «داود وجوليات الجبار» التى تجعل من دولة إسرائيل داود الصغير، فى مواجهة العملاق العربى، فى حين كان التفوق العسكرى الإسرائيلى كاسحاً منذ سنة ١٩٤٨.

ومن هذا المنطلق الخادع... أعلن أن اجتياح لبنان كان حرباً دفاعية جديدة... تماماً مثلما حدث عندما اغتال شاب يهودى دبلوماسياً ألمانياً فى باريس سنة ١٩٣٨، حيث جُعلتْ تلك الحادثة حجة أول إبادة جماعية نازية ضد اليهود، وإخراجهم من الحياة الاقتصادية... ومثلما حدث فى لندن سنة ١٩٨٢ عندما تعرض دبلوماسى إسرائيلى للاعتداء، فسرعان ما نسبه القادة الإسرائيليون إلى منظمة التحرير الفلسطينية، وجعلوه حجة لاجتياح لبنان، بدعوى الدفاع المشروع، على الرغم من أن الجريمة كلها كانت كذبة مختلقة، على ما كشفته «مارجريت تاتشر» فى مجلس العموم البريطانى من أن وراء الجريمة عدواً لمنظمة التحرير الفلسطينية، حيث كشف التحقيق أن المسئول عن منظمة التحرير فى لندن كان من بين المقصود اغتيالهم.

ولقد قال السفير الفرنسى فى بيروت وقت اجتياح إسرائيل أرض لبنان تحت ستار أسطورة «داود وجوليات الجبار» هذه... قال السفير فى كتابه: «بستانيو الجحيم»: «إنه تركيز مسلح لا سابق له؛ ففى عز الاجتياح حرك الجيش الإسرائيلى إلى لبنان نحو مائة ألف جندى، وأكثر من ألف مصفحة، وعدد مماثل من القاذفات، وكانت الأرتال المصفحة مستقلة، تدعمها آلاف المركبات المختلفة لتموين الفرق، وكانت المفارز موصولة بنظام تخابر إلكترونى وصفه الخبراء: بالأكثر تطوراً فى العالم»، من كل ما يظهر كذب تلك الأسطورة، ويكشف النوايا الصهيونية المخبوءة، حتى إن «جارودى»، والأب لولون، والقس ماتيو صرحوا فى «لوموند» فى ١٧ / ٦ / ١٩٨٢: بأن العدوان على لبنان كان من ضمن منطق الصهيونية السياسية، ولما قاضتهم العصبة الدولية لمناهضة العنصرية واللاسامية «ليكرا» أمام المحاكم رُدتْ دعواها فى مستويات التقاضى الثلاثة «الابتدائى والاستئناف والتمييز»، وحكم عليها بالمصاريف.

ويخلص جارودى من هذا العرض الموثق، متسائلاً: «ماذا يبقى الآن من كل هذا القدح؟!. فالكلام لم يتجاوز تقرير الحقائق، والوصف الواقعى الأمين، حين ذكر أن أسطورة «داود وجوليات» ـ وهى من الأساطير المؤسسة ـ هى أسطورة مخترعة، ولا صلة للحقيقة العصرية بها!.

٤- والأسطورة الرابعة من الأساطير المؤسسة.. أسطورة «الهلوكوست» أو «الإبادة» تلك التى تجتاح العالم أسبوعيا أفلام فى التليفزيون وفى الصالات، تركز على وقائع هذه الأسطورة. وقد اتُهم جارودى بمعاداة السامية لأنه نعت تلك الأعمال الفنية بالتافهة، وامتهان تجارة الإبادة.

ومع هذا... يقرر جارودى أنه ليس أول من نعت تلك الأعمال بذلك، فلقد استعار هذين النعتين من «فيدال ناكيه»؛ ففى مقاله: «قتلة الذاكرة» كتب سنة ١٩٧٩: «إنه وهم ردىء، ورقم ستة ملايين قتيل يهودى فى نتائج «نورمبرج» ليس مكرسا ولا نهائيا». وقال «ليون جيك» سنة ١٩٨١ عن امتهان تجارة الإبادة: «إنها صناعة «لا صناعة توازيها».

وأذكر أن مشروع استمرار التذكير بالإبادة نال سنة ١٩٨٥ من «بيجن» ٨٥٠ ألف دولار؛ لكونه مشروعا ذا فائدة قومية، على ما أذاعته وكالات الأنباء اليهودية فى ٢٠ / ٦ / ١٩٨٦.

وقد قال «آلان فيدالى عن «الهلوكوست»: «إنه ليس ماركة مسجلة، ولا صندوقاً تجارياً».

فهل تعنى هذه الأقوال وغيرها الكثير: أن قائليها معادون للسامية؟!.

يتبع

مستقبل إسرائيل كدولة يهودية

للأستاذ/ صلاح عبد الرحيم محمد

يذهب الفكر الصهيونى إلى أن جميع اليهود فى أنحاء العالم يمثلون الشعب اليهودى، ويزعم أن فلسطين التى يطلقون عليها أرض إسرائيل هى ملك لكل اليهود من الأجيال الماضية، والحاضرة، والقادمة، فيقول الحاخام «أفنيرى»: «لا توجد أية سلطة قانونية لأعضاء أية حكومة إسرائيلية تسمح لهم بالتنازل عن أى جزء من أرض إسرائيل، لأن ملكية هذه الأرض، ليست قاصرة علينا نحن الشعب الذى نقيم فيها، بل تمتد لتشمل عموم بنى إسرائيل. فالملايين من يهود روسيا، وباقى الجاليات اليهودية فى الشتات، هم شركاء لنا، فى ملكية هذه الأرض، وليس لدينا تفويض للحديث باسمهم، فإن أرض إسرائيل تنتمى لأجيال بنى إسرائيل حتى قيام الساعة». وقد أفتى الحاخام «جورين» بعد حرب ١٩٦٧ «بأن التوراة تحرم أى تنازل عن أية مساحة من أرض إسرائيل فى الضفة الغربية وقطاع غزة». كما يذكر هذا الحاخام أن هناك ثلاثة مصادر لتحريم التنازلات الاقليمية:

الأول: هو التحريم الذى يحظر السماح لغير اليهود بالبقاء المؤقت فى هذه الأرض.

والثانى: هو التحريم الناتج عن العهد الذى قطعه الله مع سيدنا إبراهيم بملكية هذه الأرض.

والثالث: هو التحريم الناتج عن فريضة استعمار هذه الأرض من خلال حرب ٤٨، وحرب ٦٧. وفى هذا السياق يزعم الحاخام «جورين» «أن فريضة وراثة بنى إسرائيل للأرض، واستيلائهم عليها من أبنائها، لا تزال واجبة فى هذا العصر، ومن المحرم منحهم حكما ذاتيا، كما أنه ليس لقرارات الحكومة، والكنيست أثر ملزم فى هذا الشأن». وفى هذا الصدد يعتقد الحاخام «راتسيا» «أن العهد بين الرب وسيدنا إبراهيم هو حقيقة أبدية مطلقة وخالدة، وأنه عهد عالمى كونى، يضمن أبدية العلاقة بين الشعب اليهودى وهذه الأرض». ومن هنا يذهب الحاخام «نوريا»

إلى القول: «إن كل إنسان يهودى فى إسرائيل يبدأ صلاته فى الصباح بهذه الفقرات التى تتحدث عن العهد»:

● اذكروا إلى الأبد عهده الذى أوصى به لألف جيل.

● الذى أعطاه لإبراهيم، والقسم الذى أقسمه لإسحاق.

● والذى انتقل إلى يعقوب، ليصبح لإسرائيل عهداً أبديا.

● قائلاً له: وأعطى لك أرض كنعان لتكون ميراثك.

لذلك كانت فكرة الوعد الإلهى لسيدنا إبراهيم واسحاق ويعقوب، تمثل جوهر ما ذهب إليه «بيجين» بزعم الحق اليهودى فى فلسطين، على الرغم مما يشوب هذه الفكرة من مغالطات. وفى هذا الإطار كتب «بيتى كتسوبر» أحد قيادات مجلس المستوطنين فى الضفة الغربية وغزة، تحت عنوان: «اليهود قادمون، والعرب ذاهبون» يقول: «إن مسيرة التاريخ اليهودى تتكون من ثلاثة أحداث، يؤثر كل منها فى الآخر:

الأول: الهجرة اليهودية الجماعية، على نطاق واسع إلى أرض إسرائيل المحررة فى زعمه.

والثانى: استعمار كافة أنحاء أرض إسرائيل، أى إقامة المزيد من المستعمرات اليهودية فى فلسطين المحتلة.

والثالث: تهجير الفلسطينيين العرب إلى خارج فلسطين.

والجدير بالذكر أن «إسحاق شامير»، أثناء حملته الانتخابية كرئيس للوزراء عام ١٩٨٤، أكد على استعمار كل شبر من فلسطين بقوله: «لقد أقسمنا ألا نترك قطاعاً خاليا من اليهود. لقد قررنا أنه لن تكون هناك أية سيادة أجنبية على أية مساحة من مساحات أرض إسرائيل». واستمرارا لهذه المزاعم الباطلة حول الحق اليهودى فى فلسطين العربية التى يطلقون عليها «أرض إسرائيل» نلفت النظر إلى أن ثمة ثلاثة مبادىء تتمسك بها كافة الحكومات الإسرائيلية، يسارية أو يمينية على السواء:

الأول: الحفاظ على وحدة وسلامة أرض إسرائيل.

والثانى: يتمثل فى إقامة دولة يهودية نقية على كافة الأراضى المحررة فى زعمهم.

والثالث: أن تكون هذه الدولة ديمقراطية.

ويعلق المحللون السياسيون الإسرائيليون على هذه المبادىء، ويرون أن ثمة تناقضا ظاهرا بينها لا يقبل الجدل، إذ أن إقامة «دولة يهودية» فى فلسطين، يستوجب بالتبعية ألا تكون هذه الدولة ديمقراطية، بسبب التعارض مع ما تتطلبه هذه الديموقراطية من مساواة فى الحقوق، بين العرب واليهود فى إسرائيل، لأن مشاركة الفلسطينيين فى الحكم، سيؤدى بالضرورة إلى أن تصبح هذه الدولة «مزدوجة القومية»، كما أن تحقيق فكرة وحدة وسلامة الأرض، وفكرة الديموقراطية تتعارضان مع الطابع اليهودى للدولة. ومن ثم فإن أصحاب

فكرة الحفاظ على الطابع اليهودى للدولة الإسرائيلية يؤكدون أن إقامة دولة يهودية له الأولوية على ما سواه، حتى ولو جاء على حساب الديمقراطية. لذلك فهم يطرحون فكرة «الترحيل الجماعى للفلسطينيين» خارج أرضهم للحد من خطورة العامل الديموجرافى العربى على يهودية الدولة الإسرائيلية. ومن هنا فقد طرح «رحبعام زئيفى» نفس الفكرة على أساس أن تكون عملية الترحيل الجماعى للفلسطينيين فى إطار اتفاقية دولية يكون محورها «الترحيل الطوعى لهم» كجزء من شروط اتفاقية السلام بين الجانبين الإسرائيلى والفلسطينى. وفى هذا الصدد يذهب «تسفى شيلوا» إلى القول بأنه «سوف يفضل العربى أن يعيش فى دولة عربية بعد أن نوضح له أن «دولة اليهود» أصبحت أمراً واقعاً، ولن يكون من الممكن تغييره أبداً».

ومن ناحية أخرى يتناول «حاييم هزاز»، وهو واحد من كبار الأدباء فى إسرائيل، فكرة الترحيل الجماعى للفلسطينيين، بمكر ودهاء فيقول: «هناك مشكلة «منطقة يهودا وشومرون» (أى الضفة الغربية)، حيث يمكن ترحيل سكانها العرب، إما طوعاً أو كرهاً، إلى الدول العربية، لأن ذلك لا يعد شتاتاً مثل الذى تعرض له اليهود، عندما أقاموا بين الأمم الأخرى، فالفلسطينيون المرحلون، ذاهبون ليعيشوا مع أشقائهم العرب، فى دول كبيرة المساحة يجمع بينهم لغة واحدة، وثقافة واحدة، وديانة واحدة، وأن هذا الترحيل الجماعى يشبه ما حدث بين اليونان وتركيا، وبين الهند وباكستان».

ولاشك أن هذه الأقوال من جانب أنصار الترحيل الجماعى للفلسطينيين خارج فلسطين العربية، تتجاهل أن هؤلاء الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة، هم أصل سكان فلسطين ٤٨، وسكان فلسطين ٦٧، وهم أصحابها الشرعيون، كما أن دعوى ترحيلهم إلى الدول العربية الشقيقة محاولة ماكرة لتفريغ فلسطين المحتلة من أى عنصر عربى. ومن جهة أخرى فإن هذه الدعاوى باطلة لا تلزم إلا قائلها، حيث إن فلسطين هى أرض محتلة فى الأساس. أما موقف التيار الدينى الصهيونى فيميل إلى نفس الفكرة بترحيل الفلسطينيين الجماعى من أرضهم، حتى تصبح إسرائيل «دولة يهودية نقية» لا يشاركهم فيها أحد من الفلسطينيين، استناداً إلى نص توراتى جاء فى سفر العدد: (٣٣ / ٥٥ - ٥٦) يقول: «إن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم، يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً فى أعينكم، ومناخس فى جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التى أنتم ساكنون فيها». وحفاظاً على يهودية دولة إسرائيل يعتقد «جابوتنسكى» مؤسس الصهيونية التصحيحية «أنه يجب الحفاظ على الأغلبية اليهودية فى إسرائيل، وذلك بتشجيع الهجرة اليهودية إليها، ومكافأة كل أسرة يهودية تنجب المزيد من الأطفال لتفادى

الخطر الديموجرافى العربى». كما يرى «كاهانا» «أن غير اليهودى الذى لا يقبل أن يكون تحت سيادة إسرائيل كدولة يهودية فعليه أن يرحل منها». وعلى هذا النحو، فإن «بيجين» كان يذهب إلى الاعتقاد «أنه فى حالة ضم الضفة الغربية وقطاع غزة إلى إسرائيل، يعرض على سكان هذه المناطق، الجنسية الإسرائيلية، ومن يطلبها، ويتقدم بطلب الحصول عليها، ويلتزم بالولاء لدولة إسرائيل كدولة يهودية، يكون من حقه الحصول على هذه الجنسية وفقاً للقانون». كما اقترح «إليعازر لفنا» من أجل عدم وجود أغلبية عربية فى إسرائيل «أن يكون هناك سبعة أو ثمانية محافظات تتمتع بحكم ذاتى، على أن يكون العرب أغلبية فى محافظتين أو ثلاثة محافظات منها، وتقوم الحكومة الفيدرالية بتقديم خدماتها الاجتماعية لجميع مواطنى الدولة، على أن يكون من الممكن منح أية مساعدة لأى عربى يرغب فى التهجرة من إسرائيل، كما يمكن لكل من يرغب من العرب الحصول على الجنسية الإسرائيلية، أن يحصل عليها، ومن يريد البقاء من العرب بدون الحصول على الجنسية الإسرائيلية، يمكنه أن يحصل على جنسية أية دولة يريدها، دون أن ينتقص ذلك من حقوقه التى يتمتع بها، باعتباره «مقيماً فى إسرائيل»، بما فى ذلك حقه فى الخدمات الاجتماعية، وحقه فى الانتخابات والترشيح لمجلس الحكم المحلى، واللافت للانتباه، أنه فى النصف الثانى من الثمانينيات بدأت تظهر فى الليكود، أصوات تدعو إلى الترحيل الجماعى الطوعى للفلسطينيين فيقول: «دان فون فيزل»: «يجب أن يكون الترحيل الجماعى الطوعى للفلسطينيين جزءاً من مبادرة إسرائيلية، والباقى بتقديم حوافز مختلفة للنازحين العرب». ومن جهة أخرى نجد «بيجين الإبن» يتحدث بعقلانية، عن عدم أخلاقية عملية الترحيل الجماعى للفلسطينيين فيقول: «إننا من الناحية العملية لا يمكن السيطرة على تعداد العرب فى أراض إسرائيل الغربية (أى الضفة الغربية) ولا يمكن تصور إخراج سكانها العرب، ولن تحدث هجرة عربية عن طيب خاطر، بأعداد كبيرة، وأن هذا التصرف غير ممكن لأنه عمل غير أخلاقى، ويجب النظر إليه، من خلال عيون أسرة عربية، من بين ثلاثمائة أسرة، سيقتحم جنود الجيش الإسرائيلى بيوتها، وسيقوم بتحميل أمتعتها على شاحنات، وسيتم نزعهم من بيوتهم، رجالاً ونساء، وأطفالاً، ورضعاً. فمن الذى يمكن أن يتخيل هذه الصورة البشعة؟». وهكذا يتساءل «بينى بيجين» مستنكراً هذا المسلك الكريه. ومن جانب آخر أكد شارون أن إسرائيل قبل أن تكون إسرائيلية فهى يهودية! فقد صرح رئيس الوزراء الإسرائيلى بكل وضوح - من خلال تسريب محضر اجتماع العقبة، من داخل «مركز دانيال للأبحاث الإسرائيلى» بأنه أرسل إلى الرئيس

«بوش» وإلى الكونجرس الأمريكى، وزير السياحة الإسرائيلى ليقول لهم: «إن الحل الذى نقبله، ولا نقبل سواه. هو أن يكون «الأردن» هو «وطن الفلسطينيين»، فبإمكان أى فلسطينى فى أى مكان، بما فى ذلك «عرب إسرائيل» التوجه إلى الأردن، وإقامة دولتهم فيه» لذلك أعتقد أن الأمر بات واضحاً حول نية إسرائيل على ضرورة الترحيل القهرى للفلسطينيين إلى الأردن، الذى اختارته حكومة اليمين الصهيونى ليكون الوطن البديل لفلسطين المحتلة. ولكى تكتمل ملامح المخطط الصهيونى لتصفية القضية الفلسطينية، فقد وضع شارون النقط على الحروف قائلاً: «هذا هو الحل العملى الذى يوفر علينا، وعلى الفلسطينيين العذابات، وعدم الاستقرار، فإسرائيل من البحر إلى النهر، لن تكون إلا دولة يهودية نقية.

كما حملنا وزير السياحة، أيضاً، اقتراحاً يقضى بإسكان أهالى الضفة العربية وقطاع غزة فى «العراق»، مع تسهيل حصولهم على الجنسية العراقية، للإسهام فى عملية تحقيق التوازن بين السنة والشيعة». واللافت للنظر أنه حين نبه «وليام بيرنز» المبعوث الأمريكى فى اجتماع العقبة «شارون» إلى خطورة هذه التصريحات على عملية السلام، رد عليه رئيس الوزراء الإسرائيلى بقوله: «إذا تركنا معادلة التكاثر السكانى على ما هو عليه الآن، فإن دولة إسرائيل ستضع نهاية لحياتها بيدها، لأن العرب سيحكمونها».

ولكن يبدو أن المخطط الصهيونى لتحويل دولة إسرائيل إلى دولة يهودية نقية تواجهه عدد من التحديات، فيذهب البعض إلى أن مستقبل إسرائيل كدولة يهودية تحيط به مخاطر عديدة، قد تؤثر سلباً على مصير هذه الدولة، نذكر منها:

أولاً: أن دولة إسرائيل باعتبارها دولة الشعب اليهودى لم تستوعب إلا حوالى ٢٨٪ من يهود العالم فقط.

وثانياً: تنبؤ عدد من علماء السكان باحتمال فقدان اليهود حوالى ٢ مليون نسمة من يهود العالم الذى يقدر عددهم الآن بحوالى ١٢,٥ مليون يهودى. وهذا ما أكده شيمون بيريز» فى كلمة له فى ٢٦ أكتوبر عام ١٩٨٧ قال فيها: «لقد أصبحت المشكلة الديموجرافية مشكلة مصيرية بكل معنى الكلمة، فلا يهودية بدون يهود، ونحن نشهد الآن ظاهرة مزدوجة، من انخفاض الروح اليهودية لدى اليهود، وتناقص عدد اليهود فى العالم، فنحن لم نعد أقل الشعوب عدداً، بل أكثرهم تناقصاً».

وثالثاً: فشل إسرائيل فى أن تكون مأوى آمناً ليهود العالم لاستمرار الصراع العربى الإسرائيلى، بسبب احتلال إسرائيل للأراضى العربية، وتداعيات ذلك، ومخاطره على حياة المواطنين الإسرائيليين وأمنهم.

ورابعاً: إحساس القيادة السياسية فى إسرائيل بأن هناك خطراً يهدد مستقبل دولة إسرائيل حتى وهى فى حدود ١٩٤٨، بسبب انزلاقها بحكم الواقع إلى «دولة ثنائية القومية»، حيث تصل نسبة الأطفال الفلسطينيين فى عمر من ٤ - ١٥ سنة إلى أكثر من ٢٨٪ من أبناء اليهود، فى نفس المرحلة العمرية، بالإضافة إلى تمركز أغلبية الفلسطينيين فى مناطق حيوية من إسرائيل، مثل المنطقة الشمالية، إذ يلاحظ علماء السكان التفوق العددى العربى فيها الذى وصلت نسبته إلى ٧٥٪ من السكان الفلسطينيين. وفى هذا الصدد يذكر أن كلاً من العالمين «أرنون سوفير»، من جامعة حيفا، و«سرجيو دى لافريجولا» من القدس قد توصلا إلى نتيجة مفادها «أن استمرار الوضع الراهن فى إسرائيل، سيؤدى خلال عقد واحد، أو عقدين على الأكثر إلى وجود أغلبية عددية عربية ستحكم إسرائيل، وتذهب بالدولة اليهودية إلى متاحف التاريخ». ولذلك نجد أن «تيودور هرتزل»، مؤسس الصهيونية السياسية، فى كتابه «الدولة اليهودية» يؤكد ضرورة قيام دولة يهودية منفصلة لتحرير يهود العالم من اللاسامية، فيقول: «إن إقامة دولة يهودية مستقلة، ومنفصلة فقط ستحرر العالم من كراهية اليهود، وستحرر اليهود من الاضطهاد المتواصل لهم». غير أن جريدة هآرتس الإسرائيلية فى افتتاحيتها بتاريخ ٩/٧/٢٠٠٤ تحذر النخبة السياسية الحاكمة فى إسرائيل من خطورة السعى إلى إقامة هذه الدولة اليهودية فى فلسطين العربية فتقول:

«إن مستقبل دولة اليهود، متشابك مع مستقبل الشعب الفلسطينى الذى يعيش إلى جوارها (أى فى الضفة الغربية وغزة)، وفى وسطها (أى عرب إسرائيل)، وأنه لا يمكن البحث عن حل منطقى وأخلاقى من خلال الحلم فقط، ولكن من خلال تعديل الواقع». وفى هذا الإطار يطرح أحد المؤرخين الجدد، المرتدين إلى الصهيونية، وهو «بنى موريس»، ثلاثة خيارات تتعلق بمستقبل إسرائيل فى فلسطين:

الأول: أن تصبح فلسطين دولة يهودية تضم أقلية عربية.

الثانى: أن تصبح فلسطين دولة عربية، تضم أقلية يهودية. وهذا الخيار، فى الوضع الراهن يكاد يكون مستحيلاً.

والثالث: أن تأخذ إسرائيل «خيار شمشون» أى أن تصبح فلسطين أرضاً خربة، تتولى الترسانة النووية الإسرائيلية تدميرها، بحيث لا تبقى ولا تذر على ظهرها عربياً أو يهودياً. وهذا الخيار خيار انتحارى يكشف عن يأس وضعف من يستخدمه، وهو خيار صعب اتخاذه لأنه يضر إسرائيل قبل أن يضر العرب. لذا فإن مستقبل إسرائيل كدولة يهودية محفوف بكثير من المخاطر التى أوضحناها من قبل، وأن البديل العملى الذى يراه الكثيرون من المحللين السياسيين والعسكريين هو أن تكون فلسطين دولة لكل مواطنيها عرباً ويهوداً على السواء، وإلا فلا سلام بين شعبين يدور بينهما صراع حول الوجود والحدود.

تعميم الحكم على النـــاس خطأ صريح

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف
رئيس لجنة حوار الأديان بالأزهر الشريف

شاع وانتشر فى المجتمع الدولى فى العقود الأخيرة من القرن العشرين، وفى مطلع الألفية الثالثة استعمال أسلوب التعميم فى الحكم على الموضوعات.. أو بتعبير أدق استعمال أسلوب التعميم فى الحكم على من ينتسبون إلى شعوب معينة، أو من ينتسبون إلى عقيدة دينية واحدة فى حالة ما إذا قال أو فعل بعض من ينتسبون إلى هذه الشعوب أو إلى تلك العقيدة الدينية ما يخالف فكر أو منهج أو سلوك أو رأى غيرهم..

فنحن نرى أنظمة حكم بعض دول العالم التى تعتنق فكراً سياسياً معيناً، أو تطبق نظاماً اقتصاديا خاصاً، أو تتبع منهجاً وسلوكاً اجتماعياً ترتضيه.. نراها عندما تتحدث عمن يخالفها فى ذلك تعمم الحكم على الدول والشعوب..

وإذا جاز استعمال هذا الأسلوب - مع التحفظ على هذا الجواز - فى المجالات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.. فإنه لا يجوز مطلقاً أن يقبل استعمال أسلوب التعميم هذا فى المجالات الدينية..

فقد تعدى هذا الخطأ الكبير إلى بعض رجال الأديان أنفسهم فوقعوا فيه، وعمموا الأحكام على الأديان الأخرى المخالفة لعقيدتهم الدينية وعلى معتنقيها عندما يقول أو يفعل بعض من ينتسبون إلى دين آخر شيئاً مرفوضاً لدى رجال الدين هؤلاء.. مع أن المفروض فيهم أن يكونوا أكثر دقة فى الحكم، بحكم مسئوليتهم الدينية، ولأنهم قدوة مؤثرة فى أتباعهم ومجتمعاتهم يتأسى الجميع بأقوالهم وأفعالهم.. وكان الواجب عليهم التأنى والروية، والقيام بدراسة موضوعية جادة محايدة لمبادئ وأحكام هذا الدين الذى يعتنقه مخالفوهم لمعرفة تشريعاته، وهل هو فعلاً يقر تلك الأقوال والأفعال أم لا؟

موقف الإسلام من تعميم الحكم على الناس

عندما نتحدث عن بيان موقف الإسلام من تعميم الحكم على الناس يلزم أن نوضح أولاً أن الحكم على الناس فى الإسلام ينقسم إلى قسمين:

١- حكم عام لا يختلف فى تطبيقه على الناس جميعاً عند ارتكاب أحدهم مخالفة فى العبادات أو جريمة فى الحدود، فيطبق هذا الحكم على المخالف وحده، ولا يستثنى من تطبيق هذا الحكم عليه أحد من الناس فى حالة ارتكابه مثل هذه المخالفة أو الجريمة.

٢- وحكم خاص يتحمل المسيئ فقط وزر قوله أو فعله على قدر السيئة التى ارتكبها، ولا تنسب هذه السيئة إلى الدين.

ولتوضيح القسم الأول نضرب مثالاً من العبادات على ذلك: صيام شهر رمضان فرض على كل مسلم ومسلمة إذا توفرت فى الصائم شروط محددة، وفى حالة إفطاره عامداً متعمداً - وهو مستوف لشروط الصيام - فإنه تجب عليه الكفارة، هذه الكفارة محددة تطبق على كل من يرتكب هذه المعصية لا يعفى منها أحد ولا تخفف عن أحد، فهى عامة فى حكمها.

مثال آخر على ذلك الحدود: السرقة فى الإسلام حرام، وأن من يسرق حكم الإسلام فيه أن تقطع يده إذا توفرت فى السرقة شروط إقامة حدها، هذا الحد يطبق على كل من يرتكب هذه الجريمة بشروطها لا يعفى منه أحد مهما كان وضعه ومكانته فى مجتمعه، فهو حكم، عام، وكلنا يعرف قصة فاطمة بنت الأسود المخزومى، من بنى مخزوم قبيلة قرشية مشهورة، وقد سرقت حلياً، فاهتمت لها قريش لشرفها فيهم وخافوا الفضيحة من الحد عليها، وفكروا فيمن يشفع لها عند النبى ﷺ، فوقع اختيارهم على أسامة بن زيد وقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبّ رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع فى حدّ من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(1) فهذا حكم عام يطبق على كل من يرتكب هذه الجريمة.

(1) رواه الخمسة.

هذا هو القسم الأول، وقد حرصت على أن أشير إليه حتى لا يلتبس الأمر على من لم يعرف أحكام الإسلام فيقول - عندما أتكلم عن القسم الثانى الذى ينفى الإسلام فيه التعميم - يقول: الإسلام فيه تعميم للأحكام.

أما القسم الثانى: فكلنا نرى ونشاهد، ونقر ونعترف بأن الناس ليسوا سواء.. منهم الصالح ومنهم الطالح، ومنهم الطيب ومنهم الخبيث، وقد يكون الإثنان أخوين شقيقين من أب واحد وأم واحدة، أو يكونان من بلدة واحدة، أو ينتسبان لدين واحد، أو ينتميان لدولة واحدة.. ومع ذلك يوجد هذا التفاوت الشاسع بينهما فى الأخلاق والسلوك والمعاملات.. وحينئذ يجب ألا يؤاخذ البرئ بذنب المذنب، وألا يعمم الحكم على الإثنين، بل يأخذ كل واحد جزاءه حسب عمله... وقد يحدث أن تسئ جماعة فى أمة من الأمم، ففى تلك الحالة يجب أيضاً أن نحكم بالذنب على تلك الجماعة المسيئة فقط، ولا يعمم الحكم على الأمة كلها، وهذا أمر تقتضيه الفطرة السليمة، ويحكم به العقل السليم.

وهنا نجد عدل الدين الإسلامى الحاسم الذى يرفض التعميم، ويقرر بكل وضوح أن كل إنسان مجزى بعمله، محاسب عليه، يقول الله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾

(سورة المدثر آية ٣٨)

أى: كل نفس مرهونة عند الله - تعالى - بكسبها، مأخوذة بعملها، فإن كان عملها صالحاً أنجاها الله من العذاب، بل وجزاها بالحسنات والنعيم، وإن كان عملها سيئاً أهلكها وجعلها محلاً للعقاب، ويؤكد هذا المعنى قول الله - تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾

(سورة الزلزلة آية ٧، ٨)

أى: فى يوم القيامة يخرج الناس من قبورهم متفرقين لا يلوى أحد على أحد، متجهين إلى موقف الحساب على أعمالهم فى الدنيا، فمن كان منهم قد عمل فى دنياه عملاً صالحاً رأى ثماره الطيبة، حتى ولو كان هذا العمل فى نهاية القلة، ومن كان منهم قد عمل عملاً سيئاً فى دنياه، رأى ثماره السيئة، حتى ولو كان هذا العمل - أيضاً - فى أدنى درجات القلة.

وقد حرص الإسلام على تأكيد عدل الله فى أن كل نفس مسئولة عن أعمالها فقط فكرر فى القرآن الكريم الآيات التى تثبت

ذلك، يقول الله تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾

(سورة البقرة آية ٢٨٦)

أى: أن الله - سبحانه وتعالى - كلف الإنسان بما تسع قدرته وتستطيعه نفسه، وأن كل نفس لها ثواب ما كسبت من حسنات بسبب أعمالها الصالحة، وعليها عقاب ما اكتسبت من سيئات بسبب أعمالها السيئة.

وحتى لا يترك القرآن الكريم مجالاً لفكر الإنسان بأن يظن أن أعماله السيئة يمكن أن يتحمل عقابها غيره، أو يتحمل جزءاً من عقابها نفى القرآن الكريم ذلك نفياً قاطعاً، يقول الله - سبحانه وتعالى -:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾

(سورة فاطر الآية ١٨)

أى ولا تحمل نفس غير آثمة إثم نفس أخرى، وإنما كل نفس مسئولة وحدها عن أفعالها وأقوالها التى باشرتها أو تسببت فيها، وإن طلبت نفس آثمة مثقلة بالذنوب من نفس أخرى غير آثمة أن تحمل عنها شيئاً من ذنوبها التى أثقلتها لا تجد استجابة منها، حتى ولو كانت تلك النفس الأخرى من أقربائها وذوى رحمها..

وهذا التخصيص بتحمل النفس الآثمة مسئولية قولها وعملها، وعدم تعميمها على الآخرين أو إشراكهم فيها ليس قاصراً على الأفراد فقط، بل على الأمم أيضاً، فكل أمة مسئولة عن عملها ما دام جميع أفرادها مشتركون فى هذا العمل، يقول الله تعالى:

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٤٠ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

(سورة البقرة آية ١٤٠، ١٤١)

أى: قل يا محمد لأهل الكتاب: إن إبراهيم وآله يمثلون أمة مضت لسبيلها، لها عند الله ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر، ولا ينفعها غير صالح أعمالها، ولا يضرها سوى سيئاتها، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لهؤلاء الذين تفتخرون بهم، فمن الأولى أن يكون الأمر كذلك بالنسبة لكم، فعليكم أن تسلكوا طريق الإيمان والعمل الصالح، وأن تتركوا الاتكال على فضائل الآباء والأجداد، فإن كل نفس يوم القيامة ستسأل عن أعمالها دون أعمال غيرها.

أمثلة من واقع التاريخ الإسلامى سجلها القرآن الكريم تمنع تعميم الأحكام

في بدء تكوين الدولة الإسلامية، بعد هجرة الرسول ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة، كان الأعراب الذين يسكنون حول المدينة أشد كفراً ونفاقاً من أهل الحضر الكفار والمنافقين، لأن ظروف حياتهم البدوية، وما يصاحبها من عزلة وتنقل فى الصحراء، وخشونة فى الحياة.. كل هذه العوامل جعلتهم أقسى قلوباً، وأجفى قولاً، وأغلظ طبعاً، وأبعد عن سماع ما يهدى نفوسهم إلى الخير من غيرهم من سكان المدن، وبذلك كانوا أحق وأخلق من أهل الحضر بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، بسبب ابتعادهم عن مجالس رسول الله ﷺ، وعدم مشاهدتهم لما ينزل عليه ﷺ من شرائع وآداب وأحكام، يقول الله تعالى:

﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة التوبة آية ٩٧)

غير أن الإسلام الذى يمنع التعميم فى الحكم على الناس أخذ يُفصّل أحوال هؤلاء، ويعطى كل ذى حق حقه، ويبين أن الحكم ليس عاماً على كل واحد من جنس الأعراب، فتناولت الآيتان الكريمتان التاليتان لهذه الآية تفصيل ذلك، تقول الآية الكريمة التى تليها مباشرة:

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(سورة التوبة آية ٩٨)

أى: ومن الأعراب منافقون يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ويعاونون أعداء المسلمين فى حربهم وقتالهم للمسلمين بما يدل على نفاقهم وكذبهم عندما يعلنون إسلامهم، وذلك فى محاولة منهم لستر أمرهم وما يبطنونه من الكفر يعلنون التبرع بالمال ذراً للرماد فى العيون، وخديعة للمسلمين، وهم فى قرارة أنفسهم يعتبرون ما ينفقونه فى سبيل الله غرامة وخسارة عليهم، لأنهم لا ينفقون ما ينفقونه طمعاً فى ثواب، أو خوفاً من عقاب، وإنما ينفقونه تقية ورياء ومدارة للمسلمين، لا مساعدة للغزاة والمجاهدين، ولا حباً فى انتصار المسلمين، ولا رغبة فى إعلاء شأنهم.. بل على العكس إنهم فى حالة قيام الحرب بين المسلمين وأعدائهم يتربصون الدوائر

بالمسلمين، ويتمنون فى أعماق نفوسهم أن ينهزم المسلمون وأن يتبدل حالهم من الخير إلى الشر، ومن الأمن والأمان إلى القلق والاضطراب.. وهؤلاء بكل تأكيد أشد كفراً ونفاقاً..

ثم تقول الآية الكريمة التى تلى هذه الآية:

﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(سورة التوبة آية ٩٩)

أى: ومن الأعراب قوم آخرون من صفاتهم أنهم يؤمنون بالله إيماناً صادقاً، ويؤمنون باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، ويعتبرون أن كل ما ينفقونه من مال هو فى سبيل الله، ووسيلة للتقرب إليه - سبحانه تعالى -، ووسيلة للحصول على دعوات الرسول ﷺ لهم بالرحمة والمغفرة، وبحسنات الدنيا والآخرة، وأن هذه النفقات التى يتقربون بها إلى الله مقبولة عنده - سبحانه وتعالى - قبولاً مؤكداً، وسيجازيهم عليها بما يستحقون من أجر جزيل، وقد وعدهم الله - ووعده حق وصدق - بأنه سيغمرهم برحمته التى لا شقاء معها..

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة تمنع تعميم الأحكام، فذمّت من يستحق الذم من الأعراب، ومدحت من يستحق المدح منهم، وبينت مصير كل فريق ليكون عبرة للمعتبرين، وعظة للمتعظين، وذكرى للمذكرين..

خاتمة:

إن تعميم الحكم على الناس دون النظر إلى المحسن والمسيئ، والصالح والطالح، والبرئ والمذنب خطأ كبير وظلم فادح لا يقره الإسلام، فلكل إنسان ميزان خاص به حسب مواقفه وحسب أقواله وأفعاله، وحسب سلوكه وتصرفاته، وهو غير مسئول عمن سواه، فالواجب علينا عند تحديد حكمنا على الناس أن نحدد الحكم عليهم بحسب مواقفهم وأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم مع غيرهم، لا بحسب انتسابهم لدولة، أو انتمائهم لعقيدة دينية، فلا نعمم الحكم على الجميع.

وعلى الله قصد السبيل،،

***

مشكلات المسلمين فى أوغندا

للدكتورة / سلوى محمد الطوخى (*)

تقع أوغندا فى منطقة شرق إفريقيا الوسطى، بين دائرتى عرض ١,٥ جنوبا، ٤ شمالا، ويحدها من الشرق جمهورية كينيا، ومن الغرب الكونغو الديمقراطية، ومن الشمال السودان، ومن الجنوب الغربى رواندا، ومن الجنوب تنزانيا.

مساحة أوغندا حوالى ٢٤١,٠٣٨ كم٢ وعاصمتها «كمبالا» وبها عدة محافظات منها «ماساكا» و«امبرارا» و«جنجا»، ويبلغ عدد السكان نحو ٢٤ مليون نسمة. عدد المسلمين حوالى ٧ ملايين نسمة، يشكلون نحو ٢٠٪ من العدد الإجمالى للسكان، وتضم أوغندا عددا من المجموعات القبلية منها شعب الباجندا وهو أكبرها ويليه «البانياكورى» ويليه «الباسوجا» ويليه «البانيوروا باتورا»، واللغات السائدة هى «السوجاندا»، و«الأشولى»، و«اللانجا»، و«تكولى» و«تورو» و«نيورد»، كما تنتشر اللغة السواحلية بين العديد من القبائل كلغة تعامل وتفاهم مشترك، واللغة الإنجليزية هى اللغة الرسمية ولغة الدواوين الحكومية والإدارة.

دخل الإسلام أوغندا منذ البداية عام ٧٨ هجرية عن طريق هجرات عربية قليلة، وعن طريق بعض التجار المسلمين الذين تطرقوا إلى هذه البلاد، وتزايد انتشار الإسلام منذ عام ١٨٤٤م على يد العرب اليمنيين الذين جاءوا عبر الساحل الإفريقى الشرقى من كينيا وزنجبار وكذلك عن طريق بعض التجار من مصر والسودان، واعتنق الملك «موتيسا» الأول ملك الباجندا الإسلام، وتبعه العديد من أفراد شعبه، ومنذ ذلك التاريخ بدأ بناء المساجد، حيث أسس أول مسجد فى قرية «كاسوبى» الواقعة غربى العاصمة كمبالا وجد العرب أمامهم دولة متقدمة هى دولة بوجندا، فاتجهوا إليها من الجنوب الغربى حول شواطىء بحيرة فيكتوريا [1]، وفى عام ١٨٦٢م وجد المستكشف «سبيك» «Speke» مستوطنة عربية فى مدينة «كافورو» «Kaforo» فى الشمال فى مقاطعة «كاراجوى» «Karagwe» [2].

ومما يدل على قدم الإسلام فى أوغندا ما عثر عليه مؤخرا من مخطوطات إسلامية مدونة بالعربية وبالسواحلية بعضها يرجع إلى القرن

(*) الكاتبة: حاصلة على درجة الدكتوراة فى الأدب السواحيلى وهى عضو مجلس امناء جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، وعضو جمعية المرأة العربية.

(١) J.M. Gray "Ahmed bin Ibrahim" Uganda Journal, 1947,pp80-91.

(٢) راجع: سبنسر ترمنجهام، الإسلام فى شرق إفريقيا ص ٦٣ وما بعدها.

الرابع الهجرى [3] وبعضها فى التفسير والحديث وأخبار العلماء وغير ذلك.

وازدادت أعداد المساجد فى أوغندا فى عهد «عيدى أمين» ودخلت أعداد كبيرة من الأوغنديين فى الإسلام، وقامت الدولة فى عهده بتقديم دعم حكومى لبناء المساجد، ومن ثم ازدهرت الدعوة الإسلامية، وأنشىء «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» والمكاتب التابعة له فى المحافظات.

وكما ازدادت المساجد، ازدادت أيضا أعداد المدارس منذ نهاية عهد الملك «موتيسا» وفى بداية عهد «ميلتون أوبوتى»، وفى عهد «عيدى أمين»، وتشير التقارير إلى وجود أكثر من ٦٠٠ مدرسة ثانوية منها ٥٠ مدرسة للمسلمين كما يوجد ٨٠ معهدا للتدريب منها ٢ فقط للمسلمين، كما يوجد ٢٧ مدرسة فنية ومهنية منها ثلاث فقط للمسلمين، إضافة إلى ذلك يوجد نحو ١٢ معهدا إسلاميا فى أوغندا، وعدد من معاهد تحفيظ القرآن، بالإضافة إلى الخلاوى فى بعض المدن والقرى الأوغندية.

أما التعليم العالى فمحدود، ومنه الجامعة الإسلامية [4]، وتضم خمس كليات منها كلية التراث الإسلامى التى تضم أقساما للدراسات الإسلامية واللغة العربية والشريعة والدعوة والعلوم الاجتماعية، وكلية التربية التى تضم أقساما للتربية وعلم النفس والتخطيط التعليمى



والبرامج والإدارة والتعليم، وكلية الآداب والعلوم الاجتماعية وكلية الدراسات الإدارية، ويبلغ إجمالى عدد طلاب هذه الجامعة ٧٥٠ طالبا (عام ١٩٩٨م)، ويقوم بالتدريس فيها عدد من الأساتذة من بلدان إسلامية وعربية.

وبالإضافة لهذه المدارس والكليات، توجد منظمات إسلامية أخرى، منها منظمة الدعوة الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامى، والجمعية الإفريقية الخيرية لرعاية الأمومة والطفولة واتحاد المجالس الإسلامية لشرق ووسط وجنوب إفريقيا وغيرها.

(٣) محفوظة فى مركز البحوث الإفريقية بكامبالا الذى انشىء فى فبراير عام ١٩٨٩م.

(٤) تم إنشاء هذه الجامعة عام ١٩٨٨م، وبدأت بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، وكان ذلك بقرار من مؤتمر القمة الإسلامى الثانى الذى عقد فى مدينة «لاهور» فى باكستان عام ١٩٧٤م.

مشكلات المسلمين فى أوغندا

تطرق الاستعمار البريطانى إلى أوغندا أواخر القرن التاسع عشر عام ١٨٧٠م، وفى أعقابه جاء المكتشفون والمبشرون وعمدوا إلى التقليل من شأن المسلمين وإبعادهم عن المشاركة فى الحكومة والوظائف، وشنوا حربا على اللغة العربية، وقد وصلت أولى بعثات التبشير المسيحى C.M.S فى عام ١٨٧٧ك، وبدأوا صراعا مريرا مع المسلمين، خاصة فى عهد «موانجا» عام ١٨٨٤م وخلفه «كيويوا Kiwewa» وتعاون مع المسيحيين فنصب المسلمون «كاليجا» الذى اعتنق الإسلام فاستعان المسيحيون بـ«موانجا» وعاد الصراع أشد عنفا.

تزايد عدد المسلمين الذين تحالفوا مع القوات السودانية بقيادة سالم بك، حتى إذا جاء عام ١٨٩٣م خصص «مبوجو Mbogo»، وهو زعيم إسلامى منطقة نفوذ للمسلمين، فقوى شأنهم مؤقتا، حيث بدأت بعد ذلك فترة التغلغل الأوروبى فى البلاد منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وعمدوا إلى سياسة إبعاد الإسلام واللغة العربية ونشر المسيحية فى كافة المناطق، وكان من نتائج هذه السياسة أن فاق عدد المسيحيين المسلمين، وأصبحوا أغلبية فى البلاد، كما عمدت بعض الحكومات والحكام المحليين إلى إثارة النزاعات والفتن بين المسلمين، مستغلين بعض الاختلافات المذهبية، ولكن المسلمين مؤخرا كانوا قد نبذوا خلافاتهم المذهبية منذ عام ٢٠٠٠م واتحدوا تحت مظلة المجلس الأعلى الإسلامى الأوغندى، وهى الهيئة التى تعترف بها الحكومة ويؤيدها الرئيس الحالى «يورى موسيفينى»، وبدأ المسلمون فى ظل اتحادهم بناء المسجد الكبير فى كمبالا، والذى يسع ١٢ ألف مصل.



موباجى

ولعل أهم مشكلات المسلمين فى أوغندا كما أشار «شعبان رمضان موباجى» مفتى عام أوغندا ورئيس المجلس الأعلى الإسلامى (٥) تكمن فى:

افتقار المسلمين إلى وسائل إعلامية مناسبة للتعريف بالإسلام ومبادئه بين الأوغنديين المسلمين أنفسهم، لتثبيت وحدتهم وجمع شملهم فى ظل ثقافة إسلامية واحدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعريف الأوغنديين غير المسلمين بالإسلام والثقافة الإسلامية، والرد على حملات التنصير التى تشوه صورة الإسلام فى أذهان الناس، يقول «موباجى» إن بين ٦٠ إذاعة أهلية لا يوجد سوى إذاعة إسلامية وحيدة هى «إذاعة صوت إفريقيا» كما لا يمتلك المسلمون قنوات تليفزيونية على الرغم من وجود ٦ قنوات بالبلاد، والإذاعة الإسلامية الوحيدة قامت على تبرعات من جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالجماهيرية الليبية.

ثانيا: الأوضاع التعليمية السيئة لمسلمى

(٥) فى حوار مع شبكة «إسلام اون لاين. نت

أوغندا، فالمسلمون لا يقبلون على تعليم أبنائهم نظرا لارتفاع تكاليف التعليم ويكتفون فى أغلب الأحوال بالمراحل الأولى من التعليم لأنها مجانية والقليل جدا من يتمكنون من الالتحاق بالتعليم الإعدادى والثانوى والجامعى بالنظر إلى تكاليفه الباهظة التى لا تتناسب مع دخول المسلمين، فالطالب الجامعى عليه أن ينفق نحوا من ١٥٠٠ دولار فى العام الدراسى الواحد والجامعات الأوغندية أغلبها أهلية خاصة، ويرى مفتى أوغندا أن ارتفاع تكاليف التعليم تتسبب فى عزوف كثير من المسلمين عن تعليم أولادهم وهذا يؤدى إلى ضعف عام للمسلمين، لأنهم لا يتمكنون من شغل الوظائف المهمة فى الدولة، أو الوظائف ذات العائد المادى المناسب كالطب والهندسة، وكنتيجة طبيعية لكل هذه الأوضاع فإن فرص تقلد المسلمين للمناصب الحكومية والوزارات قليلة جدا، فمن بين ٦٣ وزيرا ونائب وزير ووزير دولة لا يوجد سوى ٦ فقط من المسلمين، كما أن مناصبهم غير مؤثرة.

وعلى الرغم من وجود ٧ آلاف مسجد فإن «موباجى» يرى أن الكثير منها فى حالة سيئة، وغير مجهزة للقيام بالدور الحقيقى للمسجد.

ثالثا: يعانى المسلمون فى أوغندا من الفقر، كما يعانون نوعا من النفى الحكومى لهم، بالإضافة إلى المحاولات المستمرة لزرع الفتن بينهم من قبل بعض الجهات الأجنبية، مما يؤدى من غير شك إلى قصور فى الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة لتقوية مركز المسلمين والمؤسسات الإسلامية، ونشر الإسلام واللغة العربية فى البلاد، علاوة على عدم قدرتهم على تعلم العلوم العصرية التى تدفع التنمية الاقتصادية والبشرية، ويقترح «موباجى» أن تمد البلاد العربية والإسلامية يد العون لمسلمى بلاده، وأن تتحمل جزءا من عبء النهوض بهم.

حقا لقد خصص الأزهر الشريف الكثير من المنح الدراسية لأبناء المسلمين فى أوغندا للدراسة العلوم الاسلامية واللغة العربية بالكليات والمعاهد الأزهرية، كما يقوم الأزهر الشريف بتدريب أئمة المساجد والدعاة والوعاظ الأوغنديين فى القاهرة، ويقوم أيضا بإيفاد عدد من العلماء والأساتذة لتدريس العلوم الإسلامية بالجامعة الإسلامية والمعاهد الأخرى فى أوغندا، ومؤخرا وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى على إنشاء معهد أزهرى فى أوغندا عام ١٩٩٧م، حيث بدأ العمل والدراسة عام ١٩٩٨م/ ١٩٩٩م ويقوم هذا المعهد كمنارة إسلامية ثقافية فى البلاد، ومع ذلك فالمطلوب أكثر من ذلك بكثير، خاصة وأن اللغة العربية قد بدأت تستقطب اهتماما متزايدا من قبل المسلمين، وذلك باعتبارها لغة القرآن الكريم، كما أن المدارس القرآنية التى تعلم القرآن واللغة العربية قد انتشرت فى طول البلاد وعرضها، إلا أن ذلك يحتاج إلى مساعدات حقيقية وعلى أسس منظمة لترقية أدائها والنهوض بدورها فى الحياة الأوغندية.

ومن وجهة نظرى فإن موقع أوغندا على خريطة العمل الإسلامى له أهمية بالغة، لأنها تشكل - جغرافيا - الطريق إلى قلب القارة الإفريقية، التى حرص الغرب ومازال يحرص على منع التأثيرات العربية الإسلامية من النفاذ إليها.

ما يقال عن الإسلام

حتى أسماء الله الحسنى جعلوها مطاعن فى الإسلام

للأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى



ليس لله فى الإسلام إلا اسم واحد

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾

البقرة/ ٢٥٥

«الله» هو الإسم الأعظم الذى لم يسم به أحد غير الله، وهو مصدر الفيوضات كلها فى الحياة وقد ارتفع الحس المعنوى عند علماء اللغة العربية كما جاء فى «شرح الكافية» لابن الحاجب، حيث أورد قولا لفريق من علماء اللغة، يمنعون فيه أن يكون اسم «الله» مشتقا من أى جذر لغوى آخر[1] لأن «الله» هو مبدأ الوجود الأزلى وهو غير مفتقر إلى شىء سواه.. وهذه اللمحة اللغوية هى نهاية التجريد فى عقيدة التوحيد الإسلامية وكون «الله» هو الإسم الوحيد لله عز وجل، لا ينافى جمع أسمائه فى القرآن كما فى قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

الأعراف: ١٨٠

لأن الأسماء الحسنى، وهى ثمان وتسعون اسماً. الواردة فى الحديث الصحيح: «إن لله تسعة وتسعين اسماً»[2].

١. الاشتقاق اللغوى هو أخذ شىء من شىء مثل ناظر ومنظور، كلاهما مشتق من «النظر» ومن «نظر» على خلاف بين البصريين والكوفيين.

٢. أخرجه البخارى ٣/٢٥٩، وأحمد ٢/٢٥٨.

نعم، إنها ثمان وتسعون صفة لموصوف واحد، يلحظ ذلك من حيث المعنى، ومن حيث الصياغة اللغوية، ومن حيث الاستعمال التركيبى، وبخاصة فى القرآن الحكيم.

من حيث المعنى لأن الوصف ـ سواء كان لله، أو لغيره، إذا جرى على موصوف فُهم منه أن الوصف معنى ذهنى قائم بالموصوف، غير منفصل عنه، فقولنا ـ مثلا: الرجل الصادق محبوب عند الناس، هذه الجملة فيها ثلاث كلمات هى أصول فى تركيب العبارة.

الرجل + الصادق + محبوب. فالرجل ذات لها تحقق مادى فى الوجود خارج الذهن أما: الصادق، ومحبوب «فهى معان ذهنية كل منها قائم بالموصوف (الرجل) فهذا الرجل موصوف بوصفين: كونه صادقا وكونه محبوبا عند الناس.

وهذان الوصفان محال أن يقوما بغير موصوف بهما ومع جريانهما على هذا الموصوف فى هذه العبارة لا يصبح الموصوف الواحد بهما اثنين ولا ثلاثة، فى حكم العقل والعلم والواقع وكذلك صفات الله الثمانية والتسعين إذا أجرى بعضها، أو حتى أجريت كلها على اسم «الله» الأعظم، لا تخرجه من الوحدة إلى التعدد، حتى لو كان له ألف صفة وإذا تأملت الاستعمال القرآنى فى المواضع التى ذكر الله فيها موصوفا بواحدة من هذه الصفات أو بأكثر ـ رأيت عجبا فهى أولا تجرى على موصوف، أما لفظ الجلالة «الله» أو ضمير عائد عليه وهى ثانيا تسرد سرداً محكماً خالياً من أى أداة عاطفة، إلا ما ندر مع مقتضى بلاغى لهذا العطف خذ إليك هذه الآيات الحكيمات:

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

الحشر: ٢٢ : ٢٤

دقق النظر فى هذا النظم الحكيم وقد ذكرت مجموعة من أسماء الله الحسنى (١٦ اسماً) لم يرد فيها حرف عطف واحد يعطف اسما لاحقا على إسم سابق، لأن هذه الأسماء لو عطفت على الموصوف «الله» لوقع فى الأذهان أنها مغايرة له، مختلفة عنه، وهذا لا يراد هنا، لأن هذه الأسماء (الصفات) هما عين الموصوف، لا زائدة عليه ولا ناقصة عنه.

هذه السمة الأسلوبية سارية فى كل موضع ذكرت فيها هذه الأوصاف مجردة على الله، حقيقة أو تقديراً.

أما إجراء بعض هذه الصفات على ضمير مكنى به عن الله فمنه قوله تعالى:

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾

طه: ٨٢

غفار، صيغة مبالغة فى اسم الفاعل

افر)، وهو من أسماء الله الحسنى، وقع
ا عن الضمير (الياء في: إنى) وهو كناية
لفظ الجلالة «الله».

وصفوة القول هنا:

إنك لو جئت باسم «الله» وجعلته مبتدأ،
ذكرت بعده الأسماء الثماني والتسعين من
ها إلى آخرها، لكانت جميعها أخبارا عن
عند من يجوز تعدد الأخبار من النحاة.

أو الإسم الأول المذكور بعد لفظ الجلالة مباشرة
الخبر» وما ذكر بعده صفات للموصوف، الذى
«الله» عند من لا يجوز تعدد الأخبار من النحاة
ذا خلاف لفظي ومجرد اصطلاح، وإلا فإن
جميعها صفات لأن الخبر نفسه صفة من حيث
ى وهذا لا خلاف فيه.

أجل نظرك في القرآن كله، تجد هذه
سماء الحسنى (الصفات) جارية على هذا
سق، إلا في مواضع نادرة، مثل:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾

الرحمن: ١، ٢

وردت فيه صفة «الرحمن» غير جارية على
سم «الله» لفظا ولهذا سر بلاغى اقتضاه، لأن
سورة الرحمن» عددت نعم الله على عباده
ى الكون، وتكرر فيها قوله تعالى:

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

(الرحمن/ ١٣)

واحدة وثلاثين مرة لذلك أوثر أن تبدأ بها
سورة سادة مسد الموصوف «الله» لأن

«الرحمن» إذا أطلق لا يراد به إلا «الله» عز وجل وكذلك مجئ حرف العطف بين أسماء الله لم يأت في القرآن إلا نادرا لداع بلاغى اقتضاه ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾

الحديد: ٣

فقد ورد حرف العطف «الواو» بين: الأول والآخر وبين الآخر والظاهر، وبين الظاهر والباطن وخلاصة القول في هذه المخالفة للنسق العام في ذكر أسماء الله الحسنى في القرآن، إن العطف في الآية الكريمة واقع بين الصفات لداع بلاغي، وليس بينها وبين الموصوف، والعطف بين الصفات لا محظور فيه اذا اقتضاه، مقتضى بلاغى، وإنما المحظور هو العطف بين الموصوف والصفات وهذا لم يرد في القرآن أبداً.

والذى اقتضى العطف بين هذه الصفات الأربع.

الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، أن معنى كل صفتين منها يخالف معنى الأخرى مخالفة تامة (التضاد) فالأول غير الآخر، لما بينهما من مساحة زمنية.

والظاهر غير الباطن لما بينهما من اختلاف مكانى فالظاهر ما كان في مكان يسمح بظهوره للرؤية والباطن ما كان في مكان يحجب الرؤية ولذلك لا يستساغ أن يقال: فلان الأول الآخر، وهو الظاهر الباطن، لأن كل معنيين متقابلين منها لا يجتمعان عقلاً

وواقعاً في «محل واحد» ودفعا لفهم هذا المحظور جيء بـ«واو» العطف لتدل على التغاير بين هذه المعاني فالله عز وجل هو «الأول» أى الأزلى الذى لم يتقدمه عدم وهو «الآخر» أى الأبدى الذى لم يخل منه زمان في المستقبل.

والله هو «الظاهر» بآثاره في الوجود وتصرفاته في «الكون».

وهو «الباطن» وراء كل ما في الكون من تصرفات واقعة بعلم الله وإرادته وقدرته هذا هو المعنى المستساغ في حكم العقل والعلم والواقع، وحقائق الإيمان».

و«الواو» التى عطفت «الظاهر» على «الآخر» فهذه من عطف الجمل على الجمل لا من عطف المفردات.

والتقدير: وهو الظاهر والباطن فتأمل مليا هذا النظم المعجز الحكيم، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ولقائل أن يقول: إذا كان الله له إسم واحد في الإسلام هو «الله» وبقية الأسماء صفات فلماذا سماها القرآن أسماء ولم يسمها صفات؟

والجواب على هذا السؤال واضح ويسير ذلك لأن دلالة الصفة لا تدوم، بل هى تتبدل حسب الحال التى عليها الموصوف فإذا رأيت رجلا جالسا قلت فلان جالس واصفا له بالجلوس، فإذا قلت فلان قائم، وقد كان جالسا وجدت صفة القيام حلت محل صفة الجلوس وهذا هو شأن الصفات تتبدل حسب ما عليه الموصوف من أوضاع غير دائمة.

أما دلالة الأسماء فهى الدوام، فمن سمى خالدا يوم ولادته، يظل هذا الاسم يطلق عليه في حال حياته وبعد مماته.

وصفات الله عز وجل سميت أسماء، لأن دلالاتها ثابتة له دائما فهو كريم في كل زمان، وقادر في كل زمان، وعليم في كل مكان.

فلما كانت دلالاتها لا تنفك عنه سميت صفاته العلية أسماء، لأن دلالاتها ودلالات الأسماء واحدة.

ولسائل أن يسأل: ما الحكمة من تعدد صفات الله تعالى. وما هى صلتها باسمه الأعظم «الله»؟ والإجابة على هذين السؤالين تتضح مما يأتى أولا: أن الكون يصرف الله أحداثه كيف يشاء، وكل تصرف في الحياة مصدره صفة من صفات الله.

ففى الكون خلق قديم ومتجدد والله هو الخالق وفى الكون إحياء مستمر والله هو المحيى وفى الكون إماته كل يوم، والله هو المميت وفى الكون رزق، والله هو الرازق والرزاق وفى الكون عطاء، والله هو المعطى وفى الكون قدرة على تصريف الشئون، والله هو القادر والقدير.

وفى الكون إنعام على الخلق، والله هو المنعم وفى الكون حكم وتدبير، والله هو

الحكيم وفي الكون هداية، والله هو الهادى وهكذا لو سرنا مع بقية أسماء الله الحسنى، أو صفاته على ما بينا تجد كل صفة من هذه الصفات الثماني والتسعين تتعلق بمجموعة من أفعال الله فى الكون بلا زيادة ولا نقص لذلك تعددت هذه الصفات «العلية» حسب أثارها الشاهدة فى كون الله العظيم.

أما صلة هذه الصفات بالاسم الأعظم «الله» لأنها صفاته القائمة به. فهو مصدر «الفيوضات» كلها ما نعلمه منها وما لا نعلمه.

﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

الزمر: ٦٣

ولتعدد صفاته عز وجل حقائق أخرى إيمانية لأنها مهما تعددت تثبت لله ثلاث صفات جليلة لا يتم الإيمان إلا بها وهى:

الجلال: فقسم منها يثبت له صفة «الجلال» (المهابة والعظمة) ومن هذا القسم الصفات الآتية

العلى، العظيم، المهيمن، الجليل، القهار، الجبار، القوى، العزيز، المتكبر، وهكذا.

الكمال: والقسم الثانى يثبت له صفة «الكمال» (التنزيه والبراءة من كل نقص) ومن هذه الصفات: القدوس، الواحد، الأحد، الغنى، الأول، الأخر، الظاهر، الباطن.

الجمال: القسم الثالث يثبت له صفة «الجمال» (الإحسان والإنعام والنفع)

وباجتماع هذه الصفات الثلاث الجامعة المانعة، تعلو العقيدة الإلهية فى الوجود وفى الإسلام علوا غير قابل للزيادة لأنه لا زيادة فوقه.

هذه هى أسماء الله الحسنى فى الإسلام (اسمه الأعظم (الله) وصفاته الجليلة حصن التوحيد المنجى من الهلاك فى الدنيا وفى الآخرة.

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

أما المطاعن الأخرى التى وجهوها لتعدد الأسماء الحسنى فى الأسماء، غير الاشتراك فهى عندهم لا تليق بالله، وتظهره فى مظهر الإرهابى؟

فهم يسخرون من الإسلام، ويموتون على أنفسهم من الضحك عندما يذكرون:

القهار- الجبار- المتكبر- المهيمن- القوى- العزيز- المتعال؟!

ولا نريد أن نعير هذا الهراء اهتماما ويكفى فى مواجهة هذا «الهوس» أن نسجل هنا أن جمع الله عز وجل بين صفات الجلال والكمال والجمال أساس المنهج التربوى الفطرى العظيم، الذى يعتمد على الخوف والرجاء لأن الله لا يطاع حق الطاعة إلا إذا كان عظيما قادرا على العطاء والمنع، والترغيب والترهيب، وقد تضمنت صفاته العلية

الوفاء بهذا المعنى، ولذلك أثنى على عباده ومنهم الأنبياء والرسل الذين يدعون رغبا فى ما عنده من حسن الجزاء ورهبا مما هو قادر عليه من العقاب الأليم أو عباده الذين يدعونه خوفا وطمعا. والعبد لا يستقيم ولا يصلح شانه إلا إذا سار بين الخوف والرجاء حتى فى أعماله الدنيوية الخالصة كالطالب يرجو النجاح ويخاف الرسوب.

هذا هو المنهج التربوى العظيم النابع من فطرة الله التى فطر الناس أو الخلق عموما عليها.

﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

فاطر: ٤٣

ومعلوم أن كل صفة من صفات الله تنفى ضدها.

فهل يؤمن هؤلاء الحاقدون أن الله هو: الضعيف بدلا من الوصف الإسلامى «هو القوى» وهل يؤمنون بان الله هو الذليل بدلا من الوصف الإسلامى: «الله هو العزيز» وهل يؤمنون بان الله هو الحقير بدلا من الوصف الإسلامى.. أن الله هو المهيمن الجبار المتكبر.

وهل يؤمنون بان الله هو المغلوب «بدلا من الوصف الإسلامى «والله غالب على أمره» إن كان الأمر كذلك فلا نملك أن نقول لهم.

﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

البقرة: ٩٣

أم أن أمريكا تريد أن تدخل شئون الله عز وجل ضمن «مشروع الشرق الأوسط الكبير وأن تجرده من كل عناصر القوة والهيمنة»؟

***

الوسطية في البناء الاجتماعي الإسلامي

للدكتور/ عبد الحليم عويس

ليست الوسطية فى البناء الاجتماعى أمراً قانونياً، نستطيع أن نقول: إنه خط فاصل واضح بين الإفراط والتفريط.. إن هذا الخط الفاصل يستطيع الدارسون للشريعة أن يجدوه.. لكنه لا يمثل الوسطية بمعناها الأعمق والأشمل، فالوسطية عملية نفسية، وروحية، وفكرية، تشبه الضمير الذى لايمكن لمسه باليد، ولا التعامل معه بالميزان القانونى التشريعى البحت، فهو ملكة داخلية يفرق بها المرء بين المبالغة فى الإفراط أو المبالغة فى التفريط!!

ومن البديهى أن هذا الميزان لا يعنى الانسياب فى كل الأعمال، وإنما يعنى ضبط إيقاعات الإنسان بحيث لا يطغى جانب على جانب، وبحيث يأخذ كل ذى حق حقه، فنحن فى أيام العيدين (الفطر والأضحى) نلتزم دينياً بالتكثيف فى الفرح الاجتماعى، وبالتغليب فى الجانب الترويحى، لكننا قبل عيد الفطر بعدة أيام، وفى خلال العشر الأواخر من رمضان، نلتزم أيضا بتكثيف العبادة حتى نفوز بليلة القدر وبمغفرة الله!!.

وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يزعجهم أن يكونوا بين يدى رسول الله ﷺ فى المسجد أشباه ملائكة، قد انسلخوا من الدنيا، وصعدوا إلى أكبر درجة ممكنة من السمو البشرى، لكنهم عندما يخرجون من المسجد ينزعجون لأنهم يجدون أنفسهم قد تحولوا إلى بشر يمازحون الأطفال والنساء، ويأكلون كما يأكل الناس، فلما سألوا رسول الله ﷺ عن هذا التباين الذى يقوم فى أذهانهم، ويجعلهم يبدون متناقضين بين كفتى الإفراط والتفريط، طمأنهم رسول الله ﷺ إلى أن هذا وضع طبيعى، وأنهم لو لم يكونوا كذلك لانخلعوا من بشريتهم ولصافحتهم الملائكة.

مفهوم الوسطية الاجتماعية الإسلامية

فالوسطية فى البناء الاجتماعي الإسلامي، لا تعنى إلغاء التعددية فى النشاط الاجتماعى، ولا تعنى الالتزام بحد معين فى كل حالة على حدة، وإن كان هذا واردا بدرجة ما، لكن المهم هو الوسطية فى مجموع الحالات، وفى وزن الأشياء بالميزان الصحيح فى مجموعها.

وحتى فى السلوكيات الفردية، لا تغيب الوسطية، لكنها ليست وسطية بين أمرين متنازعين، ولكنها وسطية تمنع المبالغة المهلكة فى كل الأمور، وكل هذا ما تعلمنا إياه الآية الكريمة:

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾

الحديد: ٢٣

انني اختلف مع مصطلح مالك بن نبى، الذى يحاول فيه تحليل العلاقات الاجتماعية فى ضوء علم النفس، فينقل -دون نقد- تعريف بعض علماء الاجتماع (للإنسان) بأنه (حيوان دينى)، قائلا: إن هذا التحديد يعالج جانباً من الأساس النفسى العام فى أفراد النوع، وأن كل فرد يبنى شخصيته الخاصة على هذا الأساس، ومعنى ذلك أن الدين يتدخل أيضاً فى هذا البناء، أعنى فى تحديد العناصر الشخصية للفرد أو «الأنا».

وهو هنا يتدخل مباشرة فى عملية التكيف التى عرفناها على أنها عملية ترشيح من جانب، وعملية انتقاء أو بعث للإحساس من جانب آخر[1]، ولو أنه استعمل مصطلح (الإنسان الدينى) لوافقته على هذا المصطلح، فنحن ممن يرفضون إطلاق مصطلح (الحيوانية) على الإنسان، وليس (الإنسان) فى رأينا حيواناً ناطقاً أو عاقلا، أو حيواناً له تاريخ.. كما يقولون، بل هو (إنسان).. مع وجود هذه الجوانب الغرائزية الضرورية لبقائه، وبهذه (الوسطية) الجامعة للإنسانية والدينية يتحقق وجود الإنسان المسلم.

وثمة وسطيات جديرة بأن نشير إليها فى هذا المقام لتكتمل صورة (الوسطية)، وليتضح مفهومها الصحيح، فإن إيمان المسلم -مثلا- بالآخرة لم يؤد إلى الاسترخاء والرضى بالتعويض عما يفوته من حقوق فى الدنيا، بل جعله يُحس بالامتداد فى الزمان والمكان[2]، وبالتالى يعمل وينجز حضارة مادية دنيوية، وثيقة الصلة بالآخرة وبالغيب، فالمحور الدنيوى الذى يدور حوله النشاط الإنسانى كله -بالنسبة للمسلم- هو «إرضاء الخالق»، فهو فى فاعلياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية يُحس بأنه يعبد الله

(١) مالك بن نبي: ميلاد مجتمع- شبكة العلاقات الاجتماعية، ص٦١، ترجمة د. عبدالصبور شاهين، إصدار ندوة مالك بن نبي- دار الفكر.

(٢) د. أكرم ضياء العمري: قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، كتاب الأمة، قطر، الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص٥٨.

مادام يُحسن فى عمله، ومادام ينوى به القربى إلى الله، ولكنه يحتاج من أجل ذلك إلى تنمية المعانى العبادية من الذكر والشكر والتوكل والرضى والحب وكل ما يغذى الروح ويحيى القلب ويوثق الصلة بالله[٣].

ومن جانب آخر - فى ضبط الأمور بالوسطية - جمع الإسلام بين كليتين عظيمتين:

الأولى: القضاء والقدر.

والثانية: مسئولية الإنسان عن العمل.

وهذا الجمع يكفل تحقيق الطمأنينة وإزالة عقد الذنب والخوف، ويولد روح المغامرة والبذل والفداء والتضحية، ويحدد بقوة ووضوح مسئولية الإنسان[٤].

وقد كان لهذه المعانى أثر عظيم فى نفوس المؤمنين على تباين مستوياتهم الثقافية، وتمايز أعمارهم، وتنوع أذواقهم، واختلاف بيئاتهم، من حيث صياغة شخصياتهم وتشكيل بنيتها النفسية، وقيمها الروحية والجمالية، وتحديد مقاييسها الخلقية وضوابطها الاجتماعية، ووعيها بمكانها من الكون والتاريخ[٥]، فأصبحت الوسطية - فى ضوء هذا - قاسماً جامعاً فى عالم النفس وعالم الفكر وعالم النشاط الاجتماعى، وفى نسيج شبكة العلاقات الاجتماعية كلها.

مفهوم البناء الاجتماعى الإسلامى

البناء الاجتماعى هو العمران الذى يحيا فيه الناس أفراداً وأسراً خاضعين لعقد اجتماعى موروث ومكتوب يلزمهم بالقواعد الاجتماعية المعتبرة التى تحقق التماسك والتقدم والتكامل، سواء كانت هذه القواعد عرفية أم تشريعية، وفى بعض الأحوال قد توجب بعض الحالات الارتفاع فوق هذه القواعد، وذلك مثلما فعل الأنصار مع المهاجرين عندما شاركوهم فى دورهم وأموالهم، بل وقد عرض الأنصار على إخوانهم المهاجرين أن يقتسموا معهم هذه الأموال والعقارات مناصفة... فهذا نوع من الإيثار (والتكافل) لم يجعله الشرع فرضا، وتركَه للمستوى الأخلاقى للمسلمين فى ظل معانى الرحمة والأخوة الإسلامية، ولربما بدون هذا الارتفاع (الإيثارى) لم يكن المجتمع الإسلامى الأول ليتكون، أو ليتكون على هذا النحو!!

ومن هذا السياق السابق نعلم أن التعامل مع الجوانب الاجتماعية فى الإسلام يقف فوق أرضية عقدية وفكرية ونفسية وأخلاقية معينة، وأن المسلم يعالج هذه القضايا فى إطار مفاهيمه

(٣) د. اكرم ضياء العمرى: قيم المجتمع الإسلامى من منظور تاريخى، مرجع سابق، ص٥٩.

(٤) د. اكرم ضياء العمرى: قيم المجتمع الإسلامى من منظور تاريخى، مرجع سابق، ص٦٠.

(٥) المرجع السابق، ص٥٩.

الإيمانية الكلية، فهو لا يقوم بها لأنها أوامر قانونية، ولا قضايا مصلحية عامة، يتبادل فيها الفرد والمجتمع الخدمات بطريقة جدلية تبادلية.. وقد تنتهى هذه العلاقة بمجرد الشعور بانقضاء المصلحة، أو بالتحايل على القانون، فالأصل العقدى والعبادى للقضايا الاجتماعية فى الإسلام، والمنهج الذى يجعله جزءاً من كل لا تنفصل عنه.. هذا الأصل وهذا المنهج يجعلان للتكافل الاجتماعى فى المجتمع المسلم قسمات خاصة ينفرد بها عن كل النظريات الاجتماعية التى ظهرت فى القديم وفى الحديث!!

ويؤكد لنا هذا أن الأمة لم تكن تنظر إلى التكافل الاجتماعى على أنه مجرد تنظيم للعلاقة التى تربط الفرد بالمجتمع، وتمنع طغيان أحدهما على الآخر، وتضع الأسس التى تضمن تساند المجتمع أفرادا وطبقات، وتتيح للجميع قدراً متكافئا من الفرص والحقوق، وتلزم الجميع بقدر عادل من الواجبات، بل نظرت إليه على أنه -إلى جانب ما سبق- معنى روحى وأخلاقى ووجدانى يرتفع إلى درجة (المؤاخاة) التى تعلو فوق الأخوة الإيمانية العامة، وتجعل الأنصار يقدمون للمهاجرين ما لم يطالبهم به دين ولا قانون

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

(الحشر / ٩)

وفى هذا الصدد نشير إلى أننا قد نجد الدول الإسلامية (عبر التاريخ الإسلامى) قد تعرضت لنكسات عجزت معها مؤسسات الدول فى كثير من الظروف عن توفير الحاجات الأساسية للمجتمع من غذاء وكساء ودواء وتعليم، فقامت الأمة المسلمة بدوافع الإيمان والعقيدة بسد الاحتياجات التى عجزت عنها مؤسسة الدولة.. حفاظاً على بناء المجتمع!!

ربط عضوى بين الأمة والمجتمع

ومن هذا المنطلق نشير إلى الربط العضوى القائم بين مصطلحات «الأمة»، و«المجتمع» و«التكافل الاجتماعى».. وأخيراً يأتى مصطلح «الدولة» الذى يقوم بدور خطير، لكن الأمة مع ذلك لا يجوز لها أن تيأس ولا أن تترك التكافل الاجتماعى فى الحالات التى تعجز فيها الدول عن القيام بهذا التكافل، أو الحالات الأخرى التى تتنكر فيها الدولة لرسالاتها، وتخدم شرائح معينة، وتهمل الشرائح الاجتماعية الوسطى والضعيفة!!.

ونشير فى هذا السبيل إلى حقيقة قيام البناء الاجتماعى فى الإسلام على الجوانب المادية والروحية معاً، لأنه فى النهاية يعنى شعور الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ومحمول على أخيه، يُسأل عن نفسه ويسأل عن غيره[٦]. ولهذا كان للتكافل الاجتماعى

(٦) الشيخ محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة ص٤٤٤، ط٢، دار القلم، ١٩٦٦ مصر.

الذى يحفظ البناء الاجتماعى شعبتان:

شعبة مادية: وسبيلها مد يد المعونة فى حاجة المحتاج وإغاثة الملهوف، وتفريج كربة المكروب، وتأمين الخائف، وإشباع الجائع، والإسهام العملى فى إقامة المصالح العامة وقد أطلق الإسلام على هذا النوع من التعاون المادى عناوين مختلفة تشمل أنواعاً مختلفة من العلاج والتكافل مثل (الإحسان- الزكاة- الصدقة- الحق المعلوم- الإنفاق فى سبيل الله- كفالة اليتيم- صلة الأرحام.. إلخ) لكن هذه العناوين الدالة على أنواع من التكافل تتكامل كلها لتقدم نسيجاً من التكافل المادى فى الحياة الاجتماعية.

أما الشعبة الثانية فهى الشعبة الأدبية: ونعنى بها تكافل المسلمين جميعاً وتعاونهم المعنوى بالتعليم والنصح والإرشاد والتوجيه.. أو بإيجاز: التعاون على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قولاً وفعلاً.. والإسلام يجعل هذا التكافل الأدبى فريضة لازمة على كل مسلم، بل جاء على لسان الرسول -ﷺ- أنه الدين كله بالنسبة لجميع الطبقات[7]: «الدين النصيحة» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وهكذا يتضح لنا -بجلاء وتركيز شديدين- أن التكافل الاجتماعى فى الإسلام لا يعنى مجرد المساعدات المالية.. أيا كانت صورتها- كما تعنى كلمات مثل الضمان الاجتماعى أو التأمين الاجتماعى.. بل يمتد المضمون الإسلامى للتكافل ليصبح نظاماً لتربية روح الفرد وضميره وشخصيته وسلوكه الاجتماعى- ونظاماً لتكوين الأسرة وأساليب تكافلها، ونظاماً للعلاقات الاجتماعية- بما فى ذلك العلاقات التى تربط الفرد بالدولة- وأن يكون فى النهاية نظاماً للمعاملات المالية، والعلاقات الاقتصادية التى تسود المجتمع الإسلامى[8].

ومن الجدير بالذكر هنا أن البناء الاجتماعى الإسلامى يجعل التكافل المعنوى والأدبى والأخلاقى والروحى فى الأهمية نفسها بالنسبة للتكافل المالى والاقتصادى..

بل إننا نرى فى المنظور الاجتماعى الإسلامى أن التكافل المادى لا تتحقق أهدافه إلا بالوقوف فوق الأرضية المعنوية والأدبية.. ونرى أيضاً أن التكافل المعنوى هو الذى يضمن فعالية التكافل المادى..

(٧) الشيخ محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة ص٤٤٤- ٤٤٥ طبع مصر.

(٨) من كتاب الدورة الثالثة حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية ص٢٠٧، نقلا عن عبدالله ناصح علوان: التكافل الاجتماعى فى الإسلام ص٢١، نشر دار السلام، مصر ط٤، ١٤٠٣هـ.

فما معنى أن يتكافل المسلمون ماديا -فى بلاد الاغتراب مثل أمريكا وأوروبا مثلا- التى قد تقدم فيها الدولة ألوانا من الضمان الاجتماعى المادى، بينما يترك بعضهم بعضا ينحدر فى عقيدته وعبادته وأخلاقه. بحيث يكاد يذوب فى القيم الانحلالية والمادية واللا أخلاقية التى تطرحها -فى الشارع والإعلام- المنظومة القيمية

اللا دينية؟!!

وهكذا فإنه على الرغم من أن الإسلام قد قدم إطاراً قانونيا متكاملا لقيام البناء الاجتماعى على أساس الوسطية والعدالة الاجتماعية المادية -إلا أن الأساس المعنوى يقوم على مخاطبة الإنسان من داخله، وليس مجرد قيادته من ظاهره، وعلى تحريك ضميره بدل سوقه بالقوة القاهرة، واستجاشة مشاعر الفطرة النبيلة بدل تحويل الحياة إلى صراع كئيب.

والحق أن الإسلام فى تشريعه الاجتماعى قد اعتمد هذا الأساس المعنوى على نحو لم تصل إليه أرقى النظم التى ظهرت فى التاريخ، وقد أطلق على هذا الأساس اسم (التكافل الاجتماعى) شاملا المعنويات والماديات، قال تعالى:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة/٢)

وقال:

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

(العصر/٣)

ولئن كانت بعض البلدان غير الإسلامية قد بدأت تلجأ إلى أسلوب التكافل الاجتماعى عن طريق ما يسمى بالجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والمستوصفات والمستشفيات المجانية والضمان الاجتماعى وحماية الضعفاء وما إلى ذلك... إذا كان الأمر كذلك فليس ما تفعله هذه الدول إلا تقليداً متأخراً منها لما جاء به الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، بعد أن طحنتها القوانين الجافة وأساليب الصراع الاجتماعى!!

***

خطبة الجمعة :

بين اللين والشدة مع الأسرى (١)

لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

الحمد لله عز وجل، هو صاحب الدين الحكيم، والهادى إلى الصراط المستقيم. أحمده سبحانه وأشهد أن لا إله إلا الله، خير من علم وقوم:

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ البقرة: ١٣٨

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، العزة ميراثه، والحق تراثه، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آل بيته، وأبطال صحبته، وأنصار دعوته:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ الزمر: ١٨

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام..

حدثتكم عن سماحة الإسلام فى معاملة الأسرى، وعرفت معكم أن هذه السماحة لا تصدر عن الضعف والهوان، وإنما تأتى مع القوة والسيادة، ويحسن بنا أن نعرف أن هدى القرآن يعلمنا أن هذه السماحة تنقلب إلى شدة وصرامة إذا كان إجرام الأعداء يتطلب الحزم والعزم، وإلا استخفوا بنا استخفاف الطغاة اللئام بضعاف الأيتام:

(١) ٦ شوال ١٣٦٣ هـ - ٣ نوفمبر ١٩٧٣م

﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾

التوبة: ٨

اى إن يتمكنوا منكم ويظفروا بكم فيعملون على سحقكم، ولا يراعون فيكم قرابة ولا عهداً، بل يسرفون فى التقتيل وإسالة الدماء.

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا

مضر، كوضع السيف فى موضع الندى

ولقد كانت غزوة بدر أول لقاء حربى بين حزب الرحمن وحزب الشيطان، وكانت الكفتان غير متعادلتين، فالمشركون ثلاثة أضعاف المسلمين، وظروف المسلمين شديدة قاسية، وظروف المشركين مواتية مساعدة، ومع ذلك انتصر المسلمون بالصبر والثبات والإيمان:

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾

الأنفال: ١٢

وكان من نتائج هذه المعركة المجيدة الخالدة أن أسر المسلمون نحو سبعين من المشركين البغاة الذين أذاقوا المسلمين الويلات، ولو قدر لهم أن ينتصروا لأسرفوا فى الانتقام والإجرام مع المسلمين.

ومع أن الرسول ﷺ كان القائد الأعلى، المسموع المطاع، المؤيد بقوة السماء، لم يشأ أن ينفرد بالرأى والتصرف فى أمر الأسرى بل أخذ بمبدأ الإسلام العظيم:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾

الشورى: ٣٨

واستجاب لأمر ربه:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

آل عمران ١٥٩

فتحدث إلى أصحابه يطلب رأيهم فى الأسرى، فقال أبو بكر رضى الله عنه: يا رسول الله، إنهم قومك وأهلك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم. وقال عمر رضى الله عنه: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك وقاتلوك، قدمهم فاضرب أعناقهم. فعلق النبى على ذلك بقوله: «إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة.(٢) مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم عليه السلام قال:

﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

إبراهيم: ٣٦

ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى عليه السلام قال:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

المائدة: ١١٨

(٢) مسند الإمام أحمد ١/ ٣٨٣

ومثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال:

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾

نوح: ٢٦

ومثلك يا عمر مثل موسى عليه السلام قال:

﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

يونس: ٨٨

ولما رأى الرسول أن القلة تميل إلى قتل الأسرى، وأن الكثرة تميل إلى أخذ الفداء منهم، لشدة حاجة المسلمين آنذاك، مال الرسول إلى رأى أبى بكر فى أمر لم يسبق فيه تشريع من السماء فأعلن إطلاق سراح الأسير بالفداء، أو بتعليم الأسير عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، ولكن الله جل جلاله أراد أن يعلم المسلمين منطق القوة، وأن طريق الجهاد فى أوله يحتاج إلى صرامة وصلابة، حتى يتم تأديب الأعداء، وتقوى كلمة الإسلام والمسلمين فى الأرض أو بعدها تكون السماحة والرحمة، فنزل قول الله عز شأنه:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

الأنفال ٦٧: ٦٨

أى ما كان من شأن نبى من الأنبياء، ولا من سنته فى الحرب أن يكون له أسرى يتردد فيهم بين المن والفداء، إلا بعد أن يقوى جانبه ويعظم شأنه فى الأرض، وتتم له القوة والنصر، والغلبة والقهر، وفى هذا توجيه إلهى إلى أن المعركة يجب أن يديرها المسلمون مع أعدائهم الطاغين بقوة وشدة، وألا يجعلوا همهم الإكثار من الأسرى، بل الإكثار من القتلى:

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾

محمد: ٤

فإذا تم النصر وانتهت المعركة إلى سيادة المسلمين فى الأرض كان لهم حينئذ أن يطلقوا سراح الأسرى دون مقابل، إذا كان فى هذا مصلحة، أو بمقابل إذا كان فى هذا مصلحة، وهكذا يضع الإسلام الرحمة فى موضعها، والشدة فى موضعها، تنزيل من حكيم حميد. ثم عرض القرآن بالطامعين فى المال فقال:

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾

الأنفال: ٦٧

أى تطمعون فى فداء الأسرى بالمال، وهذا ليس شأن المؤمنين، فعرض الدنيا هو متاعها الزائل الفانى، والله يريد لكم ثواب الآخرة العظيم الباقى، وثمن هذا النعيم العظيم هو الجهاد بالأموال والأنفس:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾

التوبة ١١١

والله جل جلاله هو العزيز الحكيم: الغالب الذى لا يقهره قاهر، الذى يضع كل شىء فى موضعه المناسب له، ولولا أنه سبق فى علم الله

سبحانه ألا يؤاخذ إلا بعد تحذير، وألا يعذب على اجتهاد الإنسان حتى لو أخطأ، لأصابكم فى أخذ الفداء من الأسرى عذاب عظيم. ويا له من تقويم، ويا له من توجيه وتعليم:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

المائدة ٥٠

إن هذا الموقف الجليل نستطيع أن نفهم منه عدة أمور: نفهم منه أولاً أن الشورى هى قاعدة الإسلام الحصينة الراسخة، وأن يد الله مع الجماعة المؤمنة إذا استجابت لربها، واهتدت بكتابها، ونفهم منه ثانيًا أن الإسلام فى مجال الجهاد يعلمنا منطق التصرف بالقوة عند بناء الدولة وتحقيق السيادة، ويعلمنا العفو مع القدرة إذا كان هناك من يستحق العفو والمرحمة، ويعلمنا أن نجعل غرضنا الأساسى إدارة معركة صارمة لتحرير الدار وغسل العار وأخذ الثأر

﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾

محمد: ٤

أى حتى تنتهى بأثقالها، فلا يبقى إلا مسلم أو مسالم، وحتى يقضى على شياطين الغدر والعدوان، ويعم السلام والأمان، ومعنى هذا أن الإسلام يهدينا إلى منطق القوة الرشيدة الحميدة، التى لا يعرف لينا ولا هوادة فى تأديب الطغاة وردع الجبارين، وهو يهدينا إلى منطق الرحمة العاقلة الفاضلة التى توضع موضعها، ولا تتجاوز حدودها فتصبح ضعفا وهوانا، وصدق الله العلى الكبير إذ يصور الأمة المؤمنة بقوله:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾

الفتح: ٢٩

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام.

إن الله الرحمن الرحيم الذى يقول:

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

الأعراف: ١٥٦

هو ذاته الذى يقول:

﴿ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

آل عمران: ١١

ويقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾

آل عمران: ٤

ويقول:

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾

التوبة: ١٢٣

فعلى أبناء الإسلام أن يستشعروا روح القوة والشدة، حتى يأتى الله بالفتح أو أمر من عنده.

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

الروم: ٤:٥

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

خير أمة بين التوحيد والاتحاد

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيونى

يبدى علماء البلاغة والبيان اهتماماً خاصاً بأسلوب الاستثناء والإثبات بعد النفى والاستبعاد، فإذا أردنا مثلاً أن نقصر الحضور على «زيد» ليس إلا قلنا كل الضيوف قد غابوا إلا زيداً، وغير ذلك من الأمثلة التى تشير إلى كلام كثير يعرفه أهل الذكر من المتخصصين.

ولكن هذا الأسلوب البلاغى قد بلغ الذروة المطلقة التى لا تشوبها نسبية أو تقريب فى حكم التوحيد الذى يعبر عنه الركن الأول من أركان الإسلام وهو «لا إله إلا الله».

وهى آية من الآيات بل هى آية الآيات التى تدعو الاستغراق فى التأمل العميق والتفكر الدقيق الذى يتفق وعمق ودقة عقيدة توحيد الواحد الأحد عز وجل.

وإذا نظر المرء بجُمع لُبه وقلبه فى هذه الصياغة الإلهية المعجزة ﴿ لا إله إلا الله ﴾ يرى كيف استبعدت هذه الصياغة كل مايشوب الكيان الإنسانى من أباطيل وأراجيف تستحوذ على اعتقاده فى قوة واهمة تريح عقله الساذج وتُطمئن وجدانه السقيم وقد تتمثل هذه القوة الواهمة فى الكواكب أو الحيوانات أو النار أو الأصنام والأزلام وغير ذلك مما يتعدد بتعدّد الأخيلة والأوهام.

وعندما كنت فى العراق عام ١٩٧٤م ضمن وفد مصر إلى المؤتمر الثامن للمعلمين العرب زرت منطقة «كركوك» ـ الكنز الربانى وأعظم إنتاج ومخزون من النفط فى العالم ـ شاهدت على الأرض ألسنة نقية من النيران متناثرة هنا وهناك وعلى مقربة منها الثلوج التى تتوج الجبال المحيطة بالمنطقة حيث برد الشتاء القارس هناك آنذاك، وعندما سألت عن هذه الظاهرة أجاب الأصدقاء من معلمى العراق الشقيق إن هذه النار كانت تسمى «النار المقدسة» لأنها لا تنطفئ مطلقاً ولهذا السبب عبدها مجوس الفرس قديماً وظنوها إلهاً لا يغيب، لما لها من وهج دائم ولهيب.

ومن نافلة القول إن سبب استمرار تلك النار (غير المقدسة) أنها ناشئة عن (عادم) البترول فى تلك المنطقة، وهكذا سوّلت أحلام القدامى الساذجة وأوهامهم الفجة لهم أن يعبدوا النار كما عبد غيرهم (آلهة) أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، وحاشا لابن آدم الذى كرمه الله وحمله فى البر والبحر أن يذل نفسه لشىء لا يضر ولا ينفع ولا يحيى ولا يميت بل يحيا بغيره ويموت بغيره ويا لبئس إله لا يملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ومن هنا جاءت آية ﴿ لا إله إلا الله ﴾ الحكيمة المحكمة لتطهر الساحة العقائدية أولاً من أى معبود زائف ينخدع الناس بعبادته ويتورطون فى الخنوع أمامه والاتضاع بساحته، حتى إذا صارت ساحة الاعتقاد نقية طاهرة، معدة وممهدة لترسيخ الاعتقاد الحق أضاءت الآية بنور الإله الحق، والمعبود الحق سبحانه وتعالى ناطقة بالاستثناء الإلهى الحاسم «إلا الله».

ولا ينبغى أن نأخذ هذا الاستثناء المطلق على أنه كغيره من الاستثناءات النسبية التى تستثنى الشىء من بين الأشباه والنظراء، والأنداد والرصفاء، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإلا كان استثناء يقوم على النسبية بين الأشياء، وإنما هو استثناء يتصف بالتفرد والتوحد والإطلاق، ومن هنا وجدنا من العلماء من يرفض التأمين على المؤذن حين يقول «الله أكبر» بقوله (الله أكبر من كل كبير) لأن فى هذه شبهة النسبية وزلة القياس، وقد تعالت الذات الإلهية عن النسبية والقياس لأنه سبحانه هو الأحد الصمد الذى

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾

(الإخلاص: ٣، ٤)

والذى

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾

(الشورى: ١١)

وعندما تصبح العقيدة بهذا نقية من الشوائب، منزهة عن مهاوى الشرك والكفران كانت أهدى سبيلاً إلى معارج اليقين والإيمان، وأعمق دليلاً إلى الحجة

والبرهان.

وعلى ذلك كانت «لا إله إلا الله» هى المنطلق الأكيد السديد لأركان الإسلام التى جاءت بعدها وارتبطت بها من صلاة وصيام وزكاة وحج مصداقاً للحديث النبوى الشريف الذى روته كافة كتب السيرة وروايات الحديث مما لا يحتمل ثغرات الشك وشبهات التضعيف (١).

وهى أركان البناء التى يرتكن عليها، مثلها كمثل أساس المبنى الذى يوضع لتحديد مكانه وتعين أركانه حتى إذا شيدت الحوائط والجدران كانت أدعى إلى ثبات البنيان ووقوفه فى ثقة وشموخ أمام الأعاصير الهوج وتقلبات الأنواء.

ألم تر إلى القرآن الكريم وهو يتحدث عن إبراهيم عليه السلام

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾

الحج: ٢٦

هذا هو تحديد موضع الأساس والأركان الذى بناء عليه يصدع إبراهيم أبو الأنبياء وولده إسماعيل عليهما السلام بأمر الله عز وجل.

ويوحى المولى سبحانه إلى خليله إبراهيم بحكمة بناء هذا البيت فيقول:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾

(الحج: ٢٦)

ولعمرى كم توحى آيات بناء الكعبة المشرفة بأركان هذا الدين الحنيف وهى فى نفس الوقت تلقى فى روع المؤمن المتأمل ماضمته هذه الأركان من روح إيمانى حكيم ونهج سلوكى قويم.

* ألا ترى أنها تشير إلى التوحيد عندما تهيب بالناس بنبذ الشرك:

﴿ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾

* وإلى الصلاة

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾

(البقرة: ١٢٥)

* وإلى الحج:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران: ٩٧)

ومن هنا كانت القبلة الواحدة التى يتجه إليها المسلمون صفوفاً منظمة فى صلواتهم توجيهاً إلهياً لهم بأن يتجهوا متوحدين نحو هدف واحد هو (خيرية) الاستجابة لقول ربهم:

---

(١) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان» (البخارى فى كتاب الإيمان).

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

ونعى من هذا أن هذا أمر إلهى للمسلمين عليهم تنفيذه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيما بينهم

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(آل عمران: ١١٠)

وبقليل من التأمل الإيمانى الدقيق نرى أنه قد تعنى حكمة هذه الآية الكريمة الاتجاه من الأسلوب الخبرى (مجرد الإخبار) إلى الأسلوب الإنشائى الآمر بأن رسالة هذه الأمة هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دون أن تدخل فى متاهات الجدل لأن «الحلال بين والحرام بين» وشبيه بهذا الآية الكريمة التى تقول:

﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾

(آل عمران: ٩٧)

إذ أن المسلم الحريص على حرمات الله يفهم هذه الآية أيضاً من خلال الأسلوب الإنشائى (الأمر) وليس الأسلوب الخبرى ومعنى ذلك أنه ينبغى أن تتوفر لكل من دخل هذا البيت الحرام كل أسباب الأمن والطمأنينة من كل مسلم يتناوله مجال هذا الأمر.. ولنا أن نسأل: هل مجرد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يجعلنا خير أمة أخرجت للناس؟ والجواب: نعم لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو محور رسالة النبى ﷺ، وكل نبى انتهى - من الدنيا - محور رسالته فيما عدا خاتم الأنبياء ﷺ فإن محور رسالته لم ينته بانتقاله إلى ربه فى الملأ الأعلى، ولكن هذه الرسالة أمانة تركها عليه السلام على عاتق كل من يؤمن به ويصدقه إلى يوم القيامة، ومن هنا كان الكتاب الناطق بهذه الرسالة وهو القرآن الكريم محفوظاً برعاية الحق سبحانه إلى أن يشاء الله

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

فالمؤمنون بهذا ﴿ الذِّكْرَ ﴾ فى تذكر دائم وعمل متواصل لحمل لواء الرسالة المحمدية دون توقف بإرادة إيمانية لا تعرف الضعف أو العجز أو الكلل.

وفى هذا السياق أيضاً نتأمل قول الله سبحانه وتعالى وهو يضئ لنا طريق العلاقة بيننا وبين نبينا الحبيب ﷺ فيقول:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الأحزاب: ٢١)

إذن فالمسألة ممتدة لا تنتهى برحيل المصطفى عليه السلام بل هى كامنة فى القلوب المؤمنة والعزائم الموقنة إلى يوم القيامة وكأننا بهذا الأسلوب الخبرى فى هذه

الآية يحتضن أسلوباً إنشائياً أمراً كما أسلفنا يصدر الأمر لنا بالتأسي بالنبي ﷺ قولاً وعملاً، ومما يؤكد لنا استمرارية الرسالة المحمدية على كواهلنا هو استكمال الآية الكريمة حين يقول:

﴿ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ ﴾

(الأحزاب : ٢١)

إذن فالأمر مرتبط بالإيمان بالأول والآخر سبحانه وتعالى وهو الحي الذي لا يموت، ومرتبط أيضاً باليوم الآخر الذي هو ميقات الحساب وموضع الميزان.

فالرسالة الخاتمة إذن لا تنتهي برحيل محمد ﷺ كما حدث في الأديان السابقة حيث تنتهي كل رسالة بموت رسولها، ومن هنا عرفت بأنها (خاتمة)..

وإذن فهذه الأمة قد تلقت الرسالة العظمى من الله عز وجل عن طريق المصطفى المختار ﷺ، وهي لعمرك مهمة جليلة وخطيرة، فلا يظن مسلم أن النبي ﷺ والسلف العظيم رضوان الله عليهم أجمعين قد أوصلوا إلينا الرسالة الحنيفية على (طبق من فضة) كما يقال بعد أن ذاقوا في سبيل ذلك ماذاقوا من مشقة وعناء وعنت وعناد حتى وصلت إلينا الدعوة عبر السنين سهلة ميسورة.. لا يظن مسلم ذلك وإلا كان مثلنا كمثل (الوارث) السفيه الذي ترك له مورثه ثروة طائلة الكم والكيف معاً لا يدري كيف جمعها وأي عناء لقى في سبيلها ولكنها وصلت إلى ذلك (الوارث) الذي لم يبذل في جمعها جهداً ماقلم يعرف لها قيمة ولم يقدر لها معنى فأخذ يلقي بها ذات اليمين وذات الشمال حتى ضيعها أو كاد.

أما الوارث الواعي الموفق فإنه يعمل فكره ويجمع أمره وهو يمعن بصره وبصيرته في هذه الثروة حتى إذا اهتدى إلى قدرها وقيمتها عض عليها بالنواجذ وحرص عليها في غير شح، وبذلها في غير سفه، وأفاد منها واستفاد..

وأيضاً لا يظن مسلم أنه قد فرغ من خدمة الرسالة الخاتمة بإقامة المناسك والطقوس فقط وإنما عليه أن يستشعر في أعماقه دوره (هو شخصياً) في مواصلة هذه المسيرة المحمدية التي هي دافع التقدم والعمران للإنسان في كل زمان ومكان، ونقول هنا عبارة (هو شخصياً) من منطلق أن

﴿ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾

(الطور : ٢١)

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾

(النجم : ٣٨)

ويذكرنا هذا بما يروى عن الفاروق رضي الله عنه عندما يقول «مانزلت آية من القرآن إلا وظننتها قد نزلت علي» وذلك من شدة إحساسه بمسئوليته كمسلم غيور وجندي جسور في كتيبة الحنيفية السمحاء. وهكذا

يرى أن ﴿ لا إله إلا الله ﴾ ليست مجرد قضية ترديد بلا صدى والعياذ بالله وإنما لها صدى عملي وميداني وسلوكي في حياة المؤمنين الصادقين وذلك بالتحلق حولها والتخلق بجوهرها والعمل من أجل إبراز فحواها العملي في علاقات المرء بنفسه وعلاقته بغيره، فالذي يؤمن إيماناً صادقاً بأنه ﴿ لا إله إلا الله ﴾ لا يرجو أحداً غيره، ولا يعبد كائناً سواه، ويعيش دائماً في إطار المراقبة الربانية التي إذا وعاها المؤمن حق الوعي تحولت من شعور بالمراقبة إلى شعور بالحب الرباني والقرب اللدني والعشق الإلهي، وهنا يؤمن المسلم الحق بأنه يعمل في الحياة كأنه يرى الله، فإن لم يكن يراه سبحانه، فإنه سبحانه يراه، ومن هنا يحيا المرء في إطار من القيم السماوية المثلى التي يستمدها من اتصاله المادي ـ وليس الروحي فقط ـ بأول من بدأ هذه المسيرة العظمى بمدد من الله وهو سيد الخلق محمد ﷺ.

أما اتخاذ الآيات الإلهية والتعاليم المحمدية كقواعد تسمع بالأذن فتطاع بالجوارح فقط فإن هذا لا يصنع خليفة للنبي ﷺ كما يريد الله من خير أمة، إنما هو مسلم يغلب عليه الشكل دون الموضوع أو كما يقول المناطقة تغلب عليه (الصورة) دون (المادة).

وإلا فأين نحن من وصف عائشة رضي الله عنها لصاحب الرسالة ﷺ ﴿ كان خلقه القرآن ﴾؟

وأين نحن من السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله؟

وأين نحن من:

﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾

(يونس : ٢٦)

بل أين نحن من أسلاف آمنوا بربهم واستجابوا لنبيهم وهم مطمئنون إلى شظف العيش وقسوة الحياة وتربص الأعداء فانطلقوا من البادية يفتحون البلدان، ويؤسسون الحضارات، ويعلمون أهل المدن كيف يكون الإنسان وكيف يكون العمران مستجيبين لنداء الخليفة الأول الصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه «اطلبوا الموت توهب لكم الحياة».

﴿ لا إله إلا الله ﴾ دعوة إلى تأكيد كرامة الإنسان:

﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾

(الإسراء : ٧٠)

وهي أساس الخلق القويم والسلوك المستقيم، ولأنها دعوة للتوحيد كانت أيضاً دعوة للاتحاد بين المؤمنين بها حق الإيمان والواعين لكنهها في صدق واطمئنان.

وهي في بساطتها وعمقها واضحة البيان غنية عن البرهان يدركها القلب الرضيّ والعقل السويّ والروح الجليّ إدراك الفطرة للفطرة، والنور للنور، والذات للذات.

من قالها فقد عُصم، ومن عمل بها فقد رحم، ومن عاش فى نورها جفته الظُّلم، ومن فنى فيها حُشر فى زمرة (إلا من رحم).

إن «لا إله إلا الله» هى جماع الأمر كله فى الدنيا والآخرة، وهى ليست دعوى «ميتافيزيقية» (٢) كما يصطلح الفلاسفة تكتفى بالكمون وراء الطبيعيات، وإنما هى دافع سلوكى، وواقع عملى، ومعيار أخلاقى، يقوِّم المرء فى ضوئها نفسه قبل أن يقوِّم غيره أو يقوِّمه غيرُه لأنها شعاع نورانى نابض الحركة دائماً بين القلب وبارئه يدفعه لتحقيق خلافة الأرض بصالح العمل، ويقيه مواطن الخطل، ومهاوى الزلل.

فلا نتصور مؤمناً حقاً بـ ﴿لا إله إلا الله﴾ منافقاً أو كاذباً أو عاقاً أو زانياً أو قاطع رحم أو قاتل نفس بغير نفس أو شحيحاً أو ناكراً للجميل أو ناقماً على القدر حلوه ومره أو غير ذلك لأن نور هذه الحقيقة يبهر بصره وبصيرته عن ارتكاب مانهى الله عنه.

ولعل ذلك هو بعض مانفهمه من الآية المباركة

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾

(النساء : ٤٨)

ذلك لأن المشرك قد فقد نورانية الهداية التى تضئ الأعماق بالقيم وتقود السلوك على جادة الطريق، وصلى الله وسلم على نبى الهدى القائل «إذا لم تستح فافعل ماشئت» (٣).

ولعمرك أى فقدان للحياء أكبر من الجنوح عن «التوحيد» والاستغراق فى الشرك والضلال.

ومن هنا كان المسلم الصادق مع نفسه ومع ربه هو الذى يذوب كيانه فى عقيدة التوحيد وتذوب عقيدة التوحيد فى كيانه فيلتحمان معاً التحام الذات بالموضوع حيث يدق الحدس وتقوى البصيرة، ويصبح المسلم فكراً ناطقاً بالحق، وسلوكاً نابضاً بالخير، ووجداناً عامراً باليقين.. ذلك أنه أصبح متوحداً فى ذاته متوافقاً مع نفسه لا ينتابه ماينتاب غير المؤمنين من صراع نفسى واضطراب انفعالى، كما أن إيمانه الحق بعقيدة توحيد الله عز وجل يحميه من «الإحباط» الذى يصدم ضعاف الإيمان كلما

(٢) الميتافيزيقا (Meta Physics) مصطلح يونانى وضعه احد اتباع (ارسطو)، ويعنى ماوراء المادة، عُنى به من فلاسفة المسلمين (ابن رشد) وفى سبب إطلاق هذا المصطلح بعض الخلافات بين شراح ارسطو.

(٣) قال ابن عبدالبر: لفظه أمر ومعناه الخبر بأن من لم يكن له حياء يحجزه عن محارم الله فسواء عليه فعل الصغائر وارتكاب الكبائر (موطأ مالك).

حزبهم أمر أو فاجاهم موقف، ذلك أن عقيدة التوحيد تُشعر صاحبها برضى الله عنه كما تشعره برضاه عن ربه مصداقاً لقوله تعالى عن المؤمنين

﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾

(البينة : ٨)

وإذا ساد هذا النور الإيمانى آفاق المسلمين كان أحرى بهم أن تضمُّهم مشاعر التوحيد الحقيقية التى تسرى فى أعماقهم مسرى الروح الواحدة فى الأجساد المتعددة فتتحد مشاعرهم وتتفق أحاسيسهم ويصدق عليهم حينئذ قول الحبيب ﷺ: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (٤).

وهذا هو الاتحاد بل الالتحام الجديرة به

﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾

(آل عمران : ١١٠)

والذين أنزل على نبيهم ﷺ قول المولى عز وجل:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

(محمد : ١٩)

وبعد، فيا خير أمة أخرجت للناس، ويا حملة البلاغ الإلهى والراية المحمدية، إن التوحيد مفهوم روحى له ما صدقات مادية تمشى على الأرض وهى الاتحاد، فوحدوا واتحدوا حتى لا تتداعى عليكم الأمم (كما تتداعى الأكلة على قصعتها) والأمر فى غاية اليسر والبساطة وهو لا يزيد على وقفة صادقة مع النفس.. لعل، وعسى، وتباً لليت!

***

(٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه (الجامع الصغير للسيوطى).



هكذا تفعل الأقلية المسلمة في بلاد غير مسلمة

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

فى فرنسا.. قررت الحكومة التخلص من «الرموز»الدينية.. بما فيها «الحجاب»، وثار جدل واسع حول ما يجوز وما لا يجوز.. وكان هناك اتجاه إسلامى بضرورة أن نتعامل مع المشكلة بشيء من المرونة.. ما دامت العقيدة راسخة خلف الضلوع.

بيد أن ناسا أقاموا الدنيا.. ثم لم يقعدوها.. ففتحوا النار على هذه «المرونة» المقترحة - بحسبانها لونا من الضعف وقبول الهوان: وقلت فى هذا الشأن:

ليست النعومة علامة الضعف.. ولا الخوشنة أمارة القوة، فالفأس الناعمة الملمس.. تقطع الحطبة الخشنة، وما عهد الناس حطبة قطعت فأسا من الفولاذ. مرهفة الحد.

من مدرسة «العناد» إلى مدرسة «الاعتداد»

ونعوذ بالله أن يكون هؤلاء من مدرسة «العناد».

وهى مدرسة عرفها قبلنا أصحاب الديانات السماوية وحذرنا الرسول من أن نحذو حذوهم فى

تلك الأخطاء القاتلة.

نهى الله اليهود عن العمل يوم السبت، ابتلاء لهم وتدريبا على الانعتاق من عبودية المادة، فلجأوا كعادتهم إلى الشكلية والاحتيال، وكانوا يرمون شباكهم فى البحر يوم الجمعة فتمتلىء بالسمك يوم السبت، فياخذون هذا السمك يوم الأحد.

وكانوا يظنون بذلك أنهم يخدعون الله.

أما أبناء هذه المدرسة فكانت لهم طبيعة القردة التى لا تستخدم عقلا ولا فكرا.

عمل السيد المسيح ـ عليه السلام ـ عملا طيبا يوم السبت فصاح به اليهود باستنكارهم البقرى - لقد خرقت الناموس الأعظم.

كان كل ما يهمهم هو السبت فى حد ذاته.. لا مقاصد الشريعة وحكمة التحريم، وكان رد عيسى ـ عليه السلام ـ على اليهود قوله:

- يا عبيد الحرف إنما خلق السبت من أجل الإنسان، وليس الإنسان من أجل السبت.

ومأساة هذه المدرسة لا تكمن فى تساؤلاتها بل فى طبيعة الأسئلة التى تقف عندها، والتى تدور فى حلقات شكلية حرفية ميتة بلا معنى، فيشغلون مجتمعاتهم بلبس الثوب القصير والعمة من عدمها، وإنما هى عادات لا أقل ولا أكثر، ويجادلون كذلك فى اللحية وطولها وكثير من الأمور الشكلية الصورية.

والسؤال مطلوب.. ولكن القرآن الكريم يفرق بين السؤال العقيم الذى يدور حول شكليات حرفية والسؤال الذى يستهدف العلم.

يقول الله ـ تعالى ـ عن السؤال العقيم

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

(البقرة/ ١٠٨)

أما أصحابنا فهم من مدرسة «الاعتداد»، الاعتداد بالرأى.. بل والاعتزاز به.. فلا رأى سواه.. وهؤلاء هم الذين نحاورهم اليوم.. فى محاولة لإلزامهم كلمة التقوى.. وكانوا أحق بها وأهلها.

نقول لهم أولا: ليس من الحكمة أن نلخص الإسلام فى أمور شكلية، لأن هناك من الأعمال ما هو أليق فى الدلالة عليه.. فى عصر يحاربنا فيه الخصوم بالمدفع والصاروخ.. ونحن لا نملك إلا أيدينا.. نواجه بها هذا السلاح الفتاك.

وهو نفسه المعنى الذى أشار إليه: «د. حسان حتحوت» ونادى به كاتب ليبى يقول:

لقد تحولت شعائر الإسلام إلى قوالب نعيد تكرارها واجترارها، حتى فقدت سحرها وجاذبيتها وتأثيرها على العقول والقلوب، بل إن قطاعات من الرأى العام، صارت تقابلها بالنفور، والهروب إلى نقائضها،

كان هذه الأفكار هى المسئولة عن واقع العجز والفشل والتخلف وفى حالة من حالات انتقام الذات الجريحة من نفسها، ودخولها فى لعبة من ألعابها التعويضية ولجوئها إلى أساليب الإسقاط التى يعرفها دارسو علم النفس، تصبح هذه الأفكار المرتبطة بقضايا النهوض والتطور والتحرر، العصية على التحقيق هى العقبة التى يقابلها بالمغالاة والتطرف فى الدين، واللجوء إلى التفكير الغيبى، والبحث عن خلاص فى الخرافة والوهم والأسطورة، والاحتماء بالماضى والهجرة إليه، باعتباره أفضل وأجمل وأكثر أمانا وسلامة من المستقبل. أ. هـ

وثانيا: إن وصول الجالية الإسلامية إلى مراكز صنع القرار هناك فى فرنسا.. مكسب هائل.. يفوق فى آثاره الاحتفاظ بالشكل العام المعبر عن «حزب إسلامى».

ففى الحكومة الفرنسية وزير مسلم هو: «حملاوى مقشرة»[1] وزير المحاربين القدماء، وذلك بعد أن قدمت نقية صيفى وزيرة التنمية المستديمة استقالتها من الحكومة عقب دخولها البرلمان الأوروبى عن حزب الاتحاد اليمينى المؤيد للرئيس الفرنسى «جاك شيراك» والذى كان قد قرر تعيين وزيرين مسلمين فى الحكومة التى شكلها عقب فوزه فى الانتخابات التى جرت فى فرنسا عام ٢٠٠٢ تقديرا لدور المسلمين فى النهوض بفرنسا.

ولو كانت القضية هى: كشف العورة أو سترها.. لكنا مع مدرسة «الاعتداد» فى خندق واحد.. دفاعا عن العرض والشرف - ونحن معهم دائما - لكنها قضية زى معين.. لا يشكل إقراره نصرا مبينا للمسلمين هناك.. بقدر ما تكون الوزارة أجدى للحركة الإسلامية التى يمكن ان تثبت ذاتها من خلال منصب الوزارة.. بقدر ما تفرّ من عوائق تقيد حركتها لو أنها اتخذت لنفسها شكلا معينا.

«تكييف» القضية

إنها إذن قضية «الأقلية المسلمة» فى بيئة لا تدين بالإسلام، فماذا على الأقلية أن تفعل؟ وفى ظروف لم تتكافأ فيها القوى؟! وأمام طاغية عاث «فى الأرض» على اتساعها فسادا؟ أين موقعها بين آيات القرآن الكريم.. حتى يكون لنا منها هدى وبصيرة؟

ونقرأ فى ذلك قوله عز وجل:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ﴾

(القصص/ ٧ : ١٣)

(١) الأهرام ٢٣/٦/٢٠٠٤

قطرة.. فى البحر الكبير

فى ضوء الآيات الكريمة.. يمكن أن نتصور حجم «الأقلية المسلمة» هنا.. أمام القوة الغاشمة الخاطئة؟ إن القلة المسلمة هنا هى: موسى.. الرضيع، وأمه، وأخته.

هذا البيت الضعيف يواجه قوة تُصورها الآية الكريمة فى نفس السورة:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(القصص/ ٤)

إن القوى هنا غير متكافئة.. بل لا قوة هناك لدى البيت الضعيف والذى يواجه دولة بأكملها. تملك من أسباب السطوة ما يجعل أمرها على ما يقول الشاعر:

تلو باطلا.. وجلوا صارما

وقالوا: صدقنا؟ فقلنا: نعم!!

ولكن القلة المسلمة هنا لم تقل للظالم: نعم وإنما كان أمرها على ما قيل:

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

فقررت أن تخوض المعركة بالحيلة.. وليس بالأسلحة الثقيلة.. فى صحبة إحساس حاد بأنها فى معركتها مشمولة بالعناية الإلهية التى تغطى سماءها.. لتصل فى النهاية إلى ما تريد، إن لم يكن اليوم فغدا، معتمدة على وعد الله - تعالى - بنصرة المظلوم.. على الظالم الذى تقول له الآية الكريمة:

﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾

(الإسراء/ ٣٧)

وأنك لن تترك على الساحة تمرح عليها وحدك، بل إن المستقبل لهؤلاء المستضعفين. وذلك بعض ما يفهم من قوله عز وجل فى الآيتين السابقتين:

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾

(القصص/ ٥، ٦)

إرادة الله

وتلك إرادة الله بموسى ومنها: إيتاؤه الحكمة والعلم، ومن الخير إنجاء موسى من القتل، ثم تربيته الكاملة فى بذخة الملك وعزه، وحفظه فى نفس الوقت من أن

تتسرب إليه عقائد العائلة التى ربى فيها، لينتفع بمنافعها مجنبا رذائلها وأضرارها، ومن الخير أن جعل نصر قومه على يده. وأن أنجاه من القتل الثانى ظلما وأن هداه إلى منجى من الأرض. ويسر له. التعرف ببيت نبوة]

ثم كانت الجائزة الكبرى: الرسالة

المهمة الصعبة

والمهمة كما ترى باهظة التكاليف.. فهى أكبر من طاقة الأسرة. وإمكاناتها المحدودة. والتى تعجزها عن إنجازها.

ولكن كان لابد أن تتحرك.. لعلها أن تدرك بالحيلة.. ما تحبط به كيد القوة الغاشمة.. وهذا هو الذى حدث بالفعل:

الأم تقوم بدورها

أ ـ وضعته فى صندوق محكم.

ب ـ ثم صبغت الصندوق «بالقار»

جـ ـ وتم الإلقاء بالليل.. بعيداً عن أعين الرقباء.. كما يفيد الفعل الماضى

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾

د ـ ولقد كانت لها علاقة حميمة «بالقابلة» التى ستكتم السر.

هـ ـ مشمولة فى كل ذلك بوعد من الله ـ تعالى ـ بحمايتها من الخوف والحزن.. ثم حماية الرضيع من الموت غرقا.. وعلى الحماية المؤكدة بشارة بالعود الحميد.. والذى لم تقل الآية عنه: سنرده، ولا.. سوف نرده، وإنما ﴿ رَادُّوهُ ﴾ فهو من الآن عائد إليك.. بل هو بين يديك ومع البشارة وعد بالرسالة

﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

من دروس الدعوة

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ﴾

كأنه جوهرة.. التقطوها. أى: تنافسوا فيها!!

﴿ قُرَّتُ ﴾: ألقى الحب فى قلبها، وهو شىء لا يشترى بالمال. ولا ينال بالحيلة ولكنه درس يؤكد أن للدعوة ربا يحميها ومسخر لها من جنده.

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾

(المدثر / ٣١)

من واقعية الإسلام

وعلى رغم ثقتها بربها ـ عز وجل ـ لكن المتوقع أن يتجدد حزنها.. وأن يناوشها خوفها.. لاسيما وهى مكلفة أن تتخلص منه: بإلقائه، وبيدها هى، فلا ينوب عنها أحد، وتلقيه، لا فى النهر.. ولا فى البحر.. وإنما فى ﴿ الْيَمِّ ﴾ وما يشى به من سعة وعمق.. وما يترتب على ذلك من رهبة الموقف.

من أجل ذلك يؤثر السياق التعبير

بالفعل المضارع

﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾

أى: فإذا تجدد منك خوف أو حزن فلا تكترثى، بمعنى أنه: قد تحدثها نفسها لتحزن أو تخاف، ولكن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يطمئنها، لا تخافى الأذى من فرعون أو من عدم الرضاع.. بمعنى، أن تغالب الخوف بالأمل.. وقد بدت تباشير العناية الإلهية بتسخير سيدة القصر التى أحبته.. بل رجت أن ينفعها فى قابل إيامها.

ولكن قلب الأم لايزال متعلقا به.. هذا القلب الذى عبرت عنه الآية الكريمة «بالفؤاد» وما يشى به من «التفود» وهو الحرارة والتوهج.. والحنين الذى صيّره فارغا من كل هم إلا هم وليدها ومن فرط هذا التوهج وهذا الحنين.. وتحت وطأته، أوشكت أن تصرخ مصرحة به. لولا أن ربط الله على قلبها، وهو «القلب» هذه المرة.. لأن الله ـ تعالى ـ ثبته حتى لا يتقلب متوترا قلقا.. أجل.. ربط عليه بالإيمان.. بعدما كان كما يقول الشاعر:

كأن قطاة رقصت على كبدى من شدة الخفقان!

اختيار الأعوان

قلنا إنه كان من تدبيرها أن اصطفت من «القابلات» صديقة لها تحفظ سرها. وتعينها على أمر الله، لكن أمرها لم يقف عند هذا الحد، فقد كلفت ابنتها بأن تبحث عنه، وبحكمة، وذلك قولها: ﴿ قُصِّيهِ ﴾، تتبعى أثره.. بلا كلام.. ولا ثرثرة تكشف المخبوء، وتفسد الخطة، ولاحظ أن الآية الكريمة لم تقل: وقالت لابنتها قصيه، وإنما قالت: ﴿ لِأُخْتِهِ ﴾ فهى لا تكلفها بوصف كونها ابنتها، وبالتالى فعليها أن تطيع أمرها، وإنما بوصف كونها «أخته» والإحساس بالأخوة، بالدم المشترك، باعث للهمة إلى أقصى مدى. فى البحث عنه مهما كانت التكاليف، ثم الاحتياط البليغ خوفا عليه لأنه أخوها، وهو درس فى حُسن اختيار الأعوان الذين يتمتعون بالخصائص المعينة لهم على إنجاز المهمات.

درس فى الكتمان

وحين لا تتكافأ قوانا مع قوة أعدائنا.. فإن الكتمان أو التخفّى عندئذ مما يعيننا على إنجاز مهمتنا.

إن الخير فى عشرة أشياء: تسعة منها فى الصمت.. إلا لمن ذكر الله ـ عز وجل ـ وسرك يظل فى عروقك.. فإذا تكلمت به.. أرقته! ومن أفشى سره.. كثر عليه المتآمرون! ومن زعم أنه يجد راحة فى إفشاء سره إلى غيره، فقد اتهم عقله، لأن مشقة الإفشاء بالسر أشد من كتمانه.

ولقد احتال يوسف - عليه السلام - فى الاتصال بأخيه سرا.. حتى لا يكشف إخوته سره.

وكذلك كانت الفتاة المسلمة هنا.. حين تحركت فى هدوء.. وفى سرية تامة.. دالة بذلك على كمال عقلها.

الأخت المسلمة

عند حسن الظن بها

لقد أثبتت.. الأخت المسلمة.. هنا أنها أهل للثقة.. وأهل للخبرة معاً، لقد وقفت موقفاً: علا به الحق. واندحر به الباطل. فأكدت بذلك حكمتها وتعقلها، ذلك بأن العقل نور وضعه الله - تعالى - فى القلب. كالنور فى العين، ومن أجل ذلك: يعيش العاقل بعقله حيث كان. كما يعيش الأسد بقوته حيث كان، ولقد عاشت.. الأخت المسلمة - بعقلها فى هذا الجو المشحون بالرعب، ثم حققت أمل أمها.. بل أمل أمتها كذلك.

إن الحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء.. لا دواء له إلا الموت! ألا وإن مادة الحماقة مشتقة من حمقت السوق، إذا كسدت، فكأنما الأحمق كاسد العقل.. فاسد الرأى، فلا يشاور ولا يلتفت إليه فى أمر من الأمور.

أما ثروة الإنسان الحقيقية فهى: العقل.. قال معاوية - رضى الله عنه - لرجل مسنّ: أى شئ أحسن؟

قال: عقل تطلب به مروءة.. مع تقوى الله. وطلب الآخرة.

وحماية لهذه الجوهرة من التآكل فإن العلماء ينصحون قائلين: لا تجالس الحمقى، فإنه يعلق بك من مجالستهم من الفساد.. مالا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهراً من الصلاح.. لأن الفساد أشد التحاماً بالطباع.

إذا لم يكن للمرء عقل فإنه
وإن كان ذا بيت - على الناس أهون

إن الثروة الحقيقية للإنسان هى: ثروة العقل، [والبراميل الكبيرة. والحمقى: يحدثون جلبة أكبر]. وإذا كان الفقر أب الجريمة.. فإن الحمق أمها! ذلك بأن سهم الأحمق ينطلق بسرعة ولا يمكن رده بينما العاقل: مكيث: يقدر لسهمه قبل الرمى هدفه.

وقد بدا تعقل «الأخت» هنا واضحاً فى تصرفها.

الأمل الوثيق

لم يقف طموح الأخت عند تحديد موقعه.. كما طلبت أمها، ولكن الأمل الوثيق فى توفيق الله - تعالى - زين لها أن

تخاطر بحياتها.. فى محاولة لإنقاذه ليعود إلى أمه سالماً.. هذا الأمل الذى بث فى عروقها الجرأة.. إلى الحد الذى احتالت فيه حتى دخلت القصر المهيب، قصر فرعون الطاغية. ثم كان بينها وبين من فى القصر هذا الحوار.. كما حكته الآيات البينات:

﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾

(القصص / ١٢)

إنها فقط تستأذن.. وليست طرفاً فى القضية. وإنما هى مجرد ناصحة لكم، لكم أنتم.. فأنتم أصحاب الشأن أولاً وأخيراً - كما تفيد لام الملكية فى ﴿ لَكُمْ ﴾. ثم إن البيت المقترح عامر بكل أسباب رعايته وحفظه.

درس للدعاة

ومتى قالت ذلك؟

قالته بعد أن مكر القدر الأعلى وهو خير الماكرين.. فحَرم على موسى المراضع، وبعد أن تتبعت البنت أثره فى صمت، وتصوّر.. سيدات القصر يحملن الرضيع طوافات به على البيوت، حتى إذا عجزن عن الحصول على مرضع، وتأكدت حاجتهن إلى واحدة منهم، تقدمت «الأخت» بعد ما تلهف القصر على مرضع..

أى أن الدعوة تأتى فى زمانها.. وفى لحظة المخاض!! أو الإخصاب!

وإذن.. فقد نجحت الأخت المسلمة فى إشعار «المدعوين» بأنهم فى حاجة إليها.. فتقدمت وحاجتهم إليها أشد ماتكون!

يتبع

***

مقومات الانتماء الثقافى والنهضة الحضارية

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة


عبدالله النديم

فى فكر عبدالله النديم [١٢٦١ - ١٣١٣هـ - ١٨٤٥ - ١٨٩٦م] عن الانتماء الثقافى ومقومات النهضة الحضارية، يعترف الرجل بدور «الغرب الأوروبى» فى إيقاظ «الشرق».. لكن ليس بالمعنى الذى يتحدث عنه من كان يسميهم النديم بـ «الأجراء»!.. أولئك الذين كانوا يقولون إن الغرب راغب فى إيقاظ الشرق.. وأيضا ليس بمعنى سعى بعض الشرقيين إلى تبنى النموذج الغربى وتقليده - منذ الاحتكاك بين الحضارتين.. وإنما المعنى الذى أراد النديم الحديث عنه - فى دور الغرب فى إيقاظ الشرق - هو إيقاظ النقيض لنقيضه، ودور العدو فى التنبيه على الثغرات ومكامن الخطر، و«فضل» اللص فى إيقاظ صاحب البيت من ثباته العميق؟!..

فالغرب - بعد الهجمة الاستعمارية على الشرق - قد نهض بدور «المستفز» الذى استنفر الشرقيين للاستيقاظ!.. «فلقد أثرت حركات أوروبا فى معظم شيوخ هذا العصر وشبابه، فتحركت فيهم همم وغيرة وحمية لم تكن تظن فيهم لو لم تقبح أوروبا سيرهم الدينى والدنيوى، فقابلوا بين نهيها عن التظاهر بالشعائر الدينية وبذلها النفس والنفيس فى حياة الدين والدعوة إليه ببث المرسلين وتكثير المعابد، فتولدت فيهم روح المماثلة، فأصبحوا يقولون وغدوا يفعلون»[1].

لقد استفز الغرب الشرق، عندما قبّح سيرنا الدينى والدنيوى، وعندما دعانا إلى التخلى عن ديننا - فى الوقت الذى كان يهجم علينا بإرساليات التنصير وبناء الكنائس والمدارس التى تسعى لتحويل أبنائنا - مسلمين ونصارى - عن دينهم. فكان أن تحركت الهمم والغيرة والحمية، بسبب هذا الاستفزاز الغربى، و«تولدت روح المماثلة» - لا التبعية كما أراد الغرب - وتبلور لليقظة الشرقية تيار من الشيوخ والشباب «أصبحوا يقولون وغدوا يفعلون»!

والنديم يحدث تيار اليقظة الشرقية عن مقومات الانتماء، وعن ثوابت النهوض، التى لا يجوز التفريط فيها ولا التنازل عنها، تقليدا للأوروبيين.. وهى ست مقومات:

١- وحفظ المظهر والوجاهة.

٢- وحفظ الثروة، من صناعة وتجارة.

٣- وحفظ الوطنية، وحقوقها وواجبات أهلها.

٤- وحفظ الجنسية، بعدم التقليد والاتباع لحسنات الغير ومجاراته فى أقواله وأفعاله.

٥- وحفظ اللغة، التى هى أداة الحفاظ على الأخلاق وتحسين العادات والمألوفات.

٦- وحفظ الدين الذى يمثل حفظه الجامعة الحافظة لكل مقومات الانتماء من الوجاهة والثروة والوطنية والجنسية واللغة.

وينبه النديم فى حديثه عن هذه المقومات على الثوابت منها، والتى لا يجوز تغييرها حتى لو اقتضى التغيير تحقيق منافع مادية ودنيوية.. وهذه الثوابت هى: الدين والجنسية - القومية - والوطنية.. وفى ذلك يقول:

«ينبغى لمن يغيّر عادته بعادة الغير أن ينظر فى أصل عادته وفوائدها ومضارها، ثم فى عادة الغير كذلك، فإن رأى حسن عادته، وأنها من لوازم حفظ المظهر، أو الثروة، أو الوطنية، أو الجنسية، أو اللغة، أو الدين، لزمه البقاء عليها وإن لم تحسن فى عين الخليط، وإن رآها مضرة بذاته أو وطنه أو الهيئة الاجتماعية غيّر منها ما لا يفقده الاعتقاد الدينى والشعور الجنسى والغيرة الوطنية.

فإن انتقل من عادته بلا روية ولا نظر للعواقب، فقد سلّم ذاته لمن انتقل لعادته بلا حرب، ويعز عليه الرجوع إلى جنسيته ووطنيته وخصائص أمته بعد نسيانه ما هى عليه من العادات وما لها من الأخلاق».

فالتخلى عن مقومات الشخصية الحضارية، بتقليد الغير، هو «تسليم الذات بلا حرب»؟!.. كما يقول النديم.

وإذا كان النديم قد نبه على إمكان تغيير العادات «المضرة بالذات والوطن والهيئة الاجتماعية» فإنه قد اشترط ألا يمس هذا التغيير ثوابت الهوية الحضارية: «الاعتقاد الدينى، والشعور الجنسى (القومى)، والغيرة الوطنية».. كما نبه على محورية الدين فى ثوابت هذه الهوية الحضارية، لأن الإنسان «إذا تهاون فى أحوال دينه وفروعه هان عليه التقاعد عن نصرة أهله، الجامعة لما تشتت من الوجاهة والثروة والوطنية والجنسية واللغة».. فكأنما الحفاظ على الدين هو الجامع الحافظ لكل مقومات الانتماء..

(١) الأستاذ. العدد الثامن عشر. ص٤١٩، ٤٢٠.

وذلك ـ بعبارة النديم ـ «لسرى الجاذبية الدينية فى الجسم سرى الماء فى العود.. حتى لنرى مقيماً فى الشرق يتألم بمصاب دينه فى الغرب، وليس بينه وبينه جامعة وطن أو جنس أو لغة».. وإذا فقد الإنسان جامعة الدين «بتقليد الغير، فقد استخدم نفسه لأفكار الغير، حتى لو اضطره لمقاتلة أبيه وأخيه معه لفعل، لاستقباحه ما هم عليه واستحسانه ما عليه الغير»[2]!

حدد النديم هذه المقومات للهوية الحضارية فى أول عدد من أعداد مجلة [الأستاذ]، وظل يلح عليها فى كل الأعداد.

فالدين الإسلامى «هو مرجع المجد وأصل الشرف..»[3].. و«هو أقوى دعائم العمران[4].. والسبب الوحيد فى المدنية وتوسيع العمران، أيام كان الناس عاملين بأحكامه..»[5].. «وليس هناك حبل متين تُقاد به الأمم غير الدين..»[6].

ولذلك يتصدى النديم لمزاعم غلاة الأوروبيين الذين يزعمون أن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين كاشفاً عن دوافع التعصب الدينى التى تدفعهم إلى هذه المزاعم.. وفاضحاً «الأجراء» و«العملاء» ـ من «الطائرين حول دُهاة أوروبا»! ـ الذين يبشرون بيننا بهذه المفتريات.. فيقول: «.. ومنهم القائلون إن الدين الإسلامى مانع من التقدم.. وأصحاب هذا القول كالببغاء.. فقد قلدوا فى هذا الوهم أوروبا ويأتى قوله الذى طارت به الصحف[7].. وفاتهم أن الشرق ممتلىء بأديان تغاير الإسلام، والآخذون بها أضعاف الآخذين بالإسلام، ومع ذلك فإن تقهقرهم أكثر من المسلمين، وحالهم أحط من المسلمين بدرجات..»

كما يفند النديم دعوى هذا الزعيم الأوروبى المتعصب، بأن الإسلام هو سبب تعصب المسلمين دينياً ضد الغربيين.. «فدعوى هذا الأوروبى أن الإسلام سبب لحركات الشرق ضد الغرب، وأنه لا سكون للأفكار إلا بإعدام القرآن والآخذين به ـ[؟!] ـ مدحوضة بالحروب المتواصلة بين دول أوروبا المسيحية من عهد الرومانيين إلى الآن، وكلما كثرت مدنية دولة أوروبية كثر تفننها فى آلات القتال والتدمير، مع سكون الشرق هذه القرون الطويلة، لا يتحرك إلا دفاعاً عن وطنه الموطوء بأقدام أوروبا الملوثة بالدماء

(٢) المصدر السابق. العدد الأول. ص١٢ ـ ١٤.

(٣) المصدر السابق. العدد الثانى والعشرون. ص٥١٩.

(٤) المصدر السابق. العدد الخامس والعشرون. ص٥٩٢.

(٥) المصدر السابق. العدد الخامس عشر. ص٣٥٢.

(٦) المصدر السابق. العدد السابع عشر. ص٣٩٤.

(٧) الإشارة إلى السياسى الاستعمارى الانجليزى وليم جلادستون [١٨٠٩ ـ ١٨٩٨].

الشرقية، ولا يحركه إلا فتنة أوروبية، ولا داعى لأوروبا فى تحريك الممالك الشرقية إلا الطمع الملكى والتعصب الدينى.

وإنما لشدة تمسك هذا الأوروبى بدينه، كره أن يرى ديناً غيره، وأحب أن يسمع صدى صوته فى بلاده، لتميل النفوس إلى رجل غيور على الدين.

وقد كان للإسلام اليد القوية أيام صولته، فلم يبطش بها بمواطنيه ولا مدها إلى معاهديه، بل ولا حرك بها عصاه نحو المتوحشين عند نزولهم على حكمه تحت سطوة سلطانه. ولم يكن عند رجاله من التعصب ما يحملهم على قهر الناس بالتضييق على ترك أديانهم، بل خير من نازلهم بين الأخذ به أو الاستيطان على حكمه، وهذه خصوصية له من بين الأديان..».

«فلم يكن الإسلام، ولا الأديان الشرقية السبب فى التأخر، كما يزعم كثير من الطائرين حول دهاة أوروبا، بل إن الدين الإسلامى كان السبب الوحيد فى المدنية وتوسيع العمران أيام كان الناس عاملين بأحكامه..»[8].

وكما انتقد النديم دهاة أوروبا، المتعصبين لدينهم ضد الإسلام، انتقد كذلك الماديين الأوروبيين الذين يرون «أن الأديان هى سبب التخاذل الحاصل فى العالم، ولا سبيل لمنعه إلا تركها جملة وإعدامها من الوجود»!..

ووجه حديثه إلى «الأجراء» «المقلدين» من أبناء أمتنا، الذين كانوا ينقلون هذه النظريات الأوروبية وينشرونها فى بلادنا.. «فهذا الفريق مقلد لدهاة أوروبا، الذين أفسدوا كثيراً من الأخلاق الشرقية بهذه الترهات والأوهام.. مع أننا لو فرضنا عدم صحة الأديان، وأنها وضعت نظامات فى أيام الخشونة والجهالة، ولا لزوم لها الآن مع وجود القوانين الوضعية، لكان من الواجب احترامها واعتبارها، فإن تأثير وعدها ووعيدها فى النفوس لا يبلغه قانون، فإن الشخص يمكنه أن يفر من عقوبة القانون، ولكنه لا يمكنه أن يفر من عقوبة الله. وما ساعد الملوك على النظام وبث الأمن إلا القانون الدينى.. والدين هو الذى يحمل العسكرى على بيع حياته.. ولو علم أن لا بعث ولا أجر على عمله لفر من ساحة القتال، فإن أرغم قاتل مكرهاً. ولا يُقال: إن الشرف الوطنى يلزمه باقتحام غمرات الموت، فإنه إذا علم أنه يقدم للموت ليفوز الملك أو الأمير بمراده، ولا ثواب ولا نعيم، فإنه لا يبيع حياته بلذة غيره»[9]..

وهكذا يقف النديم مدافعاً عن الإسلام، وعن مطلق الدين والتدين، أمام الفكر الأوروبى، الذى تنشره فى بلادنا صحافة

(٨) الأستاذ. العدد الخامس عشر. ص٢٢٧، ٢٢٨، ٣٥٢.

(٩) المصدر السابق. العدد الخامس عشر. ص٢٣٩، ٢٤٠.

«الأجـــزاء» و«المقلدين لدهاة أوروبا» و«الطائرين حول هؤلاء الدهاة»، سواء أكان هذا الفكر الأوروبى تعصباً نصرانياً ضد الإسلام، أم مادية رافضة لمطلق الدين.

والنديم الذى عاش فى عصر «المسالة الشرقية»، والصراع الأوروبى مع الدولة العثمانية، قد أبصر مكانة الإسلام فى هذا الصراع.. فعداء أوروبا لهذه الدولة العثمانية كان منطلقه العداء للإسلام، الذى يحول بين الغرب وبين تنصير المسلمين، والذى يحمى الشرق من الاستسلام لهيمنة الغرب ونهبه واستغلاله.. «ولو كانت الدولة العثمانية مسيحية الدين لبقيت بقاء الدهر بين تلك الدول الكبيرة والصغيرة.. ولكن المغايرة الدينية وسعى أوروبا فى تلاشى الدين الإسلامى أوجب هذا التحامل».

ويوجه النديم قوارص الكلمات إلى تيار التقليد لأوروبا، الذى احترفت صحافته ذم الدولة العثمانية، فيقول: «وإننا نرى كثيراً من المغفلين الذين حنكتهم قوابلهم باسم أوروبا يذمون الدولة العلية، ويرمونها بالعجز وعدم التبصر وسوء الإدارة وقسوة الحكام، ولو أنصفوها لقالوا إنها أعظم الدول ثباتاً وأحسنها تبصراً وأقواها عزيمة، فإنها فى نقطة ينصب إليها تيار أوروبا العدوانى، لأنها دولة واحدة إسلامية بين ثمانى عشرة دولة مسيحية غير دول أمريكا، وتحت رعايتها جميع الطوائف والأجناس والأديان، وكثير من اللغات، والفتن متواصلة من رجال أوروبا إلى من يماثلهم مذهباً أو يقرب منهم جنساً..»[10].

فالنديم، الذى سبق وأوردنا له الشواهد على دعوته لإصلاح الدولة العثمانية، وتجديد شباب إدارتها، هو الذى يسفه هنا دعاوى «المغفلين الذين حنكتهم قوابلهم باسم أوروبا»؟! ضد الدولة العثمانية، لأنها دعاوى معادية لهذه الدولة، لحساب الرصيد الاستعمارى الأوروبى، وليست دعوات للإصلاح تستهدف تقوية السياج العثمانى حماية للشرق وحضارته فى الصراع مع الأوروبيين ـ كما كان حال وموقف النديم وتيار الجامعة الإسلامية إزاء العثمانية والعثمانيين.

هذا عن الدين ـ والدين الإسلامى على وجه الخصوص ـ كثابت من ثوابت الهوية الحضارية الشرقية.. فهو «أقوى دعائم العمران.. والسبب الوحيد فى المدنية.. ومرجع المجد وأصل الشرف.. الذى تسرى جاذبيته فى الجسم مسرى الماء فى العود».

***

(١٠) المصدر السابق. العدد الثامن. ص١٦٩.

قراءة إيمانية فى كتاب الكون والحياة

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

• من أسرار الرحيق:

لفظ «الرحيق» فى اللغة العربية له معان مختلفة، لكن أقربها هو أنه «الشراب الذى لا غش فيه»، وقد جاء فى القرآن الكريم

﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾

(سورة المطففين: ٢٥)

وجاء فى الحديث الشريف: «إيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم».

والرحيق من الناحية العلمية هو إفراز من الغدد الرحيقية فى الزهرة، أو فى أجزاء أخرى من النبات وغالبا ما يكون الرحيق حلو المذاق، إذ أنه يحتوى على ٧٥٪ من السكر، وفى بعض الأحيان يحتوى الرحيق على بعض الأحماض الأمينية.

والأزهار التى تحوى غددا رحيقية عند قاعدتها غالبا تربطها علاقة تبادل منفعة مع أنواع كثيرة من الحشرات وبعض الطيور والقوارض، فالحيوانات تتغذى على الرحيق الذى تفرزه الغدة، وقد تختزنه على شكل عسل فى خليتها كنحل العسل، وهى فى أثناء زيارتها للزهرة تحمل معها حبوب اللقاح ناقلة إياها إلى «مياسم» زهرة أخرى، أى أن الحشرة تعمل على تلقيح المياسم بحبوب اللقاح. وزيارة الحشرة للزهرة أمر تستقبله الزهرة باستضافة الحشرة، ويظهر كرم الضيافة فيما تتعفر به الحشرة من حبوب اللقاح فى الزهرة المضيفة وعندما تنتقل هذه الحبوب إلى زهرة أخرى فى أثناء زيارة أخرى، فإن هذا يعنى ان الحشرات تعمل على تربية النباتات بتلقيحها الذى يتبعه الإخصاب وتكوين البذور.

وتوجد الغدد التى تفرز الرحيق فى أماكن غائرة بداخل الزهرة، وهذا يدفع الحشرة أو الطائر أو الحيوان الذى يحاول بلوغ الرحيق إلى دس خرطومه أو منقاره أو رأسه أو أجزاء من جسمه فى داخل الزهرة، وبذلك يعمل على نقل حبوب اللقاح وإخصاب الأزهار.

ومن الطريف أن طريق الحشرة إلى الزهرة موضح بعلامات تسمى «دليل الغدة الرحيقية»

وهذا الدليل قد يكون على هيئة خطوط أو نقط على سطح «البتلات» الملونة، وقد يرى بالعين المجردة، وقد لايرى، وعندئذ فإنه يحس بواسطة الحشرة التى تتمتع بحساسيتها للأشعة فوق البنفسجية.

والحشرات التى تزور الأزهار لها صفات تساعدها على استخلاص الرحيق الذى تفرزه الغدد الرحيقية فى الزهرة أو فى أجزاء أخرى من النبات، فالطيور لها مناقير طويلة وألسنة مدببة، والحشرات والقوارض لها أنابيب أو خراطيم طويلة. وكل هذه الوسائل تساعد الحيوانات على مص الرحيق من الزهرة. فالنحلة ـ على سبيل المثال ـ تدفع أجزاء فمها، بل ورأسها كله للحصول على الرحيق، وكذلك أرجلها لتجمع حبوب اللقاح، والطائر الطنان ضئيل الحجم يرف بجناحيه أمام الزهرة المتدلية، ويدس فى داخلها منقاره الطويل. ليستمتع برحيقها الحلو، حتى بعض الخفافيش تتغذى برحيق الأزهار، حيث يدفع الخفاش بجزء كبير من جسمه إلى داخل الزهرة كى ينال رحيقها.

والرحيق يمثل الغذاء للحشرات والحيوانات التى تمتصه، بل إن نحل العسل يجمعه لغذائه ويخزنه فى بيوته على هيئة عسل أما الإنسان فإنه يحصل من الأزهار على هذا الرحيق بطريق غير مباشر والرحيق، كما ذكرنا، يفرز من غدد خاصة، عادة ما تكون فى قواعد الأزهار، وخلايا هذه الغدد، وبخاصة بشرتها، رقيقة الجدر وممتلئة «بالسيتوبلازم» ويصلها السكر الذى تفرزه من لحاء النبات، وقد يفرز الرحيق من جدار الخلية الرقيق، أو من غطاء الخلايا (الكيوتين) الممزق.

والعلاقة القائمة بين الزهرة والحشرة، من أجل الرحيق، لها أهميتها فى حياة الإنسان من الناحية العملية الاقتصادية، فلولا هذه الزيارات المتكررة لمص الرحيق لما تم التلقيح أو الإخصاب، ولما نتجت بذور، ولفقد الإنسان الكثير من الأنواع النباتية التى يعتمد عليها اقتصاديا. وحتى ينتج النحل رطلا واحدا من العسل يتحتم على عشيرة من النحل أن تزور عشرة ملايين نورة برسيم مثلا وتلقيح هذا العدد الهائل من النورات ينتج حوالى ثلاثين رطلا من بذور البرسيم، بما يكفى لزراعة ثلاثة أفدنة جديدة. وكل هذا أساسه الرحيق وحاجة الحشرات إليه.

• فلا أقسم بالشفق:

قال تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الإنشقاق: ١٦: ٢٠)

وهنا يقسم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالشفق على إطلاقه دون خصوصية معينة والشفق هو حمرة تظهر فى الأفق حيث تغرب الشمس ويستمر من الغروب إلى قبل العشاء تقريبا، أو هو بقية ضوء الشمس وحمرتها فى أول الليل إلى قريب من العتمة والظلمة (الغسق)، فإذا ذهب قيل غاب الشفق.

وإن هذا الشفق ظاهرة تتكرر ما بين دائرتى القطب الشمالى والجنوبى ويسمى الشفق

الأصغر، أما الشفق الأكبر فهو الشفق القطبى الذى يحتاج إليه إنسان الدائرة القطبية.

ويفسر بعض العلماء الشفق بأنه الوقت الذى يتدرج فيه الضوء على دائرة الأفق المرئى من جهة شروق الشمس ومن جهة غروبها أيضا ودائرة الأفق المرئى هى دائرة ظاهرية بالنسبة لعين الراصد، وهى عبارة عن محيط دائرة تبدو عنده السماء من بعيد وكأنها تلامس سطح الأرض أو البحر إبصاريا. ويقدر طول هذا البعد بنحو خمسة أميال بالعين المجردة، ولكنه يزداد طولا مع الارتفاع عن سطح الأرض والأفق البحرى أكثر انتظاما فى شكله الدائرى عن الأفق الأرضى (البرى)، حيث لا توجد عوائق ما تحول دون رؤية عين الراصد، وتتحرك دائرة الأفق مع تحرك الراصد نفسه وكأن الأفق عبارة عن سراب لايمكن الوصول إليه. وهكذا يكون الشفق هو الحد الفاصل لحالة الضوء بين ظلام الليل المعتم ونور الفجر المبصر أو نور ما بعد الغروب.

وقد أوضح العلماء أن المادة المنبعثة من الهالة الشمسية تتدفق نحو الأرض بسرعة تفوق سرعة الصوت. إلا أن هذه «الريح الشمسية» تصطدم بالغلاف المغناطيسى للأرض الذى يقع على مسافة قدرها خمسة عشر ضعفا من نصف قطر الأرض، أى ما يعادل ٩٦٠٠٠ كيلومتر ويمكن للريح الشمسية أن تمر عبر فتحات فى الغلاف المغناطيسى للأرض، وتشكل تلك الفتحات مواقع ضعيفة فى البنية التكوينية لهذا الغلاف المغناطيسى الأرضى، أو أن الريح الشمسية تقوم بتحطيم الغلاف المغناطيسى الأرضى فى الجانب النهارى من الأرض، وينتج عن ذلك ذيل مغناطيسى يصل طوله عشرة أضعاف نصف قطر الأرض ويمتد فى الجانب الليلى. ويصحب اختراق الريح الشمسية لغلاف الأرض المغناطيسى اضطراب فى المجال المغناطيسى الأرضى وإثارة العواصف المغناطيسية الأرضية التى تعتبر مصدر الشفقين البديعين فى القطبين الشمالى والجنوبى. ويحدث أحيانا أن تولد تلك الريح اضطرابات خطيرة فى أنظمة الاتصالات والملاحة وأن تحدث أعطالا كهربائية واسعة.

ومن أنواع الشفق التى يميزها العلماء ما يسمى «الشفق الفلكى الصباحى»، حيث تكون الشمس أسفل الأفق بنحو ١٨، والشفق البحرى، حيث ترتفع حركة الشمس الظاهرية نحو ٦ عند صعودها جهة الشرق، ويشاهد فى هذه الحالة الضوء الأزرق القائم عند خط الأفق المرئى أما الشفق الأرضى فيكون حيث تستمر حركة الشمس الظاهرية فى الارتفاع بنحو ٦ درجات أخرى عما كانت عليه فى حالة الشفق البحرى ويكون الضوء فى هذه الحالة كافيا تماما لتحديد دائرة الأفق، وتختفى عنده النجوم، ويمكن رؤية المبانى العالية فى المدن. ويعرف هذا فى العلم الإسلامى باسم «الفجر الحقيقى» أى وقت الفجر الذى يستطيع فيه البصر أن يميز به اللون الأسود واللون الأبيض. قال تعالى:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾

(البقرة: ١٨٧).

من الإعجاز البيانى فى القرآن الكريم :

﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾

قال تعالى فى سورة الأنعام :

﴿ وَهُوَ الَّذِي
أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)
وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ
اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢)
ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ
قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)
وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ
حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ
أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ
عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

«الأنعام: ١٤١ - ١٤٤»

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عطية

آيات بينات من سورة الأنعام وهى من السور المكية. وهى كأخواتها المكيات تهتم بشئون العقيدة، وبإقرارها فى النفوس وبيان أن صاحب الفضل والنعمة إنما هو الله رب العالمين، الحقيق بالعبادة وحده.

وقد سلكت السورة فى سبيل إقرار العقيدة فى النفوس بكل حواشيها وما يترتب عليها. مسالك شتى.. ومن هذه المسالك الحديث عن الرزق : من أين جاء، ومن الذى جعل أنواعه متعددة، وكيف يكون التعامل معه عند تقسيمه سواء فى نسبته إلى مصدره الحقيقى، أو فى إيصاله إلى مستحقيه وما هو الحلال وما هو الحرام فى الإفادة منه.. وما يجب فى نسبة الفضل الحقيقى لصحاب الفضل هذه النسبة التى لا تشوبها شائبة شك، ولا يعتريها شىء من شرك، فالخالق وحده هو الله، والرازق وحده الذى لا تنفد خزائنه هو الله. والذى يحكم فيه بعلمه الأزلى إنما هو الله الحكيم الخبير.

ولذا جاء قبل هذه الآيات قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ
نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا
فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦) وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ
لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ
شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧)
وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن
نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ (١٣٨) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ
خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن
مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ
قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠) ﴾

(الأنعام ١٣٦ : ١٤٠)

ومما يكمل دائرة الحديث عن الرزق، بيان أن الله وحده، هو الذى يحكم بحل أكل هذا وحرمة أكل هذا لحكمة يعلمها وحده، فالحكم لله الواحد القهار ولذا جاء بعد الآيات التى هى موضوع الصورة الفنية قوله تعالى :

﴿ قُل لَّا أَجِدُ
فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا
كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا
اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)
فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

(الأنعام ١٤٥ : ١٤٧)

أما الآيات موضوع الصورة الفنية، فقد رسمت لوحة رائعة تتسلط فيها الأضواء على ما أنشاه الله من جنات يرتزق منها الإنسان، ويعيش على خيراتها وما بها من زروع وثمار وفاكهة مختلفة الألوان والأحجام والطعوم، تناسب الإنسان فى كل حالاته وتحت أى ظرف يمر به.

كما تتسلط فيها الأضواء على ما رزقه الله من الأنعام والحيوانات التى خلقت من أجله، لتكون تحت تصرفه أنى شاء وكيف شاء كما تركز على أن الأصل فى التحليل والتحريم إنما هى نصوص الشارع الحكيم، كما أنها تحذر كل التحذير من اتباع خطوات الشيطان وما يوحيه لأتباعه من تحليل هذا وتحريم هذا:

﴿ لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

إن من يقرأ هذه الآيات المباركات، ويرى نفسه يتقلب بين انعم الله تبارك وتعالى يتاملها، ليرى قدرة الله الذى انشاها من العدم، وزودها بما تتمتع به من خضرة يانعة وثمار وفيرة توحى له بالاطمئنان النفسى، والثقة التامة فى خزائن الرزق الذى هو من عند الله. وأن هذه الخزائن لا تحدها حدود، وأنها تشتمل على حاجاته فى يومه وغده. هذه الجنات يرى فيها الإنسان من تعدد الأنواع، ما هو كفيل بتوفير كل حاجاته: ففيها الجنات المعروشات، وهى المسوكات المرفوعات، أو الإنسيات المعروشات التى يتعهدها الإنسان بالعرائس والحوائط، مثل الكروم، والزروع والبطيخ وما شابه، كما يرى فيها غير المعروشات، وهى التى لم يتم رفعها بواسطة الإنسان وإنما هى متروكة لحالها مما قام على ساق: مثل النخل وسائر الأشجار)[1]، كما يرى فى هذه الصورة الحقيقة، التى يتقلب بين مظاهرها فى حياته اليومية، النخل والزرع، والعجيب أن هذا النخل والزرع قد يتشابه فى الشكل، وقد يختلف.. وقد يتحد النوع أو يختلف.. ولكنه مع هذا مختلف الطعوم والرائحة، يدرك هذا كله من يعيش فى الجزيرة العربية أو فى صعيد مصر، أو فى البلاد التى يكثر فيها زراعة النخل على وجه العموم، حيث تتحد أشكال النخل وأحجامه، وتختلف طعوم البلح ورائحته. وكذلك بقية الزروع والثمار بخاصة الزيتون والرمان، فمنه المتشابه وغير المتشابه، مما يوحى بقدرة الخالق تبارك وتعالى.

وبعد أن يشاهد المتأمل هذه النعم، ويرى يد الصانع القادر، الذى أنشاها بهذه الكيفية الباهرة، تمتد إليه يد الكريم -تبارك وتعالى- لتطعمه منها، لافتة نظره إلى أن هناك من هم فى حاجة إليه، فلا ينبغى له أن يساهم، كما يرى الآية المباركة تقيم موازين العدل فى هذه اللقطة الأخيرة -لقطة الأكل والإنفاق- حيث يسمع من وراء حجب الغيب من يقول له:

﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾

ثم يتبعها بقوله:

﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

هذا هو الجانب الأول من جانبى الصورة الحية، التى تصنعها الآيات أمام القارئ المؤمن ليتحول إلى مشاهد يتمتع بما يراه، وبما يطعمه مما رزقه الله -عزل وجل- وعلى

(١) اقرأ فى ظلال القرآن لسيد قطب، وتفسير القرطبى، ومفاتيح الغيب للفخر الرازى: تفسير سورة الأنعام

الجانب الثانى من هذه الصورة، يرى هذه الأنعام الكثيرة، التى خلقها الحق تبارك وتعالى من أجله، ولتكون تحت سلطانه وطوع أمره. فهناك الأنعام: منها ما هو «حمول» عالى القوائم، مرتفع الأجسام عن الأرض: مثل الحمير والخيل والجمال والبغال والأبقار.. بما خلق الله لها من خصائص تتناسب مع الغرض الذى انشاها من اجله كحمل البضائع والأثقال، وجر آلات الحرث والرى، وكحمل الإنسان إلى الأماكن البعيدة التى لم يكن يصل إليها إلا بشق الأنفس وما شابه ذلك من كافة الأغراض. كما أن منها ما هو «فرش» وهو القريب من الأرض الذى ليس له قوائم عالية ترفعه، ولا يصلح لما يصلح له النوع الأول، مثل الأغنام والماعز والأرانب، وإنما خلق ليؤدى أغراضا أخرى حيث يتخذ منه الفراء والصوف والجلود، التى يفيد منها الإنسان فى حياته، فضلا عن أن منها -سواء الحمولة والفرش- ما يؤكل لحمه، ويشرب لبنه.

وكما امتدت إليه يد الخالق عز وجل فى نهاية عرض الجانب الأول من أنعم الله فى خلق الجنات المعروشات وغير المعروشات.. وذلك فى قول الله تبارك وتعالى:

﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ ﴾

نراها تمتد إليه فى نهاية عرض الجانب الثانى فى خلق الأنعام بأنواعها المختلفة وذلك فى قوله تعالى:

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾

(البقرة/ ٦٠)

وكما سمع المشاهد فى الجانب الأول التحذير من الإسراف فى المأكل والإنفاق، وأن الله لا يحب المسرفين، يسمع فى الجانب الآخر التحذير من اتباع خطوات الشيطان، حيث إن الشيطان له عدو مبين فكل ما حولنا إنما هو راجع إلى الله رب العالمين.

«إنه سبحانه الذى بث الحياة فى هذه الأرض، ونوعها هذا التنويع، وجعلها مناسبة للوظائف التى تتطلبها حياة الناس فى الأرض. فكيف يذهب الناس -فى مواجهة هذه الآيات وهذه الحقائق- إلى تحكيم غير الله فى شأن الزروع والأنعام والأموال.

[هكذا يقول الشهيد سيد قطب معلقا على هذا المشهد][2]، ويواصل تعليقه قائلا:

«إن المنهج القرآنى يكثر من عرض حقيقة الرزق الذى يختص الله بمنحه للناس. فإن الخالق الرازق الكافل وحده، هو الحقيق بأن تكون له الربوبية والحاكمية والسلطان وحده.. بلا جدال».

(٢) فى ظلال القرآن جـ ٣ ص ١٢٢٣ ط الشروق

وأمام هذه اللقطة الأخيرة تقف بنا الآيات المباركات وقفة يسيرة تعقب فيها على ما شاع بين العرب فى الجاهلية من تحريم بعض هذه الأنواع من الأنعام اتباعا لخطوات الشيطان دون سند من نص تشريعى صحيح. فقد ذكرت الآيتان ثمانية أزواج [٣] من الضأن اثنين.. ومن المعز اثنين.. ومن الإبل اثنين.. ومن البقر اثنين، مفصلة حكم الله فيها ومؤكدة من خلال مفهوم الآيتين على أن الأصل فيها الحل، ولم يرد هناك نص بتحريمها، فمن أين جاء هذا التحريم الذى أشاعوا خبره بينهم. قال تعالى:

﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

الأنعام/ ١٤٣ - ١٤٤

«قال المفسرون: إن المشركين من أهل الجاهلية كانوا يحرمون بعض الأنعام، فاحتج الله تعالى على إبطال قولهم بأن ذكر الضأن والمعز والإبل والبقر وذكر من كل واحد من هذه الأربعة زوجين ذكرا وأنثى.

ثم قال إن كان حرم منها الذكر وجب أن يكون كل ذكورها حراما، وإن كان حرم الأنثى وجب أن يكون إناثها حرام»[٤].

إذن قضية التحليل والتحريم فى المطعم والمشرب، ليست بالقضية اليسيرة، التى يصح أن يفتى فيها بالرأى الذى لا يقوم على دليل شرعى من الكتاب أو السنة المطهرة، ولذا لا ينبغى أن تؤخذ هكذا، دون تمحيص ومعرفة دقيقة لما نصت عليه الشريعة الإسلامية، من هنا كانت دقة هذا التذييل:

﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

للحث على ضرورة أن يكون الحكم مستندا إلى علم صادق مكين. «فهذه الشئون لا يفتى فيها بالظن، ولا يقضى فيها بالحدس، ولا يشرع فيها بغير سلطان معلوم»[٥].

---

(٣) الزوج يطلق على الذكر والأنثى إذا كان معه غيره، فالذكر زوج وأنثاه زوج، ولذا جعل الثمانية الأزواج فى الآيتين على النحو التالى: من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين: ذكر وأنثى من كل نوع.

(٤) مفاتيح الغيب مجلد رقم ٦ ص ٦٠٨ ط دار الغد العربى

(٥) سيد قطب فى ظلال القرآن

ولإقامة الحجة القاطعة على أولئك الذين يطلقون أحكام التحليل والتحريم من عند أنفسهم، تتساءل الآية المباركة:

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ﴾

وهو استفهام للتعجيز وإلزام الخصوم بمرادات الله عز وجل، وضرورة أن يردوا كل هذه الأمور إلى ما نصت عليه الشريعة، حيث إن أحدا لم يحضر ولم يشهد وصية الله بهذا، ولذا لا يصح أن يحكم بما يشاء نيابة عن الشارع الحكيم وإلا كان ظالما لنفسه ولغيره من يضل الناس بغير علم:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

إن هذه الصورة الطبيعية الحية، إنما تقوم على قاعدتين أساسيتين من قواعد العقيدة الصحيحة فى الله تبارك وتعالى:

الأولى: أنها تركز على أن صاحب الفضل والنعمة فى إنشاء ما يتقلب فيه الإنسان من الزروع والثمار بكافة أشكالها وأنواعها ومختلف طعومها وروائحها إنما هو الله وأن الذى خلق الأنعام كلها بكافة أحجامها وأنواعها، إنما هو الله، ولذا لا يجوز أن يعبد غيره، ولا يصح أن ينسب الفضل إلا له سبحانه.

الثانية: أن صاحب الحكم بتحليل أكل هذا وتحريم أكل هذا، إنما هو الله، الذى خلقها وزودها بما يصلح للإنسان، فلا ينبغى لأحد أن يضل الناس عن مرادات الله فيها بغير علم. فالكل راجع إليه فى الخلق، وفى الإماتة وفى الإعادة.

إن هاتين الدعامتين اللتين تقوم عليهما الصورة الفنية، التى معنا تصان - مع أخواتها من الدعائم الأخرى، التى تحدثت عنها سورة الأنعام - فى مجرى عقدى واحد، هو الإيمان الصحيح بوحدانية الله تعالى، الذى تقوم عليه حياة البشر جميعا: سواء فى علاقتهم بالله عز وجل، أو طريقة تعاملهم مع مفردات الكون الواسع من حولهم، حتى يمكن أن يعيشوا فى سلام مع الله عز وجل ومع أنفسهم ومع ما أنعم الله عليهم به فى الحياة الدنيا.

***

قصة العدد

يَومُ النُعمَان

للأستاذ الدكتور عبد اللطيف الحسينى

أصيب النعمان بن المنذر بفقد ولده الأكبر وكان يعده للملك من بعده إذ يرى في شجاعته الباهرة ودهائه الماكر ما يرضيه من سماته وكان يقول لجلسائه: «ليعظمن أمر الحيرة ويتسع ملكها في الغد إذا تسنم ولدى الملك من بعدى فإني أرى له همة وبسالة تدفعانه إلى منازلة كسرى وقيصر والانتصار عليهما».

ثم شاءت الأقدار أن يفقد النعمان موضع رجائه وأمله إذ سقط ابنه من أعلى «الخورنق» في زلة عارضة فخرّ صريعا لا حراك به واشتدت محنة النعمان فأمر النساء في الحيرة جميعهن بالعويل والصراخ، وحلق شعر رأسه ولحيته ومكث يتلقى العزاء أربعين يوما ثم بنى لابنه قبرا جعل يزوره كل حين وعدّ يوم رحيله يوم البؤس الأعظم فما يطلع النهار في مثل هذا اليوم من كل عام حتى يخرج النعمان إلى الشارع ويصادف أول إنسان فيقتله لأنه رآه أول من رأى في يوم البؤس وعجب أهل الحيرة من هذا التصرف الأرعن ولكن أحدا لم يقدر على معارضة النعمان بل إن سميره وصديقه «شريك ابن عمرو» زين له الأمر وقال: «إنها ذكرى تعيد مأساة الفقيد الراحل فيظل الناس يذكرون يوم البؤس ويشعرون بالفجيعة على تجدد الأعوام».

ومضت الأعوام ويوم البؤس يتجدد كل عام ثم اتجه النعمان في بعض رحلاته إلى البادية كعادته حين يحب الفراغ من شأن الملك وركب جواده «اليحموم» متوغلا في الصحراء إلى مدى بعيد ونزل المطر دفاقا شديدا فتعثر سير «اليحموم» في الرمل ونظر النعمان حوله فلم يجد غير خيمة صغيرة أمامها أعرابي بائس فنهض إليه وطلب منه أن يأذن له في دخول الخيمة حتى ينقطع المطر ولكن الأمر زاد عن حده فرأى الأعرابي أن يقوم بواجب الضيافة للطارىء الغريب وهو لا يعرف أنه النعمان ولم يكن لديه غير شاة صغيرة هي كل متاعه فعجل بذبحها وسوّى نضجها وتقدم باللحم إلى الضيف فسأله النعمان: «كم شاة لديك؟»

فقال: هذه وحق مناة، إذ كانت قدر اللبن للعجوز هذه، وأشار إلى امرأته.

فثار النعمان بأريحية هذا الكريم الذى بذل كل ما لديه وقال له: «أنا النعمان بن المنذر ملك الحيرة فإذا بدا لك أن تحضر إلىّ فستجد جزاءك الكريم ثم انصرف عنه بعد ليلة قضاها في خيمته متجها إلى قصر «الخورنق» على شاطىء الفرات.

وتقلبت الليالى بالأعرابى المسكين فمرضت زوجته ولم يجد شيئا يقتات به فقالت له العجوز: لو رحلت إلى الملك فسيكافئك على صنيعك وهو الذى أشار عليك بالحضور.

فقال الأعرابى: يا امرأة هذا الرجل قد كان ضيفى وقد أكرمته استجابة لدواعى المروءة لا لأذهب إليه لأتقاضاه الأجر.

قالت العجوز: إنه ملك وليس من العيب أن تأخذ هدية الملوك فهم يعطون الناس جميعا ولا يحسّ أحد أن الملك قد تفضل عليه.

فقال: لا ثم لا.

فصرخت العجوز وقالت: هل سأموت من الجوع وتموت أنت كذلك، عجّل يا رجل بالذهاب إلى الملك فدمى في رقبتك.

ومازالت به حتى استجاب وسأل عن الطريق إلى الحيرة حيث لم يأتها من قبل حتى اهتدى إليها بعد مسيرة عشرين يوما فى الصحراء، وشاءت الظروف أن يأتى الرجل فى يوم البؤس الذى حدّده النعمان ليقتل أول رجل يراه فكان الأعرابى هو القادم وكان الموقف عصيبا قوى الأثر في نفس الملك إذ تذكر أن الرجل ذبح له الشاة التى لا يملك غيرها وهو لا يعرفه فكيف يكون جزاؤه أسوأ الجزاء؟.

فكر النعمان في مسألته الشائكة وجمع لفيفا من مستشاريه وقال لهم في أسى واضح: «ماذا أصنع في هذا الأعرابى الذى بذل خير ما لديه إلىّ دون أن يعرفنى وواجبى الآن أن أقتله لأنه أول شخص رأيته في يوم البؤس.

قال شريك بن عمرو وهو الصديق المقرب للملك: «ألا يمكن أن تؤجل قتله أو تختار من يليه من الذين تراهم الآن؟».

فقال النعمان: «إن الشرط ألزم وقد اشترطت أن يكون الضحية أول قادم».

فقال شريك: «تعلنُ عزمك على قتله بعد أن تؤجل الموعد».

وصفق النعمان بيده فأحضر الأعرابى وقال له: «لعلك لا تعرف قصة يوم البؤس وأنت عزيز علىّ».

فقال الأعرابى: «الأعمارُ بيد الله أيها الملك وليست الحياة بالشىء الذى يحرص عليه العاقل الذى يفهم مبداه ومصيره ولكن...».

قال الملك مستغربا: «ماذا وراء لكن أيها الرجل؟».

فقال الأعرابى: «أريد مهلة لأقضى دينى وأودى الأمانات التى في عنقى ثم أحضر إليك لتقضى أمرك».

فدهش النعمان وقال: «أى أمانات لديك وقد رأيت خيمتك الصغيرة فلم أشهد بها غير حصيرة بالية؟».

فقال الأعرابى: «علىّ ديون لمعارفى من الأعراب لابد أن أؤديها قبل أن ألقى الله ولى أخوات بعيدات المكان جاء موعد زيارتهن ولابد

أن أقدم لهن ما اعتدت أن أقدمه فهنّ في حاجة إلى المعروف وينتظرنني بفارغ الصبر ولولاهنّ ما جئت إليك أيها الملك إنها الشهامة والدم والوفاء ولا مناص من الأداء».

أطرق النعمان وسكت جالسوه ثم هتف الملك قائلا لجلسائه : أذنتُ له أن يرحل عاماً كاملاً ولكن لابد من ضامنٍ يضمنه فإذا لم يرجع قُتل الضامن مكانه ! فمَن يضمنه ؟».

سكت القوم وتطلع الأعرابي فيهم فوجد إنسانا عليه سيما التواضع المستكين يقال له «قراد بن أجدع»، فقال للنعمان : «نفسي تحدثني أن هذا الشريف سيضمنني وأنا أولُ من يحرص على الوفاء من أجله».

فاستحيا «قراد» ثم قال : «ضمنتك أيها الأعرابي.

فقال النعمان : «أتعرف ما عقبى قولك ؟، إنك ستُقتل إذا لم يجيء في الموعد المحدد».

فقال قراد : «هذا موقف مروءة أيها الملك فلا تحرمني منه».

سر النعمان من مروءة «قراد» وقد ارتاح لنجاة الأعرابي فقال له : «خذ ما تطلب من مال وحيوان وارجع إلى أهلك لتؤدي أمانات قومك وسأنتظرك حتى يتم العام فإذا لم تحضر «فقراد بن أجدع» هو المقتول، ثم أمر حاجبه فأحضر النياق والمال والثياب إلى الأعرابي وأوصله إلى البادية ليبلغ مأواه.

فوجئت العجوز بزوجها يقود نياقا ويقدم مالا وثيابا مما لم تر مثله من قبل فقالت له : «شكرا لله وللنعمان لصنيعه وأظننا سنكون سادة العرب من الآن».

فقال الأعرابي : «هو ما تقولين ولكني لن أبقى سعيدا بعد هذا العام»، وشرح لها ما كان من أمره فبكت بكاء مراً.

فقال لها : «لا تبك، فإني ساطوف من الآن على أقاربي وأخواتي بالبادية وسأوزع عليهم ما ترين من أنواع الثراء وذلك يجعلني مطمئنا سعيدا راضيا بالمآل، أما أنت فستلحبين إلى أهلك ومعك من النياق ما يجعلك سيدة القوم، وهو الدهر إن سر يوماً فإنه يسيء يوماً آخر والدهر دولاب دوار».

ولم يتوان الأعرابي عن تنفيذ ما أشار، فحمل العجوز إلى أهلها وانطلق في البادية يوزع النياق ويفي بالعهود وكأنه لم يهدد بأسوأ المصير.

كان النعمان يفكّر في بعض ساعات صفوة في مأساة الأعرابي الكريم التي ستلاحقه إذا استجاب لداعي الوفاء وبكّر بالحضور في اليوم الموعود فتمنّى لو تأخر حتى يفتديه «قراد بن أجدع» وفي أحد مجالس سمره مع صفوة ندمائه ذات ليلة، سمع نديمه «شريك بن عمرو» يقولُ في شبه سؤال يوجهه لسيده النعمان : أيها الملك – أبيت اللعن – ماذا سنصنع بمكيدة عمرو بن الحارث الغسانى صاحب دمشق»؟

قال النعمان : أي مكيدة يا شريك ؟

فقال شريك : «لقد بثّ عيونه في القبائل حول الحيرة يقولون إن يوم البؤس الذي شرعه النعمان الظالم دليل عنت وجبروت».

قال أحد الندماء : «ومن قبل أرسل عمرو بن الحارث جواسيسه يقولون إن النعمان أكبر غدار حين قتل «سنمار» لأنه أحسن بناء قصر «الخورنق» وخاف أن يبني مثله لملك سواه فرماه من أعلى القصر ظلماً وعدواناً».

قال النعمان : «وماذا يقصد الغساني اللئيم بذلك»؟

فقال شريك : «هي حربٌ بغير سلاح يريد أن يبغض الناس في رئيسهم المطاع وهي حرب صامتة لها تأثير الحرب الناطقة بالسلاح».

فسكت النعمان مفكرا، ثم قال في هدوء لم يعهد من قبل : «وددتُ أن أهمل يوم البؤس منذ حادثة الأعرابي ولكنْ كيف وهو موعد لذكرى ولدى العزيز !».

قال أحد الندماء : «كل آت قريب وسيأتي موعد هذا الأعرابي بعد حين وربما ينجو ويقع سواه».

وأتى الموعد وحل اليوم الأخير وذهب النعمان وحاشيته إلى مكان التنفيذ ونصبوا سرادقاً عظيما ومعهم الضامن «قراد بن أجدع» ليكون الضحية إذا غربت الشمس ولم يأت الأعرابي، وتوقع الجميع أنه لن يأتي وأن الموت محتوم على الضامن، ولكن صيحة علت قبيل الغروب تنبيء أن الأعرابي الوفيّ قد حضر ليلقى حتفه فتعجب النعمان ونظر إلى الأعرابي في حيرة وسأله : كيف تحضر وقد هيأت الظروف لك البديل ؟».

فقال الأعرابي : «أبيت اللعن أيها الملك، والبدوي شرفه في كلمته وهذا السيد الكريم قد ضمنني حتى أديت ما بعنقي من الأمانات وأرحت ضميري بعد أن ضمنت سعادة أقاربي وأوليائي فأيّ شيء أنتظر بعد ذلك من الحياة ؟، دعني أقبل يد «قراد» الذي بذل روحه عن سماح فهو أشرف من رأيت في قصرك، وسألقى الموت شاكرا لفضله الكريم».

بهت النعمان وتطلع في وجوه القوم سائلا : «ماذا ترون، أي الرجلين أكرم، الذي حضر من أقصى الأماكن ليفي بوعده أم الذي قبل الضمان وهو يعلم أنه يضحي بنفسه دون ذنب جناه».

فقال «شريك بن عمرو» : أيها الملك – أبيت اللعن – لك أن تجعل هذا اليوم يوم الوفاء بدل أن يكون يوم البؤس وتكون ذكرى فقيدك العزيز مقرونة بالوفاء لا بالنحس».

قال الملك : «أفصح فقد استرحت إلى قولك».

فقال : «تُعلن بين الناس أن مروءة هذين الكريمين المثاليين قد دفعتك إلى انتهاج خطة جديدة هي أن تكون ذكرى الفقيد العزيز مرتبطة بهذا الحادث الفريد حادث المروءة والوفاء وأن يكون الاحتفال سنويا بيوم الوفاء لا يوم البؤس».

فابتهج النعمان وقال : «لقد عفوت عن الأعرابي الوفي كما أكبرت صاحبه «قراد» الكريم ولهما جزاؤهما المشكور لديّ وهديتهما الثمينة من الأموال والنياق»، ثم صاح : «أيها القوم هذا يوم الوفاء ويوم الذكرى وقد ذهبتْ كلمة البؤس إلى حيث لا يعود لفظها يتردد بعد الآن».

أما الأعرابي فقد احتضن «قراد» في حب وقال :

مـــا كُنت أخلف ظنه بعـــد الذي
أســـدى إليّ من الفعـــال الغالي
ولقـــد دعتْني للخلاف ضلالتي
فـــأبيت غيـــر تمجدي وفعـــالي

وانتهى الحفل على أحسن ما يرجى من الصلاح والصلات وحقن الدماء وسار الأعرابي بهديته إلى خيمته من جديد ليبدأ توزيع الهدايا والأموال.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

التقوى

سأل عمر بن الخطاب أبى بن كعب - رضى الله عنهما - عن التقوى ماهى؟.

فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟

قال: نعم.

قال: فما عملت فيه؟

قال: شمرت وحذرت.

قال: فذاك التقوى.

أبيات محببة

ذكر عن الإمام أحمد - رضى الله عنه - إنشاده لهذين البيتين كثيراً:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يخفى.. عليه يغيب

«هشام.. وأعرابى»

دخل أعرابى على هشام بن عبدالملك، فقال له هشام: عظنى.

فقال: كفى بالقرآن واعظا!!.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

سورة المطففين ١ - ٦

ثم قال يا أمير المؤمنين، هذا جزاء من يطفف الكيل والميزان، فما ظنك بمن يأخذه كله.

بفضلك يارب

اعتل جعفر بن محمد الصادق

فقال: اللهم أجعله أدبا، ولا تجعله غضبا

أنت أحوج منى

قال الأصمعى: وقف علىَّ سائل بالمربد، وهو يقول: قد رهنت القصاع من شهوة الخبز.

فقلت: هذا شعر.

فقال: أتمه.

فقلت: فمن لى بمن يفك القصاعا.

فقال: أضمم إليه بيتا.

فقلت:

ما رهنت القصاع يا قوم حتى
خفت والله أن أموت ضياعاً.

فقال: أنت أحوج منى إلى المسألة.

وقوف الإنسان عند حد ما يعلمه

قال بعض الحكماء: من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم، فحسبك جهلاً من عقلك أن تنطق بما لا تفهم.

ولقد أحسن زرارة بن زيد حيث يقول:

إذا ما انتهى علمى تناهيت عنده
أطال فأملى أو تناهى فأقصرا
ويخبرنى عن غائب المرء فعله
كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا

وأبلغ من هذا كله وأحكم قوله - تعالى -

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

الإسراء ٣٦

لجوج، حقود، حسود

قال عبدالملك للحجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف نفسه، فعب نفسك.

قال: اعفنى يا أمير المؤمنين.

قال: لتفعلن.

قال: أنا لجوج، حقود، حسود.

قال عبدالملك: ما فى الشيطان شر مما ذكرت.

المراء

قيل لأعرابى: ما تقول فى المراء؟

قال: ما عسى أن أقول فى شىء يفسد الصداقة القديمة، ويحل العقدة الوثيقة، أقل ما فيه أن يكون دربة للمغالبة، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة.

خواطر

● ليس الزاهد من لا يملك شيئا، إنما الزاهد من لا يملكه شيء.

● لكل إنسان نصيبه من الألم والحزن والهم، فمن رضى وصبر كان له الأجر، ومن سخط وتبرم، نفذ عليه القضاء وكان عليه الوزر.

● لا تعط الشيطان فرصة التردد عليك، بل احزم أمرك معه، وأفهمه أنك لا تحب الخائنين.

● من احترم العالم لعلمه فقد أنصفه، ومن احترمه لعلمه وخلقه فقد أكرمه.

● ليس أشقى من المرائى فى عبادته، لا هو انصرف إلى الدنيا فأصاب من زينتها، ولا هو ينجو فى الآخرة فيكون مع أهل جنتها.

د. مصطفى السباعى

شهوة الرمان

قال الخواص: أصابتنى شهوة الرمان، فخرجت فى طلبه، فرأيت رجلا فى البرية والذباب قد آذاه!!.

فقلت له: لو كان لك حال مع الله لدفع عنك ذلك.

فقال لى: وأنت لو كان لك حال مع الله لدفع عنك شهوة الرمان.

حد الاعتدال فى الكلام

قال جعفر بن يحيى: إذا كان الإيجاز كافيا، كان الإكثار عيا، وإن كان الإكثار واجبا كان التقصير عجزا، وقال بعض الحكماء: إذا تم العقل نقص الكلام.

حقا

إذا كنت جامعا لمالك ممسكا
فأنت عليه خازن وأمين
تؤديه مذموما إلى غير حامد
فيأكله عفوا وأنت دفين

دعاء

اللهم إنك تعلم أن هذا النبى المصطفى حبيب قلوبنا وهواها، وأنه غاية أشواقنا ومناها، ونداء أرواحنا ومبتغاها، فصل عليه ياربنا أجمل صلاة وأبهاها، وسلم عليه أزكى تسليمات وأوفاها، وبارك عليه أتم بركات وأنماها.

بين الصحف



المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

أى دولـة حـرة تـلـك

كتب الكاتب الصحفى الأستاذ سمير رجب. فى عموده اليومى «خطوط فاصلة» المنشور بجريدة «الجمهورية» فى عددها الصادر فى ٢/١٠/٢٠٠٤ يقول:

فى الوقت الذى تجاهل فيه كل من جورج دبليو بوش، وجون كيرى المرشحين لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية.. دماء الفلسطينيين التى تسيل أنهارا والجرائم التى ترتكبها إسرائيل ضدهم.. وآخرها مجزرة غزة الدنيئة التى تمت قبل المناظرة التى عقدها المرشحان بساعات قليلة.. نجد الرئيس الأمريكى الحالى يتحدث عن «عراق» من نبت خياله.. ليس له وجود فى عالم الواقع.. إذ وقف يقول وقد ارتسمت الجدية على ملامح وجهه: «إن قيام دولة حرة فى العراق سيساعد على الحرب ضد الإرهاب.. وفى الحفاظ على أمن دولة إسرائيل»..!!.

وهكذا فإنهم فى البيت الأبيض يلفون، ويدورون.. حول إسرائيل ووسائل إرضائها بشتى السبل والوسائل.. والإصرار على الدفاع عنها ظالمة أو مظلومة..!.

أى دولة حرة تلك التى يتحدثون عنها.. وقد بلغ عدد العراقيين الذين لقوا حتفهم خلال ٢٤ ساعة فقط.. ما يقرب من ١٥٠ رجلا، وامرأة، وطفلا..؟؟!.

إن الحرية لن تكون إلا بعد أن يتحرر هذا الوطن المغلوب على أمره من براثن الاحتلال البغيض.. وبعد أن يسترد أرضه من الغزاة ويتمتع باستقلاليته وإرادته الحرة..!.

على الجانب المقابل.. فإن كل يوم يمر يؤكد أن كل ما يجرى الآن سواء فى العراق أو فلسطين.. إنما هو لصالح الإسرائيليين أولا وأخيرا.. الذين من أجل «عيونهم».. تتشرد الشعوب.. وتترسخ سياسة الكيل بمكيالين التى باتت تهدد السلام العالمى بكل جبروت وطغيان وظلم.

الأغرب.. والأغرب أن «الأذرع الطويلة» لم تعد تكتفى بما وصلت إليه..

ديمقراطية الحصار الغاشم!!

ومما كتبه الأستاذ جلال دويدار فى جريدة الأخبار الصادرة فى ٢٠٠٤/١٠/١ تحت عنوان: التخلى عن العدالة.. مشكلة أمريكا؟!

دخلت الانتفاضة الباسلة عامها الخامس ومازال مسلسل القتل والتنكيل الإسرائيلى بالفلسطينيين مستمرا بمساندة وتمويل الولايات المتحدة الأمريكية يحدث هذا وسط صمت مريب من جانب ما يسمى بـ«العالم المتحضر» الذى تتعالى صيحاته لمقتل جندى يهودى من جنود الاحتلال يشارك عن عمد فى اختراق القانون الدولى والتمرد على الشرعية الدولية.

لا أحد يعترض ولا أحد يتحرك لوقف هذه المجازر اليومية اللاإنسانية عندما تستهدف العرب والمسلمين.

الشيء الغريب أن تخرج علينا الفضائيات بحديث لوزير الخارجية الأمريكى كولن باول يهاجم فيها الانتفاضة محملا إياها عدم حدوث تقدم للقضية الفلسطينية، لم يرد على لسان وزير خارجية دولة القطب الواحد التى من المفروض أن تكون راعية وضامنة للعدالة الدولية أى انتقاد للاحتلال الإسرائيلى باعتباره أس الفساد وسبب كل الكوارث ليس فى الشرق الأوسط وحده وإنما على مستوى العالم.. تعمد الخداع والتضليل فى ممارسته لعملية الهجوم على ثورة الشعب الفلسطينى على الاحتلال وعلى اغتصاب أراضيه.

لم يجرؤ على المساس من قريب أو بعيد بممارسات الاحتلال الذى يستخدم السلاح والمال الأمريكى فى قتل وتشريد الفلسطينيين وتخريب أراضيهم وتجويعهم.

هل ما يجرى على الأرض الفلسطينية جزء من مخطط نشر الديمقراطية والحرية على الطريقة الأمريكية - الصهيونية؟!.

هل هذه الديمقراطية توصى باستمرار هذا الحصار الغاشم لياسر عرفات الرئيس الذى انتخبه شعبه بإرادته الحرة، إن أى عقاب يجب أن يتعرض له هذا الزعيم على أى أخطاء ارتكبها لابد وأن يأتى من جانب الأصوات التى اختارته وليس من جانب الولايات المتحدة أو إسرائيل اللتين تجمع بينهما المصالح الصهيونية الجائرة.

أصبح واضحا تماما أن الكراهية التى أصبحت تتمتع بها السياسة الأمريكية والسلوكيات الإسرائيلية تعود أساسا إلى إصرار هاتين الدولتين ومن ورائهما جوقة المساندين المنتفعين.. على إلباس الباطل ثوب الحق وإلى إقناع الشعوب بأن ظلمهم ليس إلا هذه العدالة المفقودة!!.

العراق.. من سيئ لأسوأ

ونشرت جريدة الأخبار فى ٢٠٠٤/١٠/١ تقريرا عن «لوس انجلوس تايمز وواشنطن بوست» بعنوان: الأوضاع فى العراق تسير من سيئ لأسوا

فى الوقت الذى تتصاعد فيه حدة الضربات الموجعة التى توجهها المقاومة العراقية لقوات الاحتلال الأمريكى، اعترف عدد من المسئولين الأمريكيين وخاصة فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية «سى. آى. إيه» أن الأوضاع فى العراق تزداد سوءا يوما بعد آخر، وأن نجاح الإدارة الأمريكية فى تحقيق أهدافها، وطريق الخروج من المأزق العراقى أصبح غامضا.. وبينما يرسم الرئيس الأمريكى جورج بوش ومسئولون فى إدارته صورة أكثر تفاؤلا للأزمة العراقية والجهود التى تبذلها من أجل إنهاء المشكلة، يرى عدد من الخبراء فى «سى. آى. إيه» والمسئولون فى وزارة الخارجية الأمريكية أن المقاومة العراقية أعنف وأخطر وأكثر انتشارا.. ويقول ضابط سابق بالمخابرات الأمريكية والذى تربطه علاقات بـ«سى. آى. إيه»: «الناس داخل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية غاضبون بشدة من السياسات الأمريكية فى العراق.. إنها مصيبة، فهم أشبه بمن يحفرون حفرة أعمق، فأعمق وليس هناك طريق واضح للخروج من هذه الأزمة»، ويشير إلى أن أفضل ما يأمله حاليا فى العراق، هو إقامة شبه دولة، بالرغم من أن ذلك لن يقضى على الإرهابيين، علاوة على توالى الحكومات الضعيفة فى هذا البلد.. ويقول مسئول أمريكى مطلع على تحليلات المخابرات الأمريكية بشأن الأزمة العراقية - رفض الكشف عن اسمه -: «الأوضاع فى العراق تحديدا لا تشهد تطورا».. ومن ناحية أخرى أكد مسئول عسكرى خدم فى العراق وعلى اتصال دائم بأصدقائه فى بغداد عبر البريد الإلكترونى - أن الأوضاع فى العراق تسير نحو الأسوأ، مشيرا إلى أن الكثير من التشاؤم يخيم الآن على مسرح الأحداث، ويقول إن المقاومة نجحت فى التسلل إلى المنطقة الخضراء ببغداد ونفذت هجمات عديدة، وهو ما لم يكن يحدث بهذه الحدة قبل عام.. وقد دفع هذا الوضع المتردى عددا من المسئولين داخل إدارة بوش إلى التخلى عن التصريحات الإيجابية والمتفائلة، فقد اعترف المتحدثون باسم الإدارة، وكذلك وزير الخارجية الأمريكية كولن باول بتصاعد قوة وحدة المقاومة العراقية، علاوة على تزايد المشاعر المعادية للولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط.. جدير بالذكر أن تصريحات باول التى تحذر من خطورة الوضع فى العراق جاءت، بعد أيام قلائل، من صدور تقييم مجلس المخابرات القومى الأمريكى لطبيعة الأوضاع الصعبة التى تواجهها القوات الأمريكية فى العراق، فقد قدم صورة مغايرة لتلك التى حرص بوش على إيصالها للرأى العام الأمريكى.. وأكد تقرير المجلس أن أفضل السيناريوهات المتوقعة حاليا فى العراق، هو تحقيق استقرار طفيف على مدى الـ١٨ شهرا المقبلة، وفى أسوأ السيناريوهات سوف تقع

العراق فى مستنقع الحرب الأهلية.. جدير بالذكر أن هذه التقرير مشابه، لذلك التقرير الذى تم إعداده قبل الحرب، علاوة على التقرير الذى صدر عام ٢٠٠٣ وهى التقارير التى قدمت رؤية متشائمة للأزمة العراقية، برغم الصورة الإيجابية التى رسمتها إدارة بوش لما يحدث فى العراق.

الإعمار مقابل عدم المقاومة

وكتب الدكتور «داود الفرحان» فى مجلة الأهرام العربى فى عددها الصادر فى ٢٠٠٤/٩/٢، قال:

بلا حسيب ولا رقيب، أعلن علاوى عن تخصيص نحو ستين مليون دولار لإعمار مدينة الثورة المعروفة حاليا بمدينة الصدر مقابل توقف المقاومة فيها ونزع أسلحتها، وحين لم يجد الاستجابة المطلوبة زاد المبلغ إلى أكثر من ثلاثمائة مليون دولار، دون أن يعير أى اهتمام إلى احتمال أن يسأله أحد: ومن أين لك هذا المبلغ يا سيادة رئيس الوزراء المؤقت وأنت تشكو باستمرار من إفلاس الخزينة.

وذهب علاوى، أو ممثلوه، إلى مفاوضات سامراء مع بعض الشيوخ والوجوه وفى جعبتهم ملف واحد هو: إعمار المدينة مقابل وقف المقاومة والعنف، وفى الفلوجة أيضا رفع نفس الشعار.

وطبعا نحن مع إعادة إعمار المدن العراقية التى دمرها القصف الأمريكى الهمجى، فليس كثيرا على مدن الثورة أو النجف أو الفلوجة أن ترصد لها الحكومة المؤقتة ملايين الدولارات لنقلها إلى متطلبات العصر، لقد عانت بغداد وكل المحافظات من توقف عجلة التنمية والتطور بسبب الحروب والحصار والاحتلال وآن لها أن تنعم بخيرات البلد وتتقدم بما يليق بدولة تطفو على بحر من الثروات.

غير أن هناك أكثر من سؤال يستحق الإجابة: أين هى أموال صندوق إعمار العراق وأين هى أموال النفط الذى تم تصديره منذ بدء الاحتلال الأمريكى حتى اليوم ومن هى الجهة التى ترصد الأموال لميزانية العراق ومن هى الجهة التى تراقب ذلك وكيف تجرى إحالة عقود إعادة الإعمار على المقاولين ومن الذى يؤكد لنا أن المحسوبية والمنسوبية والطائفية والعرقية لا تلعب دورها الأسود فى سرقة ما تبقى من أموال البلاد، مثلما فعلت الشركات الأمريكية التى أحيلت إليها بعض مشاريع إعادة الإعمار عقب بدء الاحتلال مباشرة ولم يقبض منها الشعب العراقى إلا كهرباء مقطوعة وهواتف عاطلة ومياها شحيحة.

ثم إذا كانت الحكومة المؤقتة جادة فعلا فى إعادة إعمار المدن العراقية فلماذا لا تعلن عن ذلك فى بيانات شفافة تتضمن الأرقام والمناقصات والأسماء ونوع الإعمار ولماذا تنتظر الحكومة قيام سكان أى مدينة بحمل السلاح واصطياد قوات الاحتلال وقوات الشرطة لتعلن بعد ذلك أنها ستعمر تلك المدينة إذ توقف القتال.

نحن لا نريد أن نحرج الحكومة المؤقتة التى لا تعرف غير لغة التهديد والوعيد، لكننا نقول لها بصدق إن أسلوب الهراوة أو الجزرة لا يفيد، فالشعب العراقى المنكوب بالاحتلال وبصدام من قبله لا تقبل كرامته أن يتحول إلى شعب من الشحاذين الواقفين على أبواب «اللى يسوه واللى متامرك»، الشعب العراقى يطالب بكشف حساب عما أخذه المحتلون وما سرقوه، وما خصصته الحكومة المؤقتة وما أنفقته، وما تم بيعه من نفط وما تم استلامه من عائدات، وإذا كان هناك من يتساءل: هل تشككون فى نزاهة الحكومة.. فنحن نجيب: نعم، فقد خرجت النزاهة ولم تعد، ولعلها انتحرت بسبب ما لحق بها من تشويه على أيدى الذين جاءوا لإنقاذنا من الديكتاتورية وإغراقنا فى الحرية والديمقراطية والكنتاكى.

وأعود إلى ما بدأت به فأتساءل: هل وعود إعادة الإعمار التى تطلقها الحكومة المؤقتة مقابل وقف القتال ضد الاحتلال يمكن تعميمها على مجالات أخرى؟ إذا كان الأمر كذلك فهذه دعوة لكل مواطن عراقى يعانى من الديون المثلثة وإيجار السكن وانقطاع الكهرباء إلى التهديد بالانضمام إلى المقاومة ما لم تقم الحكومة بتسديد ديونه وتمليكه دارا وتزويده بكهرباء لا تنقطع.

إيران فى الصحافة الإسرائيلية

ونشرت الأهرام فى عددها الصادر ٢٠٠٤/١٠/٢عن هارتس الإسرائيلية تقريرا بعنوان «إيران بين فكى الكماشة الأمريكية» جاء فيه:

إيران تخشى من مجلس الأمن الذى قد يفرض عليها عقوبات تضر أكثر فأكثر بمكانتها الدولية والاستراتيجية وتزيد من حدة وصعوبة وضعها الاقتصادى المتردى أصلا.

شعورها هو أنها محاصرة من قبل الجيش الأمريكى فى أفغانستان والعراق، التوازن الديموجرافى فيها - تزايد متسارع للسكان - يصب ضد مصلحتها، إيران تزيد من ميزانية جيشها فى ظل هذه الظروف وتحول الأموال للمشروع النووى على حساب ميزانية الصحة والتربية والرفاه الاجتماعى، صحيح أن إيران نفسها تشهد جدلا شديدا داخل القيادة حول ضرورة التخلى عن المشروع النووى المكلف أو الاستمرار فيه، وحتى فى أوساط الدوائر المحافظة المحيطة بالزعيم الروحى على خامنئى هناك من يعارضون المشروع ويستخدمون لذلك تعليلات دينية تقول إن الشريعة الإسلامية تحرم أسلحة الإبادة الجماعية ولكن إيران برغم ضائقتها التى ستزداد حدة إذا فرضت عليها العقوبات بعد عدة أشهر مازالت مصرة على ما يبدو على الاستمرار فى مشروعها، الأمر ليس قضية ردع بالنسبة لها وإنما هو مسألة كرامة وطنية وتقاليد تاريخية، المشروع النووى لم يبدأ فى العهد الإسلامى عام ١٩٧٩ وإنما يرجع إلى عهد الشاه المؤيد للغرب الذى تمتع بدعم ومساعدة غربية وأمريكية، الحل الذى وجدته إيران للتناقضات الداخلية والخوف من العقوبات الوشيكة يتمثل فى تبنى استراتيجية عبرت عن نفسها على الأقل فى دولة واحدة، إنها استراتيجية تذكر بسياسة الغموض والتعتيم الإسرائيلية، إيران

ستواصل التمسك بنفس نياتها لتطوير سلاح نووى، وستواصل الإعلان عن أن برنامجها معد للأغراض السلمية فقط وإنتاج الكهرباء، وهى لن تبادر بتوجيه التهديدات لإسرائيل إلا أنها سترد كلما شعرت بأنها مهددة من التصريحات التى تدلى بها القيادات العسكرية والسياسية فى إسرائيل، إيران لن تتجاوز الخطوط الحمراء فى علاقاتها مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية وستواصل التعاون معها ولن تنسحب من معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية مثل كوريا الشمالية إذا لم يحدث تطور درامى، وإلى جانب ذلك ستواصل تكتيك التضليل والتسويف وجهود كسب الوقت حتى تواصل تطوير سلاحها النووى سرا، هذا التوجه سيصعب على أمريكا استخدام الاستراتيجية العسكرية، ذلك لأن عدم وجود دليل واضح لن يمكن واشنطن من تبرير هجومها العسكرى على المواقع النووية الإيرانية.

وهكذا هو شأن الصحافة الاسرائيلية فى إثارة القلاقل ضد كل ما هو إسلامى!!

باول وسياسة الكيل بمكيالين!!

وتحت عنوان «باول يطالب الفلسطينيين بالاستسلام!!» كانت كلمة فى جريدة «الجمهورية» جاء فيها:

طالب كولن باول وزير الخارجية الأمريكية الشعب الفلسطينى بوقف انتفاضته قبل أن يحصل على الدولة الفلسطينية الموعودة، ولم يوجه باول - فى المقابل - أى طلب إلى إسرائيل المنهمكة الآن فى حرب إبادة ضد الشعب الفلسطينى الذى يطالبه باول بالاستسلام للذبح بسكين إسرائيلى بارد واستحسان أمريكى ملحوظ.

على الوجه الآخر.. نجد فرنسا تندد بالغزو الإسرائيلى لقطاع غزة الذى راح ضحيته حتى الآن ٥١١ شهيدا فلسطينيا بينهم ثلاثة أطفال ونجد كوفى عنان السكرتير العام للأمم المتحدة يحتج على إسرائيل لقصفها إحدى مدارس وكالة غوث للاجئين وقتلها تلميذة فلسطينية كانت جالسة فى فصلها.

إن الإدارة الأمريكية الحالية التى يمثلها كولن باول، قد أغمضت عينيها عن حقيقة الانتفاضة الشعبية الفلسطينية كدفاع شرعى عن النفس إزاء الهجمة الإسرائيلية المسعورة على الأراضى الفلسطينية وضياع الأمل فى السلام الذى حرصت حكومة شارون الدموى المتعصبة العنصرية على وأده سواء تمثل هذا الأمل فى قرارات دولية أو فى خارطة الطريق التى كان يجب على باول أن يلزم حكومة شارون بتنفيذها والوفاء بالتزاماتها باعتبارها خطة أمريكية الصنع، ولكن هل يقدر باول أو غيره من أركان الإدارة الأمريكية الحالية على الضغط على إسرائيل، أو على الأقل الوقوف على الحياد بينها وبين الفلسطينيين كجزء من العالم العربى المستهدف أمريكيا.. الآن؟!.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم

أحمد السيد تقى الدين

فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ

فى ١٤ يونيو سنة ١٩٤٠ اقتحمت القوات الألمانية العاصمة الفرنسية باريس ضمن أحداث الحرب العالمية الثانية وتمكنت من احتلال الأراضى الفرنسية بالكامل وتمكن عدد من ضباط الجيش الفرنسى على رأسهم (شارل ديجول) من الفرار إلى لندن ليتزعم حركة (فرنسا الحرة).

وقرر أدولف هتلر تأليف حكومة فرنسية تحكم فرنسا نيابة عنه، ووقع اختياره على أحد عملائه (الجنرال بيتان) والذى قام بتشكيل حكومة اتخذت من مدينة «فيشى» الفرنسية مقراً لها، خاصة وأن ضباط الجيش الفرنسى نجحوا فى الاختفاء وسط جموع الشعب وقاموا بتشكيل خلايا للمقاومة السرية وحولوا باريس إلى بركان متأجج لا تهدأ انفجاراته ووافق الجنرال بيتان على عقد معاهدة مهينة مع ألمانيا النازية تضمنت أن تحتل القوات الألمانية الأراضى الفرنسية ويكون لها كل حقوق الدولة المحتلة، وأن تتحمل فرنسا نفقات هذا الاحتلال وأن تراعى الحكومة الفرنسية أن يكون نظامها موالياً بشكل كامل لألمانيا وحل الجيش الفرنسى وإنشاء قوة لا تزيد على مائة ألف رجل بالأسلحة الخفيفة.

ولم يرض الشعب الفرنسى عن هذه الأوضاع فتجمعوا فى خلايا سرية يقودها ضباط الجيش الذين نجحوا فى الاختفاء وقاموا بتشكيل جماعات للمقاومة المسلحة، وحولوا الأراضى العراقية.. عفوا: الفرنسية إلى جحيم أصاب النازيين بالجنون، فأقاموا المعتقلات وملأوها بأبناء الشعب لتعذيبهم عسى أن ينجحوا فى جمع معلومات

تساعدهم فى مواجهة المقاومة التى أسماها الاحتلال البغيض باسم (الإرهاب).. لم يفرقوا بين امرأة وطفل، بين شاب وشيخ، استباحوا العرض وأهانوا الكرامة.. أطلقوا كلاباً وحشية مدربة توقع الرعب فى نفوس سجناء لا حول لهم ولا قوة وتنهش أعراض النساء فى مشاهد قذرة تأباها النفوس السوية.

كل هذا برعاية ومباركة من حكومة العملاء!!

ولكن هذا لم يفت فى عضد المقاومة التى ازدادت ضراوة بشكل لا يوصف وعمت الفوضى أنحاء البلاد وعجز المحتلون ومن معهم من العملاء عن ضبط الأمور.

حاول العملاء تشويه صورة «ديجول» بطل تحرير فرنسا فقاموا بتدبير عدد من العمليات القذرة الخسيسة ونسبوها له مثل تفجير المستشفيات والمدارس حتى يشوهوا صورته، ولكن الشعب تمسك به وهتف باسمه وازداد عدد المتطوعين فى صفوف المقاومة، ولم يهتموا من وصف حكومة العملاء لهم بـ (الإرهابين) ومضوا يتصيدون قادة الاحتلال وكل من يعاونهم ويجعل من نفسه عميلاً للاحتلال.

وازدادت القوات النازية جنوناً من ضراوة المقاومة الباسلة الشجاعة التى لم يحسبوا لها أى حساب كانوا يتخيلون أن الشعب سيستقبلهم بالورود والأحضان الدافئة، فلم يجدوا سوى هجمات فدائية وأعمال انتحارية بالغة الجرأة زلزلت الأرض تحت أقدامهم.

أما الحكومة العميلة فقد أصيبت بالرعب.. لم يدر فى خلد أى من أعضائها أن الشعب سيبدى مثل هذه المقاومة الضارية ولم يجد رئيس الحكومة العميلة ما يفعله سوى توجيه الأوامر للجيش الفرنسى التابع له بالتعاون مع قوات الاحتلال فى ضرب المقاومة وتعقب قادتها ورصد المكافآت الضخمة لمن يدلى بأى بيانات عنهم وأعطى الضوء الأخضر لقوات الاحتلال بأن تقوم بدك المدن التى تخرج عن نطاق السيطرة فى إطار ما يمكن تسميته بسياسة العقاب الجماعى وبالفعل دمر النازيون ٥٥,٠٠٠ مصنع، و ١٣٥,٠٠٠ من أبنية المنشآت الزراعية، و٢ مليون مسكن، وأكثر من ٧٠٠٠ كيلو متر من السكك الحديدية، و ٧٥٠٠ من الكبارى والجسور.. أما القتلى فقد كان من الصعب عمل حصر دقيق بأعدادهم ولكن المؤكد أن الرقم (حاليا) يتجاوز المائة ألف قتيل!! حيث حرصت حكومة العملاء على عدم الإعلان عن أعدادهم وفرضت رقابة صارمة على وسائل الإعلام فى هذا الصدد، ووجهت تعليمات للمستشفيات بعدم الإعلان عن عدد المصابين والمتوفين داخل المستشفيات حتى لا تزداد ثورة الرأى العام المحلى والعالمى.

ولكن الشعب مضى فى إصراره على المقاومة مدفوعاً بعشقه للحرية التى يريد

الأزهر

النازيون سلبها منهم ليجعلوا منهم عبيداً، بل دواباً يمتطونها..

أجل اشتعلت الثورة فى باريس وفى كبريات المدن وحمل المواطنون السلاح ضد المحتلين ودخل (ديجول) باريس دخول الأبطال الظافرين وهتفت الجموع باسمه.

انتصرت ارادة الشعب، وسقط النازى وسقطت حكومة (فيشى) العميلة واختفى من مسرح الحياة الجنرال (بيتان) الخائن ومعه أركان حكمه ونظامه وكل من تعاون مع الاحتلال من الخونة والعملاء.

نعم سقط العملاء.. وستظل ارادة الشعوب هى المنتصرة بإذن الله وستوالى سقوط العملاء بإذن الله.

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

[الحشر / ٢]

أحمد تقى الدين

من أجل وحدتنا

وعن قيمة الفرائض فى توحيد الأمة كانت كلمة فضيلة الشيخ (محمد محمود حموده) وكيل معهد كرداسة، قال:

أمر المولى - سبحانه وتعالى - أمة الإسلام بأن تكون على قلب رجل واحد فى قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ فرض عليها من الفرائض الشرعية ما يجعلها تتوحد أو يجعل أمر وحدتها سهلاً يسيرا فجميعنا يصلى نحو قبلة واحدة هى مكة المكرمة قلوبنا جميعا تهفوا إليها.. وفرض علينا صوم رمضان وهو شهر فى العام تصومه الأمة بأسرها.

وهناك تكاليف شرعية أخرى تتوحد الأمة فى أدائها، ولكن تبقى الصلاة والصوم من أعظم التكليفات وأحبها لدى المسلمين كافة فى مشارق الأرض ومغاربها ليظل هذا الفرضان أملين فى أن تتوحد أمة الإسلام وتجتمع كلها على قلب رجل واحد لما فيه صلاح الأمة وعافيتها..

هذا الفرضان يؤرقان أعداء الأمة حتى إن صهيونيا موتورا دعى إلى هدم الكعبة التى يجتمع المسلمون فى التوجه نحوها فى صلاتهم ويتدفقون نحوها فى موسم الحج لا لشىء إلا ليدمر فى الأمة كل أمل فى أن تعود كسابق عهدها أمة واحدة.

فلنتمسك بصلاتنا وصومنا وحجنا، وسائر ما فرضه الله علينا، نؤديها بخشوع ورغبة فى نيل عفو الله، فوالله لو فعلنا لرفع الله عنا الكثير من البلاء الذى نحن فيه ولاستردت الأمة عافيتها لتعود كسابق عهدها.

اليهـود أهـل بهتـان وغـدر

تحت عنوان «اليهود أهل بهتان وغدر» كانت كلمة وافانا بها القارىء (عبداللطيف حسانين) واعظ عام بنى سويف، جاء فيها:

روى الإمام البخارى أنه (لما أسلم عبدالله بن سلام كتم إسلامه عن اليهود فترة من الزمن ثم قال لرسول الله ﷺ ادع لى زعماء اليهود وسلهم عن منزلتى عندهم قبل أن يعلموا بإسلامى فإنهم إن علموا أنى أسلمت عابونى. فلما سألهم النبى ﷺ عن عبدالله قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا فقال النبى ﷺ: أرأيتم إن أسلم فتسلمون؟ قالوا حاشا لله وأعاذه من أن يسلم. فخرج عبدالله بن سلام وقال لهم: «يا معشر يهود اتقوا الله وآمنوا برسوله الذى تجدونه عندكم فى التوارة ولقد أسلمت. فقال اليهود: كذبت والله إنك لشرنا وابن شرنا وجاهلنا وعابوه» فقال عبدالله: يا رسول الله ألم أخبرك أنهم قوم بهت) حديث صحيح.

المعنى: يكشف لنا الصحابى الجليل عبدالله بن سلام فى هذا الموقف عن أساليب اليهود التى لا تتغير ولا تتبدل مع مرور الوقت وعدائهم المستمر فى مواجهة الحقائق الثابتة فإنهم ينكرون الحق الواضح ويضللونه ويبين لنا أن الجدال بالباطل من طبيعتهم فمن مدحهم وأنكر الحق وافقوه ومن خالفهم وعابهم بما فيهم، وأظهر عيوبهم، عابوه، حتى الأنبياء لم يسلموا منهم.

لقد أسلم عبدالله بن سلام لما رأى النبى ﷺ يدعو إلى الفضائل وينهى عن الرذائل ويبشر من آمن بالجنة ولقد أسلم أهل بيته معه وطلب عبدالله من أهله أن يكتموا إسلامه عن اليهود، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهتان وباطل وإنى أحب أن تدعوا رؤساءهم إليك وأن تسترنى عنهم فى حجرة ثم تسألهم عن منزلتى عندهم قبل أن يعلموا بإسلامى ثم تدعوهم إلى الإسلام فإنهم إن علموا أنى أسلمت عابونى ورمونى بكل نقيصة وبهتان.

وهذا هو طبع اليهود فى التضليل والجدال بالباطل ونسج التهم حول الزعماء إذا خالفوهم أو أظهروا إفسادهم كذلك يزرعون الفتن ويشعلونها بين الشعوب كى تضعف وتذل لهم ويدبرون المؤامرات ويلقون التهم للتخلص من العناصر المؤثرة فى الصراع معهم ويفسدون فى الأرض فليحذر شباب أمتنا فإن عدونا غادر ماكر يكيد فى كل لحظة ولنتمسك بالقرآن والسنة فهما حصن لنا من كل مكروه وسوء.

الإمام نافع.. إمام القراء فى المدينة المنورة

وعن الإمام «نافع» كانت كلمة للأديب فرج مجاهد عبدالوهاب ـ شربين ـ دقهلية، جاء فيها:

هو إمام المدينة وساكن بقيعها بجوار الشهيد جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنهما ـ هو أبو رويم نافع بن عبدالرحمن الليثى، ويقال له أبوالحسن نافع بن عبدالرحمن بن أبى نعيم الليثى المدنى، ولد - رحمه الله - فى عام سبعين من الهجرة النبوية تقريبا، على ما ذكره ابن الجزرى وأصله من أصبهان، وكان أسود اللون حالكا، وكان إمام مدينة الرسول فى القراءة. انتهت إليه رياسة الإقراء بها وأجمع الناس عليه بعد التابعين، وكان قد تعلم القراءات على سبعين من التابعين منهم أبوجعفر بن يزيد القعقاع، وعبدالرحمن بن هرمز، وغيرهم كثير، وظل يعلم الناس القراءة بالمدينة المنورة أكثر من سبعين سنة. قال مالك بن أنس: قراءة أهل المدينة سنة قيل له: قراءة نافع؟ قال: نعم.

ويذكر أعلام القرآن الكريم أن الإمام نافع رضوان الله علينا كان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك، فقيل له: أتتطيب؟ فقال لا، ولكنى رأيت فيما يرى النائم النبى ﷺ وهو يقرأ فى فىّ، فمن ذلك الوقت أشم من فىّ هذه الرائحة. وقد عبر الإمام الشاطبى عن ذلك فى منظومته المباركة «الشاطبية» فقال:

فأما الكريم السر فى الطيب نافع
فذاك الذى اختار المدينة منزلا.

ولا عجب فهؤلاء الرجال قد أوقفوا حياتهم لله وتعليم كلامه للناس دون ابتغاء عرض من الدنيا، وهم أهل الله وأهل رسول الله ﷺ، قال الرسول الكريم فى شأنهم يوم القيامة: يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها «رواه الترمذى وأبوداود».

وقد اشتهر راويان عن الإمام الجليل هما: «قالون» «وورش» فأما «قالون» فهو أبوموسى عيسى بن منيا، ولقب بقالون لجودة قراءته فإن قالون بلغة الروم تعنى «جيد» وقالون أحد قراء المدينة المنورة المشهورين وكان أصم لا يسمع البوق، فإذا قرىء عليه القرآن سمعه. وأما «ورش» فهو أبوسعيد عثمان بن سعيد المصرى ولقب بورش لشدة بياضه ولُد سنة ١١٠ فى مصر ورحل إلى المدينة ليقرأ على الإمام نافع، ثم عاد إلى مصر حيث انتهت إليه رياسة الإقراء بها فلم ينازعه أحد فيها.

وهكذا صدق هؤلاء الرجال مع ربهم. وانتقل الإمام الكبير نافع إلى جوار ربه ودفن ببقيع الغرقد بالمدينة المنورة.

من إبداعات القراء

قصة مطبوعة بعثت بها القارئة (عبير بنت محمد عبدالواحد) وهى تقع فى (٤٨) صفحة من القطع الصغير، قدمت لها الكاتبة بقولها:



«هذه القصة التى بين أيديكم هى قصة حقيقية عن نجمة سينمائية مصرية شهيرة، ورحلتها من الحياة العابثة إلى دنيا النور والإيمان، ودور ابنتها الوحيدة فى هدايتها . ولقد صنعت هذه القصة بأسلوبى على لسان ابنتها .. وعسى ان يختم الله بالصالحات أعمالنا».

ولكن يلاحظ على القصة:

(١) فى الصفحة رقم (٣) زيادة فى العنوان حيث أضيفت فى نهايته: «إلى الإسلام»، والأصل أن يقوم العنوان بصيغة واحدة، فضلا عن أن الناقد يجد حرجا بليغا إذا كتب ينقد فى ضوء العنوان الأخير.

(٢) فضلا عن كراهية البنت لأعمال أمها فهى تمتعت بمالها الذى اكتسبته من عملها وكان من الممكن ان تشتعل الدراما هنا بأفكار مثيرة، ولكن يبدو آن المؤلفة:

أ- ارتبطت بالحوادث كما هى.

ب - أنها رأت أن الضرورة ألجأت البنت إلى الرضا.

جـ - أو أنها فى حدود معلوماتها الدينية لم تجد حرجا فى الاستعانة بمال والدتها.

وبعد .. فالقصة من ذلك النوع الذي يستحوذ علي انتباه القارئ، لما تتمتع به الكاتبة من أسلوب قصصي جيد لا ينقصه الغوص في الأحاسيس ووصفها بطريقة مؤثرة وإدارة الحوار بطريقة مميزة.

قصة قصيرة

عروس تعصى شيطانها ليلة الزفاف

ويوافينا القارئ محمد عباس محمد عرابى بقصة بعنوان عروس تعصى شيطانها ليلة الزفاف:

الليلة موعد زفاف العروس .. كل الترتيبات قد اتخذت .. الكل مهتم بها .. أمها وأخوتها وجميع أقاربها .. الجميع بانتظار «مصففة الشعر» ومضى الوقت وجاء العصر ولكنها لم تأت واقترب وقت المغرب، ووصلت «المصففة» التى بدأت فى تجهيز العروس للحفل .. طلبت العروس أن تعجل فى عملها قبل أن يؤذن المغرب .. وتمضى اللحظات .. وفجأة انطلق صوت الحق .. الله أكبر .. الله أكبر .. إنه أذان المغرب .. العروس تقول: بسرعة فوقت المغرب قصير.

المصففة: نحتاج لبعض الوقت اصبرى.

ويمضى الوقت ويكاد وقت المغرب ينتهى .. العروس تصر على الصلاة .. والجميع يحاول أن يثنيها إلى أن تنتهى المصففة من عملها.

لكن الجميع فاجأوها بقولهم: إذا توضأت فسيُفسد الماء كل ما عملناه فى ساعات .. ولكن العروس تصر على موقفها.

وتأتيها الفتاوى من هنا وهناك فتارة يقول قائل: اجمعى المغرب بالعشاء، وتارة يقول آخر: تيممى ..

ولكنها عقدت العزم وتوكلت على الله فما عند الله خير وأبقى. وقالت لهم:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾

(الماعون/ ٤ : ٦)

قامت العروس بشموخ المسلم لتتوضأ .. ضاربة بعرض الحائط نصائح أهلها.

وتبدأ وضوءها بسم الله .. وتفرش السجادة لتبدأ بالصلاة .. الله أكبر .. نعم الله أكبر من كل شىء .. أكبر مهما كلف الأمر.

وها هى العروس فى التشهد الأخير من صلاتها .. وما إن سلمت على يسارها حتى أسلمت روحها إلى بارئها .. ورحلت طائعة لربها عاصية لشيطانها .. نسأل الله أن تكون زفت إلى جنات الخلد.

فلنحرص جميعا على أداء الصلوات فى أوقاتها

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾
(النساء/ ١٠٣)

فالموت يأتي بغتة ودون سابق إنذار،



إعداد الأستاذ/ محمد الشرقاوى

حملة شرسة ضد مسلمى سويسرا

شن اليمين السويسرى المتطرف حملة إعلامية شرسة ضد المسلمين بسويسرا مما دفع المؤسسة الثقافية الإسلامية بجنيف إلى الدعوة إلى التوقيع على وثيقة تندد بالحملة الشرسة التى استهدفت حث مواطنى سويسرا على عدم التصويت لصالح مبادرة حصول المسلمين المقيمين منذ فترة بالبلاد على الجنسية.

كانت الحملة الإعلامية التى دعمها اليمين المتطرف قد حذرت من التصويت لصالح تعديلات فى قوانين منح الجنسية للأجانب فى سويسرا لأن ذلك من شأنه أن يحول المسلمين إلى أغلبية فى البلاد.

من جانبه اعتبر «فرانسيس ماتى» رئيس اللجنة الفيدرالية لشئون الأجانب بسويسرا أن هذه الحملة تشكل تهديداً للسلام الداخلى للبلاد.

يذكر أن سويسرا من الدول التى لايحصل الأجانب فيها على الجنسية إلا بعد مرور «١٢» عاما من الإقامة ولايتمتع أبناء الجيل الثانى والثالث بحق اكتساب الجنسية بشكل تلقائى لمجرد أنهم ولدوا فوق أراضيها ويمثل المسلمون فى سويسرا ٤,٥٪ من تعداد سكان سويسرا و ٢٠٪ من إجمالى عدد الأجانب بها.

فتوى يهودية تبيح قتل الفلسطينيين

أصدر حاخامات اسرائيل فتوى دينية تبيح قتل المدنيين الفلسطينيين بزعم أنه لايوجد فرق بين الفدائيين والمواطنين العزل وشددوا فى فتواهم على ضرورة ارتكاب عمليات القتل بسرعة دون انتظار لوقوع عمليات فدائية ثم الرد عليها!

وذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية أن الحاخامات رفعوا فتواهم إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى ووزير دفاعه ورئيس هيئة الأركان.

تركيا تتراجع عن تجريم الزنا

تراجعت الحكومة التركية عن خطتها التى كانت ترمى إلى تجريم الزنا بعد تعرضها لحملة انتقادات من كل الأحزاب العلمانية والاتحاد الأوروبى المعارضين لمنع وتجريم الزنا.

وقامت الأحزاب العلمانية التركية بتحريك مظاهرات نسائية رافضة لخطة الحكومة الرامية لسن قانون يجعل الزنا جريمة تستحق العقوبة وزعمت المتظاهرات أن القانون فى حالة تطبيقه سيطبق على النساء فقط دون الرجال وهذا سبب معارضتهن للقانون.

كان حزب العدالة والتنمية الحاكم قد أعلن عن تقديم اقتراحاً لجعل «الزنا» جريمة يعاقب عليها بالسجن فى إطار سلسلة من الإصلاحات ينشدها الحزب فى قانون العقوبات وأوضح وزير العدل التركى «جميل تشيشك» أن مثل هذا التعديل بات ضرورة ملحة بسبب المفاسد الاجتماعية للزنا.

إنشاء أول مدرسة عربية بالنرويج

بدأ المجلس الإسلامى الأعلى بالنرويج فى إنشاء أول مدرسة عربية لتعليم أبناء الجالية العربية والإسلامية هناك.

وقال أحد مؤسسى المدرسة: إن المدرسة يشرف عليها مجموعة من المسلمين والمثقفين وتقوم على ركيزتين أساسيتين هما التميز والانضباط وسوف تتبنى النشء لتعليمهم اللغة العربية وأصول الإسلام.

يذكر أن النرويج هى البلد الوحيد الذى يفرض فيه على غير المسلمين تعلم الديانة المسيحية.

القـــرآن فـــى مـــدارس الدانمـــارك

أعلنت وزارة التعليم بالدانمارك أنها قررت تدريس القرآن الكريم كمادة أساسية فى مدارس المرحلة الثانوية . . وأوضحت الوزارة فى بيان لها أن القرار سيبدأ تطبيقه ابتداء من العام المقبل حيث سيدرس طلاب المرحلة الثانوية القرآن الكريم فى مادة الأديان .

وقد رحبت الجالية الإسلامية بالدانمارك بهذا القرار الذى يعد اعترافاً رسمياً بالإسلام ، فى الوقت الذى يقود فيه حزب الشعب الدانمركى اليمينى المتطرف حملة معارضة للقرار .

إحباط مخطط للحد من بناء المساجد بهولنـدا

نجحت المنظمات الإسلامية فى مدينة «روتردام» الهولندية فى إحباط مخطط لحزب «روتردام اليمينى» المتطرف كان يهدف إلى الحد من بناء المساجد والتدخل فى محتوى الخطب والدروس التى يتم إلقاؤها فيها فضلا عن شكلها المعمارى ، وقد رفض المجلس المحلى للمدينة الطلب الذى تقدم به الحزب بهذا الشأن .

كان الحزب اليمينى المتطرف قد تقدم بمذكرة للمجلس المحلى لتبنيها بهدف الحد من منح الأقلية المسلمة فى المدينة ـ التى يناهز عددها «١٠٠» ألف مسلم ـ تراخيص إنشاء وبناء المساجد بالإضافة الى إلزامها بتقديم نسخ من نصوص الدروس والخطب التى تلقى بها .

وقد اعتبر «يوسف دوران» رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية بجنوب هولندا أن المذكرة انتهاك فاضح للطابع العلمانى للدولة الهولندية التى تمنع تدخل المؤسسات السياسية فى شئون الهيئات الدينية كما أن الدستور الهولندى كفل بشكل لايقبل التلاعب حرية الأديان والعبادة لكافة المواطنين .

مشيراً إلى أن الاتحاد قام بجهود مكثفة لتعبئة المسلمين بالمدينة والتى تضم «٢٥» مسجدا من أجل التصدى لمخططات الحزب اليمينى الرامية الى جر المجتمع الى حرب دينية ضد الإسلام والأقلية المسلمة وقد نجح الاتحاد فى إقناع سائر الأحزاب السياسية بضرورة رفض خطة الحزب اليمينى .

يذكر أن اتحاد المنظمات الإسلامية يضم ما يزيد على «٤٠» منظمة ومؤسسة إسلامية ويعتبر أكبر هيئة اتحادية للمنظمات الإسلامية فى هولندا التى يبلغ عدد المسلمين بها أكثر من مليون مسلم .

الحكومة الروسية ترفض إعادة فتح مساجد القوقاز

رفضت السلطات المحلية بمدينة «نالتشيك» عاصمة جمهورية «قبردينا بلقاريا» شمالى القوقاز ـ إحدى جمهوريات الاتحاد الروسى ـ الاستجابة لمطالب المسلمين هناك بإعادة فتح ستة مساجد قامت باغلاقها بدعوى أنها تنشر أفكارا متطرفة .

وقالت إدارة مسلمى جمهورية «قباردينا بلقاريا» : إن المساجد الستة هى كل المساجد فى العاصمة وبعد قرار الغلق أصبح المسلمون بالعاصمة بلا مساجد يصلون فيها خاصة وأن قرار الإغلاق غير محدد المدة ولم يبق سوى مسجد فى أقصى شمال المدينة يجد المسلمون مشقة بالغة فى الوصول اليه .

يذكر أن جمهورية «قباردينا بلقاريا» تقع فى شمال القوقاز ويمثل المسلمون نحو ٧٠٪ من سكان الجمهورية البالغ عددهم «٨٠٠» ألف نسمة ويبلغ عدد المساجد بها «٥٨» مسجداً .

حاخـام إسـرائيلى يزوج ابنه فى الأقصـى

كشفت الإذاعة العبرية عن قيام الحاخام اليهودى المتطرف «مناحم فرومان» باقتحام المسجد الأقصى هو وأكثر من «٣٠٠» مستوطن وذلك لتزويج ابن الحاخام «نطيعة» على عروسه «أوريت» .

ونقلت الإذاعة العبرية عن الحاخام «فرومان» أن ابنه وعروسه تمنيا عليه أن يعقد قرانهما فى ساحة المسجد الأقصى فوق هيكل سليمان المزعوم ونظراً لأنه ابنه الوحيد فلم يشأ أن يخذله فى يوم عرسه وهكذا أعد العدة لتزويجه وعروسه فى ساحة الأقصى .

ووفقا لتقرير الإذاعة العبرية فقد قام «فرومان» بصاحبه «٣٠٠» مستوطن والعروسان باقتحام المسجد واحتلال ساحته .

من ناحية أخرى أدانت الأوقاف الإسلامية فى فلسطين هذا التصرف ووصفته بأنه استفزازى يهدف الى تفجير الموقف بساحة المسجد المبارك .

الجنود الإسرائيليون يمزقون مصاحف مسجد السلام

قام جنود الاحتلال الإسرائيلى باقتحام مسجد السلام الفلسطينى وأخرجوا المصلين من صلاتهم واعتدوا عليهم ومزقوا المصاحف والكتب الدينية الموجودة فى المسجد .

كانت وحدة عسكرية إسرائيلية قد قامت بمحاصرة مسجد السلام فى غزة أثناء قيام المصلين بأداء صلاة العصر وقام بعض الجنود الإسرائيليين فاقتحام المسجد وأخرجوا المصلين عنوة من الصلاة قبل أن يقوموا بصفهم على الجدران وتفتيشهم وإجبار العديد منهم على التجرد من ثيابهم .

وفى الوقت نفسه كانت مجموعة أخرى من الجنود الاسرائيليين تقوم بتفتيش المكتبة الدينية الموجودة بالمسجد حيث مزقوا ما بها من كتب ومصاحف بزعم أنهم يفتشون عن المواد الناسفة والأسلحة التى تستخدمها فصائل المقاومة الفلسطينية .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

الإمام الأكبر يستقبل سفير مصر لدى أندونيسيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الاستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف سعادة السيد / محمد طه بمناسبة تعيينه سفيرا لمصر لدى دولة أندونيسيا، حيث رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف موضحا بأن طلبة وطالبات أندونيسيا يدرسون فى الأزهر الشريف بالمعاهد والجامعة على منح من الأزهر الشريف وبعضهم على غير منح ويقدر أعدادهم بأكثر من ٣١٢٠ طالبا وطالبة، وهناك بعثة من علماء ومدرسى الأزهر الشريف يقومون بالتدريس بمعاهد ومراكز أندونيسيا وعددهم ٥٠ عالما ومدرسا.

ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلته على إتاحة هذه الفرصة لهذا اللقاء وتم مناقشة إمكانية زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء أندونيسيا مشيرا إلى أن أندونيسيا تقوم الآن بتدريس اللغة العربية ضمن اللغات التى تدرس هناك وقال إن لمصر وأزهرها الشريف مكانة عالية وعالمية لدى شعب أندونيسيا، وقال: إنه سيكون على صلة بالأزهر الشريف لخدمة دولة وأبناء أندونيسيا.

ويستقبل قنصل عام مصر فى هونج كونج

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفيرة رسمية سعد قنصل عام مصر فى هونج كونج، وتناول اللقاء دور الأزهر الشريف فى تصحيح المفاهيم الإسلامية للدين الإسلامى من خلال البعثات التى يوفدها الأزهر الشريف للدول ومنها دولة الصين حيث يوجد بها مركز إسلامى عالمى يضم علماء معارين على نفقة الأزهر الشريف يقومون بشرح الإسلام وتوضيح صحيح الإسلام ويسره ووسطيته، كذا تم مناقشة دور الأزهر فى تعليم أبناء المسلمين الذين يحضرون إلى مصر للتعلم

بالأزهر الشريف وأوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأن رسالة الأزهر الشريف يعلمها القاصى والدانى ولا يدخر وسعا فى تقديم كل عون ومساعدة لخدمة المسلمين فى كل مكان.

ومن جانبها قدمت الضيفة الشكر لفضيلته على هذا اللقاء وإتاحة هذه الفرصة، وقالت: إنها حضرت لمقابلة فضيلته لأخذ المشورة والرأى والنصيحة لتستعين بها فى رحلتها إلى الصين، وطلبت ترجمات عن معانى القرآن الكريم باللغات المختلفة، وقد أمر فضيلته بتسليمها كل ما تحتاج إليه من كتب تعينها على أداء مهامها فى الصين.

الإمام الأكبر يستقبل وفدا من وزارة الأوقاف الكويتية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت برئاسة السيد / عبدالله شهاب وكيل الوزارة لشئون المساجد، والسيد / حمد الشهاب مدير الشئون الفنية بالوزارة والأستاذ / فيصل المصرى مدير مساجد الجهراء يرافقهم الأستاذ / اسماعيل الكندرى مدير بيت الزكاة الكويتى بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف داعيا لدولة الكويت الشقيقة أميرا وحكومة وشعبا بالخير والسداد والتوفيق، كما أشار فضيلته إلى ما يحدث من الأوضاع المحيرة فى العراق ممن لا يفهمون أمور دينهم الإسلامى بصورة واضحة جلية، فيتخذه غير المسلمين حجة على الدين الإسلامى الذى هو برىء من كل هذه الأوضاع وهؤلاء المتشددون يسيئون للإسلام أكثر من غير المسلمين، والأزهر الشريف بمناهجه المعتدلة السمحة يدرس الإسلام وتعاليمه بصورة فيها اليسر وفيها الوضوح وفيها الوسطية ويقابل الوفود من كل أنحاء العالم ويشرح لهم صحيح الإسلام ويشرح لهم خطط ومناهج الأزهر الشريف الدراسية بوسطية واعتدال وموضوعية مؤكدا على أنه لا تدخل من أى جهة فى خطط ومناهج الأزهر الشريف وموضحاً أن الحوار دائما يأتى بالخير طالما كان الحوار فى الأمور التى يسودها الوضوح واليسر والنقاء وفى الحدود اللياقة وأدب الحوار والحديث، وهنا يظهر الحق طالما فهمت الأمور فهما سليما.

ومن جانبه شكر الوفد فضيلته على هذا اللقاء البناء مؤكدين على أهمية دور الأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء من ذوى الفكر المستنير والبصير فى الحوارات.

كما استقبل فضيلة الشيخ محمود إمبابى وكيل الأزهر الشريف الوفد موضحاً أن الأزهر الشريف لديه طلاب من أكثر من ١٠١ دولة من دول العالم يدرسون فى الأزهر الشريف على منح دراسية ويوجد فى الأزهر معهد للدراسات الخاصة يدرس به أكثر من ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف طالب وطالبة من مختلف أنحاء العالم يدرسون اللغة العربية ويرتقون فى التعليم حتى يتم تأهيلهم لدخول جامعة الأزهر الشريف، وقال: إن كلية الشريعة تدرس فى مناهجها القضايا المعاصرة، وبذلك يكون الطالب الدارس بالأزهر الشريف على صلة بالأحداث التى تدور حوله.

وأكد فضيلته على أن الدراسة بالأزهر الشريف تمتاز بالاعتدال والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بعيدا من التعصب والمغالاة، مشيرا إلى أن الأزهر الشريف يرسل علماءه في بعثات إلى أكثر دول العالم وقد تم إرسال ٩١٨ عالما على نفقة الأزهر الشريف للعديد من الدول والمراكز الإسلامية كما يرسل العلماء إلى دول العالم في شهر رمضان المعظم للوعظ والإرشاد وتوضيح صحيح الإسلام.

الإمام الأكبر يستقبل سفير النيجر

كما استقبل فضيلته سعادة السفير / مولول الحسيني سفير النيجر بالقاهرة، حيث رحب فضيلته بسعادة السفير مشيدا بالعلاقات القوية والقديمة بين الأزهر الشريف ودولة النيجر، فالأزهر الشريف يستقبل أبناء النيجر للدراسة بمعاهده وجامعته على منح من الأزهر الشريف كما أن هناك بعثة من العلماء قوامها ٤٢ عالما يتعاونون مع أبناء النيجر لنشر التعليم بمعاهد ومدارس النيجر، والأزهر الشريف على استعداد لإمداد النيجر بالمناهج والخطط الدراسية لتعليم أبناء دولة النيجر مناهج الأزهر بوسطية واعتدال، ومن جانبه شكر سعادة السفير على حسن الاستقبال مؤكدا على عمق العلاقة بين دولة النيجر ومصر والأزهر الشريف، وقال إن للأزهر الشريف مكانة عالمية وبخاصة لدى شعب النيجر الذي يقدر تعداده بـ ١١ مليون نسمة ونسبة المسلمين ٩٥٪. وقال: إن في النيجر مدارس خاصة لتعليم اللغة العربية، يأتي إليها العديد من أبناء دول الجوار للدراسة بها وتمنى أن يزور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف دولة النيجر وستقدم لفضيلته الدعوة الرسمية في الوقت الذي يناسب فضيلته.

الإمام الأكبر:

نؤيد إخواننا الفلسطينيين ونقف معهم ضد الظلم

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالي الدكتور/ يعقوب إبراهيم وزير البيئة والموارد المائية والمسئول عن الشئون الإسلامية بدولة سنغافورة يرافقه سعادة السفير / تي توابا سفير سنغافورة بالقاهرة والوفد المرافق من المجلس الإسلامي السنغافوري، ورئيس جامعة سنغافورة، حيث رحب فضيلته بالسادة الضيوف في مصر وأزهرها الشريف مشيدا بالعلاقات الطيبة الودية بين البلدين وبين الأزهر الشريف، وقال: إن في الأزهر الشريف طلبة وطالبات يدرسون بالأزهر الشريف على منح دراسية من الأزهر بمراحل التعليم المختلفة يتلقون العلوم الدينية والعربية بجوار إخوانهم من دول العالم الإسلامي.

وحول سؤال عن موقف الإسلام بعد مرور ثلاث سنوات على أحداث ١١ سبتمبر والتغيرات التي حدثت في العالم، قال فضيلته: إننا دائماً نقول أن الإسلام يمد يده بالسلام لكل من يمد يده إليه بالسلام والأزهر الشريف أول مؤسسة دينية في العالم أدانت هذا الاعتداء الذي قتل على أثره الآلاف من الآمنين من المسلمين ومن غير المسلمين، ودائما نقول إن الاختلاف في

العقائد لا يمنع من التعاون بين الأفراد والدول لأن الناس جميعا أوجدهم الله - عز وجل - من أب واحد وأم واحدة، فنحن كمسلمين نؤيد التعارف والتعاون، أما الأحداث التي فيها عدوان وإرهاب وخطف وقتل للآمنين وهدم للمنازل نحن كمسلمين نرفض كل هذا وندينه.

وحول ما يدور في فلسطين والعراق، قال فضيلته إننا نؤيد إخواننا في فلسطين ونقف معهم ضد الظلم الواقع عليهم من هدم لمنازلهم وقتل لشبابهم وأطفالهم ونسائهم وشيوخهم الآمنين وخلع زراعاتهم، وسجن للأبرياء ونحن معهم حتى يظفروا بحقوقهم وإقامة دولتهم وعاصمتها القدس الشريف، ودائما نقول أن الاعتداء على الآمنين أمر لا نقره ونرفضه، وبالنسبة للعراق، فإن ما يحدث فيه من قتل وإرهاب وخطف للأسرى فنحن نرفضه وندعو الله - عز وجل - أن يزيل الفتنة عن العراق، والإسلام دين السلام ويرفض الإرهاب والظلم بكل صوره وأشكاله سواء كان ذلك على المسلم أو على غير المسلم، ودائما نبين ونوضح الإسلام الذي يدعو إلى التعاون على البر والخير والأمن ونشر الأمان والرخاء في المجتمع، ولا نقول بالعدوان ولا بالصراع بين الحضارات وإنما نقول بتعاون الحضارات وتآذرها وكل دولة تأخذ من حضارة الدولة الأخرى وبذلك يحدث التكامل ويحدث التآلف، ونحن في الأزهر الشريف ندرس المناهج التي تمتاز بالوسطية والاعتدال ونتوسع في دراسة العلوم الشرعية والعربية إلى جانب العلوم الحديثة ويوجد في الأزهر الشريف كليات شرعية وعربية وكليات علمية وعملية مثل الطب والهندسة والزراعة واللغات الأجنبية إلى غير ذلك.

وحول التعاون بين الأزهر الشريف والمجلس الإسلامي العالمي بدولة سنغافورة أوضح فضيلته بأن الأزهر الشريف يستقبل طلاب وطالبات سنغافورة على منح من الأزهر الشريف، كما يرسل الأزهر العلماء لتعليم أبناء دولة سنغافورة صحيح الإسلام.

وفي نهاية اللقاء شكر الضيف فضيلته على الحفاوة وحسن الاستقبال وعلى المعلومات الطيبة التي سمعها من فضيلته، وطلب زيادة التعاون وقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة دولة سنغافورة وقد وعد فضيلته بتلبية الدعوة في الوقت المناسب ومما يذكر أنه يوجد معاهد أزهرية بسنغافورة تدرس مناهج وعلوم الأزهر الشريف.

***

those permitted not to observe Fasting such as the sick and the travelers.

How Should Fasting Be Observed?

Fasting involves abstention from food, drink and having sexual intercourse from the daybreak until sunset out of sincere faith and seeking the reward of Allah. In this connection, Allah, the Almighty, says:

﴿And eat and drink until the white thread becomes evident to you from the black thread at dawn; thereafter complete the Fast to the night.﴾ [Al-Baqarah (The Cow): 187]

Ease in the Islamic Fasting

In its legislation of Fasting, Islam does not obligate for Muslims what is beyond their capacity; rather, it obligates for them what they can bear. This goes in accordance with the verse in which Allah says:

﴿Allah wills for you ease, and He does not will difficulty for you.﴾ [Al-Baqarah (The Cow): 185]

And

﴿He is (The One) Who has selected you, and in no way has (He) made for you (any) restriction in the religion.﴾

[Al-Hajj (Pilgrimage): 78]

Hence, Muslims, with regard to Fasting, are of three categories:

First: The healthy resident who are able to observe Fasting without suffering any harm or hardship. Such people are obliged to fast the whole month of Ramadan, and whoever of them should violate the sacredness of such month by breaking Fast in it, thus he deserves Allah's wrath and displeasure.

Second: The sick and the travelers. These people are permitted to break their Fast, and make up for the missed days in which they broke their Fast on some other days. In this relation, Allah, Exalted be He, says:

﴿So, whosoever of you is sick or is on a journey, then a (fixed) number of other days.﴾ [Al-Baqarah (The Cow): 184]

Included in such category are also the pregnant, breastfeeding, menstruating and confined women. After the causes preventing Fast are present no more, they have to make up for the missed days of Fast by observing it on some other days.

Third: This category involves whoeverso suffers difficulty in observing Fast due to permanent causes, such as senility, chronic diseases, etc. Such people are not allowed to observe Fasting, for Allah, the Almighty, says:

﴿And against the ones who can afford it, there should be a ransom of food for and indigent man.﴾

[Al-Baqarah (The Cow): 184]

Degrees of Fasting:

First: General Fasting. This is achieved through abstention from eating, drinking and having sexual intercourse. This is the apparent Fasting that the majority of Muslims observe and think that they have fulfilled their obligation.

Second: Special Fasting. This type of Fasting involves the first degree in addition to the abstention of the organs from committing sins.

Third: The Most Special Fasting. It involves the first two types in addition to the Fasting of the heart and purifying it from all that which contradicts faith and sincerity, such as refraining from thinking in evils, plotting dissensions, etc.

With regard to the benefits of Fasting, Dr. Alan mentioned in one of his books some of the benefits of Fasting saying, "Fasting keeps one away from the unpleasant habits and helps in loosing weight. Moreover, it makes one feels more efficient both mentally and physically. Fasting gives rest to the body systems, helps curing some diseases, eases tension, calls to peace and tranquility of the soul. Furthermore, Fasting helps one to sleep quietly, sharpens one's senses, strengthens one's will, gives one spiritual purity, and makes one feel young. In addition Fasting makes one sympathize with the needy and drives one to hurry to help others."

To show the favors of the month of Ramadan, Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, *"Whoever observes Fasting during the month of Ramadan out of sincere faith, and hoping to attain Allah's rewards, then all his past sins will be forgiven."* (Related by Al-Bukhari and Muslim)

If we look into the rewards of the acts of worship, we shall find that each act of worship has a known reward for Allah's servants, except for Fasting, for no one knows its reward but Allah. In this relation, Allah's Messenger said, *"Allah said, 'Every act of the son of Adam is for him, except Fasting which is (exclusively) meant for Me, and I will give the reward for it.' Fasting is a shield or protection from the fire and from committing sins. If one of you is fasting, he should avoid indulgence in obscene language and raising his voice, and if somebody should fight or quarrel with him, he should say, 'I am fasting.' By Him in Whose Hands the life of Muhammad is, the unpleasant smell coming out from the mouth of a fasting person is better in the sight of Allah than the smell of musk. There are two pleasures for the fasting person, one at the time of breaking his Fast, and the other at the time when he will meet his Lord; then he will be pleased because of his Fasting."* (Related by Al-Bukhari and Muslim).

Ramadan is considered the month of triumph for those who fight in the cause of Allah. In support of this, all the battles that took place in that month were won by Muslims; the most evident proofs of this are the Battle of Badr, the Conquest of Mecca, and the battle that took place between the Egyptians and the Israelis on the 10th of Ramadan and in which the Egyptians crushed the Israelis.

Hence, we should thank Allah by obeying His commands and abstaining from His prohibitions. Moreover, we should respond to Allah and His Messenger with regard to that which He called us so as to maintain our lives. We should also stick hard to the right path of Allah so that we may be among the guided.

*Fasting in the Islamic *Shari`ah*
By: Muhammad Ezzat At-Tahtawy

Fasting is a familiar natural disposition and a custom being observed by every creature for a certain time, so that we can see some animals such as camels, snakes and certain species of lizards observe fasting for a period of their lives. Moreover, Fasting has been an old act of worship stated in the previously revealed religions. Furthermore, the ancient Egyptians used to observe Fasting and the Greeks and Romans imitated them.

The Torah has obligated Fasting on the Jews. In this regard, the exegetes of the Qur'an say that Moses (may the peace of Allah be upon him) observed Fasting for forty days after which Allah revealed the Torah unto him. This is witnessed in the Words of Allah in which He say's:

﴾And We appointed with Musa (Moses) thirty nights and We perfected them with ten, so the fixed time of his Lord was perfect for forty nights.﴿ [Al-`Araf (The Battlements): 142]

And the same thing can be said with regard to the Gospel of the Christians.

Fasting is distinguished by being exclusively intended for the Sake of Allah. In this relation, the Prophet mohammad (may the blessings and peace of Allah be upon him), quoting the Words of His Lord, said, *"Every good deed will be rewarded ten times up to seven hundred times except for Fasting, for it is (exclusively) intended for Me and I reward for it."*

Thus, Fasting is a Divine obligation stated by Allah, for He is the One Who says:

﴾O you who have believed, prescribed for you is the Fast, as it was prescribed for (the ones) who were even before you, that possibly you would be pious.﴿ [Al-Baqarah (The Cow): 183]

Fasting is obligated on every legally accountable, sane, resident Muslim, except for those commanded to break their Fasting such as women during their menses and the confined women, or

* An Article published (in Arabic) At Al – Azhar Magazine

*Ramadan, the Month of Blessings

By: Dr. Muhammad Mahmoud Sha`ban

Abu Hurairah (may Allah be pleased with him) narrated that Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) said, "*When Ramadan begins, the gates of Heaven are opened, the gates of Hell are locked, and the devils are chained.*" (Related by Muslim)

Allah, Exalted and Glorified be He, has favored the nation of Muhammad with great blessings and graces. Allah says:

﴿And He has conferred upon you His favors, outward and inward.﴾ [Luqman (The Sage): 20]

And:

﴿And in case ever you number the favor(s) of Allah, you (cannot) enumerate them.﴾ [Ibrahim (Abraham):34]

Among the special favors Allah has endowed us with is a blessed month that has been made a time for satisfaction, mercy and forgiveness. Allah, the Almighty, says:

﴿The month of Ramadan (is the month) wherein the Qur'an was sent down; a guidance to mankind, and clear evidences of the guidance and the criterion.﴾ [Al-Baqarah (The Cow): 185]

The Glorious Qur'an was revealed in that month so as to be a guidance for the righteous, a mercy for the worlds, a purifier for the souls, a remedy for the hearts, and a guidance for the right path.

Moreover, the month of Ramadan was distinguished with a blessed night which is better that a thousand months; Allah says:

﴿Surely We sen[5]t it down on the Night of Determination; and what makes you realize what is the Night of Determination? The

* An Article published (in Arabic) at Al- Azhar magazine.

Night of Determination is more charitable than a thousand months. The Angels and the Spirit keep coming down therein, by the permission of their Lord, with every Command. Peace it is, till the rising of the dawn.﴾ [Al-Qadr (Determination): 1-5]

Furthermore, Ramadan has been favored with the obligation of observing Fast in it. Allah, the Almighty, revealed:

﴿So, whoever of you is present at the month, then he should fast it.﴾ [Al-Baqarah (The Cow): 185]

That honorable obligation suits the Glorious Qur'an and its call, and goes in harmony with its goals. That is, the Qur'an exhorts towards righteousness, equity and beneficence, and commands towards truthfulness and sincerity in both words and deeds. In addition, it forbids all that is evil including adultery, abominable acts, aggression, cheat, envy, grudge, and evil plotting. Similarly, Fasting exhorts towards righteousness, purification of souls and bodies, and showing patience. In this regard, Allah, Exalted be He, says:

﴿O you who have believed, prescribed for you is the Fast, as it was prescribed for (the ones) who were even before you, that possibly you would be pious.﴾ [Al-Baqarah (The Cow): 183]

Observing Fast in the month of Ramadan each year is considered a commemoration of the event of the Revelation of the Qur'an. That is why Allah's Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him) would show a great care for glorifying that blessed month by increasing the acts of worship, righteousness and beneficence he would observe in it.

Ibn `Abbas (may Allah be pleased with him) narrated, "*Allah's Messenger was the most generous of all the people, and he used to reach the peak in generosity in the month of Ramadan when Gabriel used to meet him. Gabriel used to meet him every night of Ramadan to study the Glorious Qur'an carefully together. Allah's Messenger used to become more generous than the fa[6]st wind when he met Gabriel.*" (Related by Al-Bukhari and Muslim)

1-literally: witnesses the month .

[Al-Qiyamah (The Resurrection): 16-19]

With regard to the reason behind the revelation of those Words, exegetes unanimously say, 'When Allah's Messenger would receive the Qur'an, he used to recite it very fast and would not wait until Jibril (Gabriel) finished for fear that he might miss a letter. So Allah, the Almighty, commanded him to listen to the Qur'an with both his heart and hearing so that it would be firmly established in his heart and because Allah has guaranteed that not even a single letter might be missed of His Words.' Thereupon, if the Messenger was the one who invented the Qur'an, then how could he come with such a saying though he was the sayer (as they claim)?

Second, Allah, the Exalted, says:

﴿And do not drive away the ones who invoke their Lord in the early morning and at nightfall willing (to seek) His Face; in no way are you (responsible) for their reckoning in anything, and in no way are they (responsible) for your reckoning in anything that you should drive them away, and so you would be of the unjust (ones).﴾ [Al-An'am (Cattle): 52]

The exegetes say that some of the lords of the polytheists said to the Messenger, 'If you dismiss those slaves[3], we may sit and talk with you.' The Messenger said, 'In no way shall I dismiss the believers.' They said, 'Then, let them go away when we come to you, and allow them to sit with you whenever you wish after we leave.' He replied, 'Ok, so be it[4].' However, Allah did not wish that those believers be dismissed and so the Glorious verses were revealed calling the Messenger to keep them present. Hence, if the Messenger was the one who invented the Qur'an, would he mention that he hasted when he agreed to the polytheists' demand and that the Revelation corrected his behaviour?! Or, indeed, he received those verses from his Lord!

Third, Allah, the Almighty, says:

﴿Surely, We have sent down to you the Book with the Truth that you judge among mankind by whatever Allah has shown you; and do not be a constant adversary of the treacherous. And ask forgiveness of Allah; surely Allah has been Ever-Forgiving,

[3]They mean the weak such as Bilal, Khubab and Suhayb.

[4]The Messenger agreed to this in the hope that they might listen to him and believe in Islam.

Ever-Merciful. And do not dispute concerning the ones who betray themselves; surely Allah does not love him who has been constantly treacherous, ever-vicious. They seek to conceal themselves from (other) men, and they do not seek to conceal themselves from Allah and He is with them as they brood by night a saying that is not satisfying to Him; and Allah has been Encompassing whatsoever they do.﴾ [An-Nisa' (Women): 105-108]

The exegetes say, 'A man called Tu`mah Ibnul-Buraq stole an armor from his neighbour and put it in a sack of flour and made a hole in it so the flour would fall from it and make a trace. Then, he hid it with a Jew. The man's neighbour searched for his armor and could not find it, so he followed the trace of the flour that ended at the Jew's house. So the man took it and went to the Messenger (may the blessings and peace of Allah be upon him). Allah's Messenger judged in accordance with the trace that ended at the Jew's house. Nevertheless, the Revelation came to correct the Messenger's judgment and calling the Messenger to ask for forgiveness as his judgment was not sound.' If it was the Messenger who made up the Qur'an, would he make mention of his mistaken judgment, though no one obligated him to announce his seeking of forgiveness from what he had done?

Fourth, Allah, Exalted and Glorified be He, says:

﴿Ask forgiveness for them or do not ask forgiveness for them; in case you ask forgiveness for them seventy times, yet Allah will never forgive them; that (is) because they disbelieved in Allah and His Messenger; and Allah does not guide the immoral people.﴾ [At-Tawbah (Repentance): 80]

The exegetes say that Abdullah Ibn Abdullah Ibn Ubayy asked Allah's Messenger to ask Allah to forgive his father because of his tremendous sin, so the Messenger did not want to let him down and asked Allah to forgive him. Upon this, the Revelation stating that Allah would not forgive that hypocrite whatever times the Messenger might seek forgiveness for him. Here, it becomes clear that the Revelation came to correct the Messenger because he was a human. If the Messenger had composed the Qur'an, he would not have been corrected.

The Qur'an is Allah's words Not Muhammad's!
By: Dr. Muhammad Rajab Al-Bioumy

One of those who occupy themselves with the issues of serious, meaningful thinking mentioned to me that he strongly believed that the Glorious Qur'an was sent from Allah, but when he read the books of some Orientalists, he found that they claimed that the Qur'an was made up by Muhammad, for he was a very eloquent person and nothing could fail him. He asked me what we should do about that. I replied, "That false claim has old roots since the advent of Islam, and the Qur'an has refuted such a claim as came in the Words of Allah in which He says:

﴿Or (even) do they say, "He has fabricated it!" Say, "Then come up with ten suras the like of it, fabricated; and invoke whomsoever you are able, apart from Allah, in case you be sincere."﴾ [Hud: 13]

Moreover, the early Muslims had confuted such false accusations, but I will convince you by clarifying to you some unquestionable proofs. Are you willing to listen?"

He answered, "Yes, and I will be very pleased to find the light using those proofs, and not because I want to be sure about this but to be able to restrain those who spread such claims for malicious aims."

I said, "There are clear texts in the Qur'an that rationally state that Allah's Messenger received Revelation and that he did not fabricate or make up the Qur'an. Since the reader of the Qur'an finds himself before irrefutable logic, then the truth becomes clear."

He smiled saying, "Please, go ahead."

I said, "First, Allah, Exalted and Glorified be He, addresses His Messenger saying:

﴿Do not move your tongue with it to hasten on with it. Surely upon Us is the gathering of it and the reading of it. So when We have read it, then closely follow its reading. Thereafter surely upon Us is its evident (exposition).﴾

Furthermore, the fasting person will not usurp people's properties, withhold *Zakah*[2], gain from usurious dealings, or illegally take the orphan's properties. In other words, the one who observes Allah in one's deeds does not continue committing acts of disobedience, and in case one forgets or is deluded by Satan towards committing a disdainful act, one regrets and quickly returns to Allah in repentance. In this relation, Allah, Exalted be He, says:

﴿Surely the ones who are pious, when a visitation of Satan touches them, remind themselves, then lo! They are (clear) beholders.﴾ [Al-A'raf (The Battlements): 201]

Hence, we should keep in our minds that the fasting person should abstain from committing sins, so that there should be no backbiting, malicious talk, or lying. Moreover, the fasting person should consider Ramadan a month for piety and drawing near to Allah. The fasting person should also know that Fast is not intended for feeling the hunger or thirst while paying no heed for our deeds and the way we deal with others. Moreover, the fasting person should not be one of those about whom the Prophet (may the blessing and peace of Allah be upon him) said, *"How many fasting persons who gain from their Fast nothing put hunger and thirst (i.e., they get no reward due to their bad deeds)!"*

Not to mention that Ramadan is distinguished with many favors for it was the month in which the Qur'an was revealed. Additionally, there is a night in Ramadan that is better than a thousand months, which is the Nigh of Al-Qadr (i.e., The Night of Determination). Allah has singled out the Night of Al-Qadr with numerous blessings and favors so that it occupies a high degree in the hearts of Muslims, and thus they wait for it every year. In this regard, the Prophet said, *"When Ramadan comes the gates of the Heaven are opened and the gates of the Fire are locked, and the devils are chained. There is a night in it which is better than a thousand months; so whoso ever is deprived of its reward is in fact the deprived one."*

[2] *Zakah*: The amount of money that Muslims should pay for the poor and the needy.

AL-AZHAR MAGAZINE
Ramadan, 1425 A. H.



ENGLISH SECTION
November. 2004

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

The Month of Ramadan

By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Allah, the Almighty, has distinguished the Islamic Nation with the blessed month of Ramadan. That is due to the fact that Allah, Exalted and Glorified be He, has made it a special time for satisfaction, mercy and forgiveness. Moreover, Allah sent down the Ever-Glorious Qur'an in Ramadan so as to be a means of purifying souls and hearts, a guide towards the right path, and a light and a clear Book for humanity. Allah, the Ever-High, says:

﴿A light has already come up to you from Allah, and an evident Book. Whereby Allah guides whomsoever closely follows His Divine satisfaction in the ways of peace, and brings them out of the darkness(es) into the light by His permission, and He guides them to a straight path.﴾

[Al-Ma'idah (The Table): 15-16]

In addition, Allah has honored the month of Ramadan by prescribing Fast in it. Allah says:

﴿So, whosoever of you is present at[1] the month, then he should fast it.﴾ [Al-Baqarah (The Cow): 185]

Fasting is considered a secret between the servant and his Lord; that is, Fasting exhorts the fasting person to observe Allah and fear Him. Thus, whosoever observes fasting in this month out of faith and seeking reward from Allah thus one's heart will be filled with fear of disobeying Allah, so that one will never cheat and deceive people or commit any abominable acts whether in secrecy or in public; rather, one will acquire the qualities of angels with regard to whom Allah says:

﴿Who do not disobey Allah in whatsoever He commands them, and who perform whatsoever they are commanded to.﴾

[At-Tahrim (Prohibition): 6]

[1] Literally: Witnesses the month.

الفهـرس

بسم الله الرحمن الرحيم

شكراً قراء الأزهر



الأهرام
الادارة العامة للتوزيع

تأسس سنة ١٨٧٥

السيد/ الاستاذ المدير العام
بمجلة الازهر ،

القاهرة فى ٢٥/١٠/٢٠٠٤

تحية طيبة .. وبعد.. ،

نظرا لزيادة الطلب على مجلتكم الموقره (الازهر) حيث بلغت نسبة المبيعات ٩٨,٥٪ من الكميات الموزعه (يتضح ذلك من الكشف المرفق).

لذلك نقترح زيادة الكميات المسلمه للتوزيع داخل جمهورية مصر العربية ٣٠٠٠ نسخه ليصبح الاجمالى ٢٥٠٠٠ نسخه (خمسة وعشرون الف نسخه) وذلك اعتبارا من العدد القادم .

وتفضلوا بقبول وافر الشكر ، ،

المدير العام
وعضو مجلس الادارة





الأهرام

تأسس سنة ٨٧٥

بيان تطور متوسطات التوزيع خلال عام : ٢٠٠٤

الناشـر : الامانة العامة للازهر الشريف

اسم المطبوع: مجلة الازهر   الدوريه : شهرية

رقم العدد	البيان		سعر النسخه	نتائج الموزع	التوزيع المرتجع	التوزيع الصافى	نسبة المرتجع
	العدد صدور	يناير ٢٠٠٤	١,٥٠	٢٠٤٨٥	٢٤٩	٢٠٢٣٦	١,٢ ٪
	العدد صدور	فبراير ٢٠٠٤	١,٥٠	٢٠٥٠٣	٢٢٤	٢٠٢٧٩	١,١ ٪
١	العدد صدور	مارس ٢٠٠٤	١,٥٠	٢٠٥٠٤	٦٤	٢٠٤٤١	٠,٣ ٪
٢	العدد صدور	ابريل ٢٠٠٤	١,٥٠	٢٠٤٨٠	٧٣	٢٠٤٠٧	٠,٤ ٪
٣	العدد صدور	مايو ٢٠٠٤	١,٥٠	٢٠٥٢٠	٤٦٣	٢٠٠٥٧	٢,٣ ٪
٤	العدد صدور	يونيو ٢٠٠٤	١,٥٠	٢٠٥١٦	١٧٨	٢٠٣٣٨	٠,٩ ٪
٥	العدد صدور	يوليو ٢٠٠٤	١,٥٠	٢٠٥١٤	١١٥	٢٠٣٩٩	٠,٦ ٪
٦	العدد صدور	اغسطس٢٠٠٤	١,٥٠	٢٠٥٢٠	٧٩٣	١٩٧٢٧	٣,٩ ٪
٧	العدد صدور	سبتمبر ٢٠٠٤	١,٥٠	٢٠٥٢٠	٣٠٩	٢٠٢١١	١,٥ ٪
٨	العدد صدور	اكتوبر ٢٠٠٤	١,٥٠	٢٠٥١٧	١٣٢	٢٠٣٨٥	٠,٦ ٪
	العدد صدور						
	العدد صدور						
	الاجمالى			٢٠٥٠٧٩	٢٥٩٩	٢٠٢٤٨٠	١,٣ %
	المتوسط						

ملحوظة : الكميات الموزعة بخلاف الكمية المسلمة للشركة القومية للتوزيع (١٨٠٠ نسخة)



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

نائب رئيس التحرير

سيد وفا أبو عجور

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

- داخل مصر ١٨ جنيها مصريا
- الدول العربية ٥٠ دولارا أمريكيا
- أوربا وأمريكا ٨٥ دولارا أمريكيا
- اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولارا أمريكيا

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

☎ ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / م.نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

شوال ١٤٢٥هـ - ديسمبر ٢٠٠٤م - الجزء العاشر - السنة السابعة والسبعون

افتتاحية العدد

بين الشرق والغرب

كان التقدم الصناعي في أوروبا مصدر انبهار كبير لدى بعض من ينخدعون بالظواهر، فظنوا أن المخترعات الآلية أكبر دليل على السموّ الإنساني في أوروبا واندفع فريق من كتاب العرب إلى طوفان من التمجيد الهاتف بحضارة الغرب ورفعته، مع بكاء آسف على ما انحدر إليه الشرق من جمود وتقهقر، فإذا هتف عاقل بما يراه من توحش الاستعمار، وفظاعة الاحتلال وجد من ينتحل وسائل التبرير، ويختلق شتى الحيل ليثبت أن الغرب ذو رسالة حضارية يتقدم بها للشعوب المتخلفة لتهتدى بضوئه! وللباطل افتنان خادع حين يعمد صاحبه إلى افتعال الأسانيد لينحرف بالحديث إلى غير وجهه، مع أنّ ما يتبرع لتأييده من المثالب ينادى على نفسه بالسقوط دون أن تنهض به حجة داحضة أو برهان مخذول.

وقد قرأت اليوم خبرا عجيبا، لبثت أمدا طويلا أفكرُ في مدلوله، وأقلّبهُ ذات اليمين والشمال فلا أجد غير خزى فاضح يوصم من يتحدث عنه، إذ نشرت الجرائد اليومية في يوم الغذاء العالمي أن أوروباتعدم مليون طنّ من الفواكه والخضروات، محافظة على السعر المرتفع، ليربح تجارها حين تقل السلعة ويشتد الطلب، وقد تكلفت عملية الإعدام في هذا العام مائتين وخمسين مليونا من المارك الألماني! فماذا نقول في قوم يدعون لأنفسهم قيادة الشعوب إلى الحضارة الزاهرة، والمدنية الراقية ثم يعدمون طعاما يتجاوز ثمنه مائتين وخمسين مليونا كلّ عام، وهم يسمعون عن المجاعات تطحن بعض الدول طحنا في آسيا وأفريقيا، دون أن يفكروا مدى لحظة في غوث اللهيف، وشبع الجائع، بل ربما أفرحهم ما يسمعون عن انتشار المجاعات، لأنها ستجعل الطلب ملحفا، والإقبال على السلعة متزايدا، والعجيب أن هذا الخبر المؤسف قد دُوّن أول ما دُوّن في الجرائد الألمانية، وقرأه وأقره شعب كان يزعم لنفسه السيادة على الشعوب.

ويرى جنسه أشرف الأجناس، وقد ساقه هذا الزعم المتغطرس إلى حربين عالميتين أهلكت الحرب الأولى ثمانية ملايين من الأرواح وأبادت الثانية ثلاثة عشر مليونا! غير ما هدمت من المنازل، ودمّرت من المتاجر وشوهت من الأجسام، ويتّمت من الأطفال، ورملت من الزوجات، وفجعت من الثواكل، حتى إذا تصرم أربعون عاما على هذه الأهوال، واستطاع الألمانيون أن يستأنفوا كفاحهم الاقتصادى كان إعدام الفواكه والخضروات إحدى وسائلهم للربح الجشع، والاستنزاف المبيد.

علة العلل

إن علة العلل في انحدار هذه الحضارة الغربية أنها تغفل روح الزمالة الإنسانية للناس وترى الدنيا غابة يصول فيها الأقوياء بالمخلب والأنياب ليفترسوا الضعفاء! ولو ارتكنت هذه الحضارة إلى مبادىء دين يغرس المودة بين النفوس، ويجعل الناس سواسية كأسنان المشط، لكان لها طريق حميد غير ما سلكتْ من طرق التعسف والابتزاز، وقد سادت الحضارة الإسلامية زمنا طويلا فما جاع تحت لوائها جائع، لأن شريعة الإسلام قد دفعت أبناءها إلى التراحم والتواد ولم يقتصر التراحم، على المسلمين وحدهم بل امتدت به الشريعة إلى الناس جميعا، لأنهم من أب واحد وأم واحدة!

لا يستطيع المسلم أن يقول إن دمى أفضل الدماء وأن جنسى أشرف الأجناس، لأن دينه قد ارتفع به إلى مشارق النور، فقرأ في صحائف الذكر الحكيم ما يجعله يؤمن بحقّ غيره قبل أن يبحث عن حق نفسه، ومن شرف القرآن أنه يُتلى على المسلمين صباح مساء، وأنّ نصوصه المثالية ترن في الأسماع داعية إلى امتثالها المفروض، ومن هذه الروائع الهادية مما يتصل بموضوعنا قول الله عز وجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾

الحجرات / ١٣

والتعارف يوجب التواصل والتراحم فلابد أن تكون الوشائج الإنسانية قوية محكمة لتشد الناس شدا لا يفلت منه ناشز ولا يستعصي عليه شاذ، سواء كان الإنسان قريبا أو غريبا، مسلما أو غير مسلم لأن –الله عز وجل– يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ فشمل النداء كل سامع، وقد قال– الله عز وجل– في موضع آخر:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾

الجاثية / ١٤

فدعا القرآن إلى التسامح والعفو عمن لا يرجو لقاء الله من غير المسلمين، كما دعا فى آية أخرى إلى الإحسان إليهم والبر بهم مهما خالفوا الإسلام قال تعالى:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

الممتحنة / ٨، ٩

بهذه النصوص الحكيمة دفع الإسلام ذويه إلى عالمية تشمل الإنسانية جميعها، وتبعث الغنىَّ على أن يحسن إلى الفقير، وإذا لم يكن لذوى النعرات الجنسية، والخيالات العنصرية نصوص مقدسة تدفعهم إلى مساعدة المحتاجين، فإن البقية الباقية ممن جبلوا على الإحسان سيتركون ينابيع الرحمة فى صدورهم لتجف رويدا حتى يتعودُوا الشح البالغ، فيهون عليهم أن يعدموا اللحوم والأسماك والخضروات كيلا يرخص السعر! ومن أمد غير يسير قرأنا أن أمريكا قد غمرت خليج الخنازير بآلاف الأطنان من القمح كيلا يتأثر السعْر نازلاً، بل يظلَّ فى ارتفاع يرهق الجيب، ويؤنس الضمير.

بلاء الاحتكار

سيأن أن تحتجز السلعة لديك مرتقبا غلاء السعر، وأن تعدمها فلا تحصل الفائدة منها ليغلو السعر أيضا، لأن النتيجة واحدة وهى إرهاق العامة وتعجيزهم عن تناول المباح من طيبات الله، وقد كان العرب فى عهد الرسول ﷺ لا يعدمون شيئا من المحصولات ليزيد السعر، لأن هذه الفكرة الهابطة لم تنشأ إلا فى عهود الترف والإغراق فى اللذائذ، لذلك لا نجد نصاً دينياً يتحدث عن حرمة إعدام المأكولات، لا نجد نصا صريحا بالفاظه، ولا يتعذر على الفقيه أن يجد روح هذا النص بمعناه فيما لديه من الآثار، أما الاحتكار وهو قريب فى مدلوله من الإعدام فقد



ظهر فى عهد النبوة وحاربه رسول الله ﷺ دون هوادة فقد وردت من الآثار الشريفة هذه النصوص:

١- عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من احتكر حكرة يريد أن يُغلى بها على المسلمين فهو خاطئ»[1].

٢- وعن عمر - رضى الله عنه - قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس»[2].

٣- وعن معقل بن يسار - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعُظم «بمكان عظيم» من النار يوم القيامة»[3] قال الإمام الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم فى فتاويه تعليقا على هذه النصوص:

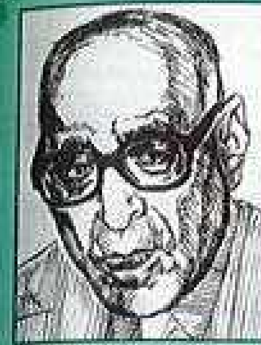
وهذه الأحاديث تدلك بمجموعها بطريق العبارة أو بطريق دلالة النص، على تحريم اختزان

---

(١) مسند الإمام احمد ٢/٣٥١.
(٢) سنن ابن ماجه ٢١٥٥
(٣) البيهقى فى السنن الكبرى ٦/٣٠.

الأقوات ومنافع الناس وسائر ما يحتاجون إليه فى معايشهم من غير فرق بين قوت الآدمى وبين غيره، وظاهر أن العلة هى الإضرار بالناس وهى متحققة فى كل ما يحتاجون إليه ولا تقوم معيشتهم إلا به».


احمد امين


زكى نجيب

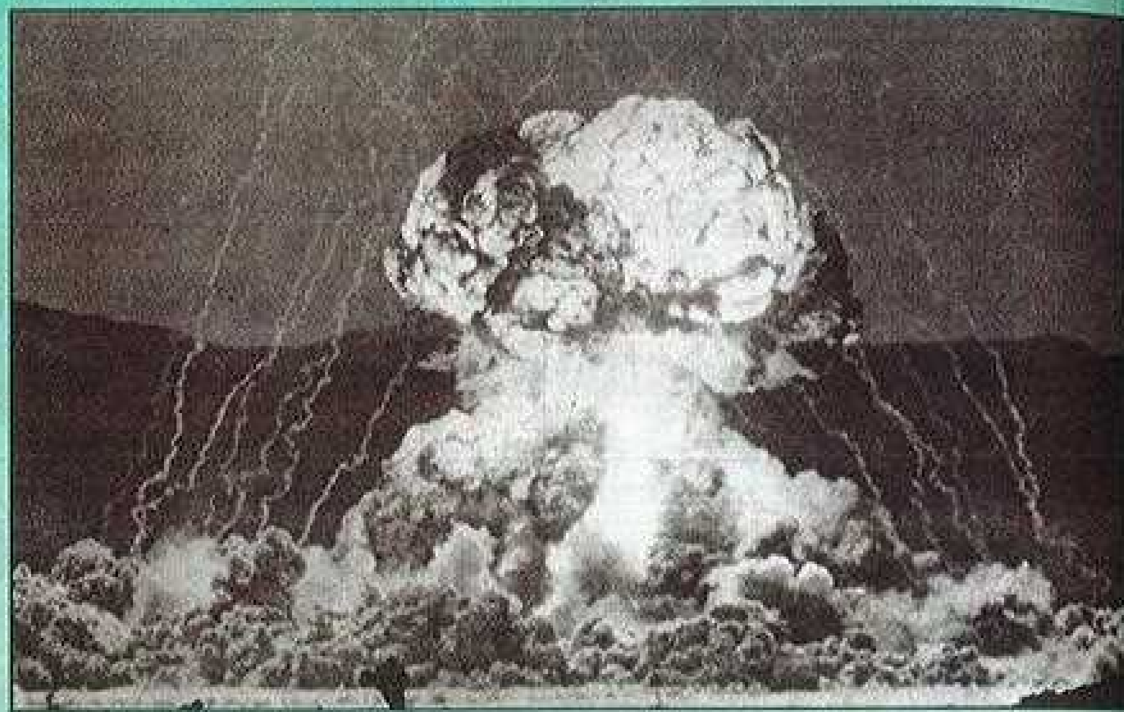
وقول المفتى الأكبر: «وظاهر أن العلة هى الإضرار بالناس» يدل على تحريم إعدام الطعام لرفع السعر لأن العلة تدور مع المعلول وجودا وعدماً كما هو معروف.

حوار بين كاتبين

عرفنا مدى الإنسانية المزعومة لأوربا، ومع كل الظواهر التى تنفى هذه الإنسانية بما لا يقبل الريب، فإننا نجد من كبار الكتاب من يتباهى بها ويدعو إلى احتذائها وكأنها حقيقة موجود لا شك فيها بل نجد فيهم من يعارض بعنف من يأخذ على الغربيين شرههم المادى، واستهانتهم بآلاف الأرواح جرياً وراء استنزاف الشعوب، وابتزاز الأموال والمحصولات، والمستخرجات المعدنية فى بلاد نائية لا يمتون إليهم بسبب ولكنهم يحتلونها بالحديد والنار.

وقد كتب الدكتور أحمد أمين رأياً محايداً ينصف فيه المدنية الغربية فقال صادقاً: «نحن نرى أن نتيجة المدنية الغربية هى قلق الناس واضطرابهم، وسوء معيشتهم، إذ كان نتاجها المدافع والأسلحة الحديثة والقنبلة الذرية، ولو قارنا بين مدنية إسلامية نتيجتها الأمن والاطمئنان، ومدنية غربية نتيجتها الفزع والرعب لفضلنا الأولى.

إن كلَ مدنية لها مزاياها وعيوبها، ومزية المدنية الغربية بناء الحياة على العلم، ومن عيوبها خلوها من الإنسانية، ومن عيوبنا نحن أننا لا نبنى حياتنا على العلم وأن فينا مركب النقص الذى يجلُ المدنية الغربية عن الخطأ» هذا ما قاله أحمد أمين! وقد كان منصفا حين اعترف لمدنية الغرب بتأسيها على العلم وأخذ عليها إهدارها للقيم الإنسانية، ولكن الدكتور زكى نجيب محمود لا يرضيه أن ينتقد أحد مدنية الغرب فكتب يعارض الدكتور أحمد أمين قائلاً: «أحقًا يا سيدى أن المدنية الغربية قد خلت من الإنسانية، تلك المدنية التى لا يستطيع الإنسان فى ظلها أن يفرك زهرة بين أصابعه على مرأى من الناس! ولا أن ينزع البذور عن أمها لأنها بمثابة الأجنة التى تضمن استمرار الحياة، تلك المدنية التى يستحيل على الإنسان فى ظلها أن يوقع الأذى بكلب أوقط! هل كان ياسيدى لهذا الغرب أن ينتج ما أنتج من الفنون لو كان خلوا من الشعور الإنسانى! أنصف الغرب يا سيدى!


تسعى المدنية الغربية إلى ابتكار أشد الأسلحة فتكا، وفى الصورة مشهد لأحد التفجيرات النووية التى تكلفت مئات الملايين سعيا نحو إهلاك البشر.. وبعد ذلك يتهمون الإسلام بالإرهاب!!

وكلام الدكتور زكى نجيب محمود يجد ردَه من الواقع الأليم لأن مدنية الغرب التى تحترم القط والكلب هى التى تضرب بالقنابل الذرية المدن الآن فتقضى على ملايين الأرواح فى لحظة واحدة، وهى التى فجرة القنبلة النووية فى المحيط الهادى فقتلت نصف ما به من أسماك وحيوانات وقروش ودرافيل، وطفت الجثث على الماء الحار تشكو إلى الله ظلم هذه المدنية المتوحشة! وإذا كان العطف على الكلب والقط عنوان الإنسانية فى نظر الدكتور! فمدنية الإسلام تدعو إلى هذا العطف بقوة، وتلاميذ المدارس الابتدائية يحفظون حديث المرأة التى دخلت النار فى قطة حبستها، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض!

وحديث الرجل الذى رأى كلباً يلهث من العطش فحمل إليه الماء فى خفه فغفر الله له! فهل كانت الشفقة بالحيوان غريبة عن مدنية الإسلام حتى يتباهى الدكتور باهتمام الأوربى بالكلب والقط ويعده رمز الرحمة والإنسانية لقد آن لنا أنْ نعرف الحقيقة دون نكران.

د./ محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

قال تعالى :

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)
يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ
مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ
اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
(٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

الآية : ٢٩ - ٣٢

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي



والمعنى : قل يا محمد لهؤلاء الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وقل لغيرهم ممن يوجه إليهم الخطاب ، قل لهم على سبيل الإرشاد والتحذير

﴿ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ ﴾

من ولاية الكفار أو غيرها من الأقوال والأفعال ﴿ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ فيجازيكم عليه بما تستحقون.

وفى أمر النبى ﷺ بتوجيه هذا القول إلى المخاطبين ترهيب لهم من الأمر وهو الله ـ تعالى ـ لأن هذا التنويع فى الخطاب من شأنه أن يربى المهابة فى القلوب وذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ كأن يقول الملك للمخالفين من رعيته : أحذركم من مخالفتى ، ثم يأمر أحد أصفيائه بأن يكرر هذا التحذير وأن يبين لهم سوء عاقبة المخالفين.

وقوله :

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

جملة مستأنفة وليست معطوفة على جواب الشرط وهو ﴿ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ ، وذلك لأن علمه ـ سبحانه ـ بما فى السموات والأرض ليس متوقفا على شرط فلذلك جيء به مستأنفا . وهذا من باب ذكر العام بعد الخاص وهو علم ما فى صدوركم تأكيدا له وتقريرا.

وقوله :

﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

تذييل قصد به الإخبار بأنه مع علمه الواسع المحيط ، ذو قدرة نافذة على كل شىء وهذا لون من التهديد والتحذير لأن الذى يتوعد غيره بشىء لا يحول بينه وبين تحقيق هذا الشىء إلا أحد أمرين : الجهل بجريمة المجرم، أو العجز عن تنفيذ وعيده، فلما أعلمهم ـ سبحانه ـ بأنه محيط بكل شىء وقادر على كل شىء، ثبت أنه ـ سبحانه ـ متمكن من تنفيذ وعيده.

قال صاحب الكشاف : وقوله

﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

أى : هو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله :

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾

لأن نفسه وهى ذاته المميزة من سائر الذوات، متصفة بعلم ذاتى لا يختص بمعلوم دون معلوم. فهى متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور، فهى قادرة على المقدورات كلها فكان حقها

أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فإنه مطلع عليه لا محالة فلا حق به العقاب. ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله، فوكل همه بما يورد ويصدر، ونصب عليه عيونا، وبث من يتجسس عن بواطن أموره: لأخذ حذره وتيقظ فى أمره، واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به، فما بال من علم أن العالم بالذات ـ يعنى أن علمه بذاته لا بعلم زائد عن ذاته كعلم الحوادث وهذا عند المعتزلة ـ الذى يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن. اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك» (1).

ثم كرر ـ سبحانه ـ التحذير من الحساب يوم القيامة وما يقع فيه من أهوال ورغب المؤمنين فى العمل الصالح فقال:

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾

قال الآلوسى: الأمد: غاية الشىء ومنتهاه والفرق بينه وبين الأبد أن الأبد مدة من الزمان غير محدودة والأمد مدة لها حد مجهول، والمراد هنا الغاية الطويلة، وذهب بعضهم إلى أن المراد بالأمد البعيد المسافة البعيدة، ولعله الأظهر، فالتمنى هنا من قبيل التمنى فى قوله ـ تعالى:

﴿ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾(2)

الزخرف: ٣٨

والمعنى: راقبوا ربكم أيها المؤمنون. وتزودوا من العمل الصالح واذكروا

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾

فى الدنيا ﴿ مِنْ خَيْرٍ ﴾ وإن كان مثقال ذرة ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ لديها مشاهدا فى الصحف، حتى لكأنه قد أحضر من الدنيا إلى الآخرة فيرى رأى العين

﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾

تراه أيضا ظاهرا ثابتا مسجلا عليها، وتتمنى لو أن بينها وبين هذا العمل السيء زمنا طويلا، ومسافة بعيدة وذلك لأن الإنسان يتمنى دائما أن يكون بعيدا بعدا شاسعا عن الشيء المخيف المؤلم خصوصا فى هذا اليوم العصيب وهو يوم القيامة.

وقوله ﴿ يَوْمَ ﴾ متعلق بمحذوف تقديره اذكروا، وهو مفعول به لهذا المحذوف. و﴿ تَجِدُ ﴾ يجوز أن يكون متعديا لواحد فيكون بمعنى تصيب وتصادف، ويكون ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ على هذا

(1) تفسير الكشاف ص١/ ٣٢٥

(2) تفسير الآلوسي ص٣/ ١٢٧

منصوبا على الحال. قال الجمل: وهذا هو الظاهر. ويجوز أن يكون بمعنى تعلم فيتعدى لاثنين أولهما ﴿ مَّا عَمِلَتْ ﴾ والثانى ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ (3)

وقوله:

﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾

معطوف على قوله:

﴿ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ ﴾

ويرى بعضهم أن ﴿ مَّا ﴾ فى قوله:

﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾

مبتدأ، وخبرها جملة

﴿ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾

فيكون المعنى: ما عملت من سوء تتمنى كل نفس أن يكون بينها وبينه أمدا بعيدا.

أتى ـ سبحانه ـ بقوله ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ فى جانب الخير فقط مع أن عمل السوء أيضا يكون محضرا للإشعار بكون عمل الخير هو المراد بالذات. وهو الذى يتمناه الإنسان ويرجو حضوره فى هذا لما يترتب عليه من ثواب وأما عمل الشر فتتمنى كل نفس اقترفته لو بعد عنها ولم تره بسبب ما يترتب عليه من عقاب.

وقوله ـ سبحانه ـ

﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾

تكرير للتحذير الأول الذى جاء فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

آل عمران: ٢٨

والسر فى هذا التكرير زيادة التحذير من عقاب الله وانتقامه، فإن تكرار التحذير من شأنه أن يغرس فى القلوب التذكر والاعتبار والوجل.

وقيل: إن التحذير الأول ذكر للنهى عن موالاة الكافرين. والذى هنا ذكر للحث على عمل الخير والتنفير من عمل الشر.

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بقوله:

﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾

ومن مظاهر رأفته ورحمته أنه حذر عباده قبل أن يعاقبهم، وأنه يعفو عن كثير من ذنوب عباده، وأنه فتح لهم باب التوبة حتى يقلعوا عن خطاياهم. إلى غير ذلك من

(3) حاشية الجمل على الجلالين ص١/ ٢٥٩

مظاهر رأفته ورحمته.

ثم أمر الله - تعالى - رسول الله ﷺ أن يرشد الناس إلى الطريق الذى متى سلكوه كانوا حقا محبين لله، وكانوا ممن يحبهم - سبحانه - فقال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

قال بعضهم: عن الحسن البصرى قال: قال قوم على عهد النبى ﷺ يا محمد إنا نحب ربنا، فأنزل الله الآية، وروى محمد بن إسحاق عن إسحاق عن محمد ابن جعفر بن الزبير قال: «نزلت فى نصارى نجران وذلك أنهم قالوا: إنما نعظم المسيح ونعبده حبا لله وتعظيما له فأنزل الله هذه الآية ردا عليهم» (٤)

ومحبة العباد لله - كما يقول الزمخشرى - مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها، ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم.

والمعنى: قل يا محمد للناس على سبيل الإرشاد والتبيين: إن كنتم تحبون الله حقا كما تدعون، فاتبعونى، فإن اتباعكم لى يؤدى إلى محبة الله لكم، وإلى غفرانه لذنوبكم، وذلك لأن محبة الله ليست دعوى باللسان، وإنما محبة الله تتحقق باتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه على لسان رسوله محمد ﷺ الذى أرسله رحمة للعالمين.

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: «هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، بأنه كاذب فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى، والدين النبوى فى كل أقواله وأعماله كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»» (٥)

وقوله ﴿ يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ جواب الأمر، وهو قوله ﴿ فَاتَّبِعُونِي ﴾. وهذا رأى الخليل. ويرى أكثر المتأخرين من النحاة أن قوله ﴿ يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ جواب لشرط مقدر دل عليه المقام والتقدير: إن كنتم تحبون الله فاتبعونى، وإن اتبعتمونى يحببكم الله، أى يمنحكم الثواب الجزيل، والأجر العظيم، والرضا الكبير.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد بينت أن أول علامات محبة العبد لربه، هى اتباع رسوله ﷺ وأن هذا الاتباع يؤدى إلى محبة

(٤) تفسير الألوسي ص٢/ ١٣٠ وتفسير ابن جرير ص٣/ ٢٣٢

(٥) تفسير ابن كثير ص٦/ ٣٥٨

الله - تعالى - لهذا العبد وإلى مغفرة ذنوبه. ومحبة الله لعبده هى منتهى الأمانى، وغاية الآمال، ولذا قال بعض الحكماء: «ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب».

ومحبة الله إنما تتأتى بإخلاص العبادة والوقوف عند حدوده والاستجابة لتعاليم رسوله محمد ﷺ وكل من يدعى أنه محب لله وهو معرض عن أوامره ونواهيه فهو كاذب فى دعواه كما قال الشاعر الصوفى:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه

هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

ثم ختم - سبحانه - الآية بوصفين جليلين فقال:

﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

أى أنه - سبحانه - كثير الغفران والرحمة لمن تقرب إليه بالطاعة، واتبع رسوله فيما جاء به من عنده.

ثم كرر - سبحانه - الأمر لرسوله ﷺ بأن يحض الناس على اتباع ما يسعدهم فقال له:

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾

أى قل لهم يا محمد أطيعوا الله وأطيعوا رسوله فى جميع الأوامر والنواهى، وإن من يدعى أنه مطيع لله دون أن يتبع رسوله فإنه يكون كاذبا فى دعواه، ولذا لم يقل - سبحانه - أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، للإشعار بأن الطاعة واحدة وأن طاعة الرسول ﷺ طاعة لله تعالى، كما قال سبحانه:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾

(النساء: ٨٠)

ثم ذكر - سبحانه - عاقبة العصاة المعاندين فقال:

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾

أى: فإن أعرضوا عما تأمرهم به يا محمد ولم يستجيبو لك واستمروا على كفرهم، فإنهم لاينالون محبة الله، لأنهم كافرون. ففى هذه الجملة الكريمة دلالة على أن محبة الله لا ينالها إلا من يتبع الرسول ﷺ لأنه - سبحانه - نفى حبه عن الكافرين، ومتى نفى حبه عنهم فقد أثبت بغضه، ولأنه عبر عن تركهم اتباع رسوله بالتولى وهو أفحش أنواع الإعراض، ومن أعرض عن طاعة رسول الله كان بعيدا عن محبة الله.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد ساقت للناس من التوجيهات السامية، والآداب العالية ما من شأنه أن يغرس فى النفوس إخلاص العبادة لله، والخشية من عقابه، والأمل فى ثوابه، والإكثار من العمل الصالح الذى يؤدى إلى رضا الله ومحبته.

من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عطية

قال تعالى في سورة «المرسلات»:

﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ
﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾

(المرسلات: من ٨ - : ١٥)

سورة «المرسلات» إحدى السور المكية لدى جمهور المفسرين، وهي ذات وقع شديد عاصف منذ اللحظة الأولى، التي تطالعنا فيها أول آية منها، حيث تحمل من علامات التخويف والترهيب، ما يكفل للقلب يقظة تامة.

تدفع به إلى الاستقامة على طريق الحق والخير والصلاح.

وقد جاءت هذه الآيات المباركات التي تصدرت هذا المقال، لتقرر حقيقة كبرى من حقائق العقيدة الصحيحة: حقيقة القيامة، وما يتبعها من حساب يفصل فيه بين العباد، حيث يقدم كل رسول نتيجة دعوته قومه على رؤوس الأشهاد، تمهيدا للحساب، الذي لا يترك صغيرة أو كبيرة من خير أو شر إلا أخذها بيد

العدالة المطلقة، وعقب عليها بما يوازنها من ثواب أو عقاب.

ولقد سيقت هذه الآيات في معرض التهديد والوعيد، الذي يزجر به الله هؤلاء الذين يكذبون بيوم القيامة ذلك اليوم الذي أقسم الله في أول السورة على أنه واقع لا محالة. وكان هذا القسم في مواجهة أولئك المكذبين الذين يقولون:

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾

(المؤمنون. ٣٧)

وقد قامت الآيات البينات، بل السورة كلها بقرع آذان هؤلاء القوم عدة مرات وإنذارهم بالويل الذي ينتظرهم بيوم القيامة، يوم وقوع الخبر الذي طالما كذبوا به. وكل مرة منها كانت تأتي عقب أحد الأدلة القاطعة على قدرة الله عز وجل على إحيائهم وإعادتهم للحساب مرة أخرى. هذه القدرة، التي تترك آثارها القوية على كل ما في الكون وهي في كل ذلك تعرض من مشاهد الدنيا والآخرة وحقائق الكون والنفس، ومناظر الهول والعذاب ما تعرض. وعقب كل معرض ومشهد تلفح القلب المذنب لفحة كأنها من نار:

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[1]

وتظل تذكر الدليل تلو الدليل وعقب كل مشهد من هذه المشاهد المتتابعة يؤكد الله سبحانه على ما ينتظر هؤلاء المكذبين بيوم القيامة. وما سيحدث فيه من حساب يفصل فيه بين الخلائق كافة.

وبعد أن حلقنا سويا في جو السورة العام، نحط رحالنا في الجو الخاص الذي يسود هذه الآيات البينات التي صدرنا بها هذا المقال، حيث جاء قبلها مباشرة:

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾

المرسلات: ١: ٧

وهي كلها أوصاف لقوى لا يعلم حقيقتها إلا خالقها ومرسلها.. جاءت لتهيء الجو العام لاستقبال هذا اليوم العاصف، الذي ينقلب فيه كل شيء، ويتحطم فيه كل شيء، ويتخلى فيه كل شيء عن وظيفته التي خلق من أجلها..!!

فإذا تم تهيئة الجو، وأصبحت النفس على استعداد لاستقبال هذا الخبر الشديد، أكدت الآية المباركة، أن هذا اليوم لابد قادم، وأنه لا محالة واقع

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾

ثم جاء هذا المقطع:

﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ ... إلخ

ليصور هذه الأحداث الكبيرة، ويسجل اللحظات المبكرة للانقلاب الرهيب الشديد،

(١) سيد قطب في ظلال القرآن

الذى يقع يوم القيامة، والذى لا يذر شيئا من مظاهر هذا الكون الهائل، إلا أتى عليه بيد باطشة قوية تدمره تدميرا، وتنسفه نسفا:

فالنجوم تطمس ويذهب ضوؤها وينمحى لألاؤها، والسماء تتفتح وتتشقق، ويذهب تماسكها وتصبح هشة، والجبال الرواسى، التى كانت عامل ثبات واستقرار للأرض، تنسف نسفا، وتصير ذرات متناثرة فى الفضاء، والرسل تأتى فى موعد اجتماعها بأقوامها، تحت سلطان الحساب الأكبر، الذى يفصل فيه بين الحق والباطل، ليتبين المحق من المبطل، ويقدم كل رسول ما تم بينه وبين قومه. كل هذا يقع فى: ﴿يَوْمُ الْفَصْلِ﴾

الفارق بين الحق والباطل، هذا اليوم الرهيب المفزع، الذى لا تحيط بما يحدث فيه من أهوال جسام عقول البشر، ولكن كل ما يمكن أن يقال فى ختام هذه الصورة المسجلة للأحداث، التى تحدث فى هذا اليوم

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾(٢)

وهذه العبارة المحورية فى السورة المباركة شبيهة فى موقعها بقوله تعالى:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فى سورة الرحمن، التى تأتى عقب كل نعمة من نعم الله لتذكرنا بأنها من عند الله رب العالمين. والعبارة التى معنا

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾

وردت فى سورة المرسلات عشر مرات. وهى فى كل مرة ذات وقع مختلف ومذاق مختلف.

فإذا كانت فى هذه المرة -وهى الأولى فى السورة- تعقيبا على مشهد الانقلاب الهائل -الذى يأتى على كل شىء، ويحطم كل مسلمات الكون، حتى يدفع بكل شىء إلى أن يتخلى عن وظيفته التى خلق من أجلها وإذا كان ترهيبا للخلائق مما سيحدث يوم الفصل أمام الله رب العالمين وقد جاءت الرسل ليقدم كل واحد منهم ما قدمه لدعوة قومه، فإنها قد جاءت فى المرة الثانية- فى نفس السورة- تعقيبا على هذه الجولة فى مصارع الغابرين الأولين والآخرين

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾

المرسلات: ١٦: ١٩

وفى المرة الثالثة جاءت تعقيبا على هذه الآيات

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾

المرسلات: ٢٠: ٢٤

(٢) جاء فى «الجامع لأحكام القرآن» فى بيان معنى «الويل» روى عن النعمان بن بشير قال: «ويل وادى جهنم، فيه ألوان العذاب، وقاله ابن عباس وغيره. وقال ابن عباس: إذا خبت جهنم أخذ من جمرة فألقى عليها فيأكل بعضها بعضا. وروى أيضا عن النبى ﷺ «عرضت علىّ جهنم فلم أر فيها واديا أعظم من الويل.

«وهى رحلة- كما قال الشهيد سيد قطب- فى كتابه» «فى ظلال القرآن»- مع النشأة الجنينية، طويلة عجيبة، يجملها هنا فى لمسات معدودة، يودع فى قرار الرحم المكين إلى قدر معلوم وأجل مرسوم».. وهكذا فى كل مرة تأتى فيها هذه الآية المحورية، يرى لها طعم خاص، ووقع خاص يختلف عن المرات الأخرى.

وهذا الإنذار يترك العقل البشرى يذهب فى تصور هذه الأهوال كل مذهب، فهى أهوال بلا حدود، وبلا قيود فليذهب التصور فيها كل مذهب..!!

والمتأمل فى هذه الصورة البيانية، يرى أن بها من المؤثرات الفنية، ما يخرج بها عن إطار المعالجة الذهبية الخالصة، ليضع القارئ وسط أحداث حقيقية تتحرك أمام عينيه، ويسمع لها صدى فى نفسه، ويحس لها حركة فى وجدانه، تدفع به لأن يتخذ لنفسه- إذا كان ذا ضمير حى ونفس يقظى- طريقا فى حياته الدنيا، ينجيه من هول هذا اليوم الرهيب الرعيب.

أولا: أن التعبير القرآنى- وقد استخدم «إذا» الشرطية- يلقى فى الروع ظلا كثيفا من التأكد التام والثقة الكاملة، فى حتمية وقوع هذه الأحداث.. فوقوعها ليس مجرد افتراض محتمل الحدوث، وإنما هى الحقيقة الكبرى، التى سوف يشهدها الكون، وتعيشها الأحياء، وهى الأحداث الشاملة، والتى لا ينجو من هولها كائن تدب فيه الحياة.

ثانيا: أن تكرار أداة الشرط، مع تعدد الأحداث، يترك فى النفس ظلا من الشعور بالخوف من هذه الأحداث، الكبيرة المتتابعة.

ثالثا: أن من يقرأ هذه الآيات والتى قبلها، ويجمع بينها فى وعاء قلبه، يرى أنها جميعا تترك فى النفس أثر الشعور بالقوة المسلطة فوق الرؤوس، والتى تذعن لأمر الله تعالى، وكأنها ذوات عاقلة فاعلة: فها هى ذى الريح المرسلة (٣)، وها هى ذى العواصف المزمجرة.. وها هى ذى النجوم التى طمست.. وها هى ذى السماء قد تشققت، وأوشكت أن تسقط فوق الرؤوس.. حتى الجبال التى هى جزء أصيل فى تكوين الأرض، وبها يكون استقرارها وثباتها تنسف هى الأخرى، وتتحول إلى ذرات تتطاير فى الهواء.. حتى ذلك الموعد المضروب لاجتماع الرسل بأقوامهم فى ساحة العرض الأكبر أمام الله رب العالمين. هذا الموعد الذى يمثل سيفا معنويا مسلطا فوق الرؤوس أيضا، قد حل ووقف الكل فى الميقات المحددة.

وهكذا كانت العبارة القرآنية:

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾

غاية فى دقة اختيار الكلمة التى تصور قدرة الله تعالى على قلب هذا الكون الكبير وتحطيم كل شىء، ليرى هؤلاء المكذبون أنفسهم وجها لوجه أمام حقيقة القيامة، وهم يحاسبون حسابا شديدا على هذا التكذيب، وقد أعد الله لهم ما يناسبهم من عذاب أليم.

(٣) الرأى الغالب لدى المفسرين، أن المراد بالمرسلات عرفا: الريح التى أرسلت هابة متتابعة، كعرف الفرس فى تتابعه، وانتظام حركته فوق عنقه، ويلاحظ قوة العلاقة بين المشبه والمشبه به مما يدعم هذا الرأى.



منهج النبى ﷺ فى العبادة

لفضيلة الأستاذ الشيخ / طه الساكت

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوّها فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى». رواه الشيخان.

المفـــــردات

الرهط: الجماعة من ثلاثة إلى عشرة. وفى رواية مسلم «نفر» وهم من الثلاثة إلى التسعة.

تقالوها: عدوها قليلة.

والمراد بذنبه: ما فرط من خلاف الأولى بالنسبة إلى مقامه الكريم، وهو من قبيل «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

وإذا كان العتاب على قدر المحبة فإن الذنب على قدر المنزلة.

وتطلق السنة: ويراد بها ما سنه ﷺ لأمته مما يقابل الفرض. وتطلق ويراد بها السيرة والطريقة، وهذا هو المراد هنا.

والرغبة عنها: العدول والإعراض، فإن كان على وجه من التأويل عذر صاحبه، ولكنه بسبيل الوقوع فى شرك التعمق والتنطع، وإن كان عن بغض وكراهية فالله برىء من الكافرين ورسوله، وعياذاً بالله من ذلك!

المعنـــى

النبى ﷺ خليفة الله فى أرضه، وأمينه على وحيه، وسفيره إلى أمته، يأخذ عن ربه ويعلمهم ويستضىء بنور ويرشدهم

﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

المائدة/ ١٦

مقامان كريمان

يقضى أولهما: أن يكون المثل الأعلى فى القانتين:

ويقضى ثانيهما: أن يكون القدوة المثلى فى الهداة المرشدين، وكذلك كان صلوات الله وسلامه عليه.

كان فى مقام العبودية، وهو أحب مقام إليه، يصل ليله بنهاره فى خدمة مولاه، ويقوم من الليل حتى تتورم قدماه، وإذا قيل له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبدا شكوراً؟»(١)

وكان فى مقام الهدى والإرشاد يترفق بصحابته، ويدعوهم إلى الأخذ بالأيسر من الأمور ما لم يكن إثماً، ويحذرهم التكلف والتعمق، ويقول لهم: «خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل

(١) البخارى ٢/ ٦٣، ٦/ ١٦٩، ٨/ ١٢٤.

حتى تملوا»[٢] ويقول لعبدالله بن عمرو وقد شدد على نفسه: «صم وأفطر ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا، وإن لزوجك عليك حقا، وإن لزورك عليك حقا»[٣] ويشكو إليه حنظلة غفلته ومداعبته أهله ويحسب ذلك نفاقًا، فيهون عليه ويقول: «ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»[٤] ثلاث مرات. ثم كانوا إذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم، وإذا ذكروا الطعام ذكره معهم، وإذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم، وما طلب إلى تاجر أن يترك تجارته، ولا إلى صانع أن يهمل صناعته، بل أقرهم على أسبابهم، ودعاهم إلى إتقانها وأمرهم بتقوى الله فيها، وكان يتخولهم بالموعظة خشية السآمة عليهم، وكان أحب العمل إليه أدومه وإن قل «فإن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى»[٥].

ولم يكفه أن يأخذهم بهذا المنهج الحكيم حتى أكمله بخطة عملية مثلى، لا تدع لمتنطع مجالاً، ولا لمتعمق عذرًا، وذلك أنه كان يترك النافلة أحيانًا وهى أحب إليه، ويقتصد فى الطاعة وفى ازدياده منها قرة عينيه، إما راهبًا أن تفرض عليهم، وإما راغبا أن يترفق بهم، وهو بالمؤمنين رءوف رحيم.

خفى هذا الذى جلوناه لك على كثير من الناس، ومنهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى بادىء الرأى، إذ قاسوا المنزلة عند الله والزلفى إليه بمقياس الجد والنصب، لا، بل بمقياس الحرج والعنت. ذهبوا يسألون أمهات المؤمنين عن عبادته ﷺ فى السر ـ كما فى رواية مسلم ـ فلما أخبروا أخذهم جانب من العجب كأنهم استقلوها بالنسبة إلى أنفسهم وهنالك اعتذروا عن النبى ﷺ بأن الله قد غفر له، وآتاه ما لم يؤت أحدا غيره، فلا عليه ألا يزداد وهذا مكانه من الله -عز وجل- ثم أصروا على أن يأخذوا أنفسهم بالأشق من العبادة، فواحد يلزم نفسه قيام الليل كله لا يذوق فيه نومًا، وآخر يفرض على نفسه صيام الدهر كله لا يفطر إلا يومًا حرم الله صومه، وثالث يترهب فلا يتزوج أبدًا يبغى بذلك

(٢) البخارى ٣/ ٥٠، ٧/ ٢٠٠.
(٣) البخارى ٣/ ٥١، ٥٢، ٧/ ٤٠، ٨/ ٣٨.
(٤) سنن ابن ماجة ٤٢٣٩
(٥) فتح البارى شرح صحيح البخارى ٩/ ١٠٥

التفرغ لعبادة ربه. ظنوا أن هذا طريق السبق إلى الدرجات العلا، وأن بعد الشقة بينهم وبين الرسول تسوغ لهم ما ذهبوا إليه.

فلما إن علم صلوات الله عليه بما عزموا حتى اشتد عليهم فى العتاب الذى ترى، وأبان لهم أن القصد فى العبادة أزكى للنفوس وأضمن لها فى تحصيل ما تصبو إليه من سبق وفضل. ثم نقض حكمهم أن المغفور له لا يحتاج إلى مبالغة فى العبادة، بأنه بها أجدر وأحق قضاء لحق النعمة، ووفاء بواجب الشكر، بيد أنه يقتصد فى الأعمال ليكون القدوة المثلى فيما يدعو إليه، وحكمة أخرى: أن يعلموا أن رفعة الدرجات عند الله إنما هى بالإخلاص وصدق الرغبة فى العمل وإن قلّ، لا بالكثرة منه والتعمق فيه، فكم من قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر، وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش.

وليس الإحسان، وهو أعلى المقامات، أن تكثر العمل، وإنما «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». ثم ختم عتابهم بأشد ما يكون من الزجر، إذ تبرأ من المتنطعين الذى رغبوا عن سنته، ونكبوا عن محجته، ولا يزيغ عنها إلا هالك.

وبعد، فلايزال فى الحديث حكم وأحكام، من حقه علينا أن نشير إلى طائفة منها:

السر فى اختصاص أمهات المؤمنين بالسؤال

فمن ذلك أنهم اختصوا أمهات المؤمنين بالسؤال، لأنهن أدرى بعبادته ﷺ فى السر وهى التى يقصدون إليها. وأما عبادته فى العلن فهى معروفة لهم. وكان هذا السؤال بعد الحجاب لأن حادث الرهط سبب نزول قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾

المائدة / ٨٧

وإنما نزلت سورة المائدة فى حجة الوداع فى السنة العاشرة، وكان الحجاب فى ذى القعدة من السنة الخامسة.

من الأساليب المثلى فى التربية

ومنها أنه ﷺ واجههم بالعتاب بعد التثبت مما قالوا رفقًا بهم وسترًا عليهم، ثم حذر أصحابه كافة أن يزلوا فى هذا التعمق، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، كما فى

رواية مسلم. وهذا طريق التوفيق بين روايتى الشيخين، إذ اقتصرت الأولى على اختصاص الزهد بالعتاب، واقتصرت الثانية على التعميم فى الخطاب. وتلك هى الطريقة المثلى فى التربية والتعليم، مادام فى الدنيا تهذيب وإرشاد.

ومنها الإقسام بالله عز وجل فى الأمور المهمة ذوات البال توكيداً وتثبيتا، وأن من الخير والحكمة إظهار الفضل والمنزلة تلبية لدواعى التهذيب والتقويم وبخاصة عند أمن الرياء.

التمتع بالطيبات لا ينافى الورع

وفى الحديث - عدا فضل النكاح والترغيب فيه - دعوة إلى التمتع بالحلال الطيب، وأنه لا يجافى الورع والتقى، بل إن العدول عنه هو المجافاة للورع والتقى. وللعلماء فى هذا بحث طويل.

والحق الذى تؤيده الدلائل ويشهد به الحس أن المباح فى ذاته لا ضرر فيه، ولا ذم يلحق متناوليه، وإنما يعرض له ما يجعله ذميماً منهياً عنه كما يعرض له ما يجعله حميداً مندوباً إليه، وكيف يكون رفض ما أحل الله لعباده ورعاً وتقى وهو جلت آلاؤه يقول:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

الأعراف / ٣٢

وقد كان السلف الصالح يتناولون الطيبات ولا يتحرجون منها بل كان الصحابة -رضوان الله عليهم- لا يذمون المباحات ولا يرفضونها. وهذا أزهد البشر صلوات الله وسلامه عليه - وهديه أكمل الهدى، وطريقه أقوم الطرق - كان يحب الحلواء والعسل، ويأكل اللحم ويختص بالذراع وكانت تعجبه. وكان يستعذب له الماء، وينقع له الزبيب والتمر. وأخبر أنه حبب إليه النساء والطيب، وكان ينهى عن الترهب والغلو حتى عدّ فاعلهما خارجاً عن سنته. والأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة مستفيضة. نعم ما كان يتكلف من هذه المباحات شيئاً ولا يتشهاه، ولكنه إذا وجده لم يكن يرفضه ولا يأباه.

وفصل الخطاب أن خطر المباح إنما هو من ناحية ما يعرض له من التوسع فيه والاشتغال به، وقلما نرى منغمساً فى الترف عرف الله حق معرفته وشكره

حق شكره. ويؤيد هذا ما روى عن معاذ - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال له: «إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين» رواه أحمد والبيهقى، ورواة أحمد ثقات.

فقصد السبيل ألا يسرف المرء فى الطيبات حتى تفضى به إلى الترف والبطر والوقوع فى الشبهات، وألا يشدد على نفسه حتى يأخذ منه التنطع ويزحف إليه الملل، وكلا الأمرين مجاف للحنيفية السمحة والمنهج الحق الذى جاء به الرسول ﷺ. والكيس من ساس نفسه وأخذها بالتى هى أقوم.

حرص الرسول وأصحابه على الخير

وفى الحديث حرصه ﷺ على أمته، ورأفته بهم، وعنايته بتربيتهم، وحرص أصحابه -- رضى الله عنهم- على تتبع مناهجه، وتقصى سيرته، وهكذا تكون سيرة الحكماء المربين مع الطلاب الراشدين.

والحديث يرفع الحرج فى سؤال النساء، ويبيح مخاطبتهن والتلقى عنهن فى أدب ووقار من وراء حجاب. ولعل فى ذلك عبرة لقوم أسرفوا فى السفور ففتحوا لهن الباب، وعظة لآخرين تنطعوا فى الحجاب فحرموا عليهن رد الجواب. وكلاهما ناكب عن الصراط المستقيم وعن سيرة أغير الناس أجمعين.

***

وماذا بعد رمضان

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن لشهر رمضان منزلة كريمة، ودرجة عالية عظيمة، فهو مدرسة روحية، يتخرج فيها الصائمون، بعد شهر كامل تدربوا فيه على الصبر، والوحدة، وتربية الإرادة، وغرس الإخلاص، ومعانى التقوى.

وهذه الفضائل التى يغرسها الصيام لا تترعرع إلا فى أرض خصبة خالية من الرذائل، فمثل الصيام مثل الزارع الماهر قبل أن يزرع أرضه، ينقيها من النباتات الخبيثة والحشائش الضارة، التى تعوق نمو النبات، فكذلك الصيام قبل أن يحلى نفس الصائم بالفضائل ينقيها من الرذائل لأن التخلية مقدمة على التحلية.

فترى الصيام يطهر الصائمين من اللغو والرفث والصخب وفعل الجهال ويغرس فى نفوس الصائمين المعانى الفاضلة والأخلاق النبيلة والصفح والعفو والتسامح، «فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم».

ويخرج الصائمون من شهر الصيام، وقد تعودوا على هذه العبادة العظيمة وهى عبادة الصيام، فيتبعون صيام رمضان بصيام ستة أيام من شهر شوال، وكأنهم بذلك صاموا الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فالشهر بعشر أمثاله أى بعشرة شهور، وستة أيام بعشر أمثالها أى بستين يوما - أى بشهرين - فيكون المجموع اثنى عشر شهرا.

كما يخرج الصائمون من شهر رمضان وقد تعودوا على الصيام وعلى أن يمتنعوا عن الطعام والشراب اللذين هما أهم شىء وعلى الامتناع عن سائر المفطرات وعن شهوتى البطن والفرج، ولا شك أن الذى يتعود على الإمساك عن الأمور المباحة فى غير الصوم يتعود بعد ذلك على الإمساك والبعد عن العادات السيئة، والرذائل، والخلال المذمومة، وعن المعاصى والفتن ما ظهر منها وما بطن.

لقد تعلم الصائم فى مدرسة الصوم أنه فى وقت واحد يمسك عن الطعام والشراب، وفى وقت واحد محدد يفطر، ويرى المسلمين جميعا متحدين فى هذا، فيعود على معنى الاتحاد والاعتصام بحبل الله مصداقا لقوله جل شأنه:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾

آل عمران / ١٠٣

ويتعود الصائم بقوة مغالبته لشهوات النفس أن يضبط إرادتها فيصبح قوى الإرادة، قوى العزيمة، لا ينهار أمام الشهوات الدنيوية بل يعمل على كبح جماح النفس الأمارة بالسوء فلا يضل ولا يضل ولا يزل ولا يزل، ولا يجهل ولا يجهل عليه.

كما يتخرج الصائم فى مدرسة الصوم وقد تعود على الإخلاص، لأنه كان فى شهر رمضان يمتنع عن الطعام والشراب أمام الناس ويمتنع فى السر بعيدا عن الناس، لأنه كان يراقب ربه ويخلص له فى عبادته، لذا فإنه يتعود على الإخلاص ويظل مستمرا فى إخلاصه فى سائر عباداته وأعماله، وفى سائر علاقاته الإنسانية والاجتماعية، ويتعلم من رمضان تقوى الله تعالى، لأن الصيام يصل بالصائم إلى التقوى فهى الهدف من هذه العبادة كما قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

البقرة / ١٨٣

وفى شهر رمضان يتعود المسلمون على عبادة القيام حيث يؤدون صلاة القيام «التراويح» فيتعودون بها على عبادة القيام وصلاة النوافل وقيام الليل فى سائر شهور السنة

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

السجدة / ١٦، ١٧

ولكننا للأسف نرى المساجد تغص بالمصلين فى شهر رمضان وتخلو منهم بعد رمضان، ونرى الناس يحرصون فى رمضان على زكاة الفطر ليتعلموا البذل والإنفاق وإطعام الفقراء، ولكنهم بعد ذلك لا نرى هذا البذل والإنفاق، نرى تسابق الناس على الإطعام فى شهر رمضان، ثم يتخلون عن ذلك بعد انتهاء شهر رمضان.

إننا نريد أن تستمر هذه الخلال الحميدة، وصنائع المعروف وأنواع العبادات التى كانت فى رمضان، نريد أن تستمر بعد شهر رمضان فليست العبادة فى شهر رمضان فحسب، بل فى سائر شهور السنة فإذا كان القصد من هذه العبادات المشروعة فى شهر رمضان أن يتعودها المسلمون وأن يستمروا عليها بعد شهر رمضان فإن الواجب ألا يقطعوا هذه العبادات بل عليهم أن يستمروا عليها، فعبادة الصيام تكون فى غير رمضان متمثلة فى صيام النوافل كصيام يوم الاثنين والخميس وست من شوال والأيام البيض «الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر عربى» وصيام عاشوراء وصيام عرفة لغير الحاج وهكذا.. وعبادة القيام وصلاة التراويح تعود الإنسان أن يستمر بعد

شهر رمضان بأن يقيم ما تيسر من الليل متهجدا ومتعبدا ومصليا للنوافل ولا يكتفى بالفروض.

وعبادة زكاة الفطر تعوده الإنفاق والبذل والعطاء وهكذا.. حتى يكون المسلمون بعد شهر رمضان يرون أنفسهم قد تغيروا إلى أحسن، يرون أنهم قد تخلوا عن الرذائل وتحلوا بالفضائل، وتمسكوا بصنائع المعروف.

لقد كان شهر رمضان فى العهد النبوى هو شهر الجهاد، جهاد النفس وجهاد الأعداء، وكان النصر حليفهم وذلك فى غزوة بدر الكبرى وفى غزوة الفتح، وفى عصرنا الحاضر فى نصر العاشر من رمضان فهو شهر كله خير، فيجب أن يستمر الخير مع المسلمين بعد رمضان وألا يقتصر على شهر رمضان.

إن الله- تعالى- شرع عبادة الصيام من أجل الوصول إلى التقوى وليستمر المسلمون على تقوى الله- تعالى- وطاعته فى كل وقت وحين وليس فى شهر رمضان وحده، فربّ شهر رمضان هو رب سائر الشهور، وعطاؤه فى شهر رمضان مستمر إلى ما بعد رمضان.

فعلى المسلمين بعد رمضان أن يحققوا معالم الهداية التى وقفوا عليها فى شهر رمضان وأن تستمر فيما بعد شهر رمضان.

عليهم أن يكفوا عن الشر والمعاصى، وأن يتوبوا إلى رشدهم وأن يتوبوا إلى الله- سبحانه وتعالى- توبة نصوحا، وأن يتحابوا وأن يتآلفوا.

وعليهم أن يلجأوا إلى الله دائما وفى كل وقت وحين، وأن يضرعوا إليه عند كل بأس، وأن يدعوه فهو قريب منهم، كما قال جل شأنه:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

البقرة / ١٨٦

وإذا كان دعاء الصائم لا يرد، لأنه أقرب إلى الله- تعالى- ولأنه فى عبادة عظيمة، فإن الإنسان بعد رمضان حين يستمر فى الطاعة وتقوى الله يتقبل الله

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾

المائدة / ٢٧

إن رمضان يعلم الصائمين عبادة الله وصلاة القيام وذكر الله وتلاوة القرآن والتضرع إلى الله- تعالى- عند كل أذى أو ضرر وعند كل خوف أو عندما يمكر به بعض الناس أو إذا ابتلى الإنسان بضر أو غم ففى القرآن الكريم ما يرشد إلى العلاج من هذا كله.

يقول الإمام جعفر الصادق - مستنتجا من القرآن ومن أسراره الحكم: «عجبتُ لأربع

كيف يغفلون عن أربع: عجبت لمن ابتلى بالخوف كيف يغفل عن

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾

آل عمران / ١٧٣

والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾

آل عمران / ١٧٤

وعجبت لمن ابتلى بمكر الناس به كيف يغفل عن

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

غافر / ٤٤

والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾

غافر / ٤٥

وعجبت لمن ابتلى بالضر كيف يغفل عن:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

الأنبياء / ٨٣

والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ﴾

الأنبياء / ٨٤

وعجبت لمن ابتلى بالغم كيف يغفل عن:

﴿ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

الأنبياء / ٨٧

والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾

الأنبياء / ٨٨

وهكذا يكون المسلمون بعد رمضان شيئا جديدا وحياة جديدة تشرق بالإيمان والعمل، ويتخلون عن الرذائل ويتحلون بالفضائل، وتزداد تقواهم، ويقتربون من الله- سبحانه وتعالى- ويجأرون إليه فى كل وقت وحين، ويضرعون إليه ويذكرون ويتلون آياته، يوثقون صلتهم بالله وصلتهم بمجتمعاتهم، ويعيشون حياتهم فى إخلاص لله، وفى اتحاد فيما بينهم، وفى تعاطف وتآلف وتراحم كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»(1).

***

(1) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٧٠

خطبة الجمعة :

عيد ومعاودة

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد الشرباصى

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الله أكبر «تسعاً».

الحمد لله عز وجل، هو ولى الفضل والنعمة، ومصدر الخير والبركة:

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

البروج: ١٣ : ١٦

أشهد أن لا إله إلا الله،

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾

الرعد: ٢

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، جاهد فصبر، وأعطى فشكر، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

الكهف: ٣٠

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام!...

إن يوم العيد يوم ملحوظ فى السنة، مذكور على الألسنة، مجموع له الناس، يتلاقون فيه على فرحة وبهجة، ويتبادلون فيه تحية وتهنئة، ويحسون عنده كأنهم قد انتهوا إلى راحة خضراء ممرعة بعد أن قطعوا من الطريق شوطا أو مرحلة، فهم يستريحون ويستجمون، ويملأون صدورهم بنسمة الاطمئنان ونفس الرضى، إذ هو يوم عيد، والعيد يوحى بالعودة، فهو يعود فى كل عام، والثقة بالعودة أمر يجدد فى النفس الأمل ويقوى فيها الرجاء. وهذه العودة المتكررة من العيد بعد كل مرحلة من مراحل النضال فى مجال العمل الدينى المخلص أو العمل الدنيوى الموفق توحى إلى الإنسان بتكرار المعاودة والمحاولة لتحقيق ما يؤمن به من أهداف ومبادىء فى هذه الحياة، وكلما عاود الإنسان عملاً ونجح فيه جاء إليه عيد يستريح عنده ويستجم فيه، ثم يعاود القيام بواجبه، والسعى فى مسالك الحياة، للإنتاج والإثمار، والنفع والانتفاع، وهكذا دواليك، عيد يقبل بالفرحة والبهجة، وعودة من الإنسان إلى عمل موفق يعقبه عيد بهيج:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

العنكبوت: ٦٩

وهذه المعاودة فى حياة الأفراد والجماعات هى التى تكون العادة، والعادة تقارب الطبيعة، وكذلك يقول الأول:

تعود صالح الأخلاق، إنى
رأيت المرء يألف ما استعادا

وإذا كانت الأعمال التى يأتيها الفرد والجماعة طيبة صالحة، وكان التكرار موصولاً دائماً، أدى ذلك إلى تكوين مجموعة من الفضائل يسمو بها الفرد وتعز عن طريقها الجماعة، وهذه الفضائل التى تعمق جذورها فى النفوس هى ما يسمى بالأخلاق الفاضلة، وبهذه الأخلاق تعتدل الحياة وتستقيم:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وربما كان العمل الذى يكرره الإنسان ويحاول تعوده عملاً عسيراً شاقاً فى أول أمره، ولكنه بالصبر عليه والتطلع إلى غده المأمول يسهل ويلين، وقد يرحب به صاحبه ويهش له، والأمم قد يصيبها الذل فى عصور ضعفها وانحلالها فتألفه بطول المدة، ثم تهيئ لها الأقدار أن تعرف العزة، وربما أحست بوطأة التبعات والتكاليف التى تقتضيها هذه العزة، ولكنها بعد أن تدرك سمو مذاقها وعظيم أثرها ترحب بهذه التبعات والتكاليف، وربما تطلبت منها المزيد.

والمهم هو أن يكون تصرف المرء ومعاودته للمحاولات والأعمال وتكراره لأداء الواجبات، مصحوبا بالإيمان والثقة فى الله والاعتماد عليه والاستمداد منه،

فالحديث يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[1] أى لا توفيق فى الحركة والقوة إلا بمشيئة الله القوى القادر. وفى الحديث: «اللهم بك أصول وبك أحاول»[2] أى أتحرك وأحتال لعلاج الأمور، وفى رواية «بك أصاول وبك أحاول».

ولقد تعددت أقوال الناس فى تحديد السعادة، ولكن هناك أفراداً منهم يعدون غاية سعادتهم فى أن يوفقهم ربهم للنهوض بما يجب عليهم أن ينهضوا به، فيتعبوا فى ذلك ويعرقوا، ويستنفدوا غاية جهدهم، ولكنهم يبلغون هدفهم ويحققون أملهم، ويقفون عند نهاية الشوط فائزين، وقد تصبب العرق منهم فكان وساما كريما لهم، وحينئذ يحسون بنشوة الظفر ولذة الفوز وسعادة التوفيق لأداء الواجب، وأمثال هؤلاء يلمحون الضوء خلال الظلمات، ويؤمنون بأن من وراء الشدة متعة ونعمة، وأن التعب هو الذى يجعل للراحة طعماً ومذاقاً، وأن العسر يتلوه اليسر، فتكون له قيمة ومكانة، فهم يفرغون من واجب ليستقبلوا واجباً، وهم ينتهون من مهمة ليستأنفوا القيام بمهمة، يعمر صدورهم الإيمان بالانتصار، وتتألق نفوسهم بعلو الهمة وشرف المقصد ويقين الثقة بالله، وهذا يفسره قول الله تعالى:

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾

الشرح: ٥:٨

روى أنه لما نزلت هذه الآية قال الرسول: «أبشروا، أتاكم اليسر، لن يغلب عسر يسرين»[3] وقال عبدالله بن مسعود: «لو دخل العسر فى جحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه، لأن الله يقول: فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا». وقال مجاهد: «يتبع اليسر والعسر».

والعيد يذكرنا ـ فى لفظه ومعناه ـ بالعائدة، والعائدة هى المعروف والإحسان، يقول العرب: عاد فلان بمعروفه، إذا أحسن ثم زاد، ومن صفات الله تبارك وتعالى أنه «المبدئ المعيد»، أى الذى يبدأ بالفضل ثم يعيده؛ ولعل تذكير العيد لنا بالعائدة وهى المعروف، هو بعض الحكمة فى تشريع الإسلام لزكاة البدن فى عيد الفطر، حيث يعود المسلم القادر بهذا المقدار من الإحسان على إخوة له فى الله والوطن، لم تتيسر لهم أسباب السعة فى الرزق أو الاستقرار فى الحياة، وهو أيضا بعض الحكمة فى تشريع ذبح الضحية فى العيد الكبير حيث يستطيع الفقير أن يتذوق اللحم الذى لا يستطيع تذوقه فى

(١)- البخارى جـ١ ص١٥٩
(٢) مسند الإمام أحمد جـ٤ ص ٢٣٢
(٣) الحاكم ص٢ جـ٥٢٨

أغلب أيامه.

وحينما يقبل علينا العيد يحسن بنا أن نلقاه ونفرح به وندرك مذاقه، ونهيئ لغيرنا أن يشاركنا فرحته، ولكننا بعد هذا يجب أن نعود إلى حسن المحاولة مع عمق الرجاء وقوة الأمل وحينئذ يعود علينا العيد بمشيئة الله القوى القادر، ليرى أمة مسلمة عاملة مكافحة، تتعاون على البر والتقوى، ولا تتعاون على الإثم والعدوان، لأن الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه، ويتساوى أبناؤها فى مجال الحقوق والواجبات، كل يبذل طاقته، وكل يأخذ حقه وحاجته، وأساس التقدير والتقديم فيها هو الاستقامة فى مجال العمل وتجنب الزلل والخطأ:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

الحجرات: ١٣

ويرى أمة يتشارك أبناؤها فى الخير والنعمة، ويتساندون فى البأساء والشدة، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، ويرى أمة تتنزه عن الفتنة والفرقة وإشاعة الفاحشة وإثارة الشهوات، وتستمسك بالحق والجد ومكارم الأخلاق ومحامد الفعال، حتى تتحقق منهما وفيها تلك الأمة الوسط الصالحة المصلحة التى يصفها القرآن بقوله:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

آل عمران: ١٠٤

وحين يعود العيد والأمة الإسلامية على هذا الوصف، يعمر صدورها الإيمان، وتزدان دنياها بالعمل الصالح، وتتواصى بالخير، وتتناهى عن الإثم، يحق للأمة أن تفرح بعيدها كل الفرحة، وأن تبتهج به غاية البهجة، ستكون الأمة الرابحة الناجحة:

﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

سورة العصر

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

يونس: ٥٨

إن الله تبارك وتعالى يعود علينا بالآلاء والخيرات فيجب أن نعود إليه بالصالحات والقربات، وإن الزمان يعود علينا بالربيع الناضر فيجب أن نعود إلى الحياة بالأمل الباسم، وإن الأرض تعود علينا بالثمار والحصاد فيجب أن نعود إليها بالعناية والرعاية، وإن الحياة تعطينا فيجب أن نعطيها، وما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط، وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً إلى سواء السبيل.

هلال شوال

للشاعر الكبير الأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَن الأحدبُ النشوانُ طاف العَوالما ** وأومأ إلى الشرق المُهلل باسما؟!
يدبُ على ساق من النُور لم يدعْ ** على الأرض ركناً مُظلم الأفق واجما
ويمشي كما يمشي نبيٌ مُبشرٌ ** بوحي يزفُ الخطوَ كالطيف حالما
ويرنو كما يرنو إلى الله عابدٌ ** يكادُ من الإصغاء يُحسبُ نائما
لهُ قامةٌ أحنتْ يدُ الدهر عُودها ** فهل كان شيخاً من حمى الخلد قادما؟
تحرّرَ، واستعلى، وأقبل، وانثنى ** فلو كان إنساً قلتُ: حيرانُ، نادما!
يشقُ عُباب الجو.. لا بحرَ عندهُ ** ولا شطَّ لكنْ يذرعُ النُور هائما..
هفا طرفُهُ في الغرب وجداً! كأنهُ ** يريدُ انبثاقَ النُور للشرق دائما..
أطلَّ رخيم النُور تحسبُ ضوءهُ ** تحمّلَ إيقاعاً من الطير ناغما
هلالٌ يكادُ المسلمُون صبابةً ** يطيرُون من شوقٍ إليه حمائما
أشار لماضيهم بكفٍ مُلألِيءٍ ** ترامتْ حواليه النُجومُ حوائما
يُعاتبُ من أغفتْ عن النور عينُهُ ** وكان لشرع الله في الأرض هادما
ومن راح يستجدي المساكين قلبُه ** فما كان وهّاباً، ولا كان راحما..
ومن يسمعُ الشكوى ويمضي كأنها ** على سمعه عدلٌ يُطاردُ ظالما..
ومن خفَّ لِيلُ العاثرين لصُبحه ** فلم يكُ إلا مُظلم النُور قاتما
ومن جاءهُ الباكي فمرَّ بدمعه ** وخلاهُ مُنهلَ الجراحات ساجما
ومن هزَّ وسواسُ النعيم فضاءهُ ** وخيّم في أكنافه الدهرُ ناعما،
ومدتْ له الأيامُ كفاً يتيمةً ** فكان لها برحاً يُعيدُ المآتما

ومَن تزخرُ الدُنيا جمالاً وعفةً ** ويعمى فيُسقى من يديها المآثما
ومن كان مثل الشرق تغلي جراحُهُ ** فيتركُها للداء تغدو مغانما
مضى كلُ شعبٍ للسماء مُوحداً ** ونحنُ على البلوى عشقنا التقاسُما
حمانا حمى الإسلام، والنُور، والهُدى ** فكيف غدونا للعباد غنائما!
وما نحنُ إلا مُهجةٌ، من أثارها ** أثار بجنبيها اللظى والسمائما
نمانا تراب الخالدين، وضمنا ** ثرى مشرقٍ ضم العلا والمكارما
إذا قلبُ «لبنان» تنهد بالأسى ** سمعت حفيف الارز في النيل جاحما
وإن أرعشت موج الفرات كآبةٌ ** رأيت أساها في رُبى مصر غائما
وإن أسعدت مصر الليالي سمعتها ** حديثاً بقلب الشرق ريان فاغما
فيا (نيل) خذ عنا الزمام وطربنا ** ولاتخش ليلات الخطوب الغواشما
عهدناك في الأهوال تحمل رايةً ** عليها أغاني المجد تسبق «آدما»
وياما أحيلى موجةً فيك حُرةً ** ترف فتهدي للعباد العظائما!
وياما أحيلى جنةً فيك نضرةً ** تمنت شعوب الأرض منها النسائما
تغنيت رقراقاً، وأشجيت هادراً ** كأنك تشدو للزمان ملاحما
خفقت بصدر الشرق سراً مقدساً ** من السحر أعتى رهبةً وطلاسما
على شطك الميمون تاج وصولج ** يهز حجاب الشمس بأساً علاهما
تلفت تر الدنيا عرتها نفاثةٌ ** من الجن هدت قلبها والمعالما
غدت ملعباً للموت، هذا مجندل ** وهذا صريع، والجناة كلاهما!
إذا كان هذا الهول يُدعى حضارةً ** فنحن على التجديد أرسى دعائما
فيا شرق طال النوم، فانهض، فإنما ** يد الذل تجتاح الشعوب النوائما
تزود من الأخلاق إن سلاحها ** يفل حديد الظلم إن هب غاشما
تراك مهاد الأنبياء، بشطه ** تدفق نور الكون كالسيل عارما
فأشعل رماد الهامدين، وقل لهم ** هنا جذوة الماضي تثير العزائما
واصغ إلى بوق النشور، يهزه ** من النيل صداح على الأيك طالما
أتاك يناجي العيد فاهتاج قلبه ** فلم يدر أشعاراً شدا أم تمائما..

كلمة فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الشيخ إبراهيم عطا الفيومي إلى مؤتمر (صحة المرأة المصرية) بمركز القاهرة الدولي للمؤتمرات ١١ أكتوبر ٢٠٠٤

الحمد لله الذى أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وجعل أمتنا - ولله الحمد - خير أمة، وبعث فينا رسولاً منا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة.

أما بعد:

السيد الدكتور / رئيس المؤتمر.. الأفاضل الحضور، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسعدنى أن أرحب بحضراتكم فى هذا المؤتمر الهام..

وبادىء ذى بدء أود أن أشير إلى أهمية اللقاءات التى تتم بين علماء الدين والأطباء فى هذه المؤتمرات العلمية، لتبادل الفكر والمعرفة حول الأمور الطبية الفقهية، التى ظهرت فى الآونة الأخيرة، نتيجة للطفرة الكبيرة فى العلوم الطبية، والتى يحار المسلمون فى شرعيتها من ناحية، ومن ناحية أخرى لدراسة الآراء التى تصدر عن الهيئات العلمية غير الإسلامية.

أما بالنسبة لموضوع مؤتمرنا هذا (صحة المرأة المصرية) فليس بالأمر العجيب أن يعنى الإسلام بصحة المرأة، وكيف لا؟ وهى نصف المجتمع، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾

الحجرات: ١٣

فالإسلام يرى أن الأسرة هى الخلية الأولى والأساسية فى بناء المجتمع، والأسرة الصالحة الطيبة هى التى تنتج جيلاً صالحاً وذرية طيبة، ترفع شأن الأمة، وتسهم فى إسعادها.

والأسرة الفاسدة المفككة لا تنتج غير جيل ضائع، وشباب منحل، ومجتمع مضطرب ومنهار يوشك على الدمار.

ومن ثم حرص الإسلام على ضرورة اختيار الزوجة الصالحة، قال تعالى:

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

النساء: ٣٤

وجعلها خير متاع ينبغى التطلع إليه، والحرص عليه، قال ﷺ: (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة):(١)

والمجتمعات الغربية لا تضع اعتباراً لهذه المبادىء، ولذا ينخر السوس فى بنائها الاجتماعى، فينتشر الأمراض الجنسية المهلكة بين شعوبها.

وكل التقارير تفيد تدنى البناء الأخلاقى والاجتماعى فى تلك المجتمعات، وهذه مؤشرات تشير إلى كارثة اجتماعية ستحيق بهم قريبا، ويومها لا يصمد فى العالم سوى المعتصمين بحبل الله المتين المتصفين بالعفة والطهارة، والبعد عما حرم الله عز وجل، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾

الإسراء: ٣٢

لما يسببه من أمراض خلقية وبدنية واجتماعية على الرجل والمرأة، ولعل أبرزها فى عصرنا الحاضر نقص المناعة (الأيدز)، وكذا (السل والأمراض الجلدية).

ولذا كان من دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام:

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾

إبراهيم: ٤٠

وكان من صفات عباد الرحمن

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

الفرقان: ٧٤

ومنذ فجر الإسلام وهو يحارب الجاهليات القديمة للعرب واليونان والرومان وغيرهم، فى ظلمهم للمرأة، وانتهاكهم لكرامتها حين اجتاحوا حقوقها بلا اكتراث، وحين استقبل بعض العرب الأنثى بتجهم، كما أخبر سبحانه وتعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

النحل: ٥٨، ٥٩

وأدى بهم ذلك إلى وأد الطفلة عند ولادتها، وقد أنكر الإسلام عليهم ذلك واعتبره تصرفا وحشيا مستنكرا، قال تعالى:

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾

التكوير: ٨-٩

بل قدمها ربنا على الذكر فى محكم كتابه

---

(١) الترغيب والترهيب ٣/ ٤١

قال تعالى:

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾

الشورى: ٤٩

وذلك لأن الرجل متعلق بإنجاب الذكر، لأنه - حسب تفكيره - امتداد لحياته، واستمرار لإسمه، وإحياء لذكره، وكان - وما يزال - يرى أن البنت مصدر عاره، لأنها تحمله مشقة نفسية فى التربية، واقتصادية فى النفقة.

فعالج الإسلام ذلك بقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾

الأنعام: ١٥١

وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾

الإسراء: ٣١

كما قلب الإسلام الفكرة الجاهلية بأن جعل مولد البنت مولد كرامة جديدة ففى الأثر: أخرجى وأنا عون أبيك.

كذلك جعلها الله لوالدها ستراً من النار ففى الحديث الشريف: (من كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن - أى تبعاتهن ومشقاتهن - كن له ستراً من النار قيل وثنتان يا رسول الله؟ قال: وثنتان، قيل وواحدة يا رسول الله فسكت رسول الله ﷺ فى رواية، وفى رواية أخرى قال: وواحدة..).(٢)

كما جعل الإسلام الإحسان إليهن من مفاتيح الجنة، وهذا بخلاف الولد حيث يزعم أبوه أنه أخف ثقلاً وأنه مصدر عون له.

وأدق من هذا جعل النبى ﷺ والد الإناث صاحبه يوم القيامة ففى صحيح مسلم عن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (من عال جاريتين جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين - وضم أصابعه -).

وكما حافظ الإسلام على المرأة كنفس بشرية صان عرضها وحفظ كرامتها اهتم بصحتها فى أطوار حياتها المختلفة.

ومن ثم أرشدت منظمة الصحة العالمية طالبى الزواج أن يختاروا زوجات ترعرعن فى بيئة صالحة وتناسلن من نطفة انحدرت عن أصل كريم.

وقد أوصى عثمان بن أبى العاص الثقفى أولاده فى تخير النطف فقال لهم: (يا بنىَّ الناكح مغترس - زارع - فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه والعرق السوء قلما ينجب فتخيروا ولو بعد حين).

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/١٥٤

ولما سئل عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- ما حق الولد على أبيه؟ أجاب بقوله: أن ينتقى أمه ويحسن اسمه ويعلمه القرآن.

هذا وقد أوصى الإسلام بالتقارب بين الزوجين من حيث السن والمركز الاجتماعى والمستوى الثقافى والاقتصادى لأن التقارب فى هذه النواحى مما يعين على دوام العشرة، وبقاء الألفة، وقد خطب أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: إنها صغيرة، فلما خطبها علىّ زوجها إياه، ولذلك كان من شروط عقد الزواج فى الإسلام تمييز المتعاقدين فإن كان أحدهما مجنوناً أو صغيراً لا يميز فإن الزواج لا ينعقد وبلوغ الفتى يكون بالاحتلام، والفتاة بالحيض لأنها عند ذلك تطيق الجماع.

كما وزع الإسلام الأعمال توزيعاً ينتظم به شأن البيت من جهة، كما ينتظم به العمل خارجه من جهة أخرى، مع تحديد مسئولية كل من الرجل والمرأة قال تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

البقرة: ٢٢٨

فالمرأة تقوم على رعاية البيت وتدبير المنزل وتربية الأولاد وتهيئة الجو الصالح للرجل ليستريح فيه ويجد ما يذهب بعنائه، ويجدد نشاطه، بينما يسعى الرجل وينهض بالكسب ليوفر ما يحتاج إليه البيت من مال ونفقات، وبهذا التوزيع العادل يؤدى كل منهما وظائفه الطبيعية على الوجه الذى يرضاه الله ويحمده الناس، وقد قال ﷺ يوم حجة الوداع: (أيها الناس: إن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً - لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون، ولهن عليكم إطعامهن وكسوتهن).

فإذا حملت الزوجة صان الإسلام حملها حيث حرم الإسلام العدوان عليها بإسقاط حملها سواء كان بالضرب أو الإجهاض، فإذا مات الجنين بسبب الجناية على أمه عمداً أو خطأ ولم تمت أمه وجب فيه - غرة - والغرة خمسمائة درهم أو مائة شاه، وأما إذا خرج حياً ثم مات ففيه الدية كاملة.

وأما تعمد الإجهاض فقد اتفق الفقهاء على أنه حرام إذا كان بعد نفخ الروح، وهذا يكون بعد الطور السابع من الأطوار التى ذكرها الله -تعالى- فى قوله:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾

المؤمنون: ١٢

أما إذا وجد عذر للإجهاض كان قرر الأطباء المختصون أن بقاء الحمل يضر بالحامل، كان جائزاً، بل واجباً إذا توقف عليه حياة الأم عملاً بقاعدة ارتكاب أخف الضررين وأهون الشرين.

فحياة الأم أولى من حياة الجنين لأنها أصله فلا يضحى بها فى سبيل جنين لم تستقل حياته ولم تتأكد.

كذلك فإن من مظاهر حفاظ الإسلام على صحة المرأة الحامل وكذلك المرضع أن رخص لهما الإسلام فى الإفطار إن خافتا على أنفسهما وأولادهما، وعليهما الفدية ولا قضاء عليهما، وقد ورد فى الحديث الشريف: (إن الله عز وجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحبلى والمرضع الصوم)(٣).

فإذا وضعت الأم حثها الإسلام على إرضاع مولودها لأن الرضيع يجب أن يتغذى على لبن الأم وليس من حيوان، فإذا طلق رجل امرأته فلا يحق له أن ينتزع الولد منها إضراراً بها، أو تدفعه عنها لتضر أباه بتربيته، ويضاف إلى ذلك نفقة الولادة وكسوتها قال تعالى:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾

البقرة: ٢٣٣

فإذا اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة أجراً كبيراً على الرضاعة، ولم يجبها الرجل إلى ذلك أو بذل الرجل قليلاً ولم توافقه عليه، فليسترضع له غيرها بما يتناسب مع إمكاناته قال تعالى:

﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ (٦) لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

الطلاق: ٦، ٧

وإذا كان الإسلام قد حرص على أن ترضع الأم ولدها بنفسها فإن ذلك راجع إلى أن لبن الأم يمنع حدوث حالات الإسهال التى تحدث خاصة فى الجو الحار مع سوء النظافة، إذ لبن الأم لا يحدث له تلوث كالذى يحدث عند استخدام الألبان الأخرى ولأن لبن الأم به مواد تساعد على زيادة مناعة الطفل وتزيد من مقاومته للأمراض، كما أن أول رضعة من لبن الأم تعمل كطلاء لجدار الأمعاء يحميها إلى أن يتكون الجهاز المناعى للطفل، كما أن الرضاعة من الأم تنظم عملية الحمل إذ غالباً ما يمتنع الحمل أثناء فترة الرضاعة.

ومن ثم حرص الإسلام على حث الزوج على اختيار الزوجة الصالحة السليمة من الأمراض والعاهات لأنها ستكون أماً لأولاده وربة بيته، وقد قال حكيم لأولاده: «لقد أحسنت إليكم وأنتم كبار وأحسنت إليكم وأنتم صغار، وأحسنت إليكم قبل أن تدرجوا على هذه الأرض، قالوا. كيف ذلك؟ قال: أحسنت اختيار أمكم».

فإذا طعنت المرأة فى السن أمر الإسلام الزوج بالإحسان إليها وإكرام عشرتها قال ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخيارهم خيارهم لنسائهم)(٤) وجعل رسول الله ﷺ من نفسه القدوة الحسنة والأسوة الطيبة لأصحابه وأتباعه وأمته والناس أجمعين، قال ﷺ: (خيركم

(٣) سنن النسائى ١٨١/٤

(٤) سنن أبى داود ٤٦٨٢

خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى)(٥) وقال: (ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم).

فإذا طلق الرجل زوجته حمله الإسلام على ترك زوجته أثناء العدة فى بيت الزوجية ولا يحل لها أن تخرج منه ولا يحل لزوجها أن يخرجها عنه، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾

الطلاق: ١

وبالزواج والأمومة حمى الله النسل من الضياع والأسرة من التفكك والانهيار وصان المرأة عن أن تكون كلأً مباحاً لكل راتع، ووضع نواة الأسرة التى تحوطها غريزة الأمومة وترعاها عاطفة الأبوة فتنبت نباتاً حسناً وتثمر ثمارها اليانعة، وبهذا كان الزواج هو الذى ارتضاه الله -تعالى- وأبقى عليه الإسلام، وهدم كل ما عداه ليتحقق الأمن وينتشر السلام، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الروم: ٢١

ولما كان الجزاء من جنس العمل أمر الإسلام الأبناء بإكرام الأمهات، والإحسان إليهن وهن كبار كما أحسن إليهم وهم صغار، قال تعالى:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾

الرحمن: ٦٠

وقال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

لقمان: ١٤

ولعلكم تلاحظون أن الحق -سبحانه- بعد أن سرى بينهما فى الوصاية أفرد الأم بمزيد من العناية لما تكابده وتعانيه من الحمل والولادة والرضاعة، وهذا هو الإسلام، وتلك مبادئه وآدابه وأخلاقه، فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها، وما ربك بظلام للعبيد.

***

(٥) سنن الترمذى ٣٨٩٥

أثر البيئة فى سلامة الإنسان

لفضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف
رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف

خلق الله سبحانه وتعالى الكون بكل من فيه وما فيه من أرض وما حملت على ظهرها، وما حوت فى بطنها: من نبات وحيوان، ومن جبال ومعادن، ومن أنهار وبحار ومحيطات وما فيها مما نعلمه وما لا نعلمه، وما يعلو الأرض من فضاء وسماء وكواكب ونجوم ومجرات مما نراها ومالا نراها..، خلق جلت قدرته كل ذلك لخدمة الإنسان الذى فضله وكرمه على سائر مخلوقاته، يقول الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

آية ٧٠ سورة الإسراء

ومن الأقوال السائرة التى شاعت وانتشرت وأجمع الناس على صحتها: «العقل السليم فى الجسم السليم» ولأهمية العقل وجلالة قدره وجه الاهتمام إلى المحافظة على سلامته ومادامت سلامته مرتبطة ارتباطا وثيقا بسلامة الجسم وسلامة صحته، فلابد من العناية والاهتمام بسلامة المؤثرات التى تؤثر فى سلامة جسم الإنسان وسلامة صحته، ومن أهم هذه المؤثرات وأخطرها البيئة التى تحيط بالإنسان من أرض وفضاء، لذلك كانت العناية بالبيئة موضع اهتمام الدين الإسلامى.

أثر البيئة فى سلامة الإنسان

من القضايا التى أجمع الناس على الإيمان بها والتصديق بصحتها: أن البيئة تؤثر فى الإنسان تأثيرا قويا سلبا وإيجابا، فحواس الإنسان الخمس تتأثر سلبا بما يفد إليها مما تحمله البيئة من آفات وجراثيم وميكروبات تجلب عليه الأمراض والعلل على اختلاف مسمياتها وقوة تأثيرها.

وإذا كنا فى الماضى نخشى ونحذر من تلوث الأشياء التى تصل إلى جسم الإنسان عن طريق المأكل والمشرب «التلوث الغذائى» فقد اتسعت دائرة التلوث، وعمت الأخطار وتعددت منافذها، وصرنا نتوقع الأخطار من كل المنافذ لتشمل جميع حواس الإنسان، وجد اليوم ما يعرف: بالتلوث السمعى، والتلوث البصرى، والتلوث الرئوى، والتلوث الجلدى إلى غير ذلك من أنواع التلوثات التى انتشرت فى البيئة وجعلتنا نبحث عن سلامة البيئة كى يعيش الإنسان آمنا من الأخطار.

فالإنسان حين يقيم أو يسير الآن فى أى مكان فى العالم يجد أخطار البيئة تداهمه وتلاحقه، وتحيط به من كل ناحية، وتضيق عليه خناقه، وتصيبه بما لا يحمد عقباه فى جميع حواسه، وفى كل ما يستعمله.

العلاقة بين الإنسان والبيئة

إن الوضع الطبيعى يقتضى ويحتم على الإنسان أن يحافظ على البيئة، وأن يحميها من أى تلوث يصيبها، أو أى ضرر يلحق بها، وأن يرعى شئونها، وأن يعمل جاهدا على حمايتها وبقائها سليمة نظيفة كما خلقها الله للإنسان يتمتع بها ويستخدمها الاستخدام الأمثل لأنها تؤثر فيه، حتى يعيش الإنسان فى ظلها آمنا من الأخطار والأمراض والأوبئة والعلل.. غير أن الإنسان فى ظل التقدم العلمى والصناعى نسى نفسه، وأهمل المحافظة على البيئة، وأصيب بجنون سباق المؤثرات التى تلوث البيئة وتدمرها، غير عابىء بما يفعل، وغير مكترث بنتائج ما يصنع، وهو فى الواقع يدمر نفسه، ويسعى إلى حتفه بيده.

مؤثرات تلوث البيئة

لقد تعددت وتنوعت المؤثرات التى صنعها الإنسان بيده لتلوث البيئة.. غير أن أخطر وأفدح هذه المؤثرات:

الملوثات الصناعية والبترولية التى تجعل الهواء يمتلىء ببلايين الميكروبات والجراثيم.. فالمعادن التى تصهر وتبعث الدخان مليئا بشتى الأوبئة المنتشرة فى اللفائف المندفعة إلى طبقات الجو، هذه اللفائف تتجمع وتشكل حزاما قويا يواجه الناس عن طريق الشم ويولد الفطريات فى الجسم، وبمرور الأيام يفقد الإنسان مناعته، ويسقط صريع المرض المؤدى إلى فقد الحياة.

كما أن مداخن آبار البترول ومصافيه تشتعل فى الجو فتحرق الأوكسجين، وتفسد الهواء، وتصيب الناس بالأمراض الصدرية وضيق التنفس، وتسبب الكثير من أمراض الحساسية التى تؤدى إلى هلاك

الإنسان.

وتلك المبيدات الحشرية التى كان الظن بها فى أول الأمر أنها تقف عند إبادة الحشرات الضارة بالإنسان ولكن امتد تأثيرها إلى المزروعات فتغير طعمها.. وليت الأمر اقتصر على هذا التغيير فى الطعم فقد يكون ذلك أمراً محتملا، ولكن الخطر يكمن فى أنها تحمل ميكروبات مع الغذاء الذى يتناوله الإنسان تتفاعل مع الجسم، وتجد منه مناخا ومرتعا لانتشار الأمراض، وأكثر ما عرف من الأمراض الحديثة كالفشل الكلوى وتليف الكبد والسرطان يرجع إلى تأثير هذه الآفات التى صنعها الإنسان بيديه، أضف إلى ذلك أنها تتسلل من مياه المصارف والترع حين ينزح الفلاحون بقايا الماء إلى النهر فيتلوث الماء ويكون ضارا غير صالح للاستعمال الحقيقى فيصبح مصدرا من مصادر الداء.

والمصيبة العظمى تلك التجارب النووية التى تصر الدول الكبرى على مواصلة إجراءاتها، ويحمل الهواء سمومها، وتكون سحائب الغبار الكثيف الذى يطوف العالم ولا يقتصر وجوده على المكان الذى جرت فيه التجارب وانبعثت منه، لأن الرياح تحمله وتعبر به القارات إلى حيث يسبب الهلاك للآمنين الذين لا ذنب لهم ولا دخل لهم فى صنعه.

والطامة الكبرى أن الدول التى وجدت أن الأسلحة النووية تحملها عبئا ماليا كبيرا بسبب تكاليفها الباهظة اتجهت إلى إنتاج الأسلحة البيولوجية، وأخذت تكرر تجاربها بحيث أضحت وكأن هذه التجارب عمل موسمى يتكرر لابد من تنفيذه.. وقد أثبت العلماء خطرها على الإنسان إذ تصيبه إصابة مباشرة حين يستنشق سمومها الفاتكة.

لقد تدخل الإنسان بحمقه فى البيئة فغير من صنع الله، فقد خلق الله الغلاف الجوى ليحمى الإنسان من الأشعة القاتلة، وبدلا من أن يحافظ الإنسان عليه ويحميه لمصلحته اندفع بغروره إلى توالى التجارب النووية والبيولوجية، وإطلاق الصواريخ، واستعمال الغازات السامة فجعل يفتك ويهتك الغلاف الجوى شيئا فشيئا حتى عرف ما يسمى بثقب الأوزون.. وهو الثقب الذى بدأ يتسع فى هذا الغلاف الجوى ويخشى من أن تستمر التجارب، ويزداد إطلاق الصواريخ، ويكثر استعمال الغازات السامة فينفجر الأوزون وتهلك ملايين البشر.

ولا يتوقف الخطر على الإنسان وحده

بل يمتد الخطر والهلاك إلى النباتات والحيوانات فوق سطح الأرض، وإلى الأسماك والكائنات الحية فى أعماق الأنهار والبحار والمحيطات.

وقد أكد كبار العلماء أن الفضاء الكونى كان محتفظا بمقومات طاقة وجوده صالحا للمحافظة على الإنسان منذ بدء خلق الله للكون إلى أن تدخل الإنسان بحمقه فيه فأخذت طاقته تقل شيئا فشيئا حتى أحدثت نوعا من الفراغ الذى حدث، وأخذت آثاره تظهر فى تغيير مناخ الكرة الأرضية.. ومن الخطر أن يزيد هذا الفراغ فتكثر الثقوب فى الغلاف الجوى مما قد يؤدى إلى الانفجار الكونى المدمر الذى لا يبقى ولا يذر.

وقد تساعد هذه التجارب النووية على حدوث الزلازل والبراكين، وهذا يعلل - فى رأى بعض العلماء - كثرة هذه الأهوال فى الربع الأخير من القرن العشرين.. وإذا قيل إن هذه الزلازل لا تحدث فى الدول النووية التى تجرى هذه التجارب، بل تحدث فى أراضى دول أخرى لم تقم بإجراء هذه التجارب.. فإن هذا القول مردود علميا بما ثبت من تصدع طبقات الأرض فى الجهات المتقابلة للمناطق التى تجرى فيها التجارب بتأثير رد الفعل المعاكس، لأن هبوط ناحية يستدعى انفجاراً فى الناحية الأخرى، وهنا تحدث الزلازل بمعدل يفوق ما كان من قبل.

لقد ثبت أن هذه الأهوال والأخطار التى تهدد البيئة تكاثرت فى العهد الأخير بسبب صنع الإنسان نفسه، لأن التفجيرات النووية تؤدى إلى الاصطدام بالمذنبات والنيازك والشهب، وهذه الاصطدامات وإن كانت قليلة الخطر الآن فإن مواصلة تجارب التفجيرات النووية سيجعل الخطر يتزايد.. وسقوط المذنبات والشهب يحدث الدمار الحقيقى حتى ولو سقطت على رءوس الجبال.

***

العقاد يتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور/ محمد أحمد العزب

لا نستطيع بالطبع حتى أن نوجز هنا كتاب العقاد عن «عبقرية محمد» فإن المدى يتراحب بنا حينذاك إلى آفاق موغلة فى البعد وموغلة فى الاتساع.. إن قصارانا هنا أن نومئ وأن نشير، والكتاب بعد فى أيدى قرائه على امتداد العالم الإسلامى.

فى مقدمة الكتاب يتحدث العقاد عن بواعث تأليفه له.. وعن إرجاء إنجازه إلى مدى ثلاثين عاماً بعد.. ويلتفت العقاد ليؤكد أن القدر وحده هو الذى تعمد هذا الإرجاء ليضيف إلى خبرة القلم المبدع خبرة، وإلى قراءات العقل المفكر قراءات، وإلى تجارب الكاتب الطموح تجارب واستلهامات من مذاهب شتى فى الفكر والفن والحياة.

ونحس نحن مع إيقاع هذه المقدمات بدبيب المنهج التحليلى، فكل خاطرة منجزة أو مرجأة هى خاضعة هنا لتفرس ملامحها، واستنطاق مدارها الكونى، وليست من نوع ما يقال من خواطر عائمة لا تقع فى دائرة التحليل والتأويل والتعليل..

إن البواعث هنا مندفعة من منطق الذود عن عقيدة مفترى عليها، والإرجاء هنا كامن فى قدرية بصيرة لا عشوائية، وكل تحرك أو سكون قابل – من خلال هذه الدراسة – للانضواء تحت معقولية قابلة هى بدورها للانضواء تحت راية المنطق التحليلى.

وبدءاً.. لا يريد العقاد لكتابه «عبقرية محمد» أن يكون كتاباً مضافاً إلى غير مناطه الطبيعى من حركة الإبداع العربى فى كل اتجاه، إنه يؤكد منذ مطالع السطور على أن هذا الكتاب ليس سيرة نبوية جديدة لتضاف إلى رصيد السِّيَر العربية والأفرنجية، لأن الوقائع هنا غير مقصودة لذاتها، وليس الكتاب شرحاً للإسلام، أو دفاعاً عنه..

إنما الكتاب تقدير لعبقرية محمد بالمقدار الذى يدين به كل إنسان ولا يدين به المسلم وكفى.. وبالحق الذى يبث له الحب فى قلب كل إنسان وليس فى قلب كل مسلم وكفى...

فهل استطاع العقاد بهذه المقولات أن يجد لكتابه انتماءً نوعياً معيناً إلى فصيلة محددة من فصائل الفكر، أو إلى لون معين من ألوان الإبداع؟!.. أوشك أن أزعم هنا أن العقاد بهذه المقولات قد أبعد القارئ عن اختراق الحائط بينه وبين نوعية كتابه، لأن هذا الكتاب بالفعل ليس سيرة تضاف إلى كم السير، ولأن هذا الكتاب بالفعل تقدير لعبقرية محمد...

فماذا هو إذن؟.. هناك اتجاه أو مذهب أو مدرسة فى عالم الفكر والفن يطلق عليها اسم «مدرسة تقدير العبقريات»، لا أعتقد أن هناك ما يسمى بالسير وهناك ما يسمى بالتراجم.. وهناك ما يسمى بالدراسة.. وهناك ما يسمى بالتاريخ، كما ليس هناك ما يسمى بتقدير العبقريات.

من هنا يبدو أن تمهيد العقاد أو محاولة البحث لكتابه عن انتماء لم يكن موفقاً بالقدر الذى أراد له والذى كنا نريد.. وإن كانت هذه الوضعية تلقى علينا تبعة أن نبحث نحن لكتابه عن انتماء حتى لا يبقى ضائعاً، فلا هو سيرة، ولا هو ترجمة ولا هو دراسة، ولا هو تاريخ.

إن الكتاب – فى رأيى وقد أكون مخطئاً – ترجمة لمحمد – ﷺ – وترجمة من هذا اللون الذى اتبع فيه العقاد عناصر المنهج التحليلى الغائر أبداً فى كل ما وراء السطور والحوادث والأشياء.. والرابط بين مقدمات كل شيء ونتائجه بلا تخلف.. والخارج من كل أولئك بنظرية إن لم يصغها قوانين ومبادئ وحيثيات، فقد صاغها أسلوب بحث، وطريقة عرض ومنحى رؤية، ومنهج تحليل.. دليلى على ذلك أن هذه الترجمة التحليلية الرائعة تستقطب بالفعل كل أبعاد التراجم الأخرى وتتجاوز منها ما لا يلائم طبيعتها كترجمة تحليلية..

فحياة المترجم له مرصودة فى هذه الترجمة أو تكاد..

والشخوص[1] الذين أثر فيهم المترجم له أو تأثر بهم، وعاش معهم أو عاشوا معه، وشاركهم خطوب حياتهم وأفراحهم أو شاركوه هم خطوب حياته وأفراحها موجودة فى هذه الترجمة أو تكاد..

وتطور منهج الحياة للمترجم له وانحناء هذا الخط الصاعد أو اندفاعه موجود فى هذه الترجمة أو تكاد...

هذه هى استقصاءات هذا اللون من التراجم التحليلية، إلى جانب إسقاطها الدائم والمستمر من منظور تحليلى على كل ما استوعبته من وقائع على تعدد هذه الوقائع، وشخوص على اختلاف أولئك الشخوص، وتطور على تغاير هذا التطور.. ولكن هذا اللون من التراجم التحليلية تجاوز كذلك قيمة الوقوف عند الكم الكلى لوقائع الحياة..

بمعنى أن كل حادثة من الحوادث لا تعنيه إلا بمقدار ما توحى وتشع وتعكس عالم الداخل للمترجم له.. لا يهم أن تكون هذه الحادثة ضخمة

(١) المجلة: بعض هذه الشخوص فقط كما هو واضح جلى.

الحجم أو ضامرة.. إن ما تشعه وحده هو الذى يستقطب اهتمام كاتب التراجم التحليلية، وهو ما استقطب بالفعل كل اهتمام العقاد..

فإذا انتهينا إلى هذه الحقيقة النقدية.. حقيقة أن هذا اللون من ألوان الكتابة الفكرية والفنية جميعاً ينتمى إلى عالم «التراجم التحليلية» ولا ينتمى كما حاول العقاد أن يقول إلى عالم «التقدير» التى بلا تحديد.. استطعنا بعد أن نعثر على أرضية تتحرك فوقها خطواتنا الواثقة، وأن نسير فى اتجاه الضوء وليس فى مفارق كل الاتجاهات..

إنها ترجمة بما هى مستقطبة للحياة، والشخوص.. والتطور..

وهى تحليلية، بما هى رافضة من كل أولئك غير الموحى والعاكس والمشع، وبما هى محركة كل ما احتازته فى اتجاه الخضوع الشمولى لمنطق المقدمة والنتيجة أو الباعث والفعل، أو الشىء ونقيضه...

لا يهم أن تفضى المقدمة هنا إلى نتيجة إيجابية أو سلبية، لا يهم أن يفضى الباعث إلى الفعل أو غيره، لا يهم كذلك أن يفضى الشىء إلى نقيضه أو إلى أى شىء.. المهم أن هذا الجدل الهائل هو ما يحرك كل المقدمات والبواعث والأشياء، وهو هو ما يحرك كذلك كل النتائج والأفعال والنقائض..

فإذا كانت طفولة محمد ـ مثلاً ـ طفولة وادعة يتيمة مائلة للاعتزال.. فإن هذه المقدمات لا تفرض بالضرورة أن يكون محمد الرجل هارباً.. أو خانعا أو خوارا.. أو مائلاً للتفلسف المريض.. على النقيض، فقد خرج محمد الرجل ليحمل سيفه وكتابه.. مقاتلا على كل ثغر وداعيا فى كل مناط.. وضارباً عنق الخرافة والتفلسف الكاذب بسيف من نظره اليقينى فى مجال الرؤى والأشياء!!..



العقاد

ويؤكد العقاد على المنحى التحليلى حين يتحدر فى حديثه عن علامات المولد النبوى من العام إلى الخاص.. فقد بدأ حديثه عن علامات «العالم» الذى ولد فيه النبى ـ ﷺ ـ ثم عن «الأمة» فى هذا العالم، ثم عن القبيلة، فى هذه الأمة، ثم عن «البيت» فى هذه القبيلة، ثم عن «الأب» فى هذا البيت، ثم عن «الرجل» الحلم فى كل هذه الأبعاد..

والعقاد لا يتحدث عن العالم مؤرخاً، ولا عن الأمة موثقاً، ولا عن القبيلة ناسبا، ولا عن البيت معددا، ولا عن الأب عاطفا، ولا عن الرجل مفتونا.. إنه يتحدث عن أولئك من منطق نقدى على مستوى القبول والرفض، فالعالم كان عالما متآكلاً وفاقدا لتوازنه.. والأمة كانت أمة تتحسس طريقها إلى الغد.. والقبيلة كانت قبيلة مائلة إلى البوار.. والبيت كان بيتا جليلاً وإن كان فقيراً، والأب كان رجلاً من معدن الشهداء.. والرجل كان يحمل فى عينيه أحزان العالم وأفراح النبوة!!..

إن هذه الأحكام التى يوردها العقاد لا يطلقها هكذا عارية من التدليل والتحليل، إنها تنهض ـ جميعاً ـ على ركائز من الفهم لطبيعة العالم الموضوع كقوى متشابكة تحكمها صراعات معينة.. فى الأمة كوحدة مستقلة من ناحية ومنتمية إلى هذا العالم من ناحية ثانية.. ولنوعية القبيلة من حيث هى مناط صراع الأغنياء والفقراء،

وحقيقة البيت من حيث هو وضعية جليلة، أثلتها عراقة الأرومة، ولم يؤثلها تراكم المال.. ولسمت الأب كواحد من الرجال الذين لهم عمر الشهب ونفاذ الشموس.. ولهوية الرجل كناقل للتاريخ من مناطه الهابط إلى مناطه الصاعد، وكموجه لكل الكون فى وجهه الأكمل والأشمل شكلا ومضمونا!!

ويمضى العقاد فى إطار منهجه التحليلى وتحت عنوان: «بشائر الرسالة» يعلل ويرفض، فليست العلامات المزعومة يوم المولد النبوى تعنيه أو تستوقفه، فوقتها لم يعرف أحد مغزاها أو مؤداها، وليس من أصاخوا إلى الرسالة كانوا من شهود هذه العلامات، وليس محمد ـ ﷺ ـ هو الطفل الوحيد الذى ولد فى هذا اليوم، فإذا جاز لمؤمن أن ينسب خارقة من هذه الخوارق إلى مولد محمد ـ ﷺ ـ فقد يجوز لمكابر أن ينسبها إلى مولد سواه بلا ترجيح.. إن الاتكاء الحقيقى هنا ينبغى أن يؤسس على علامتين هما من خصائص حركة الأشياء: علامة الكون.. وعلامة التاريخ!!

وتعبر فصول الكتاب عن: «عبقرية الداعى» و«عبقرية محمد العسكرية» و«عبقرية محمد السياسية» و«عبقرية محمد الإدارية» و«محمد البليغ» و«محمد الصديق» و«محمد الرئيس» و«محمد الزوج» و«محمد الأب» و«محمد السيد» و«محمد العابد» و«محمد الرجل» و«محمد فى التاريخ».. فلا نواجه من كل أولئك سردا أو ما يشبه السرد، وإنما نواجه منهجا تحليليا متوهجا فى كل هذه الفصول، لا يرضى بغير أن يؤسس عبقرية الداعى على ركائز مؤهلة لتكوين داعية بلا أنداد.. أو يؤسس عبقرية السياسى على مكونات تنفى كل مظنة لإمكانية مقارنته بمن سواه.. وهكذا.. وهكذا.. مما لا يمكن الاستطراد معه، فإن الاستطراد يخرج بهذه السطور عن طبيعة ما وجهت إليه.

وإذا شئنا مزيداً من التحديد فى اقتناص الملامح العامة للمنهج التحليلى فى عبقرية محمد.. فقد نستطيع أن نجد هنا بعضا من الملامح، مما يؤكد حتمية أن هذه التراجم مجتمعة تتكامل وتتساند.. وتنتمى بالضرورة إلى عالم التراجم التحليلية، ولا تنتمى إلى سواه...

فالإصرار على تقصى السلائق النفسية، واستقصاء الملكات الشخصية.. والدخول الباحث إلى ممالك الذات بلا فكاك..

ورفض التعويل على الخوارق واعتماد الفعل والباعث فى تعليل الظواهر ودراسة الشخصية والمقارنات التى لا تكل بين المترجم له وبين أنداده من الغابرين والمعاصرين..

وتقدير العبقرية من منظور يؤكد بأنها خالقة لقوى التطور الفاعل، والبحث عن مواءمة الفعل التاريخى لطبيعة الأشياء ورسم الشخصية من خلال استقصاء كل ملامحها المادية والنفسية، ثم من خلال رؤية الكاتب الذاتية لا من خلال رؤية الآخرين...

كل أولئك يؤكد أن العقاد كان يعرف طريقه جيدا إلى كتابة هذا اللون من التراجم التحليلية، ويؤكد أن المنهج التحليلى ليس عشوائية ضاربة على كل مدار، وإنما هى فلسفة مسبقة يدخل بها الكاتب من منطق الوعى إلى عالم الإبداع.. نازفاً حبره ودمه!!..

وهكذا كان العقاد فى كل ما يبدع من مؤلفات.



هكذا تفعل الأقلية المسلمة في بلاد غير مسلمة

(٢)

للأستاذ الدكتور/ محمود عمارة

قيمة التوكل

يقول عز وجل:

﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(القصص/ ١٣)

وتأمل ضمير العظمة في ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ ﴾ لأن أحداً لم يكن يتصور أن يعود إلى أمه. ولكن قدرة العظيم ردته إليها.. رغم أنف الطغاة، إن فرعون ـ وإن كان قد علا في الأرض ـ كل الأرض.. إلا أن النتائج تأتى على غير مايشتهى الطغاة!

وأثناء ذلك.. ومع الأحداث المتلاحقة.. كانت تتخلق قيمة التوكل على الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذلك بأن الحقائق الدينية لا تستقر بالتلقين.. وإنما بالأحداث.

ويبقى على الدعاة اليوم أن يفهموا الدرس، إن الأجدر بهم ـ إذا كانوا في بلاد غير إسلامية ـ أن يعوا هذه الدروس.. ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به.. لكان أجدى لهم وللدعوة معا.. وفي بلاد لا تروج فيها بضاعة النصوص والمتون.. بقدر ما تروج فيها الحيلة التي تدور بها حول المدعوين.. ولا تواجههم بما يكرهون.

وإلا.. فإن الرياح لن تأتى بما يشتهى السفين، لقد وقف أحد الأئمة هناك.. محاولا تجديد الخطاب الديني كما يريدون.. فلما قال الحق متحديا فصلوه من عمله!

لقد اعتبروا قوله تدخلا في حياتهم الخاصة.. ومما زاد من ضراوة هذه المعركة، أن هؤلاء الناس.. مرتبطون بآبائهم، مقتنعون بآرائهم.. حتى ولو كانت مجافية للصواب.. بل مناقضة له، يفهم ذلك من قوله عز وجل:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

البقرة/ ١٧٠

إنه التمسك بالقديم: فقط لأنه قديم.. لأنهم «ألفوه» ومردوا عليه.. ولا يريد الفرد هناك أن يُعمل عقله: أن يستخرجه من «شرنقته» ليقول رأيه في ميراث هؤلاء الآباء والأجداد.. فلعل الخير في هذا الجديد الذي يدعى إليه.

كيف نحاور هؤلاء

ونذكر هنا قوله عز وجل:

﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾

الشعراء/ ١٥١ـ١٥٢

إن الأرض كما خلقها ربها عز وجل صالحة.. وهؤلاء المسرفون.. يفسدونها بتدخلهم فيها وكذلك فعل هؤلاء المسرفون.. وكذلك يفعل الملحدون اليوم والسبيل إلى إفحام هؤلاء الجاحدين.. قد لا يجدى معه البرهان.. فهم شطار في معارك الجدل، ولا تنفع معهم الموعظة.. فليست لهم قلوب تعتبر، وإذا كانت لهم قلوب، فهم لا يشعرون بها إنما السبيل إلى إفحام هؤلاء هو: الجلاد.. وليس الجدال.. الجلاد: لا بالسيف.. ولكن بالمواقف التي تكون أبلغ من الكلام.. مهما تكن بلاغة هذا الكلام.

يقول أحد الباحثين:

[الفنانة الفرنسية «بريجيت باردو» أدانها القضاء الفرنسي مؤخرا، بغرامة قدرها ٥ آلاف يورو، لما نشرته في كتابها «صرخة الصمت» من أفكار مغلوطة عن الإسلام، زاعمة أن المسلمين غزاة متوحشون، وهي بذلك تعزف على الوتر الذي يستخدمه كل أولئك الغلاة في الغرب مدعين على الإسلام ـ كذبا ـ أنه العدو الذي يهدد حضارتهم! وقبل أن نلوم «باردو» لافتراءاتها على ديننا

الحنيف، نلوم أنفسنا أولا لتقصيرنا في التوجه إلى هؤلاء الذين يعيشون تحت تأثير حملة شرسة اشتد سعارها على الإسلام بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، مستثمرين تهيؤ المناخ النفسى لمواطنى الغرب وإقبالهم للتعرف على الدين الإسلامى. ونمد أيدينا بقوة إلى المنصفين من أبناء الغرب الذين فهموا صحيح الدين بموضوعية دون تزييف، فهذا هو «فريتس شتيبات» المستشرق الألمانى الذى اتحفنا بكتابة «الإسلام شريكا» وقدمه للعربية مترجما د. عبدالغفار مكاوى باسلوب أدبى راق.

وفيه دعا الغرب لاتخاذ الإسلام شريكا في صنع الحضارة الإنسانية، لا عدوا أو متصادما كما يدعى هنتنجتون في كتابه «صدام الحضارات» بل امتد إنصاف هذا المستشرق الألمانى بأن حمل الغرب مسئولية العنف في الشرق، لما يشعر به المسلمون من ظلم لاتباع سياسة المعايير المزدوجة، التى أضرت بمصالحهم كثيرا، ولعل أبرزها الآن قضية الشعب الفلسطينى المنهوب مستقبله.

ويبقى أن يعاود الأزهر، اضطلاعه بدوره التاريخى كدرع واقية للإسلام في مواجهة الحملات التى تنال منه، باعتباره مؤسسة التنوير الأولى في العالم الإسلامى]. أ. هـ

الأمل المرتقب

وقد تتقاصر هممنا عن تحقيق أمانينا.. ولكن.. فلنحلم بذلك.. إلى أن نلتقى، وأحيانا يكون الأمر على ما قال الشاعر:

وأعيش في دنيا الخيال لأننى
أحظى بها.. بالغائب المفقود

من دروس الموقف

يقول صاحب «التحرير والتنوير»:

وموضع العبرة من هذه القصة أنها تتضمن أمورا ذات شأن فيها ذكرى للمؤمنين وموعظة للمشركين.

فأول ذلك وأعظمه: إظهار أن ما علمه الله وقدره هو كائن لا محالة كما دل عليه قوله:

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

(القصص/ ٥)

وإن الحذر لا ينجى من القدر.

وثانيه: إظهار أن العلوّ الحق لله تعالى وللمؤمنين وأن علو فرعون لم يغن عنه شيئا في دفع عواقب الجبروت والفساد ليكون ذلك عبرة لجبابرة المشركين من أهل مكة.

وثالثه: أن تمهيد القصة بعلوّ فرعون وفساد أعماله مشير إلى أن ذلك هو سبب الانتقام منه والأخذ بناصر المستضعفين ليحذر الجبابرة سوء عاقبة ظلمهم وليرجو الصابرون على الظلم أن تكون العاقبة لهم.

ورابعه: الإشارة إلى حكمة:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

(البقرة/ ٢١٦)

في جانب بنى إسرائيل:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾

(البقرة/ ٢١٦)

في جانب فرعون إذ كانوا فرحين باستخدام بنى إسرائيل وتدبير قطع نسلهم.

وخامسه: أن إصابة قوم فرعون بغتة من قبل من أملوا منه النفع أشدّ عبرة للمعتبر وأوقع حسرة على المستبصر، وأدل على أن انتقام الله يكون أعظم من انتقام العدوّ كما قال:

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾

(القصص/ ٨)

مع قوله:

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾

(القصص/ ٩)

وسادسه: أنه لا يجوز بحكم التعقل أن تستأصل أمة كاملة لتوقع مفسد فيها لعدم التوازن بين المفسدتين، ولأن الإحاطة بأفراد أمة كاملة متعذرة فلا يكون المتوقع فساده إلا في الجانب المغفول عنه من الأفراد فتحصل مفسدتان هما أخذ البرىء وانفلات المجرم.

وسابعه: تعليم أن الله بالغ أمره بتهيئة الأسباب المفضية إليه ولو شاء الله لأهلك فرعون ومن معه بحادث سماوى ولما قدر لإهلاكهم هذه الصورة المرتبة ولأنجى موسى وبنى إسرائيل إنجاء أسرع ولكنه أراد أن يحصل ذلك بمشاهدة تنقلات الأحوال ابتداء من إلقاء موسى في اليم إلى أن ردّه إلى أمه فتكون في ذلك عبرة للمشركين الذين:

﴿ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(الأنفال/ ٣٢)

وليتوسموا من بوارق ظهور النبى محمد ﷺ وانتقال أحوال دعوته في مدارج القوة أن ما وعدهم به واقع.

وثامنه: العبرة بأن وجود الصالحين من بين المفسدين يخفف من لأواء فساد المفسدين فإن وجود امرأة فرعون كان سببا في صدّ فرعون عن قتل الطفل مع أنه تحقق أنه إسرائيلى فقالت امرأته:

﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾

(القصص/ ٩)

كما قدمنا تفسيره.

وتاسعه: ما في قوله:

﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾

(القصص/ ١٣)

من الإيماء إلى تذكير المؤمنين بأن نصرهم حاصل بعد حين، ووعيد المشركين بأن وعيدهم لا مفرّ لهم منه.

وعاشره: ما في قوله:

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

القصص/ ١٣

من الإشارة إلى أن المرء يُؤتى من جهله النظر في أدلة العقل.

ولما في هذه القصة من العبر اكتفى مصعب بن الزبير بطالعها عن الخطبة التي حقه أن يخطب بها في الناس حين حلوله بالعراق من قبل أخيه عبدالله بن الزبير مكتفيا بالإشارة مع التلاوة فقال:

﴿ طسم ① تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ② نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ③ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾

القصص ١-٤

(وأشار إلى جهة الشام يريد عبدالملك بن مروان)

﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ④ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ﴾

القصص/ ٤، ٥

(وأشار بيده نحو الحجاز، يعني أخاه عبدالله بن الزبير وأنصاره)

﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ⑤ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا ﴾

(وأشار إلى العراق يعني الحجاج)

﴿ مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾

(القصص/ ٥، ٦)

عود على بدء

عدت على بدء متأملا قوله تعالي:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾

(القصص/ ٧)

وقلت: إن القضية هنا هي قضية تحقيق مراد الله - تعالي - بإنقاذ موسي.. ليكون الموقف في النهاية: منحة للمظلوم ومحنة للظالم.. وإذا كان الأمر كذلك.. فما صلة الأمر بالإرضاع هنا.. قبل الأمر بالإلقاء في اليم؟؟.

قالت نفسي: لعل ذلك إشارة إلي وسيلة من وسائل الدعوة المتاحة في بلاد لا تؤمن بالإسلام، ففي الرضاعة الطبيعية أسرار.. ربما حملت غير المسلمين علي الدخول في دين الله أفواجا متأثرين بما أثبتته التجارب عندهم.

وتذكرت ما أشار إليه «ابن كثير» رحمه الله من ضرورة قيام الأم بإرضاع وليدها وبخاصة في الأسبوع الأول مما يسمي «اللبأ» أو «لبن المسمار»، وهو الأمر الذي أثبتت التحاليل المعملية هناك صدقه، وما يفرضه ذلك من انتهاز هذه الفرصة لإفحامهم.

وقد أسعدني أن أقرأ كتيب «الإعجاز العلمي في الرضاعة»[1].. والذي أنقل منه ما يجلي الموقف تماما.

ولعله من المهم جدا ملاحظة أن أمر الإرضاع الوجوبي أتي قبل أمر الإلقاء في اليم الذي هو معلق علي شرط، ولعل ذلك يقودنا إلي التفكر في المغزي الكامن خلف ترتيب الأمرين: الإرضاع أولا ثم الإلقاء والتخلي ثانيا.. ولعله علي ضوء معارفنا الحديثة نستطيع أن ندرك أهمية تلك الإشارة القرآنية العلمية كما يلي:

١- الترتيب الإلهي:

هو أن يلتقط آل فرعون الرضيع «موسي»، وأن تتمسك به امرأة فرعون وتأمل في اتخاذه ولدا، ولكن هذا الرضيع يأبي كل المراضع حتي تعيي الحيل حاشية الفرعون، فيلجأون لأم موسي الحقيقية، تلك التي يقبل منها موسي وحدها الرضاعة، وهكذا يلتئم الشمل، ويعود الصغير لأحضان أمه تحقيقا للوعد الإلهي، من هنا ندرك أهمية أن يتذوق هذا الرضيع مبدئيا طعم لبن أمه، حيث إن للبن كل كائن حي تركيب خاص، بل وجد حتي أن هذا التركيب لا يختلف بين امرأة وأخري وحسب، بل يختلف في المرأة الواحدة طبقا لظروف متعددة مثل التوقيت اليومي، ونوعية الأغذية التي تتناولها، وبعض المركبات الكيماوية التي تدخل جسمها وتفرز في اللبن، وحالتها النفسية.. إلخ، إذا فمن المحتمل جدا أن الرضيع موسي، عندما تذوق لبن أمه اكتسب طعما ما وتمسك به، كما نري حاليا الأطفال في أقسام الولادة، إذا تم إطعامهم أولا بالرضعات الصناعية، فإنهم سيرفضون لبن الأم الطبيعي فيما بعد، ومن هنا أصبح إرضاع الأطفال صناعيا بعد الولادة مباشرة أمرا محظورا طبيا، بل إنه علي الصغير أن يبدأ تغذيته مع الرضاعة الطبيعية من ثدي الأم كلما أمكن.

إذا فالصغير «موسي» الذي لم يكن يدرك ما حوله حينذاك، تمسك بطعم معين وجده في لبن أمه ولم يقبل بغيره، خاصة إذا تذكرنا أن تلك الأم كانت في فترة الإرضاع الأولي التي يدر فيها الثدي سائلا مختلفا في التركيب والطعم عن اللبن المعتاد، وهذا السائل يسمي «لبن السرسوب» أو لبن المسمار، وعلي هذا فإن الأمر الإلهي بالإرضاع أولا، قبل الإلقاء والفراق، قد حقق للصغير التصاقا غريزيا بأمه، وجعل من المستحيل عليه أن يقبل بأي طعم آخر لأي لبن آخر، أي أن طعم اللبن الذي اكتسبه من الرضاعة من الأم حسب الأمر الإلهي، كان هو الرسالة

(1) للدكتورين العالمين: أحمد شوقي إبراهيم و«إسلام الشيرازي»

السرية التي حفظت في الذاكرة الغريزية لهذا الوليد ليتحقق الوعد الإلهي باجتماع الشمل.

٢- تدلنا الآيات القرآنية المحيطة بتلك القصة أن الأم كانت في حالة هلع علي وليدها من القتل حتي كاد فؤادها أن يقع هلعا ورعبا، وتلك الأحوال النفسية السيئة قادرة في حد ذاتها علي إيقاف إدرار اللبن من ثدي الأم. فما بالك لو لم يكن الرضيع قد رضع منها أولا «حيث إن الرضاعة هي أهم محفز لإدرار اللبن من الثدي»، إذا فعندما رضع موسي ثدي أمه، قام بتنشيط الجهاز العصبي الهرموني الموجود بمهاد المخ والغدة النخامية والمسئول عن إفراز اللبن من ثدي الأم، وعلي هذا استمر إدرار اللبن من ثدي أم موسي، وتلك الاستمرارية كانت هي المحور الرئيسي الذي ارتكزت عليه صلاحيتها كمرضع فيما بعد، وبالتالي اجتماع شملها بصغيرها، ولا يجب أن ننسي أنه ثبت حديثا أن التصاق الوليد بجسد أمه بعد الولادة مباشرة، وفي أثناء الرضاعة، هي من أقوي العوامل المهدئة لنفسية الأم، بل ولآلامها الجسدية.

وعلي هذا كانت عملية الإرضاع الأولي ذاتها سببا رئيسيا في نجاح الخطة كلها، وحققت أهدافا للرضيع من حيث اكتساب طعم ما مميز للبن الأم، وأيضا حققت له الإشباع في فترة تحريمه علي المراضع، كما أفادت الأم نفسيا وجسديا من حيث استمرار إدرار اللبن والذي كان هو العامل الذي أرجع وليدها إليها، إذا فالأمر الإلهي:

﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾

لا ينبغي أن يمر علينا ببساطة عند تلاوة الآية الكريمة.

وسبحان الله العظيم

***

مرتكزات الخطاب الإسلامي

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا

إن دعاة التنوير الإسلامي مطالبون بتكثيف جهودهم من أجل التعريف الصحيح بحقائق الدين الإسلامي الحنيف وتنقيتها مما يعلق بها من شوائب أو يلصق بها من دعاوى وافتراءات ليست من الدين في شئ، وهذا أمر مطلوب بإلحاح، أولا لتبصير المسلمين أنفسهم بحقائق دينهم، وتعميق إيمانهم بالخالق الواحد -سبحانه وتعالى- على هدى وبصيرة، وشحذ هممهم واستنهاض عزائمهم نحو فهم الإسلام- إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة- فهما صحيحا يساعدهم على تغيير حياتهم إلى الأفضل دائما، ويمكنهم من نشر لواء الإسلام فى كل ربوع الأرض باعتباره منهجا ربانيا متكاملا يحمل للناس كل مافيه سعادتهم وفلاحهم فى الدنيا والآخرة.

أيضا، هذا الأمر مطلوب بإلحاح ثانيا لترشيد الخطاب الموجه إلى «الآخر» الذى دأب على مهاجمة الإسلام ومصادره، ولم يكف عن محاولات التهوين من دوره فى تشييد صرح الحضارة الإنسانية، هذه المحاولات التى تتخذ أشكالا مختلفة، وأساليب متنوعة، منذ ظهور الاستشراق الذى كان فى الأغلب- ولا يزال- يعمل من أجل أن يحول بين العقل الغربى وبين معرفة حقائق الإسلام، وأن يوفر المناخ الفكرى الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على بلاد العالم الإسلامى.

وقد زاد من ضراوة هذه الحملات المسعورة على الإسلام والمسلمين فى السنوات الأخيرة ماوفرته تقنيات الاتصال والمعلومات من منافذ لإثارة العديد من الشبهات ضد الإسلام وحضارته، بتأويل نصوصه المقدسة، والبحث عن كل مايدعم مزاعمهم من أحداث شاذة لايقاس عليها وليس لها صفة العموم فى التاريخ الإسلامى. وهذا ماتفعله حاليا بعض المنظمات المشبوهة

التى تحاول من خلال الشبكة الدولية «الإنترنت»، تشويه صورة الإسلام، وتحريف آيات القرآن الكريم، وتلفيق أقوال مكذوبة على لسان النبى الأمى العربى الصادق الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ومثل هذه الأفعال المشينة والمتعمدة تتنافى مع كل الأعراف والمواثيق الدولية التى تؤكد ضرورة احترام المعتقدات وعدم المساس بالمقدسات.

من هنا فإن الخطاب الإسلامى فى هذه المرحلة التى نعيشها ينبغى أن يقوم على توضيح عدة مرتكزات أساسية نجملها فيما يلى:

أولا: تأسيس اليقين الإيمانى:

يرى كثير من الباحثين المتخصصين فى دراسة الأديان أن الدين الصحيح الذى أوحى الله به للمصطفين من الأنبياء والرسل لهداية الناس إلى الصراط المستقيم هو دين واحد فى أصله وجوهره المبنى على عقيدة التوحيد الخالص لله- سبحانه وتعالى- القائل فى محكم التنزيل:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

«سورة الشورى: ١٣»

والقائل:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾

«سورة الأنبياء: ٢٥»

كما أن الدين الصحيح مفطور فى كينونة الإنسان، أودعه الله فيه منذ أن خلقه

﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

«سورة الروم: ٣٠»

وترجع المعرفة الفطرية للإنسان بخالقه إلى الميثاق، أو العهد، الذى أخذه الله- تعالى- على بنى آدم وهم فى مرحلة «الذر» مصداقاً لقوله جل شانه:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾

«سورة الأعراف: ١٧٢»

وجوهر الدين المنزل هو الإيمان بوجود الله الواحد الحق، الذى خلق الإنسان وعين له مكانا بين الموجودات، وبين له رسالته الخاصة التى يؤديها فى الأرض، ويسأل عنها يوم الحساب، وحمله أمانة الاستخلاف بترقية الحياة، وإشاعة الخير والسلام والعمل على إظهار عظمة الخالق وقدرته عن طريق الانتفاع الإيجابى بكل المخلوقات التى سخرها الله فى هذا الكون لخدمة الإنسان، ويتجلى هذا الجوهر فى

بعض معانى قوله تعالى:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

«سورة هود: ٦١»

أى جعلكم عماراً تعمرونها وتسكنون بها وتطورون.

ومن يدرس تاريخ التدين وأنواع الديانات، وينظر فى الدين وكما صنعه البشر أو تخيلوه، وكذلك من يتأمل مفهوم الألوهية كما تصورته الشعوب، وكما تصوره الفلاسفة قديما وحديثا، يدرك بسهولة عظم الفضل الإلهى على بنى آدم بمجئ التعليم الإلهى الذى عرفهم بجوهر الدين، وهو الإيمان بالله واتباع هداه، وصحح لهم أصول المعرفة وأعطاهم النظرة الشاملة لكل ما يحتاجون إليه، وكيف كان يتسنى لهم معرفة الحقائق الكبرى فى الوجود، وهم مقيدون بانطباعات وتصورات ذهنية قاصرة؟، يقول الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

«سورة النساء: ١١٣»

وعلى ذلك فإن الرسالات الإلهية التى أوحى الله بها للأنبياء والمرسلين قد توالت لتصحيح الانحرافات التى وقعت من وقت لآخر فى تاريخ البشرية، ولتطهير الدين من مظاهر الوثنية والانحراف، التى كانت تطرأ عندما توشك رسالة أن تسلم الراية لغيرها.

وعندما جاءت الرسالات السماوية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، واجهت الفكر البشرى بقضية لازمة لاجدال فيها، وهى أن ماجاء به الوحى فى الكتب المنزلة هو القول الفصل فى كل ماعرض له من شئون الكون والحياة، كل حسب حاجة البشر إليه عند تنزيله ولكن هذا لايمنع العقل من أن يفكر ويبحث لأنه سوف يتوصل فى النهاية الى أن الحق هو ما أخبر الله به فى كتبه المنزلة، ولذلك نشأت قضية التوفيق بين العقل والنقل، أو بين التفكير والوحى، أو بين الفلسفة والعلم والدين، وكان الإسلام الحنيف هو الدين الخاتم الذى أرسله الله على رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم ليقود حركة الإنسانية كلها ويحقق الانسجام لجميع أنواع البلبلة التى وقعت فيها الديانات المحرفة والفلسفات الخابطة فى الظلام.

ثانيا: استدعاء النموذج الرائد للحضارة الإسلامية:

قد يكون من المهم فى هذه المرحلة أن يستدعى الخطاب الإسلامى النموذج الرائد لمعادلة التفاعل الحضارى بين شعوب الأرض وثقافاتها، أخذا وعطاء، مع الاحتفاظ بالتمايز والخصوصيات، وذلك باعتماد المرجعية الإسلامية التى

حددت بجلاء، ووضوح قيمة الوسط العدل بين المتقابلات دون إفراط أو تفريط كأساس لتحقيق التوازن بين البشر على مستوى الفرد والمجتمع، ومن ثم تحقيق العدل وإشاعة الخير والأمان، والوقوف على طبيعة الأشياء بين الثبات والتطور.

من أمثلة التوفيق بين المتقابلات ماقدمته المرجعية الإسلامية في القرآن والسنة من تحديد واضح للعلاقة الجدلية بين «التعارف» و«التدافع» كمفهومين متلازمين ومتقابلين:

أما «التعارف» فإنه يقوم على التبادل الإيجابي الذي يحقق التكامل والتواصل والنفع المشترك، ومن ثم يكفل اطراد مسيرة العمران والتقدم الحضاري. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

«سورة الحجرات: ١٣»

ولايخفى ماتوضحه هذه الآية الكريمة من «التعارف» الذي أوضحته المرجعية الإسلامية يستند إلى سنة التعددية ومبدأ الإخاء البشري العام بين عباد الله جميعا، لا بين العرب وحدهم ولابين المسلمين وحدهم، فالجامع المشترك بين الجميع، والموحد بين أجناسهم وألوانهم وطبقاتهم، هو العبودية لله تعالى، بالإضافة إلى البنوة الواحدة المشتركة لأب واحد وأم واحدة، وإلى الرحم الواصلة التي ضمتهم، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

«سورة النساء: ١»

وأما «التدافع» فقد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾

«سورة البقرة: ٢٥١»

والمعنى أن الله -سبحانه وتعالى- يسلط جنوده على المفسدين نحو فسادهم، ويسلط الأشرار بعضهم على بعض، ويسخر للحق أعوانا ينصرونه ويدفعون عنه طغيان الظالمين، ولولا هذا ماعمرت الأرض، ولساد الباطل وتمادى الطغاة في طغيانهم، ولم يتركوا للنصارى كنائس، ولا لرهبانهم صوامع، ولا لليهود معابد ولا للمسلمين مساجد يذكر فيها اسم الله ذكرا كثيرا، وأوضح الحق جل وعلا شرط هذا التدافع وأسلوبه أن يكون بالتي هي أحسن لإعادة التوازن وإصلاح الخلل في العلاقة بين البشر، فقال سبحانه:

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾

«سورة فصلت: ٣٤»

ثالثا: اعتماد المنهج العلمي أسلوبا للحوار:

من المهم أيضا في هذه المرحلة أن يتم التركيز على «المشترك الإنساني» بين المسلمين وغيرهم باعتماد الأسلوب العلمي في التعامل والحوار، باعتباره الأقرب والأجدى عقليا ومنطقيا، خاصة وأن الإسلام قد أعلى من قدر العلم وحض على طلبه والإفادة منه لإشاعة الخير والسلام في الأرض، ودعا الى إعمال العقل فيما هو من مجاله، كما حذر في الوقت نفسه من معوقات التفكير العلمي عندما يرث العقل عن الآباء والأجداد عقيدة لاعقل فيها، أو يقتدى المرء اقتداء أعمى لأصحاب السلطة الدينية أو الدنيوية، أو يتورط بالاستناد الى ألفاظ اللغة وأوهامها دون دراية بفقهها، أو ينقاد وراء خرافات شائعة ومقولات مضللة.

وينبغي في كل الأحوال ألا يغيب عن الأذهان أهمية البعد العلمي ودوره المحوري في دعم مرتكزات الخطاب الإسلامي وتعميق أثره في المسلمين وغيرهم، انطلاقا من الاعتقاد الراسخ لدى الجميع بأن الأمن العلمي والتقني أصبح- وسيظل- عنصرا حاكما في كل أشكال الحوار، وبالنسبة لنا في عالمنا العربي والإسلامي فإن غياب الأمن العلمي والتقني يعني تعطيل فريضة واجبة الأداء، وغياب التحضر والمدنية يعني أن المجتمعات الإسلامية لاتقوم بواجبات الخلافة ولاتحقق غايات الدين الذي تنتسب اليه. وهذا من شأنه أن يفقد خطابنا الإسلامي مصداقيته وتأثيره، ويجعله أقرب الى العبارات الجوفاء، أو الثرثرة، التي ليس وراءها طائل.

***

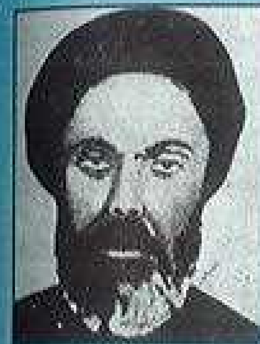
دور الوطنية والحرية والتـ ـراث فى البعث الحضارى

(١)

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

فى المشروع النهضوى لمدرسة «الجامعة الإسلامية».. كما صاغه واحد من أبرز أعلامها: عبدالله النديم (١٢٦١ـ١٣١٣هـ ١٨٤٥ـ١٨٩٦م).. قبل قرن من الزمان.. تبرز ـ بعد «الدين».. و«اللغة» ـ أهمية مقومات: «الوطنية».. والحرية».. و«العادات».. و«التراث»..

فالوطنية: جامع من جوامع الانتماء الثقافى والحضارى، ومُقوم من مقومات الانبعاث النهضوى.. الذى يحفظ استقلال الأمة واستقلال الوطن عن الانقياد للغير والتبعية للآخرين، ذلك «أن جهل الوطنية وحقوقها وواجبات أهلها يُسهل على الجاهل الانقياد للغير وتسليمه الوطن، غرورا بالظاهر، وجهلا بالعواقب، إذ لا يعلم من الوطنية إلا أنه ساكن بهذه الأرض، ينتفع بالسكنى فيها انتفاع الوحش بالأودية والمغارات، فلا يعرف تاريخ الحياة الوطنية ولا الأمم المؤسسة لها ولا شرف استقلال الاستيطان، ولا مجد وقاية المأوى، وبهذا يكون بين يدى الغير بمنزلة أجنبى يستعمله فى مهنته، وليس له إلا أجر أجير ومنزلة نزيل..».


عبدالله النديم

فالوطنية ليست سُكنى فى بقعة جغرافية، وإنما هى جامعة لشرف استقلال الوطن، ومجد الأمة، حتى لا تكون هذه الأمة ـ إذا فقدت هذا الجامع ـ فى أرضها ـ بمنزلة الغريب والأجير والنزيل!..

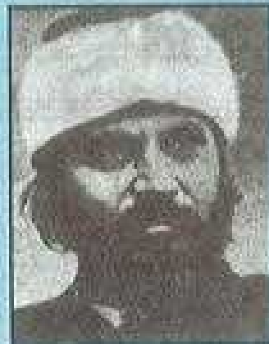
● وكذلك الحال ـ فى عوامل وجوامع الانتماء عند النديم ـ مع جامع «الجنسية».. لأن التفريط فى الجنسية، والتجنس بالجنسيات الأجنبية، يجعل المنسلخ من جنسيته متخذا جنسيته عدوا؟!.. «فإذا تجنس المرء بغير جنسيته، بالتقليد واتباع محسنات الغير ومجاراته فى أقواله وأفعاله، وقعت جنسيته عنده موقع العدو، وعدم فوائدها التى يأتى بها اجتماع أفراد الجنس»..(١).

(١) الأستاذ. العدد الأول. ص١٢.

فالجنسية جامع من جوامع استقلال الذات الوطنية والحضارية، تعصم الذات من «التقليد للغير واتباع محسناته ومجاراته فى أقواله وأفعاله»!.

● وإذا كنا نتحدث اليوم عن «الاقتصاد المستقل» و«التنمية المستقلة» كشرط من شروط «المشروع الحضارى المتميز»، فلقد كان النديم علما من أعلام تيار الجامعة الإسلامية والرابطة الشرقية، الذى ارتاد الدعوة إلى هذا الاستقلال الاقتصادى، فى مواجهة الهيمنة الاقتصادية الغربية منذ بدايات المواجهة مع النهب الاقتصادى الغربى لثروات عالم الإسلام.. والكاتب الأمريكى «لوثروب ستودارد» ـ فى كتابه: «حاضر العالم الإسلامى» ـ يقول عن تيار الجامعة الإسلامية ـ الذى بلوره وقاده جمال الدين الأفغانى ـ: «إن غاية الجامعة الإسلامية الاقتصادية.. هى ثروة المسلمين للمسلمين، وثمرات التجارة والصناعة فى جميع المعمور الإسلامى هى لهم يتنعمون بها، وليست لنصارى


لوثروب ستودارد


جمال الدين الأفغانى

الغرب يستنزفونها. وهى بفض اليد من رؤوس المال الغربية، والاستعاضة عنها برؤوس مال إسلامية، وفوق جميع هذا، هى تحطيم نواجذ أوروبا، تلك النواجز العاضة على موارد الثروة الطبيعية فى بلاد المسلمين، وذلك بعدم تجديد الامتيازات فى الأرضين والمعادن والغابات وقطر الحديد والجمارك، وسائر العقود التى ما دامت خارجة من أيدى العالم الإسلامى فهو يظل عالة على الغرب»!.(٢).

فنحن أمام برنامج للاستقلال الاقتصادى، يمثل قسمة من قسمات استقلال الهوية

(٢) «حاضر العالم الإسلامى» مجلد ١ ص ٢٣٦. ترجمة: عجاج نويهض ـ تعليق: شكيب رسلان. طبعة بيروت سنة ١٩٧١م.

الحضارية للأمة، وسمة من سمات مشروع نهضتها المستقلة.. وفى إطاره نقرأ ما كتبه النديم عن جناية التقليد للغرب والاستهلاك لمصنوعاته على اقتصاد الأمة وثروتها.. «فلما حصل الاختلاط، وامتدت التجارة، واتسع نطاق الزراعة، وساكن الأجنبى الوطنى، وتبادل الفريقان الزيارة، قَبّح الغربى اقتصاد الشرقى، وعدّه بقاء على الهمجية والتوحش، وحسّن له التوسع فى المآكل والمشارب وآنيتها.. وما قصد بذلك إلا تحويل ما بيده من النقود إلى بلاده، واتخاذه أجيرا[٣].. فبعد عقد المعاهدات التجارية مع دول أوروبا، جىء بمصنوعاتها إلى مصر، فهجم عليها الأهالى، وأقبلوا على البضائع الأجنبية وتركوا صنائعهم وصُنّاعهم.. وما زال الأهالى يُميتون البضائع شيئا فشيئا، حتى صارت الملابس والفُرش والأوانى، وكل ما يلزم الإنسان من ضروريات الأثاث من صناعة الأجانب، وبهذا ماتت الصناعة موتا..»[٤].. مع أنه «يوجد بالمحلة الكبرى صُنّاع يصنعون الأقمشة اللطيفة المحتاج إليها لباساً وأثاثاً مع إتقان الصُنع وجودة القماش وحُسن المنظر، لكن الناس مغرمون بمصنوع الأجنبى الذى لا يساوى شيئاً فى جانب مصنوع البلاد[٥].. لقد أماتوا بهذا الإسراف الاقتصاد الشرقى.. ولما لم تكفهم ورداتهم لاستحضار الآلات والمطاعم والمشارب الجديدة اقترضوا ورهنوا الأملاك والأطيان؟!..»[٦].

إنها التبعية الاقتصادية، التى جلبتها نزعة التقليد والمحاكاة للغرب.. وعلاجها ـ فى رأى النديم ـ هو استقلال الهوية، الذى يجعلنا نميز فى ما لدى الغرب بين «النافع ـ الضرورى» وبين ما لا يوافق «أخلاقنا وعاداتنا».. «فلو أخذنا من محسنات الغرب ما لابد منه، واقتصرنا على ما يوافق أخلاقنا وعاداتنا لحفظنا لأنفسنا حق الانتفاع بثمرة الاقتصاد الشرقى»[٧].

هكذا تكلم النديم عن الاستقلال الاقتصادى، سبيلا للحفاظ على الثروة، وطريقا لتنمية مكونات الاستقلال الحضارى أمام مخاطر وإغراءات التقليد والمحاكاة.. وكأنه - رحمه الله - يتكلم عن مشكلاتنا، ساعة كتابة هذه السطور؟!..

***

● والنديم، الذى كانت حياته «صيحة فى سبيل الحرية ـ للفرد.. والوطن.. والأمة ـ والذى صارع قوى الاستبداد.. وهرب بحريته من حبل المشنقة.. وعانى من النفى والتغريب عن وطنه ـ لم يخلط ـ هذا العاشق للحرية، بين مفهومها الإسلامى الذى ينتمى إليه، ويزكيه ويدعو لإشاعته، وإقامة نُظُمه وسياساته، وبين مفهومها الغربى «القائم على الإباحة.. وعدم التعرض لأحد فى أموره الخاصة»، والذى رفضه، معتبرا إياه «بهيمية» إن ساغت فى أوربا، فهى غير سائغة فى

(٣) الأستاذ. العدد الثالث. ص ٧٣.

(٤) المصدر السابق العدد الثامن. ص ١٨٦، ١٨٧.

(٥) المصدر السابق العدد السابع والثلاثون. ص ٨٩٤.

(٦) المصدر السابق العدد الثالث. ص ٥٥.

(٧) المصدر السابق العدد الثالث. ص ٥٦.

عالم الإسلام، الذى ضبطت شريعته حقوق الناس بحقوق الله، وحريات الناس بالأخلاق والعادات والقواعد الدينية.

وعندما يعرض النديم لتطبيقات المفهوم الغربى للحرية ـ مفهوم الإباحة وعدم التعرض لأحد فى أموره الخاصة ـ على «حرية المرأة».. وما أثمرت تطبيقات هذا المفهوم من إباحة الزنا بالتراضى والاختيار، دون مراعاة للضوابط الشرعية.. يرى النديم فى ذلك «حرية مدنية ينفر منها البهيم.. وهى لا توافق عوائد أهل الشرق ولا أديانهم، فقد اتفق المسلمون والنصارى واليهود والمجوس على الغيرة على النساء وصيانتهن، وأجمعوا على تحريم الزنا وقبحه، فإطلاق الحرية فى هذا الباب مذمومة.. وما سمعنا بمثل هذا فى الجاهلية الأولى..»!.[٨].

ولا يحسبن أحد أن موقف النديم هذا كان نابعاً من عداء للمرأة.. فنساء مصر ـ قبل سنوات طويلة من حديث قاسم أمين (١٢٨٠ ـ ١٣٢٦هـ ـ ١٨٦٣ ـ ١٩٠٨م) عن تحريرهن ـ عندما تطلعن إلى إصدار مجلة نسائية قد وقع اختيارهن على عبدالله النديم.. وعن هذا المشروع ـ لإصدار جريدة «المربى» الأسبوعية ـ للمرأة والطفولة.. كتب النديم يقول: «تقدمت لنا كتابة من ثلاث وعشرين سيدة يطلبن إنشاء جريدة تختص بهن.. وهذا الذى حملنى على إجابة طلبهن فى نشر جريدة أسبوعية تسمى «المربى».. وسنشرك معنا بعض الأفاضل الأطباء لتحرير ما يختص بالأمراض والحوامل.. وإنا نشكر السيدات اللاتى اقترحن هذا الاقتراح البديع، كما نثنى عليهن فى اختيار هذا الضعيف ـ النديم ـ لهذه الخدمة، وقد عللن ذلك بقولهن: «إنه لا يقدر على تحرير جريدة بلساننا ولسان الأطفال إلا مثلك، فلذلك رجوناك هذا الرجاء»..

ثم يستطرد النديم، فيدعو النساء إلى الإسهام فى تحرير هذه المجلة بالأفكار والمقالات.. فيقول: «وإنى كذلك، أرجوهن أن يبعثن لى أفكارهن فى المواضيع التى تطرأ عليهن.. نشراً لفضائل سيدات العصر، كما نشر المتقدمون فضائل من عاصروهن. ولهن ألا نصرح باسم واحدة منهن إلا مَن شاءت ذلك.. والله تعالى يوفقنا لما فيه رضاه ونفع الأمة ذُكراناً وإناثاً»[٩].

وفى هذا الذى كتبه النديم بيان على أن النموذج الذى كان فى فكره لهذه النهضة النسائية، لم يكن النموذج الغربى ـ الذى رأى فى حريته وتحريره «حرية مدنية ينفر منها البهيم»! ـ وإنما كان نموذج الحرية والتحرير للمرأة الشرقية هو النموذج الشرقى الإسلامى فى عصور ازدهار حضارتنا الإسلامية.. فلقد كان النديم يريد ـ وفق عبارته ـ «نشراً لفضائل سيدات العصر كما نشر المتقدمون فضائل من عاصروهن..».

«يتبع»

(٨) المصدر السابق العدد الثامن والعشرون. ص .....

(٩) المصدر السابق العدد الرابع والثلاثون. ص ٨٠٤، ٨٠٥.

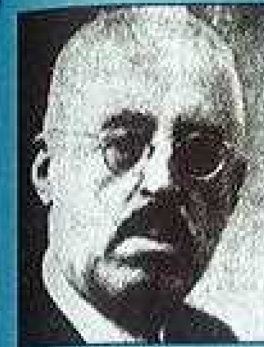
الخطيب، ورشيد رضا، وشكيب أرسلان، وحسن البنا.

يقول محب الدين الخطيب:

«إنما أوتينا من المدرسة والصحافة فهما اللتان كونتا رجالنا ومجاهدينا، ولن نتقي شر الانحلال مالم تكن مدارسنا وصحفنا مؤسسة على مفهوم الإسلام ودعائم من الوفاء لتاريخ الإسلام» (١)

ويقول شكيب أرسلان فاضحاً النوايا الخبيثة التي تتربص بالأمة الدوائر، وتسعى إلى إسقاطها في شباك الغرب الصليبي: «لقد أضاع الإسلام جاحد وجامد، أما الجاحد فهو الذي يأبى إلا أن يفرنج المسلمين، وسائر الشرقيين، ويخرجهم عن جميع مقوماتهم، ومشخصاتهم، ويحملهم على إنكار ماضيهم، ويجعلهم أشبه بالجزء الكيماوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر كان بعيداً فيذوب فيه ويفقد هويته. وهذا الميل في النفس إلى إنكار الإنسان لماضيه، واعترافه بأن آباءه كانوا سافلين، وأنه يريد أن يبرأ منهم، لا يصدر إلا عن النفس الخسيس الوضيع النفس أو من الذي يشعر أنه في وسط قومه دنيء الأصل،


رشيد رضا


شكيب ارسلان

فيسعى في إنكار أصل أمته بأسرها، لأنه يعلم نفسه منها بمكان خسيس ليس له نصيب من تلك الأصالة، وهو مخالف لسنن الكون الطبيعية، التي جعلت في كل أمة ميلاً طبيعيا للاحتفاظ بمقوماتها، ومشخصاتها من لغة وعقيدة وعادة وطعام وشراب وسكنى وغير ذلك إلا ما ثبت ضرره» (٢)

إن الأمة التي تملك اليقين في النصر، والثقة بالنفس، والاستعلاء بالمنهج، والاستناد الواثق إلى ركن الله، أمة لابد أن تنتصر، مهما علا شأن عدوها، ومهما امتلك من بأس الحديد والنار

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف: ٢١)

***

(١) صفحات مضيئة ـ أنور الجندي دار الاعتصام ص ٤٥٨

(٢) لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم/ شكيب ارسلان ص ٧٢

ما يقال عن الإسلام

أَهْلُ الكتابِ يَتَسَاءَلُونَ ونَحْنُ نُجِيبُ

١

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

هذا العنوان راعينا فيه الاعتدال وعفة القول، والموضوعية. ولم نجار الخصوم في الطيش والنزق، لأنهم لم يتساءلوا في براءة، وإنما قصدوا تعجيزنا محاولين سرد الطعون السافرة في القرآن عامة، وفي الإسلام خاصة، واستخدموا ألفاظاً وعبارات نترفع عن محاكاتها في الرد عليهم.

وموضوع هذا المقال تساؤلات كانت تطبع في مذكرات، وتوزع عشوائياً على الشباب المسلم ذكوراً وإناثاً بطرق جبانة وها نحن أولاً نجيب عن تساؤلاتهم لحماية شبابنا من التشكيك في دينهم، ولإلزام الخصوم بالحق الذي لامفر منه.

تذكرة بمجد الإسلام (*)

للشاعر الكبير الأستاذ/ محمود غنيم

مالى وللنجم يرعانى وأرعاه ** أمسى كلانا يعاف الغمض جفناه[1]

لى فيك يا ليل آهات أرددها ** أواه لو أجدت المحزون أواه[2]

إنى تذكرت والذكرى مؤرقة ** مجداً تليداً بأيدينا أضعناه[3]

أنى اتجهت إلى الإسلام فى بلد ** تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

ويح العروبة كان الكون مسرحها ** فأصبحت تتوارى فى زواياه[4]

كم صرفتنا يد كنا نصرفها ** وبات يملكنا شعب ملكناه

كم بالعراق وكم بالهند ذو شجن ** يكى فرددت الأهرام شكواه[5]

بنى العمومة إن الجرح مسكم ** ومسنا نحن فى الآلام أشباه

**** ** ****

هل كان دين بن عدنان سوى فلق ** شق الوجود، وليل الجهل يغشاه[6]

* عن مجلة الرسالة العدد ٩٢

١) يعاف: يكره.. الغمض: النوم

٢) أجدت: نفعت.

٣) تليداً: قديماً.

٤) زواياه: نواحيه

٥) شجن: حزن.

٦) الفلق: الصبح

سل الحضارة ماضيها وحاضرها ** هل كان يتصل العهدان لولاه

هى الحنيفة عين الله تكلؤها ** فكلما حاولوا تشويهها شاهوا[7]

هل تطلبون من المختار معجزة ** يكفيه شعب من الأجداث أحياه[8]

من وحد العرب حتى كان واترهم ** إذا رأى ولد الموتور آخاه

وكيف كانوا يداً فى الحرب واحدة ** من خاضها باع دنياه بأخراه

وكيف ساس رعاة الإبل مملكة ** ما ساسها قيصر من قبل أو شاه[9]

وكيف كان لهم علم وفلسفة ** وكيف كانت لهم سفن وأمواه

سنوا المساواة لا عرب ولا عجم ** ما لامرئ شرف إلا بتقواه

وقررت مبدأ الشورى حكومتهم ** فليس للفرد فيها ما تمناه

ورحب الناس بالإسلام حين رأوا ** أن السلام وأن العدل مغزاه

يا من رأى عمراً تكسوه بردته ** والزيت أدم له والكوخ مأواه

يهتز كسرى على كرسيه فرقاً ** من بأسه وملوك الروم تخشاه[10]

سل المعالى عنا إننا عرب ** شعارنا المجد يهوانا ونهواه

هى العروبة لفظ إن نطقت به ** فالشرق والضاد والإسلام معناه

استرشد الغرب بالماضى فأرشده ** ونحن كان لنا ماض نسيناه

إنا مشينا وراء الغرب نقبس من ** ضيائه فأصابتنا شظاياه[11]

٧) تكلؤها: تحفظها.. شاهوا: قبحوا.

٨) الأجداث: القبور

٩) قيصر والشاه: عاهلا الروم والفرس.

١٠) فرقاً: رعباً.

١١) شظاياه: ما تطاير من ناره.

بالله سل خلف بحر الروم عن عربٍ ** بالأمس كانوا هنا ما بالهم تاهوا؟[12]

فإن تراءت لك الحمراء عن كثبٍ ** فسائل الصرح أين المجد والجاه[13]

وانزل دمشق وسائل صخر مسجدها ** عمن بناه لعل الصخر ينعاه

وطف ببغداد وابحث في مقابرها ** علّ امرءاً من بني العباس تلقاه

هذي معالم خرسٌ كلُّ واحدةٍ ** منهن قامت خطيباً فاغراً فاه[14]

إني لأشعر إذ أغشى معالمهم ** كأنني راهبٌ يغشى مصلاه

الله يعلم ما قلبت سيرتهم ** يوماً وأخطأ دمع العين مجراه

أين الرشيد وقد طاف الغمام به ** فحين جاوز بغداداً تحداه

ملكٌ كملك بني التاميز ما غربت ** شمسٌ عليه ولا برقٌ تخطاه[15]

ماضٍ نعيش على أنقاضه أمماً ** ونستمد القوى من وحي ذكراه[16]

لا درّ درّ امرئٍ يُطري أوائله ** فخراً ويطرق إن ساءلته ما هو؟[17]

**** ** ****

ما بال شمل بني قحطان متصدعاً ** رباه أدرك بني قحطان رباه[18]

عهد الخلافة في البوسفور قد درست ** آثاره طيب الرحمن مثواه

عرشٌ عتيدٌ على الأتراك نعرضه ** ما بالنا نجد الأتراك تأباه[19]

ألم يروا كيف فداه معاويةٌ ** وكيف راح علىٌّ من ضحاياه

12) عن عرب: يريد دولة الأندلس.

13) الحمراء: يريد قصر الحمراء بغرناطة.

14) فاغراً فاه: فاتحاً فمه.

15) بنو التاميز: الإنجليز.

16) أنقاضه: أطلاله.

17) يُطرى: يمدح.

18) متصدعاً: متفرقاً.

19) تأباه: ترفضه.

غال ابن بنت رسول الله ثم عدا ** على ابن بنت أبي بكرٍ فأرداه[20]

لما ابتغى يدها السفاح أمهرها ** نهراً من الدم فوق الأرض أجراه[21]

ما للخلافة ذنبٌ عند شانئها ** قد يظلم السيف من خانته كفاه[22]

الحكم يسلس باسم الدين جامحه ** ومن يرمه بحد السيف أعياه[23]

يا رب مولى له الأعناق خاضعةٌ ** وراهب الدير باسم الدين مولاه

إني لأعتبر الإسلام جامعةً ** للشرق لا محض دينٍ سنه الله[24]

أرواحنا تتلاقى فيه خافقةً ** كالنحل إذ يتلاقى في خلاياه

دستوره الوحي والمختار عاهله ** والمسلمون - وإن شتوا - رعاياه[25]

لاهمّ قد أصبحت أهواؤنا شيعاً ** فامنن علينا براعٍ أنت ترضاه[26]

راعٍ يعيد إلى الإسلام سيرته ** يرعى بنيه، وعين الله ترعاه

***

20) ابن بنت رسول الله: هو الحسين - رضي الله عنه - وابن بنت أبي بكر هو عبدالله بن الزبير.

21) السفاح: هو مؤسس الدولة العباسية، أبوالعباس محمد بن عبدالله.

22) شانئها: مبغضها.

23) جامحه: عاصيه.

24) محض دين: مجرد دين.

25) عاهله: رئيسه. شتوا: تفرقوا.

26) لاهمَّ: اللهم.

«لسان العرب» لمادة «حضر» بمعنى «شهد»، يفيد الحضور كنقيض للمغيب والغيبة، وبهذا تكون «الحضارة هي الحضور والشهادة بجميع معانيها التي ينتج عنها نموذج إنساني يستبطن قيم التوحيد والربوبية، وينطلق منها كبعد غيبي يتعلق بوحدانية خالق الكون وواضع نواميسه وسننه والمتحكم في تسييره ومصيره، ومن ثم فإن دور الإنسان ورسالته هو تحقيق الخلافة عن خالق هذا الكون بتعمير الأرض وتحسينها وترقية الحياة عليها وتزجية معاش الناس فيها، وتحقيق تمام التمكين عليها والانتفاع بخيراتها وحسن التعامل مع المسخرات في الكون وبناء علاقة سلام معها لأنها مخلوقات تسبح بحمد الله، أو رزق لابد من حفظه وصيانته كذلك إقامة علاقة مع بني الانسان في كل مكان على ظهر الأرض، أساسها الأخوة والألفة وحب الخير والدعوة إلى كل ما يحقق سعادة الدنيا والآخرة.

والجدير بالذكر أن مفهوم «الحضارة» ذو صلة أيضاً بمصطلحات مستحدثة من قبيل «التقدم» و«النهضة» و«التنمية الشاملة» وغيرها، وهي مصطلحات تمثل قضية العصر للإنسان المعاصر، وخاصة في الدول النامية التي يزيد عدد سكانها عن ٨٠٪ من مجموع سكان العالم(٣).

** أسس البناء الحضاري في الإسلام:

إن الأساس الشرعي المتين لأية نظرية حضارية في الإسلام يقوم على عدم الفصل بين الدين وواقع الحياة، وهو بهذا يتفوق كثيراً على أية رؤية حديثة أو معاصرة يهيمن عليها العامل الاقتصادي أو العامل العلمي والتقني ويتضح هذا الأساس جليا في رؤية رفاعة الطهطاوي لمفهوم «الحضارة» المرادف «للمدنية» التي تمثل المرحلة الراقية في التطور الإنساني، والذي عبر عنه بقوله: «... ويفهم مما قلناه أن للتمدن أصلين: معنوي؛ وهو التمدن في الأخلاق والعوائد والآداب، ويعني التمدن في الدين والشريعة، وبهذا القسم قوام الملة المتمدنة التي تسمى باسم دينها وجنسها للتمييز عن غيرها. والقسم الثاني: تمدن مادي؛ وهو التقدم في المنافع العمومية»(٤).

ولا يختلف المنظرون لفكرة الحضارة، أو المدنية، أو التقدم، قديما وحديثا على وجود دين متبع يمثل القاعدة الرئيسية من قواعد إصلاح المجتمعات، وركيزة أولى من ركائز التقدم والرقي. وبصرف النظر

(٣) نصر محمد عارف، الحضارة، الثقافة، المدنية: دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، سلسلة المفاهيم والمصطلحات (١)، المعهد العالي للفكر الاسلامي، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(٤) المرجع السابق.

عن ماهية الدين المتبع، فإنهم يرونه الأقدر على إصلاح دواخل النفوس، وتوحيد الموقف والاتجاه حيال القضايا المختلفة. لكن الأمر في حالة الإسلام يختلف عن كل ما سواه. فإذا كان «ول ديورانت» صاحب «قصة الحضارة» قد حدد عوامل الحضارة في أربعة عناصر، اقتصادية، وسياسية، وخلقية، وعقلية، بحيث يشمل العنصر الأخير الآداب والعلوم والفنون، فقد حوت مبادىء الإسلام من القرآن والسنة كل هذه العوامل وزادت عليها.

وإذا كان علماء الحضارات قد ذكروا أن الحضارة لا تنشأ إلا على أساس من تصور الإنسان للكون ولنفسه، وأن الحضارة كل مركب يشمل - بالإضافة إلى الجوانب المعرفية والخلقية والاقتصادية والسياسية - يشمل مجموعة التقاليد والعادات والقدرات التي يتميز بها الأفراد، والتي يكتسبونها من مجتمعاتهم، فقد وفر الإسلام - القرآن الكريم والسنة المطهرة - كل أسباب النهضة ومكونات الحضارة، بما اشتمل عليه من نظرة متكاملة لأمور الفكر والحياة وفي كل ما يهم الإنسان. ويكفي دليلا على ذلك أنه حوّل عرب الجاهلية من قبائل بدوية متنافرة متدابرة إلى أمة واحدة استطاعت أن تقيم حضارة رائدة ومتميزة، أشعت بنورها على العالمية، واهتدت بهديها جميع الأمم، وحققت انتشارا ودواما متلازمين لم تحققهما أي حضارة أخرى عبر العصور وتقوم نظرية الحضارة في الإسلام على عدة ركائز أساسية أهمها:

أولاً: بناء الفرد وتنميته:

ويتحقق ذلك بمراعاة التوازن المطلوب، والوسطية الحكيمة، بين الجانبين المادي والروحي، على النحو الذي يجعل من الفرد لبنة سليمة في أمة تتحرى الوسطية بين المتقابلات، فتفعل المعروف وتأمر به، وتتجنب المنكر وتنهى عنه. قال تعالى:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(سورة آل عمران: ١٠٤)

وتقوم نظرية الحضارة في الإسلام على هذا الركن الأساسي لأهميته القصوى في البناء الحضاري، ذلك أن شرف المطلوب بشرف نتائجه، وعظم خطره بكثرة منافعه، وبحسب منافعه تجب العناية به، وعلى قدر العناية به يكون اجتناء ثمرته، ولهذا يتجه العقلاء، دائما في أي برنامج إصلاحي إلى المؤسسات التربوية والتعليمية أولا، لأنها المعنية قبل غيرها بتربية الفرد وتنشئته تنشئة صالحة.

ويحدد التصور الإسلامي أبعاد هذه التنشئة الصالحة في تنمية ملكات الفرد

كل ما تطلبه دولة الجزائر الشقيقة ومن جانبه أعرب الضيف عن سعادته للقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مشيدا بدور الأزهر الشريف ومؤكدا على مكانته العلمية والعالمية حيث إنه قبلة العلماء ومرجعيتهم الدينية فى العالم كله، كما استعرض السفير الأحداث التى مرت بالجزائر منذ احتلالها مشيدا بدور مصر الرائد فى دعم الجزائر حتى حصولها على الاستقلال.

ويستقبل سفير اليمن

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير / عبدالعزيز ناصر الكميم سفير الجمهورية العربية اليمنية فى مصر، حيث رحب فضيلته بالضيف مشيدا بالعلاقات الودية والأخوية بين البلدين، ودار الحديث حول سماحة الإسلام وحرية العقيدة، وأكد فضيلة الإمام الأكبر على أن العقيدة يحميها صاحبها، وأنها إذا تمكنت فى الإنسان فلا يستطيع كائن من كان أن يؤثر على صاحبها، وتتزلزل الجبال ولا يتزلزل صاحبها عن عقيدته، وقد أكد على أن الإسلام يمد يده بالسلام إلى كل من يمد يده إليه بالسلام، وهناك من لا يفهم الإسلام فهما صحيحا، وواجبنا أن نصحح لهم هذه المفاهيم، وحينما يتفهمونه ويعقلونه يكتبون عنه الكلام الطيب ونحن لا نتدخل فى عقيدة غيرنا ولا نسخر منها، ويجب علينا أن تكون موازيننا عادلة، والكثير من الناس يأتون إلينا من دول كثيرة ومختلفة لمعرفة صحيح الإسلام.

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على إتاحة فرصة هذا اللقاء الطيب المثمر البناء، وعلى ما يقدمه الأزهر الشريف من توضيح للأمور الدينية، وقال إن جمهورية اليمن تهتم بإرسال طلابها إلى الأزهر الشريف لمعرفة الإسلام وتعاليمه السمحة على أيدى المتخصصين من علمائه فى العلوم العربية والشرعية.

الإمام الأكبر يستقبل وزير التعليم بجمهورية جزر القمر

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف معالى الوزير / يحيى محمد إلياس وزير التربية والتعليم والبحث العلمى بجمهورية جزر القمر المتحدة يصاحبه سعادة السفير / محمد على ديا سفير جمهورية جزر القمر المتحدة بالقاهرة، والسيد نورالدين باشا مستشار الوزير، وقد رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه مشيدا بعمق العلاقات بين مصر وأزهرها الشريف وجمهورية جزر القمر المتحدة موضحا بأن الأزهر الشريف لديه طلاب وطالبات عددهم ٢٠٢٠ يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة إلى جانب تخصيص ٢٥ منحة دراسية لهذا العام لم يصل طلابها بعد، وهؤلاء الطلاب والطالبات يمتازون بحسن الخلق والاجتهاد فى تحصيل العلم، والأزهر الشريف يقدم لهم كل ألوان المساعدة والعون.

ومن جانبه شكر معالى الوزير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على حسن اللقاء والحفاوة، وقدم باسم رئيس وحكومة وشعب جزر القمر الشكر والتقدير على ما يقوم به الأزهر الشريف فى إعداد الكوادر التى تحمل رسالة الإسلام من الشريعة واللغة العربية لشعب جزر القمر، موضحا بأن مفتى جمهورية جزر القمر من خريجى الأزهر الشريف، كما أن هناك أعدادا كبيرة من المسئولين عن الدولة من خريجى الأزهر الشريف وبذلك يرد الفضل للأزهر الشريف ولمصر لتوصيل الرسالة للأمة الإسلامية، وهى بذلك مستمرة والحمد لله وقال الضيف: إن تعداد السكان فى جمهورية جزر القمر حوالى سبعمائة ألف نسمة وكلهم مسلمون.

الإمام الأكبر:
الذين يعتدون على الآمنين مجرمون

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / جونتر مولاك السفير بوزارة الخارجية الألمانية، ومفوض الحوار للأديان والحضارات مع العالم الإسلامى يرافقه المستشار أوليفر فيكون بالقسم السياسى بسفارة ألمانيا بالقاهرة، وقد رحب فضيلته بهما مؤكدا على أن

الأزهر الشريف بابه مفتوح دائما وقلوبنا مفتوحة لكل زائر، ودار النقاش حول الأزمة المثارة فى المجتمعات الغربية من جانب الذين يتصورون أن الإسلام يمثل نوعا من التهديد لهم، وسأل الضيف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عن كيفية التعايش بين المجتمعات الأوروبية والإسلامية، وما هى الطرق والوسائل لتوضيح صورة الإسلام؟ وقد أوضح فضيلته بأن الدين الإسلامى يعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة، وعلينا أن نتعاون، ونتعارف، والاختلاف فى العقائد لا يمنع من التعاون مبينا أن المجتمع المصرى من مسلمين ومسيحيين، يتمتعون بنفس الحقوق، ويؤدون نفس الواجبات وهم شركاء فى التجارة وفى المسكن، لأن الإسلام يقوم على العدل وإعطاء كل ذى حق حقه، وأى عدوان من أى طرف الإسلام يرفضه، والأديان كلها بريئة من العدوان ومن الظلم، لأنها تدعو إلى المحبة وإلى العدل، وإلى نصرة المظلوم وإذا كانت هناك ظواهر فردية من الاعتداءات فلا نستطيع أن نعمم ذلك ونسىء للأديان، والدين الإسلامى واضح كل الوضوح فهو يمد يده بالسلام لكل من يمد يده إليه بالسلام، والذين يعتدون على الآمنين من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ هم مجرمون، ومن يفعل ذلك فالأديان السماوية بريئة منه، ويجب أن يعاقب أشد العقاب فليس هناك إنسان عاقل يقتل أو يعتدى على الآمنين فهم ليسوا محاربين، وأى عدوان على من لم يقاتل أو يحارب فهو ظلم وإرهاب، ونحن فى الأزهر الشريف ندرس علوم اللغة العربية وأحكام الشريعة الإسلامية لأبناء المسلمين الذين يحضرون إلى مصر على منح دراسية والدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بالاعتدال والوسطية والبعد عن التطرف والعصبية، وهم حينما ينتهون من دراستهم يعودون إلى بلادهم ليعلموا أبناء بلادهم ما تعلموه فى الأزهر الشريف من وسطية واعتدال، كما أن الأزهر الشريف يرسل علماءه لكثير من دول العالم لتعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية التى تدعو إلى السلام والمحبة ونبذ العنف والإرهاب، وقد أكد الضيف على ما قاله فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مؤكدا على أن الأزهر الشريف وما يقوم به فى العالم يساعد على إتاحة الفرصة للتعايش بين الأديان وخدمة الإنسانية جمعاء، وطلب الضيف من فضيلته العمل على زيادة الدارسين من دول العالم بالأزهر الشريف لعدم ترك الساحة

لأنصاف المتعلمين الذين يسيئون استخدام الدين ومن جانبه أشار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأن الأزهر الشريف مستعد لأى تعاون من شأنه توضيح صورة الإسلام التى يسىء إليها بعض المغرضين لخدمة أهدافهم الخاصة.

الإمام الأكبر:

الدين الاسلامى يعتبر الاعتداء على نفس واحدة بالقتل اعتداء على البشرية جمعاء

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفدا من مساعدى أعضاء الكونجرس الأمريكى فى إطار خطة منتدى مصر الدولى الاقتصادى لتدعيم العلاقات المصرية - الأمريكية، وقد رافقت الوفد الدكتورة/ نادية ململوم مدير المنتدى، وقد رحب فضيلته بالوفد، ودار الحديث حول التعريف بالإسلام لتصحيح المفاهيم الخاطئة، والشبهات المثارة التى تسىء للإسلام، وتحدث فضيلته قائلا إن الأزهر الشريف عمره الآن أكثر من ألف عام يعلم الدين الإسلامى بالوسطية والاعتدال، ومناهج التعليم فى الأزهر الشريف وضعها علماء الأزهر الشريف، ولا يوجد أى تأثير من الداخل أو الخارج على المناهج التى تدرس بالأزهر الشريف، والدولة تدعم الأزهر وتسانده لأداء رسالته على أكمل وجه، مبينا بأن التعليم فى الأزهر الشريف متاح للبنين والبنات على السواء فى كل مراحل التعليم المختلفة من الحضانة والابتدائى والإعدادى والثانوى وحتى نهاية المرحلة الجامعية، وأجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التى دارت حول دور الأزهر الشريف فى توضيح مفهوم الإسلام فى الجهاد والإرهاب، مؤكدا على أن الدين الإسلامى يعتبر الاعتداء على نفس واحدة بالقتل هو اعتداء على البشرية جمعاء، وقد كان الأزهر واضحا فى إدانته لأحداث ١١ من سبتمبر كأول مؤسسة دينية أدانت هذا الاعتداء الآثم لأنه عدوان على الآمنين، والإسلام يرفض الاعتداء لأن الإسلام دين يمد يده بالسلام لكل من يمد يده إليه بالسلام، والإسلام ضد الإرهاب وضد قتل الآمنين الأبرياء، والفرق بين

الجهاد والإرهاب كالفرق بين السماء والأرض، فالجهاد رد العدوان وهو دفاع عن النفس وعن العرض وعن الأرض وعن الكرامة الإنسانية. والإرهاب اعتداء على الآمنين، وغدر، وقتل الأطفال والنساء والشيوخ، وهدم المنازل وتجريف الأرض، ومن يخلط بين الجهاد فى الإسلام والإرهاب فهو مخطىء.

وقال: إن شيخ الأهر الشريف وعلماء الأزهر يقدمون النصح ويوضحون الأحكام الشرعية بصورتها الصحيحة، وعلى من يريد أن يعرف الإسلام وحقيقته فليعرفه من الأزهر وعلمائه، ونحن نستقبل زوارنا من كل أنحاء العالم نوضح لهم الأمور دون لبس، بل ونحافظ عليهم كما أمرنا الدين الإسلامى، والإسلام أمرنا بالتعاون، والدول الإسلامية تتعاون مع الدول الأخرى مع اختلاف العقائد، وتتبادل المنافع والمصالح، ونحن فى عصر لا تستطيع دولة أن تستغنى عن الأخرى فى المعاملات التجارية والصناعية وغيرهما من المعاملات الأخرى والعقائد لا تباع ولا تشترى ولذلك لا إكراه على العقائد، ولكل إنسان عقيدته، والإكراه على العقائد لا يأتى بمؤمنين صادقين صالحين، ولا يستطيع أحد فى العالم أن يكره أحدا على ترك عقيدته، وفى القرآن آيات قرآنية تؤكد ذلك كقول الله تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ [البقرة/٢٥٦]

وكقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون/٦] وعلى المسلمين أن يكونوا قدوة حسنة فى معاملاتهم وتصرفاتهم مع الغير.

الإمام الأكبر:

إلغاء عقوبة الإعدام ظلم فادح للإنسان

- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد الفيدرالية الدولية لحقوق الإنسان بباريس، والوفد مكون من ثلاثة أفراد وهم السيدة/ عالية شريف شمارى من دولة تونس، والسيد/ نبيل رجب من دولة البحرين، والسيد/ آتين جودل من دولة فرنسا، وقد رحب بهم فضيلته ودار الحديث حول عقوبة الإعدام وطلب الوفد رأى فضيلته فى ظروف تطبيق عقوبة الإعدام فى مصر، وقد أوضح فضيلته بأن هناك حقائق يجب أن تقرر وتفهم، فقد أكدت شريعة

الإسلام على حقوق الإنسان، وقررت بأن من يعتدى على إنسان واحد فكأنما اعتدى على الإنسانية جمعاء كقول الله تعالى فى سورة المائدة الآية رقم ٣٢:

﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

[المائدة/ ٣٢]

والمعنى أن من يعتدى على إنسان ويقتله ظلما وعدوانا فكأنما قد قتل الناس جميعا، وكل من يساعد على بقاء حياة الإنسان فكأنما قد أحيا الناس جميعا، والذى قُتل ظلما لابد أن نحمى حقه وحقوق أولاده وزوجته وهذا يستلزم معاقبة القاتل الذى قتل غيره ظلما وعدوانا، وإلا أصبحت الحياة فوضى، وعقوبة الإعدام فى شريعة الإسلام لا تطبق إلا على من ثبت أنه قتل غيره ظلما وعدوانا وبإصرار وتعمد لا يقبل الشك، وباعتراف من القاتل، وبتطبيق عقوبة الإعدام تكون العدالة قد جعلت الناس يعيشون آمنين، وأكد على أن عقوبة الإعدام فى شريعة الإسلام لا تنفذ إلا إذا ثبت ثبوتا قاطعا أن القاتل قتل غيره عن عمد وإصرار وظلم وعدوان ولا توجد أى شبهة حملته على القتل، فهنا لابد أن تنفذ عقوبة الإعدام، فإذا ما جاء أولياء الدم وقالوا عفونا عن القاتل فلا توجد محكمة تحكم بالإعدام، وإذا تنازلوا وقبلوا الدية فلا يحكم بالإعدام، وأما إذا طلب أولياء الدم القصاص فهنا لا يستطيع أحد أن ينازعهم فى هذا الحق وبذلك تكون حياة القاتل متوقفة على ما يرتضيه أولياء الدم وبهذا يشعر الناس بالأمن والأمان، ولكل دولة ظروفها التى تختلف عن الدولة الأخرى فى حكمها لتطبيق عقوبة الإعدام.

ورفض فضيلته رفضا قاطعا أية آراء أو مقترحات بشأن الإلغاء التام لعقوبة الإعدام أو استبدالها بعقوبة أخرى، وأشار إلى أن المطالبة بذلك تحت شعار «حقوق الإنسان» إنما تمثل ضياعا لحقوق الإنسان وإهدارا لحقه فى الحياة وتمثل ظلما فادحا للإنسان، وأكد على أن حكم الإعدام هو ترجمة شرعية لمبدأ القصاص الذى جعله الإسلام صيانة وحماية للنفس البشرية التى كرمها الله - عز وجل - مصداقا لقول الله تعالى فى القرآن الكريم:

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾

[البقرة / ١٧٩]

والشريعة الإسلامية حينما أقرت القصاص كان ذلك لحماية المجتمع لأن القاتل إذا عرف أنه سيقتل سيفكر ألف مرة قبل أن يرتكب جريمته.

وقال أعضاء الوفد بعد سماعهم لرأى شيخ الأزهر الشريف : إنهم يهتمون برأى الأزهر الشريف كمؤسسة دينية وسيضمونه إلى تقريرهم الذى سيرفع للأمم المتحدة، والمجلس الأوروبى بعد انتهاء البرنامج الموسع الذى تنظمه الفيدرالية حول عقوبة الإعدام فى العالم بأكمله.

الاجتماع الخامس لمجمع البحوث الإسلامية

- برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عقد الاجتماع الخامس لمجمع البحوث الإسلامية فى دورته الحادية والأربعين وقد تأثر مجمع البحوث الإسلامية بما حدث فى أندونيسيا وغيرها من فقدان وموت الآلاف بسبب الكوارث الطبيعية، والمجمع يدعو العالم أجمع والمسلمين بصفة خاصة أن يقدموا العون والمساعدة لهؤلاء المنكوبين، كما يكرر المجمع أن كل تخريب أو عدوان على الآمنين يرفضه الإسلام والمسلمون، ويحرمونه ويجرمونه، ويرفضون ما يحدث بالمملكة العربية السعودية من عدوان وتخريب تقوم به الفئة الضالة التى يتبرأ الإسلام من أفعالها.

كما ناقش المجمع الخطاب الوارد من الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية بشأن الترشيح لنيل الجائزة للعام ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ عن الموضوعات التالية:

- الدراسات الإسلامية فى موضوع الدراسات التى تناولت أصول الفقه.
- اللغة العربية والأدب فى موضوع اللغة العربية فى الدراسات اللغوية الحديثة.
- العلوم فى موضوع الرياضيات.
- الطب فى موضوع التهاب الغشاء المبطن للأوعية الدموية.
- خدمة الإسلام.

الصومال تطلب زيادة المنح الدراسية المخصصة لها

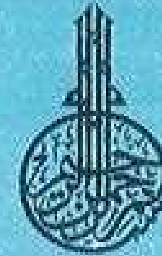
- استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير عبدالله حسن سفير الصومال بجمهورية مصر العربية يرافقه الشيخ/ عبدالرازق حاج آدم مدير عام بوزارة الشئون الدينية بالصومال والشيخ/ حسن عبدالله علمى خطيب وإمام الجامع القروى بالصومال، وقد رحب فضيلته بالسادة الضيوف مشيدا بعمق العلاقات بين مصر والصومال، وأن أبناء الصومال يدرسون فى الأزهر الشريف على منح دراسية، حيث يبلغ عدد طلابها حوالى نحو ١٤٧٥ طالبا يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته، وهم سفراء للأزهر الشريف حينما يعودون إلى بلادهم لينقلوا ما تعلموه من علوم شرعية وعربية إلى أهليهم وذويهم، والأزهر الشريف يعلم سماحة الإسلام ويسره ووسطيته واعتداله، ويدرس جميع المذاهب الإسلامية، وأيضا توجد بعثة من علماء الأزهر الشريف تقوم بالتدريس بمعاهد الصومال وعددهم ٢٦ عالما يؤدون واجبهم نحو تعليم أبناء المسلمين فى الصومال، وأيضا يحضر علماء الصومال الدورات التدريبية لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى التى ينظمها الأزهر الشريف.

ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما يقدمه الأزهر الشريف لدولة الصومال، مشيدا بدور الأزهر الشريف وعلمائه وشيخه على حرصهم الشديد على تعليم أبناء المسلمين سواء فى مصر أم فى خارجها، مؤكدا على أن الكثير من أبناء الصومال الذين تخرجوا فى الأزهر الشريف يحتلون المراكز القيادية بالصومال، وطلب السفير مواصلة تمثيل الأئمة والوعاظ فى الدورات التدريبية بصفة مستمرة وزيادة المنح الدراسية، وقد وعد فضيلته بتلبية طلباته.

***

AL-AZHAR MAGAZINE

Dhul-Hijjah, 1425 A. H.



ENGLISH SECTION

Feb. 2005

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,

Professor at the Faculty of Languages and Translation

Al-Azhar University

الفهـــرس الســـنوى لســـنة ١٤٢٥هـ

محـــرم